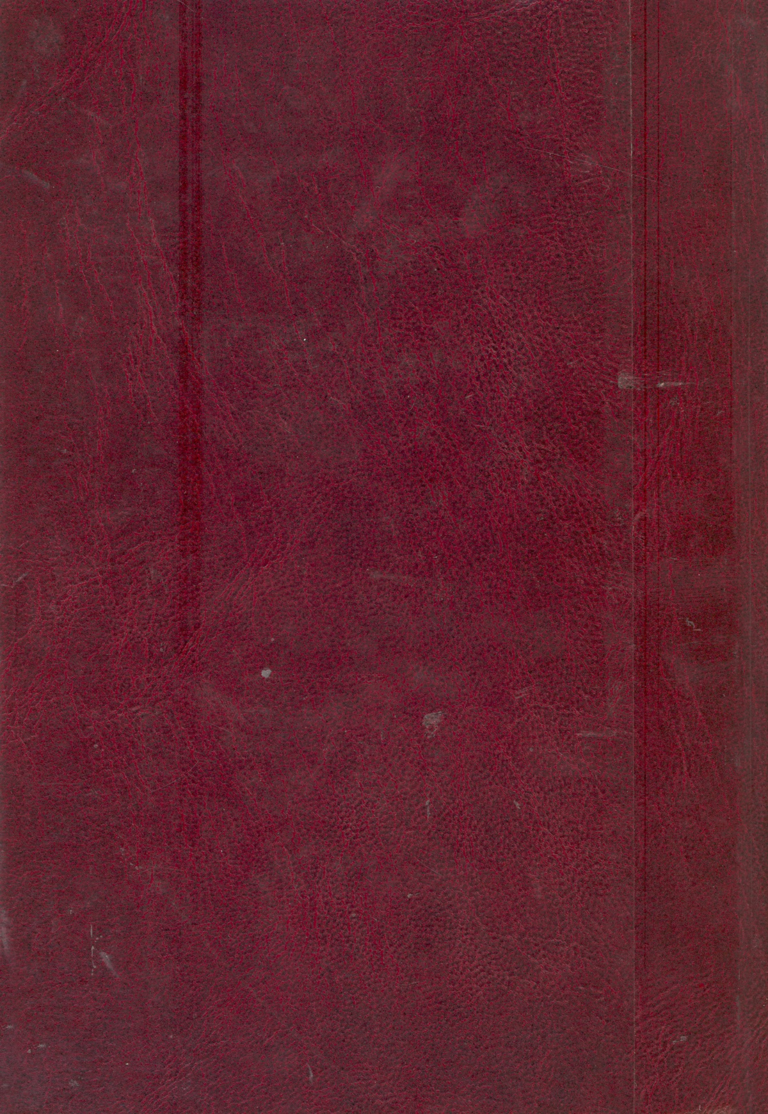
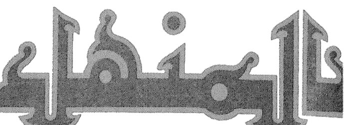


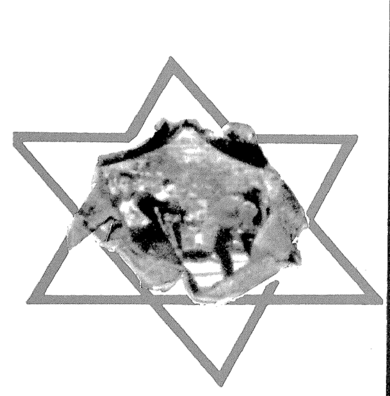


العدد ٤٦٩ السنة ٥٥ المجلد ٥٠ - رجب ١٤٠٩هـ/ فبراير ١٩٨٩م

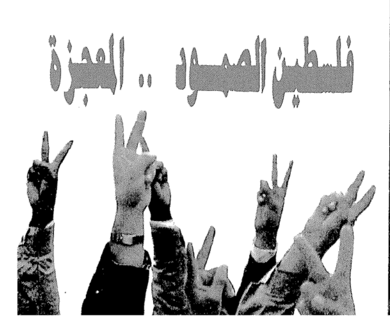
ALMANHAL

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

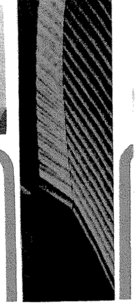




فلسطين الصمود .. المعجزة







مقال

الاعتدال مسئولية

■ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اما بعد فاننا نتوجه الى الله تعالى بالشكر العميق الخالص، ازاء ما تفضل به علينا من متابعة الجهاد ومواصلة السير بهذه المجلة التى لم تدع بابا من ابواب نصرة العروبة والاسلام، ونشر الوعى فى هذه البلاد الا طرقته، وجالت فيه جولات عديدة واسعة، كما كان لها جولات منوعة فى ميادين الثقافة العامة.. وكان لها خطة مرسومة لا تحيد عنها قيد شعرة، وهى «الاعتدال» فى كل شىء.. سواء فى التوعية أو الدفاع او الهجوم، عملا بقوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتى هى احسن﴾.

والكلمة الموزونة الرشيدة دائما لها تأثيرها العميق فى النفوس اما حاضرا او مستقبلا، بخلاف الكلمة الهوجاء الناشزة، فانها ان أثرت فى وقتها أثرا قد يكون ايجابيا فى وقت فقد يكون سلبيا فى اوقات ولن يطول بقاء اثرها فى اعماق النفوس.

و«المنهل» اليوم وهى فى عنفوان شبابها، قد ادركت كثيرا من الدروس النافعة، وهى فى سبيل نهضة جديدة ان شاء الله تعالى باعباء امانتها، فستتوخى نشر الامتع والانفع، وستوسع دائرة معلوماتها وموضوعاتها الى ما هو اروع، مما يجعلها «حديقة» اثمار كلها روعة ونفع وامتاع بتوفيق الله وحسن معونته.

المحرم ١٣٨٥هـ

عبدالقدوس الانصاري



المنهل
ALMANHAL

العدد ٤٦٩ السنة ٥٥ مجلد ٥٠

اسسها سنة ١٣٥٥هـ

عبد القدوس الأنصاري

صاحب المجلة رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير

د. عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير

زهير بن نبيه الأنصاري

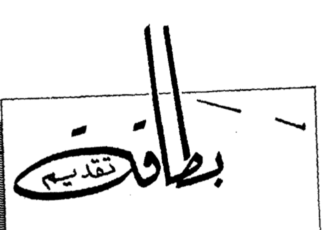
سكرتير التحرير

السماني كمال الدين

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المراسلون

مصر: فريد ابو سعدة
الأردن: روكس العزيزى
تونس: د. نور الدين صمود
المغرب: عبد الرحيم عبد السلام
الجزائر: د. بكرى عبد الكريم
تركيا: د. أنور طاهر رضا



■ ﴿ *إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم* ﴾

حول آيات الله يجتمع المسلمون من كل حدب.. حول معجزة الرسول ﴿ﷺ﴾ الباقية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها يلتف المسلمون من كل صوب.. وفى أشرف بقاع الأرض وأقدسها تعقد المسابقة الدولية لحفظ وتلاوة وتجويد وتفسير القرآن الكريم.

وجبريل أمين الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء

وتزدان المعمورة بكلمات الله تبارك وتعالى.. ويغمر صدح صوت الحق عالياً مجلجلاً فى الأجواء «قرآنا عربيا» ينطلق من أفواه فتية آمنوا بربهم فزادهم الله هدى.

وندعو الله ان يحفظ حكومتنا الرشيدة منار الهدى وموطن جمع المسلمين على كلمة الحق.. وأن يؤيد خطوات خادم الحرمين الشريفين قائد مسيرة الايمان.

«المحرر»

المركز الرئيسى

جده ـ الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥ رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١..٦٤٣٩٧٦٥ـ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات

تخاطب بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة

● السعودية: ٨ ريال ● قطر: ٨ريال
● الامارات: ٨ دراهم ● الاردن: ٥٠٠فلس
● السودان ٢٥٠قرش ● مصر: ١ جنيه
● المغرب: ٦ دراهم ● تونس: ٦٠٠ مليم
● موريتانيا: ١٠٠ أوقيه

فى هذا العدد

غلاف العدد:

فلسطين: جهاد السنين وعزيمة المنتصرين، حلقات الكفاح المتصلة المتلاحقة حتى النصر.. ويظل الهمّ تحمله العيون والحق ترفع راياته سواعد لن تلين.

وكلاء التوزيع

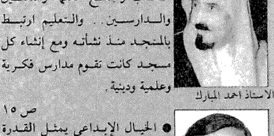
تهامة للتـوزيـع/ جده ت: ٦٦٩٥٠٠٠

وكـالـة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠

الشركة التونسية للصحافة/ ترنس ت: ٢٤٢٤٩٩



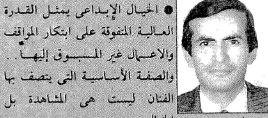
فقرات مســتلة



● حوانيت الوراقين كانت أماكن لبيع الكـتـب وتجمـع العلماء والمثقفـين والـدارسـين. والـتعليم ارتبـط بالمسجد منذ نشأته ومع إنشاء كل مسجد كانت تقوم مدارس فكرية وعلمية ودينية.

الأستاذ احمد المبارك

ص ١٥

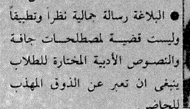


● الخيال الإبداعى يمثل القـدرة العـاليـة المتفوقة على ابتكار المواقف والاعـمال غير المسبـوق إليهـا. والصفة الأساسية التى يتصف بها الفنان ليست هى المشاهدة بل الخيال.

د. سامى عزيز

ص ٢٤



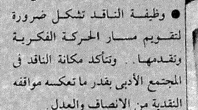


● البلاغة رسالة جمالية نظراً وتطبيقاً وليست قضيـة لمصطلحـات جافـة والنصوص الأدبية المختارة للطلاب ينبغى ان تعبر عن الذوق المهذب للحاضر.

د. شاكر عبد الحميد

ص ٣٧





● وظيفـة النـاقـد تشكـل ضرورة لتقـويم مسـار الحركـة الفكـريـة وتقـدمهـا. وتتأكد مكانة الناقد فى المجتمع الأدبى بقدر ما تعكسه مواقفه النقدية من الانصاف والعدل.

الأستاذ عثمان الصالح

ص ٤٢



● ضربوا على وتر خرافة الاضطهاد النـازى لليهـود فظلت المنظمـة الصهيونية العالمية تعرض فى الاعلام الغـربى وبـاستمـرار أفـلام وثـائقية مشبوهة لاستدرار العطف عليها.

الشاعر مصطفى بشاره

ص ٧٦

تصميم/ عبد الرحيم فؤاد بدر الدين

إشـارة:

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد أولويات النشر، وتخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بنوع أو شكل الموضوع أو مكانة الكاتب.

● يشترط فى الإسهامات المقدمة عناصر الجدة، العمق والرُّصانة العلمية . مع رجاء ان تشفع المادة المرسلة بالصورة الموضوعية والتوضيحية - ان لزم الموضوع - وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة.

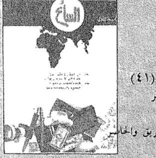
الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥

دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥

دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢

وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت ٦٣٥١٥٢







جائزة الملك فيصل العالمية ١٤٠٩هـ

● شيخ الأزهر: «عالمية» الجائزة فرضت نفسها بمبادئها السامية

● د. عمر نصيف: الجائزة ذات قيمة كبيرة لتشجيع العلماء على الابتكار والبحث.

● د. يوسف خليف: نعتز بالجائزة.. وهى شرف لنا.

● د. حسن باجودة: الجائزة تسد فراغا كبيرا فى العالم الاسلامى.

● على عبد الله الخليفة: نقلتنا الجائزة من الحلم.. الى الواقع الانضر.

● علوى طه الصافى: تتطاول امانينا لجوائز أخرى..



أعلنت الامانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية نتائج أعمال لجان الاختيار للجائزة فى دورتها الثانية عشرة وبحضور صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بالانابة تلا الأمين العام للجائزة الدكتور عبد الله العثيمين البيان الخاص بأسماء الفائزين لجوائز هذا العام.

وقد منحت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية هذا العام وموضوعها الدراسات التى تناولت المدنية الاسلامية للاستاذ الدكتور صالح احمد العلى، العراقى الجنسية، رئيس المجمع العلمى العراقى. فيما رأت اللجنة ان يكون موضوع الجائزة للعام القادم ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م هو المعاملات المالية فى الشريعة الاسلامية.

واجمعت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للادب العربى على منح الجائزة هذا العام وموضوعها «الدراسات التى تناولت الشخصيات الادبية فى الشعر والنثر حتى نهاية القرن الثالث الهجرى مناصفة بين الاستاذ الدكتور شاكر الفحام السورى الجنسية - نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، والاستاذ الدكتور يوسف خليف المصرى الجنسية - الاستاذ المتفرغ بقسم اللغة العربية بكلية الاداب بجامعة القاهرة.

وقد رأت اللجنة أن يكون موضوع الجائزة للعام القادم ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م هو القصة القصيرة - المجموعات القصصية.

لقطات



كما اجمعت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للطب على ان تمنح الجائزة هذا العام وموضوعها العقم مناصفة بين الاستاذ الدكتور روبرت جيفرى ادواردز البريطانى الجنسية - استاذ وظائف الاعضاء بجامعة كيمبردج بانجلترا، والاستاذ الدكتور لويجى ما ستريونى الامريكى الجنسية - العامل فى مستشفى جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية. . بينما رأت اللجنة ان يكون موضوع الجائزة للعام القادم ١٤١٠هـ/١٩٩٠م هو البلهارسيا.

واجمعت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم على ان تمنح الجائزة هذا العام وموضوعها «الفيزياء» مناصفة بين عالمين بارزين هما الاستاذ الدكتور ثيودور هينش الالمانى الجنسية - الاستاذ فى جامعة ميونخ والاستاذ الدكتور احمد حسن زويل المصرى الاصل الامريكى الجنسية الاستاذ فى معهد كاليفورنيا التقنى ببسادينا.

وقد رأت اللجنة ان يكون موضوع الجائزة للعام القادم ١٤١٠هـ/١٩٩٠م هو «الكيمياء».

واشارت الامانة العامة للجائزة انها اذ تعلن هذه النتائج تحمد الله على توفيقه كما اعربت عن شكرها لأعضاء اللجان على ما قاموا به من جهود وقدمت تهانيها الخالصة للفائزين آملة ان يمد الله العاملين فى حقول الخير بالعون والرعاية.

■ وفى مجال خدمة الاسلام فقد أعلن صاحب السمو الملكى الامير سلطان بن عبد العزيز فوز الشيخ محمد الغزالى بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام هذا العام وذلك بعد اجتماع لجنة الاختيار الذى حضره صاحب السمو الملكى الامير سعود الفيصل رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بالانابة.

كما حضره معالى وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء ورئيس ديوان المظالم ووزير العدل بالنيابة الشيخ محمد بن جبير والشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر ومعالى الامين العام لرابطة العالم الاسلامى الدكتور عبد الله عمر نصيف ومعالى الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى الدكتور حامد العابد ومعالى الامين العام لمجمع الفقه الاسلامى الدولى الدكتور محمد الحبيب بالخوجة والأمين العام للجائزة الدكتور عبد الله العثيمين.

■ علق الشيخ محمد الغزالى على فوزه بجائزة الملك فيصل لخدمة الاسلام لهذا العام قائلا:

■ اننى اشكر حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز الذى آثرنا بهذه الجائزة وقدر السعودية دائماً ان تكون حصنا للاسلام وان تكون عونا لكل المسلمين بما تقدمه من دعم وما تسديه من خدمات اتسعت دائرتها حتى شملت مجالات علمية وثقافية رحبة الى جانب الخدمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

واضاف الشيخ الغزالى: اننى اعد بأنى سأكون على العهد فى خدمة الاسلام وشرح مفاهيمه ورد الشبهات التى يثيرها اعداؤه حتى أكون اهلاً للمكافأة التى نلتها. . وقبل كل شىء وبعده فان المسلم يبتغى بعمله وجه الله ويرجو ان يكون نوراً يسعى بين يديه يوم القيامة فاذا كان هناك ثناء من الناس بعد هذا القصد فكما قيل. . ان السنة الخلق اقلام الحق. . وارجو ان تكون هذه الجائزة علامة على محبة الله لنا وغفرانه لذنوبنا.

المؤتمر الأول لوزراء الثقافة بالدول الاسلامية

عقد فى داكار العاصمة السنغالية المؤتمر الاول لوزراء الثقافة .. وجاء ضمن التقرير المفصل الذى قدمته الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامى المشاريع الخاصة بالجامعات الاسلامية فى النيجر وأوغندا وماليزيا وبنجلاديش

وأكد التقرير على ما يواجه تلك الجامعات من صعوبات مادية فى هذه البلاد مطالبة بتقديم المساعدات المالية لها حتى تستطيع القيام بدورها. فالجامعة الاسلامية فى النيجر تعثر قبول التحاق ثلاثمائة وخمسين طالباً بها بسبب احتياجها لمرافق عديدة وفى أوغندا تعثر المشروع فى البداية مما أدى الى تأخر ممارسة نشاطها الى شهر فبراير ١٩٨٨م. وكذا تعانى الجامعة الاسلامية فى ماليزيا من ضائقة مالية أدت الى تأخر تنفيذ خططها . كما أن الجامعة الاسلامية فى بنجلاديش تحتاج الى إقامة كلية للعلوم ومكتبة ومسكن للمدرسين وجامع ومنشآت أخرى.

وقد أوضح التقرير أن منظمة المؤتمر الاسلامى اتخذت خطوات ايجابية وفعالة لتنفيذ تلك المساعدات منها عزم صندوق التضامن الاسلامى والبنك الاسلامى للتنمية والاتحاد العالمى للمدارس العربية الاسلامية الدولية على المساهمة فى مشروع المعهد الاقليمى للتعليم التكميلى .

وأشار التقرير أيضاً الى ضرورة تقديم الدعم المادى والمساعدات للمركز الاسلامى فى غينيا بيساو وفى موروفى بجمهورية جزر القمر الاسلامية الاتحادية ولمسجد الملك فيصل فى انجامينا بتشاد كما أشار الى حتمية المصادقة على اتفاقية التأسيس الخاصة باللجنة الاسلامية للهلال الدولى .

هذا وقد بين تقرير الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامى أن من الموضوعات العامة التقويم الهجرى لتوحيد بداية الأشهر القمرية والأعياد حيث وضعت اللجنة المكلفة بذلك الجداول الزمنية لسنة ١٤٠٩/١٤١٠هـ والشهور الستة الاولى من ١٤١١هـ وكذا انشاء مرصد متقدم حتى يتمكن من الحصول على النتائج الفلكية الصحيحة .

المؤتمر العالمى الرابع للسيرة النبوية فى امريكا

« إن مؤتمرنا يهتم بالرد على كل المحاولات التى تستهدف الطعن فى دين الله وانكار السنة النبوية التى هى الاصل التالى للتشريع بعد كتاب الله تعالى » ..

من هذه الكلمات للدكتور مزمل حسين الصديقى رئيس المؤتمر الدولى للسيرة والسنة النبوية بكاليفورنيا نلمح الخطوط الأساسية لهذا المؤتمر العلمى الذى عقد فى امريكا وحضره نخبة من العلماء المسلمين والمفكرين من المهتمين بمجال السنة النبوية والحديث الشريف . ولا شك ان عقد هذا المؤتمر فى دولة يمثل فيها المسلمون أقلية مضطهدة تحاول أن تصفها قوى الشر بالتخلف والوحشية لا شك له دلالته الاعتبارية إذ تجمع لحضور هذا

لقطات

القرآن والسنة يقاومان التخلف

عقدت فى القاهرة الندوة الثانية حول الاعجاز الطبى فى القرآن والسنة وذلك ضمن فعاليات المؤتمر العالمى الخامس للطب الاسلامى . . وقد شارك فى هذه الندوة عدد من الهيئات والمنظمات الاسلامية وفى مقدمتها رابطة العالم الاسلامى والأزهر وجامعات اسلامية وعربية .

وعلى مدى يومين ناقشت الندوة ثلاثة وعشرين بحثاً حول الاعجاز الطبى والعلمى فى القرآن الكريم وأثر ذلك فى تطور العلوم الاسلامية والعلوم الأخرى .

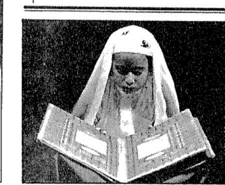
ومن البحوث التى نوقشت بحث للدكتور أحمد أبو الوفا عبد الاخر والدكتور يحيى ناصر خواجى من المملكة العربية السعودية بعنوان (نحو أسلوب جديد لعلاج الادمان بالمستحضر الاعتقادى) أكدا فيه أن للعقيدة تأثيرا كبيرا فى شفاء المريض كما تقدم الدكتور سالم نجم ببحث عنوانه «الاعجاز الطبى فى القرآن والسنة يفتح أبواب المعرفة للانسان» .

وقد تقدمت رابطة العالم الاسلامى بمقترحات لأكثر من تسعة ابحاث تدور حول الاثار الطبية لعملية الرضاعة والصوم والنهى عن طلاق الحائض وغيرها .

المؤتمر الآلاف من الجاليات المسلمة فى الامريكتين وكندا وأوروبا .

ويقول الدكتور مصطفى الألمعى «لابد من التصدى للذين يحاولون بين الحين والآخر انكار الأصل الثانى للتشريع بعد كتاب الله سبحانه وهو السنة النبوية . . وهذه الاعتداءات على السنة تقوم على مخططات اعداء الاسلام الذين يسعون لتشكيك المسلمين فى دينهم .

المسابقة الدولية الحادية عشرة للقرآن الكريم .





القرآن الكريم ، دستور السماء وهداية البشر من تمسك به هدى الى صراط مستقيم . . هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة .

القرآن الكريمس دستور الأمة المسلمة ومصدر ترابطها وتماسكها . . وقوام توجهها فى حياتها الدنيا والآخرة .

وتأتى هذه الجائزة الدولية للقرآن الكريم تكريماً لحفظة كتاب الله سبحانه ورعاية للناشئة ، وعملاً جاداً لتوسيع دائرة هذا التوجه فى حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره والاهتمام به وبالدراسات المتعلقة به . . ورعاية المملكة العربية السعودية لهذه الجائزة واهتمامها المتزايد ـ أبداً ـ بحفظة كتاب الله وتشجيعهم المستمر والدائم على ذلك كان له مردوده الايجابى الطيب على مستوى العالم الاسلامى . ويؤكد هذا التوجه الخير ما أنشىء من جوائز محلية لحفظة القرآن الكريم فى كثير من البلدان الاسلامية على نمط هذا التوجه . . وكل هذا له أثره فى حركة المد الاسلامى التى نشهدها الآن فى أنحاء المعمورة .

والانسان .. هو الضحية ..!!

مؤتمر الجامعات الأفريقية

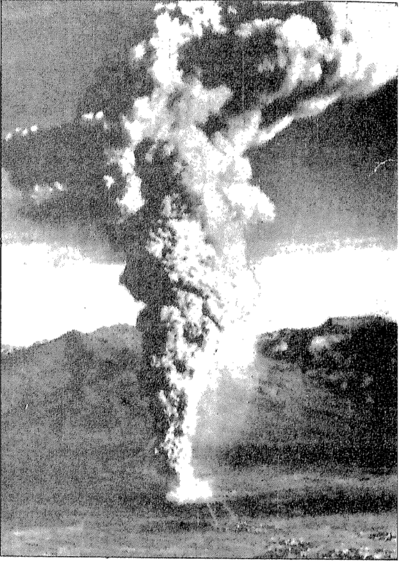
القارة الأفريقية قارة رحبة متسعة وفى نفس الوقت قارة بكر وخصبة لم تستثمر كل امكاناتها المطمورة فيها بعد.. وحركة الاستثمار هذه تحتاج الى الخبرات الواسعة والقدرات العلمية.. وهى لا شك غنية بأبنائها إذا ما كان التوجه سليماً حسب مؤشرات الاستثمار والعطاء.. وفى هذا المجال تبرز الجامعات فى افريقيا كوجه مشرق قوامه العلم والمعرفة وبهما تستطيع القارة الأفريقية ان تنفض عنها غبار التخلف وتبنى لنفسها حضارتها.

وفى هذا الاطار ايضاً جاء انعقاد المؤتمر الرابع لرؤساء الجامعات الأفريقية فى القاهرة راجين أن يحمل هذا المؤتمر بين عينيه هموم هذه القارة وما تستطيع جامعاتها تقديمه فى هذا الإطار.



يظل العلم فى تقدم مستمر واكتشافات متتالية ما دام الانسان يملك فى داخله طموحاته وقدراته العقلية.. وهذا شيء طبيعى ومستحب، ولكن غير الطبيعى أن يدمر الانسان نفسه بنفسه بطموحاته هذه. فى عالم الفضاء تطورت مدارات الافادة منه وخلال عمليات الافادة هذه تحول الفضاء بما يصنعه البشر الى مخزن ضخم للنفايات والانقاض الناتجة عن مخلفات مركبات الفضاء.

ويقول العلماء والباحثون انه يوجد ٢٫٠٠٠ طن من الانقاض سابحة فى الفضاء.. وان اجمالى الحمولات المتفجرة التى حملها معه الانسان الى الفضاء الخارجى منذ عام ١٩٥٧م بلغ ٣٫٦٠٠ حمولة وان ٥٠٪ منها فقط لا يزال نشطاً.. والباقى تحول الى نفايات مما يجعل اصطدام المركبات الفضائية بتلك الانقاض أمراً محتملاً. ولا شك ان كل ذلك يمثل خطراً محدقاً ببنى البشر وبالحياة الطبيعية.



انقذوا.. الأرض؟.

من بين الكوارث البيئية التى تواجه الأرض آثار التلوث التى يمكن أن تؤدى الى تغيرات مناخية وتراكم النفايات السامة والمشعة الكفيلة بتسميم احتياطيات المياه وافقاد الارض خصوبتها والتلوث الكيميائى وتأثيره على طبقة الاوزون وتدمير الغابات الذى يؤدى الى انقراض آلاف المخلوقات.

وقد أكدت مجلة التايم الامريكية أن العالم فى حاجة اليوم أكثر من أى وقت مضى الى حملة عالمية لانقاذ الارض المعرضة للخطر. وأن هذا لا يقل أهمية عن إثارة الحماس القومى أوغيره.



سائق السيارة المتيقظ

توصلت البحوث الطبية الحديثة الى ان خفض درجة الحرارة فى بعض اجزاء الجسم يعيد نشاط دورة الدم.

لقد اوجدت التقنية اليابانية الحديثة بدعة جديدة، وهى عبارة عن شريط يتكون فى معظم اجزائه من الالمنيوم ويتضمن قرصا صغيرا. يشد الشريط على الرأس. يعمل القرص على الاحتفاظ بـ ١٢ درجة مئوية للرأس، ويضمن راحة للسائق. يكون موقع القرص على الجبهة تماما، ويعمل اضافة الى ذلك على تنظيم درجة حرارة الجسم. يحصل هذا الجهاز على الطاقة الكهربائية من بطارية السيارة، اذ يربط الجهاز فى المحل الذى تشعل منه السجائر.

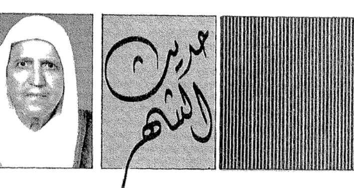


ولادة الحوت

شاهد ثلاثة الاف شخص ولادة حوت ام وليدها فى بحيرة ورلد بالولايات المتحدة الامريكية.

الجدير بالذكر ان الحيتان اقرب الفقريات التى تعيش على وجه هذه البسيطة الى الانسان.

وقد شوهد ذيل الحوت الوليد خرج الى الدنيا قبل رأسه، بعكس ما يحصل لدى الوليد البشرى.



حرية الإرادة وعواقبها

هاشم دفتر دار

من كان يملك أدنى اطــلاع على نصــوص خاتم الوحى الآلهى وعلى نواحى خصائص أهدافها وعلى جملة اتجاهاتها الاصلاحية لأجل التزامها فعلاً أو تركاً فإنه يكون حتما قد اطلع على جملة نصوص حرية الإرادة. . . وإلا . . . لا . . .

وإن حرية الارادة فى محيط عالمى الإنس والجن إبتلاء واستدراج ومسئولية مرعبة، ولا سعادة كمثل من ملك قيادها، ولا شقاء كمثل من لم يملك قيادها، وهنا لابد من تفصيل هذا المجمل.

الحرية هى الانطلاق والارادة هى القصد، والمراد هنا هو انطلاق قصد الإنسان فى أعماله الممكنة أى جعل الله فى صميم تكوين أفراد عالمى الإنس والجن، حرية الارادة فى ممارستها الممكنة فعلا أو تركا.

فكل فرد من أفراد عالمى الانس والجن فى قدرته أن يعمل عملين متناقضين بملء اختياره كأن يؤمن أو يكفر، أو يطيع أو يعصى، أو يصدق أو يكـذب ولكنهما معا عاجزان عن علم الغيب وعلم الغيب قاصر على الله جل وعـز ولا يدخـل فى قدرة أفراد الإنس والجن معاً إلا من أطلعه الله عليه، وهناك خصائص لحرية الارادة بين أفراد البشر، وأفراد الجن.

أنظر هذا إبليس اللعين كبير الجن يعصى الله جهاراً إذ يأمره الله سبحانه وتعالى أن يسجد لآدم فلا يطيع أمر الله ويختلق أعـذاراً واهية ككل عاص أمر الله. . والله تعالى يقول فى ذلك:

﴿ولقـد خلقنـاكم ثم صورنـاكم ثم قلنـا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ ﴿قـال ما منعـك ألا تسجـد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ (٧-١١-١٢).

■ *وقال كذلك:*

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (١٨-٥٠).

ولو لم يكن إبليس من الجن لما استطاع أن يعصى أمر ربه، ولو كان من صنف الملائكة المجبرين على الطاعة، لما استطاع العصيان والاستمرار عليه ومحال أن يجبر الله خلقاً من خلقه على المعصية.

والجبر على الطاعة رحمة، والله أرحم الراحمين ولكنه سبحانه وتعالى لم يجبر أحدا من خلقه على المعصية أبدا، حاشا أن يكون ذلك إذ فيه نسبة الظلم إلى الله. . **﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾**.

ولا غباوة أغبى من غباوة الجبرية، يتصرفون تصرف الأحرار ويزعمون أنهم مجبورون فى تصرفهم.

وكم كان حنق إبليس اللعين على آدم حين سمح الله له بالسكنى فى الجنة، وأباح له أن يأكل من كل ثمراتها الصالحة لحياته فى الجنة هو وزوجه ناعمين وادعين، ودله

على شجرة غذاء الدم الحنطة التى لا تصلح طعاماً لأهل الجنة وحذره هو وزوجته أن يقرباها لأن القرب منها يفضى إلى الأكل منها.

■ وهنا وجد إبليس اللعين الفرصة سانحة لإغراء آدم وإيقاعه فى العصيان فأخذ يزين لهما الأكل من الشجرة، وأقسم لهما إن هما أكلا منها خلدا فى الجنة لأنها شجرة الخلد وحينئذ يتحولان إلى ملكين فصدقاه حين أقسم لهما أنه صادق أمين.

فأطاعاه وأكلا من الشجرة فكان ما كان مما قصه الله علينا فى جملة من آيات القرآن ليكون عظة وعبرة وليفهما أن الشيطان لهما عدو مبين. . اسمع واتعظ.

﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون.﴾

■ وهنا أفهمنا الله أن هذا اللباس مهما كان حاله فإنه وإن يوارى السوءات ظاهراً فإنه لا يحقق التقوى والتوقى من الاثم فى كل حال، إلا إذا أضيف إليه ستر لباس التقوى بالذات وبه تتحقق التقوى والتوقى فى سائر الأحوال وهذا مؤكد فى قوله تعالى: ***﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾***.

﴿يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾.

■ ومهما يكن فان الله جل وعز أفهمنا فى آيات كثيرة أن الشيطان لنا عدو فيجب أن لا نصغى لوسوسته وأن لا نطيعه فى كل ما يردينا فى الدنيا والآخرة.

وطاعة الشيطان لا تكون إلا بملء إرادتنا، فهو لا يملك إرغامنا على المعصية ولكنه يملك الوسوسة والتزيين وخطوات الشيطان كلها تحطيم لإرادة الإنسان التى هى عصمته من الزلل والانحدار والهوى إلى الأعمال السافلة المنحطة وهذا صريح فى قوله تعالى: ***﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾***.

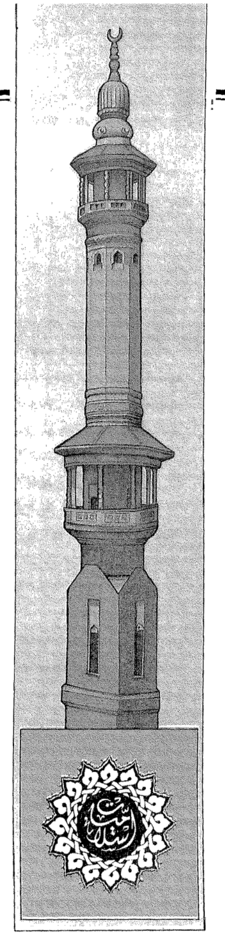
■ ومهما يكن فإن حزب الشيطان هو حزب أهل النار لأن عداوته لنا متأصلة وذات تاريخ بعيد

﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنك الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾.

والحمد لله لا سبيل لعدو الله إبليس اللعين على من تولوا الله فى دينهم واستقاموا عملالا قولاً خداعاً لا وزن له فى الحياة الصالحة، أولئك هم عباد الله الذين لا سلطان لإبليس اللعين عليهم، وفى ذلك يقول الله تعالى فى محكم كتابه. ***﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً﴾***.

■ وقد تبلغ التقوى بالمرء الى درجة أن إبليس اللعين نفسه يخافه ويفر من وجهه وهذا حق كما ورد فى النص عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن عمر بن الخطاب ما سلك فجا إلا وسلك الشيطان سواه.

وأنتم يا معشر الإنس والجن إن الله منحكم حرية الإرادة ليأجركم على طاعتكم أجراً يفوق أجر الملائكة الكرام لأنكم أطعتم وأنتم فى أصل تكوينكم قادرون على المعصية واعلموا أن الله جل وعز منحكم حرية الإرادة.



مزايـــــا

الإسلام على الأديان

د. ناول عبد الهادي

■ مما لا شك فيه ان الاديان السماوية من وضع ربانى اتسمت بالكمال وبرئت من النقص غير أن بعضها دخله التحريف والتبديل كالديانة الموسوية والعيسوية ولم يسلم من ذلك الا شريعة الاسلام التى احتفظت بربانيتها بحفظ الله لها. قال تعالى ﴿*إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون*﴾ (الحجر: ٩). وقد ضمن لها هذا الحفظ الدوام والصلاحية المطلقة والظهور الى قيام الساعة. قال النبى ﴿ﷺ﴾ «لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك إلى قيام الساعة» رواه مسلم والترمذى وابن ماجه عن ثوبان. وأصبح دين الاسلام بذلك الدين العالمى للناس كافة الشامل لكل المصالح البشرية، الذى يجمع خير الدنيا والآخرة ويوازن بين مطالب الحياة الدنيا وبين نعيم الحياة الأخرى وثوابها ويشهد له قوله تعالى: ﴿*وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا*﴾ (القصص: ٧٧) وهو فى ذلك يسير فى تكاليفه سمحاً فى تشريعاته ولا شطط ولا حرج، قال الرسول ﴿ﷺ﴾: «ان الدين يسر ولن يشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا» رواه البخارى عن أبى هريرة.

١ ـ السلامة من التحريف:

تعد هذه المزية مصدرا عاما لمزايا الاسلام على جميع الأديان فهو تشريع ربانى يستمد عقيدته واحكامه وأخلاقه من رب العالمين، يلابس الحياة الانسانية، ويرتبط بواقع الناس ويسمو بالانسان

ويكرمه، ويقيم العدل وينشر الرحمة والعدل والأمن ويدعو الى التوحيد الخالص الذى لا يقبل الله الدين بسواه. قال تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾ (آل عمران: ٨٥).

■ وهذه الربانية تحفظ التشريع من الاهتزاز والتأرجح والتغيير والتبديل والاختلاف والتباين اذ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا كما هو الشأن فى بعض القوانين الوضعية التى وضعها البشر لا تلبث ان ينكشف خطأها بمرور الزمن، ويتضح للعيان تصور عقول الذين وضعوها.. وكما هو الشأن ايضا فى بعض التشريعات السماوية التى حرفها اهلها وغيروا ما فيها حسبما املته عليهم اهواءهُم فلم يستفيدوا منها وقنعوا منها بالحمل الثقيل كما حمل الحمار الأسفار.. قال تعالى حكاية عن اليهود فى ذلك: ﴿**مَثَلُ الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا**﴾ (الجمعة: ٥) ولكن الاسلام بقى ربانيا فى حينه اصيلا فى نبعه وحكما فى آياته، كاملا فى تشريعاته فضمنت له هذه الربانية الخلود والبقاء والدوام، والاستقرار، فلم يعرف التغيير والتحريف أبدا.

٢ ـ الشمول:

الشمول فى المنهج الربانى يستقطب كل حاجات البشر ويستوعب كل مصالحهم الدينية والدنيوية فهو يتناول النفس البشرية بالاصلاح، وشؤون الأسرة بالتربية ومشاكل المجتمع بالتنظيم ويتناول الشمول العلاقات الدولية والانسانية وعلى الخصوص وحدة الأمة الاسلامية واخوتها وعلاقتها بغيرها من الدول فى حالتى السلم والحرب، ويتناول الشمول نظام الحكم فى الاسلام وأن هذا النظام مبنى على اساس العدل والشورى والمساواة وجلب المصلحة ودرء المفسدة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وان الحاكمية فى هذا النظام لله وان مصدر التشريع هو الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿**فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ (النساء: ٥٩).

■ ويتناول الشمول كليات الدين الخمس التى فرض الاسلام المحافظة عليها وهى: الدين والنفس والعقل والمال والعرض.. وان الانسان المسلم مكلف بجميع التكاليف الشرعية من عبادات ومعاملات وأخلاق مسؤول عنها ومتابع عليها فيجازى على احسانه، ويعاقب على اساءته، قال تعالى: ﴿**وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى**﴾ (النجم: ٣٩، ٤٠، ٤١). وعلى العموم فالشمول فى الشريعة الاسلامية يعالج كل شؤون الحياة الانسانية فليس هناك من خير إلا دعا اليه ولا من شر أو محظور الا نهى عنه ومنعه.

٣ ـ التوازن:

يعنى التوازن تحقيق الانسجام بين الانسان والحياة وتحديد العلاقة بين العبد وربه والتزام هذا العبد مقام العبودية لله، يعبده ولا يخضع لغيره. ويعنى التوازن ان الدين وسط جامع بين حقوق الروح والجسد يوصى الانسان بأن يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته، قال تعالى: ﴿**وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ (القصص: ٧٧) ويعنى التوازن أن الاسلام دين ودولة شرع للناس ما يحفظ دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم، وان الدين فى احكامه وتطبيقها يربط النية بالعمل، والسر بالعلن والمظهر بالمخبر ويوصى المؤمن أن يحافظ على هذا التوازن فى كل الأحوال: فى العسر واليسر والرضا والغضب والشدة والرخاء. ويعنى التوازن ان الاسلام دين يسر لا حرج فيه ولا ارهاق فهو إذ يكلف المسلم فهو يوازن بين قدراته البشرية وبين ما يتحمله من التكاليف الشرعية، ويراعى ضعفه وطاقته، قال تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ (البقرة: ١٨٥).

■ وقد روعى فى سير التكاليف الشرعية: البساطة وعدم التعقيد حتى تكون فى متناول جميع المكلفين لا فرق بين رجال ونساء، لأن النساء فى ميدان التكليف شقائق

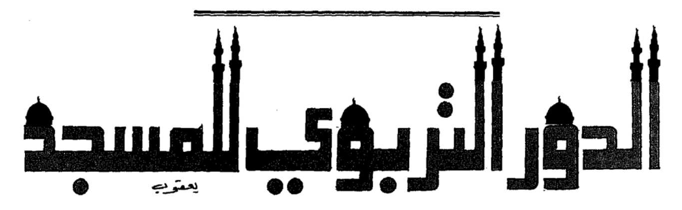


الرجال فى الاحكام كما قال عليه الصلاة والسلام، وعلى كل فالتوازن يتصل بالشمول لأن شمول المنهج الربانى يقتضى أن يكون متوازنا لا شطط ولا غلو، ولا إفراط ولا تفريط.

٤ ـ الدوام والصلاحية لكل زمان ومكان:

صدرت شريعة الاسلام من رب العالمين لا لتنسخ بشريعة أخرى لأنها خاتمة الشرائع ولا لتبلى احكامها بالتقادم، ولا لتتغير فى اصولها ومبادئها، بل لتبقى ثابتة دائمة محفوظة من التبديل معصومة من الزيغ والباطل صالحة لكل زمان ومكان ولكل الناس على اختلاف بيئاتهم، وانظمتهم وعاداتهم، ومللهم ونحلهم وشعوبهم ومجتمعاتهم وتباين ألسنتهم والوانهم، ولم تكن لتتوفر للشريعة الاسلامية هذه الصلاحية لو لم تكن تلك الشريعة الكاملة الوافية بكل الاغراض والمقاصد والعامة للناس جميعا، قال تعالى: ﴿*قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا*﴾ (الاعراف: ١٥٨).

■ وها هى ذى الأيام تلو الأيام تؤكد صلاحيتها وتثبت للناس صدقها وفعاليتها فلا يوجد مجتمع يأخذ بها الا ويزدهر ولا يمر زمن ولا عصر الا وتزداد قوة وتمكنا ونصرا وفتحا كأنها شريعة جديدة فى احكامها ومبادئها ولا غرابة فى ذلك فالله رب العالمين هو الذى اكملها واتمها ورضيها دينا لأهلها المتمسكين بها قال تعالى: ﴿*اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا*﴾ (*المائدة: ٣*).



بقلم الدكتور فرغلي جاد احمد

■ *الحديث عن المسجد انما هو حديث عن المؤسسة التربوية الرئيسية فى الاسلام التى ساهمت فى نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية وهما دعامتا الحضارة العربية الاسلامية.*

وإذا كان البعض يعتبر عام ٤٥٩هـ حداً فاصلا بين عهدين فى تاريخ المؤسسات التعليمية الاسلامية، ففى هذا العام أنشئت المدرسة النظامية فى بغداد مؤذنة ببداية عهد تعليمى جديد انتقلت فيه أماكن التعليم من الكتاتيب والقصور والمساجد ودور الحكمة وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء الى المدارس المنظمة. فإن هذا لا يقلل من دور المسجد كأول مؤسسة انطلق منها شعاع العلم والتعليم فى الاسلام على كافة البشر بحتة حتى قيل بحق ان آلاف أعمدة المساجد التى كانت منتشرة فى الاسلام كانت محاطة بآلاف من العلماء المسلمين وعشرات الآلاف من المتعلمين فكانت حلقات الدراسة التى قامت فى المسجد منذ نشأ واستمرت كذلك على مر السنين والقرون فى مختلف البلاد الاسلامية دون انقطاع.

■ ويميل بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن نشأة المدارس الاسلامية يحيط بها كثير من الغموض ولا يمكن تحديدها بتاريخ معين، كما يرى آخرون أنه من المرجح أن تكون المدارس قد سبقت فى ظهورها نشأة المدرسة النظامية فى عام ٤٥٩هـ أى فى منتصف القرن الخامس الهجرى، ومهما يكن الأمر فإن المرجح أن تكون بعض المصادر قد خلطت بين المدارس كمؤسسات تعليمية وبين أماكن التعليم الأخرى مثل الكتاب والمسجد.

■ ومن المعروف أن تأسيس **دار الحكمة** قد اكتمل على يد المأمون عام ٢١٧هـ ـ ٨٣٢م، ولكن دار الحكمة لم تكن مدرسة نظامية بالمعنى المتعارف عليه فقد كانت دارا للنسخ والترجمة الى جانب كونها مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الاسلامى.

وعلى أية حال فيعتبر ظهور المدارس فى العصر الاسلامى أهم محاولة جدية لتنظيم الدراسة واستمرارها بتوفير وسائل التفرغ لها إذ جعلت مرتبات ثابتة للمدرسين وزود الطلاب فى حالات كثيرة بالمسكن والمأكل مما ساعد بالضرورة على إيجاد نظام ثابت وتقاليد مرعية للمدرس والادارة وعمل على الاستقرار والنمو فى تلك المعاهد.

ولم يكن عجيباً أن ارتبط التعليم بالمسجد لزمن طويل، ففى كل مسجد يقام كانت تقوم بداخله مدرسة بل مدارس فكرية وعلمية ودينية وكان الكبار يؤدون فى نفس المكان ـ قبل الصلاة أو بعدها ـ شعائر العلم من تعليم وتعلم. «وهكذا تكاثرت حلقات الدراسة بالمسجد وتعددت مجالس العلم فيه وأصبح بيئة تربوية مفتوحة غنية بكل أنواع الخبرة والمعارف اللازمة لحياة الفرد والمجتمع» فتاريخ المسجد فى الاسلام حافل بأعظم ما فى التراث الحضارى الاسلامى من خصائص وقيم حضارية بهرت الغرب الأوربى ومازالت تبهره حتى اليوم.

المسجد والتربية

أ ـ معاهد التعليم

تحتاج المبادىء والأفكار التربوية الاسلامية الى المعاهد والمؤسسات التربوية التى تحولها الى واقع حى وتساعد على التفاعل المثمر بين المعلم والتلاميذ الى جانب التربية المفتوحة فى حلقات الدراسة ومجالس العلم على مختلف مستوياتها.

يقسّم **الدكتور أحمد شلبى** أمكنة التعليم فى التربية الاسلامية الى حقبتين: الأولى قبل انتشار المدارس، والثانية بعد انتشارها، والحد الفاصل بينهما هو عام ٤٥٩هـ. وفيه افتتحت فى بغداد أول مدرسة من عديد من المدارس المنظمة التى أنشأها **الوزير السلجوقى نظام الملك**. فقبل انتشار المدارس تعلم المسلمون فى عدة معاهد منها:

[١] **الكتاتيب**: عرفت الكتاتيب فى بلاد العرب قبل ظهوّر الاسلام وكانت لتعليم القراءة والكتابة **ويروى أن عدد القرشيين الذين كانوا يقرأون ويكتبون عندما جاء الاسلام لم يتجاوز سبعة عشر رجلا فقط**، ويلوح أنه كان هناك نوعان من الكتاتيب: نوع يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة، وكان يقوم بتعليم بعض الذميين أحيانا كثيرة، والنوع الثانى كان مكاناً يتعلم فيه الصبية القرآن الكريم والدين، وأصبح يطلق على المكان الذى يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة أو القرآن والدين اسم «**الكتّاب**» على أن الظاهر من الشواهد التاريخية أن



● إلى جانب المسجد كمؤسسة علمية وتوجيهية فقد احتضنت منازل العلماء كثيرا من الطلاب .

● حوانيت الوراقين كانت أماكن لبيع الكتب وتجمع العلماء والمثقفين والدارسين .

كتاتيب حفظ القرآن فى العهد المبكر للاسلام ، فقد كان الأطفال يندسون بين الكبار فى مجالسهم وحلقاتهم بالمساجد ، وتلقى بعضهم القرآن من آبائهم وذويهم أو من مدرسين خصوصيين ، ولم تكن الكتاتيب فى المساجد فقد نص على أنه : «لا يجوز تعليم الأطفال فى المسجد لأن النبى ﴿ﷺ﴾ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات بل يتخذون للتعليم حوانيت فى الدروب وأطراف السوق» . وقد لجأ بعض المدرسين - على الرغم من هذه التحذيرات - الى اتخاذ زوايا من المساجد يعلمون بها أو غرف ملحقة بالمساجد .

■ واختلف حجم الكتّاب من حجرة واحدة الى مكان متسع فيروى **ياقوت** فى «معجم الأدباء» أن كُتّاب **أبى القاسم البلخى** كان به ٣٠٠٠ تلميذ وكان فسيحاً جداً يتسع لهذا العدد ولهذا احتاج البلخى أن يركب حماراً ليتردد بين هؤلاء وأولئك ويشرف على جميع تلاميذه وقد ازداد عدد الكتاتيب فى القرن الثانى الهجرى حتى أصبح بكل قرية كتّاب .

[٢] **القصور** : كان الخلفاء والأمراء والأغنياء يتخذون لأولادهم معلمين خاصين يذهبون الى القصور ويجلس الأولاد إليهم يتلقون منهم قدراً من الثقافة والمعرفة وكان الوالد يشترك فى تخطيط وتحديد ما يتعلمه ابنه من معلمه الخاص ، وقد أطلق على هذا المعلم اسم «**مؤدِّب**» وكان بعضهم يقيم فى القصور حيث أعد جناح للاقامة حتى يتم إشرافهم على تربية الولد .

[٣] **حوانيت الورَّاقين** : مع انتشار الورق من منتجات مصر فى ربوع الدولة الاسلامية كثرت الكتب وتفنن العرب فى تجليدها وتجميعها وظهرت مكتبات وحوانيت الوراقين . على أن هذه المكتبات والحوانيت لم تقتصر على بيع الكتب والتجارة ، بل كانت أمكنة يجتمع فيها الأدباء والمتكلمون . . وتتحول مناقشاتهم الى ندوات ومناظرات ، وغالبا ما كان أصحاب هذه الحوانيت من المهتمين بالأدب والعلم والدين ، ومنهم من تفقهوا فكانوا يجذبون إليهم محبى العلم والمعرفة ، ويذكر أن الباحث كان يبيت بهذه الحوانيت للقراءة والاطلاع والبحث .

[٤] **منازل العلماء** : اتخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام دار **الأرقم بن أبى الأرقم** مكاناً يعلم فيه المسلمين تعاليم ومبادىء الدين الجديد ويقرئهم ما نزل من آيات الذكر الحكيم ، كما كان المنزل ملتقى الذين يتخيرون الاسلام ، فيأتون إليه ناشدين الاسلام ثم أقيمت المساجد وأصبحت مكان اللقاء والاجتماع . على أن بيوتاً كثيرة فى التاريخ الاسلامى أدّت دور المدارس كمنزل الرئيس ابن سينا حيث كان يجلس الى طلبته ومحبى علمه الغزير ليلا . كما كان **الامام الغزالى** يستقبل تلاميذه بعد أن استقال من العمل بنظامية «نيسابور» .

[٥] **المدارس** : حفلت المساجد بحلقات الدرس والمناقشة كما قلنا مما كان يؤذى بعض المصلين الذين

تطرق آذانهم أصوات المناقشات العالية الحامية الوطيس، ومع اتساع رقعة العلم كان لابد من تخصيص أمكنة ملائمة يجد فيها المعلمون مجالات أوسع للنقاش والبحث والمجادلة. بل ان المعلمين أنفسهم الذين يشغلون بالتعليم جل وقتهم حاولوا الارتزاق باحتراف حرفة بسيطة لما فشلوا تطلعوا الى المدارس عسى أن يكون وجودها ضمانا لهم فى جرايات تقوم بحاجاتهم.

■ وتختلف المدارس عن المساجد، ففى كل مدرسة إيوان وهو يقابل قاعة المحاضرات اليوم ويلحق بالمدرسة مساكن للطلبة ومرافق أخرى وقاعة للطعام. ويغلب أن المدارس لم تعرف فى عهد الصحابة والتابعين ولم تنشأ إلا فى نهاية القرن الرابع الهجرى، وأن أهل نيسابور هم أول من بنوا مدرسة فى الاسلام وسموها المدرسة «**البيهقية**» والظاهر أنه كان لكل مدرسة أوقاف يصرف منها على الأساتذة والطلبة، والدين هو الغالب على مناهج المدارس. بل كانت كل مدرسة تدرس على مذهب من المذاهب الأربعة، وكانت الظروف السياسية تدعو الى ذلك، فقد قامت على أنقاض **البويهيين أو الفاطميين** (وهما من أنصار الشيعة) دولتا السلاجقة والأيوبيين وهم من أهل السنة. ولذلك أقام السلاجقة والأيوبيون مدارس لتقاوم ما غرسه أهل الشيعة من عقائدهم. فأقام السلاجقة مدارس بالعراق واقتفى أثرهم «الشاهات» و«الاتابك» الذين أقاموا إمارات على أنقاض السلاجقة، ولما آل الأمر الى «**نور الدين زنكى**» فى سورية ومصر أنشأ بهما المدارس كما اتجه الأيوبيون فى مصر الى عقول الناس لغرس المذهب السنى، فأقاموا عديدا من المدارس.

اهم المدارس التى ظهرت فى التاريخ الاسلامى

* **المدرسة النظامية ببغداد**: وقد أنشأها الوزير «نظام الملك» وهى من بين مدارس عديدة أنشأها فى بغداد وبلخ وأصفهان والبصرة والموصل، على أن نظامية بغداد كانت على رسم المدارس النظامية، وقد أنشئت عام ٤٥٩هـ وقد تم بناؤها فى سنتين.

* **المدرسة الناصرية بالقاهرة**: ولم تنشأ بالقاهرة مدارس نظامية إلا فى عهد الأيوبيين أما المدرسة الناصرية فقد بدأ بناءها السلطان العادل «زين الدين كتبغا المنصورى» وأتمها السلطان محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ. وقد وصفها المقريزى بأنها من أجمل مبانى القاهرة وبأنها من أعجب ما عملته أيدى بنى آدم.

* **المدرسة النورية الكبرى**: وهى فى دمشق، وتنسب الى نور الدين محمود زنكى الذى بناها سنة ٥٦٣هـ. على مساحة حوالى ١٥٠٠م مربع وهذه المدرسة مازالت باقية حتى الآن بحى الخياطين بدمشق وبابها الحالى هو بابها القديم.

٦ **المكتبات**: روى المؤرخون عن مكتبات فى معظم المساجد والجوامع والمدارس ودار الحكمة ودور العلم لتكون مرجعاً للطلبة والعلماء والنساخ. وإذا أخذ بتقديرات المؤرخين فإننا نعجب للعدد الضخم الذى يسوقه المقريزى عن خزانة الكتب التى الحقت بالمدرسة الفاضلية، فهو يقدر الكتب بها بمائة ألف كتاب.

■ ولعل هذه الأقوال وغيرها تدل على تقدير المسلمين للكتب وإعجابهم بها واهتمامهم بالمكتبات وإقبالهم عليها وعلى تكوينها، بل وتسابق الخلفاء والأمراء على شراء الكتب. فيقال إن الحكم صاحب



● التعليم ارتبط بالمسجد لزمن طويل.. فمع إقامة كل مسجد كانت تقوم مدارس فكرية وعلمية ودينية.

الأنـدلس كان يبعث فى شراء الكتب الى الأقطـار رجالا من التجار ويرسل إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها الى الأندلس مما لم يعهده، ويروى عنه أنه عندما سمع أن **أبا الفرج الاصفهانى** كتب كتابه «**الأغـانى**» أرسـل اليه ألف دينار ذهبا ليبعث اليه بنسخة وصلت الأندلس قبل أن يخرجه الأصفهانى من العـراق. ومن أهـم المكتبـات العـامـة، خزانـة الحكمـة أو بيت الحكمـة ودار الحكمة بالقاهرة منذ أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة **٣٩٥هـ**.

ب ـ دور المسجد

المسجـد لغـة اسم لمكـان السجـود وعرفاً اسم للمكان المعد للصلوات وشرعاً هو كل موضوع من الأرض لقوله ﴿ﷺ﴾ «جعلت لى الأرض مسجدا» وعندما تقام صلاة الجمعة يطلق عليه اسم «المسجد الجامع» والجامع نعت للمسجد، وإنما وصف بذلك لأنه علامة الاجتماع.

والمساجد هى بيوت العبادة وفيها يتمتع المسلمون بأفضل الوشائج بينهم وبين ربهم عز وجل، والمساجد هى المنتدى والمقصد المهم فى الصدر الأول بشؤون الدولة، فكانت تعقد فيها المؤتمرات للشورى وتصدر فيها البلاغات والقرارات العامة، وإذا دهى أمر دعى النـاس إليها بالنداء المشهور «الصلاة جامعة» وكان النـاس قبـل اتخاذ المساجد لا يجدون الوسائل التى تحقق لهم هذا التنظيم الاجتماعى الرائع. ***فلم يكن المسجـد مكـانـا للعبادة فحسب بل كان محكمـة للتقـاضى ومكـانـاً للدراسـة بل وكان أيضا ميداناً لاجتماع الجيش البـاسل وداراً لاستقبال السفراء، وغير ذلك من الأغراض*** التى سنوضحها فيما بعد.

■ وقد سمى المسجد «بيت الله» فلا يحتاج الداخل الى استئناس ولا استئذان للدخول سواء كان ذلك للدراسة أو التعبد.

وبعد أن أبعد المسلمون فى مكة وخرج النبى عليه الصـلاة والسلام مهاجراً الى المدينة أقام فى «**قباء**» مسجداً **هو أول مسجد فى الاسلام** ثم بنى الرسول عليه السلام أثر دخوله الى المدينة مسجده الذى كان يعلم فيه أصحابه أمور دينهم ودنياهم.

وصـار المسلمون يبنون فى كل مدينة مسجداً، وعلت المـآذن فى مختلف الأمصار فى المدن والقرى، ولعـل أول **جامـع فى مصر هو جامع عمرو بن العـاص** الـذى بنى فى العـام الحادى والثلاثين من الهجرة بأمر من الخليفة **عمر بن الخطاب** بعد فتح مصـر. وظـل هذا المسجد ينمو حتى أصبح مركزاً للثقـافة ومحكمة للقضاء. وكان به أكثر من أربعين حلقة دراسية للتعليم يؤمها الطلبة للدراسة والبحث.

أما **الجامع الأموى** بدمشق فهو من عجائب الدنيا، ويقال أن **الوليد بن عبد الملك** أنفق على بنائه خراج المملكة سبع سنوات، وكانت فيه حلقات للتدريس للطلبة، كما كان للمالكية زاوية للتدريس يجتمع فيها طلبة المغاربة كما كانت به مدرسة للشافعية، واشتمل أيضـا على عدة زوايـا خصصت للطلبـة للدرس والنسخ فى هدوء.

الـدور التربـوى

وفى إطار تلك الخصائص والسمات التى تفردت بها التربية الاسلامية وفى ضوء تحليلنا لأهم المبادىء والأفكار التى جاء بها الاسلام يحدثنا الامام ابن تيمية عن المسجد موضحاً ما كان عليه فى عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾: «وكـانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هى المساجد فإنه ﴿ﷺ﴾ أسس مسجده المبارك على التقوى ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء وفيه يجتمع المسلمون عنده كما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم ويمكننا تفصيل دور المسجد فيما يلى:

* **التعليم والتثقيف**: كان المسجد فى عهد الرسول ﴿ﷺ﴾ أول مدرسة لتعليم الكبار، وكان لصحابته عليه الصلاة والسلام معلماً وكان الصحابة هم تلاميذها العباقرة والأفذاذ فيها تعلموا كل أنواع العلم والمعرفة التى تفيد الانسان فى حياته وآخرته وتبنى جميع جوانب شخصيته فيتخرج منها متكامل الشخصية.. ويستشعر الرسول ﴿ﷺ﴾ مسئوليته التعليمية بقوله: «إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى» ويدرك الصحابة أنه ﴿ﷺ﴾ معلم حيث يصفه أحدهم بقوله «ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً».

■ وكان المسجد أول المؤسسات التى انطلق منها شعاع العلم والتعليم فى الاسلام على كافة البشر ولكل من يريد أن يستمع، وكان جمهور المتعلمين فى المسجد هم الرجال الكبار الذين تلقفوا كل ما كان يصدر عن الرسول ﴿ﷺ﴾ للقرآن حفظا وللسنة امتداداً. ولقد ارتبط تاريخ التربية فى الاسلام ارتباطاً وثيقاً بالمسجد ولعل السبب فى جعل المسجد مركزاً ثقافيا هو الدراسات فى سنى الاسلام الأولى وكانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه فكان مسجد «قباء» أول مسجد فى الاسلام ثم مسجد المدينة عقب قدوم الرسول إليها. وكانت عادة الرسول ﴿ﷺ﴾ أن يجلس فى مسجده بالمدينة ليعلم أصحابه دينهم ودنياهم وكثرت بعد ذلك المساجد فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ففى أكثرها حلقات العلم تعقد والدروس تلقى على الكبار من المسلمين.

■ وترى «**أسماء فهمى**» أن المسجد كان داراً للتعليم الأولى وبمثابة المدرسة الثانوية فى وقت واحد، ففى أول الأمر كان مكاناً للتعليم الأولى ولكن المسلمين فضلوا فصل تعليم الصغار فى أماكن خاصة عرفت باسم «الكتاتيب» خوفا على المسلمين من عبث الأطفال.

■ الصلاة لا تصلح إلا بتلاوة القرآن الكريم ذلك الكتاب الذى يحوى من المعلومات والمعارف ومن النظم والقوانين كل ما يهم الانسان فى شتى نواحى الحياة وهو يتحدث عن خلق السموات والأرض والظواهر الطبيعية ويتحدث عن خلق الانسان فى أطواره المختلفة وعن علم الفلك وغزو الفضاء ودورة الماء والبحر وكغيرهما من كل ما يهم الفرد والمجتمع ويحكم تصرفات الانسان مع نفسه ومع ربه ومع أسرته ومع أفراد مجتمعه الذى يعيش فيه.

ويصحب الصلاة خطبة الجمعة وخطبة العيد فى صلاة العيدين حيث يتحدث الخطيب فى شتى الأمور والمشكلات التى يعيشها الانسان ويقدم ما استطاع من الحلول الكفيلة لحلها كما يفقه الناس فى أمور دينهم وكيفية التعامل مع الخلق والخالق.

■ فى قراءة القرآن كل صلاة تدريب للعقل على التأمل والاستنتاج وأخذ العظة والعبرة وربط الأسباب بالنتائج: «إذ لا يذكر القرآن العقل إلا فى مقام



التنظيم والتنبيه الى وجوب العمل به، ولا تأتى الاشارة إليه عارضة بل هى تأتى فى كل موضع مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة..».

وكانت حلقات العلم التى تعقد فى المساجد والمكتبات ومنازل العلماء وفى قصور الأثرياء والأمراء عندما ظهرت القصور عقب الفتوحات على أن المساجد ظلت أهم المراكز الثقافية فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية.

■ ولقد نشأت الحلقات العلمية فى المساجد نشأة دينية ولكنها ما لبثت أن تطورت مع تطور الثقافة الاسلامية ومع دخول كثير من معارك ذلك العصر اتسع المسجد للعلوم الدينية ولسواها، وإذا بالمساجد تحول إلى أمكنة يدرس فيها الطب والرياضيات والطبيعيات وعلوم الأدب وغيرها، وكما يقول السيوطى: «إن دروساً مختلفة رتبت فى **الجامع الطولونى فى مصر قد شملت التفسير والحديث والفقه والقراءات والطب والميقات..**».

وفى مثل هذا النظام التعليمى المفتوح لم تكن المؤسسة التعليمية وهى المسجد هى التى تجذب الطلاب إليها ولكن شهرة الأستاذ كانت موضع الجذب ومن عوامل شهرته «غزير مشيخته، ووافر علمه وحسن سلوكه». وتتأصل هذه الشهرة بكثرة عدد الطلاب الذين يتحلقون من حوله.

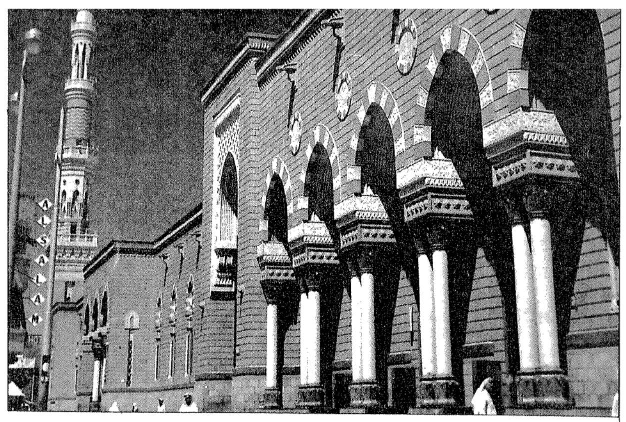
■ وحلقات العلم فى المساجد وفى غيرها كانت تغص بآلاف من الطلبة الذين يطلبون العلم لذاته ودأبوا فى التزود الثقافى الحر بقدر ما تسمح به أقواهلم وأعمالهم وهذه الجمهرة المتنوعة من زبائن العلم قد جعلت من التربية العليا عملاً شعبياً فى متناول العامة والخاصة. وكانت التربية بذلك عملاً يقوم به المتعلم وينمو فيه أكثر مما كانت عملا يقوم به المعلم ويرتزق منه

فالتعليم الذاتى المستمر كان صفة التربية التى مارسها العرب فى الاسلام فى عصورهم المزدهرة «فطلاب العلم بكل إرادتهم الحرة هم الذين يوجهون أنفسهم نحو المعرفة التى يرغبون فيها ويختارون المسلك الذى يرضيهم للسير فيه، ولم تفرض عليهم قيود نظام تعليمى روتينى ولم يحسوا بوصاية أستاذ يمتلك فى يده السلطة والمبادأة والأمر والنهى، بل عاشوا كالنحل الدائب يسقطون على الزهر أينما طاب رحيقه».

التربية الخلقية والروحية

الصلاة تنمى فى الانسان الضمير الحى الذى يلزم المسلم الشرع ويكون رقيباً دائما على سلوكه وتصرفاته مع الأخرين فالضمير الضعيف لا يقوى على محاسبة صاحبه عن أخطائه وأفعاله التى تتعارض مع قيم الناس وبذلك تندفع رغباته ودوافعه للتعبير عن نفسها دون رقابة أو ضبط تعبيراً أنانياً بدائياً.

كما أن الصلاة وما فيها من إقرار بالربوبية وما تشتمل عليه من خضوع وقيام وركوع وسجود هى ترويض للنفس وإذلال لكبريائها وجعلها طيعة بقبول الأوامر الالهية والعمل بها ولذلك يقول المولى عز وجل: **﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى إليه تحشرون﴾**. فالصلاة تمهيد للنفس وإعداد لها إعدادا خاصا لتصبح قادرة على التخلى عن أنانيتها وجشعها فالانسان فى طبيعته يبخل ويبطر عندما يصيبه الغنى كما يصيبه الجزع ويسيطر عليه الهلع والخوف من الفقر، لكن الانسان المؤمن القائم بالصلاة المستوعب لمعانيها وروحها تقوى نفسه فى كافة الأحوال لأنه اعتمد على ركن مكين هو خالق البشر ورازقهم.



والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾** فهى تهذب ضمير المؤمن وتطهر قلبه ليكون متكافلا مع المجتمع الاسلامى

فيهجر الجرائم الاجتماعية ويبتعد عن كل منكر تنكره العقول السليمة **﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**.

وإذا كانت التربية تعديلاً فى السلوك فإن الصلاة تجعل المسلم يراجع نفسه باستمرار ويكتشف أخطاءه ويغسل روحه من جراء تعامله اليومى مع ما فيها من

دوافع وشهوات وأهواء فهى تسمو بالانسان وتقوّم انحرافه ليعود بعد ذلك ليستأنف حياته ويؤدى رسالته فى هذه الأرض وتؤثر صلاة الجماعة فى مجتمع المصلين

وذلك التأثير الذى يؤدى الى التغيير الأفضل بروح الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر داخل المسجد وخارجه، وكما يقول الرسول ﴿ﷺ﴾: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم يد بعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم**»،

فالصلاة المرتبطة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هى الصفة الأساسية للمؤمن. وإمام المسجد هو قائد التغيير الاجتماعى والقدوة الحسنة لما له من تأثير فى سلوك الناس.

التربية الاجتماعية والسياسية

المسلمون فى المساجد يحسون بأخوة الاسلام، ومجتمع المصلين داخله. مجتمع يسوده الحب والصفاء والوئام، فهو مجتمع يتفقد الغائب ويجامل الحاضر ويعين بعضه بعضا فلقاء المسلمين خمس مرات فى اليوم داخل المساجد ينمى روح الجماعية والتآلف العاطفى كما يقوى الصلة الفكرية والنفسية والشعورية والاجتماعية بين جماهير المصلين، كما ينمى فيهم الاحساس الجماعى المملوء بالأمل والفرح ويعودهم الالتقاء على الخير والتعاون على البر والتقوى والبعد عن الاثم والعدوان.

■ وفى مسجد النبوة تم وضع مخطط شامل لمواجهة الأحداث الكبرى فى حياة المسلمين وقد انطلقت منه جيوش المسلمين وصدرت منه الفتاوى التى نظمت الحياة الاجتماعية وقضت على مشكلاتها وفيه حكم رسول الله ﴿ﷺ﴾ بين الناس بالعدل فكان للمسجد مجلس قضائه للفصل بين الخصوم وفى المسجد استقبل رسول الله الوفود وتمت المفاوضات وعقدت




مواثيق الصلح، وهكذا فإن المسلمين فى عصورهم الأولى توسعوا فى فهم مهمة المسجد فاتخذوه مكانا للعبادة ومعهدا للتعليم ودارا للقضاء وساحة تتجمع فيها الجيوش ومنزلا لاستقبال السفراء.

■ كما كان المسجد الاسلامى يؤدى دور المجالس النيابية فى الوقت الحاضر فإذا حدث أمر هام أعلنوا أن الصلاة جامعة فيجتمع المسلمون بالمسجد لأداء الصلاة ثم يستشير الخليفة ذوى الرأى والتجربة منهم فيما جد من أحداث ثم يعلن رأيه للجميع فيلتزم به الجميع، وبهذا كان المسجد يؤدى دور المجالس النيابية فى الوقت الحاضر.

التربية الجسمية والجمالية

الصلاة بحركاتها وما يتبعها من غسل ووضوء وطهارة للثوب والمكان تحفظ للانسان صحته وتعمل على سلامة بنيته فقد سبق هذا المنهج النظم الصحية فى العناية بالنفس الانسانية ووجوب المحافظة عليها لوقايتها من الأمراض وهذا ما يسمى حديثا بالطب الوقائى ومعالجتها مما يصيبها من أمراض، وهذا ما يسمى بالطب العلاجى.

■ والصلاة ذات طابع جمالى سواء فى حركاتها أو سكناتها أو فى الاستعداد لها: «**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**».. بمعنى أن المسلم يجب أن يتهيأ لأداء هذه العبادة وأن يتزين عند كل صلاة.. الى جانب ما يتأمله ويتذوقه من فنون ونقوش حليت بها المساجد فكأن المسلم أثناء جلوسه فى محراب للتعليم والتدين والتذوق، وأى مكان آخر غير المسجد بين كل هذه الصفات لتكون خصالا حميدة من صفات المسلم..

الإسلام شمل حياة الانسان صغيرها وكبيرها ودور المسجد يمثل النموذج الحى لهذه الشمولية..

■■ وهكذا يتضح من هذا العرض أن الباعث على بناء المسجد فى صدر الاسلام لم يكن مقصوراً على الأغراض الدينية وحدها بل كان ذلك راجعاً الى أسباب سياسية واجتماعية وعلمية.. فكان المسجد هو أول المؤسسات التى انطلق منها إشعاع العلم والتعلم فى الاسلام على كافة البشر.. وفى المسجد كان يتم تدبير الكثير من شؤون المسلمين.. وهكذا كان المسجد ومازال المؤسسة التربوية التى تقوم بإعداد المسلم الإعداد المتكامل الذى يساعد على التكيف مع الحياة من خلال تكيفه مع نفسه ومع مجتمعه وفق استعداداته وقدراته ودون تقيد بسن معين أو التقيد بمستوى معرفى معين.. وبذلك يحقق المسجد الأبعاد الثلاثة التى تهدف التربية الى تحقيقها: البعد النفسى وهو التعلم وفق القدرات والاستعدادات (**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**) والبعد الاجتماعى وهو اعداد الفرد للمشاركة وبذل الجهد فى الحياة العامة وفى التنمية الاقتصادية والبعد التكاملى أى التكامل فى الأعداد حيث أن الاسلام ينظر الى الفرد على أنه وحدة متكاملة..

لذلك جمعت التربية الاسلامية بين جميع هذه الجوانب (**الجسمية ـ العقلية والروحية**) وقام المسجد بتنمية جميع هذه الجوانب وتخرج من تلك المدرسة الاسلامية الكثير والكثير ـ فتاريخ المسجد فى الاسلام حافل بأعظم ما فى التراث الحضارى الاسلامى من خصائص وقيم مازالت تبهر العالم حتى اليوم.

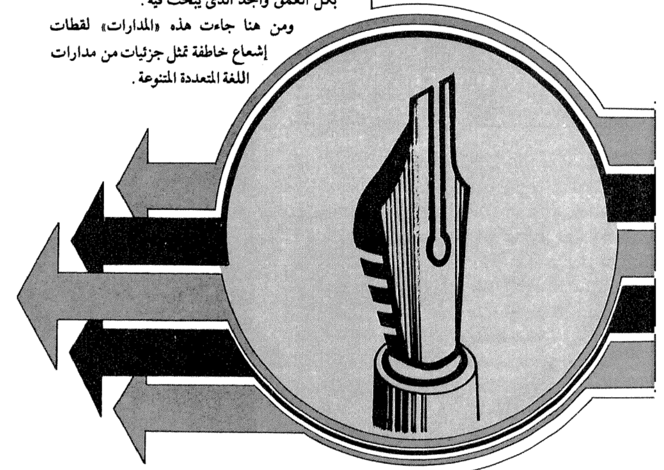
مدارات في الأدب والنقد

■ «اللغـة العـربيـة» طيّعة غنية سهلة التشكيل، تخاطب العاطفة المرهفة والحس الانسانى العميق، تحمـل الفـرحـة والبسمة والابتهاج فتجدها متوردة الجبين، سخية النفس، ناعمة البال، ضاحكة مبتسمة.

■ وتشـارك الآخـر حزنه وهمه وبؤسه، تستقرؤها فتلمس تجاعيد وجهها وتقطّب ملامحها..

ومـا بين تفتح الربيع وصليل السيوف، تجدها طيعة إناء بلورى يصف الواقع، ويتصعّد بالخيال.. ويكفيها فخراً أنها لغة القرآن الكريم.. وكفى.. وهى جديرة ـ بالطبع ـ ان يجد الانسان فيها بغيته فى التعبير عن خلجات نفسه وما يحسه فى أعماقه بكل الـروعـة والجمال والشاعرية التى يبتغيها.. وأيضاً بكل العمق والجد الذى يبحث فيه.

ومن هنا جاءت هذه «المدارات» لقطات إشعاع خاطفة تمثل جزئيات من مدارات اللغة المتعددة المتنوعة.



الخيال الابداعى فى الأدب والفن

د. شاكر عبد الحميد سليمان



يمكن تعريف الخيال الابداعى بأنه النشاط الانسانى الذى يترتب عليه ظهور أشكال جديدة غير مسبوقة من الاعمال الفنية ، انه القدرة العالية المتفوقة على ابتكار المواقف والاعمال التى لم يفكر فيها أحد من قبل ، وقد أشار الفيلسوف المعروف جاستون باشلار المشهور بدراساته فى مجال الفن وعلم الجمال الى أن الادراك والخيال يتناقضان تماما كما يتناقض الحضور مع الغياب ، والخيال فى رأيه هو الغياب لأنه يتضمن الانطلاق الى عوالم جديدة مازالت بكرا تحتاج لمن يستكشفها ، ان الخيال وسيلة هامة للتفكير من خلال الصور وهو وسيلة لإحداث التكامل بين المتناثر والمتباعد من الافكار والصور وهو يساعد على استدعاء الماضى وتمثل الحاضر وتوقع المستقبل ، كل ذلك فى آن واحد من أجل القيام بابتكار أعمال فنية جديدة وغير مألوفة والمقالة الحالية هى محاولة لإظهار دور وأهمية الخيال الابداعى فى مجالات الفنون المختلفة .

أولا - فى الادب :

تحدث وليم بليك الشاعر والمصور عن الرؤية رباعية التكوين أو الرؤية ذات الابعاد الاربعة وتشتمل على ما يلى :

١ - الرؤية واحدية البعد البسيطة وهى ما تمكننا عملية الرؤية البصرية البسيطة من رؤيته ، فالشجرة هى شجرة وبقعة الحبر هى بقعة الحبر والسماء زرقاء وهكذا .

٢ - الرؤية الثنائية وهى مازالت بمثابة نشاط محدود للخيال ، فتكوين السحب قد يبدو مثل معركة بين أسدين يتعاركان وبقعة الحبر قد تبدو كائنين من الراقصين أو طائر يحلق .

٣ - فى الرؤية ثلاثية البعد نحن لا نرى الشىء كما هو ولا الشىء كما لو كان مختلفا قليلا أو حتى كثيرا كما فى الرؤية ثنائية البعد ، ولكننا نرى الشىء كرمز كما فى حالة الكورس الذى يغنى فى نهاية فاوست لجوته ، فكل الاشياء تتحرك بخفة وتتراكم حتى تصل الى ذروتها الفائقة والرمز هنا يعرض لواقع مفارق أو سامق وهو الوسيط الذى من خلاله يتم البحث عن رؤية متفوقة عظيمة مفيدة للواقع ، الرمز ، اللعب ، الحلم ، هذه هى تجليات الرؤية ثلاثية البعد .

٤ - أما الرؤية الرباعية فهى خطوة أكثر امتدادا للأمام وأعمق فى





● الفجر (١٨٨٥) من اعمال المثال الفرنسي رودان.

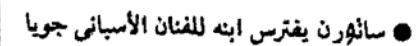
● شيلر



اتساعها وشمولها انها رؤية المتصوف، الكاهن، العراف، هذه الرؤية يخضبها وينتشر فيها ويلونها الشعور العميق المكثف الممتد بأعمق المشاعر الانسانية، الرعب، البؤس، الكآبة، النشوة، الرهبة، الامل، الاحلام والاساطير واللانهائى والمطلق.

■ وقد ورد الحديث عن أهمية الخيال أيضا لدى العديد من الشعراء أمثال كولريدج ووردزورث وشيللى وبايرون وكيتس وستيفن سبندر وهاوسمان وقد قال ستيفن مثلا «ان قدرتنا على التخيل ترتبط الى حد كبير بقدرتنا على تذكر ما مررنا به من خبرات ومحاولة تصوره فى مواقف جديدة ومختلفة». وهكذا فان أعظم الشعراء هم من استطاعوا أن يمتدوا بخيالهم الى ما وراء السطح الظاهر للزمان والمكان، الى كل ما يستطيع الخيال الابداعى أن يصل اليه، تقول القاصة «آنيد بليتون» فى خطاب منها الى عالم النفس بيتر ماكيلر «اننى أغلق عينى لدقائق بينما تكون ماكينة الكتابة أمامى اننى اجعل عقلى أبيض (خاليا) وانتظر، ثم وبالوضوح الذى أرى به أطفالا حقيقيين تقف شخصياتهم أمامى فى عين عقلى وتتم القصة كاملة كما لو كان هناك عرض سينمائى خاص بى. اننى لا أعرف ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك لكننى أكون فى أسعد حالاتى لتمكنى من كتابة القصة للمرة الاولى وقراءتها فى نفس اللحظة».

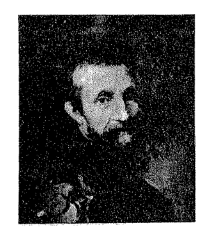
■ وقال الشاعر الالمانى «شيللر» لصديق له كان يشكو من نقص واضح فى طاقته الابداعية «السبب فى شكواك كما يبدو لى هو فى القيود التى يفرضها عقلك على خيالك». ويتفق معه وليم بليك فى ذلك فى نصيحة وجهها الى مصور ناشىء، وكان تشارلز ديكنز يقول انه يرى القصص ثم يكتبها وجانب كبير من هذه الرؤية يتم بالطبع من خلال الخيال.



● سائتورن يفترس ابنه للفنان الأسبانى جويا

● الخيال الابداعى يمثل القدرة العالية المتفوقة على ابتكار المواقف والأعمال غير المسبوق إليها .

● إنَّ حسَّ الألوان لابد أن يكون صفة من الصفات الموقوفة على الفنان . . . هيجل



« ميكلنجلو » بريشة المصور ڤينوستى بالمتحف الكاپيتولى بروما .

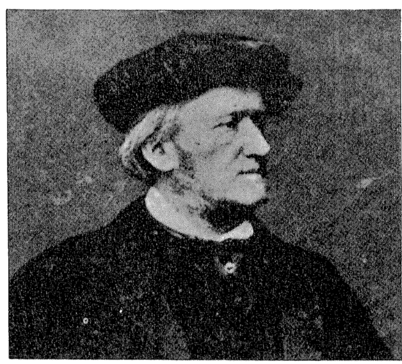
ثانيا ـ فى التصوير والنحت:

يعترف سلفادور دالى بأنه كان يحلم أحلاما ابداعية كثيرة كل ليلة وكان يبتكر لوحات جديدة بعد استيقاظه من النوم وان خياله يتسم بالخصوبة والثراء ويقول «لدى وعى دائم ومتوهج بأن كل شىء يتعلق بى، بشخصى وحياتى، له طبيعة فريدة، كما أنه سوف يستمر كذلك وحشيا وخياليا ومكتملا»، ويقول فان جوخ «أنا نفسى لا أدرى.. فأنا اجلس ومعى لوحة بيضاء وأمام البقعة التى تعجبنى وأقول لنفسى: هذه اللوحة البيضاء لابد وان تصبح شيئا من خلال الخيال وأظل اعمل وقتا طويلا وأعود الى البيت غير راض عما فعلت، واضعها بعيدا فى الحجرة الصغيرة وبعد أن أحصل على قسط من الراحة أعود فأنظر اليها فى شىء من الخوف وأنا مازلت غير راض عنها لأن روعة الاصل تكون ساعتها محفورة فى مخيلتى بجلاء بحيث لا أرضى عما فعلته، لكن على الرغم من ذلك

اعشر فى رسمى حين يتم على صدى لما أذهلنى وأرى أن الطبيعة قد باحت لى بشىء ما، تحدثت معى وأننى قد نقلت هذا الحديث على اللوحة فى ايجاز».

■ ويقول فان جوخ أيضا ان المصورين يجب أن يمتلكوا الخيال والعاطفة، وقال الشاعر الفرنسى الشهير بودلير «ان الصفة الاساسية التى يتصف بها المصور الفنان ليست هى المشاهدة بل الخيال، فالخيال فى الفنون الجميلة هو سيد الملكات» وهو الذى يحلل العناصر التى تقدم للحواس والعقل ويعيد تشكيلها كما يتراءى له، وما العالم المرئى كله الا مخزن صور ورموز يعطيها الخيال مكانة وقيمة نسبية وهو نوع من الغذاء على الخيال أن يهضمه ويحوله» وقد أشار «روجرفراى» الى أن الفنان يعيش حياتين «الحياة الخيالية والحياة الواقعية»، وفيما بين هاتين الحياتين يوجد ذلك التميز الكبير، ففى الحياة الواقعية تكون عمليات الاختيار الطبيعى الناجمة عن ردود الفعل الطبيعية كالابتعاد عن الخطر مثلا وتجنبه هى ذات الاهمية الكبيرة، أما فى الحياة الخيالية فلا تكون مثل هذه النشاطات أمرا هاما أو ضروريا ومن ثم فان الوعى الكلى قد يكون مركزا حول الجوانب الادراكية والانفعالية للخبرة موضع الاهتمام.

■ ويذكر الفيلسوف الالمانى الشهير هيجل فى كتابه عن «فن



● ريتشارد فاجنر

الرسم» ان حس الالوان لابد أن يكون صفة من الصفات الموقوفة على الفنان، كيفية خاصة فى رؤية وتصور الفروق والدرجات اللونية وجانبا أساسيا من خيال الفنان وقدرته على الابتكار. ويقول المصور الاسبانى الشهير جويا: «التصوير مثل الشعر يختار من الوجود كل ما يعتبره أكثر ملاءمة لاغراضه، فهو يجمع فى شخصية مفردة خيالية الاحوال والملامح التى مزقتها الطبيعة بين أفراد عديدين، ومن هذا الامتزاج المؤلف بمهارة ينتج ذلك الفن الجيد الذى يجنى بفضله الفنان لقب المبتكر وليس الناسخ الذليل، وذكر ميكل انجلو أن «المصور يصور بخياله لا بيده» وقال أيضا ان المصور الردىء هو من لا يكون خياله نشطا ولذلك لا يختلف عمله عن تفكيره الا قليلا، لكنه لو عرف كيف ينشط خياله لأنتج فنا رائعا».

■ ويحتاج كل من النحات والمصور الى نشاط الخيال الخاص بالصور البصرية، أكد هذا رودان وهنرى مور وكل من ذكرناهم من المصورين أو المصورين النحاتين أمثال ميكل انجلو، هذه الصور الخيالية تنشط بتأثير انطباعات الفنان واحساساته وذكرياته ورؤيته وتوقعاته وتعبيراته ونمط حياته وخبراته، وهذه النشاطات تنمو فى خياله بمرور الايام والسنين وتراكم الخبرات وهو يخضعها اثناء ذلك لادراكاته وتفسيراته وموقفه من الواقع والحياة، وهو يعدل ويقارن ويكيف صوره الخيالية وفقا لرؤيته ووفقا لمطامحه الفنية، وهذا كلام يصدق على المصور والنحات والشاعر والقاص وغير ذلك من الفنانين.

● إن الصفة الأساسية التى يتصف بها الفنان ليست هى المشاهدة بل الخيال . . . بودلير

● ان خيالى يمتلىء بالصور والاشكال المبهمة التى أحاول جاهداً صياغتها وتشكيلها فى اعمال اكثر واقعية . . فاجنر

ثالثا ـ فى الموسيقى :

اعترف بعض المؤلفين الموسيقيين المعروفين بأن الافكار تأتى اليهم فى شكل أفكار مغلفة بالانغام الحلوة، فقال موزارت «عندما أكون أنا نفسى وليس انسانا آخر، وفى حالة اتفاق وانسجام مع مشاعرى وأفكارى تأتينى أحسن الافكار تقفز الى خيالى فجأة وبكثرة وأنا لا أعرف متى تأتى ولا أستطيع توقع مجيئها فى لحظة معينة ، هذه الافكار التى تسرنى أحتفظ بها فى ذاكرتى وأهمس بها لنفسى ، وغالبا ما تأتى الالحان الكبيرة من مثل هذه الافكار، وكل هذا يضىء روحى . وبالاضافة الى حالة الاندماج التى تتلبسنى فان الموضوع يكشف لى عن نفسه، يصبح محددا ومعروفا ثم يصبح العمل ككل حتى لو كان مسرفا فى الطول مكتملا تماما ومتناهيا فى عقلى ، وبلمحة خاطفة أشعر أننى لا أسمع فى خيالى أجزاء العمل وهى تقترب متعاقبة ، بل أسمعها وهى تأتى كلها معا فى آن واحد، ولا أستطيع أن أصف بطريقة محددة تلك السعادة التى تصحب هذه العملية وبعد ذلك أستطيع الاعتماد على ما هو مخزون فى ذاكرتى من هذه الخبرات ، وعندما أجلس لكتابته فاننى أفعل ذلك بسرعة حيث ان كل شىء يمكن أن ينتهى ويزول، ولذلك فان ما أكتبه نادرا ما يختلف كثيرا عما فى مخيلتى .

■ وقد أكد برليوز أيضا اهمية الخيال فى ابداعه لسيمفونياته وذكر فاجنر ما يشبه ذلك حين قال «ان خيالى يمتلىء بالصور والاشكال المبهمة التى أحاول جاهدا صياغتها وتشكيلها فى أعمال أكثر واقعية ، فأمام عقلى يقوم هناك عالم كلى متكامل من الصور والاشكال التى تكشف لى عن نفسها بقوة وبغرابة وبدائية وعندما أراها أمامى وأسمع أصواتها فى أعماقى لا أستطيع تقدير أو تفسير هذه الالفة الواضحة والثقة التى تتوفر وتتوطد بينى وبين هذه الاصوات» .

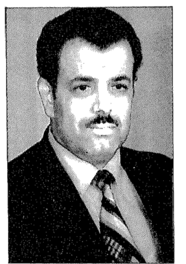
■ ومما سبق يتضح لنا أن الصور الخيالية السمعية هى السائدة فى الموسيقى ، بينما الصور الخيالية البصرية هى السائدة فى النحت والتصوير، أما فى مجال الادب فنعتقد أن كافة الصور بأنواعها المختلفة سمعية كانت أو بصرية أو لمسية أو شمية أو ذوقية يمكن أن يكون لها أهميتها الكبيرة فى عمليات الابداع الفنى الادبى .

تعقيب عام

يتضح مما سبق أن الخيال هو وسيلة الفنان الثمينة التى يلجأ اليها من اجل احداث التنظيم فى الفوضى الشائعة حوله، فمن خلال الخيال يتصور المبدع موضوع ابداعه فى سياق جيد أكثر انتظاما وأصالة وأكثر امتدادا واتساعا واكتمالا من ذلك الذى واجهه فى الواقع وادرك نقصه وتصوره، وخلال عمليات تنشيط الخيال يقوم الفنان بعمل شديد الدقة والتعقيد عمل صعب الاحاطة شبه مستحيل، فهو يختار ويملك كل ما هو جوهرى وله معنى ، كل ما هو مثير للاهتمام وأصيل، كل ما هو مبهر ومدهش ومقنع أيضا، ان الخيال هو الاداة السحرية للفنان التى يستطيع من خلالها أن يتجول فى العالم ويكشف أسراره ثم يعرضها علينا فى شكل فنى عميق الدلالة نافذ التأثير.

القصة القصيرة والبناء الفني

أحمد جبر ـ الاردن



■ قدر الله سبحانه أن تكون دورة الحياة فى الشجر والانسان واحدة، مع الفارق، إذ كلتاهما *(بذرة/ نُطفة)* ثم *(نمو/ طفولة)* ثم *(إثمار/ شباب)* فـ *(يباس/ كهولة)* قبل *(الفناء/ الموت)* الذى يسبق التحول الى *(العدم/ عودة الروح)* إلى بارئها.

■ كذلك شاءت حكمة البارى أن تمر الطبيعة فى الفصول الأربعة (الشتاء والربيع والصيف والخريف) كتعبير حى عن دورة الحياة على سطح الأرض. . وهذا يدخل فى هندسة الكون وبنائه الذى تنبثق من خلاله طبيعة الوجود وجوهره، ودلالاته المحددة، التى منها الاتساق والتناظر والعمق وعلى هوامشها الفوضى والانفلات والسطحية.

ولبلوغ ما توحى به هذه الدلالات من معان ومفاهيم تظهر من وراء هذا الحديث، لابد من ذكر (الضد) إذ «بضدها تعرف الأشياء» وكمثال على الضد القول السائر: «فلان يهتم بالقشور» أى انه يقصر اهتمامه على توافه الأمور دون عظائمها.

وليس أدل على هذا المنحى من قصة «الأعرابى الجائع» الداخل الى المدينة لأول مرة، فرأى بائعاً يبيع الموز على عربة، وينادى على هذه الفاكهة بصورة مغرية: «زى العسل يا موز. . طعمك حلو يا موز. . كلوا واتهنوا يا ناس. . كيلو بشلن. . تاكل عسل».

فما كان من (الأعرابى) إلا أن اشترى كيلو موز، ولما سأل البائع عن كيفية أكله، أشار عليه بطرح لبه فى كفة الميزان ضمن كيس ورقى، والتهام قشره فقط، وهو فى ذلك غاش له. ولما أتى الأعرابى على كيلو الموز، ولم ير فى طعم قشره الحلاوة التى كان ينشدها، والعسل الذى كان يمنى نفسه بمذاقه، ولا النكهة المستطابة التى طمع بنوالها، قال: «مو زين الموز، مو زين»، وانصرف، بينما كان البائع المخادع وبعض الواقفين من الرعاع يضحكون بصورة مؤسفة متندرين من جهله متنكرين لقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «من غشنا فليس منا» وانثنوا على كيس الورق يخرجون منه لب الموز ويأكلونه بنهم، إمعاناً فى الضلال.

تعكس هذه الحكاية موقفين متضادين تماما هما: (الخبث

● الاهتمام بالقشور دليل غفلة وجهل وبعد عن الحصافة والفطنة.

● أضاعوا فن القصة بجريهم وراء سراب التغريب .

● (المتأجنبون) حريصون على قطع دابر الأصالة العربية فى كل شيء.

والغفلة) . . أما الخبث فهو موقف البائع ومن سكت عن تصرفه من الحاضرين المهالئين للبائع بغية الافادة من أكل الموز (بالحرام)، والضحك على (الأعرابى) المخدوع، لجهله وغفلته . . وسامح الله (القانون الوضعى) الذى لا يعفى المغفلين، بل يؤاخذهم ويجازيهم على غفلتهم.

●● والموقف الثانى وهو موقف الغفلة المتمثل بانطلاء الحيلة على الأعرابى الجاهل، الواثق بما يقول الناس.

لذلك كان (الاهتمام بالقشور) دليل غفلة وجهل، وبعد عن الحصافة والفطنة التى تتيح للانسان تمحيص ما يعرض له. فيوازن، ويدرس، ويقيم، ويهتدى عن طريق معارفه وحواسه وأفكاره إلى الحق والصواب، وينأى عن الخطأ والرذيلة.

■ ربما تصح الحكاية لو أن الاعرابى صادف بائعاً يبيع التمر أو المانجا أو حتى الزيتون، فأكل القشر ورمى بالنواة. ولا تصح لوكان يبيع جوزاً ولوزاً وبرتقالا. وربما تصح فى التفاح والاجاص، ولا تصح فى البطيخ والشمام، وهكذا مما يدخل فى دائرة التصنيف الطويل للفواكه والخضروات وما إلى ذلك.

المهم أنه ربما قال قائل: لو أننا عكسنا القاعدة، لنصل الى المنظور الاجتماعى - المتعارف عليه بين الناس - وهو أن أكل القشر مخالف لناموس الحياة المألوفة، خارج على نسقها فى العيش، ومألوف العادات والطباع، أى ان المخالف لهذا النهج مخطىء، وربما رماه البعض بالغفلة أو الجنون، انطلاقاً من أن الحياة كالشجرة تتكون من لحاء أو قشر، وهو الجزء المغطى - وربما الحافظ - لما يدعى بـ (اللب أو الجوهر)، أى الجزء الأهم فى التكوين. والملابس قد تكون هى اللحاء أو القشر بالنسبة للانسان وقد يكون جسده (نفسه) هو القشرة بالنسبة للروح التى لا تفنى، بل تخرج من الجسد إلى بارئها، لأنها من أمره سبحانه وتعالى.

■ والمشكلة ليست فى الفاكهة أو الانسان، بل فى الفكر والأدب والفن. فلو رأيت من يهتم بالقشر دون اللب، أى بالشكل دون المضمون أو بالمظهر وليس المخبر، أو يؤثر الطلاء على الهيكل الرئيسى للمفاهيم الأدبية، أو يهتم بظاهر النص دون التفات إلى الجوهر، لرميته بعقم الفهم وربما ازدريته واتهمته بالجنون.

وكثيرا ما يضيق الناس ذرعاً بمن يشغله التسلى بتوافه الأمور - من الكتاب والشعراء - بدلا من عظائمها والالتهاء بحقيرها دون خطيرها فيتركون ما بأيديهم من أعمال أدبية وهم ساخطون على كتابها ومنشئيها.

●● والذى يهمنى هنا ما ذهب إليه عدد لا بأس به من كتاب القصة القصيرة فى الوطن العربى ممن استهوتهم الثقافات الأجنبية المتآمرة على لغتنا وثقافتنا وعبوا فى خضم غشها وخداعها، ونهلوا من مياهها الآسنة، مما أفسد أذواقهم حتى سُيِّروا فى درب الطلسمة والانحطاط الفكرى تارة باسم المدارس الحديثة وطوراً بالرموز والخفايا مما ليس له أول ولا آخر.

■ ومن هذه التوافه ما يطلقون عليه اسم (البناء الفنى) للقصة القصيرة، وهو فى حقيقته هدم كامل لكل محتوياتها الأساسية، وتفريغ لها من أى (جوهر أو لباب) كانت تحتويه قبل هذه الدعاوى الباطلة.

وليتم البناء الفنى للقصة . . يجب أن تتخلص القصة من عنصر السرد فيها، والسرد هو ذكر الكيفية

التى تم بها حصول الحدث، الذى هو (المحتوى/ المضمون) للقصة. وحينما تفرغ القصة من (روحها/ حديثها) فلا نذكره، لا تبقى ضرورة (للعقدة القصصية) لأنها لا تكون - فى الأصل - إلا لحدث يقع. فإذا لم يقع الحدث أصلا، فلا يكون هناك رابط ولا حل لأى عقدة على الاطلاق.

■ والحجة الغريبة عندهم أن هدفهم من ذلك هو (تكثيف الحدث) ولست أدرى كيف يكون تكثيف الحدث بدون فعل ينمو ويتطور ليشكل ما يدعونه بـ/ اللحظة أو اللقطة أو الواقعة/ التى تتحدث عنها القصة..؟ وهى (أى القصة) عندهم لا ضرورة لأن تشير الى شخص محدد، أو كائن بذاته، أو وقت معروف، ولا أن تعكس جواً مألوفاً حتى لا تكون مباشرة. ويجب أن تكون مبهمة حتى ينشط القارىء لتحليلها، واكتشاف مجاهيلها ومكنوناتها، ويبدأ بالعمل على فك رموزها وطلاسمها التى قد يهتدى إليها، وقد لا يهتدى. وتكون - فى عرفهم - أجمل إذا لم يهتد، أى إذا لم يصل الى قصد القاص، من خلال فهم معنى القصة.

ولست أرى فى ذلك غير ما أرى من حال الشعر (المتأجنب/ الغريب) الآن، بعد أن فقد وزنه، وموسيقاه وقوافيه، وأصالته، وتحول الى مسخ وتقليد مجنون من قبل أدعياء التجديد، فصار أشبه ما يكون - فى جزء غير يسير منه - بالسفسطات الكلامية التى تشبه الهذرمة غير المفهومة، وصار (ديوان العرب) غريباً على أبنائه (العرب..).

ومن لم يصدق فليتصفح أحدث نماذج هذا (الغثاء) الجديد.. فأنت تقرأ - كما قرأت - فى مجموعة قصصية لأحدهم - وهو من المشتغلين بالفكر الفلسفى - ما يقارب الـ (٩٠) قصة، فى أقل من (٧٥) صفحة من القطع الصغير. قرأتها فى حوالى الـ (نصف ساعة) ولم تعلق منها بذهنى - أقصوصة - واحدة. بعضها لم يبلغ بضعة أسطر وبعضها فى هذه الحدود.

■ ورحم الله الكتابة العربية لما تحولت الى (رصف فنى) وهو ما يشبه (البناء الفنى الحالى)، إذ امتلأت بالزخارف اللفظية من طباق وجناس وسجع وتغريد، فى آخر عهود الكتابة المتأخرة، ففقدت أهدافها السامية وأغراضها الرئيسية، وأصبحت مزيجاً غير مستحب من الهراء والسخف والطيش والعبث.

■ إنى أفهم القصة القصيرة على أنها حدث يهز المشاعر، ويؤثر فى النفس ويستولى على القلوب والألباب ويكون محور الحديث فى المجالس والأماسى والمنتديات الفكرية وهى أى القصة مشكلة مستعصية تجد حلها لدى الكاتب، قبل أن تتحول الى لغز لدى القارىء.

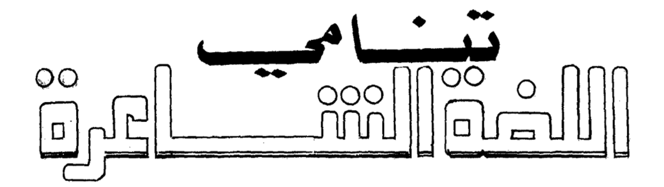
أما أن تتحول الى معميات وابتسارات لا تسمن ولا تغنى من جوع، فهذه ليست قصة، بل هى بناء فنى كرتونى فارغ، لا يسد مسد القصة التى تنبىء عن عبقرية كاتبها وجهده فى حل عقدتها، والأخذ بمجامع قلب القارىء بحيث تضحكه وتبكيه، وتستحوذ على إحساسه وتفكيره، ولا تمحى من ذاكرته بسهولة.

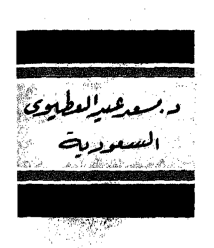
●● فأى بناء هذا الذى لا يعلق فى الذهن بتاتاً ولا يصمد لنسمة عابرة أو هبة ريح؟.. مما يدعو إليه البعض لتشويه وجه القصة القصيرة الحقيقى.

وهل ولى عهد القصة، واتجهت الى الجحيم؟ أم دفنت إلى غير رجعة.؟

أقول - الحق - إننا إذا لم نجد من يقف فى وجه هذا (البناء الفنى) فستموت القصة القصيرة، لأن المتأجنبين منا، حريصون على قطع دابر الأصالة العربية فى كل شيىء تحت أسماء براقة خداعة لأنهم اعتادوا على التهام القشور، ويريدون جرنا إلى صفهم - بسذاجتهم - لنشرب من نهر جنونهم.

■ وقانا الله شر ذلك اليوم، ولقّانا نضرة وسروراً وحفظ لنا ديننا ولغتنا الشريفة، اللذين هما جوهر وجودنا وحياتنا. وعندها سيبقى الشعر الأصيل، والقصة القصيرة (الحكاية) وكل أصالتنا على حالها بعون الله.





■ اختلف العلماء فى نشأة اللغة وتكوينها فمنهم من ذهب الى أن البداية توقيفية ومنهم من يرى انها وليدة الحاجة ومحاكاة للطبيعة والذى أميل اليه أن اللغة فى اصولها توقيفية كما قال تعالى: ﴿*وعلم آدم الاسماء كلها*..﴾ وذلك ما يؤيده كون اللغة الفطرية اقرب الى حقيقة الأشياء، وأنها تجانس مسمياتها «فلم يكن هناك فاصل بين الكلمة وما تدل عليه، فكل شيء موجود هو موجود باسمه»(١). وتلائمها وتتلاحم معها من حيث المشاكلة العضوية، والايحاء الموسيقى للكلمة وذلك ما يفضل به علماء اللغة تلك اللغة الفطرية.

■ وليس غرابة فى هذا التلاحم والتآلف والايحاء، فإن الذى قدر على خلق آدم قادر على ايجاد التشابه بين اللغة ومسمياتها، اما تفرع اللغة ومع بقاء محور الارتكاز الذى يشد كل لغة فى اى مكان من الاماكن الى تلك الخاصية الموسيقية والأسطورية فإن تلك اللغات تفرعت من الأم التى انزلها الله، وقد كانت متقاربة ثم تباعدت مع طول الزمن وتباعد الاماكن، واخذت كل لهجة لتتكون لغة منفصلة ثم تتولد لهجات وهكذا وليس أدل على ذلك من تعدد اللهجات العربية، ونحن لو نظرنا الى لهجات الجزيرة لظن السامع لها أنها لا تنتمى الى لغة واحدة، أو انها متباعدة غير أن الأمر يختلف تماما فان التباعد فى اخراج الحروف وكيفية النطق فى اغلب مناحيه والذى جعلها تعود ـ بعد أن تجنح ـ رابطة اللغه العربية تلك القرآن الكريم، اما انفصال اللغات الاخرى، فإنه على هذه الشاكلة فلم يكن لها مرجع يضمن الاستمرارية. ومع ذلك يظل اكسير الاتصال بين اللغات ومسمياتها والمشاكلة الصوتية بين اللغة وما تدل عليه ويطفو واضحا على السطح من خلال التكوين اللغوى، فيلمح فى اللغات العالمية، ويتكاثف فى لغة ويضمحل فى أخرى بسبب من الموافقة الطبيعية للاشياء، الامر الذى يجعل لها تأييدا من العقول والفطرة البشرية وعملية الاختيار

● من يسمع تعدد لهجات الجزيرة يظن انها لا تنتمى الى لغة واحدة.

● اللغة تتلون وتتشكل بتلون التجربة التى تخضع لها..

● اللغة العربية مع حفاظها على الثوابت المعيارية بها فانها تظل قادرة على استيعاب الاشكال الفنية من حيث الشحنة اللفظية.

فى اللغة الجديدة التى تمت بصلة مباشرة للمنزع الاول فى تكوين اللغه الفطرية.

ونحن اذا تدبرنا الاستعمال اللغوى للاشياء ربما نميل إلى أنه تنوع فى مرحلة متأخرة وفى احقاب متتابعة حيث بدأت للانسان بالاستعمال العقلى للطبيعة المحيطة به فأخذ يطلق عليها الاسماء الاصطلاحية ومن ثم أخذت تلك المسميات تنطبع على الأشياء بصفة مجردة من الروح البشرية والحياة شأنها فى ذلك شأن المصطلحات العلمية المعاصرة غير أن أهل اللغة اعترفوا بأن المصطلح لا يلبث ان يعود الى اللغة والايحاء مع طول الزمن فيحمل دلالات مختلفة.

■ إذاً فان اللغة وتلوينها فى القول يخضع للتجربة فإذا كانت علمية موضوعية فان الالفاظ والتركيب تجنح الى المماثلة وتبتعد عن الروح واشعاعاتها.

وتأتى المنزلة الاخرى للمحادثات الدارجة بين البشر التى يهدف منها الى الافهام فحسب ولكن الذى لا ريب فيه أن لغات المحادثات تتفاوت بين الافراد، فمنهم جميل الاداء، وجميل الصوت، وجميل الاختيار وهذا ربما يفضل صحبة الاخرين عن طريق المشاركة الروحية والاحساس بها وتطعيم اقواله بها ويتميز من هذا كله كثيرا من الالفاظ الشاعرة التى يخلو بعضها ويقيض الله له من يدونه ويخلده. وربما يتجلى فى قوالب الامثال الشعبية.. ثم تأتى بعد هذا وذاك مرحلة اللغة الشاعرة لغة الشعر. لغة التجربة.

■ واللغة أى لغة لابد وأن تمر عبر رحلتها الطويلة فى اكناف الاحقاب الزمنية وتحمل معها التجربة الانسانية وازاهير الزمان وغبار الاخطاء، وضباب النفوس، لذا فإن أى لفظة من اللغة تنمو وتتكاثر معانيها ومضامينها ودلالتها الامر الذى دعا الكثير الى العودة باللغة الى البداية الفطرية لعله يتجاوز تلك الدلالات التى يعتقد أنها تحول بينه وبين تعبئة اللفظة بدلالاته الخاصة.

■ والواقع أن اللغة آلة عجيبة ذات قدرات هائلة وذات قابلية غير متناهية تتفاوت القدرات الناطقة على اختيارها وصياغتها وسبكها فمن التجارب الانسانية والفردية ما يحتاج اللغة وهى حاملة اثقال الماضى أو ازاهيره وحداثقه، فيستعين بها على تكوين تجربته وابرازها ومنهم من ينقل اللغة الى موطن آخر لا يمت الى اصالتها الا بخيط ضئيل، ويحشوها بدلائل من واقع تجربته ويسخرون هذا الخيط ليكثف الدلائل الشعورية.

وهذه الرحلة الطويلة والاستعمال المتغاير لها هى التى أوحت بتنامى مضامين اللفظة وتعدد معانيها حتى انك لترى فى المعجم عجبا.

ولذا اختار ابن الفارس المعنى الجامع العام الذى يستطيع أن يسرى مع اللفظة فى جميع معانيها، إذن فإن التجارب الشعرية لا تستغنى فى بعض مناحيها عن الدلالة الشاملة للفظ كمن يميل الى الرمز ومن التجارب ما يفرض على اللفظة صحبة اللغه وتصريفها، ونحوها، ومضامينها المتفرعة حتى يؤدى ذلك الى اختلاف التفسير، ومنحى ثالث يحتاج إلى اللفظة وهى متباعدة عن مضمونها الاول حتى يكاد ان يتلاشى ويقوم المبدع بشحنها. والفئة الرابعة تدعى أنها تفرغ اللفظة من جميع مدلولاتها السابقة اللغوية والمعنوية والشعورية ومثل

● اللغات غير العربية تسير تحت رحمة التفكير الانسانى ولا تقوم على الثبات فى الأسس لخلوها من عامل الخلود.

● اللغة العربية تحمل فى تكوينها خاصية القابلية والقدرة على استيعاب التلوين النفسى رغم تشعبه وتغيره.

ذلك تراسل الحواس الذى ظهر حديثا غير أنى أشك أن تتخلى اللفظة عن معانقة معناها الجامع مهما حاولنا من اساليب الضبابية والعتمة والغموض.

■ كل هذه الليونة اللغوية وسهولة الصنع والتركيب اللغوى تسخر اللغة للمبدع اذن فاللغة خاضعة لتوظيف الشاعر لها، فيثبت فيها شعوره وعواطفه، وافكاره وانفعالاته وقد اشار ابن الاثير قديما الى التغيير الذى يطرأ على الالفاظ عند استخدامها فى النصوص وأن «معنى اللفظة المفردة يتداخل بالتركيب وتصير له هيئة تخصه وهذا ليس قدحا فى تلك الالفاظ.. واعجب ما فى ذلك أن تكون الالفاظ المفردة التى تركبت منها المركبة واضحة كلها واذا نظرنا اليها مع التركيب احتاجت الى استنباط وتفسير» ويقول أيضا:

«واما إذا صارت مركبة فإن لتركيبها حكما آخر وذلك أنه يحدث عنه من فوائد التأليفات والامتزاجات ما يخيل للسامع أن هذه الألفاظ ليست تلك التى كانت مفردة»(٢).

■ اذن فاللغة العربية تحمل فى تكوينها خاصية القابلية والقدرة على استيعاب التلوين النفسى رغم تشعبه وتغيره وقد كانت الرحلة الطويلة بمثابة التجربة الناجحة حيث استوعبت اللغة التجارب الشعورية «فالشعر له لغة حية تتوافق فيها المفردات ايحاء وتنسجم تعبيرا لتأخذ مداها فى تحديد الصورة وتوثيق الجانب الفنى المعبر عن الدواخل النفسية الموحدة، وتحتفظ الفاظه بمواصفات لا نراها فى الحديث النثرى فتظل دفقاتها تتكرر فى قنوات المشاعر وتندفع عبر سلسلة السنين الطويلة لتحمل الود والاحساس والعواطف وتنقل الآمال والمطامح. وهى فى كل مرة تعبر عن حالة وتوحى بمظهر وتؤكد صورة(٣).

■ وليس أدل على تسخير اللغة من تناول الالفاظ الشعبية وادراجها ضمن اللغة الشاعرة ونفخها بروح الحياة وتصويرها للتجربة الشعورية، فليست الالفاظ الشاعرية محصورة بعدد معين من اللغة، وإنما يعود الأمر لقدرة المبدع ذاته «**فالحكم على شاعرية كلمة لا يكون بمقدار دورانها فى الشعر التقليدى بل بمقتضى قدرتها على التعبير عن احساس الشاعر واتساقها مع بناء العبارة الشعرية باكملها**».

وهذا مذهب يؤيده الواقع، واقع الشعر الجاهلى، وايده المنظرون العرب فى العصر العباسى ايدوا ابا العتاهية فى شعره لأنه قريب المتناول المستمد من الواقع الاجتماعى وكذلك أيد الجاحظ بعض الالفاظ الشائعة، وقد أيد النقاد الاوربيون هذه النظرية فقال الشاعر الانجليزى وردذورك «فلقد كانت غايتى الأولى فى هذه القصائد ان اختار موضوعات ومواقف من الحياة العادية فاعبر عنها ـ قدر المستطاع ـ باللغة التى يستخدمها الناس فى حياتهم العادية، واخلع عليها فى الوقت نفسه ألوانا خاصة من الخيال تبدو معها الاشياء المألوفة فى صورة غير مألوفة» قضايا ومواقف(٤).

■ ويلاحظ أن هذا الاتجاه فى الحداثة يؤدى الى الوضوح وكون الأدب غير محصور على فئة من شرائح المجتمع لذا لم يؤيده الذين يميلون الى خصوصية الأدب. ...

ونحن فى لغتنا العربية لا نرى ضيرا فى ذلك غير أننا نخشى من تفشى العامية وغير الفصيح فى الشعر لكن الأمر يستدرك بأن اغلب الفصيح يدركه العامة ويأخذ الكلمة الشعبية المتداولة التى تنتسب الى الفصحى فيرقى بها الى اللغة الشاعرة ومن ثم يدخل فى باب السهل الممتنع، وقد تمذهب بهذا الشاعر ابو العتاهية ولكن من غير أن ينزل الى درجة الاسفاف «لكنى مع ذلك لا استطيع أن اتجاهل الثورة القائمة ضد التفاهة والاسفاف السائدين فى شعر بعض المعاصرين سواء فى لغتهم أو أفكارهم، فإن لغة الشعر يجب أن تنقى من كل ما يثير النفور والاشمئزاز»(٥).

غير أن كثيرا من النقاد الذين لا يدركون اسرار العربية وهيمنت عليهم المفاهيم الغربية من الثوابت الفكرية والتغيرات الايديولوجية، ولم يبالوا باهداف الثبات فى عناصر تكوين اللغة العربية ويريدونها أن تدخل فى المتغيرات، وربما يحدوهم دافع فكرى محض وليس القصد منه المعالجة الموضوعية البحته فيزعم بعض الشعراء المؤلفين أن العرب يفتقدون الأدب الحى لأن لغة الحياة فى معتقده هى لغة الإلسن الشعبية الدارجة وأن تشبث العرب بالفصحى أدى الى جمود الأدب، ويمثل السدود والقيود التى تقف فى وجه الابداع يقول يوسف الخال: «أولى هذه الصعوبات اللغة، فنحن نفكر بلغة ونتكلم بلغة، ونكتب بلغة فهل يكون أننا فى الواقع لا ننشىء أدبا لا نكتب بلغة الشعب، أما بدأ الادب الانجليزى مثلا بنشوسر الايطالى بدانتى، حين كتبا باللغة التى طورتها الالسن، هذا الحرص على تجميد اللغة فى قواعدها القديمة المتوارثة دليل على أن العقل العربى غير حديث»(٦).

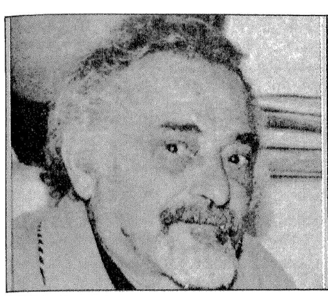
■ ونحن نقول: ان التفكير بلهجة والكتابة بالفصحى ليس فيه تناقض، لأن مصدرهما واحد وهما متقاربان ويحملان اشعاعا وايحاءا ومدلولات تنبض بالحياة وان الاختلاف يقع فى الاختيار وعملية الاختيار حتمية فى كل لغة من اللغات فهل الانجليز يكتب الأدب والشعر بلغة العامة؟ الا يختار؟ والقول الحق أنه يختار شأنه شأن اللغات الأخرى ومدرسة الشعر التى ينتمى اليها يوسف الخال تنادى بفضائية اللغة الشعرية وجعلها متعلقة بفئة معينة لا شعبية فكيف يطالبون باستخدام العامية؟.

ثم إن اللغات غير العربية تسير تحت رحمة التفكير الانسانى، ولا أجد فوارق بينها وبين اللهجات لأن الانسان يخضعها لرغباته وتجارى متغيراته، وارضاء طبقاته ولا تقوم على الثبات فى الاسس لخلوها من عامل الخلود الذى يحتم بقاءها بينما اللغة العربية لغة دين سماوى مرتبط بالكتاب الذى لا تتغير كلماته ولا يترجم بلفظه. ومع كل هذه المحافظة على الثوابت المعيارية فى اللغة العربية، فإنها ستظل قادرة على استيعاب الاشكال الفنية من حيث الشحنة اللفظية، وقدرتها على الالهام وبعدها عن المتناولة، واحتياجها الى جهد وتأويل واختلاف فى التفسير لمن أراد أن يجنح بأدبه وابداعه الى الخاصية الى جانب قدرة اللغة على المجاراة الشعبية لمن يتشدد فى هذا المطلب. وذلك لأن اللغة العربية ذات قابلية لامتصاص المتغيرات والمستجدات وادخالها فى عنصر التكوين عن طريق القياس والاشتقاق والبحث وهى ذات تصاريف وتوليدات تعجز العصور عن استخدامها كاملة، وجعلها مبتذلة ولذا فإن المتبصر فى اساليب العربية فى عصورها المختلفة يجد أن كل عصر له سياقات وتراكيب واساليب خاصة به، مع التزامها بالمعيارية اللغوية والنحوية واللغة العربية تعارض الانفصال الذى يحتم التركيز على الاداء الكلامى والذى يستقى قواعده وضوابطه ومقاييسه من الاصوات الشعبية المعاصرة اى بصريح العبارة توالد اللهجات ومجاراتها وتكوين لغات مستحدثة.

■ ويوسف الخال ما لبث أن عاد الى الحق واستبان له وقرب منه فذكر ضرورة الأخذ بمعايير اللغة وبالسياقات الراسخة فى الاذهان وان ينطلق صاحب الحداثة منها

ويجعلها اساسا له فيقول: «غير أن هذين التحديين القيدين: قواعد اللغة واصولها والاساليب الشعرية المتوارثة فى تاريخ اللغة هما اللذان يمتحنان اصالة الشاعر وموهبته الابداعية فان هو خضع لهما تمام الخضوع خرجت قصيدته هذرا لا حضور له، واما الصحيح فهو ان يعترف الشاعر الاصيل الموهوب بقواعد لغته واصولها وبمبادىء الاساليب الشعرية المتأثرة بهذه اللغة والمتوارثة فى تاريخها الادبى وفى الوقت ذاته يأخذ لنفسه قدرا كافيا من الحرية لتطويع هذه القواعد والاساليب ونفخ شخصيته فيها»(٧).

■ **والتنامى المعرفى له أثره فى اللغة:** فان العلوم اليوم حصيلة التنامى المعرفى عبر القرون الانسانية فى عمارة الكون. . والنمو هذا تحمل اثقاله اللغة وتتنامى المعاجم، وهناك جانب آخر هو التولد المعرفى المعاصر الذى يمثل الولادة الحقيقية لأنها المعرفة وتصدع الفكر ونبوع مياهه فى كل مكان وفى كل زمان. وتتلاقى هذه المعرفة فى قرية الانسانية العلمية التى لا تعرف لها موطنا ولا مقرا ولا مكانا ولا مانعا بل ان هذه العلوم الحديثه شاركت فى عملية التلوين والتكوين للغات فإن كثيرا من الدراسات التى حفت باللغة وآدابها اقتبست منهجيتها من المعرفة التجريبية فى هذا العصر كما هو واضح فى الدراسات الادبية



● يوسف الخال

التى نهجت على توزيع الفصائل أو استفادت من مذهب النشوء والارتقاء.

■ اما عملية التكوين والخلق فانها صحبت علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الانثروبولوجيا وكان لها الدور الكبير فى الصوتيات واللسانيات، وعلم اللغات فهذا -علم الانثربولوجيا يفرض مذهب البنيوية، وعلم النفس يفرض ما يسمى بعلم النفس الادبى وعلم الاجتماع الادبى وهكذا مما يحتم ان تتلون اللفظة وتنقل احمالها وتتشعب مدلولاتها وربما اختلفت من فئة الى فئة.

■ وهذا شأن اللغات المستحدثة فكيف باللغة العربية وهى تحمل ذلك وتستوعبه واضافة الى مخزونها الفكرى القديم من الدراسات الاسلامية والتراث العربى، والتكوين النفسى والشعورى للانسانية العربية عبر الاحقاب الماضية كل هذا التكوين والتلوين، والتنامى شارك مشاركة فعالة فى ايجاد نظريات حديثة لعلم الجمال وتذوقه والاحساس به الامر الذى اوجد جدلا ضاعت الحقيقة فى فيافيه وصحاريه فى كثير من المناحى وإن أستخرج الدر والجوهر فى مناحٍ أخرى.

« موضوع لغة الشعر، وما يتصل به من مباحث، من اكبر الموضوعات التى تعرضت للتناول من خلال الامتداد التاريخى، والاتساع المكانى للبشرية، مما أدى بالتبعية الى امتلاء مجال بحثه بالمصطلحات المتعددة والدلالات بتعدد التناول»(٨).

الهوامش

(١) لغة الشعر ص ٨١
(٢) المثل السائر ص ٢٧٠
(٣) مجلة المجمع العلمى العراقى ص ١٢٠
(٤) د. عبد القادر القط ص ٢٥
(٥) قضايا ومواقف ص ٢٦
(٦) الحداثة فى الشعر، يوسف الخال ص ١٦
(٧) الحداثة فى الشعر ص ١٩
(٨) لغة الشعر العربى الحديث ص ١٧-٨

د. السعيد الورقى.

البلاغة العربية.. رأي ومنهج

د. مصطفى الجويني

أستاذ البلاغة والنقد

كلية التربية للبنات - جدة -

يلح علماء التربية وهم بسبيل انماء الشخصية الانسانية على أبعاد أربعة :

« *المادى - والحركى - والعقلى - والوجدانى* »

وبدهى أن هذه الابعاد وظيفية يخدم كل منها الآخر ونمو البعد فى توازن يعمل لصالح نمو البعد الآخر، ومن هنا فاسمحوا لى أن أركز حديثى على البعد الوجدانى.

■ ان البعد الوجدانى مع مراحل الطفولة تخدم نموه وظيفيا فنون الرسم والموسيقى والغناء والفنون القولية التى توائم كل مرحلة زمنية من حياة الانسان.

ومن هنا فإن تربية الفرد تربية جمالية تبدأ منذ الطفولة وتعتمد بعدئذ على معاونة مدرسى البلاغة أو النقد، أو مدرسى النص الادبى بعامة. . **والا فكيف يحس بموسيقى الكلمة منْ سُدتْ آذانه عن تذوق الموسيقى؟ . . ومن أين له الاحساس بجمال الصورة أو طرافة الخيال من لا يقرأ أو يفهم صوَرة ملونة أو قطعة منحوتة؟ . . ومن أين يجيد التعبير من لا يتفاعل مع تمثيلية أو مشهد مسرحى يثير البكاء أو المرح؟ .**

بالتربية الجمالية اذن تسهل مهمة، استاذ الادب وتلين لمدرس البلاغة مهمة تطويع النصوص للحكم الذوقى، وثمة قضايا بلاغية لابد من التوقف عندها فى مجال الدرس البلاغى الجامعى نراها متتالية على النحو الآتى :

قضايا بلاغية

(١) التأريخ للبلاغة:

الذى ألفناه فى بحوث المعاصرين لا يمتد الى المنابت الاولى للمصطلح البلاغى، ولعل أول من تنبه الى اختلاط مباحث النحو بمباحث علم المعانى الباحث الازهرى الشيخ أحمد المراغى. . ونستطيع أن نجد بذور البحث البلاغى عند الشافعى وسيبويه فى القرن الثانى الهجرى، وعند اللغويين كأبى عبيدة والفراء، ثم عند الجاحظ.

وبهذا فإن علم المعانى كانت مباحثه أسبق وان كان التدوين فى علم البديع أظهر لأن أول تأليف صريح فيه كان لابن المعتز.

(٢) تأثر البلاغة العربية بالأجنبية:

عند الجاحظ اشارات الى البلاغة عند الامم الاخرى:

قُدامة يتأثر بالبلاغة اليونانية - ابن قتيبة يحارب الاتجاه الى الفلسفة اليونانية والتأثر بها - احمد

● البلاغة رسالة جمالية نظراً وتطبيقاً وليست قضية لمصطلحات جافة.

● النصوص الأدبية المختارة للطلاب ينبغي ان تعبر عن الذوق المهذب للحاضـــــــر.

العسكرى يقارن بين بلاغتى العرب والعجم.

■ وفى العصر الحديث تعرض للقضية طه حسين فى مقدمة كتابه (نقد النثر) المنسوب لقدامة بن جعفر والشيخ أمين الخولى فى صحيفة الجامعة المصرية.

واختلف فيها الدكتور ابراهيم سلامة فى كتابه (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان) ومحمد مندور فى (النقد المنهجى) وعرض لها بدوى طبانة، أما شكرى عياد فبحث الموضوع بحثا أكاديميا فى (كتاب الشعر فى البلاغة العربية).

(٣) بيئات الدرس البلاغى العربى:

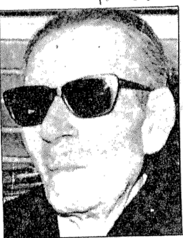
انفردت البيئة العراقية بالدرس البلاغى طيلة الاربعة قرون الاولى من الهجرة، وبعدئذ بدأت البيئات العربية أو الاسلامية الاخرى تشاركها هذا الرأى فى فارس وفى الشام وفى المغرب وفى مصر وفى بيئة اليمن.

(٤) الذوق البلاغى البيئى:

أثار هذه القضية فى الحديث الشيخ أمين الخولى وسبقه فى الاشارة اليها بهاء الدين السبكى وقد قمت بتطبيقها فى بحث أكاديمى عن ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى.



● توفيق الحكيم



● د. طه حسين

والامر بعد يحتاج الى جمع المقاييس البلاغية التى اهتدى اليها الباحثون جميعا ومعرفة المشترك العام والخاص الذى يميز بيئة عن بيئة.

(٥) قضية التجديد البلاغى:

بدأت بالربط بين الأدب والفنون الجميلة عند أحمد الشايب ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم، ثم كان هنالك ثائرون كعبد العزيز البشرى وأمين الخولى وسلامة موسى.

وتصدى مدافعون كأحمد الزيات، وهنالك باحثون يضيفون أفكارا جديدة كأمين الخولى والشايب وجبر ضومط وأحمد بدوى.. الخ وهناك فريق آخر مثل محمد مندور دعا الى الفصل الواضح بين النقد والبلاغة وان كان الأولى الاقتصار على النقد بينما كانت سهير القلماوى تحدد ما للبلاغة من مباحث وما للنقد من موضوعات فجعلت الاسس النظرية لكل الفنون من اختصاص البلاغة بينما النقد يدور حول ثلاثة محاور هى النص والمؤلف والمتلقى.

(٦) صور التجديد البلاغية عند الاقدمين والمحدثين:

فمن الاقدمين من حاول كأبى عبيدة ربط القرآن بالتعبير الادبى العربى لبيان أن كلًا منهما يصدر عن منهج اسلوبى واحد.. وتصل

هذه الفكـرة إلى قمتهـا مثلا عند ابن فارس صاحب (فقــه اللغـة وسنن العـربيـة) الذى يرصد فيه خصـائص الاسلوب العـربى . . ومـنهم من مضى يتبـين طبيعـة المصطلحـات البـديعية فى التعبير الادبى منـذ الجـاهلية فالقـرآن والرسول والصحابة والشعراء والادباء.

كما نجد ذلك عند ابن المعتز، أما المحدثون فمنهم رافض للبلاغة العـربيـة القـديمـة يريـد بلاغـة عصـرية مثل سلامة موسى ومنهم مخطط لمنهج فنى عملى وهو الشيخ أمين الخولى فى كتابه (فن القول).

(٧) فرق ما بين النقد والبلاغة:

البلاغة والنقد فى البداية كانا ممتـزجـين ثم انـفصـلا حوالى منتصف القـرن الثـالث ليستأثـر النقد بالشعر والبلاغة بالقرآن وان كان النـقــد فى أحيــان كثـيرة استحـالت ملامحـه وطغت عليـه البـلاغــة. وممن أشـار الى هذه القضيـة أحمـد أمـين فى كتابه (فى **النقد الادبى**) وتابعه من بعده محمد منـدور فى النقـد المنهجى وسهـير القلماوى (فى النقد الادبى).

(٨) أعلام البلاغة العربية:

... وهم شتـات فى كتب الـتراث تراهم بين طبقـات المفســرين والنحـويـين واللغـويـين والشعراء والكتـاب . . الـخ . . وهـذا لأن البلاغة كانت فنا من فنون تجتمع لدى البلاغى أو الناقد ولا تستأثر وحدها باهتمامه . . وأشار الى هذه الحقيقـة أمـين الخـولى فى مباحثه البـلاغيـة (**مناهـج تجديد**) و(**فن القـول**)، ومن هنـا جهلنا بأعلام البـلاغـة وببحـوثهم البـلاغية . . وعدَّد أمين الخولى بعضا وأحصى أحمد المراغى عديدا آخر وقمت أنا بجـانب من هذا فى كتابى (**النقد والبلاغة بين التاريخ والفن**).



● أمين الخولى



● د. محمد مندور

● د. محمد حسين هيكل

(٩) مناهج الدرس البلاغى:

هنالك اشارات فى تراثنا الى هذه المناهج، حددها الشيخ أمين الخـولى، وقمت بالبنـاء عليها فى كتابى (ملامح الشخصية المصرية)

(١٠) قضية ثلاثية متساوية الاضلاع:

أ - الكتـاب المـدرسى البـلاغى: الـذى يدور فى فلك مفـتــاح السكــاكى ولا نستثنى من ذلـك (البـلاغة الواضحة) لعلى الجارم وان تميـز الكتـاب بنصوصه ذات الذوق الرفيع ولم يلحق بنظير له فى هذه الناحية.

ب - المدرس الذى حبس نفسه فى الكتـاب المـدرسى وجعل القضية هى حفــظ المـصطلح البــلاغى والتدريب عليه دون تذوق للجمال البلاغى عند كلا المدرس والتلميذ.

ج - المتلقى وهو التلميذ الذى مل الكتـاب البـلاغى لان نصـوصـه سقيمـة لا ترتبط بعصره، أو لأن المنهج فيها منهج عقلى مسرف فى جفافه أو خيالى غامض فى التعرف الى خصائص الجمال.

■ ومـن هنــا لجأ الـتلميــذ الى استظهار المصطلح عن ظهر قلب والتمثيل له بشاهد مما فى كتابه.

(١١) تحجر النصوص فى كتب البلاغة:

فهى تتوقف كلها عند العصر الـعبـاسى ونـادرا ما تستشهـد بالادبين الجاهلى أو الاموى وذلك لأنهـا كلهـا تدور فى فلك نصى واحـد فمتأخرهـا يلوك ما سبق

● ينبغى التركيز على جعل البلاغة مجالاً لدراسة الذوق فى بيئات الأدب وازمانه وعند رجاله . .

● التربية الجمالية تسهل مهمة تطويع النصوص للحكم الذوقى.

● الهدف البلاغى يسعى الى تخير ومحاولة صنع الجيد من الكلام .

لمستقدمها أن استشهد به ، وتتوقف بعد ذلك كتب البلاغة الحديثة عن الاتصال بالنص الأدبى المعاصر، انها تغفل الفنون الادبية من أمثال القصة والمسرحية والرسالة والمقالة والشعر التمثيلى والملحمة.

(١٢) الهدف البلاغى:

وقد تنبه له الاقدمون فى ادراك ما هو الجيد أو الردىء من الكلام والاقتدار على صنع الجيد من الكلام.

ومع وضوح هذا الهدف الذى يتلون بلون الدرس شعرا أو نثرا أو قرآنا وحديثا ـ فانه كان يرتبط بالنص الادبى ارتباطا وثيقا، أما الآن فالهدف غائب عنا من جانبى الفهم والذوق جميعا.

■ فالنصوص من عصور مختلفة ـ مختلطة ولا صلة لنا بالنص الادبى الحديث اللهم الا ان تكون نصوصا من شعر أو نثر لأصدقاء من يملكون التوجيه فى اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم

وهذه النصوص العصرية فيها من المجاملة ومن سقم الذوق وبعدها عن تمثيل روح العصر فيها من كل ذلك ما يؤكد غياب الهدف البلاغى.

التوصيات

١ ـ واذن فالتربية الجمالية التى تعاون عليها فنون أخرى غير فن القول من موسيقى ورسم ونحت ـ كلها مُعين على الاحساس بجمال الفن القولى، وتبدأ مع الانسان طفلا الى مرحلة الدرس الجامعى.

٢ واذا كان الجدول الدراسى يقسم اللغة العربية الى فروع فهذا التقسيم شكلى ، لأن اللغة العربية وحدة متكاملة وما درس المطالعة مثلا الا القراءة الجيدة للنص قراءة تنبىء عن فهم العلاقات النحوية، وفهم المعانى والاحساس بجمالها، وتجىء القراءة فى نهاية المطاف تحصيلا لهذا كله، والمدرس مطالب بتصحيح الخطأ النحوى إن وقع ، والسؤال عن علة جمال الصورة أو قبحها فى النص المقروء وإيجاز ما قرأ التلميذ من نصوص والسؤال المنبىء عن فهم المعانى.

وكل هذا جمع لفروع اللغة العربية فى وادٍ واحد يقوم المدرس بهذا وما هو أكثر منه فى باقى فروع اللغة العربية تأكيداً لحقيقة الفصل بين فروع اللغة العربية فى الجدول الدراسى بغرض سهولة التحصيل والتعمق فى الدرس.

والحقيقة أن هذه الفروع كلها جوانب متعددة للغة العربية.

٣ ـ ومن نافلة القول تكرار الالحاح على ضرورة تشجيع عادة القراءة لدى التلميذ فى زمن ألهته عنها وسائل الاعلام المسموعة والمرئية وكذلك مطالبة وزارة التربية والتعليم بإسناد أمانة تدريس اللغة العربية وبخاصة الادب الى ذوى المواهب الادبية ليجعلوا من حب الادب والاحساس رسالة حياتهم فتنبت أجيال تزهر بها حياة الادب فى العصور التالية.

٤ ـ والكتاب المدرسى ينبغى أن يكون تأليفا ينهض به فريق عمل أعضاؤه من رجال التربية والتعليم والجامعات، وينفسح أمامهم زمن التأليف، وأن يخططوا لموضوعات الكتاب مع استبعاد كل النوازع الشخصية وايثار المصلحة العليا فى اختيار ما يوائم عصرنا من نصوص تتصل بالحياة الادبية الحديثة وتعبر عن الذوق المهذب للحاضر.

٥ ـ أما فى الجامعة فينبغى أن تركز



● د. سهير القلماوي

على جعل البلاغة مجالا لدراسة الذوق في بيئات الادب وأزمانه وعند رجاله، وبها يضع أيدينا على سمات ذوقية يمكن التأريخ لها والبناء بعدئذ عليها.

٦ ـ جعل جمال النصوص وادراك القيم البلاغية غير مقصور على الدراسة والامتحان بل توظيف البلاغة في المجالات العملية في مراحل الدراسة منذ المدرسة الابتدائية الى المرحلة الجامعية وما بعدها من نشاط صحفي أو اذاعي أو مسرحي أو غنائي أو حواري أو خطابي، وفي كل مناسبة للادب فيها دور أو للفن مجال ولست مثاليا إن قلت إن رسالة البلاغة رسالة جمالية نظرا وتطبيقا وليست قضية لمصطلحات جافة وتدريبات أشبه بالتدريبات الحسابية عليها، وانما هي دفقة حب للجمال يعرف المدرس الأريب كيف يوصلها الى احساس الناشىء المتفتح للجمال.

النقد الأدبى.. ومراحل تطوره

■ يعتبر النقد الأدبى من أهم مستلزمات ومقتضيات التطور الفكرى والأدبى.

ووظيفة الناقد تشكل ضرورة لازمة لتقويم مسار الحركة الفكرية وتقدمها، وهو بمثابة الموجه الواعى والمدرك لحقيقة العمل الأدبى.

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان الاتجاهات الفلسفية، والمضامين الفكرية المعاصرة لم تتسع رؤياها الابداعية وتستشرف آفاقاً أكثر شمولا ورحابة الا بعد ان واكبتها حركة نقدية واعية كشفت لها عن عناصر الصدق الفنى، والاصالة والابداع.



مصطفى عوض الله بشارة
- السودان -

وتاريخ الحركة النقدية المعاصرة يتصل بعهد الحضارة اليونانية القديمة حيث ان قدماء اليونانيين كانوا قد ابدوا اهتماماً ملحوظاً بدراسة الأسس المنهجية للنقد وتقويمها.

ونلاحظ جانبا مهماً من ذلك النقد فى مسرحية «الضفادع» لأرستوفان.. وهو شاعر وناقد اشتهر بأسلوبه التهكمى اللاذع وكتاباته النقدية عن معاصريه من الأدباء والشعراء خاصة «يوروبيدس» الذى أبدى نزوعاً واضحاً للتمرد على القيم الروحية السائدة فى مجتمعه آنذاك، واستخدم فى شعره العبارات والكلمات السوقية العامية مما جعل الشاعر الناقد «أرستوفان» يمعن فى الاستخفاف بشعره ويؤثر عليه شاعراً آخر، هو: «اسيكلوس» نسبة لما اتصف به مسلكه الشعرى من الغيرة والحرص على موروثات شعبه الدينية والتزامه الفنى باختيار العبارة والصيغة الموحية المعبرة.

ويعتبر النقاد كتاب «الشعر» لأرسطوطاليس مرجعاً مهما فى النقد الأدبى.

■ وفى هذا الكتاب يعالج أرسطوطاليس موضوعات فلسفية وفكرية على جانب كبير من الأهمية تتمثل فى نظرية (التقليد) لأفلاطون.. وهو يحدد موقفه تجاه تلك النظرية معارضاً وناقداً لها من خلال وجهة نظره القائلة بأن الشعر ليس مجرد تقليد أو محاكاة ساخرة للحياة أو للطبيعة البشرية

بظواهرهما المادية والشكلية، بل يشتمل أيضا على انماط فنية مغايرة واضافات ابداعية يستلهمها الشاعر ويستوحيها من وجدانه وخياله الخصب.

■ وقد عقد أرسطوطاليس مقارنة نقدية بين الشعر والفنون الجميلة وجعل بين الشعر والموسيقى توازناً وتعادلا فى ميزانه النقدى مؤكداً حقيقة موقفه تجاه قضايا الشعر والشعراء.. وهو يرى الشعر شبيها بالموسيقى فى أساليبه التصويرية والتعبيرية.

■ وفى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، كان شعراء الكوميديا اليونانيون يصورون واقع حياتهم وظروف مجتمعاتهم التى كانت تعانى الأمرين من الفاقة والبؤس بأسلوب شعرى ساخر يكشف عن صراعات الناس ومعاناتهم فى الحياة.

■ وفى العصور الوسطى نجد ناقداً عظيماً مثل (ديدموس) فى عصر (أوجستوس) قد جمع عدداً من المصنفات الأدبية الكبيرة وعكف على دراستها ونقدها وتقويمها.

والنقد الأدبى عند قدماء العرب، كما يحدثنا الدكتور محمد مندور فى كتابه «قضايا جديدة» كان يعنى بنقد الشعر وحده ولا يعنى بغيره من الفنون التعبيرية الأخرى، ولا سيما فان القبة الحمراء كانت تضرب للنابغة الذبيانى فى سوق عكاظ ليحكم فيها بين الشعراء.


● اليوت


● ارسطو

■ فامرؤ القيس أشعر الناس اذا ركب لأنه القائل:

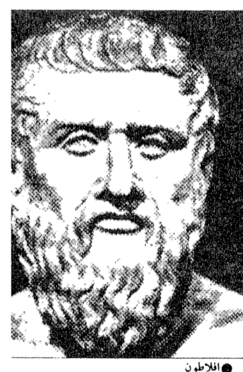
مكر، مفر، مقبل، مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

■ *والنابغة أشعرهم اذا رهب لأنه القائل:*

فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت ان المنتأى عنك واسع

■ *وزهير بن ابى سلمى أشعرهم اذا رغب لأنه القائل:*

تراه اذا ما جئته متهللاً
كأنك تعطيه الذى انت سائله


● افلاطون

■ وفى اواخر القرن الثالث نجد شاعرا ناقداً يحصى أنواع البديع فى دقة ويؤلف فيها كتاباً هو كتاب (البديع) لابن المعتز الذى ألفه سنة ٢٧٤هـ.

وقد اشتمل كتاب (البديع) على مجموعة من القواعد والتعاليم صاغها ابن المعتز فى مصطلحات خاصة أهمها فى رأيه الاستعارة والتجنيس، والمطابقة ورد الإعجاز.

ومن أبرز المؤلفات النقدية فى الأدب العربى كتابان للشيخ الجليل عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة.. وهذان الكتابان هما: «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة».

وكتاب للآمدى المتوفى سنة ٣٧٠هـ وعنوانه: «الموازنة بين ابى تمام والبحترى»، وهو أول كتاب

● وظيفة الناقد تشكل ضرورة لتقويم مسار الحركة الفكرية وتقدمها.

● تتأكد مكانة الناقد في المجتمع الأدبي بقدر ما تعكسه مواقفه النقدية من الانصـــــاف والعدل.

فيما نعرف، يتصدى للمقارنة بين شاعرين، وما بينهما من التقارب والاختلافات الجوهرية وما يمتاز به كل منهما فى صفاته وخصائصه . . ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب فى النقد المقارن عند العرب بمعناه العلمى الدقيق.

■ وبعد ان وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بفترة وجيزة شهدت الحركة الأدبية الأوروبية ازدهاراً وتطوراً، وقد استطاع الناقد المعاصر «ت . س . اليوت» ان يسهم بدور بارز فى الحركة النقدية الحديثة، وذلك بنظريته المعروفة باسم (التقاليد والنبوغ الفردى).

كما اقام (اليوت) مفهوماً جديداً للفن، وتعريفا منطقيا للعلم، حيث ان العلم يسعى دائما الى تحقيق هدف موضوعى محدد، أما العمل الفنى فمن غاياته الواضحة تشكيل إطار ابداعى للتصورات والمواقف والأفكار. . وبذلك حطم (اليوت) ما تبقى من آثار الرومانسية العلمية فى الأدب، وارسى المفهوم الجديد القائل بأن العمل الفنى خلق وابداع، وليس مجرد تعبير شكلى ظاهرى. . ولهذا، فإن دور الناقد فى المقام الأول هو دور توجيهى مهم، وعلى عاتقه تنهض مسؤولية مواكبة الحركة الفكرية والأدبية وتقويمها بروح النزاهة، والعدالة، والصدق.

■ ولا مشاحة فى ان مكانة الناقد تتأكد وترسخ فى المجتمع الأدبى بقدر ما تعكسه مواقفه النقدية من الانصاف والعدل عند ابداء الرأى واصدار الأحكام.

ولن يتحقق ما ننشده ونتطلع اليه من نهضة ورقى فى رحاب الآداب والفنون ما لم تتوافر لنا أداة النقد الموضوعى الهادف. . ولن يمكث فى الأرض الا ما ينفع الناس.

عددنا القادم

● أثر العصر الحديث فى نهضة الدراسات الأدبية المقارنة

● الأدباء الشباب لم ينضجوا بالقدر الكافى

● صراع اللغات

● عصافير على أغصان القلب

● الحركة العلمية فى العصر الأموى

● هل نحتاج الى دستور اخلاق لغوية



تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



- فرسان لؤلؤة البحر الأحمر
- سوق التلات في لندن
- لندن.. الماضي العريق والحاضر الطموح

التحرير
محمد حسن حمودة
طلعت المرصفي


فرسان
بتراثنا وتاريخنا .. بأصالتنا وأرضنا .. وعطائنا .. نحو تعريف
برجال .. وأرض أمجاد وبطولات كانت ولا تزال .
بوطننا الغالى .. لنا فى كل شهر رحلة فيها
التاريخ .. فيها الواقع والتراث .

■ عزيزنا مع اصدار كل عدد جديد وضمن مجلتنا الداخلية «السائح» يصحبك المنهل فى رحلة جديدة ومكان جديد فى ربوع وطننا الغالى.



● جزيرة هادئة البال ناعمة ترقد على شاطىء البحر الاحمر

فى الطرف الجنوبى الشرقى للبحر الأحمر وبالضبط على بعد خمسين كيلومتراً جنوب غرب جازان تطالعنا جزيرة فرسان بشواطئها الرائعة ورمالها البيضاء ومياهها التى تجذب الانظار.

الجزيرة تأخذ شكلا طولياً.. امتدادها من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى.. والى الجنوب ثمة انحناء محاطة بمجموعة أخرى من الجزر أكبرها جزيرة (السجيد) وحسب المعجم الجغرافى هى «فرسان الصغرى» التى يفصلها عن فرسان الجزيرة الكبرى ممر مائى، يمتد ثلاثمائة متر عرضاً ويطلق عليه الفرسانيون «المعادى» حين يحل الجزر البحرى وينتقلون من السجيد وإليها.

أما طول الجزيرة بامتداد الجنوب الشرقى فيمتد الى خمسة وسبعين كيلومتراً والعرض حوالى ثلاثين كيلومتراً.

عن أكبر جزر البحر الأحمر فرسان يقول الأستاذ محمد أحمد العقيلى فى **«المعجم الجغرافى لمقاطعة جازان»**.

«جزيرة فرسان من أكبر جزر البحر الأحمر مساحة إن لم تكن أكبرها مساحة وأكثرها سكاناً وأخصبها تربة، وموقعها بين خطي العرض ١٦٫٥٠–١٧٫٥ وخطي الطول ٤١، ٤٢ تقريباً. تبعد عن مدينة جازان غرباً خمسين ميلاً بحرياً وأطول جهة فيها هى من مرسى الخور شرقا الى طرف صير غربا ٧٥ كيلا ويقصر فى غيرهما الى ٤٠، ٣٥، ٣٠ كيلا.

● «فرسان» من أكبر جزر البحر الأحمر مساحة وأكثرها سكاناً وأخصبها تربة.

● «فى وادى مطر» أطلال ذات صخور كبيرة منقوش عليها بعض كتابات حِميرية.

● شرق «القصار» عثر على نفق يضم رفات أشخاص ضخام الهياكل والطول.

وأعرض جهة هى فيها بين «رأس عبرة» الى مرسى «الجص» ٤٠ كيلا. ويقضر فى غيرهما الى ٣٠، فلو اعتبرنا متوسط طولها ٣٥ وعرضها ٣٠ لبلغت مساحتها (١٠٥٠) كيلا مربعا وهى جزيرة صخرية يقدر عدد سكانها مع القرى التابعة لها ٤٦٠٠ نسمة تقريباً».

ومما لا شك فيه أن هذه المعدلات طرأ عليها التغيير لعدة عوامل أهمها الهجرة الواسعة نحو مختلف مدن المملكة سعياً وراء الرزق.

تقابل فرسان جزائر دهلك بشواطئها المشهورة بمصايد اللؤلؤ حيث كانت تمثل مصدراً من مصادر الرزق للفرسانيين وأهل جازان وكذلك سكان المدن الساحلية اليمنية.. ومما ينبغى ذكره أن جزيرة فرسان الى يومنا هذا لا تزال غنية بمزارع المحار الطبيعية.

فرسان الآثار والتاريخ

تدل الآثار الموجودة بفرسان دلالة واضحة على أن أهلها من (حِمْيَر) إحدى دول اليمن الثلاث الكبرى وقد أورد ياقوت الحموى فى معجم البلدان ما يفيد أن جزر فرسان يسكنها قوم من قبائل تغلب كانوا قبل دخول الاسلام اليها يدينون بالنصرانية وعرف سكانها بشدة البأس.. كانت الحروب تقوم بينهم وبين قوم يدعون «بنو مجيد» بالقرب من باب المندب ولهم رحلات وتجارة مع البلدان المجاورة ويؤكد الهمدانى أيضا فى «صفة جزيرة العرب» على ذلك بقوله:

«وفرسان قبيلة من تغلب وكانوا قديما نصارى ولهم كنائس فى جزائر فرسان قد خربت وفيهم بأس وقد يحاربهم بنو مجيد ويحملون التجارة الى بلاد الحبشة ولهم فى السنة السفرة فينضم اليهم كثير من الناس ونساب حِمْيَر يقولون انهم من حِمْيَر.

أما عن الآثار.. ففى شمال الجزيرة «جبل كنيسة» الذى ترجح الأراء انه استمد اسمه من كنيسة كانت موجودة ولم يبق منها اليوم سوى بقايا تدل على أنه كان ثمة بناء.

■ وفى جنوب مبانى الجزيرة، بالتحديد فى «وادى مطر» الذى يبعد حوالى تسعة كيلو مترات تطالعنا أطلال ذات صخور كبيرة منقوش عليها بعض كتابات حِمْيرية ومنها قدم لتمثال

● الآثار فى (وادى مطر) الذى يبعد حوالى تسعة كيلومترات من فرسان



إنســان مصنــوعـة من الطـين المحـروق وحجر على شكل مثلث يمثل نحتاً بدائياً لوجه إنسان .

■ وفى «الكدمى» بقرية «القصار» بنايات تهدمت أحجـارهـا كبـيرة وبقايا أحجـار منحـوتـة تشبـه الأعمـدة الـرومـانيـة . وعلى الأحجار بعض كتابات .

اما شرق القرية فقد عثـر على نفـق يضـم رفـات أشخاص ضخام الهيـاكـل والطـول . . وبـالقـرب توجـد أبنية يرجـح أنها كانت أفراناً مبنية من الجص والفخار المحروق .

قلعة لقمان :

فى جنـوب شرق البلدة حجـارة ضخمـة متهدمة تنبىء عن قلعة قديمة بنيت على مرتفع يطـل على السـواحـل الشـرقيـة والجنـوبيـة والغـربيـة لجزيرة فرسان وفى الجنوب أنقاض تدل على قريتين اندثرتا . أما سبب التسميـة فلا يزال مجهولا حتى الآن .



● جمال الطبيعة وروعة التنسيق على الشاطىء المخضر .

مبانى غرين :

بأحجارها الضخمة من أعـجـب المبـانـى والآثـار الموجـودة وهى تنقسم الى غرين الـبـر وغرين البحر وهو القسم الممتد بمحاذاة الشاطىء ولا آثـار مشـابهـة فى (القـريّـا) حيث توجـد بقـايـا غرف لا يزيـد الـضلع الـواحـد عن حجرين منحوتين بشكل هندسى .

العـرضى :

ببنـايـاتها المستديرة والمسـتطـيلة التى كان العثـمانيـون يتخـذونهـا معسكراً لهم تمثل ثكنات تحصّن بها الفـرسـانيون ضد العثمانيين القادمين من ميناء خبابه وبجوار الثكنات خط (الاسكلة) الـذى كان يستخـدم كممـر للعـربات الناقلة للمؤن والمـواد الغـذائية الـلازمـة للعثـمانيـين فى الثكنـات ـ وفى القلعـة العثـمانيـة شمال البلدة ـ وهى قلعة فوق تل مرتفع يطـل على سواحـل الجـزيـرة عدا ساحلهـا الشـمالى الغربى ـ مبنية من الحـجـارة والجص وسـقـفهـا من جريـد النخيـل المحمـول فوق أعمدة من قضبان السكة الحـديـد . وآثـار الـزمن واضحـة على القلعـة حيث بدأ السقف فى التآكل .

قـرى فرسـان

داخـل جزيرة فرسان عدة قرى :

■ **المحرق :** وتقع جنوب فرسان على بعـد تسعـة كيلومـترات ـ سكـانهـا خمسمائة نسمة وهـم سكان مستقرون ـ بالقرية مجموعة من النخيـل وبقربها وادى مطر الاثرية ويشتهر أهلها بصناعة شباك صيد الأسماك .

■ **القصار :** وهى مصيف الفرسانيين على بعد خمسة

● مباني غرين من أعجب المباني والآثار الموجودة بفرسان.

● للفرسانيين عاداتهم وتقاليدهم التي تميزهم من غيرهم من سكان الجزر.

● اعتمد الفرسانيون اقتصادياً على البحر.

كيلومترات نحو الجنوب ـ ماؤها عذب يصلح للمصيف ـ وبها منطقة الكدمى الأثرية.

■ **المسيلة**: وموقعها فى الشمال تبعد كيلومترا واحدا عن فرسان سكانها من البدو يسمون (العبوس) ـ انتشر الوعى والتعليم فيها فبادت عادات كانت تميزهم منها الانتقال من المنزل الذى يموت فيه أحد أفراد العائلة.

■ **الحُسينّ**: تبعد حوالى ثلاثين كيلومترا عن فرسان ـ سكانها يشتغلون بالزراعة فى مواسم الأمطار والبعض بتربية الابل.

■ **صير**: وهى أكبر قرى فرسان يفصلها عنها حوالى خمسة وأربعين كيلومترا يمتاز أهلها الذين يقاربون الألف نسمة بصيد الأسماك وبيعها ـ وكانت قديما تشتهر بتجارة اللؤلؤ.

جزر فرسان

الجزر فى فرسان تبلغ حوالى ثمانين جزيرة منها: (فرسان الصغرى) السجيد التى تقدم ذكرها وقراها (المحصور) فى الجنوب الغربى وسكانها من (العبوس) و(خُتْب) على الساحل الشمالى الغربى وأهلها يعملون بصيد اللؤلؤ والأسماك.

وفى الشمال (خوله) وهى عبارة عن أطلال، و(أبو الطوق) تسكنها عائلة الشبيلى التى تمتلك العديد من السفن..

جزيرة قماح:

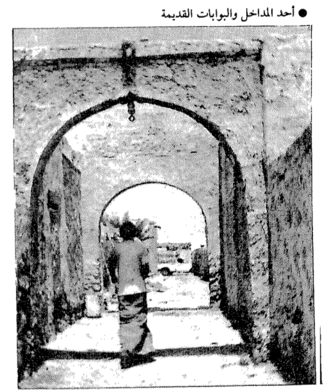
تبعد عن فرسان حوالى ستة كيلومترات جنوب غربها ـ سكانها حوالى مائتى نسمة ـ يهتمون بصيد الاسماك ـ ولهم اتصالات وثيقة بسكان جزيرة (بكلان) اليمنية حيث تجمعهم صلات فى المصاهرة والعادات والتقاليد.

ولعل الحديث عن الجزر يجرنا الى الحديث عن موانىء فرسان ـ ففرسان كلها موانىء غير أن الفرسانيين اختاروا ثغوراً معينة مناسبة على سواحل الجزيرة أهمها تيتا وجنابه وخله والخور وهو الميناء الرسمى الحالى للجزيرة ـ تنتشر فيه المبانى الحديثة والمنشآت البحرية الحكومية التى قامت ببنائها المديرية العامة بسلاح الحدود كما أن به رصيفاً حديثاً لاستقبال السفن من جازان فهو اقرب نقطة لميناء جازان.

صيد اللؤلؤ

إذا كان الانسان بطبيعته محباً للمغامرة طلاعاً لكشف

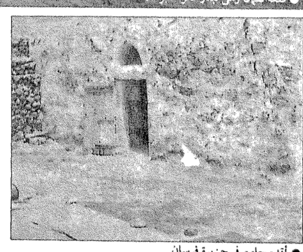
● أحد المداخل والبوابات القديمة



المجهـول . . فما بالـك والطبيعة تدفعه الى ذلك دفعـاً؟ . البحـر بأسراره الواسعة بلآلئه وجواهره ـ وقلة المـوارد المائيـة مما جعـل الاعتماد اقتصادياً على الزراعة أمراً يخضع للاستثنـاء ـ فالـزراعـة بسيطـة وقـليـلة ـ قلة الأمطـار غير المنتظمـة والأرض شعـب مرجـانيـة . . غير أن الفرسانيين بقدر الامكان استـغلوا المسـاحـات الصـالحـة للزراعـة . . ففى القصـار والمحـرق وفى جزيـرة السجيـد واحـات من النخيـل تستمـد حيـاتهـا من الأمطار والآبار المحفورة فى عمق الصخـور ذات الميـاه العـذبـة للرى والشرب وكذلك فرسان فيهـا أشجـار الخزامى والبشـام (غذاء الغزلان التى تشتهـر بها . . كل ذلك دفع الفرسانيين الى الاعتـمـاد معيـشيـاً واقتصـاديـاً على البحر فكانت السفن تسافر فى أوقـات معينة من السنة بحثـاً عن اللؤلؤ الـذى نصبت مصائده بالقرب من شواطىء الجـزر أو بالـقـرب من الجـزر المجـاورة لها مثل جزائر (دهلك) وتعـود السفن باللؤلؤ ليباع فى الأسواق المحليـة لقلة من التجار المشهـورين ولا يمنـع ذلك من السفر لبيعه فى الخـارج حين يكـفـى المحصول للتسوق والبيع فى عدن أو فى دول الخليج العربى وربما فى الهند وباكستان أو بعض بلدان أوروبا والشرق الأوسط .

وهنـاك من اعتمـد على صيـد الأسـماك ـ فهنـاك موسم الحـريد ـ والحريد نوع من الاسماك الوديعة يعرف فى الحجاز وجدة بـ (الماشى) يظهر فى الشـواطىء ضحلة المياه فترة واحدة من كل عام فيحتفل الفرسانيون بقدومه وغالباً ما يكون فى شهرى ابريل ومايو.

● قلعة لقمان وهى تبدو ككومة بركان



● أقدم جامع فى جزيرة فرسان .

العادات والتقاليد فى فرســان

■ من الحيـاة وطبيعتها تأتى العـادات والتقـاليـد وتـرتبـط الحيـاة الطبيعية هنـاك بعادات وتقاليد تميز الفـرسـانيـين ـ سكـان السـواحـل عن غيرهم ـ فمـوسم الحريد إذا توافق مع حفـلات زواج فإن الافـراح تتخـذ طابعـاً

● الجزيرة حافظت على تراثها وموروثها القديم فى تقاليد العرس والأفراح .

● الشعراء الشعبيون فى الجزيرة هم حداة الركب فى مناسباتهم الاجتماعية .

● لجمالها وروعتها تظل فرسان الجزيرة السياحية الرائعة فى ربوع المملكة.

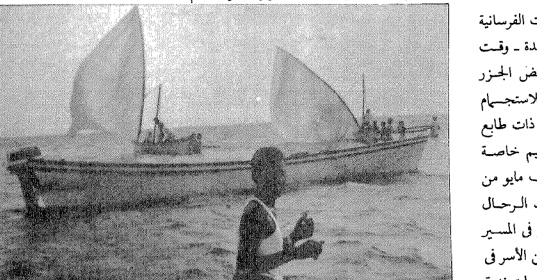
خاصاً . . تجتمع النساء فى بيت العروس عصر كل يوم ابتداء من اليوم العاشر الذى يصادف فيه خروج الحريد ويقوم الشعراء الشعبيون بنظم أشعار تتغنى النساء بها فى بيوت العرائس ـ أشعار رقيقة تمتاز بسهولة الأداء والعمق.

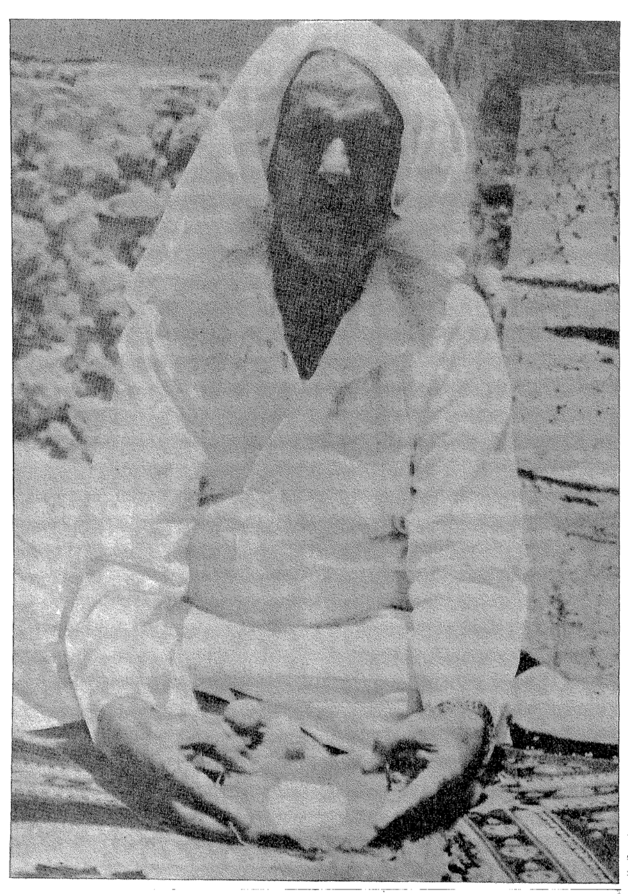
يستمر هذا الاحتفال حتى آخر يوم للحريد والعروس طوال الفترة تتزين وتلبس ما يميزها عن غيرها.

■ ومن العادات الفرسانية أيضاً الشَّدة ـ وقت الذهاب لبعض الجزر والمتنجعات للاستجمام والراحة وهى ذات طابع خاص ومراسيم خاصة تبدأ من منتصف مايو من كل عام ـ تشد الرحال وتبدأ القوافل فى المسير حاملة العديد من الأسر فى جو شاعرى وأمسيات ندية ويكون الوصول ساعة الغروب أو بعدها . . أما إذا كانت الأسرة بينها عروس فمظاهر الاحتفال تختلف . . العروس تتزين ويجتمع فى منزلها صديقاتها وجاراتها ينشدن ويغنين أغانى خاصة تعرف «بأغانى الشدود» مؤلفوها شعراء شعبيون يصفون فيها الجو الشاعرى وساعة الخروج ومظاهر الوداع ومظاهر الاستقبال ويصاحب ذلك ألحان خاصة عذبة . كما يعقل الجمل الذى يحمل العروس ومعها رفيقة من سنها على جمل تزين قوائمه الامامية بأجراس صغيرة تسمى (الجروز) تصْدر أصواتاً منتظمة على ايقاع تبختر الجمل وعلى رأس الجمل توضع قطعة من القماش المطرز بالخرز والفصوص الملونة اللامعة تسمى (العَصْبَة) . . ولها إطار من الرخام . . ومن التكوينات الجبلية الناعمة عبر الطريق تلقى كميات من الحلويات والمشبك ـ (الرمية) . . لأصحاب الجمال الذين يتسابقون فى مرح وسعادة للحصول على نصيبهم . وحين يصل موكب العروس الى المنتجع يستقبل بنفس حفاوة التوديع .

■ وبعد . . فإن الفرسانى يغلب على تكوينه الطابع العاطفى ـ وهو إنسان شديد الارتباط بجزيرته . . عاداته وتقاليده من البيئة الجميلة الهادئة . . فيها الصفاء والنقاء . . صفاء السماء الزرقاء . . ونقاء الماء الأزرق والطبيعة البكر التى يحن إليها دائماً إنسان هذا العصر.

● قوارب الصيد وعلى ظهرها رجال عرفوا البحر وأحبهم





● صيد اللؤلؤ: حين كانت تجارة الجزيرة تعتمد عليه وتصدره الى بلدان مختلفة ومنها أوروبا.. وفي الصورة واحد من تجار اللؤلؤ

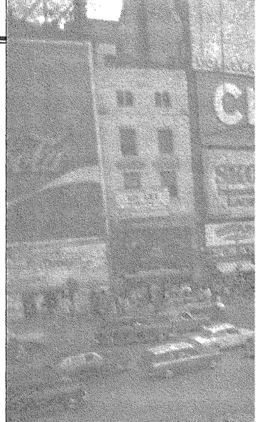


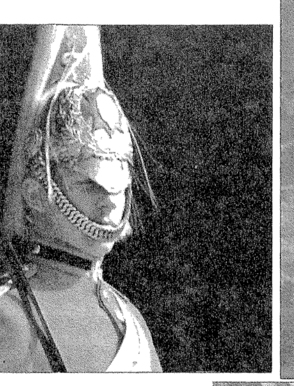
لندن..
الماضى العريق.. والحاضر الطموح

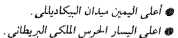
طلعت المرصفى

يظل حى الويست اند فى قلب لندن باستمرار المحطة الاولى التى يتدفق عليها ملايين السياح الوافدين الى العاصمة البريطانية مع مطلع اشهر الصيف او موسم احتفالات رأس السنة الميلادية، لما يضم ذلك الحى من مواقع مميزة، اكتسبت شهرتها منذ مئات السنين.

« البيكاديللى » و«ليستر سكوير»، و«السوهو» و«ريجنت ستريت» و«شافتسبيرى أفنيو» وبما يضم كل منها من مسارح ودور السينما والمطاعم والمحلات التجارية المليئة بمختلف انواع البضائع من الملابس الى لعب الاطفال فضلا عن الشهرة التاريخية لبعض هذه المواقع.







● أعلى اليمين ميدان البيكاديللى.
● اعلى اليسار الحرس الملكى البريطانى.
● أسفل الحركة التجارية والزحام فى أحد شوارع لندن الجانبية.

على ان اكثر المواقع في تلك المساحات الشهيرة من حى «الويست اند» جاذبية واثارة لمشاعر آلاف السياح وخيالهم، تظل **«غابة السوهو»** المرتع الذى يحتل قائمة اهتمامهم والزيارة الضرورية التى لابد من القيام بها الى جانب الجولات فى الاسواق والمتاحف والمسارح مهما كانت جاذبيتها أو امتلاؤها بالمتعة.

■ وبؤرة «السوهو» او غاباتها (مجازا) الواقعة جنوب ميدان ليستر سكوير ويحدها **«اكسفورد ستريت» شمالا و«ريجنت ستريت» غربا و«شيرنج كروس»** شرقا، تضم داخل حواريها وازقتها «نسيج وحدها» والتى لا يشبهها اى مكان آخر فى العالم سوى انجلترا ومنذ بداية تدفق المهاجرين الفرنسيين البروتستانت عليها والسكنى فيها ومنحها طابعا اجنبيا منذ عام ١٦٧٥، امتزج مع مرور عشرات السنين بطابع الحياة اللندنية وان ظل طابعا ومزاجا غريبا يجذب انتباه الوافدين الى العاصمة ويثير خيالاتهم.



ميدان لستر

■ وفى «**واردور ستريت**» على الاطراف الشمالية المطلة على ميدان «**ليستر سكوير**» تحتشد مجموعات كثيرة من المطاعم الصيفية المختلفة الجنسيات، وان بقى منها واحد او اثنان حتى الان يحمل طابع الحى الفرنسى الممزوج بطابع العصر الفيكتورى.

واذا ما تحركت قليلا تجاه الشارع المجاور «**جيرارد ستريت**» تجذبك مجموعة اخرى من المساكن من بقايا القرن الثامن عشر والذى عاش فى واحد منها (فى الرقم ٤٣) الشاعر والناقد والكاتب المسرحى الانجليزى جون درايدن (١٦٣١-١٧٠٠) حيث احتل مسكنه هذا ومنذ ان وفد الى مدينة لندن فى العشرين من عمره، ليصبح خلال سنوات محدودة من ابرز وجوه المثقفين والسياسيين فيها.

■ غير ان تلك المساحة من «السوهو» المملوءة بعبق التاريخ ما لبثت ان اقتطعت عندما شقها شارع «**شافتسبيرى آفنيو**» منذ عام ١٨٨٠، الذى يرفض ابناء العاصمة المتعصبون لكل ما تحويه احياؤها وشوارعها وحواريها وازقتها، تشبيهه ببرودواى نيويورك، رغم تحول «شافتسبيرى آفنيو» الى بؤرة فنية تتجمع فيها اربعة مسارح عريقة (**ليريك - الغنائى - برنس اوف ويلز**) و«**ابوللو**» و«**جلوب**» و«**البافيون**».

وعلى اطراف الشارع الشمالية حيث «كمبردج سيركاس» ينتصب احد مسارح لندن الغنائية ذو الشهرة العريقة الذى لا تضاهيه شهرة اى من مسارح حى «الويست اند» الاخرى فى «**الهاى ماركيت**» و«**ستراند**» و«**دورى لين**» التى ظلت جميعها محتفظة بطابعها الاثير والمميز فى قلوب آلاف السياح رغم رياح التغيير التى هبت



المتحف البريطاني

● *أعلى اليسار المتحف البريطاني.*

● *أعلى اليمين ريتشموند بارك.*

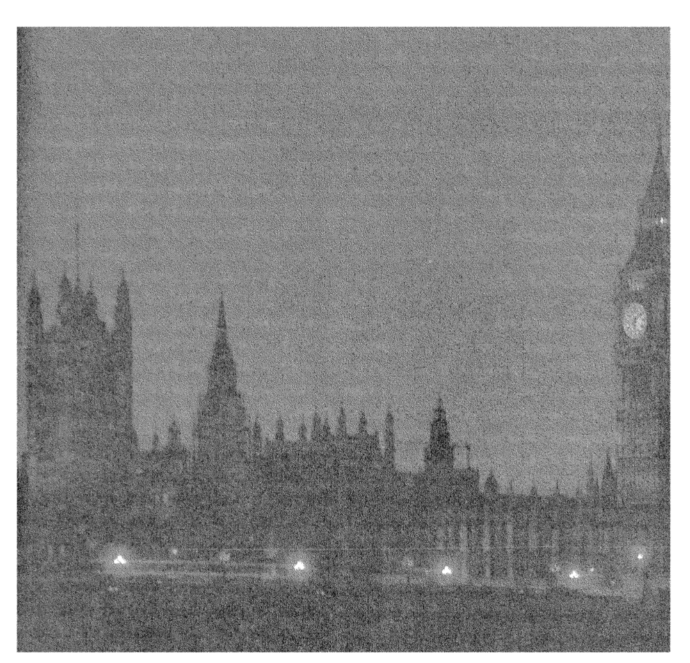
وحملت معها الكثير طوال عدة قرون.

المافيا اللندنية

وتخفي هذه الواجهات المضيئة لشافتسبيري آفنيو من ورائها وفي الشوارع والأزقة الخلفية لحي السوهو، معالم حياة اخرى تتدفق في مطاعمها الايطالية والتركية واليونانية والصينية جنبا الى جنب مع العالم السفلي لقاع العاصمة الذي تموج فيه اساطين الجريمة وزعامات المافيا اللندنية المسيطرة على مشارب الحي والنوادي الليلية واسواق تجارة المخدرات.

غير ان ذلك المناخ المسيطر الذي قد يثير الرعب في قلوب الكثيرين لا يمنع من تدفق السياح لمعايشته في زيارات حريصة تفضل ان تتم جماعية، ودون توغل او اندفاع وراء المثير والغامض اللذين تحفل بهما ازقة السوهو بدءا من «واردور ستريت» و«جيرارد» الى «دين وفريست» و«جريك ستريت» حيث تفرز من عالمها وبصورة متكررة عديدا من الجرائم التي يسقط فيها الضحايا من السذج والعابرين عادة على ايدي عتاة الاجرام والنصابين، ولاعبي الثلاث ورقات وداخل بؤرة اخرى يطلق عليها مدينة الصين او «التشايناتاون» والتي يحتلها مجموعات المهاجرين من هونج كونج ويتخذون من شوارعها مسرحا لممارسة انشطتهم من التجارة في محلات السوبر ماركيت الى ترويج مختلف الوان الممنوع.

وعبرها تخرج اعلى نسب الجريمة التي تسجلها شرطة العاصمة والتي تكون دوافعها الصراعات العنيفة بين ابناء التجمع الصيني الوافد الى لندن

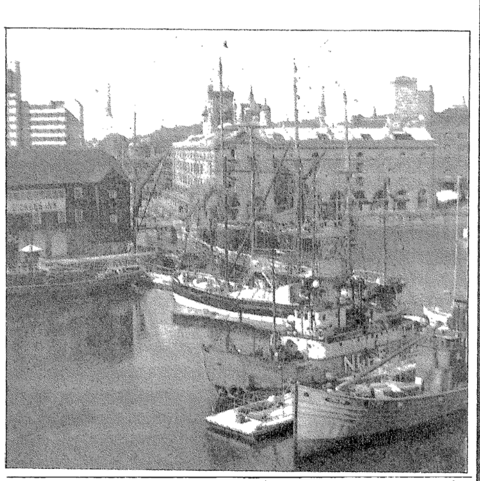


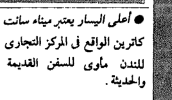
سوق التلات فى لندن

محمد حسن حمودة - القاهرة

فى بلاد العرب اشتهرت الاسواق فى كل مكان ونحن نعنى بالاسواق الاسواق العابرة التى تقام صباح احد الايام وتنتهى فى نفس اليوم ويعتمد الباعة على عرض بضاعتهم على عربات خشبية او طاولات وفى بلاد العرب اسماء عديدة لهذه الاسواق لعل اشهرها سوق العصر وسوق الثلاث وهنا فى لندن نفس الاسواق وبنفس الاسلوب بالرغم من كافة مظاهر التقدم والاساليب الحديثة فى البيع . . والاعلانات لجذب المشترين.

وللاسواق القديمة حتى اليوم روادها والمتعاملون معها وهواة الحضور اليها بالرغم من كل مظاهر التقدم والمدنية فى المحلات





● أعلى اليسار يعتبر ميناء سانت كاترين الواقع فى المركز التجارى للندن مأوى للسفن القديمة والحديثة.



● تاجر شنطة فى السوق

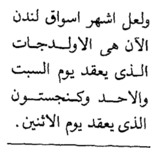
الحديثة لأن فيها كل مظاهر الطبيعة.. القديمة الموروثة.

الاسواق.. وتقاليد موروثة

ولهذه الاسواق فى لندن تقاليد متوارثة عبر قرون ماضية تمثل تاريخ بريطانيا وفى لندن بالذات خلال القرون الماضية حيث كانت لندن هى منطقة وسط المدينة اما الاطراف فقد كانت تمثل ريف لندن وفى كل يوم من الايام على مدار الاسبوع كان يعقد سوق فى احد الاحياء يحضر اليه ابناء ريف لندن يحملون انتاجهم من الخضروات والدواجن والبيض وخلافه والى جانبهم ايضا كان تجار لندن يبيعون الثياب والاقمشة والادوات المنزلية وظلت هذه العادة تتوارثها الاجيال ولم تتغير فى شىء فلا تزال نفس الاسواق ونفس البضائع وان اختلفت نسبيا من ناحية النوع تبعا للتقدم الصناعى، والاختلاف الوحيد الذى حدث أن ريف لندن القديم اصبح جزءا من المدينة







● أعلى اليمين قصر كينسينجتون حيثيجرى عرض مجموعه فاخرة من ملابس رجال القضاء والقانون.
● أسفل شارع أكسفورد حيث توجد معظم المحلات التجارية الرئيسية فى لندن.

ولعل اشهر اسواق لندن الآن هى الاولدجات الذى يعقد يوم السبت والاحد وكنجستون الذى يعقد يوم الاثنين.

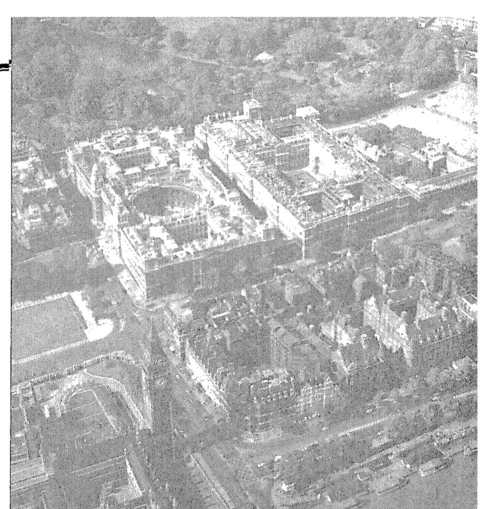
سوق من ايطاليا

ليورتويولود هو اول هذه الاسواق التى زرتها.. وهى على مسافة مئات الامتار من محطة تدوتو سيتنج هيل لندن وقد اسس هذا السوق الايطاليون الذين كانوا يقيمون فى لندن ولذا اطلق عليه هذا الاسم الايطالى وهو السوق الوحيد فى العاصمة البريطانية الذى يعقد لمدة يومين متتاليين ويضم كل الاشياء ابتداء من الخضار والفاكهة الى المعاطف الفرو والادوات المنزلية الى لعب الاطفال الى العدد.

وفى السوق قابلت سيدة عجوزا تبيع الفاكهة.. وقالت لى انها تقف فى هذا المكان منذ ربع قرن واشارت الى المكان المجاور لها وقالت هنا بجانبى كانت تقف عربة عليها زوجان فى مقتبل العمر وكانا يدرسان فى جامعة لندن ويقومان بهذا العمل فى نهاية الاسبوع حتى يدبرا نفقات الدراسة والمعيشة وبعد سنوات قليلة حصل الزوجان على الدكتوراه ومازالا يحضران بين فترة وأخرى ليقابلا زملاءهما فى السوق ويفخر انهما استطاعا من خلال تجارة الملابس المستعملة ان يحصلا على اكبر الدرجات العلمية.

تجار الشنطة

السوق الثانى وهو اكثر شهرة وخاصة عند العرب هو سوق الاولدجات.. هذا السوق يقام يوم الاحد وفيه معظم تجارة اليهود الشرقيين اى الذين كانوا يقيمون بالدول العربية



● لندن المدينة التى يفضلها الكثيرون للتجارة ولمزاولة اعمالهم.

ولهذا فهم يتكلمون بالعربية بمختلف لغاتها المختلفة من مصرية الى عراقية ولبنانية او مغربية.. هذا السوق من العرب كما يرتاده بعض تجار الشنطة من المصريين وغيرهم.. فبعد ان اغلقت سوق بيروت امامهم بسبب الحرب الاهلية اتجهوا الي لندن وسوق اليهود بالذات فهم دائما يصلون على الطائرة القادمة يوم الجمعة ليحضروا سوق اليهود يوم الاحد ويسافرون

سوق العجائز

السوق الثالث فى الشهرة فى لندن هو سوق كنجستون وبالرغم من وقوعها فى الضواحى وبعدها عن لندن الا ان معظم اهالى لندن يحضرون يوم الاثنين لكنجستون خصيصا لهذا السوق وفى الفترة من الثامنة صباحا حتى الثانية بعد الظهر فان كافة وسائل المواصلات بين لندن وكنجستون تجدها مزدحمة برواد السوق ومعظمهم من السيدات الانجليزيات المتقدمات فى السن وشهرة السوق ان يبيع اشياء جيدة وبأسعار ارخص بكثير من اى سوق آخر ومثلا فإن معطف المطر تستطيع ان تحصل على نظيره من هذا السوق باحد عشر جنيها واشرطة التسجيل الفارغة تباع بخمسة وعشرين بنساً حين ان ثمنها يصل فى المحلات الى ٩٠ بنساً ولا أخفى سراً اننى كنت من رواد هذا السوق لرخص اثمانه.

وهناك اسواق فرعية صغيرة كسوق روبين هود الذى يعقد يوم الاربعاء وتعرض فيه المرايا المرسوم عليها بعض الصور والتى يطلق عليها اسم مرايا البحار والبطاطس بأقل من اثنين من الجنيهات الاسترلينية.

الأمر العجيب: فى هذه الاسواق انها بمجرد ان تنتهى وبعد اقل من ساعة تجد هذا المكان نظيفا ليس فيه اى ورق او اثر يدل على ان هذا المكان منذ فترة كان مزدحماً بالناس وكانت ارضه مغطاة بالاوراق وبقايا الفاكهة وخلافه فما ان ترفع الطاولات وتسحب العربات حتى تأتى عربات ضخمة ينزل منها عدد من الاشخاص وفى فترة قصيرة يكون كل شىء على ما يرام وكأن شيئا لم يكن.

الثابت والمتحرك

للأمم ثوابت فى حياتها تستمدها من عقائد روحية، أو مادية او من عادات وتقاليد متوازنة . . ومناط هذه الثوابت مناط منطقى، فالانسان أنى كان يشعر بحاجة فطرية الى أسس ثابتة لحياته . . فالثوابت الروحية التى وضعها الله للانسان مناط فطرى يشعر معها بحقيقة كينونته وما بينه وبين مخلوقات الله الأخرى من فوارق وتفاضل.

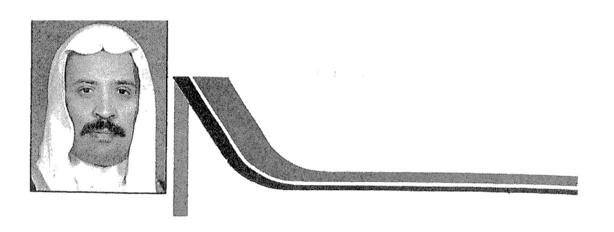
والثوابت البشرية المادية من نظم وقواعد مناط اجتهادى يوجدها البشر لتنظيم حياتهم، وضبط سلوكهم . . ورغم ما يعتريها من نقص وعجز عند مقارنتها بالثوابت الزوجية الا انها تظل فى نظر اصحابها حداً ينطلقون منه لتصريف أوضاعهم.

والتقاليد والعادات قانون تلقائى يوجده الانسان بدافع من حاجته المتجددة ثم يتراكم بفعل الزمن، وما يضيفه اليها التوارث من زيادة وتهذيب لتتحول بالتالى الى قبول والتزام ثابت . . نجد هذه التقاليد بما فيها من طقوس عند اليابانى حتى فى التصرفات اليومية البسيطة كتناول الطعام والشراب . . ونجدها عند الانجليزى فى اشد الالتزام فى علاقته مع نفسه، ومع غيره حتى تصبح عنده فى حكم القانون الملزم . . وهى فى شريعتنا محل الاعتبار والالتزام حيث قال المصطفى ﴿ﷺ﴾: «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» ثم قعد ذلك فقهاؤنا فقالوا **«العادة محكمة» و«المعروف عرفا كالمشروط شرطا»**.

والمحافظة على الثوابت من التغيير والتعديل أمر ضرورى توجبه مصلحة الأمم بل وضرورات وجودها . . ذلك أن كل أمة معرضة ـ من داخلها وخارجها ـ للهجوم على ثوابتها فالانجليز مثلا . . يقولون انهم يخشون من انحسار تقاليدهم، وانحاط حياتهم بفعل العنصر الوافد من آسيا وافريقيا وقد سبق لليابانيين أن فزعوا من تعرض تقاليدهم للهجوم من قبل ابنائهم الذين ذهبوا الى الغرب فى بداية نهضة اليابان فقاوموا من قاوموا منهم بالنفى والطرد وربما بالموت.

قلت: ونحن فى مشرقنا ومغربنا اشد ما نكون خشية من الهجوم على ثوابتنا، ذلكم أن الصراع الحضارى يأخذ أدوارا متعددة وابعادا خفية تنطلق فى أهدافها وغاياتها الى خلخلة الموروثات ومحاولة استلاب العقل تحت غطاء من حجج مختلفة تلبس تارة لباس الهجوم المبطن فى صيغ متعددة باسم البحث والنقد المنهجى كالهجوم تارة على كتاب الله المنزل على رسوله بتحريفه وتأويله، والتشكيك فيه. وتارة فى التعرض لرسول الله ﴿ﷺ﴾ فى افعاله وأقواله مما تمتلىء به كتب العديد من المبتدعين، والمستشرقين واتباعهم.

■ وتلبس هذه الحجج تارة أخرى لباس البحث التاريخى ونسج القصص والاساطير عن سلوك الأجيال الأولى فى



السلسلة التاريخية الاسلامية ومحاولة تشويه منهجها في الحكم والسلوك، واضفاء نعوت المدح على كل خارج على الثوابت ووصفه بـ العقلاني والعلمي، واقحامه في التاريخ، واحتساب زيغه على الحضارة مع الدعوة الى تقليده والاعتقاد في ارائه... انظرو كم شوهوا تاريخ الخليفة هارون الرشيد الذي كان يحج عاما ويغزو عاما لنشر رسالة الاسلام في بقاع الارض.. وانظرو كيف يوصف ابن عربي والحلاج ـ بالريادة العلمية والاستدلال بارائهما.

■ ما هو التحريك أوالتحرك الذي يريده هؤلاء؟ وقبل الاجابة على ذلك ينبغي ان نحدد المتحرك وعلاقته بالثابت ثم نحدد بالتالي طبيعة دعاته.

■ إن للتحرك في مفهوم الامم المحافظة على حضارتها وجهين: الاول ـ تحرك زمني يتم في اطار الثابت نفسه بادخال التجديد الزمني الذي لا يتعارض معه في أساسه.. فالتحرك في اطار القواعد الروحية هو في تقريب مفاهيمها وتبسيط قبولها، والتشويق لها وتهيئتها للتغلب على العقائد المادية.

والتحرك في اطار اللغة يعني تطويرها بتفجير مفاهيمها لتتفاعل مع عصرها وهذا واضح في التجديد اللغوي كما يفعله الامريكان والانجليز بلغتهم بادخال مفردات التقنية عليها وتبسيط قواعدها، وتسهيل قبولها.

والتحرك في اطار العادات والتقاليد هو في تهذيبها والتخلص مما لا يتفق منها مع موجبات العصر ومقتضياته وهكذا.

قلت: اما الحجة التي يراد بها هدم الثوابت بطرق استلابية منظمة فهي ما يقال عن ضرورة **«التحرك»** تحت صيغ **«التحديث»** و**«التجديد»** و**«التفاعل المنطقي مع الزمن»** للتغلب على ركود العقل وما يؤدي اليه وقوفه عند حدود الفكر المتوارث من توقف حضاري.

وفي كل الأحوال يبقى الثابت ثابتا ولا يتم التحرك الا في اطاره، ووفق قواعده وأسسه.

قلت: أماما يريده دعاة التحرك الجدد فيختلف عن هذا اختلافا كبيرا.. فهم يريدون الثابت تاريخيا يتحرك بتحرك الزمن، وينتهي بانتهائه.. أو بالاحرى يفهمون الموروث «الروحي فهما ماديا ويشككون فيه وكأنه مجرد طرح فكري قابل للرفض والجدل.. ويفهمون اللغة وما تجسده من خصائص بأنها مجرد تركيب لفظي يخضع للاجتهاد المطلق والتصرف فيها بالتغيير والتعديل أو النسخ لكل ثوابتها.

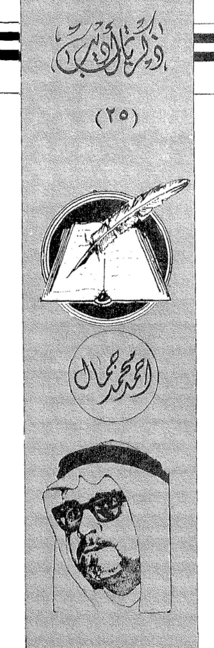
قلت: وهؤلاء من دعاة التحرك هم في الأعم والمؤكد نقلة للفكر الاجنبي وهم في العلاقة به على صنفين:

الاول ـ صنف أثقلته العُقَد في نفسه إما بفعل تربية غير سليمة عاشها في صغره، أو بحكم أزمات شخصية عاني من مرارتها في مجتمعه ثم تصور خطأ أن السبب في معاناته يرجع الى الوضع الحضاري الذي يعيشه وان عليه أن يصحح هذا الوضع بفكر بديل ينتقم به من مجتمعه بعد ان اعتبره ـ خطأ ـ مسئولاً عن عقده ومعاناته.

■ ولو تتبعنا حياة الاشخاص الذين يدعون الى هذا التحرك المريب لرأينا كيف عانوا في تربيتهم وكيف يعانون في حياتهم، وكيف يحاولون حل عقدهم بالكيد لأمتهم والخروج على ثوابتها.

الثاني ـ صنف عجز عن بذل العطاء لأمته فتحول الى ناقل مقلد يستلبه المظهر في لمعانه، وتستهويه الفكرة في غلافها، وتغويه الحجة الباطلة في جدلها بعد أن ضعفت مناعته، وانهزم في ذاته وكما قلنا من قبل فإن وراء هؤلاء «مجامع» فكرية منظمة ترصد هؤلاء في سلوكهم لتشغل ضعفهم، وانهزامهم بالعديد من المغريات ليكونوا رسلها فيما تدعو اليه، وعونها فيما تعجز عنه.

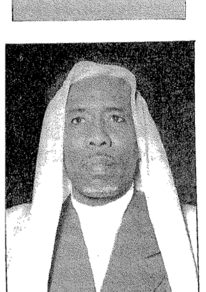
■ اما كيف تقاوم الامم هذين الصنفين فذلك له حديث آخر.. والله المستعان.

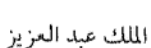




تركت العمل بالمحكمة الشرعية الكبرى سنة ١٣٦٥هـ الى جريدة (البلاد السعودية) سكرتيراً لتحريرها مع الاستاذ عبد الله عريف ـ رحمه الله ـ وكنا الموظَفَينِ الوحيدين ادارة وتحريراً بل وتصحيحاً لتجارب المطابع. وكانت تصدر فى البداية مرة فى الأسبوع ثم مرتين، ثم ثلاث مرات اسبوعياً سنة ١٣٧٠هـ ثم صدرت يومية بعد ذلك. وكانت الجريدة الوحيدة فى المملكة مع الجريدة الرسمية (أم القرى) المختصة بنشر الاعلانات والبيانات الحكومية والعلامات التجارية الفارقة، والمراسيم والأوامر الملكية.. الخ.

وكانت هناك خلال فترة عملى بجريدة (البلاد السعودية) أزمات ومشكلات بسبب مقالاتى وكلماتى التى تنشرها لى الجريدة.. وكان الشيخ محمد سرور الصبان ـ رحمه الله ـ رئيسا لشركة الطبع والنشر صاحبة امتياز اصدار هذه الجريدة يشملنى بعطفه ولطفه، الى جانب تحمل الاستاذ عبد الله عريف وصبره الجميل على المشكلات والازمات.


محمد سرور الصبان



الملك عبد العزيز



الملك فيصل

■ غضب عليّ ذات مرة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ عندما كان نائباً لأبيه الملك عبد العزيز ـ خلال هذه الفترة ـ لأنى كتبت كلمة أنتقد فيها (لجنة التوفيق الثلاثية) التى تألفت من قبل الأمم المتحدة للتوفيق بين اسرائيل والدول العربية . . وبخاصة لأنى تناولت بالنقد العضو التركى فيها .

■ وغضب عليّ مرة أخرى وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان ـ رحمه الله ـ لخطأ غير مقصود او لفهم خاطىء منه لآية قرآنية وضعتها فى الاطار الصغير الواقع على جانب عنوان الجريدة الأيمن . . فقد تعودنا ـ كدأب كثير من الصحف أن نضع (حكمة) فى هذا الاطار الجانبى الأيمن إما آية من القرآن الكريم او حديثاً نبويا أو بيتاً من الشعر .

فاتفق ان وضعتُ فى أحد الأيام فى هذا الاطار هذه الآية ﴿*قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث*﴾ . . وبدأ طبع الجريدة بعد المغرب أو بعد العشاء والصفحة الاولى من الجريدة تغطى عادة بالأخبار الرسمية المهمة والأخبار السياسية الخارجية ، وكلمة رئيس التحرير (همسة) التى يتناول فيها بالنقد الحكيم قضايا المجتمع ومشكلات الادارة الحكومية .

فوجىء رئيس التحرير بأمر من وزير المالية بضرورة نشر نظام الزكاة والدخل على الصفحة الأولى ـ وهو يستغرق الصفحة كلها وتبقى له بقية للصفحات الداخلية . . فاضطر الاستاذ عبد الله عريف ان يحذف جميع الأخبار الرسمية المحلية والسياسية الخارجية وهمسته ايضا ويضع مكانها (نظام الزكاة والدخل) بمواده العديدة المليئة بالأرقام والنسب الحسابية .

ولم نلاحظ ـ انا والاستاذ عريف ـ أنه يجب علينا حذف الحكمة من رأس الجريدة وهى الآية الكريمة التى تتحدث عن الخبيث والطيب بصفة عامة ، دون قصد منى للتعليق على نظام الزكاة والدخل . . لانها وضعت قبل ان تكلف الجريدة بنشر هذا النظام على الصفحة الاولى أو حتى على الصفحات الأخرى .

فكان أن سبق الى ذهن وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان ـ رحمه الله أن المسؤول عن وضع هذه الآية فى رأس الصفحة الأولى ـ وهو أنا ـ يقصد انتقاد النظام ،







عبد الله السليمان — محمد امين كتبي — احمد السباعي

ويعرِّض بأحكامه وموضوعاته.

وطلب ـ رحمه الله ـ إحضاري الى مكتبه بجدة فاصطحبني الشيخ محمد سرور الصبان ـ رحمه الله ـ معه ذات مساء الى جدة حيث يقيم الشيخ عبد الله السليمان.. فاستقبلني بعاصفة من السباب واللوم والاتهام بأنى اقصد ملامة الدولة لإصدارها نظام الزكاة والدخل بأسلوب اللمز والغمز والتعريض.

وأقسمت له بالله أنى ما أردت ذلك، ولا خطر في بالي ما توهمه معاليه.. لأني وضعت الآية المذكورة قبل أن يصل النظام الى الجريدة، وقبل ان يكلف بنشره في الليلة ذاتها بعد أن تم إعداد الجريدة للطبع.

■ وهكذا كان الموقف: سوء ظن من مسؤول كبير بسكرتير تحرير بريء ولكن صحبة الشيخ محمد سرور الصبان لي خففت من غضب معالي الوزير.

■ وخلال عملي في جريدة البلاد ـ في عام ١٣٦٧هـ كتبت مقالة في صورة قصص قصيرة تحت عنوان (صور من المستشفى العام) ونشرتها بمجلة الرابطة الاسلامية التي يصدرها في مصر الاستاذ محمد شاهين حمزه ـ احد النواب الوفديين في مجلس النواب المصري ـ وقد وشى بي بعض المستشارين السوريين لدى الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ

فأفهموه غير مرادها، فأمر بحبسي فحبست سبعة ايام في السجن الاحتياطي الذي كان يقع وراء مبنى مديرية الامن العام (الحميدية) بمكة المكرمة، ثم عفا عني بشفاعة المرحوم الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ جزاه الله عني خيراً(١).

■ انتقلت بعد هذه الازمات والمتاعب الصحفية الى وزارة الداخلية ـ كما أشرت الى ذلك في حديثي عن العمل بالوزارة ـ ولكني ظللت اكتب في الصحف والمجلات المحلية والخارجية.. الى ان انشأ اخي الاستاذ صالح محمد جمال جريدة (حراء) التي تحولت بعد ذلك الى (الندوة) في عهد لندماج الصحف السعودية بعضها في بعض، وكانت «الندوة» من امتياز الاستاذ احمد سباعي رحمه الله، فرأى اخي صالح ان يعوضه ماليا عن نصيبه وينفرد بها دونه فوافق على ذلك.

وكانت لي مشكلات وازمات خلال عملي ـ غير المتفرغ ـ في حراء والندوة ذكرتها في مواضع اخرى.

وبمناسبة الاشارة الى مجلة (الرابطة الاسلامية) المصرية التي كنت اكتب فيها بعض المقالات ارى انه لابد من ذكر شيء عن علاقتي الصحفية بهذه المجلة وبصاحبها ـ رحمه الله ـ.

■ فقد بدأت الكتابة فيها بقصتين تحت عنوان: «من صور الحياة» تحدثت فيهما عن بعض القضايا التي كانت تعرض على المحكمة الشرعية الكبرى التي كنت اعمل فيها في وظيفة (كاتب ضبط) اي الكاتب الذي يعمل مع القاضي ويسجل اقوال المتقاضين ودعاويهم وشهادات

الشهود واسئلة القاضى واجوبة المتخاصمين والعمل فى هذه الوظيفة عمل مهم ونافع - فهو أشبه بمدرسة بل بجامعة . . لأن الموظف يستفيد من خبرة القاضى، ومواقفه وتصرفاته وأحكامه فى القضايا المعروضة عليه، كما يتعظ بقضايا المتنازعين ومشكلاتهم من ازواج وزوجات واباء وامهات، وابناء وبنات.

■ وقد عملت فى المحكمة الشرعية الكبرى مع القاضى الفاضل السيد محضار بن عبد الله عقيل - رحمه الله - ثم مع القاضى الشيخ جعفر الكثيرى . . واستفدت من الأول كثيراً من المعارف والتجارب القضائية وصور الخصومات الحقوقية والزوجية.

■ ومن هنا كانت كتابتى لقصتين من قصص المحكمة بمجلة الرابطة الاسلامية فى عددها الصادر فى ١٣٦٥/١٠/٣هـ - ١٩٤٩/٨/٣١م. وكانت القصة الاولى عن زوجين تخاصما. . وخرجت الزوجة من بيت زوجها رافضة ان تعود إليه، ومتهمة له بتهمة قبيحة . . انكرها هو انكاراً شديداً وحاول القاضى ان يصلح بينهما فأبت الزوجة . . الخ.

■ وكانت القصة الثانية عن أب جاء يشكو الى المحكمة عقوق ابنه إذ لا ينفق عليه . . وكانت اجابة الابن أن أباه قذف به طفلاً الى أمه بعد طلاقه لها فأنفقت عليه وربته وعلمته، وان ما يكسبه من مال لا يفى بحاجته وحاجة امه فهو لذلك لا يستطيع أن ينفق على أبيه درهماً واحداً . . وعجز الأب عن إثبات دعواه قدرة ابنه على الإنفاق عليه فصرف القاضى النظر عن دعواه . . الخ.

■ ومن مقالاتى التى نشرتها فى مجلة (الرابطة الاسلامية) المصرية: مقالة عن العالمين الحجازيين السيد محمد أمين كتبى والسيد علوى مالكى رحمهما الله بعنوان: «رجلان فى أزهر الحجاز» وقصيدة عن موسم الحج واجتماع المسلمين فى أداء فريضة الحج من مختلف الأقطار والاجناس وانها فرصة للاتحاد والاتفاق على عمل اسلامى واحد . . كان من ابياتها:

أبى الحب الا ان نبوح به جهراً
لمصر فكم أيد لها عندنا كبرى

■ *ومنها:*

بنى بردى والنيل ابناء دجلة
وزمزم هل تدرون مشكلة كبرى
يسوء العلا والدينَ حالُ جفائنا
وان سر قوما صبروا ميلنا شبرا
لئن كان حكم الارض باعد دورنا
وأفسدت الاعداء أحوالنا ختراً
فقد اصلحت ما بيننا وحدة المنى
وقد جمعت اشتاتنا جمعة الذكرى

■ *ومنها:*

وقد جاء هذا الحج أسمح فرصة
بتوكيد عهد لا يباع ولا يُشرى

■ *وكان ختامها:*

فإن نحن أعمالنا الخطى جاء نصرنا
وإن طال منا القول ما أبعد النصرا

■ ونشرت «الرابطة» لى مقالات متعددة متتابعة فى النقد الادبى والدراسات القرآنية وتراجم لشخصيات حجازية وغيرها، وعندما زرت مصر وأردت ان اتعرف على صاحب المجلة ورئيس تحريرها الاستاذ محمد شاهين حمزه . . استقبلنى استقبالا حاراً لم أكن اتوقعه ودعانى الى مائدة عشاء عامرة حضرها بعض العلماء المصريين كان فى مقدمتهم الدكتور احمد الشرباصى رحمه الله . . الذى قال عندما رآنى: «كنت اتصورك عندما اقرأ لك فى مجلة الرابطة ما تكتبه فيها من مقالات ودراسات وانتقادات - كنت اتصورك شيخاً كبيراً . . واذا بك شاب فى الخامسة والعشرين».

الهوامش

(*) حق هذه الحلقة ان تتقدم سابقتها . . فمعذرة للقارىء الكريم وسيصحح ترتيب الحلقات حسب التاريخ عند اصدارها فى كتاب باذن الله وعونه.

(١) تحدثت عن مودة الشيخ عمر بن حسن لى وعطفه على فى حلقة أخرى.

كانت القلب يقول..

مناجاة يراع خفاق .. يستطيب التجربة وينفعل بالوجد .. يرتحل فى أعماق الذات الانسانية فيحصد المعنى المُعنّى .. ويتواصل مع نمير الكلم العذب فيطوع شارده ويعصف بركيكه وصولاً لغرض انفاسه فى طواعية واقتدار عبورا للمتلقى والمبدع على حد سواء.



عزيز ضياء

جرأة أهدابها (٢)

فى مغارة حمراء خبأتها
فى مياه عينى .. أغرقتها .. ونشرت حولها الضباب
وفى كهوف الصمت .. فى الليل .. اغرقتها
هناك هى .. ذكرياتى .. ذكرياتى الحبيبه

* * *

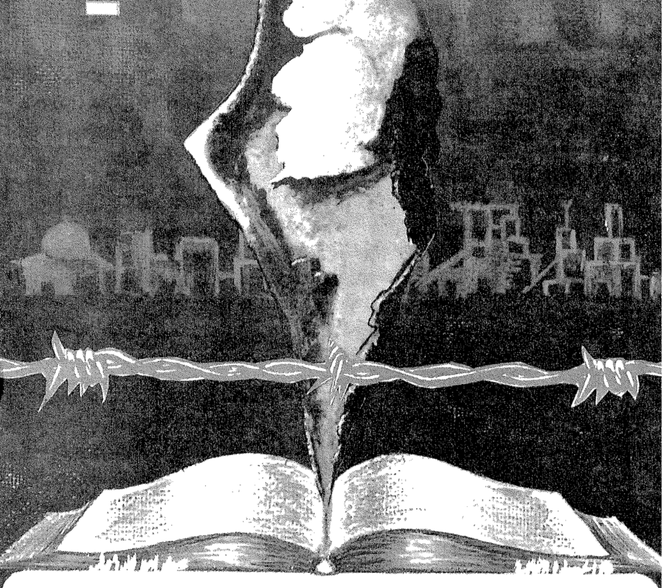
ذكريات بعيدة ... ولكنها مضيئه
مشعة تحت غبار الأيام
ومعها .. وفى جوف الليل .. همست اغانىّ الخرساء

* * *

حفنة من الشمس .. اذبتها فى زرقة الأمواج
شمس .. كنت اعيش دفئها
كانت تتسلل الى اعماقى
كانت تضىء تلك الاعماق .. رغم كل الظلام فى الحياه ..
ولكننى اليوم .. أهرب .. أهرب وأختفى معها
مع ذكرياتى البعيده
فى مغارة حمراء
ولكن .. ما أشد جرأة أهدابها
ظلال .. وشلالات ضوء ..
اسمها فتنة .. وسحر ..
تلاحقنى .. حتى فى هذه الكهوف
فيا ترى .. اين اجد الملاذ
ترى كيف أنسى
كيف أمحو الذكريات؟؟

العدد الواحد والثلاثون رجب ١٤٠٩ هـ

فلسطيننا



لنكن صرحاء

حكمة المنظمة وهستيرية الصهاينة

خلال الأشهر القليلة الماضية مرّت القضية الفلسطينية بمجموعة من المتغيرات السياسية فى توجهها نحو المؤتمر الدولى للسلام.

وعلى قمة هذه التوجهات الايجابية كان قرار إعلان قيام الدولة الفلسطينية . . وكان القرار حكيماً حيث حول مجريات الأحداث ووضعها فى ما ينبغى ان يكون لها من توجه . . ومدلوله العام أيضاً يعطى اشارات واضحة لخطوط السلام وأساسياته التى ينبغى أن تكوّن ركائزه ومنطلقاته . . والقرار فى إجماله يحترم الشرعية الدولية التى تكفل الحقوق لأهلها وأصحابها . . وبهذا المنطق فإن أرض فلسطين ينبغى ان تكون لأهلها من غير نزاع فيها ولا مشادة . . لكن إذا ما ظلت الاطماع الصهيونية تنشب أظفارها فى حق غيرها وإذا ما ظلت إدعاءاتها وأباطيلها تسرى عبر كل أجهزة الاعلام الغربى والشرقى المتواطىء معها فإن الشرعية الدولية نفسها تظل متأرجحة فى قرارها . . ومما يزيد من محنة القرار الدولى أن العدو الصهيونى لا يعيره أى التفاتة . . وقرار قيام الدولة الفلسطينية لاقى ترحيباً كبيرا فى الأوساط الدولية والعربية . . وكانت المملكة العربية السعودية أول دولة اقامت سفارة للدولة الفلسطينية رفع فى قمة ساريتها العلم الفلسطينى . . ولا شك ان هذا العمل يأتى ضمن الدعم المتواصل من المملكة العربية السعودية للقضية الفلسطينية .

■ ويأتى قرار الكويت والبحرين والاردن وغيرها من الدول العربية بتحويل مكتب المنظمة فيها الى سفارة فلسطينية ليؤكد هذا الدفع القوى للقضية الفلسطينية وعلى هذا المحور تتابع قيام السفارات لدولة فلسطين .

واسرائيل ـ بالطبع ـ لا يعجبها هذا التصرف الحضارى الذكى، بل هى تعمل بكل السبل لقفل هذا الباب ـ باب السلام ـ وباب المفاوضات الهادئة غير المتشنجة ولا المتزمتة وباب النقاش الموضوعى المبنى على احترام الآراء .

ويبرز دليلاً واضحاً وجلياً على كل ذلك، الصرعة الهستيرية التى اصابت الكيان الصهيونى من جراء هذا التصرف الهادىء الحكيم من قبل المجلس الفلسطينى ومنظمة ومنظمة التحرير الفلسطينية . . مما جعل الصهيونية تعمل جاهدة لإجهاض حركة السلام التى لا تزال وليدة .

« فلسطيننا »

حسن الفلسطيني والثورة الحجارة

شعر: عائشة الخواجا

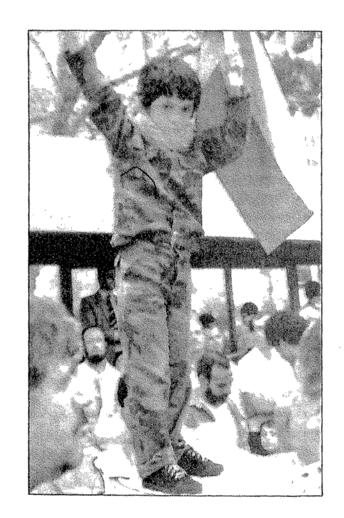
حسنٌ يسنُّ حجارة الوطن
المضرَّج بالجراحْ ..
حسن يودع بيته
عند الصباح ..
وكما تعوّد فى السنين
بلا ارتياحْ ..
يتأمل الحجر الذى أضحى له
بدل السلاح ..
يأتى لجدته العجوزْ ..
ويقبِّل الكف التى أهدته
من رضف الطوابين الحجاره
قالها: يا جدتى .. هذى الحجارة
فى يدى ..
أغلى من الغيد الملاح ..

●●●

حسنٌ تغطيه الهموم ..
ولم يزل
للأرض شدواً ..
ما استراح ..
ويواعد الأولاد عن
آتى الزمانْ ..
وإن تحدث عن « بلاطة »
طمأن الأحباب .. أن بلادهم
لن تُستباحْ

●●●

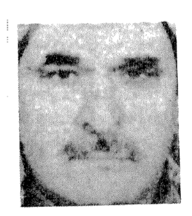
حسنٌ يودع أمه ..
وكأنه فى كل يوم راحلٌ ..
ومفارقٌ .. وعلى ملامحه انشراحْ ..
أبُنَىَّ عشْتَ
حبيبَ أمك ..







بقلم:
محمد محمد حسن شراب
« المدينة المنورة »



شعر المقاومة فى الأرض المحتلة لم يكن معروفاً قبل أوائل الستينات حيث بدأ يعرف بعد ذلك.. وهناك عدة اسباب أدت الى ازدهار حركة الشعر فى فلسطين المحتلة منها: المحافظة على الهوية ـ محاولة صنع القيادة الناضجة ـ ايصال الصوت الفلسطينى الى أبعد مدى ممكن.. مع الاحتفاظ للقصيدة بدورها الفاعل فى حركة النضال..

وتناولت الحلقة الماضية من هذه الدراسة العميقة هذه الموضوعات بالتفصيل.

■ **ما خصائص شعر المقاومة الفلسطينى، وفى أى مكان نضعه من شعرنا العربى؟ .**

● للجواب عن هذا السؤال نسجل ما يلى:

■ لقد وصل شعر المقاومة الى القراء فى الوطن العربى متأخراً بل نكاد نقول إنه وصل الينا فى أوائل الستينيات دفعة واحدة، فأقبل عليه القراء والنقاد ودور النشر وأولوه عنايتهم وحبهم العارم ومضت أعوام وصوت شعراء الأرض المحتلة هو الصوت الاول والأخير الذى يحق له الارتفاع فى ميدان القضية الفلسطينية وغمر الحب هؤلاء الشعراء حتى تضايقوا منه لأن الحب غير الواعى يضايق المحبوب، حتى وقف محمود درويش مرة فى وجه النقاد صائحاً: «أنقذونا من هذا الحب القاسى» وبعث يومها أحدهم من الأرض المحتلة يقول: «لقد تمكنا أن نخلق بكل تواضع أدبا كان بالنسبة لشعبنا بسيطا كالخبز وضروريا مثله، ونحن نرفض المديح المبالغ فيه لنا، فنحن فى آخر الأمر نتاج التفاعل الغنى الخصب مع أدب شعبنا فى الوطن العربى الكبير، وحسبنا أن تقرأوا أشعارنا وتنشروها مع أننى أخشى ان يكون تأثير ذلك على بعضنا سلبياً».

■ اذن خشى بعض شعراء الأرض المحتلة على أنفسهم أو على بعضهم من هذا الحب الجاهل ـ أو ان شئت قل: حب العطف والشفقة. فهؤلاء الشعراء يعرفون منزلتهم الشعرية وموهبتهم، ويعرفون ماذا عليهم ان يكتبوا ويعرفون أن بعضهم ما زالت تنتظره رحلة طويلة من البحث والمعاناة والدراسة والتثقف والامتزاج بأدب الأمة ونضالها..

● خصوصية شعر المقاومة تستند على ما عايشه الشعراء أنفسهم من معارك وما عرفوه من اضطهاد وخديعة .

● من الطبيعي ان تجيء موضوعات شعراء الارض المحتلة مختلفة .

انهم خافوا عندما التفتوا حولهم فى رحاب الوطن العربى الكبير واذا بهذا الشعر الطيب المبشر الذى يحاول أن يكون سلاحاً . . إذا بهذا الشعر، يوهمون اصحابه انه قد أدى مهمته على أكمل وجه ولم يبق على أصحابه إلا أن يناموا فى دعة وخمول وغرور ولسان حالهم يردد:

رب البيان وسيد القلم
وفيت قسطك للعلى فنم

■ ولكن هؤلاء الشعراء، وهذا ما يثبت أصالتهم - لم يفعلوا ما رمى اليه النقاد العاملون فى المؤسسات التجارية الأدبية فبقى هؤلاء الشعراء مستمرين فى انتاجهم ومجودين فيه لتحقيق الهدف المنشود.

■ إننا عندما نتحدث عن خصائص شعر المقاومة هنا، لا نقدم دراسة منهجية تفصيلية وإنما نذكر ما يميز هذا الشعر عن غيره، لماذا نقرؤه فنحس بطعم خاص له غير ما نتذوق من الطعوم فى الشعر العربى الحديث الذى قيل فى الموضوع ذاته موضوع النكبة أو النكسة . . وهذا الشيىء الخاص هو الصدق والمعاناة والتفاعل الصادق مع الأرض والشعب والشجر والهواء، نجد فيه القوة التى يجب أن يتمتع بها كل عربى فى كل عصر ومصر حيث ستبقى ديار العرب مستهدفة من الاعداء ما بقى على وجه الارض قوم يسمون العرب . . وهذا الشعر أنموذج القدوة بأن يكون رب القلم، رب سيف يخوض المعركة ويعبر عنها.

■ ومن هنا كان لهذا الشعر خصوصيته، لأن شعراءه عاشوا النكبة واغتنى بها شعرهم، وخاضوا المعركة مع الشعب، المعركة من أجل البقاء فى أرض الآباء والأجداد فطبعت هذه المعركة شعرهم بطابعها واعطته احدى ميزاته الخاصة، أعطته نكهة خاصة يمكن بواسطتها تشخيص ومعرفة هويته فكتب الشعراء عدداً كبيراً من القصائد بحق الدم الزكى الذى روى حقول التين والزيتون فى كفر قاسم، وبحق الأجساد التى تحددت أمام (التراكتورات) فى كوكب أبو الهيجا وكفر مندا وغيرها، لتصون تراب «البطوف» الغالى . . وبحق سد الصدور الذى أقامه الشعب الفلسطينى فى كل مدينة وقرية ضد تشريد أصحاب الهويات الحمراء.

■ وعلى صعيد هذه المعركة وبحكم الظروف الموضوعية، أصبح خندق الشعراء الذى يتمرسون فيه خندقاً أمامياً . . والواقف فى الخندق الأمامى من أية معركة يكون محظوظا إذا توفرت له الرؤية الصحيحة لأن هذا يمكنه من رؤية الكثير من الأفق التى لا تراها الصفوف الخلفية . . وقد توفرت لهؤلاء الشعراء الرؤية الصحيحة والتجربة الحية ولذلك بدأ الشعراء يكتبون الشعر الناضج مبكرين، ذلك أن الأطفال فى المعركة يولدون رجالاً . . ولأن الشعراء كانوا يملكون الرؤية الصحيحة تمكنوا من أن يمتصوا تجربة الشعب وأن يعيدوا إخراجها قصائد جميلة ومتينة ومشحونة بطاقة متفجرة.

■ مصدر الصدق فى شعر المقاومة الفلسطينى بأنه كتب من داخل البيت فكتب الشعراء عن القرى المهدومة وهم يقفون أمام انقاضها ويسمعون أدلاء السياحة الاسرائيليين وهم يفسرون أن هذه هى خرائب رومانية وكتبوا عن الارض المصادرة وهم بين الفلاحين المتظاهرين والمتهددين أمام التركتورات . . وعن عبير البرتقال وهم يشمونه - إنهم لم

● لم يصل شعر المقاومة للقارىء إلا اوائل الستينات دفعة واحدة .

يكتبوا سماعيا وانما عاشوا ما يكتبونه .

■ وهؤلاء الشعراء لم يكتفوا بالوقوف إلى جانب جماهير الشعب وهى تصنع كفاحها وتدفع الثمن، وانما اشتركوا معها جسمياً فى صنع ذلك الكفاح. فوقفوا فى الصفوف الاولى من المعركة وتعرضوا لأقصى الاجراءات الاضطهادية والاعمال الانتقامية والكبت. . لقد سدت فى وجوههم أبواب العمل المناسب وشجت رؤوسهم هراوات الشرطة اثناء المظاهرات وانك لن تجد من بينهم شاعرا واحدا لم يتشوق الى القمر المصلوب على نافذة سجنه ولم ير السماء مربعة من خلال قضبان زنزانته. . وهذا ما اغنى شعرهم واكسبه نكهة خاصة، نكهة التجربة الذاتية .

■ ومن الطبيعى ان تجيىء موضوعات شعراء الأرض المحتلة مختلفة عن موضوعات الشعر فى الوطن العربى الكبير، بل عن الشعر العربى الفلسطينى خارج الأرض المحتلة وما ذلك إلا لأنهم يعانون أموراً قد يكون من الصعب علينا ان نتخيلها وان تخيلناها فإن انفعالنا وتجربتنا لا يكونان بصدق الانفعال والتجربة أو المعاناة التى مارسها شاعر الأرض المحتلة .

ولا تكاد تخرج موضوعات الشعر عن مأساة الأرض والانسان العربى : الصمود والمقاومة والصرخة فى وجه الغاصب وتصوير معاناة شعبنا والالتصاق بالارض لعمق الجذور وقدم التاريخ والشجاعة ونبذ الخوف والصبر على المكاره فى سبيل الحق. . ولا استطيع أن أعرض أمثلة من كل ما قاله شعراء الأرض المحتلة لأنه كثير وكله معبر منفعل وفاعل ولكننى أختار مما كتبه اثنان كانت لهما الزعامة والامارة. . إن شئت فاقرأ قصيدة **«بطاقة هوية»** لمحمود درويش من ديوانه **«أوراق الزيتون»** يدير فى القصيدة حوارا بين لاجىء وبين مسجل من أعدائه يريد أن يحصى أسرته وفيها ما يشير الى صورة من صور التذمر الذى يصدر عن **«المسجل»** لا عن العربى الفلسطينى. . فيطرح القضية فى عبارات بسيطة بساطة تبلغ حدّ العجب فى القدرة على فتح أضيق الأبواب على أرض الأمان :

■ يقول فيها :

سجِّلْ . . أنا عربى . .
ورقم بطاقتى خمسون ألف
وأطفالى ثمانية .
وتاسعهم . . .
سيأتى بعد صيف
فهل تغضب

سجل
أنا عربى

■ محمود درويش لا يريد أن يفخر بعروبته أمام قومه، فهو يقول: أنا لا أقول إننى عربى لكى أعبر عن اعتزاز وتفاخر أمام أهلى. . أقولها لأعبر عن رفض عدوى لأعبر عن مقاومتى للعدمية القومية. . سأكون مضحكا لو وقفت امام ملايين العرب وقلت لهم اننى عربى، ماذا يعنى لهم ذلك يعنى أننى متعصب يقتات من مفاخر الأجداد ويجتر الأمجاد فإذا بها بعد امد كومة من تراب على حد قول القائل :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

■ أن تكون عربيا فى العالم العربى هو أن تتمرد على مواطن الضعف فيه. . وبعد أن اطمأن الشاعر الى هذا المدخل نراه يشمخ بانسانيته ويختار موقفاً اجتماعيا ويختار لنفسه فى هذا التركيب الاجتماعى ما يكرم الانسان الكادح فيقول :

وأعملُ مع رفاق الكدح فى محجرْ
وأطفالى ثمانية
أسل لهم
رغيف الخبز
والأثواب
والدفتر
من الصخر
ولا أتوسل الصدقات
من بابك

ولا أصغر
أمام بلاط أعتابك
فهل تغضب
سجل

■ وهذا الوضوح فى الموقف وهذا التبين للغاية وللدرب الذى يمضى فيه يجعله مع ما يغشى الموقف من بعض الغيوم والضياع فى اللقب يجعله صبورا فهو ثابت الخطو فى درب الغاية لأنه يعرف أين تمتد جذوره من قبل ميلاد الزمان ومن قبل ميلاد السرو والزيتون وهو معتز بأبيه الذى انحدر من أسرة المحراث.. يقول:

سجّلْ
أنا عربى
انا اسم بلا لقب
صبور فى بلاد كل ما فيها
يعيش بفورة الغضب
أبى من أسرة المحراثَ
لا من سادة نُجُبِ
وجـدّى
كان فلاحا
وبيتى
كوخ ناطور
من الأعواد والقصب
فهل ترضيك منزلتى
سجل
أنا عربى
ولون الشّعْر فحمىّ
ولون العين بنى
وميزاتى
على رأسى عقال فوق
كوفية
وكفِّى صلبة كالصخر
تخمش من يلامسها
وأطيبُ ما أحب من الطعام
الزيت والزعتر..

■ لقد ذهب محمود درويش فى شعره المقاوم مذهباً انسانيا أراده مقنعاً للناس وهو فى قصيدته يغاير ما عودنا عليه الشعراء من استعارة العزة التعساء لأبطالهم والشرف الباذخ على النجوم وتمدين الدنيا وتذليل الزمان.. ولكن بطله فلاح بلا حسب ولا نسب وهو يكدح كى يطعم أطفاله وهذا الانسان هو الذى يثور ويكره ولكن عندما يعتدى الباغون على أرضه.

■ ومن قصائد سميح القاسم تقرأ قصيدته «إليك هناك حيث تموت» فتجد الشاعر المتشبث بالبقاء على أرض فلسطين لا لأنه يملك الدور الواسعة والبساتين الوارفة ولكنه مرتبط بهذا الوطن لأنه التاريخ القومى الذى عاشه الأجداد.. والقصيدة رسالة اجتازت إليه الليل والأسلاك من صديقه، جاءته من بيروت وحين حطت بجناحيها على بابه أحس بأنها جناح ملاك ولكنها لم تلبث حين فضتها يداه أن تنفضت أشواكا والسبب أن صديقه المهاجر الى بيروت يقول له:

تحياتى وأشواقى
تطير إليك من بيروت
إليك هناك حيث تموت
فدى الباقى من التافه من ميراثك
الباقى
تحياتى وأشواقى
أنا أصبحت إنسانا جديدا غير ما
تعهد
ختمت دراستى العليا فنلت شهادة
المعهد
وأصبح مكتبى أكبر
ولى صاحبة شقراء جدتها فرنسيه
وأخرى جدها قاد الفتوحات
الصليبيه
لماذا أنت لا تأتى الى بيروت
وتترك جرحك المقوت
وتنسى عيشة الذل
فحقلك لم يكن أرحب من حقلى
وبيتك لم يكن أجمل من بيتى

■ ولكن سميح رجل منتم مع صغر حقله وضآلة شأن بيته وهو متعلق بكل قطرة فى المستنقع الباقى.. وهنا يصرخ فى وجه صاحبه، ويرسل بها من أعماق قلبه المقاوم الى بيروت من الأرض المحتلة:

أخى الغالى
إليك هناك فى بيروت
إليك هناك حيث تموت
كزنبقة بلا جذر
كنهر ضيع المنبع
كأغنية بلا عمر
إليك هناك يا جرحى ويا غارى
ويا ساكب ماء الوجه فى نارى
إليك.. اليك من قلبى المقاوم
جائعاً عارى
تحياتى وأشواقى
ولعنة بيتك الباقى.

« البحث موصول »

دور الصهيونية في تشويه صورة العرب والمسلمين

محاضرة للدكتور:
محمد زايد يوسف

« دور الصهيونية فى تشويه صورة العرب والمسلمين » موضوع ندوة النادى الثقافى الأدبى بجدة فى جلسته المنعقدة بتاريخ ٦/٣/١٤٠٩هـ/ ١٦ اكتوبر ١٩٨٨م . والذى ركز فيه الدكتور محمد زايد يوسف على الأساليب المختلفة والملتوية التى تستخدمها الصهيونية بدءاً من استغلال خرافة اضطهاد النازى لليهود الى لوى عنق أجهزة الاعلام بل وانتهاء بتوظيف كل ما يمكن توظيفه وإخضاع لاستراتيجية اليهود التى تهدف الى تشويه صورة العرب والمسلمين فى العالم كله وصولاً الى مزيد من السيطرة ومد المصالح .

والمحاضرة إذ تجلو تلك الأساليب إنما تمثل دعوة واضحة وقوية للمسلمين والعرب جميعاً للتصدى بكل ما يملكون من عقيدة وقوة دفاعاً ووأداً للظلم ووضع حدٍ لهذا الخطر الداهم المستفحل .

والمنهل تنشر المقال تعميماً للفائدة ومشاركة فى الدعوة .

** فى غرة ربيع الاول عام ١٤٠٩هـ سطعت الشمس على القمة التى انعقدت فى مدينة جدة لوزراء الاعلام فى الدول الاسلامية . وتطلعنا بأمل كبير الى اشراقة مستقبل جديد لوسائل الاعلام الاسلامية لتطوير استراتيجياتها (خططها) للتعامل مع الواقع الاسلامى والعالمى الذى نعيشه اليوم . ذلك لأن الإعلام سلاح اجتماعى وسياسى ونفسى قادر على ان يؤدى دورا هاما فى بناء نفوس العرب والمسلمين من ناحية وفى تحسين صورتهم والدفاع عن سمعتهم وحقوقهم امام العالم أجمع من ناحية أخرى.

** ورغم أهمية هذا السلاح نجد اننا تركناه فى ايدى اعدائنا يستخدمونه بكل حرية فى الوقت الذى غفلنا عنه أو عطلناه فى بعض الحالات أو اسأنا استخدامه فى أمور كثيرة دون ان نحاول أن نضع البديل المناسب.

** لقد أدت الصهيونية العالمية دورا بارزا فى تشويه صورة العرب والمسلمين مستخدمة فى ذلك اساليب معينة لتزييف الحقائق والوقائع .

** وسنلقى الضوء على الاساليب التى تستخدمها الصهيونية العالمية فى تشويه صورة العرب والمسلمين :

الأسلوب الاول

استغلال خرافة اضطهاد النازى لليهود

تركز منظمة الصهيونية العالمية على قضية «خرافة» اضطهاد النازى لليهود إبان الحرب العالمية الثانية . حيث تعرض على شاشات التلفزيون الغربية صور وأفلام وثائقية (مشبوهة) عن مذابح ارتكبتها النازية ضد اليهود. وتعرض تلك الافلام فى عدة مناسبات مختلفة خلال العام الواحد لكى تبقى تلك الأحداث

حيـة نابضـة تتسلل من خلالهـا الصهيونية لتحقيق حلمها الدينى المزعوم فى العودة الى أرض الميعاد.

ويجتمع اليهود والصهاينة اثناء تلك المناسبات لتحقيق عدة ابعاد ومكاسب سياسية واجتماعية. تلك الأبعاد هى:

١ ـ استـدرار عطـف وشـفقـة الشعـوب الغربية على اليهود من خلال اظهـار الشخصيـة اليهودية بسمة الانسان المغلوب على أمره والذى اكتوى بنار الظلم والاضطهاد.

٢ ـ تثبيت عقـدة الشعور بالذنب لدى اليـهـود وتـرسيخهـا لدى الاجيال القادمة.

٣ ـ تجميـع شتات اليهود لتحقيق الحلم الـذى طالمـا راود اليهـود والصهـاينـة فى العـودة الى أرض الميعاد المزعومة.

٤ ـ ويمثل بؤرة حوارنا الجدلى وهو استغلال عقدة الاضطهاد النازى لتوجيهها ضد العرب والمسلمين.

٥ ـ تغطية جرائم الصهيونية التى ترتكب ضد الشعب العربى.

■ والمستقرىء من الزاوية التاريخية ـ لحركـة هجـرة اليهـود وغـزوهم واستيطانهم فى فلسطين المحتلة يجد ان الهـدف الأسـاسى هو هدف دينى بحت.

ولقد خطط زعماء صهيون لقيام الدولة الصهيونية منذ أكثر من قرن من الزمان فى أوائل القرن التاسع عشـر الميـلادى. وتـركـزت



هتلر

بلفور صاحب الوعد المشئوم

استراتيجيـة بناء الدويلة اليهودية على أساس العقيدة الدينية البحتة.

■ فكما نعلم أن مجموع اليهود فى العـالم عشـرون مليـون نسمـة، مختلفـة الجنسيـات والأشكـال والألـوان. ويقـدرون بسبعـين جنسيـة مختلفة، وقد تفاعلوا إبان الحرب العالمية الثانية وتوحدوا تحت شعار تحرير اليهود المضطهدين فى اوروبـا، مع ظهـور بُعـد دينى اجتـماعى جديـد متمثـل فى جمع شتات اليهود وتحقيق الحلم الدينى المزعوم فى العودة الى أرض الميعاد (اعنى فلسطين المحتلة).

فاليـهـود حسب اعتقـادهم الـدينى أنهم شعب مغلوب على امـره والـذلـة والمسكنـة مضـروبة عليـهـم ولا خلاص لهم الا بالتمسك بعقيدتهم اليهودية.

واليـهـود حسب اعتقـادهم الـديـنى أيضـا انهم شعب الله المختار الذى لن تقوم قائمتهم الا باستخدام كل الوسائل واصطناع كل الاسـاليب للعـودة الى أرض الميعـاد والتى يدعون انهم أكرهوا على مغادرتها.

■ وكنتيجة لتلك التراكمات الدينية والاجتماعية القديمة التى تفاعلت ابان الحرب العالمية الثانية ظهر بعد اجتماعى نفسى جديد وهو التوحد بالمعتـدى النـازى. فتجمع شمل اليهـود والصهـاينة وبدأت خيوط المؤامـرة الـدنيئة فى تحقيق الحلم الـدينى الكبيـر الـذى طالمـا شد الجماعـات اليهـوديـة والصهيونية للعودة الى أرض الميعاد التى نراها ونشاهدها علنا الآن. حيث تحولت فكـرة قيام دولة اليهود على أرض فلسطين المحتلة من مجرد فكرة دينية الى واقع مجسد على حساب الشعب الفلسطينى المغلوب على امره.

■ والسؤال الخطيـر الـذى يسألـه الجـمـيـع هو: **لماذا تستـثـمـر الصهيونية طاقة الاضطهاد النازى السـابقـة فتـوجههـا للعـرب ولـلمسلمـين، مع أنهم الامـة الـوحيـدة تاريخيا التى لم تضطهد اليهـود بل فتحت لهم صدورهـا وعـاشـوا فى ديـارها مؤمنين على أموالهم وأرواحهم وأعراضهم؟.**

فاذا كان هتلر النازى قد ذبح اليهـود (كـما يدعـون) واذا كانت

● لكى تحقق حلمها الدينى المزعوم فى العودة الى أرض الميعاد استغلت الصهيونية عدة وسائل منها الاعلام .

● يزعمون أنهم أكرهوا على مغادرة أرض الميعاد .

الشعوب الاوربية قد اضطهدت اليهود (كما يدعون) .

■ **فالسؤال الآن: لماذا فعلت شعوب دول العالم الغربى ذلك؟ وما هو ذنب الشعب الفلسطينى فى ذلك؟** فالصهاينة يرتكبون اليوم جرائم ابشع بكثير من جرائم هتلر. فكم من دماء فلسطينية بريئة سفكت فى صبرا وشاتيلا، وكم من اطفال ونساء ابرياء ذبحوا فى خان يونس ودير ياسين؟ وكم من شباب زجوا فى سجون اسرائيل وهم يعيشون الآن تحت طائلة التعذيب الصهيونى الوحشى؟ وكم من اطفال الحجارة كسرت عظامهم وتهشمت أجسادهم بلا انسانية ولا رحمة؟ .

■ ان الشعب الفلسطينى البرىء يتعرض اليوم لموت بطىء. يتعرض لضغوط لا اخلاقية لتفريغ أرضه . وهو شعب حُرم من ابسط مبادىء الحياة الانسانية الكريمة كالحصول على التعليم والحصول على وظائف أو مهن تساعده على أكل لقمة العيش. والأمثلة كثيرة جدا لما يتعرض له الشعب الفلسطينى من تنكيل واضطهاد وطرد من وطنه السليب.

■ وواقع الأمر - ان القضية المطروحة فى استغلال عقدة الاضطهاد النازى وجدت لكى تختفى الصهيونية من ورائها للتسلل الى الارض الفلسطينية لتحقيق مزاعمها الدينية التوسعية على حساب الأمة العربية. تلك المزاعم المشبوهة التى خطط لها زعماء صهيون فى بروتوكولاتهم منذ أكثر من قرن من الزمان فى اوائل القرن التاسع عشر الميلادى لتحقيق حلمهم الدينى الكبير الذى طالما ظل يراودهم فى العودة الى ارض الميعاد وطرد الشعب الفلسطينى المغلوب على أمره .

الاسلوب الثانى

محاولة بث الإعجاب بالشعب اليهودى

** للشخصية الصهيونية سمة قديمة كانت مستترة فى الماضى تختفى حينا وتظهر فى حين آخر. هذه السمة هى المجاهرة بالعدوان والمكاشفة بحمل السلاح.

فهم شعب يحسون بالذنب، وفى نفس الوقت لديهم شعور بالاستعلاء.

فبعد ان كانت سمة الشخص اليهودى هى شخصية المغلوب على امره والذى اكتوى بنار الظلم والاضطهاد تظهر لنا سمة أخرى وهى سمة المحارب الحامل للسلاح.

** ان الصهاينة يفاخرون بحمل السلاح وبالقدرة على استعماله والتجديد فيه والتنكيل به ضدّ العرب والمسلمين ويتباهون فى ذلك امام العالم. فيقتلون ويسفكون الدماء العربية والفلسطينية البريئة بحجة ردعهم.

** والسؤال المحير الذى نسأله هو: كيف تُكسب الصهيونية شعبها وشبابها روحا عدوانية مع انهم (حسب ادعائهم) أبناء أجيال اكتوت بنار الاضطهاد؟ .

فاسرائيل دويلة قائمة على التعبئة والتنظيم العسكرى ومخططات اليهود فى دقة من التوجيه وفعالية من التخطيط. كما أنها دويلة قائمة بالدرجة الاولى ليس للدفاع عن حدود قائمة مستقرة بالفعل، بل للتطلع دوما للاستيلاء على مناطق جديدة فى محاولة منهم لتحقيق حلمهم التوسعى الدينى

على حساب الأمة العربية والاسلامية. وهنالك مقولة ظهرت بعد حرب ١٩٦٧م تقول بأن اسرائيل دويلة عسكرية لا تقهر.

** وواقع الأمر .. ان التقدم التقنى والعلمى والعسكرى فى اسرائيل - باعتراف كثير من خبراء العالم - لا يمكن تفسيره وتقديره تقديرا حقيقيا الا فى ضوء الصلة الوثيقة بين اسرائيل وبين حكومات غربية واحتكارات عالمية. فهناك مساعدات هائلة تقدم للصهاينة طواعية: مساعدات مالية ومساعدات فنية ومساعدات تقنية ومساعدات بشرية.. ويكفى للتدليل على ذلك الاشارة الى مجموعة من الحقائق، وهى كالتالى:

١ - ان نسبة ٤٠٪ من البحوث التى نشرها العلماء الاسرائيليون خلال عامى ٦٦/٦٧ كانت محولة من قبل هيئات وحكومات امريكية. (ومن يريد مزيدا من التفاصيل) يمكنه قراءة موضوع «العلم والتعليم فى اسرائيل». لأنطون زحلان. ترجمة محمد صالح العالم. مطابع الهلال ١٩٧٠ ص١٨٦).

٢ - كما أن ٣١٪ من انشاءات الجامعة العبرية سنة ١٩٦٣م كانت بفضل هبات مالية من مجموعة من الاصدقاء والهيئات اليهودية بالخارج ؟نفس المرجع السابق).

٣ - والأدهى من ذلك أن الحكومات الغربية تقدم لاسرائيل ملايين الدولارات على شكل هبات مالية او مساعدات عسكرية أو مساعدات تقنية وفنية. فالولايات المتحدة الامريكية مثلا تقدم لاسرائيل معدات حربية ومدنية سنوية ولسد الفراغ الناشىء عن ندرة القوى البشرية فى اسرائيل وبالتالى تجعل من الكم القليل كيفا مركزا وفعالا.

وتحت مظلة اف ١٦ واف ١٨ تبدأ الصهيونية القتل والعربدة وسفك الدماء العربية.

٤ - كما يقدم اليهود الموزعون فى انحاء المعمورة هبات مالية سنوية لاسرائيل لبناء الاقتصاد الاسرائيلى المنهار.

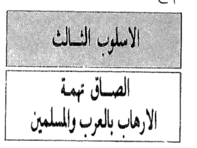
٥ - كما ينتقى الاتحاد السوفيتى نخبة العناصر المهاجرة الى اسرائيل لاستمرار تدفق صفوة فنية ومهنية ماهرة لسد الفراغ الناشىء عن ندرة القوى البشرية العاملة فى اسرائيل.

■ كما يشير كثير من المراقبين الى أن مستوى حجم المساعدات العسكرية والفنية والتقنية والبشرية الى اسرائيل سيزداد فى السنوات القادمة. لأن مصالح الدول الغربية الذاتية تقتضى تفوق اسرائيل العسكرى على العرب. فاسرائيل تمثل ولا تزال تمثل وستزال تمثل للعالم العربى اكبر إستنزاف اقتصادى وأخطر تهديد عسكرى، وأعتى تحد حضاري للأمة العربية بأسرها سواء وعت الأمة العربية أم لم تع.

ريجان

موشى ديان





الاسلوب الثالث

الصاق تهمة الارهاب بالعرب والمسلمين

** تحاول الصهيونية العالمية بشتى الطرق والأساليب المختلفة تشويه صورة العربى أو بعبارة ادق ما

● ضربوا على وتر خرافة الاضطهاد النازى لليهود فظلت المنظمة الصهيونية العالمية تعرض فى الاعلام الغربى وباستمرار أفلام وثائقية مشبوهة لاستدرار العطف عليها .

تبقى من ملامح صورة العربى كما تحاول الصهيونية فى نفس الوقت تجميل صورة الاسرائيلى وجعله اكثر تناسقا واتساقا .

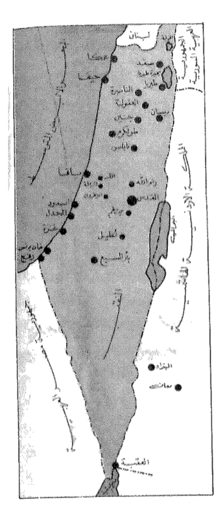
** وكما نعلم ان دور المنظمات الصهيونية المنتشرة فى انحاء العالم هو محاولة ابقاء دويلة اليهود فى فلسطين المحتلة على قيد الحياة . وتحقيق حلم اليهود الدينى وتغطية جرائمهم البشعة التى يرتكبونها ضد الشعب الفلسطينى والعربى .

ولقد استغلت الصهيونية بعض الاحداث التى قام بها بعض الافراد من العرب كعملية اختطاف الطائرات ، واختطاف السفينة (أكيلى لورا) وحادثة القاء القنبلة على المدرسة الاسرائيلية فى فلسطين المحتلة . استغلت الصهيونية (كالعادة) تلك الاخطاء وزايدت عليها وضخمتها وبالتالى تمكن اليهود من تشويه صورة الفلسطينيين فجعلوا من الفلسطينى قاتلا ارهابيا ، بينما اظهروا اليهودى بالأسطورة والبطل الذى لا يقهر .

ويرى حسان محمد حسان :

«ان الصهيونى واليهودى بالرغم من تزمته الدينى ، الا أنه يملك داخله امكانات هائلة للمناورة ولاتقان عدة ادوار فى آن واحد . واقتضت منه المناورة ان يخطط لأكثر من هدف ، وأن يعمل على أكثر من مستوى ، وأن يفكر لأبعد من مدى . وأهله وساعده على ذلك تحكمه فى جزء كبير من رأس المال المادى . ومن هنا كان لابد للتنظيم اليهودى ان يحترف اعضاؤه مهنا معينة وان يتسللوا بكفايتهم وحيلهم لبنوك المال وبنوك المعلومات ، للأجهزة التى تصدر القرار وللأجهزة التى تعمل بالقرار أو تعلم به» (ص١٠٢) .

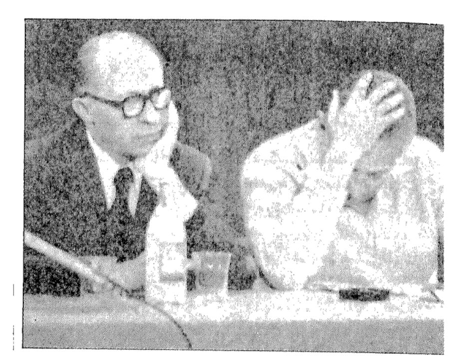
■ ففى الولايات المتحدة الأمريكية مثلا يشكل اليهود غالبية رأس المال البشرى الأمريكى . وطبقا للاحصائيات الأمريكية فان عدد اليهود فى الولايات المتحدة الامريكية يبلغ ستة ملايين نسمة تقريبا . كما يحترف معظم اليهود فى امريكا مهنا معينة ويعمل غالبيتهم فى قطاع الحرف والأعمال الحرة والتجارية وفى قطاع الخدمات الاستهلاكية وفى المهن الراقية . كما تسلل الكثير من اليهود بحيلهم الى اجهزة الحكومية الأمريكية التى تعمل بالقرارات أو تعلم بها



(وفضيحة اليهودى الامريكى بولارد) الذى اتهم بسرقة معلومات وتسريبها الى اسرائيل قد كشفت كثيرا من الحقائق التى تثبت مدى وصول اليهودى الأمريكى الى مراكز المعلومات فى امريكا .

والأدهى من ذلك ان اليهود بسطوا نفوذهم شبه الكامل على الإعلام الامريكى . فاليهود فى امريكا يتكئون على لوح متين من الخشب يساند افراده اسرائيل بكل الوسائل وبشتى الأساليب المختلفة ثم تحول هذا اللوح تدريجيا الى سفينة حاملة للطائرات تهدد العواصم العربية . فتقتل وتدمر . . وتشرد وتسفك الدماء البريئة .

■ هذا كله يحدث وشعوب دول



عزر فايتهان - بيجن

العالم الغربى فى غفلة عما يجرى فى المنطقة العربية. لأنهم يسمعون فقط الصوت الصهيونى المسيطر والمهيمن على وسائل الاعلام لديهم. وبالتالى فهم يغرسون مفهوما واحدا هو ان الانسان الفلسطينى سفاك قاتل بينما المقاتل اليهودى بطل اسطورى.

اننا لا نلوم شعوب العالم الغربى على جهلهم بواقع امتنا العربية والاسلامية وبواقع القضية الفلسطينية لأننا فى الحقيقة نشترك معهم فى هذا الجهل الى حد بعيد.

الاسلوب الرابع

استغلال المزايدات والتهديدات العلنية

تعمد الصهيونية العالمية دائما الى استغلال بعض التهديدات العربية والوعيد العلنى بتدمير اسرائيل ومن عليها من اليهود ورميهم فى البحر. فتحاول الصهيونية استغلال تلك التهديدات أحسن استغلال وبالتالى تدخل المزايدات والتهويل والتضخيم على أجهزة الاعلام المختلفة فى العالم الغربى. وتستثمر تلك المزايدات لخدمة اسرائيل حيث يشرح الصهاينة لشعوب العالم الغربى ان اليهود فى فلسطين المحتلة ـ هم أقلية مغلوبة على امرها. يعيشون وسط بحيرة عربية كثيفة يبلغ عدد سكانها ١٣٠ مليون نسمة. تحاول ابتلاعها ورميها فى البحر.

ومن خلال تلك التهديدات تتدفق المساعدات العسكرية لاسرائيل وتتدفق احدث انواع الطائرات والدبابات والصواريخ الفتاكة التى تجعل من الكم اليهودى القليل كيفا مركزا وفعالا.

كما انه من استغلال تلك التهديدات تتدفق المعونات والتبرعات ويتدفق الخبراء الاجانب وتبسط الحماية الاجنبية فى المنطقة العربية.

■ وكلنا نسمع عن مدى حجم المساعدات الهائلة التى تقدم لاسرائيل سنويا. سواء أكانت هذه المساعدات مالية أو عسكرية أو تقنية أو بشرية ممولة من قبل هيئات وحكومات تناصر الصهيونية. كما انه فى نفس الوقت تقدم الهبات المالية الضخمة لاسرائيل خاصة من قبل اليهود فى امريكا والذين يملكون استثمارات مالية ضخمة تقدم طواعية لاسرائيل.

الاسلوب الخامس

استغلال البترول العربى

لمنظمة الصهيونية العالمية أسلوب خطير جدا فى تشويه صورة العرب فى المجتمعات الغربية.. ذلك الأسلوب هو استغلال ظروف أسعار البترول كسلاح نفسى فعال موجه ضد العرب وضد القضية الفلسطينية.

فالصهاينة يملكون بداخلهم امكانات هائلة للمناورة والدهاء السياسى. فهم يتعمدون دائما

● يقدر عدد اليهود فى العالم بعشرين مليوناً تتوزعهم سبعون جنسية مختلـــــــــفة.

● الصهيونى يملك امكانات هائلة للمناورة واتقان عدة أدوار .

الربط بين المشاكل الاقتصادية والاجتماعية (كالبطالة وارتفاع الاسعار والتضخم) وبين البترول العربى بحيث يحملون العرب مسئولية تلك المشكلات الحاصلة الآن فى البلاد الغربية . . فمثلا ـ لو سألت رجل الشارع الامريكى عن سبب مشكلة ارتفاع أسعار النفط فى وطنه لوجدت الاجابة وبسرعة ان العرب مسئولون عن ذلك الارتفاع فى الاسعار.

فالصهيونية تتعمد دائما الربط بين مشكلات الدول الغربية الاقتصادية بالبترول الغربى لتظهر العربى بمظهر الشخص الجشع الانانى المحب للسيطرة . ويزيد ذلك فى نفوس الغرب كره العرب فى حين تكسب الصهيونية التأييد اللا محدود لاسرائيل.

■ وفى هذا الصدد يعرض لنا «د. محمد خضر عريف» نموذجا من نماذج الاساءة الى العرب فى حملات الانتخابات الامريكية(١) والتى تمارس من قبل الحزب الحاكم فى أمريكا والتى يعرضها التلفزيون الأمريكى للمشاهدين فى كل يوم. فمن ذلك دعاية للحزب الجمهورى، تحاول أن تظهر محاسن «عهد الرئيس ريجان» مقارنة بالعهد الديمقراطى السابق «عهد الرئيس كارتر» بحيث تستهل تلك الدعاية بتوجيه انظار المشاهد الأمريكى الى العهد السابق لعهد الرئيس ريجان، حين كانت أمريكا (على حد زعمهم) تغرق فى بحر من التضخم والبطالة وارتفاع الاسعار. وتنتقل تلك الدعاية فجأة الى أسعار البترول وتذكر المشاهد بالأسعار الباهظة التى كان يدفعها فى عهد الرئيس كارتر لشراء النفط ويصاحب ذلك تعمد عرض لصورة مجموعة من وزراء النفط العرب فى احد اجتماعات الأوبك. وتطلب «الدعاية» من المشاهد ان يفكر فيما كان يدفعه للأوبك من سعر للوقود فى عهد كارتر. وتفتح الافق امام المشاهد الأمريكى ليفكر ما اذا كان يريد العودة الى تلك العهود القديمة بالتصويت للديمقراطيين أم البقاء على ما هو فيه من رخاء ونعمة بالتصويت للجمهوريين. وكأن اسعار بترول الاوبك بارتفاعها وانخفاضها هى سبب سعادة الامريكى أو سبب تعاسته. وان اهم ما قام به الحزب الامريكى الحاكم فى الوقت الحاضر هو الحد من جشع العرب وتخفيض اسعار بترولهم الذى ترتب عليه سعادة الامريكى ورخاؤه.

■ ويعرض «د. عريف» الى اذهاننا مجموعة من الحقائق ومجموعة من التحليلات لأسلوب وأهداف تلك الدعاية المغرضة كما يلى :

١ ـ من اهم هذه الحقائق ان تلك الدعاية ليس المقصود منها اظهار العداء لدول الاوبك بل العداء للعرب بدليل تعمد عرض صور وزراء البترول العرب فقط دون اى وزراء آخرين من وزراء الاوبك.

٢ ـ الهدف المقصود من تلك الدعاية. ما هو الا ارضاء الناخبين اليهود فى امريكا، ومحاولة كسب ولاء اللوبى الصهيونى فى امريكا عن طريق عرض ما يؤمن به الجمهوريون من ان العرب كانوا السبب خلف كل الضوائق الاقتصادية التى كانت تعيش فيها امريكا فى عهد كارتر السابق لعهد الجمهوريين الحالى.

٣ ـ اما أهم التحليلات والتى تمثل بؤرة الاستقطاب هو التصدى لتلك الدعوى الجائرة فقد فطن اليها الأمريكيون انفسهم ممن اصبحوا لا يتقبلون الكذب. فقد ظهر تعليق لأحدى الجمعيات الامريكية الكبرى على شاشة التلفاز بعد ظهور تلك الدعاية المغرضة آنفة الذكر القاه رئيس تلك الجمعية. ومضمون هذا

التعليق هو ان طلب رئيس تلك الجمعية من المواطنين الامريكيين قراءة أسعار الوقود فى جميع محطات الوقود فى الوقت الحاضر فى امريكا، اذ سيكتشفون ان الاسعار التى يدفعها المستهلك الامريكى لشراء وقوده لم تنخفض البته انخفاضا حقيقيا حتى بعد انخفاض اسعار النفط العالمية الى ما يقارب النصف. اذ يصل سعر الوقود فى بعض المحطات الامريكية الى دولار ونصف للجالون الواحد، وهو نفس السعر الذى كان يدفعه المستهلك فى عهد كارتر السابق.

ويقول صاحب التعليق ان سرقة دولارات المواطنين الامريكيين لا تمارسها الدول المنتجة للبترول بل تمارسها الشركات الامريكية الكبيرة التى كانت وما تزال تثرى على حساب المستهلك الامريكى بتحقيق الأرباح الطائلة عن طريق تسويق البترول العربى (بواسطة تلك الشركات).

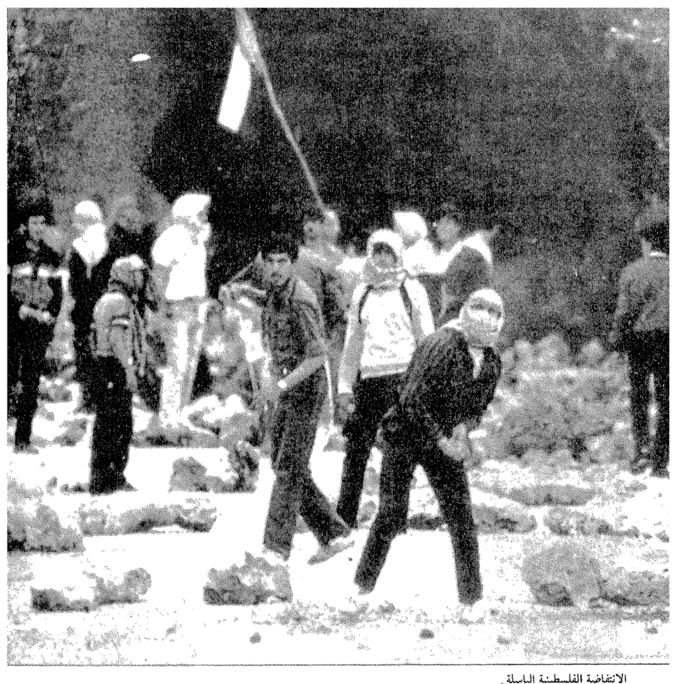
■ وواقع الامر.. ان تلك الشهادة من داخل الولايات المتحدة الأمريكية تبرر لنا مدى تأثير الصهيونية على تسيير دفة الانتخابات الأمريكية ومدى توجيهها للاساءة الى العرب واظهارهم بمظهر الجشع وحب السيطرة والانانية. فالحيلة الاقتصادية الكبيرة التى يمارسها الصهاينة فى ربط البترول العربى بالمشاكل الاقتصادية الامريكية (كارتفاع الاسعار) أو بالمشاكل الاجتماعية (كالبطالة) ما هى الا نموذج واحد من عدة نماذج كثيرة تسىء للعرب وتسىء للقضية الفلسطينية.

ياسر عرفات

الاسطورة السادسة

ترويج خرافة صنع القنبلة العربية أو الاسلامية

روّجت الصهيونية خلال السنوات الأخيرة خرافة صنع العراق وباكستان لقنبلة ذرية، الغرض منها (كما يزعمون) هو تدمير اسرائيل والشعب اليهودى. وكالعادة بدأت المناظرات السياسية والاعلامية على شاشات التلفزيون الامريكى حول ذلك الموضوع فى محاولة لايهام الشعب الامريكى بأن دويلة اليهود نبت ضعيف يعيش على ارض ملتهبة دوما ومحتدمة الصراع. وأن مخاوف



الانتفاضة الفلسطينية الباسلة.

الصهيونية بدأت تكبر لأن العرب والمسلمين ابتدأوا فى صنع القنبلة الاسلامية المزعومة.

■ والمستقرىء من الزاوية العسكرية لهدف الصهاينة لترويج خرافة صنع القنبلة الاسلامية يجد أن الصهاينة تعمدوا اثارة ذلك الموضوع بعد حرب سنة ٦٧ لعدة أسباب وهى:

١ ـ للحصول على مكاسب ومعونات عسكرية بحجة الدفاع عن النفس، وبالتالى استخدام تلك الاسلحة فى بسط النفوذ والهيمنة والتوسع، لأن اسرائيل لم تؤسس بالدرجة الاولى للدفاع عن حدود قائمة مستقرة بالفعل، بل للتطلع دوما لاحتلال مناطق جديدة.

٢ ـ القضاء على التقدم التقنى العربى والاسلامى فى مجال الطاقة النووية وهجوم العدو الاسرائيلى على المفاعل النووى العراقى دليل واضح على ذلك. حيث تسعى اسرائيل اليوم جاهدة لأن تحاصر الامة العربية فى مجال الطاقة النووية وفى جميع مجالات التقنية لغرض سيطرتها بالقوة على العالم العربى.

٣ ـ وجدت اسرائيل فى ترويج هذه القنبلة الاسلامية ستارا جيدا تختفى من ورائه لكى ترمى شباكها من اجل مصالحها الذاتية القريبة والبعيدة المدى لمحاصرة العرب

تقنيا وقبل سنوات بدأت اسرائيل برنامجها النووى حيث لوح يوفال فيمان «ان اسرائيل قد تستغل طاقاتها العلمية لأغراض عسكرية اذا رأت ذلك فى غضون أعوام ان رأت ان وضعها العسكرى يقتضى ذلك»(٢).

■ ولقد تناقلت وسائل الاعلام الغربية خبرا مفاده أن اسرائيل لم تحصل على اذن لصنع القنبلة النووية. ولكنها صنعتها غير عابئة بالوكالة الدولية للطاقة النووية وقراراتها.

وللحقيقة نقول ان العالم العربى قد يفاجأ يوما ما باستخدام اسرائيل لصواريخ تحمل رؤوسا نووية تصيب العمق العربى اينما كان هذا العمق، كما تصيب كل العواصم العربية دون استثناء لأن لدى اسرائيل استراتيجية واضحة ومخططات ثابتة دقيقة لغرض سيطرتها بالقوة على العالم العربى. وأنها تسعى لتحقيق هذه الاهداف بأسلوب - الخطوة خطوة دون تراجع.

■ ان اسرائيل اليوم تتقدم فى خطواتها الاجرامية التوسعية وتحاصر الامة العربية فى كل مجال. فلم يفتها ان تحاصر العرب حتى فى الدورة الاولمبية فى سيئول حيث اعلن على الملأ أن عاصمتها اسرائيل.

وبالأمس اطلقت اسرائيل بنجاح اول قمر صناعى الى

● استثمرت الصهيونية عقدة الاضطهاد النازى فوجهتها ضد العرب والمسلمين.

● يطلقون على أنفسهم أقلية مغلوبة على أمرها وسط بحيرة عربية.

الفضاء للتجسس على العرب باسم «هورايزون» دون ان تلجأ الصهيونية الى الاتحاد الدولى للاتصالات للحصول على اذن باطلاق قمر التجسس أو حتى الاتحاد الدولى للمعلومات والاتصالات. فاذا كانت اسرائيل لم تهتم بالوكالة الدولية للطاقة النووية وقراراتها، فهل يعقل ان تهتم بمنظمة مثل الاتحاد الدولى للاتصالات؟.

٤ - ولكى نوضح جسامة وخطورة ترويج الصهاينة لخرافة القنبلة الاسلامية فاننا يجب ان نعرف ماذا تخطط وتنفذ اسرائيل فى صمت. وقد يصيبنا الذهول عندما نلتقى بنتائج مخططاتهم. وكيف استطاعوا الوصول الى ما وصلوا اليه؟ ومتى كانت البداية؟ وتلك هى الحكمة والخدعة فى الحروب، والبراعة فى رسم المخططات الحربية.

لقد استوعبت اسرائيل نتائج حرب العاشر من رمضان وعلمت أن اسلوب المواجهة مع العرب بالمدرعات والمشاة لم يعد فى صالح الدويلة اليهودية. وان زمن الحرب الخاطفة والضربات الوقائية المجهضة قد ولى الى غير عودة. وها هى اسرائيل اليوم ترسل البيان الاول لنوعية الحروب القادمة بين العرب واسرائيل. بعد ان كشفت بأسلوب اعلانى عن قدرتها النووية. فالقمر الاسرائيلى التجسسى ليس الغرض منه الدعاية. والصاروخ الذى حمله الى مداره ليس الغرض منه الاستعراض فى الجو بقدر ما هو عنوان واف لكل من يعى بأن الحرب القادمة ستكون حرب مدن وليست حرب حدود صواريخ بل ستكون صواريخ تحمل رؤوسا نووية تهدد العواصم العربية.

٥ - وواقع الامر. لقد تناقلت وكالات الانباء العالمية مرارا خبرا مفاده ان اسرائيل تملك صواريخ تحمل رؤوسا نووية ولكن هل فعلنا كمسلمين خطة للمواجهة الذكية الصامتة.

اخشى أن اقول (نعم) فأخدع نفسى وأخشى ان اقول (لا) فيسىء بى الظن من كان يحسنه بى.

لكن أقول. لا خيار امامنا.. الا بالاعتماد على الله ثم على العمل الصامت الذى يضع لكل

● روجت الصهيونية تصنيع القنبلة الذرية لنسف اسرائيل لتشويه صورة بعض الدول العربية والاسلامية .

● يحاولون بشتى الوسائل ضرب المصالح والعلاقات العربية الأوربية .

مفاجأة ما يواجهها. وهذا سبيل النصر ولا ضير علينا أن نستفيد من وسائل اعدائنا فى حربهم معنا.

الأسلوب السابع

تركيز الأضواء على الانتخابات الاسرائيلية

يتعمد الصهاينة وفى كل مناسبة تركيز الاضواء على وقائع الانتخابات التى تجرى فى اسرائيل لايهام شعوب دول العالم الغربى بأن اسرائيل دويلة ديموقراطية.

■ والسؤال الذى نتساءله هو: **كيف تدعى اسرائيل بأنها دويلة ديموقراطية فى حين تنطلق من قومية ترتكز على التعصب الدينى، فى عالم اصبحت فيه مبادىء الديموقراطية ترتكز على مقومات جد مختلفة؟.**

والمستقرىء من الزاوية التاريخية والاجتماعية يجد ان حضارة اليهود اليوم تتقاذفها تيارات عنصرية شتى. كما تتقاذفها احقاد وضغائن كثيرة ومتناقضات عديدة. تلك التناقضات هى:

١ - ان شعوب العالم الغربى لا يعرفون شيئا عن مدى سياسة التفرقة العنصرية بين اليهود البيض «الاوربيين» وبين اليهود السود «الافريقيين». وبين اليهود الشرقيين «الاسيويين» وهناك امثلة تاريخية كثيرة توضح مدى التنافر والصراع العنيف والاختلاف داخل المجتمع الاسرائيلى.

٢ - كما ان اختلاف الجنسيات اليهودية التى تقدر بسبعين جنسية لم يكن مجرد اختلاف فيزيقى فى اللون ونوع الشعر وملامح الوجه فقط. بل ان هناك اختلافا حضاريا فى اللغة ومستوى ومحتوى الثقافة ولقد وصف عالم الاجتماع الفرنسى سيرج جوناس المجتمع الاسرائيلى بأنه استعار مثالا من التاريخ الطبيعى فوصف اسرائيل «بأنها اشبه بخلية الميكروزوم الشديدة الضآلة البالغة التعقيد»(٣).

٣ - ان مشكلة بقاء الهوية اليهودية داخل اسرائيل هى من المشكلات المستعصية والتى تهدد بزوال دويلة اليهود. فالأجيال اليهودية فى اسرائيل تتقاذفها متناقضات عديدة فهم حائرون بين العيش على ارض ساخنة الصراع محتدمة دوما وملتهبة دوما وبين العيش فى المجتمعات الاخرى. رغم انه مزود بامكانات المعيشة بل والتقدم فى المجتمعات الاوربية المتقدمة الآمنة. كما أن الاجيال اليهودية حائرة بين التمسك بالتراث اليهودى المتزمت دينيا وبين الاستمرار والتغيير الشامل.

٤ - بالاضافة الى ذلك نجد أن من اهم المشكلات التى تواجهها اسرائيل اليوم هى مشكلة ندرة العنصر البشرى بالنسبة لمستلزمات بناء الدويلة اليهودية. وفى هذا المعنى يقول الارهابى مناحيم بيجن سنة ١٩٧٨م ان ضمان بقاء دويلة اليهود لا يضمنه سوى فتح باب الهجرة على نطاق واسع لاضافة مليونى يهودى على الأقل، لكى يصبح عدد سكان اسرائيل حوالى ٥ ملايين نسمة.

والملاحظ احصائيا ان معدل الزيادة فى هجرة اليهود لاسرائيل قد تضاءل الى حد بعيد خلال السنوات الاخيرة. كما أن نسبة لا بأس بها قد غادرت اسرائيل نهائيا لتعيش فى مجتمعات اخرى يسودها السلام والتقدم.

٥ - ان المجتمع الاسرائيلى يعيش اليوم فى جدل عنيف بين محاولة جمع الشتات اليهودى من مختلف الجنسيات والسعى الى صهره وانسجامه وبين عوامل الاختلاف التى تكرس التشتت وتزكيه وتسهم

فى التنافر والصراع وربما التناقض بين اليهود والصهاينة انفسهم (ومن يريد مزيدا من المعلومات يمكنه الرجوع الى مركز الدراسات الفلسطينية. (دراسة حول الصراع الحزبى فى اسرائيل، الاهرام، ٢٦/١/١٩٦٩).

■ وواقع الامر . . ان الادعاء الصهيونى بأن اسرائيل دويلة ديموقراطية لهو ادعاء باطل ويكفى للتدليل على ذلك ان نشير الى مجموعة من الحقائق:

(١) ان اسرائيل انطلاقا من مبدأ الحفاظ على الهوية اليهودية البيضاء «الاوربية» تنتقى العناصر المهاجرة الى اسرائيل لكى تضمن بقاء «ديموقراطية الرجل الأوروبى الأبيض» المهيمن على الجنسيات اليهودية الشرقية والأفريقية الاخرى(٤).

(٢) ان اسرائيل تفرغ الارض الفلسطينية من اهلها حتى لا يتحول العنصر الصهيونى فى النهاية الى مجرد جزيرة عنصرية وسط بحيرة عربية فلسطينية. ومن هنا اجبر الكثير من المواطنين الفلسطينيين على ترك اراضيهم، وفتح لهم باب الهجرة بكل ما فيه من اغراء وبكل ما وراءه من اكراه(٥).

(٣) والاخطر من ذلك، ان بناء دويلة اسرائيل تنطلق من قومية ترتكز اساسا على الدين فى عالم اصبحت فيه مبادىء الديموقراطية ترتكز على مقومات جد مختلفة.

(٤) كما تزود اسرائيل شبابها بروح عدوانية ضد العرب والفلسطينيين ولقد صرح الحاخام اليهودى الشهير مئير كاهان «اننى أريد اجلاء العرب من اسرائيل لأن ذلك افضل من ان اضطر الى قتلهم اسبوعيا كلما زادوا او تجمعوا»(٦) والامثلة كثيرة جدا ولا يتسع المجال لذكرها الآن.

الأسلوب الثامن

استغلال اتفاقيات كامب ديفيد

يتعمد الصهاينة وباستمرار اظهار مدى العناق الاخوى الحار بين الرئيس المرحوم انور السادات وبين الارهابى مناحم بيجن على شاشات التلفزيون الامريكية لايهام شعوب دول العالم الغربى بأن اسرائيل دويلة محبة للسلام. وأنها ترغب العيش فى سلام مع جيرانها العرب. وانها دويلة تحترم القوانين والاتفاقيات والاعراف الدولية. . الخ.

■ وواقع الامر ان اسرائيل استغلت اتفاقيات كامب ديفيد لتعزل جمهورية مصر العربية عن العالم العربى. وبالتالى تحقق اطماعها العسكرية والدينية المزعومة فى التوسع على حساب، الامتين العربية والاسلامية.

ولقد غزت اسرائيل لبنان بعد اتفاقية كامب ديفيد. كما ضربت المفاعل النووى العراقى بعد اتفاقية كامب ديفيد وضربت العاصمة التونسية. كما ان نشاط اسرائيل العسكرى التوسعى قد تضاعف بعد اتفاقية كامب ديفيد.

■ والواقع . . ان اسرائيل استغلت اتفاقية كامب ديفيد لتحقيق مكاسب سياسية وعسكرية لبسط نفوذها وهيمنتها على العرب وذلك بعزل مصر سياسيا وعسكريا عن العالم العربى نظرا لالتزام جمهورية مصر العربية بالقوانين والمعاهدات الدولية نصا وروحا. فى حين لم تلتزم اسرائيل بتلك الاتفاقية وضربت بالاتفاقيات والأعراف الدولية عرض الحائط فغزت لبنان وضربت العواصم العربية وعربدت فى سماء الوطن العربى. . والبقية تأتى.

الأسلوب التاسع

استغلال قضية المحتجزين الامريكيين فى طهران

استغلت الصهيونية قضية حجز آيات ايران لرهائن السفارة الامريكية فى طهران احسن استغلال لتشويه ما تبقى من صورة الانسان العربى المسلم. فلقد كانت قضية المحتجزين الامريكيين فى طهران وبالاً على

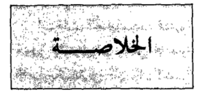
● شعوب العالم الغربى ستظل فى غفلة عما يجرى فى المنطقة العربية مادام اليهود هم اصحاب السلطة الحقيقية فى الاعلام الغربى .

● اسرائيل تعمل لنقل حربها الى حرب صواريخ نووية وعواصم .

الامة العربية والاسلامية بشكل عام. كما انها فى نفس الوقت اصبحت عبئا على كل ما يمت بصلة للقضية الفلسطينية.

ولقد رأيت على شاشات التلفزيون الامريكية (اثناء احتجاز الامريكيين) التهاب مشاعر الشعب الامريكى ضد العرب كما سمعت كلمات الطعن فى الاسلام والمسلمين وكل ما يمت بصلة بالعرب وبالقضية الفلسطينية بالذات.

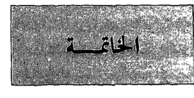
وسمعت كذلك التعليقات وكلمات الكراهية والحقد والشتم ضد المسلمين. فكم من طالب مسلم تعرض للشتم والضرب المبرح من قبل افراد الشعب الامريكى وكم من طالب عربى تعرض للمضايقات حتى فى دور العلم والجامعات.



لقد استمر الصهاينة حتى يومنا هذا يسيطرون بشكل أو بآخر على سلاح الاعلام ليشوهوا سمعة العرب والمسلمين وكل من يقف ضد السامية. هذا السلاح (الاعلام) والذى ثبت بالتجارب والأمثلة التسعة السابقة انه خطير جدا لأنه يخاطب القلوب قبل العقول، استغلته الصهيونية لتحاربنا به، فى الوقت الذى تجاهلنا نحن خطورته أو غفلنا عنه دون أن نحاول أن نضع البديل المناسب.

اننا لا نلوم شعوب العالم الغربى فى تعاطفهم مع الصهاينة لانه لا يرى فى العرب الا ارهابيين يلقون بقنبلة على طفلة يهودية بريئة.

اما ما يحدث لآلاف اطفال الحجارة فى الأرض المحتلة فلا أحد يدرى عنه لماذا؟ لأن الاعلام العربى الاسلامى مشغول بخلافاته المستمرة والمتواصلة والتى مازالت تشغلهم عن قضيتهم الاولى وهى قضية فلسطين.



اننى آمل أن يكون لهذا الموضوع صدى لدى من يهمهم الامر من وزراء الاعلام الاسلامى المشاركين فى المؤتمر الذى انعقد فى جدة ولدى وسائل الاعلام فى البلاذ العربية والاسلامية ولدى المنظمات الاسلامية ولدى المتخصصين الاعلاميين. وذلك لكى يولوا هذا الموضوع حقه من المعالجة والطرح مرة ومرات حتى يتصدى له من سيكتب لنا باسهاب ليزيد الموضوع تعمقا وبحثا.

■ وأخيرا . . استشهد بمقولة للمرحوم الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ (رحمه الله)(٧) بان (الاقوال) لا تبنى وحدها (كوخا) يقى شمس النهار الحارقة أو برد الليل القارس ولكن (خطوة واحدة) نحو رسم (استراتيجية) موحدة للاعلام الاسلامى لمواجهة الاعلام الصهيونى (ستترجم) تلك الاقوال الى عمل. وهى (بداية الانتصار) باذن الله. انتصار المسلم على نفسه وعلى تردده وعلى خوفه. ولولا (الاقدام) لما قامت دول ولا سطرت شعوب انتصاراتها على جبين التاريخ. ولا ضير علينا ان نستفيد من وسائل اعدائنا فى حربهم معنا.

ان بناء الاستراتيجية (الخطة) الاعلامية الموحدة للاعلام الاسلامى والتى اعلن عنها فى المؤتمر المنعقد فى جدة فى غرة ربيع الاول عام ١٩٠٨م تلزم بأن يكون لكل سلاح مضاد له من نفس النوع.

فأنت لا تقاتل تحت الماء بالطائرة وانما بالغواصة، ولا تقاتل فى السماء بالدبابة وانما بالطائرة وقس على ذلك الاعلام. علينا ان نرسم استراتيجية (خطة) موحدة لبناء اعلام اسلامى قادر على بناء النفوس وتهذيبها كما فى نفس الوقت قادر على تحسين صورة الانسان العربى المسلم والدفاع عن حقوقه المغتصبة امام العالم أجمع.. وصدق الله العظيم اذ يقول: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.**

الهوامش

(١) الاساءة للعرب كوسيلة دعائية فى الانتخابات الامريكية ـ محمد خضر عريف ـ الندوة ٨٩٦٦، السبت ٢٢ محرم ١٤٠٩هـ، ص٣.

(٢) اسرائيل تلوح بقبضتها التكنولوجية القوية ـ حسن تحسين ـ خبر وتعليق، جريدة الندوة ـ العدد ٩٠٠٧ ـ ١٥ صفر ١٤٠٩هـ، ص٣.

(٣) مراكز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ـ جمهورية مصر العربية ـ دراسة حول الصراع الحزبى فى اسرائيل ـ الاهرام ٢٦/١/١٩٦٩م، ص٤.

(٤) قضايا الدين والمجتمع فى اسرائيل ـ اسعد رزيق ـ مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوى، ١٩٧١م، ص ٩١-٩٢.

(٥) نفس المرجع (ص ٩٢).

(٦) من هو مئير كاهان؟ يهودى امريكى ولد فى بروكلين فى نيويورك حيث انشأ فيها منظمة عرفت باسم رابطة الدفاع اليهودية. واسس منظمة اخرى فى اسرائيل سماها منظمة «كاش» هدفها اجلاء عرب القدس والضفة الغربية. هذا الحاخام واليهودى هو الذى اشعل الحريق فى المسجد الاقصى.

(٧) خطوة على الطريق الطويل ـ حسن بن عبد الله آل الشيخ ـ مجلة المبتعث ـ واشنطن العدد ٣، ١٤٠١هـ، ص٢.



الكثير من دول العالم أصبحت تقف الآن مع القضية الفلسطينية والحق العربى.

الهيكل.. وقبة الصخرة

● إن تدمير الأقصى وقبة الصخرة يمهدون له بتدمير (جامع حسن بك) في يافا فماذا نحن فاعلون؟

بقلم: محمد سليم رشدان

■ كان الصوت الشجي ينطلق مع الفجر، فيتجاوب في جنبات الشاطيء الوادع، عند (حي المنشية) في مدينة (يافا)، ويشنف الأسماع لدى أولئك الذين ينهضون مستجيبين لأداء الفريضة المكتوبة، وهم يترحمون على الرجل الصالح (حسن بك الشعّار)، الذي استنهض الهمم ذات يوم، الى بناء هذا المسجد، بوازع من مشاعره الدينية، وليس بدافع من عمله الرسمي للدولة العثمانية. فكان حصاد ذلك: قيامه شامخاً يحمل اسمه ويستقبل الناس من منارته الشاهقة صوت الأذان عند كل فريضة.

انها ذكريات الشيوخ من مدينة يافا.. وإن هذه الذكريات ما تزال راسخة في اعماقهم، يذكرونها - نازحين ومقيمين - كلما ذكروا المدينة السليبة، وذكروا فيها (حي المنشية)، والأثر الاسلامي البارز (جامع حسن بك) الذي كان يجمّله ويشرف عليه بمنارته المديدة من كافة ارجائها.

■ وقد ابت اسرائيل (صنيعة العدوان) الا ان تفجعهم بذلك، فتوعز الى فئة من المتطرفين لديها بنسف هذا الأثر من قواعده، فاذا به تتهاوى منارته وتتناثر جدرانه، ويتصدع ما بقي منها وهو يوشك ان يخر الى الثرى، لتنطوي معه تلك الذكريات جميعاً، وينطوي معها جانب مشرق من تاريخ المدينة الباسلة المناضلة (يافا) عروس الشاطىء، التي طالما حمل برتقالها كل عام تحيتها العطرة، الى مختلف جوانب المعمورة.

■ ولم يكن من قبيل المصادفة المحضة، ان تقوم فئة ثانية من أولئك المتطرفين، باشعال النار في (مسجد الشيخ جراح) في مدينة (القدس)، في الفترة ذاتها، التي تم فيها نسف (جامع حسن بك) وتدمير منارته من اساسها.

■ ان اسرائيل تعلم علم اليقين، ان وجود المساجد في فلسطين كلها - مدنها وقراها - شاهد ناطق بزيف ما تدعيه، في وطنها التاريخي المزعوم، الذي تسميه «مملكة التوراة». ولذا فهي حريصة أشد الحرص على استئصال هذا الشاهد حيثما كان، وازالة آثاره ومعالمه من الوجود فيما حولها.

اجل ان اسرائيل تعلم ذلك جيداً..

وما دامت قد اقدمت في الأمس غير البعيد على إحراق المسجد الاقصى، وانتزعت جانباً كبيراً من الحرم الابراهيمي، ولم تجد من العرب والمسلمين من يقف في

وجهها ليحول بينها وبين ما تفعل، بل لم يزد ما فعلوه على الاحتجاج واصدار البيانات وما كان ذلك ليضير اسرائيل، بل ما كانت لتقيم له وزناً ما دام ذلك كله كلاماً لا يحرك ساكناً، ولا يبدل من واقع الأمر شيئاً.. وان الصمت الذى قابل به قومنا ما اقدمت عليه اسرائيل فى مدينتى (يافا) و(القدس)، جرأ احد المسؤولين - على اثر ذلك - ان يقول متبجحاً معتداً:

«ان قيام الهيكل على انقاض قبة الصخرة، سوف يتحقق لا محالة ولا يفصلنا عن ذلك سوى الوقت الذى ننتظر ان ينقضى ولسوف ينقضى أخيراً».

ولئن تحقق ذلك - ويبدو أنهم يتسابقون فى الطريق إلى تحقيقه - فلسوف تكون الطامة الكبرى.

وان تصريحات المسؤولين فى اسرائيل لا تنتهى وهم يتحدثون فيها عن المستقبل الذى يتطلعون اليه، ويحققون فيه مراحل دولة الانطلاق الى قيام (مملكة التوراة).

وأولى هذه المراحل:

تضم فيها اسرائيل - الى جانب ما فى يدها - سيناء بكامل ابعادها والاردن بكل ما يحويه وسهل حوران الى ابواب (دمشق) وحرمون و(جبل الشيخ) بكافة اطرافه، ومن مختلف جهاته، وجنوبى لبنان بكافة سهوله وهضابه، وكل ما يحويه من مياه وسدود.

تلك هى أولى مراحل الانطلاق الى اقامة (مملكة التوراة).. يصرحون بذلك علانية وهم فى امريكا ويصرحون به علانية وهم فى اوروبا، وتنشر ذلك عنهم الصحافة هناك بل تصدر عنهم - فى هذا كله - الكتب المتعددة، ولا يقصرونها على العبرية وحدها، بل ينشرونها باللغات المقروءة التى يفترض بالمثقفين من العرب والمسلمين - مسؤولين ومواطنين - ان يطلعوا عليها، ويقرأوها بتمعن واهتمام، لينذروا قومهم بذلك، او يحذروا الآخرين من اخوانهم العرب والمسلمين منها.

■ واسرائيل ماضية فى مسلسلها التعسفى هنا.. حتى تهدم الأقصى المبارك وقبة الصخرة الشريفة، وتقيم على انقاضهما (الهيكل) و(دار الحكمة) وتهدم كافة المساجد على أرض فلسطين، لتمحو كل أثر من آثار الاسلام هناك، وتحقق - بعدها - مملكة التوراة المزعومة.

● لقد أنشأ العرب لجنة الدفاع عن القدس..

● ولقد أشركوا بهذه اللجنة المسؤولين من العرب ما بين المحيط والخليج، وجددوا انتخاب رئيس هذه اللجنة فى مؤتمر الطائف، الذى تم افتتاحه فى المسجد الحرام، وفى ظلال الكعبة المشرفة.

● وكان فيما اتخذته اللجنة يومذاك:

«اعلان الجهاد المقدس لتحرير القدس، على ان يبدأ هذا الجهاد المقدس بكافة وجوهه واول هذه الوجوه هو جهاد الكلمة..».

■ ويظل السؤال الحائر يتردد فى اعماق كل نفس، من نفوس تلك الملايين العديدة من العرب والمسلمين فى اوطانهم المترامية ما بين المحيطين: (الاطلسى) و(الهندى)..

● يظل السؤال الحائر يتردد:

● ترى، متى يعلن العرب والمسلمون جهادهم بكل انواع وجوهه، جهادهم الذى يستأصلون به اسرائيل من جذورها ليقتلعوا بذلك العدوان الذى تبيته لهم ولا تبالى أن تعلن عنه بكل ما تملكه من وقاحة؟.

● متى يفعل العرب والمسلمون ذلك؟.

● انهم أوفر عدداً واكثر مالاً وأوسع رقعة ولديهم من الامكانات الهائلة ما يتفوقون به حتى على اعوان اسرائيل، الذين يمدونها بالقوة ويصلونها بعنصر الحياة..

● انهم كذلك وهم يعلمون هذا

● فما لهم لا يثبتون وجودهم إذن؟.

(١٠٤) صورة اجتماعية فى مثل

من أمثال الحجازيين الموروثة : (لا محمد عند الكُتّاب، ولا فاطمة ورا الباب). يضربونه لمن لا يعول أحداً. وهذا المثل يصور لنا المجتمع آنذاك حيث يذهب الولد للكتاب ليتعلم القرآن والكتابة وتبقى البنت فى البيت تساعد أمها فى شئونه، ويذهب الأب لطلب الرزق ولكن هذه الصورة تغيرت اليوم فالابن والبنت يذهب كل منهما مبكراً الى المدرسة.

(١٠٥) لسان العرب

القرآن لسان العرب الناطق، وقلب الاسلام النابض، وصلة السماء بالأرض ومن يسمع القرآن كأنما يسمع الله ـ جل جلاله ـ يتكلم، أرسل به جبريل الأمين الى محمد النبى الكريم ليبلغه الأمة الرائدة القائدة فهو من آمر مطاع الى أمين مبلغ الى النبى المرسل الى مأمون حفيظ، فويل لمأمون ضيع أمانته وأية أمانة؟ انها رسالة السماء الى الأرض.

(١٠٦) الجيزى والجيزة

جاء فى مقدمة الأم للشافعى، بقلم محمد زهرى النجار: فتلقى عن الشافعى ـ يرحمه الله ـ العلم علماء كثيرون، منهم الربيع الجيزى (وقد سميت الجيزة باسمه). . . الخ.

قلت: ليس هذا صحيحاً، فالجيزة كانت معروفة منذ الفتح الاسلامى، وورد اسمها فى حوادثه، واذاً فالجيزى منسوب الى الجيزة، البلدة المعروفة بمصر، وليس العكس صحيحاً.

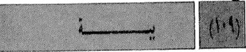
(١٠٧) الدبلوماسية ومنع التجول

العرب خاصة والمسلمون عامة لهم السبق فى كثير من المبادىء التى نستوردها الآن من الغرب، وكأنها بضاعتنا ردت الينا، فأول منع للتجول عرف، ذلك الذى فرضه رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوم فتح مكة، إذ قال: من دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن. فقال العباس رضى الله عنه: يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً يرضيه. فقال النبى: ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن.

فهذه اشارة بأن من ظل فى شوارع مكة معنى ذلك أنه محارب، وأما اعطاء هذه الرضوة لأبى سفيان فان النبى ﴿ﷺ﴾ يعرف أنه مادام أن من دخل بيته أمن ومن دخل المسجد أمن فما حاجة أحد الى دار أبى سفيان، ولكنها الأريحية ولين العريكة، فهى بلغة اليوم (الدبلوماسية).

(١٠٨) الجانون على أنفسهم

ثلاثة يعزلون أنفسهم: الدائم الحزن، والمغرور، والبخيل.



عندما يكون الطفل صغيراً ينادى والديه بألفاظ تتناسب وقدرته على النطق، ففى المدن يقول: (بابه) وفى البادية يقول: (ببّه) وكذلك مامه وممّه.

وكان البعض يظنها من العامية، علماً أن جزيرتنا لا تكاد تجد فيها الفاظاً عامية، انها فيها لحن لطول الزمن، فلو تكلم أمامك بدوى فعددت كلماته كلمة كلمة لم تكد تجد كلمة غير عربية، إلا أنه لا يعرب.



وجاء في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ويحيى بن محمد أمّه بنت ببّة، ثم ذيل الشارح قائلا: ببّة هو عبد بن الحارث. وكلهم من قريش. وجاء في أخبار مكة أن ببّة هذا كانت أمه ترقصه فتقول:

لا نكحن ببه فتاة خجبّه
تسود أهل الكعب

أي ان ببّه كان تدليلا للصغير بمعنى «أبي» فحجت على عبد الله وغلبت اسمه.

(١١٠) شركة هولاكو

جاء في احدى الصحف السعودية اسم «شركة هولاكو» كإسم للشركة، ترى هل يعرف مؤسسو هذه الشركة من هو هولاكو؟. بل هل يعرف من يتعامل معها من رسميين وغير رسميين من هو (هولاكو)؟.

(١١١) أقوال

يد فوق يد، ويد الله فوق الكل. الابتسامة، أقرب الطرق الى قلوب الناس. شرط المرافقة الموافقة. اذا أردت أن تبنى فابدأ من القاع. الاشراف من القمم جميل، ولكن البقاء عليها مستحيل إذا لم تستطع أن تصل الى القمة فلا تبق في السفح.

(١١٢) علاقة الادارة باللهجات المحلية

كثيرا ما تستعصى أمور على الحاكم لا يستطيع حلها إلا بالاستنباط والذكاء، ومن ادوات الاستدلال في بعض القضايا اللهجة المحلية ومن الشواهد على ذلك:

١ ـ كان الشريف الحسن بن أبى نمي(١) من أهل الفراسة والذكاء وله في الاستنباط غرائب وعجائب، ومنها: أن رجلين مصرياً ويمنياً اختصما عنده في أمة يدعى كل منهما ملكيتها ولم يستطع القضاة البت في القضية فأحضر الجارية وأخرج لها قمحاً وسألها: ما اسم هذا؟ فقالت: (ام بر) فعرف أنها يمنية المنشأ، فحكم بها لليمنى.

(عن سمط النجوم العوالى: ٤/٣٦٥)

٢ ـ وقبل عدد من العقود كان رجل يمنى مطلوباً ولم تكن للناس هذه البطاقات فتلهج المطلوب بلهجة أهل الحجاز وانتسب الى غير نسبه فعمى أمره، حتى اشتبه أحد الضباط في شخص ولكن لم يجد عليه بينة، وبعد أن كاد يطلق سراحه أحضر جفنة من الدقيق فعرضها عليه، وقال: ما اسم هذا؟ فقال الشخص المتهم: (دقيق) وأخرج القاف كما ينطقها أهل اليمن، فقبض عليه وثبت أنه هو المطلوب.

٣ ـ كنت ذات مرة عند أحد المسؤلين فوجدته منزعجاً وكان مهيباً قلما يكلم، فسألته فعرفت منه: (أن شخصاً اسمه بعيزان) يبحث عنه في مقمنه ولم يوجد.

قلت لذلك المسؤول: أتسمح لى بابداء رأيي؟. قال ـ في لا مبالاة ـ تفضل. قلت: ليس (بعيزان) من اسماء عرب الجزيرة العربية، إنما يسمون (بعيجان) ولكن بعضهم ينطق الجيم بلكنة يشتبه فيها بأنها زاى، وهذا ما حدث لكاتبكم، قيل له (بعيجان) فكتب (بعيزان).

ولما كان الرجل من نفس البيئة ارتاح الى هذا التحليل، وأمر بالبحث عن بعيجان، فجيء به خلال ثلاثة أيام. وهكذا يظل الاداري في أى بلد لابد أن يعرف لهجات ذلك البلد، والا سيظل يفتقد عنصراً مهماً.

حلاوة المقال:

قال أبو العلاء المعرى:

أولو الفضل في اوطانهم غرباء
تشذ وتنأى عنهم القرباء

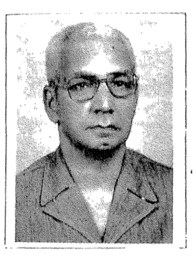
(١) توفى سنة (١٠٠٩هـ) وله من العمر ٧٩ سنة وخلف ٢٥ ولداً و٢٢ بنتاً.

ملامح حضارية في الأدب الأموي

(٤)

سياسة الأمويين من أدبهم

د. حسين نصار



الدولة الأموية يستقرىء المطلع على ملامحها الحضارية مجموعة سمات واضحة تشكل الأساس لبنيتها تلك التي يأتي ضمنها الوجه العربي والاهتمام بالتراث والوجه الديني.. وفي كل ذلك طرحت الدراسة اهتمام الأمويين بهذه الأوجه لأهميتها وترابطها مع بعضها.. وكان الوجه الديني للدولة الأموية هو موضوع الحلقة الماضية من هذه السلسلة إذ بيّن فيها الدكتور نصار اهتمام الخلفاء الأمويين وحاشيتهم ومن ورائهم الشعراء بهذا الجانب ورعايتهم له واحتفاءهم به.

وصل إلينا عدد من رسائل الامويين وخطبهم تكشف عن سياستهم وتطورها وتصورهم للحاكم المثالي وذلك ما أريد أن أجلوه في هذا المقال.

فطن الأمويون الى أن خلافتهم تضم شعوبا متباعدة، وفئات مختلفة تتباين في المزاج والمطالب والطرق التي تسلك للوصول الى ما تريد، والى أن سياستهم يجب ألا تكون واحدة ينفذونها عليهم جميعا. وإنما يجب أن يتبعوا مع كل منهم السياسة التي تلائمه، وتضمن خضوعه للسلطة.

ولم أعثر على حديث كثير عن أهل الذمة، وإنما هي إشارات متفرقة الى من كانوا يدفعون الجزية، وكانوا - في ذلك العصر - فريقين: أهل الذمة الذين حافظوا على أديانهم وفرضت عليهم معاهداتهم مع المسلمين أداءها، والذين دخلوا في الاسلام منهم واستمر الأمويون في أخذ الجزية منهم على الرغم أن المعاهدات لا تفرض ذلك.

■ فقد ألغى عمر بن عبد العزيز الجزية عمن أسلم، وأصر على موقفه إصرارا شديدا، كتب الى عدي بن زيد واليه على البصرة: «ونهيتك عن فعله (يريد الحجاج بن يوسف الثقفي) في الزكاة فإنه كان يأخذها من غير حقها. ثم بسحاء مواقعها، فاجتنب ذلك منه، واحذر العمل به» (جمهرة الرسائل ٢/ ٣١٢، ٣١٤ - ٥، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٧١).

ولكن يزيد بن عبد الملك أعادها ثانية وكتب الى ولاته: «فإن عمر كان مغرورا غررتموه أنتم وأصحابكم. وقد رأيت كتبكم اليه في انكسار الخراج والضريبة. فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده، وأعيدوا الناس الى طبقتهم الأولى: أخصبوا أم أجدبوا،

أحبوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا» (جمهرة الرسائل ٢/٣٩٣).

ووعد يزيد بن عبد الملك فى أولى خطبه بعد الخلافة باللطف بهم والتخفيف عنهم، . قال: «ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وأقطع به نسلهم» (جمهرة الخطب ٢/٢٠٧)

وعد الأمويون أهل الشام أنصارهم الخلص الذين يوطدون لهم الملك، ويخمدون الثورات ويجب أن يقربوا كل التقريب ويعزلوا عن المشاغبين كي لا يتأثروا بهم وعدوا العراقيين أهل السخط الذين لا يقر لهم قرار، غير أنهم أهل قوة وبسالة فالواجب إرضاؤهم على أى حال. أما الحجازيون فيجب لهم الاكرام والرعاية. أوصى معاوية بن أبى سفيان - حين حضرته الوفاة - ابنه يزيد فقال: «فانظر أهل الحجاز، فإنهم أصلك وعترتك. فمن أتاك منهم فأكرمه. ومن قعد عنك فتعهده.

وانظر أهل العراق. فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا، فافعل، فإن عزل عامل أهون عليك من سل مئة الف سيف. ثم لا تدرى علام أنت عليه منهم.

ثم انظر أهل الشام. فاجعلهم الشعار دون الدثار. فإن رابك من عدوك ريب فارمهم بهم فإن أظفرك الله بهم، فاردد أهل الشام الى بلادهم ولا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم (جمهرة الخطب ٢/١٧٧).

■ وتجاوز معاوية - فى نصيحته لابنه - وضع السياسات المختلفة نحو الشعوب الى وضع السياسات المتباينة حيال الأشخاص الذين خشى أن يخرجوا على ابنه. فقال له: «وإنى لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن على، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبى بكر.

■ فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع. واذا لم يبق أحد غيره بايعك.

■ وأما الحسين بن على فإنه رجل خفيف. وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه. فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة، وحقا عظيما وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه.

■ واما ابن أبى بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم.

■ واما ابن الزبير فإنه خب ضب. فإن ظفرت به فقطعه إربا إرباً. (جمهرة الخطب ٢/١٧٧).

●● ومهما يكن من شىء فقد كان الأمويون يعرفون أنهم أخذوا الخلافة اقتدارا وعلى كره من جماعة المسلمين واعترف بذلك منهم الواحد بعد الآخر.

■ قال أولهم - معاوية - يخاطب أهل المدينة: «فإنى - والله - ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتى. ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة» (جمهرة الخطب ٢/١٧٢). وقال عبد الملك فيهم: «بعثنا عليكم (مسلما) يوم الحرة فقتلناكم. فنحن نعلم - يا معشر قريش - انكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة، ونحن لا نحبكم أبدا ونحن نذكر قتل عثمان» (جمهرة الخطب ٢/١٨٥).

وحرصوا على إعلام الشعوب ألا تطلب منهم سيرة مثل سيرة الخلفاء الراشدين الذين اتخذهم المسلمون مثالا للحكم الصالح. قال معاوية فى خطبة عام الجماعة: «ولقد رضت لكم نفسى على عمل ابن أبى قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارا شديدا. وأردتها على سنيات عثمان، فأبت علىّ. فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه منفعة» فكان معاوية غاية فى الصراحة، إنه سيأخذ سياسة قائمة على (المنفعة) ليست منفعة المحكومين وحدهم، بل المنفعة المشتركة أى منفعة الحاكم والمحكومين معا.

■ وعلى الرغم من ذلك فقد بدأ يزيد بن الوليد عهده بخطبة شبيهة بما بدأ به كل من أبى بكر وعمر عهده، والسبب فى ذلك الظروف التى تولى فيها بعد أن قتل الوليد بن يزيد. قال بعد أن عرفهم نواياه حيالهم: «فإن أنا وفيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة وإن لم أف لكم فلكم أن تخلعونى إلا أن تستتيبونى. فإن أنا تبت قبلتم منى. وإن عرفتم أحدا يقوم مقامى - ممن يعرف بالصلاح - يعطيكم من نفسه مثل الذى أعطيتكم، فأردتم أن تبايعوه، فأنا أول من بايعه، ودخل فى طاعته» (جمهرة الخطب ٢/٢٠٧)

■ وقد عنى الخلفاء الامويون عناية شديدة بتوضيح أركان سياستهم نحو شعوبهم. وأهم أركانها المعايشة الحسنة التى تقوم على تألف الرعية وإجزال العطاء للمحب ثوابا، وللمبغض مداراة، قال معاوية فى أولى خطبه عام الجماعة: «فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه منفعة: مؤاكلة



حسنة، ومشاربة جميلة، فإن لم تجدونى خيركم فإنى خير لكم ولاية» (جمهرة الخطب ٢/١٧٢). وقال يزيد بن الوليد: «ولكم على إدرار العطاء فى كل سنة، والرزق فى كل شهر، حتى يستوى بكم الحال فيكون أفضلكم كأدناكم» (جمهرة الخطب ٢/٢٠٧) وقال عتبة بن أبى سفيان فى خطبته فى أهل مصر: فالزموا ما أمركم الله به، تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا» (جمهرة الخطب ٢/٢١١) وقال خالد بن عبد الله والى البصرة لعبد الملك ابن مروان حين عاتبه على تبديده الخراج «استعملتنى على العراق وأهله رجلان: سامع مطيع مناصح، وعدو مبغض مكاشح. فأما السامع المطيع المناصح فإنا جزيناه، ليزداد ودا الى وده. وأما المبغض المكاشح، فإنا داريناه ضغنه وسللنا حقده، وكثرنا لك المودة فى صدور رعيتك» (جمهرة الخطب ٢/٢٢٠).

وطلبوا من كل واحد من أعوانهم أن يكون «على الضعيف رفيقا، وللمظلوم منصفا، فإن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أرفقهم بعياله، ثم ليكن بالعدل حاكما، وللأشراف مكرما.. وللرعية متألفا، وعن إيذائهم متخلفا.. وفى سجلات خراجه واستقصاء حقوقه رفيقا (جمهرة الرسائل ٢/٥٣٧).

■ ووعد يزيد بن الوليد الشعب بأمور متعددة قال: «أيها الناس: إن لكم على ألا أضع حجرا على حجر، ولا لبنة على لبنة، ولا أكرى نهرا، ولا أكنز مالا، ولا أعطيه زوجا ولا ولدا، ولا أنقله من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله. فإن فَضَل فَضْل. نقلته الى البلد الذى يليه. ولا أجركم فى بعوثكم فأفتنكم وأفتن أهليكم، ولا أقفل بابى دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم» (جمهرة الخطب ٢/٢٠٦).

■ ووعد معاوية الشعب بمنحه حرية القول، وعدم معاقبة أحد إذا اكتفى بالمعارضة القولية، قال: «والله: لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دبر أذنى وتحت قدمى» (جمهرة الخطب ٢/١٧٢).

ولكن الخلفاء الامويين هددوا من يتعدى المعارضة القولية الى التمرد والخروج بالعقاب الصارم. وقد اختلفت ألوان هذا العقاب باختلاف الرجال. فاكتفى عتبة بالعقاب المكافىء لعمل المعارض. قال للمصريين: «وأيم الله لا أداوى أدواءكم بالسيف ما صلحتم على السوط، ولا أبلغ السوط ما كفتنى الدرة ولا أبطىء عن الأولى ما لم تسرعوا الى الأخرى فالزموا ما أمركم الله به تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا» (جمهرة الخطب ٢/٢١٠).

■ أما عبد الملك فلم يضع لعقابه حدودا، قال: «أيها الناس: إنى ـ والله ما أنا بالخليفة المستضعف (يريد عثمان بن عفان) ولا بالخليفة المداهن (يريد معاوية بن أبى سفيان) ولا بالخليفة المأمون (يريد يزيد بن معاوية) فمن قال برأسه كذا، قلنا له بسيفنا كذا» (جمهرة الخطب ٢/١٨١).

■ وكشف عبد الحميد الكاتب فى رسالته الى الكتاب أن الخلفاء كانوا يتوقعون من أعوانهم وكتابهم صفات نحو الجمهور بأن يكون الواحد منهم «فى مجلسه متواضعا حليما»، وصفات نحو الدولة أن يكون «للفىء موفرا، وللبلاد عامرا» وصفات نحو الحاكم نفسه «أن يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه، فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وصبره، ونصيحته، وكتمان سره، وتدبير أمره، ما هو جزاء لحقه» (جمهرة الرسائل ٢/٧٣٦).

■ واعتنوا بالعدل عناية شديدة فأكثروا من ذكره. وكان أكثرهم احتفاء به عمر بن عبد العزيز. قال فى رسالة له الى عدى بن أرطاة والى البصرة: «أما بعد: فالعجب كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب بشر كأنى لك جُنّة من عذاب الله. وكأن رضاى عنك ينجيك من سخط الله عز وجل. فانظر من قامت عليه بينة عدول فخذه بما قامت عليه به البينة. ومن أقر لك بشىء فخذه بما أقر به. ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله. وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلىّ من أن ألقى الله بدمائهم، والسلام» (جمهرة الرسائل ٢/٣١١). وقال الحسن البصرى فى رسالته الى عمر يصف فيها الامام العادل: «اعلم ـ يا أمير المؤمنين ـ أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف» (جمهرة الرسائل ٢/٣٧٨).

ندوة الشهر



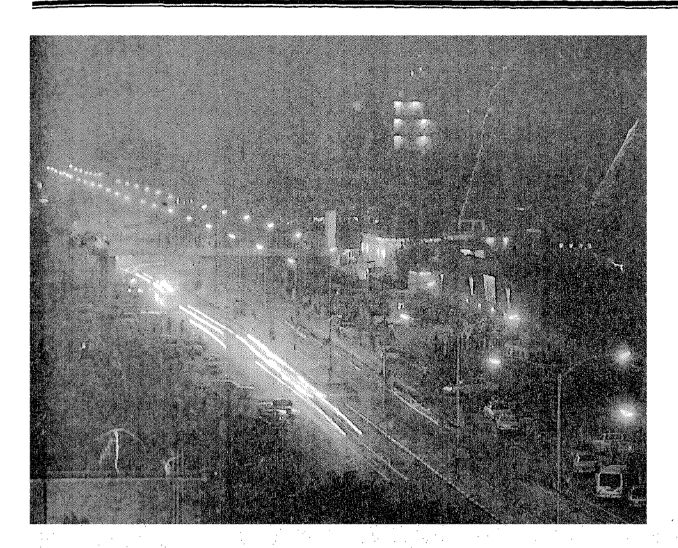
بالتعاون مع المركز الإسلامى
الافريقى بالخرطوم

كل شهر
موضوع جديد
وتطلع جديد . .
وشراع يعبر أعماق
أمتنا العربية
والاسلامية
يستقرىء ماضيها
ويعيش حاضرها
ويتطلع الى
مستقبلها

حوار اجراه
السماني كمال الدين

الأدوار الثقافية ومسؤولية المثقف

يسعد مجلة المنهل وكرغبة شخصية من رئيس تحريرها الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصارى عقد لقاء وحوار حول الثقافة العربية فى السودان ودور المثقف فى حركة دفعها . . وكنت مهتماً بالمكان الذى يعقد فيه هذا الحوار . . وكانت رغبة رئيس التحرير ان يعقد هذا الحوار بالتعاون مع مؤسسة علمية أو مركز علمى ثقافى له اهتمامه بالثقافة والآداب والفكر وبالحياة الدينية بصفة عامة . . وكان كرماً فياضاً واخوياً صادقاً من الاخوة الاعزاء القائمين بامر هذا المركز (المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم) الدكتور ابراهيم ابو عباة مدير المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم والدكتور عبد الرحيم على نائب المدير للشئون التعليمية والثقافية فقد رحبا بان يقام هذا الحوار فى قاعة هذا المركز فلهما الشكر والتقدير.



● أوائل العرب الذين دخلوا السودان لم يحملوا معهم كامل معطيات الثقافة العربية .

● عندما نقول بتقريب الشقة بين الافريقية والعربية لا نعني ازالة الاوتار الافريقية في ثقافتنا .

● مدرسة الغابة والصحراء لم تدع الى زنوجة بل هي حركة للتقريب بين ثقافتين .

تعلمون ان الثقافة في مدلولها الأشمل والأوسع تشمل حركة الحياة كلها أي كيفية تعامل الانسان تجاه الحياه ومعطياتها اذ ان الثقافة التي يقتصر معناها على المخزون المعرفي فقط لدى الانسان تظل بهذا المفهوم لدى الفرد متساوية تماماً مع جهاز (الكمبيوتر) الذي تختزن ذاكرته كماً هائلاً من المعرفة والعلوم . . اما الثقافة التي تعنيها ونقصد إليها هي تلك التي تحول هذا المخزون المعرفي الى سلوك امثل متعقل متزن تجاه الحياة وقضاياها ولعل المدلول المعجمي يسعفنا بهذا الذي نتجه عندما يقول : الثقافة من ثقفت العود أي عدلت اعوجاجه وقوّمته . وإذا سحبنا هذا المضمون المادي على المضمون المعنوي في داخل الانسان ذهبنا الى أن الثقافة هي تقويم اعوجاج النفس لتعديل سيرها في الحياة .

■ وهذا المضمون في كلياته أو جزئياته يدخل في محاوره المتعددة النتاج الأدبي والفكري والمعرفي والفني وغير ذلك مما يدخل في دائرة الاهتمام الانساني .

والثقافة العربية رغم توحدها هدفاً ومنهجاً وغاية في كل البلدان العربية الا أنها في شيء من تفاصيل جزئياتها قد تجد

فيها نوعا من الاختلاف من بلد لآخر ومن شعب لآخر من حيث نشأتها والمهد الذى احتضنها وطبيعة توجهها.

بناء على هذه النشأة قد تختلف ولو اختلافاً طفيفاً من بلد لآخر تماماً كما يختلف أسلوب الكتابة من كاتب لآخر.. تميّز وتفرد فى الأسلوب.. والتقاء واتفاق فى الحرف والكلمة ولعل هذه المحاور وغيرها مما يظهره النقاش والتداول تكون خطوطاً عريضة لهذا الندوة.

ولنبدأ الحوار من حيث المكونات الأولى للثقافة العربية فى السودان وبلورتها للشخصية السودانية فى ضوء معطياتها الاولى:

الدكتور مالك بدرى:

من الواضح ان جذور الثقافة السودانية - إذا صح لنا استخدام كلمة ثقافة سودانية او حضارة سودانية - من الواضح ان هذه الجذور مكونة من ثلاثة جوانب: اولها الجانب الاسلامى الروحى.. ثم الحضارة العربية فى تقاليدها الموروثة.. ثم الحضارة الافريقية التى نشأ فيها هذا المزيج - ولا شك - فى رأيى - ان الشخصية السودانية وصبغها بهذا المزيج من الافريقية والحضارة والتقاليد العربية التى أتى بها من نشروا الاسلام فى هذه الديار. ثم الاسلام نفسه كأسلوب للحياة، لان الاسلام لا يحمل المفهوم الاوسع والاشمل فحسب للحياة - فهو يشمل الجانب الروحى والاقتصادى والاجتماعى والنفسى.. هذا المزيج - لا شك - اعطى الشخصية السودانية صورة متميزة..

والحضارة السودانية يمكن ان نقول انها نسيج وحدها فى هذا الامر، ويستطيع الدارس فى مجال علم النفس الاجتماعى والاجتماع ان يرى بعض الخصائص العربية البدوية فى سلوك الشخصية السودانية.



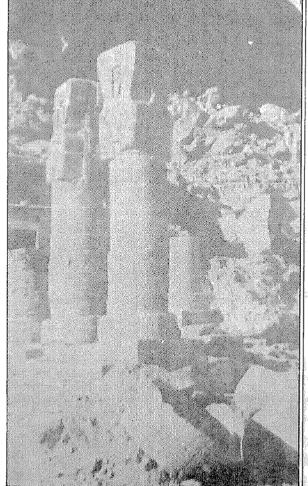
د. ابراهيم أبو عباة مدير المركز



د. مالك بدرى



شلاب



● الأثار فى شمال السودان تمثل أنموذجاً للحضارة السودانية القديمة

● صياغة الشخصية القومية تكون على منهاج المقومات الأساسية للثقافة الأم.

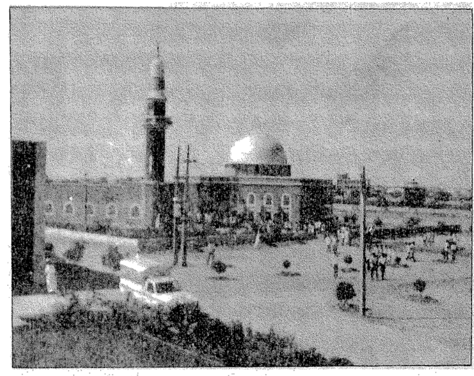
ومن امثلة ذلك:

الثقافة فى الحديث

إذ يقول الانسان ما فى نفسه بعيداً عن المقدمات فى الكلام ومحاولات التطرف فيه او تنميقه.. والتجربة التى قمت بها واخذت نماذجها من عدد من السودانيين واللبنانيين والمصريين من

● عملت الحركة الانفصالية فى جنوب السودان الى اظهار الفوارق فى الدين واللغة والعرق.

● أنماط الانتاج والموسيقى غلب عليها الموروث الافريقى.



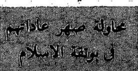
خلال (المثل) اكدت لى هذه التلقائية فى الشخصية السودانية.

غلبة الشعور الدينى

وهذا يمكن دراسته من خلال مجموعة من الأمثال الشعبية التى تمثل قيماً ثابتة فى كيان الشخصية السودانية ومن هذه الامثال (ربنا يعيش الدودة بين حجرين) و(ربنا ماشقة حنكنْ ضيَّعه).. وتمثل هذه وغيرها قوة ايمانية مترسبة فى الشخصية السودانية منذ معرفتها بالدين الاسلامى إذ اصبح يشكل سلوكياتها التى تعكسها هذه الامثال وغيرها.



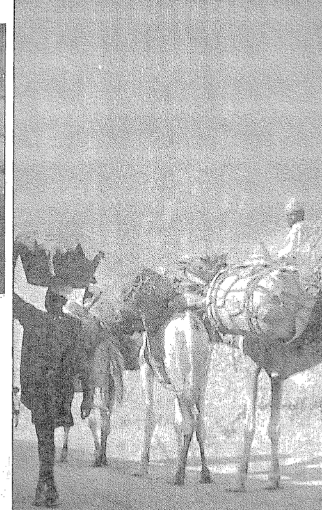
وهذه لا شك فيها الجانب الاسلامى وفيها القيمة العربية البدوية حتى قبل الاسلام وتقف عند هذا المثل (الصَّقْرْ إنْ وقعْ كَتَرْتَ البَتابتْ عيب) وهذا يؤكد قيمةَ الصبر عند المصائب وينبذ الجزع.



اذ عندما اعتنقوا الاسلام وآمنوا به عملوا جاهدين على صهر موروثاتهم القديمة فى دائرته، وان بقيت بعض هذه الموروثات من العادات والتقاليد خارج دائرته الا انهم قد حسبوها من الدين او قريبة منه بتقادم الزمن عليها.. وهذا يظهر فى بعض عادات الزواج والختان والحداد وغيرها مما توارثه السودانيون القدماء من الحضارة الفرعونية والنوبية والأفريقية.

المنهل:

خلاوى القرآن الكريم



● جامعة الخرطوم . . صرح من الصروح الثقافية والعلمية .

● لا تزال الجمال وسيلة من وسائل التنقل في بوادي السودان .

(الكتاتيب) كانت تسجل ظاهرة شبه عامة في المجتمع السوداني من بعد اعتناق السودانيين للاسلام ديناً ومنهجاً . وكانت تمثل اولى الطرق التى ينبغى سلكها فى سبيل تعلم الدين وعلومه . . واهتم بها العلماء والفقهاء على قلتهم آنذاك واعتنوا بأمرها أىّ ما عناية . . واضافة الى هذه الخلاوى كانت هناك حلقات العلم التى يعقدها العلماء والفقهاء فى المساجد وفى منازلهم . وتخرَّج على أيدى هؤلاء العلماء من اثروا الحياة العلمية والثقافية والفكرية . . وكانت هذه الوسائل تمثل الخلية الاولى والأساس الذي ادى الى نشر التوعية الدينية . . وتجاور النظامان التعليميان معاً (الاهلى والحكومى) ليكونا معاً نبعاً ثراً ينهل منه طلاب العلم .

■ وتتمركز نقطة الحوار التالية فى البحث عن مدى تاثير حركة الدفع تلك وبأساليبها التى عهدت عنها فى مستقبل الحياة الثقافية والفكرية والادبية فى السودان .

الاستاذ احمد شيلاب :

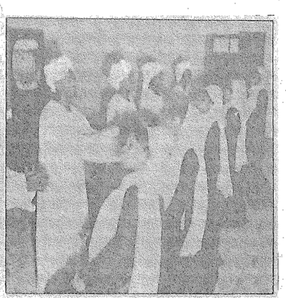
يسرنى أن ألبى دعوة مجلة المنهل فى الاشتراك فى هذه الندوة مع هذه النخبة الممتازة من العلماء والأدباء .

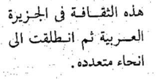
الثقافة والمدنية والحضارة

كلمات دار حولها حديث طويل ومتشعب وكثيرا ما تستخدم واحدة من هذه الكلمات بمعنى مرادف للأخرى ومما ارتضيه من ان الثقافة هى الجانب المعنوى والفكرى والروحى والجمالى فى مجتمع ما . . وان المدنية هى الادوات التى تستخدم . . وعادة ، المدنية هى المدنية والتحضر ـ فى تعريف ابن خلدون انها مقابل البداوة وان الحضارة كاصطلاح تشمل الجانبين والحضارة بهذا المفهوم هى مجموع الانشطة الانسانية فى واقع تاريخى معين فى بيئة معينة .

■ ونحن الآن نتحدث عن الثقافة وكاننا نتكلم عن الخلاصة التى تنعكس فيها حضارة من الحضارات . . والثقافة العربية ثقافة لها خصائص معينة وتتلخص فى :

● اولا : انها ثقافة انبثقت من اصل واحد وليست هى أمشاج من ثقافات متعددة . . انبثقت





■ فى شمال السودان نجد هذا النموذج من الفن الشعبى.

● رقصة من التراث الشعبى الافريقى فى جنوب السودان.

هذه الثقافة فى الجزيرة العربية ثم انطلقت الى انحاء متعدده.

● ثانيا: انها ثقافة متألقة.. جميلة غاية الجمال. ودقيقة غاية الدقة.

● ثالثا: ان لغة هذه الثقافة اصبحت وعاءاً للنص الالهى الوحيد المحفوظ من الكتب المقدسة وهو القرآن الكريم وقد كتب لهذه اللغة الخلود بخلوده.

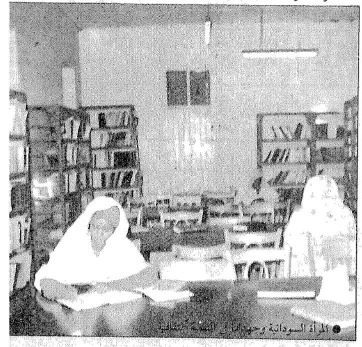
● رابعا: ان الثقافة العربية مع احتفاظها بأصالتها ذات سماحة ومرونة وانفتاح مما جعلها تمتد على نطاق العالم كله عندما حملت رسالة القرآن الكريم - وبذلك حملت خصيصتها الخامسة والاخيره وهى انها اصبحت ثقافة عربية اسلامية لا يمكن فيها ارى الفصل بينهما.. واصبحت احدى الثقافات العالمية الثلاث التى عرفتها البشرية عبر تاريخها الطويل..

■ والثقافة العربية هى ثقافة واحدة ولكنها ذات فروع متعددة ولابد انها تتأثر وتؤثر فى الماضى والحاضر بحسب البيئات.. بحسب الزمان.. وبحسب المكان.. وبحسب الانسان الذى يستخدمها ويستظل بها ويصنعها ويضيف اليها.

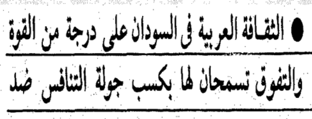
واذا جئنا الى السودان فإننى اتفق مع الدكتور مالك بدرى فى المكونات الاولية للشخصية السودانية فى ان السودان عربى اسلامى إفريقى.. ولكنى اتحدث عن الثقافة ولا اتحدث عن الشخصيه.

■ وفى الحديث عن الثقافة أجد فى السودان انماطاً متعددة من التفكير ومن ممارسة الحياة.. لان الثقافة هى اسلوب حياة اسلوب فى التفكير، اسلوب فى التغيير، اسلوب فى السلوك فى الحياة.. وكذلك أجد ان بعض الدارسين قسموا السودان الى مناطق متعددة لثقافات

● المرأة السودانية وجهدها فى التنمية الثقافية.



● المرأة السودانية وجهدها فى التنمية الثقافية



● الثقافة العربية فى السودان على درجة من القوة والتفوق تسمحان لها بكسب جولة التنافس ضد الثقافات الاخرى.

● أنماط التحسين والتقبيح ظلت عربية اسلامية.

متعدده . . ولكنى عند البلورة اضع ثقافات السودان فى ثلاث: الثقافة العربية ـ الثقافة الغربية الوافدة الى السودان ـ الثقافات الافريقية ولا اقول الثقافة الافريقية. ولكل من هذه الثقافات خصائص ولكل تيارات.

■ والثقافة الاسلامية العربية فى السودان ليست هى الثقافة الوحيدة ولكنها الثقافة الكبرى ـ وهى ايضا الثقافة الاكثرر سماحة فى التعاون والتجاوب واستيعاب غيرها من الثقافات والتعايش معها . . والثقافات الافريقية هى ثقافات محلية وليست لاى منها قوة التأثير فى تاريخ البشرية المكتوب كما للثقافة العربية الاسلامية ـ دون ان نظلم الثقافات افريقية وبصرف النظر عن تأثرها بالاسلام . . وبصرف النظر عن تأثرها بالحرف العربى كما فى السواحيلى وغيرها فاننا نجد فى جنوب السودان ـ بحسب احصاء معهد الدراسات الافريقية والاسيوية فى جامعة الخرطوم قرابة مئة وعشرين لغة ـ هم يقولون (لغة) ولا يقولون لهجة وليس بين هذه اللغات لغة واحدة لها حرف مكتوب ـ وبطبيعة الحال ليس فى هذه اللغات ذلك التراث ولا ذلك الشعر ولكنها تكون وسائط للتعبير لهؤلاء الناس عن حاجاتهم ومشاعرهم . .

■ وعندما آتى لاضع مخططاً للثقافة السودانية ارجو ان يكون هذا المخطط متسماً بالاصالة والمعاصرة فى آن واحد والتى اعرف كواحد من

● الثقافة العربية فى السودان ليست موضع مساومة لحل الاشكال السياسى.

● ديمقراطية الثقافة تعنى حق المواطن فى المعرفة وحريته فى التعبير.

● مجالس العلم التى عقدها العلماء والمشائخ فى دورهم ومساجدهم كان لها دورها فى تكوين الثقافة السودانية.



د. عبد الرحيم على والاستاذ أمين حسن عمر

المشتغلين بالثقافة ان التخطيط الثقافى من اصعب الامور، ولا يتأتى لافراد مما يستوجب ان تتضافر عليه الجهود من قبل المؤسسات المهتمة بهذا الجانب - ورغم هذا فانى اضع بعض الخطوط العريضة تكون فى نظرى مرشحة لان تكون نقاط تخطيط:

● اولا: اللغة العربية كوعاء اعظم للثقافة السودانية بكل تياراتها ومنابعها لانها اللغة الوطنية، ولانها لغة افريقية الاولى، لانها متوطنة فى هذه القارة قبل فجر الاسلام.

● ثانيا: الحضارة الاسلامية كأساس للبناء الثقافى بالنسبة للذين يدينون بالاسلام وبالنسبة للذين لا يدينون بالاسلام.. إذن هى تصلح ان تكون اساساً للبناء الثقافى فى السودان وهى لديها الخير للجميع من غير تفرقة فى الجوانب الانسانية العامة والحقوق المشتركة.

● ثالثا: الفنون الافريقية الجميلة التى صهرتها البيئة السودانية وهذه الفنون موجودة فى البيئة الافريقية سواء كانت فنوناً تعبيرية من موسيقى واغانٍ واصوات.. او تشكيلية حيث الفنون ايضا تمثل خصيصة من خصائص الثقافة السودانية.

■ هذه الخصائص الثلاثة: (اللغة - الحضارة - الفنون) تمثل ركن الأصالة - فى الثقافة السودانية.. وهذه الثقافة ينبغى ان تكون ذات طابع عصرى ايضاً.. وهذا يتحقق لها اذا ما اخذت بالحرية والديمقراطية ثم امتلاك المناهج والاساليب العلمية والفنية الحديثة.. وكذا الانفتاح الايجابى على الغير أخذاً وعطاءاً..

ولا خلاف ان ديمقراطية الثقافة تعنى حق المواطن فى المعرفة وتعنى من ناحية اخرى الحرية فى التعبير عن ذات نفسه دون عدوان على الآخرين ودون المساس بأساسيات السلوك الاجتماعى العام.

■ وقد اخذنا بهذا المفهوم كاطار فى النظام السياسى وينبغى ان نأخذه كاطار للنظام الثقافى المشرق.

■ الانفتاح الايجابى نحو تيارات الادب أخذاً وعطاءاً - هذا ينعش العطاء الوطنى.. واذا انطلق من اصالة فانه يصفى الثمين من الغثّ.. والطيب من الخبيث.. وهنا تبنى الحداثه على اساس من الاصالة فتمتنها وتقويها. فالمناهج العلمية - والعلم لا وطن له - والديمقراطية.. والتجاوب او الانفتاح الايجابى.. خصائص ثلاثة للمعاصرة.. بجانب ذلك فان هناك ثلاثة اخر متصلة بالهدف والاسلوب والادوات.

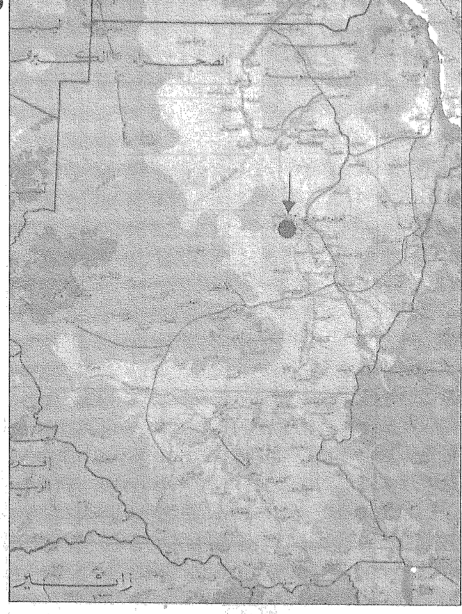
ينبغى ان يكون هناك مبدأ للتواصل والتكامل والربط بين التيارات المختلفة.. وان يكون

د. عبد الرحيم على


محمد المكى ابراهيم


احمد عمر عبيد الله





بجانب ذلك توظيف للثقافة دون ان يفقدها أصالتها أو من اجل التقدم والنهوض والوحدة.

■ إن بناء ثقافة وطنية يتطلب وجود كيان مستقل وقائم بذاته للشئون الثقافية. وهذا الكيان اما ان يكون وزارة قائمة بذاتها كما تقرر ذلك بالنسبة لكل الدول العربية فى مؤتمر وزراء الثقافة العرب الذى عقد فى الاردن عام ١٩٧٦م او مجلساً أعلى له نفس هذه الشخصية.

وفى داخل وزارة الثقافة والاعلام السودانية نجد الاجهزة الثقافية تنقسم الى قسمين: قسم يتعلق بالثقافة الساكنة التاريخية وهى دار الوثائق ودار الآثار.. وقسم يتعلق بالثقافة المتحركة او الثقافة الجماهيرية - وهذا مصطلح حديث نسبياً - وهذه متصلة بالمجلس القومى للآداب والفنون، ومصلحة الثقافة، وبعض اقسام اخرى مشتركة - مثل مؤسسة الدولة للسينما.. وهذه الاجهزة كلها ينقصها الحد الأولى من امكانيات العمل ومن الاستقرار ايضاً.. ولابد لكى تضع ثقافة فى السودان صحيحة ان ننظر الى الثقافة كبعد أساسى من ابعاد التنمية لانها متعلقة بالانسان ومتعلقة بالشخصية خصوصاً مع وجود تعدد وتنوع فيه تناقض وتضارب - وخصوصاً مع وجود غزو ثقافى يزداد عاماً بعد عام.

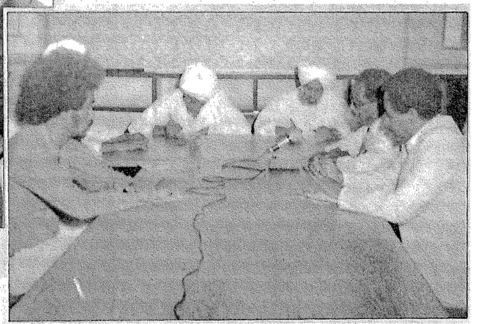
● الثقافة العربية الاسلامية هى الاكثر سماحة ومرونة فى التعامل مع الثقافات الأخرى.

● الثقافة العربية هى ثقافة واحدة لكنها ذات فروع متعددة.

● بعض الامثال الشعبية السودانية تمثل قيمة ايمانية.

● الامثال الشعبية تمثل فى مجموعها قيمة سلوكية واجتماعية.

● مدارس تعليم القرآن الكريم فى السودان أثبتت جدارتها العلمية.



■ والتيار الثقافى المتميز الجاد يستلزم قيام وزارة للثقافة قائمة بذاتها ولا بأس ان نتعاون مع الاعلام والتربية والشئون الدينية ومراكز البحث وغيرها مما يؤدى الى التنمية الثقافية ويساعد على اتضاح سماتها وغيرها.. وهذه العملية متصلة بثلاثة انشطة هى:

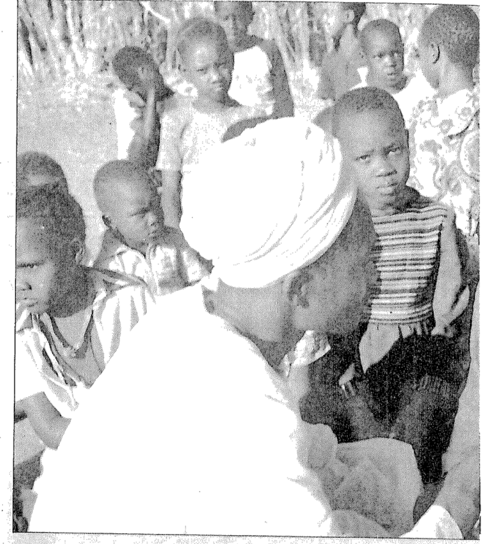
● اولا: وضع هدف كبير لصياغة الشخصية على ضوء المؤشرات السابقة.. بمعنى ان تكون الثقافة للشعب ومن اجل النهوض بالشعب.

● ثانيا: وجود مستوى ومقاييس وكادر يقوم بهذا العمل ويتوفر عليه.

● ثالثا: وجود ادوات مركزية واقليمية تتعاون جميعها من اجل الغاية المرجوة لتنسج خيوط الثقافة الوطنية السودانية والتى هى جزء من الثقافة العربية الاسلامية ولكن لها أيضاً خصائصها ولها كيانها.

والذى أراه ان موضوع الثقافة فى السودان يحتاج الى مزيد من البحث.

■ الثقافة فى كل أمة تتكون من مكونات اساسية هى: (الدين - الادب - الفن). فالأدب هو فن اللغة.. والدين هو العقيدة التى تشكل علاقة الانسان بالكون وترسم له اطار اخلاقياته وتعامله مع الآخرين ولذلك اصبحت المعارف الانسانية متعددة



وكثيرة.. والفن هو مزيج بين هذا وذاك في المباح.

د. عبد الرحيم علي:

التعريف الذى ساقه الأستاذ احمد اسماعيل شيلاب للثقافة واتصالها بالحضارة والمدنية اظن انه يتسع لما ذكره الدكتور مالك بدرى للشخصية.. لان الشخصية جزء من التكوين العام للأمه او الشعب الذى يخضع لمؤثرات ثقافية منها الادب والدين واللغة والتراث التاريخى والبيئة الجغرافية، وكل هذه الاشياء تصوغ الشخصية.

وفى هذا الحوار أبدأ بالحديث عن الشخصية وما هى العوامل التى أثرت على تكوين الشعب السودانى ثقافياً.

ولعل الامر يبدأ من دخول اللغة العربية والاسلام الى بلاد النوبة والمناطق الافريقية التى تسميها الآن (السودان).. وتفاعل هذه الثقافات والافكار والقيم والدين والعناصر مع العناصر الموجودة فى هذه البيئة.. ولا شك ان هذا التفاعل هو الذى ادى الى اختلاط بيئتنا العربية وأصفها بالعربية بدون تحفظ.. إلا أنى اجد فيها مميزات وخصائص تميزها عن بقية البلاد العربية.. فهذا مُسَلَّم به.. فعرب العراق يختلفون عن عرب تونس.. وتونس عن منطقة المشرق.. ولهذا نجد لكل شعب ما يتميز به من خصائص دون الآخرين.

■ ومن الاشياء التى اثرت فى تكوين الشخصية السودانية هى ان العرب المسلمين عندما دخلوا السودان دخلوه غير فاتحين وانما دخلوا داعين وتجاراً ورعاة، يتتبعون مساقط الغيث، فانشأوا لهم مراكز وتفاعلوا مع البيئة المحليه، ونشأ من هذا الانصهار التدريجى خصائص عرفية وثقافية.

واظن ان هذا الانصهار التدريجى كان من آثاره ايجاد سمات وقسمات مميزة لهذا الشعب.. وما حدث فى السودان من انصهار واندماج يظل شاهداً على مرونة الشعوب العربية فى التداخل والانصهار مع الشعوب الاخرى.

■ وفى هذا المجال اذكر كلمة للاستاذ الدكتور على المزروعى يقول فيها: «اذا نظرنا الى الثقافات او الى النظم الثقافية فيما يتعلق بالعرق والانصهار فى العالم نجد ان الثقافة العربية الاسلامية قد قدمت اكثر

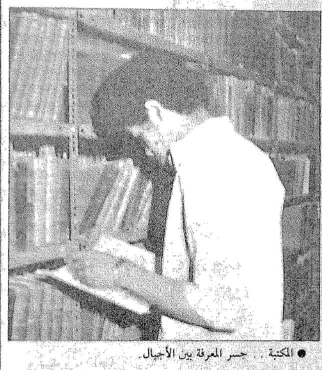
● الثقافات الافريقية ثقافات محلية ليس لها قوة التأثير فى الثقافة العربية.

● ينبغى على اهل العلم والمعرفة الا يقيموا خصومة بينهم وبين وسائل الاعلام حتى لا يحتلها أدعياء العلم والمعرفة.

● الدين ـ اللغة ـ الحضارة والفنون تمثل ركن الأصالة فى الثقافة السودانية.

هذه النظم مرونة وسماحة ـ وعلى هذا فان شعوباً كاملة غير عربية انصهرت فى العرق العربى واصبحت عربية الثقافة . . وعربية العرق» . . والسودان يقف شاهداً على الانصهار العرقى والثقافى

■ ومن ناحية الثقافة اتسم انتشار الثقافة العربية فى السودان بشيىء من الرفق والتدرج ـ ومن آيات ذلك اننا حتى الآن كما ذكر «البروفسير مالك بدرى» لا تزال هنالك عادات سابقة للاسلام يتعايش معها الناس . . بعض العلماء والمشايخ الذين نشروا الاسلام شاؤا بحكمتهم ان يستوعبوا الجزء الذى يمكن استيعابه من العادات ومن الثقافات القديمة فأدخلوها فى اطار الاسلام وبعضهم شاء ان يكف عنها وبقيت موازية ومعايشة للثقافة الاسلامية تتعرض فى الحقب المختلفة

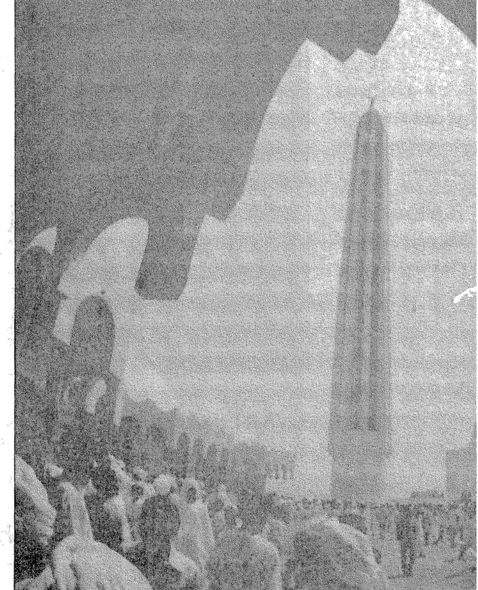


● المكتبة . . جسر المعرفة بين الأجيال.

للمعارضه . . ولكنها تزول التقاليد القديمة لمصلحة التقاليد الاسلامية شيئاً فشيئاً وتذوب فيها دون ان يحدث انفصال تاريخى بين دخول الثقافة الاسلامية وامحاء الثقافات الافريقية السابقه . . ولا شك ان هنالك عادات تتعارض مع قيم الدين فهذه رفضوها تماما واخرى ظن العلماء ان يجدوا لها هامشاً من القبول فعايشوها وقبلوها واكثر هذه الامور فيها يتعلق بالعادات.

الدين والعادات دوائر متداخله ـ لا شك ـ لان العادات هى جزء من التصور العام والدين بدخوله فى تفاصيل حياة الفرد يكيف هذه العادات ويوجهها.

ونضرب مثلا لذلك: تجد الناس فى السودان يحتفلون بمعنى انهم يهتمون بـ (الوفاة) اكثر مما يحدث فى بقية البلاد العربية، ويقيمون لذلك مراسم خاصة ومأتما، والوفاة تعد مناسبة اجتماعية جامعة للعائلة والاهل والاقارب والعشيرة، وهى موقف للتضامن الاجتماعى وللتأمل فى بعض الاحيان . . وربما من

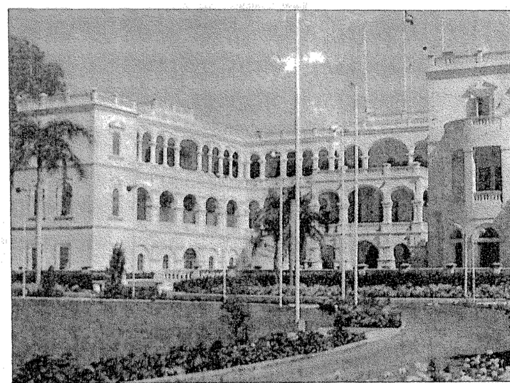


● مسجد النيلين فى ام درمان أحد مراكز الثقافة الاسلامية.

المعقول ان نظن ان هذه العادة من التقاليد الافريقية الموروثه.. ولا يزال الافريقى فى المناطق التى لم يتأثر فيها بالثقافة الاسلامية اكثر احتفاء بالموت من غيره من الشعوب ـ بل ان الاديان الافريقية عُرِفَتْ بانها اديان الارواح والآباء والموت.

ولا يزال السودان بلد القباب المصاحبة للمساجد.. فكثير من مساجده فيها قباب.. وهذا من الامور التى دخلت مع نمط الدين الذى دخل السودان وهو النمط الصوفى ـ بل ان كثيرا من قرى السودان نشأت حول مشائخ وتسمت باسمائهم.. وكان من عادة هؤلاء المشائخ والعلماء ان يقيموا فى اماكنهم تلك مساجد يتجمع فيها المريدون فيتعلمون فيها الدين والسلوك على ايدى مشائخهم.. وحولهم تقوم القرى وتنشأ بالتالى حضارة وثقافة معينة لها صفات خاصة. وهذه القرى الصغيرة التى انشأها العلماء كان لها دورها فى تكوين الثقافة السودانية.

■■ اذا نظرنا الى مجال الادب والفنون ـ وهو مجال هام من مجالات الثقافة ـ نجد ان السودانيين لم يختلفوا عن غيرهم من الشعوب العربية فى ان ثقافتهم كانت ثقافة عربية اسلامية.. وفى الادب والشعر اشك فى أننا نستطيع ان نجد مميزات قاطعة بين شعراء البلد الواحد خاصة الشعراء الذين اختاروا ان يكتبوا على المنهج الشعرى القديم ـ بل ولا تكاد تميز بين شعراء مصر وشعراء السودان وشعراء اليمن ـ مثلا ـ وغيرهم إلا بما تجده من شواهد البيئة المحلية اما فيما عدا ذلك فيما يتعلق بالتعبير عن الانفعالات او الكلام عن المناسبات فان الشعراء فى المنطقة العربية يتشابهون تشابها كثيرا.. لكن مع ذلك فلابد أن للأدب العربى فى السودان صفات بيئية وربما عنَّ لدارس ان يبدى لهذا الادب خصائص خاصة أو معالم درجت فيها بعض القضايا بصفة خاصة فى شعرنا السودانى او فى الادب السودانى بمعامة وهذا فى نظرى لم يبرز حتى



● القصر الجمهورى . . وقد شهد عدداً من الحركات السياسية.

● نظام التعليم يظل المرتكز الأساسى لبناء الثقافة مما يجب نحوه الاهتمام بامره.

● المثقف ـ دائماً ـ عليه عبء دفع الحركة الثقافية فى السودان.

● السودان غلب عليه الطابع الأفريقى فى الفن.

الآن من الناحية النقدية بصفة كافية.

■■ فى جانب الفنون اظن ان السودان غلب عليه الطابع الافريقى خاصة فى الموسيقى. ولعل السبب فى ذلك ان الموسيقى العربية لم تكن من مهمة العلماء الذين نقلوا الثقافة الاسلامية او لم يكن من همهم ان يشجعوها، فقبلوا الموسيقى الافريقية كالطبل وغيرها هذا على وجود شىء من التشابه بين موسيقانا وموسيقى اليمن فيما يبدو. وهذا علم لاهل الموسيقى يصعب علينا التوسع فيه اكثر من ذلك.

■■ وفى مجال النحت والتصوير شعر فنانون فى السودان ان يقلدوا الفن الافريقى لسبب او آخر. وبنظرة سريعة فيما يعرض فى المتاحف السودانية تلمس غلبة الجانب الافريقى فى فن النحت.

الاستاذ محمد المكى:

ان هجرة عربية كبيرة قد وفدت الى السودان، واحفاد هذه السلالات العربية المهاجرة توجد الآن على طول النهر، وفى منطقة ما بين النهرين، وفى بوادى السودان الممتدة من (البطانه) الى شمال دارفور وشمال كردفان، وهؤلاء العرب لهم صلة قديمة جدا بالسودان لم يتمكن المؤرخون من تحديد بداياتها.

واذا ما اطلعنا على (المسعودى) فى تاريخ البلدان نجده يتحدث عن معاهدات تمت بين السودان والخليفة الراشد عثمان بن عفان. . ويشهد التاريخ ان معاهدة السلام التى وقعت بين العرب والسودان كانت فى ٦٣٢م معاهدة (البقط).

وقبائل النوبا فى شمال السودان كانت اول من استقبل الوافدين العرب من جهة الشمال واتخذوا الاسلام ديناً والعربية لساناً ـ الا انهم يقولون ايضاً ان لهم ثقافة الى جانب الثقافة العربية، ولهم لغة يتخاطبون بها ايضاً الى جانب العربية. . ولكن تبقى الثقافة العربية الاسلامية هى القيمة الاساسية فى تعاملهم مع الآخرين وفى تشكيل سلوكهم ـ وهم بهذا عرب بالاستعراب.

■ الثقافة الاسلامية العربية تشتمل على كتلة ضخمة من اهل شمال السودان ـ هذه الكتلة تمثل الأغلبية الساحقة بالنسبة لتعداد السودان فى مجموعه

● ازدواجية التعليم كان لها أثرها السلبي فى البنية الاجتماعية.

● عملوا على صهر موروثاتهم فى بوتقة الاسلام.

● وسائل الاعلام لها مقدرة فائقة على صياغة المزاج القومى العام.

● بناء الثقافة الوطنية يتطلب وجود كيان مستقل وقائم بذاته للشئون الثقافية.

العام . . وتزداد ميزة الغلبة بالنسبة للثقافة العربية لانها لا تنافس ثقافة افريقية واحدة وانما تنافس مجموعة من الثقافات الافريقية . . واذا انفردت الثقافة العربية باى من تلك الثقافات لرجحت كفتها . . كانت هذه الثقافات الافريقيه فى نظرى فى حالة خمول وخمود تام حتى حدث الصدام المؤسف فى جنوب السودان ـ الصدام الانفصالى الذى حدث باكراً قبيل استقلال السودان ـ ومن شأن هذه الحركة الانفصالية فى جنوب السودان أن تنبه الناس إلى اختلافهم عن الاغلبية المسلمة فى الشمال لغة وديناً وعرقاً . . وظلت تلك الحركة تنمى هذا المفهوم فى أبناء جنوب السودان ـ ولكن يلاحظ ان هذا التيار بدأ يضمحل كثيراً وينزوى فى الفترة الممتدة من عام ١٩٧٢م حتى ١٩٨٤م، حتى ان كثيراً من اهل الجنوب تعلموا اللغة العربية، وان كثيرا من نسائهم اتخذن الزى الاسلامى الذى يرتدينه نساء الشمال زياً لهن، وبدأ الرجال منهم يلبسون الجلباب كما عند بقية اهل السودان ـ ثم فجأه انعكست الآية تماماً عند التمرد الثانى ١٩٨٤ فخلعوا عنهم كل ما كان ينتمى الى مناطق وسط وشمال السودان . . ومعلوم انه فى حالة الصدام بين الثقافات تتمسك كل ثقافة بمواقعها ومناهجها ويرفضون رموز الثقافة الاخرى . . وهذه المشكلة سوف تواجه المشتغلين بالثقافة فى السودان لوقت طويل.

■ ومن المعروف والمؤكد ان الثقافة العربية فى السودان ليست موضع مساومة لحل الاشكال السياسى إذ لا يمكن لاحد ان يسلخ السودان من ثقافته العربية الاسلامية . . كما نؤكد للفئة الاخرى أصحاب الثقافات الافريقية اننا لسنا بصدد تغييرهم أو فرض ثقافة بعينها عليهم . . واننا نكن الاحترام لكل موروثاتهم وعاداتهم . . والثقافة العربية فى السودان على درجة من القوه والغلبة والتفوق بحيث يغدو مضموناً ان تربح جولة التنافس السلمى والحضارى بين الثقافات . . ويستطيع اى باحث الآن ان يلاحظ ان اللغة العربية فى تقدم كبير ـ والمزاج الفنى فى تقدم كبير أيضاً.

والمثقف السودانى عليه ان يصطنع لغة وسيطة للتفاهم وللاعلام ـ ونرى ان بعض الناس الآن اما ان يتحدثوا بلغة فصيحة فتحس انهم يتحدثون من فوق رؤوس الجماهير او يصطنعون دارجة ممعنة فى (الدارجية) فتحس انهم يتحدثون من تحت اقدام الناس.

أقول لابد من هذا التبسيط . . ولابد من استغلال كافة وسائل الاعلام الحديث . . لان هذه الاجهزة الاعلامية لها تأثير شديد وقوى على المستمع والمشاهد . . ولها مقدرة على صياغة المزاج القومى العام . . ولذا فانى ادعو الاخوه المقتدرين والمبدعين من الشعراء وكتاب القصة والمسرحية ان يتعاملوا مع هذه الاجهزة بما يعرف فيهم من جدية وبراعة فى الأداء.

الأستاذ أحمد عبيد الله:

الشخصية السودانية كما ذكر الاخوة غلبت عليها فى صياغتها وتشكيلها العام الثقافة العربية الاسلامية.

■■ استطاع الاسلام ان يستوعب كثيرا من العادات والتقاليد للشعوب الافريقية وصهرها فى بوتقته ـ ما لم تتعارض مع اساس من اساسياته . . وأتى كل ذلك من غير حملات عسكرية بل اقتناع

● يمكن حصر الثقافة فى السودان فى ثلاثة اتجاهات أساسية / الاسلامية العربية ـ الأوروبية والثقافات الأفريقية.

● برز الى السطح تيار الثقافات الأفريقية فى السودان فى الفترة الحالية.

بالحسنى. وكثير من الدارسين يركزون عمل الثقافة فى بناء الشخصية السّويّة وبالتالى يحتاج هذا الى بناء اهداف، وهذه بدورها تحتاج الى تأطيرها فى اطار فلسفى معين.

■■ والفلسفة الاسلامية تعتبر هى الاطار الاصيل لأهداف الثقافة التى نبغيها... مفردات الثقافة (الادب ـ الدين ـ الفن) نجد ان الفن وفن النحت فيه بخاصة غلبت علية السمة الافريقية كما ذكر الدكتور عبد الرحيم على ـ وتفسيرى لذلك ان قضية النحت من المنظور الاسلامى فيها وجهة نظر وقد تكون ممنوعة تماماً من الوجهة الاسلامية ولذلك لجأ اليها الفنان السودانى وتناولها فى جانبها الافريقى كموروث قديم.

■ بالنسبة لوسائط الثقافة من وسائل اعلام (اذاعة ـ تلفزيون ـ صحف ـ مجلات) فانه مقصرة تماماً فى اداء وظيفتها الحقيقية فى تنمية الثقافة وتوجيهها.. وفيما ذكره الاستاذ محمد المكى ابراهيم فى محاولة ايجاد صيغة تفاهم وسيطة يتعامل معها الجميع ويفهمها فانه فى هذه النقطة يأتى دور الوسائط الاعلامية والوسائط التربوية.. إذعليها جميعها ايجاد لغة وسيطة يسهل التخاطب بها.

المنهل:

لعله يجدر بنا الآن ان ننتقل الى نقطة اخرى من نقاط هذا الحوار وهى تتعلق بدور المثقف فى دفع حركة المد الثقافى فى السودان.. ودور وسائط الاعلام من مسموعة ومرئية ومقروءة فى التنمية الثقافية والتطور بها نحو الافضل والاحسن تجاه حركة الحياة المتجددة يوما فيوما... نعلم ان الحركة الثقافية فى السودان مرت بعدة اطوار من البداية والنشأة مروراً بحركة الجيلين الاول والثانى والتى بلغت قمتها فى مجلتى النهضة والفجر وما واكبها وتلاهما من صحف ومجلات فى فترات العقود الثلاثة المتتالية من العقد الثالث وحتى السادس من هذا القرن، حيث بدأت الحركة الثقافية فى السودان تدخل مرحلة جدلية جديدة لدى بعض الاصوات التى رفعت أطر الثقافة الافريقية ثم حركة ما عرف بالغابة والصحراء.

الاستاذ أمين عمر:

قبل ان اتحدث عن دور المثقف فانى أرجع قليلا الى ما اثير من حوار فى بعض النقاط السابقة وفى قضية التمازج الثقافى اقول إن هذا التمازج فى الثقافة السودانية يشكل دوراً فريدا متميزاً اذ أن هذا التمازج تم بالتدريج من غير اندفاع ـ ولذلك ظلت بعض الجوانب يغلب فيها التيار الافريقى حتى فى جانب العقائد الروحية الافريقية.. .والمسيحية ظلت جوانب منها موجودة يتعامل بها الناس كموروث وسبب هذا الخليط أن تيار الدفع الاسلامى الوافد كان كتيار النهر العريض فاتراً فى قوة اندفاعه ـ ويضاف الى هذا ان العرب الذين وفدوا الى السودان كانوا رعاة.. ففى جوانب العقيدة واللسان كانت الغلبة للسان العربى وللعقيدة الاسلامية.. أما بالنسبة للجوانب العملية المرتبطة بالاداء والانتاج والتقنيات فان الغلبة فيها كان للموروث الافريقى السودانى لان العرب كما قلت جاءوا رعاة لا شأن لهم بالزراعة مثلا ولا الصناعة ومتعلقاتها ولذلك تعامل العرب الوافدون مع هذه المعطيات ومع مسمياتها المحلية ودخلت هذه الادوات اللغة العربية بمسمياتها.

لذلك نجد ان انماط الانتاج وانماط الزراعة فى أغلبها افريقية وانماط المعمار وانماط الموسيقى والرقص والفن كلها افريقية إلاّ ما استدل منها بانماط غربية.

■ اما انماط التحسين والتقبيح فهى انماط اسلامية عربية فقد كان

للمعايير العربية الغلبة فى المعايير الجمالية والتحسينية. واستطيع القول ان الجانب الافريقى فى الثقافة السودانية قد ضعف لان هذا الجانب كان يتعلق بالمعطيات المادية الحياتية وجاءت التقنية الغربية لتغطى عليه.. ولما كانت المعطيات الحياتية (التقنية) الغربية قد غطت على المعطيات الافريقية اصبح على الثقافة الافريقية ان تنافس الثقافة العربية فى اقوى جانب لدى الثقافة العربية الاسلامية وهو الجانب الروحى والاخلاقى والجمالى وبديهى ان الافريقية لا تثبت امام هذه المنافسة لان المعطيات العربية الاسلامية فى هذا المجال لها الغلبة.. ولذلك فانى ارى انه لم يكن هنالك صراع فى السودان بين العروبة والافريقية.. وانما الصراع حقيقة بين عروبة وأوروبية - ودعوة الاخوة فى جنوب السودان الآن هى ليس دعوة فى حقيقة الامر الى الافريقية فى مواجهة العربية وانما دعوة للاوربية فى مواجهة العربية سواء فى اللسان أو فى السلوك او فى أنماط الحياة.

■ فى مرحلة باكرة من مراحل الثقافة كان المثقفون السودانيون والمهتمون بامر الثقافة على وعى بهذه الخلطة (الافريقية - العربية) وظهر هذا الدور فى مدرسة (الغابة.. والصحراء)، لكن هذه المدرسة كان وعيها بافريقيتها أقوى من وعيها بعروبتها، وتحولت فيما بعد الى دعوة للافريقية والزنوجة عند بعض رموزها وظهر فى مواجهة (الغابة والصحراء) من رفعوا راية العروبة والثقافة العربية الاسلامية لانها هى الغالبة بحكم استقراء وقائع التاريخ.. والدعوة للافريقية فى الفترة الاخيرة تحولت من مجال الأدب الى مجال السياسة - ويلاحظ أن دعوة الزنوجه فى الفترات السابقة للثمانينيات لم تكن معادية للعروبة ولكنها تحولت فى هذا العقد الى دعوة معادية للعروبة ولكنها لحسن الحظ لم تجد ألسنة ادبية تدافع عنها وتعلى من شأنها والا لاصبح أمرها خطيرا.

وبالنسبة لدور المثقف السودانى فى دفع حركة الثقافة فانا نجد أن المثقف الجاد الواعى المدرك لمهمته وطبيعة وظيفته قد بعد عن ساحة الاداء وحل محله انصاف المثقفين ومن ليس لهم علاقة بالثقافة واحتلوا مراكز التوجيه فى الاعلاميات ومراكز الاتصال والوسائل السيارة مما ادى الى تدهور الوعى الثقافى - وهذا يحتاج منا الى وقفه وموقف.

منظر لسوق ام درمان ويظهر خلفه المسجد الكبير.

● الثقافة العربية رغم توحدها هدفا ومنهجاً الا أنها تختلف فى جزئياتها وتفاصيلها حسب صياغة المجتمعات ومعطياتها.

● السودان تقطنه مجموعات متنوعة الثقافات.

محمد المكى :

لى تعليق على بعض ما تحدث فيه الأخ أمين عمر.. تعلم أنى كنت أحد مؤسسى مدرسة الغابة والصحراء والمدرسة هى محاولة للتقريب بين العروبة والافريقية.. تعلمون انه فى ذلك الوقت

كان السودانيون يعتبرونها اساءة كبري لو قلت لهم ان فيكم عرقاً افريقيا.

ولهذا كان من الواجب ابراز الجانب الافريقى، ولم تكن هذه الحركة دعوة للزنوجه، ولم تكن ضد العنصر العربى، وانما هى فى الواقع محاولة للتقريب بين من ينفون علاقتهم بالافريقية ومن يتمسكون بافريقيتهم ويعتبرون الآخرين دخلاء عليهم.

فى وصفك للعرب الذين دخلوا السودان انهم كانوا بدواً رعاة أضيف إليه نقطة اخرى هى ان اؤلئك العرب لم يحملوا كامل معطيات الثقافة العربية بل كانوا مهددين الى ان يتحولوا الى زنج مثل ما تحول عرب نيجريا (الشوا) وغيرهم ويضيعوا فى المستنقعات ولكن انقذهم قرب مصر - انقذهم قرب السعودية عبر البحر - انقذهم الفتح التركى للسودان - واكمل انقاذهم محمد احمد المهدى عندما اعاد الاسلام الصحيح للسودان واعطى الثقافة العربية الاسلامية فرصة لتزدهر.. ونحن عندما نقول بتقريب الشقه بين الافريقية والعربية لا نعنى ازالة الاوتار الافريقية فى ثقافتنا.. ونحن بمحافظتنا على هذه الخلطه وتنميتها وتطويرها نكون فى اتجاه الاجمل والارفع والاقوى وبهذا نحتفظ بمخيلتنا أيضاً.

وفى ختام هذا اللقاء الثقافى نتقدم بخالص الشكر والتقدير للأساتذة الافاضل الذين شاركوا فيه بهذه الآراء الدقيقة العميقة.

المشاركون فى الندوة

(١) *بروفسير مالك بدرى: عميد كلية التربية المركز الاسلامى الافريقى.*

(٢) *الاستاذ احمد اسماعيل شيلاب: مدير مصلحة الثقافة بوزارة الثقافة سابقاً.. من العلماء المهتمين بقضية الثقافة.*

(٣) *الدكتور عبد الرحيم على: نائب مدير المركز الاسلامى الافريقى للشئون التعليمية والثقافية.*

(٤) *أمين حسن عمر: مدير تحرير جريدة الراية.*

(٥) *الاستاذ احمد عمر عبيدالله: رئيس شعبة التعليم.*

(٦) *الاستاذ محمد المكى ابراهيم: عمل سفيرا للسودان فى مجموعة من الدول الاوروبية والعربية - له عدة مؤلفات فى الدراسات السودانية - شاعر.*

كلمة..

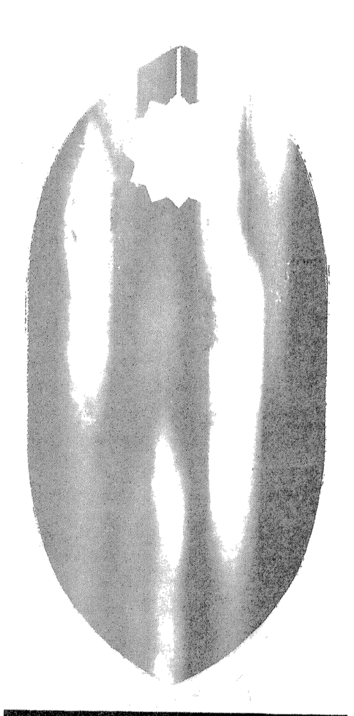
■ ما يظهر على سطح الأحداث من حين لآخر من ظواهر الثقافات الافريقية ومحاولة اظهارها وابرازها لا يتجاوز هذا العمل فترة زمنية محددة بدليل عدم استمراريته لانه فى اساسه عمل مرتبط بجوانب سياسية. وطبيعة الحياة السياسية تجاه قضية بعينها ان يشتعل أوارها ريثما يخمد بعد حين.. ولا يتجاوز الأمر ان يكون استراتيجية سياسية صحبت حركة ثقافية.. والامر فى وجهة نظرى لا يمثل ظاهرة.. وهذا بالطبع لا يمنع ان نكون على بينة من أمرنا.

■ الثقافة الاسلامية العربية هى البنية الاساسية للشخصية السودانية وان كانت تتفاوت قوة وضعفا فى بعض المناطق ولدى بعض المجموعات الأفريقية فى السودان.. وهذه الاخيرة ذاتها عاشت وتعيش بمعطيات الثقافة الاسلامية العربية بصورة واخرى فغالبيتهم يتحدثون العربية (وان كانت بطريقة غير سليمة). ولا شك ان اللغة وسيلة من وسائل التقارب الثقافى، فإذا كان هؤلاء القوم يتحدثون العربية ولو بصورة ركيكة الى جانب لهجاتهم المحلية فانهم خطوا خطوة نحو ثقافة هذه اللغة مما يجدر معه ان يتقدم اهل هذه اللغة وثقافتها نحوهم خطوات ليأخذوهم اليهم.

وهذا الازدواج الذى عبر عنه بالقول المشهور (انهم يصلون بلسان ويتخاطبون بلسان) بادرة خير الى ان (يصلوا ويتخاطبوا) بلسان واحد إذا ما اهتم القائمون بامر الثقافة العربية فى السودان بشأنها وبسبل ووسائل انتشارها وتوسيع رقعتها عن طريق الوسائط الاعلامية الشعبية وعن طريق الكتاب المدرسى وعن طريق أساليب التعليم المتطورة المدروسة بكل دقة واتقان

المختار

قصائد العدد



العدد ٤٥ رجب ١٤٠٩هـ
المشرف
محمود عارف

من وحي الإسراء

محمود شاور ربيع

من ساحة البيت الحرامْ
مسراك يا خير الأنام
وعلى البراق يشع نـ
ـورك بين زمزم والمقام
واتيت للأقصى سُرى
وخطوت تسبق للأمام
والرسلُ كنتَ إمامَهُم
أكرمْ بشخصك من إمام
وسموت قدسيَّ الخطا
وعلوتَ اطباقَ الغمام
أنت النبى المصطفى
مسكُ النبوة والختام
حتى بلغتَ المنتهى
وأخذتَ تدنو فى سلام
جبريلُ عنك تأخرتْ
خطواتُه دون اقتحام
هذا مقامى فلأقِف
كل له مِنّا مقام
اللهُ قد أدناك منه
عُلًا وأسمعكَ الكلام
وحباكَ خيرَ هدية
تهدى الى خير الأنام
إن الصلاة ذخيرة
للناس فى يوم الزحام
هى قصةُ الشرف الرفيع
ومنّةُ المنن الجسام
المشركون تفزَّعُوا
منها ولجُّوا فى الخصام
لكن ابو بكر أتى
وعلى مُحيّاه ابتسام
صدقَ النبىُّ فإنه
بالصدق يعرفه الكرام
والله ربى قادر
سبحانَ مَنْ يحيى العظام
والأمرُ رهنُ قضائه
وبأمره يسرى الغمام
ذكراكَ يا خيرَ الورى
عيدٌ لنا فى كلّ عام

.. لكنه مؤمن

احمد محمد زيتون

أنا نَجْمتى قدسيةٌ علياء
أنا نجمتى ما طاولتْها سماء
أنا نجمتى ليست تضىء بقدر ما
هى من مشاعل راحتى تضاء
فتبثُّ شمساً يُستضاء بنورها
مَنْ أدركتْهُ أنارَ منه رداء
فإذا الليالى قد قُتِلن بمطلعى
وغدون صبحاً لبسهن بهاء
وإذا النهار قد اعترته كآبةٌ
من بعد إشراقى هوالظلماء
ويقول ما بالى نُسيتُ كأنما
فى صبحه أنا عتمةٌ حلكاء
هلا علمت إذا الشموسُ تظلَّمَتْ
بظلامةٍ منها سقاها بكاء
أنا نجمتى هى موقد فلذاتُهُ
إيمانُ نفسى قد زكاها دعاء
هى نجمتى نفحاتُها بسنائها
تفرح لربٍّ قد حباها رجاء
هى مسجدٌ محرابُها بيقينها
قد زخرفتهُ مكارم شماء
هى مرتقى صعبُ المنال إذ انتفت
عن أى نفس ومضة حسناء
أنا من أنا . . أنا من جهلت مراتبى
فلرُبَّ منزلةٍ بها العظماء

فتظن أنك قد بلغت ذُرى العُلى
يثنيك عن إعلائها الإعياء
هى من خطاى على بداية سُلَّمٍ
فى الأرض توصله بها الأنواء
نفسٌ قد امتزجت بروح حلقت
فوق العُلى كم دونها العلياء
ستشب لكن فى شبابك معول
وبكُمْ تزول جهالةُ ظلماء
وتعود للدنيا بشارة أحمد
حكم العدالة قد أتى الخلفاء
ماء زلالٌ نهرُه يجرى بما
تجرى الكرامةُ فيك والإيباء
وسترتوى تلك الجموعُ بحشدها
ظمئت مماتاً حين كنت الماء
فلو أنها عرفتك قبل مزارها
كيف الجموع سيحتويها لقاء
أم كيف ترتفع الأيادى نحوكم
إن اعتناقك عندهم لشفاء
يا لوعتى جهل بمعدنكم أشد مضاضة
عند الكرام بموتهم أحياء
ذهبٌ بقر بأنه من دونكم
حصب تأذت كونه الرمضاء
إنى لأنسج شعراً لست مدركه
بالفهم عندك دونما إعياء

يا ليل



بقلم
ابراهيم
السامرائى

مشى بكَ الفكـرُ جوّالاً الى الصـور
وعُدتَ منه بمحـو العـين والأثـر
تركتُ أمسي و«عمان» الضحى ألقاً
والنفس فى موحشٍ كالليل معتكـر
ما إن ترفّق من طيبها وطرٌ
ولا نعمتُ بريّا تربها العطر
ودعتُ خمسة أعوام وكنّ بها
روين صفوى ملء السمع والبصر
قربّن منّي محض الود فى كَلِمٍ
وخيرهن كشرٌ حازه قدرى
والخير منهن خيرى رحتُ أمحضه
صدقاً وفاء بها استوفى به وطرى
أوليتُهُنّ من النُّعمى وبى ترة
للشر يسعر فيه لافحُ الشَّرَر
وذاك أنى ألفتُ الشر مدّرعاً
بالصبر يوجع حتى لات مصطبَر
لم ألفنى شاكياً والخطبُ محتدمٌ
ولم أضِقْ بلظى للشر مستعرِ
إنى لأكرمُ صحبى حين أبعدهم
عما تحملتُ من بادٍ ومستتر

* * *

يا ليلَ «عمان» قد أطبقتَ أردية
من وحشة تتخطى كل مدّثر
كأن لجة بحر قد علتْ صَعداً
فانداح مجتمعٌ منها بمنحدرِ
كم قد شقيتُ بها لم ألفِ لى سعة
بها علقت به فى الأنجم الزُّهُر
لله شقوة من يسرى به أملٌ
أن يلتقى الفرج اللوّاح فى البُكَر
ويستعينَ على همٍّ يضيق به
بقادم يتخفّى غير منتظرِ

* * *

يا ليلَ «عمان» غاداك الصحابُ فما
يسعون نحوك فى جمع على السَّمر
لم يدركوا منك ما قد يستعان به
نحواً كما يتسلّى صاحب السهر
طلبت فيهم أخا وُدٍّ تكون له
مثنى وكم بتُّ منه جدّ مفتقر

ـل عمّان

مهداة الى أخي العلامة الأستاذ روكس بن زائد العزيزي

أسريتُ فيك ولى فى كل خاطرة
ذوبٌ أحس به كالوخز بالإبر
أديمُه وأريه ما أغالبه
حتى يفىء الى إطلالة السحر
وكم شقيتُ ولم أظهر له مللاً
خوف الذى بات من وجد على حذر
مشيتُ منه على سِحْر من الطُّرر
ورحتُ منه على وفر من الصور
وهبتُه كل ما أندى طريقته
حتى ترفّع عما لاح فى الشجر

* * *

يا ليل «عمّان» ما انفكت رُفهنيةٌ
تختال فينا الى ضرب من البطر
ينتابنا زخرفُ الدنيا فيصرفنا
عن المكارم فى بدو وفى حضر
إنا هُرِعْنا الى بلهاء غانية
تسطو علينا بموبوء من الخفر
هى الدُّنا أمُّ سوء فى نضارتها
والشر يكمن فى نابٍ وفى ظُفُرِ
مشتْ إلينا بزهوٍ من خلاعتها
فكان منها سعُارُ الفاتك الأشر
ونحن منها ألاعيبٌ تحركها
كما تلاعبت الصّبيانُ بالأكر

إن كنتَ منها على وردٍ وعافية
فقد تكونُ، ولم تعلمْ إلى سَقَرِ

* * *

يا ليل «عمّان» قد أوحشتَ مدَّكِراً
قد باعه وشراه أيُّ مدَّكَر
نامت بك الزهر لم تُسلمْ الى فلك
مسارها ودهتها غيبةُ القمر
أرهفتُ أُذنى فلم أسمع نجيَّ هوى
ولتُ عينى اذا استغشى بها نظرى
ورحت أضيع ما ألفيتُنى غرضاً
الى مغانٍ نأتْ، تاهت بها غُررى
لم أسلُ عنها بذرء قد سلمتُ له
مما تلألأ فى لحنى من الدرر
فإن تخلفتُ عن إدراكها فلقد
وجدت فيما ارتمى من فيضها عذرى
وإن تهضَّمَنى ما لا أطيقُ له
من البلى فلكمْ أنجزتُ فى عمرى

* * *

يا ليل «عمّان» إنا أمةٌ شُقيتْ
بالخُلف لم نستفد ما جاء فى العبر
عربٌ كأن لم يكونوا غير مجتمع
أبى اجتماعاً على مرّ من العُصُر
إنا وليلُ دواهينا ألمَّ بنا
لم نألُ إلا على خطب لمتسر

ما إن نزالُ نعــانــى شامـخ الخطـر
ولا نزال على جسـر من الـغـرر
إنــا لنـنـمـى الـى مجد تخطـفـنـا
بريـقُــه قد أصـبـنـاه على وضـر
كأنــنــا منــه قد طالــت عمايـتُـنـا
ورثَّ فيـنـا، فجئـنــاه على خدرِ
كأنـما قد فصـلنـا حاضـراً دنـفـاً
عن سالـفٍ أنِـقِ الألـوان مزدهـر
ماذا بنـا وأمـانـيـنـا بمـدرجـةٍ
من فُرقـةٍ تتـحـدى كلَّ مبـتـدِر



أأمَّـةٌ وربـوعٌ بات نَيِّرُهـا
نهباً وقـد صاح فيـهـا صائح الخطـر
وهـل لنـا ان نُرجِّـى أن يفـيء لنـا
غرْسٌ تعـاوره داء من الخـور؟
إنـا هُزِلْـنـا وقـد غيـلت ضمائـرُنـا
ولم نُفـد حكـمـة من نعـمـة الـكِـبر

وقـد شُغِـلْـنـا بمسـخٍ من عوائـدنـا
ولـلـصِّـغـار من الآفـات والـصَّـغـر

* * *

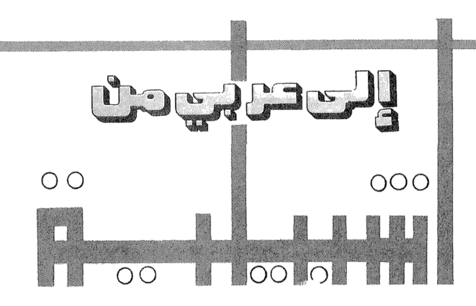
يا ليـلَ «عـمّان» لم تؤذن بواحـدة
تجتـثُّ منـا ولـو كانـت من السِّـير
إنـا ونـحـن غثـيـثـاتٌ خلائـقُـنـا
لنـدَّعـى بسـمـيـنـاتٍ من الـسِّـيَرِ
قد ادعـيـنـا أمـوراً لا خلاق لنـا
منهـا، وأيـن الهـوى من صادق الخـبرِ؟
شدا بنـا كل مسـخٍ من نشـائـده
هُجـراً من الـكـلم المـرذولِ والهـذرِ
إن رُحـت تطـلبُ فى «أمشـاجـه» أدبـاً
فأنـت تطـلبُ صفـو المـاء فى الحجـرِ

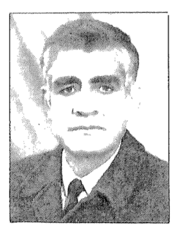
* * *

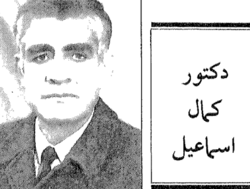
يا ليـل «عـمّان» والـدنـيـا معـاقـبـةٌ
شجـا بشـجـوِكَ همّامٌ الـى سفـرِ
إنــى لأحمـلُ نفـسـى وهـى متـعـبـةٌ
أن تهجـر الصفـو مشنـوءاً الى الكـدر
وأنــنــى مدركٌ أنْ لو سمـحـتُ بما
يجرى به الـقـوم لاستـمـتـعـتُ بالخصِـرِ
لكـنـنـى، وخـصـالٌ قد عُرفـتُ بها
جعلـتـهـا من أنـاشـيـدى ومـدَّخـرى

* * *

آمـنـتُ بالـلـه حقـا لسـت أجـحـدُه
ولم أخُـنْـهُ بذنـب غير مغـتـفـر
عرفـتُـه ولـزمـتُ الحـقَّ فى خُلقـى
وقـد تأدبـت بالمـتـلُوّ فى الـسُّـورِ
فإن جنـحـتُ الـى شر سعـى كلمـى
إلـيـهُ فالـشـرُّ يبـلوُه بنـو الـبـشـر







يا أيها البط المحلق
في تضاعيف السحابْ
ترك الديار محوماً
فمن الحضور الى الغياب
أنت السلامة عينها
ما دمتَ أنك في انتساب
ولئن أصابك طائش الـ
ـطلق المقيم مع الكلاب
أصبحتَ مثل بلاطة
مكسورة تكسو التراب
فافتح لساقك ردهة
واسترع باباً خلف باب

إما تفرّدَ رأسك المصـ
ـقول أو عركَ الصحاب

***

يا ابنَ التعاريج التى
نسخ الإياب بها الذهاب
وأضلّ قصّاصيه عن
آثاره وثنىَ الرّقاب
اليوم أنت السطرُ فو
ق صحيفةٍ وعلى كتاب
إما قراءة صاحب
يُجلى الغُراب، أو الغراب
شرِّق وغرِّب إن تشأ
إن الغريب الى إياب
والمهدُ يدعو وابنه
المطبوعُ خيرُ من استجاب
والكوُن مهدٌ واحدٌ
فيه الهدى وبه اغتراب
وبنُوه فيه مسافرون
جميعهم خلف النّقاب
الثُّقْل في الشاى الذى
يغلى وفى الكأس الشراب
واللؤلؤ المنثور والمرجان
في قاع العُباب



والثلج والشررُ المبا
غتُ وابن آوى والذئاب
وأشد ما تلقاه فى
سفر إذا اكتسح الخراب
أو شبت النارُ العدوة
أو براكينٌ بِغَابْ

* * *

يا مُلْهمَ الطيَّار مهنتَهُ
ومختصرَ العَذَابْ
سلّمْ على نَجْمٍ لديك
وأقرِىء اللومَ الشّهاب
ولتنتظرنى فى الهواء
وإن سبقت فلا عتاب

* * *

كم طِرْتُ فى النوم العميق
كما تطيرُ بلا حسابْ
كتفاى أجنحةُ الحقائق
دون أجنحةِ السراب
بل قُلْ كمجدافين
فى الماورد فى العسلِ الرُّضاب
وبلغتُ غاياتٍ من الكون
الذى يُرخى الحجاب
لْم أنقلبْ ملكاً فدو
نى والملائكة انقلاب
لكنما جسمى تجاه الحد
قد عزف الرّباب
وأدار مِن فوق الفوا
صل نغمةً تُغرى الصواب
علىَّ بغيم قد غسلتُ
مفاصلى لا بالضّباب

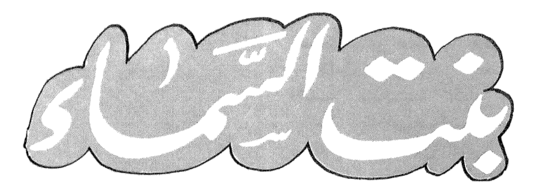
ولعل جسمى فى الوسا
د قد استجاب للانشعاب
فبقيتُ كالسيف القديم
عليه أوسمةُ الشباب
وتخلصَ الجزء الذى
تدريه، فرَّ من الجِرابْ
وإذا بى الأخطاء تخشا
نى تُراعى الاجتناب
وكما ارتكبتُ طلاقها
تنزو مخافة الارتكاب
فتتوب منى مثلما
منها تعمدت المتاب

* * *

عباس فرناس الذى
فى ذاتِ آلاف القباب

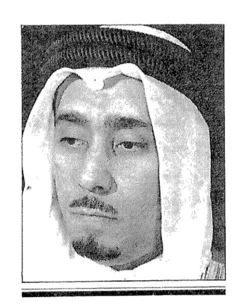
يا قُرطبيَّ الوجه
ظل هناك، في تلك الرحاب
لتكون خيرَ نيابة
عني، تؤكد الانتساب
وإذا أتى لك زائرٌ
وتمخضتْ عنه الشِّعاب
فاسرُد حكايتنا معاً
سرد المجازف لا يهابْ
فلأنتَ كنتَ كحربة
تركتْ علاماتِ الحراب
ما ذاب ذيلُك يا ابن قر
ص الشمس لما الشّمعُ ذاب

البثّ بيوم الفتح حتى
لو لواء الفتحِ شاب
وانْبهْ بقائمة الملو
كِ ذويكَ أصحابِ الجناب
إياك أن تنسى فتى
منهم، مخافة أن تُعاب
هم فيك سلسلةٌ تطو
ل وراء لعثمةِ اللّعاب
ما أنت آخِرُها ولو
حسِبتْ سلالات الذُباب
* * *
يا طائراً بشرّيه
في القلب في وجهي المهاب
أوسع زرابي الخطا
بة فالخطابة تُستطاب
فلربما الميدان بعد
البرد يحكى الالتهاب
مثل الطبيعة ها هنا
فيها التباين في اقتراب
من بعد إلزام بثوب
قد ترى نزع الثِّياب
والله ما ثبتت أرائك
حاكم في الارتياب
وتزعزُع الأركانُ معـ
ـهود وعدوى الاضطراب
ودوامُ حال الناس من
طبع المحال، ومنه قاب
والله يكسر بالضّديد
الضدَّ لو في الاصطحاب
ويفُكُّ مِنْ تسَلّبٍ إذا
ما اللصُ أحيا الاستلابْ



بنت السماء

ويتفجر نبع الغرام فيرسل شاعرنا ابراهيم فودة أشذاء انغامه . والوصل أمنية القلب .


ابراهيم فودة

سد اليك كلتى ساعديا
وأحتضن الهوى فى مقلتيا
وما هو بالهوى لكن غرام
تفجر نبعُه فى جانبيّا
وما هو بالغرام فإن حبى
أحب إلىّ من نفسى عَليًّا
رضيت به غذاء العقل منى
وعشت به غذاء الروح قيا
فيا بنت السماء متى أراك
على وجه الثرى تجرى إليا
وفى عرش الفؤاد سكنت حتى
أعيش متيما ما دمت حيا

حديث الأحلام

متى أراك معى تمشين حانية
علىّ باسمة حولى وقدامى
إذا نطقت كأن الكون حدثنى
بكل معنى خفى بين احلامى
وفى ابتسامتك العذراء صافية
سر الشفاء لأوجاعى وآلامى
فيا لبانة نفسى فى تشوقها
الى السماء تناجى نجم الهامى
خذى يمينى وشدى الروح عارجة
الى ذرى عالم فى برجك السامى
لسوف أملؤه شعرا واغنية
تعطر الكون من اشذاء أنغامى



شاعرية رقيقة عذبة يناجى شاعرنا أحمد خليل عبد الجبار نجمة الليل سميرة الصب التى تشاركه الشدو على وتر الدموع . . ويناجى أنس الزمان لتذكر الماضى وتنثر الذكرى شمسا فالنفس لا تنسى والقلب لا يسلو.



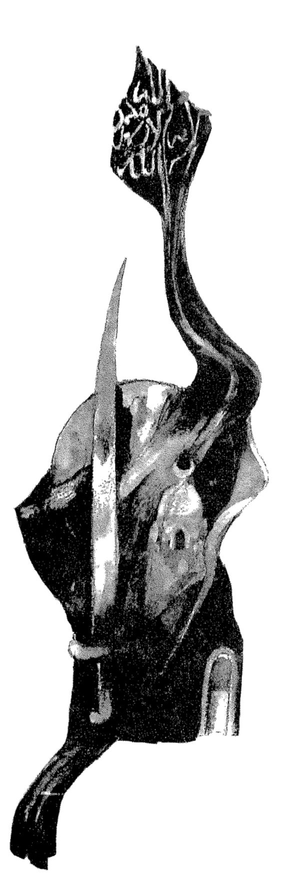
احمد خليل عبد الجبار

يا نجمة الليل المطلة
وسميرة الصب المولة
نشر الاريج عليك
بردته وأرخى السحر ظله
وكست أمانينا السماء
صفاءها الفتان حله
خفاقة حيرى كقلبى
الحائر الباكى المدله
ترنو اليك أجنّة ولهى
وتحدوك الأهله
وأنا أساهرك الزمان
وتسهرينى العمر كله
نشدو على وتر الدموع
فينتشى جفن ومقله

« فى الجو عام ١٩٤٥م »

كيف أنسى ..؟

علمينى كيف انسى
أعطنى فى الهجر درسا
كلما وقعت لحنا
ذكر الحاضر أمسا
ليت لى قلبا يجافى
ليتنى مثلك حسا
ليتنى انساك حتى
تنجلى الذكرى وتنسى



انــا ضيعت شبــابى . . .
واضــعــت الــعــمــر يأســا
كلما أفــرغــتُ كأســا
للأســى أتـهـرعــتُ كأســا
خلق الهــم خديـنــى
وبــدا لى الهــم رمــســا
بئس شوقٌ يعــترينــى
يمــلأ الارجــاء بؤســا
***
أذكــرى ماضــى يومــا
يا أعــز الــنــاس نفْســا
وانــشــرى حبــى طيبــا
وانشــرى ذكــراى شمســا
كم غزلــتُ الــنــور تاجــا
لك والأحــلام عرســا
وفــرشــت الــدرب وردا
ورمــال الــبــيــد وَرْسَــا
انــا يا أُنْسَ زمــانــى
لا أرى بعــدك أنــســا
ليس لى نائٌ يغــنــى
أو فؤاد .. يتأســى
واذا قلت سأنــســى
صاح قلبى كيف تنســى؟
« الرياض ١٩٤٤ »

أذكريني



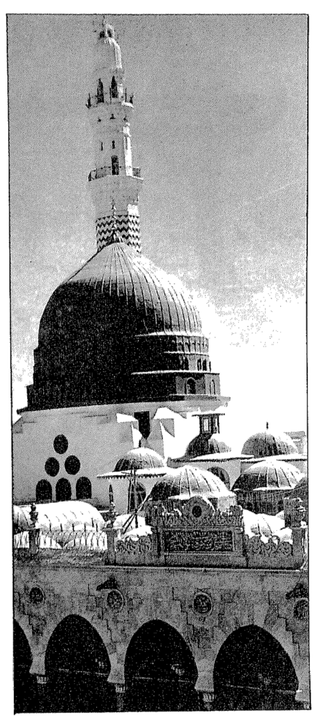
الحسينى عبد العاطى حرى

اطلبى الأشواقَ منى
وامنحينى أمنياتى
تلك آمالٌ حسانٌ
أينعتْ فى ذكرياتى
فاذكرى الأنسامَ فيها
واذكرينى يا فتاتى
كيف لى أحيا وحيداً
والهوى نبضُ الحياة

فاذكرينى كُلَّ حين
فى عشيٍّ أو غداة
واذكرى خِلًّا وفياً
فى هوى الأحباب ذاتِ
ثم ردى لى فؤادى
وابعثى الأشواقَ هاتِ

لا تجيبينى بقلب
هدَّه طولُ السكات
بل بدفء القلب رُدِّى
فاللقا لا شك آتِ
إننى أعطيْتُ حبا
ما ترقبتُ العطاء
كم سهرنا فى ليال
وانتشينا فى سخاء
قد سقينا الحب عشقاً
ما سقيناه بماء
بل زرعنا الكون زهراً
من أزاهيرِ الحياء
كيف بعتِ العمر سهلاً
كيف يطوينا الرياء
كيف أنَّا اليوم صرنا
كيف كيف البعدُ جاء
إن أردتِ اليومَ وصلًا
فابدأى أنت النداء

اليوم الأسـ



■ ألف عام مضت على ميلاد أبى الحسن على بن عبد الغنى الحصرى الفهرى ـ الشاعر التونسى الذى تعلق قلبه بالأنـدلس فهاجر اليها بدعوة من (المعتمد بن عباد). . ألف عام مضت ولا تزال داليته نتغنى بها الى اليوم. . (يا ليـل الصب متى غده) التى تمثـل ـ ولا تزال فى قمة الموشحات الأندلسية. . يقول فى مطلعها:

يا ليل الصبا متى غده
أقيام الساعة موعده
رقد السمارُ وأرّقه
نوح للبين يردده

■ ويعارضه أحمد شوقى بـ:

مضناك جفاه مرقده
وبكاه ورحم عوده

■ وكذا جميل صدقى الزهاوى بقصيدته التى مطلعها:

الحُسنُ مكانك موطنه
واللحظ فؤادك مغمده

■ ثم عبد الحميد الرفاعى:

سلطان الحسن وسؤدده
لحظ ما فلّ مهنّده

■ وها هو محمود بيرم التونسى الزجال المعروف تستقطبه الموشحة بخفقاتها الرائعة ومشاهدها الإبداعية فيعارضها بتلك القصيدة فى مدح المصطفى «ﷺ» من الشعر الفصيح.

عيد مولده



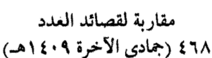
شعر: بيرم التونسى(*)

اليومُ الأسعدُ مولدُه
مصباحُ الدهرِ وسيدُه
البدر الباهرُ مطلعُه
والبحرُ السائغُ مورده
شهد الانجيلُ بمبعثه
وعنِ التوراة يردده
واختال الدهرُ به عجبا
وحلا للعالمِ سرمده
وتألق سعدُ نبوته
ويتيم السعد محمده
فدعا فى الناس يوحدها
صوبَ الديان توحده
العقلُ أساسُ شريعته
والحق الأبلجُ مقصده
وبه الموءودة قد رحمت
وحبتْ تتعهدها يده
حتى خضع الثقلان له
وأتى أشقاه وأسعده

وانحط الكفرُ وطغمته
وعلا الايمانُ وفرقده
لبيك رسولَ الله لقد
لباك الصخر وجلمده
ولكم طولبت بمعجزة
فأتاك الحق وأبنُدُه
بكتاب الله ترتله
وبشرع الله توطده
فمضى الكهانُ بسجعهمو
و«عكاظ» أُفحم منشده
والناس من الجهل انتبهت
ومضت للخالق تعبده
فاهتز العرش وقد سجدت
لإله العرش تمجده

(*) محمود بيرم التونسى (١٨٩٣ - ١٩٦١) شاعر زجال اشتهر بها نظمه بالعامية المصرية. من أصل تونسى ولد فى الاسكندرية وتوفى بالقاهرة.. ألف أوبريتات زجلية لحن سيد درويش بعضها كما كتب قصصاً زجلية وأغنيات ومقامات. فى شعره روح شعبية أصيلة.

أسطر في الشعر



مقاربة لقصائد العدد
٤٦٨ (جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ)

حاولت ـ قبل كتابة هذه الأسطر ـ قراءة القصائد [illegible] أنظر ـ إليها أولا ـ نظرة كلية تعلو على مستوى [illegible] المختارات المتجانسة تضمنها المختار الرابع والأربعون [illegible] إلى هذا التجانس. ولكنني ـ على أية حال ـ فضلت هذا [illegible] وكل قصيدة على حدة. وإن كنت لن أغفل ـ بالطبع ـ هذه النظرة [illegible] تتميز به كل من تلك القصائد في ذاتها.

● تدور هذه القصائد حول محاور أربعة:

١ ـ الاستمساك بالشكل العمودى.

٢ ـ استحضار التراث وقيمه.

٣ ـ الولوج فى الذات

٤ ـ الحب.

■ ولا شك أن فى هذه المحاور قدراً كبيراً من العموم والشيوع يجعلها إطارا صالحا لمناقشة أية مختارات أو مجموعة شعرية مما يسوغ لنا هذا الجمع بين تلك القصائد على ما بينها من تفاوت، فنيا وموضوعيا، فى كل محور.

أولا: الاستمساك بالشكل العمودى للشعر:

القصائد السبع عمودية. «توبة» للاستاذ محمد رائف المعرى، جاءت من بحر (الكامل) بتكرار مُتَفَاعِلُنْ ثلاث مرات فى كل شطر ومستخدمة الترخيص السائد فى هذا الوزن وهو (إضمار الثانى المتحرك) فى أية تفعيلة منه عروضاً وضرباً وحشوا. فتصبح فى هذه الحالة على مُسْتَفْعِلُنْ مما يخيل للقارىء أن القصيدة جمع بين هاتين التفعيلتين على غير ترتيب ولكنها تتمتع ـ رغم ذلك ـ بقدر كبير من التآلف الموسيقى الذى يتميز به اجتماع هاتين التفعيلتين دون نشاز. بل ونحس هذا التآلف أكثر فى القصيدة التالية «حلم وصحوة» للأستاذ إبراهيم فودة، مع أنها من بحر (البسيط) الذى يعد من البحور الممزوجة أو المركبة ـ عكس القصيدة السابقة إذ الكامل من البحور البسيطة أو الصافية لقيامها على تفعيلة واحدة. والحقيقة أن هذه البحور المركبة وإن كانت تتركب من تفعيلتين متجاورتين ومتكررتين على هيئات مخصوصة فى كل بحر إلا أنها تتراءى للقارىء بعدما يجاز فيها من زحافات وعلل وكأنها حشد لأكثر من تفعيلتين موسيقيتين. فمثلا يتكون هذا البحر من مُسْتَفْعِلُنْ وفَاعِلُنْ مرتين فى كل شطر، وباستخدام الترخيص الجائز فى هاتين التفعيلتين



د. محمد أحمد حمدون

«الخَبْن»، وهو حذف الثانى الساكن ـ تصبح مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفْعِلُنْ، كما تصبح فاعلن فَعِلُنْ. فلو أضفنا إلى ذلك أن فاعِلُنْ ـ الضَّرْب ـ قد تأتى «مقطوعة» أيضا فتصبح على وزن فاعِلْ، وجدنا أن هناك احتمالات لتألف البيت الواحد من خمس تفعيلات موسيقية هى: (مُسْتَفْعِلُنْ، ومُتَفعِلُنْ، وفاعلُنْ، وفَعِلُن، وفَاعِلْ أو فَعْلُنْ) وتملّك الأستاذ إبراهيم فودة لناصية هذا الوزن وما يجوز فيه من زحافات وعلل جعل استخدامه لهذه الامكانات الموسيقية متناغما مع «حلمه وصحوته» غير أنى وجدت البيت التالى بحاجة الى ضبط وزنه:

إنّى تَمرَّسْتُ بالدُّنيا وأدّبنى
دهْرى بسقيه .. إيلاماً وإنعاماً

■ ولعل هنا خطأ مطبعيا فى «بسقيه» فلو كان «بِسقْيَةْ» لكان أوفى معنى وأسلم وزناً.

■ وقصيدة الاستاذ عبد الله حمد الحقيل «صور من الغرب» جاءت من بحر (الطويل) المركب ـ أو الممزوج ـ التفعيلة اذ يتكون شطره من فعُولن ومفاعيلن مرتين مع ما يرد عليهما من زحافات وعلل. ولعمرى لقد بدت القصيدة فى هذا البحر حديثا ودوداً وصورا تترى فى انسياب النثر لما تتميز به موسيقى هذا البحر من تتابع أليف حتى لتحس معه بأن الشاعر يحدثك حديثاً إن كان يفقد تماسك الشعر وإيحاءه أحياناً فإنه يشدك بحبل من الحكاية أو الوصف أحيانا أخرى.

إن قارىء الشعر العربى ليعجب من هذه السمة لبحر الطويل، ففيه «يتحدث إليك» عروة بن الورد فى قصيدته التى يقول فيها:

أفـرِّقُ جِسْمى فى جُسُوم كثيرة
وأحْسُو قراح الماء والماء بارد

■ ويتحدث اليك المتنبى:

جرى حبُّها مجرى دمى فى مفاصلى
فأصبح لى عن كلِّ شُغل بها شُغْلُ

■ كما يتحدث اليك كثير من الشعراء المعاصرين، ولا سيما من مدرستى الديوان وأبولو ذلك الحديث الودود الذى قد يتناول موضوعا هو أشد العواطف انفعالا ولهيباً، ولكنه يأبى إلا أن يظهر فى هذا المظهر «الحكاياتى» لبحر الطويل.

لقد وفق الاستاذ الحقيل ـ فيما أرى ـ فى اختيار هذا البحر لعرض الصور التى رآها فى الغرب، كما وفق فى تأكيده على جوهر الحضارة (العلم والنظام). غير أن لنا وقفة من حيث الشكل عند البيت السادس فهل هو: «سويسرة» دارٌ للمناظِر.. الخ، حتى يستقيم الوزن؟.. وكنت أود أن تضبط الكلمة الأولى من البيت الخامس «تُؤمُّ».. حتى يتضح المعنى. وواضح أن «وبلأدب» فى أول الشطر الثانى من البيت الثالث (من الآخر) خطأ مطبعى صوابه «وبالأدب».

■ القصيدتان «سارية الأحلام» و«روابى العبير» للشاعر السفير احمد خليل عبد الجبار.. الاولى من (مجزوء الوافر) = مفاعَلَتُنْ مكررة مرة واحدة فى كل شطر. والثانية من بحر (الرمل) فاعِلاتُنْ مكررة مرتين فى كل شطر. ولعلى أبدأ هنا من حيث بدأ صديقى الأستاذ الدكتور نور الدين صمود فى قراءته لقصائد عدد ربيع الأول ١٤٠٩هـ. حيث علق على قصيدة «رسالة» لأحمد خليل عبد الجبار بقوله: «وربما صلحت هذه القطعة للتغنى والانشاد». الحق أن هذه سمة تطبع قصائد الشاعر فى أغلبها. واختيار مجزوء الوافر والرمل وعائين لقصيدتى هذا العدد دليل على تمكن موسيقى الشعر العربى من نفس

الشاعر، وإن كنا لا ندّعى أن الشاعر ـ أى شاعر ـ يختار بحراً معينا وعاء لقصيدته، وإنما تولد الفكرة وصياغتها فى آن واحد والشاعر الحق هو الذى تتناغم فكرته وصياغته على شكل متميز حتى لتحس وأنت تقرؤه أنك أمام نموذج فريد لم يولد إلا مرة واحدة رغم شيوعه فنيا، وهذا ما تحسه أمام وزن القصيدتين.

■ و«الحب الكبير» للأستاذ ابراهيم خليل العلاف من بحر (الكامل). وهو أيضا بحر غنائى صاف ولكنه صعب يقوم على تكرار تفعيلة واحدة هى مُتَفَاعِلُنْ ثلاث مرات فى كل شطر، والتى يلحقها «الإضمار» أى تسكين الثانى المتحرك، فتصير مُتْفَاعِلُنْ (= مُسْتَفْعِلُنْ) وهذا الإضمار يحدث بدون التزام أو ترتيب معين، ولكنه مع ذلك ـ كأكثر الزحافات ـ لا يحدث خللا فى التآلف الموسيقى للقصيدة.

على أنى وجدت صعوبة فى تحديد موسيقى البيت:

والكيمياء سعى (ابن حيان) لها
أخرى بها سعد الورى وتحصّنا

هل الشطر الثانى = أغرى بها سعد الورى.. الخ؟ وهل وقع ـ مطبعيا ـ فى الشطر الاول ما أخل بموسيقاه؟؟ أم أنها «الكيمياء» التى كسرت الوزن؟.

● أما «عشق الجهادات» ـ مسك ختام المجموعة ـ للمرحوم الشيخ عبد القدوس الانصارى فقد جاءت على بحر (الخفيف) وهو بحر يستوعب كثيرا من حكمة الحياة وأسرار الوجود عند شعراء معاصرين وقدامى كثيرين ولعل من أبرز هؤلاء اثنين من جيل الأنصارى هما طاهر زمخشرى فى مثل قوله:

طُفتُ بالعمر فى صميم الحياة
وتوالتْ عبر الدُّجى سبحاتى
وزرعتُ المنى فأجدَبَ زرعى
وحصادى ما كان غير فتات

■ ومحمد حسن فقى فى رباعيات كثيرة منها:

قالت التربُ وهى تبكى: لقد جُرْ
تِ على النفس يا حبيبة نَفْسى
لِمَ هذا الضلالُ؟ هل أنت حمقا
ء ؟. وما كنت هكذا يوم أمْسِ

■ وإذا كانت «عشق الجهادات تفيض بالحكمة:

هكذا العشق يجعل العبد حرا
هكذا العشق يجعل الحر عبدا
كن صبوراً فإن للوصل يوماً
سوف يأتى وإن للهجر حدا

فإنها أيضا تتسم بغنائية تتفق وخفة هذا البحر، رغم أنه بحر مركب يقوم على تفعيلتين تدخلهما زحافات الخَبْنْ والتَّشعيث والحَذْف مما يعرقل السياق الموسيقى أحيانا. ولكن الشيخ ـ رحمه الله ـ لم يستخدم من تلك التراخيص العروضية ما يتعارض وانسيابية النص الشعرى.

■ ولئن وقع فى بعض الأبيات ما يوحى بغير ذلك، مثل قوله:

فبدت (الهلال) آثار حزن
غلفت وجهه المضى فاربد

فإنما ذلك يرجع الى عدم ضبط البيت، إضافة الى خطأ مطبعى فى ديوانه الأنصاريات، الذى نقلت منه القصيدة. والصواب:

فبدتْ بـ (الهلال) آثارُ حُزنٍ
غلَّفتْ وجههُ المُضى فاربدَّا

■ وهكذا نجد القصائد جميعاً ـ على المحور الأول تلتزم النسق العمودى، وهو التزام منهلىّ ـ حبذا لو يُتسامح فيه بقدر ـ أرجو ألا يكون هو وحده الذى سوغ نشر قصيدة بعنوان «فلسفة الحرمان» فى العدد الأسبق والتى كان الدكتور صمود مهذبا جدا ـ كعادته ـ حين تجاوزها إلى غيرها مما هو شعر.

ثانيا: فى معالجة سريعة أو موازنة بسيطة لمحورى استحضار التراث وقيمه والولوج فى الذات توحى لنا القصائد بعدد من الملاحظات:

١ ـ استحضر الشعراء التراث وقيمه بصور مختلفة بين اقتباس قرآنى كما فى قول الاستاذ محمد رائف المعرى تائبا:

إنــى إخـــال الأرض قد ضاقـــت بيا

رحـــبـــت علىَّ فبئس ما عمـــلت يدى

■ من قوله تعالى : ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحُبَتْ﴾ (التوبة : ١١٨).

■ وواضــح صلة عنوان القصيدة بهذه السـورة. وفى القصيـدة نفسهـا استحضـار لمكـة والبيت الحرام وزمزم والحجر والطواف. أما صورة تراث البيداء بكل أبعادها وقيمهـا ـ رمالها وخيامها واحاتها البكر وجيادها البيض ـ اطـلالهـا وديـارهـا فقـد رسم منها إبراهيم فوده «حلمه» و«استيقـظ» على صورة أطيـافها تتنشله من «أزمة عدم الثقـة» حين خاب ظنـه فيمن كان يدخـرهم للحادثات فاضطر للمشى معنا «على الوحل» زمناً . . ولكنه قبل كل شىء غنى بالله عن كل بشر.

٢ ـ إنـه إذا كانت «توبة» المعرى نموذجا يتكرر دائما فى مشتـار المنهـل للشاعر الذى تفيض مشاعره الدينية إزاء المشـاعـر المقـدسـة (وانظـر أى عدد سابق) فإن «الحلم واليقظة» لابراهيم فودة تبدو اكثر إقناعا بهذا البعد الدينى من حيث لا يقصـد الشـاعـر، لقـدرته على استحضار الموروث بإزاء «الايغال فى الذات» حتى لو قارنا معه بين ما يريـده بعضهم أن يكـون . . ومـا يريد هو أن يكون لوجـدنـا أن تلك العـلاقـة الحميمة بين الموروث بسموه وبسـاطـة قيمه وما يعرفه هو عن نفسه ونعرفه نحن عن انفسنا هى وحدها التى أدت الى النتيجة التى تبدت عن اللحظة الشعرية فى القصيدة، إنه «مسلم لله وحده» . . وكفى.

٣ ـ ولقـد جاءت قيم المـوروث الاسـلامى ذى الطبيعة الانسـانيـة الشـاملة، أكثـر مبـاشـرة فى «الحب الكبـير» للعـلاف. «فـالحب التـزام «ونضـج للأخـلاق» وسلوك محمود» و«طباع جميلة» . . هو قوة دافعة مبدعة تحقق الجمال والكمال. وحبذا لو كان الشاعر قد أضاف إلى هذه «الرؤية الحضارية» لقيمة الحب قدراً من «الذاتية» التى نراها عند الآخرين لا سيما فودة وعبد الجبار والأنصارى. إن الحب الكبير وصف حى لأهم المشاعر الانسانية وحسب الشاعر المجيـد هنـا أن برّأ هذه العاطفة مما يلحق بها من معان مرذولة أحيانا فيها «الخداع» والنفاق وتلون الحرباء والشهوة المحمومة.

الحـــب فى الأعـــماق ليس ضحـــالـــة

ومـــن الجـــلالـــة والخـــلود تمكَّـــنـــا

٤ ـ وعلى عكس الأستاذ العلاف من قضية «الإيغال فى الـذات»: كان موقف الشاعر المبدع أحمد عبد الجبار فى قصيدتيه اللتين تفيضان بالمشاعر الذاتية . . انه يصدر عن إحساس عميق فى نفسه لا يقف عند مستوى «الفرجة» أو الحكم على الحب، فينشر لنا على السطح ـ رغم العمق ـ «سنـا الأمـال» ويـرفـع فوق «سـارية الأحلام» «علم المحبـين» ممسكا بتلابيب وجداننا وهو يسألنا (دون توقع لإجابة) . . ومن ثم لا يستحضر موروثا نطرح عليه ونرسم به وجدانه ووجداناتنا . . حسبه وحسبنا أننا نثير السؤال فى أعماق وجداننا . . ونحب.

٥ ـ وتقف قصيـــدتـا الحقيـل والانصـارى فيما يتصـل باستحضار الموروث والايغال فى الذات موقفين متغايرين. ففى «صـور من الغرب» للحقيل «نشم» عطر الأندلس الضـائـع، ونفخر بإنساننا الذى كان ويكون فى مواجهة إنســـان الغـرب . . ولكنـه «شمّ» و«فخـر» على سبيـل «الحكـاية»، كما ذكرنا آنفا. إن ضمير المتكلم فى البيتين الأولين واضح ومؤكد:

رأيـــت بلاد الـــغـــرب فى كل صورة . . .

لئـــن راقـــنـــى رأى جيـــل منـــســـق . . .

■ ولكن «الذات» غائبة الى حد كبير. الشاعر «مشاهد» يحكم على الاشياء ويقارن بين موقفين وحضارتين ويختار لنفسه ولأمته وذلك أمر طبيعى يفرضه موضوع القصيدة ولا يقلل من قيمتها الفنية.

● أما «عشق الجمادات» للأنصارى فقد سوغ موضعها أن تمتـزج الـذات بالعطـر الأنـدلسى الـذى نشمـه فى بناء القصيدة . . وأن يكون الشاعر والقارىء كلاهما «عنترة»

الذى يجعله العشق حرا وعبداً فى آن واحد . . ولنا وقفة أخرى مع هذه النقطة بعد قليل.

٦ ـ أخيرا ـ إن العلاقة بين «استحضار الموروث» و«التوغل فى الذات» فى القصيدة الواحدة جد خطيرة ومهمة وقد استلهمتها قصائد العدد بدرجات متفاوتة وطرق مختلفة . . ولكننا نهيب بشعرائنا وشعرنا الحديث إجمالا أن يولوها ما تستحقه من عناية فهى مجال إبداع ولا ريب.

ثالثا: محور الحب: هذا محور الشعر كله . فإذا كانت قصائد الأنصارى والعلاف وعبد الجبار مباشرة وصريحة فى الموضوع . . فإنه مضمن فى القصائد الثلاث الأخرى: حب الديار ـ وقيمها الأصيلة وناسها الفضلاء عند العقيل وفودة، وحب الله عندهما وعند المعرى. نعم الحب هو الشعر كله . . فى «توبة» يثير هذا الحب الشوق والمدامع للقيا الحبيب محمد ﴿ﷺ﴾ وفى «حلم ويقظة» لا تغادر أطياف الديار محبا يؤرقه الحب فيصبر على بلواه:

لكنه الحب . . حلو، فى مرارته
شروى حلاوته . . تبا لمن لاما

● وإذا كان الاستاذ ابراهيم فوده يدعو «بالتباب» على اللائمين، فإن السفير أحمد عبد الجبار يرى فيهم «العذول الصفيق»:

كلما هزنا الهيام انتعشنا
وارتعشنا من العذول الصفيق

■ إن الحب عنده حياء ودفء ودل وعفة ورقة وخفوق ونعيم وسحر وسهر وحرقة قلب ودمع وعطر فى كأس وفجر لاح وغيم لماح . . الحب عنده مرسوم بريشة رومانسية مدادها ذوب النفس وعطر الأنفاس.

وهو لا يختلف فى «نبله» ـ رغم ذاتيته ورمانسيته ـ عن ذلك الحب الكبير الذى صوره العلاف بصورة «يغلب عليها التقسيم الموضوعى» لأنواع الحب، حين يوضح أثره فى الانسان والإحساس . . فى صنع الأمة وبعث الأمجاد حين يتساءل:

فمتى يشيع الحب ملء مدارك
ومشاعر؟ . . فقصوره قد أزمنا

■ ويجدر بى قبل أنهى هذه الأسطر فى الشعر . . والحب . . أن أقف لحظة مع «عشق الجهادات» . قرأت منذ سنوات دراسة للأستاذ الدكتور سيد حسين نصر ـ والذى لقيته لأول مرة أثناء المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى بمكة المكرمة عام ١٩٧٧م ـ عنوانها: «مشكلة البيئة فى ضوء التصوف: السيطرة على الطبيعة وتعاليم العلوم الشرقية» (بالانجليزية) وهى مقالة تضم الانسان الغربى بماديته التى أدت به الى تلويث البيئة التى يتنفس هواءها ويشرب ماءها الى الحد الذى جعله يعانى بشدة مما فعلت يداه، وجناه بطمعه واستغلاله.

صحيح أن الطبيعة «مسخرة» للانسان لاستغلالها وهنا يعرج الباحث على معطيات القرآن والتراث الاسلامى عامة ـ ولكن هذا القرآن والتراث يعلمنا أن الأشياء ذوات تسبح بحمد خالقها ﴿وإنْ مِنْ شىءٍ إلا يُسَبِّحُ بحمده ولكنْ لا تفقهون تسبيحهم﴾ (الاسراء: ١٧) ويعلمنا أن النعم تزول بالمعاصى . . وأن على الانسان أن ينظر فى الأشياء نظرة تأمل واعتبار . . حتى يصبح الكون كله ـ كما أراد خالقه ـ سيمفونية واحدة متآلفة النغمات . . ليل ونهار، وحر وبرد، نور وظلمة ومن كل زوجين اثنين . . عاشق ومعشوق . . أقول لقد أثارت فى «عشق الجهادات» تلك المعانى الكبرى التى ترى «الحب» أساس الانسجام والتوازن فى الكون كله . . الحب الذى جعل الأرض والقمر فى قصيدة الشيخ الانصارى ـ رحمه الله ـ بل وكل الكواكب فى فلك يسبحون . . وبحمد الله يسبحون . . وفى انتظام وانسجام يتعانقون . . الحب الذى هو الشعر كله . . والحياة كلها . . ومنه اغترف شعراء هذا العدد . . كل بقدر.

أنابيش :

● ذكريات ربع قرن من الزمان ويزيد . .

أنابيش :

● رواية التاريخ . . واستذكار الأدب والفكر

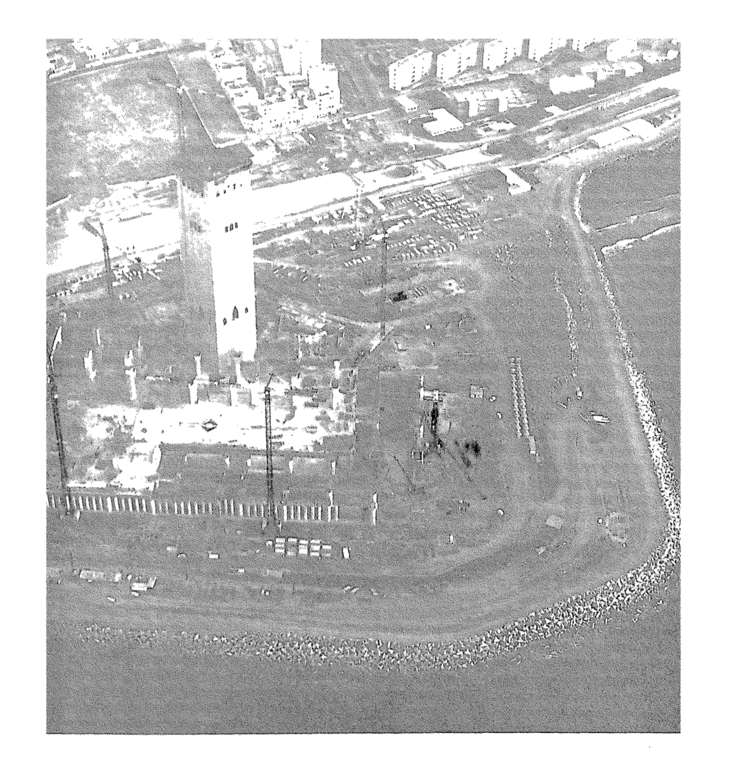
أنابيش :

● الخاطرة . . الموقف . . الفكرة

أنابيش :

● ذاكرة الآباء والاجداد . . يستمع اليها الأبناء والأحفاد . . تُروى . . تُسجل . . تُدون .

●● هذه الذاكرة الخصبة، حتى لا يعلوها الصدأ وينطفىء بريقها وتفقد الأجيال روائعها، فان مجلتكم المنهل تظل دائماً حفية بها عاملة على نشرها دائماً . . وفى هذا العدد وما يليه يجد القارىء نماذج مختارة لهذا العطاء . . عطاء ذاكرة الآباء والاجداد . . وعطاء مدوناتهم وهذا وصل لعطاء غير منقطع .



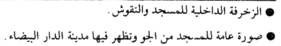
مسجد الحسن الثاني

معلمة حضارية إسلامية

عبد الرحيم بن سلامة

- المغرب -





● الزخرفة الداخلية للمسجد والنقوش.

● صورة عامة للمسجد من الجو وتظهر فيها مدينة الدار البيضاء.

اذا كانت العمارة هي السجل الذى يستقى منه تاريخ الأقدمين بما فيه من تقدم وازدهار أو تدهور وتخلف، فإن العمارة الاسلامية وخاصة الدينية منها قد سجلت لنا تاريخ الدول المتعاقبة واعطتنا صورة صادقة عن منشئها، ذلك أن العقيدة الاسلامية التى تغلغلت فى نفوس معتنقيها لمساحتها وملاءمتها لطبيعة النفس البشرية وحرصها على الاسعاد فى الدارين. ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعمارة المساجد التى يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله.

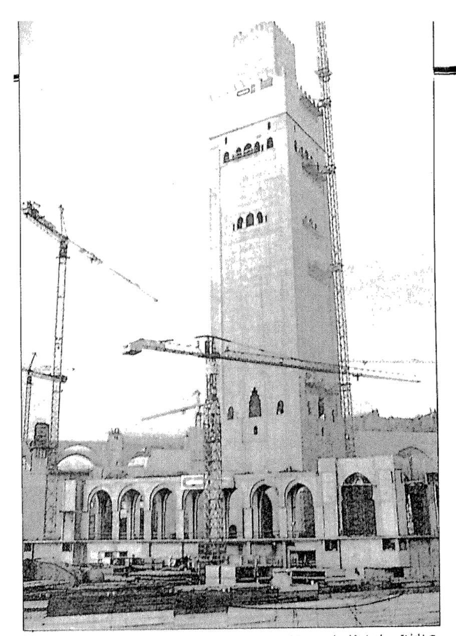
فالمسجد حيثما كان هو حيث يجد المسلم المؤمن.. الأمن والامان.. والسكينة والوقار وراحة الوجدان وسلامة الضمير. ﴿وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾.

■ وفى طليعة المساجد الاسلامية بيت الله الحرام الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم: ***﴿ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾ ﴿وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل. ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك. وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم﴾***.

■ وهناك المسجد النبوى الشريف الذى هو مشرق الانوار وكنز الاسرار، يلبس حلة وجلال من يرقده سيد الاولين والآخرين من جاء للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجا منيراً ـ محمد عليه افضل الصلاة والسلام.

■ وهناك المسجد الاقصى.. مسرى الرسول ﴿ﷺ﴾ ومهبط الرسل والانبياء. فقد قال تعالى ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

■ وبالمغرب الاقصى ـ ومنذ الفتح الاسلامى ـ شيدت آلاف المساجد التى يوجد فى طليعتها.. مسجد القرويين بفاس.. ومسجد الكتبية بمراكش.. ومسجد حسان بالرباط.. وفى هذه السنة دعا ملك المغرب شعبه الى الاكتتاب من أجل بناء اكبر مسجد فى العصر الحديث يقام على ضفاف المحيط الاطلسى بمدينة الدار البيضاء ويحمل اسم (مسجد الحسن الثانى) ـ انه اكبر مسجد فى العالم بعد المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف يتسع لمائة الف مصلّ وتبلغ تكاليف انشائه نحو ثلاثمائة مليون دولار جمعت عن طريق الاكتتاب العام الذى شارك فيه نحو ١٢ مليون مواطن ومواطنة عن طواعية استجابة لنداء الملك الحسن الثانى.. هذا، ويصنف مسجد الحسن الثانى الذى يتم تشييده الآن بالدار البيضاء ضمن الاعمال المعمارية الكبرى فى العالم فهو يعتبر معلمة دينية فريدة من نوعها سواء من حيث موقعها أو من حيث حجمها.. ومن ضمن مكونات هذه المنجزة الدينية التى سيتم تهييئها على مساحة تسعة هكتارات واقامة جزء منها فوق البحر.



● المئذنة ويبلغ ارتفاعها ١٧٠ مترا.



بناء مستطيل يقام على مساحة هكتارين بعرض ١٠٠ متراً وطول ٢٠٠ مترا ويعلو ٦٠ متراً مشتملا على:

● اجزاء منه تحت أرضه تغطى مساحة ١٨٫٨٠٠ متر مربع مخصصة لأماكن الوضوء للرجال والنساء.

● طابق أرضى مساحته ٢٠٫٠٠٠ متر مربع مخصص للرجال.

● جناح آخر مخصص للنساء مساحته ٥٫٢٠٠ متر مربع.

● سقف قابل للانفتاح مكون من جزئين متحركين مساحته ٢٢٠٠ متر مربع. تقدر الطاقة الاستعابية للمسجد ٢٠٠٠٠ مصلى فى

داخله مع محل خارجي يمكنه أن يستوعب حوالى ١٠٠,٠٠٠ مصلى.

الصومعة

تحتل الصومعة (المئذنة) موقعاً محورياً في الواجهة الجنوبية للمسجد، وتقام على قاعدة مساحتها ٦٢٥ متراً مربعاً (٢٥م×٢٥م) يصل علوها ١٧٢ متراً وستشتمل على سلم ومصعد كهربائي حديث وستكون في اعلى الصومعة اشعة الليزر تنطلق من الصومعة تجاه مكة المكرمة ويمكن مشاهدتها على بعد ٣٥ كيلومتر من مختلف اتجاهات مدينة الدار البيضاء.

المدرسة

تقام مدرسة على مساحة تقدر بـ ٤٠٠٠ متر مربع وتتضمن طابقا أرضياً وتحت ارضى ـ أى طابقين ارضيين بمحاذاتها لواجهة المسجد نحو القبلة وبتصميمها النصف الدائرى المحور حول المحراب والمتخذة للكعبة الشريفة وجهة، وتتضمن هذه المدرسة كُتّاباً قرآنيا ومكتبة متخصصة في العلوم الدينية والانسانية وقاعات متعددة للمحاضرات والاجتماعات.

الحمامات

سيقام بجوار المسجد حمامان فى الطابق تحت أرضى مساحتهما ٦٠٠٠ متر مربع قدرتهما الاستيعابية ١٤٠٠ شخص.

مواقف السيارات

مواقف السيارات تنقسم الى شطرين يفصل بينهما ممر تحت الارض وتغطى مساحة هذه المواقف ٣٨٠٠٠ متر مربع تسع لـ ١١٠٠ سيارة.

الممر تحت الأرض

الممر تحت الأرض سيكون بطول ـ اهم شوارع الدار البيضاء انه شارع المرحوم الملك محمد بن عبد الله بطول ٨٠٠ متر وعرض حوالى ١٧ متراً.

المكتبة والمتحف

تشكل المكتبة والمتحف بالمسجد بناء متماثلا لمحور الدخول للمسجد وسيقامان على مساحة ٧٠٠٠ متر مربع وسوف يلحق بالمسجد جناح لإقامة الامام والمؤذن.

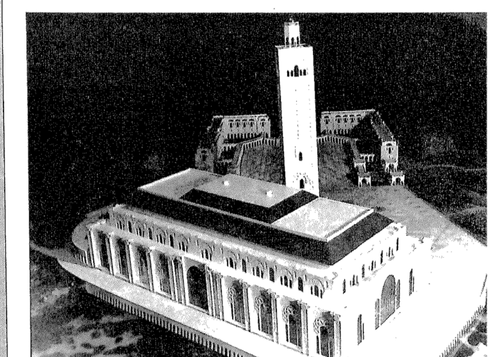
حاجز بحرى

لقد تمت اقامة حاجز لأمواج البحر ملاقت لتجفيف المنطقة التى يقام فيها الورش خاصة فى الجهة التى يقع فيها هيكل المسجد فوق ماء البحر، وستتم ازالة هذا الحاجز فور انتهاء اشغال البناء، وهذا الحاجز له خصوصيات من جملتها أن طوله ٨٠٠ متر وعرضه ٥٠ متراً وعلوه ١٠ امتار.

■ لقد استقطع جزء من المحيط الاطلسى فى المواجهة العربية لمدينة الدار البيضاء ثم افرغ هذا الجزء تماماً من مياه المحيط وبدأت عمليات اقامة الاساسات لبناء المسجد الذى يقول عنه المهندس الفرنسى المسؤول: انه اقوى من تلك الابنية التى تقام للمفاعلات النووية وذلك لأنها سوف تتحمل تلاطم الامواج وآثار المياه المالحة على مر الزمان.

كهربة المسجد

ان مسجد الحسن الثانى سوف تتم تغذيته بما يقرب من ٢٣ الف فولت من خلال ستة محولات كهربائية موزعة على انحاء هذا المشروع ـ اضافة الى تجهيزه بنظم تهوية متقدمة من ناحية التبريد أو التسخين تبعاً لفصول السنة.. كما روعى أيضا تزويد هذا المشروع بنظام متقدم جدا للوقاية من الحريق يعمل بأنظمة ميكانيكية ويدوية.. ونظرا لكون البقعة الارضية التى يقام عليها المسجد مشهوراً عنها وجود موجات زلزالية فان أسلوب التشييد والبناء صمم لتفادى مثل هذه الاخطار. اضافة لحساب الميل داخل المبنى وخارجه بحيث تتسرب مياه



● من أعلى الصومعة تنطلق أشعة الليزر تجاه مكة المكرمة ويمكن مشاهدتها على بعد ٣٥ كيلومتر من مدينة الدار البيضاء

● بلغت تكلفة بناء مسجد الحسن الثانى ٢٥٠ مليون دولار..

الامطار الى البحر مباشرة.. إضافة الى ذلك ـ فإن مبنى المسجد مصمم بأسلوب يتفادى مخاطر المياه الجوفية وكذا تأثيرات المياه البحرية.

الاشغال بورش المسجد

يعمل بورش بناء المسجد فريق من العمال يتكون من ٢٥٠٠ عامل مقسمين الى فريقين احدهما عدده ١٤٠٠ عامل يشتغل بالنهار والآخر مكون من ١١٠٠ عامل يشتغل ليلا، وقد تحقق من بناء المسجد حوالى ٥٠٪ منذ الشروع فى بنائه مؤخراً.. اما المرحلة الثانية من عملية التشييد ـ وهى مرحلة التزيين بالزخرفة والنقوش فيساهم فيها حوالى ٦٠٠٠ صانع مغربى تقليدى من صناع الجبس والنجارة والفسيفساء والبلاط والنحاس.. وتقدر التكاليف الاجمالية للمسجد وملحقاته بـ ٢٥٠ مليون دولار (٢٠٠ مليار سنتيم مغربى).. واكتمل بناء المسجد خلال سنة بحيث أصبح جاهزا لادار الصلوات فى يوليو سنة ١٩٨٨.

■ ان مسجد الحسن الثانى هذا يعد معلمة تاريخية وحضارية.

مقارنة علو أهم المعالم فى العالم

● مسجد الحسن الثانى علو صومعته ١٧٢ مترا.
● برج ستراسبورغ علوه ١٤٢ متراً
● برج الجرس سان اتيان فى فيينا علوه ١٣٨ متراً.
● قبة سان بيير بروما علوها ١٣٢ متراً.
● برج الجرس سان بيير بهامبورج علوه ١١٩ متراً.
● قبة ميلان بايطاليا علوها ١٠٩ امتار.
● دار البلدية ببروكسل ببلجيكا علوها ١٠٨ أمتار.
● صومعة الخيرالدا (وقد شيدها المغاربة بالاندلس) وهى توأم لصومعة الكتبية بمدينة مراكش المغربية علوها ١٠٠ متر.
● بانتيون باريس (تورفيل) علوه ٧٩ متراً.
● صومعة الكتبية بمراكش علوها ٧٠ متراً.
● كنيسة نوتردام بباريس علوها ٥٦ متراً.
● مسجد سانت صوفى بتركيا علوه ٥٦ متراً.
● السوربون بباريس علوه ٥٦ متراً.
● قوس النصر بباريس علوه ٤٤ متراً.
● منارة بيل روك باسكتلندة علوها ٣٢ متراً.
● رأس أبو الهول بمصر طوله تسعة امتار.
● الجرس الكبير بموسكو علوه ٦٫٥ امتار.

أنابيش

أدبيــــة مرويـــة

ذكريــــات ســـلفت

من ليـــــالينا العجاب

«أنـابيش» ذكـريـات المـاضى الجميـل تختـزنها الذاكرة، لا تغادرها ولا تبارحها. . يرويها صاحبها فيسجـل بها ذكريات من الأدب والفن والتاريخ. . يفيد منها القارىء المطلع والباحث على السواء. .

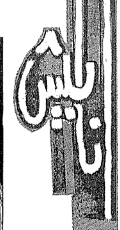
والأنابيش سواء اكانت مروية أم مدونة لا شك فإن لها قيمتها فى مجالها.

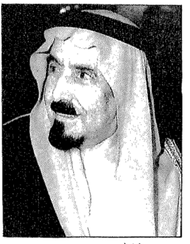
■ والمنهــل عرض قبـل ذلـك عدداً من الأنـابيش التاريخية والأدبية المروية منها والمدونة. . ويسعده أن يعـرض فى حلقات متتالية لأنابيش ثرة جميلة يرويها الـدبلوماسى السفير، والعالم الأديب معالى الأستاذ احمد بن على آل مبارك. . وهو من عائلة آل مبارك الشهيرة بالاحساء. . وهو من بيت علم وأدب وفضل.

تربى وتـرعـرع فى كنف هذه الأسـرة الكـريمة وجـالس علماءها وادرك بفطنته وحبه للعلم والمعرفة منـذ الصغر ان هناك عوالم أخرى يمكن ان يذهب إليها طلباً للعلم والمعرفة. . فذهب الى بغداد ولكنه سرعان ما عاد ليبدأ رحلة العلم من الجامع الازهر فى مصر. . التحق بالجامع الأزهر وبدأ دراسته فيه من المـرحلة الابتدائية حتى نال منه درجة الليسانس فى اللغة العربية وآدابها.

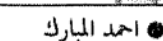
الحلقـة الاولـى

مـــن أريــج اثنينيـــة
عبـــد المقصـــود خوجـــة
يرويهـــا الاستـــاذ احمـد المبـارك









● احمد المبارك



● عبد المقصود خوجة

● حمزة شحاته

ثم التحق بجامعة عين شمس وحصل على دبلوم التربية وعلم النفس. . وفى ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م بدأ مشواره العملى.

■ فى ١٣٧٥هـ انتقل الى وزارة الخارجية وتدرج فى عدة وظائف ورأس عدة إدارات. . وعمل سفيراً فى كل من الأردن ـ والكويت ـ العراق ـ غانا. . وغيرها من الدول الأخرى. . كما عمل اول سفير للمملكة فى قطر بعد استقلالها. . والآن يعمل سفيراً فى وزارة الخارجية.

■ أحب الأدب والتاريخ واشتغل بالحياة الفكرية والعلمية الى جانب اعماله الدبلوماسية فله فى كل ذلك باع طويل. .

■ له عدة مؤلفات تحت الطبع منها:

● الدولة العثمانية معطياتها وأسباب سقوطها.

● تاريخ الاحساء فى ماضيها وحاضرها.

● تأملات فى المجتمع والأدب والحياة.

● فى بداية الحياة. . رواية تحكى قصة مشاهداته وكفاحه فى سبيل العلم.

● رسائل فى المودة والعتاب والاعتذار.

■ فى «اثنينيته» العامرة احتفى به سعادة الأستاذ عبد المقصود خوجه ولا شك أن «اثنينية» الاستاذ الخوجه قد سجلت حضوراً علمياً وأدبياً وفكرياً رائعاً له أثره ومدلوله المعرفى والثقافى. . فقد قدمت ـ خلال تاريخها الطويل الحافل بالعلم والمعرفة ـ عدداً كبيراً من العلماء والمفكرين والأدباء من داخل المملكة وخارجها مما نأمل معه أن تُهيأ وتعد تلك الأمسيات العامرة فى مطبوعات يستفيد منها القارىء. . وهى ولا شك تقدم كل الخدمات العلمية والمعرفية اللازمة للباحثين والدارسين.

■ وهذه الأنابيش التى نقدمها للقارىء الكريم هى ثمرة من ثمرات (اثنينية) الأستاذ عبد المقصود محمد سعيد خوجه.

وندخل فى ضيافة ذكريات الدبلوماسى الأديب الشاعر الأستاذ احمد بن المبارك ونستمع إليه يحكى طرفاً من ذكريات الشباب والصبا حيث يقول:

●● فى أثناء دراستنا فى مصر كانت تحصل بعض النشاطات الأدبية وكنا نأتى ببعضها فى خلل الكلام.

وحدث أن زارنا فى مقر البعثة سمو الأمير عبد الله الفيصل فى عام ١٩٤٦م فى احدى زياراته للقاهرة وقال: من فيكم يقول الشعر. . ؟.

فقال له الاخوة على خمسة هم الاخوة: محمد فدا ـ عليه رحمة الله ـ وحسن نصيف ـ ومقبل العيسى ـ وابو النصر وأنا. .

فقال الآن تصعدون الى غرفكم وتقولون ابياتاً تحت عنوان (ألم قلب) فنظم الاخ مقبل العيسى أبياتاً يمدح الأمير. . وكذلك فعل الاخوة محمد فدا وحسن نصيف. . ورأيت أنا ألا أتكلم. . وسألنى وأنت. . ؟



● الامير عبد الله الفيصل.

● من اليمين: عبد الله بوقس ـ عمر يحى توفيق ـ أبو تراب الظاهرى ـ احمد المبارك ـ عبد المقصود خوجة مقبل العيسى ـ على فدعق ـ مصطفى عطار ـ د. عبد الحليم رضوى.



قلت: انا لم اقل إلا ثلاثة ابيات والوقت ضيق.

قال: أسمع ما كتبت.

وقلت:

قلب المحب معذب
أبداً يحن ويندب
آلامه لا تنقضى
ودموعه لا تنضب
وحبيبه هو خصمه
خصم ألد أغلب

■ فشعر سمو الامير بأنه ضيق علينا الخناق فقال: ما اليوم..؟ قلنا الاثنين.

قال: يوم الجمعة أعود اليكم، وتكتبون تحت عنوان (ذكرى) ولكل منكم ان يختار ما يشاء.

وأنا فى الحقيقة رأيت ألا اكتب لأنى اعتبر نفسى لست من المتجهين للشعر، ولكن الأخ مقبل العيسى جاء ولديه قصيدة من شعره الذى كان يحتفظ به وقرأها علىّ فازددت خوفاً وكانت الأبيات جيدة..

فقال لى الاخ مقبل: وأنت ما فعلت؟.

قلت: لم اكتب شيئا.

قال: الأمير يغضب.

فاضطررت الى قفل غرفتى علىّ وانفردت بنفسى واستطعت كتابة قصيدة من أربعة وثلاثين بيتا.. وكان الاخ عبد الله بوقس قد كتب القصيدة بخط يده.

■ تقول بعض أبيات القصيدة:

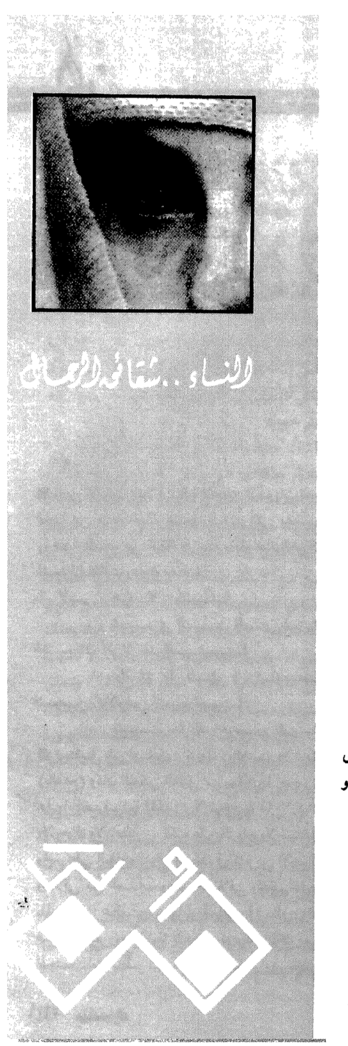
كنت فى بعض الليالى جالساً
أحتسى القهوة مع بعض الصحاب
زمرة لا تعرف اللهو وإن
قادها للهو أطياف الشباب
تعشق المجد ولو كلّفها
كل غالٍ وصلاها بالعذاب
فاذا نادى بها داعى العلا
ركبت للمجد امواج العباب
يرسم الخطة للمجد فتى
عبقرى لا يبالى بالصعاب
ورث المجد فلم يقنع به
ومضى يبنى ويبنى لا يهاب
قال فيما قاله من حكم
غاليات ومعانٍ تستطاب

اين أنتم اين ما اعرفه
اين ماضى الشعر فى وصف الكعاب
اين ما ينفثه ذو شجن
ذاق للحب مرارة وصاب
هل خبت ريحكم ام رقدت
فيكم الذكرى فلا يجدى عتاب
ليس حب الغيد ما يطربنى
انما أرغب أن تذكوا الشقاب
أحبّوا الاوطان حباً جارفاً
انما الاوطان للحر رحاب
فابتدرنا نتبارى ساعة
نقدح الزند إذا الزند أجاب
فتوليت وفى النفس شجى
أيقظ الذكرى وقد طال احتجاب
مرّ فى فكرى خيال عابر
هيج الشوق الى عهد الشباب
ذكريات سلفت ما خلتها
غير حلم من ليالينا العجاب
يوم أن كنت صغيراً يافعاً
لم أقم فى النفس للدنيا حساب
أحسب الدنيا بلاء زائلا
لا يساوى قيد ظفر أو هباب
حل فى قلبى حب طاهر
لفتاة غضة الجسم كعاب
طفلة لا تعرف الغدر ولا
تحسن المكر ولا ترضى السباب
كم مشينا نتهادى فى الربا
نقطف الازهار من فوق الهضاب
كم مروج قد تخطينا وكم
من رياض زاهرات وشعاب
كم نهير قد خطونا عنوة
وهو ينساب على الحقل انسياب
لست أنسى يوم كانت ضحوة
اين تغدو ألى مصر الذهاب
اتطيق البعد عنا يا فتى
اين حبى وأمانينا الرضاب
فتنهدت وقد آلمنى
منظر الدمع وقد بلَّ الثياب
ثم جاشت من فؤادى
عبرة صورت للنفس معنى الاكتئاب
فلتطفت وقد هدأتها
وكشفت السر عنى والنقاب
قلت إنى ان أسافر عنكمو
فلأجل الحب هذا الاغتراب
إن لى غيرك حباً ثانياً
لا أبالى فى هواه بالصعاب
إن حبى لبلادى قادنى
لاقتناص المجد من فوق السحاب
فتبدت عن محيا زاهر
وابتسام الثغر يجلو لى الضباب
ثم قالت لا تبالى لا تخف
انهض اليوم وقرّب للركاب
واطلب المجد ولو كلفنى
عنك بعداً إن فى البعد اقتراب

■ ولكن الذى حدث ان الاخ مقبل العيسى أخذ الجائزة الاولى وانا أخذت الثانية . . وكانت لجنة التحكيم مكونة من: الاستاذ حمزة شحاته، ومحمد فتحى مدير عام الاذاعة المصرية فى ذلك الزمن والاستاذ ابراهيم السويل السكرتير الاول فى ذلك الحين بوزارة الخارجية.

وجئت للاستاذ حمزة شحاته وسألته لماذا لم أنل الجائزة الأولى؟ هل لتقصير فى قصيدتى . . ؟ هذا مع حبى وتقديرى للأخ مقبل العيسى . . فاشار الاستاذ حمزة شحاته الى ان قصيدة الاخ مقبل اثارت الشباب وفى شعره حب وعناق وانت تعرف طبيعة الشباب المراهق . . وانت تقول: حل فى قلبى حب طاهر ولفتاة لا تعرف الغدر ولا تحسن المكر . . ؟ وهذا شيىء لا يثير الشباب . . وشكرته على ذلك.

«الانابيش موصولة»



مجلة
ذات أداء
متخصص
العدد ٤٥
رجب
١٤٠٩ هـ

الاشراف
د. ابتسام صادق — الرياض
حياة عبد الحميد عنبر — جدة



المرأة المسلمة

■ كانت المرأة فى بعض الشعوب لا تعدو ان تكون مخلوقا تافها [illegible] المجتمعات تعامل معاملة الحيوان الاعجم فتفصل الرجل [illegible] تكاد تبرز الى الوجود حتى يعرف فيها طالع الشؤم.
قال تعالى: ﴿وإذا بُشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم [illegible] به﴾.

■ ولعل الابيات الثلاثة التالية لإحدى البدويات تعبر تماما عن هذه الحالة عندما وضعت أنثى وغضب زوجها فامتنع عن البقاء فى بيته واقام عند الجيران اشمئزازا فقالت زوجته معتذرة:

ما لأبى حمزة لا يأتينا
يقيم فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا
والله ما ذلك فى ايدينا
فنحن كالارض للحارثينا
ننبت ما قد غرسوه فينا

■ تستقبل شر استقبال. تورث (بالضم) ولا ترث (بالفتح) وكان البعض القليل ممن يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه. . لا شخصية لها ولا كيان ولا حول ولا اعتبار. . تُكره على الزواج ولا تستشار وتجبر على البغاء والزواج المشترك فى كثير من الاحوال وتلاقى من العذاب والذل ما تلاقى ويحكم عليها بالموت اذا خالفت زوجها أو أسرفت فى ماله. وقد عدها مجتمع روما مخلوقا لا معنى له وكان الكثير من المجتمعات ينظر اليها نظرة احتقار وفى بعض المجتمعات كان الزوج اذا مات ترمل زوجته حتى تموت فلا ينبغى لها ان تتزوج ولا يصح لها ان تتزين، جاء مثلا فى القانون الهندوسى (تخدم - أى المرأة - بعلها طول حياته ولا تفكر فى رجل آخر بعد وفاته) وكان ابناء هذه المجتمعات يستحسنون من المرأة التى مات زوجها ان تقتل نفسها بعده فكانت تلقى بنفسها من مكان عال فيندق عنقها ويتهشم جسمها وربما أحرقت نفسها فى النيران التى تحرق بها جثة زوجها وما زال هذا الحكم القاسى مطبقا فى بعض الشعوب المتخلفة.

■ وعلماء أوربا ينظرون الى المرأة على انها شر لابد منه ومحبوبة فتاكة ورزء مطلى ومدخل الشيطان الى نفس الانسان وانها هى التى دفعت الانسان الاول الى ارتكاب الخطيئة. . هكذا كانت نظرة المجتمعات ومازالت بعض الشعوب التى تزعم انها متحضرة تنظر الى المرأة على انها آفة مرغوب فيها حتى اشرق نور الاسلام فافتر ثغر الدهر عن جو مشرق للمرأة وأمل بعيد وأسلوب فى الحياة جديد.

■ نهض الاسلام بالمرأة الى ابعد غاية من كمال

النفس وسمو الحياة واتزان الاخلاق وآداب السلوك فظهرت المرأة المسلمة فى مشرق هذا النور مملوءة اليدين بحق موفور وفضل مأمول فياضة النفس بما شاءت من الادب والرفعة والعفة والصيانة والعزة والشرف والكرامة.

■ نعم انصف الاسلام المرأة فى جميع جوانب حياتها وفى كل اطوار حياتها أنصفها ووضعها فى الوضع اللائق صيانة للمجتمع وحفظا له.. انصفها من ناحية العاملات التى حث عليها واعربت عنها تعاليمه السمحة ومحا عنها الظلام الدامس وقشع عنها السحب الداكنة التى كانت منعقدة فوق سمائها وأزال عنها الاصفاد والقيود التى كانت تعيش فيها وخلصها من الاعباء الثقال التى كانت ترزح تحت نيرها وانتشلها من الهوة السحيقة التى كانت متردية فيها وحفظها من الضياع والنسيان وحرم وأدها ورسم لها طريقا يتفق مع طبيعتها ورسالتها وجعل لها من الميراث نصيباً مفروضا ونهى عن ظلمها.

●● فبالله عليك ايها القارىء هل رأيت أعدل وارحم بالمرأة من الاسلام انه حقا من عند الله ذلك الاسلام المشرق الوضاء قرر للمرأة حقوقها وأثبت وجودها ورفع مستواها وهيأ لها الجو الصالح كى تعيش قريرة العين مساهمة فى بناء المجتمع الانسانى مساعدة فى تعمير الكون وحركة الدنيا لها ما للرجل وعليها ما عليه وليس هذا كلاما يقال او عبارات تنسق أو جملا ترتب وتكتب بل هى حقائق ثابتة لا سبيل الى الشك فيها شهد بها الزمان وتاريخ الاسلام وهذا هو القرآن الكريم عرض الكثير من شئون المرأة فى اكثر من عشر سور. وشخصية المرأة فى القصص القرآنى تبدو على جانب عظيم من السمو والفكر الثاقب كما شهدت بذلك سورة مريم والقصص وسورة النساء التى افتتحها الله عز وجل مخاطبا عضوى المجتمع الانسانى معا.

■ قال تعالى: ﴿***يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء***﴾ إنه مطلع قوى أخاذ صُدِّرت به سورة النساء يقرر مبدأ واضحا جليا على أساسه تقوم الحياة الاجتماعية هو ميدان المساواة﴿***من نفس واحدة وخلق منها زوجها***﴾ ***وقال عز وجل فى سورة «آل عمران»*** ﴿***بعضكم من بعض***﴾ وفى الاية الثالثة عشرة من سورة الحجرات قال تعالى: ﴿***يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير***﴾.

■ تلك عناية واضحة من القرآن الكريم بشأن المرأة واهتمام بمكانتها التى ينبغى أن توضع فيها واهتمام باستقصاء احوالها فى مختلف اطوارها وفى جوانب حياتها حيث وضح حقوقها على الرجل وحقوق الرجل عليها وقد اعرب عن ذلك القرآن الكريم فى كثير من الآيات وجاءت السنة المطهرة فكانت الصدى المتجاوب مع القرآن فلم تدع شيئا من شئون النساء دون ان تبرزه ابرازا يتفق وسنة الحياة وهناك كتب الاحاديث الصحيحة زاخرة بمئات الاحاديث التى تبين حكم الله فى امور تخص المرأة وتتعلق بشئونها وحسبنا فى معرفة هذه العناية الالهية ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ نوه بشأن النساء فى خطبته المشهورة بخطبة الوداع والتى ما لبث بعدها بقليل ان انتقل الى الرفيق الأعلى.

والرسول ﴿ﷺ﴾ فى خطبة الوداع يتناول المبادىء العليا والاحكام الكبرى.. يقول عليه الصلاة والسلام «**ايها الناس إن لنسائكم عليكم حقا وان عليهن حقا**».

ولقد تبوأت المرأة المسلمة فى ظل تعاليم الاسلام مكانة لم تحظ المرأة بمثلها فى أى شرع سابق ولا أى مجتمع تواضع الناس عليه.

هُنَّ

وقفة عند الأديبة

وداد سكاكيني

■ دخلت وداد سكاكينى حلبة الأدب ومحصولها الثقافى فى اللغة العربية وفير فهى تقول انها تلقت ثقافتها فى العربية على يد كتاب مشهورين منهم طه حسين ـ المازنى ـ محمود تيمور ـ الرافعى ـ المنفلوطى وغيرهم .

وهذا ما جعلها تقبل على الكتابة شامخة بامتلاكها ناصية اللغة العربية ، والتعبير العربى الأصيل، وبالنسبة لحياتها الشخصية ندعها تتحدث عنها بإيجاز فى آخر كتاب طبع لها وهو «سابقات العصر» .

■ كان مولد وداد سكاكينى فى صيداء اللبنانية لكنها نشأت وتعلمت فى بيروت ، مدينة أمها وتزوجت فى دمشق من الشاعر والأديب زكى المحاسنى ، وعاشت أسعد أيامها بمصر. وكان أبوها محمد السكاكينى إذا سئل عن أصله وأهله أجاب أنا لبنانى وإن تكن لجدودى جذور مصرية .

■ كانت فى المدرسة متفوقة فى دروسها وقد أظهرت موهبة أدبية وكان أستاذها فى العربية يوجهها بحفظ القرآن وقد استمعت وداد لنصيحته حتى صارت وظيفتها فى الانشاء شبيهة بالمقالة أو القصة . . وكان زواجها بالشاعر الأديب زكى المحاسنى تشجيعًا للمضى فى حياتها الأدبية فتوالت مقالات لها وقصص فى الصحف المصرية واللبنانية والسورية ، وفى مصر لقيت تشجيعاً كبيراً حيث قدمها أعلام الأدب هناك . . وبعد عودتها من مصر إلى سورية ثابرت على المطالعة والتأليف ، وبلغ عدد المطبوع من مؤلفاتها ثمانية عشر مؤلفاً . . اهم هذه المؤلفات:

١ ـ مرايا الناس ـ مجموعة قصصية
٢ ـ أمهات المؤمنين ـ أو نساء النبى
٣ ـ النيل والنخيل ـ صور وأقاصيص مصرية .
٤ ـ أروى بنت الخطوب ـ رواية .
٥ ـ سواد فى بياض ـ مقالات أدبية فنية
٦ ـ الستار المرفوع ـ مجموعة قصصية .
٧ ـ شهيرات من الشرق والغرب .
٨ ـ مى زيادة ـ كتاب فيه دراسة موسعة عن مى زيادة .
٩ ـ نفوس تتكلم ـ وهو مجموعة قصصية .
١٠ ـ نقاط على الحروف ـ كتاب نقدى .
١١ ـ شوك فى الحصيد ـ كتاب نقدى.
١٢ ـ الخطرات ـ كتاب نقدى .
١٣ ـ أقوى من السنين ـ مجموعة قصصية .
١٤ ـ سابقات العصر ـ آخر كتاب طبع لها تناولت فيه دراسة موجزة لشهيرات النساء فى عصرها .

● ولأديبتنا كتب نقدية وقصصية لم تطبع بعد.

■ أمسكت أديبتنا قلمها واثقة الخطا، مستفيدة من ثقافتها المتنوعة ومما ساعدها فى مضمار الالتزام بقضايا مجتمعها رحلاتها الى بعض البلدان العربية والأجنبية وقوة شخصيتها وجرأتها. بهذه المؤهلات ولجت عالم الرواية والقصة، لتنقل لنا صوراً كثيرة من مجتمعها أبرزها صور المرأة فى معاناتها، وشقائها وبؤسها.

هذا ما نجده فى مجموعتها القصصية الاولى «مرايا الناس» وفى كتابها مى زيادة صورت المرأة النابغة التى تقدمت مجتمعها مبرزة ما يعانيه الرواد من ظلم وقسوة بأسلوب أدبى رفيع، ونزاهة فى التحليل والنقد.. ومن العجيب أن وداد سكاكينى رغم جرأتها وغبقها فى النقد، تتعاطف مع شخصياتها وتقف منهن موقف المدافع الحانى، الذى يدرأ عنهن االضرر والأذى كما نرى فى كتابيها «مى زيادة وأروى بنت الخطوب».. ففى هذا الكتاب الأخير الذى يعتبر زواية مثيرة صورت المرأة ذات الكبرياء والأنفة الصامدة التى لا تقهر. أما فى كتابها العاشقة المتصوفة فقد عكست لنا سمو المرأة وترفعها عن عالم المادة وقدمت أروع صورة لرابعة العدوية.. ومن الملاحظ أن الصورة البارزة للمرأة عند وداد سكاكينى هى المرأة العنيدة الصامدة المتسامية التى تقهر الظروف، وتتغلب على العوائق وهذه الصورة الايجابية للمرأة لها علاقة وثيقة بحياة أديبتنا، التى اضطرتها ظروف العائلة وما أصيبت به من ضيق مادى أن تعمل وتكافح منذ سن صغيرة. وشخصية وداد سكاكينى بثورتها وتحديها تبرز فى النقد فى نقدها الموضوعى الهادف الذى تكوّن نتيجة ثقافة وخبرة.. تقول فى مقدمة كتابها: «شوك فى الحصيد».

«وكان من حظى أن أدركت عهداً من ازدهار النقد الأدبى على ضفاف النيل وفى بعض البلاد العربية التى تأخذ بأسباب التطور فى الفكر والثقافة».

■ أما الناقد المصرى محمد مندور فيقول معرفاً قراء العربية بهذه الناقدة الملتزمة: «إذا كان قراء العربية، قد عرفوها أديبة قصصية ملتزمة بالقيم الانسانية الرفيعة فإنهم قد عرفوها أيضاً على صفحات الصحف، والمجلات ناقدة ملتزمة أيضاً وبخاصة أن السيدة وداد سكاكينى لم تأت الى الالتزام متأثرة بمفهومه الجديد فى الأدب العالمى بل أتت إليه مسوقة بطبعها المخلص الجرىء الذى لا يخشى مسؤولية الرأى. ولا يجارى فيها».

وهى فى نقدها جريئة مخلصة لا تتملق ولا تداهن تأتى على النص فتبرز نواحيه الجمالية موازنة بين الجيد والقبيح همها أن تدعم الحق والخير والجمال.

■ تقول فى كتابها النقدى «شوك فى الحصيد» بصدد رواية العصاة لصدقى اسماعيل: «وهذه الرواية الفكرية الضخمة بحوادثها وصورها جاءت واضحة التعبير لكنه لم يكن فنياً كما تقتضى الرواية الحديثة ولا ملتزماً بأداء واحد لم يتغير، فهو تارة يجرى على غرار القصة وتارة يأتى فيما يشبه المقالات الصحفية».

■ ووداد سكاكينى فى مواقفها الاجتماعية إنما تدافع عن وطنها وبلادها، لهذا تتميز بمواقفها القومية التى تظهر بوضوح فى التزامها باللغة العربية الناصعة الخالية من الأخطاء والشوائب. فأسلوبها الواضح المتين يسطع دائماً من خلال كتابتها لنستمع إليها فى كتابها مى زيادة فى حياتها وآثارها، تعرفنا بهذه الأديبة: «كان بريق الذكاء يتلألأ فى عينيها السوداوين اللتين كانتا نبعين للحياة تديرهما فى الوجوه والوجود، فيضاً من الحنان والجمال ولو شئنا أن نتصور منطقها ومبسمها لوجدنا العينين والشفتين تتكلمان معاً بلهجة عذبة مذوبة بالسحر الحلال.. كانت صورة وجهها تلوح وتتحرك بسر ترتبط به أغوار نفسها وكانت هذه النفس مثل نبع كهربى يعطى النور وجهها الصبوح».

ومما قاله عنها الناقد المصرى أنور الجندى: «إنها تدعو للقومية العربية فى أدبنا الحديث ولا هم لها إلا الاعتزاز بالقومية العربية وكرامتها».

نساء من الشرق

منيرة ثابت

● أول فتاة تحصل على شهادة عالية من جامعة أجنبية. وصاحبة أول رسالة يتلقاها البرلمان المصرى من مواطن مصرى. وأول محامية تقف فى أروقة المحاكم المختلطة تترافع أمامها. وأول فتاة تصدر جريدة يومية، وفى أحد المؤتمرات تصحح الفتاة المصرية لإحدى المندوبات الفرنسيات أحد تعابيرها الفرنسية.
هذه هى «منيرة ثابت» صاحبة جريدتى «الاسبوار» بالفرنسية، و«الأمل» بالعربية.

■ فى عام ١٩٢٤ وبالتحديد فى ١٥ من شهر مارس افتتح البرلمان المصرى وكانت أول رسالة يتلقاها بتوقيع «الآنسة منيرة ثابت». وكانت تعيب فى رسالتها على الدستور الذى صدر فى ١٩ أبريل ١٩٢٣ أنه أغفل إغفالا تاما كل الحقوق السياسية للمرأة. وكانت رسالة منيرة ثابت أول صوت يرتفع صراحة وبوضوح بطلب إعطاء المرأة المصرية حق المساواة مع الرجل فى ممارسة الواجبات والحقوق الدستورية كناخبة ونائبة عن الشعب.

■ والفتاة التى رفعت هذا الصوت الجهور العالى لم تكن إلا فتاة قد حصلت على الثانوية العامة، ولم تجد أبواب التعليم العالى مفتوحة أمام الفتيات، فالتحقت بمدرسة الحقوق الفرنسية، وكانت هذه المدرسة موجودة فى القاهرة، وهى تتيح لكل من يلتحق بها فرصة الدراسة ثم يسافر الى باريس ليحصل على الشهادة النهائية من هناك. وكانت منيرة ثابت أول فتاة مصرية تحصل على ليسانس الحقوق من هذه المدرسة.

■ وقيدت منيرة ثابت اسمها فى جداول المحامين أمام المحاكم المختلطة ودخلت سلك المرافعة أمام القضاء الأجنبى مترافعة عن قضايا ابناء الوطن، لكن القضاة الأجانب ضاقت صدورهم بأول فتاة محامية تترافع أمام المحاكم المختلطة، فلم يفسحوا المجال لفتاة مصرية مسلمة لتبتسم فى مرافعتها أمامهم باللغة الفرنسية، وكان ضيقهم - القضاة الأجانب - بفتاة عربية أثبتت مقدرة وتفوقا فى مجال جديد لم تطرقه المرأة من قبل.

■ وضاق الخناق فى المحاكم عليها. ففكرت فى الانسحاب من هذا العمل المخنوق فى مكان ضيق، الى العمل فى مدرسة الشعب والرأى، فى الصحافة، لتكون منها منبرا تترافع من فوقه أمام الرأى العام كله، باللغتين العربية والفرنسية.

■ ولكن أين الصحافة التى تكتب فيها، لقد أقدمت على شىء يعجز الكثير من الرجال عن فعله، بل يتردد من يقدم عليه ألف مرة، لقد أصدرت صحيفة يومية باللغة الفرنسية وأطلقت عليها اسم «الاسبوار» وبهذا تكون أول فتاة عربية تصدر جريدة يومية ناطقة بالفرنسية وصدر



العدد الأول فى ٧ نوفمبر ١٩٢٥م.

وقد عُدَّ هذا عملا خارقا بالنسبة لفتاة مصرية ناشئة، وأعجب الصحفى الكبير عبد القادر حمزة صاحب دار البلاغ، بهذه الفتاة وبإرادتها القوية العنيدة وبمواهبها المتدفقة، فوقف بجوارها وعاونها، وكانت الجريدة تحدث دويا هائلا فى الأوساط الصحفية، وكان جانب كبير من هذا الدوى يرجع الى المقالات الحارة التى كانت تكتبها منيرة باللغة الفرنسية.

■ ولم تكن منيرة ثابت تريد مخاطبة الرأى العام الأجنبى وحده، بل كانت حريصة على أن تخاطب الرأى العام العربى أيضا فأنشأت فى نفس الوقت وبالتعاون مع عبد القادر حمزة جريدة «الأمل» وهى اسبوعية باللغة العربية.

وكانت الجريدة طرازا جديدا فى صحافة ذلك العهد، فكانت ثورة على التقاليد البالية، إلى جانب أنها كانت نداء متواصلا لمساواة المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات السياسية.

وشنت حملات ضخمة على أشياء أصبحت مادتها من بعد هى مادة الاصلاح الاجتماعى، والغاء الوقف الأهلى، وإلغاء الطرابيش، وفتح أبواب التعليم كلها أمام البنات، ومجانية التعليم العام، وغير ذلك من الموضوعات التى تحققت.

وربط العمل بين الصحفية منيرة ثابت والصحفى عبد القادر حمزة أدى الى تقدير متبادل ومودة، وحب وزواج، ولكن فارق السن الكبير حال دون الاستمرار فانفصلا أكرم انفصال، إذ ظل كل منهما - رغم الانفصال - وفيا للآخر.

ولكن الانفصال قد أثر على مشروعاتها الصحفية فتوقفت جريدة «الاسبوار» وكافحت منيرة كفاحا مرا لإصدار جريدتها الأسبوعية «الأمل» فقد استقلت بإدارتها فكانت هى المديرة، ورئيسة التحرير، ومندوبة الاعلانات والمراجعة والمحصلة، وغير ذلك من مهام إخراج الجريدة التى ينوء بها عصبة من الرجال. وتصدر الجريدة رغم هذا الجهد والعناء فى موعدها المنتظم.

■ وأفسح لها الصحفى رئيس تحرير جريدة الأهرام «أنطون الجميل» المجال لتكتب فى صدر صفحات الجريدة مقالاتها لأنها كانت فى نظر أنطون الكاتبة المصرية الأولى وظلت تكتب فى الأهرام الى أن توفى أنطون الجميل عام ١٩٤٨م.

■ وكانت منيرة ثابت صاحبة الدعوة الأولى لإنشاء نقابة الصحفيين، فقد كانت ترى أن فى هذه النقابة بيتا يجتمع فيه أصحاب مهنة واحدة، وقد وجهت الدعوة لذلك فى خطاب مفتوح فى مقال بتاريخ ٩ يناير ١٩٢٦ تحت عنوان: «**خطاب مفتوح من صاحبة الأمل الى جميع زملائها الصحفيين من أجل مصالح المهنة**».

■ ولم تكن الكتابة وحدها هى موهبة منيرة ثابت، بل الخطابة أيضا، وكانت تخطب باللغتين العربية والفرنسية، ولها مواقفها فى اجتماعات نقابة الصحفيين، ومواقفها البارزة فى المؤتمرات النسوية الدولية، ولقد بلغ من قوة بيانها وتمكنها من اللغة الفرنسية وفهمها الدقيق لمترادفاتها، أن دار نقاش بين منيرة ثابت وبين مندوبة فرنسية فى احد المؤتمرات الدولية النسوية، فإذا بالمندوبة المصرية منيرة ثابت تصحح لمندوبة فرنسا أحد تعابيرها الفرنسية



وصفقت مندوبات العالم كلهن للمندوبة المصرية الشابة. وانخرطت منيرة ثابت فى النشاط النسائى بعدها أغلقت صحيفتها «الأمل» وبعدها انقطع مقالها فى الاهرام بموت أنطـون الجميـل ـ وكـانت من المشـاركات بفاعلية حين انطلقت شرارة الثورة فى مصر.

ولكنها كانت تحن للصحافة فعادت مرة أخرى لتصدر مجلة «الأمل» وكانت مجلة صغيرة ولكنها تقول كلمة كبيرة عظيمة. وحرصا على قلمها ومجلتها ظلت تقاوم المرض سبـع سنوات دون أن يشعر أحد بوطأته عليها، وظلت تعانى منه وحيدة بعدما بعدت الأضواء عنها، وعلى الرغم من كثرة الجراحات التى أقعدتها أسيرة الفراش، إلا أنها ظلت طليعة الحوار مع زوارها أو مع محدثيها بالتليفون فى أى حوار صحفى أو سياسى سيتصل بالأحداث القائمة وكأنها شريكة فى هذه الأحداث.

■ ورحلت فى هدوء فى سبتمبر عام ١٩٦٧ وتركت وراءها قصة رائدة رائعة فى عنادها وتحديها واصرارها وتصميمها.





■ يقول نقاد الأدب الأمريكى إن الرواية الأمريكية [illegible] صور الحياة فى الريف ويجمعون على اقترابها من [illegible] بالمجتمع بأسلوب بسيط صادق.

■ ولـدت «ويللا كاثـر» فى فرجينيـا بالولايات المتحدة، وانتقلت مع أسـرتهـا الى «نبراسكا» حيث كان لتجارب طفـولتهـا أثـر فى حيـاتها، ودرست فى جامعة «نبراسكا» فتخرجت فيها عام ١٨٩٥م، ثم اتجهت الى بتسبرج فى «بنسلفانيا» وهناك اشتغلت فى الصحافة منذ عام ١٩٠١، وكـانـت تكـتـب لمجـلـة ماك كلور Mcclures Magazine وفيـها بعـد أصبحت مديرة التحرير لهذه المجلة، وكانت شخصية مرموقة فى عالم النشر والكتاب فى نيـويـورك قبـل أن تترك عملها فى عام ١٩١١، كما أنها ساهمت فى مجال التدريس فتولت رئاسة القسم الانجليزى فى إحدى المدارس الثانوية.

وانصرفت بعدها الى الكتابة فأصدرت أول رواية لها بعنوان «أيها الرواد»(١) (O pioneers) عام ١٩١٣، وتروى فيها قصة عائلة أسوجية مهاجرة وتتميز بتصويرها



الصادق لحياة الريف الأمريكى .

ولويللا كاثر تجربة شعرية هى ديوان فى الشعر بعنوان **«الفجر فى نيسان»** نشرته عام ١٩٠٣ .

وكتبت مجموعة من القصص القصيرة أبرزها المجموعة التى صدرت بعنوان **«الحديقة الغناء»** . .

■ وروايتها **«يا لهؤلاء الرواد»** من أصدق رواياتها الواقعية ففيهـا تتحدث عن الرواد الذين صمموا على الحياة فى الأرض الجديدة وأصبح رجالهم ونساؤهم فى شغل شاغل من أجل هذه الحياة ، ونجد «ويللا كاثر» شديدة الاعجاب بشجاعة وإقدام هؤلاء الرواد الذين كانوا يتطلعون الى المستقبل ويكافحون من أجله .

وكتبت «ويللا» روايات أخرى مثل **«عزيزتى أنطونيا»** أو **«أنطونياى»** ، وأغنية العبرة وفيهما تتحدث عن مشاكل المهاجرين الى مروج ومراعى نبراسكا ، وتتغنى بصفات القوة والصبر والاحتمال فى صراع أبطالها مع الطبيعة البرية .

■ وكانت «ويللا» قد صاغت رواياتها عن المهاجرين فى الـوقت الـذى كان فيـه الأدب الأمريكى قد اتجه اتجاهاً سريعاً نحو تصوير مشاكل وقضايا هؤلاء المهاجرين الذين كانـوا يجهلون اللغـة والعـادات المـرعية فى ذلك الحين ، وكانت هذه الروايات تدعو الى معاملتهم بطريقة حسنة ، ولعل أفضل هذه الروايات فى رأى نقاد الأدب الأمريكى روايتهـا . . «عـزيزتى أنطونيا» التى يتمثل فيها التصوير الصادق لحياة الريف ولشخصياتها وفى مقدمتهم «أنطونيا» المكـافحـة التى تشكـل الشخصية المحورية فى الرواية .

ونجـد «ويللا كاثـر» تركز على اهتمامات فنية أخرى فى الرواية كالمناظر الطبيعية الخلابة ولعل لنشأتها الأولى بين أحضـان الطبيعـة فى برارى نبراسكـا أثـراً كبيراً فى هذه الاهتمامات فمن تلك البيئة أخرجت ما أمكن لها إخراجه من موضـوعـات قصصية وصورت الحياة الريفية فكانت أول من كشف حس الجمال فى الغرب بتعدد أجناسه ومراعيه .

لننظر فى وصفها الرائع لجمال الريف والمراعى والمروج فى مقدمة روايتها «أنطونيا» إذ تقول : «وبينما كان القطار يمر كالسهم بين أميال وأميال لا تنتهى من القمح المتألق فى عنفـوان نضجه ماراً بالقرى والمروج المزدهرة المتلألئة بأزهـارهـا ، وأحـراش السنديان المتراخية الوانية من حر الشمس ، ظللنـا نحن فى عربة القطار جالسين وخشب المقاعد والنوافذ ساخن ، والتراب الأحمر يغطى كل شيء بغطاء سميك ، كم أذكرتنا الرياح اللافحة والتراب والقيظ وكنا نحاول فى حديثنا أن نصف كم ذا يؤثر فى نفس المرء أن يقضى طفـولتـه فى مثـل هذه البلدان الصغـيرة ـ أن يقضيها غارقاً فى القمح والذرة متأثراً بالطقس المثير الحار فى حره والقـاسى فى برده . صيف قائـظ يرقـد العالم فيه أخضـر تكتسحه أمواج الريح الحانية تحت سماء ساطعة

ويغرق المرء فيه فى الخضرة النضرة».

ثم تقـول: «إن الـذى لم ينشأ فى مثل هذه البلدان الصغيرة وسط المراعى والمروج لا يمكن أن يعرف شيئاً مما نحس أو يتـذوقـه، إنـه شيىء يشبه التفاهم الرمزى أو التجاوب الروحى الفطرى يكون بين كل من نشأوا هذه النشأة»(٢).

وكانت قد نشرت قبل هاتين الروايتين عملاً روائياً هو «بيت الأستاذ» (The Prp o fessors House).

■ ومن رواياتها الأخرى «سيدة شاردة» و«عدوى اللدود» والكتاب الأخير ليس رواية طويلة بل أقصوصة تصف فيها سيدة تدعى ميراهينشو فى نقد لاذع لتصرفاتها الأنانية.

والجـديـر بالـذكر أن قضية المرأة وحياتها الاجتماعية تلعب دوراً كبيراً فى رواياتها، ففى رواية «أغنية القبرة»(٣) ١٩١٥، تصف لنا كيف اضطرت البطلة الى الرحيل نحو الشرق لأنها لم تجد التشجيع الكافى لمزاولة فنها فى بلدها فرحلت عنه، لكنها لا تنسى فضل هذا البلد حتى بعد إحرازها النجاح والشهرة فيبقى له فى قلبها المكان الأول.

■ لقد مثلت «ويللا» فى معظم رواياتها مرحلة الانتقال بين أدبى القرن التاسع عشر والعشرين، وهى تؤكد أن الرواية الأمـريكيـة فى القرن العشرين ملأى بالمشاكل والقضايا الاجتـماعيـة، لكنهـا بالنسبـة لويللا زاخـرة بالحنين الى الماضى أكثر من مجرد التسجيل الحرفى للتفاصيل الواقعية المعاصرة.

■ ولعل صدق تصوير «ويللا كاثر» لحياة عصرها هو الذى لفت الأنظار إلى أدبها وما تميز به من طابع خاص، فنالت عن جدارة جائـزة بوليتزر وهى جائزة سنوية للانجازات الفكـريـة المتميزة فى ميادين الصحافة والموسيقى والأدب والفنون، خصصها ناشر يدعى «جوزيف بوليتزر» ويقوم باختيار الفائزين بهذه الجائزة مجلس استشارى فى جامعة كولومبيا.

■ نالت «ويللا» هذه الجائزة تقديراً لروايتها «واحد(٤) منا»



وفيهـا توضح كيف تقاعس الجيل الثانى من الرواد عن تحقيق أحلام الآباء فى إقامة حياة مدنية.

وكانت هذه الكاتبة الموهوبة تعبر فى بعض ما كتبته من مقالات أيضاً عن رأيها فى القصة وفنها، ففى مقال كتبته بعنـوان «الـروايـة ذات الـريـاش» (The Novel Demeuble) فى نيسـان عام ١٩٢٢ تقـول: «أكـره الرواية المزوقة المتخمة بالتفاصيل المملة».

وهى ترى أن الروائية يجب أن تكون ذات خيال واسع وأسلوب بسيط فى الكتابة، فالرواية فى نظرها هى خيال عميق قبل كل شيىء. وقد ضمنت آراءها فى القصة فى كتاب بعنوان «ليس قبل الأربعين» صدر عام ١٩٣٦م.

■ لقـد أصبحت روايـاتهـا من كلاسيكيـات الأدب الأمريكى فى معالجتها المتميزة لحياة وكفاح الرواد الأوائل من المهاجرين فى سعيهم نحو حياة أفضل على الأرض الجديدة ضمن إطار فنى رائع من البناء القصصى الذى يمثل عصرها تمثيلاً صادقاً.

الهوامش

(١) الأدب الامريكى فى مختلف عصوره/ جميل جبر، بيروت: دار الثقافة ١٩٦١، ص ٢٠٠.

(٢) عزيزتى أنطونيا ـ ترجمة د. سهير القلماوى، دار المعارف بمصر.

(٣) الرواية الامريكية الحديثة ـ تأليف د. سهير القلماوى، فى كتاب «دراسات فى الأدب الامريكى» إشراف وتقديم د. طه حسين، مصر: مكتبة النهضة المصرية.

(٤) موسـوعـة أدباء أمريكا ـ تأليف د. نبيل راغب، القاهرة: دار المعارف، ج٢، ص ٣٤٦.



رسالة من ابن الجهم

إلى السيدة الجميلة

محمد عبد الواحد حجازى

* شاعر فصيح مطبوع خص بالخليفة المتوكل حتى صار من جلسائه ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية إليه بندمائه والذكر لهم بالقبيح عنده.

حبيبتى رباب:

ما كنت أعلم قبل اليوم أن قد صار قلبك الى هذه الدرجة من القسوة والكنود.. أفتش فى نفسى، فى ذاكرتى، فى خيالى عن جريرة اقترفتها أستطيع أن أقول عنها إنها هى السبب فى قطع أسباب الوصال بينى وبينك فلا أجد شيئا فتغشانى مسحة من الحزن المشوب بالحسرة والقلق.. فلماذا يا ترى؟ هل لأن «فضل» الشاعرة غنت لى بصوتها الشجى الملائكى:

لأكتمن الذى فى القلب من غصص
حتى أموت ولم يعلم به الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه
إن الشكاة لمن تهوى هى الياس
ولا أبوح بشىء كنت أكتمه
عند الجليس إذا ما دارت الكاس

■ ولكن سبق لفضل أن غنت لى بعض قصائدى فى حضرة أمير المؤمنين المتوكل ولم يحدث أى شىء، فلماذا إذن؟ من الجائز أنك ظننت أن بينى وبين فضل علاقة حب. ولكن إذا كان ظنك قد بلغ ذلك الحد فهو الوهم العقيم، ذلك لأننى لم أقصد بذلك إلا أنت يارباب. فقد آلمنى وشتت فكرى وأقض مضجعى أنك لم تعودى تتصلين بى كسابق أيامنا حيث كان الحديث يتصل بيننا ساعات وساعات وربما الى الهزيع الأخير من الليل ومع ذلك فالحديث لا ينقضى والأشواق لا تنضب.

■ لقد عانيت الكثير من أشواقى إليك ومع ذلك فما كنت أجسر على الافصاح عنها أو الاشارة إليها أو الشكاية منها:

ولا أبوح بشىء كنت أكتمه
عند الجليس إذا ما دارت الكاس

■ وهذا ما يشقينى ويصوح آمالى ولا سيما بعد أن سجنت.

حبيبتى رباب:

إننى ما سجنت إلا بسبب هجرى لأمير المؤمنين المتوكل.. ولماذا؟ لأننى صرت فى غاية الضيق والحيرة منذ أن هجرتنى ولم تعودى تسألين عنى أو تبعثين بجاريتك لتستفسر عن أحوالى ولو من باب المجاملة ورعاية لحق الحب الذى ألف بيننا طوال تلك السنوات.. لقد فرحت إحدى صديقاتك عندما علمت بحبسى.. إحدى صديقاتك الحاقدات عليك والشامتات فىّ:

قالت حبست فقلت ليس بضائرى
حبس وأى مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله
كبرا وأوباش السباع تهدد
والبدر يدركه السرار فتنجلى
أيامه وكأنه متجدد
والشمس لولا أنها محجوبة
عن ناظريك لما أضاء الفرقد





والغيث يحصره السحاب فما يُرى
إلا وريّقه يروع ويرعد

■ ولما طال حبسى وضاقت بى الدنيا وضقت بالدنيا، وتمنيت الموت لأريح وأستريح . . كنت أتمنى أن تزورينى فى سجنى لتشهدى العذاب الذى أعانيه . . لتشهدى بعينيك كم اعتلت صحتى ووهن جسمى وتغشانى المشيب قبل الأوان . . كنت أتمنى أن تزورينى فتسرى عنى وتبعثى فى قلبى الأمل فى الحياة. لقد كنت أتلهف على زيارتك كى تنقلى عنى رسالة الى أمير المؤمنين المتوكل فعساه يرق لحالى فيمن علىّ بالعفو . لقد كانت رسالتى إليه :

أمن السوية يا ابن عم محمد
خصم تقربه وآخر تبعد
إن الذين سعوا إليك بباطل
حُسّاد نعمتك التى لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا
فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك مجلس
يوما لبان لك الطريق الأقصد
فبأى جرم أصبحت أعراضنا
نهبا تقسمها اللئيم الأوغد

حبيبتى رباب:
بعد أن بلغت قصيدتى مولانا أمير المؤمنين انتظرت طويلا علّه يصفح عنى ولكن تبددت أحلامى وخاب ظنى . . فشعرت وكأن قد اصطلحت علىّ أمراض الدنيا كلها فذبلت نضرتى ، وخارت قوتى ، وتبددت عافيتى واجتوت نفسى كل أمل فى الحياة حتى ما عدت أكلم أحداً من حراس السجن وصدفت عن طعامهم ولم تعد عينى تمتد إليه فجاءوا إلى بطبيب فنشأ بينى وبينه حوار عجيب :

تنكر حال علتى الطبيبُ
وقال أرى بجسمك ما يريبُ
جسست العرق منك فدل جسى
على ألم له خبر عجيب
فما هذا الذى بك هات قل لى
فكان جوابه منى النحيب
وقلت أيا طبيب الهجر دائى
وقلبى يا طبيب هو الكئيب
فحرك رأسه عجبا لقولى
وقال الحب ليس له طبيب
وأعجبنى الذى قد قال جدا
فقلت بلى إذا رضى الحبيب
فذاك هو الشفاء فلا تقصر
فقلت أجل ولكن لا يجيب
ألا هل مسعد يبكى لشجوى
فإنى هائم فرد غريب

حبيبتى رباب:
اعلمى يا أحب شىء إليا
أن شوقى إليك فاض عليا
إن قضى الله لى رجوعا إليكم
لا ذكرت الفراق ما دمت حيا
إن حر الفراق أنحل جسمى
وكوى القلب منك بالشوق كيا

■ لم أجد مفراً من الصبر بعد أن غلقت دون روحى أبواب الحياة والحرية ، وبعد أن هجرنى الأصدقاء وتنكر لى من



ألم تر عبداً عدا طوره
ومولى عفا ورشيداً هدى
ومفسد أمر تلافيته
فعاد وأصلح ما أفسدا
فلا عدت أعصيك فيما أمر
ت حتى أزور الثرى ملحدا
وإلا فخالفت رب السماء
وخنت الصديق وعبتُ الندى

■ وتقدم طاهر بن عبد الله بالقصيدة الى مولانا أمير المؤمنين وقرأها عليه وبعد أن سمعها أمره بأن يطلق سراحي . .

حبيبتي رباب:

بعد أن خرجت من السجن تلفت حولي لعلي عيني تقع عليك وهو ما كنت في غاية الشوق إليه ولكنني لم أجدك فتحيرت وقلت للناس: أين أنا؟ فقالوا وهم متوجسون مني ومستغربون: أنت في الدنيا. . فقلت: ولكن أين دنياي؟ ففغروا أفواههم دهشين وكأنهم ظنوا أنني رجل معتوه أو مجنون فانفضوا من حولي . .

■ ولما لم تكوني في انتظاري شعرت أنه لم يعد لي وجود في هذه الدنيا فذهبت الى المقابر فربما تكون أحنى عليّ وأرأف . . نعم :

يشتاق كل غريب بعد غربته
ويذكر الأهل والجيران والوطنا
وليس لي وطن أمسيت أذكره
إلا المقابر إذ كانت لهم سكنا

حبيبتي رباب:

لماذا كل هذا العذاب؟ . . إن كنت قد جنيت ذنبا فمنه المتاب . . وإن كان تعذيبي راحة لك فليهنك التعذيب . .
يا حبيبتي يارباب :

العين بعدك لم تنظر الى حسن
والنفس بعدك لم تسكن الى سكن
كأن روحي إذا ما غبت غائبة
حتى إذا عدت لي عادت الى بدني

كنت أظنهم أحباء أوداء، وشمت بي الأعداء الألداء . .
ولكن :

هي النفس ما حملتها تتحمل
والدهر أوقات تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة
وأفضل أخلاق الرجال التفضل

■ وفي ليلة من ليالي هذه البأساء سمعت طرقاً خفيفاً على باب حجرتي وإذا بالحارس يفتح الباب وتدخل من خلفه سيدة كساها السواد ثم سفرت عن وجهها فإذا هي فضل الشاعرة وما كدت أراها حتى سألتها عنك قائلا : هل أصاب رباب بشيء؟ أهي مريضة؟ خبريني يا فضل . . فقالت لي : هي بخير وعليك الآن أن تكتب رسالة ثانية إلى أمير المؤمنين المتوكل تستعطفه فيها وتعلن توبتك وإنابتك وأنك لن ترجع الى هجائه مرة أخرى . . فاكتب الرسالة الآن وسوف يعرضها طاهر بن عبد الله على أمير المؤمنين وأنت تعرف منزلته عنده وحبه له . . وكتبت إليه هذه الرسالة :

أقالني أقالك من لم يزل
يقيك ويصرف عنك الردى
ويغذوك بالنعم السابغات
وليداً وذا ميعة أمردا
وتجري مقاديره بالذي
تريد إلى أن بلغت المدى





يوسف ابو عواد

٣٥٣ خدعتك الحضاره حين وفرت عليك كل يوم عشرات السعرات الحرارية ـ وأنت مبهورة باستعمال اجهزتها وآلاتها وتشغيلها وايقافها بلمسة أصبع لتبدأ رحلة معاناتك مع السمنة والترهل.. والمرض.. ويبدأ بها بحثك الدؤوب عن افضل الاساليب لإنقاص وزنك.. وما زلت رغم كل هذا على موقفك الاول من حياة الفلاحة البسيطة.. لكننى على ثقة يا سيدتى انك تودين لو كنتِ فى مثل قوامها ورشاقتها وانسيابيتها.. وحتى اختصر عليك الطريق.. ان الجمع بين الحضاره والرشاقة يبدو فى عصرنا هذا ضربا من المستحيل لا سيما على نساء اليوم.

٣٥٤ أكاد اجزم ان معظم الإخطاء التى تقع فيها المرأة. انما هى وليدة المكابره.. فى محاولة يائسة للوقوف على قمة اخرى امام الرجل.. وحسبى ان شيئا من هذا ما كان ليحصل ـ كما هو الآن ـ لو وضعت المرأه نفسها فى المكان اللائق وأقرت بامكاناتها وحدودها وبشيء يسير من التواضع والصراحة.

٣٥٥ أننى لا استغرب إسراف النساء على المظاهر. لكن الذى استغربه حقا هو: كيف يفترضن ان حواس الرجال فقط بصر وشم؟.

٣٥٦ إن على اللواتى يمارسن ـ التزوير ـ فى المظهر. وتصوير الأمور على غير حقيقتها.. أن يتجلدن بالصبر كثيرا حين يمارس الطرف الآخر حقه فى رد الاعتبار لنفسه..

٣٥٧ ماذا يعنى ان تتهافت النساء على «الموضة» حتى لو كانت فى أحد انماطها محاكاة لأشياء قديمة على عهد «جدتى».. و«جدتك».. علما أنه ما كُنّ ليقمن له وزنا لو اطل عليهن من غير النافذة.

٣٥٨ شاع بيننا أن سلاح المرأة دموعها وأعتقد ان الذى يقف وراء الترويج لهذا السلاح ـ الذى يستدر العطف ـ والدموع ـ امرأة ذكية أخفت وراءه شتى أنواع الأسلحة المحرمة دولياً.

٣٥٩ اننى فى خضم مشاكلى معك اسعى الى الاستقرار وانشد السلام بأى ثمن.. حتى اذا هدأت أمورنا حاولت بشتى الوسائل صهرى وتشكيلى على النحو الذى تريدين.. لتبدأ المناوشات والمشادات.. وكأنه لا يرضيك الا أن اكون كأحد الخواتم فى اصابعك تنقلينه كيفما تشائين.

٣٦٠ اثناء شراء الملابس لعروسه لم يكترث العريس لعشرات الفساتين من مختلف الموديلات التى اشترتها عروسه ولا لأنواع العطورات وعلب المساحيق والمكياج المختلفة وعندما جاء دور فئة الفساتين والثياب التى تستخدم داخل المنزل تدخل العريس فى تحديد الوانها وموديلاتها، الأمر الذى أثار فضول حماته وحين سألته عن سر صمته وعدم تدخله فى الأشياء الأخرى رد على الفور: تلك لا تعنينى لأنها للاستعمال خارج المنزل.. أما هذه يعنى ـ الدشاديش والمرابيل البيتية ـ فهذه تهمنى وحدى.

٣٦١ الحماة «الشجاعة» هى التى تعلم ابنتها كيف تكون «جبانة» مع زوجها.



ام عمـرو

٣٥٣ وفرت الحضارة على المرأة بضع سعرات من العمل اليدوى لتضيف إليها مئات السعرات البديلة من الجهد العقلى. وفى الحقيقة لا توجد أم وزوجة إلا وهى تصـرف فى الجهتـين حتى ولـو كانت من المحظوظات بوجود الخدم.

ان رعاية الأسرة وحمل تبعات أفرادها عمل سهل ويسير على هؤلاء الذين لا يقومون به ولا يشاركون فيه... من الرجال طبعا ربما يكون السبب الحقيقى للسمنة عند النساء هو انهن مضطرات لتذوق كل الأطباق التى يعددنها لإرضاء أزواجهن.

٣٥٤ بالنيابة عن المرأة أقرر بإمكاناتها وحدودها فهى التى تلد وتـربى الرجال ثم هى التى لا يجرؤ رجل واحد على اجتياز رحلة الحياة بدونها.. مهما سمع أو يسمع عنها من رجال آخرين.. من يستطيع الصعود الى القمة من الرجال يرى القمم الأخرى.

٣٥٥ تعبر المرأة الى معان أكبر عندما يكون هناك وعاء لاحتواء هذه المعانى. أما اللاتى يقفن عند مستوى الصوت والصورة فهذا لأنهن يتصورن أن الباب الى هذا الـوعاء مغلق.. إما لامتلائه أو لخلوه إلا من خيالات وتهيؤات صاحبه.

٣٥٦ ثم عليهن أن يمتد صبرهن حتى يكتشف الطرف الآخر أنه بحاجة لرد اعتبار ثان على رد الاعتبار الأول.

٣٥٧ أخذت الموضة معنى سخيفاً عندما ارتبطت بأزياء غريبة فى الشكل وعندما تحولت للون ونمط جماهـيرى لا يفـرق بين امرأة وأخرى. المرأة الآن تصنع موضتها الخاصة باختيار ما يناسبها من القديم والجديد. واقتصر الانشغال بالموضة بمعناها الأول على النساء اللاتى قصرن حياتهن على محاولة جذب اعجاب واطراء الرجال ورضاهم وهم يتناقصن يوماً بعد يوم.. الحمد لله.

٣٥٨ ثبت من تحليل الدموع خلوها من المواد التى تستخدم فى صنع الأسلحة الكيماوية.. وهى دليل على اليأس واليأس دليل على قلة الحيلة ومن يدرى لعل الدموع «ميكانيكية دفاعية» زوّد الله بها المرأة لمواجهة التكيف مع احباطات مخلوقات الله الأخرى.

٣٥٩ عمليات الصهـر فى الحياة الـزوجيـة تحدث للطـرفـين معا. ويجب ان لا نقاومها طالما أنها تنتج سبائك أقوى وأكثر مقاومة لتعريات الزمن. المقاومة لا تعطى إلا طبقـة من مصهـورات الطرف الآخر تتجمع فى الخارج فتزيد من الابتعاد والانغلاق فى بوتقة النفس.

٣٦٠ المرأة تخرج للشارع مرة والرجل يخرج عشرات المـرات ماذا لو عملت النسـاء بنفس الحكمـة فزاد اهتمامهن بشراء الغالى والثمين لاستخدام ازواجهن فى المنزل. من يدرى لعل ملابس الزوج الرخيصة والمهملة خارج المنـزل تعـود عليهن بفوائد أكبر فى الجوانب الأخرى.

٣٦١ «حماة» اليوم تستخدم مبادىء علميـة وتكتيكيـة جديدة «الجبن المؤقت» وسيلة لاستنزاف القوة بعدها يصبح الخصم هدفاً سهلاً على الرجال أن يقرأوا تكنيك المعارك قبل الاقدام على معركة الحياة الزوجية.

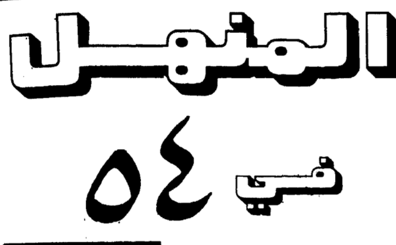
ومضات

من أقلام عرفت طريقها الى الكلمة وملكت زمامها

«ومضات» خواطر وسوانح بأقلام شداة على طريق الحرف والكلمة. . استهوتهم الكلمة الجميلة وعشقوها وسلكوا مسالكها فى محاولة منهم للترقى فى مراقيها. . وهؤلاء لهم من مجلتهم «المنهل» التشجيع والعناية.

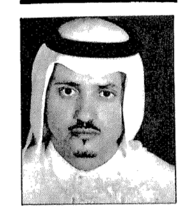
«ومضات» تحفل بهؤلاء وهؤلاء. . وتضم بين جوانحها، الفكرة والخاطرة، الشعر والنثر. . وكلها تغرد فى سماء الكلمة الغناء والجملة المبدعة والفكرة الرائعة والخاطرة المرسلة. . و «ومضات» ترحب بالجميع.

«المنهل»



المنهل في ٥٤ عاما

على خضران القرنى



سيرى على النهج القويم وحلِّقى ... كالصقر للعليا بكل جديد

مازلتِ جامعةً تفيض معارفاً ... وذخائراً تترى بكل مفيد

يا منهلًا أروَى العطاشَ بفيضه ... عش مورداً دوماً لكل مريد

***

■ هكذا وجدتنى أترنم بهذه الأبيات بعد قراءتى لكلمتى مؤسس هذه المجلة الغراء: الأديب الرائد الراحل عبد القدوس الانصارى رحمه الله رحمة واسعة وغفر له. . وخلفه ابنه الأديب نبيه الانصارى عن ولوج هذه المجلة عامها الرابع والخمسين والمعاناة التى صحبت رحلتها الطويلة فى مجال الكلمة المفيدة.

■ فكلمة السلف تفيد الاصرار على المضى متخطية كل الصعاب والظروف التى حاطت وتحيط بها حينذاك ومن أهمها ـ كما أعلم ـ الظروف المادية والتى تعتبر شريان حياة كل مجلة. إلا أن شعاره فى مساره ظل الى الأمام على الدوام دون ما تهيب أمام تلك المتاعب والصعاب.

■ وكلمة الخلف تؤكد الاصرار نفسه مع أن المسيرة لا تخلو أيضا من نفس المعاناة إلا أن طموحات الأخ نبيه وبعد نظره وصبره ومواقف بعض المحبين ظلت وراء هذه الظروف بالرعاية والتشجيع والدعاء.

■ إن مجلة المنهل «**المجلة السعودية الأم**» حرية بأن ندعمها ونرعاها جميعاً لتواصل المسيرة وتصل الى الشأو الذى خطط لها. ولا أبالغ إذا

قلت إن وضعها الحالى مادة وإخراجاً ـ خير دليل على عطائها المتميز بين نظيراتها.

■ إن صلتى بالمنهل وثيقة، وعلاقتى بها وطيدة ـ إنها صلة تلميذ بمعلمه فقد رعانى مؤسسها ـ رحمه الله ـ كغيره ممن رعانى من الرواد ـ وتتلمذت على صفحات مجلته من بداية الثمانينيات وحتى توفى رحمه الله وأنا محاط بتوجيهه وتشجيعه ومازلت والحمد لله أحظى بنفس المنزلة والمكانة من لدن خلفه.

■ إن كفاح مؤسس المنهل وأسرته فى استمرارية المنهل وتضحيتهم فى سبيل ديمومته قصة تمثل العصامية المتناهية وغير خافية على الجميع.

■ فتحية للمنهل وهى تتخطى أعتاب عامها «٥٣» مستقبلة عامها «٥٤» ناهضة متجددة ودعاء من الأعماق فى أن يحفظ لنا عاهل هذا البلد وراعى نهضتها ورائد التعليم والثقافة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وأيده بنصره وتوفيقه.



لحظات مؤلمة

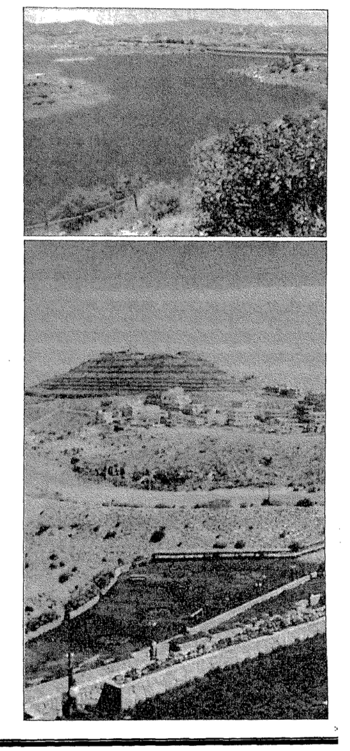
امين عثمان قاضى

ما اقسى تلك اللحظات التى تمر على الانسان ويكاد فيها ان يتجرع الحرارة من شدة وقع هذه اللحظات حتى بعد ان تمر ويكاد القلب ان ينساها . ولكنه لا يلبث ان يتذكرها . . لا يستطيع ابدا أن ينساها . . انها تسيطر على تفكيره على احساسه على مشاعره . . تلك اللحظات الأليمة القاسية تنبع من قلب احس أو يحس بأن ما حوله . . قد طعنه بخنجر من الشك والاحباط ماذا تقول لو ان شخصا من الذين تكنُّ لهم كل معزة وتقدير واحترام وحب قد ظن بك الظنون أو أن عزيزا آخر قد خطفه المنون وتوارى تحت التراب . . ماذا تقول فى الذين أمر الله أن نحسن إليهم وإذا بهم بعيدون عنك لا يحسون بك ولا يبادلونك الاحسان بالوفاء . . ماذا تقول وتقول؟ .

ولكننا نقول وداعا لهذه اللحظات المحرقة . . وداعا لكل ما هو معكر لصفو حياتنا . . وبالتفاؤل للمستقبل المشرق المنظور بالابتسامة المشرقة للمسيرة وبالرضى التام لقدر الله نستأنف حياتنا مؤملين فى مستقبلنا سائلين الله سبحانه ان يوفقنا لما فيه الخير.

الى أبها

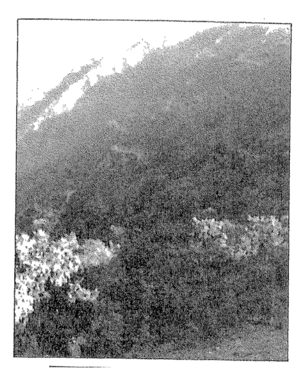
ياسين على ياسين قبالى
خميس مشيط



أبها الجميلة والخميلة والسنا
أبهى من الحب المجنح بالفرا
ان كنت لا تدرى الجمال وكنهه
فانظر اليها من على فوق الذرا
تجد الجمال مجسما فى قدها
فاحذر بأن تسبيك يا ولد السرا
تختال فى حلل الحرير كأنها
حوراء ماست فى الخمائل تنظرا
بيضاء انقى من غدير ساكن
ما شابها كدر ولا هى تضجرا
وقفت تشاهد أرضها وسماءها
فإذا المروج الخضر فيها تزهرا
وإذا النجوم فى السماء تزاحمت
فى لهفة حتى تسر وتبصرا
ويزيد فى حسن الجمال نطاقها
قد رصعت جنباته بزمردا
يا حسن منطقها وحسن نطاقها
تعطيك من طرف الثنايا جوهرا
ولقد عهدتك فى جمالك درة
ولقد عرفتك قبل فى حى القرا
فإذا جمالك صارخ فى روعة
وإذا بنورك قد تشعشع باهرا
وإذا وصفك الواصفون تحيرت
افكارهم وسفينهم لن تبحرا

أبهــا

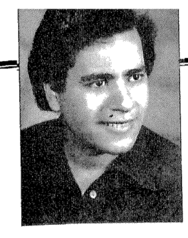
مهداة لرئيس نادي أبها الأدبي الذي كان حبه لها سبباً في استمرار وجوده بها.



عبد الوهاب علي السنوسي

أيها السيّار عجّل في المسير
ضاعف السرعة لا تخشى وجل
زاد وجدي وحنيني زاد بي
وفؤادي في هواه ما غفل
طال سيري وعيوني لم تنم
اختفى البدر والنجم أفل
وأنا أنقل سيري من هنا
وبنفسي، فرحة في المنتقل
هذه أبها تبدي حسنها
سر بنا نشهد معها فجراً أهلّ

ونرى الوردة في بهجتها
تشرق البسمة إن صبح أطل
والخزامى عطرت أرجاءها
والشذى ضمخ سهلا وجبل
وخرير الماء في جريانه
يتهادى بين واد وجبل
زرتها يوماً مع حبي الكبير
والأماني عبرات في المقل
حضنتني حين أقبلت بشوق
وتبادلنا من الود القبل
وهبتني من سناها قبساً
ألقا ضافياً به البدر اكتمل
وهدتني من لِماها شربة
أطفأت من ناظري حر المقل
وهدتني من هداها نفساً
جدد العمر وما مضى رحل
أتراها منحتني قلبها
حين أهدتني من الشهد العسل
أم تراها منحتني فرصة
لوصال مستمر ما حصل
لست أدري إنما حبي لها
في دمي يجري وفي قلبي أشتعل
والذي أحسست من إكرامها
وفق ود ذوبته في عجل
وغدت تختال في حلتها
في دلال وجمال وخجل
هذه أبها جمال رائع
زانها الرحمن والحسن اكتمل



مصطفى بلوزه
اسكندرية

اشـــياء صغيرة صغيرة



فوق شجرة عالية . . فى حديقة فسيحة . . وبعيدا عن الأعين . . كان هناك عصفور وعصفورة يتناجيان.

يهمس العصفـور للعصفـورة بأحلى الكلمات . . ويبثها غرامه وشكواه . . تميل إليه . . يميل اليها يتعانق المنقاران فى رقة ووداعة . . تقفز العصفـورة هنا . . وهنا وهنا وهنا . . يقفز وراءها هنا . . وهنا وهنا . . يستطيع اللحاق بها . . لكنه يحرص على ان يترك بينهما مسافة قصيرة فتعود إليه ويواصلان معا ما بدآه وترفرف العصفورة بجناحيها فى وداعة.

من بين اوراق الشجـر راح يتسلل ويـرسـل أشعتـه الفضيـة . . ويتصنت . . احست العصفـورة به . . اختلست نظـرة من بين الفروع والأوراق الى أعلى . . مكتملا كالبدر كان . . ابتسمت مغتضبة . . رآها العصفور غير ناظرة إليه رآها ناظرة الى أعلى . . رآها مبتسمة . . اتجهت عينـاه بسـرعـة تجاه مصدر رؤيتها . . مكتملا كالبدر كان . . وابتسامته وأشعته الفضية تغمر المكان . . تضايق العصفور تجهم وجهه . . لاحظت عصفـورتـه ما اعـتراه من ضيق . . حاولت استرضاءه بالكلمات الحلوة والابتسامة . . وبالعناق . . ولكن هيهات فقد تملك منه الغضب وأخذ منه كل مأخـذ . . ينظـر الى أعلى يراه مكتمـلا . . كالبدر كان . . وأشعته الفضية المرسلة على الأشياء . . والابتسامة تتسع . وتتسع . . وتتسع . . يتضايق العصفور أكثر فأكثر تحاول العصفورة تهدئته . . ينفعل . . تتسع ابتسامة البدر أكثر فأكثر . يقسم العصفور بأنه سوف يلقن البدر درسا لن ينساه . . تحاول العصفورة ان تثنيه عن عزمه . . لم تفلح . . طلب منها أن تنتظره الى أن يعود بعد أن يؤدبه . . وطار العصفور غاضباً مندفعاً نحو البدر المبتسم . . وطار وطار وطار . . والعصفورة تنظر وتترقب . . والبدر المكتمـل يبتسم . . والغضب يزداد بالعصفـور . . ويزيد من سرعته فى الطيران . . وتمضى اللحظات تلو اللحظات . . والبدر آخذ فى التوارى . . والعصفور أنهكت قواه . . لكنه مازال يطير ويطير وقد ظن أن البدر يحاول الهروب منه خوفاً . . والعصفورة مازالت فوق الشجرة تنتظر وتنتظر . . حزينـة مشفقة . . واللحظات تمضى وتمضى. حين اختفت أشعة البدر المكتمل . . وحين اختفى البدر تماماً . . بدأت الشمس ترسل أشعتها . . والعصفـورة مازالت فوق الشجرة تنتظر . . وحين رأت شيئاً يهوى من أعلى مرتطماً بالأرض ظنت أن حبيبهـا قد عاد . . ذهبت إليه وراحت ترفرف بجناحيها وأخذت تغنى له .

قصيدتي

علاء الدين حمزة
مكة المكرمة

«وقصيدة» برزت أمامي مدة
ما عابها «لحن» ولا «إقواء»
فتانة الأنغام فى أبياتها
«غنج» الشباب يشوبه إغراء
زانت بمطبوع البديع ثيابها
لا كالذى يتكلف الشعراء
لغة التوسط لم تشنها نبرة
التعقيد أو سطحية جوفاء
تمشى نعم تمشى فإن قصيدتى
جسم ترابى له أعضاء
كحلاء رائعة العيون قوامها
قصد وفى نظراتها خيلاء
تسمو على وقع القصيد .. بدلها
ذاك الذى انفردت به حواء
قد كان أجمل ما قرأت «جميلة»
مثل القصيدة وقعها حسناء
هى والأحاسيس التى تنتابنى
لما أحلق فى الخيال سواء
هى عالم فرد نسيج وحده
بين الحسان قصيدة «حوراء»
لمياء لم «تغرب» ولم «تبذل» إذا
قرأ الفتى «لكنه إيحاء»

ساعة صامتة

جمال الدين بن شقرون

يا سائلا عن ساعتى ذات الصدى ..
ما اغرب الوقت الذى ما غرّدا ..
فيك المنى يبدو سرابا أجردا ..
لكننى اهوى سرابا ما اهتدى ..
فى ساعتى ..
لما نفت وقع الردى ..
ما اغرب الوقت الذى فيك ارتدى ..
ثوب الاسى ..
والطير عن جرح شدا ..
لا تمتقع يا سائلا عن ساعتى ..
حين التقى دمع المآقى بالندى ..
وقت السبا المهتدى عبر المدى ..
لا تمتقع يا سائلى ..
حين الهوى يعدو فريدا مسرعا ..
نحو العدى ..
فى ساعة تجلي الطيور الشردا ..
عن وكرها ..
فى ساعة تغدو هدى ..
للسائل الفقير لما عاندا ..
دقات دهر معتد طول المدى ..
لا تمتقع يا سائلا عن ساعتى ..
دقاتها ماتت .. كذا .. لا تضطرب ..
دقاتها تحيا غـدا ..

مسلمون خلف الستار

محمد نبيه الانصارى

■ يبدو أن العالم أخذ يتغير بصورة سريعة ومدهشة.. فقبل سبعين عاما تقريبا كانت الشيوعية الاشتراكية مركز اهتمام العالم وخلاص البشرية - فى الاعتقاد الخاطىء لكثير من سكان المعمورة.

واليوم تبدل كل شىء.. وتغيرت المفاهيم.. وأضفى الواقع الماثل بحقيقته المرة على كل الألوان والشعارات والأفكار الزائفة، حتى أصبح ذلك المجتمع الكبير المتعدد القوميات والأفكار اتحاد الجمهوريات السوفيتية قابلا ومهيئا لكل تغيير من اجل إضفاء المرونة على النظام والأجهزة المختلفة فى الدولة.

■ وبدأت ارهاصات التحرك عندما خرج رجل من الظل وقام بالتشكيك فى كثير من الاوضاع السائدة بطرق ايقنته بفشل القديم وافلاسه.. قام بعد ان ثبت قواعده وبغير خوف او تردد مناديا بالديمقراطية المحدثة.. والموجهة والمكاشفة.

إن ما يعنينا اليوم كوننا ساعين إلى وضع اخوان لنا فى المناطق الاسلامية التى عانت الكثير منذ السيطرة الشيوعية. ويجب ان نعلم «ايضا» ومن البديهى «تماما» ان تغيير المفاهيم الشيوعية بشكل جذرى.. امر مستبعد - ذلك ان الشيوعية لازال لها بقايا قوة ومعابر تأييد.

إن إبراز عقيدتنا بالشكل المتكامل يساعد على تغير الاتجاهات الفكرية العالمية.. وقيامنا بالدور الدينى المعنى بنشر الاسلام بين شعوب العالم يعجل فى اعادة مكانة وقوة الاسلام.

■ ومع كل الانكسارات التى نشهدها اليوم مازلنا مسيطرين على جزء من اللعبة المعقدة وممسكين بزمامها، فنحطاط لكل الألاعيب الاستعمارية التى تقتنص كثيراً من الهفوات والاوضاع الشاذة لترمى بثقلها داخل مجتمعاتنا وفى اتجاه الشباب عامة والمثقفين بخاصة.

واليوم وفى سرعة المتغيرات التى لا يمكن التنبؤ بها نجد انفسنا مضطرين كمسلمين للدخول فى الصراع ولو جزئيا. اذ لابد ان تنهض تلك الشعوب المسلمة.. ويكون لها فى ذواتنا وعصمتنا ويقيننا.. سند يذوب تيهها وأساس يقوم دينها.

واتصور ان التساؤل الملح امام المسلمين السوفييت يقوم على بحثهم عن القوة الاسلامية التى يمكن ان تساندهم وتقف معهم عمليا لتحقيق مطالبهم أسوة بغيرهم؟.. ومن جانب آخر قد يطرح التساؤل فى العالم الاسلامى مستفسرا عن افضل من يستطيع فعلا ان يقدم اكبر نفع للمسلمين هناك؟.

■ وقد يبدو للوهلة الاولى ان المسلمين هناك «بحكم ما هم فيه» منفصلون تماما عن العالم الاسلامى، ولكن الحقيقة تختلف تماما عن هذا التصور.. فما دام الاسلام ينبض فى قلوب المسلمين بالايمان والخير.. وما داموا يتوجهون فى صلاتهم بقلوب خاشعة لمكة المكرمة - كل ذلك يؤكد اننا معا فى مركب واحد.

■ وما علينا نحن كمسلمين هو أنه يجب ان نقف مع اخوان لنا فى الاسلام.. وان نصنع المستحيل من اجل اعطائهم حقوقهم وتمكنهم من ممارسة حياتهم الدينية كاملة.. والمملكة العربية السعودية اجدر واجدى من يقوم بهذه المهمة لما لها من مميزات موروثة تجعلها فى قلب كل مسلم فى ارجاء المعمورة إذ يمكن لها فى دعة واستلهام ان تحرك تلك الملفات المقفولة - ومن اجدر بها سوى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.. ومن احفظ لها فى دهاليز سياسة الاتزان والحكمة الاقليمية والدولية سوئ المملكة العربية السعودية بحكومتها ورجالاتها المخلصين فلتفعل وإنا لها لمنتظرون.. والله الموفق.

وقفت طويلا عند كثير من أبحاث مجلتكم المنهل. فلم أكن أعرف أن هناك مجلة جادة على هذا القدر الكبير من الفائدة والمتعة الأدبية..

●● قريبا سأتوفر على كتابة مقالات لكم. سوف تكون سعادة مؤكدة لي.

أنيس منصور

في العدد القادم

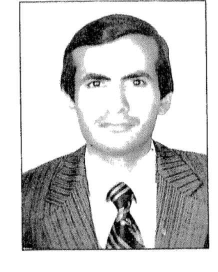
● أيام وليالى رمضان فى قاهرة المعز سياحة تاريخية فى اعماق الماضى..
● مساحة للضوء: مساحة للفكر والأدب والفن نتعرف بها على معطيات المعارف الأوروبية فى هذه المجالات.
● ملامح حضارية فى الأدب الاموى فى حلقتها الأخيرة
● جامع عمرو بن العاص.. الحضارة والتاريخ.
● الحركات النضالية.. وتأثيرها على البنية الثقافية (ندوة الشهر) تستطلع آفاق المفكر العراقى.
● إحسان عبد القدوس فى حوار صريح مع المنهل.

■ ومع جديد مجلاتنا الداخلية (السائح ـ فلسطيننا ـ المشتار ـ هن).

الزهراوى

سبق عصره بعشرة قرون

بقلم الدكتور: سامـى عزيـز
عضو بالأكاديمية الامريكية للعلوم بنيويورك



على طريق العلم والفكر، الأدب والفن، السياسة والمجتمع كان علماء الاسلام مشاعل مضيئة فى كل ذلك.. أضاؤا جبين الزمان بما قدموه.. وشيدوا حضارة راقية مؤمنة..

■ عُرفتْ الجراحة منذ القدم.. فالأمم القديمة مارستها بعناية رغم قصور المعلومات فى فنون التشريح وقلة المعرفة بخفايا الجسم البشرى. فعلى ضفاف النيل مثلا ومنذ اكثر من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد مارس الطبيب المصرى القديم مختلف الجراحات كالفتق الاربى.. والقيلة المائية.. والبواسير.. وازالة الاورام.. والختان وعمليات التربنة وغيرها ـ وحتى جراحة التجميل عرفها المصريون القدماء ووصفوا عمليات لها. اما اشهر البرديات الطبية القديمة فهى بردية «ايبرس».. وبردية «ادوين سميث».. وبردية «برلين».. وبردية «لندن».. وبردية «كاهون».. وتعتبر بردية «ادوين سميث» من اقدم البرديات الجراحية ويعتبرها «برستد» من اقدم ما كتب عن الجراحة فى العالم.. وهى تشتمل على وصف دقيق لأكثر من ٤٨ حالة جراحية رتبها المؤلف بعناية شديدة وتناولها بطريقة تتسم بالدقة والنظام والبعد عن السحر والشعوذة.. كما انفردت هذه البردية بوصف التركيب التشريحى للمخ البشرى وهى بذلك تعتبر اقدم مرجع طبى يذكر المخ البشرى لا فى مصر وحدها بل فى تاريخ الطب فى العالم كله. ويهمنا ان نذكر ان البردية اشتملت على معلومات تشريحية وفسيولوجية ـ وذكرت اهمية استخدام الخيوط الجراحية فى العمليات والاربطة واللصقات فى علاج الجروح.

■ كما عرفت الجراحة طريقها فى بلاد الهند القديمة.. ومع حضارات الصين والاغريق والرومان وغيرها من الحضارات التى عرفتها البشرية.. إلا ان الجراحة فى ظل الحضارة الاسلامية اتخذت اتجاها جديدا لم نعهده من قبل ويكفى ان بعض الكتب التى كتبها الاطباء المسلمون

كانت بمثابة المراجع الثابتة لجامعات اوروبا ولسنوات طويلة . . ويعتبر كتاب **«ابو القاسم الزهراوى»** فى الجراحة (التصريف لمن عجز عن التأليف) وكتاب (العمدة فى الجراحة) الذى الفه ابو الفرج بن موفق الدين يعقوب بن اسحق المعروف (بابن قلف) . . وكتاب **«الكليات فى الطب»** لابن رشد . . وكتاب **«القانون فى الطب»** لابن سينا من أهم هذه المراجع واشهرها .

■ وكتاب **«التصريف»** من المؤلفات الضخمة اذ يقع فى ثلاثين جزءا - ويتناول بالاضافة الى الامراض الباطنية والعلاج بالعقاقير . على وصف دقيق لبعض الجراحات كاستخراج حصاة المثانة بالشق والتفتيت . . وربط الشرايين . . واستئصال اللوزتين باستخدام سنارة من ابتكار **«الزهراوى»** نفسه . . واستئصال الغدة الدرقية وعمليات بتر الاطراف . كما يشتمل الكتاب على فصول لعلاج الكسور والخلوع واستعمال الجفت فى الولادة . . ويعتبر كتاب «الزهراوى» من أول الكتب فى تاريخ الجراحة التى اهتمت بالآلات الجراحية ورسمتها بعناية فائقة . والجدير بالذكر ان هذه الآلات وصل عددها إلى ما يزيد على المائتين واكثرها من ابتكار المؤلف .

■ والواقع أن «الزهراوى» يعتبر رائدا فى كل ما تقدم من اراء وافكار بل ان دقته وبراعته فى وصف الحالات الجراحية وعرضه لها لم نلمسه فى كتابات من سبقوه - كما ان الذين حاولوا تقليده من بعده لم يضيفوا شيئا يذكر وظلت تعاليمه مرجعا لمدارس الطب المختلفة لأكثر من خمسة قرون . . ورغم ان اكثر من عشرة قرون مضت تقريبا على ميلاد الزهراوى (٩٣٦-١٠١٣م) إلا ان «القسطرة» التى ابتكرها ورسمها واستخدمها فى العديد من العمليات الجراحية لم ندرك اهميتها إلا فى السنوات القليلة الماضية . وكلمة «قسطرة» اصلا عربية وقد حرفها الغرب فيما بعد ونطقوها «كاسترة» . . ويوضح الشكل المقابل صورة القسطرة التى ابتكرها الزهراوى واستخدمها فى تصريف المثانة البولية وصرف الخواريج وما إلى ذلك .

●● **الجدير بالذكر:** ان «القسطرة» التى لم نعرف بقيمتها طوال هذه المدة قد طورت اخيرا وتعددت استخداماتها وإن لم تختلف كثيرا عن نفس الاساس العلمى الذى وصفه لها «الزهراوى» - بل ان «القسطرة» اصبحت بديلا مناسبا للجراحة الحديثة وخاصة فى بعض الحالات التى يتعذر معها اجراء اى تدخل جراحى كما فى حالة المرضى متقدمى السن أو الحاجة الى اجراء تدخل جراحى فى اماكن يصعب الوصول اليها جراحيا (مثل ازالة ورم بقاع الجمجمة) هذا بالاضافة الى ان العلاج بالقسطرة يمتاز بكونه أقل خطورة . . وليست هناك حاجة لبقاء المريض مدة طويلة فى المستشفى كما هو الحال فى الاتجاه الجراحى وبذلك فالعلاج بالقسطرة أقل تكلفة . . اما من جهة الفعالية فالعلاج بالقسطرة قد يكون اصلح واجدى فى بعض الحالات عن الاتجاه الجراحى .

■ ولنأخذ الآن بدراسة بعض ما كتبه «الزهراوى» عن الجروح وطرق علاجها وهو فى ذلك يؤكد على اختلاف الجروح بحسب المسبب لها . . وطريقة حدوثها . . واماكنها فى الجسم . يقول «الزهراوى» :

■■ «الكثير منها قد ينشأ نتيجة الارتطام بحجر أو الاصابة بسلاح قاطع كالسكين وما شابهه من الآلات القاطعة . . وقد تكون نتيجة طعنة برمح أو حربة . اما اماكن حدوثها فقد تكون بفروة الرأس ، الرقبة ، الصدر ، البطن أو الكبد - وهذه الجروح قد تكون جروحاً بسيطة . . أو جروحاً مصحوبة بكسور . . أو جروحاً مصحوبة باصابات بالاعضاء الداخلية للجسم . . ويجب التأكد عند فحص جروح الرأس من انها غير مصحوبة بكسور الجمجمة فإذا كانت نتيجة الارتطام وعلى قدر كبير من التهتك وتخص منطقة فروة الرأس وحدها وحتى لا يحدث خراج فيها بعد مكان الاصابة يستحسن من البداية سحب كمية من دم المصاب ، ولكن كمية الدم المفقودة يجب ان تتناسب مع حالة المصاب ، كما يجب تجنب ذلك فى حالة تعرض المصاب لنزيف شديد قبل الكشف عليه . ويفضل سحب الدم على نفس ناحية الاصابة ، وفى حالة وجود مانع لسحب دم المريض يمكن الاستعانة عن ذلك بتجنب الاكثار من الطعام ، وعند حدوث التهاب بالجرح يجب تطهيره بقطعة من القطن مبللة ببعض من الزيت المخلوط - اما اذا لم تنشأ أى تغيرات على الجرح وبقى بدون التهابات ولم يتأثر بالهواء فيمكن استخدام احد المساحيق ، وعند تغير الجرح بتأثير الهواء فيمكن استخدام المراهم حتى يتكون الصديد ثم يستكمل العلاج حتى الشفاء .

■ وفى حالة وجود جرح كبير كالجروح الناشئة عن

ابتكر الزهراوي العديد من الاساليب الطبية في العلاج . وكتاباته مرجع لمدارس الطب المختلفة .

ضربات السيف مثلا فيمكن عمل بعض الغرز تماما كالتى تم وصفها فى العمليات الخاصة بالبطن . . وعند حدوث تعفن بالانسجة المحيطة بالجرح فيستحسن استئصال الجزء المتعفن وذلك بقص هذه الانسجة والتخلص منها ثم يستكمل العلاج كالمعتاد . . وإذا حدث نزيف من احد الشرايين الموجودة فى منطقة الاصابة فيمكن وضع بعض المواد القابضة ثم البحث عن الشريان المتسبب فى النزيف وربطه . . وإذا تكرر خروج الدم فيمكن كى المنطقة حتى يقف النزيف .

■ وفى حالة الجروح البسيطة يقول الزهراوى: ان استخدام المساحيق تجنبها اضرار التعرض للهواء (لم نعرف بالبكتريا ودورها فى تلوث الجروح إلا بعد اكتشاف العدسات المكبرة والمجهر على يد فان لوفنهوك سنة ١٧٠٠ ميلادية والدراسات القيمة التى قام بها لويس باستير (١٨٢٢-١٨٩٥) وروبرت كوخ (١٨٤٣-١٩١٠) وجوزيف ليستر (١٨٢٧-١٩١٢) فيما بعد). ويستكمل «الزهراوى» حديثه عن الجروح فيؤكد ان استخدام الضمادة والضغط بها على الجرح يساعد فى ايقاف النزيف وهذه الضمادة يستحسن عدم تغييرها طالما ان المنطقة المحيطة بها لم تتورم أو تتقيح .

■ اما إذا حدث تقيح بالمنطقة المحيطة بالجرح فلن تفيد المساحيق فى شىء ويستحسن فى هذه الحالات استخدام المراهم أو خليط الشعير المطحون مع الماء والعسل حتى يظهر الصديد ثم يستكمل العلاج كالمعتاد. وفى حالة وجود عظمة صغيرة مكسورة بقاع الجرح فيستحسن ازالتها والتخلص منها أولاً ثم معالجة الجرح كالمعتاد.

■ و يتضح من هنا ان «الزهراوى» كان على دارية واسعة بفنون الجراحة واسرارها . . وانه شاهد العديد من الحالات الجراحية ذات المشاكل المختلفة وعالجها . . وكان تقييمه لكل منها مبنيًا على دراسة وتفهم تام ـ لذلك لجأ الى شرح كافة الاحتمالات التى قد تواجه الجرّاح . . وهذا الاسلوب العلمى الذى نهج عليه «الزهراوى» فى تناوله لموضوع الجروح يدل دلالة واضحة على تفكيره المرتب . . وعمق علمه . . وعدم سطحيته وملاحظاته القيمة . . التى تعتبر فى بعض الاحيان سباقة بمئات السنين لعصره وحتى لمن جاءوا من بعده .

■ ولننتقل الأن لدراسة موضوع آخر اهتم به «الزهراوى» وخصص له جانبا لا بأس به فى كتابه «التصريف» . . طب وجراحة الاسنان ـ مثلا ـ من بين هذه الموضوعات التى برزت فى كتاب «الزهراوى» ـ بل ان آلات الاسنان التى ابتكرها واستخدمها وحرص على ان يوردها على صفحات كتابه تعتبر من أول الآلات الجراحية المعروفة فى هذا المجال . . ويناقش «الزهراوى» بشىء من التفصيل سآليل الشفة، واورام الفم واللثة، وطرق علاجها جراحيا . . ويذكر خلع الاسنان وكيفية التصرف عند كسر الجذور وبقائقها بالفك والالات المستخدمة فى استخراجها . . والطرق المختلفة لتثبيت الاسنان بالسلك . . وتهذيب الاسنان المكسورة وجراحة اورام تحت اللسان ـ وغيرها من الامور المتعلقة بالفم والاسنان .

■ اما فى مجال امراض الأنف والاذن والحنجرة فتبدو عبقرية الزهراوى فى وصفه الدقيق لعملية ازالة اللوزتين . . يقول: «الزهراوى» : إذا ما وجدت اللوزتين منتفختين، وسميكتين ولونهما يميل الى الحُمرة فلا داعى للتدخل الجراحى لان الجراحة هنا قد تسبب نزيفا شديدا. اتركها حتى تنضج ويخرج السائل الاصفر منها (يقصد بذلك تكون الصديد) . . ويمكن هنا شقها بالمشرط أو تركها حتى ينصرف السائل منها . . اما إذا لاحظت ان الورم اللوزى يميل للون الابيض . . وان اللوزة ليست سميكة . . فيمكن هنا شقها ـ ولكن يجب التأكد قبل اى اجراء جراحى من ان الحمرة المحيطة بها قد انصرفت (يقصد التهاب الانسجة المحيطة بها) . . ولاجراء الجراحة ، خذ المريض الى مكان مشمس واجعله يفتح فمه وضع رأسه بين ركبتيك . . وباستخدام خافض اللسان اطلب من مساعدك ان يضغط على لسان المريض (صورة خافض اللسان الذى استخدمه الزهراوى مرسومة فى كتاب «التصريف» صفحة رقم ٦٩ وكان يصنع من

الفضة أو النحاس). وعندما يتضح مكان الورم اللوزى أمامك شده للخارج باستخدام الخطاف ولكن تأكد من ان الانسجة المحيطة باللوزة ليست من ضمن الانسجة المشدودة ـ ثم اقطع الورم اللوزى باستخدام الآلة الشبيهة بالمقص ذى الطرف المنحنى (هذه الآلة كانت تصنع من الحديد). .

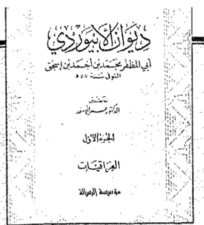
اما إذا لم تستطع استخدام هذا المقص فيمكنك الاستعاضة عن ذلك بالمشرط ذى الطرف المنحنى. . ونفس الخطوات كررها مع اللوزة الاخرى. . وبعد العملية دع المريض يستخدم غسول الفم حتى يقف النزيف (يحتوى هذا الغسول على مواد قابضة للاوعية الدموية مثل نقيع نبات الآس أو اوراق شجر الرمان). وبالاضافة الى ذلك يشتمل كتاب «التصريف» على وصف لبعض امراض الاذن وطرق استخراج الاجسام الغريبة منها واورام الانف وانسداد الانف وكسورها ـ واورام اللهاة وغيرها من الامراض.

■ والواقع ان معرفة «الزهراوى» لمختلف فنون الطب والجراحة وممارسته لها بل وسبقه فى عرض الموضوعات الطبية بطريقة علمية تعتمد على المشاهدة السريرية. . وتحرى الدقة. . وتعدد الاحتمالات. . وضرورة التصرف بحسب الحالة ومتطلباتها ـ كل هذه الامور تؤكد حقيقة واضحة تشهد بصدق لسبق الزهراوى وانفراده بهذه السمة بين اطباء عصره.

■ والفاحص لكتاب «التصريف» لا يجد فى موضوعاته نقلا للكتب الطبية القديمة. . ولا للمعلومات الطبية المعروفة فى هذه الفترة ـ ولكن «الزهراوى» انفرد بأرائه الخاصة والتى قد تبدو مختلفة بعض الشىء عن المألوف ـ بل انها تكاد تكون جديدة فى الكثير من الموضوعات التى تعرض لها. فهو مثلا يتحدث عن طريقة ولادة الطفل الميت بشىء من التفصيل العلمى والتى قد تختلف من حالة لاخرى ـ يقول «الزهراوى» فى هذا المجال: «ان فشل العلاج الطبى فى ولادة الجنين الميت وإذا كانت الام بحالة طيبة وليس هناك مانع للتدخل فعليك ان تجعلها تنام فى الفراش ورأسها فى مستوى منخفض ورجليها لأعلى، (وضع ولشر)، ويمكن لمساعد الجراح ان يمسكها فى هذا الوضع، أو يمكن ربطها فى الفراش لتستمر فى هذا الوضع اثناء استخراج الجنين. . ثم ادهش منطقة الفرج بمرهم مرطب يحتوى على نقيع الحلبة وزيت بذر الكتان، وقل للمولدة ان تدهن يدها بهذه الخلطة من المراهم والمرطبات ثم تضع يدها حتى الرحم لتجد الجزء المناسب لغرز الخطاف فى الجنين الميت. . فاذا كان وضع الجنين بالقمة ضع الخطاف فى عينيه أو فمه أو منطقة اسفل الذقن أو قفا العنق ـ اما اذا كان وضع الجنين بالمؤخرة فيمكن وضع الخطاف فى منطقة العانة. . ويجب القبض على الخطاف باليد اليمنى بينما اليد اليسرى توجهه حتى يتم غرزه فى المكان المناسب بدون اى اضرار باعضاء الام وانسجتها المحيطة بالجنين. . . وإذا ما تم غرز الخطاف فى مكانه فيمكن غرز خطاف آخر فى المكان المقابل ـ وربما احتاج الامر إلى خطاف ثالث. . ويجب الشد على الخطاطيف بنفس القوة دون الميل الى جانب واحد ـ ولكن يمكن تغيير اتجاه الشد حتى يسهل ولادة الجنين بنفس الاسلوب الذى تتبعه فى خلع الضروس. . واذا ما حدثت اعاقة من احد اطراف الجنين أو غيرها فيمكن للمولدة ان تدخل اصابعها المدهونة بالمرهم لتديره وتنهى الاعاقة. . وإذا ما حدث ان بعض اعضاء الجنين خرجت دون بعضها فيمكن الاستعانة بالخطاطيف مرة اخرى لاستخراج الجزء المتبقى ويشرح «الزهراوى» طريقة استخدام الجفت فى الولادة وطريقة استخراج الجنين الميت المصاب بكبر الرأس (استسقاء الرأس) وذلك باستخدام الآلة الشبيهة بالشوكة التى يتم غرزها فى الرأس حتى يخرج السائل منها ثم يتم تحطيم عظام الجمجمة بالكسارة (أله تشبه كسارة البندق) ويمكن عندئذ استخدام الجفت لاتمام عملية استخراج الجنين الميت.

■■ هذه لمحة بسيطة عن «الزهراوى» الجراح المسلم الذى ابتكر العديد من الاساليب الطبية فى العلاج. . وكان رائدا بحق فى انجازاته ويكفى ان القسطرة التى ابتكرها وحدد استخداماتها كوسيلة سهلة للعلاج لم ندر نفعها وامكانية استغلالها فى تخصصات الطب المختلفة. . كجراحة القلب. . والمخ. . والاعصاب. . وامراض الشرايين والكلى ـ وغيرها من التخصصات الحديثة إلا بعد اكثر من عشرة قرون ميلادية. .

■■ الا يستحق «الزهرواى» منا بهذا الانجاز الطبى العظيم ان نلقبه **«برائد الجراحة الحديثة» وابى «العلاج بدون مبضع»**.



النجديات في شعر الأبيوردي

عثمان الصالح



■ ديوان الابيوردى - ديوان جميل مطبوع طبعاً انيقاً يحمل اسما لطيفا حققه الدكتور عمر الأسعد - ووسمه بالعراقيات والنجديات - والذى استهوانى وجعلنى اتصفحه - القسم المنوه عنه بالنجديات . . من صفحة ١٧٦ الى صفحة ٣٠١ بمقدمة أشار اليها بأن المقدمة سقطت واستحدث بدلها من صنع الناسخ وهى مسجوعة بدأها بقوله (إن أحق ما يصرف إليه الهمم . . وتنتهز فرص الامكان فيه وتغتنم حمد الله سبحانه وتعالى على ما يتناضر من نعم مزهرة الرياض . . ويترادف من منح مترعة الحياض . . الخ .

■ الأبيوردى هو: أبو المظفر محمد بن أبى العباس - أحمد بن محمد الأموى المعاوى الأبيوردى الخراسانى رحمه الله . . المتوفى سنة ٥٠٧هـ والمقدمة لطيفة فيها إيضاح . . وشرح . . ولست بصدد ذلك وإنما قصدى من هذه الكلمة هوالتنويه بالديوان وما فيه من عراقيات ونجديات وعلى الاخص نقلت منه للقارىء بعضا من ابيات (النجديات التى عددها ١٠٨ قصائد وبعضها مقطوعات . . ومن ابيات بعض المقطوعات:

خليليَّ إن الحب ما تعرفانه
فلا تنكرا أن الحنين من الوجد

أحنّ وللأنضاء بالغور حنة
إذا ذكرت أوطانها رُبما نجد

وتصبو الى رند الحمى وعراره
ومن أين تدرى ما العرار من الرند

وما سجانى أن ليلى تغيظت
فقالت مراراً والمطى بنا تخدى

هذيم وسعد يعذلان على الهوى
فماذا لقينا من هذيم ومن سعد

■ ومن مقطوعته السابعة:

ألا ليت شعرى هل أرى الدور بالحمى
وإن عطلت بالغانيات حواليا

أم الود بعد النأى يُنسى فينقضى
وهل يعقب الهجران إلا التناسيا

■ ومنها:

ولى شجن أخشى إذا ما ذكرته
عدوا مبينا أو صديقا مداجيا

وأفنى به الأيام فيما يسوءنى
على كمد برح وأحيى اللياليا

فلا تقبلى يا عذبة الريق ما حكى
عذول ولا ترعى المسامع واشيا
ولا تُطمعى فى الأعادى واسألى
بى ابنى نزار أو بعمى وخاليا
فإن قنانى تتقى درهها العدا
وما كان قومى يتقون الأعاديا
ونحن أناس نرتدى الحلم شيمة
ونغضب أحيانا فنردى العواليا
ولولا الهوى لم يغض عينا على قذى
فتى كان مجنيا عليه وجانيا
أرى كل حب غير حبك زائلا
وكل فؤاد غير قلبى ساليا
ويحذر سخطى من أرابك فعله
وإن ناله منك الرضى صرت راضيا
اذا استخبر الواشون عما أسره
جحدت سلوى أو ذممت التصابيا
وحبك لا يبلى ويزداد جدة
لدى وأشواقى إليك كما هيا
أيذهل قلب أنت سر ضميره
فلا كان يوماً منك يا علوُ خاليا

■ ويتجلى ما فى هذه القطعة من عواطف واشواق مع ما فى ذلك من البلاغة والبيان الذى يجعل القارىء لا يمل ترداداً الابيات وتكرارها، ومعروف أن الأبيوردى من الشعراء البارزين شعرا والبارزين اجتماعيا وله منزلة فى كليهما.. والتقاطى له هذه الأبيات من نجدياته ليس تحليلا ولكن اختيارا وربما عدت الى الديوان ككل منتقيا منه جميع قصائده العراقيات والنجديات معاً.

■ وله فى المقطوعة السادسة ابيات لطيفة منها:

عرضتْ والنجم واه عقده
خُرّد معتجرات بمنى
فى مروط ولعتها عبرتى
لا سقيط الطل عند المنحنى

■ ومنها:

إن للعاشق حضناً خضيلا
يودع الأحزان قلبا ضمنا
عبرة لم ير من أسيلها
أحد إلا رفيقى وأنا

■ ومنها:

ثم لاح البرق يفرى ظُلما
حين يسرى وهو علوى السنا
فشجانى ذا وهاتيك معاً
اى خطب طرق الصب هنا
وأرانى البرق إذ ارقنى
بمنى من أرض نجد حصننا

■ وختمها بقوله:

منزل حل به لى سكن
بعدما اختار فؤادى وطنا
كلما شئت تأملت له
منظراً أصبو اليه حسنا
وملأت السمع منى كلما
يحسد القلب عليها الاذنا

■ وفى هذه الابيات رقة المعنى وسلاسة القول وانسياب الالفاظ التى تحمل معنى جميلا حيث يحسد القلب عليها الأذنا.

■ ومن قصيدة هى الـ ٩:

علامة بفؤادى أعقبت كمدا
لنظرة بمنى أرسلتها عرضا
وللحجيج ضجيج فى جوانبه
يقضون ما أوجب الرحمن وافترضا

■ ومنها:

وقال لى يا أخا فهر فقلت له
يا سعد أودع جسمى طرفها مرضا
فبت أشكو هواها وهو مرتفق
بشوقه البرق نجديا اذا ومضا
تبدو لوامعه كالسيف مختضباً
شباه بالدم أو كالعرق إذ نبضا

■ اليست عبارته حلوة وقوله جميلًا حين قال فى وصف البرق . كالعرق اذا نبض.

■ ومنها :

ويمترى دمعه ذكرى أصيبية
اذا استمرت به ذكراهم نهضا
ولم يطق ما يعانيه فغادرنى
بين النقا والمصلى عندها ومضى

■ ومن قصيدته الحادية عشرة التى مطلعها :

أكوكب ما أرى يا سعد ام نار
تشبها سهلة الخدين معطار

■ ومنها :

فقلت أنضاء أسفار على إبل
ميل الغوارب أنضتهن أسفار
وفوقها من قريش معشر نجب
بيض شداد حُبا الأحلام أخيار
فقال لست أبالى يا أخا مضر
أأنجدوا فى بلاد الله أم غاروا
سيروا فسرنا ولى دمع أكفكفه
خوف العدا وهو فى ردنىَّ مدرار
وحلقت بفؤاد عند كاظمة
ليل النقا من عتاق الطير أظفار
أصبو اليه كما أصبو الى وطنى
فلى لديه لبانات وأوطار

■ وقوله من القصيدة الـ ١٩ :

ولوعةٍ بت أخفيها وأظهرها
بمنزل الحى بين الضال والسلم
والدمع يغلبنى طوراً وأغلبه
ومن يطيق غلاب المدمع السَّجم

■ ومنها :

يمشى بعرضى الى ظمياء يشلجه
وقد درى أن فى الحاظها سقمى
ان أعرضت ونأت او أقبلت ودنت
فهى المنى والهوى النجدى من شيمى

■ وختمها بقوله :

إن شاع عن أزرها من عفتى خبر
فإن شاهدها فيما حكت كرمى

■ وله من القصيدة الـ ٢٢ :

هى الجرعاء صادية رباها
فزرها يا هُذَيْمُ أما تراها
وخل بها دموعك واكفات
وكيف السحب واهية كُلاها
أتنسى قول صحبك إذ تراءت
هى ابنة وائل لولا شواها

■ ومنها :

احب لحبها تلعات نجد
وما شغفى بها لولا هواها
ومرتبعا به الغدران تحدى
اليها الناجيات على وجاها

■ ومن القصيدة الـ ٣١ :

نظرت وللأدم النوافخ فى البرى
بشرقى نجد يا هذيم حنين
الى خفرات من نمير كأنها
ظباء كحيلات المدامع عين
اذا ما تناغين الحديث اشتقى
من الوجد متبول الفؤاد حزين
كأن الذى استودعته منه لؤلؤ
يلوح على أيدى التِّجار ثمين

■ ومنها :

وقالت سليمى مرحبا بك مالنا
نرى أثر البلوى عليك يبين
فقال هذيم وهو خلىّ وناصح
لها وعلى اسرارهن أمين
ألم تعلمى أن الصبابة اجحفت
به وأخوك العامرى سمين

■ وقوله من القصيدة ٣٨ :

أليلتنا بالحزن عودى فإننى
أطامن أحسالى على لوعة الحزن
وأذرى دمعا يروى غليله
فلم يتحمل بعده منة المزن

■ ومنها:

وآخر عهدى بالمليحة أننى
رمقت بذات الرمث نار بنى حصن
فقالوا من السارى وقد بلّه الندى
فقلت ابن أرض ضل فى ليلة الدّجن
له حاجة بالغور والدار بالحمى
ونجد هواه وهى تعرف ما أعنى

■ وله من القصيدة الـ ٤٢ :

وآلفة للخدر طاهرة التقى
لأسرتها فى عامر ما تمنّت
تحل بنجد منزلا حلت العلا
به فاستقرت عنده واطمأنّت
تذكرتها والركب مغف وساهر
وهاج مطاياهم حنينى فحنت

■ ومنها:

وتصبو الى ليلى وقد شطت النوى
ومن أجلها حفت ورانت وأنت
من البيض لا تزداد إلا تجنيا
علينا ولولا نجلها ما تجنت

● ومن القصيدة الـ ٤٣ يقول منها: ـ

من الطوالع من نجد تظلهم
سمر القنا أنزاراً يدعون أبا؟
أرى سيوفهم بيضا كأوجههم
فما لأعينهم حمرة غضبا
أجل هم عامر هزتهم إحن
واستصحبوا من سُكينْ غِلةً نجبا
اذا الصريخ دعا حلوا الحبا كرماً
وحمحم الخيل فاهتزوا لها طربا
يحمون نجداً بأرماح مثقّفة
تحكى الأسنة فى أطرافها الشهبا
ورب آنسة فى القوم ما عرفت
سببا ولم تُبْد عن خلخالها هربا

■ ومنها:

قالت لصحبى سراً إذ رأت فرسى
من الذى يتقدّى مهره جنبا

تقدّت به فرسه: استقامت فى السير.

فقال أعلمهم بى: إن والده
من كان يجهد أخلاف العلا حلبا
ما مات حتى أقر الناس قاطبة
بفضله فهو أعلى خِنْدف نسبا
وذا غلام بعيد صيته وله
فصاحة وفعَال زين الحسبا
وظل ينشدها شوى ويطربها
حتى رأته بذيل العيل منتقبا
فودعته وقالت: يا أخا مضر
هذا لعمرى كلام يعجب العربا
أنا الذى وطئت همام السها همى
ولم يكن نسبى فى الحى مؤتشبا
لكننى فى زمان لا تزال له
نكراء مرهوبة تفرى بى النوبا

■ وله من القصيدة الـ ٤٤ :

ألام على نجد وأبكى صبابة
رويدك يا دمعى ويا عاذلى قفا
فلى فى الحمى من لا أطيق فراقه
به يسعد الواشى ولكننى أشقى
وأكرم من جيرانه كل طارىء
يسود وداداً انه من دمى يسقى
إذا لم يدع منى نواه وحبّه
سوى رهق يا اهل نجد فكم أبقى
ولولا الهوى مارق للدهر جانبى
ولا رضيت منكم قريش بما ألقى

■ ومن القطعة الـ ٤٨ قوله:

رمى صاحبي من ذى الاراك بنظرة
إلى الرمل عجلى ثم كررها الوجد

■ ومنها:

إذا ما الغمام الجود حل نطاقه
فخصّ به نجد ومن ضمّه نجد

■ وقال من القصيدة ٤٩

يا نجد ما لأحبتي شطوا
لم يحم أرضك مثلهم قط
ظعنوا فما لك لا تفارقهم
يا قلب إن رحلوا وإن حطوا
وكأن عيسهم على حدق
تدمى الجفون دموعها تخطو
ألِفَتْ جوار الركب غانيةٌ
يأبى جوار عقودها القرط
والعين مما الهند تطبعه
والقد مما ينبت الخط
ربعية الآباء إن نسبت
فلها أراقم وائل هط

■ ومن القصيدة (٥٠) يقول:

لاح بريق يلمع
لمغرم لا يهجع

■ ومنها:

صبا إلى نجد وقد
شُدَّ إليه المطلع

■ ومن القصيدة (٥٢):

أرض العذيب أما تنفك بارقة
تسمو بطرفى الى الريان أو حضن
أصبو إلى أرض نجد وهى نازحة
والقلب مشتمل منى على الحزن
فهل سبيل الى نجد وساكنه
يهز من ألف المصريين للظعن

■ ومنها:



ان يجمع االله شملى يا هذيم بهم
فلست ما عشت بالزارى على الزمن

■ ومن القصيدة (٦٧) يقول:

وركب يزجرون على وجاها
بقارعة النقا قُلُصاً عجالا
فحالت دونهم تلعات نجد
كما واريت بالقرب النصالا

■ ومن القصيدة (٦٨) يقول:

وعدت والحل موفٍ له زقراً
بابن الغمام مشوباً بابنة العنب
ونحن بروضة جر النسيم بها
ذيلا به بلل من أدمع السحب
اذا ذكرت نجداً وساكنه
وضعت حبوة حلمى فى يد الطرب

■ ومن القصيدة ٨٢ يقول:

ألا من لصبٍّ نعشته نعسة
سرى البرق نجدى السنا وهو شائقه
فواها ليوم عند سائقة النقا
عفا الدهر عنه وهو جمٌّ بوائقه

■ ومن القصيدة (١٠٧):

إن أخلف الوعد حى يظعنون غداً
وفى لى الطرف من دمعى بما وعدا
يا سعد إن فراقاً كنت تحذره
دنا لينزع من أحشائك الكبدا
هلم نبك على نجد وساكنه
فلن ترى بعد نجد عيشة رغدا



أتنجدان فؤاداً شيقاً علقت
به الصبابة إن أتهمتها نجدا
فلا رأت علمىْ نجد عيونكما
ولا رعى بالحمى نضوا كما أبدا

■ *ومن القصيدة الـ (١٠٨) من الزيادات:*

من لى بنجد وأيام لنا سلفت
ما طال عهد بماضيها سوى حجج
لو بيع عصر شباب ينقضى لفتى
لا تبيع عصر الصبا واللهو بالهج

■ *ومنها:*

دع يا هذيم فمذ فارقت جيرتها
ما كنت من بعدها يوما بمبتهج
يا سعد هل لى وهذا الليل يشهد لى
بما أقاسى لدى الشهيد من فرج
يا لائمى كف إن الحب أخرس مَنْ
يلومه عن فصيحات من الحجج

●● اخترت بضعة أبيات من قصائد (النجديات) التى عددها ١٠٨ ما بين قطعة وقصيدة.

كما أن العراقيات بلغت خمسا وأربعين ومائة قصيدة مع زيادات مخطوطة ومطبوعة أربت على العشرين مقطوعة. والجزءان تربو صفحاتها على الألف صفحة. . مشكولة جميلة الورق مع الفهارس التامة المنظمة كأحسن ما يكون وشروحات لا بأس بها. . والواقع أن الديوان بجزءيه يفيد الأديب معلما أو طالباً. . وأى كاتب أو معلم او طالب يحسن به ان يلم بمثل هذه الدواوين التى هى معين للأدب واللغة ومصدر من المصادر الرفيعة الشأن من سالفينا من الأدباء والشعراء الذين هم أساتذة فى الأدب وأركان له. . وبودى لو أن مجلتنا المنهل تتولى فى كل عدد حديثا مسهبا يكون (كتاب العدد) ملخصاً ديوانا أو مترجما لأديب وما إخال المجلة ـ المنهل إلا عاملة بهذا الاقتراح الهادف. فله فائدة عظمى للقارىء والذى سيعطى ـ المنهل ـ بعداً ومدى واسعا فى مجالات المعرفة.

المنهل:

أستاذنا المربى الكبير عثمان الصالح باقتراحه هذا فتح لمجلته المنهل باباً من أبواب المعرفة هو جدير بمواصلته وإثرائه ونأمل أن يسعد القارىء بمثل هذه الكتابات الجديرة بالاهتمام وبخاصة المتعلقة بالمخطوطات النادرة والكتب ذات القيمة العلمية والتاريخية. . ويسعد المنهل أن يفرد لها صفحات تحت عنوان (من المكتبة التراثية) وهو باب نشرت على صفحاته بحوث لها قيمتها العلمية والمعرفية. .

نأمل هذا. . ولنا عند أستاذنا الصالح حسن الظن.



عبد الله بن الحسين ـ مذكراتي. القدس، مطبعة بيت المقدس. تم طبعها في ١٢/٢٤/ ١٩٤٥م بإشراف المحامي أمين أبو الشعر صاحب مجلة الرائد بعمان.

١ ـ لدى كلامه على ممهدات الثورة على الدولة العثمانية في الحجاز فـ «كان الخط الحديدي بين الشام والمدينة يشلع (بتشديد اللام) ويهاجم» ص١٠٨ «وفي اليوم التاسع من شعبان ١٣٣٤ الموافق ١٠ حزيران ١٩١٦ أعلنت الثورة العربية..».

يشلّع بمعنى يقلع ويرفع من مكانه. وكنت احسب ان «يشلع» عراقية فقط ونحن نستعملها باشتقاقات عدة: شلع، يشلع، اشلع، شلع، تشليع، مشلوع... الخ وقد تحمل معاني مجازية، فشلع بمعنى رحل، سافر في حالة من السرعة وبعامل من الخوف. وفلان شالع كناية عن اهتزاز بعقله.

ونستعمل شلع سنه كثيراً، بمعنى قلع، ولم نكن نستعمل قلع من قبل.

وفي لسان العرب: «قال الفرّاء: الشلع الطويل» ـ بتشديد الشين واللام. وهذا كل ما جاء في المعجم الضخم، ولا من علاقة ترى بين ما رواه الفراء ـ إن صح ـ وما هو في الاستعمال العراقي الدارج.

وربما وجدها الأمير عبد الله بن الحسين مستعملة في الحجاز؟.

٢ ـ رأيت عبد الله الحسين يطلق على الأتراك (العثمانيين) العجم (أو الأعاجم) وفاتني ضبط الصفحة التي ورد الاستعمال عليها.

دراسات في المسرحية اليونانية ـ تأليف الدكتور محمد صقر خفاجة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب دبت (؟) ١٥٨ص.

١ ـ ص ٩ مصائر: مصاير

٢ ـ ص ١١ ابولّلون: ايولون، ابولو ـ بلام واحدة حرصاً على صحة اللفظ بالعربية.

٣ ـ ص ٣٣ «روايته» يستعمل كلمة رواية لما صار استعماله مسرحية.

٤ ـ ص ٥٣ «ونحن لا نعرف ناقداً غير بوللكس تكلم عن أقنعة المهاة..» تكلم على ـ كما علمنا الدكتور مصطفى جواد.

٥ ـ ص ٥٩ «وكان يشترط في المتقدم للمسابقة ألا يقل عمره عن ثمان عشرة سنة»: ثماني..

٦ ـ ص ٦٣ «ولا أدل على صلة العرض المسرحي بعبادة ديونوسوس في أن الكهنة والكاهنات جميعاً كانوا





د. علي جواد الطاهر

ـ ب، *منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي مطبعة*

يحرصون على حضوره . . » صحيح في أن : من أن .

٧ ـ ص ٦٨ «أعياد ديونوسوس الكبرى التي كانت تقام في العاشرة من شهر مارس . » العاشر .

٨ ـ ص ٤٩ «أما المقلتان والحاجبان والرمشان فـ . . » الرمشان : الهدبان .

يبدو لي أنه يريد بالرمشين : الهدبين . و«هدب العين ما نبت من الشعر على أشفارها» وجمع الهدب : أهداب .

لأن «الرمش» بالعربية ـ غير هذا الذي يريده المؤلف انه أي الرمش «تفتل في الشفرة وحمرة في الجفن مع ماء يسيل» فهو عيب . والرجل أرمش والمرأة رمشاء .

ونقول في العامية (العراقية) فلان يرمش أي «يحرك عينه عند النظر كثيراً» وهو بالفصيحة : المرماش .

وربما جاء استعمال المؤلف للرمشين بمعنى الهدبين تأثراً بإحدى العاميات؟ أو متابعة لمن ترجم Cil الذي هو هدب بالرمش وجمع الرمش على رموش Cils وهكذا حل الرمش والرمشان والرموش محل الهدب والهدبين والأهداب ـ ولم تعرف المرأة المعاصرة جداً غير الرموش لدى الزينة ، ودخلت

اللوب» (. . .) ابن السكيت : لاب يلوب إذا حام حول

«الرموش» في الغناء العامي الحديث . . وربما دخلت كذلك في الشعر الحديث .

تطور النظرة الواحدية الى التاريخ ـ تأليف : ج . بليخانوف ، ترجمة : محمد مستجير مصطفى ، مراجعة : د. مراد وهبة . القاهرة (سلسلة علم النفس والفلسفة) دار الكاتب العربي ١٩٦٩ ـ ٢٨٧ ص + ١

١ ـ الكتاب مترجم عن الانكليزية ويدل المترجم على امانة في النقل وهو يثري الحواشي بما ينفع زيادة على حواشي المؤلف نفسه ، ويدل كذلك ـ وهذا مهم كذلك ـ على علمه بالمادة التي ينقلها الى العربية .

٢ ـ يقع المترجم العربي في اضطراب إزاء تعريب الاعلام ذات الـ Th بين الفرنسية والانكليزية فهي بالانكليزية «ث» وفي الفرنسية «ت» .

وقد جاء على الصفحة ٤٣ «مالتس» وهو «مالثس»

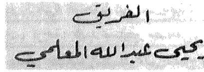
وجاء على الصفحة نفسها (٤٣) «بارثيلمي» وهو «بارتيلمي» .

٣ ـ ص ١٩٩ «لم يكن كوازيمودو أحدبا» والصحيح : أحدب .

ص ٢٣٧ «في كتيب ذا عنوان طويل» والصحيح : ذي .

أخطاء مشهورة





أشرنا سابقا الى شيوع كثير من الأخطاء على ألسنة المتحدثين وأقلام الكاتبين وسوف نشير الى بعض تلك الأخطاء ولكنا لن نغوص فى أعماق قواعد النحو والصرف وما فيها من حذف وتقدير واعلال وابدال لبيان وجه الخطأ والصحة فقد يطول بنا الحديث اذا نحونا هذا النحو وربما يصعب على القارىء متابعة ما يدور فى هذا المجال من تفاصيل قد يهتم بها العلماء ولكن لا يحرص على تلقيها من يريد فكرة مبسطة او لمحة عابرة.

ولكنا سنكتفى فى ذكر الصحيح بشواهد من القرآن الكريم او الحديث الشريف او فوائد من الشعر العربى الفصيح الصحيح.



الغير والبعض

ونبدأ بكلمة نراها كثيرا على الجدران التى اقامتها أمانة مدينة الرياض على الاراضى البيضاء المملوكة لبعض المواطنين فقد أحسنت الامانة صنعا فى تسوير هذه الاراضى وحجب ما عليها من ركام عن أعين المارة وأظهرت الشوارع التى تقع هذه الاراضى على جوانبها فى مظهر نظيف أنيق.

ولكن العبارة التى كتبت على هذه الجدران وهى عبارة (تسوير أراضى الغير) قد اشتملت على خطأ لغوى اذ أدخلت أداة التعريف «ال» على كلمة غير ولم يؤثر ذلك فى كلام العرب الفصحاء على حد علمى بينما ترد كلمة (غير) مضافة الى ما تغايره، فاذا كانت الامانه تريد ان تقول ان هذه الاراتضى مملوكة لغيرها فقد كان عليها أن تقول: تسوير الاراضى المملوكة لغير الامانة او نحو ذلك ومثل ذلك يقال عن كلمة بعض وكل فلا تدخل عليها أداة التعريف وانما تضاف الى المعرف.

واكثر من هذا التعبير غرابة ما نسمعه ونقرأه من قول بعضهم مثلا: ان هذا من الامور الغير مرغوبة فهو يدخل اداة التعريف على كلمة «غير» ثم يضيفها الى ما بعدها وهذا غاية فى اللكنة او الاستعجام ووجه الاستغراب ان قائل هذا القول يقرأ الفاتحة سبع عشرة مرة على الاقل فى كل يوم (بعدد ركعات الصلاة المفروضة) وربما قرأها او سمعها أكثر من هذا العدد من المرات فهل سمع قارئاً يقرأ قول الله تعالى: **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** بادخال اداة التعريف على غير، ثم اضافتها مع ذلك الى كلمة المغضوب؟ حاشا لله ما سمعنا ذلك ولا سمعنا به.

فاذا كنا نقرأ فى الآية الكريمة (غير المغضوب عليهم) فلماذا نعدل عن هذا الاسلوب الفصيح السليم القويم الى اسلوب أعجمى ركيك سقيم.

فيا معشر الكتاب والمتحدثين اهجروا الأساليب غير الصحيحة وتجنبوا التعبيرات غير السليمة وحافظوا على فصاحة ألسنتكم وجمال لغتكم باقتباس اسلوب القرآن الكريم. والله الموفق.

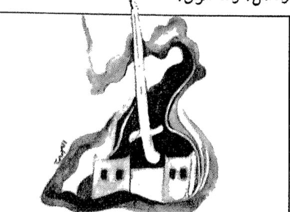
كلمـــا

نسمع فى الأحاديث ونقرأ فى بعض السجلات والجرائد كلمات يستعمل فيها المتحدثون والكاتبون كلمة «كلما» مكررة فهم يقولون مثلا: كلما نما الطفل كلما زادت حاجته الى الطعام، وهذا التعبير فيه اطناب ممجوج بحافى الاسلوب الصحيح السليم اذ أن كلمة كلما الأولى كافية أما كلما الثانية فهى زائدة بل انها تغير معنى الكلام وتجعله يبدو ناقصا محتاجا الى تكملة.

ولست أدرى لماذا يصر من يلجأ الى هذا الاسلوب على ممارسته وهو لم يرد فى أساليب الفصحاء من المتحدثين والبلغاء من الأدباء والكتاب.

وحسبنا أن نستشهد هنا بآيات من القرآن الكريم وهو تاج البلاغة وقمة الفصاحة فقد قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿*كلما أضاء لهم مشوا فيه*﴾ (*سورة البقرة الآية ٢٠*، *وقال تعالى*: ﴿*كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا*﴾ (*سورة آل عمران الآية ٣٧*) *وقال سبحانه*: ﴿*كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها*﴾ (*سورة النساء الآية ٦٤*)، *وقال عز وجل*: ﴿*كلما دخلت امة لعنت اختها*﴾ (*سورة الاعراف الآية ٣٨*).

ولو ذهبنا نستقصى الآيات الكريمة التى وردت فيها كلمة «كلما» لما اتسع المجال ولكن فى ما ذكرنا كفاية وحسبنا بالقرآن شاهدا وكفانا به هاديا الى الصحيح من القول والعمل. والله الموفق.



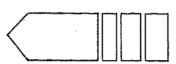
العرب وأيام الأسبوع

قال الفراء: فى كتاب الايام والليالى والشهور ومن العرب من يسمى «الأحد»: أول و(الاثنين) اهون، و(الثلاثاء): جبار، و(الاربعاء) ديار، و(الخميس) مؤنس، و(الجمعة) العروبة، و(السبت): شيار. واورد المؤلف اسم (العروبة) فى شعر لأعشى همدان وغيره (ص٧).

ويؤيد لنا ما جاء فى هذا المصدر العربى القديم ما ورد فى المصدر العربى الحديث وهو كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) لجواد على (ج٥ ص ٢٤٥ مطبعة المجمع العلمى العراقى ببغداد ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م) اذ يقول ما نصه: اما ايام الشهر واجزاء الشهر عند الجاهليين، فمعارفنا لها ليست كثيرة ويظهر من روايات الاخباريين ان اسماء ايام الاسبوع المتداولة فى الزمن الحاضر هى اسماء متأخرة لم تكن معروفة عند قدماء الجاهليين).

ثم ذكر ان اسم يوم الجمعة عند الجاهليين هو (العروبة) وقال انه معظّم عندهم.

ثم اورد مفصلا ما اجمله الفراء فقال: (ص٢٤٦): ويذكر الاخباريون ان الاسماء القديمة لأيام الاسبوع هى غير هذه الاسماء المتداولة بين الناس اليوم فكان اسم الاحد عندهم الاول، وكان اسم يوم الاثنين اهون، وكان اسم الثلاثاء جبارا وكان اسم الاربعاء دبارا، وكان اسم الخميس مؤنسا، وكان اسم الجمعة يوم العروبة، وكان اسم السبت شيارا، ويقال ايضا فى اهون، اوهن، واوهد. (وفى رواية من هذه الروايات التى اولع اهل الاخبار بذكرها ان الانصار هم الذين بدلوا اسم (يوم العروبة) فجعلوه (الجمعة) وانزل الله بعد تسميتهم له بذلك سورة الجمعة) اهـ.



المعرض الجماعى الاول لرسامات المنطقة الغربية

افتتح الدكتور خالد عبد الغنى أمين مدينة جدة المكلف المعرض الجماعى الاول لرسامات المنطقة الغربية بإشراف الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة . . ويعد هذا المعرض تأكيداً للفعاليات التشكيلية من العنصر النسائى .

شارك فى المعرض حوالى ٣١ فنانة تشكيلية منهن ١٧ فنانة شاركن من قبل فى معارض أقيمت داخل المملكة والأخريات مواهب جديدة تشق طريقها نحو الابداع فى الفنون التشكيلية .

ومن اللوحات التشكيلية التى خطفت الابصار لوحة الفنانة حميدة حاجى التى جاءت من وحى الانتفاضة ـ اعتمدت فيها الفنانة عناصرها التشكيلية من ركام جماجم الشهداء ممهورة ببحر من الدماء العربية الزكية ـ عبارة عن شجرة مصبوغة باللونين الأحمر والأخضر دلالة على صمود الشعب العربى فى الوطن المحتل .

اما لوحة الفنانة حنان سبحى (الغربة والحصان) السريالية كانت من أجمل لوحات المعرض ـ وقد ذكر أحد الفنانين التشكيليين أن هناك تشابها بينها وبين احدى لوحات الفنانين الاسبان ووصف اللوحة بأنها رائعة اذا لم تكن الفنانة قد رأت من قبل لوحة ذلك الفنان .

وعن لوحة الفنانة التشكيلية فتحية جاها ـ فهى تدخل فى إطار المدرسة السريالية أيضاً ـ جاءت فى شكل (درج) يتجه الى أعلى حيث يوجد فى القمة رسم للمصحف الشريف ـ وكان التعليق على اللوحة بأنها من اللوحات الهادفة ذات الرؤية الجيدة .

هذا ـ وقد حضر حفل الافتتاح نيف من الفنانين التشكيليين وعشاق الفنون التشكيلية وعلى رأسهم الفنان عبد الحليم رضوى .

رسائل للمحرر

الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصارى
صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل الغراء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .
وبعد . .

فيسرنى أن اعرب عن مكنون سعادتى بمجلتكم العملاقة (المنهل) فى اطارها الموسوعى، الأدبى الثقافى العلمى المتكامل فى نطاق الشريعة الغراء، والمنطوق العربى الاسلامى الواسع، وفى تطلعها نحو الحفاظ على (الدين و(القيم) و(الاخلاق) و(اللغة الشريفة).

هذه الركائز الأربع التى جعلت منها خير نموذج وأنبل مثال للمجلات الأخرى على امتداد الساحتين العربية والاسلامية . . مما جعلها بحق (المجلة الام)، وفتح لها فى قلوب الناس مكانة خاصة فكانت الأثيرة الى النفوس الظامئة للمعرفة والمتشوقة الى ارتشاف رضاب الأدب الصافى الرقراق من خلال صفحاتها المشرقة بنور العلم وضياء الأدب .

لهذا ولمعطيات متألقة أخرى كثيرة بين دفتى هذه المجلة الزاهرة أجدنى أذكر اعجابى الشديد بها، وبجهودكم المتواصلة المقرونة بلمسات مؤسسها المغفور له الاستاذ الكبير عبد القدوس الانصارى الذى أرادها مجلة «للخاصة» وكانت على يدكم لكل ذى فكر ثاقب، وعلم نافع، وتوجه صادق فى المعرفة .

فبورك جهدكم الموصول وعاشت مجلتكم فى مركز الصدارة .

والسلا عليكم ورحمة الله وبركاته .

المدير العام للمطبوعات والنشر
الدكتور موسى الكيلانى

المنهل:

● لكم من منهلكم الشكر . . وكم نسعد بمشاركتكم العلمية والأدبية يطلع عليها القارىء كنتاج ومشاركات من أحبوا المنهل وتواصلوا معه . . ونسأل الله سبحانه ان يظل المنهل منبرا للعلم ينتفع به طالبوه .

نأخذ ولا نقلد؟.

تأسس فى لبنان «مركز بحوث التجربة الانمائية اليابانية» فى سبيل تنشيط البحث العلمى حول الثقافة اليابانية الحديثة المعاصرة حسب ما جاء فى الكراس الذى وزع للتعريف بمركز البحوث الجديد.

وجاء ان المركز يضم عددا من المفكرين والكتاب والاكاديميين المعنيين بدراسة اوضاع التنمية وسبل الخروج من التأخير الحضارى وهو يعتبر الاول من نوعه فى لبنان والعالم العربى.. ويدل تأسيسه على تزايد الاهتمام العربى بالتجربة اليابانية التى سجلت ولا شك نجاحات هائلة متجاوزة النموذج الحضارى الغربى فى اكثر من مجال ابداعى.. لكن هذا الاهتمام لا يعنى ابدا الرغبة فى التقليد او الدعوة اليه.

والهدف من انشاء المركز اخضاع النموذج اليابانى للدراسة النقدية ونزع هالة القدسيةعنه وكشف اسباب نجاحه ومكامن فشله ووعى منطقه الداخلى من حيث مؤالفته بين الخصوصية والعصرية.

ومن اهداف المركز نشر الوعى حول حقائق هذه التجربة وتعميمها عن طريق الدراسات والبحوث والترجمات ووضعها فى تصرف الباحثين والمعنيين لبنانيين وعربا واجراء تبادل علمى بين المفكرين والخبراء اليابانيين والعرب والعاملين فى حقول التنمية والتحديث والمفكرين اليابانيين فى هذا المجال والتعاون مع الجمعيات والمنظمات الغلمية اللبنانية والعالمية ضمن اطار دراسة التجربة اليابانية وتشجيع الاهتمام بالنموذج اليابانى فى تنمية الانسان وتنظيم ميدانى العمل والانتاج ومسح الاعمال التى تناولت التجربة الانمائية اليابانية من تقارير ودراسات وتحليلات وتجميعها ووضعها فى متناول الباحثين.



سؤال — عواصف الغرباء

■ القديم والجديد.. الموروث والمستحدث علاقات تتقارب وتتباعد ولكن يظل بينها رباط المودة والمحبة.. وهى أيضاً قضية واحدة وإن تعددت جوانبها وجزئياتها.. وفى هذا نستقرىء راى الاستاذ الجليل تركى عبد الله السديرى؟.

■ فى كل شىء هناك حداثة وهناك موروث لكن لأن الثقافة هى المرآة التى يرى الناس بها انفسهم فقد كان صراعهم امامها اكثر عنفا ووضوحا لان ايا منهما كان يريد ان يحتل وحده سطح المراة ولأن العاجز من لا يستبد.. كما سبق ان قال شيخ العشاق عمر بن ابى ربيعة فان كلا من الطرفين لم ينصف من نفسه ويترك مكانا للآخر.

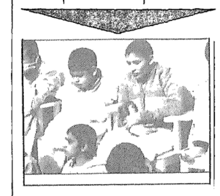
كان على «الجديد» ان يكون اكثر تواضعا فيعطى من الساحة ما يتواءم ووقار القديم.. وكان على «القديم» ان يكون اكبر استيعابا واصدق ابوة فلا يرفض التنازل عن مساحة المليمتر الواحد لمولود الرأى القادم ومن لا مولود له فليس له استمرار.. اليس كذلك؟.

لكن تبقى الحقيقة الأكيدة وهى ان فى كل شىء هناك الجديد وهناك الموروث.. والذين يندون بجديد الثقافة فاتهم ان الجنوح فيه لم يأت وهو ابداع ذاتى ولكنه ولد فى حضانة جديد السياسة التى عندما عصفت بالارض والانسان والقضايا داخل مساحة العالم العربى فانها قد تخلت عن الالتزام بأى موروث من شأنه ان يفرض عليها قيود الضوابط التى تحددها بالولاء للذات.

الثقافة معاناة.. وافكار ومرئيات لا توجد قوة تستطيع فرضها.. الثقافة اجترار وتداول وبريق ومن أخذ منها شيئاًمخدوعا به فبمقدوره ان يتركه فيما بعد متى ما اقتنع بعدم صلاحيته.. وكل انسان لا يستطيع ان يدعى بان افكاره ومرئياته وهو فى سن العشرين تتماثل مع افكاره ومرئياته فى سن الاربعين والذين لا يريدون ان يكون هناك جديد وقديم كأنهم يريدون افتراض ولادة الانسان وهو جاهز التعليم والتفكير. وهذا غير ممكن اطلاقا.

«تركى عبد الله السديرى»

أشكر لكم .. انسانيتكم؟..



فى إطار توعية الأمهات وتحسين نظرتهن للمعوق واعتبار المعوق إنسانا له بعض الظروف الخاصة.. عقد مركز التأهيل الاجتماعى ندوته الثانية بالتعاون مع جامعة الملك سعود بالرياض عن الاعاقة.. وقد عرضت الندوة لأهمية العلاج الطبيعي وكيفية معاملة المعوق وكذا أسباب العاهات ونتائجها.. وجاءت التوصيات مؤكدة على ضرورة تقديم الخدمات النفسية المتخصصة وتنمية المواهب.. وضرورة العلاج بالعمل وكذا العلاج البيئى بما فيه من خدمات اجتماعية وتصحيح اتجاهات الناس نحو المعوقين.

ونقول.. إذا كانت للمعوق ظروف خاصة.. فعن طريق التوعية باهمية التأهيل سواء فى مجال الصحة النفسية أو الجسمية يمكننا القضاء على تلك الظروف.. وكم من سليم معاق لم يُعْطِ قدر ما أعطى معوق؟.

صناديق الإغاثة

تم مؤخرا بمقر رابطة العالم الاسلامى بأم الجود بمكة المكرمة.. افتتاح فرع للجنة صناديق الاغاثة التابع لهيئة الاغاثة الاسلامية العالمية برابطة العالم الاسلامى.. وذلك لاستقبال التبرعات من المحسنين لدعم مشاريع الهيئة بصفة عامة.

وتقوم الهيئة بتوزيع عدد من الصناديق على المساجد والفنادق والمستشفيات ليتمكن الجميع من تقديم ما تجود به أنفسهم حيث يتم جرد هذه الصناديق أسبوعيا لتقديم ما تحتاجه المشاريع التابعة للهيئة فى شتى انحاء العالم.



دليل المساجد

أصدر مؤخرا مجلس المساجد فى بريطانيا وايرلندا دليلا خاصا بأسماء وعناوين المساجد والجمعيات فى بريطانيا وايرلندا، وقد تضمن الدليل عناوين «٣٦٠» مسجدا منها ٧٥ مسجدا فى برمنجهام و٥١ فى براتفورد و٣٤٧ فى لندن. وشارك فى اصدار الدليل الذى طبع على نفقة مكتب رابطة العالم الاسلامى فى لندن عدد من المراكز الاسلامية.

المسلمون فى الولايات المتحدة

بلغ عدد المسلمين فى الولايات المتحدة ثلاثة ملايين مسلم.. مقارنة بعام ١٩٠٠م حيث كان عددهم عشرة الاف مسلم.

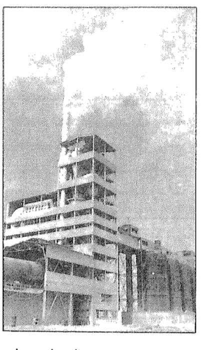
وتشير الاحصائيات الى ان اغلبية هؤلاء المسلمين ينتمون الى مهاجرين قادمين من دول اسلامية يشكل ثلث هذا المجموع من الامريكيين الذين اعتنقوا الاسلام.

أيها العرب .. نحن فى حاجة اليكم؟.

دعت غرفة التجارة العربية - البريطانية بريطانيا الى توسيع تبادلها التجارى مع البلدان العربية وزيادة وارداتها من المنتوجات العربية لتحسين ميزان التبادل التجارى بين الطرفين.

وذكر السيد عبد الكريم المدرس الأمين العام للغرفة فى افتتاحية الكتاب السنوى (١٩٨٨/١٩٨٩م) للاعمال والتجارة العربية البريطانية الصادرة عن الغرفة فى اول العام الجديد انه ينبغى على الحكومة البريطانية اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتشجيع حركة الاستيراد من الدول العربية التى حققت مستويات متقدمة من الانتاج الزارعى والصناعى.

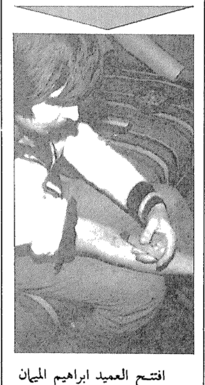
واضاف ان العديد من هذه الدول اصبح لديه صناعات تنتج مجموعة واسعة من السلع والمنتجات الفائقة الجودة مثل البتروكيماويات والالمنيوم والمنسوجات والالكترونيات بالاضافة الى المنتجات الزراعية الممتازة التى لو فتحت امامها ابواب التجارة الحرة لتفوقت على مثيلاتها من منتجات الكثير من الدول الاخرى.



وواضح ان حالة التنشيط التجارى التى اطلقتها الغرفة فى منتصف عام ١٩٨٨ تهدف الى اطلاع المصدرين البريطانيين على احتياجات السوق العربية ومساعدة المصدرين العرب للتعرف على احتياجات السوق البريطانية بصورة افضل.

وكانت غرفة التجارة العربية - البريطانية قد نظمت منذ اعلانها عن هذه الحملة عدة ندوات ومؤتمرات اقتصادية حول سبل تعزيز التعاون التجارى بين الجانبين.

الفن والمخدرات ..



افتتح العميد ابراهيم الميمان المدير العام لمكافحة المخدرات بالنيابة معرض الفنون التشكيلية الذى نظمته ادارة مكافحة المخدرات بجدة بالتعاون مع المكتب الرئيسى لرعاية الشباب فى المنطقة الغربية.. وقد اشتمل المعرض على بعض اللوحات التشكيلية شارك بها عدد من الفنانين إضافة الى عرض حى لبعض انواع المخدرات.

ومما يجدر ذكره أن هذا المعرض يأتى فى إطار الجهود التى تبذلها الجهات المختصة بالتوعية بأضرار المخدرات وآثارها المدمرة على الفرد والأسرة والمجتمع والعالم اجمع.

جامعات العراق بعد الحرب

تعقد جامعة الموصل ندوتها العلمية والتربوية الثامنة بعنوان: «الجامعات العراقية بعد الحرب» للفترة من ٩-١١ مايو ١٩٨٩م.

وتحت شعار: «العراقيون يصنعون الحياة بكل تفاصيلها الحضارية المتطلعة الى الأمام..

وتتضمن الندوة اربعة محاور رئيسية هي:

إعداد الخريج الجامعي:

ويشمل تنمية التخصصات المهنية وافاقها المستقبلية وتطوير المناهج الدراسية وبناء المواطن الجديد وتنمية الملكات العلمية والهيكل العلمي للجامعة

ويشمل المحور الثاني والمرسوم: اتجاهات البحث العلمي ومستلزمات التقدم التكنولوجي وتتناول بحوث المحور الثالث موضوع: برامج التعليم المستمر واعادة تأهيل القوى العاملة. موضوعات التدريب وتأهيل المسرحين من الخدمة العسكرية والتدريب والتقدم التكنولوجي والتدريب واعادة هيكلة القوى العاملة.. اما بحوث المحور الرابع فتدور حول الاستشارات العلمية والفنية وتوظيفها لخدمة برامج التنمية.. ويحضرها باحثون ومتخصصون من الاساتذة والخبراء في الجامعات والمؤسسات والهيئات العلمية والوزارات المتخصصة وتعمل اجهزة الجامعة بنشاط لإنجاح هذه الندوة العلمية والتربوية الكبرى.

قاموس مصطلحات علوم الجيولوجيا

كلية علوم الأرض فى جامعة الملك عبد العزيز فى جدة تقوم باعداد قاموس شامل باللغة العربية عن مصطلحات علوم الجيولوجيا وذلك فى نطاق اهتمامها بتعريب هذا النوع من العلوم.

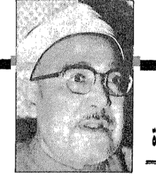
ويجرى اعضاء هيئة التدريس بالكلية بحوثا مهمة فى مجال علوم الارض منها دراسة الخصائص الصخرية والمعدنية والجيوكيميائية للمتكونات الرسوبية فى مناطق عسفان وهدى الشام والشميسى وكذلك طبقات الحديد البطروخى المصاحبة فى شمال شرق جدة ويقوم باجراء هذا البحث كل من الدكتورين رشاد زيدان وخالد محمود نبات.

واشار الدكتور عبد العزيز عبد الله رادين عميد كلية علوم الارض الى ان الكلية تجرى ايضا بحثا عن العلاقة الجيومترية لمخاريط الفوهات للحقول البركانية بواسطة الاستشعار عن بعد واهميتها ويجرى هذا البحث كل من الدكتور محمد رشاد مفتى والدكتور باكيريا شجر لامودى كما تجرى الكلية بحثا عن الخصائص البتروجرافية والجيوكيميائية والاهمية الاقتصادية المترتبة عليها لكربونات الخف والجويبلا فى وسط المملكة ويقوم باجراء البحث كل من الدكاترة محمد بسيونى ورشاد زيدان وخالد نبات.

واضاف ان الكلية تدرس حاليا تقويم مياه الينابيع فى المملكة ودراسة مواقع القطب المغناطيسى الارضى فى عدة اعمار

واكد عميد كلية علوم الارض ان الكلية تسعى الى اعداد الكوادر المتخصصة فى مجالات علوم الارض والقيام بالبحوث الاكاديمية والتطبيقية والمشاركة فى تطوير الكلية لتصبح مركزا دوليا لعلوم الارض على المستوى العربى والاسلامى.

سؤال



حركة التمزيق الوافدة

■ الثقافة ـ لا شك ـ لها دورها ومفعولها فى تشكيل البنية العلميــة والفكــريــة والخلقيـة لأى أمـة من الأمم . . والمسلمـون يملكون من الثقافة ما به تصلح البشرية كلهـا . . ويسعـدنـا أن نجـد رأى فضيلة الشيـخ محمد الغزالى فى حوار الثقافة الدائر الآن؟؟

■ إننـا نريـد ثقافة تجمع ولا تفرق وترحم المخطىء ولا تتربص به المهالك، وتقصد الى الموضوع . ولا تتهارش على الشكل .

ولا أدرى لماذا لا نؤثر العمل الصامت المنتج بدل ذلك الجدل العقيم لا أريد الاطالة فى نقد انحرافاتنا الفكرية والنفسية وأحب ان أخلص الى منهج يصل حاضرنا بغابرنا وينشىء خلفـا على غرار السلف ويعيننا على استدامة رسالتنا وهزيمة عدونا .

إننا لا نستطيع فرادى أن نحقق شيئا طائلا فالجماعة من شعائر الاسلام والجماعة رحمة والفرقة عذاب . . وفى الميدان الدولى نجح اعداؤنا فى طى راية الخلافة وتقطيع أمة التوحيد . . أمما شتى التحقت بالكتل العالمية الكبرى واصطبغت ثقـافيـا وسيـاسـا ، بألـوان اخرى غير صبغة الله . . والمطلوب من الدعاة الراشدين ان يدركوا الأمة من الداخل ، ويوقفوا حركة التمزيق الفكرى والروحى الوافدة من الخارج .

وذلـك يفـرض علينـا احياء الاخاء الدينى وتنشيط عواطف الحب فى الله واختصار المسافات أو ردم الفجوات التى تفصل بين المنتسبين الى الاسلام . . ولكيلا يكون ذلـك خيـالا أو خطـابة منبرية نرى صب الأمة كلها فى تجمعـات ذات اهـداف حقيقية تتعـارف على نصـرة الاسلام وتتجاوب بروح الله .

سؤال

لغــة مشوهــة

■ دار ويـدور نقـاش طويـل بين أدبـاء الشباب حول «التجـريـب» وقيمته الأدبية ولكل رأيه وتوجهه ويسعدنا هنا أن نسجل رأى الاستاذ الأديب رجاء النقاش حول هذه القضية . ؟؟

■ التجريب فى الادب ظاهرة طبيعية وهى فى الوقت نفسه ظاهرة ضرورية لأى أدب حى فالأدب يموت ويذبل اذا لم تكن فيــه تجارب جديــدة تنقله الى مراحــل متطـورة فالتجريب يسبق التجديد ويمهد له على ان يكون هؤلاء القـائمـون بالتجديد على قدر واسع من الثقافة والوعى حتى تكـون تجاربهم على اسـاس قوى . . الا ان الذى نلاحظه الان ان التجريب قد انتشر فى الادب المصرى المعاصر على نطاق واسع وان الذين يقومون به لم يتكونوا تكـوينـا ادبيا سليما . الاخطر من ذلك ان التجريب قد اصبـح هدفـا فى ذاتـه بالاضـافـة الى انه تقليد لبعض المدارس الادبيـة الغـربية وأصبح الكثير من الوان هذا التجـريب عبـارة عن استبـاحـة ادبيـة لكـل شىء للغة والشكل والمضمون والفكر، ولم يعد هناك قاعدة او هدف للتجريب .

ومن ناحيـة اخـرى فان اصحـاب هذه الاتجـاهات التجريبية كثيرا ما يرددون انهم يكتبون للمستقبل والاجيال المقبلة . وهـذا وهم فمن لم يقرأه جيله لن تقرأه الاجيال المقبلة . فشكسبير كان مقروءا ومحبوبا فى عصره . وهو الان بعد اكثر من اربعمائة سنة مازال مقروءا ومفهوما . كذلك فى الادب العـربى نجد المتنبى كان مقروءا ومفهوما وهو الان بعد اكثر من الف سنة مازال مقروءا ومحبوبا ومفهوما . لذلك فالفنان الذى يعجز عن مخاطبة جيله سوف يعجز بالتالى عن مخاطبة الاجيال الاخرى .

«رجـاء النقاش»

متابعات

الزيتون لا يموت



صدرت هذه القصة ضمن سلسلة قصصية للاديب القاص عبد القادر بالحاج نصر. . وتروى هذه القصة القصيرة كفاح الشعب التونسى ضد الاستعمار الفرنسى

والمؤلف يرمز بالزيتون الصامد أمام القحط للشعب التونسى الصامد فى وجه المستعمر.

والقصة من الحجم المتوسط وصدرت عن الشركة التونسية للتوزيع.

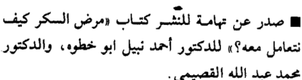
أقضية وقضاة





صدر عن مطابع دار البلاد بجدة كتاب «أقضية وقضاة» للدكتور كمال محمد عيسى.

يقع الكتاب فى ٥٢٨ صفحة من القطع الصغير ويعرض للقضايا والقضاة فى رحاب الاسلام وساحته مع العودة قليلا إلى ما كان عليه القضاء والحكم فى أيام الجاهلية، مظهراً بذلك ميزة الاسلام وسماحته فى الفصل بين الناس، هذا وقد تناول المؤلف موضوعات الكتاب بأسلوب أدبى أخاذ وهو قمين بتصنيفه ضمن الكتب المعمقة فى موضوعها.

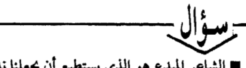


■ صدر عن تهامة للنشر كتاب «مرض السكر كيف نتعامل معه؟» للدكتور أحمد نبيل ابو خطوه، والدكتور محمد عبد الله القصيمى.

يقع الكتاب فى ١٧٦ صفحة من القطع المتوسط. . ويعرض لمرض السكر وأعراضه، وكيفية علاجه

وقد تناول المؤلفان الكتاب بأسلوب علمى مما يؤهله لأن يكون مرجعاً علمياً وعملياً للمرضى، وكل من يريد الوقوف على خبايا هذا المرض المتفشى.

سؤال





■ الشاعر المبدع هو الذى يستطيع أن يجعلنا ندهش أمام العادى والمألوف فى الحياة محققاً لذات المتلقى نوعا من الانبهار الى أى مدى يصدق ذلك على شعر القدامى والمحدثين؟.

●● ان قمة الابداع فى الشعر هى كل نص تجلت فيه روح المبدع وشخصيته وعاطفته الصادقة وانفعاله وتوافرت له كل المقومات الابداعية المحسوسة والملموسة التى تجعله قادرا على اشعال شرارة الاعجاب الانبهارى فى ذات المتلقى انبهارا حسيا عميقا يتجاوز فى تفوقه وعمقه مرحلة الاعجاب السطحى ويتعمق به الى درجة التعاطف والاندماج الكلى الانفعالى واللا ارادى مع النص نتيجة ما تخلقه ردة الفعل النفسية التى تتملك المتلقى لحظة قراءته للنص المبدع.

اما الابداع من حيث تكوينه ووجوده وانطلاقه من ذات المبدع فهو ادراك سليقى حسى متفوق ينبعث من روحه وذوقه فيحسسه بمواطن الجمال ومصادر الروعة والانبهار الكامنة فى الطبيعة والذات البشرية والعواطف الانسانية بما يحيط بها من احداث وقدرة غريزية سليقية فى طبع المبدع تعينه على ترجمة هذا الاحساس بعد تذوقه وتبلوره فى ذاته والانفعال به وتلهمه سهولة افراغه فى قالب شعرى تعبيرى تتجلى فيه روحه وشخصيته وصدق عاطفته وقوة انفعاله. . وتتفاوت قدرة المبدعين فى ابداعهم عند محاولتهم افراغ احاسيسهم شعرا. والتعبير عن انفعالهم بذلك الجمال أو الحدث الانسانى على مدى قوة طبع كل مبدع وجبلته وقدرته على الانفعال بذلك الجمال أو الحدث. . وصدى ردود الفعل فى ذاته ونفسه. . ومدى شفافية حس الفنان المبدع وتفوقه الذوقى والعاطفى.

«يحيى توفيق حسن»

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

نحن فى حاجة الى أساتذة

فى حديث للدكتور عمار الطالبى رئيس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية فى قسنطينة بالجزائر والتى تمولها الحكومة الجزائرية أشار سيادته الى أن الجامعة بحاجة الى أساتذة من كافة الدول الاسلامية والعربية للعمل بها.. كما أعلن أنه سيتم انشاء معهد للفلك بالجامعة وكذا قبة فلكية.. وقد تم عقد اتفاق مع الجامعة وهيئة الاغاثة الاسلامية لاستقبال عشرين طالبا مسلماً من جزيرة «نيوكاليدونيا» فى المحيط الهادى.

والجامعة تضم عدة كليات منها كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية الحضارة الاسلامية.

وللجامعة فروع فى عدة مدن جزائرية ففى مقر الجامعة الرئيسى فى مدينة قسنطينة يدرس ١٥٠٠ طالب ويدرس لهم ٥٣ معلما وفى فرع الجامعة فى مدينة الجزائر العاصمة ١٣٠٠ طالب وفى مدينة وهران يدرس فى فرع الجامعة ٤٠٠ طالب وفى فرع الجامعة فى باتنة فى مناطق الاوراس فى الجنوب الشرقى من الجزائر وعند موقع استشهاد عقبة بن نافع يتعلم ٤٠٠ طالب وللجامعة اخيراً فرع فى منطقة أدارار.. على الحدود الجنوبية للجزائر مع مالى ويدرس فيه ٤٠٠ طالب.

أخبار قصيرة

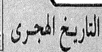



ترقية علمية

حصل مراسل مجلتنا فى تركيا الدكتور انور طاهر رضا على درجة استاذ مشارك تقنيات تربوية فى حفلة شبه رسمية جرت فى مدينة اسكى شهير بتركيا.

يتم منح هذه الدرجة العلمية من قبل هيئة الجامعات التركية بعد اجتياز عضو هيئة التدريس ثلاثة امتحانات يتم فيها التأكد من اهليته للترقية المذكورة. الامتحان الاول هو امتحان اللغة، ويشترط فيه حصول العضو على درجة ٧٠٪ فى احدى اللغات الاجنبية التى تعتبر اللغة العربية احداها. الامتحان الثانى هو تحليل الابحاث والمقالات التى يقدمها العضو، وتكلف هيئة اختصاصية من جامعات مختلفة لهذا الغرض. الامتحان الثالث هو الامتحان الشفهى الذى يناقش فيه المتقدم اسئلة تتعلق باختصاصه.

تعقيب



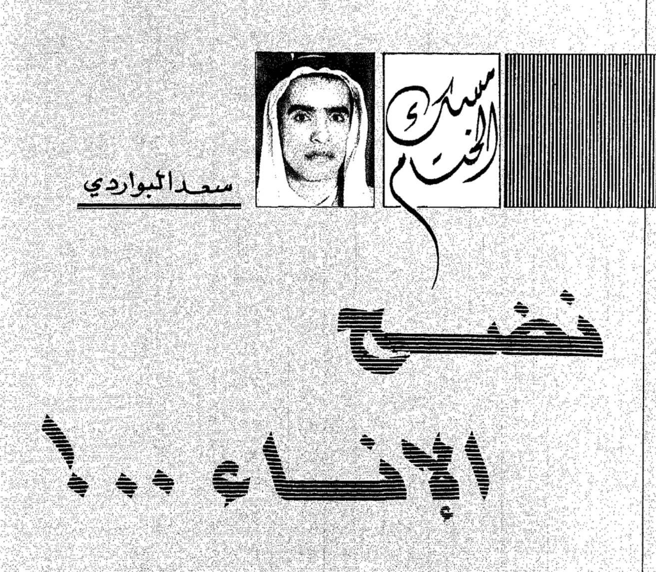
التاريخ الهجرى

تعليقاً على موضوع التاريخ بالهجرى.. قضية الشهر لعددنا الصادر فى جمادى الثانية ١٤٠٩هـ يقول الدكتور صالح محمد فياض أبو دياك..

ما ورد فى خطاب الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصارى الموسوم بـ (دعونا نحاول) فانى اقدر تجربته العلمية والتربوية وانى أقره على ما جاء فى مقالته بما يخص التاريخ القديم والتاريخ الاسلامى، لكن فى اعتقادى ان استخدام التاريخ الميلادى مقابل التاريخ الهجرى هو لتقريب الصورة التاريخية للاذهان خاصة وان هذا التاريخ يكاد يكون استخدامه عالمياً، ولكن من جانب آخر ابرازاً للشخصية الاسلامية والعربية يتحتم علينا تداوله رسميا حتى ولو وجدنا صعوبات فى البداية، لان عدم تمحوره فى اذهاننا تنسينا إياه لا على مستوى ابناء الأمة بل وعلى مستوى المثقفين. وهذه ظاهرة جديرة بالاهتمام والدراسة وليس بالمحاولة او لفت النظر.

وكان بود المنهل أن يكون التعليق ضمن القضية بيد أنه وصلنا بعد صدور العدد وها نحن نورده متابعة للقضية ونأمل فى المزيد من المتابعة لمن فاتته المشاركة القضية من الاساتذة المختصين.

صالح محمد فياض



ولو مرة واحدة حاول ان تقف امام البحر..

حاول ان تتلمس ولو بشفتيك النسمات التى ينقلها اليك البحر لتلامس خديك ثم لتبنى عليها طبقة رفيعة رفيعة.

حاول ان تتذوق بلسانك تلك الطبقة.. ما طعمها؟.. ما وجه شبهها بالبحر؟

ستجد ان تلك الطبقة الرقيقة الرفيعة امتداد للبحر فى أملاحه.. فى مرارته.. لا تميزك فى شىء عن اية قطرة فيه..

ولو مرة واحدة ايضا حاول ان تقف امام نهر أو بحيرة حلوة..

حاول ان تتلمس ولو بشفتيك النسيمات التى ينقلها اليك النهر او البحيرة الحلوة لتشبع خديك رواء ورقة..

حاول ان تتذوق بلسانك طعم تلك النسيمات.. ما طعمها؟ ما وجه شبهها بالنهر.. بالبحيرة الحلوة..

ستلقى ان تلك النسيمات حلوة حلوة كمذاق النهر الزلال.. كطعم البحيرة السكرية الصافية..

لا تميزك فى شىء عن اى قطرة فيها.

ولو مرة واحدة ايضا حاول ان تستنشق عبيرا تسلل الى حاسة شمك عبر الحقول الخضراء المملوءة عطرا ورياحين.

حاول ان تتعرف طعم ذلك العبير. رقته.. أريجه. ما وجه شبهه بالرياحين المتفتحة.. بالأريج المتضوع..

ستدرك ان العصارة التى تحملها تلك الورود العبقة المتفتحة.. لا تميزك فى شىء عن اى قطعة فيها.

ولو مرة واحدة ايضا للمرة الرابعة حاول ان تقف امام مجرى الهواء الزاحف اليك عبر جيفة منتنة.

حاول ان تشتمّ الرائحة التى يلقيها عليك ذلك الهواء.. ما طعمها؟ ما وجه شبهها بالجيفة المتهرئة المنتنة؟

سترى ان تلك الرائحة التى القى بها الهواء امام خياشيمك لا تميزك فى شىء عن الجيفة الصارخة نتانة وخطرا وتقززا.

تلك بعض الامثلة فقط اسوقها كدليل واضح المعالم ينقل اليك بعض الصور لجوانب من حياتنا.. من مجتمعاتنا التى تتفاعل مع عناصر متباينة. تحمل الفضيلة حينا.. وتحمل الرذيلة حينا آخر.. وتحملها فى بعض الاحيان معا فى لغة الصراع الأزلى.

امثلة سقتها لأخلص منها الى نتيجة واحدة هى ان المجتمع السليم لا يعطى الا الامثلة الحية المشرفة. وان المجتمع المريض لا يعطى ايضا الا نماذج مريضة والا ادلة مريضة تحمل العدوى.. كما تحمل الايذاء والمضايقة للآخرين.

فالانفاس التى يطلقها الصدور تحمل كل الخطورة واعنفها لانها مصدورة ومريضة كصاحبها.

وصاحب النفس المريضة تدلك عليه ايضا كلماته المريضة التى يتفوه بها.. ومعاملته السيئة التى تشده وتفصله عن غيره..

وصاحب العقل الكبير تجتذبك اليه رقته.. رحمته.. حبه.. تلمسه لما يعقله الناس وما يقبلونه.. لأن العنصر الأصيل فى نفسه عنصر خير.. عنصر فضيلة وبناء.. عنصر اثبات للعقل ولا تفتيتا له.. ولا تحطيما.

ويكفى للحكم على اى امة ان تتعرف على نماذج منها.. فى تذوقها.. فى سلوكها.. فى تقديرها للنظام.. لتدرك اى مستوى تحتل فى قاموس الحياة.

يكفى للادانة وللبراءة ان نختبر اولئك الافراد لترى فيهم صورة مصغرة لمجتمعهم الذى ينتمون اليه بكل اشكاله وصوره واجناسه.

والافراد بالنسبة للمجتمع بمثابة النسيم الذى تنقله اليك موجات البحر.. موجات النهر.. نسيمات. الحقول بأقحوانها وعطرها.. الهواء الزاحف اليك عبر جيفة منتنة متهرئة..

كل هذه النماذج تنقل اليك فى أمانة وصدق الدنيا التى مرت بها.. المجتمعات التى عبرتها.. بل والبراكين التى فجرتها وقذفت بها فى الفضاء لتعطى لكل حاسة الدليل على صدق الحكم والرواية من الآخرين.

وبعد.. يقول المثل العربى «كل اناء بما فيه ينضح».. وحين ينضح اناء ما فإن كل من حوله سيدركون الذى يحويه.. وسيحكمون عليه بما فيه.. وسيمضى الاناء وما فيه ويبقى الحكم بعد ذلك حيا لا يموت...

دار الاصفهاني للطباعة بجدة

المنهل

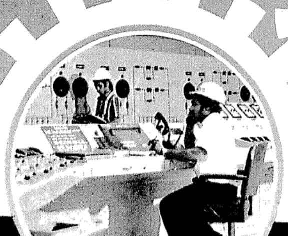
ALMANHAL

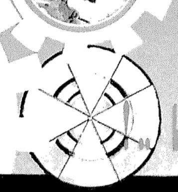
مجلة للآداب والعلوم والثقافة

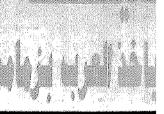
العدد ٤٧٠ السنة ٥٥ المجلد ٥٠ شعبان ١٤٠٩هـ/ مارس ١٩٨٩م

● ليلة النصف من شعبان
الدفع الروحي .. والارتباط بالتاريخ

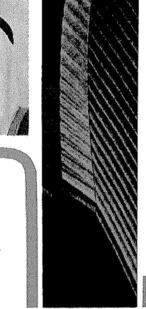
احسان عبد القدوس











مسيرة التقدم

مقال

والآن ـ وقد تطورت هذه البلاد فى شتى مرافق الحياة وشمل هذا التطور أول ما شمل وسائل المواصلات نفسها، فتركت الجمال كوسائل نقل وانتقال، واستعيض عنها فى الحالتين بالوسائل الآلية الحديثة: السيارات والطيارات.
أقول: الآن ـ وقد بلغت البلاد هذه المرحلة الطيبة من التطور البارز فى وسائل المواصلات، فقد وفق الله حكومتنا الرشيدة فسفلتت لنا طرق السيارات بآلاف الاميال وفى كل مكان والى كل بلد ومنتجع، وشقت لتأمين سيرها المتزن المريح السريع الجبال وبسطت عليها مادة الاسفلت وأصعدتها الى القنن الشاهقة، ومدت عليها الاسفلت، واخترقت بها بطون الصحارى الواسعة الجرداء والفيافى المقفرة، وانفقت على مشروعات مد الطرق وسفلتتها مئات ملايين الريالات، فى سخاء واريحية فذة معجبة. وكان ذلك كله منها استهدافا لتقدم الوطن السعودى فى سائر مجالات التقدم.

وحكومتنا الرشيدة وراء كل مشروع يفيد البلاد.. هى تقيم أوده، وترسم له طريق النجاح بما تسنه من انظمة وتعليمات راشدة مرشدة، وهى تشد عضده وترسى قواعده وتعلى ابراجه بمؤازراتها المادية والادبية فى كل حقل من حقولها، وهكذا تسير بالمشروع الناجح الى الامام حتى ينهض بأعبائه على خير ما يرام، وحتى يثمر ثماره القيمة على خير ما يراد. وهكذا حتى يلحق هذا الوطن العزيز ابو الحضارات الانسانية بركب الحضارة الحديث بسيره القويم الرشيد الحثيث السير والسرى.

وكل من سار على الدرب وصل..

وفق الله العاملين الى ما فيه الخير والسداد

جمادى الثانية ١٣٩٢هـ





بطاقة تقديم

العدد ٤٧٠ السنة ٥٥ المجلد ٥٠
اسسها سنة ١٣٥٥هـ

صاحب المجلة رئيس التحرير

مستشار التحرير

نائب رئيس التحرير

سكرتير التحرير
السمانى كمال الدين

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المراسلون
مصر: فريد ابو سعدة
الأردن: روكس العزيزى
تونس: د. نور الدين صمود
المغرب: عبد الرحيم عبد السلام
الجزائر: د. بكرى عبد الكريم
تركيا: د. أنور طاهر رضا

ويقوم الدين ويشهد التاريخ وتنطق اللغة وتدل الآمال والمصالح على وحدة الأمة العربية بتراثها الواحد وأرضها الواحدة.. الأمر الذى يجعل من التعاون وتبادل الخبرات والمعارف شيئاً حتمياً ومصيرياً بين العرب.. ويأتى فى مقدمة ضروريات التعاون تبادل الخبرات التقنية نحو تأصيل للتقنية العربية للوصول إلى تقنية محلية.

كفانا استيراداً لتقنية الغرب.. كفانا استيراداً لتقنية قدمها الأجنبى والهدف لا يخفى علينا.. هو يركّب ويشغّل ويورّد ويشترط فقط ويغلق الباب أمام تنمية قدرات وتربية مهارات ليظل المسيطر لها والمهيمن عليها.

لكننا نقول.. لدينا القدرة على الاستيعاب ولدينا القدرة على التطويع بل لدينا القدرة على التصنيع.. وحول هذا نلتف ونتآلف ونتوجه.

«المحرر»

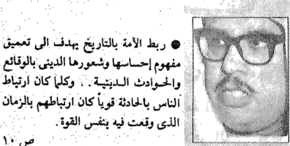
المركز الرئيسى
جده ـ الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥ رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١، ٦٤٣٩٧٦٥ ـ ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات
● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
● السعودية: ٨ ريال ● قطر: ٨ ريال
● الامارات: ٨ دراهم ● الاردن: ٥٠٠ فلس
● السودان ٢٥٠ قرش ● مصر: ١ جنيه
● المغرب: ٦ دراهم ● تونس: ٦٠٠ مليم
● موريتانيا: ١٠٠ أوقيه





● ربط الأمة بالتاريخ يهدف الى تعميق مفهوم إحساسها وشعورها الديني بالوقائع والحوادث الدينية .. وكلما كان ارتباط الناس بالحادثة قوياً كان ارتباطهم بالزمان الذي وقعت فيه بنفس القوة.

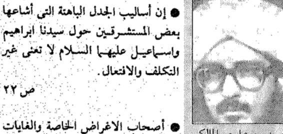
ص ١٠

د. صالح العذل

● إن أساليب الجدل الباهتة التي أشاعها بعض المستشرقين حول سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لا تعني غير التكلف والافتعال.

ص ٢٢

محمد بن علوى المالكى



● أصحاب الاغراض الخاصة والغايات المدبرة يستخدمون معطيات اللغة .. وألفاظها للخداع والإثارة وايقاظ الغرائز .. والحاسة الاخلاقية عند الكاتب هي التي تدرك المعاني السامية وترعى القيم

ص ٣٦

إحسان عبد القدوس



● اعداد البنية الأساسية في العلوم والتقنية هو الجزء الأكبر من مجهودات مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

ص ٣٤

● المسحراتي هذا التقليد الرائع الجميل .. دقات طبول هادئة .. وترانيم شهر مبارك .. و(فانوس رمضان) كم سعدت به أنفسنا في أيام طفولة مرحة.

ص ٨٢



سعيد السريحى



● في أمريكا يأخذ منهج البحث في الأدب المقارن بترابط الدراسات الانسانية جميعها .. اما المدرسة الفرنسية فتذهب الى تحديد مجالات البحث.

ص ٨٤

د. بهيج القنطار

غلاف العدد:

التقنية .. حلم العصر وتطلعات الشعوب .. عالمنا العربي والإسلامي لديه مقومات التقنية من علماء وخبراء وتمويل .. ويستطيع اذا ما جدّ ان يمتلك ناصيتها .. وهذا ما نرجوه.

وكلاء التوزيع

تهامة للتوزيع/ جده ت: ٦٦٩٥٠٠٠

وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠

الشركة التونسية للصحافة/ ترنس ت: ٢٤٢٤٩٩

تصميم واخراج عبد الرحيم فؤاد بدر الدين

إشـــارة:

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد أولويات النشر، ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بنوع أو شكل الموضوع أو مكانة الكاتب.

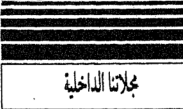
● يشترط فى الإسهامات المقدمة عناصر الجدة، العمق والرّصانة العلمية . . مع رجاء ان تشفع المادة المرسلة بالصورة الموضوعية والتوضيحية ـ ان لزم الموضوع ـ وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة.

الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥

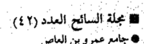
دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥

دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢

وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت٦٣٥١٥٢



مجلاتنا الداخلية





رابطة العالم الاسلامي

المجمع الفقهي الاسلامي

في دورته الحادية عشرة

مبنى الرابطة من الخارج

فى ١٣ رجب ١٤٠٩هـ افتتح صاحب السمو الملكى الأمير سعود بن عبد المحسن نائب أمير منطقة مكة المكرمة نيابة عن خادم الحرمين الشريفين اجتماعات الدورة الحادية عشرة للمجمع الفقهى الاسلامى برابطة العالم الاسلامى وتتناول هذه الدورة مجموعة من المسائل والقضايا منها الطبية والاقتصادية والعقديّة والفقهية.

وضمن موضوعات البحث فى الناحية الاقتصادية موضوع صرف النقود فى المصارف التى استغنى فيها عن القبض بالشىء الذى يتسلمه راغب التحويل.. وموضوع الربح هل له حد أعلى ام لا.. وموضوع الشرط الجزائى فى الدين، وضمن موضوعات الطب موضوع طريقة ولادة الجنين المشوه خلقياً فى الدماغ.. وموضوع التلقيح الصناعى وموضوع طفل الأنابيب.. وبعض الموضوعات الاخرى.

هذا المجمع :

انشىء عام ١٣٨٤هـ عندما نادت حكومة المملكة العربية السعودية بإنشائه، ويضم نخبة من فقهاء الشريعة فى العالم لدراسة المسائل المتجددة وحل المشكلات التى يعانيها المسلمون فى انحاء المعمورة.. وتم تأليف هيئة من كبار العلماء المسلمين للقيام بالدراسات الاسلامية وبحث القضايا الفكرية التى تواجه العالم الاسلامى وبيان الحكم الشرعى فى كل حالة.

ثم تبلورت الفكرة بشكل واضح لدى الرابطة فأصدرت قرارها بتأسيس المجمع عام ١٣٩٨هـ، ومقره مكة المكرمة ويضم مجموعة من العلماء والفقهاء والمحققين من مختلف انحاء العالم الاسلامى يتولون دراسة واقع المسلمين والمشكلات التى يواجهونها وايجاد الحلول التى تستند إلى اساس القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والاجماع وبقية المصادر المعتمدة فى الفقه الاسلامى. وقد باشر مجلس المجمع اعماله فى شهر رمضان ١٣٩٨هـ، حيث تكون من ٢٣ عضوا من ١٢ دولة اسلامية يجتمعون مرة فى كل سنة بمقر المجمع فى مكة.

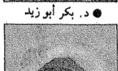
من لجان المجمع :

هناك لجنة المصطلحات الفقهية التى تتولى تحديد المعنى اللغوى والاصطلاحى للكلمات

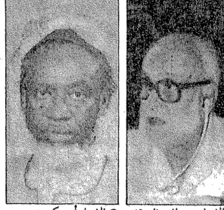


● مبنى رابطة العالم الاسلامى الجديد هدية خادم الحرمين الشريفين للعالم الاسلامى.

● د. نصيف ● الشيخ محمد بن جبير



● الشيخ الشاذلى الفيفى ● د. بكر أبو زيد

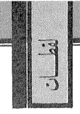


● الشيخ مصطفى الزرقا ● الشيخ أبو بكر جومى

الفقهية فى جميع المذاهب بغية اثراء الفكر الفقهى بمصطلحات دقيقة المبنى رفيعة المعنى بدلا من تلك الدخيلة التى يتداولها رجال القانون.. وهناك لجنة التراث الفقهى وتتولى تحقيق ما لم ينشر من المؤلفات الفقهية ذات القيمة العلمية الكبيرة اما لجنة البحث العلمى فهى تقوم بدراسة فقه المعاملات والدراسات العلمية الحديثة بتشجيع من البحث العلمى. كما تتولى لجنة الصياغة صياغة الاحكام الفقهية على شكل مبادىء ومواد ليسهل تطبيقها فى الحياة العلمية. اما لجنة الدراسات المعاصرة فهى تقوم بدراسة التيارات الفكرية الدخيلة والمذاهب المنحرفة وما يواجه المجتمع الاسلامى من مسائل ومشاكل وايجاد الحل الاسلامى الصحيح لكل ذلك.

وقد ناقش مجلس المجمع الفقهى خلال جلساته العديد من الموضوعات المطروحة على جدول اعمال الدورة واتخذ قرارات حول موضوع زكاة اجور العقار وموضوع اوقات الصلوات والصيام فى البلاد ذات خطوط العرض العالية الدرجات. كما اتخذ المجلس قرار حول موضوع افتراءات رشاد خليفة وسلمان رشدى وموضوع تغير جنس الانسان ونقل الدم فى مدة الرضاع وتنقية مياه المجارى وصرف النقود فى المصارف والشرط الجزائى.

كما ارجأ مجلس المجمع عددا من الموضوعات للدورة القادمة لاستكمال بحثها ومناقشتها.



● لقطة من حفل افتتاح البطولة





أهلاً وسهلاً شباب العالم

فى واحد من اروع اللقاءات الشبابية الرياضية فى العالم استضافت المملكة العربية السعودية ممثلة فى الرئاسة العامة لرعاية الشباب ـ نهائيات كأس العالم للشباب الخامسة فى كرة القدم والتى اقيمت فى الفترة من ١٠ رجب وحتى ٢٥ منه وقد اشترك فى هذه النهائيات ستة عشر فريقا لكرة القدم تمثل كلا من «المملكة البرتغال ـ الارجنتين ـ العراق ـ البرازيل ـ النرويج ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ المانيا الديمقراطية ـ تشيكوسلوفاكيا ـ نيجيريا ـ كولومبيا ـ كوستاريكا ـ



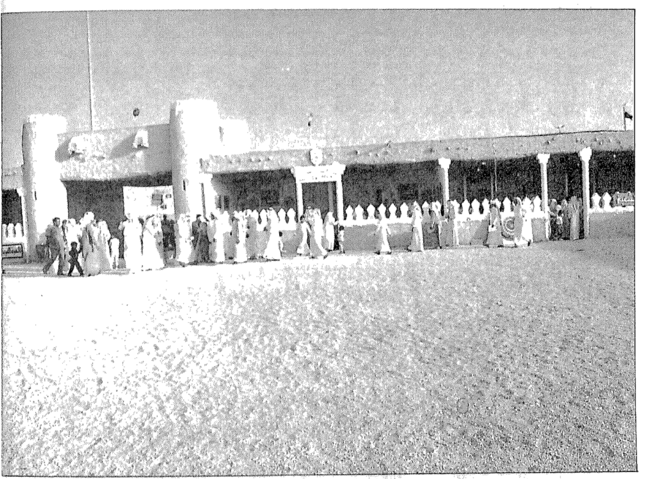
سوريا ـ الاتحاد السوفيتي ـ مالي ـ اسبانيا».

ونحن هنا لسنا بغرض الحديث عن النتائج الكروية لهذه البطولة والتي لاقت تغطية اعلامية متميزة من وسائلنا الاعلامية المتعددة أشاد بها القاصي والداني.

والحديث هنا يتطرق بنا الى موضوع **«ماذا استفادت المملكة وشبابها من هذه البطولة»** والتي اقيمت على ارضنا الطيبة وفي اربع مدن رئيسية بالمملكة هي **«الرياض ـ الدمام ـ جدة ـ الطائف»**.. وعند استعراضنا لمسيرة هذه البطولة اعلاميا نرى انها حققت الهدف الرئيسي منها وهو تعريف العالم اجمع بما تملكه هذه البلاد الطيبة من مدن رياضية وسياحية وشبابية كاملة ومجهزة وكذلك ما نملكه من خبرة واسعة في مجال تنظيم مثل هذه البطولات العالمية متمثلة في شبابنا السعودي الذي سخرت له كل الامكانات من اجل العمل والابداع.. كيف لا.. وعلى رأس هذا الشباب المثقف الرياضي الواعي يأتي سمو الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز كرُبّان ماهر يقود السفينة الشبابية والرياضية في المملكة بكل مهارة واقتدار تحت مظلة من رعاية الوالد الباني خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الامين وحكومتهما الرشيدة.. وفي نظري بأن مقياس توازن وعلو كل امة يتمثل بمشاركتها الفعالة في تنظيم وادارة الاحداث العالمية المتنوعة.. حيث ان هذه المشاركة والتنظيم هما المعيار الحقيقي لتطور وحضارة هذا البلد.. والمملكة العربية السعودية ولله الحمد لها باع طويل في مثل هذه الامور وفي شتى المجالات وان كان لنا فخر فإنه يكفينا رعاية هذا البلد الطيب للحرمين الشريفين ومشاريعهما التطويرية والعمل على توفير اقصى مراحل التطور والخدمات لضيوف الرحمن الوافدين سنويا وفي كل حين لأداء فريضة الحج والعمرة.. وفي هذه العجالة لا مجال لإحصاء ما تقوم به المملكة من تنظيم واستضافة للندوات والاجتماعات والمسابقات الاعلامية وغيرها.. فالمجال هنا كبير جدا والمقدم لا تفي صفحات للحديث عنه.

ان تنظيم المملكة لنهائيات كأس العالم الخامسة للشباب لكرة القدم هو حدث رياضي عالمي.. ابرز ما لهذا البلد من خطوة عالمية تمثلت في موافقة الاتحاد الدولي لكرة القدم على اقامة مثل هذه البطولة الكبرى على ارض المملكة.. وما تشريف خادم الحرمين الشريفين لحفل افتتاح البطولة الا تتويج لرعايته حفظه الله لشباب هذا البلد وتشريف لهذه البطولة.. هذا الحفل الكبير الذي كان قمة في كل شيء.. وابرز للعالم اجمع مدى قدرتنا على التنظيم الدقيق المدروس.. وكذلك كان بعروضه الشيقة والمثيرة مجالا خصبا لتعريف العالم اجمع تراث وحضارة واصالة تاريخنا الوطني الحافل.. فأهلاً بهذه التفاعلات الرياضية العالمية وأهلاً باقامة غيرها على هذه الوتيرة وفي كل مجال.. وشكرا لشباب المملكة فقد استطعتم ان تقولوا لشباب العالم.. اهلا وسهلا ـ بكم في ارض المملكة ارض الاسلام والسلام.

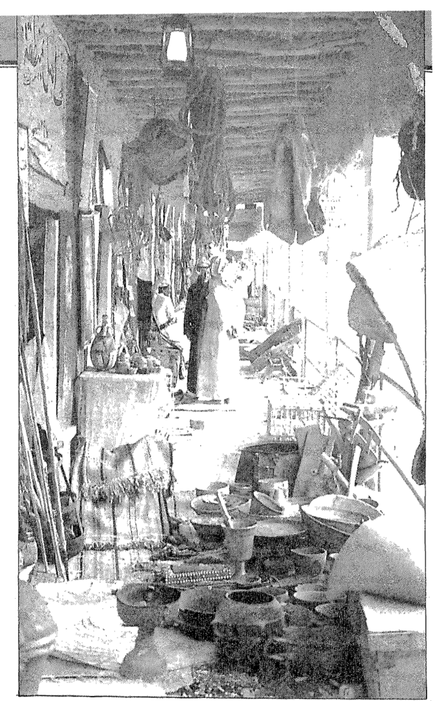
على هامش المهرجان الوطني الخامس للتراث والثقافة



فعاليات المهرجان الوطني الخامس للتراث والثقافة . . وانطلاقة أداء متميز.

لكل شعب تراثه، ولكل امة مقـومـاتهـا التـاريخية القائمة على مبادىء معتقداتها . . ومن منطلق هذا المجمـوع المتكـامـل يجيىء الـتراث الشعبي قيمـة باقيـة وإن زحف النسيان على بعض أطرافه . .

والمملكة العربية السعودية يقوم تراثهـا وماضيها على منهجية هذا الدين القويم، وعلى هذا المعتقد القويم أيضاً تنبنى تطلعاتها ومستقبلها.



جوانب من تراث الماضى العريض الممتد فى أعماق الأجيال.

والتراث الشعبى له نكهته وطعمه ومذاقه المنبثق من عراقة أعراقه وتقاليده فى أساليب حياته المختلفة ومعطياتها.. فى الفن والثقافة والأدب.. فى الشعر والحكمة والمثل، فى التاريخ والعادات والأعراف.. ويبقى هذا العطاء ممتدا تضيف إليه الأجيال جديدها وهنا يتلاقى القديم والجديد فى حضن معطيات العصر من غير تنافر ولا تضاد، بل يلتقيان معاً ليضيفا قيماً جديدة ومفاهيم جديدة.

ومن هذه الوجهة يكون اتصالنا بالتراث الشعبى، وهو اتصال يستخرج القيمة الكامنة فى عطاء الأولين.. والقيمة بطبيعة الحال لا تترك لأنها قديمة.. ولا نتناساها لأنها قد تخطاها الزمن بل تبقى ذاكرة الأجيال متناقلة يضيف اليها كل جيل قيمة جديدة.

وفى غرة هذا الشهر (شعبان) تنطلق فعاليات المهرجان الوطنى الخامس للتراث والثقافة.. ويحمل هذا المهرجان بين طياته الجديد فى كثير من مجالات عطائه وفعالياته المتعددة.. فى الجانب الثقافى والأدبى، نجد الندوات والمحاضرات حول العديد من الموضوعات الدينية والفكرية والأدبية.. كما نجد الامسيات الشعرية واللقاءات الفكرية.. ويضم المهرجان مجموعة من المعارض.. منها معرض الكتاب ومعرض للفنون التشكيلية ومعرض للوثائق تحت شعار (صفحات مضيئة) ويمثل نواة وثائقية تراثية.. هذا اضافة الى نشاط الفرق الشعبية وما تقدمه من عروض تمثل انحاء المملكة المختلفة.. وتمتد توجهات المهرجان الى دول الخليج العربى وقد قدمت الدعوة لدول مجلس التعاون الخليجى للمشاركة فيه.

ويشارك فى فعاليات المؤتمر الثقافية والعلمية والفكرية عدد من الادباء والمفكرين من العالم العربى.. ولسنا بسبيل تعداد واحصاء فعاليات هذا المهرجان.. ولكنها بطاقة تحية لهذا الجهد الرائع.

«المنهل»



بقلم فضيلة :
السيد محمد بن علوى المالكى
مكة المكرمة

شعبان.. وليلة النصف

من القواعد المقررة عند أهل العلم أن الزمان يشرف بما يقع فيه من الحوادث التى هى الأصل فى اعطاء القيمة الاعتبارية للزمان وبمقدارها يكون مقداره وبفضلها يكون فضله وكلما كان ارتباط الناس بالحادثة قويا وتأثرهم بها عظيما كان ارتباطهم وتأثرهم بالزمان الذى وقعت فيه بنفس القوة. ومن هنا يعلم جليا أن المقصود الأصلى فى هذا الباب هو ربط الأمة بالتاريخ، وتعميق مفهوم احساسهم وشعورهم الدينى بالوقائع والحوادث الدينية.

■ صحيح أن الناس يختلفون فى كيفية دعوة الناس الى هذه الحقائق - يعنى أنهم لم يتفقوا على الطريقة التى يصلون بها والطريقة التى يوصلون الناس بها. . لكن المقصود الأصلى لا أظن أنه يختلف فيه اثنان إننا حين ندعو إلى ربط الأمة بالتاريخ عن طريق اغتنام الفرص والمناسبات التى يجود بها الزمان فإننا فى الواقع ونفس الأمر انما ندعوهم الى حقيقة صافية وعقيدة صحيحة وطريقة مستقيمة وفطرة سليمة لأن هذه هى تاريخنا وشرفنا.

تحويل القبلة

وفى شهر شعبان من الحوادث والوقائع ما يستحق الاهتمام والعناية.

فمنها: أنه وقع فيه تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة - وقد كان الرسول ﴿ﷺ﴾ ينتظر ذلك برغبة قوية. . ويقوم فى كل يوم متطلعا مقلبا وجهه فى السماء. .

يترقب الوحى الربانى حتى أقر الله عينه وأعطاه مناه وحقق مطلوبه بما أرضاه ونزل قول الله تعالى: ﴿*قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره*﴾. الاية. وهو مصداق قوله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾. وهو مصداق قول السيدة عائشة له: «ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك» رواه البخارى.

وهو صلى الله عليه وسلم لا يرضى إلا بما يرضى به الله.

رفــع الاعمــال

ومنها: أنه شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى.. وهذا هو الرفع العام السنوى وإلا فقد جاء فى الحديث أن الاعمال ترفع فى يوم الاثنين والخميس وهذا هو الرفع الأسبوعى. كما جاء فى الحديث أن الأعمال ترفع فى كل يوم وهذا هو الرفع اليومى.

■ والله سبحانه وتعالى غنى عن هذا كله عالم الغيب والشهادة.. هو الرحمن الرحيم وهو سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية.. وهو سبحانه وتعالى ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين.

■ ولكن هذا الرفع هو مظهر من مظاهر الملك الإلهى وإظهار لأعمال بنى آدم فى الملأ الأعلى عند الملائكة تشريفا وتكريما وتعظيما لهم ومباهاة بهم - وبيان للسر الأعظم المنطوى فى حكمة الايجاد للعباد بعمارة الأرض بالخير والقيام بالوظيفة الأولى التى قام عليها الكون فى إشارة قوله تعالى: ﴿**وما خلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدونِ**﴾. جاء فى الحديث عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما، قال: قلت يا رسول الله - لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم» رواه النسائى.

تقدير الأعمــار

ومنها: أن شهر شعبان تقدر فيه الأعمار والمقصود إظهار هذا التقدير وإبرازه، والا فإن أفعال الحق سبحانه وتعالى لا تقيد بزمان ولا مكان ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

■ جاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يصوم شعبان كله، قالت: قلت يارسول الله أحب الشهور إليك أن تصومه شعبان؟ قال: «إن الله يكتب فيه على كل نفس ميتة تلك السنة فأحب أن يأتينى أجلى وأنا صائم» رواه أبو يعلى وهو غريب واسناده حسن.

ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر صيامه. يقول أنس بن مالك رضى الله عنه: «كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يصوم ولا يفطر حتى نقول ما فى نفس رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن يفطر العام، ثم يفطر فلا يصوم حتى نقول ما فى نفسه أن يصوم العام وكان أحب الصوم إليه فى شعبان» رواه احمد والطبرانى.

■ وقد سئل أى الصوم أفضل بعد رمضان؟ قال شعبان لتعظيم رمضان قال فأى الصدقة أفضل؟ قال صدقة فى رمضان. قال الترمذى: حديث غريب.

■ بل تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: «كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ ما استكمل صيام شهر فقط إلا شهر رمضان.. وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان» رواه البخارى ومسلم وأبو داود ورواه النسائى والترمذى وغيرهما. قالت «ما رأيت النبى ﴿ﷺ﴾ فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان - كان يصومه إلا قليلا بل كان يصومه كله».

■ وفى رواية لأبى داود قالت: كان أحب الشهور الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان.

● وفى رواية للنسائى قالت: «لم يكن رسول الله ﴿ﷺ﴾ لشهر أكثر صياما منه لشعبان كان يصومه أو عامته».

■ وفى روايــة للبخارى ومسلم قالت: «لم يكن النبى ﴿ﷺ﴾ يصوم شهراً أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا. . وكان أحب الصلاة الى النبى ﴿ﷺ﴾ ما دُووِمَ عليه وان قلّت وكان إذا صلى صلاة داوم عليها.

ليلة النصف المباركة

ومنها: أن فى شهر شعبان ليلة مباركة معظمة مكرمة وهى ليلة النصف منـه يحصل فيها التجلى الأعظم من الحق سبحـانـه وتعـالى والمغفرة الكبرى الشاملة ـ وقد ورد فى فضلهـا أحاديث كثيرة متعددة ضعفها الأكثرون وصحح ابن حبان بعضها.

■ فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه. والمشاحن: منافق شرير يبعث الشقاق ويوقد نار العداوة بين المتحابين.

■ وروى الامـام أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «يطلع الله عز وجل الى خلقـه ليلة النصف من شعبـان فيغفر لعباده إلا اثنين: مشاحن وقاتل نفس».

●● وقد جاء فى الحديث عنه ﴿ﷺ﴾ هذا الدعاء فعن السيـدة عائشـة رضى الله عنها قالت: «قام رسول الله ﴿ﷺ﴾ من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت فسمعته يقول فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليـك أنت كما أثنيت على نفسك. فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: يا عائشة أو ياحميراء أظننت أن النبى ﴿ﷺ﴾ قد خاس بك؟ قلت: لا والله يارسول الله ولكنى ظننت أنـك قبضت لطـول سجـودك، فقال أتدرين أى ليلة هذه؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال هذه ليلة النصف من شعبـان، فيغفـر للمستغفـرين ويرحم المسـترحمـين ويؤخر أهل الحقد كما هم» رواه البيهقى من طريق العلاء بن الحارث عنها وقال هذا مرسل جيد. قوله خاس بك: غدرك.

■ وأمر ﴿ﷺ﴾ بالعناية بليلة النصف واغتنام بركة العمل الصالح فيها فعن علي رضى الله عنه عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبـان فقـومـوا ليلها وصـومـوا يومها فإن الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول «ألا من مستغفر فأغفر له. . ألا من مسترزق فأرزقه. . ألا من مبتلى فأعافيه. . ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر» رواه ابن ماجة بسند فيه أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة ـ قال فى التقريب رموه بالوضع وفى الخلاصة وضعفه الباقون، فالحديث بشواهده معتبر فى فضائل الاعمال، وقد ذكره العلماء المحققون فى كتب الفضائل كالمنذرى فى الترغيب والترهيب. . والشرف الدمياطى فى المتجر الرابح. . وابن رجب فى لطائف المعارف.

●● والحـاصل أن هذه المسألة لها أصل تصير به معتبرة للعمل رجاء الثواب والأجر وفضل الله واسع.

الاعتناء بليلة النصف

قال الحـافـظ ابن رجب الحنبلى: وليلة النصف من شعبـان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها فى العبـادة وعنهم أخذ فضلها وتعظيمها. . ولا يكره أن يصلى الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا قول الأوزاعى إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى.

أقوال بعض أئمة السلف

وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامله بالبصرة: عليك بأربع ليال من السنة فإن الله يفرغ فيهن الرحمة إفراغا . . أول ليلة من رجب . . وليلة النصف من شعبان . . وليلة الفطر . . وليلة الأضحى . . وفى صحته عنه نظر. وقال الشافعى رضى الله عنه: بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليال: ليلة الجمعة والعيدين وأول رجب ونصف شعبان.

■ وروى عن كعب، قال: إن الله تعالى يبعث ليلة النصف من شعبان جبريل عليه السلام الى الجنة فيأمرها أن تتزين ويقول «إن الله تعالى قد أعتق فى ليلتك هذه . . عدد نجوم السماء . . وعدد أيام الدنيا ولياليها . . وعدد ورق الشجر وزنة الجبال . . وعدد الرمال. وروى سعيد ابن منصور حدثنا أبو معشر عن أبى حازم ومحمد بن قيس عن عطاء ابن يسار قال: ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده كلهم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم.

الذنوب التى تمنع المغفرة

ويتعين على المسلم أن يجتنب الذنوب التى تمنع من المغفرة وقبول الدعاء فى تلك الليلة . . وقد روى أنها الشرك وقتل النفس والزنا ـ وهذه الثلاثة أعظم الذنوب عند الله.

■ كما فى حديث ابن مسعود المتفق على صحته أنه سأل النبى ﴿ﷺ﴾ أى الذنب أعظم، قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال: ثم أى قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال: ثم أى قال: أن تزانى حليلة جارك فأنزل الله تعالى تصديق ذلك ﴿***والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرّم الله الا بالحق ولا يزنون***﴾ الآية.

ومن الذنوب المانعة من المغفرة أيضا الشحناء وهى حقد المسلم على أخيه بغضاً له لهوى نفسه وذلك يمنع أيضا من المغفرة فى أكثر أوقات المغفرة والرحمة كما فى صحيح مسلم.

■ عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فقال: انظروا هذين حتى يصطلحا.

هل هذه الليلة تنسخ فيها الآجال؟

قال الله تعالى فى أول سورة الدخان: ﴿***إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم***﴾. الآية . . فذهب عكرمة وغيره من المفسرين إلى أنها ليلة النصف من شعبان، ووردت فى ذلك أحاديث ضعيفة بعضها أشد ضعفا من بعض، منها ما أخرجه البيهقى فى كتاب الدعوات الكبير عن عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﴿ﷺ﴾ قام يصلى ليلة النصف من شعبان وقال: فى هذه الليلة يكتب كل مولود وهالك من بنى آدم، وفيها ترفع أعمالهم وتنزل أرزاقهم قال البيهقى: فى هذا الاسناد بعض من يجهل.

موقف ابن تيمية من ليلة النصف من شعبان

قال الشيخ ابن تيمية: وأما ليلة النصف فقد روى فى فضلها أحاديث وآثار ـ ونقل عن طائفة من السلف أنهم كانوا يصلون فيها، فصلاة الرجل فيها وحده قد تقدمه فيه سلف وله فيه حجة فلا ينكر مثل هذا. وأما الصلاة فيها جماعة فهذا مبنى على قاعدة عامة فى الاجتماع على الطاعات والعبادات فإنه نوعان:

● ربط الأمة بالتاريخ يهدف الى تعميق مفهوم إحساسهم وشعورهم الدينى بالوقائع والحوادث الدينية.

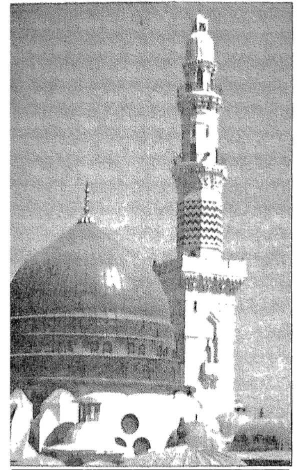
● كلما كان ارتباط الناس بالحادثة قوياً كان ارتباطهم بالزمان الذى وقعت فيه بنفس القوة.

● البدعة ضد الشرعة ما لم يشرع فى الدين.

أحدهما: سنة راتبة «إما واجب.. وإما مستحب» كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والإستسقاء والتراويح ـ فهذا سنة راتبة ينبغى المحافظة عليها والمداومة.

والثانى: ما ليس بسنة رابتة مثل الاجتماع لصلاة تطوع مثل: قيام الليل أو على قراءة قرآن أو ذكر الله أو دعاء، فهذا لا بأس به إذا لم يتخذ عادة راتبة. فإن النبى ﴿ﷺ﴾ صلى التطوع فى جماعة أحياناً ولم يداوم عليه إلا ما ذكر، وكان أصحابه إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقى يستمعون.

■ وكان عمر بن الخطاب يقول لأبى موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون. وقد روى أن النبى ﴿ﷺ﴾ خرج على أهل الصفة ومنهم واحد يقرأ فجلس معهم. وقد روى: فى الملائكة السيارين الذين يتبعون مجالس الذكر الحديث المعروف. فلو أن قوماً اجتمعوا بعض الليالى على صلاة تطوع من غير أن يتخذوا ذلك عادة راتبة تشبه السنة الراتبة لم يكره ـ لكن اتخاذه عادة دائرة بدوران الأوقات مكروه لما فيه من تغيير الشريعة وتشبيه غير المشروع بالمشروع. ولو ساغ ذلك لساغ أن يعمل صلاة أخرى وقت الضحى أو بين الظهر والعصر أو تراويح فى شعبان أو آذان فى العيدين، أو حج الى الصخرة ببيت المقدس، وهذا تغيير لدين الله وتبديل له وهكذا القول فى



● القبة الخضراء تعلو المسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة

ليلة المولد وغيرها.

■ والبدع المكروهة ما لم تكن مستحبة فى الشريعة وهى أن يشرع ما لم يأذن به الله ـ فمن جعل شيئا ديناً وقربة بلا شرع من الله فهو مبتدع ضال وهو الذى عناه النبى ﴿ﷺ﴾ بقوله: «كل بدعة ضلالة» فالبدعة ضد الشرعة،

والشرعة ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو أمر استحباب، وان لم يفعل على عهده كالاجتماع فى التراويح على إمام واحد وجمع القرآن فى المصحف، وقتل أهل الردة والخوارج ونحو ذلك. وما لم يشرعه الله ورسوله فهو بدعة وضلالة: مثل تخصيص مكان أو زمان باجتماع على عبادة فيه كما خص الشارع أوقات الصلوات وأيام الجمع والأعياد. وكما خص مكة بشرفها والمساجد الثلاثة وسائر المساجد بما شرعه فيها من الصلوات وأنواع العبادات كل بحسبه. وبهذا التفسير يظهر الجمع بين أدلة الشرع من النصوص والاجماعات، فإن المراد بالبدعة ضد الشرعة وهو مالم يشرع فى الدين، فمتى ثبت بنص أو إجماع فى فعل أنه مما يحبه الله ورسوله خرج بذلك عن أن يكون بدعة، وقد قررت ذلك مبسوطا فى قاعدة كبيرة من القواعد الكبار. أ. هـ من الفتاوى ج٢٣ ص١٣٢.

دعاء نصف شعبان

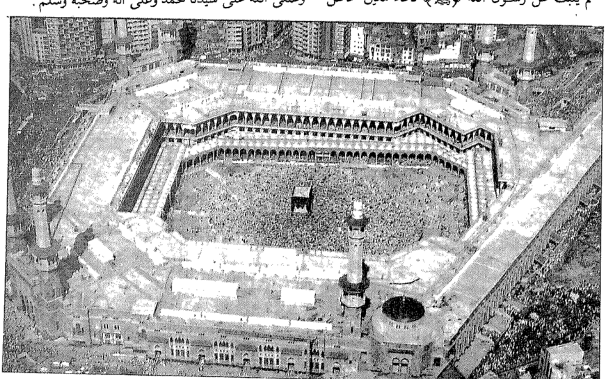
لم يثبت عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ دعاء معين خاص بليلة النصف من شعبان، وكذلك لم يثبت صلاة معينة خاصة بليلة النصف من شعبان، وانما جاء الترغيب باحيائها مطلقا بأى أنواع الدعاء والعبادة دون تعيين.

فمن قرأ ودعا وصلى وتصدق بما تيسر له من انواع العبادة فقد احياها ونال الثواب على ذلك ان شاء الله.

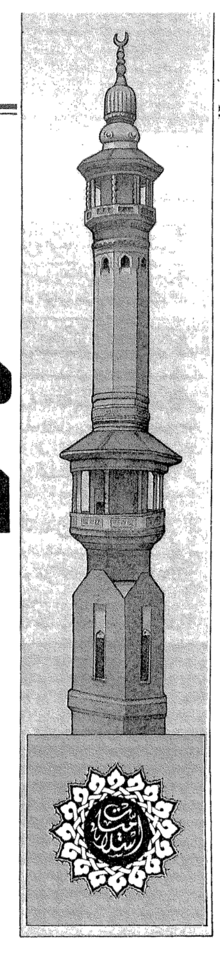
■ ومن الأدعية المباركة المجربة دعاء ابن مسعود وقد أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف وابن أبى الدنيا فى الدعاء عنه قال: «ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله له فى معيشته.. وهو مع ضعفه غير مقيد بليلة النصف من شعبان ولا بساعة من ساعاتها.. ثم هو مبنى على جواز المحو والإثبات فى الأرزاق والشقاء والسعادة - وفى ذلك خلاف بين العلماء من الصحابة وغيرهم ليس هذا محل بسطه.

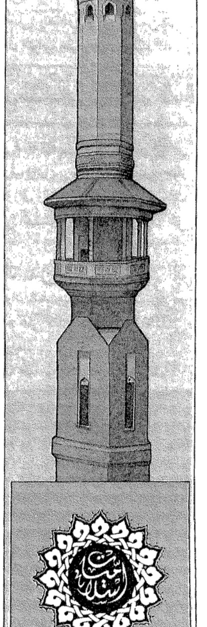
فينبغى للمؤمن أن يتفرغ فى تلك الليلة لذكر الله تعالى ودعائه بغفران الذنوب وستر العيوب وتفريج الكروب.. وأن يقدم على ذلك التوبة فإن الله تعالى يتوب فيها على من يتوب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



مكة في القرآن الكريم





د. فتحي احمد عامر

تكشف طبيعة المدن العربية عن أجواء مثيرة للمشاعر والأحاسيس بما وهبها الله عز وجل من تعدد المناظر واختلاف الرؤى مما يحفز صاحب الموهبة الى التطلع والتأمل ويبعث فى جوانب النفس شعاع الالهام.

فمكة أشهر مدن الحجاز لاتخاذها محجا يؤمه الناس، ويفدون إليه من كل حدب وصوب لزيارة الكعبة فأصبحت بمرور الزمن مركزا للتجارة لمن يتوافد إليها من الحجاج فى المواسم كل عام.

فطمحت إليها القبائل القوية راغبة فى السلطة، وكانت فى حوزة الحجازيين: بنى إسماعيل وهم سدنة الكعبة، ثم نزح إليها بنو خزاعة من اليمن بعد سيل العرم فى نحو القرن الثانى للميلاد. وتسلطوا عليها واستطاعوا أن يقهروا الحجازيين بما تعودوه من أمور السيادة فى عهد دولتهم باليمن.

ولكن ناموس الاجتماع قضى عليهم، كما قضى على غيرهم فدارت الدائرة بعد عدة أجيال على بنى خزاعة فضعف أمرهم وقوى أمر العدنانية فتفرع منهم «كنانة» وانشعبت قريش من كنانة(١).

■ وقد أجمع المؤرخون على أن قريشا الذين ينحدر من أصلابهم قصى بن كلاب ـ الجد الرابع للرسول عليه الصلاة والسلام، هم من ولد «كنانة» الذى يرجع نسبه إلى عدنان، وينتهى الى إسماعيل عليه السلام.

وإلى ذلك يشير الحديث الشريف: «اختار الله من إسماعيل كنانة، واختار قريشا من كنانة، واختار بنى هاشم من قريش، واختارنى من بنى هاشم فأنا خيار، من خيار، من خيار»(٢).

من أسماء مكة

أم القرى.. وكذلك البلد الأمين.. وبها نطق القرآن الكريم.. ومن العسير أن يحدد الباحث تاريخ إقامتها كما يذهب الى ذلك بعض المعاصرين من الباحثين، وأغلب الظن أن هذه البدايات لتاريخ مكة ترجع الى ألوف خلت من السنين. فواديها قد اتخذ من قبل أن تقام موئلا لراحة رجال القوافل لما كان به من بعض العيون وأن رجال القوافل هؤلاء كانوا يجعلون منها مضارب لخيامهم ـ سواء منهم القادمون من ناحية اليمن قاصدين فلسطين والقادمون من فلسطين متجهين الى اليمن(٣).

مكة شهدت أحداث القرون

فتاريخ مكة موغل فى القدم.. وضعت بصماتها عليها آثار الزمان.. وعايشت ألوانا من الأحداث التاريخية منذ فجر الوجود.

■ فإذا رجعنا الى المصادر القديمة فإننا نجد «أبا على بن رسته» فى كتابه «**الأعلاق النفيسة**» يذكر قوله عز وجل: ﴿***إن أول بيت وُضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا***﴾.

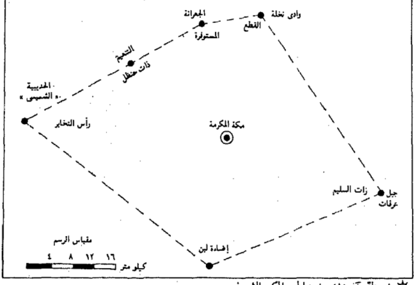
ثم يقول: «وحدّث عن كعب أنه قال: بعث الله الى آدم ملكا فبين له موضع البيت وحدوده وأمره الله ببنائه وهو أول بناء وضع على الأرض».

■■ وحدث عن ابن عباس قال: «كان آدم أول من أسس البيت وصلى فيه»(٤).

■■ وحدث عن ابن عباس قال: «درس موضع البيت فى الطوفان حتى بعث الله ابراهيم واسماعيل فرفعا قواعده وأعلامه، ثم بنته قريش بعد ذلك وكان يأتيه المظلوم والعائذ من أقطار الأرض، ويدعو عنده المكروب فقلّ من دعا هنالك إلا استجيب له، ولم يزل الناس يحجون إلى مكة ويأتون موضع البيت من غير أن يثبتوا موضعه، حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام، لما أراد من عمارة بيته وإظهار دينه وشعائره»(٥).

وهذا يؤكد بعد مكة فى القدم.. ومعاصرتها فجر الحياة.. ومعايشتها كثيرا من أحداث التاريخ.

وكان الوافدون الى البيت الحرام من مختلف الملل والنحل مسلمين ومشركين يجتمعون بمكة وقد اختلفت أديانهم فيعظمونها ويعرفون حرمتها ومكانتها من الله عز وجل ومن ذلك ما كان من دعاء وفد عاد حين جهزهم قومهم الى مكة ليستسقوا لهم حين قحطوا(٦).



☆ خريطة رقم (١) حدود الحرم المكى الشريف.



■ ولعل فى ذلك إضافة وردا لما ذهب إليه صاحب كتاب «حياة محمد» من تعذر تحديد إقامة مكة - وإن كان قد سلك فى تعبيره مسلك الاحتياط والتحفظ فأرجع تاريخها الى ألوف من السنين مضت فى موكب الزمان.

والحقيقة أن مكة كانت تعج بأحداث التاريخ الخطيرة التى انعقد الاجماع على صحتها مثل قصة ابراهيم وإسماعيل التى وقف منها بعض المؤرخين موقف المعارضة والجدل - سواء فى تفاصيلها من هرولة «هاجر» أم إسماعيل بين الصفا والمروة وإتمامها السعي سبعة أشواط.. أو فى جملتها وأساسها.

■ ومن العجيب أن «سير وليم مويـر» ومن داروا فى فلكه من المؤرخين والأدباء العرب والأجانب يقولون بإمكان انتقال جماعة من أبناء ابراهيم وإسماعيل بعد ذلك من فلسطين الى بلاد العرب واتصالهم وإياهم بصلة النسب.

■ وكيف يكون هذا الامكان جائزا عندهم فى شأن أبناء « ابراهيم وإسماعيل» عليهما السلام - غير جائز فى شأن الأبوين بالذات؟.

ولم لا يكون مؤكدا؟ وقد ذكره القرآن الكريم وحدثت به بعض الكتب المقدسة: يقول عز وجل: ﴿*إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات، مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا*﴾.. ويقول: ﴿*وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واتخذوا من مقام ابراهيم مُصَلّى وعهدنا الى إبراهيم وإسماعيل، أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود*﴾.. ﴿*وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر، قال: ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير*﴾.. ﴿*وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميعُ العليم*﴾.. ﴿*ربنا واجعلنا مُسلمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التوابُ الرحيم*﴾.

■ ولـلتعليق على هذه الآيات المحكمات يجدر بنا أن نقف مع الامام أبى القاسم الزمخشرى الخوارزمى فى كتابه الكشاف لنتبين المثابة العالمية لهذا البيت الحرام من قديم الزمان.

أول بيت وضع للناس

يقول الامام الزمخشرى: إن جملة «وضع للناس» صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل، تدل عليه قراءة من قرأ «وضع للناس» بتسمية الفاعل وهو الله عز وجل ومعنى «وضع الله بيتا للناس: أنه جعله متعبدًا لهم - فكأنه قال: إن أول متعبد للناس الكعبة.

وعن رسول الله ﴿ﷺ﴾: «أنه سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس. وسئل: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة».

وعن عليّ رضى الله عنه: أن رجلا قال له: أهو أول بيت؟ قال: لا - قد كان قبله بيوت. ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة.. وأول من بناه ابراهيم.. ثم بناه قوم من العرب من قبيلة «جُرْهُم» ثم هدم فبنته العمالقة.. ثم هدم فبناه قريش.

● وعن ابن عباس رضى الله عنه: هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض وكان زبدة بيضاء فدحيت الأرض تحته.

وقيل: هو أول بيت بناه آدم وقيل: لما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك.

■ ومعنى «مباركا» كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره.. وعكف عنده.. وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب. وهو هدى للعالمين: لأنه قبلتهم ومتعبدهم وقوله: «مقام ابراهيم» عطف بيانٍ لقوله: آيات بينات، فكأن مقام ابراهيم بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم من تأثير قدمه فى حجر صلد.

■ ومعنى ﴿*ومن دخله كان آمنا*﴾ هو معنى قوله: ﴿*أولم يروا أنا*

جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام «رب اجعل هذا البلد آمنا - وكان الرجل لو ارتكب كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب.

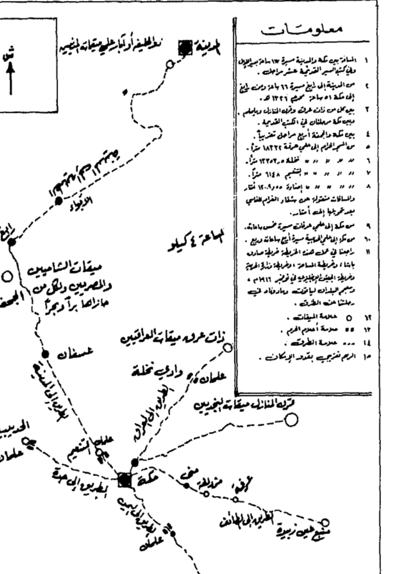
● وعن عمر رضى الله عنه: لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه. وعند أبى حنيفة رضى الله عنه: من لزمه القتل فى الحل بقصاص أو بردة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له - إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل: آمنا من النار.

● وعن النبى ﴿ﷺ﴾ «من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا»(٧).

● والبيت: اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا.. وهو مثابة للناس: أي: مرجع ومباءة للحجاج والعُمّار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أعيانهم أو أمثالهم.

● وعن النبى ﴿ﷺ﴾: انه أخذ بيد عمر فقال: هذا مقام ابراهيم فقال عمر - رضى الله عنه - أفلا نتخذه مصلى؟ يريد: أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطىء قدم ابراهيم؟ فقال: لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت هذه الآية الكريمة ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾.

■ ومعنى «أن طهرا بيتى» طهراه من الأوثان والأنجاس.. وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها.



خريطة رقم (٢) المواقيت واعلام الحرم المكي الشريف، رفعت باشا، مرآة الحرمين ج١ ص ٢٢٦.

أو اخلصاه لهؤلاء العاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده - أى أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين.. ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين - يعنى القائمين فى الصلاة.

(واجعل هذا البلد آمنا). أى ذا أمن، كقوله: عيشة راضية - أى مرضية أو آمنا من فيه(٨).

افتعال وتكلف

■ من هذا الشرح المستفيض الذى يستريح اليه العقل ويستقيم المنطق تبرز قيمة هذا البيت الحرام فى مكة على أنه ليس ملاذ العرب وحدهم وإنما هو ملاذ كل من أسلم وجهه لله خالصا ولم يك من



المشركين. . وعندى أن هذا الموقف المضطرب من «سيرو ليم موير» ومن على شاكلته من المؤرخين سواء كانوا عربا أو غير عرب إنما جاء نتيجة لما دار حول إنكار الشعر الجاهلى.

إن إنكار هجرة بعض القبائل العربية من اليمن الى شمال شبه الجزيرة - أو إنكار شخصياتها بأعيانهم لا يدع وسيلة لاتصال عرب الشمال بعرب الجنوب عن طريق قبيلة «جرهم» التى أصهر فيها إسماعيل عليه السلام واستفاد لغتها العربية.

■ وهكذا يبدو الافتعال والتكلف فى رفض هجرة ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام الى مكة. . كما يبدو الافتعال والتكلف فى إنكار وجود هاتين الشخصيتين التاريخيتين، ولم يستند هؤلاء المفكرون لدليل واحد يقوى من آرائهم - بل أخذوا يبعثرون كلاما يتناثر دخانا فى آفاق الجدل الباهتة ولكنه لا يغض من ألق الحقيقة التى يبدد شعاعها ظلمات البحر اللجى.

■ فالحياة فى مكة قديمة قدم الحياة. . تؤثر فى أحداث المدن المجاورة وتتأثر بها. . وتستقل بخصائص وصفات من وحى المكيين أنفسهم - هذه الحياة الزاخرة كانت قبل «قصى» بأجيال طويلة.

■ أما «قصى» الجد الرابع للنبى عليه الصلاة والسلام فكان أول من أعز قريشا إذ به ظهر فخرها ومجدها وسناها وتقرشها فجمعها وأمكنها مكة. . وكانت قبل متفرقة الدار. قليلة العز. . ذليلة البقاع. . حتى جمع الله ألفتها وأكرم دارها وأعز مثواها.

■ ولما حاز شرف مكة كلها. . وقسمها بين قريش. . واستقامت له الأمور. . ونفى خزاعة. . هدم البيت ثم بناه بنيانا لم يبنه أحد وكان لا يتزوج رجل من قريش ولا يتشاورون فى أمر ما. . ولا يعقدون لواء الحرب. . ولا يختنون غلاما إلا فى دار الندوة.

■ وكانت قريش فى حياته وبعد مماته ترى أمره كالدين المتبع. . وكان لقصى من الولد عبد مناف - وكان يدعى القمر لوضاءة وجهه. . وعبد الدار. . وعبد العزى. . وعبد قصى(٩).

■ وكانت منزلة قريش من سائر قبائل العرب مثل منزلة اللاويين من بنى إسرائيل ولهم مثل امتيازهم - وهى تشبه امتيازات الكهنة فى النصرانية. . وكانوا لا يؤدون إتاوة ولا يتكلفون دفاعا. . يحكمون على الناس ولا يحكم عليهم أحد. . وكانوا يتزوجون من أية قبيلة شاءوا ولا شرط عليهم فى ذلك. . وكانوا لا يزوجون أحدا إلا اشترطوا عليه أن يكون متحمسا لدينهم متشددا فيه - وقد فرضوا فروضا ألزموا الناس باتباعها(١٠)

■ وشيخ القبيلة من خلال هذه الخصائص لابد ان يكون أقواهم عقلا واكثرهم دهاء وسياسة. . فإذا استوى مع غيره فى هذه الصفات اعتبر اكبرهم سنا وأوسعهم جاها. . وإذا اجتمعت عدة قبائل على حرب واحتاجوا إلى من يرأسهم جميعا اقترعوا بين أهل الرياسة فمن خرج سهمه رأسوه كبيرا كان أو صغيرا.

والحكومة عند أهل البادية تجتمع فى شخص القبيلة. . ويعد شيخ القبيلة بمثابة الملك والقاضى. . وصاحب بيت المال. . وقائد الجند.

ذلك كان شأن العرب الرحل. أما الحضر وهم أهل مكة - فقد كانت السيادة فيهم لسادن الكعبة. . ولما أفضت السدانة الى قريش صارت السيادة لهم فى كل شىء.

■ وكانت قريش تجارا لا تعدو تجارتهم مكة إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها ثم يتبايعونها ويبيعونها من حولهم من العرب - وظلوا كذلك فترة من الزمان حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل هناك بقيصر الروم، فكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة ثريد ويجمع من حوله يأكلون وكان هاشم بن عبد مناف من أجمل الناس وأتمهم فذكر ذلك لقيصر فدعابه فلما رآه وكلمه أعجب به فكان يبعث إليه فى كل

يوم فيدخل عليه ويحدثه فلما رأى منزلته عنده قال له: أيها الملك: إن قومى تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لى كتابا تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم.

● فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم فأقبل «هاشم» بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحى من العرب بطريق الشام أخذ منهم «إيلافا» وهو أن يأمنوا عندهم فى أرضهم بغير حلف ـ فهو أمان الطريق فأصلح «هاشم بن عبد مناف» بذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شىء أوتوا به بركة، فخرجوا بتجارة عظيمة.

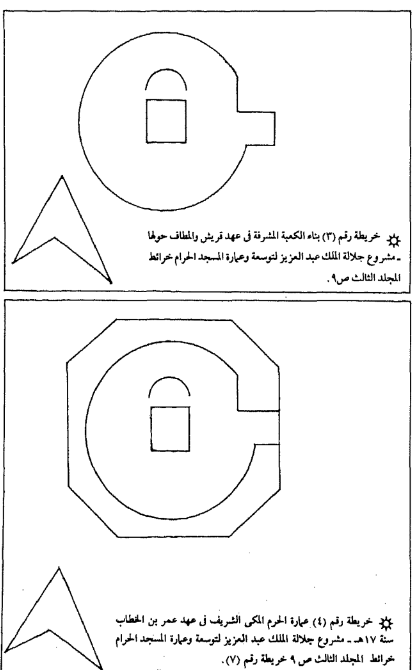
■■ وخرج المطلب بن عبد مناف الى اليمن فأخذ من ملوكهم عهدا لمن تجر إليهم من قريش، وأخذ الايلاف كما فعل «هاشم».

■■ وخرج «عبد شمس بن عبد مناف» الى الحبشة فأخذ إيلافا كما فعل «هاشم والمطلب» وخرج نوفل بن عبد مناف ـ وكان أصغر ولد أبيه ـ فأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش وإيلافا ممن مر به من العرب، ثم قدم مكة ورجع الى العراق حيث مات هناك.

■ واتسعت قريش فى التجارة الجاهلية وكثرت أموالها. . فبنوعبد مناف أعظم قريش فى الجاهلية والاسلام.

■ من هنا ندرك ألوان الصلات والعلاقات التى كانت تتسم بها مكة المكرمة. . وألوان الفكر التى كانت تنتشر بواسطتها فى بقاع جيرانها. . فتبدو متميزة بألوان شتى من تلك الصلات والعلاقات الاجتماعية. . وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الايلاف فقال عز من قائل: ﴿*لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف*﴾.

■■ أمرهم الله عز وجل أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ـ



✡ خريطة رقم (٣) بناء الكعبة المشرفة فى عهد قريش والمطاف حولها ـ مشروع جلالة الملك عبد العزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام خرائط المجلد الثالث ص٩.

✡ خريطة رقم (٤) عمارة الحرم المكى الشريف فى عهد عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ ـ مشروع جلالة الملك عبد العزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام خرائط المجلد الثالث ص ٩ خريطة رقم (٧).



● منذ القدم ومكة المكرمة مكان تقديس، وتعظيم.

● إن أساليب الجدل الباهتة التى أشاعها بعض المستشرقين حول سيدنا ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام لا تعنى غير التكلف والافتعال.

على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة.

■ وقيل: هو متعلق بآخر سورة الفيل ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ .. أى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش.. وهذا بمنزلة التضمين فى الشعر - كما يقول الامام الزمخشرى - وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله لا يصح إلا به وهما فى مصحف «أبى بن كعب» سورة واحدة بلا فصل.

■ والمعنى: أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم.. ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب.. ويحترموهم فضل احترام.. حتى ينتظم لهم الأمن فى رحلتيهم فلا يجترىء أحد عليهم(١١).

أرادوا صرف الأنظار

■ هذه المكانة العالية لمكة فى تاريخها القديم أدت الى إثارة الحفيظة والضغينة فى نفوس جيرانها فأخذوا يفكرون فى الوسيلة التى تسلخها سلخا عن تلك المكانة حيث ينفردون بالسلطان والجاه ويخلو لهم جو السيطرة كما أن مقام البيت الحرام وذيوع صيته وإقبال الناس عليه من كل البقاع والأصقاع - زاد القلوب إيغارا والعقول تفكيرا للخلاص من هذا البيت.

■■ أليس البيت الحرام هو الذى حول عنهم الأنظار وصرف الأسفار؟.. ومنح غيرهم ما كانوا يطمعون وحرمهم ما كانوا يؤملون من الشهرة والذيوع والمجد الرفيع؟.

■ فهاهم أولاء يقيمون معابد فى بلادهم لعلها تصرف الناس عن مكة وعن بيتها المقدس.

■■ فأقام الغساسنة بيتا.. وأقام أبرهة الأشرم بيتا.. فلم يغن ذلك العرب عن بيت مكة - ولا هو صرفهم عن البيت الحرام. وقد عنى أبرهة بزخرفة بيت اليمن غاية العناية.. وجلب له من فاخر الأثاث - ماخيل إليه أنه صارف العرب وصارف أهل مكة أنفسهم عن الكعبة الى بيته هو.

■ فلما رأى العرب لا تتجه إلا الى البيت العتيق.. ورأى أهل اليمن يدعون البيت الذى بناه ولا يعتبرون حجهم مقبولا إلا بمكة - لم يجد عامل النجاشى من حيلة إلا هدم البيت الذى بناه ابراهيم وإسماعيل وتهيأ للحرب فى جيش لجب من الأحباش تقدمه هو على فيل عظيم.

■ ولما قدم أبرهة مكة ليهدم الكعبة تهاربت قريش فى رءوس الجبال، وأشار عبد المطلب على أهل مكة بالاجماع لدفع هذا العدو المغير، فقالت قريش: لا يد لنا به.. وأقام عبد المطلب بالمسجد الحرام وصمم ألا يبرح حرم الله وألا يعوذ بغير الله.

■ وأخذ أصحاب أبرهة إبلا كانت لعبد المطلب، وذهب عبد المطلب إليه فلما استأذن عليه أعظمه أبرهة وجل فى قلبه لما رأى من جماله وكماله ونبله، فقال: سل ما بدالك.

فقال: إبلا لى أخذها أصحابك، فقال: لقد رأيتك فأجللتك، ولكنك ترانى حيث تهدم مكرمتك وشرفك فلم تسألنى الانصراف، وتكلمنى فى إبلك.

فقال عبد المطلب: أنا رب هذه الابل ولهذا البيت الذى زعمت

تريد هدمه رب يمنعك منه فرد الابل إليه وداخله ذعر وهلع شديد من كلام عبد المطلب(١٢).

■ ومهما اختلفت الروايات حول هذه الحادثة فجميعها متفق على ما سبق ذكره من عوامل نفسية أهاجت الأضغان فى قلب أبرهة وأثارت من أحقاده ما جعله يصمم على الانتقام.

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم فى تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول﴾ (١٣).

وإذا كان أبرهة فى القديم قد صمم على الانتقام من البيت العتيق ليحول أنظار الناس عنه فى زمنه ـ وباء بالخسران المبين.. فها نحن أولاء فى هذا العصر نرى أبرهات كثيرين يعتدون على حرمة هذا البيت وقداسته فيبوءون بالخسارة والعار.

■ إن مكة المكرمة والحفاظ عليها لا تقف عند شعب المملكة السعودية وملوكه وحدهم وإنما تتجاوز ذلك لتشمل المسلمين «حكامهم ورؤساءهم وعلماءهم ومفكريهم وسائر شعوبهم».. فأمر بات ضروريا أن يقيموا سياجا منيعا من نفوسهم وأموالهم وأفكارهم يحيط بهذه الاماكن المقدسة.. فيضمنون بقاء الجلال فى بيت المقدس.. وأسرار الصلات بين السماء والأرض فى مكة.. وعطر النبوة الفواح فى المدينة.

الهوامش

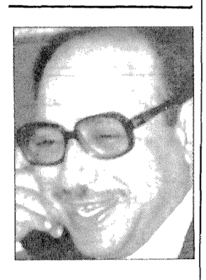
(١) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الاسلامى: ٣٣ ج١. ط دار الهلال بمصر.
(٢) د/ حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى: جـ١: طـ٦ النهضة المصرية: ٤٦
(٣) د/ محمد حسين هيكل: حياة محمد: طـ١٠: دار المعارف بمصر: ١٠١
(٤، ٥، ٦) ابن رسته: الاعلاق النفيسة: ط مدينة ليدن.
(٧) الكشاف: جـ١. ط الحلبى وأولاده: الطبعة الأخيرة ص٤٤٦ وما بعدها.
(٨) المرجع السابق: ٣٠٩ وما بعدها بتصرف.
(٩) انظر كتابى «فى مرآة الشعر الجاهلى» طـ٣ منشأة المعارف بالاسكندرية: ٣٤ وما بعدها.
(١٠) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الاسلامى: ٣٥
(١١) الكشاف: جـ٤: ص٢٨٧
(١٢) تاريخ اليعقوبى: جـ١ ص٢٩٢
(١٣) سورة الفيل وهى خمس آيات.





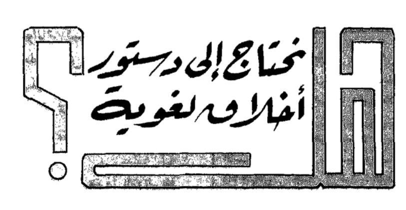
مسائل للمناقشة

بقلم الدكتور:
عبد العزيز شرف



اننا حين نبحث عن «ياقوتة العقد الاخلاقى للكتابة والكتاب» فاننا لا ننشد القيود ولا نسعى الى اغلال تحد من الحرية والحركة والخلق والابداع.

فالالتزام الاخلاقى يضع القوانين التى ينبغى ان يسير بمقتضاها السلوك الانسانى بعامة، والسلوك اللغوى بخاصة، وهذا الالتزام لا يستقيم الا اذا كان الفعل صادرا عن تعقل وحرية واختيار. ويقول «ليفربريل» ليس ثمة عقبة تحول دون اطراد الموضوعية فى البحث الخلقى، وتمنع من اندماج اجزاء جديدة من التجربة فى التصور العقلى للطبيعة واعتبار هذه الاجزاء خاضعة لقوانين ثابتة، وليس علم الاجتماع ـ وعلم الاخلاق فرع منه ـ الا فتحا من فتوحات هذا النوع الجديد من البحث.



اخلاق لغوية.. لماذا؟

ولما كانت اللغة هى قوام إنسانيتنا، واكبر وسيلة نحقق بها شخصيتنا المفردة والجماعية على السواء، وهى الفكر بأوسع معانيه، فان «اخلاقيات» الاستعمال اللغوى لا تحدد للكاتب طريقة تناول كل موضوع يعرض له، ولكنها تهدى الكتاب الى الاتجاه القويم، وتترك حرية التصرف وان قيدتها بما يحفظها من الانحراف، فياقوتة العقد للكتابة والكتاب اذن، تستهدف تزويد الكاتب بمهارة فنية مستنيرة تيسر له ان يضع الفكر فى لفظ دقيق يؤديه، ولا تتجاوز هذه الياقوته ذلك الى بيان الجزئيات والتفاصيل التى يقضتيها كل موقف، فحسب ياقوتة الكتاب ان تحدد لهم الاتجاه العام، وان تدع لهم حرية التصرف وفقا لكل ظرف.

■ فالكاتب هنا ـ اشبه بالحكيم الذى كان يسميه القدماء باسم «الرجل العارف» ويقصدون بالمعرفة هنا «الذوق» فالانسان «العارف» عندهم هو الانسان «المتذوق» الذى يقول عنه «هارتمان» انه المخلوق ذو البصيرة الذى يصح ان نطلق عليه أسم «رائى القيم» ولو أننا فهمنا «الاخلاق» بمعناها الواسع، لقلنا مع الدكتور زكريا ابراهيم: «ان رجل الاخلاق ـ والكاتب هنا ينبغى ان يكون رجل اخلاق ـ هو ذلك الانسان الواعى الذى يتمتع بقوة نفاذة تعينه على تذوق قيم الحياة بكل ما فيها من وفرة وامتلاء وخصوبة، ليس من الضرورى تسمية تلك القوة ـ كما فعل «هارتمان» ـ باسم الملكة الخلقية وانما نكون هنا بازاء حساسية اخلاقية تتفتح لشق ضروب الثراء الكامنة فى الحياة، وتنفذ الى أعماق «القيم» «الباطنة فى الوجود» وليست مهمة فيلسوف الأخلاق اليوم سوى أن يأخذ بيد الكاتب الحديث لمساعدته على استرداد تلك «الحاسة الأخلاقية» حتى يعاود النظر من جديد الى عالم الأشياء والاشخاص بعين نافذة ترى «القيم» وتدرك «المعانى».

■ واللغة ـ هنا ـ هى كل ما

● الالتزام الأخلاقى يضع القوانين التى ينبغى ان يسير بمقتضاها السلوك الانسانى بعامة والسلوك اللغوى بخاصة.

● رجل الأخلاق هو ذلك الانسان الواعى الذى يتمتع بقوة نفاذة تعينه على تذوق قيم الحياة بكل ما فيها من وفرة وامتلاء وخصوبة.

اصطلح المجتمع عليه للابانة من وجدانه العام، ووجدان أفراده، وقوامها الى جانب اللفظ عادات ومراسيم واصطلاحات تعبر عن فعل الجماعة وفكرها ووجدانها.

حيل رئيسية ضد شرف الكلمة

ومع ان اللغة هى التى تفرق بين الانسان والحيوان فانها قد تستعمل بحماقة وخبث عند القلة التى فقدت «شرف الكلمة» واستحدثت اشاعة الغزو الفكرى مستغلة وسائل الاعلام فالكلمة قد تستعمل فى سبيل الخير، ولكنها قد تستعمل ايضا فى سبيل الشر، فمن ألزم الضرورات فى ياقوتة الكتاب: ان تعلم هذه القلة احترام الميثاق الاخلاقى للقلم، من خلال التأكيد على استعمال اللغة كقوة فاعلة للتنوير، وكشف «الحيل» التى تستخدم اللغة بهدف الخداع والتضليل، ونذكر هنا سبع حيل رئيسية يستخدمها هؤلاء فى الارهاب والغزو الفكرى، اكتشفها معهد تحليل الدعاية الامريكى فى سنة ١٩٣٧، وهى:

١ ـ استعمال الفاظ التعميم البراقة لتهويش القارىء، وأخذه على غرة بحيث يتأثر ببريق اللفظ الطنان فيخدعه ذلك عن التفكير او المطالبة بالأدلة والبراهين، فهناك مثلا الفاظ: الصدق، الحرية، والتقدم.. التى تتناثر فى انحاء الجمل والعبارات.

جورجى زيدان

وقد تستعمل العبارات المجازية للتعبير عن موضوعات يريد الداعية الا يظهرها صراحة، فهناك مثلا **«تقصير خطوطنا»** التى استعملت لتغطية مرارة الانسحاب فى حرب فلسطين ١٩٤٨، والنكسة ١٩٦٧م بدلا من «الهزيمة»... الخ. وكانت النازية تروج لعبارة القوة عن طريق اللذة او المتعة «لتغطية جرائم الاباحية والانطلاق بين الشباب».

٢ ـ الوصم او استعمال الفاظ السب والانتقاص من القيمة والكرامة، وذلك للتأثير فى الضحايا، وشل قوة التفكير فيهم، دون تقديم أدلة أو براهين.

٣ ـ خلع المزايا والفضائل على موضوع الدعاية، وذلك عن طريق الربط بينه وبين الشعارات الوطنية والدينية، فيربط الشيوعيون مثلا بين «سياستهم» وكلمة «التقدم».. الخ.

٤ ـ استغلال الشهود: فيقنع الداعية بعض المشاهير بالادلاء بأحاديث او عبارات معينة.

٥ ـ الايهام بالسذاجة والبساطة والشعبية.

٦ ـ العرض المغرض للحقائق، وترتيبها ترتيبا يفيد الداعية.. وتُشبّه هذه الحيلة بالغش الذى يعمد اليه لاعب الورق حين يرتب الاوراق ترتيبا مقصودا يؤدى الى الكسب بالضرورة، وقد علقت صحيفة نيويورك تايمز على هذه الحيلة فى أحد اعدادها الصادرة سنة ١٩٣٦ بقولها: **«ليس الشر فى الدعاية نفسها، وانما فى احتكار الدعاية واستغلالها بحيث تسلسل اوراق اللعب لصالحك، دون اعطاء الفرصة لخصمك كى يراجع التسلسل او يعيد ترتيب الورق»**.

وفى مواجهة هذه الحيلة اخذت قوانين حماية المواطن بضرورة توافر الدليل قبل توجيه الاتهام.. وكشف الاقلام المريضة الرخيصة حين يلجأ اصحابها الى طرق الغش والمبالغة، والرد المغرض، وحذف بعض جوانب الحقيقة وتعمد الكذب، وتطبيق هذه الحيلة فى صحافة الشيوعيين

● الحاسة الأخلاقية عند الكاتب ينبغي ان تُنمَّى لتأكيدها في النفس فهي التي ترى القيم وتدرك المعاني.

● ينبغي احترام الميثاق الأخلاقي للقلم واستعمال اللغة كقوة فاعلة للتنوير.

● أصحاب الاغراض الخاصة والغايات المبيتة المدبرة يستخدمون معطيات اللغة وألفاظها للخداع والإثارة وايقاظ الغرائز.

● الكاتب الحر هو الحكم النزيه في حلبة اللاعبين وهو يحصى الأخطاء بغير تمييز ولا تحامل.. وهو الحارس الأمين لجوهر الفضائل الإنسانية.

والصحافة الصهيونية لا يحتاج الى امثلة لانها واضحة مكشوفة للعيان.

٧ ـ ترتكز هذه الحيلة على عقلية القطيع، فيصور الداعية ما يدعو له بأنه شيء يحدث في جميع انحاء المجتمع، وان الناس مجمعون على صدقه وصوابه.. الخ.

ياقوتة العقد للكتابة والكتاب

فاللغة لا تستعمل للابانة والوضوح والتفكير فحسب، وانما تستعمل كذلك للخداع والاثارة وايقاظ الغرائز، فقد تسمى احدى الجبهات الشيوعية نفسها باسم «لجنة الشعوب للسلام» او اى اسم اخر من هذا القبيل، لأن كلمتى «الشعوب» و«السلام» لهما جرس يوحى بالثقة والخير، وفي روسيا السوفيتية استبدلت كلمة «الدرجة الثالثة» في الملاحة بكلمة «الفئة الثالثة» للايهام بالغاء كل المميزات والفروق الطبقية. ولكن الحقائق هي واقع امرها وماهيتها وليس ما يطلق عليها من اسماء ومسميات او على حد تعبير أحد الشعراء المجهولين:

«ان شكسبير كان محقاً فالاسماء لا تحيل الابيض الى اسود ابدا، ولا الصواب الى خطأ» ومع ذلك فينبغي ان نذكر ان الاسماء قد تؤثر في حياة اولئك الذين نتحدث اليهم إنْ خيرا او إن شرا.

■ واذا كان الكثير من الفلاسفة قد درجوا على تصور «الاخلاق» بصورة العلم المعيارى الذى يحدد لنا السلوك الفاضل او «ما ينبغى أن يكون» فإن من واجبنا ان نضيف الى ذلك ان الاخلاق ايضا فلسفة عملية تفتح امام الانسان «عالم القيم» والحق ان الحياة الخلقية تفرض على الكتاب ان يكونوا «ياقوتة العقد الاجتماعى» في نشر كل ما له دلالة وما ينطوى على قيمة. ولحكيم الأدب العربى قول يعتز به الكُتّاب بمجمله ان الكاتب الحر هو الحكم النزيه في حلبة اللاعبين.. انه هو الذى يحصى الأخطاء بغير تمييز ولا تحامل. وهو الذى يفضح ستر الخارجين على اصول اللعب القويم، وهو الذى ينبه الغافلين الى كل خطر يدنو من قواعد المثل العليا، والكاتب الحر هو الحارس الأمين لجوهر الفضائل الانسانية.

■ وفى تقديرنا ان هذا القول يمثل «ياقوتة العقد للكتابة والكتاب» ان جاز لنا ان نستعير هذا التعبير من صاحب «العقد الفريد» في تراثنا العربى، هذا التراث الذى عنى «بأدب الكاتب» عناية تنبع من مقومات اصالته، ونكتفى هنا بأن نذكر كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة الذى ألفه لمواجهة ظروف تتشابه مع ظروف مجتمعنا العربى اليوم، حيث خشى ابن قتيبة على اللغة ان تنحدر او يقل ادراك الناس لدقائقها ومعرفة الفروق بين مترادفاتها، وقد وصف بعض المستشرقين هذا الكتاب وصفا دقيقا في كلمات موجزة، فقال «البارون ديسلان» انه دليل المعارف الأدبية والنحوية والتاريخية التى لا يستغنى عنها الكاتب الفنى ويقول «جورجى زيدان» انه كتاب يبحث فيما يحتاج اليه الأديب في صناعة الكتابة من الأدب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتاب في أيامه من الخطأ او الوهم في معانى الألفاظ او الاشتقاقات والتراكيب مما نحن في حاجة اليه حتى اليوم.

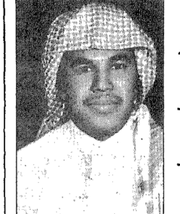


مسائل للمناقشة

بقلم :
فاروق صالح باسلامة

وُجدتْ الفلسفة فى الفكر الانسانى منذ عرف الانسان الخير والشر والجميل والقبيح والحسن والسيىء . وكان ذلك ايذانا للعقلية البشرية بأن تستخدم كافة قواها للبحث عن معرفة سر الحياة .

وقد بحث الفلاسفة منذ القدم عن هذا اللغز وهذه الاحجية . ولم يدخروا جهدا فى سبيل هذا البحث الذى أضناهم كثيرا وكثيرا .



- **اتصلت المعارف والعلوم الانسانية بالحضارات البشرية فى شتى العصور.**
- **الفلسفة بلورة لمناهج الحياة ونظر متعمق فى مضامين الحياة وغاياتها.**
- **الفكر الاسلامى قدم للحياة منهجا متكاملا تقوم على أساسه كل قيم الخير الراكزة فى فطرة الانسان .**

فى ضوء الفكر الإسلامي



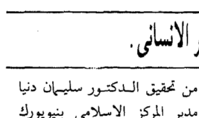
الفلسفة مسألة أم مشكلة !؟

والحق ان هنـاك اشكالا حين الكلام عن سر الحياة فعند المتدينة ان الخـوض فى ذلـك مروق من الدين وعند المتفلسفة ان ذلك دليل حريـة للفكر الانسانى بأن يتأمل ويفكر فى كُنْه الوجود . ولا شك ان هناك وساطة توفق بين الفريقين من أقـرب الطـرق العقليـة والوسائل الفكـريـة نابعة من واقع الانسان وحياته وظروفه واعماله وانشطته فى هذه الحياة . وبعـد ذلـك يكـون الامـر هينـا ومبسطـا عنـد كلا الفريقين الذى يدافع عن رأيه .

وهـذا التوفيق ليس من شأنه اسكات الفريقين وانما من شأنه ان يحقق هدفا نبيلا فى سبيل البحث العلمى للفلسفة بل لمجال الفكر الانسانى بصفة عامة .

● الفلسفة بمعنى السفسطة وكثرة الجدال والنزوع الى اظهار الباطل حقا والحق باطلا، لا مكان لها فى الفكر الاسلامى.

● الفلسفة ذات المرتكزات العقلية السوية الساعية إلى بلورة المنهج السوى هى المبتغاة.



● الفكر الإسلامى يحترم العقل ويعطيه حريته فى التفكير فى حدود الثوابت المنهجية للدين الإسلامى.

● الفلسفة اليونانية جارت على الفكر الانسانى.

فالديانات السماوية ويمثلها الاسلام العظيم أمرت البشر بالتأمل والتفكر فى مخلوقات الله والطبيعة. وهذا أمر يحسب له ألف حساب حيث اتاحت الديانات وقتا للناس لاستخدام عقولهم وما شأن الحياة والمصير الا من هذه المعقولات والمدركات التى لا تعرف بالاحساس بقدر ما تعلم بالتأمل والتدبر فى آيات الله.

ولهذا السبب يخطىء من يظن بقفل باب التفكر والاجتهاد العقلى فى مجالات الحياة الانسانية.

وقد خاض مفكرو الاسلام فى مسألة إبطال الفلسفة مثل الغزالى الذى اسقطها رأسا على عقب وذلك فى كتابه (تهافت الفلاسفة). ويأتى ابن رشد بعد الغزالى بمدة طويلة ويبطل ما قاله الغزالى مطلقا وذلك ما نجده فى كتابه (تهافت التهافت) وكلا الكتابين من تحقيق الدكتور سليمان دنيا مدير المركز الاسلامى بنيويورك سابقا.

■ وقد تراشق الجانبان فى مواضيع فلسفية وإلهية وطبيعية وعلمية وكل ذلك يدل على ما اتاحه الفكر الاسلامى لمفكريه من حرية الدرس والمناظرة والتحقيق.

وأكاد أقرر ـ وهذه خلاصة لقراءتى فى بعض الجوانب الفلسفية ـ ان الفلسفة مشكلة علمية والمشاكل العلمية لها أصول منطقية وامور فكرية وشأن الفلسفة مثل الرياضيات التى تقتضى معادلات وحسابات مضنية على الباحثين فيها لكنه الفكر الانسانى الذى يطمح دوما الى معرفة المستحيل وادراك المجهول يبذل جهده فى معرفة الاسباب والعلل لهذه الحياة.

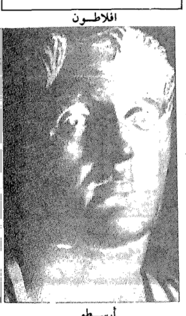
■ ان الفلسفة مجال من مجالات الفكر الانسانى تتيح للعقلية البشرية التأمل والتدبر فى شؤون الحياة وشجون الوجود وأمور الدنيا والمعاش واذا اعتبرنا الفلسفة مشكلة علمية ادركنا لماذا ألّف الدكتور زكريا ابراهيم كتابه (مشكلة الفلسفة) ضمن سلسلة المشكلات



ابن سينا



افلاطون



أرسطو

الفلسفية التى نظم عقدها فى ثمانية كتب مسلسلة(١).

■ وعندئذ يمكننا اعتبارها ايضا جانبا علميا من جوانب العلوم والآداب والفنون التى تسترعى طالب العلم بكل معنى هذه الكلمة حتى يدرك انها جزء لا يتجزأ من الكيان العلمى للانسان. وهذه احدى قضايا الكتاب الذى ألفه الدكتور زكريا ابراهيم عن مشكلة الفلسفة. ولما يربط الفلسفة والعلم من روابط وطيدة كذلك فإن لها روابط أخرى مع الادب والفن والدين كل على حدة الامر الذى يقرر بعلمية وادبية وفنية الفلسفة وان لها علاقة حميمة بهذه المجالات العقلية فى حياة الانسان. ولى أن امثل هنا بالجانب العلمى لها.

■ فللتدليل على علمية الفلسفة علينا معرفة ماهية الفلسفة وعما تبحث.. فلقد فرغ الدارسون من تعريفها وقالوا فى ذلك انها تعنى محبة الحكمة كما جاءت فى لفظتها الاغريقية. وهذا تعريف عام والا فالفلسفة تبحث فى جوهر الحياة كما انها وسيلة لادراك كنه الوجود الكلى والجزئى ومجالها الفكر الانسانى العام.. فالفلسفة بذلك تعد علما من العلوم او فنا من الفنون او أدبا من الآداب. ولعل هذه الجمل قاصرة عن استيعاب المعنى الخاص للفلسفة والمعنى الخاص للفلسفة هو معرفة أصول الفكر الانسانى وادراك جواهر النفس الانسانية وارتباط ذلك كله بالحياة الطبيعية وما وراء الطبيعة والايمان بالغيب ومحاولة استقباله.

وليس هذا التعريف مقتسرا او متعسفا. انه من عدة تعريفات وقد اخترت ذلك استذواقا.

واذا كانت الفلسفة موضوعية علمية، عرفنا صلتها بالانسان وروح الحياة وظواهر الطبيعة والعلاقات المترابطة بين المخلوقات وصلتها بالخالق. ان الفلسفة ما هى الا ادراك لغايات الفكر الانسانى فى الوجود ومعرفة انتعاش الروح البشرية بالحياة فى جميع جوانبها ومجالاتها، واذا ادركنا ذلك ادركنا معنى الفلسفة بسهولة.

■ ***ومن هنا كان التساؤل او السؤال: هل الفلسفة مسألة ام مشكلة؟.***

●● الفلسفة مسألة حياتية فى التفكير الانسانى وهى ضرورة عقلية لحياة الانسان فقد ظهر فى الكون الدليل الذى يدعو الى التأمل الفلسفى فى الوجود وهى داعية من دواعى التفكير الفلسفى فى الحياة. ولنسلم جدلا بحرية الرأى فإن الحرية الفكرية من مستلزمات الفلسفة الانسانية وهذه تجربة عقلية افترضها الفكر الانسانى فى وجوده وحياته.

■ وهنا ينفتح باب التأمل الفكرى للفلسفة الحياتية للانسان حيث يشهد هذا الانسان (الحقيقة) مطلقة خالية من العيوب أو الاوهام. انها سر الحياة وسر الوجود.. وللانسان كما قلنا سابقاً الحق فى التأمل الكونى للمخلوقات والطبيعة وما الدعوة الى معرفة الحقيقة الا من هذا القبيل التأملى للفكر الانسانى فى الحياة وهى لازمة من لوازم الانسان فى عقله وتفكيره.

■ وهنا يجرنا الكلام إلى المعرفة الانسانية فى الوجود الكونى وهذه المعرفة مرتبطة بالتأمل الفلسفى والفكر الفلسفى من عدة وجوه اقربها اليقين الذى عليه عماد المعرفة والعلم فى الوجود والحياة. ومعرفة الانسان لنفسه وما حوله ضرورة فكرية لحياته.. واستمرار الحياة رهين باستمرار المعرفة المؤقتة على أقل تقدير مع عمر الانسان والزمن الذى يعيشه، ومن ثم كان العلم فريضة على الانسان وان وجد الجهل وعدم المعرفة، وان وجد عدم التفكير والبلادة عند آخرين من الناس فى هذا الوجود المتسع. وانجح ما تكون معرفة الانسان فى الحياة حينما يبلغ أوج حضارته وتقدمه الفكرى ومن هنا اتصلت المعارف والعلوم الانسانية بالحضارات البشرية فى شتى العصور لأنها المقياس الحقيقى لرقى العقل والفكر الانسانى.

■ والحضارة نتيجة فلسفية ما فى ذلك شك لأن الفلسفة باب علمى والعلوم تنتج الحضارات وما الحضارات الانسانية والحضارة الاسلامية الا من قبيل الترقى العلمى للشعوب. والفتح الاسلامى تميز بحضارة الاسلام فى ازهى عصوره وان استفاد المسلمون من هذه البلاد المفتوحة استفادة قصوى فالسبيل هو الدعوة الى نشر الاسلام وهذا هو محك الحضارة الاسلامية وخصيصتها الفكرية.

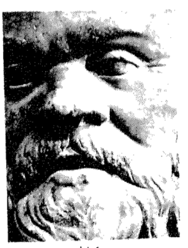
حيث انسجمت الامم فى

عقيدة واحدة ودين واحد وحّدها الاسلام لوجه الله الكريم. . فالحضارة بنت الفلسفة اذا صح التعبير والفلسفة تتبنى الحضارات الانسانية فى موسوعتها العلمية والعقلية والمادية على أن يرقى الانسان بذهنه الى اعلى مستوى من المدارك والمعارف.

■ اذن فالفلسفة مسألة انسانية وقضية كبرى فى حياة الانسان ولابد لهذه الحياة من وعى واستيعاب لحقيقتها وسرها من قبل الفيلسوف، والفيلسوف هو الانسان المفكر الواعى للحقيقة. وهو القادر على وضع سلسلة من الاسئلة لإدراك الاجابة التى تشفى غليله حين التعرف على هذه الحقيقة فى الوجود والحياة، وهل الفلسفة الا سؤال وجواب شاف لمعرفة الحقيقة الكلية فى الحياة والكون؟.

وعلى الرغم من تقديرنا للفلسفة فيكفيها تقديرا ان جُعِلَتْ مدخلا للعلوم والآداب الانسانية فى العصر الحديث خاصة فى المعاهد العليا والجامعات وهذا على المستوى العام لدول العالم وأقطاره. اذن فهى حصيلة علمية الى جانب كونها مسألة او مشكلة من مسائل ومشاكل العلم.

ويصبح لنا مقررا علاقة الفلسفة بالعلوم والآداب كحقيقة فكرية اقتضتها روابط الفكر بالعلم والادب والفن. كما أصبح بديهيا علمية الفلسفة فى أقصى نسبة لها الى العلم والادب الانسانى كما ان روابطها بكل فن من فنون المعرفة استقرت على هذه العلاقات الوطيدة بالفلسفة وسواها من المجالات المعرفية والادراكية والعلمية والادبية والفنية فى الحياة المعنوية للانسان والحياة الفكرية له. الامر الذى يجعلنا متفائلين بانتصار الفكر الانسانى لاحتضانه أسباب الابداع والتفكير من قبل الفلاسفة والمفكرين والحكماء والعلماء فى مجالات العبقرية والنبوغ للاكتشاف والابداع، وهذه قضية فكرية لها رباطها القوى بالفلسفة الانسانية التى يوسعها التفكير الانسانى فى أقصى حدوده للعمل والدأب والسعى بجدية وحرية وانطلاق سريع فى سبيل البناء الكلى لحياة الانسان المادية والمعنوية ولضرورة حتمية تتعلق بأصل الحياة فى الوجود.



سقراط

وهذا امر ينسجم وحقائق الحياة الفكرية للانسان الذى يتحرى كل لحظة لاكتشاف سر من اسرار حياته لكى يشبع غريزته الى المعرفة والاستطلاع وحب التطلع والاستشراف نحو المستقبل.

وبهذا الشكل يستطيع الانسان ان تكون له فلسفة خاصة والفيلسوف الموهوب هو هذا الانسان المدرك لهذه الحقيقة الفكرية وهى معرفة ما يمكن معرفته فى هذا الوجود الكبير.

واذا عرفنا ما هى الفلسفة فى الفكر الانسانى فلنتعرف على صلة الفلسفة بالانسان فهى تنبع من روح الانسان وفكره وهى تسايره طوال حياته لان الانسان صاحب قضايا فى هذه الحياة التى يحياها وهذا المعاش الذى يعيشه، فهو مشدود التفكير نحو ما يساعده على حل العقد فى المشكلات او ربط النفس حين المعضلات فلن يجد هذا الانسان دواء ناجعا مثل ان يتفلسف حتى مع ذاته فحسب لانه بذلك يفكر ويتعقل ويشعر ويتحسس لكى يتعرف على ذاته وموقعها من الحياة. ثم لنسأل ما علاقة الحياة الانسانية بالفلسفة؟ ان الجواب على ذلك يأتى من هذه الصلة الحميمة التى تربط نفس الانسان وروحه بالفلسفة.

فلولا الآلام والمآسى والمكدرات والمكاره فى الحياة لما فكر الانسان فى حل مشكلاته. . وهل الشعور بذلك فى حد ذاته الا نوع من انواع الفلسفة فى نفس الانسان الذى يعبر به عن مشاعره وخواطره فى هذه الحياة؟ ان الفلسفة خير وقاء لمشكلات الحياة العقلية والنفسية وهى الحل الحاسم لمعضلاتها واذ عرفنا ذلك فلنؤكد على ضرورة ان يفكر الانسان دوما فى حياته وهذا يتفق والفكر الدينى فى الاسلام الذى يمثل الديانات السماوية، ففى القرآن الكريم الايات الدالة على التفكر والتدبر والتى تختمها آيات مثل ﴿ان فى

ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ لقوم يعقلون﴾ او ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾. ومن هنا اتفق الفكر الديني مع الفكر الانساني في اعطاء الانسان الحرية الفكرية للتأمل والتدبر في الطبيعة والمخلوقات. ومن هذا العطاء ينبع الايمان بالله وهو الامر الضروري الذي يؤكد مصير الانسان بعد ان يحيا عابدا متأملا متفكرا في خلق السموات والارض.

■ ان الفلسفة قد تجور بفكر الانسان ولكن الانسان بتعقله وتفكره لابد ان يعتصم بالمعقولات والمدركات التي يُجلّيها الدين.

■ لقد جارت الفلسفة اليونانية حين خرجت عن جادة الفكر الانساني بعد سقراط، وحتى ارسطو الذي يعتبرونه زعيم الفلسفة الانسانية له كثير من التفكير الشاذ العاطل الذي بامكانه ان يزعزع الروح الانسانية عن صوابها ورشدها ومع ذلك لم يسلم بعض الفلاسفة المسلمين من التأثر به. ولو ان التأثر كان في الايجابيات لعذرناهم ولكنهم راحوا يتأثرون حتى في الآراء التي لا تنجيهم من اللوم ولا تعذرهم والا فالانسان يتأثر بالانسان ولكن في ما يكسبه حيوية وقوة لا في ما يعطل رأيه او تفكيره ويخرج عن جادة الصواب.

■ وهنا كان الاحسن لفلاسفتنا المسلمين ان لا يُسمّوا بالفلاسفة بل ينبغي ان يدعوا بالمفكرين او الحكماء ففي الاسلام فكر وحكمة وليس فيه فلسفة، والتأمل في



ابن رشد

التراث الاسلامي يظهر صدق ذلك وصوابه ومتى كان المسلمون يتفلسفون بهذا المنطق، اما اذا اخذنا كلمة الفلسفة على انها التفكير والتعقل فهذا لا بأس به.

■ ولهذا لا نستغرب اذا تصفحنا تراثنا الفلسفي ووجدناه ضئيلا. ذلك ان المسلمين اناس مفكرون مؤمنون وهذه هي القاعدة الاساسية في التاريخ الاسلامي فنجد العلماء والفقهاء والقضاة والمفتين أناسا حكماء وليسوا فلاسفة، الامر الذي يجعلنا نجلهم عن التسمية باسماء ما أنزل الله بها من سلطان. اما الحديث عن التفلسف هنا وعرض الفلسفة انما هو بيان لخطر انحراف التفكير الانساني في الحياة وليس انسياقا خلف الاسماء والشعارات وهذا ما يجعلني اتحدث اساسا عن الفلسفة في موضوع مطروح كهذا وأزعم ان الفلسفة كما يتصورها الاغريق انما هي دعوة الى تعطيل الفكر الانساني وشجب الايجابية والتعقل والتأمل في ذهن الانسان. فبدلا من ان نقول الفلسفة الاسلامية خير لنا ان نقول الفكر الاسلامي سواء كان قديما او حديثا. وسنجد ان ذلك تبجيل حق للعلم والفكر والتراث وليس دعوة الى طمسه او بخسه كما قد يتوهم متوهم. ان الفلسفة سلبية والفكر هو التحرر من اسر الاسماء السلبية في هذه الحياة.. حياة العلم والفكر الانسانيين.

■ وهذه الفكرة انما هي تعبير عن الصلة المربوطة بين الحياة الانسانية من جهة وبين الفلسفة ان اخذناها مجازا او بين الانسان من جهة وبين الفكر والعقل والذهن من جهة أخرى ففي ذلك مجال للتعلم والتأمل في قضايا انسانية كثيرة وعديدة تخص الانسان في حياته ومعاشه ومماته. وهذه قضية القضايا في الحياة الفكرية، الامر الذي يهم المجتمع الانساني منذ نشأته وحتى أبد الآبدين لان الانسان يعمل وهو يفكر في مصيره آنيا بين آونة وأخرى.. ومن وقت لآخر حتى اذا انتهى أجله راح في ظهر الغيب لا ينقصه الا ذاك العمل الذي سيستثمره ان خيرا فخير وان شرا فشر. وهذه هي القضية الام في الفلسفة الاسلامية او في الفكر الاسلامي - كما اظن انه احسن في التسمية -

■ وهذا الجزء من حديثي وان كان يتناول المعتقد فانه جزء من التفكير الفارض وجوده في حياة الانسان، حتى الكفرة وان لم يؤمنوا نجد انهم في قرارة انفسهم يفكرون في السر الحياتي.

الهوامش

(١) أسماء هذه الكتب هي:
- مشكلة الحرية - مشكلة الانسان - مشكلة الفن - مشكلة الفلسفة - مشكلة الحب - مشكلة الخلقية - مشكلة الحياة - مشكلة البنية.

وقفة في الشعر



بقلم الفريق :
يحيى عبد الله المعلمى

■ **وماذا يعنى الشعر؟ فالشعر بعيد، بعيد الغور عميق المدى.**

والشعر ديوان العرب سُجِّلتْ فيه فضائلهم ودونت فيه وقائعهم وسطرت فيه أخبارهم وآثارهم وصورت فيه مشاعرهم وعواطفهم.

وقد عرف الأقدمون الشعر وفرقوا بينه وبين النثر المرسل والمسجوع والتزموا فى الشعر بالوزن والقافية فحفظته ذاكرة التاريخ ووعته قلوب الرواة وترنمت به ألسنة الشادين وطربت لسماعه نفوس السامعين.

وخلف من بعدهم خلف ادخلوا فى الشعر ما ليس منه.

عجزوا عن ان يضبطوا الوزن فتخلوا عنه.

وقعدوا عن أن يستحضروا القافية فتحللوا منها.

وقصروا عن أن يبثوا فلجأوا الى التعمية والالغاز وسموها رمزية.

وسبقهم الى تخريب الشعر قوم ضعفوا عن أن يجيدوا قواعد اللغة العربية فارتضوا لهجات عامية عمّ فيها اللحن وشاع فيها الشذوذ وكانوا يظنون لجهلهم وأميتهم أنهم يقرضون شعرا وجاء بعدهم من تشيع لهم مع معرفتهم بما فى (اشعارهم) من لحن وخطأ فى اللغة ولكنهم وجدوا قومهم على أمة فعز عليهم أن ينكروا عليهم والتمسوا لهم العذر ووصفوا هذه (الاشعار) بأنها (شعبية) وأطلقوا عليهم اسم (الشعر الشعبى) وهم يقصدون بذلك التفريق بينها وبين الشعر العربى الصحيح الفصيح.

ونحن معهم نلتمس العذر لأولئك الأميين أو أشباه الأميين الذين لم يتمكنوا من اللغة ولم تستقم ألسنتهم على الاعراب ونقول لهم: شكرا فقد بذلتم جهدكم وسجلتم عواطفكم ودونتم وقائعكم.

■ **ولكنا نتساءل فى دهشة واستغراب عما اذا كان ما يزال لهذا النوع من الازجال الملحونة والأقاويل المغلوطة مجال فى هذا العصر الزاهر الذى شع فيه نور العلم وانتشر فى الآفاق واستضاء به ابناء هذا البلد الطاهر.**

■ هذا العصر الذى تفجرت فيه ينابيع المعرفة فنهل منها كل صاد، وارتوى من دفقها الفياض كل ظامىء الى الثقافة، وعبَّ منها كل راغب فى اكتساب الفضل والأدب.

■ ان اللجوء الى ما يسمى بالشعر الحر (وما هو بشعر ولا حر) انما هو دليل على العجز والتقصير عن الالتزام بما يميز الشعر عن النثر، ولو كان كل كلام مرصوف متناثر شعرا لكان الناس كلهم شعراء.

وان النظم باللهجات العامية فى عصر العلم والمعرفة انما هو اختيار للادنى واستبدال له بالذى هو خير.

■ وقد قال أحد الشعراء:

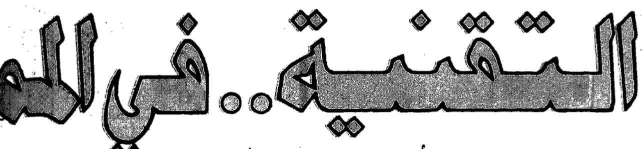
الشعر صعب وطويل سلمه
لا يرتقى فيه الذى لا يعلمه
زلّتْ به الى الحضيض قدمُه
يريد أن يعربه فيُعجمه

■ فمن أوتى موهبة الشعر فعليه ان يقدم شعره منظوما موزونا مقفى فى لغة عربية صحيحة سليمة، ومن عجز عن ذلك فلا يكلف الله نفسا الا وسعها وفى ميدان النثر متسع للقائلين والكاتبين.


التقنية الحديثة ومعطياتها تظل الهاجس لكل الدول المستهلكة لها غير المصنعة . . ويظل يستغرقنا جديدها المتلاحق . . ويبقى السؤال : هل سيظل العالم العربى مستهلكا ام سيتجه نحو البحوث الجادة فى تملك ناصية التقنية ولو بصورة جزئية . . وهذا الحوار واللقاء يمثل محاولة للاجابة على بعض هواجسنا .
المنهل

وحوار د. العذل حول ...

● تطوير الصناعة المحلية - كرافد من الروافد الأساسية لمسيرة التنمية - والاستثمار الأمثل لموارد السعودية الطبيعية تأمينا للأسواق المحلية من ناحية، وتحقيقاً للتنافس فى الأسواق العالمية من ناحية أخرى. والحاجة الماسة الى بناء قاعدة علمية تقنية تخدم احتياجات البحث والتطور. قضايا يطرحها د. العذل فى إطار التقنية فى المملكة العربية السعودية.

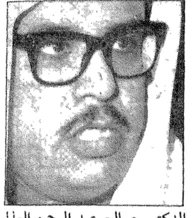




● ابداع تقنيات صناعية جديدة بأيدٍ سعودية هو ما نصبوا اليه.

● إعداد البنية الأساسية فى العلوم والتقنية هو الجزء الأكبر من مجهودات مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

● الاستمرار فى تطوير وتقويم المشاريع القائمة.. وانشاء ودعم المعاهد ومراكز البحوث الوطنية.. من خطط المدينة المستقبلية.



الدكتور صالح عبد الرحمن العذل
رئيس مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية

المنهل:
الصناعة - لا شك - تعد من المرتكزات الاساسية فى عملية التنمية والبحوث العلمية، والمخترعات هى الشريان الذى يحمل للصناعة نبضها.
ترى الى أى حد يمكن ان نحدد توجهاتنا فى هذا المجال؟.

■ الصناعة والزراعة هما توأما الانتاج فى مسيرة التنمية الشاملة، وتطوير الصناعة فى المملكة هو من صميم اهتمامات مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وقد قطعت المملكة شوطا طويلا فى مجال «المظهر التجارى» لنقل التقنيات الصناعية بمعنى ان المملكة بَنَتْ مصانع تمثل قمة التطور فى مجالها، وتستخدم فى تشغيل هذه المصانع أحدث التقنيات عبر اتفاقات ترخيص مع الشركات الاجنبية لاستخدام هذه التقنيات، وهذا تطور طبيعى وسليم بالنسبة لبلد له ظروف المملكة من حيث توفر رؤوس الاموال والمواد الخام وندرة الايدى العاملة الوطنية المؤهلة.

لكن ما نصبو اليه هو ان نستوعب هذه التقنيات ونوطنها، ونحقق القدرة على تطويرها وتحسينها ونبدع تقنيات صناعية جديدة بأيد سعودية. وقد شكل هذا الطموح أحد الاهداف الرئيسية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

■ ان المساهمة المباشرة فى استيعاب التقنيات المستخدمة فى الصناعات المحلية تتمثل فى برامج التدريب المكثفة فى الداخل والخارج والتى تصممها وتنفذها الشركات الوطنية القائمة على هذه الصناعات. غير أن توطين التقنيات الصناعية، والمساهمة فى تطويرها، لا يتأتى الا بإعداد البنية الاساسية فى العلوم والتقنية، وهذا ما يمثل الجزء الأكبر من مجهودات مدينة الملك



عبد العزيز للعلوم والتقنية.

■ فهى مازالت منذ إنشائها عام ١٣٨٩هـ تدعم الأبحاث العلمية التطبيقية فى الجامعات ومعاهد البحوث، ضمن خطط مدروسة تأخذ فى الاعتبار تطوير الصناعة المحلية كرافد من الروافد الأساسية لمسيرة التنمية وتشمل هذه الخطط وضع الاولويات فى برامج الدعم السنوية، كما ان برامج الابتعاث للمدينة مبنية على اساس احتياجات عملية التنمية بمقوماتها المختلفة وفى مقدمتها الصناعية.

■ وقد عمدت المدينة مؤخرا الى البدء فى عملية انشاء معاهد البحوث التطبيقية المتخصصة فى مختلف المجالات المتصلة بمقومات التنمية. ومن المعاهد التى يجرى انشاؤها لممارسة عمليات البحث والتطوير وتوطين التقنية.. معهد بحوث البترول والصناعات البتروكيميائية، ومعهد ابحاث الطاقة، ومعهد ابحاث الالكترونيات الدقيقة.

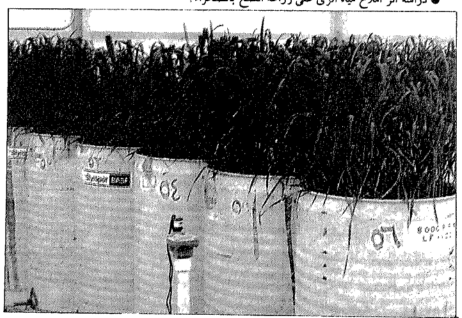
وبانشاء هذه المعاهد ودعمها بالمتخصصين والمعدات سنكون قد وضعنا الاساس السليم لعمليات البحث والتطوير اللازمة لمواكبة النهضة الصناعية التي نمارسها، لكن علينا ان نشير الى اهمية القطاع الخاص فى دعم هذه الجهود والمساهمة فيها، وهذا يأتي من تفاعله مع مراكز البحوث الحكومية واستفادته مما يتوفر لديها من امكانات، وبقيامه بانشاء اجهزة للبحث والتطوير تابعة للصناعات

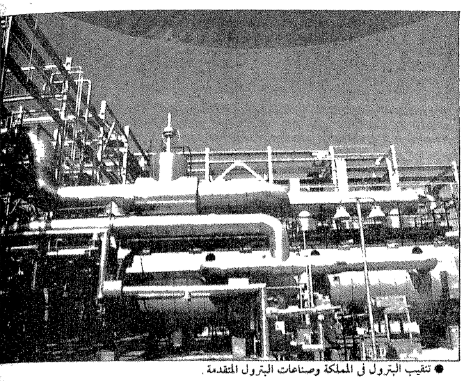
المنهل: ***ما هى نوعية التوجهات الصناعية التى نرغب فى تحقيقها.. وهل لدينا ما يسندها ويقيمها من بحوث علمية ودراسات؟***

■ ان توجهاتنا الصناعية تبنى على أسس رئيسية هى: استثمار المواد الخام المتوفرة محليا، وسد احتياجات الاسواق المحلية بالمنتجات الصناعية الوطنية، والتوسع فى الصناعات التى تستخدم كخامات لصناعاتها مواد مصنعة محليا، وبمعنى أصح التوسع عموديا فى صناعة البتروكيميائيات، ودعم القطاع الصناعى لقطاعات التنمية الاخرى، واهمها قطاع الزراعة الانتاجى، وقطاعات الخدمات من صحة وتعليم وصيانة وغير ذلك.

■ فاذا وعينا هذه الاسس اصبح من الواضح توجهاتنا الصناعية التى تتمثل فى الاستثمار الامثل لمواردنا الطبيعية واهمها النفط آخذين فى الاعتبار تأمين حاجة أسواقنا، ثم تحقيق قدر جيد من التنافسية فى الاسواق العالمية، ولتحقيق ذلك نحن بحاجة ماسة الى بناء قاعدة علمية تقنية تخدم احتياجات البحث والتطوير، ونحن نسير فى طريق تأمين القدرات الوطنية اللازمة للقيام بأعباء البحث والتطوير اللازمة لدعم هذه التوجهات، والطريق امامنا طويل لكن المهم اننا بدأنا المسيرة والحمد لله.

● دراسة أثر أملاح مياه الرى على زراعة القمح بالصحراء.





● تنقيب البترول فى المملكة وصناعات البترول المتقدمة.

المنهل:
مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية تعد الرائدة فى مجالها فى المملكة.. ما هى الامكانات المتوفرة لتحقيق آمال وطموحات الباحثين السعوديين؟.

■ ان أحد أهداف انشاء مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية هو تقديم الدعم للباحثين للقيام بتنفيذ مشاريع بحثية ذات صفه علمية تطبيقية لعرض خدمة خطط التنمية فى المملكة. ويتم ذلك عادة سنويا حيث تقوم المدينة ومن خلال الادارة العامة لبرامج المنح بالاعلان عن البرنامج السنوى، والذى يتم من خلاله قبول تلك المشاريع سواء فى مواضيع تحددها المدينة أو مواضيع بحثية يقدمها الباحثون ذات طبيعة تطبيقية وتخدم الخطط المستهدفة ويتمثل الدعم المقدم للباحثين لتغطية جميع متطلبات البحث من العناصر التالية:

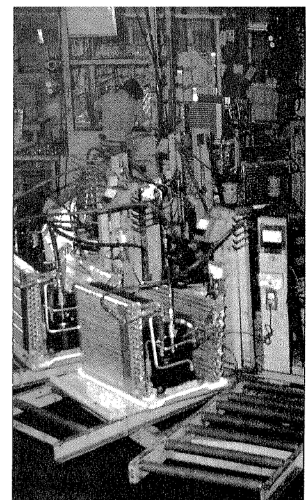
(١) متطلبات العناصر المساعدة للباحثين من فنيى مختبرات وغيرهم.
(٢) متطلبات من الأجهزة والتجهيزات والمواد.
(٣) متطلبات الرحلات الداخلية والخارجية ذات العلاقة بالدراسة.
(٤) متطلبات خدمات الحاسب الآلى.
(٥) توفير الاستشارات اللازمة للباحثين من داخل وخارج المملكة.
(٦) نشر نتائج البحث فى المجلات الدولية.

اضافة الى هذا الدعم المباشر للباحثين، فهناك دعم غير مباشر، يتمثل فى عدة نواح كالمتابعة الفنية لسير العمل فى المشاريع، حيث يتم تقويم العمل خلال فترة تنفيذ المشاريع من قبل متخصصين داخل وخارج المملكة، وهذه العملية اثبتت أنها ناجحة ومفيدة للباحثين، حيث انها تساعد الباحثين على معرفة ما اذا كان هناك قصور فى أداء البحث أو معرفة طرق غير معروفة للباحثين ومن الممكن أن تسهل عملية البحث وتوفر الجهد الكثير عليهم.

ولا يتوقف الدعم للباحثين عند الانتهاء من العمل فى المشروع فحسب، وانما يمتد الى أبعد من ذلك، حيث ان الادارة العامة لبرامج المنح تقوم بتنقيح واعداد التقرير النهائى للمشروع، ويتم طباعته على هيئة كتاب لتعميمه على الجهات المعنية والمستفيدة من نتائج البحث.

■ وتجدر الاشارة الى أن الدعم الذى توفره المدينة بجميع نواحيه للباحثين يضاهى ما يقوم به العالم المتقدم فى هذا المجال، حيث ان المميزات الفريدة من نوعها تسهل للباحثين اجراء ابحاثهم بدون مواجهة مصاعب والتى من الممكن أن تعيق سير العمل فى تلك الأبحاث، كما أن الأمر لا يقتصر على ذلك بل تعدى الى ايجاد نوع من الابحاث المشتركة حسب متطلباتنا مع مراكز ابحاث عالمية متطورة وتهدف من ذلك الى عملية مزج الخبرة العالمية والتى سبقتنا فى هذا المجال بالخبرة السعودية، ولأجل أن يتم تفهم التقنيه الحديثه بالمفهوم الصحيح، ومن ثم يتم تطويعها بما يتناسب مع متطلباتنا وبيئتنا، وهذه العملية بلا شك من أهم متطلبات الباحثين حتى تتم مواكبة العالم.

المنهل:
لا شك أن المدينة قد أنجزت الكثير فى مجال



● مصنع تجميع مكيفات الغرف.

● مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية تقوم بدور هام فى تطوير البحث العلمى وتطويع التقنية وتوجيهها لخدمة أغراض التنــــمية فى المملــــــكة.

توجهاتها ودراستها.. هل نحصل على ما يمكن أن يطلع عليه القارىء لبعض المنجزات؟

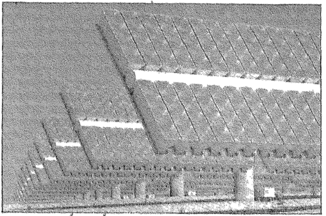
■ انجازات مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية كثيرة ويمكن الاشارة الى بعضها بصورة موجزه فمنها ما يتعلق بدعم برامج البحوث التطبيقية وقد بلغ ما دعم منها حتى البرنامج السنوى التاسع ما يقرب من مائتين وسبعة وثلاثين مشروعا وبحثا بلغت كلفتها ما يربو على مائتين وثمانية ملايين ريال تعالج مختلف المجالات العلمية فى الزراعة، الثروة الحيوانية، الاغذية، الصحة العامة، التعليم، البناء والعمارة، تخطيط المدن، الطاقة، الصناعة، الثروة الطبيعية والمعدنية، النقل والموارد المائية، البترول، البتروكيميائيات، الاتصالات. بالاضافة الى برنامج المنح السنوية هناك مشاريع الابحاث الوطنية التى يتم تدعيمها واجراؤها بناء على طلب المؤسسات الحكومية لحل مشكلة معينة قائمة لدى الجهة وقد قامت المدينة بدعم احد عشر مشروعا بلغت تكلفتها أكثر من ستين مليون ريال.

الاول: دراسة مرض اللشمانيا: تقوم المدينة بدعم مشروع وطنى عن مرض اللشمانيا المنتشر فى المنطقة الشرقية بصفة خاصة وفى بعض مناطق المملكة بشكل عام وتنفذ هذه الدراسة كلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك فيصل بالتعاون مع كلية طب المناطق الحارة - بلندن بالمملكة المتحدة - وقد تم صرف ما يقرب من عشرة ملايين ريال.

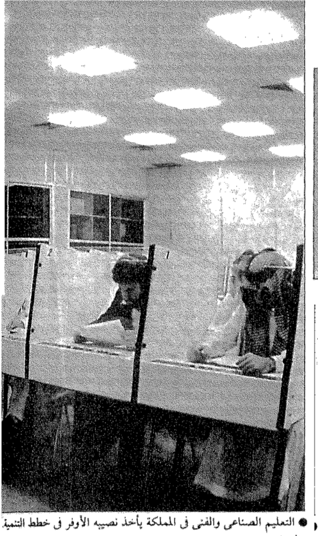
الثانى: سعف النخيل ومخلفات الدواجن: حيث تقدمت جامعة الملك فيصل بهذا المشروع لدراسة امكان استعمال سعف النخيل كمادة غذائية للحيوانات ودعمت المدينة هذه الدراسة بأكثر من سبعة ملايين ريال وقد ساهم فى اجرائها كذلك مركز الابحاث الكورى.

الثالث: مشروع لدراسة امكانية الاستفادة من الموارد الطبيعية فى المملكة لايجاد مواد بناء تتلاءم مع الظروف البيئية المحلية بالتركيز على الاستفادة من عنصر الكبريت: وهو احد نواتج تكرير البترول لدراسة إمكان تكوين خرسانة من تلك المادة مقاومة للرطوبة، ودعمت الدراسة من قبل المدينة بحوالى اربعة ملايين ونصف مليون ريال، وقد ساهم مركز الابحاث الكورى مع جامعة الملك فهد للبترول والمعادن فى اجراء هذا البحث.

الرابع: دراسة الطب الشعبى: بناء على طلب وزارة الصحة باجراء دراسة مستفيضة عن الطب الشعبى فى المملكة دعمت المدينة هذا المشروع بكلفة تقرب من احد عشر مليون ونصف المليون ريال وتنفذ الدراسة جامعة الملك سعود وقد قطعت فيها



● المجمع الشمسي: ويتألف من (١٦٠) مجمعاً شمسياً.



● التعليم الصناعي والفني في المملكة يأخذ نصيبه الأوفر في خطط التنمية.

مرحلة جيدة.

الخامس: دراسة نبات (القات) والآثار المترتبة على تعاطيه: بناء على طلب وزارة الداخلية باجراء دراسة عنه لمعرفة مضاره وأثاره على الانسان حيث دعمت المدينة هذا المشروع الذى تنفذه جامعة الملك سعود بكلفة تبلغ حوالى مليونى ريال.

السادس: تقويم وتحسين كفاءة اداء الحاسب الآلى بالمركز الوطنى للمعلومات بوزارة الداخلية: وتقويم طرق الاتصالات الهاتفية وايجاد الحلول لمشاكل تكرار الخطوط وتطوير اجهزة ادخال واخراج المعلومات باللغة العربية وتقويم اداء ومحاكاة نظام المركز، وقد دعمت المدينة هذه الدراسة بأكثر من مليون ونصف مليون ريال.

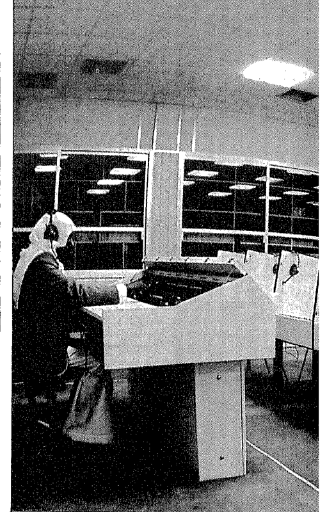
السابع: دراسة ظاهرة تشقق الاسطح الخرسانية فى الجسور بطلب من وزارة المواصلات ونفذت الدراسة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بدعم من المدينة يقدر بمليونين ونصف المليون ريال.

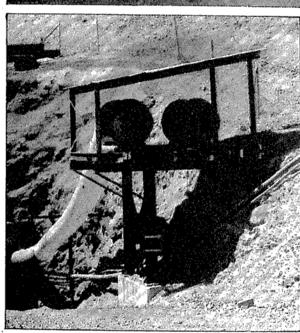
الثامن: المشروع الوطنى للمرور على طرق المملكة بناء على اقتراح من شعبة الخبراء بمجلس الوزراء تم تشكيل لجنة وطنية لسلامة المرور للاشراف على هذه الدراسة التى تشارك فيها جامعتا الملك سعود والملك فهد للبترول والمعادن ووزارة الداخلية ـ الادارة العامة للمرور ـ والهلال الاحمر السعودى، والمشروع يشتمل على مراحل متعددة انتهى منها ثلاث مراحل وشرع فى تنفيذ المرحلة الرابعة وتشتمل كل مرحلة على العديد من الدراسات البحثية ويتم دعم كل مرحلة من مراحل المشروع على حدة لاختلاف كل مرحلة عن الاخرى من حيث الحجم والاهمية.

التاسع: مشروع المسح الغذائى الشامل لسكان المملكة لتقويم الحالة الغذائية والصحية وامراض الاسنان والتعرف على انواع امراض سوء التغذية ومدته ثلاث سنوات وينفذ من قبل جامعة الملك سعود ومستشفى الملك فيصل التخصصى.

العاشر: مشروع دراسة مشاكل تخدد طبقات الرصف الاسفلتية، وتهدف هذه الدراسة الى التقويم التحديدى القاطع لاسباب حدوث التخدد المبكر فى طبقات الرصف الأسفلتية وكذا ايجاد احسن الحلول لمعالجة التخدد فى طبقات الرصف، بالاضافة الى ايجاد الحلول المناسبة لمنع تخدد الطبقات مستقبليا وينفذ من قبل وزارة المواصلات وجامعة الملك سعود وجامعة الملك عبد العزيز وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

الحادى عشر: مشروع التعليم العام ويهدف الى اجراء ثلاثة مشاريع بحثية هى دراسة الموهوبين فى العمل واعداد برنامج اوبرامج تحقق الرعاية لذوى الاستعدادات والقدرات الخاصة،





● المملكة غنية بخيراتها وثرواتها المعدنية المتعددة . . مهد الذهب .

ومشروع للعلوم ، ومشروع للرياضيات فى مراحل التعليم المختلفة ـ الابتدائى والمتوسط والثانوى ـ بنين وبنات للتأكد من ان البرامج مواكبة فى ذلك التطور واحتياجات الفرد والمجتمع مع ملاءمتها لاهداف التعليم .

عدد الأفراد المشمولين بالتأمينات الاجتماعية
(بالمليون)

● الرعاية الطبية والصحية جاء اعدادها وتنظيمها لتصبح شاملة ومتكاملة لتوفى بكل الخدمات اللازمة للمواطنين والوافدين .

وفى مجالات الطاقة الشمسية نجد ان المدينة انجزت ما يلى :

ضمن اتفاقية التعاون المشترك بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الامريكية قامت المدينة بتنفيذ البرنامج المشترك للبحوث والتطوير ، وقد تم تنفيذ عدد من المشاريع منها :

● مشروع القرية الشمسية

ويقع شمال غرب الرياض على بعد ٥٠ كم بالعيينه ويبدأ العمل فيه عام ١٣٩٩هـ . . يهدف ادخال الخدمات الكهربائية فى القرى النائية واجراء تجربة عملية لنظام نموذجى متكامل يعمل بالطاقة الشمسية للاقلال من استعمال الوقود العادى فى توليد الطاقة الكهربائية ودعم بحوث التقنية الشمسية محليا ودوليا .

● مشروع التبريد فى الجامعات السعودية

ويشارك فى تنفيذ هذا المشروع كل من جامعة الملك سعود والملك فهد للبترول والمعادن والملك عبد العزيز والملك فيصل ومختبر ابحاث ولاية اريزونا الامريكيه وقد بدأت التجارب فى هذا المشروع .

● مشروع الزراعة المحمية . . . يهدف الى التقليل من الاعتماد على المياه فى الرى ولاثبات نجاح الزراعة فى بيوت تعمل بالطاقة الشمسية ودراسة امكانية تحلية مياه الآبار المالحة وتم حتى الآن اكمال ثلاثة تصاميم لبيوت زراعية جاهزة للتنفيذ .

● مشروع ابحاث الكهروضوئيات :

يهدف الى دراسة

موضوع الغلاف

● الـدعم الذى توفره المدينة للباحثين يضاهى ما يقوم به العالم المتقدم فى هذا المجال.

● ايجـاد قنـوات للتعـاون العلمى والتقنى مع الهيئات والمؤسسات التى تتجانس أنشطتها ضمن أهداف مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتـــقنية.

طريقة تنظيف العدسات وتأثير الطبقات الخارجية المقاومة للخدوش على اداء العدسات ولتحديد خصائص الاشعاع الشمسى وبيانات الاحوال الجوية ولتطوير برنامج الحاسب الالى للتحليل الاقتصادى وتقويم الاداء واختبار عدة انواع من الخلايا الكهروضوئية وتقويمها.

● **مشروع الانشطة التعليمية**

شارك فى هذا المشروع معظم جامعات المملكة بهدف زيادة عدد المتخصصين بالطاقة الشمسية وتشجيع العلماء والمهندسين.

● **مشروع البحوث الجامعية:**

يهدف لتشجيع البحوث الشمسية فى مراكز البحوث وتقرير المعلومات الاساس عن الطاقة الشمسية واشتركت فيه تسع من الجامعات. الامريكية انجزت عددا من الابحاث.

● **مشروع تصميم لحل مشكلة فساد التمور فى المناطق الرطبة وللتعرف على افضل انواع المجففات الشمسية للمواد الغذائية** ويشارك فى هذه الابحاث هيئة الرى والصرف بالاحساء ـ مركز الابحاث الزراعية.

● **مشروع مسح لطاقة الرياح بالمملكة:**

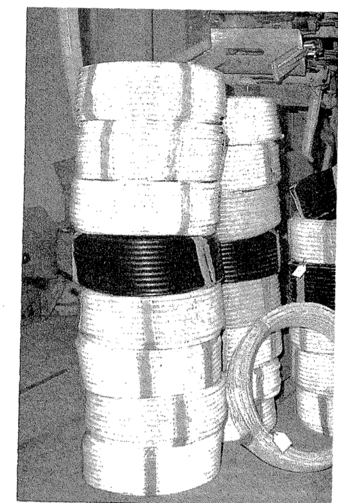
يهدف هذا المشروع الى التعرف على حجم طاقة الرياح فى المملكة وتحديد اهم المواقع لاجراء تجارب ميدانية لاستغلال طاقة الرياح كما يهدف الى تكوين خريطة لطاقة الرياح فى المملكة ويشترك فى هذا المشروع جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

■ كما ان هناك انجازات لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية فى مجالات الطاقة الشمسية تنفذ ضمن اتفاقية التعاون المشترك فيما بين المملكة وحكومة المانيا الاتحادية ومن ذلك:

** مشروع مجمع شمسى مع محرك سيترلينج قدره ٥٠ كيلووات . . بدىء فيه عام ١٤٠١هـ . . لادخال الخدمات الكهربائية الى القرى النائية واختيار تقنية الانظمة الشمسية فى المناطق الريفية ودراسة جدواها الاقتصادية وقد تم بناء مجمعين بالقرية الشمسية بالعيينة.

** مشروع انتاج الهيدروجين بالطاقة الشمسية واستخداماته، ويهدف الى اتمام المتطلبات العلمية والتقنية للانتاج المستقبلى للهيدروجين بالطاقة الشمسية وانجاز البحوث الخاصة بذلك ويشترك فى المشروع جامعتا الملك سعود، والملك فهد للبترول والمعادن بالمملكة، وجامعة شتوجارت الالمانية ومعهد (Dfvlr) للابحاث فى المانيا.

■ بالاضافة الى ما نفذ من اتفاقية التعاون المشترك بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الامريكية وما ينفذ ضمن اتفاقية التعاون المشترك بين المملكة العربية السعودية والمانيا الاتحادية فى مجالات الطاقة الشمسية فان المدينة



● جانب من الصناعات البلاستيكية فى المملكة.

تنفذ من قبلها برامج ذاتية فقد قامت المدينة بالتعاون مع عدد من المصالح الحكومية بتنفيذ العديد من المشاريع فى هذا المجال ومنها:

● مشروع انارة بعض المواقع بالمملكة بالطاقة الشمسية بدىء فيه عام ١٤٠٥هـ.. لاثبات جدوى استخدام الطاقة الشمسية فى اضاءة مواقع هامة على طرق المملكة ووضع علامات ارشادية واضاءة الانفاق البعيدة من مصادر الطاقة العادية، وتشارك فى المشروع وزارة المواصلات وقد تم استلام وتشغيل عدد من تلك المشاريع.

■ انشاء وتشغيل مختبر ابحاث الطاقة الشمسية بالقرية الشمسية السعودية بالعيينه ليخدم اغراضا كثيرة من مجالات الطاقة وتطويرها فى المملكة.

كما ان المدينة تساهم فى اعداد الدراسات الاقتصادية والتقنية للقطاع الحكومي والخاص للوصول الى الحل الامثل فى استغلال واختيار مصدر الطاقة المناسب لاى مشروع. وقد اسهمت المدينة فى وضع المواصفات العربية للمجمعات الشمسية بالتعاون مع الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس.

■ ومن المشاريع التى تم انجازها بالمدينة ايضا ما يلي:

مشروع تربية الأسماك:

انشأت المدينة محطة تجريبية فى (ديراب) بالقرب من مدينة الرياض فى عام ١٤٠١هـ.. لاجراء التجارب وانتاج اليرقات لتوزيعها على المزارعين والمستثمرين وتسويقها فيما بعد بالاضافة الى تزويدهم بالارشادات والتوجيهات التى تتطلبها عملية التربية، ويجرى حاليا ضمن هذا المشروع تربية واكثار نوعين من الاسماك هما البلطى والشبوط كما ان هناك محاولات لتربية واكثار سمك السلور. والهدف الاساسى لهذا المشروع هو تعميم تربية اسماك المياه العذبه لتوفير مصدر اضافى للبروتين الحيوانى فى المناطق البعيدة عن شواطىء المملكة. وهذا المشروع هو احد ثمار التعاون السعودى مع حكومة الصين الوطنية - تايوان.

مشروع المرصد الوطنى الفلكى

تقوم المدينة بالاشراف على الدراسات الفنية اللازمة لاقامة مرصد وطنى فلكى للمملكة وتم اجراء دراسة مسحية شاملة لمناطق المملكة لاختيار موقع مناسب لاقامة مرصد وطنى حسب المواصفات العالمية واسفرت الدراسات المبدئية عن اختيار عدد من المواقع لتجرى عليها الاختبارات اللازمة وتم ربطها بشبكة اتصال لاسلكى واختير أحد تلك المواقع لاقامة المرصد.

المراصد الفلكية القمرية:

قامت المدينة باختيار ثلاثة مواقع لاقامة محطات خاصة برصد الاهلّة للأشهر العربية فى كل من الوجه وحائل وحالة عمار.

مشروع محطة استقبال ومعالجة وتحليل الصور الفضائية

ضمن اتفاقيات التعاون الدولى تتعاون المدينة مع بعض الجهات العلمية فى كل من امريكا وفرنسا لاستخدام علوم الفضاء للاغراض السلمية للحصول على المعلومات عن طريق التوابع (الاقمار الصناعية) الامريكية والفرنسية وقد انشأت المدينة ضمن المشروع الرئيسى لها محطة لاستقبال الصور الفضائية لجمع المعلومات عن الكره الارضية من خلال الصور الفضائية ليتم تحليلها واستخراج البيانات

الخاصة بدراسة الثروات الطبيعية وتخطيط المدن وشبكات الطرق وخلاف ذلك. وقد بلغت تكاليف الانشاء والتجهيزات والتركيب والتدريب للكوادر السعودية ما يقرب من ٤٥ خمسة واربعين مليون دولار امريكى. والواقع ان مشاريع تربية الاسماك والمرصد الوطنى الفلكى والمراصد الفلكية القمرية ومحطة استقبال ومعالجة وتحليل الصور الفضائية تعتبر نواة لعدد من المعاهد والمرافق العلمية التى ستكون باذن الله ميدانا علميا مهيأ للكفاءات ومشجعا للباحثين للوصول بكل يسر وسهولة الى افضل النتائج.



● الخبرات السعودية الشابة تتعامل مع أحدث وسائل الاتصال.

■ وفيما يتعلق بخدمات المعلومات الفنية.. تقوم مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بتقديم خدمات حديثة ومتطورة بحيث يستطيع العلماء والباحثون من خلالها ان يتعرفوا على احدث واسرع الطرق للوصول الى مصادر المعلومات كما انها تؤمن الوثائق التى يحتاج اليها الدارسون وتصلهم فى اى مكان بالمملكة وتشمل هذه الخدمات:

الاتصال المباشر بقواعد المعلومات:

ترتبط المدينة باكثر من ٥٠٠ قاعدة معلومات تحتوى على مادة مسجلة يمكن البحث فيها عن المعلومات المطلوبة وتلقى الرد على الفور بطريق الاتصال المباشر بتلك القواعد فى كل من الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية وبريطانيا.

التزويد بالمطبوعات:

ورغبة منها فى تعزيز خدمة الاتصال المباشر بقواعد المعلومات تقوم المدينة بتزويد الباحثين بنصوص الوثائق والمراجع التى يحتاجون اليها والتى يتم تأمينها اما من داخل المملكة او عن طريق المؤسسات الاجنبية المتخصصة فى بيع المعلومات واضافة الى ذلك هناك مكتبة متقدمة فى المراجع العلمية والتقنية تسعى المدينة الى زيادة مقتنياتها حسب التطور العالمى كما اعدت المكتبة دليلا عن مصادر المعلومات عن الطاقة البديلة، ويصدر عن المكتبة نشرة اسبوعية تشتمل على محتويات الدوريات.

■ وفيما يخص بناء قواعد المعلومات الوطنية.. نظرا لما لها من اهمية كبيرة فى اثراء البحث العلمى فضلا عن ايجاد المعلومات الحديثة والموثقة فقد حققت المدينة خطوات ملموسة ومن تلك القواعد:

★ قاعدة المعلومات البيلوغرافية «اللاتينية» واخرى بالعربية وتحتويان على الوثائق العلمية التقنية.

★ قاعدة معلومات عن القوى العامله فى المجالات العلمية والتقنية فى المملكة.

★ قاعدة معلومات البحوث الجارية.

★ قاعدة معلومات الباحثين.

★ قاعدة معلومات مشاريع الابحاث.

★ قاعدة بالقائمة الموحدة للدوريات الاجنبية فى مكتبات المملكة العربية السعودية.

★ قاعدة محتويات الدوريات المودعة بمكتبة المدينة.

★ البنك الآلى السعودى للمصطلحات العلمية والتقنيه.

شبكة الخليج

تم انشاء هذه الشبكة فى عام ١٤٠٥هـ.. بالتعاون مع احدى

الشركات العالمية المتخصصة ومهمتها ربط الحاسبات الآلية المركزية الموجودة بالمؤسسات الاكاديمية فى دول الخليج العربية لتسهيل عملية تبادل المعلومات بين العلماء والباحثين اذ انه يوجد فى كل دولة حاسب آلى مركزى يرتبط بنقطة الاتصال الرئيسية للشبكة فى مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ويقوم كل حاسب آلى مركزى بتقديم بعض الخدمات الى نقاط الاتصال الاخرى للشبكة وتربط الشبكة فى الوقت الحاضر عشر جامعات ومؤسسات بحثية فى كل من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت. والشبكة من حيث تصميمها وخصائصها الاخرى شبيهة بشبكة (BITNET) الامريكية وشبكة المعلومات الاكاديمية والبحثية الاوربية (EARN) وسيكون لشبكة الخليج ان شاء الله الاثر الكبير فى توفير عناصر البنية الاساسية لتبادل البيانات والمعلومات والرسائل بين العلماء والباحثين عن طريق الاتصال باستخدام الحاسبات الآلية المرتبطة بالشبكة وهى بالاضافة الى ذلك وسيلة سريعة حيث ان المدينة صممت نظام بريد الكترونى لاتاحة نقل صيغ محددة مسبقا بين مراكز اتصال الشبكة، وتقوم المدينة من جانبها بتحقيق الاتصال مع قواعد المعلومات الاجنبية والمحلية ونقل نتائجه وارساله الى المستفيدين عبر الشبكة، وهناك خدمة اخرى تقدمها الشبكة للمستفيدين وهى توزيع نشرة البحوث الجارية اسبوعيا من قبل المدينة على ما يقرب من ستين مشتركاً.

براءة الاختراع:

اما عن براءة الاختراع فقد تم الانتهاء من وضع نظام وطنى خاص بالبراءات ولوائحه التفسيرية لتنظيم حقوق المخترعين وحماية جهودهم وابتكاراتهم ولدفعهم وتشجيعهم للاسهام فى حركة التقدم العلمى والتقنى عن طريق المنافسة المشروعة.

وتقوم المدينة حاليا باستلام الطلبات المقدمه والمتعلقه بالاختراعات استلاما مبدئيا وحفظها وسيتم فحصها من الناحية الشكلية والموضوعية (الفنية) واصدار البراءة فى حالة مطابقتها للشروط اللازمة.

وفيما يخص المشاريع الانشائيه تم اعتماد انشاء مقر رئيسى للمدينة يضم الاسكان والخدمات الاساسية وقد بدىء فى مشروع الاسكان فى جمادى الآخره من عام ١٤٠٤هـ. بكلفة اجمالية قدرها ٤٧٧٫٥٦٤٫٠٧٥ ريال وقد تم الانتهاء من اكثر من ٩٥٪ من المشروع الكلى.

اما الخدمات الاساسية من مياه وكهرباء ومستودعات ومبنى صيانة ومخازن ومبنى للمواد الكيميائية فقد تم الانتهاء مما نسبته ١١٪ من المشروع الكلى الذى تبلغ تكلفته ٢٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال.

المنهل:

ولا شك أن بين يدى المدينة أيضا طموحات وخططا مستقبلية لعملية البحث العلمى والتقنية. هل يمكن أن يستقرىء المنهل بعض خطوطها وملامحها؟

■ خطة المدينة المستقبلية:

أ ـ الاستمرار فى تطوير وتقويم المشاريع القائمة.

ب ـ استكمال وانشاء المعاهد والمراكز التالية:

(١) معهد بحوث الطاقة ويعتبر ما هو قائم حاليا من مشاريع فى مجالات الطاقة الشمسية نواة لهذا المعهد.

(٢) معهد بحوث الموارد الطبيعية والبيئية، وتعتبر محطة التجارب لتربية الاسماك فى المياه العذبة التى اثبتت التجارب نجاح استزراع واستكثار بعض انواع من الاسماك بها، كما يعتبر ما قطعته المدينة من وضع لبنة لما يتعلق بالزلازل والمخاطر الطبيعية نواة لهذا المعهد.

(٣) معهد بحوث الفلك، ويعتبر انشاء المراصد الفلكية القائمة الان واجراء الدراسات الخاصة بها نواة لهذا المعهد.

(٤) معهد بحوث الفضاء ويعتبر انشاء المركز السعودى للاستشعار عن بعد لاستقبال الصور الفضائية وتحليلها نواة لهذا المعهد.

(٥) معهد بحوث الطاقة الذرية، ويقتصر نشاط المملكة العربية السعودية فى مجالات الطاقة الذرية على النواحى والاستعمالات السلمية وما حققته المدينة بالكشف على الواردات من المواد الغذائية وتوعية سكان المملكة بالاخطار الناتجة من الاشعاعات النووية يعتبر نواة لهذا المعهد.

(٦) معهد بحوث الالكترونيات.

(٧) معهد بحوث البترول والصناعات

البتروكيميائية، ويعتبر اقامة مختبر البتروكيميائيات وتجهيزه بالمعدات والاجهزة اللازمة والقيام بدراسات مسحية للصناعات البتروكيميائية وبعض الدراسات الاخرى نواة لهذا المعهد.

(٨) مركز الاجهزة العلمية، الذى سيكون من مهامه تصنيع المعدات والاجهزة العلمية ووضع تصاميمها المناسبة والقيام بأعمال الصيانة والتدريب.

بالاضافة الى انشاء الخدمات المساعدة من اسكان ومبان ومرافق.

ج ـ الاستمرار فى دعم منح البحوث التطبيقية السنوية منها والوطنية.

د ـ تطوير وتقوية الروابط مع مراكز البحوث والمؤسسات العلمية داخليا تحقيقا للتكامل المنشود وخارجيا بالافادة فى المجالات المشتركة.

هـ ـ الوصول الى قدر كبير من الاكتفاء من الخبرات الوطنية.

و ـ التوسع فى نشر مظلة الوعى العلمى فى المملكة العربية السعودية.

المنهل:

عملية بناء المجتمع عملية تكاملية تتناول أطرافها عدة جهات وهيئات حسب تخصصاتها ومجالات أدائها. أى طرف تناولته مدينة الملك عبد العزيز للبحث العلمى والتقنية منها؟.

■ عملية بناء المجتمع عملية تكاملية وترتكز فى جميع جوانبهاعلى سياسة البحث والتطوير ـ وخاصة فى المجالات العلمية والتقنية فى عصر تتنافس فيه كل الدول لامتلاك نواحى العلم والتقنية، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية تقوم بدور هام فى تطوير البحث العلمى وتطويع التقنية وتوجيهها لخدمة أغراض التنمية فى المملكة، وتعمل على اعداد القوى البشرية العلمية التى يقع على عاتقها القيام بمسئولية التطوير، كما تقوم بنشر الوعى العلمى والتقنى بين المواطنين ايمانا منها بأن التنمية لا تعتمد فقط على فئات المختصين والفنيين، بل يجب أن تساهم كل فئات المواطنين فى تأصيل الاتجاهات العلمية والتقنية.

■ وهى فى سبيل ذلك تسعى لتحقيق الأهداف التالية:

(١) اقتراح السياسة الوطنية لتطوير العلوم والتقنية، ووضع الاستراتيجية والخطة اللازمة لتنفيذها.

(٢) التنسيق مع الأجهزة الحكومية والمؤسسات العلمية ومراكز البحوث فى المملكة فى مجال الأبحاث وتبادل المعلومات والخبرات.

(٣) مساعدة القطاع الخاص فى تطوير الابحاث الصناعية والزراعية.

(٤) القيام ببرامج بحوث علمية تطبيقية لخدمة أغراض التنمية بالمملكة.

(٥) تقديم منح للأفراد والمؤسسات العلمية لاجراء بحوث تطبيقية.

(٦) دعم برامج البحوث المشتركة بين المملكة والمؤسسات العلمية الدولية.

(٧) المشاركة فى نقل التقنية وتطويعهاللظروف المحلية.

(٨) إعداد القوى البشرية العلمية عن طريق المنح الدراسية وبرامج التدريب وغيرها.

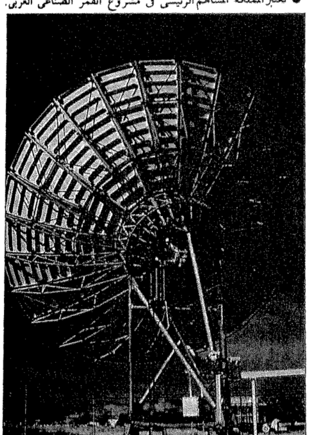
(٩) انشاء مركز للمعلومات يتضمن قواعد للمعلومات العلمية والتقنية الوطنية والمحلية.

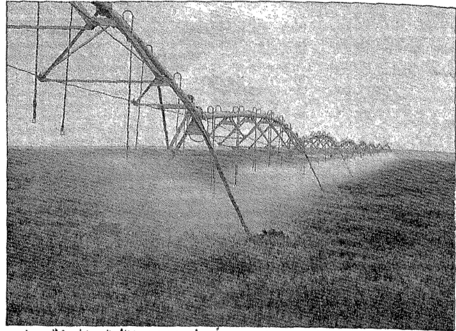
(١٠) نشر الوعى العلمى والتقنى بين المواطنين باستخدام مختلف وسائل الاعلام.

المنهل:

الى أى حد يمكن أن نقول ان المدينة طورت البحث العلمى فى المملكة؟

● تعتبر المملكة المساهم الرئيسى فى مشروع القمر الصناعى العربى.





● رغم العوامل الجغرافية وندرة المياه حققت الزراعة كثيراً من أهدافها باتباعها الأساليب الحديثة للرى وغيره.

■ قبل انشاء مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية عام ١٣٩٧هـ لم يكن هناك مركز وطنى للبحث العلمى على مستوى المملكة، وانما كانت هناك مراكز بحثية كالموجودة فى الجامعات وغيرها، وكان الدعم للمشاريع البحثية يقدم عن طريق الجهات المسؤولة عن تلك المراكز أو عن طريق الجهات الأخرى والتى تعانى من مشاكل معينة يتطلب حلها القيام بأبحاث علمية.

■ وكان التنسيق بين تلك الجهات شبه معدوم، وبعد انشاء المدينة أصبح للبحث العلمى مكانته، وقامت بتطويره وذلك عن طريق التالى:

(١) من خلال الادارة العامة لبرامج المنح قامت المدينة بتدعيم مشاريع بحثية فى عدة مجالات علمية خلال العشر سنوات الماضية، حيث بلغ عدد المشاريع التى تم تدعيمها ٢٥٧ بحثا وبتكلفة قدرها ٢١٩٫١٣١٫٠٧٧ ريال، وتم تنفيذ هذه المشاريع فى جميع مراكز البحوث فى المملكة، اضافة الى هذه المشاريع.. فانه تم تدعيم ١١ مشروعا وطنيا بتكلفة قدرها ٨١٫٤١٣٫٨١٢ ريال.

(٢) انشأت المدينة قاعدة معلومات وطنية هدفها خدمة الباحثين والمستفيدين من جميع ما تم نشره والتوصل اليه من أبحاث علمية وغيرها سواء فى داخل المملكة وخارجها. وتقوم هذه القاعدة بتزويد الباحثين والجهات الحكومية وغيرها بأى معلومات تتعلق باى موضوع، وهذه الميزة فريدة من نوعها ويعتمد الباحثون عليها فى الحصول على جميع الأبحاث والمعلومات التى تمت فى السابق فى مجالات أبحاثهم.

(٣) تتبع المدينة ومن خلال الادارة العامه لبرامج المنح طريقة فريدة من نوعها فى متابعة سير العمل فى المشاريع، سواء أكان فنيا أو ماليا، حيث تقوم بتقييم التقارير الفنية من قبل متخصصين داخل وخارج المملكة، وهذه الطريقة لاقت نجاحا كبيرا، حيث ان بعض الجهات البحثية الأخرى قامت بتطبيقها.

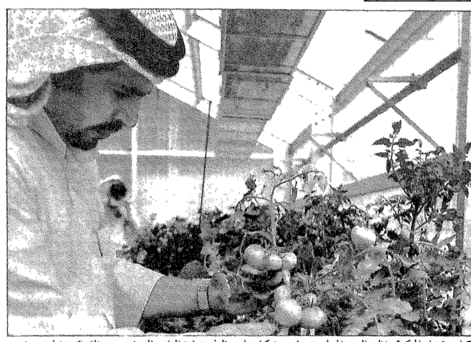
(٤) قامت المدينة بانشاء قاعدة معلومات عن الكفاءات المتواجدة فى جميع التخصصات، سواء العلمية أو الأدبية، وذلك لغرض الاستفادة منها فى الاستشارات العلميه. وقد تم حتى الآن جمع معلومات عما يزيد عن ٤٦٠٠ من المتخصصين، سواء داخل أو خارج المملكة.

■ وهناك أمثلة كثيرة ساعدت على تطوير البحث العلمى فى المملكة، وربما نقول ان من أبرزها هو توفير الأجهزة العلمية اللازمة والمطلوبة لاجراء البحوث ليس فقط لاجراء الابحاث التى يتم تدعيمها عن طريق المدينة، وانما لأبحاث أخرى تنفذ فى الجهات التى تتواجد فيها تلك الأجهزة.

المنهل:

فى مجال التعاون الخارجى مع الجهات المماثلة.. ما طبيعة التعاون بين المدينة ووزارة البحث العلمى فى جمهورية مصر العربية.

■ من ضمن اهداف مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ايجاد قنوات للتعاون العلمى والتقنى مع الهيئات والمؤسسات التى تتجانس انشطتها مع مهام ومسئوليات المدينة.. وفيما يختص بطبيعة التعاون بين المدينة ووزارة الدولة لشئون البحث العلمى فى



● استخدام الميكنة ونظم الرى المتطورة ساعد بشكل ملحوظ فى زيادة الناتج الزراعى من الفواكه والخضروات .

جمهورية مصر العربية من الأمور التى تحرص المدينة على توثيقه لما فيه مصلحة البلدين الشقيقين من خلال اجراء البحوث المشتركة وتبادل زيارات العلماء والخبراء والمختصين فى شتى فروع العلوم والتقنية وكذلك تدريب الكوادر الشابة وتأهيلها لرفع مستوى ادائها وتهيئتها لتولى مناصب ومسئوليات تمليها طبيعة وظروف الاجهزة التى يعملون بها وتطويرها من اجل خدمة الاهداف التنموية .

المنهل: وفى مجال التعاون العلمى الخارجى ايضا .. يسعدنا أن نقف على نقاط موجزة فى ذلك؟

■ تحرص مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية على مواصلة مواكبة أحدث التطورات العلمية والتقنية فى العالم وفى سبيل تحقيق ذلك فهناك عدة اتفاقيات تعاون تم ابرامها بين المدينة والهيئات والمؤسسات العلمية ومراكز البحث العلمى فى دول العالم انطلاقا من دور المدينة للمساهمة فى خدمة الأهداف التنموية فى المملكة العربية السعودية .. فبالاضافة الى مشاركة المدينة فى لجنة التعاون العلمى والتكنولوجى المنبثقة من مجلس التعاون لدول الخليج العربية فانها تسهم فى انشطة وبرامج اللجنة الدائمة للتعاون العلمى والتكنولوجى فى منظمة المؤتمر الاسلامى، كما أن المدينة عضو فى اتحاد مجالس البحث العلمى العربية .. ومن أجل نقل وتطويع التقنية واستيعابها فى مختلف المجالات فقد عقدت المدينة عدة اتفاقيات تعاون علمى وتقنى نورد فيما يلى بعضا منها :

(١) اتفاقية التعاون مع الولايات المتحدة الامريكية :

أ ـ اتفاقية مع وزارة الطاقة فى مجال الطاقة الشمسية .

ب ـ اتفاقية مع المؤسسة الوطنية للتعاون فى مجال العلوم والتقنية .

ج ـ اتفاقية مع ادارة المحيطات والاجواء الوطنية (نوا) فى مجال الاستشعار عن بعد .

د ـ اتفاقية مع ادارة الفضاء والملاحة الجوية (ناسا) فى مجال الفضاء وعلومه وتقنيته .

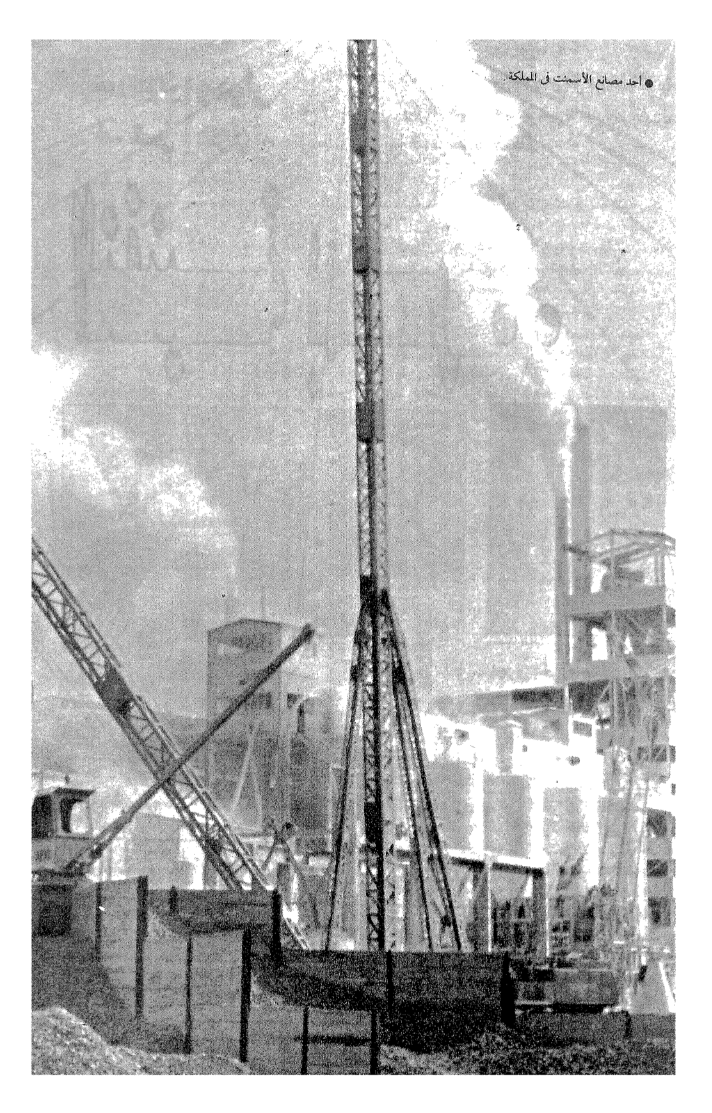
(٢) اتفاقية التعاون مع جمهورية الصين الوطنية فى مجال تربية الاسماك فى المياه العذبة .

(٣) اتفاقية التعاون مع مجلس البحوث العلمية فى كندا فى مجال الرصد الفلكى .

(٤) اتفاقية التعاون مع جمهورية المانيا الاتحادية فى مشروعات البحوث والتطوير فى مجالات المجمع الشمسى الغشائى، وتعريب المصطلحات الفنية والخريطة النباتية للمملكة .

(٥) اتفاقية التعاون مع المعهد العالى الكورى للعلوم والتكنولوجيا فى كوريا الجنوبية لتطوير مواد للبناء باستخدام الموارد المتوافرة فى المملكة واستخدام المنتجات الزراعية الثانوية كعلف للماشية .

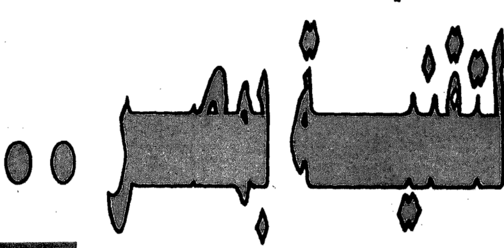
■ فى مجال تبادل المعلومات بين الباحثين والعلماء ونشر نتاجهم العلمى المبتكر فقد اشتركت المدينة فى العديد من المجلات العلمية المتخصصة والدوريات الواسعة الانتشار فى الاوساط والمجالات العلمية المختلفة .

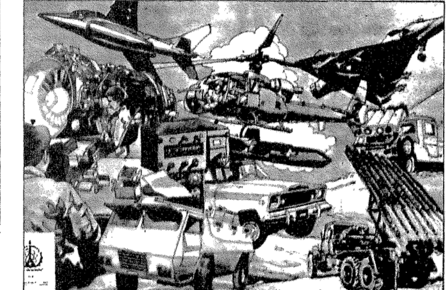


● أحد مصانع الأسمنت في المملكة.

موضوع الغلاف | وحوار د. عز حول...

« التقنية » أصبحت فى عالمنا اليوم وبحكم مجريات التقدم العلمى الهائل ضرورة ملحة لكل دولة تتطلع الى مستقبل أفضل.. وبكل هذه الطموحات أخذت مصر بسبيل هذا الدفع العلمى وقطعت به شوطاً بعيداً.. وفى هذا الحوار نقف على بعض هذه الطموحات.





● الهيئة العربية للتصنيع فى مصر استوعبت فى صناعاتها الكثير من أساليب التقدم التقنى الحديث.

اجرى الحوار/ عاطف أباظة

الدكتور عادل عبد الحميد عز وزير البحث العلمى فى مصر يقول:

■ فى مصر كمٌ كبير وفاعل من العلماء فى جميع فروع العلم والمعرفة.

■ نرحب بأى تعاون مع اى دولة عربية فى مجال البحث العلمى.

■ على كل دولة عربية ان تعتبر مراكز البحث العلمى فى مصر دائما فى خدمة قضاياها المختلفة.

المنهل:
سيادة الدكتور الوزير انفقت مصر اموالا طائلة على بيوت الخبرة الاجنبية لحل مشاكلنا الداخلية مثل مشروعات الصرف الصحى.. الى متى نظل على هذا الحال ولدينا العلماء الذين لا يقلون فى عملهم وخبرتهم عن الاجانب؟.

■ انا مؤمن مثلك تماما بان مصر لديها رصيد هائل من العلماء والخبراء ولو ازلنا المعوقات والمشكلات التى تواجههم لأمكن تكوين مجموعات عمل تستطيع ان تصنع المعجزات . . انني متفق معك مائة فى المائة بضرورة الاستعانة بالخبرات الوطنية المنتشرة فى مراكز البحوث . . ومهمتي كوزير للبحث العلمي ان اساعد علماء المراكز العلمية بازالة المعوقات وتسهيل أعمالها - وفى ظل مفهوم الادارة بالأهداف يستطيع علماء مصر ان يحققوا الشيء الكثير . . من هذا المنطلق يتضح ان الالتزام الواضح والصريح هو ضرورة الاستعانة بمراكز البحث العلمي فى الداخل، ودورى ينحصر فى تذليل العقبات امام الباحثين - واؤكد ايضا . . انني لا استطيع ان اعمل بمفردى انها انا جزء من مجلس الوزراء، وجميع الزملاء لديهم الرغبة الصادقة والاستعداد القوى لضرورة الاستعانة بمراكز البحوث . . وانا اعتبر نفسي همزة الوصل بين مجلس الوزراء والعلماء .

المنهل :
دكتور : ما هى حدود الامكانات المتوفرة لتحقيق أمال العلماء والجماهير من وزارة البحث العلمي؟ .

■ عندما توليت العمل فى الوزارة كأستاذ وجلست مع زملائي الاساتذة والعلماء فى كافة فروع التخصص قمت بزيارة الكثير من مراكز البحث العلمي . ويكفي ان اشير فى هذا المجال ان لدينا اكاديمية البحث العلمي . . لدينا المركز القومي للبحوث . . معهد البحار والمصائد . . معهد بحوث البترول . . المعهد القومي للبحوث الفلكية والفيزيقية . . معهد بحوث وتطوير الفلزات «تبدور بلهارس» بالطبع فانه من المعروف مدى التأثير السلبي للبلهارسيا على الاقتصاد المصرى . كذلك لدينا المعهد القومي للمعايرة - وما له من اهمية فى الرقابة على الانتاج . . كما يوجد لدينا معهد الرمد ومركز الاستشعار عن بعد - ثم الشبكة القومية للمعلومات ومركز الاجهزة العلمية - كل ذلك بالاضافة الى المجالس النوعية المختلفة والموجودة فى اكاديمية البحث العلمي - كل هذه المراكز تعتبر قوة ضاربة من العلماء المتخصصين فى جميع فروع العلم والمعرفة التى تقدم العطاء بلا حساب .

المنهل :
دكتور عادل : ما هى مهمتكم فى وزارة البحث العلمي؟ .

■ مهمتنا فى وزارة البحث العلمي ان ننقل هذه البحوث التطبيقية الى مواقع الانتاج والخدمات - وفى هذه الحالة سيشعر الناس بمدى اهمية الوزارة لأن المواطن العادى فى النهاية يهمه ان يقول ان احد مراكز البحث العلمي قد نجح فى تطوير صناعة . واستطاع ان يرتفع بمستوى الانتاج مع انخفاض فى مستوى التكلفة . ان هذه العملية سينعكس اثرها على المستهلك فى مصر والعالم العربي . . وينعكس ايضا على القدرة التصورية للخارج . . وعلى المنافسة مع الصناعات العالمية . . والامل يتركز فى ايدى العلماء انفسهم .

المنهل :
ما هى انجازات وزارة البحث العلمي فى الفترة الماضية؟

■ يقول وزير البحث العلمي المصرى - الانجازات والحمد لله كثيرة منها : عقد اول مؤتمر علمي عربي مصرى حضره وفود من جميع الدول العربية تقريبا .

★ وبالنسبة لمصر ففى مجال الزراعة : قام المركز القومي للبحوث ومركز البحوث الزراعية بعمل الدراسات والبحوث فى مجال الاراضي واستغلال المياه، وزيادة انتاجية المحاصيل الحقلية والبستانية، وزيادة بعض المحاصيل الهامة واثر

« د. عادل عز »

- ولد فى ١٩٣٢/١٢/١م بالزقازيق محافظة الشرقية .
- حصل على بكالوريوس تجارة القاهرة وماجستير فى المحاسبة . . ودرس الحقوق للصف الثالث ثم بعد ذلك سافر فى بعثة علمية بالخارج . . حصل على الدكتوراه من جامعة سان جال بسويسرا .
- درس الرياضيات والاحصاء والادارة والاقتصاد والتأمين .
- عمل مستشاراً لبعض الوزارات .
- عضو مجلس ادارة فى بنوك رئيسية وشركات عدة .
- اسس شركة قناة السويس للتأمين ورأس مجلس ادارتها لمدة خمس سنوات .
- عضو اللجنة التى قدمت دراسات عن مشروع هضبة الهرم واللجنة العامة لمجمع الغزل والنسيج .
- رئيس مركز الدراسات الوطنية ورئيس لجنة التأمينات بالحزب الوطني .
- اشرف على حوالى خمسين رسالة ماجستير ودكتوراه . . الف بضعة مراجع علمية .
- عمل مديراً للبحوث الفنية بمؤسسة التأمين . . ومديراً للتأمين الاجبارى . . ومدرسا فاستاذا مساعداً . . فاستاذاً فوكيل كلية التجارة جامعة القاهرة . . فعميداً لكلية التجارة . . فرئيس مجلس ادارة المعهد القومي للتنمية الادارية . . فرئيس اكاديمية السادات للعلوم الادارية . . فوزيراً للبحث العلمي .

موضوع الغلاف:

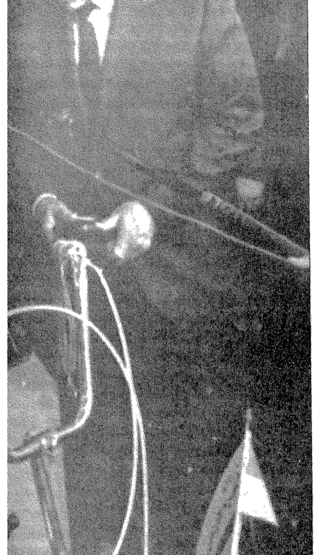
الاشـعـاع على زيـادة انتاجية النباتات الهامة واثر الزراعة المشتركة على زيادة انتـاجيـة الارض - ومنها المشـروع القـومى للذرة والـذى ادى الى زيادة فى انتاجية الفدان الواحد فى المتوسط من ١٣ : ١٥ أردبا وكذلك الفول من ٨ : ١٥ أردبا.

★ **وفى مجال الصناعة :** قام المركز القومى للبحوث واكـاديـمـيـة الـبـحـث العلمى . . ومراكز البحث التابعة لوزارة الصناعة . . بعمـل البحوث فى قطاع الصنـاعـات النسيجيـة والغذائية والكيماوية ومجال الـكـيـمـيـاء التطبيقيـة والـكـيـمـيـاء التحليليـة وصناعة القصب والروائح والعطوروالأغذية المحفوظة .

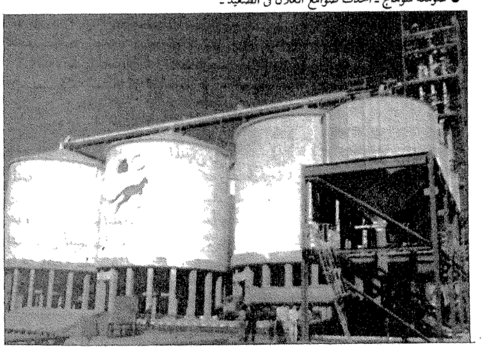
★ **وفى مجال الـصـحـة والبيئة :** قام المركز القومى للبحـوث ومـراكز البحث التـابعـة لوزارة الصحة بعمـل البحـوث فى مجال العلوم الطبية الاساسية . . ومجال جيولوجيا التكاثر . . ومجـال الـرمـد ومـرض البلهارسيا . . ومجال تلوث البيئـة وطب الصناعـات وجـراحة المخ والاعصاب واللقـاحـات والامـراض المـعـديـة . . وفى مجال الـبـتـرول كان للبحـث العلمى دور ايجابى . . قام معهد بحوث البترول وهيئة الطـاقـة الـذريـة والمـركـز القومى لبحوث وتكنولوجيا الاشعاع بعمـل البحوث لتطـويـر صنـاعـة البترول واستكشافه وانتاجه وتطوير صناعة البترول.

★ **وفى مجال الكيماويات :** تم عمل البحـوث فى مجال الطاقة البديلة مثل الطاقـة الشمسيـة وطـاقـة الغـاز الحيـوى - وقـد تم عمـل البحـوث للاستفـادة من تكنولوجيا التشبع فى مجال الاغـراض الطـبـيـة والصنـاعيـة والـزراعيـة ومتـابعـة التقـدم العـالمى لمصادر الاشعاع وتطبيقاتها.

★ **وفى مجال الاسكان :** قام مركـز بحـوث البنـاء بدراسة خواص مواد البناء ومـدى صلاحـيـتـهـا واستحداث مواد البناء من الخـامـات الطـبـيـعـيـة والمـخلفـات الـزراعيـة



● صومعة سوهاج - أحدث صوامع الغلال فى الصعيد -





● الرئيس المصرى مبارك أثناء زيارته لأحد مصانع المصنوعات الخفيفة.

والصناعية وتطوير طرق البناء التقليدية وعمل البحوث الخاصة بالمخططات العمرانية فى التجمعات الحضرية والريفية واجراء البحوث والدراسات.

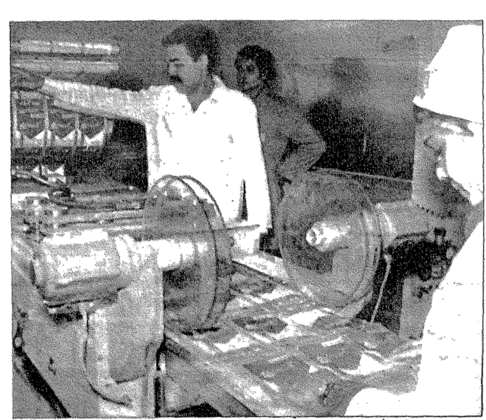
★ **وفى معهد بحوث البترول**: توصل الباحثون الى ان الزيوت المستخدمة فى محركات السيارات الحكومية والتى يتم تغييرها كل ١٥٠٠ كيلومتر وفقا للمعايير التى وضعتها الهيئة العامة للخدمات الحكومية المصرية يمكن استخدامها صيفا وشتاء لمسافة تصل الى اربعة الاف كيلو متر. وفى نفس المعهد تم اجراء بحث عمل فقد كان الاسفلت المستخدم فى تمهيد الطرق الحالية بنسبة خلط ستين الى سبعين فى المائة فقد ثبت ان عمره الفعلى فى ظروف الاستخدام العادى ووفقا للظروف المحلية يتلف بعد مدة لا تزيد على عامين وقام علماء المعهد بتجربة مساحات طولية من شبكة الطرق بنسبة خلط اسفلت ٤٠:٥٠٪ مما يجعله يتحمل نفس الظروف لمدة تزيد على ٦ أضعاف المدة المذكورة.

■ وكذلك استضاف العلماء المصريون والشباب أخاهم امير الفضاء حيث تحدث معهم عن التجربة الرائدة التى قام بها.. كما اشتركت المؤسسات العلمية السعودية فى المؤتمر العربى الاول والذى عقد بالقاهرة حيث شارك من الاخوة السعوديين: الاخ الدكتور عيسى الدباغ ممثلا عن معهد بحوث البترول والمعادن بالظهران.. والدكتور عباس ابو خشبة الاستاذ بجامعة الملك عبد العزيز. ونحن على اتم استعداد للتعاون مع اى جهة علمية سعودية او عربية فى جميع المجالات العلمية السكانية التى ترتكز عليها الخطط العامة.

■ وبالنسبة لتعاون الاخوة العرب فقد تم الاتفاق مع بعض الدول العربية على تبادل الخبرات والمعلومات وكان قبل ذلك قد عقد اول مؤتمر للبحث العلمى فى مصر - واكرر باننا نرحب باى تعاون مع اى جهة عربية ذلك لان الروابط التاريخية التى تربط الامة العربية تجعلها امة واحدة وتجعل التعاون بينها امرا مصيريا تحكمه عوامل شتى ويفيد التعاون فى المجالات العلمية، وهى من افضل المجالات- من هنا فاننا «فى مصر» نرحب باى اسئلة او دراسات تأتى من اشقائنا فى الاقطار العربية وعلى كل دولة عربية ان تعتبر مراكز البحث العلمى الموجودة فى مصر هى حتما فى خدمة قضاياها المختلفة - ونحن على استعداد للقيام باى دراسات يطلبها الاخوة العرب وبالنسبة للاخوة السعوديين فنحن مجتمع العلميين المصرى السعودى معاً فإن السنوات الماضية شهدت تعاونا مكثفا يخدم المجتمع والاوطان ولله الحمد.

المنهل: ما هو مفهوم التكنولوجيا النظيفة وهل جاء الوقت لنسعى لتبنى ادخال التكنولوجيا النظيفة الى عالمنا؟.

■ فى الحقيقة ان التكنولوجيا النظيفة تعنى النطاق الكلى من الاداءات للحد من تبديد المواد الخام والطاقة، ومن



● التغليف الآلى بأحدث ماكينات التغليف.

انبعاث الملوثات الى ابعد حد ممكن ـ ويستلزم ذلك مضاعفة الرقابة مع التحول الى عمليات اقل تبديداً او تلوثا، وهو الامر الذى يتطلب خفض معدلات ادخال المواد الخام والطاقة فى عمليات الانتاج من خلال ترشيد النشاط الاقتصادى بصفة عامة سواء من الناحية الانتاجية او الاستهلاكية ـ والتحكم فى المواد المستخدمة والطاقة لكل وحدة انتاج ـ وذلك بزيادة الكفاءة الفنية فى استخدام المواد والطاقة، وزيادة الكفاءة فى استعادة المواد والطاقة لاعادة تشغيلها وتغيير تصميم المنتجات ومعالجة الفضلات، واختيار زمان ومكان ومعدات توزيع الشحنات، وزيادة طاقات البيئة فى استيعاب الفضلات.. وهنا علينا ان نؤكد حقيقة هامة وهى ان الدخول فى تطبيق التكنولوجيا النظيفة يتطلب استراتيجية جديدة بالتخطيط المتكامل لعملية التطوير الانتاجى.

المنهل:

دكتور: نقوم منذ سنوات عديدة باستيراد التكنولوجيا فما رأيكم؟.

■ هناك العديد من الافراد الذين يتحدثون عن استيراد التكنولوجيا من اوربا واليابان والولايات المتحدة.. وبالطبع اشترينا التكنولوجيا فى صورها المختلفة سواء منفردة فى بعض الاحيان او مجتمعة فى صورة حزمة تكنولوجيا محددة باعتبار انها تحقق عائدا اقتصاديا سريعا.. ولقد نسينا وضع اهداف التكنولوجيا الاجنبية ـ وفى الحقيقة لقد انبهرت بعض منشآتنا الانتاجية والخدمية بما هو معروض فى الاسواق العالمية من ألات ومعدات مبرمجة دون النظر الى توفير القدرات الفنية والادارية بهذه المنشأة لاستيعاب وادارة وصيانة هذه التكنولوجيا وحل المشكلات المرتبطة بها.. ولقد اقتصر دور المورد الاجنبى على توريد وتركيب وتشغيل الآلات والمعدات امام المختصين بهذه المنشآت دون اخذ اى دور فعال فى تنمية القدرات والمهارات التكنولوجية المحلية مما كان له اثر عكسى على العائد من الانتاج اوالخدمة.

■ وقع الاختيار على هذه التكنولوجيات فى بعض الاحيان فى غياب وعى كامل بالمعلومات الفنية وبما تتطلبه من خدمات وموارد وقوى بشرية مدربة، وطاقة وما الى ذلك.. وقع الاختيار على هذه التكنولوجيات فى غياب تنسيق ـ وتكامل بين العاملين من جهات الانتاج والخدمات.. وقع الاختيار فى غياب تقويم موازنة المنافع التى تجنيها وبين زيادة التكاليف التى تتحملها.. وهكذا انسانا انشغالنا باستيراد التكنولوجيا «التى ليست سوى نقطة البداية للانطلاق» عن تطويع التكنولوجيا للظروف المحلية وتطويرها ومحاكاتها لتصبح فى النهاية تكنولوجيا محلية. ولقد وعينا فى مصر عمق هذه المشكلة.

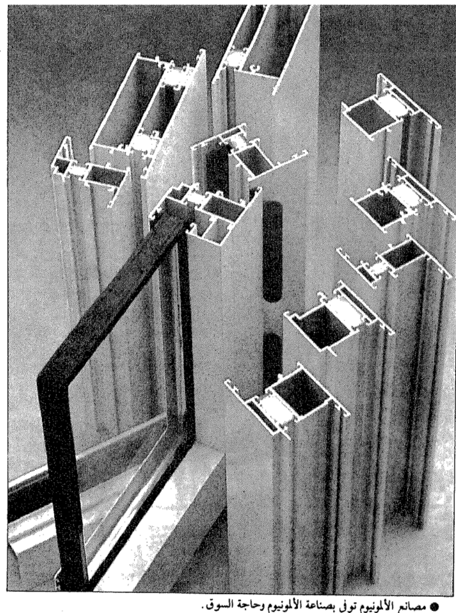
■ ولقد آليت على نفسى منذ توليتى الوزارة ان اعمل على حماية القاعدة العلمية والتكنولوجية المصرية.. وانا ادعو الى عدم استيراد اى تكنولوجيا ما لم نكن بحاجة ماسة لها

ـ مع الوضع فى الاعتبار تطويعها طبقا لاحتياجاتنا وقدراتنا. وكذلك يجب الاهتمام بالدراسات التفصيلية التى تعمل على فرز الخدمات التكنولوجية ـ وعندما اقول (اننا) فانا لا اتحدث عن نفسى ولا عن مصر بل اتحدث عن الامة العربية جمعاء.

المنهل:

دكتور: ما هو دور البحث العلمى فى مشكلة البيئة وكيفية حمايتها من التلوث؟.

■ حقا ان اهتمامنا بالبحث العلمى وضرورة تدعيمه وحمايته وتخليصه من مختلف المشكلات ليس فقط من أجل خدمة الانتاج اذ لابد من توجيه عناية خاصة للبحوث التى تكفل المحافظة على البيئة من اخطار التلوث.. واود هنا ان اؤكد على ان دور الاعلام الجيد ان يُعرِّف المواطن بأبعاد التلوث ومخاطره ودوره فى الحفاظ على البيئة من التلوث ـ اذ ان الجهود التى يمكن بذلها مهما كانت كبيرة وقوية لن يكتب لها النجاح ان لم يتفاعل معها الجميع حتى تعود البيئة نقية ونظيفة.. والخلاصة هى ان تتوافر لدى جميع فئات الجمهور ثقافة علمية بيئية تمكنه من احتلال مكانته فى حماية



● مصانع الألمونيوم توفى بصناعة الألمونيوم وحاجة السوق.

■ معهد البترول المصرى يوفر ٢٥٠٪ من استهلاك الزيوت.

البيئة من ملوثاتها وذلك حتى يتضافر الوعى البيئى مع جهود حماية البيئة وتكون لدينا فى النهاية بيئة جيدة تحافظ على الصحة العامة للمواطن والوطن.

المنهل:

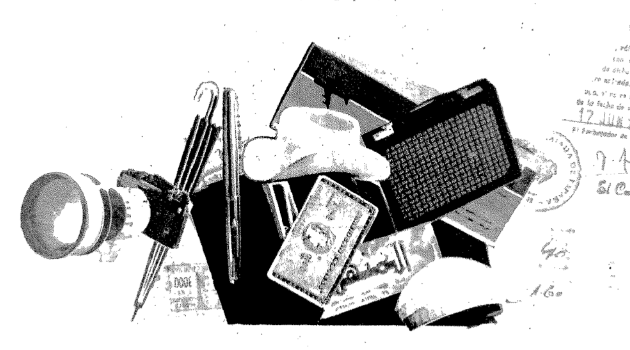
هل هناك تعاون فى مجالات البحث العلمى بين مصر والدول العربية وما هى حدود هذا التعاون؟.

■ يقول الدكتور عادل عز: تم عقد اول مؤتمر علمى عربى فى القاهرة حضره العديد من الاخوة العرب ـ وهناك حقيقة هامة وهى ان الروابط التاريخية التى تربط الامة العربية تجعلها امة واحدة وتجعل التعاون بينها امرا مصيريا تحكمه عوامل شتى ويعد التعاون فى المجالات العلمية من افضل مجالات التعاون.

ومن هنا فاننا فى مصر نرحب باى اسئلة أو دراسات تأتى من اشقائنا فى الاقطار العربية، وعلى كل دولة عربية ان تعتبر ان مراكز البحث العلمى الموجودة فى مصر هى فى خدمة قضاياها المختلفة، ونحن على استعداد للقيام بأى دراسات يطلبها الاشقاء العرب.



تغرب عن الأوطان فى طلب العلا
وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



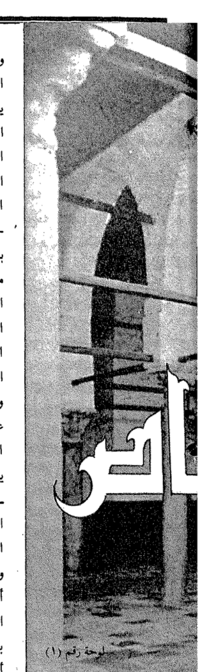
- جامع عمرو بن العاص . . تاريخ وحضارة — عبد الرحمن عبد التواب
- البكيرية . . بين الماضى والحاضر
- أيام وليالى رمضان فى القاهرة — حافظ محمود



اعداد: عبد الرحمن عبد التواب

■ كان انشاء المسجد الجامع تقليدا حرص عليه الخلفاء والولاة منذ صدر الاسلام وقد استنى المسلمون هذا التقليد عن الرسول ﴿ﷺ﴾ فانه لما هاجر من مكة الى يثرب وشرع فى تأسيس الدولة الاسلامية فيها رأى من أول الامر أن يقيم مسجدا للجماعة الاسلامية تقيم فيه شعائرها الدينية وتبحث فيه شئونها العامة فقام ببناء مسجده صلى الله عليه وسلم.

وقد حرص عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين على هذا التقليد فقد طلب من ولاته ـ ومنهم عمرو بن العاص فاتح مصر واول ولاتها ـ أن «يتخذ مسجدا للجماعة وان تتخذ القبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة(١).. وتنفيذا لهذا التوجيه انشئت المساجد الجامعة تباعا فى البصرة والكوفة والفسطاط ومدن الشام والقيروان وقرطبة وغيرها.



■ كانت الدولة الاسلامية تعتبر انشاء العاصمة أو المدينة الجديدة رمزا لسيادة الاسلام السياسية.. كما كانت تعتبر تشييد المسجد الجامع رمزا لسيادة الاسلام الروحية.. وصار هذا ان الرمزان السياسى والروحى جنبا الى جنب على تعاقب العصور والدهور بحيث غدا انشاء الامصار فى البلاد التى يفتحها المسلمون وبناء المساجد الجامعة فى هذه الامصار من مبادىء السياسة العليا للدولة الاسلامية(٢).. ويعتبر جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط(٣) (حى مصر القديمة جنوب القاهرة حاليا) رابع المساجد الجامعة فى الدولة الاسلامية ـ واول هذه المساجد فى مصر وافريقية.. وقد كان جامع عمرو مهد الحركة العلمية العربية فى مصر وشيوخه يشاركون شيوخ دار الهجرة ـ المدينة المنورة ـ فى نشر العلم والاسلام فى المغرب.. وافريقية والاندلس(٤) وينبغى قبل أن نتحدث عن الدور الحضارى الكبير الذى قام به جامع عمرو ان نتناول أولا وبايجاز شديد المسميات المختلفة التى عرف بها.. ثم المراحل المختلفة التى مرت به منذ بدأ انشاؤه على يد عمرو بن العاص وحتى يومنا هذا.

المسميات المختلفة التى اطلقت على جامع عمرو

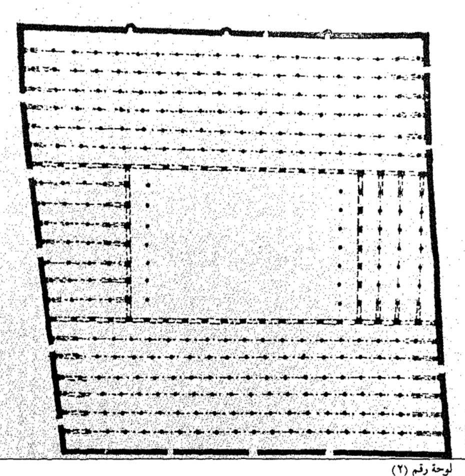
■ عرف هذا المسجد الجامع بعدة مسميات منها مسجد الفتح(٥) وجامع عمرو(٦) والجامع العتيق(٧) وجامع مصر(٨) ومسجد اهل الراية الاعظم(٩) وقد وصف هذا المسجد بانه (تاج الجوامع)(١٠). اما ابن دقماق فقد ذكر انه (امام المساجد ومقدم المعابد، قطب سماء الجوامع ومطلع الانوار اللوامع، عين قلادة البنيان وعقيلة بيوت الملك الديان، موطن اولياء الله وحزبه، ومنزل اشياع الدين وصحبه، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه وواظب على القيام بنواحيه، وتقرب منه الى صدر المحراب وخر لديه راكعا واناب، ومال اليه كل الميل وجنح الى حضرته فى جنح الليل، وصرف همته لاجتناء ثمرة خيره، وادرك فضيلة جماعته التى لا تحصل ابدا فى غيره)(١١)

جامع عمرو عبر مراحل التاريخ المختلفة

■ يحدد جامع عمرو مرحلة هامة فى تاريخ مصر بل فى تاريخ افريقية كلها فهو من جهة اقدم جامع فى افريقية كما سبق القول ـ ومن جهة اخرى يرمز الى تخلص مصر من السيطرة الرومانية البيزنطية وبداية نشأة مصر العربية الاسلامية.. كما يحكى بعمره الطويل تاريخ القومية العربية فى مصر. ومن جهة ثالثة: فهو يمثل اقدم الطرز المعمارية والفنية لبناء المساجد فى مصر الاسلامية، وقد جرى عليه كثير من التعمير والتجديد على طول التاريخ وبقيت به اثار من بعض العمائر التى اجريت به فى العصور المختلفة يمكن فى ضوئها ان ندرس تطور الطرز المعمارية والزخرفية فى مصر الاسلامية(١٢).

وقد تناول عدد كبير من المؤرخين وصف هذا الجامع وذكروا مراحل بنائه المختلفة نذكر منهم ابن عبد الحكم(١٣) والكندى(١٤) وابن دقماق(١٥) والقلقشندى(١٦) والمقريزى(١٧) وابن تغرى بردى(١٨) وابن ظهيرة(١٩) والسيوطى(٢٠) والبكرى(٢١) والجبرتى(٢٢) وعلى مبارك(٢٣).

■ وقد ساهم عدد كبير من الرحالة والجغرافيين المسلمين الذين زاروا مصر فى زيادة معلوماتنا عن جامع عمرو فى الفترة التى



لوحة رقم (٢)

وطئت اقدامهم فيها ارض مصر - نذكر منهم: المقدسى(٢٤) وناصرى خسرو (٢٥) وياقوت الحموى(٢٦) وابن سعيد(٢٧) وابن بطوطة(٢٨) والنابلسى(٢٩) وغيرهم.

■ ونظرا لاهمية هذا المسجد الجامع عكف عدد كبير من علماء الاثار الاجانب والعرب على دراسة عمارته ومعرفة تخطيطه نذكر منهم: كوريت(٣٠) ويرجز(٣١) وهو تكبر وفييت(٣٢) وكريزول(٣٣) ومحمود احمد(٣٤) وحسن عبد الوهاب(٣٥) واحمد فكرى(٣٦) وفريد شافعى(٣٧).

■ والواقع ان جامع عمرو بن العاص بوضعه الحالى لا يشتمل على شىء من الجامع الاصلى الذى بناه عمرو بن العاص غير مساحة الارض التى كان قد بنى عليها، وتقع هذه الساحة المباركة فى النصف الشرقى من ظله القبلة اى على يسار الواقف فى هذه الظلة تجاه المحراب(٣٨) ومهما يكن من امر فان دراسات علماء الاثار التى اعتمدوا فيها على ما جاء فى وصف المؤرخين وبخاصة ابن دقماق والمقريزى واعتمدوا ايضا على الحفائر التى اجريت فى الجامع قد اسفرت عن معرفة تخطيط الجامع وهو على هيئته الاخيرة التى اوصله اليها عبد الله بن طاهر ٢١٢هـ/ ٨٢٧م.. وقد ساعد على ذلك احتفاظ الجامع بنفس حدوده الخارجية التى كان عليها عقب هذه الزيادة. وقد اتضح من هذه الدراسات ان الجامع كان يتكون من صحن اوسط مكشوف تحيط به اربع ظلات اهمها ظلة القبلة، وتتكون من سبع بائكات موازية لجدار المحراب تحصر فيما بينها سبعة اروقة وكانت كل بائكة تتكون من تسعة عشر عقدا تحملها اعمدة رخامية مختلفة الاشكال من ناحية التيجان والابدان والقواعد. اما الظلة الشمالية الغربية فكانت تحتوى على نفس العدد من البائكات والاروقه وكانت الظلة الجنوبية الغربية تتكون من اربع بائكات تتجه عمودية تماما على ظلة القبلة والظلة المقابلة لها.. وكانت كل بائكة تتكون من ثمان عقود اما الظلة الشمالية الشرقية فانها تتكون من سبع بائكات تحصر فيما بينها ثمان اروقة موازية لظلة القبلة والظلة المقابلة لها، وكانت كل بائكة تتكون من اربع عقود - هذا الى جانب وجود رواقين مسقوفين اضافهما الخليفة الحاكم بامر الله فى عام ٤٠٦ هـ/ ١٠١٥م الى كل من الظلتين الجانبتين جهة الصحة(٣٩) (لوحة رقم١).

■ هذا ونلاحظ ان عمارة مراد بك لجامع عمرو بن العاص ١٢١١-١٢١٢هـ/

● عمارة مراد بك لجامع عمرو بن العاص سنة ١٢١١-١٢١٢هـ غيرت معالم الجامع كلها فيما عدا الحدود الخارجية له.

● جامع عمرو بن العاص أقدم الجوامع التى عقدت فيها الحلقات العلمية والأدبية.

١٧٦٦-١٧٦٧م قد غيرت معالم الجامع كلها فيما عدا حدوده الخارجية فلم يراع فيها التصميم الاصلى للجامع، وغيرت ابعاد الظلات والصحن - ذلك ان ظلة القبلة قد صارت تشتمل على ستة صفوف من البائكات بدلا من سبعة، واصبحت عقود هذه البائكات عمودية على جدار المرحاب بعد ان كانت موازية له، وكان من نتيجة ذلك ان صادفت ارجل العقود بعض شبابيك الواجهات فسدتها(٤٠) (لوحات ٣-٦).

■ ويشتمل جامع عمرو حاليا على صحن اوسط مكشوف تحيط به اربع ظلات، تتكون ظلة القبلة فيه من ٢١ بائكة تسير عمودية على جدار المحراب، وتحصر هذه البائكات فيما بنيها ٢٠ رواق، وتتكون كل بائكة من ست عقود مدببة قريبة من حدوة الفرس - ترتكز على خمسة اعمدة رخامية مستديرة فيما عدا بداية العقد من عند الصحن فيوجد عمودان، وفى مؤخرة العقد توجد دعامة ملتصقة بجدار - المحراب وينطبق هذا الوضع على ١٩ بائكة من البائكات. . اما البائكتان الاخريان اللتان بالطرفين الجنوبى والشرقى فلا يعلو الاعمدة الموجودة بها عقود، هذا ونلاحظ ان عقود بائكات الظلة تتجه عمودية على جدار المحراب وليست موازية له كما جرت العادة. . وفى حالة تحقيق هذا الوضع الاخير (اى يعلو الاعمدة عقود موازية لجدار المحراب) تكون ظلة القبلة مكونة من سبع بائكات تحصر فيما بينها ستة اروقة موازية لجدار المحراب - وهو الوضع الذى اثبتته الحفائر ودراسات علماء الآثار وذلك عقب زيادة عبد الله بن طاهر. وقد سبق الحديث عن تخطيط الجامع عقب هذه الزيادة (لوحة ١).

وبصدر ظلة القبلة يوجد محرابان - اما الركن الشرقى منها فيحتوى على ضريح تعلوه قبة ينسب الى عبد الله بن عمرو بن العاص(٤١) (لوحة ٩).

وتوجد فى مقدمة ظلة القبلة مما يلى الصحن دكة المبلغ وهى من الخشب ويصعد اليها بسلم من داخلها. . اما الظلة الشمالية الغربية فتتكون من ثمان بائكات فيما بينها سبعة اروقة تسير موازية لجدار المحراب - فيما عدا البائكات التى تقع امام الابواب الثلاثة الموجودة بواجهة هذه الظلة فنجد ان عقودها تسير عمودية على جدار المحراب. . .

وتتكون الظلة الجنوبية الغربية من تسع بائكات فيما بينها ثمان اروقة تسير موازية لجدار المحراب.

■ اما الظلة الشمالية الشرقية فتتكون من تسع بائكات فيما بينها ثمان اروقة تسير موازية لجدار المحراب. . هذا وتشرف كل من ظلتى القبلة والمقابلة لها على الصحن من خلال بائكة من اثنى عشر عقدا، اما الظلتان الجانبيتان فيشرفان على الصحن من خلال بائكة من ثمان عقود، ويتوسط الصحن قبة مقامة على ثمان اعمدة رخامية مستديرة.

■ هذا ولا يزال يوجد بالجامع مئذنتان احداهما بالركن الجنوبى من الواجهة الجنوبية الشرقية والاخرى تعلو المدخل الذى يوجد على يمين باب الدخول الرئيسى للجامع فى الواجهة الشمالية الغربية.

وعن واجهات الظلات على الصحن والواجهات الخارجية لجامع عمرو انظر: (لوحات ٧-٩).

■ اما عن العناصر الزخرفية بجامع عمرو فيبدو من اقوال المؤرخين والرحالة انه كان يزدان بالعديد من هذه العناصر الا انه لم يتبق منها سوى

● فى عصر الطولونيين والاخشيديين ازدهرت الحركة الفكرية فى جامع عمرو.

● اختص جامع عمرو دون غيره من جوامع مصر باقامة صلاة الجمعة الاخيرة (الجمعة اليتيمة) من شهر رمضان.

عناصر قليلة نذكر منها بعض وسائد خشبية (طبالى) تعلو تيجان الاعمدة فى الركن الايمن من ظلة القبلة ـ وقد تخلفت هذه الوسائد من عمارة عبد الله بن طاهر ٢١٢هـ/٨٢٧م.. ويزين هذه الوسائد زخارف نباتية محفورة قوامها اللفائف الحلزونية واوراق الاكانتس وورقة العنب الخماسية وانصاف المراوح النخيلية.. ونلاحظ انه على الرغم من احتفاظ هذه الزخارف ببعض الملامح الهيلينستية الا انه قد تطرق اليها تحوير وتطوير لم يكونا موجودين فى القرون السابقة ـ ولم تكن تقاليد سامرا الزخرفية قد نمت وتطورت بعد(٤٢) (لوحة ١٠).

■ وقد تخلف من عمارة «الامير سلار» لجامع عمرو بن العاص التى اجريت عقب الزلزال الذى حدث سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م محراب جصى يشتمل على بقايا زخارف بارزة قوامها العقود المقصصة وزخارف الارابيسك والايات القرآنية يقرأ منها (بسم الله الرحمن الرحيم) (لوحة ١١).

وتمثل هذه الزخارف المستوى الرفيع الذى تطورت اليه زخارف الارابيسك فى العصر المملوكى.

دور جامع عمرو بن العاص الحضارى

■ يحتل جامع عمرو بن العاص مكانا بارزا فى تاريخ وحضارة مصر فى العصر الاسلامى فالى جانب كونه اول مسجد جامع اقيم على ارضها كما سبق القول، يعد ايضا أقدم الجوامع التى كانت تعقد فيها الحلقات العلمية والادبية ومن ثم كان جامع عمرو بن العاص ملتقى العلماء والفقهاء والائمة.. واليه يلجأ الناس للاستفتاء.. ويفد اليه الطلاب لتلقى العلوم التى كانت تدرس فى ذلك الحين.. ومنه يتخرج خيرة العلماء والفقهاء(٤٢).

■ ومن المعروف ان الحلقات العلمية التى تعقد فى المساجد كانت هى الطريقة السائدة فى التعليم فى الدولة الاسلامية وقد صار للجلوس فى هذه الحلقات العلمية للتصدى للفتيا او للتدريس قداسة وشروط معينة فقد اثر عن الامام مالك (ت١٩٨هـ/٨١٣م) قوله

لوحة رقم (٣)



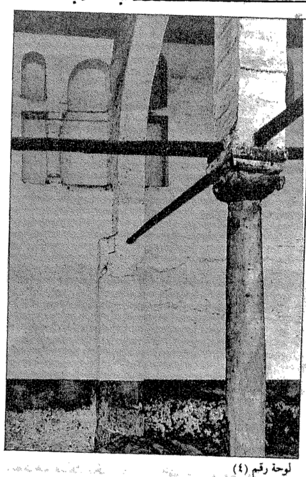
«ليس كل من احب ان يجلس فى المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه اهل الصلاح والفضل واهل الجهة من المسجد فان رآه اهلا لذلك جلس وما جلست حتى شهد لى سبعون شيخا من اهل العلم انى موضع لذلك»(٤٣).

■ وقد ذكر الماوردى (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) واما جلوس العلماء والفقهاء فى الجوامع والمساجد والتصدى للتدريس والفتيا - فعلى كل واحد منهم زاجر من نفسه ان لا يتصدى لما ليس له باهل فيضل به المستهدى ويزل به المسترشد»(٤٤) وقد بلغ من اهمية هذه الحلقات التى كانت تعقد فى المساجد ان صارت موضع اهتمام الفقهاء الذين استوجبوا على الدولة.. منع الناس فى الجوامع والمساجد من استطراق حلق الفقهاء والقراء صيانة لحرمتها»(٤٥).

■ هذا وقد كان اتخاذ المساجد للتدريس والفتيا رسما شائعا فى الامصار الاسلامية منذ عهد الرسول ﴿ﷺ﴾ فقد كان يجلس بمسجده ويلتف حوله المسلمون يستمعون اليه ويتلقون عنه مبادىء الاسلام وتعاليمه وفى ذلك يقول ابن الاثير «ورسول الله ﴿ﷺ﴾ بين اصحابه مكان المائدة بين القوم حلقة دون حلقة.. يقبل الى هؤلاء مرة فيحدثهم والى هؤلاء مرة فيحدثهم»(٤٦).

ويمكن القول انه صاحب انتشار اللغة العربية فى مصر، وساعد على اصالتها فى البلاد قيام حركة دينية واسعة النطاق عقب الفتح الاسلامى، وتركزت هذه الحركة فى جامع عمرو بن العاص حيث اخذه الصحابة الذين شهدوا فتح مصر مقراً لهم ولتدريسهم وترتب على ذلك ظهور مدرسة دينية نشأت ثم نمت بالتدريج وصار لها اتباع عديدون اسهموا فى دعم الثقافة الدينية فى مصر وبلاد المغرب والاندلس(٤٧).

ويعتبر عبد الله بن عمرو بن العاص - بحق - المؤسس الاول لهذه المدرسة الدينية وعنه تلقى كثير من المصريين ودونوا ما كان يرويه من احاديث، ومن ثم كانت علوم هذه المدرسة فى بادىء امرها دينية تتصل بالقرآن وتفسيره والحديث وروايته.. ومن تلاميذ



لوحة رقم (٤)

هذه المدرسة: سليم بن عتر التجيبى (ت٧٥هـ/ ٦٩٤م) ويزيد بن ابى حبيب الازدى وقد نبغ من تلاميذه اثنان: وهما عبد الله بن لهيعة (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م - وقيل ١٧٤/ ٧٩٠م) والليث بن سعد (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م)(٤٨).

■ وتشعبت من هذه المدرسة الدينية الاولى.. مدرسة للتاريخ اختصت فى البداية بلون هام من الدراسة - ذلك انه اعقب فتح مصر لون من القصص الدينى شجع على ظهور طبقة من الناس لجمع اخبارها وعرض مادتها عرضا طيبا واطلق على هذا النفر اسم القصاص واحيانا اسم الرواه والاخباريين.. وجرت العادة ان يجلس القاص فى المسجد وحوله الناس ويقص عليهم حكايات واحاديث مختلفة متبعا فى ذلك اسلوب الترغيب والترهيب وشاع هذا اللون من القصص لانه يتفق وميول الناس - ولان الاحداث السياسية على عهد الفتن بين على ومعاوية جعلت منه اداة فى يد الاحزاب المتنافسة.. وادت هذه التطورات

العامة الى ان يصبح هذا عملا رسميا . . وعهدت الدولة به الى رجال رسميين واعطتهم عليه اجرا . . وبدا هذا التنظيم الجديد على عهد معاوية بن ابى سفيان الذى احتاج الى رواة القصص لتشجيع انصاره ضد على بن ابى طالب(٤٩) .

■ ويذكر كل من (ابن دقماق . . والمقريزى) عن (الليث بن سعد) انه قال ان «القصص قصصان : قصص للعامة وقصص للخاصة . . فاما قصص العامة فهو الذى يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ولمن امتنعه . . واما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ـ اذ ولى رجلا على القصص : فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده، وصلى على النبى «ﷺ»، ودعا للخليفة ولاهل ولايته ولحشمه وجنوده، ودعا على اهل حربه وعلى المشركين كافة(٥٠) .

■ ويعتبر سليمان بن عتر التجيبى «اول من قص بمصر سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م وقيل ٣٨هـ/٦٥٨م، وجمع له القضاء الى القصص ثم عزل عن القضاء وافرد بالقصص . . وكانت ولايته على القصص والقضاء سبعا وثلاثين سنة منها سنتان قبل القضاء»(٥١) هذا وقد ذكر ابن دقماق والمقريزى اسماء بعض من جمعوا بين القصص والقضاء(٥٢) .

الا انه يبدو انه بطل نظام الجمع بين المنصبين بعد ذلك وارتفع شأن منصب القضاء وانحط منصب القاصى وفى سنة ٣٠١هـ/٩١٣م اراد ابو بكر الملطى الذى تولى القصص فى هذه السنة ان يقرأ القرآن ويقص فى كل يوم فمنعه القاضى من ذلك فرجع القاص . . الى القراءة ثلاثة ايام(٥٣) .

■ وعندما قدم الامام الشافعى الى مصر فى أواخر القرن الثانى الهجرى استطاع ان يكون لنفسه حلقة فى جامع عمرو كانت تعرف (بزاوية الامام الشافعى)(٥٤) . وكان الامام الشافعى (يجلس فى حلقته اذا صلى الصبح فيجيئه اهل القرآن فيسألونه، فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء اهل الحديث فيسألونه عن معانيه وتفسيره . . فاذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمناظرة والمذاكرة . . فاذا ارتفع النهار تفرقوا وجاء اهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يقرب انتصاف النهار ثم ينصرف الى منزله(٥٥) .

■ وكانت حلقات جامع عمرو الى جانب الحلقات الخاصة تضم اشهر المجتمعات العلمية والادبية العامة، وكانت تعقد فيه مجالس القضاء الاعلى كما كانت تعقد فيه مجالس الفقه والادب الخاصة . . وصحن الجامع شهير فى تاريخ الفسطاط الادبى وقد كان مدى قرون ندوة فكرية ادبية جامعة . . وكانت بين جدرانه توجه حركة التفكير والاداب فى مصر الاسلامية . . ويبدو مما كتبه المؤرخون ان هذه الحلقات كانت دورية وكانت منتظمة برغم صفتها الخاصة وانها كانت تعقد كل يوم تقريبا ولكن

لوحة رقم (٥)

الظاهر ان اهمها ما كان يعقد في عصر يوم الجمعة.. وكانت مجالس الجمعة تعتبر كموسم اسبوعي يخص الجامع فيه بجمهرة الفقهاء والادباء والفقراء والنظارة.

■ وازدهرت الحركة الفكرية بجامع عمرو من جديد في عصر الطولونيين والاخشيديين - ويبدو مما كتبه (ابن زولاق) ان جامع عمرو كان مثوى لاهم الحلقات العلمية والادبية واشهرها، وكانت هذه الحلقات بصفة دورية منتظمة تعقد على الاغلب في عصر يوم الجمعة وتجمع بين الفقهاء والادباء وينعقد فيها الجدل الكلامي والحوار الادبي والشعري. والظاهر ايضا ان هذا الجدل او الحوار كان ينتهي احيانا الى بعض ما ينتهي اليه في عصرنا من مزارة واتهام وتراشق.. وان بعض المفكرين الاحرار كانوا ينقمون من عصرهم مانتنقم به في عصرنا احيانا - من اعتداء على حرية البحث والرأي.. وان بعضهم كان يرمى بتهمة المروق والالحاد اذا اطلق لنفسه حرية البحث والراي(٥٦).

■ ولم يفقد جامع عمرو بن العاص صفته الدينية والعلمية خلال العصر الفاطمي(٥٧) فمثلا كان الخليفة الحاكم بأمر الله ينزل اليه ويخطب في الناس ويصلي بهم الجمعة - بل وصل الامر الى انه قتل رجلا يعرف بابن الرقاق لانه تقدم فصلى بالناس في جامع عمرو قبل القيام(٥٨).

ويحدثنا المقدسي عن نشاط الحركة العلمية فيقول (وبين العشائيين جامعهم مغتص بحلقات الفقهاء وائمة القراء واهل الادب والحكمة، ودخلتها مع جماعة من المقادسة فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين - دوروا وجوهكم الى المجلس.. فننظر فاذا نحن بين مجلسين. على هذا جميع المساجد وعددت فيه مائة وعشرة مجالس»(٥٩).

■ أما ناصري خسرو الذي زار مصر فيما بين ٤٣٩-٤٤٢هـ/ ١٠٤٧-١٠٥٠م فقد ذكر انه يقيم بجامع عمرو «المدرسون والمقرئون، وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة، ولا يقل من فيه في اي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها»(٦٠).

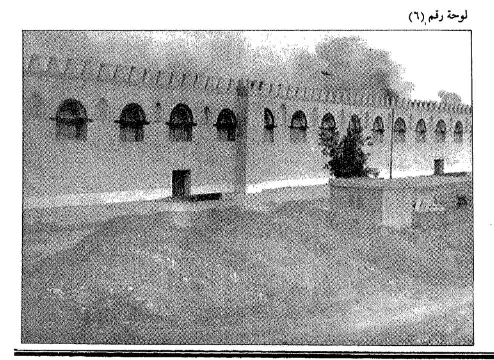
ويذكر ابن خلكان ان ابن بابشاد النحوي (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) امام عصره في علم النحو انقطع في غرفة بجامع عمرو بن العاص(٦١).. وزار ابن جبير جامع عمرو وذكر ان له من الفائدة نحو الثلاثين دينارا مصريا في كل يوم متفرقة في مصالحه ومرتبات فرقته وسدنته والطلاب(٦٢).

ويذكر ابن خلكان ان زين الدين النحوي الحنفي الزواوي (ت٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) كان احد ائمة عصره في النحو واللغة.. وقد «تصدر بالجامع العتيق بمصر لاقراء الادب وقرر له على ذلك جراية»(٦٣).

■ وكان جامع عمرو بن العاص خلال هذه الفترة منتدى لاكابر الادباء والشعراء - وليس ادل على ذلك مما اورده العمري في موسوعته مسالك الابصار من انه اجتمع في جامع عمرو كل من بن قلاقس وابن المنجم وصنع كل منهما شعرا في الحال(٦٤).

■ وقد ذكر ابن سعيد انه

لوحة رقم (٦)





لوحة رقم (٧)

استحسن ما ابصره بجامع عمرو من «حلق المصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة امـاكـن . .»(٦٥) ويبدو ان النشاط العلمى قد استمر بجامع عمرو بن العـاص خلال ق ٨هـ/١٤م وحسبنـا على ذلك ما ذكره ابن حجر عن ابن الصايغ الحنفى من انه شاهد بمصر بجامع عمرو اكثر من خمسين متصدرا يقرأ عليهم الناس العلوم(٦٦) .

■ وقـد ذكر المقريزى عن ابن الصـايـغ ايضـا «انـه ادرك بجامـع عمـرو قبل الـوبـاء الكـائن فى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م بضعـا واربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منه»(٦٧) .

وسـواء اخذنا بما ذكره ابـن حجـر او بما ذكـره المقريـزى فانه يدل دلالة قاطعـة على كثـرة دروس العلم فى جامـع عمرو بن العاص فى العصر المملوكى(٦٨) .

ويـمـكـن الـقـول ان الاوقاف قد ساعدت زوايا العلم بجامع عمرو فى اداء رسـالتهـا العلميـة خلال عصر الايوبيين والمماليك، ومـن امثلة ذلـك زاويـة الامـام الشـافعى ـ وكـان عليهـا ارض بنـاحيـة سنـدبيس وقفهـا السلطان الملك العـزيـز (عثمان بن السلطـان صلاح الـدين يوسف بن ايوب)، ولذلك كان يتـولى التدريس بهذه الزاوية اعيان الفقهاء وجلة العـلماء . . ومن بين هذه الزوايا الزاوية المجدية التى رتبهـا مجد الـدين ابـو الاشـبـال (ت٦٢٨هـ/ ١٢٣١م) وزيـر الاشـرف موسى . . وعمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة فاستمر التدريس بها الى عهـد المقريـزى الـذى قال عنها «ويعـد تدريسهـا من المنـاصب الجليلة» . . ومنهـا الـزواية الصـاحبيـة التى رتبهـا الصـاحب (تـاج الـدين محمـد بن فخـر الـدين) وجعل لها مدرسين احدهما مالكى والاخر شافعى . . وجعـل عليهـا وقفا بظاهر القـاهـرة . . ومنهـا الزاوية الكمالية ورتبها (كمال الدين السمنـودى) وعليها فندق بمصـر موقـوف عليهـا . . ومنها الزاوية التاجية رتبها (تـاج الـدين السطحى) وجعـل عليها دورا بمصر موقوفة عليها .

■ ومنهـا الـزاويـة المعينية رتـبـهـا (معـين الـدين الـدهروطى) وعليها وقف بمصـر . . ومنهـا الـزاويـة العـلائيـة تنسب (لعـلاء الدين الضرير) وهى لقراءة ميعـاد . . ومنهـا الـزاويـة الـزينيـة رتبهـا الصـاحب (زين الدين) لقراءة ميعاد ايضا(٦٩) .

وعـلاوة على ما تقدم كانت تقـام بجامع عمرو بن العـاص احيـانا صلاة الاستقسـاء وذلـك عقب حدوث الازمات الاقتصادية(٧٠) .

■ هـذا وقد اختص جامع عمرو دون غيره من جوامع مصر باقامة صلاة الجمعة الاخيرة (الجمعة اليتيمية) من شهـر رمضـان فيه . . ونشأ هذا التقليـد منـذ العصر الفاطمى ـ فقد كان الخليفـة يركب للاحتفـال برؤيـا شهـر رمضـان ثم يستـريـح اول جمعة منه، فاذا كانت الجمعة الثانية اداهـا فى جامـع الحاكم، فاذا كانت الجمعـة الثالثة اداهـا فى الجـامع الازهر، فاذا كانت الجمعة الرابعة صدرت الاوامـر بادائها بجامع عمرو بن العاص ـ فيقوم اهالى القاهرة بعمل الـزينـات من باب القصر بالنحاسيين الى جامع بن طولون، ويقوم اهالى مصر بعمل الزينات حتى جامع عمرو، وبعد اداء الفريضة يعود الخليفة الى القصر . . ولما اتم مراد بك اصلاح الجامع فى النصف الثانى من رمـضـان ١٢١٢هـ/ ١٢٩٧م اقيمت فيه آخر جمعة من رمضان فاتخذت عادة حتى ١٩٥٢م(٧١) .

■ يتضـح لنـا من كل ما تقـدم اهميـة الـدور الحضارى لجامع عمرو بن العاص وبخاصة مساهمته فى اثـراء وتطـور الحركـة الفكرية العلمية والادبية فى مصر الاسلامية .

«حواش ومصادر البحث»

(١) المقريزى (تقى الدين احمد بن على) ت٨٤٥/ ١٤٤١م المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية - دار صادر بيروت بدون تاريخ ج٢ ص٢٤٦
(٢) عبد العزيز الشناوى: الازهر جامعا وجامعة ج١ - ١٩٨٣م ص١٣.
(٣) عن تسمية الفسطاط واختيار موضعها وتطورها العمرانى انظر:
ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م
فتوح مصر واخبارها - تقديم وتحقيق محمد صبيح ١٩٦٨/١٩٧٤ ص٦٨-٩١
ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائى) ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م
الانتصار لواسطة عقد الامصار - ط اولى بولاق ١٣٠٩هـ ج٤ ص٢-٥
المقريزى: المصدر السابق ج١ ص٢٩٦، ٣٣٠-٣٤٢
بتلر (الفريد ج).
سيرة القاهرة - ترجمة حسن ابراهيم حسن واخرين ص٥٣-٥٦
جمال الدين الشيال:
الفسطاط كيف اختير مكانها ولما سميت بهذا الاسم؟ (مجلة كلية الاداب جامعة الاسكندرية - مجلد ١٢-١٩٥٨) ص١٣٣-١٤٣.
عبد الرحمن ذكى: الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع - المكتبة الثقافية ١٥٨-١٩٦٦) ص٨-٣٥
(٤) حسين مؤنس: المساجد - سلسلة عالم المعرفة - العدد ٣٧ - الكويت ١٩٨١ ص١٧١
(٥) المقريزى: المصدر السابق ج٢ ص٢٤٦
(٦) ابن الزيات (شمس الدين محمد) توفى فى النصف الاول من ق٩هـ/ ١٥م
الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى - المطبعة الاميرية بمصر ١٩٠٧م ص١٣٥
المقريزى: المصدر السابق ج٢ ص٢٤٦
(٧) ابن خلكان (ابى العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر) توفى ٦٨١هـ/ ١٤٨٢م وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان - تحقيق احسان عباس - بيروت ١٩٦٨ - المجلد الاول ص٣٣، ٣٧٦، ٣٧٩ المجلد الخامس ص٢١٦، ٣٠٠، ٤١٧ - المجلد السادس ص٦٧، ١٩٧
ابن الزيات: المصدر السابق ص٥٩، ٩٣، ١١٩، ١٤٣
المقريزى: المصدر السابق ص٢٤٦
على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ج٤، ط٢ عن طبعة بولاق ١٣٠٥هـ القاهرة ١٩٨٠ ص١٤.
(٨) ابن الزيات: المصدر السابق ص١١٩، ١٣٤، ١٧٨، ٢٢٩،
(٩) المقريزى: المصدر السابق ص٢٤٦
(١٠) ابن دقماق: المصدر السابق ص٥٩
المقريزى: المصدر السابق ص٢٤٦
على مبارك: المصدر السابق ص١٤
(١١) ابن دقماق : المصدر السابق ص٥٩
(١٢) حسن الباشا: جامع عمرو (بحث فى كتاب القاهرة - تاريخها - فنونها اثارها) ١٩٧٠ ص٤٠٤
(١٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص٦٨، ٩٣-١٤٠
(١٤) الكندى (ابى عمر محمد بن يوسف)،
كتاب الولاء وكتاب القضاة - ط رفن كست - بيروت ١٩٠٨ ص٣٨، ٣٩، ٥١، ٦٥، ١٠٠، ١٣٤.
(١٥) ابن دقماق: الانتصار ج٤ ص٥٩-٢٣
(١٦) القلقشندى (شهاب الدين احمد) ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م
صبح الاعشى فى صناعة الانشا - طبعة دار الكتب المصرية ١٩١٣-١٩١٨ ج٣ ص٣٤٠-٣٤٣،
(١٧) المقريزى: الخطط ج٢ ص٢٤٦-٢٥٣
(١٨) ابن تغرى بردى (جمال الدين ابى المحاسن يوسف) ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج١ ط اولى ١٩٢٩ ص٦٦-٧١

«حواش ومصادر البحث»

(١٩) ابن ظهيرة (من علماء القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى).
الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ـ تسحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس دار الكتب ١٩٦٩ ـ ص١٠٣ـ١٠٦ .
(٢٠) السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م
حسن المحاضرة فى اخبار مصر القاهرة ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ج١ ص١٣٢ـ١٣٣، ج٢ ص٢٣٩ـ٢٤٤
(٢١) البكرى (محمد بن محمد بن ابى السرور) ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م
قطف الازهار من الخطط والاثار (مخطوط بدار الكتب المصرية ـ جغرافيا ٤٥٧) ورقة ١٦٣ـ١٦٤ .
(٢٢) الجبرتى (عبد الرحمن) ت١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م
عجائب الاثار فى التراجم والاخبار بولاق ١٢٩٤هـ ج٣ ص١٧٠
(٢٣) على مبارك : الخطط التوفيقية ج٤ ص١٣ـ٢١
(٢٤) المقدسى (شمس الدين بن عبد الله) ت٣٨٧هـ/ ٩٩٧م
احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ليدن ١٨٩٢م ص١٩٩
(٢٥) ناصرى خسرو (ت٥٤٣هـ/ ١٠٦١م)٠
سفرنامه ـ ترجمة يحيى الخشاب ـ القاهرة ١٩٤٥ ص٥٩
(٢٦) ياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م). معجم البلدان ـ القاهرة ١٩٠٦ ـ المجلد السادس ص٣٨١ـ٣٨٢
(٢٧) ابن سعيد الاندلسى (ت حوالى اواخر ٧هـ/ ١٣م). المغرب فى حلى المغرب ـ تحقيق زكى حسن وآخرين ـ مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٠ ص٧
(٢٨) ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) تحفة النظار فى عجائب الامصار وعجائب الاسفار ـ طبعة بيروت ص٣٣
(٢٩) النابلسى (عبد الغنى ٠ ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م الحقيقة والمجاز فى الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز ـ تقديم واعداد احمد هريدى القاهرة ١٩٨٦م ص٢٤ـ٢٤٤
(٣٠) CORBETT (E.R) The history of the Mosque of Amr at old cairo, JR.A.S. MNew seris, Time xxil, London, 1890, PP. 759-800.
(٣١) انظر فصل المساجد المبكرة فى:
Briggs, (M.S.) Mohammeden Ar Chitecture in Egypt and Palestine, Oxfond, 1924 PP. zo-46
(٣٢) Hautecoeur (L.) Wiet (F.)
Les Mosqress du Caire. (paris, 1932)
vol.z pp. 199-207
(٣٣) CRESWELL (K.A.C), la mosquee de Amrou
Bulletin de l'Instut Francais d'Archeologle Orientale, Tome ''' II, Cqire, 1931 pp. 121-166
Early Muslem Ar Chitecture, part two oxford, 1959 pp. 171-194.
(٣٤) محمود احمد: جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ـ طبعة اولى ١٩٣٨ ص٤ـ٩٨
(٣٥) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الاثرية ج١ القاهرة ١٩٤٦ ص٢٣ـ٣١.
(٣٦) احمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها ـ المدخل ص٦٧ـ١٠٠
(٣٧) فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الاسلامية ـ المجلد الاول ـ عصر الولاة القاهرة ١٩٧٠ ص٣٦٣ـ٩٨٤.
(٣٨) حسن الباشا: جامع عمرو ص٤٠٤
(٣٩) فريد شافعى: المرجع السابق ص٣٧٤
(٤٠) محمود احمد: المرجع السابق ص٣٨ـ٣٩
حسن الباشا: المرجع السابق ص٤٢٨
(٤١) تثير نسبة هذا الضريح الى عبد الله بن عمرو بعض التساؤلات اذ انه من الملاحظ انه لم يتفق على تحديد القطر الذى دفن فيه هذا الصحابى الجليل، فقيل انه توفى بمصر وقيل بمكة وقيل بالطائف ومن جهة ثانية لم يتفق ايضا على تحديد تاريخ وفاته فقيل انه توفى سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م وقيل ٦٥هـ/ ٦٨٤م وقيل ٦٧هـ/ ٦٨٦م وقيل ٧٣هـ/ ٦٩٢م ومن جهة ثالثة لم يرد ذكر هذا الضريح فى اقوال المؤرخين او الرحالة الذين زاروا الجامع فى العصرين المملوكى والعثمانى، اما بخصوص الموضع الذى يقع فيه الضريح الحالى فقد سماه ابن دقماق بزاوية عمرو واشار الى اربعة اعمدة بهذه الزاوية والى مئذنة تعلوها، كما ذكر ان من ضمن اعمال صلاح الدين انه عمر المنظرة الكائنة تحت هذه المئذنة التى كانت تسمى المئذنة الكبيرة.

محمود احمد: جامع عمرو ص٥٥-٥٨
حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الاثرية ص٣٠-٣١
حسن الباشا: جامع عمرو ص٤٣١
اما دكتورة سعاد ماهر فترى (انه ليس من المستبعد ان يكون الضريح الموجود بالجامع هو مقبرة عبد الله بن عمرو، فقد ذكر اكثر من مرجع انه دفن بمصر وبعضهم عين موضع دفنه بداره الصغرى ومن المعروف ان منزله قد دخل في زيادة الجامع ولكنه لم يكن من المعهود ولا من المقبول دفن الموتى داخل المساجد، ولذلك فقد ظل القبر مجهول الاسم والمعالم حتى كان العصر العثماني واعاد الامير مراد بك بناء الجامع فلعله اراد احياء وجود مقبرة عبد الله داخل المسجد فبنى المقصورة واقام عليها قبة وان كنت ارى ان المكان الذي اختير للضريح ليس هو مكان دار عبد الله التي كانت تقع الى الغرب قليلا من الضريح الحالي.
سعاد ماهر: مساجد مصر واولياؤها الصالحون ج١ - القاهرة ١٩٧١ ص٧٥-٧٦
والواقع ان عبد الله بن عمرو لم يدفن في الجامع على ارجح الاقوال وان كان وجود مقبرة بالجامع امر ليس بالمستبعد لا سيما خلال العصر العثماني الذي جرت فيه على بعض المنشآت عملية احلال وتغيير لبعض المعالم، . ومن ثم وجدنا بعض الاثار تضمنت مقابر بداخلها ومن امثلة ذلك المقبرة التي تتوسط ايوان مدرسة السادات الثعالبة بالقرافة الصغرى (جنوب قبة الامام الشافعي) وكذلك يشتمل ايوان هذه المدرسة على مقبرة اخرى توجد على يسار المحراب وترجع الى القرن ١٣هـ/ ١٩م.
(٤٢) فريد شافعي: الاخشاب المزخرفة في الطراز الاموي مجلة كلية الاداب - المجلد ١٤-ج٢ ديسمبر ١٩٥٢م) ص٩٥-٩٧، العمارة العربية في مصر الاسلامية ص٣٨٣.
عبد الرؤوف على يوسف: الخشب والعاج (بحث في كتاب القاهرة - الاهرام ١٩٧٠م) ص٣٥٥
محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الاسلامية في مصر قبل الفاطميين - الطبعة الاولى ١٩٧٤م - ص٨٨.
(٤٣) سيدة الكاشف: مصر في فجر الاسلام - القاهرة ١٩٤٧ ص٣٢٨
(٤٤) ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم بن على بن محمد المالكى) ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م كتاب الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب - ط١ مصر ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ص٢١
(٤٥) الماوردى: (ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى) ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م الاحكام السلطانية والولايات الدينية - القاهرة ١٩٧٣ ص١٨٨-١٨٩
(٤٦) صفى على محمد: الحركة الادبية والعلمية في الفسطاط منذ الفتح العربي الى نهاية الدولة الاخشيدية (ماجستير - مخطوط - جامعة عين شمس ١٩٧٨) ص٥٢
(٤٧) ابن الاثير (ابن الحسن على ابن الكرم محمد بن عبد الكريم) ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م اسد الغابة في معرفة الصحابة ج٤ - القاهرة ١٩٣٨ ص٤٧٦
(٤٨) ابراهيم العدوى: مصر الاسلامية - مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية - القاهرة ١٩٧٥ ص٢٣٨-٢٤٠
(٤٩) جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ج١ من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي دار المعارف ١٩٦٧ ص١٢٠-١٢١
(٥٠) ابراهيم العدوى: المرجع السابق ص٢٤٤
(٥١) ابن دقماق: الانتصار ج٤ ص٧٢
المقريزى: الخطط ج٢ ص٢٥٣
على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة ج٤ ص٢١
(٥٢) ابن دقماق: المصدر السابق ص٧٣
المقريزى: المصدر السابق ص٢٥٣ - ٢٥٤
(٥٣) ابن دقماق: المصدر السابق ص٧٣-٧٤
المقريزى: المصدر السابق ص٢٥٤
(٥٤) ابن دقماق: المصدر السابق ص٧٤
المقريزى: المصدر السابق ٢٢٥٤-٢٥٥
آدم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة في الاسلام - ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريدة ج٢ ط ثالثة - القاهرة ١٩٥٧ ص١٠٤
(٥٥) رحلة ابن بطوطة: ط بيروت - بدون تاريخ ص٣٣
المقريزى: المصدر السابق ص ٢٥٥
على مبارك: المصدر السابق ص٢٣
(٥٦) محمد عبد الله عنان: مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية - ط ثانية - القاهرة ١٩٦٩ ص٢٤٠-٢٤٢
(٥٧) سيدة الكاشف: المرجع السابق ص٣٢٠

«حواش ومصادر البحث»

(٥٨) من المعروف ان الجامع الازهر قد صارت تعقد فيه الحلقات العلمية ايضا فى العصر الفاطمى

انظر : محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر - ط ثانية ١٩٥٨ ص ٣٩-٤٧ ، ٦٥-٩٠

(٥٩) انظر : كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب تحقيق د. حسين نصار - دار الكتب)١٩٧ ص٦٤ ، ٧٢-٧٣

(٦٠) المقدسى : احسن التقاسيم ص٢٠٥

آدم متز : المرجع السابق ص١١٧-١١٨

جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص١٣٧

(٦١) ناصرى خسرو : سفر نامة ص٥٩

(٦٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مجلد ٢ ص٥١٧

(٦٣) رحلة بن جبير ص ٣٧

(٦٤) ابن خلكان : المصدر السابق - مجلد ٦ ص١٩٧

(٦٥) محمد عب دالله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ٢٤٧-٢٤٨

(٦٦) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ص٧

(٦٧) ابن حجر : الحافظ شهاب الدين بن حجر االعسقلانى) ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م انباء الغمر بابناء العمر : ج١ تحقيق د. حسن حبشى ص٩٥

(٦٨) المقريزى : الخطط ج٢ ص٢٥٦

(٦٩) محمد امين : الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر - ط اولى - القاهرة ١٩٨٠ ص٢٦١ حاشية ٤

(٧٠) المقريزى : الخطط ج٢ ص ٢٥٥-٢٥٦

(٧١) السيوطى : (حسن المحاضرة ج٢ ص٣٠٤

الجبرتى : عجائب الآثار ج٤ ص٨٠، ١٢٢

(٧٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ص٣١

سعاد ماهر : مساجد مصر ج١ ص٧٦

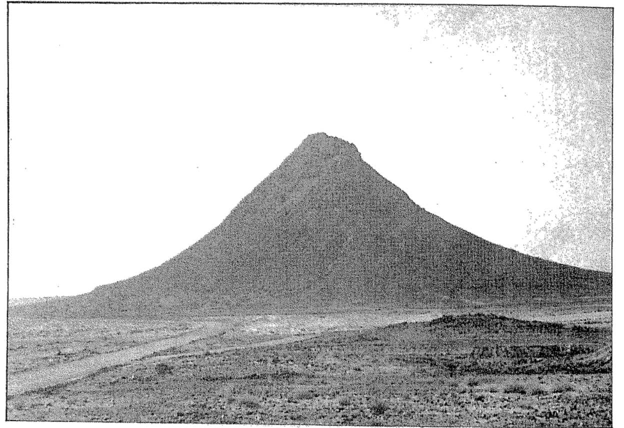
لوحة رقم (٨)

سياحة محلية

البكيرية

البكيرية .. الموقع والتضاريس

وسط مدن منطقة القصيم وعلى خط طول ٤٣٫٤٦ شرقاً ودائرة عرض ٢٦٫١٥ شمالا الى جنوب غرب بريدة - وغرب عنيزة وشمال شرقي الرس تقع مدينة البكيرية بأراضيها الزراعية الخضراء وكثبانها الرملية الواسعة . .



● جبل ساق من الجبال المشهورة في المنطقة .

● **الأمطار القليلة والمياه الجوفية هما المصدران الوحيدان للمياه في البكيرية .**

● **التسامح وعدم المغالاة في المهور أبرز علاقات المودة والتراحم السائدة بين أسر البكيرية .**

● **الروابط الأسرية في البكيرية روابط قوية ومتينة قديماً وحديثاً .**

تتوسط المدينة مساحة واسعة من الأراضى الزراعية فقد كانت فى القديم روضة من الرياض التى تحيط بها كثبان الرمال الزاحفة من الجهة الشرقية الشمالية حيث قرية الضلفعة بمزارعها العامرة ونخلها الباسقات . . والآن نستطيع أن نحدد مظهرين تضاريسيين للمدينة هما :

● **الكثبان الرملية المتمثلة فى نفود الغميس المحيط بها من الشرق والشمال الشرقى . . وبين الكثبان أراض منخفضة (سبخات) أسماها الأهالى (النقع) وأهمها (أمهات الذيابة)**

● **والضلوع** : التى تشكل سطح المناطق الواقعة الى الجنوب والغرب .

■ أما حدود البكيرية فهى : من الشمال حتى جبل ساق، وهو جبل عال مرتفع . . من الشرق نهاية المليدا . . من الجنوب وادى الرمة وتصب به روافد متعددة . . من الغرب العبيد وهو أكمة مرتفعة قليلا جهة رياض الخبراء .

ومن الجبال المشهورة التى تحيط بها : جبل ساق فى الجهة الشمالية، وقد اتصلت به المزارع فى الآونة الأخيرة بصورة واسعة . . جبل صارة فى الجهة الشرقية الشمالية .

■ وأهم المدن والقرى المجاورة لها :

● بريدة وتبعد حوالى (٥٢) كيلومترا تقريبا شرقا .

● عنيزة وتبعد حوالى (٤٥) كيلومترا فى الشرق الجنوبى .

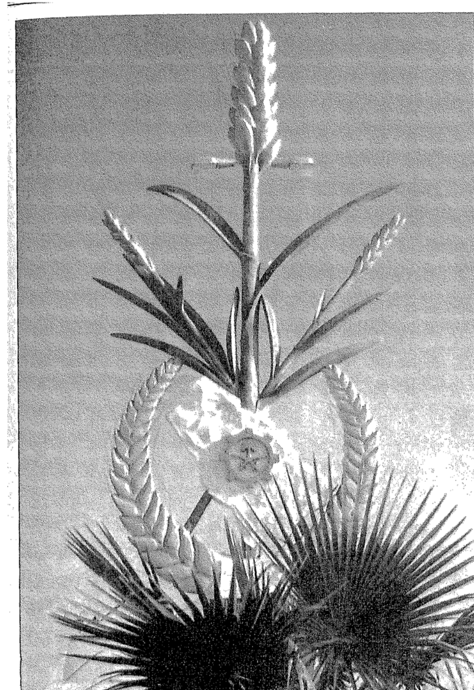
● الرس وتبعد حوالى (٤٥) كيلومترا فى الغرب الجنوبى .

● الخبراء ورياض الخبراء وتقعان فى الغرب الجنوبى .

● الهلالية جنوبا .

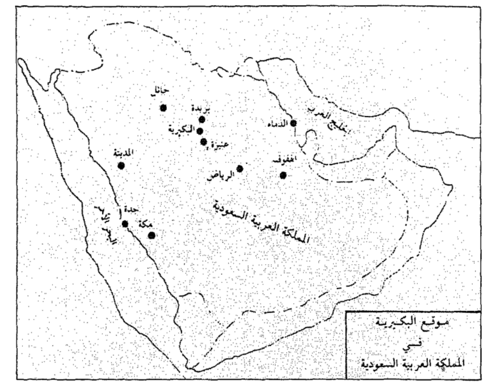
● الشيحية والضلفعة فى الشمال الشرقى .

● القرعا والشقتان فى الشمال الشرقى .



● منظر جمالى لمدخل مدينة البكيرية .

البكيرية النشأة والتاريخ



موقع البكيرية في المملكة العربية السعودية

البكيرية نسبة الى البكيرى محمد الذى باع موقعها حين كانت روضة فى القرن الثانى عشر الى محمد بن عثمان العرينى احد سكان الضلفعة.

■ ومن أهم الحوادث التاريخية فى سجل البكيرية «معركة البكيرية» التى وقعت عام ١٣٢٢هـ بين الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فى سعيه لتوحيد البلاد وبين ابن رشيد.

عن هذه المعركة يقول الاستاذ محمد ناصر العبودى فى معجمه الجغرافى: «اشتهرت البكيرية بحدوث الوقعة العظيمة فى الحروب النجدية وهى بين الملك عبد العزيز آل سعود ومن معه من أهل القصيم وبين عبد العزيز بن متعب بن رشيد ومن معه من أهل حايل وبادية شمر وعساكر الترك وصدق فيها أهل القصيم الحرب وكسروا ابن رشيد فى عام ١٣٢٢هـ».

■ وقد ذكر المستر (لوريمر) مسجلا أقوال بعض السائحين الأوائل من الاوربيين الذين زاروا القصيم منذ أكثر من مائة سنة أنه يقال ان البكيرية لقبائل عتيبة وحرب والمطير وقد رد عليه محمد ناصر العبودى فى المعجم الجغرافى لبلاد القصيم قائلا «وما ذكره من أنها لقبائل عتيبة وحرب ومطير. فإن ذلك ليس صحيحاً لأن أهل البكيرية هم من الحضر الذين ينتمون الى قبائل شتى» ويتابع قوله عن البكيرية: «وهى إحدى المدن الرئيسية فى منطقة القصيم وتعتبر الرابعة من مدنه. الأولى بريدة، الثانية عنيزة والثالثة الرس. وإن كان بعض أهالى البكيرية يرى أنها هى المدينة الثالثة فى القصيم، أقول يؤيد ذلك المساحة الزراعية الواسعة وخصوبتها وغزارة مياهها ونشاط الحركة التجارية والعلمية فيها منذ القدم وخير دليل على ذلك ما شهد به الأجانب الذين زاروها».

■ **مناخ البكيرية**: مناخ قارى.. شديد الحرارة فى فصل الصيف وشديد البرودة فى فصل الشتاء الذى تتفاوت فيه درجات الحراة.

■ ومصادر المياه فى المدينة تتمثل فى مصدرين اثنين هما:

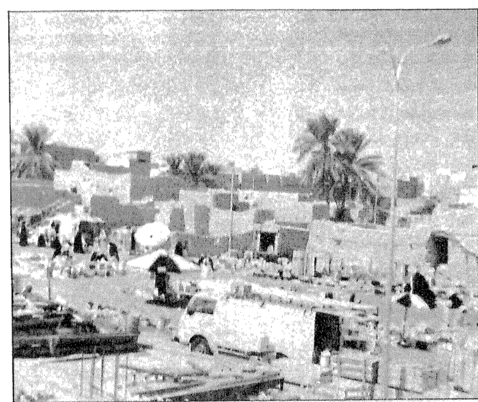
● الأمطار القليلة بشكل عام والتى تسقط غالباً فى فصل الشتاء وقد تتأخر الى أواخر فصل الربيع.

● المياه الجوفية حيث توجد كمية وفيرة منها فى باطن الأرض ولا يزال السكان يعتمدون عليها حتى الآن فى الشرب والزراعة.

الزراعة فى البكيرية

شمال وشرق البكيرية مساحة واسعة دفعت الاهالى الى الاهتمام بالزراعة اهتماماً كبيراً وقد توسعوا فى حفر الآبار الزراعية على نطاق كبير مثل الحمدانية والعوادية والخبيات والمطيرية وقليب الشيوخ وغيرها. كما حفروا الآبار فى أمهات الذيابة.

ومن الحبوب التى تشتهر البكيرية بزراعتها الحنطة اللقيمى والذرة والشعير والمعين وأنواع



● سوق البكيرية (المرحلة الثانية)

الخضار والفواكه المختلفة ـ وفي أمهات الذيابة تنتشر أنواع النخيل المختلفة الشقراء والمكتومية والسكرية وأم الخشب والقطارة والحلوة والسلجة .

ومع التطور والنهضة اتسعت مساحة الأراضى الزراعية فى البكيرية كما أدخلت الآلات الحديثة واتجه معظم المزارعين الى زراعة القمح وبعض الخضروات التى تفى بالاحتياجات المحلية كما قامت بعض المشروعات الزراعية والحيوانية الحديثة .

الحِرَف

والى جانب النشاط الزراعى لأهالى البكيرية هناك نشاط حرفى يدوى يرتبط به مثل صناعة آلات السوانى كالمحالة والدراجة والسريح والرشاء . . كما أن هناك حرفاً أخرى يمتهنها البعض مثل النجارة والحدادة والخرازة والدباغة والبناء كبناء المقاصير وبناء البيوت .

البكيرية . . فن وعمران

التقارب فى الشكل سمة مميزة لمبانى بلاد نجد . . ومعظم المبانى يسمى دوراً وهناك البعض بشكله المتميز بالشرفات التجميلية ويسمى قصوراً . . والمواد الأساسية فى البناء كانت الطين وأخشاب الأثل الذى يصد زحف الرمال الآتى بسبب الرياح الشمالية الغربية . . وأعواد النخيل وعسبانها . . وبعض الأضلاع تطلى من الداخل بالحصب وتزخرف فى نقوش جميلة ـ ولكل دار فناء واسع ينفصل عن مساكن الأسرة التى تنتهى بمساحة واسعة تسمى القبة . . ومن الفناء الواسع يخصص جزء لما يسمى القهوة أو الديوانية أو المجلس بسقفه العالى وسماوته (الفتحة) التى يخرج منها دخان الحطب وتسمح بمرور (الضوء) . . وفيه (الوجار) وهو مكان له رفوف توضع عليه الدلال والأباريق (أدوات القهوة التى تعد فى هذا المكان المخصص لاستقبال الضيوف) .

ولعل هذا يجرنا الى الحديث عن الروابط الأسرية كمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية .

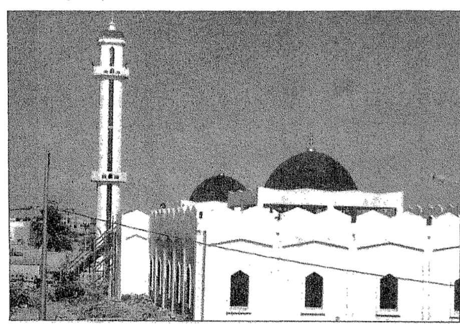
■ الروابط الأسرية فى البكيرية روابط قوية ومتينة قديماً وحديثاً فالاسرة تعتمد على أكبر رجل أو امرأة حيث الأب او الام يدير شئون الأسرة الخاصة بكل شيء وأفراد الأسرة تسودهم علاقات الاحترام للكبير والمودة والعطف على الصغير بينهم . . ولعل مما يجدر ذكره ذلك التسامح وعدم المغالاة فى المهور ـ فالمهر يكاد يقتصر على قطيفة تشبه الزولية والقليل من الألبسة المتواضعة وبعض الريالات لاحتياجات العروس من زينة وأدوات المطبخ ـ ويتم هذا بعيداً عن الحفلات وغيرها من المظاهر التى لا فائدة منها .

البكيرية . . التطور والنهضة

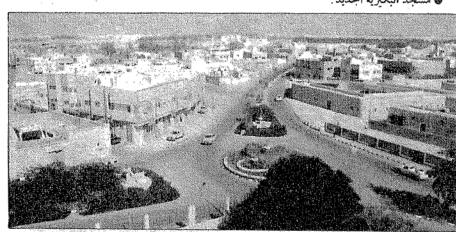
أدخلت البلدية سنة ١٣٨٧هـ تحسينات كثيرة على المبانى القديمة حيث

أقيمت العمائر الفخمة على جانبى الطرق المهدة وكذا الكثير من المحلات التجارية الحديثة.. كما قامت بتخطيط الضلع المطل من الجهة الغربية.. وتم توزيع أراضيه على المواطنين لإقامة المبانى المتطورة فصار مدينة حضارية تمتاز بالشوارع الفسيحة والأحياء المزدانة بالحدائق الغناء الواسعة والتى تمثل متنزهات للأهالى.

■ وبلدية البكيرية أنشئت عام ١٣٨٦هـ وقامت منذ إنشائها بأعباء كبيرة تمثلت فى فتح الشوارع وسفلتتها وإضاءتها ونظافة المدينة، وتنظيم البناء من خلال التصاميم المتعارف عليها، وإعداد مخططات الأراضى ومنح المواطنين الذين أقاموا عليها مساكنهم، وإنشاء العديد من الحدائق المنتشرة ذات الأحجام المختلفة كما اهتمت بنشر المساحات الخضراء فى الساحات والشوارع العامة مما أضفى جمالا للمدينة، ومن أبرز الحدائق التى أنشأتها البلدية منذ عام مضى المتنزه البرى الذى تم زرع خمسة وأربعين ألف شجرة فيه على



● مسجد البكيرية الجديد.



● منظر عام للبكيرية.

مساحة مليون متر مربع.

■ **ومن مظاهر التطور العمرانى:**

شبكة الخطوط المسفلتة التى تتمثل فى:

● **خط الرياض السريع، بريدة البكيرية، المدينة المنورة.**

● **خط الرياض السريع عنيزة، البدائع، البكيرية، المدينة المنورة.**

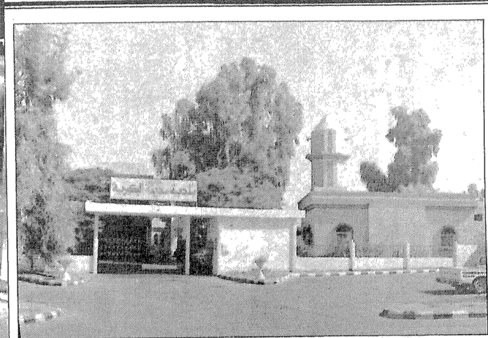
● **خط من بريدة المطار مزدوج، البكيرية، المدينة المنورة.**

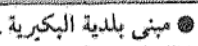
● **خط من البكيرية الى جبل ساق وسيقة ماراً بمنطقة الظهرة الزراعية.**

● **خط من مطار القصيم الى المدينة البكيرية، بستة مسارات وإنارة كاملة.**

■ والآن يوجد بالمدينة مركز للبريد والبرق والهاتف، وقد أسست إدارة البريد عام ١٣٧٦هـ ثم افتتحت إدارة للاتصالات السلكية واللاسلكية عام ١٣٨٥هـ.

■ وعن المواصلات الجوية: فمدينة البكيرية تتصل بغيرها من مدن المملكة العربية السعودية جوا عن طريق مطار القصيم والذى لا يبعد عنها سوى أربعة عشر كيلومتراً، وقريبا سيتم الانتهاء من طريق (البكيرية - المطار) وهو طريق بستة مسارات. لكل اتجاه ثلاثة مسارات،





● مبنى بلدية البكيرية.



● مدرسة تحفيظ القرآن الكريم.

كما أنه مضاء ومرصوف، ويوجد بالمدينة مكتب للخطوط السعودية وقد تم افتتاحه فى عام ١٣٨٤هـ.

تطور التعليم

كان للمسجد التحتى أول مسجد أسس بمدينة البكيرية رسالة فاعلة، ففيه كانت حلقات الدراسة الحافلة بطلاب العلم أوقات الصلاة تعقد.. المشايخ يناقشون ويدرسون التوحيد والفقه والحديث والفرائض واللغة العربية وعلوم التفسير والعلوم الشرعية لذا فقد كان بمثابة مدرسة إسلامية ظل لها أثرها الطيب على مر الأيام.

ونظرة سريعة الى التعليم اليوم فى البكيرية توقفنا على مدى ما وصل اليه التعليم الآن.. فمع بداية عام ١٣٦٧هـ فتحت المدارس وتوالى فتح معاهد معلمى المرحلة الابتدائية حيث تدرس فيها مناهج التدريس التربوى ثم تحولت الى متوسطات ثم معاهد ثانوية.

النهضة الصحية وتطورها

يوجد بالمدينة مركزان صحيان لاستقبال المرضى ومعالجتهم أو تحويلهم للمستشفى العام.. كما افتتح عام ١٤٠٢هـ المعهد الصحى ويعتبر الرافد الوطنى للمستشفيات والمستوصفات فى المنطقة، حيث يقوم بتخريج عدد

للمـواطنـين، ولـديـه إمكـانـات تسـاعده على تأدية رسالته وخدمة الطرق المارة بالبكيرية.

قبـل عام ١٣٦٧هـ لم يكن فى البكـيريـة سوى الامـارة، القضـاء. وبعد هذا العـام استـكملت الدوائر الحكومية بها.

■ « واليوم فى البكيرية ».

● وحدة صحية.

● مكتبة عامة.

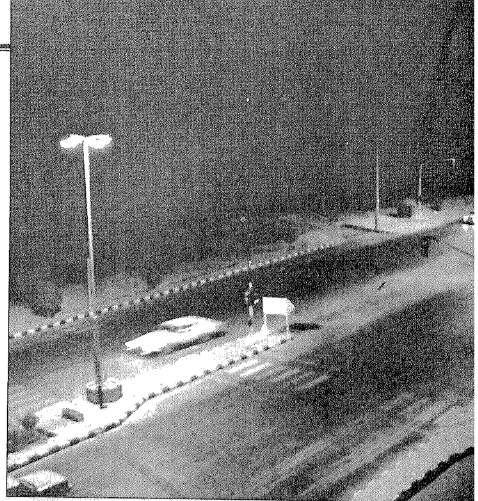
● مكتبة خيريـة أنشأهـا بعض المحسنين من أبناء البكيرية.

● جمعية خيرية تعمل على مساعدة المحتاجين يشرف عليها متبرعون.

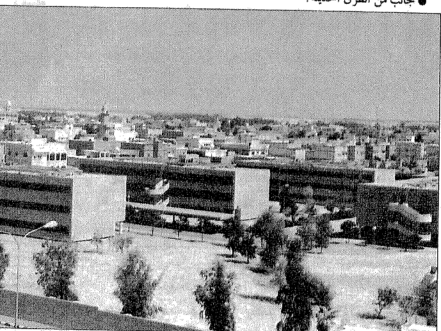
● مركز التأهيل الشامل للمعوقين.

●● وقـد فتحت الرئاسة وحدة صحية للبنات لكثرة عدد المدارس وطـالبـاتها ومدرساتها عام ١٤٠٤هـ.

وهـكـذا .. وعـلى الـرغم من مظاهر النهضة والـتطـور الحضـارى للبـكـيريـة فى مختلف النواحى وشتى المجالات إلا اننا لا نزال نلمس فيها ذلك الجمال الطبيعى الذى جعل منها فى القديم روضة من الرياض.



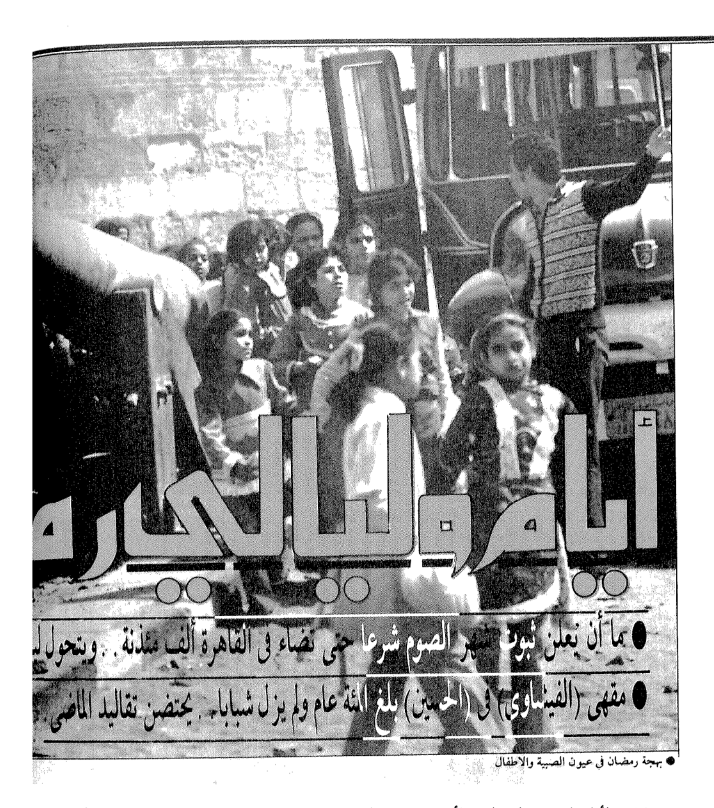
● جانب من الطرق الحديثة.



● مستشفى البلدية العام.

جمعية الهلال الأحمر السعودى

فى عام ١٣٩٧هـ تم افتتـاحهـا وهى تشارك كمثيـلاتها من جمعيات الهـلال الأحمر السعودى المنتشرة فى أنحاء المملكة فى تقـديم الخـدمات الطبية من الشبـاب السعـودى للمشـاركـة فى تقـديم الخدمات الصحية للمواطنين.



● بهجة رمضان فى عيون الصبية والاطفال

كانت لأطفال مصر فى الجيل الأسبق فرحتان فى مستهل شهر رمضان، فرحة موكب «الرؤية» فى الاحتفال باستطلاع هلال شهر الصيام، وفرحة بشراء الفوانيس الرمضانية فى مطلع الشهر المبارك.

وقد كنا فى طفولتنا نصطف على جانبى الطريق المؤدى من دار محافظة القاهرة بميدان باب الخلق الى دار المحكمة الشرعية العليا بحى الحلمية قبل غروب الشمس بساعة فى يوم «الرؤية» لمشاهدة الموكب الرسمى الذى يتألف من قوة كبيرة من قوات الشرطة الراكبة التى يمتطى افرادها الخيول البيضاء يتقدمهم كبير الشرطة بزيّه الرسمى ـ زى الاحتفالات.



وتسبق هذه القوة فرقة موسيقى الشرطة التى تمتطى الخيول البيضاء ايضا والتى تملأ الدنيا بعزف الأناشيد الجميلة . . كما تلحق بهذا الركب جماعات تمثل الطرق الصوفية فى ازيائها وشعاراتها المتعددة . .

ويلى ذلك موكب شعبى يمثل اصحاب الحرف والصناعات وبخاصة الصناعات ذات الصلة بشهر رمضان وقد استقلت كل طائفة عربة كبيرة مزودة بادوات صناعتها ـ والرجال فى كل عربة من هذه العربات يمارسون انتاجهم الصناعى .

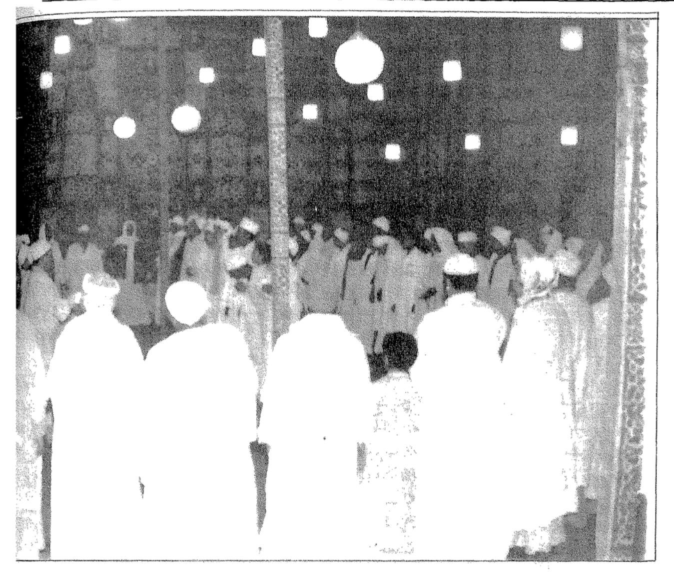
وكان مما يضاعف فرحتنا ايام طفولتنا بهذا الموكب اننا كنا نرى على احدى عرباته مجموعة من صناع الفوانيس الرمضانية المختلفة الالوان والأشكال، وكانت فرصة تتيح لنا ما نختاره من هذه الفوانيس التى يسير بها الاطفال جماعات جماعات، كل جماعة منهم تملأ شارعها بأناشيد رمضانية بعد ثبوت رؤية الهلال .

■ لقد كان استطلاع هلال رمضان يتم بدار المحكمة الشرعية العليا وهو نوع من القضاء الاسلامى الخالص مخصصا لكل القضايا ذات الصلة بما نسميه **«الاحوال الشخصية»** وقد اندمج هذا القضاء فى القضاء الاهلى منذ اربعين سنة تقريبا فى اتجاه الى توحيد القضاء المصرى بعد الغاء المحاكم الاجنبية المختلطة التى كانت مخصصة لقضايا الاجانب وحدهم ثم احيلت قضاياهم الى القضاء الوطنى المسمى باسم **«القضاء الاهلى»** مع اختصاص قضايا الاحوال الشخصية التى كانت تنظرها المحاكم الشرعية بدوائر متخصصة بعد توحيد القضاء وبعد النظام المعمول به حتى الآن .

■ واذا ثبتت رؤية هلال رمضان محليّاً او جاءت اشارة تليفونية من المحكمة السعودية برؤيته . . واعلن ذلك كبير القضاة الشرعيين انطلقت فى جميع طرقات المدينة جماعة **«المسحراتية»** وهم يرددون **«صيام، صيام، على ما حكم قاضى الاسلام»** .

■ والمسحراتية هم جماعة من ابناء الاحياء الشعبية تتطوع لايقاظ الناس ساعة السحور كى يتناولوا طعام سحورهم، وكانت لهم فى ذلك اناشيد ينشدونها على دقات الطبول ثم يقف كل منهم بكل باب من ابواب القطاع المخصص له من زملائه لينادى السكان باسمائهم، فكنت تسمعه يقول **«ياحاج محمد . . ياعم سيد احمد»** يا أولادنا العزاز على وحسن ومحمود . . وكان المسحراتى يقوم بهذه المهمة ثلاثين ليلة فى رمضان دون ان يطمع الا فى الحصول على جزء من زكاة الفطر صبيحة يوم العيد .

■ لقد كان رمضان هو شهر النور فى القاهرة . فما ان يعلن ثبوت الهلال حتى تضاء فى القاهرة ألف مئذنة وتحيط الثريات الكهربية



● شهر رمضان له طعمه ونكهته الخاصة.

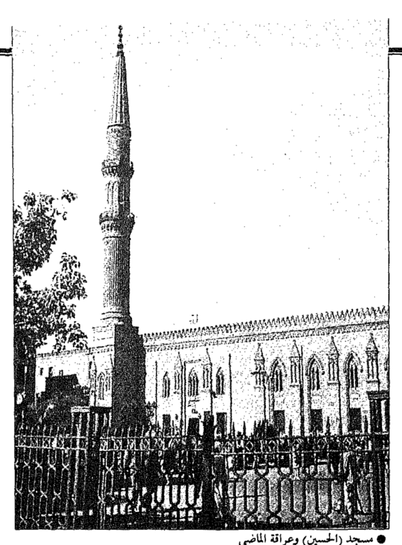
● ليالى رمضان حافلة باللقاءات الدينية فى المساجد والأحياء.

● موسيقى الأذكار فى تكية المولوية.

بكل المآذن.. فتزيد الإضاءة الفنية البديعة.. ثم تمتد انوار رمضان الى دور افاضل السكان الذين كانوا يتبارون فى اضاءة ابواب دورهم طوال ليالى الشهر الكريم، فرغم وجود الاضاءة الكاملة للشوارع كان كل بيت كبير يضىء عدداً من المصابيح الكهربية على بابه حيث كان يقف بكل باب احد قراء القرآن يؤذن اذان المغرب، ثم يدعو كل عابر سبيل الى مائدة الافطار التى كان كرام الناس يمدونها وراء ابوابهم الكبيرة لكل طارق.

فاذا ما انتهى تناول الافطار الجماعى واقيمت صلاة المغرب ثم صلاة العشاء أقيم مجلس يتبارى فيه قراء القرآن فى قراءاتهم ثم يلى ذلك بعض الموشحات الدينية.

■ ولقد كان من تقاليد رمضان فى البيوت الكبيرة سواء فى القاهرة او فى ريف مصر ان يجتمع افراد الاسرة جميعا حول مائدة السحور التى يتصدرها كبير الاسرة وتتخللها أحاديث ينقل فيها الكبار تجاربهم الى الصغار حتى اذا ما فرغوا من الطعام



● مسجد (الحسين) وعراقة الماضى

● مسجد السيدة زينب ونفحات التهليل والتكبير

أديرت عليهم اكواب الشاى او القرفة او الجنزبيل ليتناول كل ما يريد الى مطلع الفجر حيث يؤم كبير الاسرة افرادها فى الصلاة.

على ان اعجب ما رأيته فى السهرات الرمضانية بمنازل الكبراء فى طفولتى ان احد اصحاب القصور كان يقيم كل ليلة من ليالى رمضان مباراة بين المنشدين فى قوة الأصوات، وكانت هذه المباراة تقام فى غرفة صغيرة مقفلة، على جدرانها أرفف كثيرة وعلى الأرفف اطباق صغيرة من الورق المقوى او البلاستيك وعند اشارة من صاحب القصر يبدأ احد المنشدين فى اطلاق صوته القوى ثم يليه آخر من بعده، فمن استطاع بقوة صوته أن يسقط اكبر عدد من الاطباق من فوق رفوفها اخذ الجائزة وهى جائزة مالية سخية يعطيها صاحب البيت كل ليلة لمن يفوز بها.. وربما كانت هذه «اللعبة» ذريعة لكى يتصدق الرجل على بعض المنشدين الذين يعلم ان بهم خصاصة.

وارجو الا تحسب ان مباهج رمضان كانت قاصرة على الكبراء بل العكس هو الصحيح وان اختلفت الأساليب.

■ لقد كنا نتواعد ونحن فى عهد الصبا على اداء صلاة العشاء جماعة بمسجد الامام الحسين حتى اذا ما قضيت الصلاة خرجنا الى مقاهى الحى الساهرة التى كانت تستعد لسهرات رمضان استعداداً خاصاً وكان اشهر هذه المقاهى واكبرها مقهى «الفيشاوى» الذى كان قد بلغ المائة سنة من عمره.. وكان هذا المقهى قد اقامه اهله على بقايا قصر قديم من قصور المماليك بكل ما كان فيها من حجرات واثاثات ولافتات حسنة الخطوط.

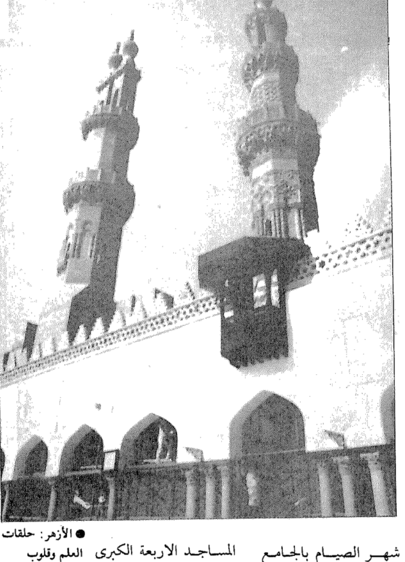
■ ان هذا المقهى لم يكن مشربا بقدر ما كان منتدى ادبيا وفنيا طوال ليالى رمضان.. كانت السهرة به تبدأ بتبادل الاشعار والازجال بين شعراء الشعب وفنانيه.. ثم تلى ذلك مباراة فى النكت والفوازير. ثم يقف الشاعر «ابو ربابة» ليتلو قصة من اقاصيص الشعب القديمة.. ويظل الساهرون فى هذا المقهى فى شغل بما يسمعون الى ان يتنبهوا على صوت موقع السحور فهرع نصفهم الى منازلهم - اما النصف الآخر فكانوا يفضلون تناول طعام السحور هناك.

■ لقد كانت هناك مطاعم تمثل جامعة عربية او جامعة اسلامية.. فهذا مطعم مصرى.. وهذا مطعم شامى.. وهذا مطعم سعودى.. وهذا مطعم مغربى. وكل مطعم من هذه المطاعم يقدم من الوان الطعام ما ينتسب

الى منطقته - فكنا فى كل ليلة نختار سحورنا من احدى هذه الاقطار بين احاديث الاخوة والأخوة حتى يعلو صوت المؤذن باذان الفجر فنهرع الى ساحات الامام الحسين لنصلى . . ولعلنى قد دنوت الان من الحديث عن السهرات الروحية القاهرية فى رمضان .

■ لقد كانت فى كل مسجد من المساجد القاهرية الكبرى ندوة دينية تلى صلاة التراويح حيث يتطوع كبار علماء الدين بالقاء الكلمات والرد على الاستفسارات على النحو الذى ينفرد به الآن فضيلة الداعية الاسلامى الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى وكانت اشهر هذه الندوات فى الجيل الاسبق ندوة مسجد السيدة زينب وكان قطب هذه الندوة الشيخ **(السمالوطى)** .

ولكى اعرفك بالشيخ السمالوطى انقل اليك ما سمعته عنه من احد أصدقائه - وكان هذا الصديق أبى : قال : «عندما تولى الملك فؤاد عرش مصر . وحل شهر رمضان اتبع التقاليد الرمضانية بان يصلى الملك صلاة الجمعة الاولى من شهر الصيام بالجامع الأزهر أو يصلى الجمعة الاخيرة بجامع عمرو . . اما جمعتا الوسط فيصلى احداهما بالمسجد الحسينى والاخرى بمسجد السيدة زينب وفى مسجد السيدة زينب وقف العالم الكبير الشيخ السمالوطى يخطب خطبة الجمعة حتى اذا بلغ مرحلة الابتهال بالدعاء الى الله اسقط بين ابتهالاته الدعاء للملك الذى كان يعتبر اذ ذاك لازمة من لوازم خطب الجمعة . . وفى اليوم التالى نقل الشيخ الكبير من مسجد السيدة زينب احد المساجد الاربعة الكبرى الى زاوية صغيرة جدا تسمى **«زاوية جنيد»** فلم يأب ولم يتردد فى اقامة ندوته الرمضانية بتلك الزاوية وقد انتقلت اليها جماهير المصلين بالمسجد الزينبى لسماع احاديث الشيخ .



● الأزهر : حلقات العلم وقلوب المحبين للذكر

واحست الدوائر الرسمية بهذا النفوذ الروحى للشيخ السمالوطى وبدءوا يتوددون اليه . . وسألوه فى البداية : لماذا لم تدع للملك وقال : ان الدين يمنعنى من ذلك لانه قد ولى الملك على يد حاكم اجنبى غير مسلم «يقصد على يد الاحتلال البريطانى» فكيف ادعو له؟ . .

وانتهت مفاوضات المصالحة مع الشيخ بتجديد موعد لقاء بينه وبين الملك وكان اذ ذاك يسمى سلطاناً - وفى الموعد المحدد ذهب الى قصر عابدين مقر الملك ولاحظ امناء القصر ان الشيخ لا يلبس الكسوة الرسمية الخاصة بكبار العلماء ، وكانوا يسمونها «الخلعة» وقالوا للشيخ : حبذا لو احضرت الخلعة ولبستها



فى انتظار مدفع الأفطار بالقرب من مسجد الحسين

لمقابلة السلطان. فرجع الى بيته وعاد وفى يده حقيبة صغيرة من القماش وقد حمل بها «الخلعة» التى وضعها امام رجال القصر قائلا: ان كان الملك يريد ان يستقبل الخلعة فها هى امامكم.. اما اذا كان يريد ان يستقبل الفقير الى الله الشيخ السمالوطى فها انا امامكم.. فلما نقلوا هذه الرواية الى السلطان امرهم بأن يضربوا صفحاً عن الكلام فى «الخلعة» واستقبل الشيخ بدونها وتلطف معه كثيرا وابلغه انه عائد الى مكانه فى مسجد السيدة زينب.

■ وكانت الندوة الرئيسية الرمضانية بالمسجد الزينبى تتخللها قراءات قرآنية من قارىء المسجد الشيخ احمد ندا وكان الشيخ ندا ثانى اثنين قد عرفا بجمال الصوت وحسن التلاوة اما الآخر فهو الشيخ محمد رفعت.. ومع ان صوت الشيخ رفعت كان اكثر جاذبية الا ان الله قد وهب الشيخ ندا قوة فى الصوت حتى لقد كان سكان الحى جميعا يسمعون صوته وهو يتلو القرآن داخل المسجد بلا مكبرات للصوت.

■ وفى ليلة من ليالى الجمع فى شهر رمضان دعا احد الكبراء الشيخ ندا لإحياء سهرة رمضانية فى قصره واجتمع اصدقاء هذا الكبير حول الشيخ ندا منصتين الى تلاوته الجميلة وكان احدهم فى فترة من فترات الاستراحة من القراءة اقترح على الشيخ ان يغنيهم اغنية ادبية لطيفة ومع الحاح الحاضرين بدأ الشيخ ندا يغنى وبينما كان تصفيق الحاضرين يملأ الاسماع اذا بالشيخ يشعر ان صوته قد احتبس فقفز من مقعده الى الطريق ومازال يعدو حتى ادرك المسجد الزينبى.

■ ووقف وتوجه الى القبلة يستغفر الله ويبكى..

● صيام .. صيام .. على ما حكم قاضى الاسلام.

● المسحراتى.. هذا التقليد الرائع الجميل.. دقات طبول هادئة وترانيم شهر مبارك.

● فانوس رمضان كم سعدت به أنفسنا فى أيام طفولة مرحة.

● على أبواب البيوت يقف واحد لحظة الغروب ليدعو كل عابر سبيل إلى مائدة الافطار.

● نترقب ظهور الهلال وتعمنا الفرحة ويغمرنا السرور.

● كبير الأسرة يتصدر مائدة السحور وتدور الأحاديث وتستاغ روايات الكبار للصغار.

ومازال يبكى حتى صلاة الفجر.. وكرر هذا الموقف عقب الصلاة واستمر يبكى ويستغفر حتى أذن المؤذن لصلاة الجمعة وقد جلس الشيخ من قبل على مقعد قارىء السورة، وما كاد ينطلق بقوله «بسم الله الرحمن الرحيم» حتى أحس انه لم يكن فى يوم من الايام اقوى صوتاً مما هو الآن.

■ واقسم الشيخ نذا ألا يستعمل صوته فى غير القراءات القرآنية ووفى بنذر نذره فى تلك الليلة بأن يستمر فى قراءاته اطرافا من الليل واطرافا من النهار طوال شهر الصيام.

■ اما بعد: فاننى اريد ان اتحدث عن «الأذكار» التى كانت لها محافلها القاهرية فى شهر رمضان. كان اكرم هذه المحافل ما كان يقام بمنازل الصالحين فى غسق الليل بلا صياح ولا ضجيج.

لكن الامانة التاريخية تقتضى ان اقول اننى رأيت فى صباى اذكارا تصاحبها اصوات القارىء وكان اعجب حلقات هذه الاذكار ما كان يقام فى التكايا و«التكية» فى المجتمع القديم هى دار المسنين الآن، اى انها منزل مخصص لفريق من الناس اوقف احد المحسنين عليهم دخلا يكفيهم الحاجة طوال حياتهم، وقد اختفى هذا النظام منذ جيل بعد ظهور انظمة التكافل الاجتماعى.

ولقد كانت اعجب التكايا تكية «المولوية» فى حى السوقية القريب من حى القلعة وكان سكان هذه التكية من سلالات بعض المماليك وكان لهم زىّ يميزهم هو الجيب الفضفاضة والطربوش البنى الذى يبلغ المتر طولا بالاضافة الى شواربهم الطويلة جدا.

■ كانت حلقة الاذكار الرمضانية فى تكية المولوية مصحوبة بالموسيقى الوترية التى كان يجيدها سكان هذا المكان.. لقد كانوا ينشدون اناشيد مختلطة بين العربية والتركية تصاحبها انغام موسيقية حلوة.. لكن الاعجب انهم كانوا اثناء هذا الذكر يدورون حول انفسهم دورات سريعة جدا وقد يبسط كل منهم ذراعيه ويميل برأسه وطربوشه الى اليمين او الشمال.

■ وهكذا كنت تجد فى تقاليد رمضان القاهرية فى الجيل الاسبق فنونا تنم عما كان عليه العصر من مرح وتقوى.. كان عصراً يعيش فيه الناس دينهم ودنياهم فى جو من هدأة النفوس الطيبة المؤمنة التى لم تشهد صخب العصر الجديد.

عددنا القادم

«الاستشراق والمستشرقون»

العدد السنوى المتخصص

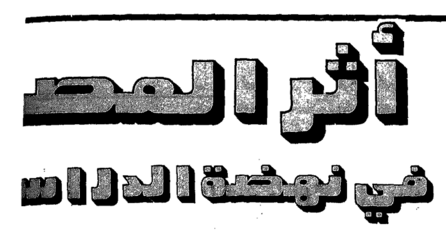
اهتم علماء الغرب بالتراث الاسلامى فى جميع مجالاته .. ونشأت هيئات علمية تتوجه الى دراسة الحضارة الاسلامية وتراث البلدان الاسلامية.. ونشأت مراكز الاستشراق بتخصصاتها المختلفة.. رصدت كل الامكانات لصالح هذه الهيئات وتلك المراكز فراحت تصدر الكثير من الدراسات وفهارس المخطوطات وكتب التراث العربى المحققة.

ويفرض السؤال نفسه.. ماذا صنع هؤلاء بتراثنا؟.. كيف أثر غزوهم الفكرى فى ابناء المسلمين؟. هل ثمة توجه علمى مخلص من نتاجهم نستطيع أن نميزه عن سائر ما نقلوه؟.

واذا كان ثم توجه من الاستشراق والمستشرقين.. فهل هناك ما نستطيع ان نفرزه عنهم إيجابا؟. وما مدى إفادة تراثنا العربى من بحوثهم ودراساتهم؟. ومدى واقعيتها وارتباطها بأقطارنا العربية والاسلامية؟.

لكل هذا رأت « المنهل » أن يكون عنوان عددها القادم «الاستشراق والمستشرقون».



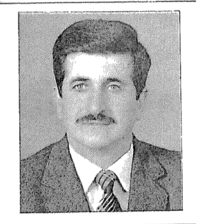


مساحة للضوء

● منهج البحث فى الأدب المقارن فى امريكا يختلف عن غيره من المناهـ

● المدرسة الفرنسية تعنى بتخفيف الصلة التاريخية بين الأدبين قبل ان تحـ

● الدراسة المقارنة لأدب وفن ينتميان الى حقبة زمنية واحدة يمكن ان تـ

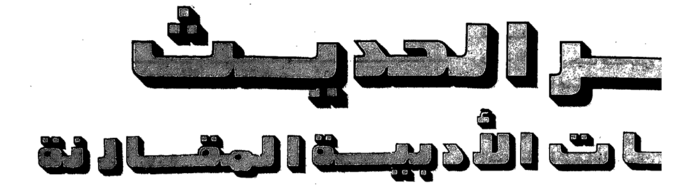


بقلم الدكتور
بهيج القنطار

■ *المقارنة او الموازنة مصدر خصب من مصادر المعرفة الانسانية. فالانسان فى مختلف دراساته اتخذ المقارنة سبيلا للوصول الى الحقائق الجوهرية المتعلقة بميادين بحثه. ففى علم الحيوان مثلا قارن الدارسون بين الحيوانات المختلفة فصنفوها الى اجناس وانواع. وكان هذا التصنيف مبنياً على ملاحظة الخصائص الجوهرية لكل جنس من الأجناس وكل نوع من الانواع المتباينة. وقد سلك الباحثون فى شتى العلوم تلك السبيل، فانتهوا الى نتائج محددة، وكانت هذه النتائج ثمرة للدراسة الدقيقة المبنية على الموازنة، ودقة الملاحظة وسلامة الاستنتاج.*

واللغات، وهى ادوات التعبير عن الادب خضعت لمثل هذه الدراسة المقارنة، فكان لها اثرها العميق فى التعرف الى اصولها، والاحاطة بما تحقق لها من تطور خلال العصور. لقد طبقت الدراسة المقارنة على المفردات اللغوية، كما طبقت على المركبات وهى التى تعرف فى اللغة العربية بالجمل، وكان من نتائج تطبيق الدراسة المقارنة على المفردات، ان وجد لدينا علم اللغة بفروعه المتعددة، كما كان من نتائج تطبيقها على المركبات فى اللغات المختلفة، ذات الأصل الواحد، أن وجدت لدينا دراسات كثيرة فى النحو المقارن، ولقد ادى كل ذلك الى تصنيف لغات العالم الى أسر لغوية تضم كل اسرة منها مجموعة من اللغات يجمع بينها اصل واحد مشترك سواء أكان هذا الأصل معروفاً محدداً أو كان مجهولا قد انقرض، ولم يصل الينا فى صورته الأصلية وانما بقى ممثلا فى الفروع التى انبثقت منه.

■ ومما يجدر الانتباه اليه ان الدراسات المقارنة فى العلوم البحتة والتطبيقية تستند الى وحدات



ـج الاخرى إذ يدخل فى اعتباره ترابط الدراسات الانسانية جميعها . .

ـوض فى تفصيلات الدراسة المقارنة .

ـسهم إسهاماً عظيماً فى زيادة عمق التذوق لكل منهما .

مادية ملموسة تدرس على اساس من واقعها المحسوس ، وربما انطبق شيىء من هذا ايضاً على الدراسات اللغوية ، فالمفردات اللغوية تمثل كل منها قيمة صوتية محددة ، وعلى هذا الاساس يمكن مقارنة هذه المفردات وإدراك ما بينها من تقارب او تباعد .. وهكذا الشأن بالنسبة للمركبات فى اللغات ذات الاصل الواحد فهى تخضع لنوع من المنطق يمكن ـ على اساسه ـ ان تجرى بينها الدراسات المقارنة .

■ اما الادب فيمثل مشكلة قائمة بذاتها تختلف عن الحالات السابقة التى اشرنا اليها . إن الدراسة الادبية المقارنة لا تتناول قضايا محسوسة بل هى تدور حول تأثيرات قد تتضح وقد تختفى . ولا يكون وضوحها بالضرورة مقتبساً من مميزات الاعمال الادبية المقارنة ، بقدر ما يكون مقتبساً من قرائن خارجية كأن يعترف مؤلف بأنه قد تأثر بغيره فى عمل معين ، أو تقوم قرينة خارجية على هذا التأثر .

■ اما الاقتصار على مجرد المشابهة فكثيرا ما قاد الى اخطاء كان منشؤها الاقتناع بظواهر الامور بدون غوص الى بواطنها ، فكثيرا ما قال بعض الدارسين باقتباس «دانتى» (Danty) منظومته المعروفة بالكوميديا الإلهية من رسالة الغفران للمعرى . وان الدراسة الجادة المتعمقة لهذين العملين تكتشف عن زيف مثل هذا الادعاء الذى نادى به قائلوه على اساس من ظاهر الحال ، ومهما يكن الأمر فقد جد الباحثون فى العصر الحديث لوضع الاسس العلمية التى يمكن ان تقوم عليها دراسة الادب المقارن .

■ ان الادب المقارن فى صورته الحالية ثمرة لتطور الدراسات الادبية فى العصر الحديث . لقد اتخذت المقارنة ـ كما ذكرنا ـ سبيلاً للبحث فى كثير من العلوم وكان لابد لها ان تجد سبيلها الى الدراسات الادبية .

وليس معنى ذلك ان المقارنة فى الدراسات الادبية من مبتكرات هذا الزمان ، فقد عرفت المقارنة ضمن نطاق الأدب الواحد ، وكذلك بين الآداب المختلفة منذ ازمان بعيدة ، ففى ادبنا العربى مثلا نجد كتابا للآمدى بعنوان **«الموازنة بين ابى تمام والبحترى»** وكذلك نجد للجرجانى بعنوان **«الوساطة بين المتنبى وخصومه»** وهذه دراسات داخل نطاق الادب العربى قامت على الموازنة .

■ اما فى نطاق الآداب المختلفة فنحن نقرأ عند نقاد الرومان ـ

● يرى بعض الدارسين ان الفنون يفسر بعضها بعضا.

● قضية الاقتباس عند الأدباء وتأثرهم ببعضهم قضية لا تحدد بمجرد المشابهة فى بعض الأعمال.

● الأدب الفارسى الاسلامى اقتبس الكثير من الأدب العربى.

وأهمهم هوراس ما بين فطنة هؤلاء النقاد لما كان للأدب اليونانى من اثر عميق على الادب اللاتينى.

ونقرأ لأبى هلال العسكرى فى كتابه الصناعتين(١) ملحوظات على فن الشعر عند العرب والفرس. فالالتفات الى الآداب الاخرى كان معروفاً منذ ازمان بعيدة لكن العصر الحديث كان له الفضل فى وضع اسس جديدة لهذه الدراسة، محاولا إرساء قواعدها، وتأصيل مناهجها.

■ ***اما العوامل التى ادت الى نهضة الدراسات الأدبية المقارنة فنوجزها بما يلى:***

اولا: يجيىء فى مقدمة هذه العوامل توثق الروابط بين ارجاء العالم، نتيجة لما استطاع تحقيقه من تقدم علمى فوسائل المواصلات السريعة قد ربطت بين الأمم ربطاً وثيقاً وقربت المسافات بينها، وعاونتها على عقد أواصر اقوى مما كانت تستطيعه فى سالف الازمان.

ثانيا: انتشار فن الترجمة واطلاع الأمم المختلفة على الآداب الاجنبية سواء منها ما كان وثيق الاتصال بأدبها او ما كان بعيداً عنه والترجمة تستثير الشوق لمعرفة المزيد عن الادب الاجنبى الذى تنقل نصوصه الى لغة الادب القومى وفى هذا ما يحث الدارسين على التوسع فى دراسات الآداب الاخرى ومقارنتها بالادب القومى.

ثالثا: ان الطباعة قد يسرت الحصول على الكتب بأبخس الاثمان وقد اتسع تبادل الكتب بين الامم منذ اختراع الطباعة، وقد شجع هذا التوسع فى التبادل على دراسة الامم الاجنبية ومحاولة النفاذ الى اسرارها، والعمل على اكتشاف الصلة بينها وبين الادب القومى.

رابعا: تمخضت الدراسات العلمية والفلسفية والاجتماعية فى العصر الحديث عن تفسيرات جديدة للأدب. وهذه التفسيرات قد مهدت السبيل للتوسع فى دراسة الأدب من حيث صلته بغيره من الفنون الجميلة، وكذلك بمختلف فنون المعرفة، فنشأت دراسات تبين مكان الشعر من الفنون الجميلة او صلة الدراسات النفسية بالادب.

الأدب المقارن ومجالات البحث فيه

لسنا نعنى بها قدمنا ان الأدب المقارن قد نال اعترافا به فى كل امة من امم العصر الحديث، بل إن الواقع أن عدداً قليلاً من امم العالم هى التى عُرِف عنها التوسع فى مثل هذه الدراسة.

لقد ازدهرت الدراسات الادبية المقارنة فى فرنسا وبخاصة فى جامعة السوربون، حيث ظهر كبار الاساتذة الذين برزوا فى دراسة الادب المقارن، وحاولوا ان يضعوا له من القواعد والاصول ما يحدد اهدافه، ويسدد طرق البحث فيه.

ولقد عنيت المدرسة الفرنسية عناية كبيرة بتحديد مجالات البحث فى الادب المقارن. وظهر من اعلام المدرسة الفرنسية اساتذة مثل **«جوبار، وفان تيجم، وبالدنسبرجر، وغيرهم»**، والاتجاه العام لدى المدرسة الفرنسية هو ان الادب المقارن تقتصر على دراسة







أبو العلاء المعرى — أبو تمام — المتنبى

الأداب المختلفة دراسة مقارنة. وعندهم ان اللغة هى التى تعين شخصية الادب الذى يقارن بغيره من الآداب. فلا يجوز ان تعد من الأدب المقارن دراسة مقارنة تدور حول مدرستين ادبيتين ضمن نطاق ادب اللغة الواحدة، بل ان من الضرورى فى الدراسة المقارنة ان يكون هناك اختلاف فى لغة الادبين اللذين نقارنهما. كما انه من الضرورى ان يكون هذان الأدبان قد وقع بينهما لقاء تاريخى. اما التشابه الذى قد نراه، من غير ان يكون مبنيا على اساس من اللقاء التاريخى فلا يعتد به فى دراسة الادب المقارن.

■ وقد قامت فى المانيا مدرسة شبيهة بالمدرسة الفرنسية اهتمت بدراسة آداب الامم المختلفة دراسة مقارنة على اساس تلاقيها التاريخى، برغم اختلاف لقائها.

ولم تعرف الجامعات الانكليزية دراسة للادب المقارن على النحو الذى ازدهر فى فرنسا، بل ان الدراسة المقارنة تجرى حيث يوجد مجالها، وتسمى باسمها. فاذا درس أثر الآداب الكلاسيكية على الادب الانكليزى فهذه الدراسة تدور على اساس منهجى وتسمى باسمها، أما جمع الدراسات المقارنة كافة فى ظل دراسة تعرف بالادب المقارن، فهذا ما لا تعرفه الجامعات البريطانية، أو على الاقل لم يدخل ضمن برامجها حتى وقت قريب. فبرغم كثرة الدراسات المقارنة التى قام بها العلماء الانكليز لم نجد علما يظهر عندهم باسم الادب المقارن.

■ امـا الولايات المتحدة فهى من الدول التى تستخدم مصطلح الادب المقارن، وتقوم بعض جامعاتها بإدراجه ضمن برامجها التعليمية. والادب المقارن فى الولايات المتحدة يتناول جنبات أرحب من البحث. فعند دارسى هذا الفن ان الادب المقارن يستوعب كل الدراسات المقارنة بين الآداب المختلفة او بين الأداب وغيرها من الفنون بوجه خاص، وبينها وبين غيرها من المعارف الانسانية بوجه عام، فالادب المقارن فى امريكا يمكن ان يتناول الحركة الرومنسية فى الشعر والموسيقى كما انه قد يتناول الادب وعلم النفس أو الأدب والاخلاق وهكذا فالمنهج الأمريكى يدخل فى اعتباره ترابط الدراسات الانسانية، وضرورة البحث المقارن لاستجلاء ما يغمض من جوانبها(٢) فنحن إذن نستطيع ان نتناول الادب المقارن من نواح مختلفة تختلف ضيقاً واتساعاً بحسب نظرتنا اليه.

الأدب المقارن فى معناه واهدافه

قد لا نكون بعيدين عن الصواب اذا قلنا ان المدرسة الفرنسية تهتم بدراسة الادب المقارن فى معناه الخاص. ونقصد بالمعنى الخاص هذا ان هذه الدراسة لا تجاوز حدود الدراسة الادبية، فيما تعتبره ضمن ميادين الأدب المقارن.

فالادب المقارن لا يتجاوز دائرة الآداب الى غيره من الفنون او المعارف، انه يهتم بمقارنة ادب معين بأدب آخر او بعدد من الاداب الاخرى، وهو كذلك يهتم بمقارنة عمل ادبى فى احدى اللغات بعمل مناظر له فى لغة اخرى.

■ وهكذا لا تدرس المذاهب الفنية التى شاعت فى فنون مختلفة وآداب متعددة إلا ضمن نطاق الآداب، اما المقارنة بين الادب وغيره من الفنون فليست عند الفرنسيين مما

● عنيت المدرسة الفرنسية عناية كبيرة بتحديد مجالات البحث فى الأدب المقارن.

● الاختلاف فى اللغات ووجود الصلة التاريخية شرطان يجب توافرهما فى الدراسات المقارنة.

يدخل ضمن موضوعات الأدب المقارن. وليس معنى ذلك ان الفرنسيين لا يعرفون مقارنة الآداب بالفنون. فعند الفرنسيين الوان متعددة من هذه الدراسة لكنهم لا يعتبرونها من موضوعات هذا العلم، الذى يعرف فى جامعاتهم بالادب المقارن.

على ان دراسة الاداب دراسة مقارنة يجب ـ عند المدرسة الفرنسية ـ ان تتوفر لها الأسس الآتية:

أولا: ان يكون هناك اختلاف فى اللغات بين هذه الآداب. فليس من دراسات الأدب المقارن عندهم اية دراسة تقارن بين الادب الانكليزى والادب الامريكى مادامت اللغة واحدة فى هذين الأدبين. وليس من الادب المقارن دراسة الادب الفرنسى مقارناً بما ينتجه بعض مواطنى كندا من ادب باللغة الفرنسية.

ويختلف الدارسون الأمريكيون مع الفرنسيين حول هذه المسألة وطبيعى ألا يعتبر الامريكيون ادبهم مجرد امتداد للأدب الانكليزى. ومن هنا كان للامريكيين موقف من هذا الموضوع بنى على اساس ان الادب المقارن يهتم بدراسة الأدب فى صلاته التى تتعدى حدود القومية، فالقومية وليست اللغة هى التى تحدد نوع الأدب. وعلى هذا تكون دراسة الادبين الانكليزى والامريكى دراسة مقارنة مما يدخل ضمن نطاق الادب المقارن. وربما يتوقفون مترددين إزاء صلة أدبهم بالادب الانكليزى إبان فترة الاحتلال الانكليزى لأمريكا، فلا يصرون على الفصل بين الادبين خلال هذه الفترة.

■ اما عصور الاستقلال فهى عندهم عصور تطور فيها الادب الامريكى واصبح منفصلا عن الادب الانكليزى. وهذه مسألة لا نستطيع ان نسلم بها من الوجوه كافة. فما الاستقلال السياسى الذى يكون اساساً لاختلاف الادب وهل نعتبر الكيانات السياسية المنفصلة للدول العربية مثلا مصدراً لخلافات جوهرية بين آداب العرب فى مختلف الدول العربية؟ هل تعتبر من موضوعات الادب المقارن أية دراسة توازن بين الشعر العربى الحديث فى مصر والشعر العربى الحديث فى لبنان؟.

■ الواقع ان الحدود السياسية لا يمكن ان تكون اعتباراً كافياً للقول بخلافات جوهرية بين الآداب، تجعل منها اداباً مختلفة تدرس دراسة مقارنة كما هو الحال بين الآداب المختلفة للغات. إننى اميل الى اعتبار مدارس الشعر فى الاقطار العربية المختلفة، مدارس متعددة لأدب واحد، تدرس ضمن نطاق هذا الادب، ولا تعد من مباحث الادب المقارن.

■ وهكذا الحال بالنسبة لأدبنا العربى فى عصوره السالفة. فالمقارنة بين الادب العربى فى بغداد والادب العربى فى الاندلس ليست من الدراسات التى تدخل ضمن نطاق الادب المقارن. انها دراسات لأدب واحد فى بيئاته المختلفة وليست مقارنة بين ادبين مختلفين.

ولعل وجهة النظر الامريكية فى اعتبار الادب الامريكى ادباً منفصلا عن الادب الانكليزى تستند الى اعتبارات اخرى الى

جانب الحدود القومية ومن هذه الاعتبارات ان سكان الولايات المتحدة لا ينتمون فى اصلهم الى شعب واحد بل هم مهاجرون يرجعون الى مختلف شعوب العالم. وهذا التنوع كان اساساً وباعثاً لخلق ادب جديد، يختلف عن الادب الانكليزى وان شاركه فى اللغة بقدر كبير.

ثانياً: ان يكون الادبان اللذان نقارن بينهما قد قامت بينهما صلة تاريخية. وتهتم المدرسة الفرنسية بتحقيق الصلة التاريخية بين الادبين قبل ان تخوض فى تفصيلات الدراسة المقارنة. أما إن لم تقم الادلة أو القرائن على اتصال الادبين، فليس هناك مجال للدراسة المقارنة. ومعنى ذلك ان المدرسة الفرنسية ترى ان الهدف من الدراسة المقارنة هو الكشف عن ميادين التأثير والتأثر. اما دراسة الفنون المتناظرة فى الآداب المختلفة التى لم يحدث بينها لقاء تاريخى فلا ترى المدرسة الفرنسية لذلك كبير فائدة. لكننا نخالف رأى هذه المدرسة فى هذا الاتجاه. فدراسة الفنون المتناظرة فى الآداب المختلفة تكشف عن الوان ممتعة من المعارف لا نرى مبرراً لاخراجها من نطاق الادب المقارن. ومن امثلة ذلك دراسة فن الملاحم عند اليونان والفرس والهنود. فمثل هذه الدراسة - ان امكن تحقيقها - تكشف بأسلوب المقارنة عن طبيعة هذا الفن الشعرى فى آداب مختلفة. مما قد يعاون على تحقيق تفهم أوسع واشمل لمدلولاته الانسانية. ومما يعترض به على مثل هذا البحث انه يفوق طاقة الدارس مهما أوتى من علم وعرفان. فأين الباحث الذى يحيط بكل هذه الاداب، ويتعمق دراسة كل منها، ثم يقوم بعد ذلك بدراسته المقارنة. ولكن الجهود التعاونية التى تتمثل فى الأعمال الموسوعية تقدم حلاً لمثل هذا الموقف العسير. فهناك الوان من الدراسة تقوم على مجموعة من العلماء المتعاونين وتقدم حلا لما يعجز عن تحقيقه فرد واحد.

●● ونستطيع بعد هذه المناقشة ان نتقدم لذكر امثلة فى موضوعات الادب المقارن، وفق مفهوم المدرسة الفرنسية.

■ ان الادب المقارن - عند اساتذة المدرسة الفرنسية - يهدف الى بيان نواحى التلاقى بين الادب القومى لإحدى الامم، وغيره فى آداب الامم الاخرى، مبينا جوانب التأثير والتأثر، مستعينا فى كل ذلك بما تؤيده وثائق التاريخ من تلاق بين الامم مكّن لها من ان تتبادل فيما بينها هذا التأثير والتأثر.

هذا الاتجاه العام للادب المقارن يتضمن ايضاً الدخول فى كل التفصيلات التى تنطوى تحته. فليس المقصود دراسة الافكار او التأثيرات المتبادلة بين أدبين او اكثر فحسب، بل يدخل فى ذلك دراسة الانواع الادبية عند الامم التى تلاقت آدابها وثقافاتها.

فقد يحدث ان تقتبس احدى الامم من امة اخرى نوعاً أدبيا او بضعة انواع ادبية. ان العرب فى هذا القرن قد اقتبسوا فى اوروبا انواعاً ادبية متعددة نذكر منها الادب التمثيلى منظومه ومنثوره والقصة والاقصوصة.

ويدخل فى دراسات الادب المقارن ما قد تتبادله الآداب من قيم وتقاليد فنية. ان عملا مثل كتاب الشعر لأرسطو(٣) بما انطوى عليه من قيم ومفهومات كان له اعمق الأثر على نقاد الادب من الرومان. ثم كان له بعد ذلك اثره العميق على الآداب الاوروبية فى عصر النهضة. وربما امتد اثره بعد ذلك بقرون. ولا نقصر الأثر هنا على ما أحدثه هذا العمل من تأثيرات مباشرة، بل يدخل فى ذلك ايضاً ما احدثه من تأثيرات غير مباشرة.

■ كما ان من الادب المقارن ما يتناول دراسة المذاهب الفنية التى شاعت فى اكثر من ادب واحد، فلكى نلم بالخصائص الفنية لمذهب الرومنسية الذى ازدهر فى اوروبا فى القرن التاسع عشر لابد ان ندرس الرومنسية المختلفة، ففى آداب اوروبا نماذج مختلفة للرومنسية ولسنا نستطيع الالمام بهذا المذهب ما لم ندرسها جميعاً دراسة مقارنة، وهكذا الشأن بالنسبة للمذهب الواقعى والمذهب


هيجل


شبنهور


دانتي



الطبيعى. لا بد من تتبع هذين المذهبين فى النماذج التى ظهرت فى الآداب الاوروبية المختلفة وبخاصة فى الادبين الفرنسى والروسى، إبان القرن التاسع عشر.

ولا يقتصر مجال الادب المقارن على هذه المذاهب الفنية العامة، وانما هو يتناول موضوعات محددة لقصة من القصص عرفت فى احد الآداب، ثم تناولها شاعر ينتمى لأدب آخر، وكتبها بلغة هذا الادب. وهناك كثير من الموضوعات الكلاسيكية التى تناولها ادباء ينتمون للآداب الاوروبية الحديثة فموازنة الاصول الكلاسيكية بما يناظرها فى الاداب الاوروبية الحديثة يدخل فى مجال بحث الادب المقارن.

■ ومن امثلة ذلك عندنا قصة ليلى والمجنون، فهذه القصة التى تدور حول محبة قيس لابنة عمه ليلى قد انتقلت الى الادب الفارسى، ونظمها عدد من شعراء الفرس منهم نظامى الكنجوى وعبد الرحمن الجامى، فالدراسة المقارنة لقصة ليلى والمجنون فى اصولها العربية وفى منظومات شعراء الفرس، تعد فى حد ذاتها موضوعاً طريفاً من موضوعات الادب المقارن(٤).

■ وفى الادب العربى عدد من الشعراء عبروا عن التصوف الاسلامى بانتاج ادبى يتمثل فى نماذج شعرية او نثرية. وكذلك، الادب الفارسى وجد به كثير من الشعراء الذين عبروا عن هذا التصوف نفسه بنماذج شعرية او نثرية. فالدراسة المقارنة لما كتبه شعراء العرب من شعر صوفى وما كتبه الفرس من شعر صوفى يمكن ان تعد موضوعاً خصباً من موضوعات الادب المقارن.

■ ان الادب الفارسى الاسلامى قد اقتبس الكثير من الادب العربى(٥) فأوزان الشعر العربى قد انتقلت الى الشعر الفارسى لكن الفرس لم يحافظوا على هذه الاوزان كما هى بل ادخلوا عليها بعض التعديلات التى تلائم لغتهم وطوروها بعض التطوير. كما ان اللغة الفارسية قد اقتبست الكثير من المفردات والتعبيرات من اللغة العربية. ويأتى بعد ذلك كله ان الثقافة الاسلامية قد اظلت كلا من الادبين الفارسى والعربى، ولهذا نجد ان لدينا اسساً مشتركة بين هذين الادبين، وكذلك بين الفنون المتماثلة فى كل منهما. وعلى هذا فإن الدراسة المقارنة لفنين متماثلين فى الادب العربى والادب الفارسى تأتينا بنتائج مثمرة عن مدى التأثير والتأثر بين هذين الادبين، وتكشف لنا جوانب متعددة من الاصول الفنية لكل منهما. وهى الى جانب ذلك تعاون دارسى التاريخ الادبى فى فهم الكثير من الحقائق والاحاطة بالمؤثرات العامة والخاصة حيث كتابة التاريخ الادبى العام.

■ وهذه الامور التى نتحدث عنها تعد حقائق مقررة، ولعل تدريس اللغة اللاتينية فى المدارس الاوروبية، فى مرحلة التعليم الثانوى، او تدريس اللغة العربية فى مدارس ايران، بوصفها جزءاً من مواد التعليم العام، توضح لنا مدى الاهتمام الذى يشعر به القائمون على التعليم فى تلك البلاد من حاجة الى بيان الاصول او الروابط التى ارتبطت بها آدابهم فى عصورها المختلفة مع غيرها فى الآداب.

■ وهناك حالات لا يتحقق فيها التأثير والتأثر فى عملين فنيين بينهما بعض الشبه، ومع ذلك يقوم الادب المقارن بالبحث فيهما،

ملتمساً ما عساه يهتدى اليه من تأثير وتأثر.

■ وقد ينتهى البحث الى التحقق من وجود صلة بين العملين الفنيين. كما انه قد ينتهى الى انه لا توجد بينهما صلة على الاطلاق. ومن امثلة ذلك الخلافات المتعددة التى قامت حول تعيين الاصول الفكرية للكوميديا التى نظمها شاعر ايطاليا الشهير «دانتى».

لقد انفق عالم مستشرق اسبانى هو «آسينى بلا تيوس» عشرين عاما فى البحث عن الاصول الاسلامية لهذه الكوميديا. ومع هذا فليس هناك اجماع على الآراء التى ذهب اليها. ولئن استعصى الوصول الى رأى قاطع فى مثل هذه الابحاث فهذا لا ينفى مالها من فائدة فى كشف الكثير من الحقائق المرتبطة بالاعمال الفنية المقارنة.

■ فنحن نرى اذن ان الادب المقارن قد تتسع ابحاثه فيتناول ادبين نشأ احدهما فى احضان الآخر، كما هو الحال بالنسبة للادب اللاتينى الذى نشأ فى احضان الادب اليونانى، وربما اقتصرت ابحاثه على بيان التأثير والتأثر بين ادبين احدهما اقدم من الآخر. والاداب الاوروبية الحديثة كلها مدينة للآداب الكلاسيكية فى كثير من الوجوه، ويأتى على رأس تلك الوجوه كل ما اقتبسته اللغات الاوروبية الحديثة من انواع ادبية كان اليونان مخترعيها.

وربما وقف الأمر عند مسألة واحدة، مثل قصة «احيقار» فى السريانية والعربية والارمنية والأثيوبية واليونانية ثم اللغات السلافية. فهذه القصة قد ظهرت فى كل هذه اللغات، ويمكن ان تكون موضوعاً ادبياً مقارناً.

●● والخلاصة ان الادب المقارن يمكن ان يتناول بالدرس احد المجالات الآتية:

(١) تحقيق التاريخ الادبى لأمة من الامم، وذلك فى بيان عوامل التأثير والتأثر التى قامت بين ادب تلك الامة وغيرها من الامم.

(٢) دراسة احد الشعراء او الكتاب دراسة نقدية تبين نواحى التأثير والتأثر بالآداب الاجنبية عند هذا الشاعر والكاتب، ذلك لأن الادب المقارن يؤدى الى اكتشاف المصادر التى تأثر بها او نقل عنها، كما انه فى الوقت نفسه يبين اثره على من قرأوه وتأثروا بفنه(٦).

(٣) الالمام الماماً واضحاً بتطور فن مهم كالنقد الادبى، ذلك لأن هذا النقد ظهر اول الامر عند اليونان القدماء، ثم انتقل من اثينا الى الاسكندرية فكانت له مذاهبه، وعاد فانتقل الى روما فأثر فى نقادها وشعرائها، وظهر من جديد فى عصر النهضة. ثم فى عصر الكلاسيكية الجديدة، وبعد ذلك تأثر بالدراسات الانسانية المختلفة التى ظهرت، فأفاد من موضوعات جديدة كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وغيرها من العلوم الانسانية التى تطورت فى الازمنة الحديثة، فلكى نفهم نظرية الادب على وجهها الاكمل علينا ان ندرسها عند الامم المختلفة وهذا يدخل ضمن دراسات الادب المقارن، فمثل هذه الدراسة توضح لنا ما كان من تبادل للانواع الادبية والمفهومات الفنية بين الآداب المختلفة التى تبادلت التأثير والتأثر.

(٤) دراسة نوع ادبى دراسة تاريخية محققة، تهدف الى بيان الاصالة والتقليد، وتكشف عن تطور النوع الادبى فى مختلف الآداب تطوراً تاريخياً يتتبع انتقال هذا النوع الادبى من امة الى اخرى، خلال العصور. فيمكن مثلا دراسة المأساة «التراجيديا» عند اليونان، ثم تدرس المأساة عند الرومان ونأتى بعد ذلك الى الاداب الاوروبية التى اقتبست هذا الفن عن الآداب الكلاسيكية بعد عصر النهضة.

(٥) تتبع قصة انسانية او اسطورة عولجت فى اداب مختلفة فمن قصص اليونان ما عولج فى عدد من الاداب الاوروبية ومن الاساطير ما لقى اهتماماً خارج بيئته الاصلية. ومن حوادث التاريخ ما اهتم به ادباء يكتبون بلغات مختلفة فى ازمان متباينة وقد سبق ان ذكرنا قصة ليلى والمجنون العربية وكيف اهتم بها شعراء الفرس فنظمها اكثر من شاعر. ومن حوادث التاريخ لقيت حياة كليوباترا

اهتماماً وصور كثير من الشعراء ـ فى مختلف الاداب ـ قصتها كل باسلوبه وطريقته فى النظر الى حياة هذه الملكة(٧).

(٦) دراسة مذهب ادبى ظهر فى عدد من الآداب المختلفة، فمن الممكن دراسة المذهب الرومانسى واثره على آداب اوروبا. وهكذا الشأن بالنسبة للمذاهب الفنية الاخرى التى ظهرت آثارها فى اكثر من ادب.

(٧) دراسة شاعر او اديب تجاوزت آثاره حدود أدبه القومى وبيان ما كان لهذه الآثار من فاعلية فى آداب الامم الاخرى. وقد ظهر فى اوروبا فى العصر الحديث شعراء وادباء تجاوزت تأثيراتهم حدود آدابهم القومية، هناك شكسبير واثره فى ظهور المذهب الرومانسى، هناك جوته واثره فى آداب أوروبا الغربية، والامثلة على ذلك لا تحصى.

(٨) هذه الحالات التى ذكرناها انما هى على سبيل التمثيل لا الحصر، فمن المستطاع ان نمضى فى ذكر المجالات التى تتسع لدراسات الادب المقارن، فنصل فى تعداد هذه الحالات الى اضعاف ما ذكرنا، لكننا على كل حال لن نستطيع لها حصراً.

(٩) يمكن ان تتناول الدراسات المقارنة ـ وفق المفهوم الامريكى ـ اية دراسة تقارن بين الادب وغيره من الفنون او تبحث العلاقة بين الادب وغيره من الدراسات الانسانية. فموضوع مثل الادب وعلم النفس يعد ـ وفق هذه النظرة الواسعة ـ من دراسات الادب المقارن. وعلى هذا فإن دراسات الادب المقارن يمكن ان تتسع لأبحاث لا نستطيع لها حصراً.

الأدب وصلته بغيره من الفنون الجميلة

تتسع دراسة الادب المقارن ـ فى مفهومه العام ـ لدراسة الادب مقارناً بغيره من الفنون الجميلة. ولقد مهدت لهذه النظرة لفتات تاريخية كثيرة فى دراسة الادب، فأرسطو فى بداية كتابه الشعر تحدث عن نظرية المحاكاة فذكر انها تنطبق على الشعر وعلى غيره من الفنون، يقول «ان شعر الملحمة والمأساة وكذلك شعر الملهاة والديتيرامب وموسيقى الناى والقيثارة، فى اكثر صورها، هى كلها فى مفهومها العام اساليب للمحاكاة.. لكنها تختلف فيا بينها على ـ اية حال ـ من ثلاثة وجوه، الوسيلة والموضوعات وطريقة المحاكاة، او اسلوبها، حيث تتميز فى كل حال عن سواها، فكما ان هناك اشخاصاً يحاكون او يصورون ـ بفضل الصناعة او بمجرد العادة ـ موضوعات منوعة بوساطة اللون والشكل او عن طريق الصوت، كذلك الحال فى الفنون سالفة الذكر، فهى فى جملتها تحقق المحاكاة بالايقاع او اللغة او الانسجام مفترقة او مجتمعة(٨) فنحن نرى من هذه الفقرات التى جاءت فى مقدمة كتاب الشعر كيف ان ارسطو يجمع فى حديثه بين الشعر ومختلف الفنون ويطبق عليها نظريته فى المحاكاة وقد سبقه الى الجمع بين الشعر والفنون استاذه افلاطون فى مواضع مختلفة من كتاباته.

■ واذا تقدمنا نحو العصر الرومانى وجدنا عند هوراس هذا الاتجاه ذاته ودليل ذلك ما جاء فى مقدمة قصيدته المشهورة «فن الشعر» اذ يقول: «شأن القصيدة كشأن الصورة. واحدة تعجبك لو وقفت بالقرب منها، وأخرى تأخذك لو وقفت بعيداً عنها. هذه تحب ان ترى فى زاوية معتمة، وهذه تؤثر ان ترى فى الضوء، لأنها لا تخشى تفحص الناقد الثاقب.

هذه أرضت الناس مرة واحدة، وهذه تعرض عشر مرات فترضيهم كل مرة(٩)».

■ فهنا نرى كيف حرص هذا الناقد العظيم على الجمع بين الشعر والتصوير فى دراسته للشعر، وكيف استعان بفن التصوير لايضاح آرائه فى الشعر. هذه النظرة الى الجمع بين الشعر والفنون الجميلة شاعت فيا تلا عصر النهضة من قرون، ويمكننا ان نضرب لذلك الكثير من الامثلة.

■ فخلال القرنين السادس عشر

والسابع عشر ظهرت محاولات متعددة للجمع بين الفنون والعلوم على اساس مبدأ او مبادىء وفى اواخر القرن السابع عشر اصبح التمييز بين العلوم والفنون من الامور الواضحة. ولقد ظهر فى ايطاليا خلال القرن السادس عشر مصطلح جامع هو «فنون التصميم Artidel Disegno . كذلك ظهر مصطلح «الفنون الجميلة Beaux Arts فى فرنسا إبان القرن السابع عشر. وكان هذان المصطلحان يعنيان الفنون مثل التصوير والنحت والعمارة. ومع ذلك كان يضم اليهما ـ فى بعض الاحيان ـ الشعر والموسيقى.

وحينما حل القرن الثامن عشر جرت العادة على التفكير فى فنون المحاكاة أو التصور المثالى على انها مجموعة مترابطة، وبدأ مصطلح الفنون الجميلة يتخذ معناه الذى اصبح شائعاً خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

■ من الكتب التى ظهرت وعاونت على ارساء مفهوم الفنون الجميلة، بوصفها مجموعة مترابطة، كتاب الأب دى بو Ablee Du Bos ، وعنوانه: آراء نقدية حول الشعر والتصوير(١٠) الذى ظهر فى عام ١٧١٩. وليس يقتصر هذا الكتاب على الشعر والتصوير بل انه كثيراً ما يتحدث عن النحت والحفر والموسيقى وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية عام ١٧٤٨، وأضيفت الى عنوانه كلمة «الموسيقى».

■ هذا الكتاب الرائد قد تبعه كتاب آخر كان له الفضل فى توضيح مفهوم «الفنون الجميلة» وتحديد ما ينطوى عليه هذا المصطلح من المعنى. ففى عام ١٧٤٦ نشر الأب شارل بتو Charles Batteuse كتاباً بعنوان «الفنون الجميلة على اساس مبدأ واحد».

Les beaux Arts reduits a un meme pri n cipe.

■ ان هذا الكتاب ينطوى على اول ايضاح للمفهوم الحديث لمصطلح «الفنون الجميلة» أما المبدأ الذى وحد بين هذه الفنون ـ من وجهة نظر المؤلف ـ فهو محاكاة الطبيعة الجميلة. وقد تضمنت الدراسة فنون الموسيقى والشعر والتصوير والنحت والرقص.

■ وقد تبع الكتاب بعد شارل بتو هذا المنهاج فى النظر الى الفنون الجميلة وكان من اهم من تبعه فى ذلك كتاب الموسوعات مونتسكيو Montesquieu وديديرو Diderot والمبير DAlember فهؤلاء قد نشروا فكرة الفنون الجميلة بوصفها مجموعة مترابطة من ثمرات الابداع الانسانى. وقد وضع هؤلاء العمارة بدلا من الرقص، فاصبحت مجموعة الفنون الجميلة عند هؤلاء هى الموسيقى والشعر والتصوير والنحت والعمارة.

وفى عام ١٧٥٠ نشر «الكساندرفون باوم جارتن» Aleseander Von Baumgarten اول فلسفة منهجية للفنون الجميلة واتخذ كلمة Eotheties اسما لها، فاصبح هذا الاسم علماً على فلسفة الجمال بعد باوم جارتن، وكان صدور كتاب هذا الفيلسوف عام ١٧٥٠.

■ ان هذه النظرة الى الفنون قد استتبعت بعض الدراسات المقارنة التى تبحث عما بين الفنون من التشابه، كما انها كثيراً ما قادت الى الحديث عن احد الفنون بلغة مقتبسة من فن آخر. من ذلك استخدام مصطلحات مثل التلوين فى القصيدة او التجسيم فى الصور الشعرية، ويتجلى هذا المعنى فى مطلع قصيدة عن فن التصوير (شبيهة بقصيدة هوراس عن فن الشعر) نظمها المصور الفرنسى شارل الفونس دى فرزنوى Charles Alphonse Du Fresnoy بعنوان De Arte Graphiea

وفيما يلى ترجمة لمطلع هذه القصيدة:

«إن القصيدة شبيهة بالصورة، وعلى هذا فالصورة يجب ان تسعى لأن تكون شبيهة بالقصيدة.. ان الصورة كثيراً ما تسمى «شعراً صامتاً» وكثيراً ما يسمى الشعر صورة ناطقة».

وبلغ الاهتمام بهذه القصيدة ان الشاعر الناقد الانكليزى درايدن Drayden ترجمها الى

الانكليزية عام ١٦٩٥ وقدم لها بمقدمة تتضمن دراسة مقارنة للشعر والتصوير.

وقد مهد كل ذلك لدراسة اوسع قام بها الناقد الالماني لسنج Lessing وقارن فيها بين الشعر والتصوير. وقد اطلق لسنج على هذه الدراسة اسم لاوكون Laokoon وهو كاهن من طروادة لقى هو وابناؤه العذاب بين براثن وحوش البحر. لقد كشفت بعض الحفريات فى روما عام ١٥٠٦ عن مجموعة من التماثيل تصور هذه الواقعة. وقد وجد لسنج فى هذا مجالاً للمقارنة بين فنين مختلفين اشتركا فى التعبير عن موضوع واحد.

■ وفى نطاق هذا البحث قدم اول مقارنة تفصيلية لفنى الشعر والتصوير ولقد ذكر ان الفرق بين فنى الشعر والتصوير يرجع اساساً الى ان الاول يجرى فى نطاق الزمن على حين ان الثانى يجرى فى نطاق المكان. ففى نطاق المكان يمكن التعبير عن الاجسام تعبيراً مباشراً واضحاً. وفى نطاق المكان يمكن التعبير عن حركة الاجسام بطريقة غير مباشرة توحى بها صورة الاجسام نفسها. اما نطاق الزمن ففيه يمكن تصوير الحركة تصويراً مباشراً واضحاً. اما الاجسام فليس من المستطاع اعطاؤها صورة محددة الابعاد واضحة المعالم. فمهما أوتى الشاعر من دقة الوصف، فانه لا يبلغ مبلغ المصور فى تحديد معالم الصورة الجسدية، انه يصفها بأوصاف متتابعة فتتكون لدى السامع صورة عنها مستوحاة من كلام الشاعر، يكون الزمن عنصراً واضحاً فى تكوينها، اذ لابد من تتابع الاوصاف حتى يكتمل الخيال الموحى بالصورة. اما اللوحة المصورة فانها تستطيع ان تقدم للناظر فى لحظة واحدة صورة مكتملة المعالم واضحة القسمات.

ويتفوق الشعر على التصوير فى وصف الحركة فالمصور يجمع منظراً واحداً فى لوحة ويعبر هذا المنظر عن الاجسام فى وضع معين. وقد يوحى من خلال هذا الوضع بتحركها نحو اتجاه معين. اما الشعر فيمكنه ان يمضى فى تصوير الحركة الى اى مدى يشاؤه الشاعر. ويمكنه ان يوسع مجال تحركه فينتقل من البر الى البحر او من البحر الى البر بدون قيود مكانية تحد من حركته كما هو الحال بالنسبة للتصوير.

■ وقد اكد لسنج ان الفرق بين الشعر والتصوير اهم ـ بالنسبة للنقد ـ من التشابه بينهما. ولم يكن لسنج اول من نبه الى ذلك. فقد سبقه اليه عدد من النقاد خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وتجلى اثر لسنج عظيماً على من جاء بعده، ويكفينا هنا ان نذكر ان شاعر الالمان الكبير «جوته» كان من بين من تأثروا بعمل لسنج وقد عبر عن ذلك بقوله:

«لابد للانسان ان يكون شابا ليدرك مدى الاثر العميق الذى احدثه بنا لسنج بكتابه «لاوكون». لقد نقلنا فى نطاق الملاحظة التعسة الى مجالات الفكر الحر. اما العبارة التى طالت اساءة فهمها ـ وهى ان القصيدة شبيهة بالصورة ـ لقد نحيت جانبا واصبح الفرق بين الشعر والفن واضحاً».

■ ولقد دأب فلاسفة الجمال بعد (كانت) Kent على الجمع بين الفنون الجميلة فى نطاق دراسة واحدة، تسعى الى استخلاص الفلسفة التى تصلح تفسيرا لجميع الفنون. وفى نطاق هذه الدراسات الفلسفية دارت ابحاث كثيرة حول صلة الفنون بعضها ببعض، والموازنة بينها لاكتشاف طبيعة كل منها، وفى تصنيف هيجل Higil للفنون وكذلك فى تصنيف شوبنهور تتجلى لنا نظرة كل من هذين الفيلسوفين الى الفنون وصلة بعضها بالبعض الآخر، وطبيعة كل منها، ومكانتها بين ثمار الفكر الانسانى.

ويذهب «كروتشه» فيلسوف الجمال الايطالى ـ الى انه لا توجد فى الفن اساليب مختلفة للتعبير، كما انه يصف اية محاولة لتصنيف الفنون بأنها لون من السخف العقيم، وعلى هذا الاساس ينفى اى تمييز بين الاجناس والانواع(١١)

كما يذهب «ديوى» فى كتابه عن التجربة الفنية الى ان هناك مادة مشتركة بين الفنون لأن هناك شروطا عامة بدونها لا تتحقق

التجربة(١٢).

ولا نزال نرى كثيراً من المحاولات التي تربط بين الفنون المختلفة سواء في الدراسات النقدية او التاريخية، فاذا تأملنا اعمال ناقد مثل «ريتشاردز» ودرسنا منهجه في ايضاح مشكلة التذوق الادبي وجدنا كيف يكثر من الحديث عن الفنون والتجربة الفنية بوجه عام. وكثيراً ما يقرن تذوق القصيدة بتذوق غيرها من الاعمال الفنية التي تنتمي الى ميدان آخر من ميادين الفن المتعددة.

■ وهناك محاولة قام بها «اوسكار والزل» Oskar Walzel لتطبيق تاريخ الفن على تاريخ الادب، لقد اتخذ هذا المؤلف مبادىء توصل اليها «ولفلن» Wolfflin في كتاب له عن تاريخ الفن(١٣) وطبق هذه المبادىء على التاريخ الادبي.

ونستطيع ان نمثل بكتب أُلّفت في السنوات الاخيرة وقرنت دراسة الادب بغيره من الفنون، من تلك كتاب هيلموت هاتزفلد Helmut Hatyfeld «الادب من خلال الفن» ١٤ وقد وصف المؤلف كتابه هذا بانه تناول جديد للادب الفرنسي.

■ لقد ذهب الى ان الدراسة المقارنة لأدب وفن ينتميان الى حقبة زمنية واحدة يمكن ان تسهم اسهاماً عظيماً في زيادة عمق التذوق لكل منهما، وتزيد من قدرتنا ازاءهما على التفسير والتحليل. فالنظرة الى القصيدة او القصة مقرونة بصورة، قد تكشف عن معنى جديد في النص الادبي، وقد تلقي ضوءاً على الطرق المختلفة التي اتبعت في التعبير عن موضوع فني او ادبي، كما قد تثبت تشاركهما في تلقي التأثير او الالهام من مصدر واحد.

■ وانطلاقا من هذه النظرة تناول المؤلف بالدرس نصوصا ادبية واعمالا فنية متعاصرة وانتهى الى القول بأن الفنون يفسر بعضها بعضاً من جوانب متعددة. فهناك تفصيلات العمل الادبي التي قد توضحها احدى الصور وتفصيلات اللوحة المصورة التي قد تتضح من خلال عمل ادبي، وهناك الافكار والموضوعات الادبية التي قد تلقي الضوء عليها فنون تشكيلية وكذلك موضوعات اللوحات الفنية التي قد توضحها النصوص الادبية، وهناك الدراسة المقارنة للغة الادب ولغة الفن، واسلوب كل منهما، ثم الحدود المشتركة بين الادب والفن.

■ هكذا نرى كيف ان مقارنة الادب بغيره من الفنون ترجع الى زمن سحيق وكيف ان هذا الاتجاه قد بقي متبعاً خلال العصور.

■ وبكلمة فقد جدّ الباحثون في العصر الحديث لوضع الاسس العلمية التي يمكن ان تقوم عليها دراسة الادب المقارن، وبالتالي فان هذا الادب المقارن في صورته الحالية يعد ثمرة لتطور الدراسات الادبية في العصر الحديث، حيث اتخذت المقارنة ـ كما ذكرنا ـ سبيلا للبحث في كثير من العلوم. وكان لابد لها ان تجد سبيلها الى الدراسة الادبية لإرساء قواعدها وتأصيل مناهجها.

الهوامش

(١) ابو هلال العسكري ـ كتاب الصناعتين ـ صفحة ٣٥

(٢) Comparative Literature: Method and Perspective Ed. by Newton P. Stalknech and Horst Frenz, Southern Illinois university Press 1961
وهو كتاب أسهم فيه عدد من المؤلفين وتجلى فيه هذا الاتجاه.

(٣) ارسطو ـ كتاب الشعر ـ ص ١٣٥ وما بعدها.

(٤) قصة مجنون ليلى ـ النص الأصلي ـ النص الفارسي ـ ومسرحية احمد شوقي.

(٥) فؤاد الصياد ـ محاضرات في الادب المقارن ـ بيروت ١٩٦٨.

(٦، ٧) شوقي ضيف ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٦٥ وما بعدها، ص ٢٠٣.

(٨) ارسطو ـ كتاب الشعر صفحة ٨٥ وما بعدها.

(٩) هوراس: فن الشعر: ترجمة لويس عوض ص ٩٠ ـ القاهرة ١٩٤٧.

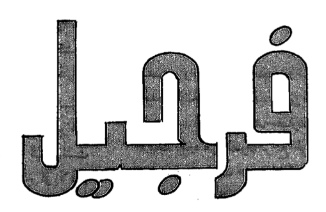
(١٠) Refleseions critiques sur la poesie et sur la pennture

(١١) Rene Wellek and, Austin Warren: Theoty of Literature P. 130 (Penguin Books)

(١٢) Ibid

(١٣) Lemeiples of Art hiotory. Cenglish tr. ly M.D Hottinger Nex york 1982

(١٤) Yiterature through Art Nex York 1955



فرجيل أعظم شعراء اليونان

دكتور نبيل راغب

● استطاع فرجيل بأشعاره أن يحرك قلوب الفلاحين وأحاسيسهم ويجعلهم اكثر ارتباطا بمزارعهم.

● الانيادة ملحمة من روائع الشعر الكلاسيكى الرومانى تصل الاساطير بالتاريخ.. كتبها فرجيل نثرا أولا ثم نظمها شعرا بعد ذلك.

ولد (فرجيل) أعظم شعراء الرومان قاطبة فى ١٥ أكتوبر عام ٧٠ قبل الميلاد ولقد تضاربت الأقوال فيما يختص بوالديه، فقيل إن أباه كان مزارعا بسيطا يقوم بزراعة ضيعة صغيرة له وانه قبل أن يعمل بالفلاحة كان عبدا رقيقا تمكن من أن يصبح حرا وأن يتزوج بابنة مولاه.. كما قيل انه كان يمتهن صناعة الأوانى الخزفية.. أما أمه (ماجيا بوليا) فقد ذاع صيتها فى القرون الوسطى اذ فسروا كلمة «ماجيا» بالساحرة وجعلوها وابنها أكبر السحرة.

■ كان مسقط رأس «فرجيل» قرية آنديز بالقرب من بلدة مانتوا بإيطاليا وبعد أن أصاب قدرا من العلم فى قريته نزح ككل الشباب الطموح الى العاصمة ودرس الآداب اللاتينية القديمة وحفظ منها الكثير. ويبدو أثر ذلك واضحا فى إشاراته وفيما نقله عن الشاعر الملحمى (اينوس) وأمير شعراء الغزل (كاتولوس) وشاعر الفلسفة الابيقورية (لوكريتيوس). أخذ فرجيل بعدئذ يتعلم الخطابة ـ حال كل الشباب المثقف اذ ذاك ـ بغية الاشتغال بالمحاماة غير أن استعداده الطبيعى لم يكن ليؤهله لذلك اذ غلب عليه الحياء والخجل وانتابه فشل ذريع راح ضحيته أول مسكين تولى الدفاع عنه، وقد سجل فرجيل فى اشعار له توديعه للخطابة واتجاهه صوب دراسة الفلسفة.. ورغم أنه لم يكن يدرى بالطبع أن نهاية مطافه هى احتراف الشعر ـ والشعر فقط ـ فاننا نلمس حنينا خافتا ورغبة مكبوتة تتعجل هذا المصير للكشف عن ملكة شعرية أصيلة «فلتفرين» عنى أيتها

القوالب الفارغة لمدرسة الخطابة . . لكن الالفاظ جوفاء خلت من أى جمال يونانى ، أما نحن فراحلون الى الشواطىء السعيدة ننشد الفلسفة الحكيمة للوكريتيوس العظيم ، تلك الفلسفة التى ستخلص حياتنا من القلق . . ولتذهبنّ أيضا من هنا الهات الشعر الجميلات . وان كنتن حقا لطيفات معى ولكن زرننى بربكن وليكن هذا على استحياء ولفترات متباعدة .

■ كانت الفلسفة الذائعة فى روما اذ ذاك هى فلسفة أبيقور وكان شاعرها الفرد هو (لوكريتيوس) غير أن فرجيل بعد تحمسه لهذا المذهب لم يجد فيه شيئا يخلب لبه وسرعان ما انصرف عنه وان كان قد احتفظ لا بيقور ولوكريتيوس بأجمل الذكريات . . كان من زملاء فرجيل فى الدراسة ومن الجماعة القليلة التى عنيت بالشعر أصدقاء أشهرهم (بالوس) وهو الذى صار فيما بعد حاكما لمصر ثم وشى به لأوغسطس واضطر الى الانتحار . وقد ساعد هؤلاء الأصدقاء فرجيل فى النكبة التى حلت به بعد موقعة فيليبى عام ٤٢ ق . م ذلك أنه عقب تلك الموقعة صودرت أراض كثيرة لتوزيعها على الجند الذين ناصروا (اوغسطس . . وانطونيوس) ضد (كاسيوس . . وبروتوس) فى الحرب الأهلية التى اشتعل أوارها عقب مقتل يوليوس قيصر ـ وكانت بلدة مانتوا من البلدان التى اتهمت بمؤازرة الجمهوريين قتلة قيصر فصودرت أراضيها ومنها المزرعة التى إرثها قد آل الى فرجيل بعد وفاة أبيه . . وكان أن تشفع له أصدقاؤه لدى أوغسطس فعوضه عنها بمزرعة أخرى فى نابولى وقد نظم فرجيل قصائده المعروفة بالرعويات مسجلا وفاءه لصنيع اوغسطس .

■ ان فرجيل يصف فى هذه الأشعار حوارا بين راعيين احدهما يستريح فى ظل الأشجار هادئا مطمئنا قد منحه الإلّه كل ما يصبو اليه من سعادة والأخر شريد طريد قد أخرجه جندى غشوم لا يفقه فى الزراعة من حقل ورثه عن آبائه .

«ها أنت مستلق عند أقدام شجرة تين ظليلة ـ تشدو فى الغابة الحانية بألحان رعوية جميلة ترددها وراءك الأحراش ، أما نحن فمشردون من أوطاننا . . ان الها قد منحك هذا النعيم» .

يرى بعض النقاد أن الراعى الهانىء بعينه هو فرجيل وأن الذى منحه الهدوء والسعادة هو أوغسطس . غير أن هذا التفسير لم يحز رضاء البعض الأخر الذى يرى أن فرجيل لم يكن قد اتصل بعد بأوغسطس اتصالا وثيقا ، وأن لغة الشعر لم تكن قد تطورت اذ ذاك الى ذلك الحد الذى يعتبر فيه رئيس الشعب الها اذ من المعروف أن أوغسطس حرم على سكان ايطاليا عبادته وأن كان قد أباح ذلك لسكان الولايات ، وكان من الممكن للايطالى المتحمس لعبادة الامبراطور أن يقدم القرابين لروح اوغسطس فقط . وان كان هذا الحوار قد حمل النقاد على الانقسام فريقين فى الرأى وجعل الناس نقادا كانوا أو رجال دين يختلفون ايما اختلاف ، ذلك أن فرجيل يبشر بميلاد طفل سيكون مقرونا بعودة العصر الذهبى الذى نعم به الناس ابان حكم ساتورنس . واذ ذاك سيعم الاستقرار والسلام وتؤتى الأرض أكلها من تلقائها دون مشقة أو عناء . .

«العذراء آتية . . ومملكة ساتورنس الذهبية عائدة بهبوط طفل جديد من السماء العالية . . أما أنت يا لوكينا يا إلهة الولادة الطاهرة ، فارعى الطفل ساعة ولادته اذ بها سيغرب عصر الحديد ويشرق العصر الذهبى . . اذ ها نحن أخيرا يحكمنا أبولو» .

وقد احتار النقاد فيمن يكون هذا الطفل . . أهو الابن الذى كان الناس اذ ذاك ينتظرون مولده لانطونيوس واكتافيا أخت أوغسطس؟ أم هو ربما ابن لاوغسطس نفسه؟ . . أم كما قال رجال الكنيسة هوالمسيح بعينه قد تنبأ فرجيل بمولده؟ وليكن الطفل كما يرى أى من هؤلاء . اذ أن فرجيل فى الواقع قصد أن يصف ما كان يجول بخاطر كل شخص فى

روما اذ ذاك، كان الناس يتمنون ان تنقضى تلك الأيام العجاف وكانوا يتلهون الى آلهتهم بأن تضع حدا لتلك الحروب الطاحنة لينعم الشعب الرومانى بفترة من الهدوء. وقد وفق فرجيل فى أن يعبر عن الآمال التى كانت تجيش فى صدور الرومانيين.. وان يحلق بأفكارهم الى فردوس فى ظل أوغسطس.. لقد اقتفى فرجيل فى رعوياته تلك، الشاعر الاسكندرى ثيوكريتباس - غير أن شعره اتسم بأصالة واتقان فنى لم تكن لتأتى الا لمن كان ذا موهبة أصيلة صقلت بدراسة فن الشعر وتدرب على قرضه لفترة غير قصيرة.

■ بعد كتابة هذه الاشعار ذاع صيت فرجيل ورسخت قدمه واعتبر شاعر روما الأول فطلب اليه وايكتياس وزير اوغسطس أن يوظف شعره فى أمر كان أوغسطس يوليه اهتماما فائقا. لقد تسببت الحروب الأهلية فى اهمال مشاريع الزراعة ونقص ضخم فى عدد الفلاحين مما جعل الأراضى الزراعية تتكتل فى أيدى فئة اقطاعية مترفة قليلة لا قبل لها بمشاق الزراعة. وهكذا تركت الأراضى الشاسعة كمراع مما اضطر الحكومة الرومانية الى أن تعتمد فى تموين الشعب على جلب الغلال من شمال أفريقيا ومصر، واستدعى ذلك تنظيم اسطول تجارى ضخم لنقل هذه المؤن وأصبح من يستطيع التحكم فى جلب هذه المؤن متحكماً فى مصير روما، لذا أوعز مايكتياس الى فرجيل بأن يكتب فى فن الزراعة. فأخرج اربعة كتب تعتبر حقا آية فى الفن، اهتز لها بردبرينوس فوصفها بأنها شىء أعظم من الالياذة - وقد سميت أشعار فرجيل تلك بالزراعيات، والمعروف عن الشعر التعليمى انه لا يعتبر شعرا بل نظما.. وأنه لا يكفى الشخص أن يأتى بكلام ينطبق على قواعد العروض ليكون ما ينظمه شعرا - فهذا ليس بشاعر بل هو ناظم.. غير أن فرجيل شذ عن هذه القاعدة.. لأنه لم ينظر الى الزراعة نظرته لأفعال جامدة تنبت الحبوب وما عداها.. ولم ينظر الى الأرض نظرته الى طين ميت يخرج النبات بطريقة لا شعورية - وانما نظر فرجيل الى الأرض على أنها كائن حى.. وأن هذه الأعمال الزراعية إن هى الا عوامل على مساعدة هذا الكائن لانتاج كائن آخر هو النبات.. وتغنى فرجيل بالغلال وأبرزها فى حياة الفلاحين من لذة ومتعة وسعادة.. لقد أفلح فى أن يتسلل الى قلوب الفلاحين فحرك أحاسيسهم وأرهف مشاعرهم.. وحلق بهم فى جنة داعب تربتها البكر فتغطت بضفائر من زرع أخضر جميل، تحتضن فى رفق جداول ونهيرات، وتحنى الرأس راضية لقطيع ماشية كسحب تتهادى على الأرض لا فى السماء.. جنات نسيمها عابث لا يمل دغدغة سنابل القمح مرة على استحياء وتهتز مرات عن اعجاب.. جنة أشجارها ضخمة لها غصون تتطاول لتُسْمِعَ السماء همسها.. وغصون آوت طيورها الى أوكارها فاخضرت أوراقها خجلا.. وغصون أثقلتها فاكهة فتدلت فى استرخاء. ولم تخل جنة فرجيل من النحل ومملكته الدقيقة.

■ إن أخلد أشعار فرجيل فى الواقع هى الانيادة، وهى ملحمة من روائع الشعر الكلاسيكى حاول فيها الشاعر أن يصل الأساطير بالتاريخ ليرجع الرومان الى أصل اغريقى والى أن المؤسس الأول لمدينة روما هو اينياس الجد الأول لعائلة يوليوس قيصر. وقد شرع فرجيل فى كتابة الانيادة منذ عام ٢٧ ق.م. حينما طلب منه اوغسطس أن يعرض عليه عملا يسجل موهبته الشعرية... والرأى المعروف أن فرجيل كتب الانيادة نثرا فى أول الأمر ثم نظمها شعرا ولم يمهله القدر ليراجعها المراجعة الأخيرة فأوصى وهو فى النزع الأخير بحرق هذه الملحمة غير أن أوغسطس أمر بتجاهل هذه الرغبة الأخيرة وعمل على نشرها كما هى دون أى تعديل.

■ كان فرجيل يحب أن يكون للانيادة ما للزراعيات من روعة فنية، والمعروف عنه أنه كان بطيئا جدا فى الكتابة اذ كان لا يكتب أكثر من بيت واحد فى اليوم، وكان

يقول عن نفسه انه يفعل ما تفعله الدببة التى يقال انها بعد وضع صغارها تبدأ فى تشكيلهم بلسانها حتى يأخذوا شكلها العادى. وقد بقى أثر هذه الأجزاء التى لم تستوف حقها من المراجعة واضحا فى الانيادة.. فهناك من أنصاف الأبيات العدد الكبير.. كما أن هناك أبياتاً قلقة فى حاجة الى تعديل أو نقل أو حذف. تتكون الانيادة من ١٢ كتابا ولم يتردد فرجيل فى الاعتراف بأن ملحمته قد تضمنت الكثير من الملاحم الهومرية، وان كان فرجيل قد أضاف اليها أيضا الكثير مما كتبه شاعر الملاحم (الاسكندرى ابولونيوس الرودسى) وان كان هومر قد أوقف ملحمة كاملة هى الالياذة على وصف المعارك والحروب. وآثر أن يفرد ملحمة أخرى مستقلة وهى الأوديسة ليصور مغامرات أوديسيوس حتى إيابه الى وطنه، الا أن فرجيل فضل أن يجمع فى ملحمة واحدة بين حروب آينياس (الالياذة) ومغامرات تجواله حتى وصوله الى أرض الميناء (الأوديسة).

هذا بالاضافة الى أن فرجيل قد أجرى تعديلا بارزا آخر وهو أنه فضل أن يضع فى صدر ملحمته الكتب الستة الأولى - وصف مغامرات تجوال اينياس.

وهكذا تراجع الحديث عن حروبه ومعاركه الى مؤخرة الملحمة. وقد وصف فرجيل فى

● إنيادة فرجيل رغم أنها حُبِكَتْ على نمط الإلياذة إلا أنها تتعارض معها فى مواضع كثيرة وتختلف عنها فى الطبيعة وتدنو منها فى القيمة.

كتبه الستة الأولى تجوال اينياس منذ رحيله من طروادة حتى وصوله الى ايطاليا ليحقق مشيئة الآلهة فى اقامة امبراطورية ثانية بدلا من تلك التى انتهت بسقوط واحراق طروادة. غير أن (هيرا) التى أضناها طيش باريس وما ترتب عليه من فقدانها للتفاحة الذهبية، لم يشف غليلها ما فعلته به وبقومه من سقوط مملكته وابادة عشيرته الا حفنة صغيرة تمكنت من الفرار.

■ ان المرأة وان كانت الهة تشارك كبير الآلهة عرشه ان نسيت وتناست اساءة ما جسيمة كانت أو تافهة لا تغفر ابدا لمن يجرح كرامتها ويفضل عليها أخرى لجمالها، لذا عللت (هيرا) على أن تعوق تلك الحفنة الباقية من سلالة باريس عن الوصول الى ايطاليا. وهكذا جنحت سفنهم الى شاطىء أفريقيا حيث قابل اينياس ديدو ملكة قرطاجة التى وقعت فى غرامه.. وقصة ديدو الغرامية مع آينياس لا محل لها فى قصيدة حماسية، ولسنا نعرف بالدقة من أين التقط فرجيل فكرة إدماج هذه القصة فى الانيادة غير أن مصادره الأدبية معروفة لنا.. فهناك «قصة ميديا» فى ملحمة ابولونيوس الرودسى.. وهناك الكثير من تلك القصص المشابهة فى الشعر المسرحى.. وكما هى عادة فرجيل كان يأخذ الكثير ممن سبقوه ويصوغه جديدا بحيث لا تظهر عليه مسحة ولا أدنى أثر لشىء مأخوذ من أى مؤلف سابق.

■ أما عن مصادره التاريخية فمن الصعب أيضا معرفتها - الا أن قصة ديدو وآينياس كانت معروفة قبل عصر فرجيل. ففى احدى قصائد الشاعر الرومانى القديم نايفيوس بيت من الشعر تسأل فيه احدى النساء البطل آينياس عن قصة طروادة.. ولا ندرى ان كان نايفيوس يقصد بهذه المرأة الملكة ديدو أم أختاً لها. غير أن فرجيل صاغ من هذا البيت البسيط قصة طويلة شائعة فأوقع ديدو فى غرام آينياس بل جنت بحبه وانتحرت لهجره.. وأجرى فرجيل على لسانها صب اللعنات عليه وهى فى النزع الأخير وجعلها تتنبأ بأن بطلا من قرطاجة سوف يثأر لما لحقها من هجر وهوان والمقصود بالطبع بهذا

● تطلع فرجيل فى أول أمره ان يكون محاميا وخطيبا الا أنه سرعان ما تحول عن هذا التطلع الى الشعر فقط.

البطل هو هانيبال. وكان فرجيل يعرف طبعا ما أنزل (هانيبال) بروما من ويلات.

■ هكذا مزج فرجيل الحقيقة بالخيال واستغل الأساطير فى تفسير التاريخ. ان القصة من وجهة نظرنا الحديثة تضعف من شخصية البطل الرومانى اذ ترى ديدو تخرج من محنتها كبطلة تستحوذ على عطف القراء، بينما آينياس ليس الا رجلاً غادراً خدع امرأة وغرر بها عندما كان فى ذلك منفعته ورجاله وأسطوله، ولكنه لم يلبث أن تركها وفر هاربا.

غير أن القارىء الرومانى لم يكن لينظر تلك النظرة، بل كان يتصور ديدو كامرأة ارادت أن تستأثر بهذا البطل وتقف دونه وتحقق مشيئة الأقدار من الوصول الى ايطاليا وتأسيس امبراطورية رومانية عظيمة. لقد كان الرومانيون يسلمون بمثل هذه الأوامر الالهية.. وكانت ديدو لعبة تلك الأقدار الغامضة ـ هذا الى أن غراميات الرجل وتقلباته لم تكن تثير فى العالم القديم ما تثيره الآن من أحاسيس مختلفة. وهكذا لم يحس فرجيل بل لم يتصور اطلاقا أن التغرير بديدو وانتحارها سيقلل من شأن البطل الرومانى أو يلحق به أى عار.

■ لقد كان الرومان يغفرون للرجل كل شىء وان أشفقوا على ضحاياه.. وأخيرا ينجح آينياس فى الوصول الى ايطاليا حيث يقوم بزيارة للدار الآخرة. ويمكن القول ان فرجيل يقلد هومر فى تصوير مثل تلك الزيارة غير أنه لم يأخذ منه فى الواقع أكثر من فكرة.. لقد طال العهد بين عالم هومر والعالم الذى عاش فيه فرجيل ـ اذ نجد اخيليس يقول لأوديسيوس انه يفضل أن يكون راعيا تحت ضوء الشمس من تلك الحياة التى يحياها.

■ اما عصر فرجيل فقد كان عصر تطاحن بين الأفكار الدينية المتباينة.. امتد نفوذ الديانات الشرقية الى بلاد اليونان والرومان.. ثم ظهرت المسيحية فيما بعد.. وعلى ساحل ايطاليا الغربى انتشر مذهب أودينوس الذى كان يحدد الطريق الى الدار الآخرة والذى بنى على أساس من الأساطير الاغريقية البدائية.. وقد كان دينا له أسرار عميقة ولابد من طقوس خاصة للاطلاع على هذه الأسرار.. وانتشر فى جنوب ايطاليا مذهب فيثاغورث وهو أيضا له أسرار خطيرة ـ وعلى ذلك نجد أن تصوير فرجيل لزيارة العالم الآخر تحوى هذه المبادىء الدينية مع قدر كبير من الخرافات الرومانية واليونانية.

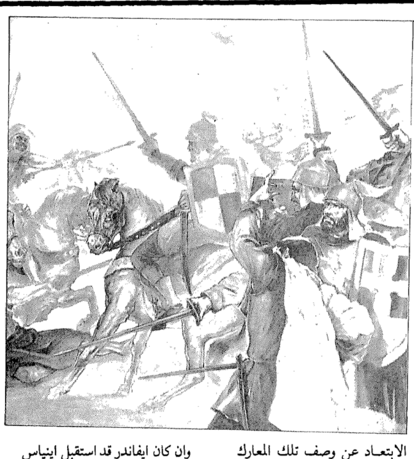
أخذ فرجيل فى الدار الآخرة أُناسٌ لهم شخصية مستقلة لا يحتاجون كما فى الأوديسة الى أن يتجرعوا دم الضحايا ليستطيعوا النطق بما يريدون. ولقد كانت فكرة العقاب والثواب خافتة فى عصر هومر. كانت هناك أساطير عن أبطال عوقبوا عقابات شتى وكانت هناك ربات الانتقام التى كان عملها يقتصر على الحياة الدنيا لا الآخرة.. أما فى عصر فرجيل فقد انتشرت فكرة الثواب والعقاب الشخصى ـ كل امرىء يجزى بما كسبت يمينه. كان اتباع اودينوس وفيثاغورث يؤمنون بأن هناك ثوابا وعقابا وأن هناك جنة وناراً وتناسخا. ربما كانت هذه المبادىء الدينية ناشئة من تطلع العامة الى دنيا جديدة يجد فيها المعذبون فى الأرض سعادة فى الدار الآخرة غير أن فرجيل وان تأثر بهذه الأفكار لم يكن يريد أن ينشر أيا منها ـ فبينما كل من هذه المبادىء يقصر السعادة على من اطلع على الأسرار الخطيرة الخاصة بهذه الأديان، نجد أن فرجيل لا يقصر السعادة على من رأوا الأسرار الدينية فى أى دين وانما جعلها عامة لمن يعمل صالحا فى الحياة الدنيا.

■ وقد ذكر بلوتارخ ما وعدته هذه الأديان لمن يؤمنون بها ويقفون على اسرارها الخطيرة. انهم يذهبون الى الدار الآخرة حيث تشرق شمس تغيب.. وحيث مراع كلها ورود وأزهار.. أما الأشجار ففاكهتها من ذهب.. وفى السنة التاسعة تسمح العذراء (برسيفونى) للأشخاص الذين أدوا ما عليهم من عقوبة بالرجوع الى ضوء الشمس. وليس لدينا فى الواقع ما يشرح لنا أسرار وطقوس هذه الأديان الا أن بعض ما أورده افلاطون يلقى عليها ضوءا خافتا.

■ يقرر أفلاطون أن الارواح تذهب الى دار الآخرة وقد قاد كلا منها حارس حيث تحاسب على ما فعلته فى هذه الدنيا، ان خيرا فإلى دار النعيم وان شرا فندم على ما قدمته يداها ثم الى الجحيم.. وبعد عام يسمح لها بأن تطير حول نهر الجحيم حيث تقابل من أضرت بهم ليعفوا عنها.

وقد عاود افلاطون الحديث عن الدار الآخرة فذكر أن بعد المهات تذهب الأرواح الى الدار الآخرة التى يتولى الفصل فيها قضاة فى استطاعتهم أن يروا علامات على روح الميت تفصح عن أعماله بالحياة الدنيا.

■ أما الجزء الثانى من الانيادة الذى يصور حروب آينياس فهو أدنى مرتبة من القسم الأول لأن فرجيل فى الواقع كان يكره الحرب وينفر منها.. وحاول بقدر الامكان



الابتعاد عن وصف تلك المعارك الهومرية الخيالية. وعلى كل فالانيادة تتعارض مع الالياذة فى مواضع كثيرة على الرغم من أنها حبكت على نمطها ـ هذا الى أنها تختلف عنها فى الطبيعة وتدنو منها فى القيمة.

■ ويرى بعض النقاد الذين يؤمنون بالرمزية فى الانيادة أن الشخصيات الموجودة فى هذه الملحمة لا يجب أن تؤخذ على ظاهرها.. فاينياس هو اوغسطس.. وايفاندر ليس الا فرجيل.. وبينما ترك ايفاندر وطنه فان فرجيل قد طرد من مزرعته ـ اذ كانت أم ايفاندر قد تنبأت بعظمته فقد كانت أم فرجيل تدعى ماجيا واسمها يدل على أنها ساحرة..

وان كان ايفاندر قد استقبل اينياس فان فرجيل قد استقبل أوغسطس لكن ايفاندر حاول أن يشرح لآينياس بعض الطقوس الرومانية وكان همه أن يثبت أنها ليست بخرافات بينما نرى فرجيل عندما أسبغ على أوغسطس بعض الالقاب المقدسة حاول أن يدافع عنها. غير أن بعض النقاد الايطاليين يرى أن فرجيل كان يبغض العائلة القيصرية التى حرمته من مزرعته وشردته، ولا يعقل ان فرجيل يعمل على تمجيد وتخليد ذكرى تلك العائلة.. انه فى الواقع قصد أن يلحق عار الخديعة والغدر بتلك العائلة وذلك باضافة قصة (ديدو) الى ملحمته وابراز غدر وتغرير (اينياس) بها.

رسالة إلى جدِّها

٣

رسالتُها الى جدها
فى متجره الصغير . .
عند منعطف الزقاق الضيق
حيثُ بيوتنا . . . وبيوتهم . . .
الجيران . . . الأحياء . . . الذين عرفت الحياة على وجوههم
ورسالتها الى جدها
من البلد الذى ذهبتْ اليه مع ابيها واخواتها الصغار وأمها . .
من البلد الذى قال جدها
يذهبون الى حيث يجدون لقمة العيش
الى المزيد من الرزق الحلال . .
فقد ثقل الحمل . . . وازداد العيال . . .

* * *

رسالتها الى جدها
اخذتها بين يدى . . . اقرؤها له
اخذتها بين يدى، حمامة بيضاء . . . ناعمة وديعة
وقرأتها . . .
تحب جدها . . . تقبله ألفَ قبلة . . . أوحشها جدا . . .
تسأله لم لا يذهب هو ايضا الى هناك
تتمنى ان تجلس اليه ، وان تسمع منه تلك الحكايا الحلوة
عن أيام زمان ، ايام كان شابا . . يغامر . . يسافر . . .
على الجمال بين الأودية والجبال
تحت زخات المطر . . . وفى وجه العاصفة . . .
كيف ضاع فى الوادى . . .
وكيف عاش اياما على حافة غدير . . . يأكل النبق . . . وينام
تحت الصخرة وهناك وجد من هداه الى الطريق . . واصبح
اعز صديق . . .

* * *

رسالتها الى جدها . . . فى نهايتها تحياتها
الى الجدة . . . والعمات . . . والجيران . . .

كان القلب يقول . .

مناجاة يراع خفاق . . يستطيب التجربة وينفعل بالوجد . . يرتحل فى أعماق الذات الانسانية فيحصد المعنى الْمُعنَّى . . ويتواصل مع نمير الكلم العذب فيطوع شارده ويعصف بركيكه وصولاً لغرض انفاسه فى طواعية واقتدار عبورا للمتلقى والمبدع على حد سواء .



عزيز ضياء

جاء البريد



مساء وعودة راعٍ يسوق القطيع
وبوق سيارة .. طليق سريع
وجاء البريد
وجاء الرجال ، شيوخ كبار
يقولون جاء ... جاء البريد

* * *

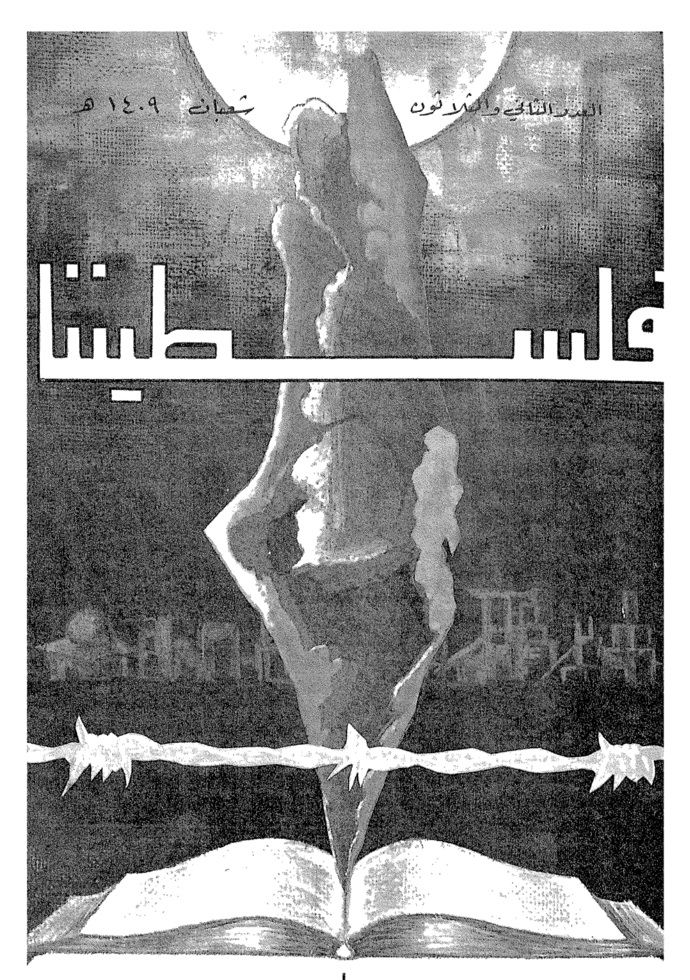
وأم ... وجدة وخال عجوز
على البئر ... دِلاء تغور
وقربة يفتح فوهتها العجوز
ويحملها ثم يجرى بها
صبى حفيد ...
ويسمع عند الخباء
كلاماً كثيراً ...
وجاء البريد ... جاء البريد.

* * *

وللأم ابن ... بعيد ... بعيد
وجاء البريد
وفيه الرسالة ... فيه البشائر ... نجاح (سعيد)
تقول الرسالة - آن الأوان
سيجتمع الشمل ... كل الشباب
يجيئون وملء الحقائب ، ثياب جديدة ... ويوم جديد

* * *

وبعد الغروب ... يطيب الحديث
والجد يسمع ... حلم الحفيد
لماذا يظل يحمل القِربَة
لماذا يضيع وراء القطيع
سيذهب مثلما فعل الآخرون
ليقرأ ويكتب ... يغنى النشيد
ويكبر كما كبر (سعيد)
وتأتى رسائله فى البريد
تبشر ... إن اللقاء قريب
وملء الحقائب ، ثياب جديدة، ويوم جديد ..



- في أول القدس الرياح — د. عبد الله الشحام
- شعر المقاومة الفلسطينية (الحلقة الأخيرة) — محمد محمد حسن شراب
- مسألة الأرض في المشكلة الفلسطينية — مجاهد علي شراب

لكن صحراء

لم يكتفوا بالقتل وحده . . لم يكتفوا بالتدمير وحده
- لابد أن يمزق هذا الجسد . . هذا الجسد العربى لابد أن يمزق . . هذا الجسد الفلسطينى لابد أن يمزق . . لابد أن تخترقه كل شظايا الأرض، فيتناثر . . يتناثر كحبات رمل قذفتها كف شيطان مارد.

●● هكذا جرى الحديث بينهم فى هجمة دمار وتدمير، ظنوا بها أنهم قد أخرسوا هذا الصوت . .

ويقهقه المردة . . ويضحكون فى سخرية . . ولكنهم يذهلون . . وتجحظ أعينهم . . وترتاع نفوسهم .

- أتنبت الأرض أجساداً . . ؟ هذا الجسد قبل قليل مزقناه، قطعناه .

●● ويصابون بالدوار . . ألف دوار ودوار . .

ويهرول الجندى الأحمق . . يهرول ويهرول . . ولم يخط خطوة . .

نُقَتِّل، ونُهَجِّر، ونُشَرِّد، نُمَزِّق . ونظن أنَّا قد أبدناهم . . إنه الوهم . . إنه الوهم الكبير . نطبق عليهم كل قذارات البشر . وتفاهات الحاقدين، ورغم كل هذا نجد الوليد منهم ممسكاً حجرا . .

كيف . . ؟ لا ندرى . . نكاد نجن .

أفقدهم الحجر وعيهم . . نعم أفقدهم وعيهم .

- إلى متى يظل هذا السلاح حملاً على أكتافنا؟ .
متى ننعم بالراحة والاستقرار؟ .
متى نلقى السلاح . . ؟ متى نصل السلام . . ؟
لقد تعبنا . . وتعبنا .

●● هاجس، وهاجس . . وألف هاجس يدور فى رأس هذا الجندى . . رأسه بين راحتيه . . أصابه الوجوم . .

- وهنا فلسطين تبغى السلام . .

●● ويربُتُ على كتفيه هذا الوليد . .

- هنا فلسطين تبغى السلام . . فهل تبغى سلاما

●● ويُصعِّد الجندى ناظريه فى رمال الأرض الشاسعة ويربتُ على كتفيه هذا الوليد . . وأصابته رعدة . .

- من أين جئت؟ . من أين أتيت؟ . أنشقت عنك هذه الرمال . ؟

- أنا ابن هذى الرمال . . (ويجيب الوليد . .)

- ولكن دعك من هذا وقل لى : أى سلام تود؟ .
سلام الصاروخ والدبابة والبلدوزر . . أم سلام المعايشة الآمنة . . ؟

- لا عليك . . سأختصر عليك طريق الاجابة الوعر إن أردتم الأول فلنا من إيماننا بربنا ما ينتصر لنا . . وإن أردتم الثانى من غير مخادعة فلكم ما أردتم . .

●● وثانية يصعد الجندى ناظريه . . ويتحسس يد الوليد على كتفيه .

ألف هاجس وهاجس . . ألف دوار ودوار شل حركة هذا الجندى .

- لماذا نحارب؟ . لماذا نقاتل؟ . . وإلى متى . . ؟

●● كل الموازين اختلت فى داخله . .

- غرسوا فى أعماقنا أن الفلسطينى غبى أحمق . . ولا حق له لدينا .

غرسوا فى أعماقنا أن العربى شخص متخلف معتوه لا يستحق الحياة . . هكذا علمونا . . وهكذا حملنا السلام . . نبيد كل عربى . . ننسف كل فلسطينى .

●● ويُخرج أعماقه فى صرخة عالية عالية . .

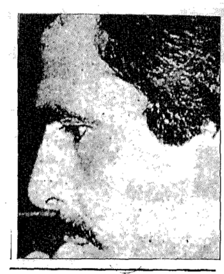
مسكين هذا الجندى . . ويربت على كتفيه هذا الوليد . .

- لا عليك . . لا عليك . . لسنا كما عُلِّمتم . .

لسنا طلاب ثأر ولا نحمل الحقد القديم
نحن أهل الأرض . . وطلاب حق

●● ويدوى فى فضاء الصحراء صوت انفجار رهيب لقد نسفوا الطفل الوليد . . نعم نسفوا الطفل الوليد . . ولكن . . تنبت الأرض ألف وليد ووليد . .





شعر: د. عبد الله الشحام

كانت خيوط الشمس تهرع نحونا
والبرتقال يُخبىء الذكرى وخلف البحر خلف
هزيمتين
ملامح البشرى
ودم يسيل من المخيّم للمخيّم فى طريق العائدين
هل تحتمين بموعدى الورديّ
يعبر ساحة الشهداء فى البلبد البعيد
ويُلاطِفُ الصدرَ الجريحَ
ويرتمى فى القدس
يبحث عن مرايا القادمينْ
أم أنت حول فجائعى أُفُقٌ تهادى كالسحابِ
فمدّ فى صدر الزمان سيوفه

* * *

فوق الثرى عبقٌ
وللشمسِ السواعدُ والجيادُ الخضرُ والزنبقْ
وأمامنا الشُهُب
والاصدقاء وأمنيات الشعب والخندقْ
والنارُ والغضب

* * *

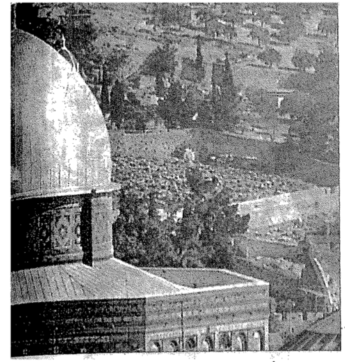
قالوا: تفجر من مسام الجلد
فانفجرتْ منابعْ
والرمل كان يلوذ بى ويؤلّف الأنسابْ
والأرض تملؤُها الأصابعْ
قالوا: تفجّر لم أزل نشوان وانقلب البصرْ
ومنافذى رحبةْ
كانت طريقُ البحر ملأى بالحجارة والغد الآتى
وكان الضوء يأتى من عيون الليل والرغبةْ
وصرختُ والأسوارُ تعصمُنى: توسّدتُ الندى قمرا
وهممتُ أن أنساك
فانكمشَ الخريفُ وداستِ الخيلُ المرايا والزّجاجْ

* * *

طاب الإياب وأنت تبتسمينَ
وقُبلتى أشتعلت من المأساة
وانحسرتْ شفاه الشمس وارتعد النخيل
لا صرخة المحتل أدمتنى ولا الوقتُ القتيلْ
الفأسُ فأسُ أبى وهذى الأرضُ دمعُ أبى
وهذا الصوتُ صوتى والمدى دربٌ طويلْ

* * *

بالتينّ والزيتون والوجه البعيد
بالأرض يملؤُها الرجالُ السّمرُ يملؤها الحديدْ
بالأرض والوطن الشّهيدْ
يتلو النّشيد مع النّشيد
ويعود يعصف فى هضاب القدس والكرمل
سأفجرّ الذكرى
وأقرأ سورة الفتح المُبين
بالصبح ينمو فى مزارعنا
بالدمع يهدرُ فى مآقينا



بالنار بالبارود يزُهرُ فى شفاه الياسمين
سأفجّرُ الذكرى براعم
وأخطُّ فى كلّ العواصمْ
هذا دمى دربى وأيامى مواسمْ
بلدى هناك وجُثتى فى النار لكنّى طليق
والرملُ أعلى فى بلادى من جباه الغاصبين
ومقابرُ الشهداء أعلى من رماح الغزو والمستوطنات
والارض تنطق بالنبوّة فى خيام اللاجئينْ

* * *

من أين جئتُ وليس لى قبرٌ يُغطينى وأعماقِى نجومُ
والسّنابلُ تفتحُ الأبوابَ للريح البعيدْ
ولأىّ أرضٍ أنتمى
والرّوحُ تكسونى من النقب السّحيق الى صفد
والابيضُ المتوسّطُ السري يسكبنا كروماً فى ترابِ الأرض
يُرسلُنا صليلًا فى السّحابْ
فنلامسُ الضوء القتيل
وتجمدُ الأنهارُ فى لمح البصرْ

* * *

يلجُون فى دمنا بلا أسماء
أسماؤُهم زهرُ الربّيع وعمر غزّة والسّؤال
وهناك لا وقتٌ لفلسفة الكلام
هناك ينطقُ كلُ شىءٍ : الكواكبُ والجبالْ
وهناك لا شىء يموتُ
كأنّ ساعة كلّ ميلادٍ نهارٌ
والخريفُ بلا كفن
وهناك أبكى والبنفسجُ لا ينادى
والعيونُ السودُ أوسعُ من غبارى
والدرّوب فسيحةٌ للعابرينْ

* * *

وهناك تسبقُ كلَّ خاصرة رياحٌ
والحصى ينفضُ من صوتِ اليمام
فى أول القدس الرياح

والماء يهربُ من ضفاف
والزّمانُ قصائدى
لا يذْبلُ الفجرُ الجميلُ ولا اللقاء
فى أوّلِ الأرض الفصول
والأرضُ تسكنها الشواطىء والحقول
والليلُ أغلق كلَّ نافذة وعرّاها
فتاه الغيمُ وانفضَّ الغبارُ
وسافر الشّجرُ الأنيقُ
وأعشب الدّربُ البعيد

* * *

فى أوّل الدّربِ الرياحْ
ودمى صباح
صوتى وجرحى توأمانْ
وحجارتى أسوار عكّا
والرصاص شهيّةُ العشّاق للسّفر المُفاجىء والنّفير
والبحر أولُ غابةٍ سريّة العينين تقتبسُ الهديرْ

أقلعتُ نحو البحر أغرانى
وما أدركتُ أنّ مصائر الايام تجلوها الدماء
وكانت الأرضُ الصغيرة
تغفو على أقدارنا
عشباً بلا ماء وكان البحرُ يخرجُ من شراعى
ولربما اجتزتُ التخوم

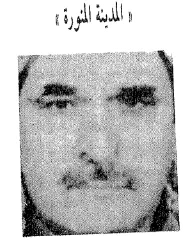
وصارت الأمطارُ طوفاناً وقنديلى دموعى
والسفائنُ مثقلاتُ بالغبار
والرمل يدرك أننى طفلٌ
ويدرك أن غزّة لا تحبُّ الانتحار
وشواطىء الأسماك تُدركُ أنّ ماء البحرِ يلفظُ كلَّ ميْتٍ
لا يُحبُّ الضوء يهوى كالقدر
* * *
دقتّ خطاى على طريقِ البحرِ فى همسٍ
وكان القلبُ مبتعداً
وكانوا يخرجون من الهضاب
دقوا كموجِ البحر فابتدأ الحساب
ثم انحنيتُ لآخذ الذكرى معى
وسمعت صوت القدس يشرق فى القباب
من حبّة الرملِ الصغيرة والحصى
يتفجّر العشاقُ يخضرُّ التّراب
وجباهنا أفقُ الشّجاعة والرّدى
فإذا الفضاء الرّحب رحبٌ
والعيونُ الشُّهلُ أروعُ
والبدايةُ خطوة أو خطوتان
* * *
لم يسرقوا صوتى لأنّى من سلالات الصخور
وطفولتى سرّى
وقصائدى فكرى
وملامحى كلُّ العصور
لم يسرقوا قدمى لأنّ الشّمسَ تحرسنى
ولأنّ هذا الدربَ منبسطٌ
يفضى الى كلّ البلادِ
فأصنع الأعراس من صوتى
وتملؤنى السّفوح
والقمح علّمنى القراءة والكتابة والحوار
وأنا أمام الغزو والصّمت المؤيّد لا ألين
وأنا الذى يصغى لأسماء الندى
وأصابع الشهداء والقبلِ البريئه

ولربما طاردتُ موجاتِ المياه
وفتحتُ نبعاً فى طريق البحر كى تلتّم أضلاعى
وتسقيها الغيوم
بين الزوابع والمدى شجرٌ وجرحٌ واحدٌ
حفرتْه أيامُ السفر
كلُّ الرحّيل تجدّد لبلادنا
ما أجملَ العشّاق ينهمرون فى ضوء القمر
فى أوّل الدرّب الجباه
والدربُ يافا والمياه
والدّرب محورُ كل فكر أو قضيه
* * *
بينى وبينك كوثرٌ
وتحولاتٌ واحتفال
بينى وبينك فاضت الانهارُ واكتمل الجمال
خيطُ جناحكِ أم سؤال
فتكلّمى مثلى حديث القلب للرغبه
لغتى هى الاشراقة الأولى
وبدء الدرب نحو النصر والسّنة السعيده
لا تسألينى إنّ حزناً
فى صخور الأرض يحزننى عليك
فأقذفُ الكلماتِ بالكلماتِ والعوسج
أدمى النخيلُ سواعدى
فتلوتُ عمرى كى أمرّ فما مررتُ



الحلقة الأخيرة

بقلم:
محمد محمد حسن شراب
« المدينة المنورة »



خلال أربع حلقات متتالية ـ هذه آخرها ـ تجولنا فى رحاب شعر المقاومة الفلسطينية مع الأستاذ الأديب محمد محمد حسن شراب . . صفحات وجد فيها القارىء مدى التزام هذا الشعر بقضيته فالشاعر هنا واقعى لا يهيم فى سبحات الخيال ولا يتغنى بِحِبٍّ غير وطنه . . ورغم ظروف نشأة شعر المقاومة فهو لم يكن منغلقاً بل تغنى بكل مراقى الانسانية فى مدارجها الرفيعة ما دامت تحترم الانسان وتعطيه حقوقه .

■ وبعـد: فليس للحـديث عن شعر المقاومة نهاية لأنه الشعر الذى هز قلب المؤمن والكافر، والصديق والعدو. . ولم تشهد الدنيا شعراً أصدق وأنقى وأبقى من هذا الشعر، هو شعر قوم أقاموا عدوهم بل عدو الأمة العربية وهم القلة القليلة المحاصرة بكل أنواع العسف والجور، فى وقت لم يكن لهم معين إلا ايمانهم بحقهم فى البقاء وحق إخوانهم المهاجرين فى العودة. . إنهم يمثلون الأصالة العربية التى لا تذوب مهما كانت قساوة الهجير وأثبتوا المثل الأعلى فى الانتماء والحب للأمة العربية، فأعلنوا أن شعرهم امتداد لتاريخ الشعر العربى حديثه وقديمه، كتبوا قصائدهم ـ غالبـاً ـ على هيئة الشعـر الحر، ولكنهم لم يفعلوا ذلك انخـلاعاً من أدبهم القديم واذا كان المضمون من أقوى دواعى التجـديـد فى الشكـل، فإن شعراء المقاومة كانوا أجدر الناس بالتماس الشكل الجديد لمضامين شعرهم واذا كانت حاجات الأمة المستجدة تدعو الى شكل جديد فى البناء الفنى، فإن حاجة أهلنا فى الأرض المحتلة تتطلب هذا الشكل الجديد من الشعر. . لانه الشعر الذى ينبع من حاجـة الأمة لا يقلدون فيه أحداً ولا يبنون صلتهم بقديمهم ـ بل يضيفون جديداً رائعاً الى قديم تليد.

■ كان شعـرنـا المقاوم فى فلسطين المحتلة قدوة الالتزام والملتزمين بقضايا الأمة لا يهيمون فى بحور الخيال وشعبهم فى أشد الحاجة الى مشاركتهم، فكانوا يعزفون من الواقع ويلازمونه ساعة ساعة. . فهناك رابطة لا انفصام لها بين الشاعر والمجتمع الذى يحيا به وهذه الرابطة هى مسئولية الشاعر أمام الشعب. ولا يعنى ذلك أن الأدب يأخذ دور السياسى أو المهندس أو العامل أو المربى وانما ينهض بدوره هو بكل اخلاص وابداع فيسهم فى حدود الكلمة الملهمة المؤثرة فى أن يهب الحماسة والحب وفى أن يكون حسا جماليا وانسانيا ووطنيا قادرا على أن ينمى فى الانسان انسانيته. . مثل هذا الادب يقرب الشقة الموجودة بينه وبين الجمهور،

فهو يلامس مشاعره بصدق وقوة واستشفاف وتنبؤ ويضع نفسه بموضع الرفيق والحبيب والمشير. لأن الأدب الحقيقى يساعد شعبه على حماية تاريخه ووجوده من خلال جمالية فنه ويدعوه الى النضال والانتصار مهما كانت وسائل الصراع صعبة وقاسية . .

يقال إن بعض الشعراء المشهورين كان جل اهتمامه بالحديث عن الأزهار والأطياب والليالى الناعمة وحفيف الأوراق وقد تسلل بينها شعاع القمر . . ولكن تحول فجأة الى شاعر يعزف من قاع الوطن، فعجب بعض المبتعدين عن القضايا العامة لهذا التحول، فكان رد الشاعر، انه لا يستطيع أن يرقص فى مآتم الشعب والوطن . . وهكذا كان شعراؤنا المقاومون فى أرض المقاومة . . فكان الشعراء صانعو الأغنيات هم الذين صنعوا التحدى فى وجه الأعداء وصنعوا للتحدى ألف ثغر يغنى ومزقوا سحب الخوف عن القلوب فخفقت بأغانيهم القلوب ولم تعد تتسلل اليها الرهبة . . وصانعو هذه الأغنيات هم صانعو المقاومة ومواقفها التى تتشكل كلمات مسنونة فى صدر الأعداء، فكان كل عربى يقول لأعدائه :

إننى لا أخافكم
لا أرهبكم
سأتحداكم جميعا
سأنتصر عليكم جميعا
جميعا
وحدى
وحدى

■ بقيت ملاحظة على هامش شاعرين كبيرين من شعراء المقاومة، هما سميح القاسم ومحمود درويش، حول اللغة التى يستخدمها كلاهما، أو موقفهما من اللغة. فإننا نلاحظ على شعر سميح القاسم أنه يريد أن يعبر عن نفسه بشعر عمودى أو بشعر حر ذى صبغة تراثية غالبة، إنه يتعامل مع التاريخ بل يتعامل مع اللغة بحسبان أن اللغة ساحة كاملة من ساحات التاريخ القومى وهى لسان الأمة الذى يلازمها فى النمو منذ مرحلة الطفولة حتى مرحلة النضج والإدراك وهى تتأثر بالحال الحضارية للأمة قدر ما تبادلها التأثير، ولذلك قد نضطر أحيانا أن نقرأ القاسم جنباً الى جنب مع القاموس.

■ واذا بدا التعامل مع القاموس عيباً فنياً عند بعض نقاد الأدب فهو نوع من التناول السطحى للموضوع، أو ربما بتأثير ما ترسب فى عقل الناقد من تداع قديم بين الزخرف اللغوى الذى لم يكن أكثر من زخرف فى ذاته، وبين العصور التى ضعف فيها الشعر العربى، بل إن رأيهم مرتبط بما يبدو على شعر بعض النظامين فى العصر الحديث ممن ليست لهم رسالة يؤدونها غير أن ينظم الشعر، فيقال: إنه شاعر.

إلا أن القضية اللغة، عند سميح القاسم، وعند كل أديب صاحب رسالة وجهها الجديد الذى يحتاج الى كثير من التمعن لإدراكه.

فإن أول ما تيقظت عليه حواس الأمة العربية فى القرن الماضى (التاسع عشر) كان اللغة، وبفضل اللغة تنبه الفكر من سبات عميق وأخذ يتصل بأغوار الماضى، قدر ما يتطلع الى آفاق المستقبل الرحيب ـ لذلك فإن الحاجة العربية المعاصرة الى «القاموس» لا يمكن أن تقاس بحاجة النظامين إليه . . إن الدافع المعاصر الذى يشجع ملايين العرب على احياء اللغة العربية واستحضارها لغة حية فى القرن العشرين هو إدراكهم أنهم مدينون لهذه اللغة بإحيائها لهم، وباستحضارها إياهم أمة حية فى القرن العشرين: فنحن نعود الى لغة القاموس، لأن القاموس هو كتاب اللغة، واللغة هى ذاكرة الأمة، وذاكرة الأمة هى تاريخها . . وعلى هذا، فالقاموس أشد ما يكون شبهاً ببطاقة هوية الأمة، البطاقة التى تثبت حياة الأمة وتصفها وتحددها وتعكس سماتها المتجددة . . وبذلك يجب أن نميز نوعين من النقاد والأدباء يستعملان عادة كلمة «القاموس» فى معرض السخرية والتجريح : أولهما : ينطلق من رغبة التجديد والتطوير واستخدام لغة يفهمها أهل العصر . . ولعل أصدق من ينطلق من هذه النزعة المبرأة هو الشاعر محمود درويش الذى سنعرف رأيه فيما بعد.

■ أما النوع الثانى من النقاد الذين يسخرون من القاموس: فهم يريدون نقض الرابطة العربية والانفصال عن التراث العربى، ويمثل هذا الاتجاه سعيد عقل، وأصحاب مجلة «شعر» التى كانت تصدر فى لبنان.

■ وقد ظنت هذه الزمرة أن محمود درويش يؤيدهم فى رأيهم عندما قال:

● الدرويش والقاسم يلتقيان فى الهدف.

● شاعر المقاومة يصنع التحدى فى وجه الأعداء.

● سميح القاسم كان اكثر التصاقا بالتاريخ واللغة.

لا بد لى أن أرفض الورد الذى
يأتى من القاموس
أو ديوان شعر
وقال: لغتى صوت خرير الماء
ربما أخطأت فى التعبير أحياناً
ولكن كنت - لا أخجل - رائع
عندما استبدلت بالقاموس قلبى

■ ولكن محمود درويش أراد أن يؤكد شيئاً آخر غير ذى صلة مباشرة بالقاموس أو اللغة أو حتى الشعر نفسه، وهو علاقته الخاصة بالأرض التى هى عنده منبت الورد والحب، وكل جمال على الاطلاق، ان تلك هى هموم محمود درويش، ومجالها الأرض والصخر والزهر وليس مكانها القاموس.. وهى غير هموم سميح القاسم التى تتعلق بالقوم واللغة والتاريخ.. فقد أراد محمود درويش أن يلتصق بحضن «أمه» الأرض بالدرجة الأولى غير مكترث إلا فى المحل الثانى بعودة أبيه (القوم) وهو شاعر له رؤيته ولا يحجر عليه، قد يكون الدافع إليها اختلاف النظرة الى موضوع الصراع هل هو التاريخ، أو الأرض.. وقد يكون القاموس عند الدرويش رمز قومه العرب فى العصر الحديث الذين تركوه وحيدا بين أنياب الأغوال فأراد أن يقول: سنتغلب على الغول بذاتيتنا وبفضل تعلقنا بأرضنا.

■ أما سميح القاسم، فقد ظل فى انتظار عودة أبيه (القوم) حتى ولو على أشرعة الوهم وفى مرافىء الأحلام ولذلك يقول:

يا عدو الشمس
فى الميناء زينات وتلويح بشائر
وأغاريد وبهجة
وهتافات وضجة
والاناشيد الحماسية وهج فى الحناجر
وعلى الأفق شراع
يتحدى الريح واللج ويجتاز المخاطر
إنها عودة زيوليسير
من بحر الضياع
ولعينيها وعينيه يمينا لن أساوم
والى آخر نبض فى عروقى
سأقاوم سأقاوم سأقاوم

■ ولعل من العوامل التى كونت شخصية سميح القاسم وجعلته أشد التصاقاً باللغة والتاريخ، أنه كان يشتغل بالتعليم وهو على اتصال مباشر بالمناهج الدراسية الصهيونية التى تفصل ما بين الناشئة الفلسطينية وجذورها القومية الراسخة فى التاريخ. والعامل الثانى: أن سميح القاسم من الطائفة الدرزية فى فلسطين التى تحاول السلطات الاسرائيلية ايجاد قومية خاصة بها، وفصلها عن العرب.. ولهذا كان الاختلاف بين الدرويش والقاسم.. الدرويش جعل الوطن أمه وأباه، والقاسم يرى أن أية انطلاقة حقيقية الى الغد لابد أن تكون موصولة الأسباب بالأمس فيقول:

ويمر الليل تلو الليل
فى مكتبة البيت القديمه
وعلى زرقة أجفانى تنمو
خضرة الماضى الرحيمه

روعة تعقب روعة
وفتوحات مشعه
بدوى.. شغل العالم حذقاً ومهاره
فعلوم وفنون وحضاره

● مسئولية الشاعر أمام الشعب تمثل فى نفسه أقوى وأعمق الروابط الاجتماعية والنفسية والتاريخية.

● الأديب الحقيقى يساعد أمته على حماية تاريخها ووطنها ووجودها من خلال جمالية فنه.

● محمود درويش شاعر له علاقة خاصة بالأرض فهى منبت الورد والحب وكل جمال على الاطلاق.

● شعراء المقاومة أجدر الناس بالتماس الشكل الجديد لمضامين شعرهم.

■ وهو ينظر الى التاريخ على أنه شوط مضى فى سبيل شوط سيبدأ فى سبيل أشواط لاعد لها موصولة بعمر الأمة ويستولد بعضها بعضا ولا يقع الماضى منها خارج الحاضر أو الحاضر خارج المستقبل.

وإنما تعبر جميعها عن حقيقة واحدة هى حقيقة الأمة فى تجددها المستمر ولهذا يقول:

قروناً يا أبى تاجرت بالأطياب والخز
قرونا يا أبى غامرت حتى عدت بالكنز
حميت الماء من أجلى حميت الماء
وصنت التمر فى واحاتك الخضراء
عرفت الله فى حراء
هدمت اللات فى مكة
وجبت الأرض تخصبها . . من الصحراء
وعدت إلىّ من شيراز
بالديباج والنهوند والخز
وأنت تعبت أنت شقيت حتى عدت بالكنز

■ وبهذا يلتقى الدرويش والقاسم فى الهدف: فالدرويش يقف فى الوطن المحتل ناطوراً على الأرض أول اهداف العدو الصهيونى وأما القاسم فهو يقف ناطوراً على «الجذور العربية» الضاربة فى تلك الأرض وهى ثانى أهداف العدو. . ومع ذلك فاذا استطاع العدو أن يستولى على الأرض من ناطورها، وأن يسلخ الفلسطينى من جلده العربى القومى ويحوله إنساناً بلا أرض وبلا تاريخ ومع هذه الحال إن وجدت، ولم ولن توجد، فإننا سنجد ناطورين آخرين هما توفيق زياد وسالم جبران، كل همهما الدفاع عن هذا الانسان فى المعمل أو فى الشارع أو فى السجن أو منبوذاً فى المجتمع العنصرى. . فكأن ثمة توزيعاً فى داخل الحركة الشعرية يتقاسم فيه الشعراء عبء المقاومة على جبهاتها الثلاث: الوطن - التاريخ - الانسان.

■ ولم يعد الشعراء - فى الأرض المحتلة - يستطيبون الشعر الذى يكتب فى وصف الغوانى أو وصف أحلام غريبة وانما استعذبوا حكايا البطولات، ولم يستعذبوا الشعر الخيالى، بل عمدوا الى التغنى بالنضال، يقول الشاعر أدمون شحادة من الناصرة:

يكتب الشعر أناس طيبون أو أناس تافهون
بعضهم يكتب شعراً للغوانى يتغنى بالقيان
غيرهم يكتب للشعب حكايا عن بطولات أصيله
وجميلات صبايا يقتحمن الموت فى أرض البطوله

مسألة الأرض في المشكلة الفلسطينية

● فى أعقاب المؤتمر الصهيونى الأول اشتدت المقاومة العربية فى مواجهة الاستيطـ

● كتاب (يقظة الأمة العربية) الصادر عام ١٩٠٥ حذر من المخططات الصهيونية وتناقضـ

● شهد عام ١٩٠٠ حملة احتجاجية واسعة من العرائض الجماعية ضد استملاك اليهود لـ

اول صدام مسلح :

ولم يرافق الشعور القومى عند عرب فلسطين فى القرن التاسع عشر، اى شكل من اشكال العداء لليهود قبل بداية الغزو الصهيونى والهجرة الصهيونية الواسعة عام ١٨٨٢ . واتخذت الحركة الوطنية الفلسطينية مجموعة من الاجراءات لوقف انتقال الارض، اذ انها حرمت البيع بفتاوى، وخونت الباعة والسماسرة من العرب واتخذت اجراءات زجرية بحق بعضهم وشجعت عملية وقف انتقال ملكية الارض واتخذت جميع الاجراءات السلبية والايجابية لمنع انتقال الارض الى الايدى الصهيونية(٢).

■ وقد بدأت الاصطدامات المسلحة بين الفلاحين العرب والغزاة الصهاينة المستوطنين الجدد، عام ١٨٨٦، عندما هاجم الفلاحون العرب المطرودون من الخضيره وبتاح تكفاه (ملبس) التى اجلوا عنها رغما عن ارادتهم واجبرت الاصطدامات المسلحة، الحكومة العثمانية (عام ١٨٨٧) الى فرض قيود على هجرة المستوطنين الصهاينة الذين كانوا يدخلون البلاد كسياح . . وقد تكرر الهجوم على قرى يهودية اخرى وللدوافع نفسها عام ١٨٩٢(٣).

اول عريضة احتجاج :

وفى ايار (مايو) ١٨٩٠، قام وفد من وجهاء القدس بتقديم عريضة احتجاج للصدر الاعظم (رئيس الوزارة العثمانية) ضد رشاد باشا (الذى حل محل رؤوف باشا كمتصرف لسنجق القدس وابدى محاباة للصهاينة وتحيزا لهم).

وعاد وجهاء القدس فى ١٨٩١/٦/٢٤، فأرسلوا الى الصدر الاعظم فى الأستانة، احتجاجاً طالبوا فيه باصدار (فرمان) «بمنع هجرة اليهود وتحريم استملاكهم للاراضى الفلسطينية» بعد ان لاحظوا بداية النشاط الصهيونى لإقامة «وطن قومى» لليهود فى فلسطين(٤).

■ والجدير بالذكر ان عريضة الاحتجاج الاولى ضد مشاريع الاستيطان الصهيونية، تضمنت المطلبين الاساسيين للحركة الوطنية فى فلسطين، وهما الشعاران اللذان ظلا مرفوعين حتى عام ١٩٤٨، منع الهجرة

بدأ التحرك الفلسطيني، سجل نضاله الوطني المتصل، ضد موجات الهجرة ومشاريع الاستيطان الصهيونية قبل ان يجتمع المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة بال سنة ١٨٩٧ . وطالبت الحركة الوطنية الفلسطينية في كل مذكرة او احتجاج قدم للسلطنة العثمانية، بمطلب واحد متكرر «وقف انتقال ملكية الارض واستملاكها للصهاينة»(١).

مجاهد على شراب/ مصر

ـــان الصهيوني.
ـــــها مع أماني العرب.
ـــلأراضي الزراعية.

وتحريم استملاك اليهود للاراضي الفلسطينية.

واستجابت الأستانة للاحتجاج الا ان التدخل البريطاني ابطل مفعول فرمان السلطنة التركية، لكن عرب فلسطين واصلوا الأتصال بالاستانة واصدر السلطان قراراً في السنة التالية ١٨٩٢ يمنع اليهود من شراء الارض (ارض السلطنة) ويمنع ايضا الرعايا من بيع الاراضي لليهود وبسبب التدخل البريطاني وبسبب فساد اجهزة الدولة العثمانية استمر اليهود في شراء واستملاك اراضي السلطنة(٥).

واخذت المقاومة العربية تشتد في مواجهة الاستيطان الصهيوني، في اعقاب المؤتمر الصهيوني الاول وفي عام ١٨٩٧ رأس مفتي القدس (محمد طاهر الحسيني) هيئة محلية ذات صلاحيات حكومية مهمتها التدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية القدس ولمحاربة الهجرة اليهودية والاستيطان الصهيوني، فحال ذلك دون حصول اليهود على اراض زراعية جديدة لسنوات عديدة(٦).

■ واشارت تقارير عام ١٨٩٨، الى ان «اهل فلسطين وقفوا موقفا حازماً ضد المشاريع الصهيونية والهجرة اليهودية وامكان قيام (اسرائيل) في بلادهم، لأنهم اعتبروا ذلك خطراً على حقوقهم وامتيازاتهم»(٧).

وشهد عام ١٩٠٠ حملة احتجاجية واسعة من العرائض الجماعية ضد استملاك اليهود للاراضي الزراعية. وسجلت تقارير البرت عنتيبي المعتمد الرسمي «للجمعية الاستعمارية اليهودية» ـ وكانت حين ذاك مؤسسة غير صهيونية ـ دلالة قاطعة على الوعي الفلسطيني المبكر وأثبتت ان الصهيونية هي التي سمّمت العلاقات العربية باليهود في فلسطين، كما سجلت هذه التقارير امتداد المعارضة للصهيونية الى صفوف صغار موظفي الحكومة من اهالي البلاد(٨).

■ وفي عام ١٩٠١ صدر قرار اخر يمنع دخول اى يهودي الى ارض فلسطين (الا اذا كان سيغادرها خلال ثلاثة اشهر) ولم ينفذ هذا القرار بسبب تدخل السفير البريطاني في العاصمة العثمانية (القسطنطينية) علاوة على دخول الصهاينة الى ارض فلسطين ـ بمساعدة بريطانيا ـ بطرق غير مشروعة(٩).

تحذير مبكـر:

وحذر المفكر العربي اللبناني نجيب عازوري ـ الذي اقام في فلسطين ـ في كتابه «يقظة الامة العربية» الصادر في باريس عام ١٩٠٥، من المخططات الصهيونية وتناقضها مع اماني الامة العربية:

«هناك حادثان هامان من طبيعة واحدة ولكنهما يقفان على طرفي نقيض: هما يقظة الامة العربية وسعي اليهود الخفي لاستعادة ملك اسرائيل القديم على نطاق واسع.

ان مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر، حتى تتغلب الواحدة منهما على الاخرى. ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين»(١٠).

■ وقد اثار توافد يهود الهجرة الثانية (١٩٠٤-١٩١٤) استياء الفلاحين الفلسطينيين الذين عبروا في اكثر من مناسبة عن معارضتهم منذ اللحظة الاولى لوصول المستوطنين الصهاينة ورافق هذا الاستياء موجة من الغضب على الملاكين الاقطاعيين الذين كانوا يجنون الارباح من بيع بعض الاراضي للصهاينة.

«فى شهر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٠٨، وردت تقارير تدل على ان الفلاحين فى منطقة حيفا وطبريا يضمرون شعوراً من العداء نحو الملاكين العرب اصحاب الاراضى الشاسعة (مصطفى باشا، فؤاد سعد، آل سرسق) وكذلك الامر بالنسبة للمستعمرين اليهود»(١١).

■ وبعد ان قامت الجمعيات اليهودية بشراء مساحة واسعة من الارض من بعض العائلات اللبنانية، بالقرب من طبريا، ما كان من فلاحى القرى المجاورة الا ان هاجموا الفنيين الذين جاؤوا لمسح الارض تمهيداً لنقل ملكيتها، وذلك بقصد محاولة منع اتمام الصفقة. ونجح العرب بالفعل فى استصدار احكام من الباب العالى بالغاء بعض الصفقات التى عقدها الصهاينة فى مطلع القرن العشرين.

ويبدو ان مشاعر الفلسطينيين العرب كانت ذات تأثير فى مواقف السلطان عبد الحميد من محاولات هرتزل لاغرائه ببيع فلسطين لليهود على الرغم من حاجة الامبراطورية العثمانية الماسة حينذاك للدعم المالى(١٢).

دور الصحافة .. وحملاتها

فى عام ١٩٠٨ اسس نجيب نصار جريدة «الكرمل» وذلك «لغاية واحدة هى الكتابة ضد اليهود فى فلسطين حتى لا يستمر العرب فى بيع اراضيهم لليهود»(١٣).

وأدت هذه الصحيفة - مع صحيفة «الاصمعى» الصادرة فى ذلك الحين - دوراً بارزاً فى كشف وتعرية الخطر الصهيونى على فلسطين والفلسطينيين وبسبب شكاوى اليهود ضد المقالات التى كانت تنشرها الكرمل، اصدر امر بتعطيلها تعطيلاً مؤقتاً فى اوائل صيف عام ١٩٠٩(١٤)، ثم تعطيلها مرة اخرى فى شتاء ذلك العام(١٥).

وتشير المعلومات المتوفرة الى ان الهجمات المسلّحة زادت حدة بعد عام ١٩٠٨ عل المستعمرات اليهودية والافراد. كما تشير الى ان «الحملة الصحفية وصلت حتى الفلاحين فى اكواخهم الطينية والبدو فى خيامهم»(١٦).

وبعد ان جرت انتخابات مجلس (المبعوثان) فى السلطنة العثمانية، انتقل الصراع ضد الصهيونية الى داخل المجلس ايضا، ومنذ سنة ١٩٠٩ خاصة، ولقد اجبر النواب العرب فى مجلس (المبعوثان) رئيس الوزراء على ان يعلن «انه لن يسمح لليهود باستيطان فلسطين»(١٧).

وفى هذه الفترة ظهرت اول وثيقة هامة عن موقف الفلسطينيين من اليهود والحركة الصهيونية وهى دراسة نشرها المثقف الفلسطينى يوسف الخالدى بين فيها ان هدف الحركة الصهيونية هو انشاء دولة صهيونية فى فلسطين وقد حذر من قيام تلك الدولة، لان قيامها «لا يمكن ان يتم دون اصطدامات وصراع دموى بسبب المعارضة العربية لقيام مثل هذه الدولة» ويطرح الخالدى فى دراسته قضيتين هامتين:

اولاهما: انه يلمس «مشكلة يهودية» فى اوروبة ولذلك فقد «اقترح اقامة وطن قومى لليهود خارج فلسطين».

ثانيهما: انه يفرق «بين الصهيونيين وغير الصهيونيين من اليهود»(١٨).

■ وواصلت الصحف العربية حملاتها على الذين يبيعون اراضيهم للمهاجرين الصهاينة، وفى شهر مايو (ايار) ١٩١٠، هاجمت الصحف العربية بعض اللبنانيين لاعتزامهم بيع اراضى قريتى فولة وعفولة لليهود. وبحلول صيف عام ١٩١٠ كانت عدة صحف عربية نافذة قد بدأت تتبنى الحملة المناوئة لبيع الاراضى العربية للمستوطنين الصهاينة، بينها صحيفة «المقتبس» الدمشقية وصحف «المفيد» و«الحقيقة» و«الرأى العام» البيروتية.

ونشر نجيب نصار فى صحيفته «الكرمل ١٩١١/٦/٧» رسالة مفتوحة موجهة الى جميع رؤساء تحرير جميع الصحف العربية الذين يشاركونه رأيه ومشاعره مقترحاً فيها توحيد جهودهم فى جبهة واحدة ضد الصهيونية. واستجاب لاقتراحه - فى غضون بضعة ايام - طه المدور صاحب جريدة «الرأى العام» البيروتية الذى اقترح بدوره ان تتخذ جميع الصحف العربية موقفا موحداً معارضا للاستيطان الصهيونى. ونجد عند مراجعة الصحف العربية الصادرة فى النصف الثانى من عام ١٩١١ مقالات كثيرة ضد الصهيونية(١٩) وقام نجيب نصار بكتابه مجموعة من المقالات ضد الصهيونية، كانت الاولى من نوعها بالعربية، ونشرت فيها بعد بكتاب عنوانه: «الصهيونية: تاريخها، عرضها، اهميتها، ملخصا عن الانسيكلوبيديا اليهودية، حيفا، ١٩١١»(٢٠).

وفى عام ١٩١٢ نشر احد الطلبة الفلسطينيين من طلاب الازهر، رسالة مفتوحة فى (المقتبس الدمشقية ١٩١٢/١٢/٢٥) كشف فيها اساليب ووسائل اليهود فى تعاملهم مع الحكام العثمانيين وكبار موظفى الباب العالى. بقصد تسهيل نقل ملكية الاراضى العربية فى فلسطين الى اليهود.

نقاوم .. ونؤثر الموت دفاعا

وتصاعدت موجة المقاومة والتصدى فنشأت جمعيات لمكافحة الحركة الصهيونية ودرء الخطر الصهيونى عن البلاد، منها «**جمعية مكافحة الصهيونية**» انشئت عام ١٩١٣ فى نابلس، وعام ١٩١٤ تأسست الجمعيات التالية فى القدس: «**الجمعية الخيرية الاسلامية، جمعية الاخاء والعفاف، شركة الاقتصاد الفلسطينى العربى**»، «**شركة التجارة الوطنية الاقتصادية**» . . وكان هدف هذه المؤسسات ومثيلاتها هو «الوقوف فى وجه الاخطار الوشيكة التى تهدد ارض الوطن وانقاذ البلاد من الدمار»(٢١).

وشهدت البلاد طيلة صيف عام ١٩١٣ حملة عامة من الاحتجاجات ضد محاولات بيع اراضى الدولة الحكومية (الميرى) فى بيسان لليهود، واشتدت النقمة الجماهيرية حتى ان مظاهرات قامت فى نابلس سنة ١٩١٣ ضد اعتزام السلطة بيع اراضى بيسان للمنظمات الصهيونية. ونشرت صحيفة «الكرمل ١٩١٣/٧/٤» صورة مضبطة احتجاج من غزة والقدس ويافا على ما نشرته الصحف من عزم الحكومة على اعطاء ٨٠٠ الف دونم لشركة الاصفر. وجاء فى المضبطة: كتاب مفتوح الى أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين والصدر الاعظم وناظر الداخلية: « . . فتغلغل الشركات الصهيونية داخل هذه البلاد طولاً وعرضا لا تقل نتيجتها فى المستقبل عن حرب البلقان».

ونشرت الكرمل ايضا يوم ١٩١٣/٧/٧ صورة برقيتين وقعهما زعماء قرى نابلس وقبائلها ووجوهها الى كل من السلطان ووالى بيروت. وفى هذه البرقيات اوضح السكان ان الأراضى المذكورة قد اغتصبت منهم وسجلت باسم السلطان السابق وان الدولة تفكر الان ببيعها للاجانب . . وجاء فى البرقيات:

«اننا نقاوم هذه المصيبة بكل قوانا، ونهدر اخر نقطة من دمائنا فى حين اننا لا نتأخر لحظة عن بذل كل مرتخص وغال فى سبيل سلامة دولتنا العلية . .»

«اننا نؤثر الموت دفاعا عن شعبنا وممتلكاتنا على ان نضطر الى الهجرة من بلادنا الى اماكن مجهولة والموت جوعا . .»(٢٢).

ونشرت الكرمل برقيات احتجاج اخرى. وكتبت الكرمل معلقة على جواب احدى البرقيات «ان قيام الاهالى لمطالبة الحكومة بعدم بيع الاراضى الجفالك المدورة للغير لأكبر دليل على صدقهم، واظهارهم القلق والخوف من سقوط وطنهم فى ايدٍ اجنبية لأعظم برهان على حرصهم الشديد على وطنهم . .»(٢٣).

وكانت صحيفة الكرمل قد نشرت «نداء عاما الى الفلسطينيين» تلقته من احدى المنظمات الوطنية الجديدة التى تأسست فى القدس. وانعكس على نص النداء الجو السياسى المتوتر الذى كان يسود البلاد وانطوى على محاولة لتجنيد الرأى العام الفلسطينى تمهيداً لاتخاذ خطوة اشد جذرية:

هل تقبلون ان تصبحوا عبيداً للصهيونيين الذين جاءوا لطردكم من بلادكم مدعين انها بلادهم . .

اننا نؤثر الموت على ان نسمح بأن يحدث ذلك.

وحثّ النداء ابناء الشعب على القيام بما يلى: (من اهم النقاط ذات العلاقة بالموضوع:

١ ـ توجيه ضغط على الحكومة للعمل وفقا لقانونها نفسه الذى ينص على حظرِ بيع الاراضى الاميرية (اراضى الدولة) الى الاجانب حظراً تاماً.

٢ ـ . . . .

٣ ـ اياكم ان تبيعوهم اراضيكم ولا ترددوا فى استخدام القوة لمنع الفلاحين من بيع اراضيهم. وعليكم منذ الان ان تطردوا سماسرة بيع الارض وتلعنوهم(٢٤).

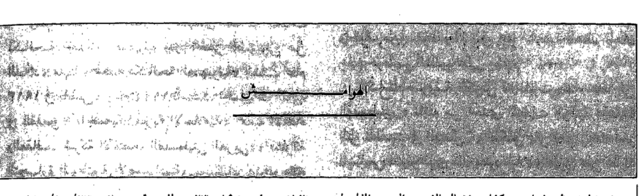
ايقاف وتعطيل الصحف الوطنية:

تضايقت الحكومة التركية من الحملة واغلقت الصحف التى عالجت الموضوع بتهمة تعكير الامن(٢٥)، ففى ١٩١٤/٤/٢٠. عطلت السلطات المحلية جريدة (فلسطين) بناء على تعليمات تلقتها من وزارة الداخلية(٢٦). ثم اوقفت صحيفتى (الكرمل) فى حيفا، و(المقتبس) فى دمشق(٢٧).

وكانت الصحافة العربية المعادية للصهيونية، قد أدت فى الاشهر السبعة الاولى من عام ١٩١٤، دوراً حساساً فى توعية الرأى العام والتمهيد للقيام بأعمال منظمة منسقة ضد الصهاينة. وقد ثابرت الصحافة دون كلل او ملل على التنديد بمواقف اولئك الاثرياء المتنفذين الذين تعميهم مصالحهم الشخصية فلا يرون الخطر الصهيونى المحدق بهم ويؤثرون حاضراً ذهبيا على حساب مستقبل مظلم لأبنائهم.

وحذرت صحيفة فلسطين فى مقال نشرته تحت «الخطر الصهيونى والصحافة العربية» من ان:

«من يملك الارض والاقتصاد هو السيد الحقيقى، اما السيد السياسى فهو مجرد تابع له»(٢٨).



الهوامش

(١) مجاهد على شراب: «كفاح ونضال الشعب العربى الفلسطينى منذ الحرب العالمية الأولى» (دراسة تاريخية) القسم الثانى جريدة الوطن الكويتية ١٠/٨/١٩٧٦.

(٢) اللجنة الملكية لفلسطين: تقرير عرض على البرلمان، (تموز ١٩٣٧) ص١٤٣، ١٤٥، ١٤٦.

(٣) د. عبد الوهاب كيالى: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص ٤٩.

(٤) ـ مجاهد على شراب: المصدر السابق.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) عبد الوهاب كيالى: المصدر السابق، ص٥٠.

(٧) Henr y Harris Jessup, 53 years in Syria, Vol.2, P. 657.

(٨) نيفل مندل: «الاتراك والعرب والهجرة اليهودية الى فلسطين. (١٨٨٢-١٩١٤) اطروحة دكتوراه كلية سانت انطونى ـ جامعة اكسفورد، ١٩٦٥، ص ٢١٤. اوردها كيالى: المصدر السابق، ص٥٠

(٩) مجاهد على شراب: المصدر السابق.

(١٠) اوردها، مجاهد على شراب: «الحل السلمى.. وتحقيق الأمال الجماهيرية القومية» القسم الاول، صحيفة «الرأى» الليبية، ٣٠/١٠/١٩٧٣، ص٥.

(١١) نيفل مندل: المصدر السابق ص ٣٠٠. اوردها كيالى: المصدر السابق ص٥٧.

(١٢) و.خ. ١٩٥-٢٣٥، ملف رقم ٢٥، ٢٣/١٠/١٩١٠. اوردها، كيالى: المصدر السابق، ص٥٠-٥١.

(١٣) صحيفة «فلسطين، كانت تصدر فى يافا، ٢٤/١١/١٩١٢.

(١٤) فلسطين، ٥/١٢/١٩١٢.

(١٥) الكرمل، ٣/١/١٩١٣.

(١٦) والتر لاكور: تاريخ الصهيونية، ص٢١٥. اوردها، ناجى علوش: الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهيونية ١٨٨٢-١٩٤٨، مركز الابحاث، بيروت ١٩٧٤، ص٩٦.

(١٧) ناجى علوش، المصدر السابق ص٩٧.

(١٨) الاهرام، ٧/١٠/١٩٠٩.

(١٩) عبد الوهاب كيالى: المصدر السابق ص٦٤

(٢٠) ناجى علوش: المصدر السابق ص ١٠١

(٢١) عبد الوهاب كيالى: المصدر السابق ص٧١-٧٢

(٢٢) الكرمل، ٤، ٧/٧/١٩١٣.

(٢٣) الكرمل، ٨/٨/١٩١٣

(٢٤) الكرمل، ٧/٧/١٩١٣.

(٢٥) انيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين، منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٩٦٦، ص٤٦

(٢٦) عبد الوهاب كيالى: مصدر سبق ذكره، ص ٨١

(٢٧) ناجى علوش: م.س.ذ.، ص١٠٣-١٠٤

(٢٨) عبد الوهاب كيالى: م.س.ذ.، ص٧٧



د. حسين نصار



■ *اعتاد العلماء - عند الحديث عن الحضارة الاسلامية - ان يقسموا العلوم الى نقلية وعقلية، ولكنني أود - نظرا لظروف القرن الذى اتحدث عنه - أن أعدل عن هذا التقسيم الى تقسيم ينظر الى المحتوى، فيجعلها عربية ودينية وأجنبية.*

وأقصد بالعلوم العربية مجموعة المعارف التى كانت تشيع بين العرب منذ الجاهلية عن القبائل: أنسابها وأيامها وأشعارها وأعرافها.

ولم أقع فى النصوص الأدبية على أخبار تدل على أن أحدا من علماء الشام اشتغل بهذه العلوم. ولكن كل النصوص تتحدث عن استقدام رجال اشتهروا بهذه المعرفة وكانوا يعيشون فى العراق وشبه الجزيرة العربية. وقد ذكرت سابقا استقدام معاوية لابن شرية ودغفل وأضيف إليهما هنا النخار بن أوس العذرى. واستقدم عبد الملك الشعبى، وبعض أولاده حمادا الراوية.

وكانت العلوم الدينية تتألف من علوم القرآن والحديث الشريف والسيرة النبوية والفقه. وكانت هذه العلوم هى الرائجة فى الشام. فقد عنى خلفاء بنى أمية بالاستفادة من العلماء الكبار فى الحجاز والعراق، يسألونهم ويتلقون منهم الجواب. فعل ذلك عبد الملك مع ابن أبى هنيدة الذى عاش فى كنف الوليد مع عروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز مع الحسن البصرى وابى بكر بن حزم بل يقال ان عمر طلب الى الزهرى وابى بكر بن حزم أن يجمعا الاحاديث ويدوناها وقال للأخير: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ أو سنة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن، فاكتبه فإنى قد خفت دروس العلم وذهاب أهله». كما أمر ولاته أن يدعوا العلماء ويوفروا لهم أسباب الحياة الكريمة. كتب الى والى حمص: «انظر الى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه، وحبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا. فأعط كل رجل منهم مئة دينار، يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين (جمهرة رسائل العرب ٣٣٤). وشجع العلماء على نشر العلم، قال فى إحدى رسائله: «فآمر أهل العلم أن ينشروا العلم فى مساجدهم فإن السنة كانت قد أميتت» (جمهرة الرسائل ٣٥٧).

ولم يكتف الخلفاء بمكاتبة العلماء، بل رحبوا بمن قدم عليهم واستقدموا كثيرا منهم. وهكذا قضى عروة بن الزبير، أحد فقهاء المدينة السبعة، الذى اشتهر بالحديث



والمغازى ايضا، مدة من عمره فى الشام. وفعل ذلك عاصم بن عمر بن قتادة، الذى أمره عمر أن يجلس فى جامع دمشق، فيحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ففعل ثم رجع الى المدينة. وفعله محمد بن مسلم الزهرى الذى كان أعلم أهل المدينة، وأحد بحور قريش الأربعة، واشتهر بسعة معارفة حتى قال فيه الليث بن سعد: «ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه، لو سمعته يحدث فى الترغيب لقلت: لا يحسن الا هذا، وإن حدَّث عن الأنساب لقلت: لا يعرف الا هذا وإن حدَّث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعا جامعا».

وتجاوز الخلفاء هذا الى استقدام أصحاب المذاهب المختلفة ومناقشتهم فى دمشق، فعل ذلك عبد الملك مع أحد الخوارج فى خبر رواه المبرد فقال: «ذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه، فرأى منه ما شاء فهما وعلما. ثم بحثه فرأى ما شاء إرْبا ودَهْيا. فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا. فزاده فى الاستدعاء فقال له: لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل. قال له: قل. فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة، ومعان قريبة، فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته: لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة خلقت لهم، وأنى أولى بالجهاد منهم، ثم رجعت الى ما ثبت الله علىّ من الحجة وقرر فى قلبى من الحق. فأمر عبد الملك بحبسه.. وقال بعدُ يعتذر اليه: «لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتى ما حبستك». ثم قال عبد الملك: «من شككنى ووهمنى حتى مالت بى عصمة الله فغير بعيد ان يستهوى من بعدى».

ولم يشترك بعض الخلفاء فى النقاش، وترك ذلك للعلماء يجرونه امامهم، كما فعل سليمان مع قتادة والزهرى.

وأهم مما مر رضى بعض العلماء الوافدين الى الشام عنها، واتخاذها وطنا لهم، حتى نسبوا اليها، مثل مكحول ابن أبى مسلم الفارسى الاصل، الذى طوف فى البلاد الاسلامية، ثم صار «فقيه الشام فى عصره» قال الزهرى: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، والشعبى بالكوفة، والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام.

وليس معنى ذلك أن الشام لم تنجب من أبنائها من اشتغل بعلوم الدين بل أنجبت مشهورين، بقى منهم من بقى بالشام مثل عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى وغادرها من غادرها مثل شهر بن حوشب الاشعرى.

■ اما الاوزاى (٨٨- ١٥٧/ ٧٠٧-٧٧٤) فقد صار امام اهل الشام، اذ لم يكن فيها أعلم منه. وقيل: إنه أجاب فى سبعين الف مسألة قدمت اليه.

■ واما الاشعرى (٢٠-١٠٠/ ٦٤١-٧١٨) فقد كان فقيها قارئا محدثا، ظريفا استباح الاستماع للغناء واختلف فيه العلماء بين التوثيق والتكذيب وكان رجاء بن حيوة الكندى (١١٢/ ٧٣٠) من الوعاظ العلماء الفصحاء وصار شيخ أهل الشام فى عصره، واستكتبه سليمان ولازم عمر.

وتمكن الاشارة فى هذا الصدد الى احد الأمراء الامويين، وهو خالد بن يزيد بن معاوية الذى يقال إنه حصل قدرا طيبا من هذه العلوم. قال ياقوت: «عَلِمَ عِلْم العرب والعجم» روى خالد الحديث عن ابيه وعن دحية بن خليفة الكلبى - رضى الله عنه - وروى عنه الزهرى وغيره. وأخرج البيهقى والخطيب البغدادى والعسكرى والحافظ ابن عساكر عنه عدة احاديث.

وتركز معظم الاقوال الخاصة بالعلوم الاجنبية على ابى هاشم خالد بن يزيد بن معاوية (٨٥هـ/ ٧٠٤م) الذى تتطابق الأقوال على أنه كان شغوفا بالقراءة فى الكتب. روى ياقوت انه كان يقول: «كنت معنيا بالكتب، وما انا من العلماء ولا من الجهال». وأراد محمد ابن عمرو بن سعيد ان يعيره بتغلب المروانيين عليه وعلى أسرته السفيانية، وانتزاعهم الخلافة منهم، فقال له: قدم قوم من المدينة على النواضح فنكحوا امك وسلبوك ملكك، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب وطلب الكيمياء الذى لا تقدر عليه».

■ وتتطابق الأقوال على انه «طلب الكيمياء» وابان ابو الفرج الاصبهانى هذا القول المبهم بالقول التالى: «شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى عمره وأسقط نفسه» ويمكن أن نفهم من الجزء الأخير من هذا القول ان خالدا أسقط نفسه سياسيا فيصح. اما اذا استخرجنا منه مدلولا علميا، فانه لا يصح صحة مطلقة. فهناك من المؤرخين من أثنى على جهوده الكيميائية. قال ياقوت: كان.. علامة خبيرا بالطب والكيمياء. وبالغ ابن خلكان فقال: «كان من اعلم قريش بفنون العلم، وله كلام فى صنعة الكيمياء

والطب. وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما».

وذكر ابن خلكان أستاذ خالد الذى اخذ عنه هذه العلوم فسماه مريانس ووصفه بانه كان من الرهبان.

ووصل خالد من العلم الى درجة الانتاج. قال الجاحظ عنه: «كان اول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء» وذكر ابن خلكان ان له «ثلاث رسائل، تضمنت إحداهن ما جرى له مع مريانس المذكور، وصورة تعلمه منه، والرموز التى أشار اليها، وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطيع دالة على حسن تصرفه. وسعة علمه وواضح انها تصور حياته العلمية اكثر ما تتناول العلوم نفسها».

■ وذكر ياقوت عناوين بعض انتاجه فقال: «مما نسبوا اليه من التصانيف فى الكيمياء: السر البديع فى فك الرمز المنيع، كتاب الفردوس ووسائل أخرى، والحق انى شديد الشك فى عنوان الكتاب الأول، لأن العناوين المسجوعة لم تظهر فى القرن الاول، بل بعد ذلك بقرون.

مهما يكن من شىء فالواضح ان بدايات علوم الكيمياء والطب والفلك ترتبط باسم خالد بن يزيد صاحب أول إنتاج مترجم فى اللغة العربية.. ثم أمر عمر ابن عبد العزيز ما سرجويه البصرى ان يترجم من السريانية الى العربية كتابا فى الطب من تأليف القس أهرن بن أعين، الذى ذكره الشاعر الأموى الحكم بن عبد الله فى قوله:

لا تدْنِ فاك من الامير ونَحّه
حتى يداوى ما بأنفك أهرن

وأخيرا ذكر ابن النديم أن سالما مولى هشام وكاتبه ترجم بعض رسائل ارسطو.

الزراعة والتعدين

يكشف الشعر الأموى عن انتشار الزراعة وازدهارها والعناية الشديدة بوسائل الرى. فقد صور عمرو بن أحمر الباهلى الحقول مغطاة بالنباتات مختلفات الألوان التى جعلتها تشبه الملاءات. ووصف التمر الأحمر على نخله، فى عهد يزيد بن معاوية:

تقطع غيطانا كأن متونها
إذا ظهرت تكسى ملاء منشرا
. . . .
ومال لقنوان من البسر احمرا

■ ووصف حارس الزرع العنيف فى القصيدة نفسها فقال:

وبستان ذى ثورين لا لين عنده
اذا ما طغى ناطوره وتغشمرا

■ واكتفى عبد الرحمن بن حسان أو أبو دهبل بذكر زيتون القرى الذى شيدت القباب وسطه:

فى قباب وسط دسكرة
حولها الزيتون قد ينعا

■ اما جرير فقد أفاض فى ذكر المزروعات ومشروعات الرى فى عهد هشام:

شققتَ من الفرات مباركات
جوارىَ قد بلغن كما تريد
وسخرّت الجبال وكن خُرسا
يُقطِّع فى مناكبها الحديد
بلغت من المنىء فقلت شكرا
هناك وسُهِّل الجبلُ الصلود
بها الزيتون فى غلل، ومالت
عناقيد الكروم فهن سود
فتمت فى المنىء جنان دنيا
فقال الحاسدون هى الخلود
يعضون الانامل أن رأوها
بساتينا يؤازرها الحصيد
ومن أزواج فاكهة ونخل
يكون لحمله طلع نضيد

■ وكرر ذلك فى قصيدة أخرى فقال:

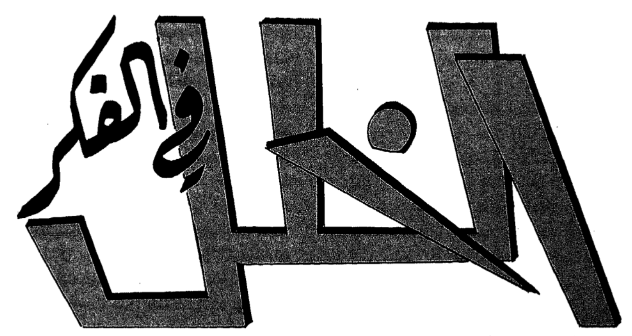
ملكوا البلاد فسخرت أنهارها
فى غير مظلمة ولا تبع الربا
أوتيت من حدب الفرات جواريا
منها المنىء وسابح فى قرقرى
والمجد للزند الذى أوريتم
بحر يمد عبابه جوف القنا

■ وأتى جرير فى قصيدته بإشارة واضحة إلى التعدين واستخراج الحديد من الجبال.

العمارة

■ اضطر أبو دهبل الجمحى الى مغادرة الحجاز الى دمشق فى مغامرة غرامية له، وطال بقاؤه فيها، وصور ذلك فى واحدة من أجمل قصائده.

البحث موصول



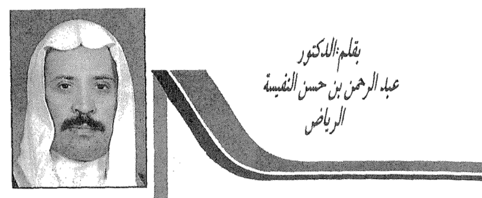
■ الانحراف فى عمومه ظاهرة مرضية قلما يخلو منها موقع من مواقع الانسان فى كل زمان . . وتوجد هذه الظاهرة بفعل عدد من العوامل التى يمر بها مجتمع ما . . إما نتيجة اسباب داخلية كخلل ما فى البنية او البنى الاجتماعية ، وعدم قدرة المجتمع على اصلاح خلله او التعامل معه بالقدر الكافى لعلاجه . . واما نتيجة اسباب خارجية لم يستطع ذلك المجتمع مواجهتها بسبب ضعفه اولكونها ذات قوة غير عادية تصعب مغالبتها .

■ والانحراف مفهوم أو مقياس نسبى . . فما يعتبر فى مكان ما انحرافاً لا يعتبر كذلك فى مكان آخر . . ويتحدد تعريفه وفقا لواقع هذا المكان اوذاك وما يسود فيه من عقائد وعادات وتقاليد . . فالتمييز بين الانسان حسب لونه أو جنسه قد يعد ظاهرة عادية ومقبولة فى مكان ما ولكنه يعد جريمة فى مكان آخر . . واسترقاق المدين ظاهرة قائمة ومقبولة فى مجتمع ما ولكنه جريمة منكرة فى مجتمع آخر . . وهكذا . .

■ ومع ذلك فهناك مفهوم انسانى شامل لاعتبار عدد من الافعال خللا او انحرافا بكل المقاييس . . فالقتل وما يفضى اليه من اسباب كالارهاب والاختطاف انحراف بكل المفاهيم الانسانية ، ولا يشذ عن هذا الا افراد خرجوا من دائرة التحضر الانسانى او هم مصابون بعلل وامراض عقلية .

وانواع الانحراف كثيرة . . انحراف السلوك فى دائرة الفرد ومظهره ما يحدث من جرائم مادية فردية . . وانحراف السلوك فى دائرة الجماعة ومظهره ما يقع من خلل فى أدوات التسيير الاجتماعى كخيانة الوظيفة من غش واختلاس ونحو ذلك . ولكون هذه الافعال تظهر فى اوضاع محسوسة فإن من السهل اكتشافها ووضع جزاء لها حسب فلسفة كل مجتمع فى العقاب ونظرته للخطيئة .

قلت : ولكن ثمة انواع أخرى من الانحراف يصعب أو يتأخر كشفها ومن ذلك انحراف الفكر فى صوره المتعددة وأساليبه المعقدة . . ولعل العلة فى عدم ادراك الانسان لهذا الانحراف الا بعد حدوث آثاره الخطرة انه يقع فى دائرة المحسوسات البطيئة لأن الانسان يهتم دائما بالمدركات



الحسية الظاهرة. . فوقوع جريمة فى طريق عام أمر ميسور الادراك بداهة، ولكن وجود عبارة او عبارات منحرفة فى نشرة عابرة او فى كتاب منسى فى زاوية من زوايا المكتبات المتناثرة أمر يصعب معرفته، او بالأحرى الاهتمام به.

■ ولكن هذه العبارات تظل مصدر الخلل والخطر الذى يصيب مجتمعا ما فى حضارته. . والذين قالوا ان مصدر هذا الخلل هو الاستهلاك والتآكل الحتمى لأى حضارة بفعل عوامل الزمن ليسوا على صواب فيما قالوه لأن عملية الاستلاب والتراجع الحضارى لم تكن فى زمن ما الا نتيجة تلقائية لعملية تشبه معادلة رياضية عناصرها من الجمع، والطرح والضرب.

قلت: وبمعنى آخر ظل الخلل الفكرى أهم عامل فى خراب الامم وحضارتها. . ودلت الوقائع فى غابرها وحاضرها على أن اخطر هزيمة تواجهها أى أمة فى مسارها ترجع الى هزيمة فكرها نتيجة خلل تعرض له بفعل توطئة محلية أو خارجية.

■ لقد عنى الاسلام بعلاج الخلل الفكرى من البداية وذلك بتحديد مصدره فى صور النفاق واساليبه. . وما كانت العقيدة لتصل الى ما وصلت اليه من مد أممى شامل الا بعد ان حسمت هذا الخلل وتحصنت منه ولو كان مجرد عبث عابر. . وشاهد هذا فى احدى الروايات عن قصة مخشى بن حمير، ووديعة بن ثابت ومجموعة من المنافقين شككوا فى قدرات رسول الله ﴿ﷺ﴾ وصحبه البررة وهم فى طريقهم لغزوة تبوك. . لقد تهامسوا بينهم. . «اتظنون قتال بنى الاصفر(١) كقتال العرب بعضهم بعضا والله، لكأنا بكم مصفدين يوم غد فى الحبال».

■ فلما جاءهم عمار بن ياسر من عند رسول الله يسألهم ما قالوا انكروه فقال لهم ـ كما اوصاه بذلك رسول الله ـ بلى قلتم كذا وكذا ـ فجاء مخشى بن حمير نادما يقول: يا رسول الله قعد بى اسمى واسم أبى وجاء وديعة معتذرا يقول: انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم قوله الحق **﴿ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾**(٢).

■ واذا كان المنافقون قد قالوا ان عباراتهم كانت للتسلية واللعب فإن الله قد رأى فيما قالوه خللا وانحرافا عن مسار الامة فى وقت كانت فيه أشد حاجة للتماسك. . كما رأى فيهم خطرا على أمتهم يستدعى كشف اسرارهم وخطرهم فوصف ما قالوه بالاستهزاء بآياته ورسوله، ورد عذرهم لانتكاس ايمانهم ووعد طائفة منهم بالتوبة، وطائفة اخرى بالعذاب.

قلت: كيف نوازن بين تلك العبارات وبين ما تعرضت وتتعرض له الامة من عبارات تطفح بها المئات من الكتب نهشا واعتداء وسخرية بقيم الامة وعقيدتها وتراثها.

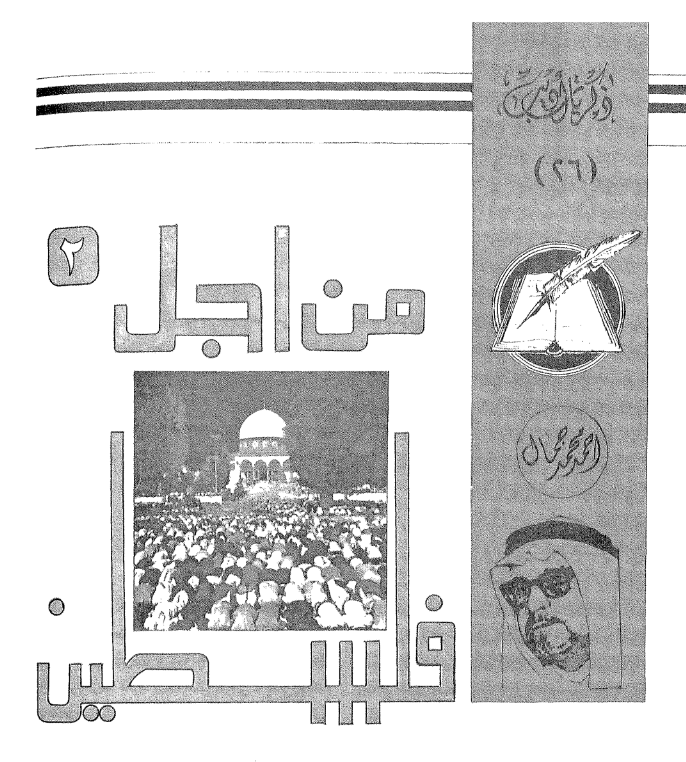
■ هل كان آخر هذه الكتب ذلك الانحراف الذى اسماه صاحبه «اشعار شيطانية» ونشره فى لندن. هل آخرها تلك الطلاسم والعبارات المتقاطعة التى يتسلى بها صبية الأدب والمتطفلون عليه؟.

قلت: ان تلك المحاولات لن تكون الاخيرة فى سلم الانحراف والخلل الفكرى.

---

(١) المقصود الروم.

(٢) لعل الموعود بالعفو مخشى بن حمير.



في كلمة سابقة ذكرت ما لقيته في سبيل المساهمة بفكرى وقلمى من أجل الوصول الى حل قريب وسريع للقضية الفلسطينية ـ ذلك هو الفصل من وظيفتى فى مجلس الشورى عام ١٣٧٧هـ ثم إعادتى بعد أن تبين سلامة موقفى . وصدق نيتى . . وإخلاص ضميرى . . وصواب اجتهادى . .

■ واضيف هنا ازمات ومتاعب أخرى لقيتها للسبب نفسه .

● كتبت ـ فى جريدة الشرق الأوسط ـ تعليقاً سياسياً أؤيد فيه الرئيس المصرى الراحل محمد أنور السادات فيما اتخذه من سياسة نحو القضية الفلسطينية بدأها أولا بالحرب المسلحة سنة ١٩٧٣ لإزاحة الاحتلال العسكرى الاسرائيلى لشطر قناة السويس . . وما نجم عن ذلك من تعطيل الملاحة فى القناة منذ حرب يونيو ١٩٦٨ . . وما ترتب على ذلك من خسارة مادية لمصر الى جانب الهوان السياسى المتمثل فى احتلال اسرائيل لشطر القناة .

ثم عندما تأكد من أن امريكا لن تتخلى عن اسرائيل عسكريا ومالياً وسياسياً أعلن قولته المشهورة : «انى لا

أحارب اسرائيل ولكن احارب امريكا. . ولا قدرة لى على حرب امريكا» ويبدأ يتخذ خطواته السلمية نحو التفاوض مع امريكا واسرائيل من اجل ازاحة الاحتلال العسكرى الاسرائيلى لمنطقة سيناء جميعا بما تحتويه من آبار البترول المصرى الذى استغلته اسرائيل خلال الاحتلال منذ سنة ١٩٦٨.

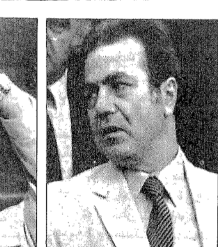
■ وقد دعا الدول العربية ـ وبخاصة سوريا والأردن لأن اسرائيل مازالت تحتل أجزاء من اراضيهما، ودعا كذلك منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة السيد ياسر عرفات الى الاشتراك معه فى التفاوض مع امريكا واسرائيل لازاحة الاحتلال الاسرائيلى العسكرى من الضفة الغربية والقدس والجولان واقامة الدولة الفلسطينية المقترحة على الضفة الغربية والقدس.

فرفض العرب موقف السادات ورفضوا عرضه عليهم المساهمة فى المفاوضات ليكون الحل شاملا للقضية وضامنا لحق الفلسطينيين فى اقامة دولتهم على أرضهم ـ ثم قاطعوا مصر دبلوماسياً وسياسياً واقتصادياً.

ولا أريد ان اطيل فى تفصيل ما حدث فى أعقاب قطيعة الدول العربية لمصر ـ ففى مقالاتى وكلماتى السياسية التى كتبتها خلال هذه الفترة ما يشرح هذه الاحداث العربية. . كما أن كتابى (مأساة السياسة العربية) الذى أصدرته سنة ١٤٠٢هـ يضم مقالات صريحة عن السياسة العربية خلال هذه الفترة.

ولكن ما أريده هو ما يتصل بهذه الذكريات، اى ما لقيته فى سبيل وجهة نظرى المخلصة لحل المشكل الفلسطينى.

فعندما ظهر مقالى السياسى تحت عنوان «اذكروا محاسن موتاكم» فى جريدة الشرق الأوسط يوم ١٤٠١/١٢/١٩هـ مؤيداً لموقف الرئيس المصرى انور السادات. . لأنه موقف عملى وواقعى اتخذ بعد سياسات ومواقف عربية طويلة وعديدة منذ قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨م ـ دون ان تكون هناك نتيجة مقبولة لهذه السياسات والمواقف.



فاروق قدومى



ياسر عرفات

■ عند ظهور هذا المقال هب كثيرون من الكتاب العرب يعقبون عليه متهمين اياى بالخيانة والنفاق لمصر وأمريكا واسرائيل. . ويهمنى اولا ما كتبه بعض الكتاب السعوديين فى الصحف المحلية حول هذا الموضوع.

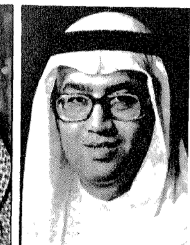
فى مقدمة الكتاب السعوديين الذين عقّبوا على مقالى السياسى الذى أيدت فيه معاهدة الصلح بين مصر واسرائيل الاستاذ عبد الله بن خميس، والدكتور غازى القصيبى. . و اعقب ذلك إتهامى بأنى ذيل من ذيول السادات وعميل من عملاء اسرائيل.

وبعد نشر المقال المشهود بالجزيرة هتف الىّ وزير الاعلام حينذاك الدكتور محمد عبده يمانى طالباً منى الا أرد عليه.

فاستجبت للدكتور اليمانى ـ وزير الاعلام ـ ولكنى طلبت ان يكتب اعتذاراً فى (الجزيرة؛ عن الشتائم والاتهامات التى يعاقب عليها الشرع وقانون المطبوعات ايضاً. . وصبرت على مرارة الاتهام حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

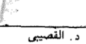
■ وهكذا! يرى قارىء هذه الذكريات أن احمد محمد جمال الذى أمضى نحواً من أربعين سنة يكافح بقلبه وقلمه ولسانه فى كل الميادين الصحافية والخطابية بياناً لوجهة الحق، ودعوة الخير، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ











د. القصيبي

د. عبده يماني

عبد الله بن خميس

يتهم بأنه ذيل من ذيول السادات، وعميل من عملاء اسرائيل.

مع انه طوال عمله الصحفي وخلال مقالاته السياسية حول قضايا العرب، وقضية فلسطين خاصة لم يقل الا الرأى العملى الصحيح الذى يجب ان يتخذ منهجاً لحل المشكلات العربية.. كتاباه (نحو سياسة عربية صريحة) و(مأساة السياسة العربية) ومقالاته التى نشرتها الصحف المحلية، وجريدة الشرق الاوسط: شاهدة بحق على أن ما قاله ويقوله قبل أكثر من عشرين سنة لحل المشكل الفلسطيني هو ما انتهى اليه زعماء العرب فى مؤتمر القمة المنعقد فى الرباط سنة ١٩٨٢م من الموافقة على التفاوض على المشروع العربى للسلام الذى يتضمن اقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

■ وتجدد اتخاذ الساسة العرب لهذا المبدأ خلال السنوات التالية لمؤتمر القمة سنة ١٩٨٢م حتى اليوم واكثر من ذلك، اعلن ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية فى ديسمبر ١٩٨٨م فى اجتماع هيئة الامم المتحدة فى جنيف اعترافه باسرائيل، ومطالبته بالتفاوض معها عن طريق المؤتمر الدولى المقترح لحل المشكل الفلسطيني.

■ لذا: فمن الحكمة ـ كما قلنا مرارا فى كتبنا ومقالاتنا ـ أن (نأخذ ونطالب) اى نقبل ما يتيسر لنا من حقوقنا ثم نستمر فى المطالبة بالمزيد، وبمعنى أوضح وأصرح: نضع أقدام أهل الارض على جزء منها ليتمكنوا من الأجزاء الاخرى.

اما ان يظلوا بعيدين مفرقين ممزقين فى مخيمات اللاجئين فى «لبنان وتونس.. والسودان.. والجزائر.. وغيرها» فإن هذا يزيد المشكل تعقيدا والقضية تعسيراً، ويميت الحمية والرغبة فى قلوب الفلسطينيين نحو أرضهم الحبيبة ووطنهم السليب.

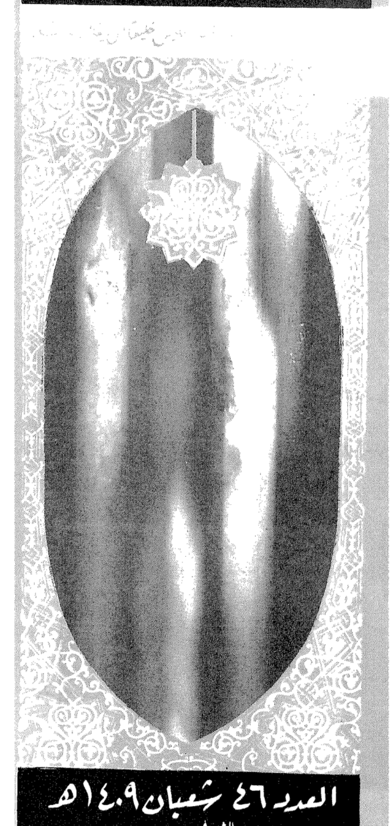
وأكتفى بإثبات خبر أدلى به السيد فاروق القدومى ـ احد قادة منظمة التحرير الفلسطينية ـ فى نيويورك نشرته جريدة (المدنية) يوم ١٤٠١/١/٢٨هـ جاء فيه:

«نيويورك ـ الوكالات: اكد مسئول كبير فى منظمة التحرير الفلسطينية ان المنظمة ترغب فى إجراء حوار مع الولايات المتحدة اذا ما أبدت الاخيرة استعدادها للحوار مع المنظمة.

■ واوضح السيد فاروق قدومى رئيس الدائرة السياسية فى منظمة التحرير الفلسطينية خلال مأدبة تكريم أقامتها له جامعة الدول العربية فى الامم المتحدة ـ أوضح ان منظمة التحرير الفلسطينية تريد تعايشاً سلمياً مع الاسرائيليين.

وقال: «إن الفلسطينيين وهم يسعون للسلام سيواصلون النضال من أجل حقوقهم المشروعة» ١هـ.

فهل مازلت عميلاً لاسرائيل، وذيلاً من ذيول السادات؟..

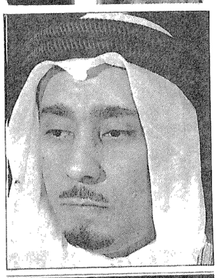


قصائد العدد



يارب عفوك

يارَبّ عفــوك عمــن اذنـبــوا أمــلٌ
تحيــا به الـنــاسُ مهــا كان عاصيهم
به ترق حواشـيـهــم وتـغـسـلهــا
عيـونهــم بدمـوع من مآقـيـهــم
تُهوّنُ الـشّــر فى اكـبــادهـم مُهـجٌ
مهــا طغـت سكنت من خوف باريهم
فاعمــر بخــوفـك نفسى فهـو مأمنهـا
من كلّ خوف لأدنــاهــم وطــاغـيـهم
وأسـتـجـير من الـبـلوى فلست لها
انــى بدونــك أدنــى كل دانـيــهـم



ابراهيم فودة

يُسعى إليه ولا يسعى

يُسعـى إليــه ولا يسعــى الى أحــد
من ليس يطــلب شيئــا من أيــاديهم
ويـبـســط الـكـف فى ذل ويــرفعهــا
الـى الـذى هو يعلـو فوق عالـيــهـم
فالــذل فى ساحـة الـرحـمـن عزتـه
على الألـى غرهـم ما الـلهُ معطيـهم
فالـلـه يفـتـن بالـنـعـمى وضـرتهــا
عبـاده ليس يُدرىٰ أمــرهُ فيــهـم
فرُبَّ بلوى لأهــل الفضــل تأجُرُهم
ورُبَّ نُعـمـى لأهــل الســوء تُشقيهم

المدينة المنوّرة

والتوسعات الفهدية

الحمـدُ لله العليّ
ومن له الحمدُ المزيدْ
حمداً يليقُ بذاته
سبحانه. وهو الحميدْ
و(لخادم الحرمين) أهدِي
معرباً. هذا القصيدْ
ملكُ البلاد وعزُّها
والمجدُ والعهد السّعيدْ
حامى حمى الحرمين قبلتُها
وروضتُها.. شهودْ
فى كلّ حين لفْتةٌ
ملكيّةٌ . هل منْ مزيدْ
فى أرض (طيبة) والعقيـ
ـق ومطلع النور الوليدْ
فى روضة الروضات
والمبعوث.. محمود الجُهودْ
ملكٌ حباه اللهُ من
آلائه الحُكم الرّشيدْ
الله ألهمه وسدّد
خطوه. وهو المريدْ
فله التّحيّة (من هنا)
وأميرها(1) (عبد المجيد)

(1) أى المدينة المنورة.

عدنان أسعد

العبقري النبيل





شعر ابراهيم خليل العلاف

ظلّ متخوماً من الضّررِ
ضائقا بالهمّ والكدرِ
يشتكي من غربة عظمت
أوحشت بالضغط والضّجر
فكثيرُ النّاس يجهلهُ
وقليلٌ جاد بالعور
ورعاعُ النّاس في دعة
جُلّهم قد فاز بالوطر
قد قضوا شتى مصالحهم
ومن اللذّات في بطر
حققوا إشباع حاجات
وتغابوا عن مدى الخطر
كيفما اتفقت، وسيرتهم
سيرة الثّعبان والنّمر
فاذا لاحت لهم فرصٌ
سابقوا بعضاً الى الظّفر
ليس كلٌّ قاطفاً ثمرا
مفلتاً من زحمة البشر
طالما خابت وسائلهم
ربّ صيّادٍ بلا وترِ
ربّ ذئبٍ جاع مجتهداً
وكُليب عزّ في الحضرِ
ربّ محظوظ بلا رهقٍ
ربّ محروم من القدرِ
حاضرُ الاسلام علّته
حربُ نابغةٍ ومُبْتَكِرِ
ولهذا فرّ ذو هبةٍ
وتلقّى عونَ محتكِرِ



وفادة حب واكبار ترد للمنهل من هؤلاء الشعراء المبدعين المجددين المجيدين.. يتخلل بناءها اريجُ الشذى ويعتمل فى معانيها فوح الخزامى.. ويتحاور فى سياقاتها هزج المصير ويتجاذبها العطاء فتبقى ابداً ذات دفء ورواء.

احمد سالم باعطب

جُرىّ ذيول الهوى فى فِتنةٍ وصبا
يا حرّة تُنجب الأقمارَ والشُهبا
تسرى نسائمُك الأبكارُ نادية
نشوى تُدغدِغ ودياناً لنا وربُى
ما أبصر السّحرَ فى عينيك ذو صلفٍ
إلا استحال رقيقاً عاشقاً طربا
يا حلوة قبَّل التاريخُ جبهتَها
وكبرّ الليلُ من لألائها عجبا
جاءت إليك تبلُ الشوقَ أنشدة*
فكنت يا جدتّى(١) أماً لها وأبا
قرأت فى كل ركن منك ملحمةً
تفوق ما قيل من شعر وما كُتبا
صاغ التّفاعيل قلبُ (الفارسى)(٢) حُللا
بديعةً تسحرُ الأجيالَ والحِقبا
وقلدّ (الخوجة)(٣) الأيام أوسمةً من الندى
تسكر الأقلام - والكتبَا

فما دعته الى العلياء مكرمة
إلا بنى لك فى هاماتها قُببا
يذوب فيك هوى بذلاً وتضحيةً
فعنك يُكرم هذى الليلة الأدبا
يا قائدى سفن العرفان إن لكم
من العطاء يداً تسمو بكم حسبا
ما للسفين على الشطآن جانحة
ما للجياد كبت وما للضياء خبا
ما للكراريس فى الأدراج منهكة
أخالها تشتكى الاخفاق والنّصبا
هل غاص فى لجة التهويم فارسُها
أم الغموضُ على سلطانِها غلبا
أين الأصالةُ هل شاخت نضارتُها
أم غاب كوكبُها أم ماؤها نضبا
أم غالها الجدبُ فاعتلّت مزارعها
وصار فلاحُها مما رأى هربا
إنّ الأعاصير تعوى بين أظهرنا
تكادُ تُحرق فى أفواهنا الخُطبا
شكت الى ربّها الفصحى عقوق أخى
وكيف مزّق منها القلب والعصبا
وكيف سخرها فى داره أمةً
وكم كسا أهلها الحمّى وكم صلبا
فقلتُ يا دوحة الإبداع معذرة
ما جئت تبغينه بالأمس قد ذهبا



إنّا نعيشُ بعصرٍ لا خلاقَ له
نبيتُ نرضعُ في حاناته الكَذِبَا
بعنا التراثَ بأسواق المزاد ضحيً
وما نسبنا به جاهاً ولا نشبا
حتى غدا البعضُ كالأنعام سائمة
لا دين لا أرض لا تاريخ لا نسبا

* * *

ما ولَّد الخلف في دار يحلّ بها
إلا القطيعةَ والخسرانَ والوَصَبَا
إنّ السُّعاة الي الفوضى ذوو دخل
كلٌّ يحاول أن يلقى له ذنبا
فإن غلى مرجل زادوا عطيَّته
إن العطايا دواء يُسكِتُ الغضبا

* * *

قالت أخافُ عليكم أن تحيق بكم
نار تكونون في أحشائها حطبا
أخشى على النشء أن تعرى مداركه
فلا يقدس إلا اللهو واللعبا
ما بين حاضنة تزهو بعجمتها
وخادم تكره الاسلام والعربا
حتى إذا طرَّ للأنظار شاربه
شدَّ الرحال الى داريها خَبَبَا
حبلى حقائبُه عطشى رغائبُه
حيران في خطوه غصّان مُضطربا
يا ليته قبل أن يغتال عفته
قضى من الحبِّ حقاً للحمى وجبا

* * *

يا ناقشي الحرف في وجه الزمان سنى
ما باله بغتةً لما استوى غربا؟
لا تدفنوا الحرف حيًّا في مزابلكم
ولا يكن صمتُكم في قتله سبَبَا
للفكر حرّيةٌ لا تسفكوا دمها
فالفكر يأنف أن يُسبى ويغتصبا
وليعبق الفجرُ حبّاً من محابركم
ولتشرقِ الشّمسُ من أقلامِكم أدبَا

---

(١) جدة: عروس البحر الأحمر وزهرته اليانعة.
(٢) الدكتور م. محمد سعيد فارسي باني جدة وعاشقها.
(٣) الاستاذ محمد سعيد عبد المقصود خوجة.. صاحب الاثنينية المباركة.



أحفاد ضبة

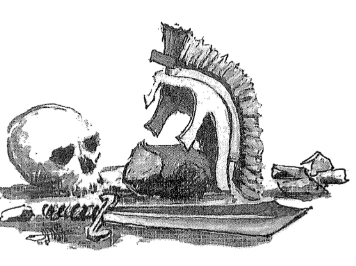
أقول لصديق ذهب حيث تغرب الشمس يقبس لنا منها نورا . .

سعيد السريحي



وقـاك ربُّـك فارحـل فالعـلا سفـر
ومسـلكٌ فى ديـاجـير النـوى وعِـرُ
ورحلةٌ فى ضباب العصـر ما خطـرتْ
يومـاً على خاطـرٍ قد مسـه خورُ
اذا تنـقّـلت فى الآفـاق محتـفـيـاً
يقـودك الأيـن والـترحـالُ والسَّهـرُ
فقـد تنـقّـلت للآداب منـتـجـعـاً
لما رأيـت الألـى عن وردهـا صدروا
فهـل لقيت من الأعـراب من أحـد
وهـل تهادى الى أسـماعـك الخبر
أحـفـادُ ضبّـة عن آدابهـم شُغِـلوا
وأصبـح المال حيث السّمعُ والبصرْ
فسـيـفُ عمـرو يُغطّى نصله صدأً
ورُمـحُ عنـترة العـبسىّ مُنكـسِـرُ
وربَّ قافـيـة غرثـى مولّهـةٍ
كادت لديهـم من الإهمال تنـتـحِـرُ
أحفـادُ ضبّـة ما عادت تُسامـرُهم
غيرُ الـدنـانـير إن قلّوا وإن كثـرُوا
يا أيّهـا الـرّاحـلُ المـرتـادُ معـذرةً
إذا أُثـير بهذا المحـفـل الـكـدرُ
إنّى رأيتُ ملاك الشّعـر مُحتضـراً
وقـد تسـرّب فى أوصـالـه الخـدرُ
ونحن نجلسُ فى المـركـاز شاعـرُنا
كهـلٌ تجمـع فيـه الكـبر والكـبرُ
لا يحسـبُ الـعِـلمَ إلا أنّـه نتـفٌ
من الأحـاديث يستحلى بها السّمـرُ
وفـتـيـة عن سبيـل العلم قد نشـزوا
فما يُبـالـون ما قالـوا ومـا سطـروا
لم يعـرفـوا الضّـاد حرفـاً عزّ مطلبه
ولـيس يدرون ما المفـعـولُ والخـبرُ
تسـوّروا الـشّـعـرَ لما عزّ ناصـره
وأيـن لا أين ما خطّـوا ومـا نشـروا
أنظـر صحـائفهم يُنبْـيك ظاهـرُهـا
بمـوسم القحـطِ لا زهـرٌ ولا ثمـرُ

يمليخا.. يموت مرة ثانية



لقد جئتكم ومعى وَرِقٌ
أريدُ طعاماً
أدارى به سورةَ الجوع
أرسم وجهى بباب المدينه
وأكتب اسمى على الطرقات احتجاجا
وانقل خطوى اختلاسا
يسابقنى الخوفُ من عسسِ اللّيل
ينتعلون قلوبَ العذارى
وظل محاورة لم تزل تذوبُ بقلب الصحارى
ويصرخ فى داخلى ألفُ صوت
ولكننى أتحاشى العسسْ
رفاقى هناك أشاروا عليّ
بأن اتلطف ، ان أتنكر خوفَ اللئام
لأقتنص الشّمسَ عند الغروب
واودعها فى حنايا الوسيط
وأطوى ركام السنينْ
وآتى لهم بالطعام
فما الحلّ
لا لغتى تفهمون
ولا ورقى تقبلون
تحيّرتُ ، أجفلتُ كالحُلم عبر العيون
وكالعربى المشرد خلف التخومْ
تذكرت فى لحظة دقينوسا
وقبضته تتخطى الجفونْ



د . محمد عيد الخطراوى

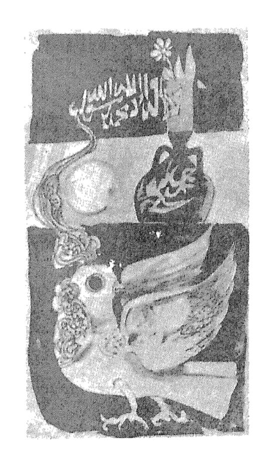
فخارت قواى
وأبصرت بعض دمائى
وأشلاء صحبى،
تهرول حافية فى العراء
ولعنةُ أفسوس تعدو ورائى
تمزقُ أوردة الكبرياء
بذاتِ الزمانِ ، بذات المكانِ
وبالحفنة الأغبياء
تحيرتُ ،
ماذا يقول رفاقى؟
إذا عدت خالى الوطابْ
بغير طعامْ
فيا للمصابْ
يلح على الجائعين السؤالُ ويبكى الجوابْ
تجرّدت الأرضْ
ناحت بأرجائها الرّيحُ
نوح المراعى على قدم الزمهرير
فلا روضة تستفز الرعاة
ولا حقل لا من حصيدْ
وأسواق أفسوس جفّتْ
وغاب الزحامْ
ومات الحمامْ،
وضاع بنجلوسُ بين الركامْ
وضاع الطريق اليه وغامْ
فأصبحت وحدى
فلا من طعامْ
ولا من صحابْ
وعزّ الايابْ
وصاحت بيمليخا بومُ الخراب
فيا تعس يمليخا
من ذا يواريه تحت التراب



يس الفيل

صمت الجرحُ فاستبيحى حياتى
ياريـاحـا تئنُّ فى الظلماتِ
لست أخشاك ما حييتُ وإنّي
سوف أحيا، كما بدأتُ حياتى
حين أطبقتُ، واستبحتُ سباتى
وانتزعتُ الغطاء عن هفواتى
لم أكن أتّقى عواصف حقدٍ
أبعدتها يداك عن نظراتى
لم أكن أتّقى، ولم أكُ أدرى
أن تتلى يجيئنى من ذاتى
يا رياح المدى، عدمتك إن لم
تستبيحى الهدوء فى سبحاتى
سكن الجرحُ واستراحت حياتى
وبدأت الخطى لما هو آت
فات ما فات، فاهدئى، أو تمادى
فجراحى ما أصبحتْ عارياتِ





بحرى السماء وزورقى البدرُ
سِرْ يا شراعُ وموجُك الفِكرُ
وانهض حبيبى نور زورقنا
الحبُّ والايمان والشعر
الحب فى الدنيا نشيدُ اسى
والحب فى نأيى له عطرُ
سِرْ يا شراعُ فكلنا دنفٌ
فى صدره الانواء والجمرُ
هذا الحبيبُ تضم عبقته
نفسى الحنونُ وقلبى البِكرُ
يا دهرُ ظللنا بأجنحة
وأسْدلْ علينا اللَّيلَ يا دهرُ
يا نجمُ سامرْنا وقصَّ لنا
ما حدّث الغادون والسفر
يا بحرُ إن تعصفْ بقاربنا
تهو الحياة وينقضِ العمرُ
سِرْ يا شراع فإن وجهتنا
دنيا المحال وشطننا القبرُ

بيروت عام ١٩٤٢



احمد خليل عبد الجبار

شقراء

شقــراء يا ذات الــعيــون
الــزُّرق يا أمــلَ الخيــال
سبحــت باسمــك فى الهــوى
وعـشـقـت وجـهـك فى الجمال
وسـمـعــت صوتــك فى الـدُّجـى
ابــدا يُضــلّلُ فى الــرّجــال
اهــواك فى مُقَــل الـصَّـبــا
طيبــا ترنَّــح فى الـكــمال
وأحــبّ طيـفـك فى الـسـما
نورا تمثّــل فى الهــلال
واذوبُ فيــكِ صبابــةً
عنــد الـترفـق فى وصــالــى

***

شقــراء يا نغــم الـصبــاح ونــوره
وربـيـبـة الحُلمِ الـزهـى ومنــاره
رنّحـتُ افكــارى عليـك وطـيبهــا
ونـشــرتُ فى افـق الهــوى اشعــاره
كونــى عليّ غمامــةً رفــافــة
لأرى الحنــان وأحـتـسـى اقــداره

***

شقــراء يا بنــت الخيــال الـ
ـبكــر فى وتــرى الحنــون
وقــعــتُ حبّــك فى الـصّـبــا
لحن الـفـتـوة والـفـتـون
وعــشــقــت ذكــرَك آهــةً
اشــدو بها شدو الجنــون
ونظــمــت منــك قصيــدة
تتــلى على فنــن الـغُـصــون
شقــراء فن فى سما الـ
ـدنيــا يتيــهُ على الـفـنــون
شقــراء سحــرٌ هاجــعٌ
فوق الـنُّـجـومِ وفى عيــونــى



شقــراء يا حلماً على ارجــوحــة
من عالم الاقــدار صغـت دثــاره
رقصت لك الــدنيــا وهلّل سحــرهـا
وسـجــا يداعــبُ للسـنّــا اوتــاره
عشقتــك انفــاسى فحــرق كبـدُهـا
وسـبـيـت من روض الـنهى اطيــاره





د. : سامح درويش

وحدى تغورُ خطاى فى دربى
فتشدُّنى أنوارُ عينيكِ
هلا أتيت حقيقة تُصبى
وتحوتِ من عينى رؤى الشكِ
أهواكِ يا أنشودة الحب
وأحبُ فيك سناء خدّيك
وملائكاً فى صوتك العذب
تحدو خطاى الى ذراعيك

* * *

ياما انتظرتك من سنين، وفى
جنبىّ شوق بات يبتهل
وبحثت عن عينيك فى لهف
وبخافقى الأوهام تقتتلُ
أهفو إليك بقلب مرتجف
فى ظلمة الأيام يرتحل
متعطشاً لنهاية السدف
ويحثنى من صوتك الأمل

* * *

ياما طبعت على الشذى رسما
لملامح قد خلتها.. أنتِ
أبدعتُها، وغمرتُها لثما
وأذبتُ فيها الرّوح كى تأتى
ونقشت حبّك فى دمى وشما
وبنيتُ حلماً رائع السّمتِ
حلماً يشد الى يدى النّجما
ويخلّق الاقمارَ فى بيتى

* * *

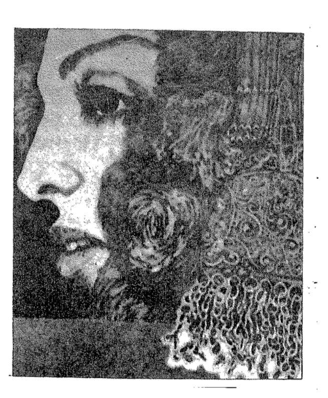
ياما حلمت بوجهك القدسى
يرتاحُ فى شوقٍ على صدرى
متلألىء البسمات كالشّمس
يزهو بهالاتٍ من السّحر
حتى سطعت فأشرقت نفسى
وأضاءت الآمالُ فى عمرى
وسمعت صوتك دافىء الهمس
أحلى من الأحلامِ، والشّعرِ

* * *

فأعانق الصّوتَ الذى يأتى
أنشودة، قدسية النغم
صوتاً يذيب تكاثف الصّمت
حولى، فترقص فرحتى، بدمى
يا عذبة القسمات أشرقت
عمراً جديداً فانتهى سأمى
بروائع الآمال قد جئتِ
وبواقعٍ أحلى من الحلم



أغنية الحرف الصامت



حسين احمد النجمى

قد أحرقتني في لهيب هواها
ومضتْ تؤرقُ ناظري ذكراها

فوددتُ لو عاد الزمان لعهدها
أو أنّ قلبي في الهوى ينساها
فلطالما طافت عليّ هواجسٌ
متذكراً ما كان في دنياها
عادت اليّ حكاية لم أنسها
وتصورت عين الهوى مرآها
أبصرت من أهوى هناك فواعدت
عيني في دنيا الهوى عيناها

* * *

وأتيت أطلب موعداً أرنو له
بالقلب آمل أنني القاها
فوجدت أن الريح تحمل عطرها
والشوق أضحى يستحث خطاها
فرأيت طيفاً من بعيد مقبلًا
نحوي وأشرق في المكان سناها
فمضيت أنظر في عيون قد بدا
في طرفها حور فما أحلاها
فرنت إليّ ودمعها متحدّرٌ
ومضت بحب تستذيب هواها

* * *

قالت لقد حان الرّحيلُ ولم يعُدُ
للروح حظ أن تنال مناها
فلقد تعبت من الهوى وشجونه
كم من قلوب بالعذاب كواها
ذاب الكلام على شفاهي عندما
ودّعت أحلام الصبا برؤاها
ومضت كطيف هائم بين الرُّبا
والورد في أغصانه ناجاها
فكتبت قصتها بحرف صامت
فوجدت أن الحب قد غنّاها



الخنساء(*)

يؤرقني التذكرُ حين أمسي(1)
فأصبحُ قد بُليتُ بفرط نُكسِ

على صخرٍ وأيُّ فتى كصخرٍ
ليوم كريهة وطعانِ حلسِ

وللخصم الألدّ إذا تعدى
ليأخذ حقَّ مظلومٍ بقِنسِ(2)

فلم أر مثله رزءاً لجنّ
ولم أر مثله رزءاً لإنس(3)

أشدَّ على صروف الدّهرِ أيداً
وأفصل في الخطوب بغير لبس(4)

وضيف طارق أو مستجير
يُروّعُ قلبُه من كلّ جرسِ(5)

فأكرمه وآمنه فأمسى
خلياً بالُه من كلّ بؤسِ

يُذكّرُني طلوعُ الشّمس صخراً
وأذكره لكُلّ غروب شمس(6)

ولولا كثرة الباكين حولي
على إخوانهم لقتلتُ نفسي

ولكن لا أزالُ أرى عجولاً
وباكية تنوحُ ليومِ نحس(7)

أراها والهاً تبكي أخاها
عشية رُزئه أو غبَّ أمس

وما يبكون مثل أخي ولكن
أُعزّي النّفس عنه بالتأسِّي(8)

فلا واللّه لا أنساك حتى
أفارق مُهجتي ويُشقَّ رمسي

فقد ودعت يوم فراق صخرٍ
أبي حسّان لذّاتي وأنسي

فيا لهفي عليه ولهف أمي
أيُصبحُ في الضريحِ وفيهِ يُمسي؟

(*) الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث: (ت٦٤٥). من بني سليم من مضر. أشهر شاعرات العرب، وأشعرهن. من أهل نجد عاشت اكثر عمرها في الجاهلية. أدركت الاسلام واسلمت ووفدت على الرسول ﴿ﷺ﴾ مع قومها فانشدها وأعجب بشعرها.

وكان يقول لها «هيه يا خناس» أكثر شعرها وأجوده في رثاء أخويها صخر ومعاوية، وكان قد قتلا في الجاهلية كان لها اربعة بنين شهدوا حرب القادسية (٦٣٧)، حرضتهم على القتال فلما قتلوا قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. لها ديوان شعر (ط) فيه ما بقي من شعرها وقد ضاع كثير منه.

والقصيدة في رثاء أخيها صخر.

(١) نكس: عود المرض بعد النقاهة.

(٢) القنس: الأصل وأعلى الرأس.

(٣) المعنى: لم أسمع للجن مصيبة ولا للإنس أعظم من مصيبتي هذه.

(٤) الأيد: القوة. أفصل: أحكم. اللبس: الالتباس.

(٥) الجرس: الصوت الخفي.

(٦) أي أنها تذكره في ذهابه الى الغزوات صباحاً، وفي عودته مساء بالغنائم وقراه للضيوف. تصفه بالبأس والجود.

(٧) العجول: الثكلي.

(٨) أعزي: أصبر وأسلي. التأسي: التصبر.



قراءة فى قصائد عدد رجب ١٤٠٩هـ

كان عملاً فذاً بحق، ذلك الاتجاه الذى دأبت مجلة المنهل تسير على نهجه بتقديمها قصائد شعرية للعديد من الشعراء العرب، ثم ما تلبث أن تقدم لهذه المجموعة من القصائد الشعرية دراسة نقدية توضح أبرز معالمها الفنية، واتجاهاتها الفكرية. وهى إذ تقدم لقرائها الأعزاء مثل هذه الدراسة، تعمل على إحياء روح النقد العلمى، وتبث ملكة الشعر فى النفوس المتعطشة للعمل الأدبى الرزين.

د. صباح
ابراهيم البطروخ
كلية التربية للبنات - جدة

■ تطالعنا صفحات المجلة فى عدد شهر رجب ١٤٠٩هـ بعشر قصائد، منها قصيدتان طويلتان هما «يا ليل عمان» و«الى عربى من اشبيلية» أما الباقى فيتراوح بين المتوسط والقصير.

وسنعرض لهذه القصائد كما وردت مرتبة فى العدد المذكور.

(١) من وحى الاسراء والمعراج - لمحمود شاور ربيع.

قصيدة من تسعة عشر بيتاً يتحدث فيها الشاعر عن مسرى الرسول الكريم يوم أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، وهى من مجزوء البحر الكامل ورويها ميم ساكنة، فيها هدوء واستراحة لأنها جاءت بعد مد مما يضفى على القصيدة نوعاً من الامتداد الشاعرى والرزانة المتفقة مع موضوعها، ويكثر فيها أسلوب المخاطبة كقوله «مسراك، نورك، وأتيت، كما يسترسل فى معانى المديح الواردة فى قصائد المديح والسيرة النبوية، معبراً عن مكنونات نفسه بسهولة فى الألفاظ وعذوبة ووضوح، معبراً بذلك عن عاطفة دينية صادقة وحب لشخص الرسول ﴿ﷺ﴾ وتعظيم للدين الاسلامى الحنيف.

ويبرز تأثر الشاعر بالقرآن الكريم فى البيت التالى:

الله ربى قادر
سبحان من يحيى العظام

■ فهو مأخوذ من قوله تعالى: **﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم﴾**.

وقد وفق الشاعر فى الاقتباس ليساعد فى إشاعة الروح الدينية فى جو القصيدة:

(٢) لكنه مؤمن - لأحمد محمد زيتون.

قصيدة من الشعر الذاتى، الذى يتحدث فيه الشاعر عن ذاته، مع لمحة من رمزية تجعل القارىء يتوقف بين الابيات، ليستشف ما أراده الشاعر فيما يقول.

■ فبعد أن يصف لنا نجمته فى الأبيات الأحد عشر الأول نراه يقحم نفسه بقوله:

أنــا من أنــا . . أنـا من جهلت مراتبـى
فلرب منـزلـة بها الـعظـماء

■ ثم يحدث مجهولا بقوله:

فتظــن أنــك قد بلغــت ذرى الــعـلى
يثـنـيــك عن إعـلائـهــا الإعـيــاء

■ فهذا البيت غير مترابط بما قبله، رغم أن ما يرمى إليه الشاعر واضح حيث يريد أن يقول إنه بإيمانه قد استطاع البدء من حيث اعتقد غيره أنه ذرى العلى، وإذا كان غيره قد وصل هذه الذروة بكل عناء، فما هى بالنسبة للشاعر إلا البداية.

■ أما قوله:

ستـشــب لكــن فى شبــابــك معــول
وبــكــم تزول جهــالــة ظلماء

■ ففكرته غير مترابطة بين الشطرين، وأسلوبه ضعيف لأنه خاطب المفرد ثم الجمع، والى ماذا أعاد الضمير فى الجار والمجرور (بكم)؟.

كما نلاحـظ تفكـك البنـاء والخطأ فى ضبط الفعل «أتى» وإلا كُسِرَ البيت فى:

وتــعــود للدنـيــا بشــارة أحــمــد
حكــم الــعــدالــة قد أتــى الخــلـفــاء

■ أما قوله:

ماء زلال نهره يجرى بها
تجرى الــكــرامــة فيــك والايــبــاء

فقد اقتضى الوزن إضافة الياء لتصبح الكلمة (الايباء) ليستقيم له الوزن، وهذه ليست ضرورة شعرية مستحبة.

■ أما قوله:

وســتـرتــوى تلك الجــمــوع بحـشــدهــا
ظمـئــت مماتــاً حين كنــت المــاء

● فقد اقتضت الضرورة الشعرية رفع كلمة الماء بينما يجب نصبها، وعموماً فالقصيدة من البحر الكامل. مزجت بين العاطفة الدينية والنزعة الفلسفية، التى أراد الشاعر بها أن يقدم فكرته بشكل رمزى، لكنه أضاع الحاسة الشاعرية والعاطفة الدينية فى ردهات الافتعال الفلسفى، مما حال دون توفيقه.

(٣) يا ليل عمان - لابراهيم السامرائى:

رائعة هى تلك المناجاة التى يتغنى بها الشاعر، يجمع فيها بين العام والخاص، من الاحساس الوجدانى المرهف الممـزوج بالفكـر العقلى الرصـين، يستعيـد ذكرياته، ويستنبط من ماضيه أحكام واقعه، بل والواقع من حوله على امتـداد الـوطن العـربى والإسلامى وكذا الانسان العربى والمسلم.

قصيـدة عمـوديـة علي النسـج التقليدى من البحر البسيط تربو على ستين بيتاً وقد حلق فيها الشاعر فى آفاق عدة.

أفكارها جديدة لها ارتباط بالواقع المعاصر، فهى تعبر عن إقبال الناس على الدنيا واندفاعهم نحوها بشكل لم يكن معهوداً فى العصور السابقة.

وقـد حفلت القصيـدة بالكثـير من الصور والأخيلة والمحسنات البديعية الموفقة.

والنص حافـل بالصور والمحسنات. ويفتتح الشاعر قصيدته بقوله «مشى بك الفكر» بينما تأتى الأبيات التالية وقد تحدث فيها عن نفسه أى أن الفكر مشى به هو لا بغيره ولو قال «مشى بى الفكر» لكان الشطر الأول متسقاً مع الشطر الثانى من البيت والأبيات التالية من القصيدة.

وحيث إن البيت الأول يقرر أنها جولة فكر، فلنتوقع ما تحويـه القصيـدة من ذكـريات مكانية وزمانية، وآراء وتعليقـات فكـريـة مختلفـة باختـلاف الجولات والصور المتعلقة بها.

وقد تنوعت العاطفة بتنوع الذكريات أو الآراء أو التعليقات.

والشـاعر يسدى نصحاً جاء حكمة بالغة لأنه نتيجة موفقة لقضية أجاد طرحها فيقول:

إن كنــت منهــا على ورد وعــافــيــة
فقــد تكــون، ولم تعــلم إلــى سقــر

■ فمن كان على وفـاق مع الـدنيا ربما كان ذلك على حساب آخرته فيلقى الى جهنم. وهذا ما يعبر عن نزعة دينية صادقة لدى الشاعر إذ يذم الدنيا، ويذكر بأن نهاية الراتع فيها الى النار دون الاكثار من النصائح المباشرة أو الوعظ المباشر.

وفى الأبيات التالية تعليق على ما تعانيه الأمة العربية من التخلف والتفرقة والمصائب التى تحل بها نتيجة الخلاف القائم دائماً وعدم الاستفادة من التجارب السابقة.

حقيقة لا تقرأ أبيات القصيدة إلا وتذوب بين أبياتها، تنقلك الى عالم الشاعر أردت أم أبيت، فتأسى لأساه وتسعد لايمانه وتتأثر بما يقول، وقد وفق الشاعر فى اختيار الفاظه المناسبة والانتقال بالجو الخاص لكل جزء من القصيدة لتلائم الموضوع الذى ينتقل إليه ويعلو بموسيقاه ثم يهمس بها همساً حسب الحاجة، فكأن الأدوات الشعرية بين يديه أوتار تداعبها أصابع عازف يجيد العزف على قيثارته وقد تجلت عاطفة الشاعر الدينية، الإسلامية والعربية، فكانت عاطفة صادقة استطاع التعبير عنها تعبيراً موفقاً.

يشعر الشاعر بالحزن وعدم الرضا والسخط على الأوضاع المؤلمة والبعد عن المثل العليا والقيم الدينية الرفيعة، أما أسلوبه فقوى جزل متقن فخم يميل أحيانا الى استعراض قدر كبير من الثقافة اللغوية وقد يجنح أحياناً الى اسلوب الرمز والتعريض لكنه أسلوب واضح.

(٤) الى عربى من اشبيلية ـ للدكتور كمال اسماعيل:

وهذه قصيدة أخرى كسابقتها تعبر عن معاناة الشاعر بما يدور حوله من أحداث تؤثر فى الانسان العربى والاسلامى، ويخاطب الشاعر العربى الراحل الى خارج وطنه فيدعوه لأن يكون القدوة، فعباس بن فرناس كان عربياً مسلماً حمل رسالة الاسلام والعلم والمجد الى أوروبا وكانت له الريادة فى الطيران فرفع اسم المسلمين عالياً وظل ذكره خالداً أبد الدهر فليحذ حذوه ما دام ينتسب إلى الأمة الاسلامية وليقف شامخاً فى ظل التيارات معبراً عن ذلك بقوله:

ما ذاب ذيلك يا ابن قر
ص الشمس لما الشمع ذاب

■ بل يبقى على الذكرى الخالدة من الدين والوطن والأمة، ولا ينسى مجده القديم فى بلاد الاغتراب.

ثم يختتم القصيدة بمجموعة من النصائح التى يستحب أن يتحلى بها المغترب، وينهى عن بعض الرذائل التى لابد من الابتعاد عنها، ويعزز رأيه ببعض الحكم الجميلة المعبرة.

والقصيدة من مجزوء الكامل المرفل، خفيفة رشيقة تتخذ من فكرة التحليق وسيلة للتعبير عن معاناة الانسان المغترب، بعيداً عن دياره ووطنه وأهله يكون كالطائر لا يقف على أرض صلبة، تتقاذفه الأهواء والأنواء وتتربص به المنون، ولكن إذا ما اختار الانسان ذلك فعليه أن يكون عظيما قدوة فيما يفعل، والقصيدة تنحو نحواً رمزياً دونما إغراق، وتشد القارىء شداً إلى تدبر حال بنى جلدته الذين اختاروا الغربة أولا ثم الذين كتبت عليهم هذه الغربة ثانيا.

(٥) بنت السماء: لإبراهيم فودة.

مقطوعة قصيرة من ستة أبيات رقيقة ذات أسلوب سهل، من البحر الوافر، تتحلى بعاطفة صادقة وجرس موسيقى عال، توحى بروح الشباب، تملأ صدر الشاعر، فهام غراماً بمن رأى.

وفى البيت الأول تدرك مدى الاندفاع من مد كلتا يديه فى قوله:

أمد إليك (كلتا) ساعديا
وأحتضن الهوى فى مقلتيا

■ وقد ورد فى هذا البيت خطأ مطبعى أو نحوى فى كلمة (كلتى) حيث وردت فى البيت (كلتى) والصواب (كلتا)

■ أما قوله:

وما هو بالهوى لكن غرام
تفجر نبعه فى جانبيا

يؤكد احساسه بالاندفاع فى البيت الثانى صراحة.

■ مقطوعة رقيقة وجميلة حقاً تعبر عن حالة فورية من الاحساس المرهف، لذا فقد جاءت موسيقاها سريعة، وكلماتها جزلة، وألفاظها معبرة عن حال صاحبها فى أبيات قليلة.

(٦) حديث الأحلام ـ لابراهيم فودة.

وهذه مقطوعة أخرى من البحر البسيط لشاعرنا المجيد ابراهيم فودة، يتحدث فيها حديث الأحلام حلم، والحلم لا يحتمل الاطالة، فهو يتمنى أن يراها تمشى معه حانية عليه فقط، هذا جوهر الحلم، أما بقية الأبيات فتصور محبوبته إذا نطقت وتصف ابتسامتها بل يصفها بأنها لبانة

نفسه ثم يدعوها أن تأخذ بيده الى ذرى عالم برجها السامى ، فإن حدث ذلك فسوف يملؤه بالشعر والغناء الذى يعطر الكون .
والنص حافل بالصور البيانية كما فى قوله :

فيا لبانة نفسى فى تشوقها
الى السماء تناجى نجم إلهامى

■ حقيقة لقد استخدم أعذب الألفاظ ، وأكثرها مناسبة لرسم جو شاعرى جميل حتى يشاركه القارىء أحاسيسه الفياضة تجاه محبوبته ، وهذا دأب المحبين ينثرون حولهم عطر أنفاسهم اللاهثة فيشعر بها كل من حولهم .

(٧) يا نجمة الليل ـ أحمد خليل عبد الجبار :

شاعرنا الرقيق أحمد خليل عبد الجبار يطل علينا بقصيدة من قصائده التى تعبر عن قلب دافق بالمشاعر، ملىء بالأحاسيس المرهفة .
والقصيدة على مجزوء البحر الكامل المذيل «متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن ، يناجى فيها نجمة الليل التى تؤنس وحدته فى ليالى العشق والوله ، فيبثها شجونه يحدثها عن خفقات قلبه ، ويساهرها ويشدو معها على وتر الدموع .
وليس لنا من قول إلا ما ورد فى البيت الثانى حيث وردت كلمة بردته فى الشطر الثانى ، بينما البيت مدور وصحة كتابته عروضياً هكذا :

نشر الأريج عليك بر
دته وأرخى السحر ظله

■ وكذا البيت الخامس فقد أضيف الى شطره الأول كلمة من الشطر الثانى والصحيح عروضياً أن يكون هكذا :

ترنو إليك أجنة
ولهى وتحدوك الأهلة

(٨) كيف أنسى ـ أحمد خليل عبد الجبار :

قصيدة رقيقة من قصائد الشاعر أحمد خليل عبد الجبار على مجزوء بحر الرمل ، يخاطب محبوبته التى نسيته ولم ينسها . . وبعد أن يقدم بين يديها أسباب دعوته لعدم النسيان يقول لها :

وإذا قلت سأنسى
صاح قلبى كيف تنسى

وذلك أمر مستغرب فى ذاته ، مُفجع لقلب المحب الصادق .

■ بدأ الشاعر بأبيات قوية ، تعبر عن غضبه واستيائه وبدأ من موقع الهجوم لا الدفاع ، لكنه سرعان ما تحول من موقع الهجوم الى موقع الدفاع ، فسرت فى أبياته موجة من الحزن ترافقها موسيقة هادئة تكمل الصورة ، وتحاول أن تستعطف القلب الصلد .

■ وقد عبرت هذه الأبيات عن حزن الشاعر ويأسه من محبوبته ، وسادتها عاطفة حزن وحب وألم وشوق يشقيه ، لذا نراه يميل الى استخدام كلمات تثير الشفقة وتنتزع العواطف نحوه مثل : «ضيعت شبابى ـ أضعت العمر ـ الأسى ـ الهم ـ بؤسا» .
لكن سرعان ما يلجأ الى أسلوب آخر يدغدغ فيه العواطف محاولا إثارتها بتذكيرها بالأيام الخوالى ، الأمر الذى يحتاج فيه إلى رسم صورة براقة لتلك الأيام مصحوبة بموسيقى صاحبة تساعد فى توضيح الصورة ، فنجده يستخدم ألفاظاً تناسب المقام مثل «أعز الناس ـ انثرى ذكراى ـ غزلت النور ـ فرشت الدرب ورداً ـ أنس زمانى» .

(٩) اذكرينى ـ الحسينى عبد العاطى :

قصيدة عاطفية من شقين : الأول يناجى فيه الشاعر محبوبته طالباً منها تذكر الأيام الخوالى التى عاشاها سويا ، ويناشدها العودة الى أيام الذكرى هذه فتتذكره فى كل الاحيان ، أما الشق الثانى وقد تغيرت فيه القافية فحلت فى نهاية الأبيات الكلمات المنتهية بألف وهمزة بدلا من ألف وتاء لتعطى رنة موسيقية عالية توحى بالقوة والعزم .

■ هذه القصيدة على مجزوء بحر الرمل ، سهلة الألفاظ ، عذبة العبارات ، صادقة العاطفة يتحدث فى شقها الاول بأسلوب مباشر كما قلت فيها الصور الشعرية مثل (أينعت» (دفء القلب) حين استخدم كلمة دفء استخداماً مجازياً ويقصد به الحنان والمحبة ولذا قدم (بدفء القلب ، على الفعل (ردّى) إشارة الى أهمية الحنان .
والشق الثانى من القصيدة جاء مليئاً بالصور الشعرية الرائعة والموفقة ، ولا يفوتنا أن نقرر أن استخدام

كلمة (كيف) فى الأبيات الأخيرة بشكل متكرر قد جاء موفقاً ومعبراً عن حالة الشكوى والتذمر والغضب أحياناً والتعجب أحياناً أخرى.

(١٠) اليوم الأسعد مولده ـ محمود بيرم التونسى :

رائعة من روائع محمود بيروم التونسى على البحر المتدارك، أكثر ما يلفت النظر موسيقاها الرشيقة، ولعل أجمل ما فيها معارضته للموشحة الأندلسية الشهيرة، وجميل أن يكون محمود بيرم التونسى من أصل تونسى ويعارض قصيدة أبى الحسن على بن عبد الغنى الحصرى الفهرى الشاعر التونسى الأصل أيضاً.

وقد عرف عن الشاعر روحه الشعبية الأصيلة واشتهر بأزجاله التى طالما ترددت على الألسنة، لذا فقد جاءت القصيدة بموسيقاها الظاهرة وموضوعها فى مدح الرسول متفقة مع اهتمام كافة الناس بمولد الرسول ﴿ﷺ﴾.

ويفتتح القصيدة بيوم مولد الرسول ﴿ﷺ﴾ فيصفه بأنه اليوم الأسعد (اسم تفضيل) والرسول يذكر فى المقام الأفضل، ولهذا فالشاعر يصف الرسول بأنه مصباح الدهر وسيده.

وقد تحلت القصيدة بعاطفة دينية صادقة، وتحلى الشاعر المسلم بشعور يعبر عن الاحساس السعيد المتدفق فى نفسه، والقصيدة من الشعر الغنائى يظهر فيها العنصر الموسيقى بوضوح.. إلا انه لم يسلم من بعض الهنات المقبولة التى نذكر منها قوله:

فدعا فى الناس يوحدها
صوب الديان توحده

■ فالناس اسم جمع ويستعمل عادة مذكراً وبالتالى كان المفروض أن يقول (يوحدهم) بدلاً من قوله (يوحدها) إلا أن ضرورة الوزن فرضت عليه ذلك.

■ منها قوله:

حتى خضع الثقلان له
وأتى أشقاه وأسعده

■ فالثقلان مثنى، وكان الواجب قوله أشقاهما او أسعدهما، لكنه جعل الثقلين شيئاً واحداً وأعاد الضمير على مفرد، ولم يعده على مثنى وذلك للضرورة الشعرية.



« حوش . . التاجورى »

رواية جديدة للأستاذ القاص غالب حمزة أبوالفرج.. تمثل لمحات من الماضى الأخاذ مصحوبة باشراقات الحاضر الفواح.

صيغت فى قالب قصصى وسلاسة فنية وبأسلوب أدبى رقراق ينساب فى أعطافها ويتناغم بين فصولها وينغرس فى جذورها.. تطالعها قريباً فى اعدادنا القادمة باذن الله سبحانه.

اعترافات إحسان عبد

● حكايات إحسان عبد القدوس هل هى تأسيـ

● تقدمية إحسان عبد القدوس فى نظرته لحـ

● حرية الكاتب تستدعى بالضرورة القفـ

اجرى اللقاء
محمد الشرقاوى

■ سألت الدكتوره نوال السعداوى عن رأيها فى روايات كاتبنا الكبير احسان عبد القدوس فقالت :

● احسان عبد القدوس يمتلك نظرة اكثر تقدما من غيره . . فهو يقدم فى رواياته نماذج نسائية من الواقع . . لكن رؤيته للمرأة ناقصة . . فحرية المرأة عنده . . حرية جنسية اى ان نظرته تتجه اليها باعتبارها جسداً جميلاً اساسا . . وهو فى رواياته يطالب بتحرر جزئى . . تحرر على نمط الحضارة الغربية .

● قرأت رأيا للدكتورة منى ابو سنة تتهم فيه كتابنا الكبار وعلى رأسهم احسان عبد القدوس بأنهم يتكلمون عن أمرأه لا نعرفها فى الواقع .

د. نوال السعداوى



■ قال لى اديب صديق ان ما كتبه احسان عبد القدوس خلال السنوات الاخيرة ليس قصة وليس رواية .

قلت ان كاتبنا الكبير احسان عبد القدوس يسميها حكاية .

قال . . اذن ماذا يقصد بكلمة حكاية . . وهل يبتدع احسان شكلا ادبيا جديدا غير القصة



ـس لنـــمط جـــديد فى القـــصة والرواية؟.

ـرية المـــرأة جـــزئية ومرهـــونة بالشـــكل.

ـز على الحواجـــز اللـــغوية وتذويـــب الفـــوارق الشكلـــية للكتـــابة.

القصيرة التى نعرفها؟.

أقلقنى السؤال.. وكـان لابد ان اعرف اجابته من كاتبنا الكبير بنفسه.

عبر الـتـليـفـون عرضـت على «سكـرتـيرتـه» السؤال المحـير.. وطلبت مقابلته لمعرفة الاجابة عن هذا السؤال وعن غيره.

قالت «نـرمـين» بلهجـة جادة.. وكأننى قدمت لها نقطة جديدة.. هل تتصل بى بعد نصف ساعة.. حتى يكـون الاستـاذ احسـان قد انتهى من الكتابة.

وفى الثانيـة عشـرة ظهـرا.. اتصلت بها.. لأفاجأ بها تقول.. الاستـاذ احسان ينتظرك فى الثانية عشرة ظهر غد.

■ **فى مكتبه بالاهرام جلست انتظر حتى ينتهى الاستاذ من الكتابة..**

وبعد ثلث الساعة فتح مكتبه.. ودخلت اليه ـ قصير.. ممتلىء.. يحمل سبعين عاما فوق كاهله.. وكأنها ٤٠ عاما.. الابتسامة تملأ وجهه.. نظرته الثابتة وبشاشتـه تعطيك احساسا بالثقة والالفة.

بعـد ان تبـادلنـا التحيـة.. قال.. أسأل سؤالـك.. أهـو سؤال.. أم حوار صحفى.

قلت قبل ان ينهى ابتسامته ـ سؤال يجرنا الى حوار.

ـ ايه ؟.

القيت عليه السؤال الذى يحير كل المهتمـين بالقصة القصيرة.. وطلبت منه تحديد الشكل الادبى الـذى يكتبـه الآن.. ولماذا كلمة (حكاية) بالذات.

وكأنى بهذا السؤال قد فتحت شهيته للكلام.

تراجع بكرسيه للخلف وراح يقول:

● الـواقـع ان ما يسمى بالقصـة القصـيرة لها ألوان عديدة فهى قد تكون مجرد خاطر.. أو مجرد صورة وانـا لا أتقيـد بأى لون.. هذه طبيعتى فى كل كتاباتى.. أرفض أن تقيـدنى التحليلات والتفاسير والقواعد التى يضعها النقاد.. لا دخل لى بهم.. وانا اكتب كل ما يخطـر على بالى.. لان الكـتـابة بالنسبه لى متعة خاصة.. أهم ما فيهـا اننى اكتبهـا.. وانا اعيشها معايشة كاملة.

● عنـدمـا كنت فى الغـاشرة من عمـرى.. كنت اكتب قصصـا قصيرة.. لكن بعد ذلك تطورت فكتبت القصة الطويلة. لكن اسم (الـقـصــة الـقـصــيرة) لم يكـن

يعجبنى . . اذ ماذا تعنى (قصة قصيرة) لهذا عندما اصدرت (صباح الخير) قررت أن انفذ رغبتى واشبع هوايتى . . فنشرت فى صفحتها الاولى قصة قصيرة . . بدلا من الافتتاحية التى غالبا ما تكون مقالا سياسيا .

واخترت ان اسميها حكاية . . بدلا من تعبير قصة قصيرة . . لأن (حكاية) تعطى مجالا اوسع فى الكتابة من هذا الاسم ثقيل الدم وهو (قصة قصيرة) .

● من اجل ذلك لا استطيع ان اقول ما هو اللون الذى اكتبه . . انا حر اكتب ما أشاء، كل الفارق بين الحكاية وبين القصة الطويلة . . هو أن الاولى تنشر فى عدد واحد فى فصل واحد . . اما القصة الطويلة فتتعدد فصولها الى ما شاء الكاتب .

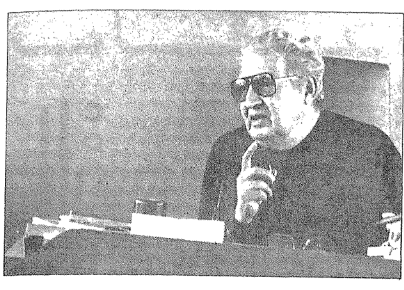
■ **ما الذى يحدد ذلك . . هل طبيعة الموضوع ام انك تحدد ما تكتبه قبل ان تمسك القلم؟ .**

● أنا لا أمسك القلم الا بعد أن اكون قد اعددت ما سأكتبه بالضبط . . كل قصة كتبتها . . كنت قد فكرت فيها مدة طويلة قبل كتابتها .

● وأنا لا أضع عناوين الروايات الا بعد ان انتهى من كتابتها .

■ **هل تفعل ذلك مع كل رواياتك .**

● لا . . فى كل كتاباتى أفضل ذلك لكن اثناء الكتابة تخطر على بالى عناوين فأسجلها الى ان انتهى منها فأختار افضل العناوين .



■ **لكن لماذا اتجاهك الى كتابة قصص قصيرة أو حكايات كما تسميها . مع اننا عرفناك دائما كاتباً روائياً؟ .**

● شعرت بميل لكتابة الحكاية فكتبتها . . فأنا حر اكتب ما أشاء . . لذا فان اى موضوع كان يخطر على بالى كنت افكر فيه كحكاية . . وليس كرواية .

■ **متى بدأ هذا (الميل)؟**

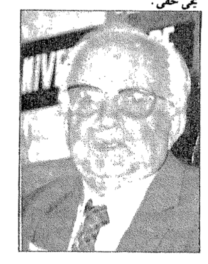
● بعد ان خفت مسئولياتى ولم أعد مطالبا بالكتابة من أجل النشر أولا بأول . . بدأت اكتب واحتفظ بهذه الكتابات ولى حريتى فى ان انشرها وقت ان أشاء .

■ **ما دمت تحدثنا عن الحرية . . فهل تحدد مفهومك لها؟ .**

● الحرية أساسا ليست حالة عامة مستمرة بمعنى اننا كلنا احرار نفعل ما نشاء . لا، الحرية . . تتوقف على انطلاق وتطور الفكر الادبى .

اول من كتب القصة كان محمد حسين هيكل ولأن كتابة القصة فى ذلك المجتمع المغلق كانت تعتبر نوعا من التحدى فلم يوقعها باسمه . . لكنه نشرها . . بعد ذلك حدث التطور وكل تطور يوسع من حرية الكاتب فى عرض الموضوعات .

عندما سافر توفيق الحكيم وطه حسين ويحيى حقى - اكتسبوا محاولات اوسع من تلك التى يعيش فيها الكاتب المصرى . لذا عادوا ليقدموا انطلاقات جديدة فى الادب .



يحى حقى .

■ **وأنت هل كنت معهم أم تطورت أكثر .**

●● اعتقد اننى وجدت شخصيتى المستقلة لانى تطورت اكثر من الذين سبقونى .

■ **ما هى ملامح هذا التطور؟ .**

● من يقرأ قصة «عودة الروح» لتوفيق الحكيم يشعر أن كاتبها طالب في مدرسة الفن الاولى.

● تحليل الواقع الكامل للمرأة ما زال بيد الكاتب الرجل.

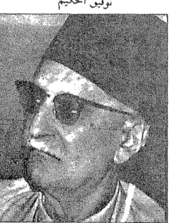
●● تطورت في نوع ما اكتبه.. تطورت بالنسبة للتقاليد المفروضة وبالنسبة لاحساس الناس بما ينشر وبما لا ينشر. كان المجتمع يفرق بين الكلام الذى يقال في السر والكلام الذى يقال في العلن.. وكان معظم الكلام يقال في السر انا جعلت ما يقال في السر.. يقال في العلن.. وعرضت المشكلات بشكل علني ومن بين ملامح هذا التطور انني لم اعتبر القصة عنصر تسلية انما اعتبرتها عنصر علاج.. واعتبرت نفسى طبيبا يشرح مرضا ويحلله ويصف علاجه.. والطبيب ليس خجولا.. وليس خائفا.. بل يعالج المرض بجرأة.. وحرية.

مثلا في قصة «لا اله الا الله» كنت اعالج قضية تتعلق بابن أمه مسيحية وأبوه مسلم.. المهم انني ادركت دورى الاجتماعي فأنا لست مجرد كاتب بل إن لى مسئولية علاجية لمشكلات القرّاء.

■ **أعود مرة أخرى لأسألك عن سبب هذا التوهج الفكرى الذى نلاحظه في كتاباتك الادبية.. وفي مقالاتك السياسية؟.**

● حتى الآن لست محترفا.. لا الصحافة.. ولا الكتابة.. وانما أمارس هواية سيطرت عليَّ لدرجة أنني لم أعد أمارس هواية غيرها..


توفيق الحكيم


العقاد

واليوم الذى يمر دون أن اكتب فيه شيئا.. أشعر بأنني مريض.

انني اعتبر الكتابة عموما هي التعبير عن الشخص العادى.. اكتب في السياسة كما اكتب في القصة.. مجرد انسان عادى يحب بلده.. ومن حقه أن يقول رأيه فيما يحدث حوله.. رأيه فقط.. لانه ليست لى أطماع.. فقد عرضت عليَّ مناصب كثيرة وكنت أرفضها.. كل ما أريده.. هو أن أقول رأيى.

■ **لكن البعض يقول انك واقعيّ عندما تكتب القصة.. وخياليّ جدا عندما تكتب السياسة؟.**

● هذا صحيح.. وهو في حقيقته تصوير لحالتي الشخصية العادية فنحن نحلم بالقيم العليا في السياسة ونتطلع لأن تكون بلادنا اعظم البلاد.. وهذا ما يسيطر على الانسان العادى الذى لا يخدم حزبا أو زعيما.

■ **من يقرأ رواياتك يلاحظ انك تركز كثيرا على الجنس؟.. قاطعني قبل أن اكمل السؤال قائلا:**

● أنا لم أتعمد ابدا كتابة الجنس.. بدليل أن تسعة اعشار قصصى ليس فيها جنس.. لانى لست في حاجة اليه.. لكن الطريقة التى اكتب بها.. والاسلوب الجيد في العرض هما سبب الضجة التى اثيرت حول قصصى واتهامى بأنى اكتب في الجنس.

■ **تتحدث دائما عن امرأة.. لا نعرفها.. ولا احد يتصور أنها يمكن ان تكون قريبته؟.**

● هذا غير صحيح.. بدليل انهم يقولون انني اكثر من حللت نفسية المرأة واكثر من كتب بصدق عن حقيقتها.. انني اكتب عن نماذج التقيت بها وعرفتها.. ولم اهتم ابدا بالمرأة.. باعتبارها امرأة.. انما اهتم بشخصيتها لانى أضعها في

● الكتابة بالنسبة لى متعة خاصة .

● أنا طبيب اشرح المرض وأصف علاجه بقلمى .

● الادباء الشبان لم ينضجوا بالقدر الكافى .

مكانة تتساوى فيها مع الرجل . . ولا أرى أن بينهما اية فوارق غير الفارق البيولوجى وتأثيره على المرأة باعتبارها تحمل وتلد . . أما القدرات والامكانات فهما متساويان فيها .

■ **ما دام كذلك فلماذا تتحدث عن المرأة كموضوع لإمتاع الرجل فى رواياتك؟ .**

● هذا ايضا غير صحيح لان معظم قصصى عبارة عن تحدٍ لسيطرة الرجل مثلا قصة «ونسيت انى امرأة» . . اتحدث عن امرأة تقود المظاهرات ولا تعتبر نفسها امرأة .

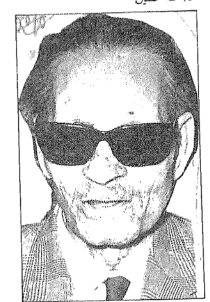
أردت ان اقول ان المرأة تطغى عليها احيانا اهدافها الشخصية وطموحاتها . فتهمل انوثتها بل تتجاهلها وربما تنساها . انها تحلم مثلا ان تكون صاحبة اكبر محلات ملابس اطفال مثلا . . وتستغرقها هذه الطموحات مما ينسيها مطالب انوثتها . فالرجل بالنسبة لها «اداة عمل» يمكن ان تشغله عندها أو تشاركه . كل همها هو طموحها .

ويصبح احساسها كأنثى ، طارئاً ، وفى لحظة ما تتكشف امامها الحقيقة . وربما يأتى هذا الاكتشاف متأخرا . وفى قصتى استغرقت البطلة فى طموحاتها السياسية والاجتماعية حتى جفت كامرأة . ولم تعد تتفرغ لأنوثتها . وكأنها تعادى الطبيعة ، اما الزوجة التى ليس فى ذهنها غير زوجها ، فاحساسها الدائم بأنوثتها ، لا يفتر .

■ **قد تكون هذه الرواية هى الوحيدة . . لكنها لا تبعد عنك الاتهام . ؟ .**

● ليس هذا اتهاما واقعيا . . لأن من يقول به لا اعتقد انه قرأ كل مؤلفاتى . . والمؤكد انه قرأ رواية أو

د . طه حسين



روايتين . . واتهمنى باننى اعتبر المرأة متعة للرجل .

■ **هذا كلام الدكتورة منى ابو سنه؟ .**

● من ؟ .

■ **د . منى ابو سنه .**

● من هى د . منى ابو سنه .

■ **الاستاذة بكلية التربية بجامعة عين شمس .**

هز رأسه . . ثم قال . . ان من يقول ذلك . . اعتبره لم يقرأ كل مؤلفاتى .

■ **اذن ماذا تقول عن الاتهام الثانى بأنك دعوت الى تحرر على النمط الغربى . ؟**

● الواقع اننى عندما اكتب ، انما انظر الى المجتمع العربى برغم اختلاف افراده وتقاليده على انه مجتمع يسير نحو التطور . المرأة العربية فى اى مكان اليوم هى امرأة متطورة .

ان شخصية المرأة اليوم وعقليتها تختلفان عن شخصية وعقلية امها . والتطور يعتمد على الحرية . الناس تفهم اننا نطالب بالحرية المطلقة والمجردة دون البحث عن مفهومنا للحرية ، المعنى الحقيقى للحرية هو المسؤولية . حرية البنت لا تعنى أن تتصرف كما تشاء ، بل أن تتحمل

مسؤوليتها. . انا اعتبر المرأة شخصية كاملة وبصرف النظر عن التركيب الفيزيولوجي فانها لا تختلف عن الرجل بشيء من حيث قدرتها وشخصيتها، وايماني بالمرأة كشخصية كاملة رافقني طيلة حياتي وقد تعمق من خلال تربيتي.

لقد تربيت بين مجتمعين مختلفين اختلافا مطلقا، فتحت عيني على الحياة في منزل جدي لأبي دون أم أو أب، جدي كان من رجال الازهر، ورجل شرع متحفظا دينيا الى ابعد الحدود، فكان البيت الذي تربيت فيه متمسكا بالتقاليد الدينية تمسكا صارما.

هذا بينما البيئة الاخرى هي بيئة والدتي فاطمة اليوسف، سيدة تعمل، فنانة وصاحبة مجلة «روزا اليوسف» وكنت ازورها يوما واحدا في الاسبوع، في ذلك اليوم كنت اكتشف دنيا مختلفة تماما عن دنيا بيت جدي.

من خلال والدتي وجدت ان لا فرق بين المرأة والرجل، فوالدتي تتناقش مع وزراء وفنانين وتعيش اجواء متفتحة اجتماعيا. . هذا التناقض هو الذي دفعني الى التفكير منذ الصغر في مفاهيم الصحة والخطأ في كل من المجتمعين. . لم أكن أكره بيت جدي والمجتمع المحيط به، ولم اكن اكره بيت والدتي والمجتمع المحيط به، انما كنت أشعر انه لابد من ان اجد طريقة للتوفيق بين المجتمعين، وانتهى تفكيري الى انني بدأت انظر الى المرأة، نظرة


د. محمد حسين هيكل

مختلفة عن نظرة كل الأشخاص المحيطين بي، وأقصد مجتمع جدي وعمتي التي ربتني، عمتي ضمن الاطار الضيق المحدد لها كانت امرأة ذات شخصية متكاملة ولكن محصورة، في حين ان والدتي اتصفت بشخصية ضخمة عظيمة يجتمع حولها كل الوزراء والفنانين، وكل العالم يتصل بها ويسعى اليها، صورة عمتي وصورة امي بالرغم من اختلافهما عكستا لي شخصية المرأة في صورة متكاملة.

عندها بدأت اطالب بحرية المرأة، واكرر «الحرية المسؤولة» انا لا اطالب بأن ترتدي «الميني - جوب» وتسهر الليل بمفردها، انا لا اقصد ان تقلد المرأة العربية في

غادة السمان

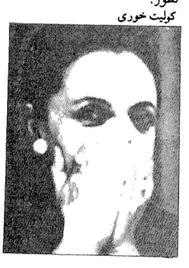


تحررها سيدات أوروبا، لأن ما تصلح له المرأة الاوربية في لندن لا تصلح له المرأة العربية في بلادها هناك فرق كبير وشاسع بين الشخصيتين نتيجة البيئة والمناخ والمجتمع.

وقصصي لا تبرر الاتهام الذي وجهته اليّ، فلقد قصدت من خلالها عرض اخطاء المجتمع المحافظ جدا واخطاء المجتمع الذي ادت الحرية فيه الى فساد، وتنتهي قصصي حتماً بتحديد المسئولية، من المفروض ان تعرف الفتاة مفهوم الخطأ وأسبابه وظروفه حتى تستطيع ان تحدد مسئولياتها، وبالتالي تتجنبه، أردت في قصصي أن افتح عقول الفتيات والسيدات حتى يعرفن معنى الصحة والخطأ، وهذا سبّب لي متاعب كثيرة، لأن الناس عامة لم تصدق صفاء نيتي. . كما أن هذا النوع من المعالجة القصصية كان نوعا جديدا يتصف بالجرأة.

جرأة قصصي اصبحت اليوم عادية، ولذلك فانا لا انتقد اليوم بنفس القسوة التي كنت انتقد بها منذ عشرين سنة لان المجتمع قد تطور.

كوليت خوري



■ ولكن الا تتفق مع الآراء التى تقول انك تقدم لنا نماذج بعيدة عن الواقع؟.

● لا .. هذا حكم عام .. عندى قصص كثيرة بطلاتها فلاحات فمثلا قصة (ياعزيزى كلنا لصوص) البطلة فيها بنت الخولى احلل نفسيتها بدقة لانى عشت كل هذه المجتمعات وانا اعتبر الطبقة الراقية هى الطبقة القيادية.. وكل الطبقات الاخرى تحاول تقليدها.. وهذا ما يجعلنى اركز احيانا على هذه الطبقة حتى اصل الى نوع من الاصلاح العام داخلها.. وهذا هو الهدف الاساسى.

● هذه القصص تبقى فى ذاكرة الناس اكثر. اما القصص الاخرى التى تكون بطلاتها فلاحات أو عاملات فلا يكون لها نفس التأثير لانها لا تترك نفس الفعل.

● وفلاحة قصة (كلنا لصوص) هى من احسن الشخصيات التى كتبت عنها.. ورغم اعجاب الناس واعجابى بها.. الا انها شخصية لا تعيش لانها ليست مشكلة عامة.. المشكلة العامة هى اولاد الذوات.

■ لا تعترف اذن بمشكلة المرأة العاملة؟.

● من قال ذلك.. لقد عشت فى هذه المجتمعات (الفلاحة - الذوات - العاملة) فأنا فلاح من بلد اسمها شبرا اليمن مركز زفتى.. اعرف الطبقة الفقيرة



والمتوسطة لأننى عاشرت الفقراء وانا من الطبقة الوسطى.. والطبقة العليا عرفتها بحكم اتصالاتى.

■ اذن هل ترى ان هناك ادبا نسائيا؟.

● الادب فى رأيى ادب عام.. والرجل قد يعبر عن المرأة بكفاءة تفوق قدرة المرأة نفسها على ذلك.

■ لكن من يعبر اكثر عن المرأة.. هى.. ام الرجل؟.

● لقد اصبحت مقتنعا بأن الكاتب الرجل يستطيع ان يعبر عن طبيعة المرأة واحاسيسها أكثر مما تستطيع المرأة نفسها ان تعبر.. حتى اشتهر كاتب قصة من الرجال بأنه متخصص فى تحليل الشخصيات النسائية.. فى حين لم تشتهر اى كاتبة بأنها عبقرية فى تحليل شخصية المرأة، وقد اشتهرت كاتبات قصة مثل «كوليت خورى» و«غادة السمان» و«حنان الشيخ».. ولكنهن عندما يكتبن عن المرأة يخيل اليك انهن يدافعن عن انفسهن خارج واقعهن.. أى ان تحليل الواقع الكامل للمرأة لا يزال فى يد من يكتب من الرجال.

■ ما سبب ذلك؟.

● هناك عدة أسباب تفرق بين الرجل والمرأة فى مستوى فن كتابة القصة، فهو أولا فن يحتاج الى تفرغ كامل والى انتاج متواصل حتى يستكمل قوته وروعته.. انه فن يولد مع الموهبة كأنه طفل ويحتاج الى سنوات طويلة من التغذية والتربية حتى يصل الى قمة الوعى.

وقد كتب طه حسين وعباس العقاد قصصا، ولكنهما لم يكونا متفرغين لفن القصة.. لذلك فلم تصل القصص التى كتباها الى اى قمة.. انما كانت كل قيمتها انها بداية لنشر هذا الفن.. وانت عندما تقرأ أول قصة عرف بها توفيق الحكيم وهى قصة (عودة الروح) أو أول قصة كتبها نجيب محفوظ تحس كأنك تقرأ قصة كتبها طالب فى مدرسة الفن الاولية، وتدهش وانت تقارن هذه القصة بما وصل اليه توفيق الحكيم.. ونجيب محفوظ فى اخر قصة كتبها كل منهما.. ذلك لان كلا منهما تفرغ لتربية المولود الذى ولد مع موهبته وحرص على تربيته وتغذيته الى ان وصل به الى القمة. ثم هناك الفارق بين الرجل والمرأة داخل ممارسة فن القصة.. فهو فن يقوم على استلهام المجتمع الانسانى والتعبير عنه، ولكن هذا المجتمع يقوم على تقاليد تفرق بين الرجل والمرأة.. ومهما حاولت المرأة ان تتحرر من هذه التقاليد الا انها لا تستطيع ان تصل الى مستوى واحد مع الرجل لتجمعها الحالة النفسية التى يفرضها المجتمع..

ولـذلك فالقصة التى تكتبها المرأة تختلف عن القصـة التى يكتبهـا الرجل حتى لو كانت تدور حول موضـوع واحـد وشـخصيـات واحـدة . . لان الرجل اقدر واكثر حرية فى مواجهة المجتمع والتعبير عنـه من المرأة، وهو فارق يشمل كل الفنون . . ولذلك فاذا اعترفنا بان هنـاك ما يسـمـى بالادب النسـائى والادب الرجـالى فان الفـارق بينهـا هو مستـوى حرية المصارحة الاجتماعية .

■ هل تقرأ لهن؟ .

● ان ما أثـارنـى هو انى قرأت لكـاتبة قصة لم اكن قد عرفتها او سمعت عنهـا، ولكن كتابها الذى يضم مجموعة قصص قصيرة وصل إليّ مصـادفـة . . انهـا رائعـة فى اسلوب السرد، وشخصياتها كلها نسائية كأنها تعترف بأنها تكتب فى حدود طبيعتهـا كامـرأة . ولـو أن أغلبيـة القصص تنتهى نهايـات المآسى . . حتى إن بينها قصة تعبر عن أحـاسيس اوزة وهى تباع ثم وهى تذبـح . . قصة رائعة ولكنها مأساة . . وتلهفت على اسم هذه الكـاتبـة التى عشت معهـا ساعة تعـذبنى المـآسى وتكـاد تُبكينى، وقـرأت اسمهـا على الكتـاب : (انجى سندباد) .

ولـكـنى اكتشفت انـه ليس اسمها . . انه اسم مستعار، وهى تعتبره الاسم الادبى لها . . ولكن لماذا تحتاج الى اسم مستعار . لماذا لا تقـدم نفسهـا للقارىء باسمها حتى يعرفها؟ .

ان طبيعـة المرأة تغلبت عليها من ناحيـة اخـرى . . فرغم انهـا وضعت على الكتاب اسما مستعارا الا انهـا نشـرت معه صورتها، ما حاجتهـا الى الاسم المستعـار ما دامت قد اعلنت صورتها . . لعلها طبيعـة المـرأة التى تفـرض عليها اعتزازها بمظهرها حتى وهى تسير فى شارع ولا يعرف احد اسمها . .

■ وماذا عن الادباء الشباب؟ .

● كل الذين ولدوا بعد الثورة ليس عنـدهم ماض طويـل أو تجارب كثـيرة يكتبـون من خلالهـا وهـذا الجيل يحتاج الى وقت لكى يدرس ويفهم ما حدث من تغيـير بعـد الثورة وهذا الجيل «تربى» بطريقة تختلف عن الطـريقـة التى تربى عليها جيلى .

■ وأى الطريقتين كانت الافضل؟ .

● الاسلوب كان مختلفا فهذا الجيل يعتمـد على الحكـومـة فى كل شىء . . هى الـتـى تعلـمـه فى المدارس وفى الجامعات وهى التى توفر له الوظيفة أما نحن . . فقد كنا منذ طفولتنا نعتمد على انفسنا .

■ لكنك لم تقل لنا هل تقرأ لاحد من الشباب؟ .

● احيانا . . وعند بعضهم وجدت اسلوبا قصصيا جيدا . . لكنهم لم ينضجوا بالقدر الكافى فى كتابة القصة .

■ ماذا ينقصهم ؟ .

● القراءة، والثقافة الواسعة .

■ لماذا اذن لم تختر احـدهـم أو بعضهم لتقدمه لعالم الادب . . او تتبناه ادبيا اذا جاز هذا؟ .

● لقد قرأت لبعضهم . . وعلقت عليهم . . فى مقالات نشرت وفى صحيفة عربية . . واكتفيت بذلك .

■ **الاستـاذ احسـان . . ما هو مفهومك للحب؟ .**

● «الحب عندى اكتفاء ومسؤولية» وهذا تعبير واقعى عن حالة منتهى الحب وليس الحب العـادى، فى حالة «منتهى الحب» يكون كل من الرجـل أو المرأة «مكتفياً» بالاخر اكتفـاء مطلقـا . والاكتفـاء ليس اكتفاء مظهريا، انما هو قائم على «الشبـع النفسى» . . والاعجـاب بامـرأة ما، ليس ضد الاكتفـاء، فالاعجـاب «حـالة نفسية» تذوق للجـمال الـذى خلقـه الـلـه، والمسؤوليـة هى الشعور بالحب لا بالـواجب، فالمسؤولية المبنية على الـواجب مسؤوليـة جافة روتينية، والمسؤوليـة المبنيـة على الحب، مسؤوليـة متجددة، الرجل المحب لا يتردد فى حمل المسؤولية، يحملها بحب وبعشق دون أن يشعر بانها واجب مفـروض، مسؤولية الحب نابعـة من الانسان نفسه، سعادة حبيبتـه هى سعـادته وهو مسؤول عن تحقيق هذه السعادة .

■ **هذا يعـنـى ان الحب الحقيقى ينتهى بالزواج . . ؟**

● الحب دعامة اساسية للزواج . .

■ **هل هذا الـكـلام ناتـج من تجربتك الشخصية؟ .**

● بالطبـع .

■ **اذن . . هل لنا أن نعرف قصة زواجك؟ .**

● كنت طالبـا فى كلية الحقوق، وكانت «لولا» فى الكلية الامريكية

لقاء

لكنهـا لم تكن تهتم بالعلم. كنـا نسكن فى حى واحد فى «العباسية» رأيتهـا لأول مرة اثناء زيارة عائلية لأهلهـا، شعـرت بالميـل نحوها، تخرجت من كلية الحقوق بعد ستة اشهـر من تعـرفى عليها، وعندها اعـترفنـا لبعضنا بمشاعرنا لم تكن فكـرة الـزواج قائمة بعد لاننى لم اكن اصلح زوجا لها وقتها.

● ذات يوم، وبعد تفكير طويل، حملت سـاعــة الهــاتف وكــانت الساعة الثانية عشرة ليلا واتصلت «بلولا» (كـان ذلك سنة ١٩٤٢) وسألتها: هل تتزوجيننى؟.

صعقت عندما وافقت، كنت انتظـر ان تقول: لا. لقد سألتها وانـا متأكـد من رفضها، قلت فى نفسى ان هى رفضت نتشـاجـر، كانـت اذكى منى، فوافقت على الزواج لا على الشجار.

ثم قلت لها: كيف اتزوجك؟

فأجابت: بسيطة، تذهب غدا الى اخى وتكلمه بالموضوع.

فسألتها: وماذا اقول لاخيك؟ هل اقـول له اننى مفلس، واننى غير ضامن مستقبلى، ومتخـــرج منـذ ايام، وغير مستقر واعمل فى اربعـة امـاكن، ولست ناجحـا، وراتبى لا يتعــدى الستــة عشـر جنيها، واننى لا املك من مهرك مليما. لا، لن أكلم اخاك.

فقالت: انت عايز تعمل ايه؟.

قلت: طالما انت كبيرة وناضجة وانا كبير وناضج تعالى نتزوج عند المأذون، وبعدها نخبرهم ونضعهم تحت الامر الواقع.

● هذه الـفكــرة كانت فى تلك الايام مغامرة جريئة جدا. ولان الـرابطـة بينى وبين «لولا» كانت عميقـة وقـوية جدا، فقد وافقت على الفكرة.

● فى اليوم التالى، وكنت أعمل فى «آخر ساعة» ذهبت الى محمد التابعى الذى كان يعاملنى معاملة خاصة على اعتبار اننى ابن فاطمة اليــوسـف وقلت له: أريـــد أن اتزوج. فقال: عظيم،.

● وفـكـــرت، كيـف يتـحمس لزواجى وهـــو غير متـــزوج، ثم طلبت منـه ان نتـزوج فى منزله، فوافق واحضر المأذون (وبقى كل عمـره يشيـع بين النـاس انه دفع للمأذون اجـرة عقــد القـران ٣ جنيهـــات). وتـــزوجنـــا. رجعت «لولا» الى بيت اهلها وانا الى بيتى.

● والـــدتى ثارت ثورة فظيعـــة عـنـدمــا علمت بالخبر. لاننى فى نظـرهـا كنت مازلت صغـيرا ولا اصلح للزواج. وعـــائلة «لـــولا» عائلة كبيرة ومحافظة، وما ان المحت «لـولا» لاخـواتهـا البنات برغبتى بالاقتران بها حتى رفضن الفكرة تماما.

● بعـــد هذا الــرفض من العـائلتين، اخبرت «لولا» اخواتها باننـا قد تزوجنـا بالفعل. احدى اخــواتهـا اغمى عليهـا من هول الصــدمــة، ومن «النكبـة» التى حصلت لاختهـا. عـندما هدأت الحالة طلبوا منى ان اذهب لاخيها واعلن له النبأ، فرفضت أن اذهب الا اذا كان موافقا.

● قابلنى اخوها ببساطة ووجدته متفتحـــا. قال لى: اختى ترغب بك زوجـا وانت تريـدها زوجة، عظيم وما دخلى انا. تزوجا ولكن بمـراعـاة التقـاليد. وحتى نغطى «الغلطة» أو ما اعتبروه غلطة. دعا اخوها العائلة وجئنا بنفس المأذون الـذى عقـد قراننا فى منزل محمد التـابعى، وعقـدنا قراننا مرة ثانية على مرأى من الاهل والاقارب والمجتمع.

● تزوجت ودخلى فى الشهـر لا يتجاوز اثنى عشر جنيها. ومنعت «لـولا» من استعمال اى مليم من دخلهـا الخـاص. فامـا ان نعيش براتبى وننجح، وإما نفشل. ولكن والدى الذى كان يحبنى محبة كبيرة ساعـدنـا بأن قدم لنا شقة صغيرة نسكن فيها.

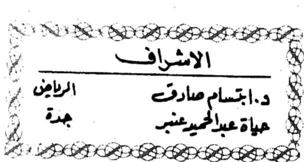
● «لولا» الابنة المدللة اصبحت تطبـخ وتنظف وتقـوم بكل اعمال المنـزل. ونتيجـة تقـاربنا، قررت «لـــولا» أن تتحمـــل مسؤوليـات ضخمة، ولم تكن تطلب منى الا الـعــمـــل. لم تكن تحملنى ايـة مسؤوليـة بيتيـة.. وكنت فى تلك الايــام كأى شاب يبـــحـث عن مستقبله عصبى المزاج يريد النجاح بسرعة.

● المهم، بعـــد صمـود زواجنـا اصبح كل المعارضين فى صفنا.. والدتى التى كانت الرافضة الاولى لهذا الزواج صارت صديقة حميمة لزوجـتـى، وبــاتت تلجأ اليهـــا لاصــلاحى، لانهـا تعـرف مدى تأثيرهـا عليّ. وكـما تزوجنا تزوج ابنـائى.. كل اختار زوجته دون تدخل منا.

مجلة
ذات أداء
متخصص
العدد ٤٦
شعبان
١٤٠٩هـ



النساء .. شقائق الرجال



الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

حياة عبدالحميد عنبر — جدة

لهن

أبعاد الكلمة

بهية بوسبيت

شهر الخير والمغفرة

■ أحيانا عندما تلم يالانسان منا مناسبة سعيدة جدا عليه يشعر بالحيرة تكتنفه وبالأفكار تتزاحم على رأسه وبالمشاعر والأحاسيس تتصارع فى أعماقه، عندما يريد التعبير عن فرحته بهذه المناسبة المفرحة، مما يعرضه للارتباك والحيرة التى لا يجد سبيلا منها الا بالابتسامة الصافية النابعة من أعماق فؤاده ليشعر بأنه فى غاية السعادة.

هذه الابتسامة لها مفعول السحر فى التأثير على الجالسين والمحيطين بصاحب الابتسامة.

■ وشهر رمضان المبارك، شهر من أفضل شهور السنة وأبركها وأعظمها، ولذا فهو الشهر الوحيد الذى يتحول فيه ألم الانسان الى راحة، وقلقه الى هدوء وحزنه الى سعادة وعبوسه الى ابتسامة نابعة من اغوار القلب، لأنه شهر الخير والمغفرة والرحمة والأمل والرجاء، وهو الشهر الفريد الذى تستجاب فيه الدعوات وتغفر فيه الذنوب لذا وجب على من عاشه أن يعمل على ازالة كل ما علق فى فكره من الأوهام كما يعمل على تنقية قلبه من الحقد والحسد حتى يقبل على صيامه بقلب نظيف ونفس طاهرة وايمان قوى.

أحرص على ملء كتابك بالخير

أيها الانسان عليك ان تشكر الله سبحانه وتعالى ليل نهار على أن من عليك بلقاء هذا الشهر الكريم الفضيل من جديد، والذى تغفر فيه ذنوب المسيء وتستجاب فيه الدعوات وتقيد فيه الشياطين، فاعمل على التقرب إلى الله بما تقدر عليه من توبة وصلاة وصدقة وتسامح ومساعدة للآخرين.. ان مبلغا بسيطا تجود به نفسك على البائسين والفقراء، والمحتاجين والمهاجرين والمشردين فى بلاد العالم نتيجة للظلم والاضطهاد والفساد سيرفع به الله عنك بلاء من بلاء الدنيا ويرفع من درجاتك فاحرص على ملء كتابك بأعمال الخير فى الدنيا تنفعك فى الآخرة.

فكــرة

■ امتداد الانسان ظله.. وظله فى فكره الذى يعطيه.. فهل يموت هذا الفكر.. فاذا كان الظل كتاباً فلن تذوب الكلمة وتتلاشى بل سيحملها الطالب فتغدو منحوتة على اصلب من الصخور باقية ما بقيت الحياة والشمس.

هبة عبد اللطيف مصطفى

حياة سليم البلبيسي

■ «شهيدة مذبحة دير ياسين الدموية» . . حملت عبء أسرتها وهى فى السادسة عشرة من عمرها . . تعلمت فن التمريض ودرّبت الفتيات أيضا على فن التمريض، وفى حين المأساة الانسانية التى ارتكبها فتاك البشرية ضد السكان الشرعيين قامت بواجبها المقدس، وقد نفد كل ما معها من ضماد وأربطة واستغاث بها فتى ينزف فخلعت غطاء رأسها وضمدت له جراحه به . . ورآها العدو الغاشم العديم الانسانية وأطلق عليها النار فسقطت شهيدة ثم قطع جسدها الطاهر سفاكو الدماء» .

■ فتاة من فتيات فلسطين الحبيبة اللاتى ضربن أروع البطولة فى الكفاح من أجل لقمة العيش، ومن أجل الكفاح البطولى المسلح ضد شراذم الانسانية وحثالة آدميتها، ضد لاعقى الدماء. مثلها مثل فتيات كثيرات منهن حلوة زيدان، وجميلة صلاح، وذيبة عطية، وسناء محيدلى ممن تجرى فى عروقهن الوطنية المقدسة، ووقفن جنبا الى جنب مع الرجال ضد أعداء الآدمية.

■ ولدت «حياة سليم البلبيسى» عام ١٩٣٠ لأبوين فلسطينيين من عائلات نابلس. وانتقلت الأسرة، الوالد «سليم البلبيسى» والوالدة «وسيلة قطب» و«حياة» وأختها الصغيرة الى مدينة السلط حيث يعمل الوالد. ولكن الوالد توفى فى السلط. فارتحلت الأم مع ابنتيها الصغيرتين الى مدينة القدس لتحيا مع ابنتيها فى كنف شقيقها وشقيقتها.

وكأن القدر كان يعد «حياة» لحياة صعبة شاقة، فتتوالى الأحداث سريعة لتلاحقها النكبات وتهزها الأحزان، وتشد من عودها الطرى ليقوى ليواجه كوارثها ومتاعبها الشديدة، استقر بهما الحال فى القدس وأغدق خالها عليها، وكانت «حياة» متفوقة فى دراستها الى أن أنهت السنة الثانية من الثانوية العامة، ولكنها فضلت أن تنتسب الى دار المعلمات فى مدينة القدس.

وما إن استقرت فى دار المعلمات حتى أقبلت بحماس شديد على الدراسة لتضمن عملا يهيىء لأسرتها موردا ولنفسها مستقبلا. ويفاجئها القدر بثانى النكبات وهو موت عائل الأسرة، توفى خالها. وتعيش الفتاة فى محنة جديدة لتصهرها مرة أخرى وتشد من عودها الطرى ليزداد صلابة لتتحمل الأعباء التى يعدها لها القدر. وتمر الأيام بطيئة ثقيلة بأعبائها سريعة فى دورتها حتى تمرض الأم وتصاب فجأة بالشلل وتغدو طريحة الفراش.

● وكان لزاما على الفتاة الغضة أن تتحمل مسئولية إعالة الأسرة، امها العليلة وأختها الصغيرة طواعية أو كراهة، ومن ثم تبحث عن عمل يكفل لهن استمرار الحياة، ووجدت أمامها فرصة لم تتردد فى اقتناصها وهى وظيفة مدرّسة فى مدرسة بنات قرية دير ياسين. وقبلت الوظيفة رغم تحذير الناس لها، خاصة وأن المستعمرات اليهودية تحيط بالقرية من كل جانب ولكنها صممت على قبولها.

● وأقبلت «حياة» الغضة السن والشباب، القوية الارادة على عملها بجد ونشاط تتعهد إناث المدرسة بالعطف والحنان، وتؤهّلن ليكنّ أمهات فى المستقبل، وأصبحت للتلميذات والطالبات المثل الأعلى، بل تعدى أمرها حوائط المدرسة لتصبح مثلا أعلى لكل فتيات القرية وتكون موضع تقدير واحترام أهل القرية لاخلاصها وكفاءتها وإنسانيتها.

مهن

● وأخذ الجو ينذر بأحداث خطيرة لم يكن فى الامكان أن تكون القرية الصغيرة (دير ياسين) بمعزل عنها، فقد وقع قرار الامم المتحدة الجائر الظالم بتقسيم فلسطين، وقع الصاعقة على أهلها الآمنين فاشتعلت البلاد كلها ثورة وبرزت المرأة فى صفوف الثوار، وشاركت فى شتى المجالات بالكلمة المكتوبة، أو متحدثة تلهب الحماس، أو مساعدة فى حمل المؤن والذخائر وتوافدت القرويات على المدرسة ليتعلمن الاسعاف وتضميد الجراح، وكان للشابة «حياة البلبيسى» دور رائد فى تعليم الفتيات والقرويات أصول فن الاسعاف وتضميد الجراح.

● وتحركت الأحداث سريعة واستحالت كل فلسطين ثورة عارمة ضد الغاصبين وعلى مدى سنوات قليلة سجل أبناؤها بطولات خالدة مثل إنطوان داود، وعبد النور جنحو، وفوزى نامق القطب، صباح الدين قحف، نعيم عبد المجيد، وحسن سلامة، وإبراهيم أبودية، وعبد الرحيم محمود، وعبد القادر الحسينى، وكأن الجميع كانوا يرددون قول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود:

سأحمل روحى على راحتى
وأرمى بها فى مهاوى الردى
فإما حياة تسر الصديـ
ـق وإما ممات يغيظ العدى

● وأيقن اليهود أن قرار التقسيم قد زاد من موقف العرب فى فلسطين ثباتا والتهابا يسدد إليهم الضربات القاتلة، إذن لابد من جريمة يقترفونها ليجدوا مخرجا من ذلك الهلاك المرتقب، ليخفف عنهم وطأة العرب الذين قطعوا عنهم أنابيب المياه وحال دون وصول القطارات التى تحمل إليهم المؤن والذخائر والتموين.

واستقر الرأى بين قادتهم أن تكون جريمتهم هى مذبحة لكل قرية دير ياسين، التى يبلغ عدد سكانها ٧٧٥ نسمة آنذاك، وتستيقظ القرية الآمنة على هجوم طائرة تقذف حممها على المواطنين العزل وعلى الأطفال والشيوخ والنساء، وخمس عشرة دبابة، ومدافع تصليها نارا من شمالها الى جنوبها.

● استيقظت الفتاة «حياة» ابنة الثامنة عشر عاما على أزيز الرصاص ودوى المدافع، فهبت من فورها الى صندوق الاسعاف تحمله، وتضع شارة الصليب الأحمر على كتفها حتى يسمح لها بالمرور، ووجدت الكثير من الفتيات - اللاتى علمتهن أصول الاسعاف والإنقاذ وتضميد الجراح - أصبحن أشلاء، ووجدت جثث السيدات الحوامل وقد بقرت بطونهن والأجنة ممزقة بالخناجر والأطفال تقتل على مرأى من أمهاتهم.

● وقامت «حياة» بواجبها المقدس الذى وهبت نفسها له، ودارت بين الأشلاء وبين الجرحى تذوب ألما مع آلامهم، تسقى هذا، فترد له الروح بقطرات ماء، وتضمد هذا برباط ومسحة حنان وبسمة وكلمة طيبة - وظلت بين المكافحين المدافعين تقوم بواجبها بثبات وإخلاص حتى انتهت المذبحة، تلك التى ظلت متصلة من الفجر حتى عصر اليوم التالى، وبانتهاء المذبحة تحول الأوغاد لاقتحام المنازل لسلبها ونهبها. وعندئذ كانت حياة تتسلل الى خارج القرية الذبيحة لتصل الى القدس عن طريق وعر برفقة سيدة عجوز. ولكنها ما كادت تجتاز دائرة الخطر حتى ترامى الى أسماعها أنات جريح يستغيث، فعادت لتضمد له الجراح واستعملت فى الضماد رباط الرأس وغطاءه مزقته وراحت تشد به ساق الجريح الذى كان ينزف دما.

● وهنا أبصرها السفاكون وأمطروها بوابل من الرصاص لأنهم رأوها تضمد وتسعف شخصا عربيا فتيا حسبوا أنهم قضوا عليه، وأصابها الرصاص القاتل وخرت شهيدة مع شهداء دير ياسين، وأغمى على الشاب ثم ارتد إليه وعيه فوجد أبشع منظر تراه عينه، وجد الارهابيين سفاكى الدماء يقطعون الفتاة العربية البطلة قطعا بعد استشهادها، وهى تضرب أروع أمثلة البطولة النادرة.

سماء زكى المحاسنى

ماريا مونتسوري

رائـــــدة تربـــية الأطـــفال
وصاحبة الطريقة المنتسورية فى التربية
١٨٧٠ - ١٩٥٢

■ *إن القاعدة الأولية فى نظام التعليم المنتسورى هى التربية الذاتية التى يؤدى فيها المعلم دور المرشد والمراقب بعد أن يوفر للطفل مادة التعليم الأساسية ، والفضل فى وضع هذا النظام يعود الى سيدة جليلة هى المربية والطبيبة الايطالية ماريا مونتسورى.*

● ولدت ماريا مونتسورى فى عام ١٨٧٠، ودرسـت فى المـدارس الايطالية ثم فى جامعة روما وكانت أول فتـاة تنـال إجـازة فى الطب البشـرى من هذه الجـامعة وذلك عام ١٨٩٤.

ولمست ماريـا فى نفسهـا ميلا لدراسة الأطفال والشؤون التربوية وانصب اهتـامهـا بصفـة خاصـة على ضعـاف العقـول فأخـذت تدرس سلوكهم أثنـاء عملهـا فى مستـشـفى الأمـراض العقليـة مساعـدة طبيب، وأعدت بحوثاً مختلفـة من أجل هؤلاء الأطفال، ثم أسست فى روما مدرسة لتعليم الأطفـال ذوى العقـول المـريضـة أطلق عليها اسم «مدرسة تثقيف العقول» وتولت إدارتها مدة سنتين من ١٨٩٨ - ١٩٠٠.

وتمكنت من تعليم الاطفـال البله القراءة والكتابة فاستطاعوا أن يجتازوا امتحانات المدارس العامة للأولاد الأصحاء الذين هم فى مثل سنهـم. . وألـقـت عام ١٨٩٨ محاضرة عن (تعليم ذوى العاهات العقلية) فى مؤتمـر عقـد بمـدينة تورين بإيطاليا.

ثم عادت الى جامعة روما فى عام ١٩٠٠ لتـدرس الـفلسفـة وانكبت على دراسـة علم النفس العملى ونفسيـة الطفـل، وقامت بجـولات على جميـع المـدارس الابتـدائيـة للتعـرف على أنظمـة التربية والتعليم(١).

■ ومنذ ذلك الحين، تفرغت ماريا لدراسـة الأطفـال، فاقتنعت بأن أسـلوب الـتربيـة الـذاتيـة أو الاستقـلاليـة يمكن أن يكـون القاعدة الأساسية لكل طريقة من طرق التعليم.

وبعد ست أو سبع سنوات من الـدراسـة والبحث، أتيحت لها الفـرصة المناسبة فى روما، لوضع نظرياتها فى تربية الأطفال والخروج بها الى حيز التنفيذ. . وكلفت فى عام ١٩٠٧ بإنـشـاء مدرسـة للأطفال بين سن الثالثة والسابعة من العمر، بحيث يظل فيها الطفل أثنـاء غيـاب والـدتـه فى العمل، وكـانت المـدرسـة تجربـة اجتماعية تربـوية ناجحة أدخلتها منتسورى فى مدارس الطفولة.

■ وقـد استفـادت ماريا من آراء بعض فلاسفـة الـتربيـة أمثـال بستـالـوزى(٢) وفروبل وسيجان، لكنها تأثرت بآراء بستالوزى بشكل خاص، والفرق بينها وبين هؤلاء الفلاسفة هو أنها نفذت الآراء التى نادوا بها تنفيـذاً عمليـاً واعـترفت بفضل الدراسات التى قاموا بها.

■ ألفت ماريـا كتـابها «الأسلوب المنتسـورى»(٣) وشـرحت فيـه المبـادىء التى استنـدت إليهـا فى طريقتها التربوية.

وهدف التربية كما تراه يتلخص فيما يلى:

إن الغاية من التربية تربية الشخصية لدى الطفل، فقد أرادت أن تلقى على الطفل تبعة أن يتعلم بنفسه ويعتمد على نفسه، وقللت التدخل فى تعليمه قدر الامكان فتلاميذها يتعلمون كيف يعيشون مع غيرهم وكيف يتعاونون معهم فى العمل واللعب ويعتمدون على أنفسهم فى أعمالهم.

أهم شيىء فى الطريقة المنتسورية هى اللعب التثقيفية والتعليمية التى يعلم بها الأطفال أنفسهم ما يجب أن يتعلموه فى مرحلة الطفولة من استعمال قواهم ومواهبهم بمهارة فى العمل والادراك، وفى معرفة مبادىء القراءة والكتابة والحساب.

ويكون الأطفال تحت إشراف المرشد أو المعلم فتترك لهم الحرية فى اختيار أعمالهم بأنفسهم.

■ ويقول «هنرى هولز» فى مقدمته لكتابها «الطريقة المنتسورية» «يمكننا أن نعد كتاب (منتسورى) عملاً مميزاً وجديداً وهاماً، فهو مميز لأنه جهد سيدة مثابرة ومجدة فى عملها العلمى، وأسلوبها الخاص فى التربية أسلوب فيه أصالة وابتكار فى منهجه واستخداماته العملية وقد انبثق من أفكار امرأة ذات عاطفة أمومة منحتها للأطفال وبحثت فى المشكلات التى يتعرض لها الطفل فى تعلمه وتربيته».

■ **وتعتمد الطريقة المنتسورية على ما يلى:**

● أعمال المدرسة، تربية الحواس وأولها حاسة اللمس، إدارة الأعضاء وحركات الجسم.

أما بالنسبة للقراءة والكتابة فالطريقة المنتسورية تمكن الأطفال من تعلم القراءة والكتابة بأنفسهم وبإرشاد المعلم الذى يؤدى دوره فى النصح والارشاد للطفل، وهكذا يتمكن المعلم بواسطة حكمته وشعوره مع الطفل من أن يخدمه ويساعده على حب الاعمال الموافقة لعقله ويرغبه فى القيام بها بنفسه فيشعر الطفل بسرور عندما يتغلب على الصعاب التى تعترضه فى التعلم، وهذا هو أساس الطريقة المنتسورية.

وقد عم استخدام طريقة منتسورى فى المدارس الايطالية ثم ما لبثت ماريا أن غادرت إيطاليا الى اسبانيا عام ١٩٣٣ حيث أسست مدارس للصغار وواصلت جهودها فى ميدان التربية للطفل فى بلدان أخرى كثيرة كبلاد الشمال الأوربية وفى بلدان شرقية كالهند.

وشاع استعمال طريقتها أيضا فى انجلترا فتألفت «جمعية منتسورى» فى لندن وتأسست فروع لها فى بلدان أخرى، وتدرب على أسلوبها فى التربية ٦٠٠ معلم ومعلمة وأدخلت طريقتها الى أكثر من أربعمائة مدرسة فى انجلترا وحدها.

■ وقد ظهر كتابها الثانى «الطريقة الراقية لمنتسورى»(٤)عام ١٩٢٠، وفيه شرح للدراسات العلمية التى تعرض فيها المؤلفة القواعد الجوهرية فى علم النفس وعلم وظائف الأعضاء والتى بنت عليها طريقتها فى التربية الذاتية.

■ ومن مؤلفاتها الأخرى: «المادة التعليمية لتربية الأطفال من سبع سنوات الى إحدى عشرة».

وتصف ماريا مونتسورى فى هذا الكتاب المادة التعليمية التى تصلح لتلاميذ المدارس الابتدائية بعد انتهائهم من روضة الأطفال من سن السابعة حتى الحادية عشرة.

ولها كتاب «أسرار الأطفال» وكتب أخرى فى التربية ترجمت الى بعض لغات العالم. وقد نجحت منتسورى فى نشر الآراء التالية فى التربية:

● تجنب الشدة فى التعليم.

● إظهار لعب تثقيفية يستلذها الطفل وتثير انتباهه وتربية شخصيته وتعويده الاعتماد على نفسه.

ويمكن أن نقول ان أسلوبها فى تربية الصغار رأس على عقب، كذلك فقد كان دورها فى تشجيع تأسيس دور للصغار، دوراً مميزاً، مما أحدث نشاطاً فى عالم تربية الصغار، وتجديداً فى أسلوب

«حـدائق الأطفـال» كما أطلقت عليها وكانت تقول دائماً.

عندما «نخدم» الأطفال نكون قد ألحقنا بهم ضرراً مثلما نضرهم عندما نمنعهم من حركة تلقائية مفيدة.

■ عادت ماريـا مونتسـورى الى جامعـة رومـا عام ١٩٤٧ بعـد سنوات طويلة قضتها فى العمل الدائب من أجل تربية الطفل مستفيدة من دراستها وعملها كطبيبة وعالمة فى التربية، حتى انتشرت طريقتها فى بلدان كثيرة من العالم، وأصبح لإيطاليا تأثير عالمى بفضل مونتسورى التى أوجدت انقلاباً مهماً فى طرق تربية الصغار وتنمية عقولهم ومداركهم.

■ لقد خدمت العلم خدمة جليلة وحققت فى ميدان التربية نجاحاً فائقاً، إذ استطاعت أن تجعل لمدارسها جواً خاصاً، وبهذه الطريقة أيضاً أعدت مربياتها، وقدمت للأطفال الفرص الكثيرة التى تهيئهم للنجاح والوثوق بالشخصية وهيأت السبيل لوجود ميدان يتمكن فيه الطفل المبتدىء أن يتخطى ما يعترضه وأن يظهر كهدف جديد للدراسة فى علم التربية الحديث.

الهوامش

(١) الاتجاهات الحديثة فى التربية ـ تأليف محمد عطية الأبراشى ـ مصر: دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٣.

(٢) هو الفيلسوف هنرى بستالوزى من أعلام التربية (١٧٤٦-١٨٢٧م).

(٣) The Montessori Method London, 1914

(٤) The Advanced Montessoti Method.

فى أعدادنا القادمة

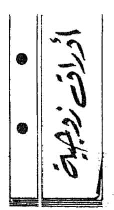
العقاد فى ذكرياته

مذكرات مبوبة .. لم تكشف بعد ولم يسبق نشرها.. صالون العقاد .. وجلساته الأدبية.. مطارحاته العلمية .. ولقاءاته الفكرية.. العقاد ـ الأديب المفكر ـ العالم الفذ ـ الموسوعة.

العقاد: تلك القمة المعرفية التى تتلمذ عليها الرّواد وتبعتهم الاجيال اللاحقة.

ذكريات ومذكرات.

يخص بها المنهل الأستاذ الأديب الدكتور عبد العزيز شرف يطالعها القارىء فى جديد أعدادنا التالية قريباً.





يوسف ابو عواد

سيدتى . . ضحكوا عليك . . حين أوهموك أن الحب إكليل بوسعهم أن يضعوه على رأسك أو يرفعوه عنه متى شاءوا . . وما علمت يا عزيزتى أن بذور الحب لا تنبت على السطح أبداً وأن نباته إذا أزهر وبدا للناظرين فإن جذوره عندها تكون ضاربة فى أعماق الجسد متعلقة فى حنايا الروح . . وحتى لو اجتثّ من السطح فإن عوده لا يلبث ان يندفع اكثر اخضراراً وأنضر عوداً . . حتى لو كان الحبيب فى عالم آخر . . ولكن للأسف . . أقولها لك بكل صراحة . . ان حباً كهذا يا سيدتى لا يطرح فى الأسواق ـ تجارياً ـ ولا تجدينه حتى عند ـ العطارين ـ .

ليس مهماً أن نغادر شرفة كوخنا الصغير ننشد الاستجمام فى مكان آخر . . كفانا يا عزيزتى أن نرقب العابرين على أقدامهم والمحمولين على عربات ونلمح فى الزحام وجهاً شارداً ويداً ممدودة تستجدى المارة . . وسيارة اسعاف تتجاوز الاشارة الحمراء . . فنحمد الله على ما نحن فيه .

حين يكون مطبخك عائماً بـ «أطباقه» و«قدوره» وعناصر الوجبة القادمة . . اتمنى لو تنقطع اتصالاتك بالعالم الخارجى فتتفرغى لما أنت فيه . . كما لو كنت تؤدين اختباراً عملياً امام أستاذة التدبير المنزلى ، وانني لعلى يقين أنك لو فعلت هذا لما وجدنا فى يوم من الايام طبخة محترقة . . أو أخرى بدون ملح أو بملح زائد . . لكن هل لك أن تستغنى عن الأمور الهامشية وأنت فى هذا الوضع بالذات لا أدرى .

فى النهاية تتبخر الآمال . . ونستيقظ من الأحلام لنجد أنفسنا على ـ بلاطة ـ .

أنا لا أطلب منك «لبن العصافير» ولا «رابع المستحيلات» كما تقولين . . إن كل الذى أريده منك يا سيدتى أن تتصرفى كأنثى . . تملك علىَّ وجدانى . . وألفها بدفء حنانى .

وماذا يضيرك لو أن جارتنا سكنت فى الدور العاشر ونشرت غسيلها على ارتفاع خمسين مترا عن سطح منزلنا . . ونشرناه نحن فى قبو تحت الأرض . . ربما كان ذلك أكثر ـ ستراً ـ ثم ان السعادة يا سيدتى لا تتناسب عكسياً مع الضغط الجوى ولا تحكمها قوانين الفيزياء .

أرأيت فى مناسبات ـ الحريم ـ حين تباهى كل واحدة بحليها ومجوهراتها وفساتينها و . . . و . . . حين تتوجه انظار الحاضرات لاكثرهن زينة وشياكة وتتمنى كل واحدة لو تكون فى مثل سعادتها . . فى وقت قد تكون فيه المسكينة مجرد تمثال متحرك من الهم والأسى .

إن هذا وحده يكفى يا سيدتى للتدليل على سطحية تفكير الحاضرات حين اعتقدن ان السعادة فى المظاهر البراقة .

إذا كنت متأكدة من حبى لك . . وأنه فى كل تصرف منك تضاعفين من هذا الحب . . فلماذا تطلبين منى بين لحظة وأخرى أن أقدم لك كشفا بهذا الرصيد؟ .

أكتفى منك أحياناً بـ «نظرة» لأعرف أن رغبتك فى ذلك الفستان . . الباهظ الثمن ـ فأتساءل بينى وبين نفسى . . لماذا تتعمدين اشعارى بأن راتبى متواضع . . حتى ونحن عند البائع . . ؟



دعونا نبحث إذاً عمن يضحك على المرأة؟ نساء أخريات؟ ربما! لكننا لو تابعنا البحث سنجد فى النهاية المعلمين الحقيقيين من الرجال الذين ساهموا فى زرع وتربية هذه الأسطورة. ثم لماذا نذهب بعيداً.. أليس أغلب العطارين من الرجال؟.

الحياة تتغير وتتجدد فى كل لحظة لذا يحتاج الانسان للسفر والترحال تجديداً للنفس وتمشياً مع سنة الحياة، وهذا لا يتعارض مع الشكر لله حين نقارن انفسنا بالأخرين المرضى والأصحاء على السواء.

أعرف أن هذا يصعب تصديقه على كل الأزواج الذين يقضون أوقاتهم خارج المنزل مع افاق العمل وصحبة الفراغ، عندما لا تجد الزوجة من تتكلم معه طول اليوم غير الصغار والقدور والجدران تبحث عن الجيران. وغير حقيقى أن «الحيطان لها ودان».

لأنها آمال وأحلام النيام تيام كانت وظلت من البداية للنهاية «على بلاطة».

الزوجة تتصرف كأنثى عندما تقتنع أنها تزوجت رجلا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان.

ربما لا تغار الزوجة من ارتفاع سكن جارتها بقدر ما تغار من غسيلها الناصع البياض الذى لا تحتاج صاحبته لستره عن عيون الناس فى قبو تحت الأرض.

لا شىء فى الدنيا يصعب اخفاؤه أو تزييفه مثل الاحساس بالسعادة ـ الذين يركزون عيونهم على الفساتين والمجوهرات لا يرون أبعد منها. وعلى أى حال للسعداء شفرتهم. وهم وحدهم الذين يستطيعون فك طلاسمها.

لأن «البنوك» تتعامل بهذه الطريقة أرصدة وكشوف حسابات، ومضاعفات، وموازنات، ومضاربة فى البورصات، وخذ وهات واللى فات مات.

أيمكن أن نتصور أن زوجة تشارك فى وضع ميزانية أسرتها وتصريف شئونها المالية تتشعلق فى فستان تعرف أنها غير قادرة على دفع ثمنه؟





أدب المجاملة

بهية بوسبيت

■ من المعروف أن المجاملة بين أفراد المجتمع عادة قديمة عرفت منذ وجود الانسان وإن كانت المجاملة أحيانا تأتى مبالغاً فيها ولا تكون فى مصلحة الشخص المُجامَل ولكن الناس لا يستغنون عن المجاملة فى تعاملهم مع الآخرين والمجاملة شيىء لابد منه اذا لم يكن على حساب الآخرين كأن يقدم شخصاً ما على مجاملة انسان ظالم ليتقرب منه وتكون هذه المجاملة بموافقته على ارتكابه بعض الحماقات التى تضر الغير.

■ المجاملة البريئة والتى لا تضر الآخرين مطلوبة ولا غنى عنها فى تعاملنا مع الناس ولكن الأدب هو الشيىء الوحيد الذى لا يحتاج الى مجاملة صاحبه أو المتعامل به، ومع الأسف الشديد كثر فى الأونة الأخيرة ظاهرة المجاملة فى الأدب مع الكتاب والأدباء والمبتدئين وأصبحت من العوائق الأساسية التى تقف فى طريق الكثير من المبتدئين الصاعدين من الكتاب والكاتبات الذين لم يحالفهم الحظ فى الظهور على الساحة الأدبية بالشكل الذى يستحقون الظهور به ككتّاب مبدعين فالمحررون المسؤولون عن زوايا أو تحرير صفحات معينة او ابواب معينة بعضهم ما زال لا يدرك معنى الامانة، والأمانة الصحفية بالذات التى تحتمها عليه امانة القلم، فأصبحوا يفسحون المجال لأديب معروف او كاتب مشهور يتوقعون منه مدحا وثناء على مقدرتهم فى العمل أو غير ذلك من الأسباب التى لا مجال لذكرها. والتى قد لا تكون خافية على الكثيرين من المتابعين، ومنهم من يلجأ الى مدح واطراء موضوع فلان ونقد قصة فلان وتوصيله الى القمة فى حين لو أن احدا ما وجّه له سؤالاً عن رايه فيها قرأ لفلان وكأن هذا الشخص خارج بلاط الصحافة أو ليس له اية علاقة بأهل الأدب وأصحاب الأقلام لقال ضاحكا بملء شدقيه صدقنى اذا قلت لك اننى لم أقرأ القصة جيدا، أو أن قصته غامضة أو عادية ولكنه كما تعرف كاتب معروف ومدحى له فيه مصلحة وفائدة لى مستقبلا ثم إنى بعملى ذلك أدفعه للكتابة فى صفحتى، وهذا مكسب كبير لى.. الخ. فى حين أن مثل هؤلاء يتجاهلون المبدعين الحقيقيين ويتجاهلون ما يخرج لهؤلاء من كتب تستحق القراءة والدراسة والاشارة اليها هذا بصرف النظر عن أن المحرر أو رئيس التحرير احيانا يتجاهل كيف كانت بدايته مما يجعله يقسو على بعض المبتدئين أو يهمل اشخاصاً معينين ويجامل آخرين دون أن يدرك أن بامكانه كسب الاثنين معاً دون ظلم آخر بنصر آخر عليه قد لا يستحق ذلك.

إذاً امانة القلم وأمانة العمل تحتم على المسؤول سواء كان رئيس تحرير او محرراً أن يراعى الله اولا فى عمله حتى يستحق ما أوتمن عليه من عمل، ثم يراعى ضميره ومصلحة الجريدة أو المجلة التى يعمل بها. وإلا فإنه يعتبر خائناً لأنه اولا خان الأمانة التى أؤتمن عليها - ثانيا لأنه استغل مكانته وجنى على غيره ليصل الى مبتغاه دون تعب أو كفاح، وهذا يدل على زوال نجاحه وفشله بسرعة.

كلمـــات

■ السعــادة بيت يؤويـك وعيش يكفيك وزوجة صالحة ترضيك.
«معاوية بن ابى سفيان»

■ قيل لأفلاطون ما الشيء الذى لا يحسن ان يقال وان كان حقاً.. قال مدح الانسان نفسه.

■ اذا كان الحــب يعــمى عن المســاوىء، فالبغض يعمى عن الحقائق والمحاسن.
« الجاحظ »

تضحك الأغصان

نعمت عامر

يابلبلاً فوق الغصون تشاكى
فشجا هنا لك بانةً وأراكا
هل أنت صبٌّ في محبة طائر
ناء وإلا عاشقٌ لبكاكا
حركت في طيّ الفؤاد نواعجا
لولا أنينُك لم تبدينّ حراكا
أبكى لوحدك بالدموع صبابة
والمزن يبكى رحمةً لجواكا
أفريت بالعين السهاد مُبرّحا
فعلام تبكى في الظلام ثراكا
هذا الوجود كأنه لك ملعب
أوعشُك المحبوبُ أو مغناكا
يحنو عليك الروضُ حين تؤمُّه
وتضحك الأغصانُ إذ تلقاك

نجـــوى

■ طبول الحزن دقت فى قلبى يا حبيبى بعد ان تركتنى على قارعة الطريق وحيدة شريدة تمزقنى وتبددنى آلام الوحدة.. تلفتّ يمينا وشمالا لا اعرف الى اين المسير؟.. لا اعرف الى اين سوف تقودنى قدماى والى اى اتجاه اسير؟ لقد كانت لحظة رهيبة.. رهيبة لحظة الفراق.. كانت بالنسبة لى لحظة انتقال مؤلمة فى حياتى.. لحظة انتقال من الواقع الى المجهول الذى لا اعلم متى واين سوف نلتقى مرة اخرى..

يارب.. يارب.. وكأننى ارى جرحى العميق ينزف.. وما من طبيب قادر على تضميده؟.

يارب.. جرحى ينزف ويعمق مع الايام والحبيب بعيد.

يارب الهمنى الصبر بقوة الايمان على تحمل آلامى..

يارب اعطنى نبضاً قادرا على التهام احزانى.

يارب اعطنى عمراً مورق الايام والليالى.

مقارنـــة

■ كثير من الامور لا تصلح الا بقرنائها.. لا ينفع العلم بغير ورع.. ولا الحفظ بغير عقل.. ولا الجمال بغير حلاوة.. ولا الحسب بغير ادب.. ولا السرور بغير أمن.. ولا الاجتهاد بغير توفيق.

صفية عنبر



ضياء القمر

مديحة ابو زيد

تعمدَت بالصد إخفاء حبى
لكى لا يضيع كطيف يمر
وحلقت كالطير فوق الغصون
لأعزف لحن ضياء القمر
عرفت الطريق وسر الوجود
بروض هواك الذى يزدهر
سبحت ببحر سناك العميق
ولم تعترضنى شراك النهر
فإن اشتياقى لسحر اللقاء
بهذا الفؤاد بأسنى الصور
فتمضى دموعى لشط الضياع
وتهرب كل هموم الدهر
وعطر هواك الذى إن يمر
يسامر عينى بحلو السهر
أرانى بقربك غصن الشذى
فيمحو بنفسى سقام الكدر
فإن هلّ يوما خيال الرحيل
وأغرق روضى مسيل المطر
فيوما سيقدم طيرى الشريد
يعانق فى الليل ضوء القمر
ويأتى بلهفة طفل رضيع
يحن اشتياقا لشذى الزهر
وإن شتت السهد لحنى
وضل المغنى خيوط الوتر
وأبكت رياح الخريف الممل
شراع هواى الغريب الأثر
وأقبل طيف السراب المخيف
هناك بوادى الفراق الأمر
وجفت براعم غصن الحنين
فسوف يغيث هواى المطر
فينهض زرعى ونحلو الحياة
وتشرق شمسى طوال العمر
فأنت لروحى جمال الوجود
هواك لعينى ضياء القمر

لحظات تامل

* يظل القلب مأسوراً بعشق سيدة حلفت باسم التاريخ بأن تبقى ولو أقصتها المسافات وجفتها عيون الابناء تبقى السيدة على كل المعشوقات وأحلى الصبايا.

* اعتدت على أن تكون كل الأشياء التى «تصمد» فى ذاكرتى حبيبة الى نفسى واعتدت على تسمية كل مكان يوجعنى.. وطناً.

* فى الوقت الذى نكتشف فيه عمق توغلنا فى مجاهل الغربة.. أو توغلها فينا، لا نعود قادرين على الحفاظ على اقنعة الاستسلام مسدلة فوق وجوهنا.

سـؤال

كيف نميز الحرية الحقيقية من المزيفة؟.. ان هناك فارقا اساسيا بين الانطلاق من قيود الذل والضغط والضعف والانطلاق من قيود الانسانية وتبعاتها هل ثمة انفصال بين المبدأ وصاحبه.. انا لست ممن يؤمنون بحكاية المبادىء المجردة عن الاشخاص.. آمن انت اولا بفكرتك.. آمن بها الى حد الاعتقاد الجادّ عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون.



نغم للمدينة التي أعشق

بقلم: مريم جبر

■ على امتداد الذاكرة أرسم وجهك وتنهضين.. تفترشين عشب صدرى وتتمددين بغنج الصبايا.

ألثم وجهك فيمتلىء صدرى بعبق الليمون، أمرغ وجهى فى تربك فأنتشى برائحة اللزاب والصنوبر البرى - والزيتون..

أتيه فى براريك.. أتوغل فى العمق منك فأجدك مدينة ترتمى فى حضن الكون باستسلام غريب.. تدوسها العربات ويأكلها العمران.. أجدك قرية بريئة تتطلع برهبة ورغبة واستهجان لبريق المدينة يلتمع فى عيون ابنائها.. أجدك جبلا، قلعة، مئذنة قديمة، نبع ماء رقراق.. أجدك شجرة «كينا» تكبر. تشمخ وأبدا لا تشيخ.

أدخل فيك أتوغل أكثر فأجدك امرأة رائعة الحسن لكنها مازالت مهملة راكعة على أعتاب الماضى وقد أعياها الجهال فباتت فى غمرة سكرتها تثور كغجرية فيسكن من حولها العالم ويصمت فى حضرتها الكلام.. واذ تهدأ يأتونها خاشعين.. تصير معبداً أخضر للناسكين.. أغادرك حينا وأجيء.. واذ أقترب منك.. ألمس من جديد عمق معاناتك ومعاناتى.. بينى وبينك حكايات عمر هى فى حساب الزمن قليلة.. لكنها فى حساباتى كثيرة ممتدة على اتساع المدى.. بينى وبينك قصص لم تكتمل ولم يستهلكها النسيان.. بينى وبينك اشتعالات روح أخمدتها حصارات القبيلة بين ما كان وما يجب ان يكون.

ملاحظة: اللزاب والكينا اشجار دائمة الخضرة يكثر وجودها فى «عجلون» مسقط رأس الكاتبة



إلى السيدة الجميلة

محمد عبد الواحد حجازى

* هو أبو اسحاق ابراهيم بن المدبر، كاتب شاعر متقدم من كتاب أهل العراق ومتقدميهم والمتصرّفين فى كبار الأعمال.

حبيبتى عريب:

قصتى مع الزمان، هى قصتى مع الحب.. هى قصتك أنت يا عريب.. أصفيتك قلبى ووهبتك روحى وتمنيت أن تكافئينى حبا بحب، وإخلاصاً بإخلاص، ولكنك عبثتِ بمشاعرى فأضنيت فؤادى، وشتتِ عقلى بين مهاوى الظنون.. حيرتى شديدة وقلقى على حبى لك يزداد يوما بعد يوم، وإن ما يحدث هو أنك تعطفين علىَّ فى لحظات الضيق والكرب فيأتى عطفك مفاجأة لم تكن فى حسبانى فأقول فى نفسى:

أهو الحب يا ترى، أم أنه العطف والاحسان؟.. ويدفعنى الأمل الى أن أقول: لا، إنه الحب.. إنه الحب.

ولكن سرعان ما أستيقظ على واقعى معك يا عريب، فتنوشنى الشكوك من جديد كأنها الحراب لتمزق اطمئنانى ورخاء بالى فأقول: ومن أنا؟ لست المحب الوحيد لها.. لقد أحببت حاتم بن عدى صديق مولاك المراكبى.. ثم أحببت محمد بن حامد، ألم تعرضى عليه أن يزورك؟ وعندما قال لك: إنى أخاف على نفسى، كتبت إليه تقولين:

إذا كنت تحذرما تحذر ... وتزعم أنك لا تجسر
فمالى أقوم على صبوتى ... ويوم لقائك لا يقدر

■ *فهل تنكرين قصة غرامك مع محمد بن حامد؟ وهل تنكرين قصة غرامك مع أبى عيسى بن الرشيد؟ ويحك يا عريب، أين وفاؤك فى حبك؟ بل أين أنانيتك فى حبك؟ إن أجمل ما فى الحب هو الأنانية الايثارية، إن أجيز هذا التعبير. فتكونين لى وحدى وتؤثريننى على نفسك وعلى سواك. وكذلك أنا أكون لك وحدك وأوثرك على نفسى وعلى سواى.*

هذا هو مبلغ فهمى للحب ونظرتى إليه، أما أنت.. ماذا أقول؟.

سامحك الله يا عريب ألم تحبى المأمون أمير المؤمنين ثم هجرك أياما؟ ولما أن مرضت وزارك سألك: كيف وجدت طعم الهجر؟ قلت: يا أمير المؤمنين، لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل، ومن ذم بداءة الغضب حمد عاقبة الرضى.. فأين مكانتى بين هؤلاء جميعا؟ وأين تكون قصة غرامى الى جانبهم؟.

حبيبتي عريب:

ألم يبلغك نبأ سجني؟ ألم يبلغك نبأ ما أوقعني فيه الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان؟ لقد لفق لي تهمة هجاء أمير المؤمنين والطعن في سلوكه، كما استطاع أن يستصدر أمراً بادخالي السجن بغير أن يُسمع لي قول.. واصطلحت على ثلاث ظلمات: ظلمة الزمان، وظلمة الليل، وظلمة السجن. وحسب ابن خاقان أن هذا كفيل بإخضاعي لارادته وتسخيري لمدحه وخدمته. ولكن هل نجح فيما أراد؟ وهل حقق ما كان يرومه ويشتهيه؟ لا والله، لقد احتملت قسوة الظلمات الثلاث فخاطبت شخصه في خيالي قائلا:

لا تؤيسنك من كريم نبوة
فالسيف ينبو وهو عضب باتر
هذا الزمان تسومني أيامه
خسفا وها أنت ذا عليه صابر
إن طال ليلي في الاسار فطالما
أفنيت دهراً ليله متقاصر
والسجن يحجبني وفي أكنافه
مني على الضراء ليث خادر
هلا تقطع أو تصدع أو هوى
فعذرته لكنه بي فاخر

■ ولا زلت أشكر لك جميل زيارتك التي تفضلت بها عليّ إبان وجودي في السجن ولكن الشيء الذي أدهشني منك ولم أكن أتوقعه هو قولك لي: إنني أخشى عليك من السجن، أخشى على إرادتك أن تضعف وعلى نفسك أن تهن.. فلا ترتاعي يا حبيبتي:

وما أنا إلا كالجواد يصونه
مقومه للسبق في طي مضمار
أو الدرة الزهراء في قعر لجة
ولا تجتلى إلا بهَوْل وأخطار
وهل هو إلا منزل مثل منزل
وبيت ودار مثل بيتي أو داري
فلا تنكري طول المدى وأذى العدا
فإن نهايات الأمور لإقصار
لعل وراء الغيب أمراً يسرنا
يقدره في علمه الخالق الباري
وإني لأرجو أن أصول بجعفر
فأهضم أعدائي وأدرك بالثار

■ وأخيرا وبفضل محاولاتك لانقاذي من السجن خلصني الشهم الأريحي الهمام محمد بن عبد الله بن طاهر من سجني، أفلا يستحق إذن كلمة ثناء وشكر؟.. لقد زرته يوم خروجي وخاطبته قائلا:

دعوتك من كرب فلبيت دعوتي
ولم تعترضني إذ دعوت المعاذر
اليك وقد حُلئت أوردت همتي
وقد أعجزتني من همومي المصادر
نمى بك عبد الله في العز والعلا
وحاز لك المجد المؤثل طاهر
وأنتم بنو الدنيا وأملاك شرقها
وساستها والأعظمون الأكابر

حبيبي عريب:

توقعت يوم خروجي من السجن أن تكوني أول المهنئين لي والمبتهجين بعودتي وظللت أحسب كل طارق عليّ هو أنت فيغمرني الفرح ولكنه سرعان ما يرتد الى قلبي حسرة وألما عندما أجد أنه إنسان غيرك أو شخص غيرك.. لقد كنت أرد على المهنئين شاكراً لهم حسن زيارتهم لي بغير وعي أو إدراك.. كنت أقول في نفسي: أين عريب؟ ولو لم تكن بي مسكة من عقل لصحت في الجالسين عندي: أين عريب؟ أين عريب؟.. وبعد طول انتظار وجدتك قد أحسنت لي برسالة حملتها إلى وصيفتاك: بدعة، وتحفة وقرأت رسالتك مرة، ومرة، ومرة.. وفي كل مرة

أزداد عجبا منك : هل كذلك يكون كلام الحبيب الى حبيبه؟ هل كذلك يكون اللقاء بين العشاق الأحباء؟ أين حرارة اللقاء؟ بل أين حلاوة الحديث الذى كنت أنتظره وأتشوف إليه؟ . . وفجأة رأيتنى أقرأ رسالتك بصوت عال وكأننى أسمعها للناس أجمعين كى يكونوا قضاة بينى وبينك، فكانت: بنفسى أنت وسمعى وبصرى، وقل ذلك لك، أصبح يومنا هذا طيبا طيب الله عيشك، قد احتجبت سماؤه، ورق هواؤه، وتكامل صفاؤه فكأنه أنت فى رقة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك، لا فقدت ذلك أبدا منك ولم يصادف حسنه وطيبه منى نشاطا ولا طربا لأمور صدتنى عن ذلك أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بشرحها وقد بعثت إليك ببدعة وتحفة ليؤنساك وتسر بهما سرك الله وسرنى.

حبيبتى عريب:

أشكرك أولا على أنك تذكرت أن لك محبا اسمه ابراهيم بن المدبر..

وأشكرك ثانيا على ما تمنيته لى من طيب العيش وصفائه..

وأشكرك ثالثا على أنك بعثت الى ببدعة وتحفة ليؤنسانى وأسر بهما..

لكن يا حبيبتى:

كيف السرور وأنت نازحة
عنى وكيف يسوغ لى الطرب
إن غبت غاب العيش وانقطعت
أسبابه وألحت الكرب

■ لقد أرسلت إلىَّ وصيفتيك برسالة جديدة تقولين فيها:

ويلى عليك ومنكا
أوقعت فى القلب شكا



زعمت أنى خئوون
جوراً على وإفكا
إن كان ما قلت حقا
أو كنت أزمعت تركا
فأبدل الله ما بى
من ذلك الحب نسكا

■ وهنا رجع القلب الى جذله وفرحه. . وعادت النفس الى صفائها وانتعاشها وإننى لآمل أن يكون لقاؤنا بعد غد عند روضة النعمان. . فهل تأذنين؟.

الخروج الى الكابوس

منى رجب

من الذى اغتال البهجة من شارعنا؟؟ .

سؤال ظل يطنطن بداخل تجاويف أذنيها .

قال ابن خالتها ضابط البوليس الشاب حين جاء لزيارتهم فى المساء الماضى «انه الهيروين اللعين» . . وقبل أن ينصرف تفحصها مؤكدا :

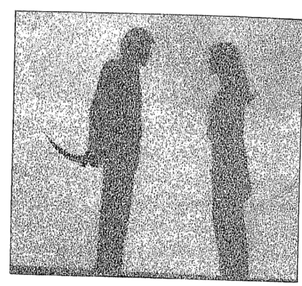
«لا ترتدى الحلى الذهبية . . لا ترتدى الاقراط اللامعة فى الشارع . . لا تسيرى بمفردك ليلا الا للضرورة القصوى . . لا تركبى المصعد مع غريب قط . . أغلقى ترابيس أبواب سيارتك دائما . . لا تتأخرى فى المحاضرات المسائية . . لا . . لا . . ولا . .» .

لم تصغ فاتن لبقية قائمة الممنوعات وسط تشويش الخوف وتوهانها بداخل كهوف القلق . . تصاعدت ذبذبات التحذير المنطلقة من كل صوب حتى هزت اركان المكان .

حبست نفسها فى حجرتها طوال أسبوع كامل . . قررت فاتن ألا ترى وجه ذلك الشارع القبيح مرة اخرى . . لن ترى انيابه الصفراء المختبئة وراء الجدران . لن تتحول ابدا الى غزال شارد يتهادى فى الطرقات ثم تنقض عليه فى غفلة منه النمور الجائعة .

ستتحصن بداخل بيتها حتى تعد أسلحة تقيها اى عدوان وحشى .

عرفت تفاصيل ما حدث من أهل الحى كغيرها من البنات . . رووا ان سيدة شابة اثناء توجهها لاصطحاب طفلتها من الحضانة فى الثالثة ظهرا . . نعم فى الثالثة

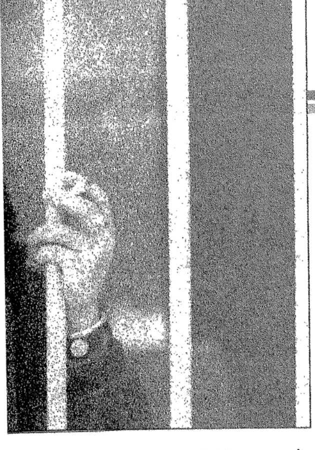


فجأة اشرع الخوف سكينا حادة فى قلب الشارع الهادىء ولاذت فتياته بديارهن كالفئران حين تختبىء بداخل الجحور المظلمة . . وتحول حفيف الأشجار العتيقة المتناثرة على جانبيه الى نعيق بوم يدوى بين الاركان . .

هل يمكن أن يكون هذا الشارع الذى تخشى فاتن ان تطأه بقدميها هو نفس الشارع الذى احتضن أحلام طفولتها؟؟ .

ترامى الى مسامعها من قبل وقوع تلك الحوادث . . فمرة يقولون حدثت فى المعادى . . ثم يقولون انها قد حدثت فى مصر الجديدة . . ثم يردفون بل حدثت ايضا فى طريق صلاح سالم ليلاً .

لكن المرء لا يرى الحقيقة الا عندما نلطمه على وجهه . . فها هى بين ليلة وضحاها تستيقظ فتجد أن هذا يحدث أيضا فى شارعها . . على بعد بضعة خطوات من بيتها .



ظهـرا . . سمعتهم يرددون فى السـاعـة الثـالثة اكثر من مرة . . تعقبهـا رجلان . . فلما أحسّت باقدامهما المسرعة وراءها . . لاذت بدكان حلاق تعيش عائلته معه فى العمارة لتحتمى به . . استنجدت بالرجل . . ان يخبئها فى دكانه منهما . . استغـاثت بشهـامته الشرقية فخبأها الرجل فى دكـانه . . لكن لم يدم الامر اكثر من طرفة عين فما لبث الرجلان أن اقتحما المكان . . وفى لمح البصر كانا يشرعان فى بطنه سكينا حادة محذرين اياه إما أن يتركها والا مزقوه اربا هو ثم زوجته وابناءه . . الذين يقطنون فى الدور الاول .

خاف الرجل على عرضه فسلم المرأة لهما .

لم تشفع لها امومتها ولا استجداؤها ان يتركاها لتعود لطفلتها . . داساها بالاقدام بعد ان تركاها كنفاية عطنة ملقاة على الطريق . . ثم رحلا .

لم يغمض لفاتن جفن طوال ليلتين كاملتين .

فى الصبـاح التـالى هوت مطرقة أخرى على رأسها لتغرقها فى قاع بحيرة خوف مميت . . حادثة أخرى صدمت عينيها .

فى الصباح التالى . . اطاح الذعر بالبقية الباقية من عقلهـا . . تحولت عينـاها الى جهاز استقبال مذعور . . تمنت ان يكون كل ما سمعته مجرد كابوس مصيره مهما طال هو الانقشاع . . لكن لا . . ها هم الجميع يؤكدون . . يقـولون ويزيدون . . وفقا لحجم الخوف الرابض بداخل كل منهم .

فى نفس المسـاء صدم عينـاهـا تحقيق آخر فى صدر الصفحـة الاولى بالجـريـدة المسائية . . هوى الخبر على عقلها كأنه سوط من نار .

حين انتهت «فـاتن» من قراءة آخر سطر من سطور التحقيق احتبست انفـاسها وتقلصت احشاؤها وسحبها الحنق فى اغماءة طويلة لم تفق منها الا على صوت صرخات أمها تردد :

« فاتن . . فاتن . . اجيبينى »

من وراء وجه أمها المذعور رأت وجه شبح تأكدت أنه لأبيها . . لم تجد ما تطمئنه به . . الا يكفيه انه هرم وانه ما يزال يتحمـل مالا طاقـة له به ليـوفـر لها ثمن الـدروس الخصوصية الباهظة التكاليف لتستكمل دراستها فى كلية الطب؟ . يريد ان يراها طبيبة ذات شأن تخدم أهل الحى قبل أن يموت . . لن تضع على كتفيه حملا آخر فوق تلال ما يعانيه ـ لن تتحمل شيخوخته المزيد . .

خبأت ذعـرهـا داخـل شرنقة من الصمت ولازمت فراشها اسبوعا . . كظمت غيظها حين تاهت اجابة سؤال ظلت تردده على نفسها :

ـ ما الذى يحدث من حولنا؟؟ .

حين رن جرس التليفون فى حجرتها ارتعشت . . حتى رنين التليفون أصبح يفزعها . . لابد انه خبر آخر من تلك الاخبار المشؤومة . . من زمن طويل لم تعد تأتيها أنباء مفرحة .

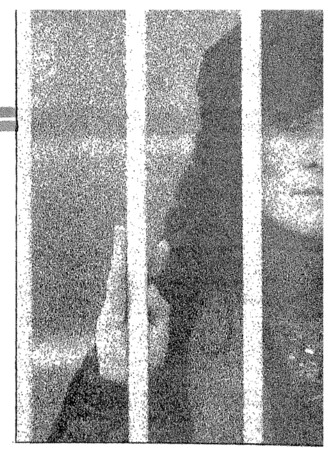
ـ قالت زميلتها بالحرف الواحد :

«لابـد أن تواظبى على المحاضرات . . سيفصلونك من الكلية . . انت تعرفين ان الحضور فى كليتنا يقيد فى دفاتر يومية» .

لم ترد عليها . . ولم تنبس بكلمة . .

عادت زميلتهـا تقـول وكأنها استمعت لما يدور على لسانها دون ان تقوى على النطق به .

«لن يمنع الحذر قدراً . . المسألة ببساطة أن الخوف قد انتقـل من على حدودنـا . . الى داخل شوارعنا . . وكما



قاومنا اعداءنا سنقاوم ذئابنا . . » .

لم ترد فاتن . . تكره ان تعترف بالحقيقة البشعة . . ما يزال فيها ما يحب شارعها . . لا تريد ان تكره شارعها ولا أى شارع آخر من شوارع مدينتها .

اضافت زميلتها :

ـ خذى معـك سكـينـا حادة أو اى أداة حادة لحمايـة نفسك . . كلنا سنفعل هذا . . لا ترددى والا سيفصلونك بسبب تغيبك .

لم يكن أمام فاتن من مفر . . ستواجه كل ذئب تسول له نفسه ان يقترب ليمس أية شعرة من شعرها أو اى قطعة لحم من جسدها .

قررت فى شجـاعـة ثوريـة ان تقطـع خيوط الرعب العنكبـوتية . . بلا وعى وضعت جسدها فى فستان اسود وسحبت تحت ابطها كراس محاضراتها . . وقبل ان تفتح باب المنزل كانت قد وضعت بداخل حقيبة يدها سكينا ذات شفرة حادة وطويلة . . قبل ان تغادر منزلها خلعت من أذنيها القرط الذهبى الصغير هدية أمها فى عيد ميلادها العاشر . ثم خلعت من عنقها الآية القرآنية الذهبية التى تتفاءل بها ووضعتها بداخل دولابها .

فى داخل المدرج المزدحم بالانفاس الغاضبة اختلست لنفسهـا مكـانـا نائيـا فى آخـر القـاعـة . . حين بدأت المحاضرات لم تسمع ما يقال ولم تفهم .

تاه السمـع بداخل كهوف الذعر . . لم تستطع قمع النواقيس العالية المتخبطة بداخل أذنيها .

أوشكت السـاعة على السادسة ولم ينته بعد جدول المحاضرات العملية .

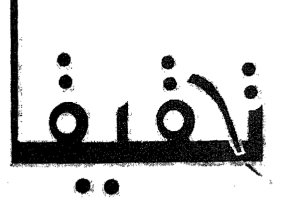
لم تنتظر انتهاء الدرس العملى . . هرعت الى سيارتها الصغيرة . . وبسرعة الريح الهوجاء احكمت اغلاق رتاج بابها . . وضعت السكين ذات الشفرة الحادة الطويلة فوق المقعد المجاور لها انتظارا لأى هجوم مباغت على كيانها .

وسط الاشارة الحمراء اقترب متشعوذ اجرب الوجه رث الثيـاب ليأخـذ منهـا بعض النقـود . . انتفضت من مقعدها . . اشاحت عنه بوجهها، لكنه لم ينصرف بعيدا عنها . . ألقت له بقطعة نقود معدنية صغيرة ليبتعد عنها .

دخلت سيـارتها كثعلب يتلصص طريقه فى الشارع الثعبـانى الطـويل المغطى بالاشجار الحزينة المؤدى الى منـزلهـا . . فجأة ظهـر امـامها رجلان يقبلان ببطء نحو سيـارتهـا المبطئـة امـام المطب الكبـير . . عنـد استـدارة الشارع . . الذى بدا مظلما كانما قد غطى الخوف انواره فما بقى نور فى مصباح من مصابيحه . . لم تتبين ملامحهما الا عندما اقترب احدهما حاملا علبة حديدية مهترئة فى يده والآخر يخبىء يديه فى جيوب بنطلونه .

شل الـرعب حركتهـا لكنهـا قررت ألا تمكن أحـدا منها . . وضع احدهما يده على سيارتها بينما وقف الاخر يبتسم من ورائه بلا سبب . . عجز لسانها عن الحركة . . مع جفاف حلقها . . تحولت يداها الى قطعتين جامدتين من الخشب الجـاف . . قررت ان تتحـرك بسـرعـة . . ضغطت بكل قوة خوفها على البنزين . . انطلقت السيارة كصـاروخ محدثـة صوتـا مزلـزلا . . تطاير الجسدان فوق السيارة وسقطا على جانبى الطريق .

استـقـرت السيـارة فى حضن الشجـرة العجـوز الضخمة . . هرع المارة صوب الأبواب المغلقة . . حطموا الـزجـاج بالعصـا والحجارة . . حين فتحت عينيها ببطء تقدموا بسرعة نحوها . . ووسط طوفان من الدموع بدأوا يمسحـون الـدماء السائلة من على وجهها وجسدها . . وفستانها الأسود .



■ ***لب الألباب - تأليف السهروردي محمد صالح - بغداد، مطبعة المعارف. جزءان ١٣٥١/١٩٣٣ - مصر.***

١ - الكتاب كما يمكن أن يدل عليه اسمه، تراجم للعلماء (علماء الدين) خاصة، وانه كذلك جاء في المقدمة: «... تراجم رجال حقبة من الزمان في العراق ممن درست عليهم أو عرفتهم على اتصال أو غير اتصال بهم من رجال الدين والقلم وارباب الدهاء والسياسة وبعد أن تم جعلته في ثلاثة أجزاء: الجزء الأول في العلامة الاستاذ شيخنا الشيخ عبد الوهاب افندي النائب وشيوخه والجزء الثاني والثالث في أعلام الأدب والسياسة وذوي البيوتات..».

الذي حصل أن صدر من الكتاب جزآن، جاء في آخر الثاني: «... يليه الجزء الثالث، ويتضمن تراجم من بقي من علماء ووجوه بغداد مع نخبة من سير بعض افاضل وسادات الموصل والبصرة وكردستان وغيرها..». ولا أحسبه قد صدر - ولم يصدر.

٢ - لا يتبادر الكتاب مصدراً - أو مرجعا - للذهن لشعراء مثل الزهاوي (٢/٣٣٢)، والرصافي (٢/٣٣٥)... أكرم أحمد (٢/٤٥٩) ومن هنا حسن التنبيه اليه.

ونزيد أنه مصدر - أو مرجع - لسياسيين مثل «المزاحم الأمين الباجه جي» (٢/٢٨٧) ونوري باشا السعيد (٢/٢٨١).

■ ***الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة - لكمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي المؤرخ الكبير. مصدّر بمقدمتين الأولى بقلم العلامة محمد رضا الشبيبي وزير المعارف سابقا والثانية بقلم الاستاذ مصطفى جواد. عنيت بطبعة المكتبة العربية ببغداد لصاحبها: نعمان الأعظمي.. وقف على تصحيحه والتعليق عليه الاستاذ مصطفى جواد، بغداد، مطبعة الفرات ١٣٥١هـ - ٥١٢ ص = سنة ١٩٣٢.***

١ - الكتاب نافع جداً مهم جداً لتاريخ العراق في المئة السابعة، وان كان ناقصا من أوله، يبدأ خلال عام ٦٢٦هـ، وينتهي بعام ٧٠٠.

٢ - وجدت مخطوطته فريدة ناقصة غفلا من اسم الكتاب واسم المؤلف فعرضها صاحب المكتبة الى عالمين باحثين يستطلع رأيهما في اسم الكتاب واسم مؤلفه فقال الشبيبي بلهجة الواثق الذي سبق له علم بالموضوع: «ومن رأيي - وقد تصفحت الكتاب - انه كتاب «الحوادث والتاريخ» لمؤلفه العلامة عبد الرزاق بن أحمد الفوطي البغدادي المتوفى سنة ٧٢٣» ومضى يبين أهمية الكتاب ويؤكد نسبته الى ابن الفوطي بأدلة منها وحدة الفكر والاسلوب مع كتاب مخطوط ثابت النسبة لابن الفوطي هو الجزء الرابع من «تلخيص مجمع الآداب».

وفعل الاستاذ مصطفى جواد فعله وهو الذي عنون الكتاب بـ«الحوادث الجامعة..» وأشار الى من نسبه قبله الى ابن الفوطي ومنهم يعقوب نعوم سركيس البغدادي.

٣ - المهم في الموضوع أنه قد ثبت - فيما بعد - الخطأ في ذلك.





د. علي جواد الطاهر

وأعلن الاستاذ مصطفى جواد تراجعه، وكذلك الشيخ الشبيبي، واننا نسجل هذه الملاحظة ليفيد منها من لم يقع على التراجع فيتعامل مع الكتاب في اسمه ومؤلفه كما هو في المطبوع.

■ ***الدكتور محمد عبد الله القصيمي - في بيتك طبيب. جدة، تهامة، مطبوعات ١٤٠٤/١٩٨٤ - ٥٣٢ص.***

١ - ص ٢٢٢ «البواصير»: صحيحها: البواسير (بالسين)، واحدها باسور.

٢ - ص ٣٥٨ «عرق النساء Sciatica بالرغم من تسميته فان هذه الحالة تصيب الرجال أكثر من النساء».

أقول: لا علاقة في أصل اللفظ بالمرأة (والنساء) لأنه - كما في المعجم - «النسا، بالفتح مقصور - أي بغير همزة - عرق. ولا تقل عرق النساء».. ويدل هذا التحذير في المعجم العربي على قدم الوقوع في خطأ اللفظ.

وتحذير آخر يقول: «النسا عرق من الورك الى الكعب (...) لا تقل «عرق النسا» لأن الشيء لا يضاف الى نفسه». ويدل هذا التحذير الآخر على أن إضافة الشيء الى نفسه أي القول «عرق النسا» خطأ قديم كذلك الخلاصة أنه «النسا» وليس «عرق النسا» او «عرق النساء».

مذكور لا مذكور

في بحث الاستاذ الحبيب المخ «دور اللغة في تماسك شخصية الأمة» من كتاب «دراسات في اللغة والحضارة» قدمت في ملتقى ابن منظور ١٩٧٤، منشورات «الحياة الثقافية» وزارة الشؤون الثقافية بتونس، تونس ١٩٧٥، طبع بالشركة التونسية لفنون الرسم ١٦٣ ص + ١.

ص ١٨ «يقول الدكتور ابراهيم مذكور.. وأحال على كتاب «في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق - دار المعارف، ط٢، راجع مقدمة الكتاب».

مذكور هذه، من الخطأ المطبعي لأن صحيحها «مدكور» - بالدال - والدكتور ابراهيم مدكور متخصص بالفلسفة الاسلامية، له مكانه العالي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة: أمينا للسر ثم رئيسا.

أحمد أميـن

أحمد أمين، الاستاذ الأديب الكاتب المقالي المؤرخ صاحب «فجر الاسلام» و«ضحى الاسلام» و«فيض الخاطر».. و«حياتي».. يحسبه كثيرون، وفي الكثيرين أدباء وباحثون اسم ابن وأب، الابن: أحمد، والأب: أمين، حتى انهم راحوا - لدى عمل فهرس المؤلفين أو المصادر على الطريقة الغربية يفصلون بين الجزءين للاسم الواحد فيقولون: أمين، أحمد - فجر الاسلام.. وليس هذا بصحيح لأن اسم أحمد أمين اسم واحد لا علاقة لاسم الأب به، لأن اسم الأب: إبراهيم. ولكن أحمد أمين يكتفي باسمه وحده فقط - ينظر الزركلي - الأعلام ١٠١/١.

وقد يكون عجيباً أن يتحدث أحمد أمين في كتابه «حياتي» عن أبيه ولا يذكر اسمه (الشيخ ابراهيم).

أخطاء مشهورة



الفريق
يحيى عبدالله المعلمي

(لن) حرف نفى ونصب واستقبال أى ان هذا الحرف الصغير فى لفظه يقوم بثلاثة أعمال فهو ينفى ما يجىء بعده وهذا عمل، وهو ينصب الفعل المضارع بعده وهذا عمل ثان، وهو يدل على أن النفى يقع فى الاستقبال وهذا عمل ثالث. وهو يقوم بهذه الأعمال الثلاثة بكفاءة واقتدار.

ولكننا نجد بعض إخواننا المتحدثين أو الكتاب يجردون هذا الحرف من بعض وظائفه (أو على الأصح أعماله لأن الوظيفة هى الرزق اليومى او الشهرى او السنوى الذى يجرى على شخص ما سواءاً كان مقابل اداء عمل ام لا) - وعفوا للاستطراد فقد جرينا فى ذلك على طريقة استاذنا الفاضل الشيخ على الطنطاوى ومن قبله أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

قلنا: إن بعض الكتاب يجردون الحرف (لن) من بعض أعماله فهم يغفلون نصب الفعل المضارع معتل الآخر بالياء والواو إذا جاء بعد لن أو غيرها من حروف النصب فإذا جاءت عبارة لن يجرى قالوا: لن يجرى بدون إظهار حركة الفتحة على الياء واذا جاءت عبارة لن يصحو قالوا لن يصحو بدون إظهار حركة الفتحة على الواو وهذا قد يؤدى الى تغيير معنى العبارة وتحويلها من الدلالة على أن الفاعل مفرد الى ما يوهم بأن الفاعل واو الجماعة وخصوصا ان بعضهم يضع حرف الالف (الف الجماعة) بعد حرف الواو الذى هو من أصل الفعل وليس واوا للجماعة.

وبعض الكتاب اوالمتحدثين لا يثقون بأن الحرف (لن) يدل على الاستقبال فهم يضعون معه حرف التسويف (سوف) فيقول أحدهم: سوف لن أفعل كذا مع أن (لن) تعنى نفى الفعل فى المستقبل فلا حاجة لوجود حرف التسويف (سوف). وما لهم لا يضعون حرف التنفيس وهو السين ويقولون: سلن أفعل كذا؟ هل يجرؤون على ذلك؟ كلا انه لخطأ فاحش ان يوضع حرف التنفيس او التسويف مع وجود لن.

ولو أمعن هؤلاء المتفاصحون النظر فى القرآن الكريم لوجدوا الأسلوب الصحيح الفصيح وسأورد لهم أمثلة من ذلك لعلهم يتذكرون ويثوبون الى الصواب.

قال تعالى: ﴿*وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون*﴾.. *وقال تعالى*: ﴿*ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا*﴾.

■ هذه شواهد على كفاية لن فى الدلالة على الاستقبال دون حاجة الى وضع كلمة سوف أوحرف السين، والشواهد كثيرة ولكن اقتصرنا على الآيتين الكريمتين لأن فيهما كفاء لإيضاح المقصود.

■ أما وجوب اظهار الفتحة على حرفى العلة: الواو والياء فى الفعل المضارع المعتل الآخر فله شواهد كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى:

﴿*فمن يردِ اللهُ أن يهديه يشرحْ صدره للإسلام*﴾.. *وقال تعالى*: ﴿*فأولئك عسى اللهُ أن يعفو عنهم وكان اللهُ عفوّاً غفورا*﴾.. *وقال تعالى*: ﴿*ليقضىَ الله أمراً كان مفعولا*﴾.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعفو عنا إن نسينا

وأخطأنا وان يلهمنا الرشاد فإننا لن نهتدى إلا أن يهدينا الله ولن نرجو إلا اياه.

ما دام ـ طالما

من الأخطـاء الشـائعة على ألسنة بعض المتحدثين واقلام بعض الكتاب استعمال كلمة طالما بمعنى ما دام وهو استعمال غير صحيح بل انه يقلب المعنى ويغيره ويبدل توقيته.

فمثلا اذا أراد احد أن يقول لصديقه: أكرمك ما دمت فى دارى فان معنى هذه الجملة أن إكرامه لصديقه سيستمر ما دام صديقه مقيما فى داره، أما إذا استعمل كلمة طالما بدلا من مادام كأن يقول: أكرمك طالما كنت فى دارى فإن هذه العبارة قد تعنى التبرم بالصديق والملل من طول مكثه فى الدار لأن طالما تعنى التعبير عن طول المدة التى حصل فيها الفعل وكثرة وقوع الفعل وتعدد مرات وقوعه.

فالأب مثـلا قد يخاطب ابنـه مؤنبـاً له بقـوله: طالما نصحتك فلم ترعو عن غيك. أى ان الأب قد نصح ابنه مدة طويلة ومرات كثيرة ولكن ابنه لم يرتدع ولم يستجب الى النصح.

أما مادام فانها تدل على استمرار الفعل ودوامه ما دام شرطه مستمراً ودائما.

وفى القـرآن الكـريم يقول الله عز وجل: ﴿*قالوا يا موسى إنا لن ندخلها ما داموا فيها*﴾.. *ويقول سبحانه:* ﴿*ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائما*﴾.. *وقال تعالى:* ﴿*وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما*﴾.

وطالما نبه جهابذة الكتاب إلى هذا الخطأ ولكن التنبيه الى ذلك ينبغى أن يستمر ما دام الخاطئون لا يقلعون عن أخطائهم.

الأعداد المظلومة

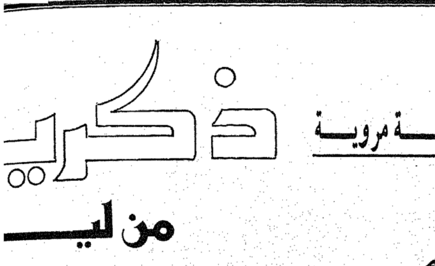
كانت تعرض عليّ أثناء عملى فى الدولة أوراق مالية تتضمن أعداداً حسابية مكتوبة بالارقام والحروف فكنت ألاحـظ أن كتـابة الأعداد بالحروف تشتمل على أخطاء متنـوعـة فأحيـاناً يؤنث المذكر ويذكر المؤنث فيقال أربع قروش مثلا أو خمسة هللات مع أن القاعدة المعروفة أن العـدد من ثلاثـة الى عشرة يؤنث مع المذكر ويذكر مع المؤنث فيقال أربعة قروش وخمس هللات، وأحيانا يفرد الجمع ويقدم الوصف على الموصوف فيقال ثلاثة مليون أو واحد مليون وكلتا الصيغتين خطأ مشهور وافصح منها ان نعـود الى الصـواب المهجـور فنجعله مشهـورا بدلا من الإسهـام فى إشـاعـة الخطأ فنقول: مليون واحد وثلاثة ملايين بدلا من واحد مليون وثلاثة مليون.

ومن الأخطاء التى تحصل فى الجمع رفع المنصوب أو المجرور أو جر المرفوع أو نصبه فيقال: مبلغ قدره الفين ومائتين وخمسين ريالا او يقال: مبلغ الفان ومائتان وخمسون ريالا وهـذه الصيغ خطأ كلها فالاولى حقها الرفع والثانية والثـالثـة حقهـا الجر والنصب وقد حاولت إصلاح هذه الأخطاء مرة بعد مرة ولكنها كانت تتكرر وتتردد فى كل مرة فأصبحت امتنع عن التوقيع إلا بعد تصحيح الخطأ وإعادة كتابة الأعداد بالطريقة الصحيحة ولو أدى ذلك إلى اعادة كتابة الأوراق كلها مرة اخرى.

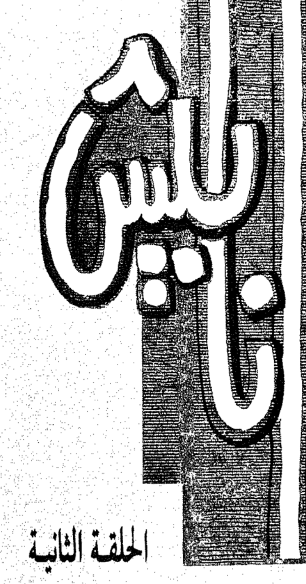
وكنت أعرف ان تصرفى هذا يضايق الموظفين ولكنى أقول لهم: إن تصرفكم بتكرار الأخطاء وعدم إقلاعكم عنهـا يضايقنى أيضا بل يضايق سيبويه ونفطويه ويحيويه وكل ذى ويه.

واقول لهم سأعلمكم طريقة سهلة تجنبكم الخطأ فى كتـابـة الاعـداد وتقودكم الى الصواب دون حاجة الى التضلع فى قواعد النحو ومعرفة موقع العدد من الاعراب فاذا قلتم بمبلغ فاكتبـوا ما يليهـا من الاعـداد المثنـاة والمجموعة جمع مذكر سالما بالياء، وإذا قلتم: قدره فاكتبوا المثنى بالالف والجمع بالواو وأنصحكم ان تتجنبوا كلمة قدره وأن تستعملوا كلمـة مبلغ فإن غم عليكم فاكتبـوا الأرقام المثناة والمجموعة جمع مذكر سالماً بالياء فلان تخطئوا فى كتابتها بالياء خير من أن تخطئوا بكتابتها بالالف او الواو لأنكم فى هذه الحال تكونون كمن زلت به الى الحضيض قدمه يريد ان يعربه فيعجمه.

جعلنا الله واياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



أدبيــــة مرويــــة



الحلقة الثانيـة

من أريـج اثنينيــة

عبــد المقصــود خوجــة

يرويهـــا الاستـــاذ احمـد المبـــارك

■ الرسائل من الصعب حفظها وهى غير الشعر فى التصاقه بالذاكرة مدة أطول ولعل القافية والوزن يساعدان على ذلك اضافة لمميزات الشعر الأخرى.

وتصادف أن دارت رسائل بينى وبين الاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام . . وهى من القليل الذى أحفظه.

■ لقيت الدكتور عبد الوهاب عزام فى حفلة دعا إليها بعض إخواننا الذين قدموا للتعلم من الهند وفى تلك الحفلة رأيت أن ألبس الملابس العربية فلفتت نظر الدكتور عبد الحميد العبادى والدكتور عبد الوهاب عزام وبعض الاساتذة الموجودين فى هذا الاحتفال وأخذوا يوجهون لى بعض الأسئلة . . وأخرج لى الاستاذ عبد الوهاب عزام ـ وكنت فى ذلك الوقت فى الدراسة الثانوية لم أصل بعد الى الجامعة ـ (كرتاً) وقال لى أرجو أن تكون على اتصال بنا . . وأنا أحب الأدباء وأحب الاتصال بهم وأعجب بهم لذلك كانت هذه الدعوة مفتاحاً لى فاتصلت به وزاد الاتصال واستمر . . وكنت قد جعلت من بعض الأعياد فرصة لمعايدة الدكتور عبد الوهاب عزام . . واتجهت الى منزله وكان الجو ماطراً . . وألجانى المطر الى الدخول فى بيت بعض الفلاحين من آل عزام . . وأعطيت أحدهم ورقة ليدخلها للدكتور عبد الوهاب عزام بقصد زيارته . . فغاب عنى الرجل مدة، ثم جاء وجلس مكانه ولم يقل لى شيئاً.

فسألته ان كان قد سلم ورقتى للدكتور عزام فرد على بعبارة الفلاحين (البيه عنده شوية زكام) . . فسألته : ألم يقل لك أى شىء؟؟ فعزّت علىّ نفسى، وكنت حينها فى عنفوان الشباب ـ وتعرفون فوران الشباب وهو لا يخفى

اتـــرسلفت

سالينا العجـــاب


د. عبد الوهاب عزام — أحمد المبارك

عليكم ـ فخرجت من عنده لا أبصر الطريق.. وحدثت نفسي لماذا أنا أتعنّى واجتهد وهو لا يكلف نفسه أن يخبرني بشيء.. وقلت في نفسي سأرد عليه وتكون الخاتمة ولا اتصل به ابدا..

فعدت الى البيت وكنت جائعاً ولم آكل وصليت ثم نمت وبعد ان استيقظت كتبت له رسالة ووضعتها في البريد، كتابة من لا يريد المعرفة معه. لكن الرجل كان نبيلاً حقاً. فهو كتب لي رداً ولم يعرف عنواني فما زال يبحث حتى وجد من يدله عليّ فأعطاه الخطاب ووصلني. ولما وصلتني رسالته ندمت أني قد كتبت له تلك الرسالة الشديدة وقلت: إنّا لله وإنا إليه راجعون.. كيف اقابل الرجل؟.

وحدثته هاتفياً فقلت له: يا دكتور أنت أخجلتني.. وقال لي: إن لم تزرني فسأزورك، فقلت له: أنا سازورك.

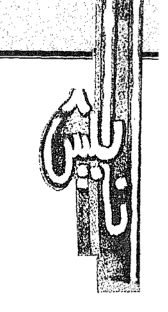
وذهبت إليه ولما دخلت الحديقة سألت عنه فقال لي الحارس هو غير موجود.. فقلت: هل أوصاك بشيء؟ قال لا.. فقلت شكرا..

فاذا بي أصادفه عند الباب وهو داخل.. فقال: يا أخي أنا بعد اتصالي بك في الهاتف تذكرت ان اخي شمس الدين نجح في الانتخابات وعمي عبد الرحمن باشا عزام يقيم له حفلاً في حلوان وحسبت أنك تأتي في الرابعة عصرا.. وجاء الغداء متأخراً وفي ذاكرتي موعدي معك فقمت قبل اكمال غدائي حتى إن علي باشا ماهر وكان رئيس مجلس الوزراء قال لشمس الدين أخي الذي نجح في الانتخابات قال له: يا شمس الدين أنظر أخاك عبد الوهاب لم يكمل أكله وقام لانه (غيران) منك لأنك نجحت في الانتخابات.

وكنت أخشى من خطاب آخر.. أما ما قلته من أنك انزعجت عندما جئتني في المرة السابقة فاني أفتخر واعتز واود أن يكون عند شبابنا الاعتزاز بالكرامة لأننا إذا اعتززنا بالكرامة فسيكون لنا شأن طيب.

والآن اسمعكم الرسالة التي كتبتها للدكتور عزام:

(حضرة الاستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام ـ بعد التحية والاجلال ـ لعله من دواعي الأسف أن احتاج الى إنابة قلمي عن قدمي في سبيل السعي اليكم والمثول لدى شخصكم المحبوب. ولكن دعاني الى ذلك ما نالني في رحابكم من الذلة والامتهان. فقد توجهت إليك أمس والأرض خاشعة والغيوم مطبقة والسماء واكفة ترسل بين الفينة والفينة من المطر الرذاذ ما يبل الثياب ويندى الطرق.. بدافع من الحب والاخلاص لحضرتكم، ناسياً أو متناسيا ما تشعر به من الفرق بيني



إذا ما أتت من صاحب لك زلة
فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وبينك فى المقام والسن والبيئة . . بل أسرفت فى هذا النسيان حتى ظننت انك ستكبر في هذه الروح التى جشمتنى الصعاب حتى وصلت إلى دارك خصوصاً وأنا أعلم انك عربى وابن عربى ـ ولكن سرعان ما سقط فى يدى وتولتنى الدهشة والخجل حينما برزت لى الحقيقة باجلى بيان وأوضح برهان حينما عاد إليّ خادمكم وقد نكس رأسه وأرخى طرفه قائلاً فى خفوض (البيك عنده شوية زكام).

لقد دارت الأرض بى ودرت بعينى فى من حولى من خدمك وحشمك فادركت شناعة ما حل بى من المسكنة والصغار:

وإنك لن ترى طرداً لحرٍّ
كإلصاق به طرد الهوام

الا أنى أرى من الانصاف لك أن أعذرك فى استغراب قدومى فى مثل تلك الساعة . . ولكن لا أجد حرجاً فى العتب عليك على احتجابك عن مقابلتى بعد ان كلفت نفسى عناء السفر اليك والقصد الى بابك حتى صارت لى حرمة الضيف وذمام المستجير فعبثت بهذه الحرمة واستخففت بالذمام وهبنى ثقلت عليك فى تلك الساعة ألست تعلم يا عزام أن العرب تقول (لا مروءة الا بصبر) أترضى يا عزام أن تكون خلواً من المروءة وأنت من عرف بطيب الشيم وكرم الخلال . . ومع هذا كله أقسم لك بالله أن حبك ثابت بين جوانحى وان الاعجاب بأدبك وفنك لا يزال يحتل المكانة السامية من نفسى ولكن أجدنى مضطراً الى حرمان نفسى حظها من منادااتك ومجالستك . . لأننى من قوم لا يغضون للضيم ولا يخلدون للامتهان ويأبون لكرامتهم أن تخدش ولعزتهم أن تهان .



وسلام عليك لازلت متقلباً فى النعماء لابساً رداء العزة والعافية منتقلا من رتبة الى أعلى واسمى وارفع . . والسلام .

■ واليكم رد الدكتور عزام الرقيق اللطيف يقول فى رسالته :

يا أخانا المبارك سلام عليك .

ساستغفر لك ربى (جعلنى مثل أبى ابراهيم) عجلت الى تهمة أخيك وكان حق الاخوة يقضى بالتثبت قبل الفضاء فقد كنت عند تشريفك لى مريضاً على سرير المرض ولكن عندنا خادماً غبياً أحمق . . أمرته أن يدعوك الى حجرة الضيوف وان يخبرك ان أخى حاضر للقائك فطوى ذلك كله وفعل ما هو أليق بغباوته وحمقه ، وهو حديث عهد بدارنا وسأخرجه منها ان شاء الله .

وبعد ذلك ، فارجو ان تشرفنى كما شرفتنى من قبل أو ان تضرب لى موعداً فى أى مكان شئت . . ومع هذا كله فلا تنس قول الذى يقول :

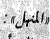
إذا ما أتت من صاحب لك زلة
فكن انت محتالاً لزلته عذرا

وسلام عليك . .



توظيف الموروث الشعبي

عبد العزيز مشرى



«المنهل» :

■ الى أى مدى يستطيع القاص عبد العزيز مشرى توظيف الموروث الشعبى فى قصصه؟ .

● نحن لم نأت من فراغ، ولا نتجه الى فراغ، لقد جئنا من واقع مجتمع له خصائصه التى جعلت منه مع اجترار الأيام خصائص وسمات، يمكن من خلالها وبها تحديد معالم وخصوصية جذورية لها هويتها، ولها عمقها المختزن مع تراكم السنين.

تشكلت تلك المعالم التى أعطته خصوصيته من كل مفاهيمه وسلوكياته، التى أصبحت بعد ذلك هى موروثه الطويل والعميق.

ولا يمكننا إذا وعينا أهمية هذا العمق أن نمر عليه مرور الكرام، أو نتجاهله بدعوى العصرية أو التجاوز، أو ما يسميه البعض بالتحضر، ذلك أننا حينها نلقى به خلف مسيرتنا، فاننا ننبذ انتماءنا لانسان وطننا الذى تربى وتغذى عبر مسيرة طويلة من الحياة وصراعها مع الطبيعة وتشربه لمبادىء الدين والعادات والنظم التقليدية وغير ذلك من التكوينات البيولوجية التى تصالحت مع هذه التكوينات، فغدت بإنسانها نحو تلخيص سمة خاصة به. وهذا ما نجده فى كل مناطق العالم.. حيث ان لكل جغرافية تستوطنها بشرية اجتماعية ما.. نظمها وعاداتها وتقاليدها.. وبالطبع، فإننا جئنا نتاجاً طبيعيا لتلك المكونات الخاصة بنا، وبهذا كان علينا أن نعبر عن تغلغلها فى نبضنا، وأيام عمرنا أينما عشنا.

لقد اندفعت تلك الموروثات فى محابر القلم، وراحت تغذى سطور ما أكتبه من قصص وروايات، بل إنها تدخل فى كل دلالة ومسمى، إننى أعيش فى عصر جديد فى كل معطياته العلمية والفكرية والفنية ولكن لا يمكننى اعتبار هذه المحصلة آتية من هباء، وإذا كانت الأمم والشعوب تفخر بإنتماءاتها وتقدم إنسانها وتآلف جماعاتها فإن هذا بفضل معرفتها لذاتها وتأصل خصوصيتها.

وتدخل مياه الموروث الشعبى فى تفاصيل ما اكتبه دون أن أستعيرها أو اتقدم لاستضافتها لأنها تندلق بحميمية وحب على أنفاسى فى كل كلمة أكتبها.

لقد سافرت من قريتى منذ ما يزيد عن سبعة عشر عاماً، وانغمرت فى طاحونة الحياة المدنية، ورحت الهث مع اللاهثين فى إيقاعها الذى يمحو تلك البراءة الطبيعية ذات السمات الانسانية التى تربيت عليها، ورحت أكتب من دهاليز المغترب المثقف الذى يراقب الناس من ثقب صغير يطل فيه الى العالم ثم ما لبثت أن وجدتنى متصنعاً ومتقمصاً بقمص الآخرين.. وجدتنى أعبر عن القهر النافر من كل الأشياء، ووجدتنى أحن الى ذلك النهر الحميم الذى غذانى فى طفولتى وصباى بين أهلى وناسى.. أولئك الناس الذين صنعوا منى إنساناً بقيمى وسماتى وهويتى، ورأيت أن هؤلاء القوم ليسوا ولادة لحظة عصرية، بل هم إمتداد لجذر تاريخى بعيد وموروث شعبى عميق، لا استطيع الانفصال عنه.

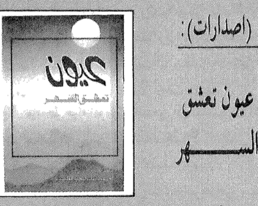
وحاولت أن ألوى سن القلم لأكتب عن مباهج المدينة ونيونها واسفلتها، فما استطعت.. لم استطع ان اتعاطف كثيرا مع تلك الآلة الطاحنة لكل بنى الانسان، فكنت

أعيش فيها وليس معها . . فكتاباتي القصصية والروائية لا تنمو ولا تترعرع في داخلي إلا بواقع الحياة الشعبية وموروثها بكل التفاصيل التي عشتها والتي عرفتها وتعلمتها .

لا استطيع الكتابة عن أشياء لا أعرفها، ولا تربطني بها حميمية أو تجاوب ما . . لذا كان من الطبيعي أن يكون الموروث الشعبي هو الجوهر الثرى الحقيقي الذى أنا منه وفيه ومنه وإليه يكون حوار كتاباتي .

(اصدارات):

عيون تعشق السهر



■ الشاعر أحمد سالم باعطب شعره له طعمه ولونه وله نكهته الخاصة يتلون بأحاسيس نفسه وخوالج وجدانه . . صدر له ديوان (عيون تعشق السهر) ويقول عنه في كلمة الغلاف :

العيون التي تمزق بنظراتها حجب الأيام لتعانق أحلامها الراقصة على ضفاف الحقيقة . . والعيون التي زرع الأمل السهد سلماً لنجاحها، وتطمح أن يبتسم لها، ويقبلها على جبينها قبلة الإكبار . . والعيون التي سكب النصر في آماقها شهده، وترك رايته تعزف بين أجفانها أروع أناشيده . . والعيون التي تتوق الى حبيب طبع على أحداقها صورته، وجعل من أهدابها أرجوحته . . والعيون التي تتطلع الى الغد الباسم بزهوره المتفتحة، وعطوره المتدفقة، وهو يفتح ذراعيه لاحتضانها كلها في عالم الحب والسعادة .

عيون بالمنى سكرت . . . عيون تعشق السهرا

محاولة إعادة كت

المنهل :

«التاريخ الاسلامي دخل فيه كثير من الغلط واللقط والخلط من كثير من الكتاب اصحاب الغرض والتشويه» .

** ما مدى صحة هذه المقولة في وجهة نظركم . . ؟*

** وهل ترى ضرورة اعادة كتابة التاريخ الاسلامي بمنظور جديد . ؟ . وما رؤيتكم لهذا المنظور؟ .*

■ ان التاريخ الاسلامي ظهر فيه الكثير من الدس والتشويه والتزوير والخلط من كثير من الكتاب اصحاب الغرض والتشويه وذلك من خلال اتجاهين .

(١) الرواة الشعوبيون :

لقد قام رواة الشعوبية بدور كبير وخبيث وعن قصد لتشويه التاريخ العربي ، وحقائقه وابتدعوا من الروايات الاسطورية والكاذبة للطعن برموز التاريخ العربي ورجاله وقادته ، حيث استهدف دس الرواة الشعوبيين والزنادقة التاريخ العربي من خلال اتجاهين .

أ ـ الدس الشعوبي على مصادر دوران ذلك التاريخ .

لقد ابتدعت الروايات الشعوبية الاسانيد ودست بها على التاريخ العربي ، واستهدفت تلك الاسانيد المبتدعة كاغراض ومسالك نفذت من خلالها رواياتها الكاذبة والمزورة والمشوهة لحقائق التاريخ .

ب ـ الدس الشعوبي على قادة التاريخ العربي .

كما استهدف الدس الشعوبي قادة التاريخ العربي من خلال تشويه تاريخ الامة العربية عبر مراحله المختلفة ، حيث استهدف الدس الشعوبي السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين وتاريخ الخلافتين (الاموية والعباسية) كما طعنت الحركة الشعوبية بقادة الامة ورموزها عبر التاريخ واستهدفت قيم الامة ومبادئها وتاريخها عبر الزمن .

...ابة التاريخ

(٢) المستشرقون :

لقد قام المستشرقون بدور كبير فى تشويه كثير من حقائق التاريخ العربى من خلال الترويج لروايات الشعوبية ومن خلال تفسير التاريخ العربى من خلال وجهة نظرهم ولذلك طبقوا ما كان سائدا فى بلدانهم من افكار غريبة بعيدة عن روح التاريخ العربى وحقائقه، كما استهدفوا الطعن بالاسلام وقادته وبالامة ورجالها، فى محاولة مقصودة لتشويه صورة العرب والمسلمين.

■ **ضرورة اعادة كتابة التاريخ الاسلامى :**

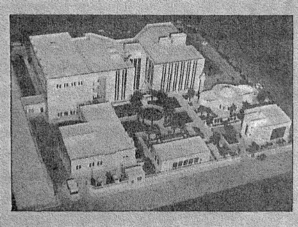
ان هناك ضرورة ملحة وماسة جدا من اجل اعادة كتابة هذا التاريخ كتابة عربية اسلامية اصيلة نابعة من قيم ومبادىء الامة التى بنى بها ومن خلالها التاريخ العربى وان الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب وضعت أسساً واضحة من خلال الهيئة العربية لإعادة كتابة تاريخ الامة لتتولى مهمة اعادة النظر فى كتابة هذا التاريخ، من منطلق عربى اسلامى.

د. مصطفى عبد القادر النجار

ربع سكان العالم مسلمون

فى تصريح للديموغرافيين الأمريكان ورد أن عدد سكان المسلمين فى العالم قد يتضاعف فيرتفع من ١٨ الى ٢٥ فى المئة من سكان العالم وذلك خلال الفترة القادمة حتى العام ٢٠٢٠.

وأفادت تقديرات الباحثين أن المسلمين فى العالم حالياً يعدون ٩٨٠ مليون مسلم من أصل ٥ر٢ مليارات نسمة.. وأندونيسيا وحدها تضم أضخم مجموعة اسلامية إذ المسلمون فيها حوالى ١٥٠ مليوناً. وحسب التوقعات ففى العام ٢٠٢٠ سوف يرتفع عدد سكان العالم الى ٨ر٦ مليارات نسمة بينهم ٩ر١ مليار مسلم.



اليمامة وفتح إعلامى جديد

■ احتفلت مؤسسة اليمامة فى الشهر الماضى بتوقيع عقد انشاء المبنى الجديد لمقر المؤسسة الذى يقع جنوب نادى الشباب على امتداد طريق مكة المكرمة فى شمال الرياض.

وسيضم المبنى الأجهزة الرئيسية للمؤسسة وهى الادارة العامة وجريدة الرياض وجريدة الرياض ديلى ومجلة اليمامة وكافة الأجهزة المساندة من مطابع ومركز معلومات واقسام فنية.

وقد وقع العقد نيابة عن المؤسسة سعادة رئيس مجلس الادارة الاستاذ محمد بن صالح بن سلطان، كما وقعه نيابة عن الشركة العقارية السعودية - التى ستتولى التنفيذ - رئيس مجلس الادارة الاستاذ محمد العميل.

إنها مكرمة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حرصا منه - حفظه الله - على رعاية الصحافة والصحفيين وشمول المؤسسات الصحفية بالنهضة الحضارية الكبرى التى تعم جميع مرافق النمو على كل اصعدتها سواء منها الحكومية او الاهلية برعاية وتوجيه رائد المسيرة الذى يحرص دوما على ان يشمل النمو والتطور الحضارى كل مجالات البناء والعمل فى هذه البلاد بكافة عناصره البشرية والاقتصادية.

وقد وضع صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض ورئيس اللجنة العليا لتطوير مدينة الرياض حجر الاساس لمؤسسة اليمامة الصحفية.. وسموه يقف دوما مع كل ما يخدم العمل الصحفى والعاملين فى الصحافة ويساهم فى تطور المؤسسات الصحفية فى اطار التطور الحضارى العملاق الذى بلغته مدينة الرياض.

متابعات

تعقيب حول قضية الشهر:

بين الهجري والميلادي

الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصارى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لقد قرأت باهتمام ما نشر فى العدد ٤٦٨ من السنة ٥٥ من مجلتنا المحبوبة (المنهل) الصادر فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٠٩هـ يناير سنة ١٩٨٩م تحت عنوان (قضية الشهر بين الهجرى والميلادى ـ دعونا نحاول).

وأبدأ بتوجيه الشكر اليكم والى الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصارى على إثارة هذا الموضوع المهم ـ والى الاساتذة الكرام الذين شاركوا فى الحوار حوله.

ثم أرجو أن تسمحوا لى بإبداء رأيى المتواضع فى هذا الشأن مع اقتراح أضيفه إلى ما أثاره الاستاذ الدكتور الانصارى:

■ إنى أؤيد الاخوة الكرام فى الدعوة الى استعمال التاريخ الهجرى فى جميع معاملاتنا اليومية فى حقول التجارة والعلاقات الشخصية والعامة وفى المجالات الفكرية من أدب وتاريخ وغيره وفى التأريخ للحوادث التى وقعت قبل الهجرة أيضا، وأرى الالتزام بذلك بدقة فى ما يتعلق بالتاريخ العربى الاسلامى والشخصيات العربية الاسلامية.

ولا أرى بأسا فى أن يوضع التاريخ الميلادى بعد التاريخ الهجرى وبخاصة إذا كان ما يكتب موجها الى غير العرب والمسلمين أو مما يحتمل ان يطلعوا عليه.

وقد لفت نظرى قول أحد الاساتذة الكرام المشاركين فى الحوار وهو الدكتور «احمد شلبى».. أما اتجاه الدكتور الانصارى للقول بأن ميلاد المسيح عليه السلام كان فى نهاية القرن السابع قبل الهجرة وأن موسى عليه السلام كان فى القرن الثامن عشر قبل الهجرة فذلك شىء تقريبى يتخذ القرن أساسا له بدل أن يتخذ السنة أو اليوم، فإذا واجهنا التاريخ بتواريخ محددة مثل أن دولة سبأ بدأت سنة ٩٥٥ ق.م واستمرت حتى سنة ١١٥ ق.م فماذا أقول لطلابى؟ هل أترك هذا التحديد لأقول إن دولة سبأ بدأت فى القرن السادس عشر قبل الهجرة، أى ان الناس يحددون بالعام وأنا أتجه للقرن؟ هذا مستحيل،

ومع تقديرى لوجهة نظر الدكتور وحرصه على الدقة فى تحديد التاريخ فإنى أقول:

١ ـ إن تحديد العام قبل الهجرى الذى يقابل العام الميلادى أو قبل الميلادى ممكن باجراء عملية حسابية بقسمة عدد أيام السنوات الشمسية على عدد أيام السنوات القمرية. بل إن فى الامكان تحديد تاريخ اليوم والشهر، وبالامكان ان تقوم مؤسسة ذات اختصاص بالحاسب الآلى باعداد آله حاسبة تبين التاريخ باليوم وبالشهر وبالسنة حسب التقويم الشمسى الميلادى والقمرى الهجرى، ولدى شخصيا آلة حاسبة جيبيّة تبين التاريخين من سنة ١٠٠٠ الى سنة ٢٠٠٠ للهجرة ويمكن تطوير هذه الآلة لتحسب التاريخين منذ الفى سنة أو اكثر قبل الهجرة الى خمسة آلاف سنة او اكثر بعد الهجرة.

٢ ـ انه اذا تعذر ذكر التاريخ قبل الهجرى فيمكن الاشارة إليه بالقرن الى أن يتيسر تحديده بالسنة.

■ وإضافة الى ما أثير فى البحث أود إثارة قضية أخرى هى:

● لماذا لا نتفق على أسماء عربية للشهور الشمسية بدلا من الاسماء الحالية؟

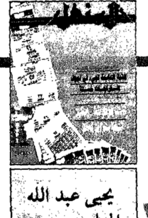
ولإيضاح الفكرة أقول إننا فى الوقت الحاضر نستخدم أسماء متعددة للأشهر الشمسية على النحو التالى:

١ ـ نستخدم الاشهر الافرنجية وتختلف تسميتنا لها فى بعض الاقطار العربية عنها فى الأقطار الأخرى فهى فى مصر ومن سار على طريقتها فى التقريب: يناير ـ فبراير ـ مارس ـ ابريل... الخ وهى فى دولة المغرب العربى ـ جنوفر ـ فبرور ـ مارش ـ افريل... الخ.

٢ ـ تستخدم الاشهر السريانية فى بعض الاقطار العربية وهى تبدأ بشهر كانون الثانى (يا للعجب ان تبدأ السنة بالشهر الثانى) شباط ـ آذار. الخ وهى أسماء غيرعربية وان كانت معربة.

٣ ـ تستخدم أيضا الأشهر الدالة على البروج مثل: الحمل ـ الثور ـ الجوزاء ـ السرطان ـ وهى اسماء عربية ولكنها تدل على حيوانات ـ وجمادات وارتبطت ببعض اساليب الدجل كالتنجيم وادعاء السحر وما الى ذلك.

٤ ـ تستخدم أسماء الأنواء مثل: نوء النثره، ونوء الطرفة، ونوء





الجبهة ونوء الزيرة.. الخ.

٥ ـ تستخدم اسماء اخرى مثل: الكلبين وسهيل والوسم. الخ.

٦ ـ انفردت دولة عربية بإحداث أسماء تقابل الشهور الأفرنجية مثل: الناصر والفاتح والنار والنور وما الى ذلك كما انفردت بجعل تاريخ وفاة النبي ﴿ﷺ﴾ بداية للتاريخ الهجرى الشمسى.

٧ ـ يستخدم المصريون الأشهر الفرعونية القديمة ويبنون عليها حساب مواعيد الرى والفلاحة.

وازاء هذا التفرق والتعدد فإنى أقترح أن تجتمع لجنة خاصة تنبثق عن جامعة الدول العربية او منظمة المؤتمر الاسلامى فتضع اسماء للشهور الهجرية الشمسية وتراعى فيها ما يلى:

أولا: اختيار اسماء ذات دلالات تاريخية لها تقدير عند العرب المسلمين، كأن يسمى الشهر الذى وقعت فيه الهجرة (حسب التقويم الشمسى الميلادى) شهر الهجرة، والشهر الذى ولد فيه النبى ﴿ﷺ﴾ شهر الميلاد، والشهر الذى وقعت فيه غزوة بدر الكبرى شهر بدر، والشهر الذى وقع فيه فتح مكة شهر الفتح وهلم جرا.

ثانيا: أن تكون بداية الشهور متفقة مع بدايات الفصول فلا داعى لأن يكون بداية فصل الشتاء مثلا ٢٢ ديسمبر مع ان هذا التاريخ هو فى الواقع منتصف فصل الشتاء لأنه ينتهى فيه طول الليل وقصر النهار ولا داعى لأن يكون بداية فصل الربيع يوم ٢١ مارس مع أن هذا اليوم هو منتصف فصل الربيع، ولا داعى أيضا لان يكون بدء فصل الصيف يوم ٢٢ يونيه لأن هذا التاريخ هو يوم تعامد الشمس على خط الاستواء أى انه اليوم الذى يتساوى فيه طول الليل وطول النهار وتبدأ بعده زيادة طول الليل وقصر النهار وهو أوج الصيف ومنتصفه. ولا داعى لأن يكون بدء فصل الخريف يوم ٢٣ سبتمبر.

■ انى ارجو ان تكون هذه القضية محل النقاش والتعليق وابداء الرأى من المختصين حتى تدرس من جميع جوانبها وتتبلور فى شكل قابل للتنفيذ فقد آن لنا أن نتحرر من التبعية للغرب وآن لنا أن تكون لنا الشخصية القيادية المؤثرة فى العالم.

قضية الشهر

التاريخ الهجرى .. والميلادى

عدنان أسعد

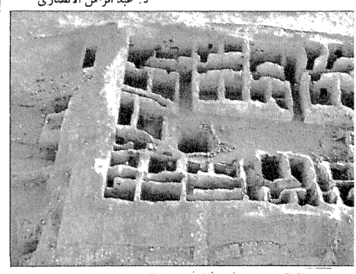
من يوم هجرته رسولُ
الله قد بدأ المثولُ
كلُّ المواسم هاهنا
هجريّة فلِمَ النُّكولُ؟
الصّومُ والعيدان عيدُ
الفطر والأضحى شمولُ
والحجُّ هجريُّ الشهور
بلا تزيُّدٍ أو فُضولُ
كلُّ الوقائع والمغازى
أرخت ليل الرّحيل
هجريّةٌ من بدء هجر
ته وإقبال الرسولْ
فلم العُدولُ عن الطريف
إلى التّليد لِمَ العُدولُ؟
والدّين جب بهجرة
ما قبله وبلا غُلولْ
وإذا المؤرخُ للقديم
من الحوادث والفُصولْ
من قبل هجرته ليشرب
حيثُ قوبل بالقَبولْ
أفضى الى الميلاد فى
تأريخه يرجو السّبيل
قرنَ السنين بأختها
والقصدُ تحريرُ العُقولْ

إكتشافات أثرية

الفــــــاو

وآثار حضارة مرموقة

د. عبد الرحمن الأنصارى



لقطة جوية لاحد أسواق الفاو الاثرية

حفريات جديدة لبعثة التنقيب بقرية «الفاو» توصلت الى اكتشاف ٨٠ بئراً جوفية فى الجهة الجنوبية من المنطقة السكانية بالقرية ـ وقطر كل بئر لا يقل عن مترين ويصل الى خمسة أمتار.

هذا ما صرح به الدكتور عبد الرحمن الانصارى عميد كلية الآداب بجامعة الملك سعود والذى يرأس البعثة كما أوضح أنه تم اكتشاف ثمانى وحدات سكنية جديدة فى المنطقة السكنية بالقرية وعدد من قطع العملة المتداولة والتى تعود الى القرنين الثانى والثالث الميلاديين والكتابات القديمة.

وأكد أن هذه الاكتشافات هى تعزيز للمعلومات السابقة التى تشير الى وجود نشاط زراعى لسكان القرية على مساحة تقدر بحوالى كيلو مترين مربعين.. كما أن الكتابات المكتشفة قدمت معلومات جديدة عن الحياة الدينية فى القرية.

اقرأ

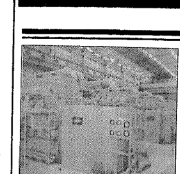
معمل للانجليزية فى مكة

أوضح الاستاذ عبد العزيز الاحمدى أن معمل اللغة الانجليزية بمقر الخدمة الاجتماعية فى مكة المكرمة قد أنهى كل تجهيزاته كما أشار الى ان المركز انتهى من إعداد المنهج العلمى والآن يتم فرز طلبات القبول بالنسبة للهيئة التدريسية كما ستخصص دورتان احداهما صباحية للرجال والأخرى مسائية للنساء.. ومما يذكر أن التكلفة بلغت ١٤٣ ألف ريال سعودى.

فك لغز (الحدس)

على حين باءت محاولات مشاهير الرياضيين فى العالم ـ وعلى مدى قرن كامل ـ بالفشل إزاء حل إحدى مسائل الرياضيات المهمة والمعروفة علمياً باسم (حدس بوانكاريه) والذى له انعكاساته فى العلوم التطبيقية بشكل عام وفى النظرية النسبية بشكل خاص.. وهو أحد أهم وأعمق ثلاث مسائل رياضية لم تحل حتى الآن استطاع احد الباحثين السعوديين فى حقل الرياضيات حل هذا اللغز ـ الباحث هو الدكتور شريف شموخ عضو هيئة التدريس بقسم الرياضيات جامعة الملك سعود الذى أمضى قرابة عامين فى حله بدعم من مركز البحوث بالكلية وقد صرح الدكتور شموخ معلقاً على الأسباب التى دفعته لمحاولة هذه المسائل الرياضية الصعبة بقوله إننا كمسلمين رغم اننا نمثل نسبة عالية من سكان العالم إلا أن اسهامنا فى حقل الرياضيات لا يتناسب مع حجمنا ـ وأن الاحساس الى العمل بدأب ومحاولة الاسهام الفعال فى مجال التخصص كل ذلك دفعه لحل الحدس.

محطة البرى وقمة التقنية



محطة البرى بالقرب من الظهران أول محطة كهربائية من نوعها فى المملكة تعمل بواسطة التحكم عن بُعد . . تم تشغيلهـا . . والمحطـة أنشئت لخوض تجربـة التحكم فى التشغيـل والصيـانة عن بعد عن طريق احدث الأجهزة التقنيـة . . وستعم بمشيئـة الله مثل هذه المحطات بعد نجاح تجربة المحطة الاولى .



الاستاذ الأديب نبيه بن عبد القدوس الانصارى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تسلمت خطابكم فى ١٤٠٩/٦/١١هـ المرفق به نسخة من مجلة المنهل الغراء لشهر جمادى الآخرة .

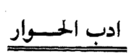
ويطيب لى أن أشكركم عميق الشكر على اهدائكم مجلتنا الحبيبة وأهنئكم بما وصلت إليه «المنهل» من تقدم ورقى زادكم الله سداداً وتوفيقاً ومزيداً من العطاء .

لقد سعدت بقراءة هذا السفر، حيث أضاف رصيدا من المعرفـة والمعلومـات المتنوعة . . أقدر لكم هذا الجهد الطيب وإننى إذ أشكركم وأثنى على جهودكم، أتمنى لكم دوام التقدم وخدمة العلم والمعرفة .

وتقبلوا موفور التحية

الأمين العام
لدارة الملك عبد العزيز
اخوكـــم
عبد الله بن حمد الحقيل

ادب الحـــوار





المنهل :

من مميــزات الشخصيــة الـواثقـة من علمهـا ومعرفتها . . الجادة فى ادائها . . الباحثة أبدا فى مجال موضوع الحوار . . ووصولا الى الأفضل . . تجد ان قضيـة (أدب الحـوار) يظل المحور الأسـاسي الذى يمثل الأسلوب الأمثل للطرح دائما .

وفى إطـار هذا الطـرح نسعد بسماع رأيكم فى القيمة الايجابية لـ «ادب الحوار» . . ؟ والى أى حد نجده فى ما هو مطروح فى ساحتنا الأدبية والعلمية . . ؟ .

يمثل الحوار بكل اشكاله والوانه مظهرا حضاريا رقيقا لسبب بسيط هو ان لغة العقل هى التى تسود وان منطق الفكر هو الذى يعلو كلما احتكم اليه الانسان .

وعندما يختلف المفكرون والمثقفون على وجه التحديد فى بلد ما ويختارون لغة غير موضوعية فى تناول قضاياهم . . فإن ذلك يعنى فساد هذا الرأى وضعف حجته وقصوره عن ادراك الحقائق وعجـزه عن الاقناع، والا فما الذى ننتظره من العامة اذا كان الصفـوة غير قادرين على الالتزام بلغة الحوار والامتثال لمنطق التفكير الجاد والموضوعى .

صحيـح ان المـواقف الفكرية تختلف من انسان لآخر . . وصحيح ان اوجه الرأى تتفاوت بين البشر لكن الاكثر صحة هو ان الحـوار الهادىء والملتزم يقود فى النهاية الى تقارب وجهات النظر وتبادلها والوصول الى محاور غاية فى الاهمية والانطلاق الى مواقف متشابهة بل ومتوافقة فى كثير من الاحيان .

ذلك ان العكس يبلور ظاهرة غريبة لا سيما اذا برزت هذه الظـاهرة من خلال قنوات النشر المختلفة لتجسد مستوى من التعصب فى الالتـزام بالـرأى وعـدم القبول بالرأى الاخر بل ورفضـه فى كل الاحـوال وما نتمناه هو ان نصل وظيفة الحوار واهدافه فى تطوير الفهم الانسانى للمشكلات وتوفير القواسم المشـتركـة العظمى للتفكيـر المـوحد بين البشر فى سبيل البقاء والعطاء المتميز به .

● د. هاشم عبده هاشم .
رئيس تحرير جريدة عكاظ

وفيات الاعيان :



الشيخ صالح عبد الرحمن قزاز

عن عمر يناهز التسعين . . انتقل الى رحمة الله تعالى الشيخ صالح عبد الرحمن قزاز الأمين العام السابق لرابطة العالم الاسلامى والمؤسس والمشرف على جماعة تحفيظ القرآن الكريم فى مكة المكرمة . . والشيخ صالح قزاز علم من أعلام الدعوة الاسلامية تشهد على ذلك وسائله المتعددة لنشر الدعوة وخدمة الاسلام والمسلمين وجهده المتواصل فى محاربة الطرق المعادية للاسلام . . كان عالما واسع الاطلاع قادراً على مقارعة الحجة بالحجة لا يمنعه عن قولة الحق لومة لائم أمضى نصف قرن فى خدمة الدعوة والمسلمين وقد ولد فى مدينة مكة المكرمة سنة ١٣٢١ للهجرة وترقى فى المناصب التالية :

● شغل منصب مدير مالية الطائف ثم عين مديرا لمالية مكة المكرمة ثم مديرا عاما مساعدا لأول ادارة للحج عام ١٣٦٥هـ، ثم مديراً للزراعة .

● تقديرا لجهوده وتفانيه فى اداء الواجب منحه الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه رتبة وزير مفوض .

● انتدب مديرا لمكتب عمارة المسجد النبوى الشريف وبعد اكماله انتدب مديرا لمكتب تعمير المسجد الحرام .

● عين وكيلا للأمين العام لرابطة العالم الاسلامى منذ تأسيسها عام ١٣٨١هـ .

● فى العام ١٣٩٢هـ اختير أمينا عاما للرابطة وقام بسلسلة من النشاطات التى عادت بالخير والمنفعة على الاسلام والمسلمين فى مختلف انحاء العالم .

اصدارات اصدارات اصدارات اصدارات

ندوات . قضايا . كتب

■ « **الخوف** » ديوان شعر للشاعر عبد الله محمد باشراحيل فى ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط . . قدم له الدكتور محمد مصطفى هدارة ويقول فيه : «هذا الديوان يمثل مرحلة ناضجة فى شعره وهو بمضامينه وقدراته التعبيرية يمثل الحداثة الحقيقية . . وشعر باشراحيل يسير على درب الانتماء العربى الذى يجمع بين الاصالة والمعاصرة» .

■ « **من جانب الطور**» ديوان شعر للشاعر شريف قاسم من القطع الصغير فى ١٧٠ صفحة صادر عن دار بيت القدس . . والديوان عبارة عن أناشيد وقصائد اسلامية

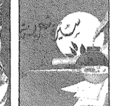
■ « **سيرة شعرية** » ديوان شعر للشاعر المقتدر المبدع الدكتور غازى القصيبى يقول فيه :

يمثل سيرتى الشعرية ويقف عند هذا الحد لا يكاد يتجاوزه، بمعنى أن الكتاب يتحدث عنى كشاعر فحسب، لا كتلميذ ولا كمدرس ولا كعميد كلية ولا كإدارى ولا كعضو فى مجلس الوزراء، ولا كسفير ولا كأب ولا كأخ ولا كزوج ولا كابن. وفى كل تجربة من هذه التجارب وكثير غيرها ما يكفى لكتابة مؤلَّف. ومنها فى مجموعها تتكون السيرة الذاتية الكاملة .

على أن فصل السيرة الشعرية عن السيرة الذاتية أمر بالغ الصعوبة ذلك أن الشعر لا يمثل سوى وجه واحد من







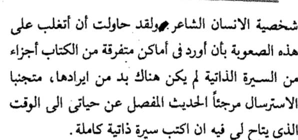








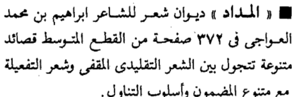


شخصية الانسان الشاعر. ولقد حاولت أن أتغلب على هذه الصعوبة بأن أورد فى أماكن متفرقة من الكتاب أجزاء من السيرة الذاتية لم يكن هناك بد من ايرادها، متجنبا الاسترسال مرجئاً الحديث المفصل عن حياتى الى الوقت الذى يتاح لى فيه ان اكتب سيرة ذاتية كاملة.

الكتاب من اصدارات تهامة.

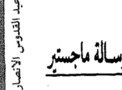
■ «لافتات على سياج الضوء» ديوان شعر من سبع عشرة قصيدة تضمها مئة وثلاثون صفحة للشاعر احمد الريهاوى.. والديوان على شعر التفعيلة والنمط الحديث فى تناول القصيدة من حيث تخير اللفظ والصياغة والمدلول.



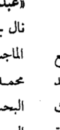
■ «المداد» ديوان شعر للشاعر ابراهيم بن محمد العواجى فى ٣٧٢ صفحة من القطع المتوسط قصائد متنوعة تتجول بين الشعر التقليدى المقفى وشعر التفعيلة مع متنوع المضمون وأسلوب التناول.

■ صدر عن دار ابن رشد للنشر والتوزيع فى عمان ديوان «حسن الفلسطينى وثورة الحجارة» للشاعرة عائشة خواجا الرازم يقع الديوان فى ١١٩ صفحة من القطع المتوسط.

ويعرض للانتفاضة الشعبية الفلسطينية وثورة الحجارة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، ويحتوى الديوان على ثلاث قصائد: «حسن الفلسطينى وثورة الحجارة» و«الفلسطينى محمود» و«من قلب الشيخ» صورت الشاعرة فى هذه القصائد الثلاث مشاعرها الوطنية الجياشة نحو تحرير فلسطين من الصهاينة الأوغاد.



رسالة ماجستير





عبد القدوس الأنصارى

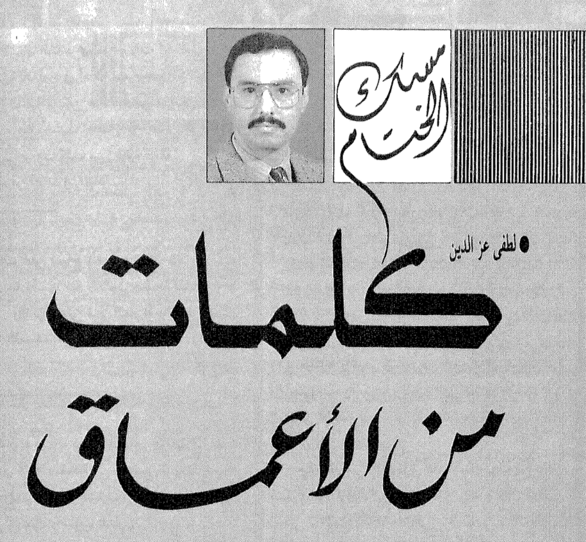
«عبد القدوس الانصارى.. حياته وأدبه».. دراسة نال بها الاستاذ نبيل بن عبد الرحمن المحيسن درجة الماجستير فى الأدب من كلية اللغة العربية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.. وأشرف على موضوع البحث الدكتور ابراهيم بن فوزان الفوزان.. واشتمل البحث على أربعة فصول أساسية هى:

(١) حياته وآثاره: وتناول فيه الباحث البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية التى عاشها الاستاذ عبد القدوس الانصارى.. كما تناول تعليمه وثقافته ونشاطاته الأدبية والفكرية والعلمية.

(٢) عبد القدوس الانصارى كاتبا: وتناول فيه فن المقال عند الانصارى بكل توجهاته وانواعه (المقال النقدى الادبى ـ الثقافى ـ الاجتماعى ـ السياسى ـ التاريخى ـ التعليمى ـ اللغوى ـ الاذاعى) كما تناول هذا الفصل ايضا: فن القصة عند الانصارى ـ أدب الرحلات والتراجم والسير.. ودرس كل ذلك من حيث: الاسلوب ومن حيث الافكار والمعانى.

(٣) عبد القدوس الانصارى شاعراً: وتناول فيه آثاره الشعرية والاغراض الشعرية عنده من وصف وتأمل وحكمة.. وشعر سياسى واجتماعى ووطنى ودينى.. ثم درس الخصائص الفنية فى شعره من حيث الشكل والأسلوب والمعانى.

(٤) أما الفصل الأخير من الدراسة فقد تناول فيه آراء بعض النقاد فى آثار الأنصارى.



كلمات من الأعماق

● لطفى عز الدين

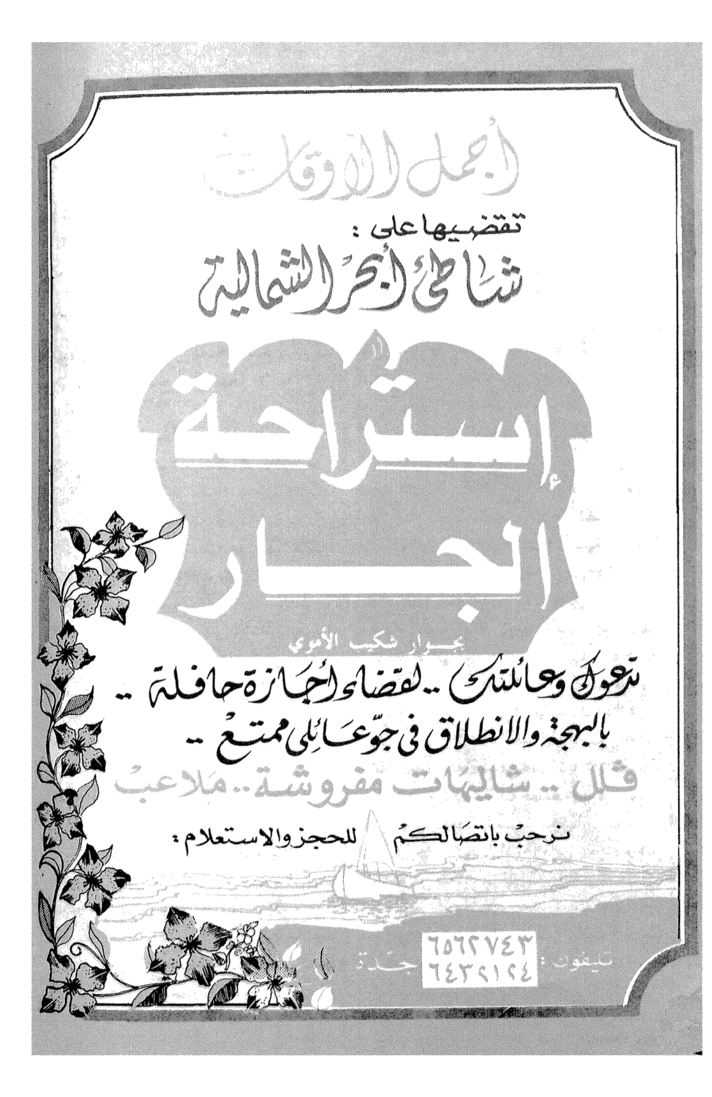
■ أحيانا ينتاب الانسان وخاصة الأديب، إحساس غريب بأنه وقف على عتبة النهاية، تخامره هواجس ويدور بخلده خضم من المشاعر والتوقعات، وجملة من التصورات والتطلعات لتتعقد نفسيته إلى درجة الاختناق، وسرعان ما تتبدل الظروف فيميل الى الانفتاح الى ما فى هذا الكون العجيب من أسرار يجابهها ويحسبها تتنوع أساليب التعبير عما يبحث فى نفسه فيخوض فى كتابة المذكرات والمقالات المسلسلة المسهبة، وركوب كل وسيلة من وسائل التعبير تعطى مدلولا متباينا، حول الكيفية التى يتكيف بها الانسان الأديب مع الحياة، ذلك أن مثله مثل شمعة تحترق لتنير الطريق أمام الآخرين، وإذا أصبح الأديب المعاصر يعايش ظروفاً متناقضة فهو يتأرجح بين الشك واليقين فيما تمليه عليه مواهبه وقرائحه وميوله الأدبية ونتيجة لهذا يسرى فى أعماقه مركّب الشعور بالانهزام ويعترى حركته الانتاجية وطاقته الإبداعية الفشل والشلل، وهذا الشعور السلبى يؤدى الى الركود والانطواء بل الى الانفصال عن مبدأ الالتزام، وقبل الاستسلام الى التشاؤم يتدرج مرحليا عبر صعيد متشعب من التفكير الجاف.

■ ولهذه الحالات من الصراع النفسي والجفاف الفكرى بواعثها وأسبابها المباشرة وغير المباشرة، وفى هذه المرحلة المتميزة بالانفعال، يتحول الشعور الذاتى عند الأديب الى الشك فى قدرته الابداعية وعدم الثقة بنفسه، ويهتز مستوى الاستنباط والادراك لديه، وفى هذه الحالة من الصراع يصبح وكأنه فقد توازنه الفكرى وأصبح معتلا نتيجة الاجهاد الذى يقابله السلب.

ولنا أن نتساءل لماذا نرى بعض الأدباء سقطت الأقلام من بين أناملهم؟ أمردّ ذلك كما يعتقد البعض الى السذاجة وانعدام النضج؟ كلا بل مرد ذلك يعزى الى روح الاحتكار التى سادت باستيلاء ذوى الأغراض والمصالح الشخصية على أهم الأجهزة الكفيلة بتنشيط الأدب والأدباء وتحريك الأقلام نحو خلق نهضة فكرية وثقافية متكاملة.

■ إن الجمود الذى يلاحظ على المشتغلين بصياغة الكلمة فى اعتقادى يقع وزره على كاهل الظروف التى تفرش الطرق التى يسلكها الأديب الكاتب بالأشواك ويتضح لنا ذلك بجلاء عند وضعنا الاصبع على تراجم بعض الأدباء والكتاب ولو على سبيل الدلالة والتحرى حول جوهر القصد، ولقد كانت الأزمة قديماً تشمل الشرق والغرب إلا أننا بدأنا نلاحظ أن العنصر الغربى أخذ يتحرر من الأزمة، بفضل ما وصلت إليه وسائل الاعلام وتحريك الانتاج الأدبى من تطور وتقدم حيث ان أمهات الصحف والمجلات وحركة الطباعة الناشطة، أخذت تغدق على الأقلام أنواعاً من التشجيع، نتيجة ما تتلقاه هذه الأجهزة من تشجيع محسوس وإقبال مرموق يتمثلان فى جماهير القراء الذين يتضاعف إحساسهم بأهمية الاطلاع وازدادت لهفتهم على ما تنتجه القرائح. وانطلاقا من هذا التجاوب يصبح من المستحيل أن يتسرب الركود الى الاجتهادات المتناقضة من أجل استمرارية الخلق والتجديد فى دنيا الفكر والنشاط الثقافى العام.

■ لا يعنى هذا الكلام تغاضيا عن الدور الحيوى الذى أصبح الاعلام العربى يؤديه بقدر ما يعنى محاولة إماطة اللثام عن الامكانات المسخرة لهذا الجانب، ودراسة الأطر المشرفة على تحريك دواليب هذا العمل الهام ومعرفة الفلسفة التى ستتحكم فى توجيه النشاط الاعلامى واستنباط ما تتميز به من خصائص السلب والايجاب، ولعل النظر للمسألة من هذه الزاوية يمكن من استيعاب ما يكتنف هذا المحيط من ملابسات، ولا مناص من الاشارة ولو على سبيل التلميح الى هذه الازمة التى تعكس معاناة الأدب والأدباء لأوضاع معروفة ينم عنها ما تتسم به ظروفهم الخاصة مادية واجتماعية إذ أن وضعية الأدب والأدباء وهذا على الصعيد العربى بالذات، بحاجة ماسة الى العناية المتواصلة والاهتمام المتكامل.. وعلى حد اعتقادى الشخصى أنه آن الأوان للصحافة الأدبية مثل مجلة (المنهل) أن تتصدى لمعالجة مثل هذه الموضوعات خصوصاً وأن هذه المجلة معروفة بنشاطها وشجاعة مواقفها الأدبية وبهذا ستسدى خدمة كبرى للأدب العربى عموماً. ولسنا بحاجة الى التأكيد هنا بأن الصحافة وخاصة تلك التى تنهج مثل ما تنهجه مجلة (المنهل) تؤدى دوراً حيوياً فى تنشيط الفكر العربى وبلورة معطياته بما فيها من القديم والجديد، ربطا للسلسلة المتواصلة الحلقات من تاريخ حضاراتنا وأمجادنا.


أجمل الأوقات
تقضيها على :
شاطئ أبحر الشمالية
استراحة
الجار
بجوار شكيب الأموي
تدعوك وعائلتك .. لقضاء أجازة حافلة ..
بالبهجة والانطلاق في جو عائلي ممتع ..
فلل .. شاليهات مفروشة .. ملاعب
نرحب باتصالكم للحجز والاستعلام :
تليفون : جدة : ٦٥٦٢٧٤٣
٦٤٣٢١٢٤

أرامكو.. والصناعة الوطنية

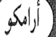
قامت أرامكو عبر السنين بتقديم المساعدة لتشجيع تطور وازدهار البيئة التجارية والاقتصادية . . ومع النمو الكبير الذى شهده الاقتصاد السعودى خلال السنوات الأخيرة، تطورت طبيعة المساعدة التى تقدمها أرامكو فاصبحت تتركز فى الدرجة الاولى على الصناعة الوطنية.

تنتهج الشركة خطة تهدف الى تشجيع التطور المستمر لصناعة سعودية قوية ذات قاعدة عريضة فى منطقة اعمالها. وفى نطاق تنفيذ هذه الخطة زادت أرامكو مشترياتها من المصانع الوطنية الى الحد الاقصى. كما دأبت ارامكو على تقديم المساعدة الى عدد كبير من المصانع لكى تصبح مصادر محتملة لتزويد ارامكو بالمنتجات السعودية. وقد بلغ عدد المصانع التى اعتمدت بموجب هذا البرنامج المستمر حوالى ٦٠٠ مصنع حتى الآن.

ويجرى فى فترات دورية توزيع نشرات معدة على الكمبيوتر الى الجهات المعنية فى أرامكو والشركات التابعة لها فيما وراء البحار تحتوى على اسماء هذه المصانع وانواع منتجاتها. وبالاضافة الى ذلك تتعاون أرامكو بصورة فعالة مع غرف التجارة والصناعة فى المملكة لترويج استعمال المنتجات المصنوعة محليا، كما يشجع المقاولون الذين يقومون بتنفيذ مشاريع ارامكو على استعمال المنتجات السعودية.

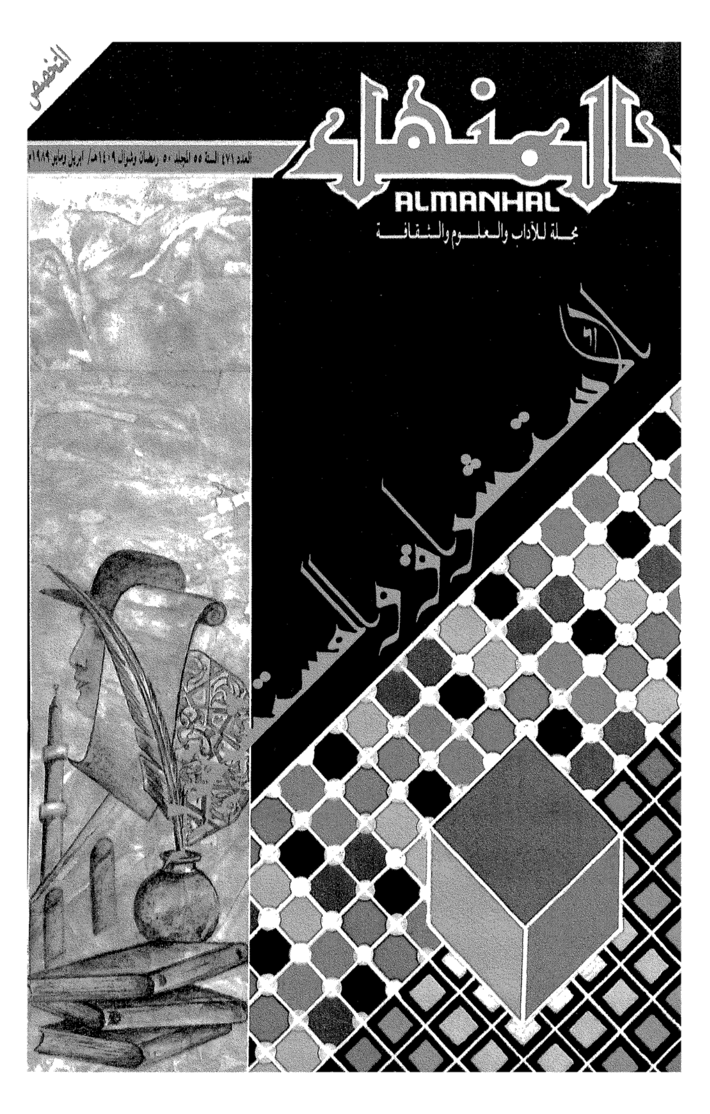
لمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالعنوان التالى:

قسم التنمية الصناعية فى ارامكو
الغرفة ٢٢٣٩ ـ مبنى الادارة الشرقى
الظهران ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٨٧٥ـ٥٨٥٧ فاكس ٨٧٣٨١٩٠ (IDD)
تلكس ٨٠١٣٣٠ ASAOSJ



(PRI-1-89)

دار الاصفهاني للطباعة بجدة



المتخصص
المنهل
ALMANHAL
مجلة للآداب والعلوم والثقافة
العدد ٤٧١ السنة ٥٥ المجلد ٥٠ رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩م

إشـــارة

شارك فى فعاليات هذا العدد السنوى المتخصص . . وتجاذب تهذيبه وتبويبه . . وأثراه بتخصصات علمه كل من الاساتذة والدكاترة :

★ أ. د. عبد الله الرحيلى

مدير المعهد العالى للدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

★ أ. د. اسماعيل أحمد عمايرة :

رئيس قسم الاستشراق جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ المعهد العالى للدعوة الاسلامية ـ المدينة المنورة .

★ أ. المحاضر مصطفى عمر حلبى :

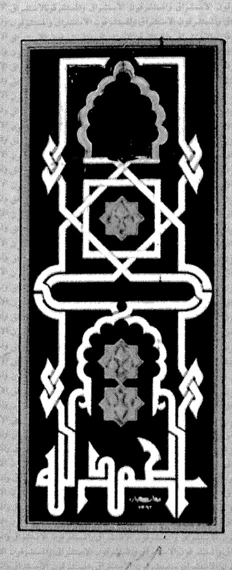
وكيل المعهد العالى للدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

■ ممثلين لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ المعهد العالى للدعوة الاسلامية/ قسم الاستشراق «فرع المدينة المنورة» .

غلاف العدد

يتكون من ثلاث نظريات فنية . . الأولى تمثل الفنون الاسلامية (المشربية) . . الثانية تمثل الفنون الغربية (المكعب) . . الثالثة تمثل الفنون الغربية أيضا (التسطيح) وهى مبنية على منطق المربع .

وبالتالى : نجد الشريحة الأولى ترمز إلى الثقافة الاسلامية . . والثانية ترمز الى الثقافة الغربية الرافضة للثقافة الاسلامية . . والثالثة ترمز الى الثقافة الغربية المؤيدة للثقافة الاسلامية . . والغلاف فى مجمله يمثل الصراع بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى .



الغلاف من تصميم الفنان/ رأفت البندارى

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

أسسها : عبد القدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ



مستشار التحرير

د. عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير

زهير نبيه الأنصاري

سكرتير التحرير : السماني كمال الدين

المخرج الفني : عبد الرحيم فؤاد بدر الدين

العلاقات العامة : مصطفى محمد مصطفى

المراسلون

مصر : فريد أبو سعدة — المغرب : عبد الرحيم عبد السلام

الأردن : روكس العزيزي — الجزائر : د. بكري عبد الكريم

تونس : د. نور الدين صمود — تركيا : د. أنور طاهر رضا

المركز الرئيسي

جدة ـ الشرفية

ص. ب : ٢٩٢٥

رمز بريدي : ٢١٤٦١

برقيا : المنهل

ت : ٦٤٢٧٨٣١

ت : ٦٤٣٩٧٦٥

مكتب الرياض

ص. ب : ٢٩٠

ت : ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة

- السعودية : ٨ ريال
- الامارات : ٨ دراهم
- السودان : ٢٥٠ قرش
- المغرب : ٦ دراهم
- موريتانيا : ١٠٠ أوقيه
- قطر : ٨ ريال
- الاردن : ٥٠٠ فلس
- مصر : ١ جنيه
- تونس : ٦٠٠ مليم

العدد السنوي المتخصص

الاستشراق والمستشرقون

المجلة السعودية الأم

فهرس العدد المتخصص "الاستشراق والمستشرقون"

العدد ٤٧١ رمضان/شوال ١٤٠٩هـ - ابريل/مايو ١٩٨٩م

أقـلام مشـاركـة

د. أبو بكر أحمد باقادر

● استاذ مشارك فى قسم الاجتماع - كلية الاداب والعلوم الانسانية - جامعة الملك عبد العزيز - جدة.

● له مجموعة من المؤلفات باللغتين العربية والانجليزية

● له مجموعة من المقالات والبحوث والدراسات فى الدراسات الاجتماعية نشرت فى عدد من المجلات المحكمة العربية والاوروبية وفى عدد من المجلات العربية الكبرى منها: (مجلة الدارة - مجلة الحوار - مجلة الاقليات المسلمة فى لندن - مجلة الاكاديمية الاسلامية فى كيمبردج - مجلة علم الاجتماع المعاصر.

الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى

● عضو دائم فى المجلس الاستشارى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

● عضو مراسل فى مجمعى اللغة العربية بدمشق والقاهرة.

● مؤسس المجمع العلمى الاسلامى بالهند ورئيسه

● رئيس المجلس التعليمى الاسلامى لولاية أتربرولش.

● له اكثر من ثلاثين مؤلفاً باللغتين العربية والأرديه . . وترجم بعضها الى الانجليزية والتركية والفارسية.

الأستاذ أحمد محمد جمال

● عمل بعد تخرجه فى رئاسة القضاء فى مكة ثم فى كتابة العدل بالمحكمة الشرعية ثم مساعدا بقسم الثقافة والتعليم بوزارة الداخلية قبل انشاء وزارة المعارف ثم عين عضوا فى مجلس الشورى عام ١٣٧٥هـ الى جانب قيامه بتدريس مادة الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز وجامعة ام القرى.

● له مؤلفات عديدة تعالج القضايا الاسلامية مثل: على مائدة القران . . استعمار وكفاح نحو سياسة عربية صريحة . . ماذا فى الحجاز ديوان شعر بعنوان الطلائع ثم مجموعة قصص بعنوان. سعد قال لى . . وكتاب عن المرأة بعنوان . . مكانك تحمدى.

دكتور اسماعيل أحمد عمايرة

● استاذ مشارك ورئيس قسم الاستشراق بالمعهد العالى للدعوة الاسلامية - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - فرع المدينة المنورة.

■ من كتبه المنشورة:

★ جهود النحاة العرب بين النظرية والتطبيق، ظاهرة التأنيث بين العربية واللغات السامية، المستشرقون ومناهجهم اللغوية، المستشرقون ونظرياتهم فى نشأة الدراسات اللغوية العربية، خصائص العربية فى ضوء اللغات السامية، معالم دارسة فى الصرف العربى.

■ ومن ترجماته المنشورة:

★ الجمل العربية المصورة بـ «أنْ» و«أنّ»، المراحل الزمنية للعربية الفصحى، الأفعال الشائعة فى العربية المعاصرة.

وله فى التحقيق: المسائل المشكلة المعروفة بالبغداويات والمسائل العسكريات فى اللغة.

د. جميل عبد الله المصرى

● أستاذ مشارك بالجامعة الاسلامية - كلية الدعوة واصول الدين

● شغل عمادة كلية القادسية فى عمان - الأردن.

● عضو هيئة تدريس بجامعة بنغازى - ليبيا - عام ١٩٨١/ ١٤٠١هـ.

● عضو هيئة تدريس بالجامعة الاسلامية منذ عام ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ، ولا يزال.

الدكتور حسين نصار

تولى ادارة عدد من المناصب العلمية منها:

● رئيس قسم اللغة العربية - كلية الآداب جامعة القاهرة.

● عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة.

● رئيس اكاديمية الفنون - القاهرة.

● مدير معهد المخطوطات - جامعة الدول العربية

● عمل أستاذاً فى مجموعة من جامعات الدول العربية.

● له جمهرة من المؤلفات.

د. ساعد العرابى الحارثى

● أستاذ مشارك فى قسم الاعلام بكلية الآداب - جامعة الملك سعود

● له مجموعة من البحوث والدراسات العلمية فى الاعلام المحلى والعربى نشرت فى مجلات علمية محكمة.

● له مشاركات عديدة ودائمة فى وسائل الاعلام المرئية والمسموعة

● ينشر فى عدد من المجلات العربية الكبرى والصحف.

الدكتور صلاح الدين المنجد

● دكتوراه فى القانون من جامعة السوربون.

● مستشار سابق فى جامعة الدول العربية.

● مدير معهد المخطوطات العربية فى القاهرة سابقا.

● عضو مراسل لمجمع اللغة العربية فى القاهرة - والمجمع العلمى العراقى فى بغداد والهيئة الاستشارية لجمعية المعارف العثمانية - حيدر أباد - والمجمع العلمى الهندى - والجمعية الدولية للدراسات الشرقية - والمعهد الألمانى للآثار فى برلين.

● عمل أستاذاً فى مجموعة من الجامعات العربية والأوروبية.

● بلغ عدد آثاره العلمية (١٥٠) كتاباً -



● يعمل محاضرا فى معهد الادارة العامة بالرياض.
● له جمهـرة من المؤلفـات، ومجمـوعـة من البحـوث والـدراسـات فى موضوعات البيليوغرافية، والادارة، وموضوعات اخرى.
● له مشاركات متعددة فى الصحف والمجلات السعودية والعربية.



● رئيس قسم الفلسفة جامعة القاهرة
● عمل بالتدريس فى عدد من الجامعات العربية
● خبير الفلسفة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة
● له اكثر من عشرة مؤلفات.
● حصل على جائزة الدولة فى الفلسفة لعام ١٩٨١ - ومجموعة من الجوائز الأخرى.

الدكتور عبد الله ضيف الله الرحيلي

● جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - قسم الاستشراق.
● محاضر فى الحديث الشريف وعلومه.
● مدير المعهد العالى للدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة.

الدكتور عبد القادر طاش

● رئيس قسم الاعلام - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
● له مجموعة من المؤلفات فى مجال الاعلام الاسلامى وحركة الغزو الفكرى
● له مجموعة من الدراسات والبحوث نشرت فى الصحف والمجلات الكبرى.

الأستاذ مازن مطبقانى

● محاضر فى قسم الاستشراق - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - قسم المدينة المنوره.
● طبع له كتاب (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها فى الحركة الوطينية) ول كتاب قيد الطبع . . وآخر بعنوان (البشير الابراهيمى).

الدكتور محمد أحمد حلول

● عمـل أستـاذاً مسـاعـداً ومستشـاراً لدراسـات الشـرق الأوسـط بجـامعة جاكسـونفيل/ فلوريدا، الولايات المتحدة الامريكية.
● عمل أستاذاً مساعداً بجامعة سان دياجوستيت - ورئيساً للبرنامج العربى بسيستران للترجمة بالكمبيوتر.
● يعمل حالياً أستاذاً مساعداً للأدب الحديث بكلية البنات للتربية/ جدة.

الدكتور محمد بركات البيلى

● عضو هيئة التدريس بكليتى الآداب جامعة القاهرة والتربية للبنات بجدة.
● دكتوراه فى التاريخ الاسلامى من كلية الآداب جامعة القاهرة تخصص المغرب والاندلس.
● له مشاركات فى عدة مؤتمرات دولية مثل مؤتمر مصر والبحر المتوسط والندوة الدولية عن القرن الافريقى.

الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

● عمـل رئيسـاً لشعبـة اللغـة العربية بالمركز التربوى بفاس.
● أستاذ علم العروض بجامعة محمد بن عبد الله بفاس
● يعمل الآن محافظاً لخزانة القرويين.

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

● حصـل على الـدكتوراه من جامعة الازهر ١٩٤٦
● حقق الـعـديـد من كتب التراث، وأخرج موسوعة كاملة عن الادب العربى فى جميع عصوره.
● كتب فى التاريخ، الادب، النقد، الاسلام والتفسير، اللغة.

الدكتور محمد عبده يمانى

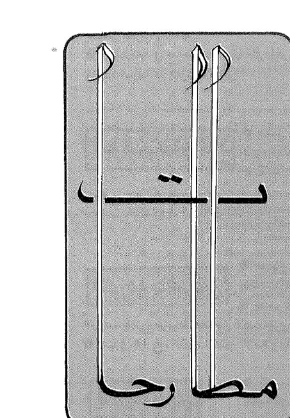
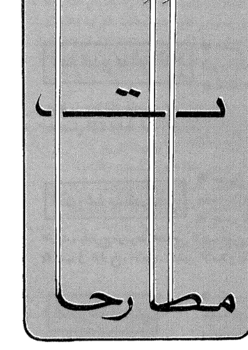
● دكتوراه فى علم الجيولوجيا جامعة كورنيل ولاية نيويورك - امريكا.
● عمل وكيلا لوزارة المعارف للشئون الفنية.
● عمل مديراً لجامعة الملك عبد العزيز - جدة
● عمل وزيرا للاعلام.
● منح مجموعة من الأوسمة والميداليات المحلية والعربية والعالمية
● له جمهرة من المؤلفات فى الجيولوجيا الاقتصادية، اقتصاديات المعادن، المذاهب، والفرق، الشريعة والدراسات الاسلامية.

الدكتور محمد عثمان صالح

● ماجستير ودكتوراه فى مقارنة الأديان - جامعة أدنبره.
● عمـل رئيسـا لقسم العقيـدة ومقارنة الأديان - الجامعة الاسلامية بام درمان - السودان.
● عمل عميدا لكلية الدراسات الاسلامية - الجامعة الاسلامية - أم درمان.
● عمل رئيساً لقسم الاستشراق.

الأستاذ مصطفى عمر حلبى

● بكالوريوس من كلية التربية بالمدينة المنورة، قسم اللغة الانجليزية.
● ماجستير من قسم الاستشراق - شعبة الدراسات الاسلامية.
● يعمل محاضرا فى المعهد العالى للدعوة الاسلامية . .

عبد القدوس الانصارى

رئيس التحرير

ماذا أقول بعد ان افرد واوجز كل هؤلاء الأفاضل الاعلام المبرزين محصلة أخذهم واستقرائهم . . وألمعيتهم واستنباطاتهم . . وسكبوها «بردا حينا ولظا فى أغلب الأحيان» على خدين المستشرقين وهجير الاستشراق .

■■ ماذا أقول وموضوع الاستشراق قد اخذ يذهب بنا بعيدا - بعيدا - حتى كدنا لا نتبّين ملامحه إلا لماماً - عندما يعوزنا الدليل أو تقتضينا الحجة . وكثيرا ما نأخذ - نحن - ضالتنا «ضد . . أو مع» من منافذ محجتهم . وكثيرا «جدا» ما نستغرق أو نلغو «نحن» فى تحليل أو تفتيت مقولاتهم ونقولاتهم «الباطلة الممسوخة» كأنا عاجزون ان ننتشر ونتغلغل فى بطون مرابعهم . . او كأننا لن نتوجه لهجوم معاكس نستهدف منه إخراسهم أو نستدرك به إنصافهم . . ما بالنا لا نفعل؟ واسلحتنا مؤثرة لا تخفى خوافيها . . ولا يطعن فى احكامها ونواهيها . . ولا يقلل من أثرها وجدواها .

■■ ماذا أقول وأنا ارى هذا الزخم المتراكم من المعالجات الاستشراقية «لها وعليها» كأنا به يلملم هلاميتها . . اهو ضرب من الغزو الاعلامى قد أوقعنا فى شراكه؟ . . أم هو استحواذ فكرى معاكس أدخلنا فى حبائله؟ .

بتلقائية منطلقة للكم وليس للكيف . أقول :

■ اننى بهذه الرؤى الذاتية أقدر ان فى كثرة ترديد هذه «الهلاميات الجدلية» وجعلها فى كمها وليس فى كيفها محاور لرجع الصدى . أقدر - ثانية - انه قد يصرفنا عن ذلك الهجوم المبتغى والذى لا مندوحة عنه ، خاصة اذا ما راعينا

مغبة فعل الاعلام المعاكس وما قد يحدثه من جرح بليغ فى تراثنا الدينى وتراثنا المعرفى، الفكرى، الزاخر ـ الفواح الشذى ـ ويكفى عندئذ أن يُفرض علينا لغو مضاد فى ساحاتنا قد يصرفنا عما سواه فتغدوا «بذلك» متعلقاتنا بين متاهات الشك أو موجبات اليقين، تتفحصها أمم العروبة والاسلام فتزيدها بالة على اطالة ـ لا سمح الله عز وجل.

■■ وقد يقال ان مستمسكات الطرح تقتضى بالضرورة: ان نصحح.. وندافع.. وننافح.. ونؤكد. وليكن ـ فلكل مقام مقال.. ولابد لكل رد ان يرتقى لمعالجة الشبهات النكرات: وان نتريث «وربما نتوقف» اذا ما ادركنا سبق رد موثوق موثق من بعض علماء واعلام العروبة والاسلام ـ او اكثرهم.

ولا محاجة: فقرآننا العظيم.. وديننا وعقيدتنا.. وسنتنا المطهرة.. ونبينا وسلفنا الصالح.. وتمسكنا بالمحجة البيضاء وهديها وضيائها.. كل ذلك «جميعه» فى موضع السمو الشاهق فى ذواتنا وعقولنا وقلوبنا، وبما لا يجهل أو ينكر او يطعن فيه. وما علينا الا ان نصدره بمصداقيته «قولا وسلوكا» لأمم الأرض قاطبة ليهتدوا به قبل ان نتزعزع بمرئيات مستشرقيهم التى هى فى أكثرها لا تتوافق ومستوى العقل.. والمنطق.. والواقع.. وبهذا «وعمليا» نكون قد صدعنا برسالة البارىء الأعلى.. وأخرسنا المشككين.. وهدينا المتذبذبين.. وطوعنا النافرين. وهذا غزو من نوع جديد مسبوقون نحن اليه بدليل أمره جل وعلا ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾.

■■ نعترف بأنه مر على امة سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والتسليم كثير من محن الغزوات.. العقائدية.. والمذهبية ـ والاستشراق والتنصير، والتبشير احدها ان لم يكن فى مقدمتها خاصة فى غضون القرنين الآخرين.

■ ولكن لعله ضرب من الشلل العقلى والنقدى ان نواجه تلك التحديات الموجعات برد مكتوب دون ان يكون لنا فعل حثيث ممسوك.

ولعله ـ ايضا ـ ضرب من الخيال اليتيم والضرير ان نسوغ لأنفسنا مظنة ان مالا يدرك كله لا يترك جله. بل الأمر فى خطورته وتعديه ووثبه يفرض حضورا.. واعيا.. عالما.. فاعلا.. مكثفا.. يستخرج تراثنا ليمزجه بمعاصرتنا. ويستنبط نفائسنا لترفد محدثاتنا. ويستدرك اسفارنا بما يضيفه الموهوبون فينا. ويجمع لأولياء أمورنا مجالس دينية علمية مخلصة خاصة.. ترى.. وتنظر.. وتقدر.. فتقرر وتنفذ.

عندئذ: تقع الواقعة على اولئك النفر بشتى صنوفهم وأجناسهم فلا يحيلون طولا ولا يسكنون نقيرا.

ونكون ـ نحن ـ بهذا قد غزوناهم من حيث يعلمون او لا يعلمون.. وقوضناهم بنفس اسلوب ما يخططون وينتهجون.

على اية حال: اذا كان هذا العدد السنوى المتخصص الذى حظى وشرف بمشاركة قلعة من قلاع الدعوة والارشاد والتوجيه «جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.. المعهد العالي للدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة ـ قسم الاستشراق» وهو ثانى مشاركة منهلية اكاديمية. أقول: اذا كان الاصدار الأول الرائد على ارض الجزيرة العربية فانه ـ فيما خطط واعد له، على عجل وبلا وجل ـ قصد منه ان يكون مدخلا لقراءات متأنية.. ودراسات متفحصة.. وايجابيات متحضرة.. تتمحور حول الطروحات التى عنيتها بحديثى هذا، وما يتسامق معها ويتوافق مع مسيرتها واهدافها.

■ لقد آن لنا ان نسدر عن ذلك الطريق المتعامد مع عتمة أزمنة الاستشراق ومراميه وقصور فهم وادراك المستشرقين ومنهاج بحثهم فى التدوين، فما قرأناه.. ورأيناه.. وسمعنا به وادركناه.. حفى بشدنا وجذبنا لجديد متحرك نطرقه، وما أشد زهونا وبشرنا بذلك الجديد الذى سنته جامعة الامام الاسلامية فى قسمها الاستشراقى بالمدينة المنورة ـ وعنه المزيد فى داخل العدد (ص ـ) ولأمثالها الراشدات هنا وهناك كل امل واعجاب.

والله ولى التوفيق.. وهو الهادى الى سواء السبيل.

نبيه الأنصاري

ضرورة الحفاظ على الإسلام في مواجهة حملات التشويش الاستشراقي

معالى الدكتور
عبد الله بن عبد المحسن التركى
مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

ان الحفاظ على صورة الاسلام صافية مجلوة - كما هى على الحقيقة - جهد علمى يجب أن ينهض به علماء الاسلام، وأجهزة الثقافة، ووسائل الاعلام: بهمة ووعى ومداومة. لماذا؟ نجمل الجواب عن هذا السؤال فى ثلاثة:

﴿يا أيها النّاسُ قد جاءكم برهانٌ من ربّكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾. . ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾. .

﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾. . ﴿ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنّك لتهدِي إلى صراطٍ مستقيم﴾. . ﴿أفمن شرح اللهُ صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربّه فويلٌ للقاسية قلوبُهم من ذِكرِ اللهِ أولئك فى ضلال مبين﴾.

(٢) ان مقام الرسول ﴿ﷺ﴾ علىّ سنيّ:

﴿وإنـك لعلى خُلُق عظيم﴾.. ﴿لقـد جاءكم رسولٌ من أنفسِكِم عزيزٌ عليه ما عنِتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم﴾.

﴿يا أيّها النبىّ إنّا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا﴾.

﴿إنّـا أعطينـاك الكوثر، فصلّ لربّك وانْحر، إن شَانئك هو الأبتر﴾.

(٣) ان الصورة الجميلة - للاسلام ورسوله - هى التى تحفز النـاس على التفتح النفسى والفكرى للعودة الاسلامية. . ولما كانت الدعوة الاسلامية خطابا مستمرا للناس كافة، فان الحفاظ على هذه الصورة الجميلة يجب

[illegible]
إن حسن عرض الاسلام مسؤولية لا تنفك عن واجب الدعوة والبلاغ .

※ ولئن كلف المسلمون مسئولية المحافظة على حقيقة الاسلام نقية متألقة ـ كما أرادها الله ـ فان قسطا من هذه المسئولية يتمثل فى دفع تشويش الأعداء الذين ما برحوا يطلقون ألسنتهم وأقلامهم بالسوء فى دين الاسلام .

وجمهور المستشرقين قد عمد الى التشويش على صورة الاسلام ابتغاء الفتنة ، وابتغاء الصد عن سبيل الله .

★ فمن المستشرقين من درس الاسلام فى نطاق اهتمامه بالموازنة بين الأديان . . ومنهم من استشرق وقد بيت النية على الطعن فى الاسلام : كتابا وسنة ، ورسولا وأمة .

ومنهم من قام بالتعليل الثقافى أو التمهيد الثقافى لحركة الاستعمار الغربى التى زحفت على معظم البلدان الاسلامية ، فان هذا الفريق تخصص فى المسح الثقافى للخريطة الفكرية للعالم الاسلامى ، ومن ثم تعرف على الثغرات حسب ظنّه فشن الهجوم من خلالها .

★ ومنهم من بحث عن الحق فعرفه ، ولكن الموقف العملى اختلف بعد تبين الحق . . فمنهم من أسلم وسعد . . ومنهم من قعدت به همته دون ذلك . . ومنهم من قيده غل التقليد ، أو جفل خشية المعرة .

بيد أن هذا التفصيل لا يؤثر على الحقيقة الموضوعية التى ينبغى أن تكون فى وعينا دوما وهى : أن جمهرة المستشرقين قد دأبت على عداوة الاسلام ، وتشويه حقائقه .

★ نحن نود أن يتعرف الناس جميعا على حقائق الاسلام وتعاليمه وأصوله ومصادره .

وهل الاسلام الا حقائق جاءت ليتعرف الناس عليها ، ويعقلها أولو الألباب؟ .

﴿ يا أيّها الناسُ قد جاءكم الرسولُ بالحقِّ من ربِّكم فآمنوا خيرا لكم﴾ .

﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ .

﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾

﴿ هذا بلاغٌ للناس ولِيُنذَرُوا به وليعلموا أنّما هو إله واحد وليذكّرُ أولوا الألباب﴾ .

★ والبحث العلمى من أهم الطرق الموصلة الى التعرف على حقائق الاسلام ولكن أى بحث؟

انه البحث العلمى المتجرد من الهوى ، المتحرر من الظنون والأوهام ، الآخذ بقواعد التحرى ، والتثبت ، والتعامل مع المصادر والأصول الصحيحة الأصلية ، وموازين المناقشة الموضوعية .

★ ولجمهور المستشرقين منهج معين ، قد تختلف صيغه وأساليبه ، ولكن قواعده العامة واحدة تقريبا وهى :

أ ـ تناول الاسلام كنص بشرى أو غير ربانى .

ب ـ الرجوع الى المصادر الضعيفة أو الملتاثة .

ج ـ تضخيم الشاذ من المواقف والمسالك والأفكار ـ فى التراث المنتسب الى الاسلام ـ والتعويل عليه .

د ـ قلب المعايير العلمية فى مناقشة مسألة «النبوة» ـ مثلا ـ فالأصل أن تناقش «النبوة» ـ من حيث هى نبوة ـ بمنهج واحد مطرد يثبتها جميعا أو ينفيها جميعا . .

بيد أن المستشرقين طفقوا يضعفون القوى ، ويقوون الضعيف .

★★ ويبدو أنهم قلدوا منهج أسلافهم فى ذلك ، أولئك الأسلاف الذين نقض شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ما قالوه بجدل عقلى غلاب .

★ قال فى كتابه : «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» : وجميع ما احتجوا به من التوراة والانجيل وغيرهما من كلام الأنبياء عليهم السلام ، انما تكون الحجة فيه علمية برهانية ، اذا أقاموا الدليل على نبوة من احتجوا بكلامه ، بأن بينوا امكان النبوة ، ثم تبينوا وقوعها فى الشخص المعين بالطرق التى يستدل بها على نبوة النبى .

وهم لم يفعلوا شيئا من ذلك ، بل احتجوا بذلك على أنها مقدمة مسلمة يسلمها المسلمون لهم ، وهذا لا ينفعهم لوجوه :

الأول : أن فيمن ذكروه لم يثبت عند المسلمين أنه نبى كمخيا وعاموص .

الثانى : أن من ثبت عند المسلمين نبوته كموسى ، وعيسى ،

وداود، وسليمان لم يثبت عندهم أنهم قالوا جميع ما ذكروه من الكلام، وأن ترجمته بالعربية هو ما ذكروه، وأن مرادهم به ما فسروه.

الثالث: أن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد الا باخبار محمد ﴿ﷺ﴾ بنبوتهم، فلا يمكنهم التصديق بنبوة احد من هؤلاء، الا بعد التصديق بنبوة محمد ﴿ﷺ﴾.

★ فاذا طلب هؤلاء من المسلمين أن يسلموا بنبوّة هؤلاء دون نبوة محمد، لم يمكن المسلمين أن يسلموا ذلك لهم، ولا يسوغ ذلك للمسلمين، لا عقلا، ولا نقلا.. وحينئذ فاذا لم يقيموا الأدلة على نبوة أولئك، لم يكونوا قد ذكروا، لا حجة برهانية ولا حجة جدلية.

الرابع: أن المسلمين لم يصدقوا بنبوة موسى وعيسى الا مع اخبارهما بنبوة محمد.

فان سلموا أنهما أخبرا بنبوة محمد ثبتت نبوته ونبوتهما.

وان جحدوا ذلك، جحد المسلمون نبوة من يدّعون أنه موسى وعيسى اللذين لم يخبرا بمحمد ﴿ﷺ﴾.

الخامس: أن المسلمين وكل عاقل، يمتنعون ـ بعد النظر التام ـ أن يقروا بنبوة موسى وعيسى دون محمد ﴿ﷺ﴾، اذ كانت نبوته أكمل، وطرق معرفتها أتم وأكثر.

وما من دليل يستدل به على نبوة غيره الا وهو على نبوته أدل، فان جَحْدَ نبوته يستلزم جَحْدَ نبوة غيره بطريق الأولى.

والمستفاد من هذا السياق الصريح القوى ـ لشيخ الاسلام:

١ ـ ان بضاعة المستشرقين قديمة، وان طليت بشكل عصرى: كحداثة العبارة والترتيب الفنى للكلام، ودعوى المنهجية.

٢ ـ ان منهج المستشرقين منحرف فى البدء والمسار والنتيجة.

٣ ـ ان الخطوة الأولى الصحيحة فى ابطال ظاهرة الاستشراق هى: تفنيد منهجهم، ونقض أقاويلهم وأباطيلهم.

ونقض منهج المستشرقين يحتاج الى العلم:

العلم بحقائق الاسلام.. والعلم بمنهج المستشرقين.

والعلم بأساليب المناقشة من حيث اقامة البرهان، وترسيخ الحق، ونفى الباطل.

ولهذا نشأ «قسم الاستشراق» بالمعهد العالى للدعوة الاسلامية فى المدينة المنورة فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

★ فالاستشراق من شر أنواع الغزو الثقافى والفكرى وردع هذا الغزو ورده، بهمة علمية جليلة لا يجوز التخلى عن حملها، ولا الفتور فى أدائها.

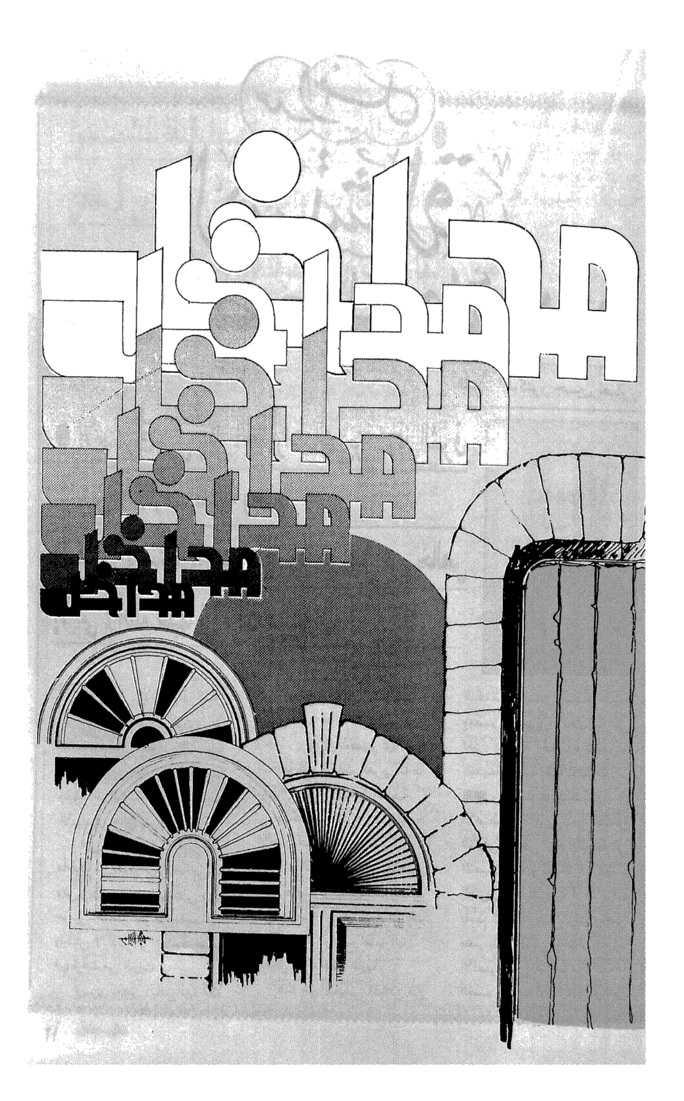
★ والاستشراق تشويش عالى الضجيج حول دعوة الاسلام، ومن هنا، فان ابطال هذا التشويش، واسكات صخبه عمل يدخل فى صميم العمل الدعوى البصير والجاد، ذلك أن الدعوة ينبغى أن تصل الى كل أحد مبرأة من الشبهات والتشويهات.

وسرّنا أن تفرد مجلة «المنهل» عددا خاصا يتناول قضية الاستشراق ويكشف أهداف المستشرقين ويبين مخاطرهم فى مجالات العقيدة، والشريعة، والتاريخ، والحضارة، واللغة، والثقافة.

★ كما سرنا أن يسهم «قسم الاستشراق» فى الجامعة بمادة علمية جزيلة فى هذا العدد من «المنهل».

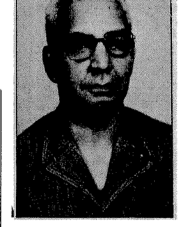
★★ ان من خصائص الجد والحيوية فى المجلات: اختيارها للموضوعات المهمة، ومعالجة هذه الموضوعات برصانة وعلم، فى ضوء المبادىء الثابتة، والحاجات المعاصرة، لا سيما فى هذه البلاد التى اعتصمت بدينها وقيمها فوقاها هذا الاعتصام تيارات الهدم الفكرى، والتخريب الثقافى، وهو اعتصام أعان عليه ـ بعد الله تعالى ـ مناخ مقدسات الاسلام، والقيادة الأمينة التى تحرس الثوابت بيقظة ودأب والاعتبار بأحوال البلدان التى تمكن فيها الفكر الاستشراقى وتوابعه.

واننا لنشكر المعهد العالى للدعوة الاسلامية فى المدينة المنورة على نشاطه، كما نقدم أجزل الشكر لمجلة المنهل والقائمين عليها على ما تقوم به فى سبيل الثقافة الاسلامية من جهود معروفة عبر تاريخ المجلة الطويل الحافل بالدراسات والأبحاث الهادفة الرصينة، ونسأل الله [illegible]


مداخل

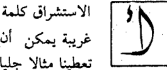
الاستشراق بين المصطلح والمفهوم

بقلم: الدكتور حسين نصار



● الاستشراق يُعنى بكل الحضارات التى بزغت فى الشرق وليست الحضارات العربية وحدها.

● كلمة (الاستشراق) رغم انها مأخوذة من أصل عربى خالص إلا أنى لم أطلع عليها فيما قرأت من التراث.



الاستشراق كلمة غريبة يمكن أن تعطينا مثالا جليا للكلمات التى يخضعها اللغويون والنقاد لدراسات عدة ويستخدمها الأدباء فى مدلولات متغايرة.

هى عربية لا شك فيها فهى مأخوذة من أصل عربى خالص هو «ش.ر.ق» ومصوغة على وزن عربى خالص هو الاستفعال، ولكننى لا أذكر أنى اطلعت عليها فيما قرأت من التراث.

ويرى بعض الناس أنها آبدة من الأوابد، يرميها باللعنات - ويرى أنها جالبة المصائب جهرا وخفية.. ويرى بعضهم أنها نعمة أتاحها الله للتراث العربى تأخذ بيده الى ضياء المنهجية العلمية.

والكلمة تعنى.. تسليط الأضواء على حضارة (الشرق).. وإمعان النظر فيها.. والاهتمام بفحصها ودراستها ورصد ظواهرها.. واستكشاف خباياها.. وتتبع تطوراتها.. وتعليل كل ما يطرأ عليها..

هذا هو المعنى المعلن من الكلمة الذى يشبه كلمة (مصرولوجى) الانجليزية التى تعنى دراسة الحضارة المصرية القديمة دراسة مماثلة لما ذكرت.

■■ ويمتد الشرق - فى الاصطلاح الأوربى - من الساحل الشرقى لحوض البحر المتوسط الى المحيط الهادى مضافا إليه القسم العربى من افريقية أو ما عرفناه باسم شمال افريقية - ويحتوى على مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى على الرغم من أن هذا القسم يواجه أوربا كلها .ويشغل

من خطوط الطول ما تشغله.

ولا يضم هذا الشرق حضارة واحدة فهو مهد الحضارات القديمة: المصرية والسامية (والعربية إحداها) والفارسية والهندية والصينية.. الخ.

ومن ثم فالمعنى الدقيق لكلمة الاستشراق الاهتمام بكل الحضارات التى بزغت فى الشرق وليست الحضارة العربية وحدها كما يشيع بيننا. ولذلك استخدم بعض العلماء كلمة (الاستعراب) للدلالة على العناية بالحضارة العربية وحدها ولكن لم تشع شيوع نظيرتها.

■ واهتمام الغرب بالعرب وحضارتهم ليس أمرا حديثا بل هو قديم بل موغل فى القدم. وكان الاهتمام الأقدم موجها الى اليمن بخاصة والسواحل بعامة وقام به الاغريق وهم أعرق الأمم الغربية حضارة. وكان الاهتمام - فى معظمه - اقتصاديا، وإن تخللته اهتمامات ثقافية.

●● وتجدد هذا الاهتمام واتخذ موقعا جديدا بعد الاسلام، وقام به البيزنطيون فى الشام والعراق بخاصة.

■■ وعندما فتح المسلمون أسبانيا - من أقطار أوربا - وأسسوا فيها الحضارة الأندلسية الزاهرة تدفق عليها الدارسون من مسيحيى أسبانيا ومن علماء الأقطار المحيطة بها: إيطاليا.. وفرنسا.. وانجلترا.. ثم المانيا للاغتراف من بحار علومها وفنونها.

● بعض المستشرقين الذين اتصفوا بالدقة اكتشفوا اتجاهات ومجالات وأعمالا فى التراث العربى لم يفطن إليها العرب أو لم يعطوها قدرها الحق.

■■ وشاركت صقلية - فى عهدها الاسلامى - أسبانيا، فى تلقى الوافدين الاوربيين من الدارسين وتزويدهم بالعطاء العربى الوفير حتى اصطبغ بلاطها النورمندى بصبغة عربية لم تخطئها عين.

■■ وفى عصور الحروب الصليبية تعددت مواضع الالتقاء المباشر بين العرب والغربيين وتيسرت وسائل التعرف والأخذ.

■■ وأخيرا انتظمت الدراسة الاستشراقية فى القرون الثلاثة الأخيرة، من التقويم الميلادى، وقامت بها الجامعات ومراكز التعليم المختلفة ورعتها الحكومات.

■ وعندما نتأمل فى المستشرقين نجد منهم من غلبه سحر الشرق وساقه هواه الى العناية بحضارته.. ونجد منهم من غلبه التطلع العلمى وحب المعرفة.. ونجد منهم من جندتهم حكوماتهم أو اتخذت منهم أعوانا ليمهدوا لها السبل الى ما تريد من الأقطار العربية فألحقتهم بوزارة الخارجية أو إدارات المستعمرات.. ونجد منهم رجال الدين المسيحى أو اليهودى - وخاصة أن التراث العربى يدرس فى المراكز الأوربية مع الساميات التى يسيطر عليها اليهود أو يكادون.

■ كذلك لم تقتصر الحركة الاستشراقية على قطر أو اثنين من اقطار أوربا بل وجدت فى أهم أقطارها وبعض الأقطار المتوسطة بل الصغيرة منها.. وتشتهر بيننا الحركة الأمريكية والانجليزية والألمانية والأسبانية والفرنسية والايطالية والروسية والهولندية، ولكن ذلك لا يعنى أن غير تلك الأقطار لم يعرف حركة الاستشراق: فالمجر عرفت حركة على شىء من الاتساع.. ووجدت فى النرويج والسويد وفنلندا حركات خاصة بها.

●● ووجدت المطابع التى أصدرت الكتب العربية فى هولندا والنرويج وروسيا القيصرية والاتحاد السوفيتى وغيرها ولا تكاد تخلو واحدة من الأقطار الأوربية من المخطوطات العربية.

ومثل هذه الحركة - بل الحركات - لا يمكن أن تبرأ من أمور:

● لا يمكن أن تبرأ من أفراد غلب عليهم هوى الجنس أو الثقافة أو الدين فأعماهم عن رؤية الحق،



وشوه نفوسهم فشوهت ما أمامها من جمال.

● ولا يمكن أن تبرأ من أفراد يعملون لمصلحة من يستخدمهم.. ولا يتلفظون الا بما يؤدى الى هذه المصلحة دون أن يأبهوا لشيء أمامهم.. أو يسلكون المسارب الخفية التى تصل بكل من يسلكها بعدهم إليها.

● ولا يمكن أن تبرأ من أفراد كانت الثقافة التى تلقوها فى طفولتهم وصباهم حائلا بينهم وبين حب التراث العربى ـ الحب الذى يؤدى الى التجاذب الذى يصل بالمستجيب له الى الحكم الفصل.

● ولا يمكن أن تبرأ من أناس أوقعهم الجهل، أو قصور المعرفة بالمجتمع العربى وما جرى فيه من تيارات فكرية متلاطمة غزيرة، أو عجز المعرفة بمرامى اللغة العربية ومجازاتها ومدلولاتها المتوالية، أو سوء الفهم ـ أوقعهم فى الزلل دون أن يقصدوا إليه أو يحسوا به.

■ ولكن: ألم تشتمل حركة الاستشراق على غير من ذكرت؟

لا.. ولا.. لقد اشتملت أيضا على من أحبوا الثقافة العربية، فدفعهم الحب إلى الايغال فى أعماقها فوصلوا الى الايمان بالدين الذى جاء فى أعلى لغة عربية أدبية: الاسلام.

●● واشتملت على من كان هدفهم المعرفة.. وديدنهم الاشتغال بالفكر العربى.. ومسعاهم تقويم هذا الفكر التقويم الجدير به.

●● فاشتملت على من أسدوا الأيادى البيضاء التى لا يمكن أن تُتجاهل أو تُنسى.

■ فقد نظروا إلي التراث العربى نظر الأجنبى المدقق المحقق الذى يقيده الإلف والتعايش، فاستطاعوا أن يرصدوا الدقيق من الظواهر والتطورات مع المشاركة ـ بل الدقة ـ فى رصد غيره.

واكتشفوا مجالات واتجاهات وأعمالا لها قيمتها الرائعة. لم يفطن اليها العرب أو لم يعطوها قدرها الحق، مثل: فن الموسيقى.. والخيال العربى.. وألف ليلة وليلة.. وكليلة ودمنة، وتكفى إشارة سريعة الى ما استوحوه من «ألف ليلة وليلة» التى سموها (ليالى العرب) من قصص وأفلام سينمائية ومعزوفات موسيقية ولوحات تصويرية.. الخ. والى ما كتبه هنرى جورج فارمر فى الموسيقى.

وكشفوا عن رجال من ذوى الفكر المبتكر أو الخالد فى تراثنا الحى أزاحوا الغبار عنهم، وجلوا صورهم، وقوّموا أعمالهم. ويحضرنى من الأمثلة ابن خلدون المفكر الاجتماعى.. وأبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف.

وقدموا أدق التحقيقات لتراثنا المخطوط ـ المطمور فى الظلام ـ فى منهج علمى سليم ـ لم يملك كل من اطلع عليه منا إلا أن يعجب به ويتأثر ويسعى الى احتذائه. فخاب كثيرون وأفلح كثيرون بل بز بعضهم المستشرقين لكونهم أبناء العربية العارفين بخباياها.

■ وإذن فعطاء المستشرقين متغاير ـ ولذلك يكمن الخطر فى كثير منه على القارىء العام. أما القارىء المثقف فيمكن أن يرجع اليه حسب سعة ثقافته. واما العالم المتخصص فيجب أن يراجعه.

يجب أن يرجع إليه: فيستضىء بما لديهم من نظرات نفاذة.. ويستكشف ما خططوه من اتجاهات مبتكرة.. ويثرى بما أتوا به من معلومات قيمة، ولينقب عما أودعوه أبحاثهم من زيف أو ضلال أو خطأ فينبه إليه ويفنده.

■ ويجب أن يحسن الدارس المستفيد ميدان الرجوع إليهم. فالمستشرق لن يعطى فى مجال الدينيات إلا نظر المسيحى أو اليهودى.. ولن يستطيع أن يتذوق أعمال الشاعر التى تعتمد على استثمار طاقات اللغة العربية الموسيقية والايحائية.

وآخر الأمر: ليست أقوال المستشرقين أحكاما مقدسة يجب أن يتلقاها الدارس بالقبول. بل الواجب أن يمحص هذه الأقوال كما يجب عليه ان يتلقى كل قول، بل فى حذر أشدّ وتمحيص أعمق.

الاستشراق

ماله.. وماعليه

بقلم: الدكتور عمر فروخ

● الدول الغربية استخدمت الاستشراق فى تحقيق كثير من مصالحها السياسية والدينية.. وكان اهتمام الدول القوية بالحركة الاستشراقية اكثر من اهتمام غيرها.. من الدول الاخرى.

إنه توسيعاً لدائرة المعرفة ولتوافق هذا الموضوع مع دراسات هذا العدد المتخصص وإثراء لمحاور الحديث جاء اقتباسنا لهذا الموضوع.

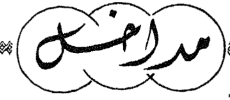
(المنهل)

الاستشراق صيغة مرتجلة تدل على الاتجاه نحو الشرق لدراسة وجوه الثقافة فيه من لغة وأدب وتاريخ وفقه وعلوم. غير أن الاستشراق اتسع مع الأيام فى ناحية وضاق فى ناحية ثانية.

لقد اتسع فى الناحية الجغرافية إذ ضم الى دراسة المشرق العربى دراسة المغرب العربى، ثم ضاق فى الناحية الدينية إذ انصب اهتمام المستشرقين على الشعوب المسلمة.

ومع أن المستشرقين قد درسوا من اللغات العربية والبربرية والحبشية والهندية والصينية وسواها بلهجاتها، فإن الاهتمام الأول كان باللغة العربية وبالثقافة الاسلامية لأن البلاد الاسلامية عامة والبلاد العربية خاصة كانت مطمح أنظار الدول الغربية القوية.

■ ودراسة اللغة العربية بدأت فى أوروبا منذ زمن بعيد ثم اتسعت فى العصور الوسطى وبعد الحروب الصليبية خاصة. ولا شك فى أن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث دينى، فإن أول المهتمين بدراسة العربية كانوا من الرهبان الذين أرادوا أن يعينوا أقوامهم على الشعوب العربية وعلى الشعوب المسلمة بفهم اللغة العربية والثقافة الاسلامية. وكذلك استخدام رجال السياسة



الأوربيين، فى الاستشراق، نفراً من اليهود، لأن اليهود أقدر على البراعة فى اللغة العربية بجامع الأصل الواحد بين لغتهم ولغة العرب.

● لم يتنبه العرب إلى الترتيب الهجائى لمؤلفاتهم إلا بعد أمد كما فعل ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان.. ومعجم الادباء.. ولم يكن الترتيب مكتملا.

الاستشراق حركة سياسية عامة

لم يكن من المنتظر أن يكثر المستشرقون بدافع شخصى بحت، إذ الاستشراق عمل صعب ثم هو مع ذلك قليل الريع المادى، من أجل ذلك كان المستشرقون عادة من أولئك الذين تستخدمهم الدول والجمعيات والمؤسسات وتضمن لهم أسباب معاشهم، وربما وجدنا أستاذاً فى جامعة «يستشرق»، الى جانب عمله الجامعى. وقل أن نجد مستشرقاً مثل الأمير الايطالى «ليونى كايتانى» (١٨٦٩ - ١٩٢٦م) الذى اختار أن يرتب أحداث التاريخ الاسلامى حوليا، على السنين والأشهر وعلى الأيام إذا أمكن.

ولا يستغربن أحد إذا علم أن الاهتمام بالاستشراق كان فى الدول القوية مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة أكثر منه فى الدول الصغيرة أو القليلة النفوذ فى السياسة الدولية. ولما استعمرت هولندا فى مطلع القرن التاسع عشر، الجزائر المعروفة اليوم باسم «أندونيسيا» كان عدد سكان هولندا سبعة ملايين وعدد سكان تلك الجزائر المستعمرة سبعين مليوناً، فسار على الألسن قول هو: كل طفل هولندى يولد ملازماً.

موضوعات الاستشراق

جميع موضوعات الاستشراق وجميع جهود المستشرقين كان يقصد بها، فى الدرجة الأولى، خدمة الاستعمار وتسهيل عمله فى البلاد التى ينزل فيها، ذلك لأن فهم لغة قوم وفهم ثقافتهم يساعدان على تذليل العقبات فى وجه المستعمر. غير أن عدداً من وجوه النشاط التى كانت للمستشرقين كان جانب منها ذا فائدة - من ذلك مثلا طبع القرآن الكريم (وقد طبع أول ما طبع فى ألمانيا) وعمل فهرس لألفاظه لتسهيل الاهتداء الى الآيات التى ترد فيها تلك الألفاظ.. ومنها أيضاً عمل فهرس للألفاظ الواردة فى أمهات كتب الحديث.. ثم دراسة جغرافية البلاد الاسلامية.. وعمل الخرط لها.. ثم نشر المخطوطات محققة ثم دراسة الفنون الاسلامية. إن هذه الاعمال وأمثالها ذات فائدة للمسلمين لا تنكر، وان كان المستشرقون لم يقصدوا بتلك الأعمال خدمة المسلمين وإنما أرادوا خدمة الرجال العسكريين ورجال الدين من شعوبهم. من أجل ذلك كله نستطيع أن نقول: إن نشر «دائرة المعارف الاسلامية» بثلاث لغات - بالانكليزية والفرنسية والألمانية - (فى طبعتها الثانية التى لم تتم بعد) عمل جليل عميم النفع برغم ما يمكن أن يؤخذ عليه من قصور مقصود أو غير مقصود.. وكذلك لا يجوز أن ننسى - فى هذا النطاق - نفراً من المستشرقين قاموا بدراسات أدبية وتاريخية ولغوية وفقهية كانت مثالا يحتذى فى البحث والتنقيب وفى النهج العلمى.. كما لا يجوز أن نغمض العينين على دراسات لنفر آخرين من المستشرقين كانت مشوهة قصداً أو عفواً.

أمستشرقون أم غير مستشرقين؟

عد نجيب العقيقى فى كتابه الشامل «المستشرقون» (فى طبعة

عام ١٩٦٥م، ص ١٣٨٠ وما بعد) أكثر من ألفى مستشرق، ولا شك فى أنه لم يستطع أن يجمع فى كتابه هذا كل الذين اشتغلوا بالاستشراق، وخصوصاً من المعاصرين لنا. ولقد كان من أولئك الذين أصر نجيب العقيقى على عدهم فى المستشرقين نفر منهم عبد الكريم جرمانوس المنغارى.. وعلى محمّدوف ثم عثمانوف.. وليون الافريقى (واسمه الحقيقى الحسن الوزانى التونسى).. وكامل الصباح ومحمد عياد الطنطاوى - وهؤلاء كلهم مسلمون وثلاثة منهم عرب، فلا وجه لعدهم فى المستشرقين لأن المستشرق هو الغربى (بالغين المعجمة: **الأوروبى أو الأميركى**) غير المسلم ومن كانت لغته غير العربية.

وكذلك عد نجيب العقيقى فى المستشرقين نفراً من نصارى العرب المعاصرين لنا أو السابقين على عصرنا. من هؤلاء جميعا: يوسف السمعانى (ت١٧٦٨م).. وميخائيل الغزيرى (ت١٧٩١م).. ورزق الله حسون (ت١٨٨٠م).. والياس بقطر وحبيب الزيات وفيليب حتى وجورج حورانى وشارل مالك.. ومع أن جورج حورانى إنكليزى الجنسية بالولادة ومع أن فيليب حتى قد اتخذ الجنسية الأميركية عام ١٩٢٤م، فان هؤلاء أيضا لا يمكن أن يعدوا فى المستشرقين بوجه من الوجوه. وبعد النظر فى كتاب «المستشرقين» رأيت أن نجيب العقيقى قد عد «**كل شخص ألقى دروساً فى مؤسسة غير عربية مستشرقاً**».

طبقات المستشرقين:

لو أحببت أن أفى الاستشراق حقه من الثناء أو أن أحمل عليه ما يستحق من اللوم لاحتجت الى استعراض جهود مئات من المستشرقين، وهذا أمر غير ممكن فى نطاق هذا المقال. من أجل ذلك رأيت أن أقسم المستشرقين الى ثلاث طبقات، ثم أشير الى جهود كل طبقة إشارة عجلى مع ذكر عدد من الأسماء لضرب المثل.

(١) الطبقة الأولى:

طبقة المفهرسين والناشرين والناقلين

لنبدأ هنا بهذه المقدمة الموجزة المفيدة:

■ تنبه المؤلفون العرب للترتيب المنطقى فى تآليفهم (مما يساعد القارىء على الاهتداء الى الموضوع الذى يريده أو إلى العلم من الأشخاص أو الأماكن) فرتبوا الكتب على العصور كما فعل محمد ابن سعد فى كتابه القيم «**طبقات الصحابة**» أو على السنين كما فعل ابن العماد الحنبلى فى كتابه «**شذرات الذهب**» وكذلك رتبوا كتب الحديث مثلا على الموضوعات (باب الطهارة، باب الصلاة، الخ).. أو على الطرائق كما فعل أحمد بن حنبل فى كتابه «المسند» إذ رتب الأحاديث فى أبواب بحسب الرواة والحفاظ (صحابة رسول الله - أهل المدينة - أهل الكوفة - أهل الشام، الخ).

■ إن هذه الطرق كلها مفيدة ومنطقية، ولكنها تنفع المعاصرين لأولئك المؤلفين، وتنفع الذين يعرفون عصور الرواة وسنوات وفيات الرجال، أو الذين يحفظون الأحاديث غير أنها لا تنفع الباحث المتأخر فى الزمن. ولم يتنبه العرب الى الترتيب الهجائى إلا بعد أمد - كما فعل ياقوت الحموى فى كتابه «**معجم الأدباء**» وفى كتابه الآخر «**معجم البلدان**».

غير أن طرق المؤلفين العرب كانت ناقصة لأنها تناولت رؤوس الفصول فقط ولم تتناول الأعلام الواردة فى ثنايا تلك الفصول.

■ فلما جاء المستشرقون جعلوا من وجوه اهتمامهم فهرسة أمهات الكتب العربية مما كان مطبوعا فهرسة كاملة (للأعلام الواردة فى رؤوس الفصول وفى ثنايا الفصول) - ثم جرت عادتهم على فهرس كل كتاب ينشرونه أو يؤلفونه. وقد نشر فلوغل (ت١٨٧٠م) «نجوم الفرقان فى أطراف القرآن»، وهو فهرس مفصل لألفاظ القرآن



الكـريم حتى للحـروف ـ ولكن فهرس فلوغل ظل ناقصاً لأنه أثبت الألفاظ مجردة ولم يتبعها بأجزاء من الآيات كما فعل فيها بعد (على زاده فضـل الله المقـدسى) فى «فتـح الـرحمن لطـالب آيات القرآن» أو محمد فؤاد عبد الباقى فى «المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم».

■ بدأ فنسنك فهرسة أمهات مجاميع الحديث عام ١٩٢٤م ثم توفى عام ١٩٣٩م، ولم يصدر من فهرسه هذا إلا جانب يسير جداً فأتم العمـل كله بعـده نفـر من المستشـرقـين. . وصنـع غويـدى الـكبـير (ت١٩٣٥م) فهـارس لكتـاب الأغـانى. . ولمـا نشـر المستشـرقـون أمهات الكتب مثل «تاريخ الرسل والملوك» للطبرى و«الكامل فى التاريخ» لابن الأثير و«نـفـح الطـيـب» للمـقـرى و«المفضليات» (مختارات من الشعر القديم) للمفضل الضبى ـ جعلوا لها فهـارس مفـصـلـة لأعـلام الأشخاص وللأماكن وللجماعات وغير ذلك.

■ ويلحق بفهرسة الكتب المنشورة نشـر المخطـوطـات العربية، فان عدداً كبيراً من كتب التراث العربى رأت النور ـ أول ما رأته ـ فى مطابع أوروبا على أيدى المستشرقين. إن كتـاب «القـانون» فى الطب لابن سينا طبع أولا فى روما عام ١٥٩٣م ثم طبـع فى بولاق سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) ـ بعد نحو ثلاثة قرون ـ ولا أرانى أجانب الصواب إذا أنا

● ان من المستشرقين اذكياء ألبسوا ذكاءهم ثوب المكر.

● العرب أخذوا العلم من اليونان ثم بلغوا فيه مرتبة لم يحلم بها اليونـان أنفسهم. وهـذا يدحض افتراءات (رينان) وأمثاله فى أن العرب عالة على علوم غيرهم.

قلت إن عدداً كبـيرا من الـكتب العربية طبع فى أوروبا على أيدى المستشرقين محققا أحسن التحقيق ثم أعيـد طبعـه فى الشـرق وقـد تسربت إليه أخطاء قلة أو كثرة. ثم إن نفـراً من المستشـرقين القدامى والمحـدثين قد طبعوا كتباً فأساءوا فهم ما فيها وجهلوا قراءة أشياء من خطوطها فجاءت مشوهة.

■ وكـذلـك يلحق بالمفهـرسـين وبالناشرين نفر من الناقلين الذين نقلوا الكتب العربية إلى لغاتهم: الى اللاتينية والفرنسية والانكليزية والألمـانيـة وغيرها، فنشروا الثقافة الاسـلاميـة عامة والعربية خاصة بين شعوبهم فنشأ فى تلك الشعوب أفـراد وجـمـاعـات أعجبـوا بثقافتنا ودافعوا عنها حتى فى وجه أقوام من بنى جلدتهم.

(٢) الطبقة الثانية:

المؤلفون ذوو النظرات الجدية

هنـالـك أنـواع من الكتب صنفهـا نفر من المستشـرقـين أو ألفوها يصعب أن يكون فيها تشويه أو أن يقصـد بها ضرر مبـاشر. . صنف ادوارد لاين «مد القاموس» فجمـع فيـه كل كلمـة وردت فى أمهات كتب اللغة ـ وكان يشير الى المصـدر الذى أخذ منه كل معنى من معـانى الألفـاظ التى اشتمل عليهـا قامـوسـه. . وتتبـع دوزى القـواميس العربية والكتب المؤلفة وجمـع مجلداً ضخـماً للألفاظ التى أهملتها القواميس العربية أو غفلت عنهـا. . وكـان أوغسـت فيشر قد جمع بطـاقـات لجميع ألفاظ اللغة العـربيـة ـ وهى البطـاقـات التى يعتمدها اليوم مجمع اللغة العربية فى القاهرة لاخراج «المعجم الكبير» الذى صدر الجزء الأول منه عام ١٩٧٠م.

■ وفى هذه الطبقة تيودور نولدكه مؤلف «تاريخ القرآن» ـ وهو كتاب يحاول فيـه نولـدكـه أن يرد سور القـرآن وآيـات تلك السـور الى ترتيبها التاريخى بحسب نزولها. ولا شك فى أن نولـدكـه قد استند فى

محاولته الى كتب الأئمة والمفسرين ولكنه جمع هذا الموضوع فى كتاب واحد منسق.

■ وكان لنولدكه بحث ضاف فى القرآن ظهر فى الطبعة الحادية عشرة من دائرة المعارف البريطانية (عام ١٩١١م) والبحث المذكور قيم سليم ـ غير أن هذا البحث حذف من الطبعات التالية لدائرة المعارف البريطانية.. وهنالك كارل بروكلمان له «تاريخ الأدب العربى» فى خمسة مجلدات ضخام ذكر فيها جميع المؤلفين العرب (ممن عرف له كتباً مطبوعة أو مخطوطة) ـ أو جزبروكلمان فى الكلام على العصور وعلى المؤلفين أنفسهم ولكنه حاول إثبات كل كتاب (مطبوع أو مخطوط) مع ذكر جميع طبعاته بأماكنها وتواريخها.

واهتم نفر من المستشرقين بالحضارة والثقافة الاسلاميتين، ألف غوستاف لوبون كتاباً جميلاً شاملاً منصفاً عنوانه «الحضارة العربية» (وقد نقله عادل زعيتر بعنوان «حضارة العرب»).. وأما حورج سارطون فله كتاب عنوانه «مقدمة الى تاريخ العلم» (فى خمسة مجلدات). إن نصيب المسلمين فى هذا الكتاب وافر جداً حتى إن سارطون أطلق على القرن الرابع عشر «عصر ابن خلدون».. وهنالك ألدو مييلى، له (مع نفر من المستشرقين) كتاب عنوانه «العلم العربى ودوره فى التطور العالمى».

■ وأوسع ما كتب فى تاريخ الاندلس وأدقه كتاب ليفى بروفنسال (فى ثلاثة أجزاء) ينتهى بسقوط الدولة الأموية فى قرطبة (وهو يؤرخ نحو أربعمائة وخمسين سنة أو أقل قليلا من نصف المدة التى قضاها العرب فى الأندلس).. والمستشرق نيكل هو صاحب النظرية العربية لنهضة الأدب الفرنسى ـ ولقد لاقت نظريته هذه مقاومة شديدة فى أول الأمر ثم لقيت قبولا. ونحن نجد هذه النظرية مثبتة اليوم فى كتب ألفها فرنسيون.. وهنالك سيلفسترو فيورى الايطالى له رسالة تقدم بها الى جامعة كولن (كولونيا بألمانيا) لنيل درجته العلمية عام ١٩٥٦ عنوان هذه الرسالة «فى الصلات بين الشعر الوجدانى العربى والشعر الايطالى الوجدانى الأول». غير أن المؤلف كتب العنوان من باب التملح باللغة العربية أيضا وجعله «الشعر العربى والشعر الايطالى القديم».. وهنالك الراهب الاسبانى آسين بالاسيوس الذى أقام الأدلة على أن الكوميديا الإلهية لدانتى شاعر إيطاليا الأول مأخوذة من المصادر العربية وخصوصاً من قصة المعراج ومن الفتوحات المكية لمحيى الدين بن عربى (ومن رسالة الغفران للمعرى).

■ ثم هنالك ثلاثة مستشرقين لابد من ذكرهم: أرنولد وماكدو نالد وهل.

● أما توماس أرنولد فقال عنه نجيب العقيقى: (كان معجباً بالاسلام.. متضلعا من علومه.. منصفا له فى أبحاثه (بحوثه)، فلم تعد عليه (له) هفوة واحدة على (فى) كل ما كتب الاسلام فى دائرة المعارف الاسلامية ـ وأشهر آثاره «الدعوة الى الاسلام» وقد نقل الى عدد من اللغات.

● وهنالك دونكان بلاك ماكدونالد ولعله لا يقل عن أرنولد إنصافاً فى كتبه وقد اشتهر بكتابه «علم الكلام فى الاسلام».

● ثم هنالك يوسف هل (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠م) الذى نشر كتباً تعد غاية فى التحقيق وفى الأمانة العلمية ـ وله مقال قيم فى أثر العباس ابن الأحنف فى الشعر الألمانى الأول.

(٣) الطبقة الثالثة:

المستشرقون من ذوى النزعات

وهنالك ـ مع الاسف ـ كثيرون من المستشرقين لم يستطيعوا أن يسموا بأنفسهم الى ما فوق أهوائهم فكان لهم كره للاسلام وللعربية يخجل منه العاقل. إن نفراً من هؤلاء المستشرقين كانوا جهالا فعلا ولكنه كان فيهم نفر أذكياء جدا ألبسوا ذكاءهم الماكر ثوب البساطة والغباء.

■ من المستشرقين ذوى النزعات



«أرنست رينـان» الـذى زعم أن الفلسفـة الاسـلامية هى الفلسفة اليونانية مدونة بأحرف عربية. إن رينـان قد تنـاسى أثـر التطور فى الحـركـات العلميـة والاجتماعية ـ أجـل إن المسلمـين استنـدوا الى العلم اليونانى لما أنشأوا فلسفتهم ولكن سرعان ماالحتلفت الفلسفتان كما يتـفــق فى كل دور من أدوار الحضـارة. فما قول رينـان وأتبـاع رينان مثلا لو قلت له: إن الهندسة اليـونـانيـة كانت الهندسة المصرية دونت بأحرف يونانية ولكن اليونان لم يأخــذوا الهنـدسـة من قدمـاء المصـريـين وقـدمـاء البـابليـين والأشوريين ويتركوها كما كانت بل نظمـوهـا وقعدوا قواعدها وسهلوا براهينها. وكذلك المسلمون أخذوا العلم من اليونان ثم بلغوا فى الجبر والكيمياء والفلك الى مرتبة لم يحلم بها اليونان فقول رينان ليس افتراء على المسلمين فقط بل افتراء على العلم نفسه أيضـاً. ولقـد كذب رينان ـ فيما بعد ـ مستشرقون من أبناء جلده وضعوا كثيراً من الأمور فى نصابها الصحيح.

■ ومن المستشرقـين الذين وقفوا على البرزخ: «وليم موير» له كتب عدة منهـا كتـاب عنـوانـه «**حياة محمد**». . وآخر فى خلافة الخلفاء الـراشدين. . وثالث فى الخلافة: نشأتها وضعفها وسقوطها. ومع أن مويـر كان مؤرخـاً بصيراً ومع أنه اعـتمـد كتـاب «**الكـامـل فى التاريخ**»لابن الأثير، فانه كان كلما

● إن عدداً كبيراً من كتب التراث العربى رأت النور ـ أول ما رأته على أيدى المستشرقين. . محققة أحسن تحقيق.

● الفهرسة والنشر والترجمة والتحقيق والسبق فى كل ذلـك، كلهـا أعـمال سبقنـا إليها المستشرقون فى تراثنا العلمى والفنى والدينى واللغوى وغيره.

وصـل الى مغمز فى تاريخنا حاول جلاءه وربـما كان هذا المغمز من رواية رجل ضعيف أو كاذب.

وكان غولدزيهر مؤلفاً مكثراً فى عدد من وجـوه الثقـافة الاسلامية وفى الفقـه خاصـة. . وكـان كثير التحامل. . وكان سنوك هر خرونيه قد تلقـى بعض الـعــلم على غولدزيهر فسلك مسلكه فى دراسة الفقه وفى التحامل.

وفى هذا الطبقــة الحــاقــدة «مـارغـوليـوث» اشتهر بكتاب له اسمـه «محمـد» كان فيـه شديـد التحـامل. لعل هؤلاء المتحاملين كانوا يهوداً (ولعل مارغوليوث كان يهوديا فتنصر) فتشكلت عقولهم بمادة «العهـد القـديم»، فكـانـوا يزعمون أن كل حسنة فى الاسلام مأخـوذة من غير الاســلام ـ من اليهودية فى الأكثر ومن النصرانية فى الأقـل. وليس هذا المقال موضعاً لمناقشـة هذا المـزعم. أما زويمر صاحب مجلة «العـالم الاسـلامى» فكـان مبشـراً حاقـداً ويعـد فى المستشـرقـين، فمن الصـواب أن ينظر إليه على أنه مبشر فى الدرجة الأولى.

■ ويأتى فى هذا النطــاق لويس ماسينيون فقد كان مستشرقا قديراً ومستشـــاراً فى وزارة الخـــارجيــة الفرنسية. . وهو صاحب النظرية المتوسطية التى شاعت بين نصارى لبنان وبين غيرهم ـ وهى تقوم على أن ثقافة الشرق الأوسط ـ أو جانباً منهـا على الأقل ـ ألصق بالثقافة الغـربيـة اليـونانية والرومانية منها بالثقـافـة العـربيـة الاسـلامية. . وكـذلـك كان ماسينيـون يدرس الحركات المتطرفة من التصوف فى الاسـلام ويشجـع على دراستهـا

ودراساته فى الحلاج مشهورة . . وله بنت تخلفه اليوم فى صناعته .

■ وهنـالـك الـراهب اليسـوعى «لامنس» جعـل كـده من حياته الـكـذب على الاسـلام . من دراساتـه مثـلا : محمد، هل كان مخلصاً فى دعوته . . ؟ . وله أيضاً : كتـاب «المؤامرة الثلاثية» زعم فيه أن مؤامرة تمت بين أبى بكر وعمر وأبى عبيدة للاستيلاء على الخلافة ـ فجـاء الى الخـلافـة أبـو بكـر بمسعى من عمر ثم أوصى أبو بكر بالخـلافـة لعمر ـ ولكن أبا عبيدة مات بطاعون عمواس وكان عمر يريد أن يجعله خليفة بعده ويبدو أن لامنس أراد أن يكفـر فى آخـر عمـره عن خطيئـاتـه فألف كتابًا موجـزاً عن «الاسـلام» حاول أن يكـون فيـه على شىء من الاخلاص والانصاف .

نحن والمستشرقون :

للمفكر مالك بن نبى رسالة صغـيرة قيمـة عنـوانها «إنتـاج المستشـرقـين وأثـره فى الفكـر الاسلامى الحديث» وهو يرى أن أثـر الاستشـراق كان سيئـاً فى المسلمين حتى بذلك الوجه المشرق منـه والـذى كان يتبـدى فيـه الاعجـاب بالثقـافـة الاسلامية ـ ذلك لأن «مدح الثقافة الاسلامية» فى كتب نفـر من المستشـرقين من أمثـال : دوزى . . وغـوستـاف لوبون . . ورينو . . قد أدخل على نفـوس الشبان المسلمين شيئا من الـزهـو الفـارغ فجعلهم يتغنـون بأمجاد ماضية لم يكن لهم منها فى حاضرهم شىء . ومالك بن نبى فى ذلك على حق، فقد كنت ذكرت مثل ذلك فى مقدمة كتابى «عبقرية العـرب فى العلم والفلسفـة» منذ جيل كامل من الدهر .

■ غير أن الأثر الأسوأ للمستشرقين فى الأجيـال الاسلاميـة القـريبـة العهـد كان إعجـاب شبـابنـا بالمـوضـوعـات الـتى طرقهـا المستشرقون وبطرافتها أو عمقها ثم بنهجهـا الجديد بالاضافة اليهم . ولقد نشأ منا جيل كان فيه عدد من الأسماء اللامعة لم يكتف أصحابها بالاقتـداء، بالمستشـرقـين فى نهج بحثهم ـ وهذا أمر محمود فى بعض وجـوهه ولكنهم تبنوا مفردات آراء المستشـرقـين فى كثير من الأحوال وكـان عدد من تلك الآراء ظاهـر الخطأ وكثير التحامل . وأنا أسمى هؤلاء العرب «أولاد ماسينيون» . ولا أحب أن أضـرب الآن على ذلـك الأمثلة لضيق المجـال ولأن هذا الموضوع يثير الآن جدالاً عنيفاً ليس من مصلحتنا الآن أن يثور .

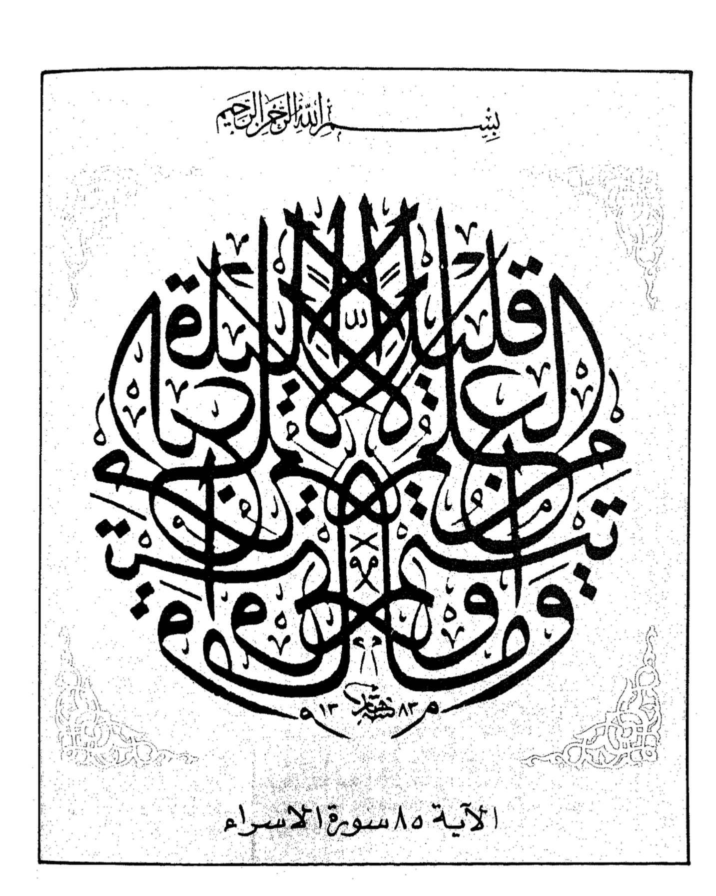
لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات

■ إن أثـر القرآن يظهر فى المجتمع الاسلامى ليس فى النواحى الدينية والاجتماعية فحسب، بل أيضا فى العلوم والفنون واللغة العربية نفسها، وإن من مظاهر قوة اللغة العربية أن المشتغلين بعلوم الدين من المسلمين من كافة الأجناس من غير العرب إنما يتفاهمون فيما بينهم عن علوم الدين باللغة العربية .

«إن دعـائم الحيـاة الاسلامية فى المجتمع الاسلامى الصحيح هى الايـمان والتقـوى والعمل والتآخى والتعاون والوفاء للشريعة الاسلامية بتطبيق أحكامها واتباع قواعدها فى جميع المعاملات مع طهارة القلب ونقاء الضمير والتخلق بالاخلاق الفاضلة» .

«إن القرآن هو المعجزة الكبرى للنبى ، والدليل القاطع على صحة نبوته، وإنه رسالة الله الى الناس كافة، وإن القرآن هو المهيمن على ما سلفه من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء والرسل، وإنه يخاطب العقل والضمير والوجدان» .

« المستشرقة/ أناماري شيمل»



الآية ٨٥ سورة الاسراء

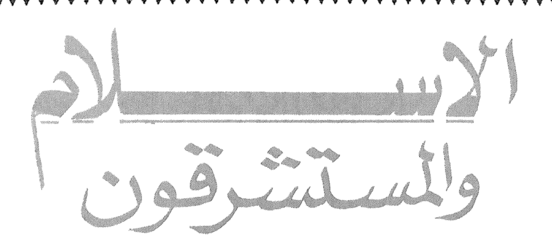


مدارات بعينها تظل نقاط ارتكاز رئيسية لدراسات المستشرقين . .

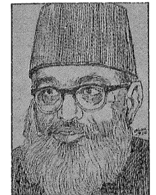
منها ينطلق توجههم . . وفى سلسلة حلقاتها المتتالية المتداخلة تؤسس نتائج دراساتهم وأبحاثهم . . (القرآن الكريم ، شخصية الرسول الأعظم والرحمة المهداة ، السنة النبوية الطاهرة ، الخلفاء الراشدون . . ثم الفتوحات الاسلامية ودوافعها . .)

كل هذه وغيرها فى إجمالها وتفاصيلها هى مدارات الفكر الاستشراقى . . منهم من ذهبت به الأباطيل والدسائس كل مذهب فلم يدون الا ما فى داخله من حقد وكره للاسلام والمسلمين ، وهؤلاء كثر . . ومنهم من بهرته الحقيقة واستسلم لقيادها وهو لاء قلّة .

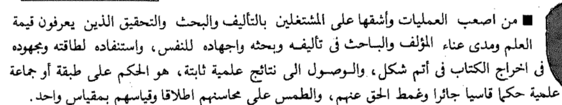
وفى هذا الفصل نقف على بعض هذه الآراء .



بقلم : فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوى



● دحض افتراءات المستشرقين تتطلب من الباحثين والدارسين من المسلمين الاجتهاد فى البحث والتأليف بالدقة العلمية المطلوبة فى الموضوعات مكان الاختلاف بيننا وبينهم .



■ من اصعب العمليات وأشقها على المشتغلين بالتأليف والبحث والتحقيق الذين يعرفون قيمة العلم ومدى عناء المؤلف والباحث فى تأليفه وبحثه واجهاده للنفس، واستنفاده لطاقته وجهوده فى اخراج الكتاب فى أتم شكل، والوصول الى نتائج علمية ثابتة، هو الحكم على طبقة أو جماعة علمية حكما قاسيا جائرا وغمط الحق عنهم، والطمس على محاسنهم اطلاقا وقياسهم بمقياس واحد.

■ ومن المعلوم أن طبقة العلماء والباحثين الحقيقيين قديما وحديثا امتازوا من بين طبقات المشتغلين بصناعة واحدة والمشاركين فى فن واحد، برحابة الصدر وسعة النظر وسلامة القلب، والاعتراف بالفضل، والاستفادة من مجهود الاولين بل المعاصرين - بل من كان دونهم فى السن والطبقة، وطول الممارسة لصناعة التأليف والبحث، وان أكثر ما تتنافى هذه القسوة ونكران الجميل وجحد الحق والفضل، تتنافى مع تعاليم القرآن وآداب الاسلام، فالقرآن يقول:

﴿انَّ الله يأمركُم أنْ تؤدوا الأماناتِ الى أهْلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكُموا بالعدل إنَّ الله نِعِمَّا يعظكم به إنَّ الله كان سميعا بصيرا﴾ .

■ ويقول : *﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شُهداء بالقِسطِ ولا يجرمنكُم شنآنُ قوم على أنْ لا تعدلوا اعدلوا هو أقربُ للتقوى﴾* .

■ ويقول : *﴿وأقيموا الوزنَ بالقِسْطِ ولا تُخسِروا الميزان﴾* .

واذا كان لابد من نقد وتقويم لعمل علمى أو تحقيق لباحث والاختلاف فيه، أو نقضه وتزييفه، أو تبيين الخطأ فيه، فليكن ذلك فى أسلوب علمى ونقد نزيه وبنسبة عادلة معقولة، فالضرورات - كما يقول فقهاء الاسلام - تقدر بقدرها.

اعتراف ببعض جهود المستشرقين العلمية الموضوعية:

لذلك اعترف بكل وضوح وصراحة أن عددا من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الاسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات والاسلاميات دون تأثير عوامل سياسية واقتصادية أو دينية بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم وبذلوا فيه جهودا ضخمة، ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التى لم تر ضوء الشمس منذ قرون الى النشر والاذاعة، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين وعاهة الارضة، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية لها مكانتها وقيمتها صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم وقرت بها عيون العلماء فى الشرق.

تتبع مواضع الضعف والعورات فى كتابات كثير من المستشرقين:

ورغم هذا الاعتراف بفضلهم وعلمهم لا يمنعنى شىء من أن أصرح بأن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع فى الشريعة الاسلامية - يظنون فيها ضعفا - والحضارة والتاريخ الاسلامى، وابرازها لأجل غاية سياسية أو دينية.

■ فنرى كثيرا من المستشرقين يركزون كل جهودهم ومساعيهم على تعريف مواضع الضعف فى تاريخ الاسلام ومجتمعه ومدنيته، حتى ما يظنونه ضعفاً فى ديانته وشريعته وتمثيلها فى صورة مروعة مضخمة، انهم ينظرون اليها عن طريق «المجهر» ويعرضونها كذلك للقراء حتى يروا الذرة جبلا والنقطة بحرا، وقد ظهرت حذاقتهم وذكاؤهم فى كثير من الكتابات فى تشويه صورة الاسلام، ويثيرون بذلك فى قلوب قادة العالم الاسلامى وزعمائه - ممن تثقفوا فى مراكز الغرب الثقافية الكبرى أو درسوا الاسلام بلغات الغرب - شبهات حول الاسلام والمصادر الاسلامية، ويحدثون فى نفوسهم يأسا عن مستقبل الاسلام ومقتا على حاضره وسوء ظن بماضيه، حتى يتركز نشاطهم وحماسهم فى رفع هتاف «تطوير الدين» و«اصلاح القانون الاسلامى».

الاستراتيجية الاستشراقية الدقيقة:

ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعينون لهم غاية ويقررون فى انفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات - من كل رطب ويابس - ليس لها اى علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أوالمجون والفكاهة، وان كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود الا فى نفوسهم وأذهانهم.

■ انهم فى أغلب الاحيان يذكرون عيبا واحدا ويجودون لتمكينه فى النفوس بذكر عشرة محاسن ليست لها أهمية كبيرة وذلك كى يقف القارىء خاشعا مؤدبا أمام سعة قلوبهم وسماحتهم ويسيغ ذلك العيب الواحد الذى يكفى لطمس جميع المحاسن، انهم يصورون بيئة دعوة أو شخصية وتاريخها وعواملها الطبيعية بلباقة وبلاغة - يصورون أن هذه الدعوة والشخصية لم تكونا الا نتاج هذه البيئة أو العوامل ورد فعلها الطبيعى وكأن البركان كان متهيأ للانفجار فتناولته هذه الشخصية بشرارة فانفجر، فينكر القارىء أى اتصال بمصدر غير مادى، ولا يعترف لهذه الشخصية أو الدعوة بعظمة أو تأييد الهى أو ارادة غيبية(١).

● **بعض المستشرقين يجعلون لهم غاية ويجمعون لتحقيق غايتهم كل ما له علاقة بها من التاريخ والأدب والفلسفة والشعر والرواية والقصص وحتى المجون والفكاهة.**

● **إنهم في أغلب الاحيان يذكرون عيباً واحداً ويجودون لتمكينه في النفوس بذكر عشرة محاسن ليست لها أهمية كبيرة لكى يقف القارىء خاشعاً أمام سماحتهم وعدالتهم.**

■ وكثير من هؤلاء المستشرقين يدسون فى كتاباتهم مقدارا خاصا من «السم» ويحترسون فى ذلك فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم حتى لا يستوحش القارىء ولا يثير ذلك فيه الحذر ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف، ان كتابات هؤلاء أشد خطرا على القارىء من كتابات المؤلفين الذين يكاشفون العداء ويشحنون كتبهم بالكذب والافتراء بحيث يصعب على رجل متوسط فى عقليته أن يخرج منها أو ينتهى من قراءتها دون الخضوع لها.

اعتماد الاوساط العلمية والجمعيات الشرقية على كتب المستشرقين:

ومما يدل على ضعف العالم الاسلامى والعربى وفقر وسائلهما العلمية ان هذين العالمين كليهما يعتمدان على مؤلفات المستشرقين فى المواضيع الاسلامية الخالصة منذ زمن بعيد كما يخيل اليهم انها مما ينفرد فى موضوعه، ويعد مصدرا علميا له أهميته وقيمته لجامعات الشرق فى قسمها العربى والاسلامى، وعليه اكبر اعتماد المؤلفين فى قسم الدراسات الاسلامية فى الجامعات.

■ ان «دائرة المعارف الاسلامية» (Encyclopaedia of Islam) وصدرت منها طبعات متعددة تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الاسلامية وأثمن ذخيرة لها، وتعتبرها بعض البلاد الاسلامية اليوم أساسا للمعلومات الاسلامية وتقوم بترجمتها الى لغاتها بنصها وروحها، وكان المتوقع المأمول منها أن تضع موسوعات اسلامية أصيلة بقلم الباحثين المسلمين أصحاب الاختصاص فى الموضوعات الاسلامية. (٢).

لابد من الاكتفاء الذاتى فى البحث والتأليف:

ولسد تأثير المستشرقين السلبى واصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الاسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية، ويقدموا للعالم الاسلامى المعلومات الاسلامية المؤكدة ووجهة نظر الاسلام الصحيحة مع مراعاة الجوانب المحمودة التى يمتاز بها المستشرقون، بل والزيادة فيها، كما يجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر وتأكد المصادر وصحتها واستدلالها القوى بالنسبة لكتابات

المستشرقين ومؤلفاتهم، وأن تكون حاملة لجميع نواحى الاتقان والصـ حة بعيدة عن الاخطاء والنقائص العلمية .

محاسبة كتابات المستشرقين العلمية:

ومما يجب أيضا، أن يقوم هؤلاء العلماء المفكرون باستعراض مؤلفات المستشرقين العلمية ومحاسبتها فى ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الغطاء عن تلبيساتهم وأخطائهم فى فهم النصوص وبيان المعنى، ويبدو للناس ضعف مصادرهم التى يعتمدون عليها، وأخطاء النتائج التى يستنبطونها منها، ويجب ايضاً ان ويطلعوا على ما يضمر كثير منهم فى نفوسهم من عداء للاسلام وما يكنونه من أغراض سياسية ودينية فى خفايا دعوتهم وتربيتهم، وكل ذلك مؤامرة على الاسلام والامة الاسلامية يجب احباطها.

لابد من عمل ايجابى بناء:

أما عدم الجمع بين هذا العمل الايجابى ـ الذى يقتضى تأليف كتب تحليلية وأبحاث عميقة حول المواضيع الاسـلامية مع الاحـالة الى المصادر بضبط واتقان، والفهارس المفصلة المفيدة المتنوعة (وذلك كله مما يعتبر من خصائص المستشرقين) . . والافادة من مواد لم تستخدم بعد وكتب ومظان لا يتبادر اليها الذهن . . كل ذلك مع تحرٍّ للدقة والوجازة والبعد عن التنميق والاستطراد . . وبين العمل العلمى ـ وهو المحاسبة العلمية فى أسلوب علمى نزيه وكلام وقور رزين ولفظ موزون بعيد عن التهكم والتنكيت والتجنى والافتراض ـ فإنه يفقد النقد قيمته العلمية ووقعه النفسى وبدون الجمع بين هذا وذاك لا تتحرر الطبقة المثقفة فى العالم الاسلامى من تأثير أفكار المستشرقين المسمومة وسيطرتهم العلمية.

■ ولانـه لا يخفى على القـارىء الخبير ان العـالم الاسلامى اضطر ان يواجه منذ منتصف القرن التاسع عشر المسيحى . . الحضارة والثقافة . . والافكار والفلسفات . . والمثل الغربية . ان هذه الاوضاع وتلك الحقائق المشار اليها كانت كفيلة بوفرة الانتاج وكثرة وضع الكتب عالية المستوى بأرقى اللغات الاوربية وأوسعها نطاقا فى كل الدول والمجتمعات الاسلامية المواجهة على الاقل . . فى شرح العقائد والاصول والقوانين والحضارة والثقافة-الاسلامية . . وفى تاريـخ العهـود الاسلامية الذهبية . . وعهود قيادة المسلمين السياسية ونظام الحكم الاسلامى . . والاقتصاد الاسلامى وفلسفة الاسلام الأخلاقية . . وكانت كفيلة بأن تتخذ لهذه الاقطار اللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الهولندية(٣) على الاقل وسيلة للبحث والتحقيق . . ونقد الحضارة الغربية وابانة مواضع الضعف فيها . . وعرض محاسن الاسلام . . وأن يستخدم أبناؤها المسلمون الملكات الخطابية والكتابية فى هذه اللغات على المستوى الكبير وتتكون فيها مكتبة واسعة فى مدة قصيرة تمد الشباب المسلم بالثقة بالذات والآباء والشعور باكتفاء الاسلام الذاتى فى جميع مجالات الحياة وترغم المفكرين الغربيين والطبقة المثقفة فى اوربا وفى أميركا والمستشرقين عامة على الدراسة الجـادة للاسـلام على الاقل ـ ان لم تستطع أن تبعثهم على الدخول فى دين الاسلام ـ وتحدث سيلا جارفا من الابحاث الاسلامية والانتاج الادبى واللغوى ـ تصطدم امواجه القوية بجدران الجامعات الشهيرة فى العالم فى أوربا وأميركا وكندا.

■ وكان من المتوقع ان يجعل هؤلاء البارعون فى اللغات الاوربية من أبناء الاسلام جامعاتهم غنية بالمواد والابحاث فيما يتصـل بالتاريخ الاسلامى والقوانين الاسلامية . . واللغات الشرقية وآدابها ونقدها وتاريخها وأنهم لا يدعون



الدارسين فى هذه المواضيع الحساسة عالة على نكولسون أو براون أو حتى فى دراسة التاريخ الادبى والسياسى والحضارى لبلاد العرب وايران ـ وعلى جولدنسيهر أو شاخت فيها يتصل بدراسة الشريعة الاسلامية وتاريخ تدوين الحديث والفقه ولا على مارغوليوث فى دراسة لغة القرآن الكريم وعلومها وآدابها وشعرها ـ وعلى بروكلمان(٤). ومن نهج نهجهم فى مثل هذه الدراسات. . وفيما يتعلق بالاطلاع على الحركة التأليفية والكتابية فى العهد الاسلامى والتراث الاسلامى العلمى وانتاجات المسلمين العلمية ومجهوداتهم القلمية.

■ ان كل ذلك لا يقف سدا منيعا فحسب أمام الردة الفكرية التى تكاد تكتسح الشباب الاسلامى المثقف الذكى والتى كانت تنتشر فى البلاد التى كانت مستعمرات غربية انتشار النار فى الهشيم. بل يفتح الباب على مصراعيه فى أوربا لمد الدعوة الاسلامية وللتعرف بالاسلام والقرآن والسيرة النبوية وبالتالى يجذب من أراد الله به خيرا من سكان هذه الرقعة من أرض الله الى عين الاسلام الصافية وحصنه المنيع.

قلة الانتاج العلمى التحقيقى فى الدول المواجهة، فى اللغات الغربية:

كل الدلائل كانت تشير الى أنه سيبتدىء فى العالم الاسلامى عهد جديد للبحث والتحقيق والتصنيف فى المواضيع الاسلامية ـ وأن اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية بصفة خاصة ستعود زاخرة بالمؤلفات ذات المستوى العالمى التى سيؤخذ الاوربيون والاميركان انفسهم بعذوبة لغتها. . وجمال أسلوبها وقوة استدلالها. . ولباقة عرضها للمواد وقدرة مؤلفيها التأليفية والكتابية. .

■ ولكن من الحقائق المؤلمة ان أبدى استغرابى من عدم تحقق هذا الرجاء ذلك الذى يبعث المؤرخ الأمين الواسع الافق الواسع الاطلاع على العجب العجاب.

الهوامش

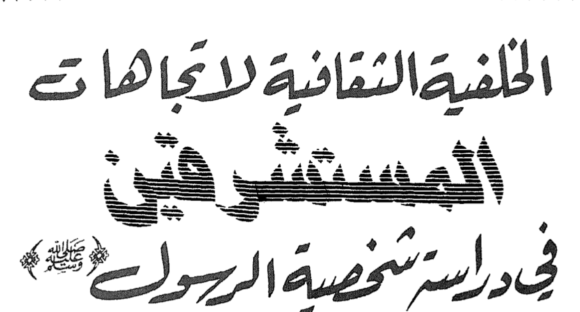
(١) وهذا كان شأنهم فى تصوير العصر الجاهلى والجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية.

(٢) ان عمل جامعة بنجاب فى لاهور (باكستان) فى اخراج هذه الموسوعة يتسم بكثير من الاصالة والتنقيح والحذف والزيادة حتى أصبح الكتاب مستقلا له قيمته العلمية.

(٣) هذه هى اللغات الاربع التى كثرت فيها المؤلفات والبحوث فى الموضوعات الاسلامية.

(٤) مع الاعتراف بمجهوده الكبير وقيمته العلمية والاستفادة منه.





● أوروبا لم تكن يهدفها التعرف على الإسلام ونبيه بقدر ما كان البحث عن وسائل لمواجهته والقضاء عليه.

● المخاوف والأحقاد ظلت هي المحددة لاتجاهات المعرفة عند كثير من المستشرقين.

بقلم : الأستاذ مصطفى عمر حلبي



■■ لعل القارىء - عند قراءته لعنوان الموضوع - يتساءل عن مفهوم «**الخلفية الثقافية**» وقد يتساءل أيضا عن مفهوم «**اتجاهات المستشرقين**»، لذا ينبغي تحديد هذين المفهومين قبل الشروع في الموضوع، ويمكن تلخيص مفهوم الخلفية الثقافية في الأمور الآتية :

(١) **الخلفية الثقافية التاريخية** : وهي الخلفية التي تشكلت من خلال الظروف التاريخية التي مر بها الفكر الغربي في العصور الوسطى في علاقته بالإسلام وهي ظروف أدت في مجملها إلى تصوير الاسلام تصويراً مشوهاً عدائياً منذ بداية القرن الأول الهجرى، وقد استمر هذا التصوير إلى العصر الحديث.

(٢) **الخلفية الثقافية الحديثة** : وهي الخلفية التي تكمن وراءها مفاهيم الحضارة الاسلامية التي ازداد ضعفها في القرون الأخيرة بزيادة قوة الأمم الغربية . . ثم تجاوز الأمر ذلك الى رغبة في الاستيلاء على هذه الأمة وفرض الوصاية عليها . . ثم بلغ الأمر ذروته بالرغبة في إعادة صياغة هذه الأمة لتكون امتداداً للحضارة الغربية.

(٣) ويدخل في إطار الخلفية محاولة تفسير الاسلام في ضوء المعتقدات النصرانية أو اليهودية أو الوثنية فيحاول المستشرقون عبثا إيجاد علاقة بين هذه المعتقدات والشريعة الاسلامية.

■■ أما اتجاهات المستشرقين فهي ما يحاول من خلاله المستشرقون تفسير الشرائع الاسلامية، ومحاولة إيجاد علاقة بين الاسلام والنصرانية أو اليهودية أو الوثنية . . وتختلف اتجاهات المستشرقين تبعا لخلفية كل واحد منهم . . فقد

يكون اتجاه المستشرق نصرانيا أو يهودياً . . وقد يكون علمانياً أو شيوعياً . . أو غير ذلك .

والسؤال الذى يطرح هو: كيف تشكلت خلفية المستشرقين الثقافية عن الرسول ﴿ﷺ﴾ وعن الاسلام؟ .

■ بدأت علاقة أوروبا بالاسلام منذ نهاية القرن الأول الهجرى أى: منذ فترة مبكرة من تاريخ الاسلام . . وأخذت أوروبا الدهشة حين سمعت به ينتشر سريعاً فى الشام ومصر وافريقيا . . وعندما دق الاسلام أبواب أوروبا النصرانية كان الأوروبيون يعيشون متقوقعين حول أنفسهم وأوروبا ساكنة تعيش فى ظلام القرون الوسطى تحت سيطرة أسياد الأرض وسلطة الكنيسة .

■ وكان للنصارى الفارين بدينهم من الشرق من أمام الجيوش الاسلامية دور كبير فى تقديم صورة مشوهة عن الاسلام ونبيه ﴿ﷺ﴾ . وقد منعتهم معتقداتهم الدينية ـ الخاطئة ـ من تصور الاسلام تصوراً صحيحا ، فرأت أوروبا فى الاسـلام مشكلة تهدد العالم المسيحى ، وتصوروا المسلمين شعباً هائجاً عرف بالسلب والنهب فاجتاح وخرب أراضى واسعة وانتزعها من قبضة المسيحية .

■ تمخضت عن المواجهة الأولى بين الاسلام ونصارى أوروبا نظرة مشوهة ساعدت فى تشكلها الخلفية المشوهة التى رسمها رجال الدين وكتاب تلك العصور، ومن خلال هذه الصورة رأت أوروبا فى الاسلام ـ كما يقول سوذرن : «**أخطر عوامل الارهاب والارهاق وعلى كل المستويات . . فأى دور فى التاريخ أتاحه له القدر؟ وهل هو أمارة من أمارات الساعة؟ أو مرحلة فى التطور الطويل لمصائر المسيحية؟ هل هو هرطقة ضمن المسيحية أو فرقة منشقة أو دين جديد؟ وهل هو بدعة إنسانية؟ هل هو حملة ساخرة ضد المسيحية أو منظومة معتبرة تستحق الاحترام والاهتمام والنقاش؟**» .

■ تصور هذه التساؤلات النفسية الأوروبية ـ فى تلك الفترة ـ الجاهلة بالاسلام والخائفة منه ، هذه النفسية التى ورثت الحقد على الاسلام للأجيال اللاحقة .

■■ ففى القرن الثامن الميلادى رأى (**يوحنا الدمشقى**) فى الاسلام هرطقة مسيحية ، واستمرت هذه النظرة الى الحادى عشر الميلادى حيث تبنى (بطرس) الرأى نفسه كما رأى فى الاسلام أشد هذه الهرطقات وأخطرها ، فهى تشكل خطراً على الايمان الكاثوليكى إن لم تدرس على حقيقتها وتكافح بالوسائل المناسبة .

وفى هذه الفترة تصورت أوروبا أن الاسلام من اختراع الرسول ﴿ﷺ﴾ .

وظهـرت كتابات فى القرن التاسع الميلادى تصف حياة الرسول ﴿ﷺ﴾ ومعجزاته فكتب (يولوجيوس) سيرة مختصرة ومحرفة عن النبى ﴿ﷺ﴾ مبنية على معلومات زائفة لا أساس لها فى أغلب الأحوال ، ولكنها ـ كما يزعم (فحيل آسين) ـ تفصح عن معرفة كبيرة بالقرآن والحديث .

■ واستمرت هذه النظرة المشوهة تجاه الاسلام والرسول ﴿ﷺ﴾ الى القرن الحادى عشر الميلادى ، فالمؤلفون اللاتين الذين شرعوا بين (١١٠٠-١١٤٠) فى تلبية هذه الحاجة عند الجمهور الكبير ركزوا جهودهم على حياة محمد بدون أن يبالوا كثيراً بالصواب أو الدقة .

■ وهكذا بقى الاسلام والرسول ﴿ﷺ﴾ الى نهاية هذه الفترة مسجونين فى هذه الصورة لعدة قرون ، ووصلت هذه الصورة المتخيلة الى المدارس والأديرة فى شكل مدرسى يشجع على قبولها وبالتالى انطبعت هذه الصورة فى النفسية الأوروبية بشكل مروع .

■ يحلو لبعض المستشرقين أن يعد القرن الثانى عشر الميلادى مرحلة جديدة فى النظرة الأوروبية الى الاسلام ، نظرة

● عندما ضعفت قوة المسلمين اختفى عنصر الخوف من الأوربيين وحل محله عنصر الاستعلاء والتفوق.

● بعد سقوط الدولة العثمانية أضحى الاسلام حلماً ساكناً فى المخيلة الأسطورية لأوروبا.

● تأثير البيئة على الفرد العادي يعتمد على مدى تفاعله معها وقبوله لمبادئها.

تتسم - كما يدعى (سوذرن) - بالتعقل فى رؤية الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، طردت التصورات الخيالية عند مثقفى أوروبا. ولكن (سوذرن) ناقض نفسه حين قال: «إن أوهام القرن الثانى عشر وأقاصيصه الخيالية يمكن تسويغها بشكل ما من حيث إنها تحاول أن تعرض رؤية نقدية للاسلام». فهل يصح عرض الرؤية النقدية من خلال الأوهام والأقاصيص الخيالية؟. (وسوذرن) نفسه يذكر (يواكيم الفيورى) أحد مفكرى القرن الثانى عشر الذى رأى قرب يوم القيامة بظهور الاسلام.

■ ومع ظهور المغول على مسرح التاريخ لاح لأوروبا بصيص أمل جديد للقضاء على الاسلام ولكن هذا الأمل تحول الى خوف عندما اعتنق المغول الاسلام، وبذلك خسرت أوروبا أهم العوامل التى رأت أنها قد تساعد على القضاء على الاسلام، ونتيجة لذلك ظهرت النفسية الأوروبية الخائفة والحاقدة مرة أخرى متمثلة فى كتابات (رامون لول ١٢٩١م)، و(ريكالدو دامونتي كروتشي ١٣٠٠م)، و(سيمون سيميونس ١٣٢٢م). فقد تجاهل هؤلاء - كما يقول (سوذرن) - كل ما يعرفونه من حقائق ومعلومات صحيحة عن الاسلام.

■ ومع بداية القرن الرابع عشر الميلادى بدأ نمو الدولة العثمانية بشكل واضح وهذا يعنى عودة قوة الحضارة الاسلامية من جديد، ولما أدركت أوروبا عودة قوة الاسلام عادت نظرة الحقد والخوف تظهر بوضوح، وكانت «نظرة التشاؤم هى القاسم المشترك بين كل أولئك الذين زاروا ديار الاسلام طوال القرن الرابع عشر ومطالع القرن الخامس عشر من الأوروبيين».

■ وقد صور الرحالة فى هذه الفترة (١٣-١٥) المسلمين بصور من نتاج خيالهم غاية فى البذاءة، مما يؤكد الحقد المضمر فى أعماقهم.

يتبين مما سبق أن نظرة أوروبا ظلت كما هى منذ اللحظة التى التقى فيها الاسلام بأوروبا.. ولم يكن للتاريخ دور فى تكوين بعد وعمق لمعرفة أوروبا بالاسلام.. كما أنه لم يكن لمعرفة أوروبا بالاسلام أى دور فى تصحيح مفاهيم الأوروبيين عن الاسلام، أو فى تغيير شيء من نظرتها تجاه الاسلام، ذلك لأن المعرفة لا تعنى بالضرورة تصحيح أو تغيير الصورة السائدة، لذلك كانت الأحقاد والمخاوف هى المحددة لاتجاهات المعرفة، ولم يكن هدف أوروبا التعرف على الاسلام ونبيه بقدر ما كان البحث عن وسائل لمواجهته والقضاء عليه.

■ أما القرنان السادس عشر والسابع عشر للميلاد فقد شهدا تغيراً جوهرياً فى موقف كل من الحضارتين: الاسلامية

والأوروبية، لأن الخط البيانى لكل من الحضارتين بدأ يأخذ اتجاها معاكسا لاتجاهه الأول. . فبدأ الخط البيانى للحضارة الاسلامية رحلة الهبوط بينما أخذ نظيره الأوروبى رحلة صعود سريعة، وبدأ العالم الاسلامى يواجه أوروبا متغيرة عن سابقتها فى القرون الوسطى.

فقد اختفى عنصر الخوف وحل محله عنصر الاستعلاء الأوروبى، وانطلقت النظرة من منطلق الشعور بالتفوق فى الوقت الذى ضعفت فيه قوة المسلمين، وأضحى الاسلام بقوته التى طالما دقت أبواب أوروبا «حلما ساكنا فى المخيلة الأسطورية لأوروبا».

وظهرت فى هذه الفترة سيرة للرسول ﴿ﷺ﴾ بعنوان «حالة المذهب المحمدى الأولى وهى كسابقها من الدراسات التى كتبت حول الاسلام وحول سيرة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ مليئة بكل أنواع الكذب والبهتان وقلب الحقائق.

■ وفى القرن الثامن عشر الميلادى ظهرت أوروبا قوية بحضارتها أمام الضعف الشديد للدولة العثمانية ظهرت بثرائها المادى وبسيادتها ونزعتها العلمية الحديثة فى كل العلوم والفنون، وقد أدت هذه العوامل الى تغلغل نظرة التفوق فى النفسية الأوروبية وبالتالى الاستعلاء على من حولها وبخاصة نظرتها الى الاسلام، فنصب الأوروبيون ـ ولا سيما المستشرقون ـ أنفسهم قضاة على الاسلام ووضعوه فى قفص الاتهام، ثم انهالوا عليه بالاتهامات والتحليلات الخاطئة مدعين أن ما يتوصلون إليه هو نتاج دراسات علمية وموضوعية.

■ والحقيقة أن جل هذه الدراسات بعيدة عما يدعون لأنها صادرة عن نظرة متعالية الى عدّو مهزوم فى نظرهم «فالذين يزورون الشرق الاسلامى ـ كما يقول (رودنسون) يبحثون فيه عن صورة ملونة: بالحس الأوروبى تبعا لتطوره الداخلى تترجم كذلك واقع حالة ـ فى القرن التاسع عشر ـ الشرق الاسلامى مازال عدواً ولكنه بات عدواً مهزوماً سلفاً». وقد ساعد على ذلك وضع المسلمين المهين وإخفاقهم فى الدعوة إلى الإسلام مع نجاح أوروبا فى الدعوة الى النصرانية المحرفة، «وأصبح الهجوم على الاسلام على أشد ما يكون. . وبُعِثت حُجج العصور الوسطى بعد أن أضيفت إليها زخارف عصرية. .».

■ وهكذا فإن نظرة أوروبا فى العصر الحديث الى الاسلام لم تتغير. فقد استمرت نظرة العداء الى الاسلام. . والعداء يولد التحامل. . والتحامل يولد الجهل. . وكما يقول المستشرق (بوزانى): «إنه من المؤكد أن شيئاً من هذا الحقد المتبادل بين الاسلام والمسيحية وإن شئتم بين الغرب والعدو الأول فى تاريخنا وهو الاسلام لا يزال موجوداً ويؤكد اعتراف هذا المستشرق ـ بنظرته الى الاسلام ـ أنه ما زال عدوهم الأول فى التاريخ يؤكد استمرار نظرة الحقد الى العصر الحديث ـ هذا الحقد المتربع منذ قرون سحيقة فى النفسية والثقافة الأوروبية مع نظرة الاستعلاء الأوروبى، علاوة على الاختلاف الجذرى بين مفاهيم الحضارتين: الاسلامية والأوروبية، ورفض أوروبا النظر الى الاسلام إلا من منطلق مفاهيم حضارتها وأسسها ـ هذه العوامل وغيرها تجعل نظرتهم الى الاسلام غير صحيحة ومجحفة إلا فى مواقف قليلة.

■ وظهر فى العصر الحديث اتجاه يدّعى العلمية والموضوعية فى نظرته الى الاسلام والرسول ﴿ﷺ﴾، ولكنه اتجاه علمى علمانى، لا يؤمن إلا بما هو محسوس ومشاهد وفى حدود قدرات العقل البشرى، هذا الاتجاه المتمثل فى مناهج البحث العلمى الحديثة التى لا يشك فى فوائدها فى كثير من أمور البحث، بيد أن الخطأ الذى وقع فيه الأوروبيون ـ ولا سيما المستشرقون ـ أنهم أخضعوا كل القضايا لهذه المناهج، فإذا أخفقت مناهجهم فى إثبات قضية مّا حُكِمَ على القضية إما بالنفى أو التحريف أو الخطأ، ومع أن العلم قد أفاد من هذه المناهج الحديثة فى قضايا كثيرة إلا أنه لا يمكن التسليم بأن كل ما توصل إليه لا يقبل النقد أو لا يحتمل الخطأ، كما أن إخضاع كل قضية تحت مجهر هذه المناهج أمر مرفوض.

■■ وهكذا بقى الاسلام والرسول ﴿ﷺ﴾ فى قفص الاتهام الأوروبى نتيجة للأحكام الأوروبية الوسيطة الجائرة

● الفكرة الاستعمارية لم تكن مقوماتها موجودة من قبل فى الثقافة الأوروبية.

● المستشرقون والمنصرون أدخلوا فى عقلية الأوروبى ان غزوهم للشعوب الاسلامية يُعَدّ تقربا الى الله.. ويعدون ذلك نوعاً من أنواع العمل المقدس.

● لما ظهر المغول على مسرح التاريخ لاح لأوروبا بصيص امل جديد للقضاء على الاسلام والمسلمين.

بسبب الجهل والخوف، ونتيجة لادعاءات المستشرقين الباطلة المتأثرة بالأحكام السابقة الصادرة من خلال المفاهيم الغربية الحديثة.

■ وأما اتجاهات المستشرقين التى يتناولها الموضوع فهى الاتجاهات: النصرانية واليهودية والوثنية.. فبعض المستشرقين ينزع نزعة نصرانية فى شبهاته التى يتناول فيها شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾.. وبعضهم ينزع نزعة يهودية.. ومنهم من يحلو له أن يتناول شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ من منطلق وثنى.

■ ومن خلال الخلفية السابقة بمفهومها وتطورها التاريخى لا يفترض فى الشبهات ذات الخلفية النصرانية أن يكون من أثارها من المستشرقين نصرانيا، وأن من يثير الشبهات ذات الخلفية اليهودية يهودياً بالضرورة - فقد يثير مستشرق نصرانى شبهات يهودية أو وثنية.. وينطبق القول نفسه على المستشرقين اليهود وغيرهم.. كما أنه قد يميل مستشرق الى أن يجعل من الاسلام نحلة نصرانية أو يهودية فيحاول إلصاق شبهات تحقق غرضه.. وقد يحلو لمستشرق يهودى أو نصرانى أن يربأ بديانته عن الاسلام فيلصق بالرسول ﴿ﷺ﴾ وبالاسلام شبهات وثنية. وكل اتجاه من تلك الاتجاهات له عوامله وأهدافه التى تجعل الشبهات المثارة فى اتجاه ما تختلف فى طبيعتها عن الآخر، ويتضح هذا القول عند الحديث عن كل اتجاه من هذه الاتجاهات وبيان طبيعة شبهاته.

أولا: الاتجاه النصرانى.

يمكن تصنيف شبهات المستشرقين فى هذا الاتجاه الى صنفين:

الأول: شبهات لها جذور تاريخية تشكلت عبر القرون حتى أضحت جزءاً من الثقافية الاوروبية وهذه الشبهات لا تعتمد على الحجة والبرهان بمقدار ما تعتمد على التهم التى تصاغ فى ألفاظ مقذعة تفتقر إلى التوثيق، فهى فرضيات لا يقوم عليها دليل بل هى فرضيات مغرضة جاءت لتعبر عن أهداف مقررة فى نفوس أصحابها.

الثانى: شبهات شكلتها مفاهيم الحضارة الغربية الحديثة المختلفة جوهريا عن الحضارة الاسلامية.

■■ ويظهر فى القرون الوسطى راهب ديركلونى (بطرس) بمؤلفاته التى أصبحت فى ذلك الوقت مصدراً رئيسيًا للتصورات غير المعقولة التى صارت فيها بعد مألوفة لدى المسيحيين عن حياة محمد وتعاليمه، وإلى مؤلفات بطرس

ترجع غالبية المؤلفات الجدلية العديدة التى نشأت فى العصر الوسيط ضد الاسلام باختلاف أشكال المصادر.

■ ويتقدم الزمن بالنظرة الأوروبية للرسول ﴿ﷺ﴾ الى فترة متأخرة من نهاية العصور الوسطى - أعنى القرن الرابع عشر الميلادى لنجد الصورة ظلت معتمة بل ازدادت حقداً فيما تمثله قصيدة (جون لدجيت) حيث حشد فيها معظم الأساطير الخيالية التى كانت سائدة فى عصره.

ويضاف الى هذا الكم من الاكاذيب والافتراءات ما كتبه المستشرق (بوديه) الذى عاش فى نهاية القرن السادس عشر الميلادى.

■■ وأما المستشرق (بريدو) الذى عاش الى نهاية القرن السابع عشر والمستشرق (جانييه) وهو من مستشرقى القرن السابع عشر: فانهما يسيران على نفس سبيل من سبقهما وعاصرهما.

■ ويطل القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرون بصورة عن الرسول ﴿ﷺ﴾ ليكتمل بها نسيج الصورة المرسومة عن الآباء والأجداد ففى القرن الثامن عشر يطلع (فولتير) (١٦٩٤-١٧٧٨) بمسرحيته الشهيرة «التعصب أو محمد النبى» التى يصف فيها النبى بنفس الطريقة القديمة.

وفى سياق هذه الأباطيل يمكننا الاطلاع على كثير من الحقد الدفين لدى: (هرور - أوجستموللر - مرجليوث - جريمة).

■ تلك كانت لمحة تاريخية موجزة تتبعنا فيها المنابع التى نشأت فى ظلها تلك الشبهات منذ القرون الوسطى الى بداية القرن العشرين، وكما لاحظنا فقد وصفوا الرسول ﴿ﷺ﴾ بصفات ترفضها الفطرة السليمة ويمجها الخلق الحسن، وإن كانت العوامل التى تشكلت من خلالها هذه الشبهات تختلف فى بعض الفترات إلا أن الهدف موحد وهو تشويه صورة الرسول ﴿ﷺ﴾.

●● عندما نتتبع العوامل التى تشكلت من خلالها هذه الشبهات نجد أن الخوف والجهل والحقد والشعور بالخطر وعدم الأمان من أبرز العوامل التى شكلت تلك الخلفية عن الاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام فى القرون الوسطى وفى فترة قوة الحضارة الاسلامية وضعف أوروبا.

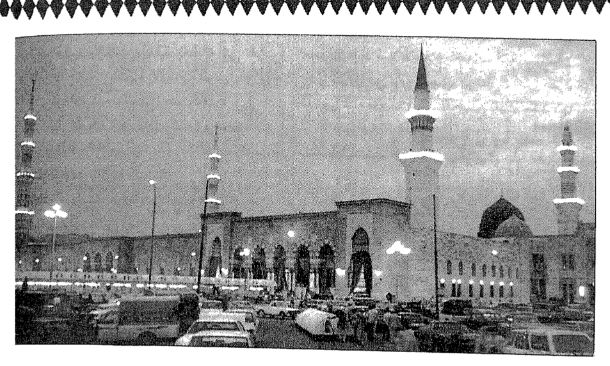
■ أما بالنسبة للمستشرقين فلن نكون منصفين إذا اتهمناهم بالجهل الذى كان يتصف به أسلافهم من قبل، بل إن من المستشرقين من يعرف عن الاسلام وأهله بشىء من العمق، لذلك فقد انتفى عامل الجهل فى صناعة شبهات المستشرقين المحدثين.

■ أما الخوف فقد تحول الى شعور بالتفوق، ذلك لأن قوة الحضارة الاسلامية فى العصر الوسيط وضعف أوروبا فى ذلك الوقت هو الدافع الأساسى من وراء ذلك الشسعور، فلما انعكس موقف الحضارتين الاسلامية والأوروبية وأضحى الغالب مغلوبا تحول الشعور بالخوف الى شعور بالتفوق والاستعلاء.

■ إننا أمام كومة من الشبهات لا يمكن مناقشتها مناقشة علمية منهجية، وذلك لأنها تفتقر أصلا الى المصداقية وأنها تقوم على السباب والشتم.. وهى على أحسن احتمال تقوم على فرضيات مغرضة وضعت أصلا لتبرهن على أهواء فى نفوس أصحابها.

ثم من هم مروجو هذه الشبهات؟ إنهم مستشرقون غربيون نشأوا فى ظل ثقافة غربية متوارثة، وينتمون الى دين محرف ومعاد للدين الذى جاء به محمد ﴿ﷺ﴾ - هذا الدين الذى طالما رأوا فيه مصدر رعب ولا يزالون.. فالاسلام دين يزداد معتنقوه من النصارى يوماً بعد يوم، أفلا يحقدون بعد هذا على من جاء بهذا الدين من عند الله تعالى؟ أفلا يشعرون بخطر هذا الدين على النصرانية طالما أنهم غير راغبين فى ذلك الحق وذلك النور.

■ أما الهدف من وراء إثارة هذه الشبهات فإنه مشترك بين نصارى القرون الوسطى ومستشرقى العصر الحديث والهدف منها هو تشويه صورة الرسول ﴿ﷺ﴾ وهى فى الوقت نفسه تخدش خلقه وسلوكه، بل إن الاتصاف بها ينزل



بالمرء العادى عن الدرجات الدنيا من سلم القيم والأخلاق فكيف إذا اتصف بها نبى؟ . إن النتيجة هى رفض نبوته .

■■ لقد هدف المستشرقون بهذا الى تعميق الهوة وتعميق الحقد على النبى ﴿ﷺ﴾ لا ليرفض الغربى النصرانى نبوة الرسول ﴿ﷺ﴾ فحسب بل لإثارة مشاعر الاشمئزاز والتقزز فى نفسه تجاه الرسول ﴿ﷺ﴾ . ومن جهة أخرى فإن المستشرقين يحاولون بلبلة أفكار المسلمين فى عقيدتهم .

وهناك شبهات شكلتها مفاهيم الحضارة الغربية التى ترفض الايمان بعالم الغيب والروح فإذا ند الأمر عن دائرة محسوساتهم المادية رفضوه وأنكروا حدوثه أو حتى إمكانية حدوثه ـ هذا المفهوم المادى للحضارة الغربية أدى دوراً فعالاً فى إثارة كثير من المستشرقين لشبهاتهم .

■■ تتعسر مناقشة المستشرقين فى مثل هذه الشبهات لأن التكوين الثقافى للغربين قد بُنى على قواعد وأسس تختلف بل تتناقض فى أصولها وطبيعتها عن أصول الحضارة التى يدرسونها وطبيعتها ، وهكذا اختلف المنطلق وتناقض المبدأ فجاءت شبهاتهم وآراؤهم منافية لحقائق وأسس لا يقوم الاسلام إلا عليها .

■ فرفض المستشرقين الايمان بالغيب والوحى هذا الرفض الذى فرضته حضارتهم الغربية . . وعدم إدراكهم لضرورة هذا الايمان عند تناولهم لشخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ . . وعدم فهمهم لوقائع سيرته ﴿ﷺ﴾ حدثا وروحاً عامل من أبرز العوامل التى تثار من خلالها هذه الشبهة وغيرها .

■■ فالحضارة الغربية العلمانية . . ومفاهيمها المادية . . ومناهجها الوضعية . . ألزمت الأوروبيين ، والمستشرقون من بينهم ـ الايمان بالمحسوس فقط وفرضت عليهم إنكار كل ما يتعلق بالغيب والروح والوحى ، من أجل ذلك قلّ أن يؤمن الغربى بالغيب ـ ولذلك يضعون شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ تحت مجهر المناهج المحدودة التى تتأثر بالهوى الشخصى وبذلك يستعصى عليهم فهم شخصية النبى الكريم عليه الصلاة والسلام .

■ ولما كان اعتماد المستشرقين على وسائل الحس العادية فى البحث لاثبات كل حقيقة تتعلق بالاسلام وبشخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ مع أنه ثبت لديهم قصور الوسائل الحسية عن إدراك الحقائق الايمانية ـ أضحت مناقشة المستشرقين فى شبهاتهم المتعلقة بالغيب والوحى تشكل هوة كبيرة لا يستطيع كثير من المستشرقين اجتيازها إلا إذا تخلوا عن مفاهيم حضارتهم المادية .

■ وعندما يتعامل المستشرقون مع شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ وسيرته لا يدركون أنهم «بمواجهة تجربة من نوع خاص ،

وشبكة من العوامل تند عن حدود ملكة العقل وتستعصى على التحليل المنطقى الاعتيادى المألوف، ومن ثم فإن قصرها على مقولات العقل الصرف ومعطيات المنطق المتوارثة ليقود الى نتائج خاطئة بل إن معالجة هذه الحقائق يستعصى عليه الوصول الى حقائقها، (لأن الوحى والغيب قد تدخلا فى شخصيته وسيرته عليه الصلاة والسلام)، لذلك ليس بمقدور العقل أن يدلى بكلمته فيها إلا بمقدار وتبقى المساحات الأكثر عمقا وامتداداً بعيدة عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق.

●● وبهذا التناقض فى المفاهيم والأسس والمنطلقات تستعصى مناقشة شبهات المستشرقين المتعلقة بالوحى والقرآن والغيب والمعجزات.. وغيرها من الأمور التى ترفضها الحضارة الغربية، وترفض الايمان بها.

ثانيا: الاتجاه اليهودى

مر بنا أن مناقشة الشبهات ذات الخلفية اليهودية تختلف فى طبيعتها عن الشبهات ذات الخلفية النصرانية، وذلك لأسباب من أبرزها:

(١) إن أوروبا كانت تدين بالنصرانية، ولذلك واجه الاسلام عند التقائه بأوروبا حضارة نصرانية وشعوبا تدافع عن نصرانيتها، أما اليهود فلم يكونوا سوى جماعات متفرقة هنا وهناك.

(٢) تَرَقُّبُ اليهود للنبى المنتظر ومعرفة مكان خروجه جعلهم يجتمعون فى المدينة المنورة والمناطق الشمالية الأخرى منها، فأتيحت لهم بذلك فرصة التعايش مع المسلمين، والتعرف على حقيقة الرسول ﴿ﷺ﴾ وإدراكهم لصدقه، ومعرفتهم لأخلاقه وصفاته الأمر الذى جعلهم على معرفة أوثق بالاسلام ورسوله ﴿ﷺ﴾ ولم يتوفر لنصارى أوروبا هذه المعرفة عن قرب أو العيش تحت ظل الاسلام كما توفر لليهود بل إن الصورة قد وصلتهم محرفة ومشوهة عن الاسلام ونبيه ﴿ﷺ﴾، فكان هذا فارقاً مهما بين معرفة كل من الطرفين للاسلام، وأدى إلى اختلاف الشبهات المثارة من الطرفين كليهما من حيث العموم وإن كان هذا لا يطرد فى كل شبهة ولا فى كل مستشرق يهودى.

(٣) طبيعة الشبهات ذات الخلفية اليهودنية تختلف عن طبيعة الشبهات ذات الخلفية النصرانية، فالأولى تنحصر ـ إلا ما ندر ـ فى تشريعات الرسول ﴿ﷺ﴾، أما الثانية فتتعلق بالتشريعات وبالناحية الشخصية للرسول ﴿ﷺ﴾ وعليه فإن تناول الشبهات اليهودية يحتاج الى المصادر فى كثير من الأحيان بعكس الشبهات النصرانية التى قد تصدر عن الحقد والتعصب.

ونقف على مثالين من الشبهات ذات الخلفية اليهودية يتبين من خلالهما طبيعة هذه الشبهات:

١ ـ شبهة المستشرقين حول أصل يوم الجمعة وصلاة الظهر

يدعى المستشرق (بروكلمان) أن يوم الجمعة عند المسلمين قد شرعه الرسول عليه الصلاة والسلام على غرار السبت اليهودى.. وأن صلاة الظهر قد أضيفت فى المدينة على غرار اليهودية كذلك. يقول (بروكلمان) «وبينما كان المؤمنون لا يصلون إلا مرتين فى اليوم أدخل فى المدينة على غرار اليهودية أيضا صلاة ثالثة عند الظهر. كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت اليهودى ـ ولكنه خالف اليهود حين سمح للمؤمنين بأن ينصرفوا فى ذلك النهار الى شؤونهم الدنيوية قبل أداء الصلاة وبعدها».

● بكل دوافع ترويج الأباطيل ضد الاسلام نصب المستشرقون من أنفسهم قضاة على الاسلام ووضعوه فى قفص الاتهام.

● ألصقوا بالإسلام شبهات وثنية، واسرائيليات بغرض زعزعة العقيدة.

■ ينطلق بعض المستشرقين فى إثارة الشبهات من اعتقاد يرون فيه قاعدة فيبنون بعض شبهاتهم على مبدأ القدم والحداثة، فلما كانت اليهودية متقدمة على الاسلام والاسلام متأخر عنها فإن ذلك يحتم ـ فى نظرهم ـ أخذ الاسلام عن اليهودية. وعلى الرغم من خطأ هذه القاعدة فإننا نسأل المستشرقين: هل يجعلون من هذه القاعدة مبدأ عاماً مطبقا على كل القضايا التى يتناولون أم أنهم يأخذون بها عندما يتعاملون مع القضايا الاسلامية؟.

■■ فالله سبحانه وتعالى الذى فرض يوم السبت على اليهود هو الذى فرض يوم الجمعة على المسلمين أما الاختلاف بينهما فى الأسلوب والأيام فإنما مرده الى الله تعالى فهو الذى شرَّع ولا يُسأل عما يفعل والناس يُسألون ومحمد ﴿ﷺ﴾ لم يخالف اليهود فى التشريع من تلقاء نفسه وإنما جاء ذلك من عند الله تعالى، ومدار الأمر على الايمان بوحى الله الى رسوله، فإذا انتفى هذا الايمان أصبح الخوض مع المستشرقين فى هذه القضية ضربا من الجدل، لما قد سبق تفصيله فى الشبهات النصرانية، كما أن استقلال شخصية الأمة الاسلامية يتطلب أن تكون لها تشريعاتها وعباداتها التى تميزها عن أمة اليهود التى غضب الله عليها فليس من عجب بعدئذ أن يختار الله ما يفرق به بينها وبين غيرها من الأمم.

■■ وأما عن صلاة الظهر وأن الرسول ﴿ﷺ﴾ ـ كما يزعم بروكلمان ـ جعلها لتكون صلاة ثالثة مع الصلاتين اللتين كانتا فى مكة فإن هذه الشبهة تحتاج الى وقفة مع المصادر للتعرف على الوقت الذى فرضت فيه الصلاة على المسلمين والكيفية التى فرضت بها الصلاة.

■ أخرج البخارى رحمه الله فى صحيحه فى (باب كيف فرضت الصلوات فى الاسلام)، وروى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه الذى يحدث به أبو ذر عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن الاسراء قال: «فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب... (الى أن ذكر المعراج ثم قال): ففرض الله على أمتى خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟! قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع الى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فوضع شطرها فرجعت الى موسى قلت: وضع شطرها. فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعته فقال: هى خمس وهى خمسون، لا يبدل القول لدى. فرجعت الى موسى فقال: راجع ربك. فقلت: استحييت من ربى..

والرواية تدل على ما يأتى:

(١) إن الصلاة فرضت فى مكة وليس فى المدينة.

(٢) إن الصلاة فرضت مرة واحدة خمس صلوات ولم تكن ثلاثا.. ثم أصبحت خمس صلوات.. أو كانت صلاتين

ثم أضيفت صلاة عليها.

■ وبهذا الدليل ينتفى زعم من قال بأن صلاة الظهر فرضت فى المدينة على غرار اليهود، لأنه كما ثبت أن الصلاة فرضت فى مكة وهى خمس صلوات.

ولكن لماذا يرمى المستشرق (بروكلمان) وغيره من المستشرقين بهذه الأدلة وراء ظهره: ولا يلقى لها بالا بل ويخالفها؟.

■ إن المستشرقين لا يلقون بالا للمصادر الاسلامية إذا تعارضت مع الهدف الذى يريدون الوصول إليه وإلا فكيف نفسر إعراض (بروكلمان) وغيره من المستشرقين عن الأدلة الثابتة فى المصادر الصحيحة فالمستشرقون يتعاملون مع المصادر الاسلامية بالقدر الذى يريدون فيأخذون منها ما يوافق هواهم ويرفضون ما يخالفه.. فـ(بروكلمان) اعتمد على المصادر الاسلامية فى معرفة الصلوات التى كان يصليها المسلمون فى مكة قبل فرض الصلوات الخمس عليهم ثم يعـرض عن هذه المصـادر حين تعارضت مع رأيه وفكرته وشبهته وهذا منهج كثير من المستشرقين فى عرضهم لشبهاتهم وإثارتهم لها.. وهو خطأ منهجى بلا شك.. وهذا الخطأ المنهجى أحد عوامل تشكل كثير من شبهات المستشرقين حول شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾.

■ إن المنهج العلمى السديد يلزمنا بأن نتعامل مع المصادر بموضوعية.. كما يحدد المنهج العلمى الضوابط التى يتم من خلالها الاعراض عن المصدر أو قبوله.. وعلى الباحث ألا يتبع الهوى فى التعامل مع المصادر ـ فليس له رفض المصدر بلا أسباب علمية منهجية صحيحة.. كما أن عليه أن لا يتخير من المصدر الصحيح وفق هواه.

٢ ـ الشبهة المثارة حول صيام يوم عاشوراء

يثير هذه الشبهة العديد من المستشرقين ومنهم المستشرق (واط) حيث يقول: «ويحوم شك حول صيام عاشوراء الذى يقع فى يوم عيد الكفارة اليهودى، وحينما حل العاشر من تشرين اليهودى أمر محمد المسلمين بصيام هذا اليوم، وإن كنا لا نعرف على التأكيد فى أى شهر هجرى يقع هذا الصيام».

■ هذه الشبهة من الشبهات التى يتعين الوقوف على المصادر عند مناقشتها للاجابة على تساؤلات تفرضها مناقشة الشبهة من ذلك الأصل فى صوم هذا اليوم، حكم صوم هذا اليوم عند المسلمين وعند اليهود، وغيرها من التساؤلات التى تجيب عليها المصادر.

■■ أخرج البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية، وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يصومه فى الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه».

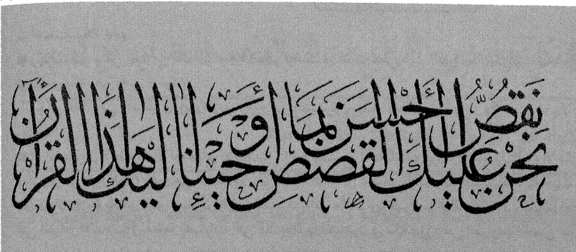
■■ وأخرج البخارى كذلك فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «قدم النبى ﴿ﷺ﴾ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه».

ويمكن أن نستنتج من هاتين الروايتين الصحيحتين ما يأتى:

(١) إن الرسول ﴿ﷺ﴾ كان يصوم عاشوراء فى الجاهليه وقبل الهجرة أى: قبل أن يتصل باليهود بعد الهجرة.

(٢) إن أمر الرسول ﴿ﷺ﴾ للمسلمين بصوم يوم عاشوراء ليس تقليدا لليهود بل لأن موسى عليه السلام صامه.. والرسول ﴿ﷺ﴾ أحق بنبى الله موسى من اليهود الذين عصوه وحرفوا دينه.





(٣) ليس هناك تعارض بين الروايتين، لأن الرواية الثانية لا تفيد أنه عليه الصلاة والسلام بدأ صيامه بعد الهجرة، وإنما تفيد أنه عليه الصلاة والسلام بدأ صيامه قبل الهجرة. . وتفيد أنه عليه الصلاة والسلام فرض صيامه على المسلمين فى المدينة.

(٤) من المفيد هنا أن نذكر بعض ما قاله علماء السلف فى صوم هذا اليوم، ونذكر من أقوالهم القدر الذى نحتاجه فى رد الشبهة.

قال ابن حجر: «قال عياض: ليس فى الخبر أنه ابتدأ الأمر بصيامه بل فى حديث عائشة التصريح بأنه كان يصومه قبل ذلك، فغاية ما فى القصة أنه لم يحدث له بقول اليهود تجديد حكم وإنما هى صفة حال وجواب سؤال، ولم تختلف الروايات عن ابن عباس فى ذلك ولا مخالفة بينه وبين حديث عائشة. . إذ لا مانع من توارد الفريقين على صيامه مع اختلاف السبب فى ذلك».

وقال القرطبى: «لعل قريشا كانوا يستندون فى صومه إلى شرع مَنْ مضى كإبراهيم وصوم رسول الله ﴿ﷺ﴾ يحتمل أن يكون بحكم الموافقة لهم كما فى الحج. . وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم - أى باليهود - فإنه كان يصومه قبل ذلك وكان فى الوقت الذى يجب فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه».

●● وبهذا تنتفى شبهة المستشرقين الذين زعموا فيها أن الرسول ﴿ﷺ﴾ صام عاشوراء تقليداً لليهود.

ثالثا: الاتجاه الوثنى

يحاول كثير من المستشرقين إلصاق تهمة الوثنية بالاسلام وبالرسول ﴿ﷺ﴾. . وتعود جذور هذه القضية الى البدايات الأولى من التقاء المسلمين بأوروبا الوسيطة. . وإن اختلفت نوعية الشبهات الوثنية التى أثيرت حول الاسلام بين أوروبا الوسطى وأوروبا الحديثة فإن الوثنية أحد مداراتها. . ويرجع منشأ هذا الاختلاف إلى موقف أوروبا فى الحالتين كلتيهما - فبعد أن كانت أوروبا تنظر الى الاسلام بعين الخوف والحقد أصبحت الآن تنظر الى الاسلام بعين الاستعلاء والتفوق مع الحقد.

وهناك عوامل متعددة جعلت أوروبا الوسيطة ترى فى الاسلام دينا وثنيا. . وتصور الرسول ﴿ﷺ﴾ بصورة منتزعة من هذا التصور الوثنى.



ولعل أبرز هذه العوامل ما يأتي:

(١) الملابسات التاريخية ـ حيث تزامن الفتح الاسلامى لأوروبا مع هجمات القبائل الوثنية المحيطة بالأوروبيين مثل قبائل المجر والسكسون. . . وغيرها من القبائل الوثنية التى كانت تكر وتفر على أوروبا ولم يفرق الأوروبيون بين المسلمين وهذه القبائل الوثنية، وهكذا استقرت فى أذهانهم هذه الصورة الوثنية وأخذوا يصورون الرسول عليه الصلاة والسلام بصور وثنية ويرجعون فى تصورها الى خلفيتهم عن القبائل والأمم الوثنية.

(٢) عامل الجهل الذى كان له دور فى تشكل الكثير من الشبهات الأوروبية الوسيطة.

(٣) عامل الخوف والحقد الذى ارتبط بالواقع الأوروبى الذى كانت تعيشه أوروبا كما ارتبط بالملابسات التاريخية. وأدى الخوف الذى يولد الحقد إلى إثارة شبهات ليس لها أصل الاحالة اليأس التى عانتها أوروبا فى تلك الفترة وهى تحاول أن تعرف شيئاً عن عدوها ـ فى نظر أوروبا ـ ولكن الأمر كان شبه مستحيل بالنسبة للأوروبيين عامة فى ذلك الوقت لخضوعهم تحت سيطرة الكنيسة التى حالت دونهم ودون التعرف على الاسلام.

■■ ونقف على مثالين من الشبهات ذات الاتجاه الوثني التي أثارها بعض المستشرقين:

(١) يزعم (بروكلمان) أن الحجر الأسود أقدم وثن عُبِد فى مكة. يقول المستشرق فى هذا: «وعندما بلغ محمد الكعبة طاف بها سبعاً على راحلته لامساً الحجر الأسود بعصاه فى كل مرة، وبذلك ضم هذا الطقس الوثنى الى دينه» ويقول أيضا ـ عند وصفه للكعبة وزواياها: . . يحتضن فى إحداها الحجر الأسود ولعله أقدم وثن عُبِدَ فى تلك الديار».

■ انطلق (بروكلمان) فى إثارته لهذه الشبهة من قناعته الذاتية من أثر البيئة على الانسان وهى قاعدة يتبناها كثير من الأوروبيين ويطبقونها على العديد من الحالات ولكن لنا أن نتساءل متى يمكن أن يكون للبيئة أثر فى الفرد أو الأفراد؟.

■■ إن تأثير البيئة على الفرد العادى يعتمد على مدى تفاعله معها وقبوله لمبادئها وعاداتها وتقاليدها، فإذا كان رافضا للبيئة فإنه لن يتقبل كل مؤثراتها بل قد يرفضها وقد يثور عليها ـ هذا إذا كان الفرد عادياً فما بالنا برسول الله ﴿ﷺ﴾.

■■ ولقد عاش الرسول عليه الصلاة والسلام فى بيئة وثنية ولكنه لم يكن منها بل كان رافضاً لها ولعاداتها وتقاليدها، وثبت فى المصادر الاسلامية رفض رسول الله ﴿ﷺ﴾ لما عليه قومه من الوثنية ومن العادات والتقاليد الى جانب عناية الله سبحانه وتعالى وحفظه له.

■ و(بروكلمان) الذى أثار هذه الشبهة، أقر فى الكتاب نفسه أن الرسول ﴿ﷺ﴾ أمر بإزالة كل الصور والتماثيل سواء تلك التى كانت حول الكعبة أو التى كانت فى بيوت أهل مكة، والرسول عليه الصلاة والسلام قد صدع بدعوة التوحيد ـ كما يعلم (بروكلمان) وغيره من المستشرقين ـ منذ البداية ولم يتهاون فى الأمر أبداً رغم ما سبب له ذلك من الأذى والتعب، فلو كان الأمر من عنده صلى الله عليه وسلم لكان ما فعله عليه الصلاة والسلام من منطق البشر خاطئاً إذ كان عليه أن يتدرج مع الوثنيين الذين استحكمت عبادة الأوثان فى قلوبهم ولكن الأمر أمر الله ولا سبيل الى إبداء الرأى أو إعمال العقل فيه.

■ أما زعم (بروكلمان) أن الحجر الأسود أقدم وثن عُبد فى مكة فهو ادعاء يعوزه الدليل ـ فما هى مصادر (بروكلمان) على هذا الزعم، كما أن المصادر الاسلامية تثبت غير هذا الزعم، فهى تثبت أن الحجر الأسود لبنة من لبنات الكعبة التى بناها إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام، أما كلام (بروكلمان) فما هو إلا زعم مبنى على «لعل» الافتراضية التى لا يقبلها المنهج العلمى السديد فى هذا الموطن.

● وصفوا الرسول ﴿ﷺ﴾ بصفات ترفضها الفطرة السليمة ويمجها الخلق السوى.

● هدف المستشرقون من الطعن فى الرسول إلى تعميق الهوة وتعميق الحقد على النبى ولإثارة مشاعر الاشمئزاز والتقزز.

● الخوف والجهل والحقد والشعور بالخطر وعدم الأمان من ابرز العوامل التى شكلت العقلية الاوروبية ضد الاسلام والمسلمين.

(٣) شبهة المستشرقين فى تشبيههم الوحى بأفعال الكهان

وممن قال بهذه الشبهة المستشرق (بروكلمان) عندما شرع يحلل الوحى بما تراءى له، يقول فى ذلك: «ولم تكد هذه الحالات تنقضى حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحى من عند الله، ولكن ذلك لم يثر أول الأمر اهتماماً كبيراً بين مواطنيه، ولم يلهب أحاسيسهم ومشاعرهم، فقد كانوا متعودين أن يظهر فى كل قبيلة تقريباً - كما يظهر الشاعر - كاهن يستطيع أن يعزو أحكامه فيما يتعلق بالخلافات والمشكلات الغامضة (من قتل وسرقة، أو شرود إبل وضياعها) المعروضة الى (صاحب) له غيبى وأن يذيعها فى الناس نثراً مسجوعاً، كما فعل النبى فيما نزل عليه من الوحى».

■■ يحاول (بروكلمان) هنا أن يربأ بالنصرانية واليهودية عن الاسلام ليجعل منه نحلة من صنع البشر، هذا التصور يجعلهم ينزعون إلى البحث عما يثبته فإذا لم تسعفهم المصادر تحولوا الى الافتراضات واعتمدوا على التخمين. كما أنه يتعامل مع شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ - كغيره من المستشرقين - من واقع قناعته الغربية ومن خلال الصورة الغربية المتصورة عن النبى ﴿ﷺ﴾.

■■ لقد انطلق (بروكلمان) فى إثارته للشبهة من اعتقاده بأن الاسلام إنما هو عمل فكرى بشرى لا علاقة له بالوحى، ثم راح (بروكلمان) يفسر الوحى - بعد أن أنكر المصدر الإلهى له - فى ضوء الثقافة الوثنية الجاهلية فربط بين ما كان منتشراً عند الجاهليين وما جاء به الرسول ﴿ﷺ﴾ من وحى إلهى.

■■ ويريد (بروكلمان) أن يثبت أثراً للبيئة الوثنية فى الرسول ﴿ﷺ﴾ - حاشاه الله تعالى - وبخاصة فى مسألة الوحى ليهدم بذلك كل علاقة بين الرسول ﴿ﷺ﴾ والوحى الإلهى ثم ينطلق فى تحليل شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ بناء على نظرته هو.

■■ زعم (بروكلمان) أن الأمر الذى جاء به الرسول ﴿ﷺ﴾ لم يثر أول الأمر اهتمام أهل مكة، والسبب فى ذلك - كما يدعى (بروكلمان) - هو أنهم اعتادوا أن يظهر فى القبائل من يعزو أحكامه فى الأمور الى صاحب له غيبى وأن

يذيعها فى الناس نثراً مسجوعاً بأسلوب خطابى ثم زعم أن ذلك ما فعله النبى عليه الصلاة والسلام.

■■ أخطأ (بروكلمان) حينما ادعى أن الأمر الذى جاء به الرسول ﴿ﷺ﴾ لم يثر أهل مكة.. فالمصادر تثبت عكس ما ادعاه هذا المستشرق ـ لأنه لما صدع رسول الله ﴿ﷺ﴾ بما أمره الله به بدأ كفار قريش يؤذونه وينالون منه، وقد كان عمه أبو لهب فى مقدمتهم وهو أشدهم عليه وغيره من كبراء مكة حتى وصل الأمر الى محاولة قتله ـ وهذا ينافى ما ذهب إليه بروكلمان.. فلو لم تثر دعوته أصحاب مكة لما كالوا له أصناف الأذى ولما حاولوا قتله.. والرسول عليه الصلاة والسلام قد جاءهم بما يبطل عقائدهم فكيف لا يثورون عليه فهذا الادعاء تنقضه الأدلة الثابتة.

■■ أما عن زعمه ـ أى (بروكلمان) ـ وجود علاقة بين ما نزل على الرسول ﴿ﷺ﴾ وما هوعند الكهان. فإن هناك بوناً شاسعاً وفرقاً كبيراً بين ما يفعله الكهان والوحى المنزل، يظهر هنا فى جوانب متعددة منها:

(١) إن الأمور التى يتدخل فيها الكاهن إنما تعرض عليه أولا ثم يقوم الكاهن بشعوذات يستجلب بها صاحبه الغيبى فيخبره بها.

أما الوحى فإنه يأتى رسول الله ﴿ﷺ﴾ دون مقدمات من عند نفسه وإنما يفاجئه الوحى فى أى مكان وفى أى زمان دون مقدمات.. ولا يستطيع الرسول عليه الصلاة والسلام استجلابه إذا انقطع كما حصل فى فترة انقطاع الوحى عن الرسول ﴿ﷺ﴾ ولا يستطيع رده إذا جاء.

(٢) لا يظهر أثر على الكاهن عندما يستجلب صاحبه الغيبى الوهمى وأما الوحى فإن له آثاراً تظهر على الرسول ﴿ﷺ﴾ ولا سيما إذا جاءه وله صلصلة كصلصلة الجرس فإن الرسول ﴿ﷺ﴾ يتفصد عرقا ويشعر بثقل الأمر.

(٣) إن الكاهن يستجلب صاحبه بأسلوب واحد قائم على التوهم الذى لا يتجاوز الكاهن نفسه.. أما الوحى فإنه كان ينزل على الرسول ﴿ﷺ﴾ بأشكال مختلفة ومعظمها حسية ـ كأن يأتيه على هيئة صلصلة الجرس أو على هيئة رجل.. ولم تقتصر على استشعار الرسول عليه الصلاة والسلام وحده وإنما كان يلاحظ ذلك كل من حوله عليه الصلاة والسلام.

(٤) ان هناك فرقاً بين نفثات الكهان والشعراء والقرآن الكريم وقد رد القرآن الكريم على هذه الشبهة فى حينها، كما أن كفار قريش قد شهدوا بهذا الفرق بين القرآن وكلام الكهان وشعر الشعراء، فأيهما أقدر على الحكم الصحيح، أهم العرب أهل اللغة أم المستشرقون؟.

■ وقد تحدى القرآن العرب على أن يأتوا بسورة واحدة مثله ولكنهم عجزوا عن ذلك ولا يزال التحدى قائما ولم يجرؤ أحد على ادعاء أنه قادر على ذلك، وسيبقى التحدى قائما ولن يستطيع أحد أن يأتى بآية واحدة، ولكن إصرار (بروكلمان) على أن يجعل من الرسول ﴿ﷺ﴾ مؤلف القرآن ـ جعله ينسب ما جاء فى القرآن من أسلوب وغيره الى الرسول ﴿ﷺ﴾.

■ وقد أنزل القرآن على الرسول ﴿ﷺ﴾ ليخاطب به العرب ولذلك نزل باللغة العربية فلا ضير أن تكون بعض آياته قد اتسمت بالأسلوب الخطابى الذى يخاطب به البشر ليثير انتباه سامعيه، وأما التناغم الموسيقى فى القرآن فليس فيه انقاص من قيمة القرآن، إذ من المألوف أن تتسم بعض الجمل فى الخطاب أو الكتاب بالتناغم الموسيقى.. والقرآن نزل على قوم عرب وبلغتهم فلابد أن تشترك بعض صفات لغته مع لغة من أنزل عليهم حتى يتمكنوا من فهم آياته وإدراك معانيها.. والقرآن بعيد كل البعد عن الشعر ـ ولا يخفى على بروكلمان وغيره من المستشرقين صفات الشعر العربى التى لا يمكن تطبيقها على آيات القرآن.

<u>وبعد الخوض فى بيان بعض شبهات المستشرقين واتجاهاتهم عند دراستهم شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ يمكن أن نجمل أبرز النتائج التى نتوصل إليها من خلال ما سبق.</u>

● زعم موريس بوكاى أن الرسول ﴿ﷺ﴾ يبلغ الدين عن الله سبحانه ولا علاقة له بامور الدنيا. . وللناس الحق فى ان يشرعوا لديناهم ما شاءوا.

● جولد تسيهر فى تعريفه للحديث يتجاوز كل كتب علماء الحديث النبوى.

●● هناك شبهات شكلتها الملابسات التاريخية الناشئة عن التقاء الثقافة الاسلامية والغربية فى فترات مختلفة من التاريخ ابتداء من الفتوحات الاسلامية المبكرة فى أراضى الدولة البيزنطية ومروراً بالفتوحات الاسلامية فى أوروبا وما صاحب ذلك من سوء فهم للاسلام من خلال الدور الذى أدّاه (رجال الدين) النصرانى الذين فروا الى أوروبا وأثروا فى رجال الدين الذين التقوا بهم هناك ودور الأدباء والشعراء فى التلقى عن (رجال الدين) ومحاولة تأليف الكتب والقصائد والروايات التى من شأنها أن تعبىء الطاقة الشعبية للأوروبيين فى مواجهة المسلمين.

●● محاولة تفسير الاسلام فى ضوء المعتقدات النصرانية.

●● وتوصلا الى هذا فقد رسموا سيرة الرسول ﴿ﷺ﴾ بطريقة خيالية، فشغلهم عن أن ينظروا إليها بعين الباحث المنصف أو المتجرد، نظرهم إليها بعين الرسام الساخر الذى يرمى إلى تصوير (كاريكاتورى) لشىء يتألم منه ولما كان الرسول ﴿ﷺ﴾ فى نظرهم يتصف بكل تلك الصفات التى دونوها فى كتبهم، أطلق الشعر الخيال لعنانهم فى سبيل الوصول الى هذا الهدف.

●● ما سبق من نقاط كان يصور الخلفيات الثقافية الأوروبية فى مرحلة الضعف الأوروبى أمام المسلمين الذين كانت تميل لصالحهم كفة القوة والتفوق فى جميع المجالات علميا وعسكريا.

■ ثم دخلت المرحلة الثانية التى انقلبت فيها الموازين فأصبحت الكفة تميل لصالح أوروبا. ومع أن الأوروبيين تغيرت مكونات الملامح الثقافية لحضارتهم فى عصر القوة إلا أن نظرتهم العدائية للاسلام ظلت قائمة دون أن يطرأ عليها تغيير جوهرى كبير. ولتوضيح ذلك نضرب مثلا مفاده أن الفكرة الاستعمارية لم تكن مقوماتها موجودة من قبل فى الثقافة الأوروبية، وعندما أصبحت لهم أهداف استعمارية جاءت هذه الأهداف متناسقة مع الروح العدائية للاسلام، فقد استغل المستعمرون المنصرين والمستشرقين الذين كانوا يخافون من الحضارة الاسلامية ـ استغلوهم ليستمروا فى جهودهم الرامية الى تعبئة الشعوب الأوروبية ليحسوا أنهم فى غزوهم للشعوب الاسلامية يتقربون بذلك الى الله وليعدوا ما يقومون به نوعاً من أنواع العمل المقدس.

■ ولما التقى الغربيون منصرين ومستعمرين وساسة على هدف واحد وهو تشويه صورة الاسلام أمام مواطنيهم وأمام المسلمين سعيا وراء تنصيرهم أو تغريبهم على الأقل وليبرروا لأنفسهم شرعية أعمالهم ـ فعندئذ استباحوا لأنفسهم أن يصوروا الرسول ﴿ﷺ﴾ بصورة مزرية استعانوا للوصول إليها بكل ما وسعهم بالاعراض عن الروايات الصحيحة والاعتماد على الضعيف منها أو الموضوع. . وتزوير الاحداث التاريخية. . وغير ذلك.

●● بعض شبهات المستشرقين لا يمكن بحثها فى ضوء المصادر الاسلامية لأنها بعيدة عن هذه المصادر أصلا ولا تستند إليها.

المراجع

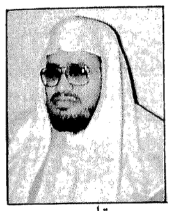
(١) أليساندرو بوزانى: بحث منشور فى كتاب (الحوار العربى الأوروبى)، وقائع ندوة همبورغ ١١-١٦ إبريل/ نيسان ١٩٨٣م، الدار التونسية للنشر.
(٢) بروكلمان: كتاب (تاريخ الشعوب الاسلامية) للمستشرق كارل بروكلمان، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان الطبعة الثانية عشر ١٩٨٤م.
(٣) بفانموللر - كتاب (سيرة الرسول فى تصورات الغربيين) للمستشرق أجوستاف بفانموللر، ترجمة د. محمود حمدى زقزوق، مكتبة ابن تيمية، المحرق - البحرين الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٧م.
(٤) بفانموللر (مجلة . . . : بحث منشور فى مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر العدد الثانى ١٤٠٧هـ، البحث بعنوان: (سيرة الرسول فى تصورات الغربيين) وهو عبارة عن فصول مختارة من كتاب المستشرق الألمانى جوستاف بفانموللر ترجمة وتعليق د. محمود حمدى زقزوق.
(٥) دائرة المعارف اليهودية:
EncyclopaediaJudsica, Jerusalem Fourth Printing-1978. Keter Publishing House, Jerusalem Ltd.
(٦) دومينيك سورديل: كتاب (الاسلام فى القرون الوسطى) للمستشرق دومينيك سورديل ترجمة: على مقلدى، الطبعة الاولى ١٩٨٣م، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت - لبنان.
(٧) دودنسون (جاذبية . . . : كتاب (جاذبية الاسلام) للمستشرق رودنسون ترجمة: إلياس مرقص.
(٨) رودنسون (الصورة . . . : بحث بعنوان (الصورة الغربية والدراسات الغربية الاسلامية) منشور فى سلسلة تراث الاسلام، تصنيف شاخت ويوزورث، ترجمة: محمد زهير المهورى، البحث للمستشرق: ماكسيم رودنسون عالم المعرفة الكويت سنة ١٩٨٧.
(٩) سوذرن: كتاب (صورة الاسلام والمسلمين فى أوروبا فى العصور الوسطى) للمستشرق ريتشارد سوذرن، ترجمة وتقديم: رضوان السيد معهد الانماء العربى، بيروت لبنان.
(١٠) سيديو: كتاب (تاريخ العرب العام) ل. أ. سيديو، ترجمة: عادل زعيتر، الناشر: عيسى البابى وشركاه، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
(١١) صحيح البخارى (الفتح: (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) ابن حجر، دار المعارف، بيروت لبنان، أخرجه محب الدين الخطيب، أشرف على الطبع قصى محب الدين الخطيب.
(١٢) صحيح مسلم (شرح النووى. . . : كتاب (صحيح مسلم) بشرح النووى دار إحياء التراث العربى، ومكتبة المثنى، بيروت لبنان.
(١٣) عصفور: بحث بعنوان (صورة الاسلام والمسلمين فى الأدب الغربى حتى نهاية القرن الثامن عشر وهو منشور فى مجلة (عالم الفكر) المجلد الثامن - العدد الرابع.
(١٤) محمد فى المدينة: كتاب (محمد فى المدينة) للمستشرق مونتغمرى واط، ترجمة شعبان بركات - المكتبة العصرية، صيدا وبيروت - لبنان.
(١٥) محمد فى مكة: كتاب (محمد فى مكة) للمستشرق مونتغمرى واط، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت لبنان.
(١٦) موريس بوكاى:
Th Bible, The Quran and Science Miuice Bucaille, English Edition 1979- Nirtee American Publication Thanslated From the Frendr By
(١٧) مونتغمرى واط، مراجعة شفيق شيا: بحث بعنوان (تأثير الاسلام فى أوروبا العصر الوسيط) وهو عنوان كتاب للمستشرق مونتغمرى واط، راجعه: د. محمد شفيق شيا، نشر فى مجلة الفكر العربى العدد ٣٢ إبريل ١٩٨٣م.
(١٨) ميخيل آسين: كتاب (أثر الاسلام فى الكوميديا الالهية للمستشرق ميخيل آسين، ترجمة: جلال مظهر، مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٨٠م.

مدخل إلى منهج مناقشة
شبهات المستشرقين
حول تدوين السُّنّة النّبوية



● من أهم ما ينبغي أن يتوفر لدى المتصدي لشبهات المستشرقين الثقة بما عنده.

● من أهم ما ينبغي أن يتنبّه له المناقش لشبهات المستشرقين ضرورة التمييز بين «الرأي» و«الرواية».



بقلم
الدكتور عبد الله الرحيلي

ينبغي لمن يتعرض للقيام بعمل ما أن يتأهل لأدائه كي يكون محسنا له، فان هذا هو الهدف من قيامه بذلك العمل، «إنَّ اللهَ يُحبّ إذا عمل أحدُكم عملاً أن يُتقنه»(٢) فليس المقصود أن يعمل الانسان العمل بأي وجه كان: أأتقنه أم لم يتقنه، بل المقصود أن يؤدي المرء العمل محسنا له وهذا هو الذي تتحقق به الفائدة للمجتمع من التكليف، ولهذا كان التكليف في الاسلام مبنيا على الاستطاعة فان وجدت كان التكليف وان فُقدتْ فُقدَ، فمن تأهل لشيء وجب عليه القيام به ما لم يكن ذلك من فروض الكفايات وقام به غيره بصورة تسقط عنه الواجب، ﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلَّا وسعها﴾.

■ وإذا وجب على الأمة أمر ولم يتأهل لأدائه أحد من أفرادها ممن يسقط به الحرج على الأمة وجب أن يتأهل له من يستطيع ويزول به الحرج عن الأمة.

● ومناقشة شبهات المستشرقين حول الاسلام والرد عليها ـ بأغراضها المتعددة ـ من هذا الباب.

ومن هنا ينشأ تساؤل ينبغي أن يَرِدَ في ذهن من يتصدى للرد على شبهات المستشرقين قبل أن يخوض في ذلك وهو: ماذا يلزمني لكي أحسن الرد على شبهات المستشرقين؟.

والجواب هو: يتعين على من يتصدى للرد على شبهات المستشرقين أمور منها: تأهيله لإتقان هذا العمل منهجا وأسلوبا ووسيلة، وهذا يستلزم أمورا منها:

أولا: مما ينبغي ضرورةً أن يتوفر لدى المناقش لشبهات المستشرقين الثقةُ بما عنده وما ينافح عنه ويناقش، فالمسلم الذي يتعرض لمناقشة شبهات المستشرقين فى جوانب فى الاسلام اذا لم تتوفر القناعة عنده هو نفسه بوجه الصواب فيها فإنه يفسد أكثر مما يصلح، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ـ كما يقال ـ ولا شك فى هذا، إذ كيف يتسنى للشاك فى أمر ما أو خالى الذهن منه أن يَنْقل غيره فيه الى اليقين؟.. فلو تعرّض شخص لمناقشة بعض الشبهات المتعلقة بتدوين الحديث وطريقة نقْله وهو لا يدري عن الحديث كيف دُوّن وكيف نقل وما هى أصول الرواية فماذا عساه أن يصنع فى تعرضه لمثل هذه المناقشة؟ ولعله فى هذه الحال يناقش مستشرقا قد اعتنى بالموضوع أو تخصص فيه.

■ ان القناعة لدى الانسان لا تأتى غالبا الا بالحجة والبرهان، والحجة لا يدركها من هو فى شك من الأمر أو خالى الذهن منه ودعوة الشاك أو المخطىء الى اليقين والصواب انما تكون من قبل غير الشاك أو خالى الذهن وغير المخطىء.

● وان تساءل المرء هنا عن الوسيلة التى تتحقق بها هذه الثقة لدى المسلم بما عنده فالجواب هو: ان ذلك لا يتحقق ـ فى نظرى ـ الا بأمرين هما: (الايمان.. والعلم) فعلى المسلم أن يسعى لإدراك هذا الأمر بتقوية إيمانه وتجديده بكل الطرق المشروعة الموصلة لذلك.

● وعليه كذلك أن يسعى فى طلب العلم النافع بمنهج سديد.. وأن يتثبت فى علمه وفقهه.. وأن يعنى بالتخصص فى مجال من المجالات العلمية كى يتقنه ـ ويخدم دينه وأمته من هذا الباب.

ثانيا: ينبغى أن يتوفر لدى المناقش لشبهات المستشرقين التنبه الى التمييز بين الرأى والرواية، فإذا تناول كتابات المستشرقين ودراساتهم بالبحث والدراسة فإن عليه أن يفرق بين ما يورده المستشرق على أنه رواية تاريخية ينسبها لعلم معين كعلوم القرآن.. أو علوم الحديث.. أو التاريخ، وما يورده على أنه رأى وتحليل من عند نفسه.. فكثيرا ما يخلط بعض المستشرقين بين الأمرين أو يُدَاخِل بينهما، وكثيرا ما يوهم أحدهم أن ذلك الرأى الذى أبداه هو من قبيل الرواية فى حين أنه رأى خاص به.

● وعلى الباحث أن يحتاط فى قبول ما يذكره المستشرق من رأى أو رواية على حد سواء. لكن للتثبت فى كل منهما طريق.

وان تساءل امرؤ عن طرق التثبت فى هذا وذاك فالجواب هو:

■ أما الروايات فإنها تنقسم الى قسمين: **روايات صحيحة.. وروايات غير صحيحة**. ولا يليق بعاقل أن يعتمد فى استدلاله أو رأيه على غير الصحيح من المنقول أو يبنى علمه عليه. واذا كان الأمر كذلك فانه يتعين على المرء التمييز بين الأخبار الصحيحة والأخبار غير الصحيحة وقد رسم المحدثون هذه الطريق فى منهج واضح متيسر لمن اراد ان يعود إليه فى نقد الروايات(٣) فبعرضها عليها يتبين الثابت من الزائف.

■ وأما الرأى والتحليل الشخصى فهذا ـ فى نظرى ـ لابد لتقويمه وتمييز صوابه من خطئه أن يعرض على قواعد الفهم السليمة ومقاييسه، ومن ذلك أن ينظر فيه فى ضوء الروايات الصحيحة، فكما أنه لا يصح أن يعتمد الرأى على الروايات الزائفة فكذلك لا يصح أن يعتمد على الرأى الذى تزيفه الروايات الثابتة وفق المقاييس المعتمدة

والتى هى منهج المحدثين فى هذا. . ولا يصح أيضا ـ فى الجانب التاريخى ـ أن يبنى الباحث رأيه على مجرد التخرصات والظنون.

وقد أكد ابن خلدون هذا المنهج حيث قال فى مقدمة تاريخه:

«اعلم أن العلوم التى يخوض فيها البشر ويتداولونها فى الأمصار تحصيلا وتعليما هى على صنفين: صنف طبيعى للانسان يهتدى اليه بفكره. . وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه:

الأول: هو العلوم الحكمية الفلسفية وهى التى يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره. . ويهتدى بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها. . وأنحاء براهينها. . ووجوه تعليمها. . حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

الثانى: هو العلوم النقلية الوضعية وهى كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعى، ولا مجال فيها للعقل الا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول(٤).

الثالث: تحديد الهدف من الرد عليهم ومناقشتهم، وسأتناول هذا بشىء من التوسع للحاجة لذلك فيما يأتى:

■ يتعين على من يتصدى للرد على شبهات المستشرقين أن يحدد ـ قبل الشروع فى الرد ـ هدفه فى الآتى:

*** من المقصود بهذا الرد؟. . أو لمن يكتبه؟.**

*** وما غرضه من الرد؟.**

(١) هل يكتبه للمسلمين يحذرهم من تلك الشبهات؟. . أو يكتبه للمستشرقين؟. . وان كان للمستشرقين فما غرضه من ذلك؟.

(٢) هل يكتبه للمستشرقين لقصد هدايتهم؟.

(٣) أو يكتبه للمستشرقين وغرضه مجادلتهم ومحاجتهم وإيقافهم على أخطائهم أو تحاملهم على الاسلام وتفنيد مزاعمهم؟.

■ وسبب الحاجة الى هذا التحديد هو الحاجة الى تحديد الأسلوب الأنسب. . والمنهج المتعين لمخاطبة كل فئة. . وتحديد المنهج والأسلوب المناسبين لتحقيق الغاية ـ لأن لكل مقام مقالا. . ومراعاة أحوال المخاطبين وثقافتهم وأفهامهم متعينة.

■ ولا يصح فى مجال الرد على المخالفين وفى مجال الدعوة أن لا يراعى هذا الجانب، وأن يخاطب الكاتب أو المتحدث هذه الفئة أو تلك بغير الأسلوب أو المنهج المتعين فى حقها ـ الذى من شأنه أن يوصل الى الهدف المنشود، فطالما أن هناك هدفا فانه يتعين عليه مراعاة كل أمر مشروع يتحقق به الهدف ليأخذ به، والنظر الى ما من شأنه أن يحول دون تحقيقه فيبتعد عنه، فإن «مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(٥).

■ فاذا كان المقصود بالرد على شبهات المستشرقين هم المسلمين لتبصيرهم بالحق، ولبيان زيف تلك الشبهات وبطلانها فانه لا بأس بالاستدلال على بطلان الشبهات بالنصوص الشرعية من القرآن الكريم وأحاديث النبى ﴿ﷺ﴾، ولا بأس بإيرادها باعتبارها كلام الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وباعتبار ما جاء عن النبى ﴿ﷺ﴾ أيضا حقاً لأنه جاء عن النبى ﴿ﷺ﴾ المعصوم فى تبليغ هذا الدين عن الله سبحانه ـ بل يتعين ذلك فى بعض المواقف والمناسبات، على أنه يتعين أن لا تكون مخاطبة الايمان والعواطف

● ينبغى أن يحْذر القارىء لكتابات المستشرقين من مسلك بناء النتائج الخاطئة على المقدمات أو الأدلة الصحيحة، الذى ينتهجه بعضهم.

● محاولة الطعن فى الأحاديث النبوية بأى وجه من وجوه الطعن من قبل المستشرقين يقصد به هدم ركن أساسى من اركان الدين والتشريع.

الايهانية على حساب مخاطبة العقل والفكر فان كلا له أثره فى الانسان، ولا ينبغى أن تغلب العاطفة على العقل ولا العكس، ولا ينبغى كذلك أن يتصور أن استخدام العقل ومخاطبته لدى الانسان يضار الايهان. . كلا بل ان العقل السليم يهدى الى التذكر والاعتبار والاهتداء بهدى الله عز وجل.

■ ولهذا فلا مانع من مخاطبة المؤمن بغير الكتاب والسنة من الاستدلالات العقلية والفطرية لإقناعه بمسألة إيهانية أو سوها، بل قد يتعين ذلك فى بعض الأحيان ولا سيما عندما يكون إيهان المؤمن ضعيفا ليس فى مستوى التأثر بالآية أو الحديث أو لأى سبب آخر يقتضى هذا المسلك معه.

ويتلخص مما سبق: أن الغاية من مناقشة شبهات المستشرقين ان كانت هى تحذير المسلمين وتبصيرهم فلها منهج وأسلوب يتمثلان فى الجمع بين مخاطبة العاطفة الايهانية فيهم ومخاطبة العقل والفطرة فيهم أيضا، بصورة متزنة لا يغلب فيها الأسلوب والمنهج العاطفى على العقلى والفطرى ولا العكس، والسبب فى هذا ـ كما سبق ـ أن الايهان لا ينافى العقل والفطرة. . والعقل لا يضار الايهان. . بل هما متلازمان فعند التصدى لتفنيد شبهات المستشرقين حول الاسلام بغرض تحذير المسلمين منها ينبغى الافادة من حقيقة الايهان بالغيب وتعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله ﴿ﷺ﴾ المفروضين على المسلم ـ كما ينبغى الافادة من العقل والفطرة اللذين يتمشيان مع الاسلام ويقضيان بلا شك أنه الحق المبين.

ويمكن أن أشير هنا الى أن منهج الرد على شبهات المستشرقين بغرض تفنيد مزاعمهم ومحاجتهم قد يناسب منهج تحذير المسلمين من تلك الشبهات والمزاعم الباطلة، ويحقق الغرض نفسه.

■ واذا كان المقصود بالرد على شبهات المستشرقين هم المستشرقين أنفسهم فان المنهج المتعين فى الرد عليهم يقضى بأن تكون مخاطبتهم مخاطبة عقلية علمية فكرية، وتكون محاكمتهم فى تصحيح المعلومات الخاطئة لديهم عن طريق الاحتكام الى القدر المتفق عليه بيننا وبينهم من الأمور العقلية والفكرية ومسائل العلم وقواعده.

■ ولنا فى منهج القرآن الكريم وأسلوبه قدوة. . فقد جادل القرآن المشركين وأهل الكتاب وعموم الكافرين بأساليب عقلية هادية، ولم يحاكمهم فى ذلك الى قناعات المسلم وعقيدته ـ ولكن الى فطرتهم وعقولهم، ولم يلزمهم بالحجة بالنظر الى قدسية قول الله تعالى وكونه رب العالمين وأصدق القائلين جل وعلا(٦).

■ ويخطىء من الناس من يتصور أن مجرد ايراد الآية القرآنية أو الحديث النبوى كاف فى اقامة الحجة على المستشرق المجادل فى حين أنه قد لا يكون هذا المستشرق مؤمنا بالله أو بأن هذا كلامه، أو برسالة الرسول أو بأن هذا كلام الرسول ـ ومن هذا شأنه لا ينتفع بكلام الله ولا بكلام رسوله، ومثل هذا يتعين علينا تجاهه أن نقنعه بوجود الله

تعالى وبرسالة الرسول أولا ثم نستطيع أن نقيم عليه الحجة بايراد كلام الله وكلام رسوله، أو يتعين علينا ـ لنصحح معلوماته الخاطئة عن الاسلام ـ أن نخاطبه بالأمور المعقولة المشتركة بيننا وبينه لنصل بعد ذلك الى الاتفاق على الأمور المختلف فيها بيننا وبينه أو لنصل الى توضيح خطئه الذى أردنا تصحيحه له.

ومن الأمثلة على ذلك: ما لو طعن فى القرآن الكريم مستشرق وادعى أنه ليس كتابا منزلا من عند الله، فان الرد عليه فى هذه الحال لا يصح أن يكون بالاستدلال بالآيات القرآنية الدالة على أن القرآن كلام منزل من عند الله، ولا يصح أن نقول فى الرد عليه: كيف تقول هذا أو تزعم هذا وقد قال الله تعالى: كذا. . ؟ فنورد الآيات فى الموضوع.

■ ومثل هذا لو طعن مستشرق فى نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ ورسالته فانه لا يصح أن نرد عليه بالآيات القرآنية فنقول مثلا: هذا باطل بدليل قوله تعالى: ﴿*محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه أشداء على الكفّار رحماء بينهم*﴾. . ﴿*ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكنْ رسول الله وخاتم النبيين*﴾. وانما نتجه فى مخاطبته والرد عليه الى المنهج الذى أوضحته آنفا، فأذكر الشواهد العقلية والأدلة التاريخية الدالة على أن هذا القرآن الكريم كلام الله تعالى، سواء تلك الشواهد التى يحملها القرآن ذاته أو الشواهد التى يثبتها التاريخ تجاه القرآن.

واذكر الأدلة العقلية والأدلة التاريخية التى تشهد بأن محمدا رسول الله ﴿ﷺ﴾.

■ ويخطىء من الناس أيضا من يعمم تلك القاعدة السابقة فيقول: لا يصح اطلاقا أن نحتج فى مناقشة المستشرقين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولا بمقاييسنا الخاصة بنا كمصطلح الحديث وأصول التفسير ونحوهما لكونهم لا يؤمنون بذلك فمن الخطأ الاحتجاج عليهم بشىء من هذه الأمور فى مجال رد شبهاتهم.

ونجيب من يقول مثل هذا بأن قفل الباب بهذه الصورة ليس صوابا كما أن تعميم القاعدة السابقة دون مراعاة الأحوال المستثناة ليس صوابا أيضا، ان هناك حالات يتعين الاحتجاج فيها على المستشرق لبيان بطلان شبهته أو شبهاته بالقرآن الكريم والحديث الشريف أو بمصطلح الحديث أو منهج المحدثين فى قبول الروايات وردها، ومع ذلك لا يعد هذا خروجا عن الاحتجاج على المستشرق بالقدر المتفق عليه بيننا وبينه من المعقولات، بل هو من جنس استدلال المستشرق أو من جنس مأخذه للدليل فى تلك المسألة على حد دعواه.

■ ومن هذه الحالات التى يتعين فيها الاستدلال بالقرآن الكريم أو الحديث أو منهج المحدثين ما لو تكلم فى القرآن وقال مثلا: ليس فى القرآن ذكر لكذا، فانه يتعين علينا أن نثبت له حقيقة دعواه من خلال القرآن نفسه وترك هذا المسلك يعد خروجا عن المنهج العلمى فى مناقشة المستشرق، فطالما أنه ينكر وجود شىء فى القرآن فى حين أنه موجود فيه تعين علينا الرد عليه من القرآن نفسه، وقد قال تعالى: ﴿*وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسمع كلام الله*﴾. . ولو خاض المستشرق فى تفسير القرآن مبتعدا عن الفهم الصحيح الذى يدل عليه القرآن تعين أن نناقشه ـ ضمن ما نناقشه به ـ بالقرآن وأصول تفسيره.

■ ولو خاض المستشرق فى القراءات القرآنية مبتعدا عن الحقائق التاريخية لقراءات القرآن وأسانيد الروايات القرآنية ـ تعين الرد عليه من واقعها التاريخى ومن خلال الروايات الثابتة فى تلقى القرآن ـ بالاضافة الى ما يلزمنا الاستدلال به من الأدلة الأخرى.

■ ولو خاض المستشرق فى اتهام منهج المحدِّثين فى نقد الروايات بالقصور، تعين الرد عليه من واقع منهج المحدِّثين أنفسهم، ومن الضرورى قبل ذلك أن نتعرف نحن على منهج المحدِّثين نفسه، لأن الحكم على الشىء فرع عن تصوره. . ولأن الرد انما هو من واقع ذلك المنهج بعيدا عن العواطف، ولأن هذا يستلزمه التعرف على مدى صواب المستشرق من خطئه فى تصوره لمنهج المحدِّثين، والخروج عن هذا المبدأ فى الرد على المستشرق يُعدّ خروجا عن المنهج العلمى فى مناقشته والرد عليه.

● من أساليب دهائهم أن يذكروا مجموعة من الحقائق التى يطمئن لها قلب المسلم ليدسوا بين أطرافها مجموعة من الأباطيل الخادعة.

● علماء الحديث النبوى والمحققون فى مجال علم الحديث وضعوا من المناهج والأسس الأصوليه ما يستطيع بها الباحث التفرقة الواضحة بين الحديث الصحيح والحديث الموضوع وغيره.

■ ولو ادعى المستشرق أن الحديث النبوى لم يكتب إلاَّ فى بداية القرن الثانى الهجرى مثلا ـ تعين علينا مناقشته والرد عليه من خلال الواقع التاريخى لنقل الحديث وروايته بعيدا عن العاطفة التى لا تستند الى دليل مقنع.

على أنه يمكن الاستشهاد ـ فى مناقشة المستشرق ـ ببعض الآيات والأحاديث التى تشتمل على استدلالات عقلية أو منطقية أو فطرية مشتركة بين البشر، وذلك لهذه الحيثية وليس لكونها وحيا نؤمن به نحن المسلمين. وليس فى هذا خروج عن المنهج العلمى فى مناقشة المستشرقين(٧) ولا نقض للقاعدة السابقة.

فتبين بهذا أن المنهج العلمى يقضى بمراعاة هذه القاعدة فى المواقف والموضوعات التى ينبغى مراعاتها فيها، وأنه ينبغى ملاحظة الحالات الأخرى التى لابد فيها من الخروج عن هذه القاعدة الى الاستدلال على رد شبهات المستشرقين بمناهجنا نحن المسلمين وليس بمناهج المستشرقين وان كانت حقيقة الأمر أن مناهجنا لا تتعارض مع الصالح من مناهج المستشرقين.

■ معلوم أن هناك أسبابا تدعو أحيانا الى أن يكون الهدف من مناقشة المستشرق هو الحرص على الرد عليه فقط. وكشف حاله لنفسه ولأتباعه وللمسلمين نظرا لطبيعة هذا المستشرق وطبيعة منهجه وأسلوبه وأخطائه.. وعندما يكون هذا هو الهدف فان منهجنا وأسلوبنا معه يهدف الى جمع الحجج وايرادها بالأسلوب العلمى المتعين الذى يرجى أن يقنع المخالف أو يقيم عليه الحجة، ومن ذلك مراعاة هذه القاعدة فى مسألة إمكان الاحتجاج عليه بمنهجنا الخاص بنا والآيات القرآنية والأحاديث النبوية أو عدمه.

■ وان كان الهدف من مناقشة المستشرق وتصحيح أخطائه هو الحرص على هدايته وليس الحرص على الرد عليه وكشف حقيقة حاله لنفسه ولأتباعه فلنا معه أسلوب متعين وهو أسلوب الداعية البصير الحكيم الذى لا يتقصد مع مثل هذا اسلوب المغالبة والمناظرة والمخاصمة ولكن الإرشاد والهداية بطريق غير مباشرة، ويشترك هذا الصنف مع الصنف السابق ذكره ـ وهو مناقشة المستشرق للرد عليه ـ فى المنهج العلمى الواجب مراعاته هناك ـ بل هو هنا أولى.

■ وتتميز مناقشة هذا الصنف بعدم التركيز على اخطاء المناقش وانما يكون التركيز على بيان الحقائق وتوضيحها وبيان أدلتها.

■ وهذا كله تشمله الأدلة الشرعية المتعددة من مثل قوله تعالى: ﴿*أدْعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظةِ الحسنةِ وجادلهم بالتى هى أحسن*﴾.. وقوله تعالى: ﴿*قل هذه سبيلى أدعو إلى اللهِ على بصيرة أنا ومن اتبعنى*﴾.. وقوله: ﴿*ولا تجادلوا أهل الكتابِ إلَّا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم*﴾.. وقوله: ﴿*وما أرسلنا من رسولٍ*

إلّا بلسانِ قومه ليبين لهم﴾ .

■ وينبغى أن «نكلم الناس على قدر عقولهم»(٨) أى على قدر أفهامهم كما قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟»(٩) وجاء عنه فى بعض الروايات زيادة: «ودعوا ما ينكرون» أى يشتبه عليهم فهمه. قال ابن حجر: ومثله قول ابن مسعود» ما أنت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة «رواه مسلم»(١٠).

■ وقد أورد(١١) الامام البخارى قول على هذا فى صحيحه معلقا بصيغة الجزم فى العلم ٤٩ - باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا وقبله عقد بابا بعنوان: «باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه».

ومراعاة طبائع النفوس البشرية واجب على الداعية الذى يتصدى لمثل هذه المواقف ويبغى الخير من وراء ذلك.

■ وينبغى أن يحذر المرء فى مثل هذه المواقف أشد الحذر من السبّ والشتم وذلك لأنه ليس حجة علمية ولا يحل المشكلة بل يزيدها إشكالا وهو ذريعة الى سواه من الشر، ولهذا نهى الله تعالى عنه فقال عز من قائل *﴿ولا تسُبُّوا الذين يدعون من دون الله فيسُبُّوا الله عدوا بغيرِ علم﴾* .

أمثلة لشبهات المستشرقين حول تدوين السنة وبيان منهج مناقشتها

تلك أمثلة عامة أرجو أن تكون كافية فى هذه العجالة لتوضيح المبادىء العامة لمنهج مناقشة شبهات المستشرقين. وقد رأيت أن المقام يقضى بايساع الحديث النبوى وما دار حوله من شبهات بمزيد من الأمثلة مركزا على ايضاح ما أراه من منهج مناقشتها.

■ *وليس قصدى من وراء تناول الشبهة التى أثارها هذا المستشرق أو ذاك سوى التمثيل على منهجية معالجة الشبهات بعامة، من وجهة نظرى فاقتضى هذا الاشارة - الى جانب ذلك - لبقية الأمور اللازم توفرها فيمن يتعرض لمناقشة شبهاتهم.*

المثال الأول:

مما ينبغى أن يتنبه له القارىء فى كتابات المستشرقين ودراساتهم ما يسلكه بعضهم من بناء النتائج على المقدمات أو الادلة الخاطئة.

●● *ومن أمثلة هذا تعريف «جولد زيهر» للحديث حيث قال: «الحديث لفظة تعنى «الحكاية» أو «الخبر» وليس هو الخبر الذى بين معتنقى العقيدة الواحدة فحسب بل يراد به كذلك المعلومات من الماضى البعيد أو من الوقائع أو الأحداث المتأخرة(١٢). الى أن يقول: «ومن سياق الأساطير والخرافات جعلت لفظة (حديث) لموضوعات القصص»(١٣).*

■ *هكذا تراه ينقب ويبحث بحثا مضنياً ليعرِّف السنَّة هذا التعريف الذى يوهم القارىء أن الحديث حكايات ويسوى بين الحديث والأساطير. ثم بعد هذا التعريف أخذ يورد الأمثلة المؤيدة - فى نظره - من هنا وهناك جمعها من مصادر ليست أصيلة فى بابها، وهو تصرف آخر يوهم القارىء أن هذا الباحث محقق مدقق ومصادره كثيرة متنوعة.*



● تنويع المصادر وكثرتها ليس دليلاً على المنهجية الصحيحة ودقة التوثيق.

● من المغالطة أن يَعْمد المستشرق إلى أسلوب الانتقاء من الأدلة الصحيحة حين يلوح له أن ذلك الدليل يؤيد رأيه أو هواه.

● يذهب جولد تسهير إلى أن الحديث يدخل في سياق الأساطير والقصص والخرافات.

ولكن مثل هذا ينبغي أن لا يفوت القارىء الفطن بل عليه أن يتحقق من صحة مثل هذا التعريف وعندها سيعلم:

●● أنه ترك التعريف الصحيح واختار هذا التعريف.

●● وأنه تجاوز تعريف العلماء السابقين وابتكر تعريفا من عند نفسه.

●● وأنه ترك المصادر الأصيلة ورجع لمصادر ليست فى الموضوع.

■ فلماذا كل هذه التجاوزات لأصول البحث العلمى؟.. وهل يخفى على مثله شىء منها؟.. فى حين أن علماء الحديث عرفوه بأنه: «ما أثر عن النبى ﴿ﷺ﴾ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف»(١٤). لا يكاد يخلو كتاب من كتبهم فى المصطلح من هذا. فكيف استطاع الرجل أن يتجاهل المؤلفات فى الحديث وعلومه فلا يعتمد عليها فى مثل هذا البحث وذهب الى كتاب: **«الأغانى»** لأبى الفرج.. و**«فتوح البلدان»** للبلاذرى.. و**«معجم الأدباء»** لياقوت.. و**«السيرة»** لابن هشام.. وكتابات عدد من المستشرقين.. الخ وانما كان رجوعه أحيانا لكتب الحديث لبعض الأمثلة المنتقاة فلا ينبغى أن ينخدع القارىء لذلك فانما هو رجوع مموه وطريقة انتقائه للأمثلة يأتى منها الخلل أحيانا، فلا يغرك فى هذه الحال أن تراه يحيلك على صحيح البخارى فذلك مسلك آخر يغتر به القارىء.

■ ومن أمثلة مسلك بناء النتائج على المقدمات أو الأدلة الخاطئة.. أن يستدل المستشرق بنص على أنه حديث فى حين أنه ليس بحديث.. وينقده على أنه حديث وهو ليس كذلك ـ على ما هو معلوم مشهور من طرائقهم لا يحتاج الى تمثيل.

المثال الثانى:

وينبغى أن يتنبه المناقش لشبهات المستشرقين أو الدارس لأبحاثهم وكتاباتهم الى منهج بناء النتائج الخاطئة على المقدمات الصحيحة الذى انتهجه عدد من المستشرقين، فان ذلك من قبيل المغالطة أو الخطأ الذى لا يليق بباحث أن ينتهجه.

●● ومن هذا ما قرره بعض المستشرقين من الفهم الخاطىء القائل بأن الدنيا لا شأن للرسول ﴿ﷺ﴾ بها ولا دخل للدين فيها.. وأن الرسول انما هو مبلغ «للدين» عن الله سبحانه.. وبناء عليه يردون كل ما يأتى من أحاديث عن

النبى ﴿ﷺ﴾ فى أمور الدنيا . . وذلك استنادا الى حديث تأبير النخل، وهو حديث صحيح أخرجه الامام مسلم فى صحيحه - وهنا تأتى الحاجة للتثبت والتمييز بين الرأى والرواية .

■ وقبل أن نناقش هذه الدعوى ينبغى أن أنقل هذه الدعوى بنصها عن القائلين بها :

يقول «موريس بوكاى» : «وفضلا عن ذلك كله فقد يكون الحديث صحيحا لا شك فيه ولكنه ما دام فى أمر من أمور الدنيا مما لا علاقة للدين به، فلا فرق عندئذ فى ذلك بين النبى ﴿ﷺ﴾ وبين غيره من البشر لما ورد فى صحيح مسلم عن النبى ﴿ﷺ﴾ : «اذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به، واذا أمرتكم بشىء من رأيى فانما أنا بشر» .

■ وكذلك نقل السرخسى فى أصوله قول النبى ﴿ﷺ﴾ : «اذا أتيتكم بشىء من أمر دينكم فاعملوا به . . واذا أتيتكم بشىء من أمر دنياكم فأنتم أعلم بأمر دنياكم» . ويكون النبى ﴿ﷺ﴾ قد دعم بنفسه ملاحظتنا بشكل عام .

■ ويمضى فيقول عن أحاديث الطب فى صحيح البخارى: «ومن أبرز هذه الأحاديث الظنية الدنيوية غير الدينية عدد من الأحاديث المتعلقة بالطب . . وليس هناك أدنى شك فى أن هذه الصفحات تحتوى على الكثير من الأحاديث الظنية فضلا عن أنها كلها تتعلق بأمور دنيوية غير دينية . . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا المقام كما سبق : «فأنتم أعلم بأمر دنياكم»(١٥) .

■ ولمناقشة مثل هذه الدعوى ينبغى أن يتذكر الباحث الأمور الآتية للتعرف على وجه الصواب فى المسألة :

(أ) ضرورة التمييز بين الرأى والرواية فى هذا .

(ب) ضرورة التثبت من صحة الرواية .

(ج) ضرورة التثبت من ألفاظ الرواية الصحيحة .

(د) ضرورة التثبت من دلالة هذه الرواية الصحيحة فى ضوء ألفاظها الثابتة وسائر الأدلة الأخرى .

(هـ) ثم عرض رأى الكاتب على النتيجة لمعرفة مدى استقامة رأيه وامانته فى نقل الرواية .

■ وثمة ما هو جدير بالنظر والاعتراف - ذلك اننا حين نتأمل ألفاظ رواية الحديث فلا نجد شيئا منها يقول بأن النبى انما جاء بتبليغ الدين ولا شأن له بالدنيا أو لا ينبغى أن يؤخذ قوله أو حكمه فى شىء من أمور الدنيا، ويؤكد هذا الفهم سبب ورود الحديث، ثم ان قوله: «**انتم أعلم بأمر دنياكم**» ليس فيه اعطاؤهم حق التشريع وانما فيه انهم أكثر اتقانا لأعمالهم وصناعاتهم الدنيوية . ثم انه منذ البداية بيّن ﴿ﷺ﴾ أنه انما يخبرهم عن ظنه العائد الى شخصه باعتباره بشرا وليس باعتباره رسولا - فليس هو من الخبر عن الله وليس من اجتهاده بصفته رسولا . ولهذا بوّب الامام النووى على الحديث فى صحيح مسلم بقوله: «**باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأى**»(١٦) فهل فى هذا تفويض منه صلى الله عليه وسلم للناس أن يشرعوا فى دنياهم ما شاؤا؟ .

■ أما النصوص الأخرى فلا نجد منها شيئا فى الكتاب أو السنة يؤيد من قريب أو بعيد اسقاط قول النبى ﴿ﷺ﴾ فى أمر من أمور الدنيا، بل على العكس من ذلك نجد الأحكام الدقيقة فى سائر أحوال الانسان والمجتمع وفق ما يراه الناظر فى أحكام المعاملات والعبادات على حد سواء . ولهذا قال الله تعالى : ﴿***قل إنّ صلاتى ونُسُكِى ومحياى ومماتى لله ربِّ العالمين لا شريك له، وبذلك أُمرتُ وأنا أولُ المسلمين***﴾ .

■ وقد ننظر فيما ذكره المستشرق فى دعواه فنجد أنها فى ضوء هذه النتائج تسقط تلقائيا . . وانها فكرة غريبة عن الاسلام، فما يتصل منها بالرأى فانه ليس عليه دليل يؤيده بل الادلة الشرعية النقلية والعقلية ترده . وأما ما ذكره من الرواية فنجده لم يكن أمينا فى حكايته لها حيث ذكرها بألفاظ تؤيد ما ذهب اليه من رأى خاطىء . وانظر كيف دعته حصافته وتحقيقه الى أن يلتقط تلك الرواية عن السرخسى فى أصوله **وهل أصول السرخسى من المصادر المعتمدة للحديث؟ ثم أخيرا هل يتصور عقلا أن يحذف الدين كله بحديث واحد على ذلك الفهم؟** .

المثال الثالث:

ومن بناء النتائج الخاطئة على المقدمات الصحيحة ما قرره بعض المستشرقين من الطعن فى السنة النبوية اعتمادا على ما قام به المحدثون من نقد لروايات الأحاديث لتمييز الثابت منها عن النبى ﴿ﷺ﴾ من غير الثابت عنه، زعما من هؤلاء المستشرقين بأن هذا الطعن فى السنة قد قام به المحدثون انفسهم.

■ يقول «موريس بوكاى»: متحدثا عن مجموعات الحديث التى يزعم أنها كتبت بأقلام كتاب لم يكونوا من شهود العيان لما قد نقلوه: «وكذلك فان مجموعات الحديث هى مثل الأناجيل من حيث انها لم تعتبر كلها صحيحة ثابتة. ولهذا فان أصحاب (الاحصاء) فى علم الحديث لم يقبلوا من هذه الأحاديث بصورة شبه اجماعية الا عددا قليلا منها، وأصبح من الممكن أن يوجد فى نفس المجموعة الواحدة أحاديث مظنون فيها أو مرفوضة قطعا الى جانب الأحاديث التى اعتبرت صحيحة.

ويقول مؤكدا هذا الفهم: «فان مجموعات الأحاديث ـ حتى تلك التى تعتبر بوجه خاص أنها صحيحة ـ قد خضعت كلها لفحوص نقدية عميقة قام بها أساتذة الفكر الاسلامى لتحديد درجتى القبول والعمل بها»(١٧).

■ عند قراءة المرء المحقق لهذه الفكرة فان من شأنه أن يتأمل النص ويميز ما كان منه من قبيل الرواية عما كان من قبيل الرأى.

ثم يسلك المسلك اللازم للتحقق من صحة الرواية ـ وكذلك المسلك اللازم للتحقق من صحة الرأى.

■ فالرواية عند عرضها على منهج النقد عند المحدثين يتبين له قيمتها، والرأى ينظر فى أدلته وفى مقدماته **هل هى صحيحة؟ وهل تؤدى اليه؟..**

●● وما تشمل عليه هذه الدعوى مما يحتاج الى توقف يتلخص فى الآتى:

(أ) ادعاء أن السنة كتبت بأقلام أناس لم يكونوا من شهود العيان.

(ب) ادعاء أن مجموعات الحديث لم تعتبر كلها صحيحة ثابتة.

(ج) ادعاء أن علماء الحديث لم يقبلوا من الحديث بصورة شبه اجماعية الا عددا قليلا.

(د) ادعاء أنه حتى تلك الأحاديث التى اعتبرت بوجه خاص صحيحة قد خضعت كلها لفحوص نقدية عميقة قام بها أساتذة الفكر الاسلامى لتحديد درجتى القبول والعمل بها.

■ وكل هذه الأفكار أخبار تفتقر الى المستند من الرواية الصحيحة.. أو هى آراء شخصية وتحليلات فى صورة أخبار.

●● أما ما فى فقرة (أ) فقد ناقشته فيما سبق.

●● وأما ما فى فقرة (ب) فهو صحيح، ولكنه لا يصح أن يطعن به فى السنة أو فى منهج المحدثين، وفعل شىء من هذا انما هو من قبيل المغالطة، اذ أن معنى تقسيم ما يروى من الحديث الى صحيح وغير صحيح معناه أن الحديث الصحيح محفوظ ولا يضره وجود أحاديث غير صحيحة، ومعناه أن علماء الحديث نقدوا وميزوا الصحيح من الحديث من سواه.. فهل يستقيم فى منطق العقل السليم أن يتخذ هذا مقدمة للطعن فى السنة؟.

●● وأما ما فى فقرة (ج) فمثل الفقرة السابقة الا أنه من شأن القارىء المحقق أن لا يفوته تبين ما فى العبارة من ابهام وايهام.. فهل يعنى الكاتب أن كل ما لم يقبل من الحديث بصورة شبه اجماعية فهو مردود؟.. وهل الاجماع شرط لتصحيح حديث ما؟.. أو هل المحدثون لم يجمعوا على قبول الحديث الصحيح والحسن؟.. ثم أليس عدد الأحاديث المقبولة عند المحدثين كثيرا؟.. لا يخفى ما فى الأسلوب من مغالطة.

●● وأما فى الفقرة (د) ففيه مثل ما فى الفقرتين السابقتين اضافة الى مغالطة أخرى قلب فيها الكاتب الحسنة فى منهج المحدثين الى سيئة على منهجهم وعلى الحديث، لأنه أولا: أوهم أن نظرهم فى الحديث المقبول سندا ومتنا وفقها لتحديد درجة ثبوته ودلالته على الحكم الشرعى انما هو (فحوص نقدية عميقة) قام بها العلماء المحققون لتمحيص الحديث الصحيح ـ وهذه مغالطة . . اذ أن المحدثين بمجرد حكمهم على الحديث بالصحة يكونون قد حكموا بقبوله . . . الخ . وثانيا: قد غالط فى أسلوبه فعد ذلك العمل مقدمة لنتيجة خطيرة لا وجود لها ـ وهى أن السنة ما دامت بهذه الصفة فلا يمكن الثقة بها .

المثال الرابع :

ومن بناء النتائج الخاطئة على المقدمات الصحيحة ما قرره بعض المستشرقين من الطعن فى السنة النبوية اعتمادا على ما قرره المحدثون من أن الأحاديث منها ما هو أحاديث آحاد ـ وهى الأغلب ـ وأحاديث الآحاد ظنية الثبوت وليست قطعية الثبوت .

■ يقول «موريس بوكاى»: «غير أننى لا يفوتنى هنا أن العلماء المختصين فى علم الحديث قد صنفوا الأحاديث القابلة للنقد فى جملة الأحاديث الظنية الثبوت، وميزوا بين هذه الأحاديث المتواترة المصنفة فى جملة الأحاديث القطعية، آخذين بعين الاعتبار فيما يتعلق بالأحاديث النبوية، وأنها بالتالى قد تقل دقتها نتيجة لأخطاء الرواة الذين قد نقلوا هذه الأحاديث بطريقة أخبار الآحاد، والذين لم يتوافر لديهم كمال القدرة على ضبط ما سمعوه ولا الانتباه لظروف الكلام الذى نقلوه»(١٨) .

■ ويقول «موريس بوكاى» مؤكدا هذا الفهم بأسلوب الثناء على القرآن . . «وذلك خلافا لنصوص الأحاديث الظنية من أخبار الآحاد التى لا يمكن أن ترتفع فى الثبوت الى درجة الوحى المنزل المتواتر المكتوب وذلك لما قد يدخل عليها من أخطاء الرواة»(١٩) .

●● و«موريس بوكاى» يوجه هذا الطعن الى الأحاديث الصحيحة ومنها أحاديث الامام البخارى فى صحيحه من أحاديث الآحاد، وقد أكد هذا قبل شروعه فى النقد فقال: «واننى حينما أشير الى بعض هذه الأحاديث لا أريد منها الا الاحاديث التى اعتبرت صحيحة بصورة عامة مثل أحاديث صحيح البخارى»(٢٠) ويقول طاعنا فى أحاديث الطب فى صحيح البخارى: «وليس هناك أدنى شك فى أن هذه الصفحات تحتوى على الكثير من الأحاديث الظنية»(٢١) .

●● وقال أيضا فى معرض رده لحديث فى صحيح البخارى: «وعلى كل فان هذا الحديث فى ظاهر معناه هو أكثر من ظنى وهو من أخبار الآحاد كما هو معروف فى علم الحديث، وما كان، كذلك فهو لا يفيد العلم القطعى» (٢٢) .

●● وقال فى معرض رده لحديث آخر فى صحيح البخارى: «وان وصف تطور الجنين فى هذا الحديث الظنى لا يتفق مع المعلومات العلمية الحديثة»(٢٣) .

●● وقد أصبح عنده مجرد وصف الحديث بأنه حديث آحاد فانه يعنى رده والطعن فيه، كما هو واضح مما نقلته ـ فيما مضى ـ عنه وكقوله معلقا على أحاديث الطب فى صحيح البخارى: «هناك أيضا بعض الأحاديث الأخرى من أخبار الآحاد ومما لا علاقة له بأمور الدين»(٢٤) .

■ ويتوقف القارىء المحقق عند هذا الرأى فى صحة الحديث النبوى فيرى من اللازم عليه أن يتأكد من حجته أولا، ثم مدى وجاهته ثانيا .



■ اما حجته وهى أن المحدثين قسموا الحديث الى قطعى الثبوت وظنى الثبوت فحجة صحيحة، ولكن أى حديث هذا الذى قسموه هذه القسمة؟ وما معنى ظنى الثبوت؟ وما مرادهم من هذه القسمة أو ما نتيجة ذلك عندهم؟.

■ لقد أوهم المستشرق بكلامه السابق أن المحدثين «صنفوا الأحاديث القابلة للنقد فى جملة الأحاديث الظنية الثبوت». . وليس الأمر كذلك بل المحدثون صنفوا الحديث المقبول عندهم الى صنفين هما:

(١) الحديث المتواتر. وهذا ثابت عندهم ثبوتا قطعيا.

(٢) حديث الآحاد. وهذا ثابت عندهم بطريق الظن الراجح، أو الظن الغالب أحاديث الصحيحين، وغيرها، والمقبول من هذا الصنف عندهم ينقسم الى قسمين: الصحيح والحسن.

■■ واليقين ليس شرطا عندهم لصحة الحديث فأنت ترى أن المقبول عندهم من الحديث كله يفيد العلم ولكنه امام العلم اليقينى فهو حديث متواتر أو آحاد احتفت به قرائن تؤدى الى ذلك، واما العلم الذى يفيده الظن الراجح فهو الصحيح والحسن.

● والمستشرق هنا قد احتج بصنيع المحدِّثين فلماذا غالط هذه المغالطة وجازف هذه المجازفة الخطيرة؟. . فهو:

■ لم يذكر أن المحدِّثين يقبلون الثابت من أخبار الآحاد بل أوهم عكس هذا ثم احتج به زاعما أنه منهج المحدِّثين.

■ ثم أما كان عليه أن يوثق هذه المعلومة بالاحالة الى المحدِّثين؟. أو أن الأمر تعذر عليه لأنه ليس فى المحدثين أحد يقول بهذا؟. ثم مادام أنه أدعى أن هذا هو رأى المحدِّثين فى الحديث الآحاد فلماذا طعن به فى أحاديث البخارى فى صحيحه؟. . ولماذا تجاهل رأيهم فى صحيح البخارى؟.

■ والواقع أنه بهذا الزعم قد تجاهل مسائل بدهية عند المحدِّثين هى:

- اجماعهم على قبول الحديث الثابت (الصحيح والحسن).
- اجماعهم على تلقى الصحيحين بالقبول.
- اجماعهم على أن أغلبية الظن تفيد العلم وتقوم بها الحجة.

ثم ألا ترى بعد هذا مغالطته أو سوء فهمه لمدلول قولهم: «ظنى الثبوت»؟(٢٥) وكيف تجاهل مالا يعجبه من منهج المحدِّثين. . وأى نظرة انتقائية هذه التى يمكن أن يقبلها الباحث عن الحق؟.

وبعد هذا كله يتبين لك مدى وجاهة رأيه.

المثال الخامس:

ادعاء بعض المستشرقين أن السنة قد اعتمدت فى أول الأمر على النقل الشفهى. . وأنها لم تكتب الا بعد انقضاء مدة من الزمن بعد وفاة النبى ﴿ﷺ﴾.

وفى ذلك يقول «موريس بوكاى»: «وكانت معلومات هذا المصدر الثانى تعتمد فقط على النقل الشفهى. لذلك فان الذين بادروا الى جمع هذه الأقوال والأفعال فى نصوص قد قاموا بتحقيقات تتسم دائما بالصعوبة»(٢٦).

■ ويقول فى حديث الآحاد عند المحدثين: «. . آخذين بعين الاعتبار فيما يتعلق بالأحاديث الظنية الثبوت أنها كتبت بأقلام أناس اعتمدوا فيها على النقل الشفهى للأحاديث النبوية. . وأنها بالتالى قد تقل دقتها نتيجة لأخطاء الرواة. . والذين لم يتوافر لديهم كمال القدرة على ضبط ما سمعوه، ولا لظروف الكلام الذى نقلوه»(٢٧).

■ ان القارىء غير المحقق بعد قراءة مثل هذه المعلومة التى هى فى صورة خبر سيستلم لدلالة الخبر، فاما أن يؤمن به، أو مع الاستسلام يعد ذلك أمرا مشكلا فى تاريخ السنة قد يظل أمامه حائرا.

■ أما القارىء المحقق فانه سيتنبه بقراءة هذه الفكرة عن الحديث النبوى الى أنها رواية تاريخية لأنها فكرة عن تاريخ السنة فيجب التحقق من صحتها ومصدرها . . ويعلم بدهيا أن مثل هذا الكاتب (المستشرق) ليس مصدرا لمثل هذه الرواية التاريخية ـ لا من حيث هويته وظروفه الثقافية وسواها . . ولا من حيث مكانه . . ولا من حيث زمنه . . فينبغى أن يكون له مصدر أصيل فى هذه الفكرة يوقف عليها فيه ويطبق عليها أصول نقد الروايات عند المحدِّثين وعلى ضوئه تقبل أو ترفض .

■ واذا لم يكن ذلك فانه يعنى أن هذه الفكرة تحليل شخصى من عند المستشرق نفسه لا قيمة له .

وأيضا فان قراءة المرء المحقق لهذا الفكرة تدعوه الى الرجوع الى المراجع المتخصصة الأصيلة للتحقيق فى صحتها .

واذا أردنا أن نطبق هذا المبدأ ـ أعنى عرض الفكرة على المصادر المتخصصة الأصيلة ـ فى هذه الشبهة المثارة نجد الحقيقة التالية :

■■ المصادر الحديثة الأصيلة ليس فيها دليل يثبت أن السنة اعتمدت على النقل الشفهى فقط فى فترة ما .

■■ تتوافر الأدلة على اثبات نقل السنة بطريقين معا هما المشافهة والكتابة . . وأن عددا من الصحابة قد كتبوا الحديث فى حياة النبى ﴿ﷺ﴾ .

ويمكن أن أصنف الاستدلال على هذا وفق الآتى :

(١) الروايات الثابتة عن النبى ﴿ﷺ﴾ ، فى الاذن بالكتابة أو الأمر بها ، أو كتابته الى غيره من الرؤساء والقبائل . . وأما روايات النهى عن الكتابة ففيها نظر فى ضوء منهج المحدِّثين فى نقد الروايات .

(٢) الروايات الثابتة عن الصحابة فمن بعدهم فى فعلهم للكتابة للحديث واكتابه . وما هذه المصنفات الحديثية الموجودة اليوم الا دليل على ثبوت كتابة الحديث من أول الأمر لأن هذه المصنفات انما هى امتداد لروايات الصحابة للحديث الشفهية والمكتوبة على حد سواء .

ولتوثيق هذه المعلومات أكتفى بالاحالة على ثلاثة أعمال علمية فى اثبات كتابة الحديث منذ عهد النبى ﴿ﷺ﴾ .

الأول: كتاب : «اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﴿ﷺ﴾» تصنيف الامام محمد بن طولون الدمشقى ٨٨٠-٩٥٣هـ . تضمن الكتب التى وجهها النبى ﴿ﷺ﴾ لغيره(٢٨) . ومعلوم أن هذه من السنة القولية والعملية .

الثانى: كتاب : «دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه»(٢٩) للدكتور محمد مصطفى الأعظمى . درس فيه جوانب مهمة من تاريخ السنة ـ ومن أهم ذلك ما خصص له الباب الرابع من تقييد الحديث . . وأورد فيه عددا من الروايات فى كتابة الصحابة رضى الله عنهم فمن بعدهم للحديث . . وكذلك ما كتبه حول تحقيقه لنسخة سهيل بن أبى صالح الراوى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

الثالث: «كتابة الصحابة للحديث النبوى بين المسلمين والمستشرقين»(٣٠) بحث تكميلى لنيل درجة الماجستير من قسم الاستشراق بالمعهد العالى للدعوة الاسلامية ، كتبه الطالب أقونج أفندى تناول فيه الروايات فى كتابة الحديث فى

النهى والاذن . . ودرسها وبين أن الحقيقة الثابتة قولا وعملا هى الكتابة . . وأورد عددا كبيرا من الروايات الصحيحة فى هذا .

■ وختاما فى مناقشة هذه الدعوى يمكن للمرء أن يلحظ تناقض الكاتب مع نفسه ، فقد قال فى الصفحة نفسها : « . . بل ان السنة النبوية من أفعال النبى ﴿ﷺ﴾ وأقواله هى المصدر الثانى الذى عنى العلماء بطلبه تكملة للمصدر الأول حتى فى أثناء حياة النبى فضلا عنه بعد وفاته»(٣١) .

■■ وقال أيضا فى الصفحة نفسها : « . . وللتدليل على ذلك الاهتمام بالدقة والضبط لمجموعات الأحاديث المعتمدة فانهم قد نصوا على أسماء الذين نقلوا أقوال النبى ﴿ﷺ﴾ وأفعاله وذلك بالصعود فى الاسناد الى الأول من أسرة النبى ﴿ﷺ﴾ ومن صحابته ممن قد تلقوا هذه المعلومات مباشرة من محمد ﴿ﷺ﴾ نفسه . . وهذا ما قد انفرد به علماء الاسلام فى كل ما روى عن نبيهم ﴿ﷺ﴾»(٣٢) .

■■ وقال بعد صفحات : «ومن ناحية أخرى فان المقربين من صحابة النبى ﴿ﷺ﴾ والمؤمنين ممن كانوا من شهود العيان لأفعاله وأقواله قد حفظوها فى ذاكرتهم واعتمدوا عليها بالاضافة الى القرآن للتعريف بالعقيدة والشريعة الجديدتين . . غير أن هذه التعاليم القرآنية والنبوية لم تلبث أن دونت فيما بعد وفاة النبى ﴿ﷺ﴾»(٣٣) .

■ فأى رأييه يأخذ المرء؟ . لا شك فى أنه يأخذ ما عليه الدليل ، ويرد ما عداه .

ولك أن تقارن بعد هذا العرض بين النتيجتين لكل من الموقفين اللذين أوضحتهما تجاه ما نقرؤه من كتابات المستشرقين فى هذه الموضوعات وأى الموقفين يتعين على العاقل الباحث .

المثال السادس :

ادعاء بعض المستشرقين بأن السنة لم تنقل الا بعد فترة طويلة من وفاة النبى ﴿ﷺ﴾ وذلك بواسطة رواة لم يكونوا من شهود العيان ـ والمدعون لهذه الدعوى بنوا عليها لازمها وهو أنه لا يمكن الثقة بالسنة ولا الاعتماد عليها .

■ يقول «موريس بوكاى» عن السنة النبوية : «وكانت معلومات هذا المصدر الثانى تعتمد فقط على النقل الشفهى . لذلك فان الذين بادروا الى جمع هذه الأقوال والأفعال فى نصوص قد قاموا بتحقيقات تتسم دائما بالصعوبة كما هو الشأن فى حكاية جميع الأحداث بعد انقضائها . . كان همهم الأول فى عملهم العسير فى مدوناتهم منصبا أولا على دقة الضبط لهذه المعلومات الخاصة بكل حادثة فى حياة محمد ﴿ﷺ﴾ وبكل قول من أقواله»(٣٤) .

●● الى أن يقول : «وهكذا ظهرت للوجود مجموعات أقوال النبى ﴿ﷺ﴾ وأفعاله ، وأصبحت تعرف الآن فى العلوم الاسلامية بـ «علم الحديث» وقد نشرت أول مجموعة للأحاديث فى العشرات من السنين التى تلت مباشرة وفاة محمد ﴿ﷺ﴾»(٣٥) .

■ وقد رتب «موريس بوكاى» على هذه الفكرة الخاطئة عن السنة ، القول بأن السنة تشبه فى طريقة نقلها الأناجيل فذهب يقارن بينها(٣٦) . . واكتفى فى مناقشة هذه الدعوى بالاحالة على الحقائق التاريخية الثابتة من تاريخ السنة النبوية مما سبق أن أوضحته وسواه ، ومن ذلك :

■■ ما ثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين نقلوا الحديث عن النبى ﴿ﷺ﴾ وهم شهود العيان بل المعايشون للأحداث والوقائع والمتلقون للتربية والتوجيه النبوى ، وأنهم نقلوا ذلك بطريقى المشافهة والكتابة ـ كما سبق ايضاحه ـ .

● ما ثبت من عناية الصحابة وتثبتهم فى الرواية .

● ما ثبت من نقل السنة بالسند المتصل .

● ما هو معلوم فى تاريخ رواة الحديث عموما من صفات تؤكد عنايتهم باتصال السند والتثبت فيه . . ومن ذلك رحلتهم فى طلب الحديث . . واهتمامهم بالسند العالى . . وتفرغ عدد منهم للاشتغال بالحديث . . وتمييز ثابته من سواه .
● ما أسفرت عنه الأمور السالفة الذكر من وجود مصنفات الحديث التى ترويه بالسند المتصل، والتى هى وثائق علمية دقيقة يعرف بها الحديث المقبول من المردود، ويعرف بها الصحيح من الزائف مما يقال عن الحديث ومنهج علمائه فى روايته ونقده .

المثال السابع :

ادعاء بعض المستشرقين أن عدد الأحاديث النبوية قد زاد فى آخر الأمر عنه فى بدايته . . وأنه قد دخل ذلك عامل التطور ويؤكدون بهذا شبهتهم التى ينكرون فيها السنة ويزعمون انها مختلقة .

■ يقول فى هذا «موريس بوكاى» : «وقد كانت كمية الأحاديث التى جمعت فى القرن الأول بعد وفاته ﴿ﷺ﴾ محدودة بالنسبة الى كثرة الأمور المنقولة عنه . . وان أضخم مجموعات الحديث لم تظهر الا بعد مضى أكثر من قرنين على وفاته ـ وهى التى جمعت أوسع المعلومات وأوثقها ويعتبر صحيح البخارى بصورة عامة أكثر الكتب صحة بعد القرآن»(٣٧) .

■ وعلينا أن ندرك ما فى هذا الأسلوب من اطلاق وعدم وضوح فى الفكرة المعروضة . فهل يقصد بالزيادة فى الأحاديث ما وضعه الكذابون؟ فان كان كذلك فان هذا معروف عند المحدثين وقد بينوه أوضح بيان(٣٨) . أو يقصد أن الأحاديث المقبولة قد زادت كميتها فيها بعد؟ فان كان كذلك فهذا يرده ـ من حيث أصل الحديث ـ الواقع والمنهج الذى سار عليه نقل الحديث ونقد المحدثين للروايات(٣٩) . فأحاديث النبى ﴿ﷺ﴾ نقلت كما هى من غير زيادة ولا نقص ـ ويتبين هذا بوضوح من خلال مناقشة الشبهات السابقة فى هذا البحث ـ أما من حيث تفرع الأسانيد وتعدد الطرق فهذا صحيح غير أنه يؤكد الثقة بالحديث لأن هذا يعنى كثرة الطرق الصحيحة لرواية الحديث، فكيف تنقلب الحسنة فى الواقع سيئة فى نظر الباحث؟ .

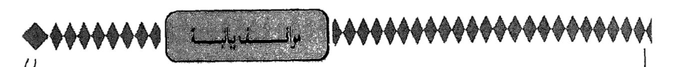
المثال الثامن :

(ادعاء ان نقد المحدثين اقتصر على النقد الخارجى فقط)

■ يزعم «سورديل» ان قواعد علم الحديث ترتكز على البحث فى سلسلة الرواة أو الذين أوردوا الحديث قال : «وكان الحديث يعتبر صحيحا اذا كانت الجهات التى أوردته جديرة بالثقة . . واذا كانت سلسلة الرواة أو النقلة الذين أوردوا كل حديث منقول . . وكان الحديث يعتبر صحيحا اذا كانت الجهة التى أوردته جديرة بالثقة . واذا كانت سلسلة الرواة من جهة أخرى متصلة دون انقطاع ـ أى اذا كانت الشخصيات المذكورة نظرا لأعمارها قد تمكنت فعلا من نقل الحديث المروى تباعا الواحد تلو الآخر» .

ثم قال : «ولكن النهج المعتمد من قبل المسلمين فى تلك الحقبة من أجل تحديد (الأحاديث النبوية) استنادا الى معايير كلها خارجية يمكن الوثوق بها لا يمكن ان تقنع علماء الاسلاميات المعاصرين الحريصين باسم العلم الحديث الى التوصل الى نتائج أكثر دقة» .

فلو وقفنا على فحوى هذا النص لوجدناه ـ كما سلف ـ خاليا من التوثيق . . ولوجدنا ما فيه من شبهات ترديدا



يعمل بعض المستشرقين على انكار السنة كمصدر من مصادر التشريع الاسلامى.

للشبهات نفسها التى أثارها من قبل أمثال جولد زيهر وغيره لرأينا ان المؤلف يدعى أمورا منها:

(أ) أنه جعل صحة الحديث أو عدم صحته منوطة بسنده فقط. والأمر كما هو مقرر فى علم الحديث لا يقتصر على صحة السند. ولذا كان لزاما على من يريد ان يناقش شبهة كهذه أن يرد القارىء على شروط المحدثين فى قبول الحديث التى أوردتها كتب علوم الحديث بعامة من مثل: «تدريب الراوى» للسيوطى، و«مقدمة ابن الصلاح» و«الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» و«منهج النقد عند المحدثين» للدكتور محمد مصطفى الأعظمى وسواها.

■■ ويكفى أن نشير هنا ـ لرد هذه الدعوى ـ الى شروط الحديث الصحيح والحسن عند المحدثين، وما فيها من شروط تشمل النظر فى المتن، حيث اشترطوا ـ ليكون الحديث مقبولا ـ سلامته من الشذوذ والعلة القادحة (٤٠).

■■ وكذلك أشير الى تطبيقاتهم فى نقد الحديث سندا ومتنا. وكم من حديث ردوه بناء على نقد متنه فقط فعرفوه أنه لا يثبت عن النبى ﴿ﷺ﴾ فحكموا بأنه موضوع. وانظر فى هذا على سبيل المثال كتاب: «المنار المنيف فى الصحيح والضعيف» للامام ابن القيم(٤١).

(ب) جعل معايير نقد الحديث كلها خارجية وهذه أحكام انطباعية قائمة على التعميم الذى لا استثناء فيه وهو مخالف لمقتضيات البحث العلمى السليم.

(ج) افترض أن قواعد علم الحديث التى أرساها علماء الحديث لتحدد شئون حياتهم وتحكمها وتنظمها غير ممحصة بالقدر الذى يقنع «علماء الاسلاميات المعاصرين» على حد تعبيره وهو تعبير مضلل لأنه لم يميز ما ان كان المقصود بذلك المستشرقين أم المسلمين. أما ان كان يقصد المسلمين فمن هم هؤلاء؟.. لقد كان فى وسعه ان يقول المستشرقين ولكن ذلك من أساليب التمويه ولا شك.

الخاتمة

وأخيرا آمل أن يكون هذا البحث قد أوقفنا على عدة أمور مهمة منها:

* كشف زيف عدد من الشبهات التى أثارها ويثيرها المستشرقون حول السنة النبوية الغرض منها هدم الاسلام.
* الاشارة الى بعض المنطلقات اللازم توفرها فى ذهن من يتعرض لمثل هذا الموضوع.
* تقديم منهج ومثال لرد مثل هذه الشبهات أرجو ان يكون موفقا.
* لفت الأنظار الى زيف عدد من نتائج أبحاث المستشرقين «العلمية» حول الاسلام ولا سيما السنة. وأنه ينبغى أن لا ننخدع بذلك.

ولا نستسلم لما يقدمونه لنا فى هذا المجال باسم التحقيق العلمى. وأن نتنبه الى أساليب التمويه التى ينتهجها كثير منهم.

والله الموفق الهادى الى سواء السبيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الهوامش

(١) هذا مدخل للموضوع حول المنهج والأسلوب المتعين على المناقش لشبهات المستشرقين حول تدوين السنة وذلك فيما يتصل بأهداف المناقشة وما يلائمها من أسلوب، وقد كنت كتبت موضوعا آخر بعنوان: «قواعد فى أصول الحوار ورد الشبهات» لم أكرر ما فيه هنا.

(٢) روى هذا عن النبى ﴿ﷺ﴾، وأنظر المقاصد الحسنة للسخاوى: ١٢٢ ط مصر ١٣٧٥هـ.

(٣) انظر كتب هذا الفن وعلى سبيل المثال: -١- تدريب الراوى للامام السيوطى -٢- منهج النقد عند المحدثين للدكتور محمد مصطفى الأعظمى.

(٤) نقلا عن: «نموذج من الأعمال الخيرية فى ادارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٩هـ لمحمد منير الدمشقى: ص ٣٥-٣٦ ط الثانية ١٤٠٩هـ الرياض.

(٥) هذه قاعدة أصولية متفق عليها عند جمهور الأصوليين، والشواهد عليها كثيرة من نصوص القرآن والسنة، وتدخل فى أبواب كثيرة من العلم. وانظر: كتب الأصول فى ذلك.

(٦) بامكانك أن تراجع الآيات فى محاجة الكافرين على اختلافهم وفى مختلف الموضوعات، وهى أصناف: منها دعوة الى التفكر والعقل أو مخاطبة الفطرة، ومنها تحد للكافرين المعاندين، كما فى التحدى بالاتيان بمثل القرآن، والتحدى بخلق الذباب... الخ.

(٧) أفادنى هذه الملاحظة الأخ د. سعيد صينى، جزاه الله خيرا.

(٨) انظر «المقاصد الحسنة.. للسخاوى ٩٣-٩٤

(٩) البخارى فى صحيحه معلقا بصيغة الجزم: العلم: ٤٩.

(١٠) انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى: ١/ ٢٢٥ ط. السلفية.

(١١) أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه: ٣ باب النهى عن الحديث بكل ما سمع.

(١٢) دراسات محمدية ص٣٩٠ ترجمة عن الانجليزية الصديق بشير نصر، ضمن محتويات كلية الدعوة الاسلامية، العدد الثالث، ليبيا.

(١٣) دراسات محمدية ص ٣٩٠ ترجمة عن الانجليزية الصديق بشير نصر، ضمن محتويات كلية الدعوة الاسلامية، العدد الثالث.

(١٤) انظر: كتب المصطلح، مثل: توجيه النظر الى أصول الأثر ـ لطاهر الجزائرى: ٢ ومنهج النقد فى علوم الحديث «لنور الدين عتر: ١٩.

(١٥) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ٢٧٨.

(١٦) صحيح مسلم ـ طبعة محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله: ١٨٣٥.

(١٧) دراسة الكتب المقدسة ٢٧٦.

(١٨، ١٩) دراسة الكتب المقدسة.

(٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤) دراسة الكتب المقدسة: ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٠-٢٨١.

(٢٥) انظر فى ذلك كله كتب المصطلح مثل «تدريب الراوى» و«مقدمة ابن الصلاح» وغيرهما فى موضوع: مراتب الصحيح.. ومكانة الصحيحين.. والمتواتر.. والآحاد.

(٢٦، ٢٧) دراسة الكتب: ٢٧٥، ٢٧٧.

(٢٨) الكتاب من تحقيق محمود الأرناؤط، ويقع فى نحو ١٥٦ صفحة، وذكر أكثر من ستة وعشرين كتابا، وما يثبت من هذا العدد يكفى لاثبات الحقيقة. نشر الكتاب مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

(٢٩) طبعته جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقا) (بدون تاريخ) وهو كتاب لم أر مثله فى بابه.

(٣٠) مطبوع على الآلة فى نحو ١٢٧ صفحة.

(٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦) دراسة الكتب المقدسة ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٧٦ وص١٠.

(٣٧) دراسة الكتب: ٢٧٥-٢٧٦، وممن قال بهذه الدعوى «جولد زيهر» انظر دراسات محمدية ضمن مجلة كلية الدعوة الاسلامية العدد الثالث: ٣٩٢-٣٩٣.

(٣٨) يكفى لمعرفة هذه الحقيقة أن يطلع المرء على مثل كتاب: الوضع فى الحديث للدكتور عمر بن حسن فلاته.

(٣٩) انظر بحثا ممتعا لمناقشة هذه القضية (عدد الأحاديث وطريقة عدها) للدكتور محمد مصطفى الاعظمى فى كتابه؛ «دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه» ص ٥٩٥ وما بعدها.

(٤٠) انظر مثلا: تدريب الراوى للسيوطى: ١/ ٦٣، فما بعدها وانظر ما كتبته بعنوان: «حوار حول منهج المحدثين فى نقد الروايات سندا ومتنا فقد ناقشت فيه هذا الموضوع بتوسع قليل.

(٤١) انظر أيضا «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادى. ط دار الافتاء بالرياض ١/ ١٣٢-١٣٣.



الخلفاء الراشدون ودورهم في التشريع في نظر المستشرقين

د. عجيل النشمى

● زعم بعض المستشرقين أن القرآن الكريم ومصادر التشريع عامه تتخللها ثغرات وفراغات تشريعية وساقوا لزعمهم هذا مجموعة من المغالطات ظنوها أدلة لما ذهبوا إليه.

● الخلفاء الراشدون لم يحيدوا عن مقررات الشريعة الاسلامية وكانت هى حاديهم فى كل ما يصدر عنهم من احكام أو اجتهاد فى مصلحة من مصالح المسلمين.

يعطى المستشرقون للخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم دورا فى بناء الفقه والتشريع الاسلامى وهذا الدور انطلاقا من فكرتهم القديمة أن القرآن ومصادر التشريع عامة تتخللها ثغرات وفراغات تشريعية ـ حسب زعمهم ـ لابـد من تصحيحهـا وملء فراغـاتها. وقد ظهرت الحاجة لمثل ذلك لما بدأت الحياة الاسلامية تتشعب ومتطلبات المجتمع المسلم تزداد خصوصا بعد وفاة النبى ﴿ﷺ﴾.

يقول جولد تسهير «بناء على الحاجة الضرورية فى الحياة العامة بدأ تطور الفقه الاسلامى مباشرة بعد وفاة النبى ﴿ﷺ﴾ وكان دور الخلفاء هو حلّ المشاكل الجديدة بآرائهم أو بتأويل القرآن» أى ان دورهم كان التبديل والتغيير.

■ كما يقول (شاخت) «وبموت النبى ﴿ﷺ﴾ انتهى بالطبع التشريع الذى كان يقوم على التنزيل أو على حجة النبوة وكان من الطبيعى ان يحاول الخلفاء الأول السير بالأمة الاسلامية على سنة منشئها مسترشدين فى ذلك برأى كبار صحابة الرسول، وكانت المبادىء التى استرشدوا بها هى ما ورد فى الكتاب وما صح من أحكام الرسول فيما لم

يرد له ذكر فى الكتاب، ولما حاولوا بسط هذه المبادىء المحدودة نوعا ما انتهى بهم الأمر الى التوسع فى تأويلها توسعا خرج بها عن معناها الأصلى، وربما كان سببا فى ظهور أحاديث جديدة».

■ «وفى الوقت نفسه لم يكن الخلفاء محرومين من الجهود التشريعية ومن تغيير أحكام النبى ﴿ﷺ﴾ وربما صح تاريخيا ما تقوله الروايات من أن أبا بكر يحتذى حذو النبى ﴿ﷺ﴾ فى هذا الأمر، بينما كان عمر أكثر ميلا الى التعديل والتغيير». . ولما كانت هذه دعوى تحتاج الى تدليل فقد ذكروا أمثلة استندوا عليها لاثبات دور الخلفاء فى استحداث أحكام شرعية من عند أنفسهم وباجتهاداتهم دون أن يكون لهم سند من القرآن او السنة فهى بالتالى آراء واجتهادات قررت أحكاما شرعية وظلت تلك الأحكام معمولا بها على مر العصور المتلاحقة.

وأبرز ما ذكروه ثلاثة أمثلة:

الأول: ما يعرف عند الفقهاء بالمسألة الحمارية أو المشتركة أو الحجرية وهى أن تتوفى زوجة عن زوج وأم وأخوين لأم وأخ شقيق وأخت شقيقة. فيكون للزوج النصف وللأم السدس وللأخوين لأم والأخ الشقيق والأخت الشقيقة الثلث، وكان المفترض أن يأخذ أولاد الأم الثلث وحينئذ لا شىء للأشقاء.

■ وكان عمر رضى الله عنه يقضى فى هذه المسألة للاخوة لأم فقط، ولما قال له أحد الأشقاء يا أمير المؤمنين ألسنا ولد أم واحدة، هب أبانا كان حمارا أو حجرا ملقى فى اليم، فإن لم ينفع ينبغى الا يضر، فقضى عمر بأن يشترك جميع الأخوة لأم والأشقاء فى الثلث، وقال: ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضى اليوم.

ويريد المستشرقون أن يثبتوا ملء الفراغات الشرعية المزعومة بمثل هذه الاجتهادات التى ترجع الى محض الرأى بزعمهم. وهذا عرض مبتسر للقضية ولذا لزم توضيح عمل عمر وغيره من الصحابة والخلفاء فى هذه القضية لنرى أهو عن رأى كما زعموا؟. أم للأمر صيغة اخرى..؟

■ هذه المسألة يرجع الخلاف فيها من عهد الصحابة رضوان الله عليهم قبل خلافة عمر رضى الله عنه واختلف فيها أيضا التابعون من بعدهم.

وقضاء عمر فيها بحكمين مختلفين يوافقه ما روى عن ابن مسعود أن له روايتين: نفى التشريك بين الأخوة لأم والأشقاء وهو احدى الروايتين عن زيد رضى الله عنه وذهب مالك والشافعى الى التشريك بين الاخوة جميعا، وذهب أبو حنيفة وأحمد الى عدم التشريك بينهم.

■ وهذا الخلاف فى الترجيح انما بنى على ترجيحات من المجتهدين ولكلٍ حجته المستندة الى مصدر من مصادر التشريع المعتمدة. وهاك الحجج.

فحجة الذين لم يشركوا بين الاخوة قالوا: إن الله أعطى كل ذى حق حقه، وجعل لكل فرض سببا ووصفا ثابتا، ولا يصح اعطاء فرض لمن لا يقوم به سببه ولا يتحقق فيه وصفه، فجعلُ الثلث الذى هو فرض للإخوة لأم لهم وللأشقاء مخالف لما نص عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿*فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث*﴾ فالسبب الذى جُعِلَ أساسا للفرض وهو الأخوة من جهة الأم غير متحقق فيمن عداها، ولأنه لأجل اعطائهم كأولاد يجب الغاء اعتبار قرابة الأب، والغاء القرابة الثابتة لا يتفق مع الحقائق الشرعية، ولأن نقلهم من الميراث بالتعصيب الى الميراث بالفرض نقل من الأقوى الى الأضعف، وذلك ليس بمعروف فى الشرع، ولذلك لم يكن اشراك الاخوة لأب عند عدم بقاء شىء لهم وأخذ أولاد الأم مع أن قرابتهم أقوى، فيكون مثلهم الأشقاء ولأن الاعطاء يكون بنص ولا نص.

■■ وحسب هذا الرأى انه أظهر الروايتين عن ابن مسعود، وان عمر رضى الله عنه أخذ به زمانا وانه احدى الروايتين عن زيد رضى الله عنه.

■ وحجة الذين شركوا بينهم أن الأشقاء لهم صفتان : احداهما أنهم أولاد الأم ، والثانية انهم أولاد الأب ، وبالاعتبار الثانى كانوا عصبة ، وغلب على الاعتبار الأول لأنه الأقوى ، والأضعف يذهب اعتباره بجوار الأقوى ، ولكن لما لم يبق شيء باعتبار التعصيب صار هو الأضعف عملا فغلب عليه الجانب الآخر لأنه صار الاقوى ولا يقاس على الأشقاء الاخوة لأب ، لأنهم ليس لهم الا وصف واحد ، فاذا لم يعطهم شيئا فلا سبيل لأن يأخذوا بأى طريق آخر، اذ لا يعدون بحال من الأحوال من أولاد الأم .

قال الشيخ محمد أبو زهرة ـ ونحن معه ـ ولا شك أن الرأى الثانى أقوى دليلا ، وهو أشبه بالاستحسان والأول أشبه بالقياس، اذ أن القياس الظاهر أدى إلى ألّا يأخذ أولاد الأم والأب شيئا ، وهذه نتيجة بلا شك لا تحسن فى نظر الناس، وفى المنطق الشرعى فأعمل القياس الخفى ، وهو الوصف المشترك بينهم وبين أولاد الأم فورثوا بهذا الاعتبار وليس لأحد أن يجادل فى تحقيق هذا الوصف .

■ **ومن هذا يبين أن دعوى المستشرقين وزعمهم ان عمر رضى الله عنه يقوم بعملية ترقيع وملء للفراغ التشريعى دعوى باطلة ، فان اجتهاده انما كان عن دليل سواء اجتهاده الأول أو الثانى . وان قوله : «ذاك على ما قضينا وهذا على ما نقضى» انما استند فى الحالين الى ما أوصله له اجتهاده المبنى على الدليل . ولا يعد ذلك نقضا للاجتهاد الأول والثانى وفقا للقاعدة المتفق عليها عند علماء الفقه والأصول ان الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد .**

قال السيوطى : وعلته أنه ليس الاجتهاد الثانى بأقوى من الأول ، وانه يؤدى الى انه لا يستقر حكم وفى ذلك مشقة شديدة ، فانه اذا نقض هذا الحكم نقض ذلك النقض ، وهلم جرا .

وكذلك الذين خالفوا عمر رضى الله عنه انما بنوا رأيهم واجتهادهم على دليل ، ومحل النزاع بيننا وبين المستشرقين هو الاجتهاد لا عن دليل ، فاذا ثبت أن الاجتهاد هنا عن دليل كما اثبتناه ، تداعت دعواهم وغدت زعما محضا .

الثانى: المسألة المنبرية ، ويدعى أحد المستشرقين انها مسألة قضى فيها الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه على خلاف توزيع القرآن . وحاصل هذه المسألة : أن يتوفى الزوج ويترك زوجة وبنتين وأما وأبا فالزوجة هنا ستأخذ الثمن والأم السدس ومثلها الأب وللبنتين الثلثان وهى مسألة عائلة أى زادت فيها السهام عن أصل التركة ، وتوزيعها معروف مشهور بين علماء الفرائض ، ولا نعرف وجه الغرابة والمضادة بينها وبين توزيع القرآن الكريم . ويؤكد (بيرل) من خلال هذين المثلين أن الخلفاء يزاولون مهمة ملء الفراغ التشريعى القرآنى .

ونحن نؤكد أنه زعم باطل كما أثبتنا فان ما يقوم به الخلفاء انما هو تطبيق لنصوص الشريعة أو تطبيق لروح الشريعة وقواعدها العامة وفق المقاصد الشرعية المتوخاة ، وحاشاهم ان يعطلوا نصا أو يحيدوا عنه أو يتحايلوا عليه أو يبتدعوا رأيا غير مستند الى دليل شرعى معتبر.

الثالث: حد شارب الخمر، وهو عقوبة مقررة شرعا الا انها غير محددة وقد جعلها أبو بكر رضى الله عنه أربعين جلدة . واوصلها عمر وعلى رضى الله عنهما ثمانين جلدة قياسا على حد القذف وهو ثمانون جلدة وهذا فى نظرهم ملء للفراغ التشريعى الذى استمر حتى عهد بنى امية .

■ ولننظر الآن مقالاتهم هذه وحيثياتهم لنتمكن من الحكم على نتائجها . يقول الامام الغزالى «لم يحد للشرب مقدار فى الشرع ، بل أتى النبى ﴿ﷺ﴾ بشارب فأمر به حتى ضرب بالنعال وأطراف الثياب وحثى عليه التراب ، فلما آل

• حاولوا جهدهم أن يثبتوا أن التشريع الاسلامى مبنى على الاجتهادات الشخصية القائمة على الهوى وعدم الموضوعية .

الأمر الى أبى بكر قدر ذلك بأربعين ورآه قريبا مما كان يأمر به النبى ﴿ﷺ﴾ وحكم بذلك عمر مدة، ثم توالت عليه الكتب من أطراف البلاد: تتابع الناس فى الفساد وشرب الخمر واستحقار هذا القدر من الزجر فجرى ما جرى فى معرض الاستصلاح تحقيقا لزجر الفساق».

■ فحد شرب الخمر ليس مقدرا فى الأصل وفعل النبى ﴿ﷺ﴾ لا يدل على التقدير المحدد ولذا فقد اجتهد أبو بكر فجعله أربعين تقديرا ومقاربة لفعل النبى ﴿ﷺ﴾.

وعمر تابع أبا بكر أولا، لكن شكاوى الناس والولاة جعلته يرفع الحد الى ثمانين، وهذان الحكمان المختلفان من أبى بكر وعمر لا يشيران الى تضارب فى الرأى حسب الشهوة والهوى وليست العملية ملء فراغات كما يتصور أولئك .

■■ فأبو بكر استند الى فعل النبى ﴿ﷺ﴾. ولو حدد النبى ﴿ﷺ﴾ مقدارا محددا ما جاز لأبى بكر أن يجاوزه، ففعل النبى ﴿ﷺ﴾ دل على أن الأمر فى تقدير الحد متروك لولى الأمر، ولذا ساغ للعلماء الاختلاف فيه وتكييفه حسب اجتهادهم، فذهب الأئمة مالك وأبو حنيفة واحمد والاوزاعى والثورى وغيرهم الى أن حده ثمانون واحتجوا بأن ذلك ما أجمع عليه الصحابة فى عهد عمر، فقد وافقوه على تحديده بالاجتهاد بثمانين جلدة مراعين علته فى ذلك من تتابع الرسائل وكثرة الفساد باستحقار قدر اربعين، وعدم زجره للعاصين. ورأوا ان ما فعله عمر انما هو اجتهاد انبنى على مصلحة مرسلة وذهب الامام الشافعى والظاهرية الى أن حد شرب الخمر أربعون جلدة، لكنهم قالوا ان للامام ان يزيده حتى يبلغ ثمانين، وهذه الزيادة حينئذ من باب التعزير، وأيدهم فى تقرير الأربعين ما روى عن أنس ان النبى ﴿ﷺ﴾ كان يضرب فى الخمر بالنعال والجريد أربعين لكن مجموع ما ورد من الأحاديث يدل على عدم التحديد بالأربعين .

■■ وقد يلحق بعض الأصوليين هذه المسألة بالقياس على حد القذف لما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه من شرب سكر، ومن سكر هذى ومن هذى افترى، فأرى عليه إذن حد المفترى، وهو ثمانون جلدة .

■ وعند التحقيق فى هذه المسألة يعسر علينا التوصل الى صحة القياس وتوافر شروطه وأركانه فالقياس تعدية حكم منصوص عليه الى محل آخر بعلة موجودة فى ذلك المحل. فليست نفس العلة متحققة صراحة فى الاثنين، فالعلة فى القذف الاعتداء على عرض الغير، وليس ذلك بعينه فى شرب الخمر، لكن شرب الخمر مظنة للوقوع فى قذف العرض، فنزل الامام على رضى الله عنه المظنة منزلة المئنة (المظنون) وذلك سائغ شائع فى مقاصد الشرع فما رآه الامام على مصلحة مرسلة مناسبة لتصرفات الشارع تشهد لها النصوص الكثيرة وهذا ما يسمى عند علماء الأصول بالاستدلال المرسل، وعلى أية حال كان الأمر، فان ما لا خلاف فيه أن اختلاف المجتهدين فى هذه المسألة انما هو مبنى على دليل الاجتهاد ولم يقل أحد منهم ان الدين ناقص فى هذه المسألة والعياذ بالله - وهو فراغ ينبغى ملؤه من عندنا وبآرائنا المحضة .

وبهذا يبين ان النتيجة التى رتبها المستشرقون نتيجة غير منسجمة والمقدمات التى ذكرناها وأن الفراغ الذى عنوه غير موجود بالصورة التى تخيلوها .

■ ومن ناحية أخرى فان القسم الأكبر من المسائل التى يحملها أو يظنها المستشرقون عملا ترقيعيا وسدا للفراغات

التشريعية من قبل الخلفاء هو فى حقيقة الأمر تطبيق للسياسة الشرعية التى يسوس بها الراعى رعيته فى قضاياها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

ويدخل فى ضمن ذلك توهم (جولد تسيهر) حين قال : «هذه الحروب المتوالية بما كان فيها من الفتوح الجديدة كانت تتطلب وضع قواعد لحقوق المحاربين، وزيادة على هذا، وضع الأنظمة لشعوب البلاد المفتوحة، سواء فى ذلك الوضع السياسى لهؤلاء الخاضعين، أو الوضع الاقتصادى لتلك الشعوب، وكان عمر (رضى الله عنه) على وجه أخص ـ الخليفة المتحمس الذى أسس الدولة الاسلامية على الحقيقة .

وقد ساعدت فتوحه فى الشام وفلسطين ومصر فى وضع الأحكام الأولى لتلك العلاقات السياسية والاقتصادية .

●● فتصرفات أمير المؤمنين عمر رضوان الله عليه وسائر الخلفاء ليس فيها خروج على نصوص القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وانما هو عمل ضمن قواعدهما العامة، وغالبها أمور داخلة فى حوزة المصالح الشرعية وسياسة الأمة بما يصلحها معاشا ومعادا، وكما قرر العلماء قاعدة «تصرف الامام منوط بالمصلحة» فان له أن يصرف أمور المسلمين فيما يعود عليهم بالخير والصلاح، وهذا واجبهم تجاه الأمة . . قال تعالى فى الآية التى سماها العلماء آية الأمراء : ﴿*إنّ الله يأمُركُم أن تؤدوا الأماناتِ إلى أهلها وإذا حكمتُم بين الناس أنْ تحكموا بالعدل إنَّ الله نِعِمَّا يعظكم به إنّ الله كان سميعاً بصيراً . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإنْ تنازعتم فى شىء فردُّوه إلى اللهِ والرسول إنْ كنتم تؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ ذلك خيرٌ وأحسن تاويلا*﴾ النساء/٥٨، ٥٩ .

لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات

■ ان الحضارة الاوربية المعاصرة تستند فى تكوينها العقلى الى حد كبير على حركات فكرية تتابعت فى تاريخها الحديث مثل حركة «النهضة الاوربية» و«الاصلاح الدينى» و«حركة التنوير»، وقد زادت هذه الحركات من رسوخ ملامح الصورة المشوهة التى كونتها اوربا عن الاسلام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر، وذلك كنتيجة لترديد التهم الباطلة التى ألصقت بالاسلام ونبيه وكتابه المقدس .

اما فى القرنين التاسع عشر والعشرين فقد انتشرت فى العالم الاسلامى مجموعة كبيرة من الابحاث التى قام بها المستشرقون فى تاريخ الاسلام وحضارته وإصول عقائده ادعى فيها اصحابها انها دراسات موضوعية تتسم بروح البحث العلمى المجرد من اثر التعصب الدينى وما تمليه النزوة والهوى والمحاباة العاطفية، الا ان نظرة تحليلية فى هذه الدراسات تثبت نقيض ما يدعى اصحابها، فالصورة المشوهة القائمة للاسلام لازالت قائمة فى كلياتها، وان طرأ تغير جزئى على بعض تفاصيلها. والدراسة التى تتنكب الموضوعية والنزاهة لازالت هى السائدة الغالبة على هذا الحقل، وان كان ثمة تغير فذلك مما تحتمه القاعدة المشهورة «اختلاف الاحكام باختلاف المصالح والازمان».

« د . عرفان عبد الحميد »

الفتوحات بين دوافعها ودعاوي المستشـ

● كلما حاول كاتب غربي دراسة الاسلام وتاريخه دراسة علمية موضوعية انبرت بعض الأصوات تتهمه بالمبالغة أو الغرض أو العداء للكنيسة.. كأن الدراسة لا تكون موضوعية فى نظرهم الَّا اذا تهجمت على الاسلام وتاريخه.

● الجهاد لا يكون لحمل الناس على الاسلام، وإنما لوقف اكراه الناس على عدم الدخول فيه.

تمهيد :

فسر المستشرقون أحداث التاريخ الاسلامى انطلاقا من خلفيتهم الثقافية ووفق مناهجهم الخاصة التى أملتها عليهم ظروف بيئتهم.

يقول رودى باريت(١) :

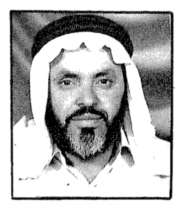
«ونحن فى هذا نطبق على الاسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية التى نشتغل بها، المعيار النقدى الذى نُطَبِّقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن».

وهذا المنهج قادهم الى نتائج غير صحيحة فى أغلب الأحيان فالمسلَّمات والبدهيات والمقاييس التى انطلقوا منها بعيدة عن الاسلام، وبالتالى كانت النتائج بعيدة عن الصحة.

■ فقد لحق تشهيرهم بالقرآن الكريم، وبرسول الله ﴿ﷺ﴾ فكيف بالتاريخ الاسلامى؟ وقد ظهر اضطرابهم وتخبطهم واضحاً فى الحكم على كتاب الله، وعلى رسول الله(٢) ذلك الذى يذكرنا باضطراب وتخبط مشركى قريش(٣) فوقعوا فى التناقضات الصارخة.. تجد ذلك فى أقوال المستشرق نفسه الذى يتصدى لتفسير الاسلام وأحداث تاريخه.



ـــا الإسلامية
ـــرقين



بقلم: الدكتور جميل عبد الله المصرى

■ والغريب أنه كلما حاول كاتب غربى دراسة الاسلام وتاريخ الاسلام دراسة علمية موضوعية انبرت الأصوات من كل مكان فى الغرب تتهمه بالمبالغة أو الغرض أو العداء للكنيسة وما شاكل ذلك من اتهامات، ويرون أن الدراسة لا تكون علمية موضوعية إلا إذا تهجمت على الاسلام وعلى المسلمين.. فأولت النصوص الثابتة الصحيحة.. ولويت أعناقها.. وشكك فيها. وكلما كان الخبر أثبت بدت رغبتهم فى تجريحه أو تأويله أو بتره أو إدخاله فى غير مناسبته وظروفه ليخدم غرضاً من أغراضهم.

■ وليس همى فى هذا البحث مناقشة شبهات المستشرقين لذاتها وإنما قصدى تحذير المسلمين وتبصيرهم.. ولذا فسأعمد الى مخاطبة العاطفة الايمانية فيهم الى جانب مخاطبة العقل والفطرة بصورة متزنة حيث إن الأمر جد خطير. فقد قام كثير من باحثينا ومؤرخينا بنقل تفاسير المستشرقين وترجمتها الى العربية سواء صرح باسم المستشرق صاحب الرأى أو لم يصرح.. فشاعت الآراء فى أوساط المثقفين، والباحثين، وطلبة العلم.. ودخلت الكتب المدرسية والمحاضرات الجامعية فتوارثتها أجيال الطلبة من الأساتذة بدون نقد أو تغيير أو إعادة تقويم.

وبذلك أرجو أن يكون بحثى هذا لبنة فى بناء تصحيح الأخطاء التى دسّها المستشرقون على تاريخ المسلمين بقصد أو بدونه.

سرعة الفتوحات الإسلامية

تمت الفتوحات الاسلامية بسرعة عجيبة، وانتجت نتائج استمرت وثبتت فاسترعت انتباه الباحثين الغربيين، فذهبوا فى تحليل أسبابها مذاهب شتى.

يقول لورد ستروب(٤):

«فكلما زدنا استقصاءً باحثين عن سرّ تقدم الاسلام زادنا ذلك العجب العجاب بهراً فارتددنا عنه بأطراف قاسرة.. عرفنا أن سائر الأديان العظمى إنما نشأت تسير فى سبيلها سيرا بطيئا متلافيات كل صعب، حتى قيّض الله لكل دين ما أراده من ملك ناصر وسلطان قاهر انتحل ذلك الدين ثم أخذ فى تأييده والذب عنه حتى رسخت أركانه وصفت جوانبه.. إنما ليس الأمر كذلك فى الاسلام ـ الاسلام الذى نشأ فى بلاد صحراوية».

●● وبالفعل كانت الفتوحات سريعة، وستبقى الحيرة فى تفسير حركتها عند من لم يقتبس نوراً من نور الاسلام. فلا يدرك عظمة هذا الدين الذى ارتضاه الله للبشرية جمعاء إلا من ارتضاه ديناً.



مهمة الأمة المسلمة تبليغ الدعوة بالجهاد

عرف المسلم غاية وجوده وأدرك مغزى حياته بالاسلام فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنْسَ إلاَّ ليعبدونِ﴾ . فاندفع لإرضائه سبحانه وتعالى فى تبليغ الدعوة الى البشر فكان لابد من إزالة العوائق وتحطيم الحواجز التى تعترض الدعوة، وذلك عن طريق الجهاد الذى جاءت أدلة وجوبه عامة ومطلقة، تشمل الحرب الدفاعية . . ومبادأة العدو بالقتال، والحرب المحدودة وغير المحدودة، وقد سار رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى مراحل الجهاد مرحلة مرحلة(٥) الى أن وصل مرحلة وجب فيها قتال المشركين جميعا سوى المعاهدين فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿*براءة من اللهِ ورسوله إلى الذين عاهدتُم من المشركين*﴾ . . فاستقر حكم الجهاد فى الاسلام على وجوب قتال كل مَنْ لم يقبل دعوة الاسلام أو الخضوع لها، وبالطبع إذا توفرت القوة المادية والعدة اللازمة للمسلمين.

■ ويجب ملاحظة أن الجهاد لا يكون لحمل الناس على الاسلام، وإنما لوقف إكراه الناس على عدم الدخول فيه.
قال شيخ الاسلام ابن تيمية(٦) «وإذا كان أصل القتال المشروع وهو الجهاد ـ يقصد أن يكون الدين كله لله . . وأن تكون كلمة الله هى العليا . . فمن منع ذلك قوتل باتفاق المسلمين» .

وقد ورد تعبير (فى سبيل الله) مرتبطاً بالجهاد والقتال (٣٢ مرة) ولا يكاد أمر بالقتال يخلو من هذا التعبير.

الدعوة بالرسل والكتب إلى جانب الجهاد

قام رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالجهاد (بالقتال) فى سبيل الله من أجل تبليغ الدعوة . . وقام الى جانب ذلك بالتبليغ

عن طريق إرسال الكتب والرسل الى مَنْ عاصره من القادة والملوك والأمراء.

ويبدو أن إرسال الكتب والرسائل بدأ مع بداية ظهور حكومة الاسلام فى المدينة المنورة.. وبعثة الرجيع(٧).. وبئر معونة(٨).. وسرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة(٩) وغيرها أمثلة على ذلك. ثم زادت المراسلات بعد هدنة الحديبية عام ٦هـ(١٠)

■ وقد حاول بعض المستشرقين أن ينكر بعثة الرسول ﴿ﷺ﴾ الى الناس كافة متجاوزين ماورد فى القرآن الكريم من آيات بينات محكمات وإجماع المسلمين على هذا الأمر، وبرغم دراساتهم المتجنية على الاسلام والمسلمين إلا أن كلا من.. ليوتى كاتيانى فى كتابه (حوليات الاسلام).. ونولدكه فى كتابه (تاريخ القرآن).. و جولد تسيهر فى كتابه (العقيدة والشريعة فى الاسلام)(١١).. لم ينكروا ذلك ـ وذكروا أن الرسول ﴿ﷺ﴾ بعث للناس كافة فى حين سخر بعضهم وشكك فى الرسائل مثل (برناردلويس فى كتابه: السياسة والحرب فى الاسلام). وذلك بحجة عدم العثور على ما يدل على شىء من ذلك فى الوثائق التى خلفها هؤلاء. وبالطبع فإن حجتهم واهية ـ فإجماع المؤرخين المسلمين وأصحاب السير والمغازى دليل كبير على صحة هذه الكتب.. ورواة المسلمين من الثقة بحيث لا يفوتهم مثل هذا الأمر الخطير.

■ وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ يرسل رسله حسب الظروف والمناسبات فأرسل كعب بن عمير فى خمسة عشر رجلا الى ذات اطلاح على حدود الشام يدعون الى الاسلام، فكان جزاؤهم القتل ولم ينج إلا رئيسهم كعب(١٢) فوجه عليه السلام سرية مؤتة لتأديب القبائل الغادرة ولتكون طليعة حملة أكبر للفتح وذلك سنة ٧هـ(١٣).

●● وأعقبت غزوة ذات السلاسل (غزوة مؤتة) بقيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه، وقد أمده رسول الله بأبى عبيدة عامر بن الجراح فى المهاجرين الأولين وفيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، فوطىء أرض «طىء.. وبلى» ودوخها حتى انتهى الى أقصى «بلى.. وعذرة.. وبلقين»(١٤) فكرس هيبة الاسلام فى شمال الحجاز وأصبح مجالا آمنا رحباً لدعاة الاسلام ووصل تأثيرهم الى أطراف الشام، وذلك قبيل فتح مكة عام ٨هـ.

■ وبعد فتح مكة: قاد رسول الله ﴿ﷺ﴾ غزوة تبوك بنفسه، وكانت تظاهرة إسلامية كبيرة وصل عدد الجيش الاسلامى فيها ثلاثين ألفاً تنافس المسلمون فى تجهيزه فى زمن العسرة وشدة الحر، فسُمِّى «جيش العسرة» وأثبتت أمة الاسلام انها أمة الجهاد بالفعل وانها أمة الدعوة(١٥).

وأعقبت هذه الغزوة الوفود التى قدمت الى المدينة، فقدمتْ ملوكُ حمير مقرين بالاسلام(١٦). وأسلم بعض عرب الشام منهم: فروة بن عمرو الجذامى فصُلب لذلك(١٧).

ولم يلتحق الرسول ﴿ﷺ﴾ بالرفيق الأعلى إلا وقد اتضحت معالم الدعوة الاسلامية، وطرق تبليغها وفق قدرة المسلمين وظروفهم، وقد أمر عليه الصلاة والسلام قبل وفاته بإنفاذ جيش أسامة(١٨).

الفتوحات الإسلامية.. وفرضية الجهاد:

يتضح من العرض السابق أن الفتوحات الاسلامية سارت وفق خطة واضحة وضع أسسها رسول الله ﴿ﷺ﴾. وقد سار أبو بكر رضى الله عنه على دربها فأنفذ بعث أسامة رغم ظروف المدينة الحرجة بعد وفاة رسول الله ﴿ﷺ﴾(١٩) ومعارضة بعض وجوه المسلمين. كما وجه عبادة بن الصامت الى هرقل يدعوه الى الاسلام أو يؤذنه بحرب فقام عبادة بمهمته(٢٠)

■ وبعد أن قُضى على حركة الردة وجه أبو بكر الجيوش الاسلامية الى العراق والشام فى وقت واحد، فسارت الجيوش تحمل عقيدة الاسلام وتعتز بها، وكان الظفر بالشهادة غاية ما يتمناه المسلم. وبذلوا أرواحهم فى سبيل الله

يتبغون الجنة التى وعد بها المجاهدون :

■ قال تعالى :

﴿**ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُوا فى سبيلِ اللهِ أمواتاً، بل أحياء عند ربِّهم يُرْزَقُون، فَرِحِين بما آتاهُم اللهُ من فضلِهِ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفِهِم، ألَّا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**﴾.

فكان الدافع للفتوحات الاسلامية هو الجهاد فى سبيل الله وتحقيق فرضيته فقابلوا المشركين فى قلة من العدد والعدة وهم على يقين بالنصر أو الاستشهاد.

مبشرات الفتح :

كانت القوى الاسلامية تتحرك للفتح وهى على ثقة تامة بالنصر، فقد بشرهم الرسول ﴿ﷺ﴾ بفتح اليمن والشام والمغرب والمشرق فى حين كانوا فى أشد حالات الضيق (يوم الخندق). فكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول حين افتتحت هذه الأمصار زمن عمر وعثمان وما بعده: «افتحوا ما بدا لكم، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة، ولا تفتحونها الى يوم القيامة، إلا وقد أعطى الله سبحانه محمدا ﴿ﷺ﴾ مفاتيحها قبل ذلك»(٢١).

■ ففى معركة اليرموك يقول رجل لأبى عبيدة وقد اندفع لنيل الشهادة: «**فهل لك الى رسول الله حاجة؟ فقال أبو عبيدة: نعم تقرئه منى السلام وتخبره أنّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا**». وتقدم الرجل فكان اول من استشهد(٢٢) رحمه الله تعالى.

وفى القادسية خطب سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه جيش الاسلام ورغبهم فى الجهاد.. وأعلمهم ما وعد اللهُ نبيَّه من النصر وإظهار الدين.. ورغّب كلّ رجل من المسلمين صاحبه(٢٣).

تجاهل المستشرقون كل ذلك :

صوروا الفتوحات بأنها حركة ارتجالية هدفها الغالب القوى رغبة أبى بكر فى شغل العرب عن أنفسهم وخصوماتهم وإغرائهم بالغنائم والمنافع المادية(٢٤).

●● وأنقل فيما يلى رأى فيليب حِتّى الذى يمثل خلاصة رأى المستشرقين فى هذه النقطة.

● «كان على أولى الأمر بعد إخضاع الجزيرة العربية أن يوجهوا الجيوش الحسنة الاستعداد إلى بلدان جديدة.

●● وقد جعل الاسلام من المؤمنين إخوة حتى ان الغزو بين القبائل ـ والغزو قديم العهد فى الحياة البدوية ـ لم يبق أمرا ترضى عنه السلطة. ولكن كان من الصعب كبح جماح القبائل المثوثبة للغزو والقتال. فكان على أولى الأمر أن يوجهوا القبائل فى سبل ومنافذ جديدة(٢٥)».

●● وعاد ليؤكد على عدم وجود خطة للفتوحات الاسلامية.. واستدل بالتحفظات التى كان يبديها عمر بن الخطاب وتردده فى التوسع السريع ـ وبعد ذلك قال:

● «انه لا يرى أن هذه الفتوحات جاءت نتيجة لخطط موضوعة أو أنها نتيجة لحماسة دينية (كما قلنا آنفاً) ـ (هكذا).. بدأت بشكل غزوات تنفيسا للروح الحربية المتأججة فى قلوب أبناء القبائل وخلقاً للمجال الحيوى خارج الجزيرة المكتظة بالسكان»(٢٦).

●● وقد أخذ بهذا الرأى كثير من المؤرخين العرب والمسلمين(٢٧).

■ وقد بينا أن الخطة موجودة مدروسة ـ بدأها رسول الله ﴿ﷺ﴾.. وكانت خطة راشدة مستنيرة تقدم إذا كان

الاقدام واجباً ومناسبا ، وتتأنى ما دام ذلك خيرا للمسلمين وللشعوب غير المسلمة ـ فتردد عمر فى الانسياح فى فارس وفى فتح مصر (إن صح) وافريقيا لم يكن مبعثه عدم الرغبة فى فتح هذه البلاد أمام دعوة الإسلام ولكنه كان لتثبيت المكاسب الاسلامية واستنهاض طاقات الشعوب التى أظلتها راية الاسلام لتصبح نقاط ارتكاز جديدة للدعوة تنطلق منها إلى الأقطار الأخرى ـ حيث تسهم الشعوب الجديدة فى مد الدعوة ونشرها بدلا من أن تكون شوكة فى ظهر المجاهدين، فقد كان دور الجيوش إزالة العقبات والحواجز من وجه الدعوة، ويبدأ الدعاة بفتح القلوب(٢٨) والجيش الاسلامى كله داعية بسلوكه وأعماله وأقواله.

وأما دعوى شغل العرب بالفتوحات:

فهى أمر مردود عليهم: فأبو بكر رضى الله عنه كتب إلى خالد بن الوليد والى عياض بن غنم ـ «ان استنفرا من قاتل أهل الردة.. ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾.. ولا يغزُونّ معكم أحدٌ ارتد حتى أرى رأيى». فلم يشهد الأيام بالعراق مرتد(٢٩).

●● وكتب رضى الله عنه الى خالد بن سعيد بن العاص وهو بتيماء: «أن يدعو مَنْ حوله بالانضمام إليه، والا يقبل إلا ممن لم يرتد»(٣٠).

ولم يشترك مَنْ ارتد فى الفتوحات إلا بعد أن قطعت شوطاً زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دون أن يسمح لهم بتولى قيادة.

دعوى أن الفتوحات كانت حروباً دينية:

قال بعض المستشرقين ان الفتوحات كانت حروبا دينية ـ أى لاجبار الناس على الدخول فى الدين الاسلامى.. فهم لم يميزوا بين مفهوم الجهاد ـ الذى يعمل لازالة الحواجز والعقبات التى تعترض سبيل الدعوة ـ وبين اعتناق الناس للاسلام. فقالوا وبمقاييسهم(٣١): «ان المسلمين أصحاب عقيدة ولكنهم توسلوا بالتعصب الاعمى وأخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر والارغام وخاضوا الى ذلك بحار الدم والقسوة.. وأنهم كانوا يحملون القرآن بإحدى يديهم والسيف باليد الأخرى».

■ وقد تضاربت أقوال المستشرقين وتناقضت فى ذلك، ورد بعضهم وممن كانت له آراء جيدة فى هذه الردود: فون كريمر(٣٢).. وغوستاف لوبون الذى أجاد بالفعل فى عرضه عدم إكراه المسلمين الناس على الاسلام، وبين أن الاسلام انتشر بالدعوة وحدها(٣٣)، وروزنتال الذى بيّن أن المسلمين حملوا الدعوة ووفروا فرصة نادرة لجميع الشعوب والمدنيات لتبدأ حياة فكرية جديدة على أساس المساواة المطلقة وبروح من المنافسة الحرة(٣٤).

■ والحق أن مصادرنا لم تبخل علينا بالنصوص الكثيرة التى لا تدع مجالا للشك فى أن المسلمين، لم يكرهوا أحدا على اعتناق الاسلام بل سارع الناس للاسلام لما لمسوه فى الاسلام ولما لمسوه فى المسلمين. فوصية أبى بكر رضى الله عنه لجند المسلمين مشهورة معروفة(٣٥) كما أنه أمر خالد بن الوليد أن يتألف أهل فارس ومن كان فى ملكهم من الأمم(٣٦) وأقر خالد الفلاحين فى العراق واصبحت أرضهم لهم بعد أن كانوا أقنانا عند الدهاقين(٣٧)، كما كانت الدعوة الى الاسلام أول ما يبتدىء به القادة والامثلة اكثر من أن تعد أو تحصى، أذكر منها:

■■ قال خالد بن الوليد لما نزل الحيرة عام ١٢هـ وخرج اليه اشرافهم. «أدعوكم الى الله، والى الاسلام»(٣٨).

● الدعوة الاسلامية تحمل راية الحق للناس كافة وتفتح لهم الباب على مصراعيه لمن يريد من غير إكراه ولا عنت.

● مجموعة ادعاءات حاول بعض المستشرقين إلصاقها بحركة الجهاد الاسلامي والفتوحات الاسلامية التي حملت راية الدين خفاقة.

● أوهموا انصاف المثقفين بان الفتوحات الاسلامية لم تكن دينية بقدر ما كانت لاسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية.

■■ وفى مبارزة خالد لجرجة يوم اليرموك دعاه الى الاسلام، وبين له أن: «منزلة المسلمين واحدة فيها افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا واولنا وآخرنا».

■■ بل بين له أن أجر من يدخل الدين مثل السابقين وأفضل، وكان نتيجة ذلك أن أسلم جرجة واستشهد يوم اليرموك(٣٩).

ومفاوضات المعارك الحاسمة: القادسية، واليرموك، وأجنادين وحصن بابليون شاهدة على ذلك.

■■ ومن طريف ما يروى فى سياق فتح الاسكندرية أن عمرو بن العاص خيّر الأسرى - فمن دخل الاسلام كان للمسلمين أخا.. وكان المسلمون يكبّرون كلّما أسلم أسير مثل تكبيرة الفتح وأشد، فأين الاكراه على قبول الاسلام.

دعوى التفسير القومى والوطنى:

ذكر كثير من المستشرقين أن من عوامل الفتح الاسلامى وسهولته: وجود العرب فى الشام والعراق ومصر، الذين اعتبروا العرب من بنى جنسهم، يربطهم بهم ما لا يربطهم بأولئك الحكام السابقين من الروم والفرس(٤٠). وعلى ذلك فقد اعتبروا الفتوحات من سلسلة الصراع بين الشرق والغرب استرد بها الشرق الأدنى مجده السامى الغابر(٤١).. وأخذ بهذا الرأى عدد من المؤرخين المسلمين المحدثين(٤٢) على حين تجمع المصادر على أن العرب فى الشام والعراق هم الذين وقفوا فى وجه الدعوة وأمام الفاتحين المسلمين فى الصدمات الأولى كما خاضوا المعارك الى جانب الفرس والروم.. وكانت معارك الأيام فى العراق من أشد المعارك التى خاضها المسلمون لمواجهتهم العرب المتنصرة. ولا أدل على شدة معارك الأيام من أن أهل الأيام من أهل الكوفة كانوا يوعدون معاوية قائلين: «ما شاء معاوية، نحن أصحاب ذات السلاسل، ويسمون ما بينها وبين الفراض، ما يذكرون ما كان بعد احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل»(٤٣).

■ وفى الشام كان صدام الفاتحين مع العرب المتنصرين الذين اشتركوا فى المعارك الحاسمة الى جانب الروم فى مؤتة،

وتبوك، ومرج الصفر، واليرموك، وأجنادين. بل رحل منهم جماعة الى مصر بعد فتح الشام والى آسيا الصغرى مع جبلة بن الأيهم الغساني. واسهموا فى مواجهة المسلمين وبدأ العرب يعتنقون الاسلام كسائر الشعوب الأخرى بعد أن رأوا محاسن الاسلام وقدوة المسلمين، لا عن عصبية وإنما لحسن عرض الدعوة وإيمان بها.

دعوى العامل الاجتماعى للفتوحات الاسلامية:

ذكر المستشرقون من عوامل الفتح: التغيرات الاجتماعية التى مر العرب بها قبل ظهور الاسلام وأسهمت فيها تعاليم الرسول فكانت الفتوحات حركة تحرير للعرب(٤٤). فربطوا هذه التغيرات بالوطنية والقومية(٤٥)، فوضعت تعـاليم الرسول ﴿ﷺ﴾ (على حد تعبيرهم): أساس نظام أو بناء جديد للمجتمع، وخلقت أداة قوية للتوسع العدوانى سواء أوجهت عمداً الى تحقيق تلك الغاية أو لم توجه (على رأى جب)(٤٦). فاستثيرت الحماسة الوطنية وتحركوا بدافع وطنى اكثر منه دينياً(٤٧) فكان الجهاد لاخضاع الأعاجم الى سلطان العرب قبل كل شىء(٤٨) ومد الأمة العربية(٤٩). واستطاع الشرق بذلك أن يسترجع ماضيه (٥٠) وكانت هجرة العرب شبيهة بالهجرات السامية القـديمـة التى خرجت من شبه الجزيرة العربية فى السابق مثل هجرات الأشوريين، والكنعانيين، والأموريين، والآراميين. وانها آخر هجرة سامية عظيمة(٥١).

■ وهكذا يسيرون فى فرضيات ويبنون عليها نتائج، ووصل بهم الأمر إلى أن قالوا: «ان الرؤساء والقادة فى الجنود الفاتحين ـ كانوا أولا وقبل كل شىء محاربين دنيويين، وان إيمانهم كان على نحو ما شكلياً وله طابع انتهازى(٥٢). وإن الدافع للجهاد هو شره الولاة والقواد(٥٣). وقالوا: «إن محمدا لم يبدع حركة جديدة بمقدار ما أثار القوى الكامنة لنهضة قومية عربية وانتشار كان قائماً حين ظهر»(٥٤).

■ والواقع أن رسالة الاسلام أقامت مجتمعا جديداً ـ هو المجتمع الاسلامى على أسس العقيدة، فيه المساواة والعدل والرحمة، يتمايز أفراده بالتقوى والعمل الصالح، فلا عصبية ولا خصومة بين الطبقات. وأعاد الاسلام الكرامة الى النفس البشرية، فانطلقت الطاقات الخيّرة للعمل وتآلفت القبائل العربية واحب المسلمون بعضهم مصداقاً لقوله سبحـانـه: ﴿***لوأنفقتَ ما فى الأرض جميعاً ما ألّفتَ بين قُلوبهم، ولكنَّ الله ألّف بينهم***﴾.. ***وقوله جل وعلا:*** ﴿***واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ كُنتم أعداءً فألّف بين قلوبِكم، فأصبحتُم بنعمته إخواناً***﴾.

■ وقد شمل التغيير الاجتماعى النساء والأطفال وتغيرت مفاهيم النساء المسلمات، فجاهدن وقاتلن وقدمن حُليهُنّ وابناءهن وأزواجهن راضيات إيماناً بالعقيدة. وذكر المؤرخون بطولات المسلمات(٥٥). وقد علق ادوار جيبون على ذلك فقال: «إن الشجاعة التى أعربت عنها المرأة المسلمة فى موقعة اليرموك وفى غضون حصار دمشق لأعظم مما يتناوله التقدير»(٥٦).

هذا هوالتغير الاجتماعى الذى شهده العرب وليس التغير القومى والوطنى لقد تكونت أمة إسلامية حرص قادتها على التمسك بأحكام الاسلام وآدابه ورفع رايته.

■■ فعمرو بن العاص الذى طعن فيه المستشرقون أمره رسول الله ﴿ﷺ﴾ وقال فيه: «ابنا العاص مؤمنان هشام وعمرو»(٥٧).

■ وقد كتب إليه أبو بكر رضى الله عنه وهوعلى عمان(٥٨): «إنى كنت قد رددتك على العمل الذى كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولاكه مرة وسماه لك أخرى، فبعثتك إلى عمان إنجازا لمواعيد رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقد وليته ثم وليته، وقد أحببت ـ أبا عبد الله ـ أن أفرغك لما هوخير لك فى حياتك ومعادك منه إلا أن يكون الذى أنت فيه أحب إليك».

■ فكتب إليه عمرو رضى الله عنه: «إنى سهم من سهام الاسلام.. وأنت بعد الله الرامى بها.. والجامع لها..

فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئا إن جاءك من ناحية من النواحي».

■■ وكتب أبو بكر الى الوليد بن عقبة بمثل ذلك (وكان على النصف من صدقات قضاعة) فأجابه بإيثار الجهاد.

■■ ومن القادة خالد بن الوليد وأبوعبيدة عامر بن الجراح أمين الأمة، وكلهم لا يُجهل أمره فهم الجيل القرآنى الفريد

●● وانظر ما كتبه أبو بكر رضى الله عنه لكل منهم (٥٩) «إتق الله فى السِّرِّ والعلانية، فإنَّ مَنْ يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله يُكفِّر عنه سيئاته ويُعظِمْ له أجرا، فإنَّ تقوى اللهِ خيرُ ما تواصى به عباد الله، إنك فى سبيلٍ من سبل الله لا يسعك فيه الاذهان (الإدهان) والتفريط، والغفلة عما فيه قوام دينكم وعصمة أمركم، فلا تنى ولا تفتر».

■ وكانت الصلة بالله قوية وتظهر فى مختلف المواقف، فأبو سفيان الذى قاد قريشاً فى مواجهة الاسلام يحارب يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد وينادى ويقول(٦٠): يا نصر الله اقترب.. الثبات.. الثبات.. يا معشر المسلمين.. اللهم ان هذا يوم من أيامك.. اللهم أنزل نصرك على عبادك.

دعوى ضعف الدولتين الفارسية والرومانية:

بالغ المستشرقون كثيرا فى وصف ضعف الدولتين(٦١) وبنوا على ذلك أن الفتوحات كانت طمع العرب فى الدولتين، فقد أنهى سبديو كلامه عن ضعف الدولتين بقوله(٦٢): «والروم والفرس إذ أضعفهم احترابهم عند الانتصار والانكسار على السواء بدوا غنيمة سهلة غنية لمن يعرف كيف يأخذها».

■■ والواقع أن الدولتين كانتا تنحدران بالفعل نحو الضعف، ولكن ليس هناك نسبة بالمقاييس المادية بين الفاتحين المسلمين وبين الدولتين.. لا فى العدد. ولا فى العدة، ولا فى التدريب أو الخبرة فى خوض المعارك. فما من معركة خاضها المسلمون مع الدولتين إلا وواجهوا قوات اكثرعدداً وأكثر عدة، والدول التى تحشد لمعركة واحدة مائة الف واكثر من ذلك لا يمكن أن تكون ضعيفة. والمسلمون لم يحسبوا حساباً للعدد أو العدة - إن ذلك تجاهل متعمد لأسباب الفتح الاسلامى وأسباب انتصارات المسلمين بالتمسك بعقيدتهم والتزامهم بدينهم.

■ خاطب أبو بكر رضى الله عنه جند الشام فقال(٦٣):

«... فإنكم أعوان، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب».

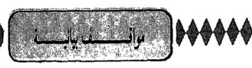
■ وكتب رضى الله عنه إلى خالد وعياض(٦٤):

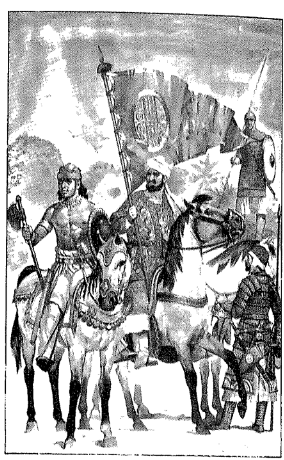
«... واستعينوا بالله واتقوه، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم، ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوها، واحترسوا ما حذركم الله، بترك المعاصى، ومعالجة التوبة..».

دعوى الدوافع الاقتصادية:

وهو أهم ما ركز عليه المستشرقون فى تفسير دوافع الفتوحات الاسلامية.. وأسرفوا فيه كثيراً واعتبروه أهم العوامل من أجل الحصول على غنائم كثيرة واستبدال العرب صحاريهم الصخرية الجرداء التى لم تنتج لهم إلا حياة تقوم على البؤس - بتلك الأقطار ذات الترف والنعيم(٦٥).

■ وقد استدلوا على آرائهم بنصوص من أقوال المؤرخين المسلمين تخيروها من بين النصوص الكثيرة التى تؤكد عكس ما يستنتجون. وهى نصوص قيلت فى عبارات حماسية أدلى بها بعض القادة.. أو ترغيبية من أجل جمع القوات







الاسلامية . . أو استفزازية كانت رداً على عدو قائد أو حاكم . وإذا كان جدب الأرض سبباً فى هجرة قبائل الحجاز ونجد فما بال هجرة العرب اليمنيين؟ .

■ **وعلى كل** : فهذه بعض الأمثلة التى استدلوا بها لأبين بجلاء لا يقبل الجدل ـ أن الدافع الحقيقى للفتوحات هو الجهاد فى سبيل الله .

●● كتب أبو بكر رضى الله عنه الى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز لما أخذ فى إعداد الجيوش الاسلامية وتسييرها الى الشام : «يستنفرهم للجهاد ، ويرغبهم فيه وفى غنائم الروم ، فسارع إليه الناس بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب(٦٦)» .

● والنص ليس بحاجة الى بيان ففيه الاستنفار للجهاد والترغيب فيه وهو الهدف الأول ـ ثم الترغيب فى الغنائم وعمدوا الى هذا النص متجاوزين النصوص الكثيرة التى لا تذكر شيئا عن الغنائم .

●● وخطب خالد بن الوليد رضى الله عنه يوم الولجة(٦٧) : «وبالله لو لم يلزمنا الجهاد فى الله والدعاء الى الله عز وجل ولو لم يكن إلا المعاش لكان الرأى أن نقارع على هذا الريف . . » .

● والنص واضح . . فهو خطاب حماسي مثير . . ركز فيه أولا على الجهاد . . واستدلوا بهذا النص أيضاً :

عندما ذهب المغيرة لمقابلة رستم قائد الفرس . قال له رستم : «قد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم عليه إلا ضيق المعاش وشدة الجهد ، ونحن نعطيكم ما تشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون» .

وهذا القول لعدو المسلمين . وكانت الأمانة تقتضى أن يكملوا النص ويذكروا بمَ أجاب الوفد على ذلك ولكنهم يتصيدون ما يؤيد وجهة نظرهم بأى سبيل . ونحن نذكر ما قاله ربعى بن عامر لرستم بعد ذلك : « . . الله جاء

بنا . . وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها . . ومن جور الأديان الى عدل الاسلام . . فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم إليه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا ومن أبى قاتلناه حتى نفضى الى الجنة أو الظفر(٦٨) . . » .

■ وانظر الى تهافت المستشرقين وتسقط النصوص الضعيفة التى وليّ عنقها لتناسب آراءهم المسبقة . فقد استشهدوا على الدافع المادى للفتوحات الاسلامية بالبيت التالى : (متجاوزين جميع النصوص الثابتة) :

فلا جنة الفردوس أراك تبتغى
ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر

مع ان البيت فى حقيقته تحقير لمن جعل همه المغانم لا الجهاد فى سبيل الله الذى يفضى الى الجنة .

■ لقد حمل الفاتحون العقيدة وعملوا على تبليغها للناس وكانت مواقف القادة والجند من أنبل المواقف التى عرفها التاريخ فكانت الغنيمة نتيجة وليست سببا . صحيح كان هناك كثير من الأفراد ساروا وراء المغانم ومثلهم لا يخلُ منهم جيش حتى على عهد الرسول «ﷺ» فى حنين وتبوك وغيرها . ولكن هذا بالطبع لا يمثل وجهة نظر المسلمين فى فتوحاتهم . . ولا يمثل القيادة الفكرية التى كان يتبناها الخليفة والقادة وينفذها الجند . . كما أنه لا يمثل وجهة نظر الأمة ورأيها العام . . إن الذى يمثل ذلك مواقف المسلمين بشكل عام ومواقف قادتهم :

■■ فعمرو بن حرام يلقى التمرات من يده ويسرع للشهادة وعمرو بن الجموح يريد أن يطأ بعرجته الجنة . . وعبد الله بن رواحة يلقى العظم من يده ويندفع لنيل الشهادة دون تردد . . والشباب الأحداث يتطاولون فيقفون على رؤوس أصابعهم ليأذن لهم رسول الله «ﷺ» بالاشتراك فى الجهاد . . وقادة مؤتة يندفعون لنيل الشهادة ـ والنساء والصبيان يحثون التراب فى وجوه جيش مؤتة ويصفونهم بالفرار . . هذا هو الجيل القرآنى الذى قام بالفتوحات الأولى . . فأبو عبيد الثقفى يندفع لنيل الشهادة مع أولاده الأربعة وسبعة من قادة المسلمين يوم الجسر . . وعكرمة بن أبى جهل يندفع فى قلب الروم وينال الشهادة . . وأبو بكر رضى الله عنه يكتب الى أهل اليمن يستنفرهم(٦٩) .

■■ حافظ الفاتحون على الاسلام وحمله الى البلاد المفتوحة ايمانا وعملاً وقولاً .

■■ لقد كان من السنة التى سنَّ رسول الله «ﷺ» بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ـ وهى الأنفال ، ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك(٧٠) .

■■ ولما فتح خالد بن الوليد الحيرة عام ١٢ هـ صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات ، لا يسلم فيهن(٧١) .

■■ وكان عمر بن الخطاب رضى الله إذا ورده خبر بالنصر يخر لله ساجدا ويحمد الله(٧٢) . وعفته وعدله من الشهرة فهى معروفة .

■ وقد وصف اعداء المسلمين جند الإسلام كما شاهدوهم بأنهم : رهبان الليل فرسان النهار ، يصومون النهار ويقومون الليل ، ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصحون بينهم ، يعفون عن المغانم ولا يستحلّونها إلا محلها(٧٣) .

■ ويخاطب عمر بن الخطاب أمة الاسلام على مدى الأجيال عند فتحه القدس(٧٤) : «يا أهل الاسلام ، إن الله تعالى ، قد صدقكم الوعد ونصركم على الاعداء ، وأورثكم البلاد ومكن لكم فى الأرض ، فلا يكن جزاؤه منكم إلا الشكر . وإياكم والعمل بالمعاصى فإن العمل بالمعاصى كفر بالنعم ، وكلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا الى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم» .

■ وهكذا نرى أن الجهاد هو الدافع الأول والأخير لحركة الفتوحات الاسلامية ـ وما يترتب على الجهاد فى سبيل الله من حمل الدعوة وتبليغها ، وإنقاذ البشرية .

الفهارس

(١) عمايرة - اسماعيل احمد - المستشرقون ومناهجهم اللغوية ص ١١ .
(٢) انظر: جوستاف بفانموللر - سيرة الرسول فى تصورات الغربيين ص ١٦ ، عرفان عبد الحميد - المستشرقون والاسلام ص ١٦ ، ادوارد عطية العرب ص٤٠ .
(٣) ظهر ذلك فى آيات كثيرة قول المشركين عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ساحر ، كذاب ، كاهن ، مجنون . . وما الى ذلك من صفات هم أولى بها .
(٤) انظر انور الجندى - الاسلام وحركة التاريخ ص٧٢-٧٣ وانظر دومنيك سورديل - الاسلام فى القرون الوسطى ص٦ .
(٥) أنظر: ابن القيم - زاد المعاد ج٢ ص٩٠-٩١ حيث بين هذه المراحل .
(٦) السياسة الشرعية ص١٨
(٧، ٨، ٩) ابن هشام - السيرة - ج٣ ص١٦٩ ، ص١٨٣ ، ص٢٤٣ ، الطبقات ج٢ ص٦٤ ، الواقدى ، المغازى ج٢ ص٥٦١ .
(١٠) السيرة ج١ ص٦٥٠ ، الكامل ج٢ ص٣١٣ ، الطبرى ج٢ ص٦٤٤-٦٥٥ .
(١١) ص ٣٩ ، ٤٠ .
(١٢) البداية والنهاية ج٤ ص٢٤١/ امتاع الأسماع ج١ ص ٣٤٤ .
(١٣) الواقدى - المغازى - ج٢ ص ٧٥٧ ، ابن هشام ج٣ ص٣٢٤ ، ابن سعد - الطبقات ج٢ ق/ ص٩٣ ، الطبرى ج٣ص٣٧ . الكامل فى التاريخ ج٢ ص١٥٩ .
(١٤) المغازى ج٢ ص ٧٧١ ، امتاع الأسماع ج١ ص ٣٥٣
(١٥) انظر: الطبرى ج٣ ص ١٠٩ ، المغازى ج٣ ص ٩٩- ١١٥ ، الكامل ج٢ ص٢٧٧ ابن هشام - السيرة - ج٤ ص ١٣٥ - ١٤٨ ، الطبقات ج٢ ق١ ص ١١٩ .
(١٦) البداية والنهاية ج٥ ص٩٨ - ١٠٠/ ابن هشام ج٤ ص٥٨٨-٥٨٩
(١٧) ابن هشام ج٤ ص ٥٩١ الكامل ج٢ ص ٢٠٣
(١٨) الكامل ج٢ ص ٢١٥ - السيرة - ابن هشام ج٤ ص٦٥٠
(١٩) الكامل ج٢ ص ٢٢٦
(٢٠) دروزة - تاريخ الجنس العربى ج٧ ص ٦٥ عن الأخبار الطوال للدينورى .
(٢١) ابن هشام - السيرة ج٣ ص ٢١٩
(٢٢) ابن عساكر ج١ ص ٢٥٩
(٢٣) اليعقوبى - تاريخ - ج٢ ص ١٤١
(٢٤) انظر: فلهوزن - تاريخ الدولة العربية ص٢٣ ، برنارد لويس ، ونتنج - العرب انتصاراتهم ص٤٧ ، روملاندو - الاسلام والعرب ص٢٠٩ - بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية ص٩٠ كلود كاهين - تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ج١ ص٢٣ . فيليب خورى حتى - تاريخ العرب ص ١٧٨
(٢٥، ٢٦) صانعو التاريخ العربى ص٤٤ ، ص٥٨-٥٩
(٢٧) مثل د. حسن ابراهيم - تاريخ الاسلام ج١ ص ٢١٤/ جرجى زيدان - تاريخ التمدن ص ٦٨ ، سيد أمير على - روح الاسلام ج؟ ص٩٢
(٢٨) انظر: تاريخ الدعوة الاسلامية (للمؤلف) ص ٢٦٧-٢٦٨
(٢٩) الطبرى ج٣ ص ٣٤٧/ ابن عساكر ج١ ص ٢٢٢
(٣٠) الطبرى ج ٣ ص ٣٨٨
(٣١) انظر: سيديو - تاريخ العرب العام ص ١٣٣ ، ورأى ميور (الحاقد) روح الاسلام لسيد أمير على ص ٩٤-٩٥ وهو ينقل عن نيبور. وانظر نجيب الكيلانى - الاسلامية والقوى المضادة ص ١٢٦ ، عبد المنعم ماجد - الدولة العربية ج١ ص ١٦٢ .
(٣٢) انظر: انور الجندى - الاسلام وحركة التاريخ ص ٨٣
(٣٣) حضارة العرب ص ١٦٢ ، ١٦٩-١٧٠ ، وانظر رأى جرجى زيدان - التمدن - ج١ ص ٦٤ .
(٣٤) علم التاريخ عند المسلمين ص ٤٦

● الفهارس

(٣٥) ابن عساكر ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٦
(٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩) الطبرى ج٣ ص ٣٤٣، ج٣ ص ٣٥٠، ٣٥٢، ص٣٤٤د٣٤٥، ٣٧٧، ص٣٩٩
(٤٠) بروكلمان ج١ ص ٩٣، كلود كاهين ص٢٤، برناردلويس
(٤١) فيليب حتى - تاريخ العرب ص ١٧٥
(٤٢) ومنهم الدكتور حسن ابراهيم - تاريخ الاسلام ج١ ص ٢١٥، د. أحمد شلبى- التاريخ الاسلامى ج١ ص٤١٥
(٤٣) الطبرى ج٣ ص ٤٠٧، الكامل ج٢ ص ٤٠٠. وانظر الطبرى ج٣ ص ٣١٦-٣٦٧.
(٤٤) عبد المنعم ماجد ج١ ص١٦٦.
(٤٥) جب - دراسات فى حضارة الاسلام ص٧-٨/ التاريخ الاسلامى فى العصور الوسطى ص ٧-٨.
(٤٦) التاريخ الاسلامى فى العصور الوسطى ص ٥٠
(٤٧) فان فلوتن - السيادة العربية ص ١٢-١٣
(٤٨) بروكلمان ص ١٠٧ ولا عجب فهو المانى غلبت عليه النزعة العنصرية.
(٤٩) بزنارد لويس P49,55
(٥٠) فيليب حتى - تاريخ العرب ص١٧٥
(٥١) وهذا رأى ارنولد، وكيتانى وبيكر - انظر فيليب خورى حتى ص ١٧٧
(٥٢) فيليب حتى ص ١٧٧
(٥٣) فلوتن - السيادة ص ١٨، ٢٢
(٥٤) حتى ص ٤١، وانظر دومنيك سورديل - الاسلام فى القرون الوسطى ص٦.
(٥٥) مثل أم عمارة يوم أحد، وام حرام فى قبرص، وأم حكيم فى يوم الصفر (البلاذرى فتوح البلدان ص ١٢٥، ١٤١) والخنساء التى غيرها الاسلام تماماً، واستشهد اولادها الثلاثة فى معركة واحدة، وخولة بنت الأزور، وهند بنت عتبة وغيرهما يوم اليرموك.
(٥٦) انور الجندى - الاسلام وحركة التاريخ ص٤٦٢.
(٥٧) مسند احمد ج٢ ص ٢٢٧/ الطبقات ج٤ ص ١٤١
(٥٨، ٥٩) الطبرى ج٣ ص ٣٨٩، ج٣ ص٣٩٠
(٦٠) الطبرى ج٣ ص ٣٩٧، ابن عساكر ج١ ص ٢٦٢
(٦١) انظر لوبون - حضارة العرب ص ١٦٥، لويس، بروكلمان ص ٩٠ وما بعد، والنسخة الانجليزية P50-51 حتى ص١١٦، ص١٣٨
(٦٢) تاريخ العرب العام ص ١١٦، وانظر ص١٣٨. وقد اخذ كثير من المؤرخين العرب هذه الآراء الى جانب الآراء الأخرى، وبعضهم لم يشر الى أصلها الاستشراقى. مثل د. حسن - تاريخ الاسلام ج١ ص ٢١٤-٢١٥، عبد المنعم ماجد ١٦٠-١٦٢، جرجى زيدان - التمدن ج١ ص ٦٦ وما بعد.
(٦٣، ٦٤) الطبرى ج٣ ص ٣٩٣، ج٣ ص٣٧٢.
(٦٥) انظر: جب - دراسات فى حضارة الاسلام ص ٧ وما بعد. وأرنولد واستاذه كيتانى - الدعوة الى الاسلام ص ٦٤، فيليب حتى - صانعو التاريخ العربى ص٤٤، تاريخ العرب ج١ ص ٣١، فلهوزن - ص٢٣، نتنج - العرب انتصاراتهم ص ٤٧، لويس، بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية ص٩١، كاهين ج١ ص ٢٤، جوبينو فى الفصل السابع والاربعين من كتابه: انحدار الامبراطورية الرومانية وسقوطها وانظر: ادوارد عطية ص٢٥، جرجى زيدان - ص ٦٦، فيليب خورى عطية ص ٢٥.
(٦٦) البلاذرى - فتوح البلدان ص ١١٥
(٦٧) الطبرى ج٣ ص ٣٥٤/ البداية والنهاية ج٦ ص ٣٨٩
(٦٨) الطبرى ج٤ ص ١٠٨، الكامل ج٢ ص ٣٢٠ وفيهما ردود كثيرة.
(٦٩) ابن عساكر ج١ ص ٢١٩ وانظر بالمعنى نفسه ص٢١٧، ٢١٨، ٢١٩
(٧٠) الطبرى ج ٣ ص ٣٩٧
(٧١) البلاذرى - فتوح البلدان ص ٣٠٠-٣٠١
(٧٢) ابن عساكر ج١ ص ٢٣٠، ٢٣٦
(٧٣) المرجع المفصل فى تاريخ القدس - عارف العارف ص١٠١.

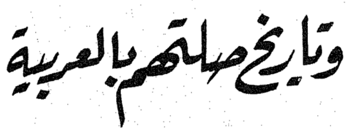


« دراسات .. استشراقية » تحليل وبحث، استنتاج ومقارنة، تقويم وابداء رأى.. بحوث ودراسات حول ظاهرة الاستشراق وفلسفته التى يقوم عليها منهجه وطبيعة توجهه.. فلسفة الاستشراق فى تناول موضوعاته، فلسفته فى تكوين آرائه وبلورتها.. كل هذا فى مدار منطلقاته المتعددة.

وضمن موضوعات هذا الفصل نطالع «المستشرقون وصلتهم بالعربية» وهى مجال من مجالات دراساتهم، وضرورة فهم العالم الاسلامى والعربى ادخل اللغة العربية فى دائرة اهتماماتهم فأسسوا لها (الكراسى) فى الجامعات الغربية.. وانشأوا من أجلها المعاهد والمراكز.. وهذه بطبيعة الحال تمثل جزئية اساسية فى دراسات الاستشراق الاقليمية التى تشمل البيئة والمجتمع والمعتقدات والاعراف وكل متعلقات الحياة.. وفى حيز هذه المدارات نطالع هذا الفصل:



المستشرقون

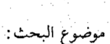


بحث في الجذور التاريخيّة للظاهرة الاستشراقية



بقلم :

الدكتور اسماعيل احمد عمايرة



سبق أن تحدّثت في دراستين سابقتين(1) عن المستشرقين واللغة العربيّة وقد رأيت في هذه الدراسة أن ألقي الضوء على صفحة أخرى من هذا الموضوع المتشعِّب الغائص في أعماق التاريخ الحضاريّ للشرق والغرب على حدّ سواء. وتتمثّل هذه الصفحة في الجانب التاريخي لأسباب سوء التفاهم الذي حصل عبر التقاء الحضارتين: «الإسلاميّة والغربيّة»، وأثر ذلك على علاقة المستشرقين باللغة العربيّة تاريخياً.

سوء التفاهم وتعميق هوة الخلاف بين الحضارتين :

ولا شكّ في أن سوء التفاهم هذا نتج عن أسباب يحْمِل تبعتها الجانبان : الجانبُ الإسلامي والجانب الغربي . وهي أسباب عديدة تشابكت حتى غَدَت فيها « الأعراض » الطارئة على الزمن أمراضاً مستعصية نتج عنها أعراض من نوع جديد ... وهكذا تصبح النتيجة (ثانية) سبباً تتوالد عنه نتائج . ولا أحسب « حتى الآن » أن الفرصة قد أعطيت بالقدر الكافي لأن يعرف الطرفان : المسلمون والأوربيون أحدهما الآخر في معزل عن أسباب سوء التفاهم .

فمن الجانب الإسلامي ترتّب على الانتشار السريع للفتوحات الإسلاميّة في أوروبا بعضُ النتائج التي تختلف عن النتائج التي حقّقها المسلمون في المجتمعات النصرانية المجاورة لبلاد العرب . ففي تلك المناطق القريبة كان الجمهور النصراني يرى بأم عينيه عدالة الإسلام من خلال الممارسة العمليّة التي يعيشونها . ثمّ إن معرفة الطرفين : المسلمين والنصارى ، أحدُهما للغة الآخر كانت على نطاق ضيّق ، ولكنه نافع إلى حدّ ما في أن تعرف هذه المجتمعات أشياء كثيرة عن الإسلام وبخاصة أن هذه المعرفة قد زادت يوماً بعد يوم إلى أن أصبح أبناءُ الشعوب المفتوحة « بعامة » من أشدّ الناس تمسّكاً بالإسلام – بل لقد شاركوا في فتح المناطق الأخرى وإن كان لمشاركة كثيرٍ منهم محاذيرُ يَضيق المقام عن ذكرها .

أمّا المجتمعات النصرانية في أوربّا فقد ترتّب على الفتوحات السريعة فيها أن شعر هؤلاء بالضيق ، وفي هذا المعنى يقول « رينو » : « إن الشيء الذي كان يضايق المسيحيين هو أنّ عدّوهم قد استقر في كلّ مكان في وقت واحد تقريباً »[٢] . وقد ترتّب على الفتوحات السريعة غياب التأثير الإعلاميّ الإسلاميّ تقريباً عن تلك الأقطار المفتوحة ، في الوقت الذي كان فيه الفارّون من النصارى المَوْتورين في بلاد الشام ومصر ، يقومون بإعلام مضادّ للمسلمين يقدمون الإسلام والمسلمين للشعوب الأوربيّة في صورة مشوّهة مُنفِّرة .

وقد ترتب على هذا مزيد من العنف والقتال في تلك البلاد ، ثم حدث أن توافقت الفتوحات الإسلاميّة في أوربا « زمنياً » مع غزوات وحشيّة كانت تشنّها القبائل الوندالية الوثنيّة وهي قبائل لا يزال اسمها يثير الفزع ويُذكّر بأقسى أنواع الشراسة والوحشيّة التي عرفتها أوربا ... وما يزال يحلو للمؤرخين الأوربيين أن يقارنوا بين المسلمين والوندال الوثنيين بزعم أن العرب والوندال قبائل أسيوية[٣] . وقد ترتب على هذا الخلط بين المسلمين والوثنيين أن شبّه الكتاب الأوربيون المسلمين بالأعاصير الهوجاء الصحراوية المدمّرة التي هبّت من الجزيرة العربيّة على حدّ تعبير « فروبند » . أما « رينو » فيصرح بأنّ معاصري الفتوحات الإسلاميّة من الأوربيين كانوا يسمون المسلمين ندالاً ويسمونهم وثنيين[٤] ، وقد أخذ يسوق القصص على نتائج هذا الخلط[٥] الذي ترتب عليه مزيد من الإمعان في تشويه صورة الإسلام والمسلمين منذ تلك الأزمان إلى يومنا هذا .

ومما ترتّب على غياب الصوت الدعوى الإعلامي من جانب المسملين في أوربا ، وعلى المعارك الداميّة التي سالت جراحها المثخنة على صفحات التاريخ الإسلامي الأوربي أن خلا الجو للقساوسة ورجال الدين النصراني لتشويه صورة الإسلام في أذهان الأوربيين - ومما زاد الطين بلّة أن جَنّد هؤلاء إلى صفهم خيالَ الشعراء ومؤلفي القصص الشعبيّة ليقوموا بدور التعبئة الشعبيّة في حرب المسلمين حتى لقد أصبح الشعر والقصص الخيالي مرجعاً يعاد إليه في فهم الإسلام . وفي هذا يقول « جوزيف رينو » « ونحن ندرك إلى أي مدى استطاع مؤلفو قصص الفروسيّة التأثير على نفوس الناس وتضليل العقول بحيث أصبحت رواياتهم مصدراً للخلط والاضطراب »[٦]

حسبي بهذا مثالاً كافياً على بيان ما ترتّب على التوسّع الإسلامي في الفتوحات دون أن يصحب ذلك جهد دعويّ إعلامي إسلامي يراعي الطبيعة الخاصة بكل منطقة يتجه إليها جيش الفتح .

مسئولية الجانب الأوربي في تعميق أسباب الخلاف :

أما من الجانب الأوربي فحسبي أن أذكر مثلاً واحداً لذلك أيضاً ، فقد دأبت الشعوب الأوربيّة على تنمية إحساسها المفرط « بنرجسيتها » وما ترتّب على ذلك من جهل بأمم الأرض ، حتى لقد ظلّوا إلى عصور متأخرة - بل ربما إلى يومنا هذا - يحسبون أن الأرض مخلوقة لهم وأن على أطرافها من بعيد أو ربما من خارجها تبرى لهم بين الحين والآخر أمم عارضة غامضة أطلقوا عليها اسم الوثنيين تارة .. وأتباع المسيح الدجال تارة أخرى .. وكلّما اشتد البأس بالشعوب الأوربيّة فسّرت ذلك بأنه .. آية من آيات اقتراب الساعة .. وأن عدوّهم المسيح الدجال قد ظهر .. وأن ما يحلّ بهم من ضيق هو من فعل جنده .

وقد كانوا حيال عدوهم بين اثنين : داع إلى القتال ، وداع إلى الاستسلام ، وعلى الحالين فلا وقت لفهم عقيدة هذا العدو ولا إلى ما بين عدو وعدو من فروق . وعلى هذا فقد كانوا في كثير من الأحيان لا يفرّقون بين المسلمين والإغريق .. ولا بين المسلمين والرومان[٧] .

وقد ترتّب على هذا أن أُلصق بالإسلام في نظر الأوربي كل صفات تلك الشعوب الوثنيّة ، وعُزي إليهم سلوكها ووحشيتها . وما تزال أوربا لم تتخلّص نفسياً من آثار تلك الحقب التاريخيّة المتراكمة التي ترتبت فيها النفسيّة الأوربيّة .. وفي هذا يقول « دانييل » : « إن مسائل الخلاف بين الإسلام والمسيحيّة لم تتغيّر ، والمسيحيون يميلون دائماً إلى إثارة الانتقادات نفسها . وعلى الرغم من أنّ بعض الكتاب في العصر الحديث يحاولون نسبيّاً أن يتحرّروا من الاتجاهات المسيحيّة فإنهم على العموم لم يستطيعوا تحقيق ذلك القدر الذي توهموه » (٨) .

ولا يتّسع المقام لأمثلة كثيرة تؤكد ما قاله « دانييل » . وسأكتفي بضرب مثل واحد يتناول مستشرقاً أثنى عليه أحد النقاد العرب فوصفه بالتوازن والدقة والرجوع إلى الأصول والموازنة بين الروايات المتعارضة .

وأما المستشرق فهو « جوزيف رينو » الذي مرّ بنا كيف انتقد سلفه من الكتاب الأوربيين الذين خلطوا الحقائق بخيال الشعراء والقصّاص فلم يتمالك نفسه إزاء ذلك الخلط الفاحش الذي أظهروا فيه الإسلام ديناً وثنياً يقدّس الأصنام ، فقال رينو صارخاً « فيا لسخرية القدر والجهل الأعمى بالإسلام » ثم قال « ما هو السبب الذي دفع بآبائنا إلى هذا الوهم والخطأ يا ترى ؟ ذهب بعض العلماء إلى أن النورمانديين وغيرهم من الشعوب الوثنية كانوا ضمن الشعوب التي كان يشملها اسم « سارازين » (يعني مسلمين) وبالتالي فإن موطن أسماء مثل : تير فاجنت وأبو لين وغيرهما هي البلاد الشمالية حيث كانوا يعبدون الأوثان . وهكذا خلط العامة بين المسلمين وهذه الشعوب بصورة مخجلة » (٩) . انتهى كلام « رينو » وهو حديث صريح في نقد الفكر الأوربي في العصور الوسطى لكاتب من العصر الحديث – ولكننا نجد الكاتب نفسه يَعُبّ من هذه الروايات بإسراف في كثير من المواطن في كتابه . فمن ذلك قوله مستشهداً على أن المسلمين كانت تتملكهم روح الدمار والخراب والقتل : « ونحن نملك في هذا الموضوع شهادة شاعر كان يكتب في أوائل القرن التاسع وهي شهادة نرى من الضرورة إيرادها برمتها لأهميتها ... » (١٠) وقد روى خبر الشاعر الخيالي هذا ثم أردفه للتوّ بقصّة أخرى يزعم فيها وحشية الفتوحات الإسلامية في نظره وقد انطوت القصة على أخبار يظهر المسلمون فيها عبدة أوثان ، حيث تقول القصة « كان البرابرة (يعني المسلمين) منهمكين في طقوسهم الدينيّة حينما تقدّم إليهم رئيس الدير وعرض عليهم ترك الوثنيّة وعبادة الأصنام والتحوّل لعبادة خالق الكون . ولكن هذه الدعوة زادت من غضبهم إلى حد أن قام الشخص الذي يتولى القرابين وأخذ حجراً كبيراً ورماه به على رأسه ووقع القسيس على الأرض فاقد الوعي ... » (١١) .

قدّم « رينو » لاستشهاده بهذه القصة بقوله : « وإزاء عدم وجود شهادات كثيرة يمكننا أن نستدّل أيضاً بحادثة أخرى على طابع الشدّة والقسوة الذي رافق الغزو العربي الذي تعرّض له جزء كبير من فرنسا » .

وعلى أي حال : فأسباب العلاقات التاريخيّة المعقدة موضوع شائك .. مشتّت الجوانب والأطراف .. غائر كالصدع في عمر العلاقات الطويلة بين الحضارتين : الإسلاميّة والأوربيّة . وهو يستحق دراسات طويلة تأخذ بعين الاعتبار مصادر الطرفين التاريخيّة والفكريّة .

- **الفتوحات الإسلامية في أوروبا تزامنت مع مجموعة من الهجمات الوحشية التي كانت تشنها قبائل الوندال الوثنية على الأوروبيين مما ألصق بالإسلام تهما هو بريء منها .**

وسوف أكثّف الحديث فيما تبقّى من صفحات هذا البحث عن صلة الغرب باللغة بوصفها من أشدّ العوامل التي يمكن أن تقرّب أو تباعد بين الحضارات . وقد ترتّب على جهل المسلمين والأوروبيين كلّ منهما بلغات الطرف الآخر نتائج خطيرة على تاريخ العلاقة بين الطرفين . وسأركّز الحديث على الجانب الاستشراقي محاولاً في ذلك أن أبيّن فداحة الخلل الذي ترتب على قلّة تمكن أولئك النفر المثقف الذين كانوا يمثلون الغرب في تعامله مع المسلمين من خلال اللغة العربيّة بوصفها أهم لغة لفهم الإسلام والمسلمين . وسأعتمد في رسم الصورة على البحوث الاستشراقية – ما أمكن – على أنّ الأمر يحتاج إلى ما يكمّله ببحث في المصادر العربيّة عن صلة المسلمين باللغات الأوربيّة عبر القرون الطويلة الماضية .

لم يلتفت الأوربيون في العصور الوسطى إلى أهميّة اللغة العربيّة ، ويؤكد « رينو » هذا المفهوم بقوله : « والمسيحيون من جهتهم لم يكونوا ليفكروا في تلك العصور التي ساد فيها الجهل والبربريّة في بلدهم في تعلّم اللغة العربيّة . والتاريخ لا يحدثنا في هذا السياق إلاّ عن كاهن واحد وهو رئيس دير سانت جال واسمه هارتموت Hartmote الذي كان درس في حوالي سنة ٨٨٠ م اللغة العربيّة إلى جانب العبرية واليونانيّة » (١٢) وأغرب من هذا أنّ اللاهوتيين البيزنطيين كانوا أقرب إلى المسلمين موقعاً ، والحرب سجال بينهم وبين المسلمين ، وحاجتهم إلى العربيّة أشد من حاجة الأوربيين – غير أن « جهلهم بالعربيّة قد منع عنهم كل اتصال مباشر بالرسالة القرآنية » على حدّ تعبير بلاشير (١٣) . ولم يتجاوز اهتمام النصارى في العصور الوسطى الاهتمام بمتطلبات الجدل الذي استهدف الدفاع عن أقانيم المسيح وتلفيق التهم المزعومة ضد الإسلام .

لم تكن عامة الناس في أوربا تفهم الذي يجري في بلادهم بل صعب عليهم أن يفهموا موقف الفاتحين ، « فمتى استسلم بلد من تلقاء نفسه كان المنتصرون يحترمون ممتلكات المنشآت الدينيّة ... وأما البلدان التي لا تستسلم إلاّ بالقوّة فهي تتعرض لعنف الاحتلال » (١٤) .

ومن المعلوم أن تعاليم الإسلام تقتضي أن يُعرض الإسلام على أهل البلدان المفتوحة ، فإن قبلوا غدوا جزءاً من المجتمع الإسلامي ، وإلاّ عرضت عليهم الجزية يدفعونها ، وإلاّ فليس سوى الحرب .

لا شكّ في أن هذه المعلومات كانت خافية في كثير من الأحيان على أبناء الشعوب الأوربيّة المفتوحة وقد كانت عقبة اللغة من الأسباب الكامنة وراء سوء الفهم . وقد كان القساوسة يقومون بمهمة المترجم الذي ينقل آراء الفاتحين وذلك بحكم تصدّر القساوسة ورجال الدين النصراني لزعامة شعوبهم سياسياً وثقافياً . وقد جمع هؤلاء – إلى جهلهم باللغة – حنقهم على الإسلام والمسلمين فكان من الطبيعي أن ينقلوا إلى أقوامهم آراء المسلمين بتحريف شديد . كيف لا .. وهم لا يفهمون كلمة الإسلام إلاّ على أنها مرادفة للإلحاد .. ولا يفهمون كلمة مسلمين إلاّ على أنها مرادفة للقتلة . وقد ظلّ هذا الموقف مرافقاً لعلاقاتهم بالمسلمين . ويعطي « سوذرن » مثالاً على ذلك الراهب الفرنسيسكاني « سيمون سيميونس » Simon Semeonis الذي زار فلسطين سنة ١٣٢٣ م ، فإن هذا الراهب الإيرلندي قل أن يذكر المسلمين دون أن ينعتهم بنحو « خنازير » و « حيوانات » .. وأبناء بَعْل وعبّاده .. وأبنّاء سدوم ... » (١٥) .

- سرعة الفتوحات الإسلامية لم يصحبها تأثير إعلامي موسع في حين تولى الفارون من النصارى إعلاما مضادا للمسلمين .
- الجهد الإعلامي المضاد للمسلمين جعل الشعب الأوروبي لا يفرق بين المسلمين والإغريق أو الرومان .
- الشعوب الإسلامية في نظر أوروبا كانت لا تعدو أن تكون شعوبا بدائية تبحث عن الغنائم والأسلاب .

الاتجاه العسكري في أوربا : لا وقت لتعلم اللغة العربيّة :

ويبدو أن الأوربيين ، وعلى مدى أزمنة طويلة ، رأوا أن الحلّ الأمثل للتعامل مع المسلمين هو القضاء عليهم عسكرياً . فإذا كان هذا هو الحلّ فلا داعي ، إذن ، لإضاعة الوقت في تعلم لغة القوم وأفكارهم ، ففي هذا مضيعة للوقت . وقد أعرب عن هذا الهدف « رامون لول » Ramon Lull بعد سقوط عكّا في أيدي المسلمين عام ١٢٩١ بعد أن تنامى إلى أسماع الأوربيين نبأ الانتصار الإسلامي . قال « لول » – فيما أورده عنه « سوذرن » : « إذا عاد المبتدعون (: النساطرة) عن بدعتهم ، واعتنق التتارُ المسيحيّة فيمكن القضاء بسهولة على السرازانيين [١٦] يعني المسلمين . وقد علق « سوذرن » بعد أن أورد هذا النص بقوله : « وعلى هذين الأمرين كانت أوربا قد عقدت الآمال . بَيْدَ أننا نلاحظ أن متشدّد ميورقة (رامون لول) يتحدّث عن « القضاء » على المسلمين ، لا عن هدايتهم .

الاتجاه الفكري في أوربا والدعوة إلى حرب المسلمين ثقافياً :

ولكن هذا الرأي الذي ذهب إليه « لول » لم يكن يمثل الرأي الأوربي في عمومه . فقد ظهرت قبل ذلك وبعده آراء تحثّ على ضرورة التعرّف عن كَثَب على أفكار المسلمين ولغاتهم ، وقد كثُر أصحاب هذا الرأي في أوربا وبخاصة عقب الهزائم المتلاحقة التي حلّت بهم وبخاصة إثْر الحروب الصليبيّة .

وقوام الفلسفة التي يقوم عليها هذا الرأي أن تُبرز أوربا سلاحها الثقافي في وجه الشعوب الإسلاميّة التي لا تعدو في نظرهم أن تكون شعوباً بدائية تبحث عن الغنائم والأسلاب . وعلى هذا فقد استخفّ أصحاب هذا الرأي بالأسلوب العسكري ، ونشطوا إلى الدعوة إلى تنصير المسلمين .

ظلّت نداءات « بطرس » حبيسة كلمات اللغة اللاتينيّة :

وقد دعا إلى هذا الاتجاه « وفي فترة مبكرة » رئيس دير كلوني Cluny المعروف باسم بطرس المبجّل Petrus Venerabilis الذي تبنّى فكرة ترجمة القرآن للمرة الأولى – فترجمه الإنجليزي روبرت كتون Robert Ketton إلى اللاتينيّة سنة ١١٤٣ م .. وكانت هذه الخطوة أول استثمار للغة العربيّة .. وقد كان ذلك جزءاً من مخطط عام يدعو إلى تنصير المسلمين من خلال تشكيكهم في معتقداتهم – أي بالوسائل الثقافية بدلاً من قوّة السلاح [١٧] ... وقد كشف عن هذا المخطط الراهب بطرس المبجّل حيث وجّه خطاباً للمسلمين قال فيه :

« إنني لا أهاجمكم » كما يفعل كثيرون بيننا بالسلاح . إنني أوجه إليكم كلمات فقط ، بغير عنف ، وبتعقل وهدوء من غير كراهية وبحبّ كبير .... » .. وقال في تسويغ إقدامه على ترجمة القرآن الكريم . « وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا ، فإذا لم يكن بهذا الطريق إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة ، فلا أقلّ من أن يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السُّذَّج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم » .

فهل يعني ذلك أن عقبات اللغة بدأت تزول ؟ يعقّب « سوذرن » بعد أن أورد الخطاب السابق لبطرس قائلاً : « أمّا آمال بطرس المبجّل في « هداية » المسلمين إلى محاسن المسيحيّة الكاثوليكيّة فقد خابت أيضاً ، إذ بقيت نداءاته إلى المسلمين حبيسة كلمات اللغة اللاتينيّة » (١٨) .

فاللغة إذن : كانت جداراً سميكاً يحول دون أن يسمع أيّ من الطرفين صوت الآخر . وقد ساد بين المستشرقين إحساس مفاده أن العرب لا يهتمّون باللغات الأجنبيّة . وقد عبّر عن هذا « جوزيف رينو » بقوله : « من المعروف أن العرب عموماً لا يهتمون باللغات الأجنبيّة في القديم » (١٩) .

المناظرة الخرساء :

وقد شعر المبعوث البابوي Wilhelm Postel بحرج شديد حين أتيحت له الفرصة ليناظر المسلمين والبوذيين سنة ١٢٥٤ م في منغوليا في حضرة الخان المنغولي الأكبر . فقد أحس « فلهلم » بحسرة شديدة لأنه سيناظر المسلمين والبوذيين وهو لا يُحْسن أيّ لغة شرقيّة . وقد كان الموقف خطيراً فريداً ، فلعلها المناظرة الأولى من نوعها بين هذه المفاهيم وسيترتب عليها في نظر « فلهلم » دخول المغول في النصرانية . وهو حلم الأوربيين الأكبر الذي إذا تحقق أصبح المغول ، وهم أصحاب الكفّة الراجحة على المسلمين عسكرياً – قوة نصرانية جديدة تضاف إلى قوة أوربا النصرانية في حرب المسلمين وإبادتهم (٢٠) .

النوايا التنصيريّة وجهل أوربا بالإسلام :

إن محاولة الاتجاه الداعي إلى عقم المحاولة العسكريّة في مواجهة المسلمين ، والاستعاضة عن ذلك بفهمهم ثقافياً لم يكن بطبيعة الحال سوى اتجاه ضارب في أعماق الخلفيّات التاريخيّة (٢١) لأساليب التنصير التي نراها اليوم . وهذا يعني أن هذه المحاولات تستحكم خلف مواقف مقرّرة ثابتة مفادها أن المسلمين وباء وشرّ ينبغي أن يقاوم (٢٢) . وقد كان موقف المسلمين يتّسم بالتسامح النسبي (٢٣) بَيْد أن أوربا لم تعرف شيئاً كثيراً عن الإسلام فكانت في هذا ضحيّة رجال الدين من جهة والشعراء والمؤرخين الأوربيين من جهة أخرى ، ومن جانب ثالث هو تقصير المسلمين في الجانب الدعويّ الذي يتطلب أوّل ما يتطلّب معرفة بلغات القوم ودراسة علميّة للأساليب المناسبة في التعامل معهم .

وقد ظل موقف أوربا يتذبذب بين الدعوة إلى القضاء عسكرياً على المسلمين وعدم إضاعة الوقت في أي أمر يمكن أن يعرقل هذا الهدف والدعوة إلى حربهم حرباً ثقافية . وقد امتد هذا الأمر من بعد الحروب الصليبيّة إلى بداية ما اصطلح عليه بعصر النهضة الأوربيّة . ويرى « سوذرن » أن النصف الثاني للقرن الثاني عشر كان بداية لمرحلة التعقل ، ومن الداعين لهذا الاتجاه « أوتو فون فرايزنغ » Otto Von Freising الذي صحّح بعض المعلومات الخاطئة في أذهان الأوربيين عن الإسلام فقرر خطأ المزاعم اللاهوتية التي تدّعي أن رئيس أساقفة

« سالزبورغ » قتله المسلمون في القاهرة عام ١٠٠١ م لأنه أقدم على تدمير الأصنام التي يعبدها المسلمون في زعمهم فقال : إن المسلمين يعبدون إلهاً واحداً ولا يذمون المسيح ... وأما عيبهم في نظره فهو أنهم ينكرون ألوهية المسيح ويؤمنون بأن محمداً رسول من الله ...

وقد أشرنا من قبل إلى أن « فلهلم فون روبرك » قد أفاد من اتصاله بالمسلمين ومناظرتهم في عام ١٢٥٤ م ، فعرف أن المسلمين لا يعبدون محمداً ﷺ ، بل يعبدون إلهاً واحداً ، وأن وجه الشبه بينهم وبين النصارى قائم من وجوه كثيرة [٢٤] .

الاهتمام الأوربي بالعربيّة بعد مؤتمر « فينا » ١٣١٢ م

ولمّا جاء القرن الثالث عشر أدرك « روجر باكون » Roger Bacon ضرورة الاتصال ثقافياً بالحضارة الإسلاميّة وضرورة تعلم اللغة العربيّة بل التسلح بأفكار المسلمين وطرائقهم في المحاججة والرد عليهم . وقد ظل هذا الاتجاه يتنامى إلى أن عُقد مجمع فينا عام ١٣١٢ م الذي أوصى أن تدرّس العربيّة في كبرى المراكز العلميّة الأوربيّة : باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينون وسلامنكا وتُعَدّ هذه الخطوة بداية المحاولات الأوربيّة رسمياً للاهتمام بالعربيّة وفضلاً عن ذلك فيمكن أن يُعَدّ هذا المجمع نقطة تحوّل إذ هو انتصار للاتجاه الأوربي الداعي إلى حرب المسلمين ثقافياً .

ولكن هذه المحاولات بدأت متعثرة ، إذ بين الحين والآخر كان بعضهم يقرع طبول الحرب والدعوة إلى إبادة المسلمين . ومن هؤلاء « لول » Lull ويعقوب الفيروني Jakob Von Verona والفلورنسي ريكولدو دا مونتي كروتشي Ricoldo de Montecroce في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر . ولمّا جاء القرن الخامس عشر زاد الجهل بالمسلمين ولغاتهم وفكرهم حتى إن يوحنا السيغوفي Johannes Von Segovia « بحث هو بنفسه في أوربا طولاً وعرضاً لكنه لم يعثر على أحد يعرف لغة القرآن (ليراجع ترجمته له) وهكذا بقيت دون مراجعة أخيرة » [٢٥] .

وعلى أي حال فإن تفكير السيغوفي في ترجمة القرآن كان جزءاً من مخطط يُراد من خلاله أن تتجاوز الحرب الثقافية ضد المسلمين صورتها التقليديّة القائمة على الانفعال الخيالي والاستعاضة عن ذلك بالاتصال بالأصول الإسلاميّة .

دواعي الاهتمام بالعربية في عصر النهضة الأوربية :

ولكن حاجة الأوربيين إلى الخروج من دائرة وسائلهم الثقافية التي لم تخرج بهم كثيراً من قبل عن اللغة اللاتينيّة وبعض لهجاتها قد ازدادت بل أملتها عليهم ثقافتهم النصرانية ذاتها . فقد تصدّعت الوحدة الأوربيّة التي كانت الكنيسة الكاثوليكيّة رمزاً لها .. وكان تصدّعها في القرن السادس عشر بسبب اختلافهم على صحة النصوص التي تتشبّث بها الكنيسة الكاثوليكيّة .. وكان البروتستانت بزعامة مارتن لوثر الألماني في منتصف القرن السادس عشر من أهم الثائرين على الكنيسة . وقد رأى هؤلاء أن لابّد لهم من العناية باللغات الساميّة التي وردت فيها النصوص النصرانية المقدسة كالعبريّة والسريانية والحبشيّة ... ولما كانت هذه اللغات مندثرة غامضة في كثير من مفرداتها وتراكيبها فقد بات لزاماً عليهم أن يستعينوا على معرفة ألغازها وغوامضها بالاستئناس بالعربيّة . وهكذا كانت العربيّة لغة عدوهم الإسلامي معيناً لهم في معرفة نصوص كتبهم المقدسة . وقد كانت

إلى ذلك الوقت لغة مهمة علمياً – فقد كانت وعاء لعلوم مختلفة كالطب والكيمياء . وأهم من ذلك بالنسبة للأوربيين أنها حفظت لهم الفلسفة اليونانية التي ترجمت إلى العربيّة . وفي هذا يقول أربري : « كان من فخارها (أي العربيّة) أنها صارت الواسطة التي نقل بها أرسطو وجالينوس اللذين كانا قد آلا إلى النسيان » [٢٦] .

وقد خبا الصوت العسكري الداعي إلى إبادة المسلمين بالقوة في عنفوان قوّة المسلمين إبان الحكم العثماني . فأقصى ما يمكن أن يطمح فيه بلد أوربي كالنمسا أن تفكر في الدفاع عن عاصمتها « فيّنا » التي حاصرها الجيش العثماني مرتين سنة ١٥٢٩ م وسنة ١٦٨٣ م . وقد كان سبيل النمساويين في تعاملهم مع الأتراك أن يلتمسوا سُبل المواجهة الثقافيّة . وفي هذا المعنى تقول المستشرقة الألمانية أنّي ماري شمل Annemarie Schimmel « ولذا وجب على النمساويين الاهتمام بعادات جيرانهم الأقوياء (تعني الأتراك) وبطرق حياتهم وكذلك بلغتهم ، فحُفرت حروف عربيّة في خشب لأجل الطبع – لأول مرّة – في سنة ١٥٥٤ م في فيّنا » [٢٧] وقد أكّد « ألبرت ديتريش » الظروف التي أملت على الأوربيين ضرورة المواجهة الثقافية التي استلزمت معرفة اللغة بوصفها سلاحاً مهّماً في هذا المجال ، حيث قال : « وعندما توغّل الأتراك حاملو لواء الإسلام وقتذاك ، في قلب أوربا ، شعرت أوربا بضرورة دراسة لغات العالم الإسلامي لتلك الأسباب السياسيّة » [٢٨] ، كيف لا وقد أحكم المسلمون قبضتهم على البلقان وبلاد الصرب ، وقد وصلوا في ١٤٦٠ م إلى تخوم أوربا الغربيّة .

وفي الوقت الذي كان فيه الأوربيون يستعدّون استعداداً متنامياً للمواجهة الثقافية مع المسلمين ظلّ المسلمون يمعنون في الاعتزاز بقوّتهم العسكرية دون أن يستعدّوا الاستعداد الكافي من الناحية الثقافية ، لا لنشر دعوتهم ، ولا لتلقي الخطر الذي يُكاد لهم . وقد حقّقت اللغات الأوربيّة في العصر الحديث مكاسب كبيرة إذ أخذت تستوعب الحضارة العلميّة الماديّة المتفجرة في أوربا وتنتشر حيث امتدت الكشوفات الجغرافية [٢٩] والشركات الاستعماريّة في أمريكا وأفريقيا وأسيا وأستراليا . وأخذت الأسباب المختلفة تتسابق في خدمة هذه اللغات حتى خرجت عن أطرها المحليّة لتصبح حيّة عالمياً .

ومّما ترتب على هذا أن بدأ يتقلّص نفوذ اللغة العربيّة ، بعد أن كانت كما قال عنها المستشرق الإنجليزي « وليام بدويل » W. Bedwell (١٥٦١ – ١٦٣٢ م) إنها لغة الدين الوحيدة ، وأهم لغة للسياسة والعمل من الجزائر السعيدة إلى بلاد الصين » [٣٠] .

وقد ازدادت حاجة أوربا في القرن السابع عشر إلى أن تعرف العربيّة معرفة أوثق تتناسب ومصالحها في الشرق . فقد آن الأوان للاتجاهين السابقين أن يمارسا نشاطهما بطلاقة .. الاتجاه الذي كان يدعو إلى استخدام القوّة العسكرّية في التعامل مع الشرق وقد تمثل هذا في الاستعمار .. والاتجاه الذي يدعو إلى الحرب الثقافية ويتمثل هذا في التنصير . وقد واكب الاتجاهين رغبات في تحقيق المكاسب التجارية التي تصارع عليها في هذا القرن كل من البرتغال والرّوس ثم الإنجليز والفرنسيين وغيرهم من الدول الأوربيّة . وقد أصبح الاستشراق في هذا القرن مدعوماً بالمصالح السياسيّة الاستعماريّة ، بل إن « البعض من رّواده كانوا من الدبلوماسيين الذين استفادوا من إقامتهم في الشرق الأدنى ، ليعمّقوا معرفتهم بالعربيّة والتركيّة » [٣١] . وأضف إلى ذلك المنصرين ورجال الاقتصاد . يقول « أربري » : « فبينا التاجر يسعى في تحصيل النفع الماديّ من علاقاته بالشعوب الشرقيّة إذ بالمبشر الإنجيلي يسبقه تارة أو يتبعه حثيثاً تارة أخرى ، وقد امتلأ حماسة شريفة لأن يحقق أمر معلمه المسيح ..

وقد وجد أن مما يساعده على تحقيق ما يرمي إليه من الخلاص الروحي أن يتعلّم ما للجماعة التي سيلقاها من لغة وطرق تفكير » [٣٢] .

حاجة أوربا للعربيّة في العصر الحديث لاقتحام الشرق عسكرياً وثقافياً :

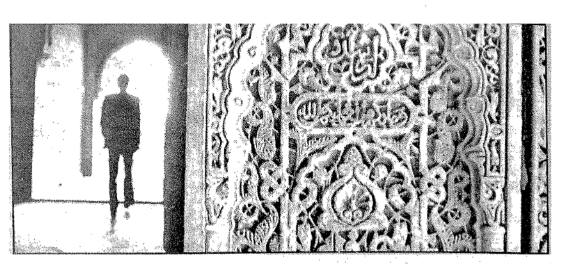
وهذا يعني أنْ تصالحت وجهات النظر الغربيّة – رغم ما بينها من خلاف – على اقتحام الشرق عسكرياً وثقافياً – بل أصبح من كانوا يختصمون عبر القرون الطوال الخوالي على أسلوب التعامل مع المسلمين يعضد بعضهم بعضاً . وأمّا الخلاف بينهم فلا يتجاوز أن يكون خلافاً على المصالح الذاتية لكل قطر أوربي وبخاصة بعد أن تقطّعت عُرى الوحدة الأوربيّة القائمة على الدين وحلت محلها الوحدة القائمة على أساس قومي سياسياً – ديني عقيدة . وهذا يعني أن التنافس بين دولة أوربية وأخرى يمكن أن يفسر سياسياً ، ولكن من وراء هذا التنافس تعاون في مجال آخر ، وهو الشعور الديني والحضاري الذي يفسّر لنا مثلاً كيف انتشى رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٧٩٩ م ، طَرَباً لانتصار أَلَدّ خصومه نابليون بونابرت ، فإنّ نابليون استطاع أن يغزو مصر وبلاد الشام ، تلك المعاقل الإسلاميّة التي استعصت على أوربا قروناً طويلة . وقد ربط المؤرخ الإنجليزي « هربرت فيشر » إعجاب بريطانيا بما حققه نابليون في الشرق بأهداف الحروب الصليبيّة . قال فيشر بعد أن وصف العداء المستحكم بين فرنسا وبريطانيا بسبب انتصارات فرنسا في أوربا « ولقد أتاحت له (لنابليون) الحرب التركيّة فرصة نادرة غير مرتقبة كانت ذات أثر في مجرى حياته ، ذلك أنه إذا عُدَّ غزو مصر عملاً فروسياً أخاذاً فإن السحر الذي صحب الحملة السوريّة كانت أعظم وقعاً وأكثر خيالاً وروعة . فإن الفرنسيين في أرض الوطن مهما كان مبلغ سخريتهم بالبابا واستهزائهم بالقساوسة كانوا يطالعون في نشوة وفخار بلاغات القائد الفرنسي الشاب الذي استولى على فلسطين واتخذ مركزاً له دير الناصرة وقرأ على ضبّاطه التوراة تحت سماء سوريا : في تلك المواطن التي قدسها المسيح وحواريوه .. ومجدتها في عيون الفرنسيين فعال الحروب الصليبيّة الأولى ومغامراتها . فإن استرجاع فلسطين من الأتراك – هذا الحادث الذي طرب له حتى رئيس وزراة بريطانية قبيل نهاية الحرب العالميّة الأولى استقبل استقبالاً حافلاً من مواطني القديس لويس الخاضعين لنير حكومة الإدارة الصارم الخسيس » [٣٣] .

إن في هذا النص معاني كثيرة ، منها : الإشارة إلى الخلاف الحاد بين السلطة الحاكمة في فرنسا « حكومة الإدارة » في باريس ورجال الدين في فرنسا وروما . ولكن هذا الصراع يذوب أمام نشوة الانتصار على المسلمين . ومنها الإشارة إلى الروح النصرانية التي تقبع في صدور أصحاب الاتجاه العلماني القومي وهذا يتمثل في سلوك نابليون الذي قرأ التوراة استشعاراً بالبهجة لأنه « استرد » فلسطين . ومن المعلوم أن نابليون هذا هو الذي كان يصطحب معه فريقاً ضخماً من المستشرقين الذين كان لهم الأثر الأكبر في إنجاح مقاصد الحملة [٣٤] .

إن في وسع المرء أن يُفسِّر كثيراً من خصائص المدارس الاستشراقية في العصر الحديث في ضوء وقوفه على مسيرة الخطين المتباينين اللذين واكبا مسيرة الظاهرة الاستشراقية عبر تاريخها الطويل : الخط الذي يدعو إلى الحرب العسكرية والخط الذي يدعو إلى الحرب الثقافية ونقاط الافتراق والالتقاء بينهما . فالجامع بين جوهري الخطين أنهما يتجهان نحو « الحرب » والانتصار للروح النصرانية ، ويتمثل هذا أكثر ما يتمثل في الاستشراق الألماني الذي سعى منذ عصور سحيقة إلى التركيز على الجوانب العقدية والأصول النصيّة ، دراسةً ونقداً ، أكثر من سواها .

وأمّا الخطّ الثاني فيمثله الاستشراق الأسباني أو الاستشراق الإيطالي أكثر من سواهما . وإن كان المرء لا يعدم وجود شواهد لكل نوع من أنوع الاستشراق مبثوثة فيما اختص به النوع الآخر . فليست الخطوط هنا





خطوطاً هندسيّة بل هي خطوط تمثل مسيرة تصرفات بشريّة ، والاتجاهات البشريّة يصعب أن تحدّ حدوداً لا تترك مجالاً للتداخل .

ولعلّ ممارسات المدارس الاستشراقيّة السابقة على سبيل المثال : الألمانية والأسبانية والإيطالية تعكس لنا بوضوح ما بينها من فوارق تبدو آثارها في نوع اهتماماتها وفي طبيعة ممارساتها في البلاد الإسلامية . وأما الاستشراق البريطاني والفرنسي فقد تمثّل فيهما أكثر من غيرهما خصائص الخطين العريضين . ولذا فإنك ترى أنّ الاستعمار البريطاني – وهو في هذا أكثر من الفرنسي وضوحاً – يُعمل سيفي الحرب الثقافية والعسكريّة معاً – وقد كانت الظاهرة الاستشراقيّة على أي حال تُمثّل الجذور الأيديولوجيّة للاستعمار الحديث بكل دوافعه النفسيّة (السيطرة الاستعلائية ، والرغبة التنصيريّة ، والمصالح الاقتصاديّة) .

فالمدارس الاستشراقية قد تفترق افتراقاً توضح حدوده المصالح السياسيّة لكل بلد أوربي ولكن هذه الحدود تكاد تلغى حين نجد أن الروح النصرانية تجمع القدر الأكبر من المستشرقين الغربيين ، وقد فسّر لنا هذا من قبل كيف ابتهج البريطانيون بانتصارات خصمهم نابليون ، وهو يفسِّر أيضاً هذا التكامل بين المدارس الاستشراقيّة رغم ما بينها من اختلافات سياسيّة أو قوميّة أو سوى ذلك . وقد أشار إلى هذا المفهوم المستشرق الأمريكي ــ بيتر غران ــ حيث أكدّ أنّ وراء التنسيق القطري أو الوطني الذي ينظم أعمال المستشرقين أهدافاً تجعل الاستشراق عالمياً – بل تجعل المستشرقين جبهة واحدة متلاحمة تلاحماً يفوق تلاحم من انصبّت جهودهم في البلد الواحد على دراسة تاريخ ذلك البلد . قال « بيتر غران » : ويظهر لأول وهلة أن مدارس البحث الاستشراقي تنتظم وفقاً للقطر أو المنطقة التي يقع فيها القطر وأنه تربط هذه المدارس « على نحو سائب » العديد من المجالات المغمورة والمؤتمرات السنويّة . وترينا نظرة أدق « على كل حال » أنه ليس ما يُوحِّد أو يفرّق الأفراد والمجموعات الصغيرة هو الخطوط الوطنية على وجه التخصيص . وبالمقارنة بباحثي العديد من فروع التاريخ الأخرى فإن المستشرقين أكثر عالمية منهم . وفضلاً عن ذلك . . يعرف الكثير من الباحثين (يعني المستشرقين) بعضهم البعض عن طريق التدريب اللغوي أو عن طريق المدرسين والطلبة المشتركين – وتستمر هذه العلاقات مدى العمر – وهي أكثر أهميّة من الروابط المشابهة التي تنشأ بين الأساتذة والطلبة الذين يتخصصون في تاريخ الولايات المتحدة وأوربا »(٣٥) .

وقد لا تكون الروح النصرانية وراء كل هذا التنسيق الذي يجمع المستشرقين فقد تتعدّدت مدارسهم الفكريّة

- أول محاولات الغزو الثقافي والتشكيك في الصين جاءت مع أول محاولة لترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية .
- من الخلفيات التاريخية لأساليب التنصير محاولات ضرب المسلمين عن طريق اللغة والكلمة .

وأوطانهم ومناهجهم وأساليبهم ، بَيْد أنهم في حاجة - مهما بلغ هذا التعدّد والتباين - إلى التنسيق الذي يرمي إلى إرغام الشرق الإسلامي على التغيير فكرياً ، والتبعيّة الاقتصادية التي تخدم الغرب بالدرجة الأولى .

ولا يتناف هذا التحليل في عمومه مع وجود حالات فرديّة تبدو غير واعية على هذه الأهداف والمرامي ، أو قد تبدو - ولو أمام نفسها على الأقل - محايدة متجرّدة ولكنها قد لا تسلم ولو في بعض مصادرها من تأثير التيار الاستشراقي العام الذي يحاول هو بدوره أن يفيد حتى من هذه الفئة بطرقه الخاصة .

وعلى العموم : بات الاستشراق بجميع تياراته واتجاهاته الفكريّة النفعيّة والحياديّة في حاجة ماسة إلى تعلم اللغة . فالذي اتصل منهم بالدوائر الاستعماريّة بشكل مباشر أو غير مباشر .. احتاج إلى العربيّة ليتمكن بها من التفاهم مع أهل المنطقة ولقراءة عاداتها وتقاليدها .. ورسم خططها .. وإعادة صياغتها في ضوء المصالح الاستعماريّة .. وكذلك من كانت لهم أغراض ثقافية دون أن تكون لدولهم طموحات عسكريّة بارزة بروز الأهداف التنصيريّة فقد احتاجوا إلى معرفة العربية للوقوف على معاني القرآن ، والحديث النبويّ ، والسيرة ، والتاريخ الإسلامي ، ثمّ لمعرفة واقع المجتمع الإسلامي نفسياً واجتماعياً ، وأفضل السُّبل لإدخال الثقافة البديلة إليه .

ولذا فقد بات لزاماً أن تُنفق الأموال الحكوميّة والكنسيّة في سبيل إجراء الدراسات العربيّة الصارمة الجادة في جميع المجالات . وقد غدت العربيّة سلاحاً أساسياً لجلّ المتخصصين في الدراسات الإسلاميّة - هذه هي السمات العامة للاستشراق التقليدي الجاد . وقد عرفت بعض الدول التي لا تُعَدّ عريقة في مجال الاستشراق - كأمريكا - نوعاً من المراكز التي تهتم بتجميع المعلومات وبخاصة ما يتعلق منها بتزويد وزراة الخارجيّة بتقارير عن الأوضاع السياسيّة والاقتصادية والحركات الفكريّة في البلدان الإسلاميّة . ولذا كان المجال مفتوحاً أمام جيش من الموظفين الذين يُستعان بهم في سبيل توفير هذه المعلومات دون أن يكونوا على معرفة بالعربيّة أو بغيرها من اللغات الشرقيّة [٣٥] . وقد انتشرت هذه الظاهرة في روسيا وكثير من الدول الغربيّة ، وهي شكل من مستلزمات التطوّر الذي أسفر عنه تاريخ الظاهرة الاستشراقية وإن كان كثير من المستشرقين ينكرون أن يكون هذا التطور وليد الحركة الاستشراقية .

وأحسب أن المستشرقين سيظلون في حاجة إلى العربيّة مادامت لهم أهداف ومصالح من أي نوع : تنصيرياً كان أو اقتصادياً ... أو سوى ذلك . وإنك لتلمس مظاهر هذه الحاجة في المشاريع اللغويّة (كتأليف المعاجم العربيّة الأوربيّة وبخاصة في مجال الإعلان والتجارة) التي تدعمها الشركات الأوربيّة .. في المعاهد اللغويّة التي تمولها الحكومات .. وفي الكتب والنشرات والمجلات التنصيريّة التي تغذيها الكنائس الأوربيّة .

وبَعْد ، فأحسب أن القارىء قد أخذ فكرة كافية عن تاريخ الصلة بين المستشرقين والعربيّة منذ أقدم العصور ... وأحسب أنه قد أدرك أهميّة أن تُبحث الظاهرة الاستشراقية من جذورها التاريخيّة والثقافية حتى

يتسنّى لنا أن نتفهّم واقعها ومستقبلها . وقد كان من مرامي هذا البحث أن يبيّن كيف أن بحث هذه الظاهرة ينبغي أن يتمّ في سياق الإطار التاريخي لعلاقة الإسلام بأوربا منذ كان هذا الاتصال إلى يومنا هذا ... كل هذا في سياق التوصل إلى أسباب سوء التفاهم سعياً وراء صيغة أفضل للكشف عن الحقيقة التي تمثّل الهدف المنشود الذي تسعى إليه البشرية شرقاً وغرباً – وفي كل اتجاه .

المراجع

١ – آربري

أ.ج. آربري ، المستشرقون البريطانيون ، تعريب محمد الدسوقي النويهي ، لندن ١٩٤٦ م .

٢ – بارت

رودي بارت ، الدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانية ، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٣ – بلاشير

ريجي بلاشير ، القرآن ، ترجمة رضا سعادة ، بيروت ١٩٧٤ م .

٤ – بيترغران

بيترغران ، الاستشراق المعاصر في الولايات المتحدة ، مقالة منشورة في عدد الاستشراق (٢) من سلسلة كتب الثقافة المقارنة ، بغداد ١٩٨٧ م (ص ٦٣ – ٧٠).

٥ – دانييل

Norman Daniel, Islam and the West Edinburgh, England 1980

٦ – ديتريش

ألبرت ديتريش ، الدراسات العربيّة في ألمانيا : تطورها التاريخي ووضعها الحالي ، فرانز شتاينر ، فيسبادن ١٩٦٢ م – ١٣٨٢ هـ .

٧ – رئيف خوري

رئيف خوري ، الفكر العربي الحديث ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٤٣ م .

٨ – رينو

جوزيف رينو ، الفتوحات الإسلاميّة في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي ، تعريب إسماعيل العربي ، الجزائر ١٩٨٤ م .

٩ – سوذرن

ريتشارد سوذرن ، صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة رضوان السيد ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ١٩٨٤ م .

١٠ – شمل

انظر الترجمة التي قامت بها أني ماري شمل لحياة يوسف فون هامر ، وهي منشورة في كتاب المستشرقون الألمان ، جمع صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٨٢ م (ص ٢٧ – ٣٨) .

١١ – فروند

Michaed Freund, Deutsche Geschichte Von Den Anfaengen Bis Zur Gegenwart, München 1979

١٢ – فوك

Johann Fück, Die Arabischen Studien in Europa Von 12. Bis in den Anfang des 19. Jahrhunderts in: Beitrage Zur Arabistik Semitistik und Islamwissenschaft. Leipzig 1944

١٣ – فيشر

هربرت فيشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩ – ١٩٥٠ م) تعريب أحمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة .

١٤ - لويس (تاريخ اهتمام الإنجليز)

برنارد لويس ، تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربيّة ، ست مقالات نشرت في « المستمع العربي » الطبعة الثانية .

١٥ - لويس (الغرب والشرق الأوسط)

برنادر لويس ، الغرب والشرق الأوسط ، تعريب نبيل صبحي (لم يُذكر الناشر ولا تاريخ النشر) .

الهوامش

(١) نشرت هاتان الدراستان ضمن سلسلة « دراسات لغوية » التي يصدرها المؤلف ، والدراسة الأولى منهما بعنوان : « المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغويّة » وهي تحمل الرقم (٢) من السلسلة ، والثانية بعنوان : « المستشرقون ومناهجهم اللغويّة – المنهج التاريخي ، والمنهج المقارن ، والمنهج الوصفي » رقم (٤) ، منشورات دار الملاحي للنشر ، إربد – الأردن .

(٢) انظر « رينو » ص ٤٢

(٣) وممن يعودون بالقبائل الوندالية إلى أصول أسيويّة طورانية ومنغولية ، ويقارنون بينهم وبين القبائل العربيّة ، وبالتالي بينهم وبين المسلمين في فتوحاتهم لأوربا ، المؤرخ الألماني « فرويند » ص ٧ ، ٣١ ، وأمّا المستشرق الفرنسي « رينو » ص ٢٨ فيشير إلى رأي بعض المؤرخين الذين يربطون بين الونداليين والشعوب المجرية . وعلى أي حال فإنّ « وندالين » تعني تلك الشعوب البدائية الوثنيّة التي كانت تجتاح أوربا بحثاً عن الغنائم والمراعي . كما أن المعنى الحرفي لكلمة Vandres تعني « المتشرّد » ، وهي في الألمانية Wandalen و Wander تعني الجوّال الذي يسوح هنا وهناك .

(٤) جاءت كلمة « مسلم » مرادفة في تاريخ أوربا لكلمات كثيرة يدل معظمها على الأخطاء التاريخية التي رافقت سوء الفهم الأوربي للحضارة الإسلاميّة ، وقد أطلق على المسلمين اسمُ : عرب ، وإسماعيليين (نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام) ، كما عرفوا بالسرازانيين (ويقال إن أصل هذه التسميّة مشتق من اسم سارة مع أن سارة لم تكن أم إسماعيل عليه السلام ، وأطلق عليهم اسم البدو .. والترك والبربر .. والأفارقة والوثنيين .. وفي مراحل سابقة دعوا بالرومان والإغريق ثم بالهراطقة ، ومن هذه التسميات الوندال ، والمجر . هذا غير الصفات البذيئة كأبناء الشيطان والحيوانات .

(٥) ومما يؤكد ذلك الخلط ماذكره « رينو » ص ٢٢١ : « وقد زعم كاتب التاريخ المنسوب إلى رئيس أساقفة تورين أنه يوجد في الأندلس على شاطىء البحر فوق عمود شديد الارتفاع صنم من البرونز صنعه محمد بنفسه ويعبده المسلمون ، وكذلك ادّعى فيلومين في تاريخه القصصي حول غزو شارلمان لمقاطعة لانجدوك أنه كان يوجد تمثال لمحمد مصنوع من فضة مذهبة في مدينة أربونه وُضع في معبد أثناء احتلال المسلمين لهذه المدينة . ومن جهة أخرى جاء في مسرحيّة بعنوان « ألعاب سانيكولا » كانت تلقى كثيراً من النجاح في العصور الوسطى .. إن أميراً مسلماً في أفريقيا كان يعبد صنماً اسمه تيرفاجنت Tervagant .. وأنه كان يغطي خديه بأوراق من الذهب حينما يحصل على حاجته .. وأخيراً فقد جاء في القصيدة الفرنسيّة التي تروي أعمال البطولة التي قام بها « رولان » أن سكان سرقسطة المسلمين وقع اختيارهم على مغارة لتكون معبد آلهتهم وأنهم نصبوا في هذه المغارة تمثالاً من الذهب في يده صولجان وعلى رأسه تاج ... واسم تيرفاجنت الذي يحرّف إلى تيرماجنت يتردد كثيراً مع اسم « أبو لين » في الروايات الخيالية الفرنسيّة القديمة وفي غيرها من كتب الأدب . وهذه الأسماء يُدّعى أنها آلهة إسلامية » .

فانظر مدى الجهل الذي شكّل عناصر الخلفيّة التاريخيّة الأوربيّة عن الإسلام في يوم من الأيام وما تزال آثاره !

(٦) « رينو » ص ٢٨ .

(٧) يقول « رينو » ص ٢٦ : « ومادام وصف « الوثنيين » يشمل المسلمين والرومان معاً فلا عجب أن يعزو أكثر من كاتب واحد من كتاب العصور الوسطى الآثار الرومانية الموجودة في « دوفيني » ، و « ليون » ، و « فيان » ، و « أورانج » إلى المسلمين – وأكثر من ذلك : فلا غرابة في أن تختفي أسماء الغزاة الآخرين وتستتر كلها وراء اسم المسلمين » .

(٨) « دانييل » ص ١ .

(٩) « رينو » ص ٢٢٣ .

(١٠) « رينو » ص ٥٥ .

(١١) المصدر نفسه ص ٥٧ .

(١٢) « رينو » ص ٢٤٦ .

(١٣) « بلاشير » ص ١٣ .

(١٤) « رينو » ص ٤٢ .

(١٥) « سوذرن » ص ١١٧ .

(١٦) « سوذرن » ص ١١٦ . وانظر حول « رامون لول » ما كتبه « فوك » (الدراسات العربيّة) ص ١٠٠ – ١٠٦ .

(١٧) مرّ بنا أن « رامون لول » كان يمثل اتجاهاً داعياً إلى التخلص من المسلمين بالقضاء عليهم ، وأمّا بطرس المبجل فيمثل الرأي الداعي إلى القضاء على خطر المسلمين بتنصيرهم . وقد أشار « بلاشير » ص ١٥ إلى جوهر الروح العدائية بين « لول » و « بطرس » حيث أشار إلى أن مبادرة بطرس إلى الترجمة « انبثقت عن ذهنية الحروب الصليبيّة ... » دليلنا على ذلك في الحماسة التبشيريّة عند ريمون لول » .

(١٨) « سوذرن » ص ٨٠ .

(١٩) « رينو » ص ٢٤٦ . وأودّ أن ألفت الانتباه إلى أن هذا ليس سياسة إسلاميّة . فمن المعلوم أن الرسول ﷺ أقرّ زيداً على تعلمه اللغة

العبريّة ولم ينكر الإسلام عموماً على أحد تعلّم لغة أجنبيّة . فالأمر متروك في تعلم هذه اللغات إلى ما تقتضيه مصلحة الأمة . وقد يكون تعلّم لغة أجنبيّة واجباً أو فرض كفاية لا يَسْقُطِ عن الأمة إلاّ أن تقوم فئة منها بمستلزمات هذا الفرض . وثمة أمر آخر ينبغي أن يشار إليه . وهو أن ثمة فرقاً بين أن يكون هذا هو موقف الإسلام ، والممارسات التاريخيّة التي قد يعتريها النقص والقصور .

(٢٠) انظر « فوك » (الدراسات العربيّة) ص ١٢٠ – ١٢٨ ، و « سوذرن » ص ٩٠ – ٩٤ .

(٢١) انظر « باريت » ص ٩ ، و « فوك » (الدراسات العربيّة) ٨٧ – ٩٣ .

(٢٢) انظر « دانييل » ص ٦٨ .

(٢٣) وفي هذا المقام يقارن « لويس » (الغرب والشرق الأوسط) ص ٣٨ بين الموقف الإسلامي والموقف الأوربي . قال : « وفي نظرة المسلمين هذه إلى الحضارة المسيحيّة ، والمسيحيّة نفسها تسامح وتساهل أكثر بكثير مما في نظرة أوربا المسيحيّة المعاصرة التي تنظر إلى الإسلام على أنه كله باطل وشرّ » .

(٢٤) انظر « فوك » (الدراسات العربيّة) ص ١٢٠ – ١٢٨ .

(٢٥) « سوذرن » ص ١٣٤ . وانظر « دانييل » ص ٢٧٨ .

(٢٦) « آربري » ص ١٢ .

(٢٧) « شمل » ص ٢٧ .

(٢٨) « ديتريش » ص ٨ .

(٢٩) « آربري » ص ١٠ .

(٣٠) « لويس » (تاريخ اهتمام الإنجليز) ص ٩ .

(٣١) « بلاشير » ص ١٧ .

(٣٢) « آربري » ص ١٤ .

(٣٣) « هربرت فيشر » ص ٥٥ .

(٣٤) انظر في هذا ما كتبه رئيف خوري في كتابه « الفكر العربي الحديث » حول الحملة الفرنسيّة وما أعد لها ودورها الخطير في الشرق .

(٣٥) « بيتر غران » ص ٦٤ .

(٣٦) انظر « بيتر غران » ص ٦٣ – ٧٠ .

لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات

■ الحضارة الاسلامية مضت عليها القرون الكثيرة وتعرضت لأزمات ومعوقات، بل لهجمات مدمرة وعداوات قاسية، لكنها استطاعت البقاء، وما ذلك الا بما كان يبقى فيها دائما من مبادىء الحق والخير والعدل التى بدونها لا يقوم نظام فى هذه الدنيا.

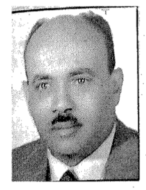
قد يعرض لها الركود أو الانكماش، لكنها كالكائن الحى الذى تكمن قوته فى داخله، تسكن تحت مجارى الاقدار وتصبر، حتى اذا تهيأت لها الظروف المواتية تفتحت وازدهرت من جديد.

هى حضارة متفتحة لتقبل كل الثمرات الروحية والعقلية والمادية لعناصر الحضارة الصحيحة، وهذا هو سر تجددها المستمر، وهى تقدر دائما على النقد والاختيار وتتغلب، كما يتغلب الجسم القوى، على كثير من العوارض والآفات، ومرجع قدرتها على البقاء الى أنها حضارة روحية عقلية اخروية دنيوية مادية علمية فلسفية.. بحيث تتمثل كل شىء وتحوله الى ذاتها العميقة، ولا يمكن استئصالها الا بازالة من يحملها ويتعهدها ويمثلها، وقد يجمع المسلم فى ذاته كل هذه العناصر.

هى حضارة تنتشر انتشارا تلقائيا، وتجد طريقها بوسائل بسيطة، لان روحها وأسسها الفكرية والأخلاقية تتجلى فى المسلم الحق البسيط فهو قد يكون سجينا عند الاعداء أو تاجرا او رحالة ينزل عند من لا يعرف الاسلام، فسرعان ما يدرك الناس روح الاسلام من مظاهره فى عبادته وفى سلوكه ومعاملته ثم لا يكاد يجتمع عدد من المسلمين حتى تربطهم الروابط التى تربط بين المؤمنين، من عبادة واخوة وتعاون فيضعون الأسس لتطور لا يتوقف.

«محمد عبد الهادى أبو ريدة»

فلسفة





بقلم :
الدكتور عاطف العراقى

تعد قضية الاستشراق من أهم القضايا الفكرية التي تثار الآن . وترجع أهميتها إلى أننا بقدر ما نجد أحكاما فيها نوع من الإنصاف لفكرنا العربي من جانب بعض المستشرقين فإننا نجد أحكاماً أخرى فيها نوع من التعسف والابتعاد عن الصواب من جانب مستشرقين آخرين ، وذلك في مجال فكرنا العربي على اختلاف أنواعه وميادينه ومن بينها الأدب والعلم والفلسفة وغيرها .

ونود في هذه الدراسة أن نركز على زاوية واحدة رئيسية ، وهي الزاوية الخاصة بفلسفة الاستشراق .

هذه الزاوية تعد على درجة كبيرة من الأهمية وخاصة إذا وضعنا في اعتبارنا أن موضوع الاستشراق قد أثير منذ منتصف القرن الماضي ، أي القرن التاسع عشر ، ومازال مثاراً حتى الآن . بالإضافة إلى أن العديد من الأحكام التي أطلقها أكثر المستشرقين في منتصف القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، قد جاءت أحكام أخرى تناقضها إلى حد كبير وذلك منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، وذلك على النحو الذي سنشير إليه خلال هذه الدراسة .

ويمكننا القول بأننا إذا كنا نجد بعض المستشرقين والباحثين الغربيين ممن ذهبوا إلى إنكار المجهودات التي قام بها مفكرو العرب فإننا نجد فريقاً آخر منهم قد ذهب إلى الدفاع عن أصالة الفكر العربي وإثبات المكانة الكبيرة التي احتلها مفكرو العرب في تاريخ الفكر العالمي .

فلنحاول الآن توضيح هذا الجانب الخاص بفلسفة الاستشراق حتى تتضح لنا الصورة كاملة :

لم يُسلِّم بعض المستشرقين بأهمية وأصالة الفلسفة العربية الإسلامية . ومعنى هذا أن قضية وجود فلسفة عربية ، لم تكن موضع اعتراف من جانب كل المشتغلين بها ، بل وُجدَ من المفكرين من وضع جدة وأصالة وأهمية الفلسفة الإسلامية موضع الشك بل الإنكار .

فمن المستشرقين من يرى أنه ليس في طبيعة العرب التفلسف وإبداع المذاهب الفلسفية ... ومنهم من يرى أنهم تأثروا بفلاسفة اليونان غاية التأثر ، بحيث إن فلسفتهم لا تخرج عما أبدعه فلاسفة اليونان من مذاهب وخاصة أرسطو والأفلاطونية المحدثة .

قلنا إن هناك نفراً من المستشرقين يرجع عدم تفلسف العرب إلى طبيعتهم . وقد توصل هذا

الفريق إلى ذلك بالتفرقة بين ما يزعمونه من تقسيم الناس إلى جنس آرى وجنس سامي – فالجنس الآري هو وحده القادر على التفلسف وإبداع المذاهب الفلسفية .. أما الجنس السامي فلا يستطيع ذلك – بحيث كان كل عمله هو نقل دائرة المعارف الفلسفية اليونانية وعدم الخروج عليها .

والواقع أن تقسيم الناس إلى ساميين وآريين هو ما فعله الباحثون في تاريخ اللغات في القرن التاسع عشر فيما يقول (مصطفى عبد الرازق) في تمهيده لتاريخ الفلسفة الإسلامية .

وإذا كان علماء اللغات قد فعلوا ذلك فإن بعض الباحثين في الفكر العربي حاول أن يعمم هذا القول بحيث يجعله مميزا لكل عقلية من العقليتين – أي أنهم جعلوا هذه التفرقة اللغوية أساساً للحكم على المباحث الفلسفية .

ومن المفكرين الذين يمثلون هذا الاتجاه أوضح تمثيل (أرنست رينان) E. Renan وإذا رجعنا إلى كتابه عن تاريخ اللغات السامية وجدناه يفرق تفرقة تامة بين جنس سامي وجنس آري . ثم نراه يقول في كتابه عن « ابن رشد والرشدية » لا يمكننا أن نجد عند الجنس السامي مذاهب فلسفية إذ أن هذا الجنس لم يثمر أي بحث فلسفي خاص – بحيث إن الفلسفة عند الساميين ما هي إلا مجرد اقتباس وتقليد للفلسفة اليونانية . وسنعود إلى مناقشة رأى Renan والذي تابعه فيه بعض الباحثين في الفكر الفلسفي العربي .

وليون جوتييه هو الآخر ذهب هذا المذهب – أي أنه يسلم بقضية الجنس الآري والجنس السامي . إنه يقول في كتابه : مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ... « إن الجنس السامي والجنس الآري يتجهان اتجاهين متضادين تماماً فالعقلية السامية تميل إلى قرن الأشباه والأضداد دون ربطها بما يجعل منها وحدة بل تتركها منفصلة عن بعض ، ثم لا تلبث أن تنتقل من إحداها إلى الأخرى دون واسطة بوثبة فجائية . أما العقلية الآرية فإنها على العكس من ذلك – إنها تتجه إلى الربط بين هذه وتلك بوسائط تدريجية بحيث لا تنتقل من طرف إلى آخر إلا بدرجات غير محسوس بها ، مثلها في ذلك مثل الألوان المذاب بعضها في بعض .

وهذا كله يعد امتداداً لدعوة Renan التي سبق أن أشرنا إليها .. دعوة التفرقة بين عقلية جنس سامي تمثل الفصل والمباعدة لا الجمع والتأليف .. وتدرك الجزئيات دون ترتيب وتناسق بحيث لا تتمكن من التوصل إلى القضايا الكلية والقوانين العامة – وإذا لم نتوصل إلى هذه القضايا الكلية والقوانين الشاملة فقد عجزنا عن تحقيق الأصالة والابتكار . أما العقلية الأخرى « عقلية الجنس الآري » فهي وحدها دون غيرها تحاول بفطرتها التأليف بين عناصر الأشياء بتناسق وترتيب ونظام يؤدي إلى الجمع وامتزاج العناصر ... ومن هنا تكمن القدرة على الدقة في البحث والتوصل إلى أعمق النتائج في الدراسات التي يقوم بها أصحاب الجنس الآري .

وإذا كان رينان ومن تابعه يصدرون حكمهم على الفلسفة العربية بالتفرقة بين جنس سامي وجنس آري فإن هناك نفراً من المستشرقين ذهبوا إلى أن عدم إبداع فلاسفة الإسلام للمذاهب الفلسفية يرجع إلى أسباب عديدة متنوعة – منها : كتاب المسلمين المقدس أي القرآن الكريم .. ومنها أن في طبيعة العرب التأثر بالأوهام ... وهذا التأثر بالأوهام يتنافى وإبداع المذاهب الفلسفية – إلى غير ذلك من دعاوي كثيرة .

والواقع أن هذه الدعاوي وما يدور في فلكها تعد دعاوي ظاهرها وباطنها التعصب دينيا . نعم تعصب جنسي لأن فيها تقليلا من شأن عقلية العرب – رغم أن المنصف لو أطلع على كتب فلاسفة الإسلام وعلماء العرب الذين بحثوا في الرياضيات والطبيعيات وغيرهما من علوم وفنون لعلم مبلغ الدقة التي توصلوا إليها .

وتعصب ديني : لأن فيها قولا بأن القرآن قد عاق العرب عن التفلسف . وهذا القول يعد قولا جائراً ، لأن القرآن يحث في أكثر آياته على التأمل والبحث والنظر في جنبات الكون .

● ● من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

● ● وقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ .

● ● وقوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ .

أما عن رينان Renan فإنه غير محق في أشياء كثيرة منها إلقاء اللوم على فلاسفة العرب للأخطاء التي حدثت في الترجمات عن اليونانية على النحو الذي نجده عند بعض فلاسفة العرب حين نسبوا آراء لأرسطو لم يقل بها بل قال بها أفلوطين في كتابه التاسوعات . إن اللوم يجب أن يلقى إلى حد كبير على المترجمين لا على فلاسفة العرب الذين اعتمدوا على هذه الترجمات التي وصلت إليهم – بالإضافة إلى أن عصرهم لم يكن فيه ما عندنا الآن من وسائل النقد العلمي الدقيق والذي بواسطته نميز بين كتب الفيلسوف وكتب غيره .

والواقع أن رينان Renan يتناقض مع نفسه في بعض الأحوال . انه في الوقت الذي يطلق فيه أحكامه على فلسفة مفكري العرب يقول في معرض دراسته لآراء ابن رشد الفيلسوف الأندلسي : إن ابن رشد إذا كان لم يطمح إلى مكانة أفضل من مكانة الشارح لآراء أرسطو فإننا – فيما يقول رينان نفسه – يجب ألا ننخدع بهذا التواضع من جانب ابن رشد إذ أن العقل البشري يطالب باستقلاله ، وإذا ما قيدناه بنص من النصوص عرف كيف يجد حريته في تفسير هذا النص وتكوين رأي حوله » [1].

- يذهب [رينان] إلى أن الجنس السامي لم يثمر أي بحث خاص به وما الفلسفة عند الساميين الا مجرد اقتباس وتقليد للفسلفة اليونانية .
- يدعي ليون جوتييه أن العقلية السامية تنتقل نقلات فجائية بين الأشباه والأضداد من غير ربط بينها .. وهو عقل لا يعرف العمق والتحليل الدقيق .

قلنا إن رينان يقيم دعوته الجائرة على التفرقة بين جنس آري وجنس سامي ، بيد أن هذه الدعوى لم يعد لها مكان في القرن العشرين بعد النفوذ الواسع الذي كان لها في القرن التاسع عشر . فهذا بول ماسون أورسيل يقول : « لقد ساد في القرن التاسع عشر اعتقاد بوجود عناصر وأجناس مختلفة ينقسم إليها الناس لكن العنصرية مهما اشتدت الآن أصبحت مقصورة على مجرد وضع سياسي ... ولا نريد معارضة ما جاء به علم الأجناس البشرية من الأسانيد المدعمة فيما يتعلق بتعيين الأشكال المتميزة إلا أننا نعلم علم اليقين أنه لا وجود للعناصر النقية إلا في بعض حالات التحديد – وعلى ذلك فالأمر خارج عن طور التجارب [٢] .

ومعنى هذا أن الفروق بين الأجناس لا وجود لها – فيما يقول ماسون أورسيل – إلا في الميدان اللغوي ، بحيث تستند العنصرية إلى مقياس لغوي لا مقياس جنسي .

ننتهي بعد عرض آراء نفر من المستشرقين إلى القول بأن الكثير من القضايا والأحكام والاتهامات التي وجهت إلى الفلسفة الإسلامية « العربية » قد تلاشت أو في طريقها إلى الزوال – ذلك لأن هذه القضايا والاتهامات والأحكام لم تقم على جذور ثابتة من البحث العلمي النقدي الدقيق بل قام أكثرها على الهوى والعصبية الجنسية أو الدينية فهناك مشكلات خاصة بالفلسفة الإسلامية دون غيرها من الفلسفات السابقة عليها والتالية لها .. كما أنه ليس من المناسب إطلاقاً أن نقول إن عجلة الفكر الفلسفي قد توقفت فترة ونحدد هذه الفترة بأنها الفترة التي وجد فيها فلاسفة العرب .. العجلة كانت دائرة وفي دورانها أنتجت لنا العديد من الثمرات الفكرية الرائعة . كما أن هناك آراء قال بها فلاسفة العرب ولم يسبقهم إليها فلاسفة اليونان .. وإذا كان فلاسفة العرب قد تأثروا بفلاسفة اليونان فإن هذا التأثر يعد في حد ذاته مظهراً من مظاهر الصحة لا مظاهر المرض – فمن من المفكرين لم يتأثر بغيره . إن الصحيح إلى حد كبير جداً أن نقول مع (ول ديوارانت) في معرض دفاعه عن ابن سينا : إن نزلاء المستشفيات العقلية هم وحدهم الذين لا يتأثرون بعقول غيرهم .

ولكي ندلل على أن أكثر أحكام المستشرقين والتي قامت على فلسفة معينة ، فلسفة خاصة بالاستشراق ، والتي تتبلور حول التمييز بين الجنس السامي (العرب) والجنس الآري (الجنس الأوربي) ، فإننا نود أن نشير إلى أحكام بعض المستشرقين والباحثين حول قضايا التصوف ، وهو الذي يعد معبرا عن جانب من جوانب فكرنا الفلسفي الإسلامي .

إننا نجد مجموعة من المستشرقين قد ذهبوا إلى القول بأن التصوف يرجع إلى مصدر فارسي . لقد ذهب أمثال (دوزي .. وثولك) إلى القول بأن التصوف قد وصل إلى المسلمين عن طريق فارس .. وأن المسلمين قد استفادوا في هذا المصدر الفارسي – القول بأن العالم لا وجود له في ذاته وأن الموجود الحقيقي هو الله تعالى . وهذه جوانب نجدها عند بعض صوفية الإسلام .

ولكن ليس معنى ذلك أن التصوف يرجع أساساً إلى هذا المصدر الفارسي – ودليلنا على ذلك أننا إذا كنا نجد بعض الصوفية من أصل فارسي .. كأبي يزيد البسطامي .. ومعروف الكرخي .. فإننا نجد أيضاً مجموعة من الصوفية العرب ومنهم .. أبو سليمان الداراني .. وذو النون المصري .. وابن عطاء الله السكندري .. ومحي الدين بن عربي ..

وإذا كنا قد أشرنا إلى أن الصوفية الذين يرجعون إلى أصل فارسي إنما كانت نشأتهم بعد ظهور النبي والصحابة والتابعين .. فإننا إذن بناء على ذلك لابد أن نضع في الاعتبار تأثر هؤلاء الصوفية بزهد وتعبد الرسول ﷺ والصحابة عليهم رضوان الله .

وننتهي في هذا إلى القول بأنه من الصعب أن نوافق المستشرقين على رأيهم الذي يرجع التصوف إلى مصدر فارسي .

أما القول بأن التصوف الإسلامي يرجع إلى مصدر مسيحي فإن هذا القول بدروه لا يمكن أن يعد صحيحا . صحيح أننا قد نجد بعض أوجه الشبه بين مسلك وحياة بعض الزهاد والصوفية وبين حياة السيد المسيح والرهبان ، إلا أن هذا الشبه لا يؤدي بنا إلى رد التصوف الإسلامي إلى مصدر مسيحي وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن فريقا من الزهاد والعباد كإبراهيم بن أدهم كان لهم بعض أوجه العمل في الدنيا والقيام ببعض أوجه النشاط .

صحيح أننا نجد بعض المصطلحات المسيحية عند بعض صوفية الإسلام كاللاهوت والناسوت وغيرهما من مصطلحات ولكننا يجب أن نضع في الاعتبار أن هذه المصطلحات لم تظهر بصورة واضحة وحاسمة إلا في وقت متأخر ـ نسبياً – أي بعد استقرار الزهد والعبادة وهما يعتبران مؤديان إلى نشأة التصوف الإسلامي (٣) .

وإذا كنا نجد من الباحثين من يرجع التصوف إلى مصادر فارسية تارة ومصادر مسيحية تارة أخرى – فإننا نجد نفراً من الباحثين يرد التصوف إلى مصدر هندي وفي هؤلاء هورتن وهارتمان – فهما يذهبان إلى أن التصوف الإسلامي يستمد أصوله من الفكر الهندي ... بل إننا نجد حججاً كثيرة عند هارتمان لإثبات أن التصوف الإسلامي يمكن إرجاعه إلى مصدر هندي . ومن بين هذه الحجج أننا نجد كثيراً من الصوفية من أصل غير عربي كالبسطامي وإبراهيم بن أدهم على سبيل المثال . بالإضافة إلى أن المسلمين أنفسهم كالبيروني على سبيل المثال يعترف بذلك – أي يعترف بالأصل الهندي وذلك في كتابه « تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » حين عقد مجموعة من المقارنات بين عقائد الهنود من جهة وأفكار صوفية الإسلام من جهة أخرى . إن فكرة الرضا أو مقام الرضا من المقامات التي تحدث عنا صوفية الإسلام نجدها عند الهنود بالإضافة إلى استعمال السبح عند الصوفية – يضاف إلى ذلك أن التصوف قد انتشر بل ظهر في البداية في خراسان .

بيد أن هذه الحجج كلها لا تؤدي بنا إلى إرجاع التصوف الإسلامي إلى مصدر هندي خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن الصوفية كانوا مسبوقين بمجموعة من الزهاد والعباد . وأقوال هؤلاء الزهاد والعباد تدلنا على استفادتهم أساسا من الآيات القرآنية .

هذا عن المصدر الهندي ، أما بالنسبة للمصدر اليوناني – أي رصد التصوف الإسلامي إلى مصدر يوناني فإننا نجد بعض الباحثين يرجحون القول به .. ومنهم أوليسري . إن هؤلاء الباحثين يضعون في الاعتبار التصوف الفلسفي عند أفلوطين وذهابه إلى أن المعرفة تدرك بالمشاهدة حين الغيبة عن النفس وعن العالم المحسوس – ولا شك أن العرب قد عرفوا فلسفة أفلوطين عن طريق كتاب أثولوجيا أرسطو طوليس الذي نسب خطأً إلى أرسطو في حين أنه مجموعة من مقتطفات التاسوعة الرابعة .. والتاسوعة الخامسة .. والتاسوعة السادسة .. وقد أطلق العرب على أفلوطين اسم الشيخ اليوناني .

بيد أن هذا كله يجب ألا يؤدي بنا إلى إرجاع التصوف الإسلامي إلى مصادر يونانية عامة وأفلاطونية محدثة على وجه الخصوص – إذ أننا يجب أن نضع في الاعتبار أن صوفية الإسلام إذا كان قد تأثر بعضهم بالمصادر اليونانية فإن ذلك كان في وقت متأخر أي لم يكن واضحاً وظاهراً في القرون الأولى للتصوف .



- هناك مجموعة ادعاءات تدور حول تفوق العقل الآري على العقل السامي بما يتسم به من دقة وعمق واختراع ، ونزوع إلى الجديد .
- استغل بعض المستشرقين التفرقة العرقية ليرتفعوا عن عمد وقصد بالجنس الآري وما يتميز به من عقل متفتح ، ويحطوا من قدر الجنس السامي .

عرضنا فيما سبق لكثير من الآراء حول مصادر التصوف الإسلامي . وقد تبين لنا كيف أن بعض المستشرقين قد أرجع التصوف إلى مصادر غير إسلامية سواء كانت تلك المصادر مصادر يونانية أو فارسية أو هندية .

وقد أشرنا إلى أننا إذا كنا نجد تشابهاً بين بعض الآراء التي قال بها مجموعة من الصوفية وبين آراء ترجع إلى مصادر أجنبية ، فإن هذا لا يعني أن التصوف في الإسلام يرجع أساساً إلى مصدر من هذه المصادر الأجنبية – صحيح أن بعض صوفية الإسلام قد استفادوا من هذه المصادر الأجنبية ولكنهم قد استفادوا أساساً وبصورة رئيسية من المصدر الإسلامي – يضاف إلى ذلك أن نشأة التصوف في الإسلام إنما تمثلت في الزهد والعبادة ومن الصعب إرجاع الزهد والعبادة إلى مصادر غير إسلامية . كما أننا إذا كنا نجد تشابهاً بين بعض آراء الصوفية في الإسلام وآراء أتت من مصادر غير إسلامية فإننا لابد أن نضع في الاعتبار أن هذا التشابه نجده بصورة رئيسية في التصوف الفلسفي أكثر مما نجده في التصوف السني .

إن المستشرق الفرنسي ماسينيون على سبيل المثال قد ذهب وهو بصدد البحث في مصادر المصطلحات الصوفية إلى أننا نجد هذه المصادر الخاصة بالمصطلحات .. تتمثل في القرآن الكريم .. وفي بعض العلوم العربية الإسلامية كالحديث والفقه .. وفي الألفاظ والمصطلحات التي استعملها المتكلمون .. وأيضاً في تلك اللغة العلمية التي تكونت عبر قرون طويلة من لغات عديدة كاليونانية والفارسية .

ومعنى هذا أننا لابد أن نضع في اعتبارنا أن التصوف في الإسلام إنما يرجع أساساً إلى استفادة الصوفية من الكتاب والسنة .

لعله قد تبين لنا الآن كيف أن بعض المستشرقين قد جانبوا الصواب حين أصدروا العديد من الأحكام حول فكرنا العربي دون أن يدركوا من جانبهم عظمة هذا الفكر وأثره البالغ على أوربا أيام كانت تعيش في عصور الظلام وحتى الآن .

وإذا كانت هذه الدعوى التي تذهب إلى أن الدين الإسلامي الذي يعتنقه فلاسفة العرب يعوق حرية الفكر ولا يشجع على النظر العقلي – إذا كانت هذه الدعوى تعد خاطئة فإن الزعم بوجود فوارق بين الأجناس بمعنى القول بأن العرب الذين يرجعون إلى الجنس السامي لا يستطيعون بحكم طبيعتهم أن يبتدعوا فلسفات جديدة بعكس الأوربيين الذين ينحدرون عن الجنس الآري . نقول إن هذه الدعوى التي يرددها بعض المستشرقين والتي تعتمد على التمييز بين طبيعة عقلية سامية وطبيعة عقلية آرية تعد خاطئة أيضاً إذ أن مصدرها التعصب الجنسي .

• الدراسة الأمنية الصادقة لنتاج العقل العربي في مجالات الطب والكيمياء والفلك والرياضيات والطبيعيات وغيرها تؤكد وتبرهن مبلغ الدقة والإتقان التي توصل إليها هذا العقل .

• حركة الترجمة التي قام بها المسلمون تقوم دليلاً على تفتح العقلية المسلمة وإفادتها من كل ما يمكن أن يضيف جديداً واستيعابه .

لهذا وجدنا الكثير من المفكرين أمثال بول ماسون أو رسيل فيما سبق أن أشرنا – يتجهون إلى إبطالها من بعض زواياها .

وإذا كان هناك من المستشرقين من زعم بأن العرب لم يفعلوا في حقل الفلسفة شيئا إلا نقلهم دائرة المعارف اليونانية فإن هذا الزعم لا يستند إلى أساس صحيح ... إن مفكري العرب قد تأثروا بمفكري اليونان هذا لا جدال فيه ولكن صحيح أيضا أن مفكري العرب قد أثروا بدورهم الحياة العقلية ثراء منقطع النظير ... إنهم أضافوا إلى دائرة المعارف اليونانية إضافات جديدة ... إنهم قد توصلوا إلى آراء وحلول جديدة خاصة بهم – وذلك يرجع إلى أن للفلسفة العربية قضاياها ومشكلاتها الخاصة بها والتي لم تعرف عند مفكري الإغريق .

وإذا كان فلاسفة العرب قد تأثروا كثيراً بالتراث الفلسفي اليوناني فإن هذا يعد شيئاً طبيعياً إلى حد كبير – أي أنه يعد مظهراً من مظاهر الصحة لا من مظاهر المرض فالفلسفة اليونانية نفسها قد تأثرت بالعلوم الشرقية كما أخذ كل فيلسوف عن غيره ... ففيثاغورث قد تأثر بعلوم الشرق .. وأفلاطون – فيما يقول المؤرخون – قد زار مصر القديمة وأعجب بمعارف الشرق .. كما تأثر أرسطو بسابقيه تأثراً كبيراً .. وفلاسفة العصر الحديث قد تأثروا بفلاسفة اليونان .

وعلى هذا فلا توجد أصالة خالصة في كل زواياها . بمعنى أن كل فيلسوف قد تأثر بغيره . ويمكن أن نجد عند الكثير من الفلاسفة بعض العناصر التي استقوها عن الذين سبقوهم .

يقول ول ديورانت في كتابه « عصر الإيمان » في قصة الحضارة إن كتابي الشفاء والقانون من الكتب الخالدة على مر الزمان .

فالفلسفة العربية لها موضوعاتها التي تختلف في بعض زواياها عن موضوعات الفلسفة اليونانية إذ أن الفلسفة الإسلامية قد تأثرت دون شك بالبيئة التي نشأت فيها والتربة التي نمت عليها أو ترعرعت . وحينما انتقل تراث فلاسفة اليونان وخاصة أرسطو إلى مفكري العرب وأدركوا ما في مذهبه من نقص وما فيه من مسائل تخالف العقيدة الإسلامية وما فيه أيضاً من مسائل تركها أرسطو دون حل قاطع – من هنا بدأ فلاسفة العرب سد الثغرات التي وجدوها في مذهب أرسطو . ونظراً لإعجابهم الكبير بأرسطو وغيره من الفلاسفة نراهم يحاولون الدفاع عن الفلسفة قائلين إنها لا تتنافى مع الدين – ومن هنا نشأ موضوع .. التوفيق بين العقل والوحي .. أو بين الفلاسفة والدين .. وحتى تبدو الفلسفة وكأنها لا تخالف العقيدة الدينية .. وحتى لا يجد بعض المفكرين مجالاً للطعن في الفلسفة ومحاولة تصويرها بأنها تخالف العقيدة الإسلامية ... لقد حدث امتزاج عجيب بين فكر فلسفي يوناني وفكر طابعه وجوهره الديانة الإسلامية ، ولا شك أن الدارس المقارن بين الفكر الفلسفي اليوناني والفكر الإسلامي يجد أن المسلمين قد واجهوا مشكلات جديدة لم يثرها باستفاضة فلاسفة اليونان .



❁ ❁ فلاسفة العرب إذن قد وجهوا لحد كبير إلى بحث مشكلة التوفيق بين العقل والنقل ، وقد قيل إن هذه المشكلة معقد الطرافة في الفكر الفلسفي الإسلامي وإنها تميز هذا الفكر عما عداه . ولسنا الآن بصدد الرد على هذا القول ونكتفي بأن نذكر بأنه على الرغم من أن محاولة التوفيق هذه لم يقدر لها النجاح أحياناً بالإضافة إلى ما فيها من تعسف وتأويل لا يسمح به نص أرسطو - على الرغم من هذا كله فإن فلاسفة العرب حين حاولوا التوفيق بين دينهم الذي يدينون به وبين الفلسفة اليونانية فإن هذا في حد ذاته يعد سمة تميز بها الفكر الإسلامي ولا نجدها بين ثنايا أبحاث الفكر اليوناني .

ننتهي بعد هذا كله إلى التأكيد على القول بأن هناك فلسفة عربية لها قضاياها ولها مناهجها ومشكلاتها التي تختلف في قليل أو في كثير عن قضايا ومناهج ومشكلات الفلسفة اليونانية .

والواقع أن هذه الاتهامات التي شاعت في القرن التاسع عشر ، قد أثبت البحث العلمي الدقيق خطأها من أساسها ، ووجد من المستشرقين والباحثين الغربيين ممن دافعوا عن أصالة الفلسفة الإسلامية وأثبتوا المكانة الكبيرة التي احتلها فلاسفة العرب في تاريخ الفكر الفلسفي العالمي .

لقد ذهب الباحثون المنصفون إذن إلى أن دراسة كتب المتكلمين والفلاسفة الإسلاميين ومتصوفة الإسلام « دراسة دقيقة » لابد وأن تؤدي إلى التسليم بجدة وطرافة الفلسفة الإسلامية ، وأن هذه الفلسفة لها موضوعاتها ومجالاتها التي تختلف في طبيعتها عن موضوعات ومجالات الفلسفة اليونانية . صحيح أن فلاسفة الإسلام قد تأثروا بالفلسفة اليونانية ولكنهم تأثروا أيضاً بالمصدر الديني الإسلامي بحيث كان هذا المصدر - كما سنرى - من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها فلاسفة العرب .

ولا نريد الإطالة في هذا الموضوع إذ ليس من المناسب ونحن في أواخر القرن العشرين أن ندافع عن الفلسفة العربية ونرد على الاتهامات التي وجهها نفر من المستشرقين إليها نظراً لأن الكثير من هذه الاتهامات إن لم يكن كلها قد أصبحت متهافتة متناقضة بعد الدراسات العميقة التي قام بها الكثير من الدارسين المنصفين سواء في الشرق أو في الغرب والتي أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك الكثير من العناصر الجديدة والأصيلة والعديد من القضايا الفلسفية التي اختص بها فلاسفة العرب دون غيرهم ممن سبقهم من فلاسفة اليونان .

هذا يعني أن فلسفة الاستشراق التي تقوم على التمييز بين طبيعة عقلية الجنس السامي وطبيعة عقلية الجنس الآري تعد أيضاً آراء خاطئة .

وهذا لم يكن من الغريب أن نجد كما سبق أن أشرنا كثيراً من الكتاب أمثال (بول ماسون أورسيل) يتجهون إلى أبطالها من بعض زواياها ويذهبون إلى أنها آراء لا أساس لها إذ لا فرق بين الشعوب في التفلسف ، والتفكير الفلسفي يعد خطأً مشتركاً بين الناس جميعا شرقاً وغرباً .

نضيف إلى ذلك قولنا بأن الفلسفة الإسلامية يكفيها فخراً أنها أنارت عقول مفكري أوربا في وقت كانت فيه أوربا تعيش في ظلام الجهل . لقد لجأت أوربا إلى مفكري الإسلام تأخذ عنهم تراث اليونان بالإضافة إلى تأثرها ببعض أفكار هؤلاء المفكرين وذلك عندما ترجمت كتبهم من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية . وإن دل ذلك على شيء فإنما يدلنا على أهمية ما تركه فلاسفة الإسلام من تراث عميق غاية العمق .

نتتهي من هذا كله إلى التأكيد على القول بأن هناك فلسفة إسلامية .. لها قضاياها .. ولها مناهجها .. ولها مشكلاتها .. التي تختلف في قليل أو في كثير عن قضايا ومناهج ومشكلات الفلسفة اليونانية . وهذه كلها جديرة بأن يشتغل بها ويبحث فيها دارسوالفلسفة سواء في الشرق أو في الغرب لأنها تعد - كما قلنا - حلقة من حلقات التراث الفلسفي الإنساني العالمي .

وقبل أن نتحدث عن مجالات الفلسفة الإسلامية والتي أنكر وجودها نفر من المستشرقين نود أن نشير إلى أن فلاسفة الإسلام إذا كانوا قد استفادوا استفادة كبيرة من المصدر الديني الإسلامي بحيث كان هذا المصدر من المصادر الأساسية التي شكلت وبلورت الكثير من آرائهم فإنهم استفادوا أيضا من المصادر الخارجية الأجنبية وخاصة المصدر اليوناني ، استفادة كبيرة - . ولكي نتعرف على هذا الجانب لابد أن نشير بإيجاز إلى حركة الترجمة - أي تلك الحركة العظيمة التي عن طريقها استطاع فلاسفة الإسلام التعرف على أفكار اليونان وفلاسفتهم وبحيث خرجوا بعد ذلك بفلسفات جديدة تنفي اتهامات كثير من المستشرقين وتهدم الأساس الذي قامت عليه فلسفة الاستشراق .

يمكننا القول بأن حركة الترجمة قد انتشرت انتشاراً واسعاً أيام العباسيين بل يمكن أيضاً أن نجد عند الأمويين اهتماماً بالترجمة . فيروي عن الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية أنه أمر بترجمة كتب الكيميا من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية . ومما يدلنا على ذلك ما يقوله ابن النديم في كتابه « الفهرست » . فهو يقول : كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان .. وكان فاضلاً في نفسه .. وله همة ومحبة للعلوم .. خطر بباله الصنعة (الكيميا) فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مصر وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة .

● ولكن حركة الترجمة أيام الأمويين كانت محدودة وغير مزدهرة ، أما في أيام العباسيين فقد انتشرت حركة الترجمة انتشاراً واسعاً ، إذ بدأ العمل المنظم في نقل كتب مفكري اليونان في الطبيعة والطب والمنطق وغير ذلك من علوم وفلسفات .

ونود أن نشير إلى أنه كان يوجد الكثير من المترجمين - ومن بينهم .. يوحنا أو يحيى البطريق .. وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي .. وقسطا بن لوقا البعلبكي .. وحنين بن إسحق .. وإسحق بن حنين .. وحبيش بن الحسن .. وأبو بشر متى بن يونس .. وأبو زكريا يحيى بن عدى المنطقي .. وأبو علي عيسى بن إسحق بن زرعة ..

وإذا كان بعض المترجمين قد وقعوا في قليل من الأخطاء وخلطوا بين المدارس الفلسفية اليونانية فإننا لا نستطيع



- هناك آراء قال بها فلاسفة العرب لم يسبقهم إليها فلاسفة اليونان .
- إذا كان الفلاسفة العرب قد تأثروا بالفلسفة اليونانية فإنهم قد استوعبوها وزادوا عليها .

أن ننكر أنهم قاموا بجهد كبير في عملهم وأدوا عملهم هذا على خير وجه تحت تشجيع ورعاية الخلفاء العباسيين وخاصة بعد إنشاء بيت الحكمة الذي احتوى كتبا وضعت بلغات شتى .. يونانية ، وفارسية ، وهندية .. وكانت الترجمة في بدايتها تتم من اللغة اليونانية إلى السريانية - لكن بعد ذلك أمكن نقل الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية مباشرة . وقد استطاع فلاسفة الإسلام باعتمادهم على هذه الترجمات معرفة آراء .. المدرسة الأيونية .. والمدرسة الإيلية .. وآراء فيثاغورث والسوفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو .. كما عرفوا آراء أفلوطين وأطلقوا عليه اسم الشيخ اليوناني .

أما عن تحديد مجال الفلسفة الإسلامية فإننا نود أن نشير إلى أننا إذا أردنا تحديد مجال الفلسفة الإسلامية فإننا نجد خلافا بين الباحثين حول تحديد مجال الفلسفة الإسلامية .

فقد نفهم الفلسفة الإسلامية بمعنى الآثار التي تركها لنا فلاسفة عاشوا في المشرق العربي كالكندي والفارابي وابن سينا ... وفلاسفة عاشوا في المغرب العربي كابن باجه وابن طفيل وابن رشد .

وقد نضم داخل دائرة الفلسفة الإسلامية متكلمي الإسلام على اختلاف فرقهم .. كالخوارج والشيعة والمرجئة والجبرية .. والمعتزلة من أمثال : واصل بن عطاء وأبي الهذيل العلاف وإبراهيم بن سيار النظام .. والأشاعرة من أمثال : أبي الحسن الأشعري مؤسس فرقة الأشاعرة والجويني والباقلاني وعبد القاهر البغدادي .

فأكثر هذه الفرق الكلامية وخاصة المعتزلة والأشاعرة قد قدمت لنا فكراً يعبر عن المزج بين المصادر الإسلامية والمصادر الخارجية اليونانية ... لقد استفادوا استفادة كبيرة من آيات القرآن الكريم وبذلوا جهدهم في تأويل هذه الآيات بل إن هذا المصدر الديني كان واضحاً منذ بداية نشأة المعتزلة . فلو رجعنا إلى كتاب الملل والنحل للشهرستاني وجدناه يقول : إن واصل بن عطاء مؤسس الفرقة حين اختلف مع أستاذه الحسن البصري في قضية مرتكبي الكبائر ، اعتزل مجلسه واستقل في زاوية من زوايا المسجد يلقي الدروس وحوله بعض الناس ومنهم عمرو بن عبيد الذي كان عضواً بارزاً من رجال المعتزلة . وعندئذ قال الحسن البصري : اعتزل عنا واصل . فسمى هو وأصحابه بالمعتزلة .

ويقول البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق » : إن المعتزلة سميت بهذا الاسم لاعتزالها قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر .

وما يقال عن المعتزلة يقال أيضاً عن الأشاعرة . إن الأشعري الذي التحق في بداية حياته بالمعتزلة ودرس أصول الاعتزال على الجبائي الذي يعد من أشهر رجال المعتزلة في تلك الفترة قد خرج بعد ذلك على المعتزلة . وقد يكون خروجه راجعاً إلى أسباب دينية .

وإذا كنا نجد عند الفرق الإسلامية مصادر إسلامية لفكرهم فإننا نجد أيضاً عندهم استفادة من المصادر الأجنبية

ومنها المصدر اليوناني الذي ظهر عند المعتزلة وخاصة المتأخرين منهم . ويبدو ذلك واضحاً في أصولهم الخمسة التي قالوا بها وهي التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . إن الاستفادة من المصادر الخارجية تبدو واضحة عند المعتزلة المتأخرين بصفة خاصة .

علم الكلام إذن له علاقة وثيقة بالفلسفة : إذ أنه اصطبغ بها وتأثر بعلومها تأثراً كبيراً وقد ذهب إلى ذلك كثير من الباحثين – منهم ابن خلدون في مقدمته إذ رأى أن مسائل علم الكلام قد اختلطت بالفلسفة بحيث لا يتميز واحد منهما عن الآخر . وأشار إلى ذلك أيضاً عضد الدين الأيجي في كتابه « المواقف » .. والبيضاوي في كتابه « الطوالع » ... كما ذهب إلى ذلك الرأي بعض الباحثين والمستشرقين الأوربيين أمثال : جولد زيهر في كتابه « العقيدة والشريعة في الإسلام » ورينان Renan في كتابه « ابن رشد والرشدية » .

ونود أن نشير إلى أننا إذا كنا نجد ارتباطاً بين علم الكلام وبين الفلسفة إلا أننا لابد أن نضع في الاعتبار اننا نجد خلافاً بينهما من حيث المنهج ومن حيث الموضوع أيضاً .

وقد ندخل في دائرة الفلسفة الإسلامية ، متصوفة الإسلام سواء كانوا من أصحاب التصوف السني أو كانوا من أصحاب التصوف الفلسفي صحيح أننا لا نجد استفادة ظاهرة عند أصحاب التصوف السني أو من جانب الزهاد والعباد بالمصادر الخارجية ، ولكننا نجد استفادة من جانب المعبرين عن التصوف الفلسفي حين دراستهم للحلول والاتحاد ووحدة الوجود والبقاء والفناء ، وإن كان المنهج الذي يسير فيه الفلاسفة غير المنهج الذي يسير فيه الصوفية والذي يعد منهجاً يعتمد على الجانب القلبي الذوقي الوجداني .

وقد ندخل في دائرة الفلسفة الإسلامية ، علم أصول الفقه والذي يسمى أيضاً بعلم أصول الأحكام . وهذا العلم في رأي بعض الباحثين يتضمن بعض المبادىء الكلامية ... ومن هؤلاء الباحثين الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي يقول في كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » : إنه إذا كان لعلم الكلام ولعلم التصوف من الصلة الفلسفية ما يسوغ جعل اللفظ شاملاً لهما ، فإن علم أصول الفقه المسمى أيضاً علم أصول الأحكام ليس ضعيف الصلة بالفلسفة ، ومباحث أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس المباحث التي يتناولها علم أصول العقائد الذي هو علم الكلام ، بل إنك لترى في كتب أصول الفقه أبحاثاً يسمونها « مبادىء كلامية » هي من مباحث علم الكلام .

وقد نضم أيضاً داخل دائرة الفلسفة الإسلامية ، الجانب العلمي من بحوث مفكري وفلاسفة العرب إذ أن علاقة الفلسفة بالعلم تعد علاقة وثيقة وخاصة ... إذا وضعنا في الاعتبار أن الفلسفة وخاصة في العصر القديم والعصر الوسيط كانت تبتلع كل العلوم في جوفها وذلك على أساس أنها تتضمن العلوم النظرية والعلوم العملية ... وإذا وضعنا في الاعتبار أيضاً أن أكثر فلاسفة العرب كانوا بالإضافة إلى كونهم فلاسفة علماء : فالكندي مثلاً قد برع في الرياضيات وله رسائل كثيرة في الطبيعيات .. وابن سينا كان عالماً وألف كتاباً من أعظم الكتب في مجال الطب وهو كتاب القانون – بالإضافة إلى رسائل كثيرة في الجوانب الطبيعية .. وابن رشد الفيلسوف المغربي الأندلسي له العديد من الكتب والرسائل في مجال الطب وعلى رأسها كتابه القيم « الكليات » .

يضاف إلى ذلك : أننا نجد مجموعة من أعظم العلماء تركوا بصمات واضحة في كل فرع من فروع العلم ومنهم على سبيل المثال : الحسن بن الهيثم في مجال الرياضيات .. وجابر بن حيان في مجال الكيمياء .. والبيروني في مجال علم الفلك – أي علم الهيئة .. وغيرهم كثيرون .

لعله قد تبين لنا الآن وخاصة بعد أن أكدنا على وجود مجالات كثيرة لفكرنا العربي وخاصة الجانب الفلسفي والعلمي منه ، أن الفلسفة التي قامت عليها الدعوة الاستشراقية تعد فلسفة لا أساس لها . فلسفة أضعف من خيط العنكبوت ، إن كل يوم يمر علينا الآن يبين لنا أن العرب هم سادة الأمم . إننا حتى الآن نتوصل إلى وجود العديد من المخطوطات التي لم يتم تحقيقها بعد . ومعنى هذا أن الاتهامات التي وجهت إلى الفكر العربي في جانب بعض المستشرقين تعد اتهامات ظالمة إذ كيف نهاجم الفكر العربي ونحن لم نصل بعد إلى اكتشاف العديد من المخطوطات الموجودة في أرجاء العالم شرقاً وغرباً والتي تدلنا على سمو الفكر العربي وإضافاته التي لا حصر لها في مجال الفكر العالمي .

صحيح أننا نجد بعض المستشرقين المنصفين ولكن يجب أن نتنبه إلى أن بعض الأحكام التي قال بها مستشرقون آخرون غير منصفين إنما تعد أحكاماً ظالمة .. أحكاماً لا تقوم على أساس المنهج العلمي والتفسير الفلسفي الدقيق .

(١) Renan: Averroes et l'Averroisme; P. 83.

(٢) الفلسفة في الشرق ص ٢٠ من الترجمة العربية .

(٣) راجع في ذلك كله ، كتاب « مدخل إلى التصوف الإسلامي » تأليف د. أبو الوفا التفتازاني .

لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات

■ الحوار مع الدين الاسلامى يجب ، لكى يكون حوارا ناجحا ان يتحقق فى صميم الدين الاسلامى لأن وصف نظام ما لا يقتصر فقط على تحليل هذا النظام وانما على الاحســاس به أيضــا . والاحســاس العميق بالــدين الاسلامى قد غاب عن معظم المستشرقين الذين تحدثوا عنه . لذلك جاءت دراساتهم على الرغم مما فى بعضها من تجرد وعمق مفتقرة الى بعض العناصر الاساسية التى لا يمكن ان تتوفر عن طريق البحث وحده . فارنست رينان الـذى تساءل فى منتصف القرن الماضى عما اذا كان من الممكن «أن يستمر الإسلام حتى بداية القرن العشرين» يثير اليوم ، السخرية فها هو الدين الاسلامى يبرز فى المنطقة الأسيوية والأفريقية منقذا عظيما من المظالم ومن الهزائم . واذا كانت السياسة تتخذ ، فى هذا البلد او ذاك ، اتجاها معينا يبتعد الى حد ما عن تعاليم القرآن الكريم ، فان المسؤول عن ذلك هو الاستعمار الجديد وتكالب الدول الكبرى على الهيمنة ، والرسول ﴿ﷺ﴾ ترك لنا نصا يرى فيه المؤمنون دائما رسالة السماء . وترك لنا ارثا غنيا من المعرفة ومثالا من السيرة الفردية والجماعية . لقد حث البشر فى جميع ارجاء الكون وفى جميع الازمان على تقويم سلوكهم بواسطة عقيدة شاملة وخلق رفيع مولع بالكمال ويقيم الحياة المباشرة ، وارشادات ترفد المنطق العملى وهو لم يلعن الروم ولم يلغ احدا ممن جاؤوا قبله بل احترم كل ما هو انسانى . لقد انشأ الدين الاسلامى استمرارية مثالية بين سيرة النبى وصحابته من جهة وسيرة المؤمنين من الاجيال المعاصرة والاتية .

«المستشرق/ جاك بيرك»

المسافة بين الدراسات الإقليمية

توطئة : ترمي هذه المقالة إلى تقديم معالجة موازنة لحقلين هامين من الدراسات هما الدراسات الإقليمية ، والدراسات الاستشراقية ، وسينتهج الباحث فيها المنهج الوصفي التحليلي في تناول مفهوم كل منهما وتطوره وقضاياه وأساليبه ومؤسساته ، مع - تحليل مقارن يعتمد الأساليب الإحصائية المناسبة للاهتمامات الموضوعية لهذين الحقلين من الدراسات .

ويحاول الباحث من خلال دراسته التي تطرحها هذه المقالة استقصاء مدى صحة الفرضية المتصلة بالمشاكلة بين أغراض الدراسات الإقليمية والدراسات الاستشراقية من خلال تحليل اهتماماتهما الموضوعية المجسدة لمرتكزاتهما المنهجية .

أولاً : الدراسات الإقليمية :

اختير هذا المصطلح العربي ليقابل المصطلح الإنجليزي Area Studies .. وقد شاع بالعربية استخدامه للدراسات التي تتناول عنصري المجتمع والأرض .. والخصائص التي تسم كلاً منهما في إقليم معين .

ولما كانت المجتمعات الإقليمية تتباين في أحوالها وتطورها وتكوينها فقد فرض ذلك تشعباً في الدراسات الإقليمية التي تعالجها - ولدى تطرق قائمة رءوس الموضوعات بمكتبة الكونجرس الأمريكي لهذا الجانب من مفهوم الدراسات الإقليمية ذكرت أنها قد تنقسم جغرافياً وفق المكان المدروس ، وأن الدراسات الإقليمية قد تُكَثَّف وتُعَدَّل وتُشَكَّل مسمياتها وفق الأقاليم أو الأمصار المدروسة ، بحيث تتحدد أكثر لتأخذ شخصية مميزة تسبغ عليها صفة المكان المدروس - كالدراسات الهندية ، الدراسات اليابانية ، الدراسات الشرق أوسطية ، الدراسات العربية ... (1) .

وقد فرّع مكنز أريك : Thesaurus Of Eric Descriptors الدراسات الإقليمية إلى ثلاث طوائف كبرى :

١ - الدراسات الشرق أوسطية التي ستركز الدراسة الحاضرة عليها .
٢ - الدراسات الأسيوية ... ٣ - الدراسات الأمريكية .

ولهذه الدراسات علاقات موضوعية عديدة تبين طبيعة المحتوى الفكري لمعالجاتها المتنوعة ... ويسوق المكنز المذكور علاقاتها بموضوعات جمّة نذكر منها على سبيل المثال : علم الإنسان ، الدراسات الثقافية المقارنة ،



...ـية والدراسات الاستشراقية

من قلم : الأستاذ فؤاد محمد فرعوني

دراسات الدول المتقدمة ، دراسات الدول النامية ، البيئة ، الاقتصاد ، علم الأجناس ، الجغرافية ، الحضارة اليونانية ، التاريخ ، الجغرافية البشرية ، الدراسات الدولية ، تاريخ الشرق الأوسط ، السياسة ، اللهجات الإقليمية ، التهجير ، علم الاجتماع ، الدراسات الحضرية ، والحضارة غير الغربية ، كما أن لهذه الدراسات علاقات بحثية بمنهجية البحوث الاجتماعية ، والميدانية ، والبيموضوعية(٢) (٣) .

الدراسات الإقليمية : اجراؤها وتطورها :

يأخذ إجراء أو تنفيذ الدراسات الإقليمية مكانه غالباً في مراكز الدراسات الإقليمية Area Centers .. وتنحصر صورة بحوث بيموضوعية Interdisciplinary تتآر فيها تخصصات متعددة .

ورغم الجدل الذي يعتور مفهومها فإن مؤسساتها في نماء متزايد .. وتعاون الباحثين ذوي الخلفيات المعرفية المتمايزة فيها في تزايد أيضاً – وانطلاقاً من مقولة مفادها أن المجتمع الذي يعيش في نطاق جغرافي محدّد يقدم بواقع حياته وبيئته شريحة مناسبة للبحث . وقد جرى تناول مثل هذا البحث . في أمريكا وأوروبا تحت مظلة مضللة لبحوث « التاريخ » و « العلوم السياسية » واكتشفت ثغرات في هذا البحث في الفترات التي تخللت الحرب العالمية الثانية والتي أعقبتها ، وقد تسببت هذه الثغرات في قصور في الخبرات الملمة باللغات والثقافات والخصائص الطبغرافية لبقاع المعمورة المختلفة التي مثلت مواطن المواجهة العسكرية والحروب ، والتي كانت موضوع قرارات سياسية واجتماعية هامة .

وفي أثناء سني الحرب العالمية الثانية جرى في أمريكا عقد مساقات تدريب لغوية في برامج عدة مؤسسات عسكرية اهتمت مثلاً باللغات اليابانية والصينية وغيرها ... وبُعيد الحرب : تطلب العداء المستحكم بين الغرب والشرق تطوير « تخصص أكاديمي » يتناول بالبحث المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الروسية ، فتأسست بمساعدة مؤسسة « كارنيجي » ، و « روكفلر » وجامعتي « هارفرد » و « كولمبيا » ، مراكز للدراسات الروسية قدمت نماذج من دراسات باحثيها يمكن أن تُحتذى في دراسات إقليمية أخرى ... ويلفت الانتباه أن « مؤسسة فورد » قد أسهمت في أواخر الخمسينيات من هذا القرن بمبالغ كبيرة منحت للجامعات الأمريكية المعنية لتطوير برامج الدراسات الإقليمية فيها .

وفي بريطانيا : فإن « أكاديمية الدراسات الشرقية والأفريقية » « SOAS » التابعة لجامعة لندن قد تأسست بداياتها سنة ١٩١٦ م – أي خلال سني الحرب العالمية الأولى – لتقديم برامج تدريب لغوي لضباط المستعمرات Colonial Officers وغيرهم من الموظفين .. وقد توسعت برامجها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لتشمل

الدراسات الاجتماعية والثقافية ، وقد أبرز تقرير « اللجنة البريطانية حول الدراسات الشرقية والشرق أوروبية والإسلامية » أهمية النظر في مكانة دراسة اللغات والثقافات لكل الشعوب خارج أوربا الغربية ! وأكد أهميتها لبريطانيا حاضراً ومستقبلاً .. وبناء على ما تمخض عنه من نتائج وتوصيات قدمت الحكومة البريطانية الدعم للبرامج اللغوية في ست جامعات بريطانية ... وقد قدّم تقرير آخر حول هذه الدراسات سنة ١٩٦١ م اقتراحات لتوسعة نطاق الدراسات الإقليمية بحيث تتعدى أقسام ومختبرات اللغات .. كما أشار إلى الاستفادة من التجربة الأمريكية من نواح ثلاث وهي :

١ – كثافة النشاط المبذول في الدراسات الإقليمية في المؤسسات الأمريكية .
٢ – تنظيم مراكز الدراسات الإقليمية .
٣ – تأكيد الاتجاهات الحديثة في تحديد نطاق التغطية الزمنية للدراسات الإقليمية .

وبناء عليه : تقدمت الجامعات البريطانية المعنية إلى « لجنة دعم الجامعات : UGC » بطلب المساعدة لتأسيس وتطوير مراكز الدراسات الإقليمية التي عُرفت هناك بمسمى « مراكز هايتر Hayter Centres » .. وضمت هذه الجامعات مثلاً :

جامعة هل Hull حيث تستضيف مركزاً لدراسات جنوب شرق أسيا .
جامعة ليدز Leeds وفيها مركز للدراسات الصينية .
كلية القديس أنطون ، جامعة أكسفورد حيث تضم مركزاً لدراسات أمريكا اللاتينية .

وفي فرنسا : طرأ تطور في تناول الدراسات الإقليمية فتوسعت برامجها التي تقدمها الأكاديمية التالية :

École Prafique de Hautes Etudes

ووثقت عرى التعاون العلمي بينها وبين : أكاديمية اللغات الشرقية :

École des lan gues Oriental

كما نشطت برامج تعاونها مع المؤسستين التاليتين :

المتحف الوطني — Musée de l'Homme
مؤسسة العلوم السياسة — Foundafion des Sciences Politiqu

كما تأسس مركز للدراسات الأفريقية في جامعة السوربون .
وليس ببعيد عن هذا النطاق دعم الحكومة الفرنسية واستضافتها « معهد الدراسات العربية » المؤسس حديثا فيها والتي أغدقت عليه بعض المؤسسات العربية أموالاً ومنشورات ...

وانتشرت أشكال شتى من مؤسسات وبرامج الدراسات الإقليمية خارج أمريكا وأوربا الغربية .

فبعد سنة ١٩٥٥ م تطورت الدراسات الأفريقية في روسيا كما تطورت برامج معاهد البحوث السلافية والشرقية في « أكاديمية العلوم السوفياتية » وفروعها .

ونشطت في الحقبة الحديثة أنشطة الدراسات الشرقية في أقطار أوربا الشرقية – كتشيكوسلوفاكيا .. وبولونيا ..



- المجتمع والأرض والسمات الأساسية التي تسم كلا منهما هي محور الدراسات الإقليمية .
- الدراسات الإقليمية تتعلق بعدة موضوعات تبين طبيعة المحتوى الفكري لمعالجاتها المتنوعة .

ولم تنأ أقطار أمريكا الجنوبية عن الاهتمام بهذه الدراسات .

ففي الأكاديمية المكسيكية Colegio de méxico تأسس قسم للدراسات الشرقية ويضم برامج للدراسات الصينية .

كما تأسس مركز لدراسات أمريكا اللاتينية في جامعة ريو جراند رسول Rio Grande do Sul البرازيلية ، وأصابت رياح التطور في وجود هذه الدراسات الإقليمية البلاد العربية فتأسست مثلاً في جامعتي القاهرة وعين شمس معاهد للدراسات الأفريقية والشرق أوسطية . . .

حدود التغطية الجغرافية للدراسات الإقليمية :

تتباين حدود التغطية الجغرافية للدراسات الإقليمية حيث تضيق هذه الحدود كلما كان المكان المطروق موضوع معرفة وبحوث أكثر كالدراسات الفلسطينية في مقابل الدراسات الشرق أوسطية ، أو الدراسات اليابانية في مقابل الدراسات الآسيوية ، وبوجه عام : فإن الدراسات الإقليمية تغطي من العالم في إطار اهتماماتها البحثية الأماكن التالية :

الشرق الأوسط بما في ذلك شمال أفريقيا . . أمريكا اللاتينية . . جنوب شرق آسيا . . جنوب آسيا . . الاتحاد السوفياتي . . أوربا الشرقية . . شرق أسيا – مع الميل لفصل الدراسات اليابانية والصينية عنها . . أفريقيا جنوب الصحراء . . ومنطقة الكاريبي . بالإضافة لذلك ، فإن هناك دراسات إقليمية تتناول أوربا في أمريكا – والعكس صحيح . . . أي ان هناك دراسات إقليمية تتناول أمريكا في مراكز أوربية . وتبقى مشكلة تقسيم العالم إلى أقاليم وتجمعات مستمرة متغيرة لأن الأوضاع الدولية ذاتها تخلق حاجات بحثية متجدِّدة .

حدود التغطية الزمنية للدراسات الإقليمية :

سبقت الإشارة للاتجاهات الأمريكية في تأكيد تناول الدراسات الإقليمية للأوضاع الحديثة للأماكن التي تعالجها – ولقد أدى ذلك – اضطراداً إلى تأثير المؤسسات البريطانية المعنية بهذه الاتجاهات . . . بيد أنه تجدر الإشارة إلى أن دراسة الجوانب التاريخية لبعض القضايا الاجتماعية والسياسية لم تغب في هذه الدراسات وبخاصة التاريخ الاستعماري للمكان المدروس . . . وكثيراً ما يكون لهذا التاريخ دور هام في اختيار حدود التغطية الزمنية وكذا الجغرافية للأماكن التي تهم ببحثها مراكز الدراسات الإقليمية الأوربية على نحو خاص . . . كما تؤثر في حدود التغطية الزمنية نوعية الموضوعات المدروسة ذاتها . . كتاريخ اللغة . . العلاقات الدولية . . التاريخ السياسي . .

بُني تنظيم وعمل برامج هذه المراكز وفق نظرية التعاون البحثي البيموضوعي بمعنى أن التعاون بين التخصصات المختلفة في الدراسات الإقليمية فعّال ومجدٍ أكثر من الانفراد في الانهماك فيها ، لأن مثل هذا التعاون سيفضي إلى قدرأكبر من تقدم المعرفة عن الأماكن المدروسة من خلال البحث والنشر والتعليم .

ويتخذ التعاون إشكالاً متعددة وغالباً ما يكون المشاركون فيه من أساتذة الجامعات .

ويجدر بالذكر أن في بعض الجامعات برامج للدراسات الإقليمية تقدم من خلال أقسام أو كليات تضمها معاهد معينة - كما أن الخبراء القادمين من الأقاليم المدروسة ذاتها كالعرب يشاركون في أنشطة هذه المعاهد التي ترعى كثيراً قيام حلقات نقاشية ودراسية بموضوعية لأقاليم مختلفة من العالم . وقد قدمت « لجنة البحث الإقليمي الدولي » في « مجلس البحث في العلوم الاجتماعية : CWAR, SSRC السمات التالية التي يرغب في توفرها في برامج الدراسات الإقليمية :

١ - تدريس مُرَكّز للغات يؤكد الجوانب اللغوية واللسانية .
٢ - مساقات مشتركة بمشاركة المتخصصين .
٣ - بحوث أفريقية Team Research .
٤ - دراسات مركبة إنسانية / اجتماعية .
٥ - منشورات متخصصة من كتب ودوريات وخرائط ووثائق رسمية .
٦ - مشاركة الأساتذة الأجانب الزائرين وأساتذة الكليات ذوي العلاقة .

●● ولا تقدم مراكز الدراسات الإقليمية تخصصها ليحل محل تخصص آخر لأيّ من الدارسين - بل تسلحه بالمعرفة والمنهجية البحثية الإقليمية إثراءً وإضافة إلى تخصصه الذي يقع في الغالب في إطار العلوم الاجتماعية أو الإنسانية .

وتؤكد أهمية الدراسات الميدانية في هذه المراكز - وهناك اتجاه بدأ يأخذ مكانه فيها فيما يتصل بالتغطية الموضوعية للدراسات الإقليمية حيث يسود الميل لتركيزها على تناول محدد غير عامّ لقضايا متخصصة غير متشعبة - كأسباب التضخم والسيطرة عليه .. وأنماط القيادة السياسية .

●● ويقول الباحث الأمريكي « برايس وود Bryce Wood » ان الدراسات الإقليمية التي تنشط في الولايات المتحدة الأمريكية منبثقة ومستندة على « أعرف عدوك : Know- Your- enemy basis » ...

- منذ أن فكرت أوروبا في الزحف نحو الشرق الإسلامي سعت جادة إلى إقامة عدة مجالات حول المجتمعات الإسلامية .
- مراكز ومعاهد الدراسات الشرقية بدأت تنتشر وتتسع في الجامعات الأوروبية منذ الحرب العالمية الأولى .
- لا نستطيع أن نتعامل مع الثقافات كشرائح متجانسة .. ولا نستطيع أن نحكم على ثقافة معينة بمعيار ثقافة أخرى مختلفة عنها .

وتركز السياسة الأمريكية المعاصرة على تعرض موظفيها لدراسة ثقافات الشعوب الأخرى كمتطلب ضروري لعملهم وبخاصة في إدارة برامج المساعدات .. الفنية .. التربوية .. ويؤخذ بهذا المتطلب بكل وضوح أيضاً في فرنسا وغيرها من أقطار أوربا . ولا يقتصر التدريب والتعليم في الدراسات الإقليمية على مراكزها في الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية والكنسية بل يتعداها للمراكز المتخصصة التي تديرها وزارة الدفاع وأجهزة المخابرات في أمريكا ...

وتركز برامج الدراسات كثيراً على « الشرق الأوسط » ، وزاد هذا التركيز في الحقبة المعاصرة لما يتحلى به « الشرق الأوسط » من مزايا استراتيجية واقتصادية ... ولما كانت هذه المقالة تؤكد على جانب « الدراسات الشرق أوسطية » من الدراسات الإقليمية فإننا سنتناول مصطلح « الشرق الأوسط » ذاته والدراسات الإقليمية المتصلة به وما تثيره من قضايا فيما يلي :

مصطلح « الشرق الأوسط » : شاع استخدامه منذ الحرب العالمية الثانية – وقد استخدم البريطانيون أثناء الحرب العالمية الثانية مصطلح « الشرق الأوسط » ليغطي المنطقة العسكرية التي تركزت قيادتها في مصر ، واستمر استخدام المصطلح ليغطي الأقطار التي تعرفها الآن على الرغم مما أبدته الجمعيتان الجغرافيتان الأمريكية والبريطانية من تحفظات إزاء دقة وصحة استخدام المصطلح ... ومن المتعذر تصور الشرق الأوسط كوحدة متجانسة الأجزاء تملك إمكانات قوية لتشكيل وحدة فيما بينها كأوربا أو أمريكا اللاتينية ، حيث شمل في تشكيلته القطرية المتباينة : تركيا ، اليونان ، قبرص ، سورية ، لبنان ، الأردن ، فلسطين ، العراق ، إيران ، مصر ، السودان ، وأقطار الجزيرة العربية والخليج العربي : المملكة العربية السعودية ، الكويت ، اليمن ، سلطنة عمان ، البحرين ، قطر ، والإمارات العربية المتحدة ... وقد أسهمت الأحداث التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في توسيع الرقعة الجغرافية « للشرق الأوسط » لتضم أقطار شمال أفريقيا ...

وقد أفضى وجود العلاقات والخلفيات الدينية والثقافية والتاريخية إلى شمول أقطار أخرى في نطاق هذا المصطلح وبخاصة ، باكستان ، وأفغانستان ...

فالمصطلح بوجه عام مجتلب من الغرب الذي اصطنعه خدمة لمصالحه واهتماماته العسكرية والسياسية والاقتصادية ثم تسرب استخدام المصطلح للمؤسسات العلمية « ويكاد يظل منطقة الشرق الأوسط مناخ واحد » .. ويتبع ذلك تشابه نتاج أرضه مما أملى نمطاً اجتماعيا متشابهاً أثر على الأحوال المعيشية والنواحي المعنوية والمادية ...

● والشرق الأوسط .. موطن العروبة والإسلام .. وله أهمية بالغة منذ فجر التاريخ .. وتتنافس الدول الكبرى للسيطرة عليه – وبخاصة أنه يختزن أكبر نسبة من الاحتياطي البترولي العالمي [٥] .. ويتمتع بمزايا عديدة بالغة الأهمية – اقتصاديا وسياسيا وعسكرياً ودينياً وجغرافياً ... وقد غدا « الشرق الأوسط » محل دراسات إقليمية متكافئة عرفت « بالدراسات الشرق أوسطية Middle-eastern Studies ، وهي موضوع الفقرات التالية .

الدراسات الشرق أوسطية :

سبقت الإشارة إلى تفرع « الدراسات الشرق أوسطية » عن الدراسات الإقليمية ، وتغطي غالباً الأقطار الإسلامية بما في ذلك الأقطار العربية ، ويطلق عليها مكنز روتس « دراسات الشرق الأوسط والشرق

الأدنى » ... ويشمل بين أقطارها المدروسة الهند ، سريلانكا ، نيبال ، بهوتان وبورما ، بيد أن هذا المصطلح بمدلولاته القطرية هذه نادر الاستخدام ولم يقع الباحث على ذكرٍ له في مرجع آخر ، ولذا فلن يعتدّ باستخدامه ، وقد تنامت هذه الدراسات في السنوات الأخيرة وبخاصة في أعقاب حرب رمضان ومتمخضاتها .

وتمثل الدراسات الشرق أوسطية طرائق بحثية أكثر منها حقول موضوعية محددة .. تتداخل في إجرائها تخصصات اجتماعية وإنسانية مختلفة .. وتتميز بمنهجيتها وأغراضها أكثر من تميزها بمحتوى فكري متجانس ... وهي بالنسبة للعالم الغربي « وسائل » أكثر منها « غايات » – وتولى عناية كبرى في أوربا وأمريكا وكذلك اليابان ويقدم الدعم السخي لبرامجها . ومن الأمثلة على ذلك : التمويل المبذول لها في أمريكا من جهات عديدة . وتضم مثلاً : وزارة الصحة والتربية والخدمات ، مؤسسة فورد ، الجامعات الأمريكية ، مؤسسة روكفلر ، مؤسسة جوجنهايم ، برنامج فولبرايت للبحث الجامعي العلمي ، ومجلس البحث في العلوم الاجتماعية ، والهيئة الأمريكية للجمعيات العلمية ... ويتلقى الدعمَ التعليمُ الجامعي في مراحله الأولى .. وكذلك بالنسبة للتعليم العالي والبحث العلمي ذو العلاقة ... وبالرغم من تقلب وخفض هذا الدعم الذي تقدمه الجهات الحكومية والمنظمات غير الحكومية في الحقبة الحاضرة – فإن وزارة الدفاع الأمريكية – مثلا – مارست نوعاً من الاستقرار والثبات في برامج تقديم مثل هذا الدعم خدمة لمراميها . كل ذلك وبعضه يكشف خطورة أغراض الدراسات الشرق أوسطية التي يتعهدها الأمريكيون عن المنطقة أو بين ظهراني أهلها – لأنها تزودهم بالمعلومات الشاملة لمساعدتهم على مواجهة شعوبها .. وبناء جسور غزو فكري يفسد عليها تمسكها بالإسلام ويخرب ما أمكن ، فكرَها .. ويحقن ثقافتها بسموم الفلسفات والهرطقات الغربية .. ويوهن وشائج الوصل الاجتماعي القوي بين أعضائها .. فيحول الانتماء إلى اغتراب ثقافي أو اجتماعي .. والعضوية الفاعلة في المجتمع إلى فردية .. والتماسك الاجتماعي إلى ضعف ..

كما تتلقى برامج الدراسات الشرق أوسطية دعماً مالياً من بعض شركات الأعمال المشتغلة في أقطار الشرق الأوسط وبخاصة في أقطار الخليج العربي . ويبرز بين هذه الشركات الشركات البترولية التي تقدم دعمها المالي لهذه الدراسات وفق برنامج طويل الأمد [٦] ، وتطمع الجامعات والمراكز والمؤسسات الغربية التي تتعهد برامج الدراسات الشرق أوسطية في الحصول على المزيد من التمويل لدافعين لديها :

أولهما : أهمية هذه الدراسات وما تتمخض عنه من نتائج .
وثانيهما : رصيد الدولار البترولي المتراكم عند بعض أقطار الشرق الأوسط .

ويبدي الكثير من المؤسسات الغربية التذمر لتعذر الحصول على أموال كثيرة لدعم برامج الدراسات الشرق أوسطية من خزائن بعض دول الشرق الأوسط التي بدأت تدرك المآرب غير العلمية التي تحرك أكثرية هذه الدراسات ...

ويصرح الباحثون الغربيون بوضوح (وعلى المكشوف) « أن المحرك الأساسي وراء تطوير هذه الدراسات في أمريكا خاصةً هو سياسي ، وينصب على خلق النفوذ والوسائل الكفيلة بمواجهة القوى المعادية للسيطرة الغربية في أقطار المنطقة » [٧]

ويقرّ الأمريكيون مآرب الدراسات الإقليمية الأوربية ويفضحونها عندما يكتب أحدهم عن هذه الدراسات :
« ... Motivated by impenalist considerations » [٨] .

أي : « تحرك هذه الدراسات اعتبارات استعمارية » .

- المفتاح الرئيسي لدراسة المجتمع الإسلامي هو اكتشاف الموروثات العميقة لعظمة الإسلام وعبقرية اللغة العربية وعناصر ثقافتها .
- كثير من الدراسات الإستشراقية المتعلقة بالشرق الأوسط كانت بعيدة عن السمة الأكاديمية العلمية واتسمت بالتشويه العقائدي والتعصب الديني .

●● ويقول « بايندر L, Binder » : إنه ما من منطقة في كل أرجاء العالم تقريباً تخلو من عناصر ترفض وتقاوم أغراض السياسة الخارجية الأمريكية كما قد لا تخلو بعضها من عملاء يدعمونها – وليست منطقة الشرق الأوسط استثناء . وتحدو الباحثين الذين ينشغلون بدراسات شرق أوسطية رغبة أكيدة « لدعم أو تحديد أو حماية المصالح الأمريكية في المنطقة »(٩) .

وبما يؤكد هذه الأغراض والاتجاهات نتائج التقرير الذي قدمه ريتشارد لامبرت Richard D. Lambert حول الدراسات الشرق أوسطية ونشرته له الأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية سنة ١٩٧٣ م(١٠) ، وقد عالج التقرير إجمالاً جانبين هامين لهذه الدراسات هما :

١ – إتقان لغات أقطار الشرق الأوسط : كشفت دراسة لعينة من المشتغلين بالدارسات الشرق أوسطية في أمريكا أن ١٦,٧٪ فقط منهم قد حصلوا على معرفة لغوية وأقاموا لفترة في منطقة الشرق الأوسط .. ويتقن ثلث أعضاء العينة المدروسة لغة من لغات أهل المنطقة : العربية ، الفارسية ، التركية أو العبرية .
كما كشف التقرير أن نصف أعضاء العينة المدروسة قد اكتسبوا مهارة متقدمة في لغتين من اللغات الشرق أوسطية المومأ إليها .
٢ – المعرفة الإقليمية للأخطار الشرق أوسطية المدروسة بناء على الإقامة فيها : أوضح تقرير لامبرت أن أقل من نصف أعضاء العينة المعتمدة في البحث قد أنفق أكثر من عامين في معايشة أهل المنطقة مع الإقامة لمدد لا تقل إحداها عن ستة أشهر في أي قطر شرق أوسطي .. وقد عاش ٢٠٪ منهم لمدد لا تقل إحداها عن ستة أشهر في أكثر من قطر في المنطقة .

تجدر الإشارة إلى أن إقامة الباحثين قد تركزت غالباً في الأقطار الأربعة التالية أكثر من غيرها : مصر ، لبنان ، فلسطين المحتلة ، تركيا .

والمريب في هذه الدراسات الشرق أوسطية أن تقرير لامبرت قد كشف ، أن أهداف هؤلاء المقيمين في شتى أقطار الشرق الأوسط الإسلامية موضع شك في أن يكونوا ممثلين لأهداف البحث العلمي الموضوعي في أحوال أقطار المنطقة حيث إن ١٥٨ (٢٢,٢٪) من أعضاء العينة المدروسة كانوا من غير الأكاديميين المتخصصين . وقد أفصح تقرير لامبرت عن الدافع الديني للكثير من الدراسات الشرق أوسطية من خلال إيضاح دور الكنيسة النشط فيها – فقد أبان التقرير أن نسبة الأكاديميين المتخصصين الذين توفدهم الحكومة إلى أقطار الشرق الأوسط كانت متدنية بينما كانت نسبة الوافدين إلى هذه الأقطار من المشتغلين بأنشطة الكنيسة عالية

جداً . . . وهكذا فإن التقرير يكشف أن الدارسين العابرين لمنطقة الشرق الأوسط هم في غالبيتهم ممن يدّعون التخصص الإقليمي في بحث شئون المنطقة بيد أنهم غير مؤهلين أكاديميا بما فيه الكفاية لتقديم دراسات شرق أوسطية علمية على الرغم من خلفياتهم الدراسية التي أوضح التقرير أن بعضها كان في حقل اللاهوت .

وقد يكون لما تمخض عنه تقرير لامبرت من نتائج أثر في تصويب مسار الدراسات الشرق أوسطية ، وإرساء قواعد أكاديمية أرقى وأفضل لها في رحاب الجامعات والمعاهد المتخصصة المعنية ، كما يتجلى في العناية بإنشاء ، أو تطوير مراكز الدراسات الشرق أوسطية ، إلى جانب مراكز الدراسات الإسلامية والعربية في عدد من الجامعات .

وتتباين أهمية موضوعات الدراسات التي تأخذ مكانها في هذه المراكز كما تدل رتبها Ranks التالية :

الموضوع المدروس	رتبة أهميته
علم الإنسان (الأنثربولوجيا)	١
العلوم السياسية	٢
اللسانيات (علم اللغة)	٣
الاقتصاد	٤
علم الاجتماع	٥
علم النفس	٦

وتتجه الدراسات الشرق أوسطية اليوم إلى تحديد أضيق لنطاقات معالجاتها الإقليمية في التحوّل الذي بدأ يطرأ للتناول القطري كبديل للتناول الإقليمي لقضايا المنطقة .

– فظهرت حديثاً دراسات قطرية Country Studies عوضاً عن الدراسات الإقليمية Area Studies لبعض البلدان ، وهذا المنحنى قد تجلى بوضوح في مطبوع حديث صدر في مستهل الثمانينيات حول الدراسات الشرق أوسطية وعنوانه :

Middle Eastern Studies: Egypt, Sudan, Jordan, Lebanon, Syria, Iraq, the Arabian Penin Sula, [Israel], Turkey, by Dorr, Steren R., Consultant Gecrge Atiyeh. Washington, D.C: Woodrow Wilson International Center For Scholars, Smithsonian Institution, 1981, 540PP.

وقد تعرض هذا المرجع القيم إلى معالجة ما ينيف عن خمسائة مركز ومكتبة ومؤسسة معنية بالدراسات الشرق أوسطية مقدماً بيانات وصفية وتقويمية لشتى أنشطتها .

●● وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات القطرية [١١] لبلدان المنطقة قد أعدتها الجامعة الأمريكية في واشنجتن بمقاطعة كولمبيا . . وينفذ هذه الدراسات « برنامج الدراسات الإقليمية الأجنبية » وفق عقد متفق عليه مع وزارة الدفاع الأمريكية . . . وقد قدم البرنامج أكثر من مائة دراسة من الدراسات القطرية التي اشتملت على دراسات حالة البلدان المبحوثة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والجغرافية والثقافية والدينية . . ويعمل في البرنامج أكثر من ثلاثين خبيراً بينهم ثمانية عشر متخصصاً في الدراسات القطرية الأجنبية . . ويخدم

أهداف هذا البرنامج مكتبة تزيد مجموعتها عن تسعة آلاف مجلد معظمها بالإنجليزية . . وقد غطت الدراسات التي أنجزها البرنامج أكثر أقطار الشرق الأوسط وتتاح هذه الدراسات بصورها المنشورة تجارياً للبيع .

وتركز الدراسات الشرق أوسطية على تناول أحوال أقطار المنطقة الإسلامية . . وتعنى كثيراً بتمحيص وتحليل وبحث جوانب الثقافة فيها – لكن دراسة الباحث الغربي لثقافة غربية بالنسبة إليه ليست قضية يسيرة حيث إنه من المتعذر أن نستصدر الأحكام حول معرفتنا لما تعنيه ثقافة أخرى لأن تحديدنا لما تعنيه تلك الثقافة بالنسبة لحقيقة أو تصور معين قد يتباين مع التحديد الذي وضعته تلك الثقافة لنفسها ، إن موضوعات الثقافة تشكل في الغالب مشكلات للبحث . وهنا يُطرح السؤال : هل من الممكن للباحث الغربي أن يفهم الثقافة الإسلامية تماماً من غير أن يكون مسلماً ؟

ويطرح السؤال في كل فترة في التاريخ الإسلامي وفي كل قطر من أقطار الشرق الأوسط الإسلامية .

إن أبناء الشرق الأوسط يسافرون للغرب . . ويتلقون تعليمهم الجامعي هناك . . ويعيشون في الوسط الثقافي الغربي . . بل إن كثيراً من هؤلاء يكتبون ويدرسون مواد حول أوطانهم التي قدموا منها وينسحب هذا القول على الغربيين الذين يفدون إلى أقطار الشرق الأوسط . . يتعلمون لغاتها . . ويعتنق بعضهم عن قناعة الدين الإسلامي . . ويعيشون بانسجام في الوسط الثقافي الإسلامي ، وقد يدل هذا على إمكانية فهم الثقافات الأخرى . وقد أخذ المشتغلون بالدراسات الشرق أوسطية بهذا التصور وأكدوا عنصر الإقامة ومعاشرة الناس في منطقة الشرق الأوسط بيد أن المعرفة التي يحصلونها تبقى مثار جدل لدى النظر في كيفيات ملاءمتها – والحكم على كيفيات ملاءمتها أو مناسبتها لا يجري في فراغ بل يرتبط بهدف حتى نقول إنها ملائمة أو مناسبة لذلك الهدف – سواء كان الهدف ذاته ذو أبعاد دينية أو سياسية أو تجارية . . أو عسكرية . . وهذه الأبعاد ذاتها متصلة مكانٍ وزمانٍ ومجتمعٍ معين له ثقافة معينة . ولما كانت المجتمعات وثقافاتها متباينة فقد بات من المتعذر التعويل على المفاهيم السائدة في ثقافة معينة لاستخدامها في فهم قضايا ثقافة مغايرة .

أي أن كل ثقافة ينبغي أن تدرس وتفهم مشكلاتها في ضوء مؤشرات تلك الثقافة والمعاني السائدة فيها .

بمعنى آخر : فإن مفهوم الثقافة الحقيقي هو ما تحدده هي – وهكذا فإننا لا نستطيع أن نتعامل مع الثقافات كشرائح متجانسة .

وقد تغيب هذه الأفكار عن أذهان الكثيرين من المشتغلين بالدراسات الشرق أوسطية عندما لا يتعمقون في المنهج ليكتفوا في الغالب بطرح فرضيتهم أن هناك أموراً معينة عن الشرق الأوسط (أو أي منطقة أخرى) يمكن وينبغي أن تعرف لتمهيد الطريق لفهم كافة الأمور المتصلة بالمنطقة . وهكذا : فإن مفتاح هذا الفهم عند عدد من المشتغلين بالدراسات الشرق أوسطية يتجلى في استكشاف المؤثرات العميقة لعظمة الإسلام وعبقرية اللغة العربية وعناصر ثقافية أخرى . . وعند آخرين – يكون مفتاح الفهم قريباً ومتاحاً من خلال الحدس والمعرفة اللصيقة والإدراك الصادق لكافة الأمور المتصلة بالشرق الأوسط . ومع إدراكنا بأن ما نشرته دراسات شرق أوسطية كثيرة من تعميمات عن المسلمين في المنطقة يفتقد للصدق العلمي والمنهجية الرصينة فهي لا تحدد المكان ، أو الزمان ، أو غير ذلك من متغيرات وظروف وأهداف البحث (١٢) .

وبوجه عام : فإن الدراسات الشرق أوسطية تستند إلى فكرة جوهرية وهي أن « أهداف الدراسة

أو الحقائق المراد معرفتها تشكل القاعدة الموجهة والمنظمة لمشروع هذه الدراسة وليس للمنهج أو الموضوع المدروس » ... ويسود بين أوساط الباحثين الإقليميين الذين يدرسون المنطقة التصور بأن « المعرفة لمنطقة الشرق الأوسط ميسرة وممكنة فقط للأشياء الموجودة » .

● ونستخدم كلمة معرفة هنا مشيرين بنفس الوقت إلى التساؤلات المثارة حول قيمة إطلاق مصطلح المعرفة على مادة المعالجات البحثية الشرق أوسطية !

وقد أخذت هذه المعالجات تثير الأسئلة حول الحاجة إلى دراسات متكاملة بموضوعية للمنطقة ويبدو أن وجهة البحث تميل إلى جانب مثل هذه الدراسات ... وتنتشر وتتواصل هذه الدراسات وتتطور في وقتنا الحاضر ولا ينكر القائمون عليها أنها « دراسات تتجسد فيها .. عدم الموضوعية .. والتشويه العقائدي .. والتعصب الديني .. وتغيب في أكثريتها السمة الأكاديمية العلمية » . وهي في مجملها دراسات موجهة تخدم أهدافاً سياسية وعسكرية واقتصادية وتبشيرية غربية في منطقتنا الإسلامية الشرق أوسطية . وهي أهداف ليست ببعيدة عن أهداف الدراسات الاستشراقية التي سنأتي عليها فيما يلي .

ثانياً : الدراسات الاستشراقية :

مُسَمَّى هذه الدراسات آتٍ من الاستشراق – ومصطلح الاستشراق مصطلح حديث مولّد دخل أدب العربية تحت مسميات مختلفة (كالدراسات الاستشراقية « الاستشراقيات » .. دراسة المشرقيات .. الدراسات الشرقية .. والمصطلح الأول مستخدم ومعبر وقد أورد له جبور عبد النور ثلاثة أوجه هي :

أولاً : كل دراسة يقوم بها الغربيون لقضايا الشرق وبخاصة ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته والدين فيه .

ثانياً : بدأ أهل الغرب خلال القرون الوسطى بدراسة لغتين شرقيتين – الأولى : هي العبرية لصلتها بالدين المسيحي ... والثانية : العربية لكثرة المتكلمين والمصنفين بها في شتى مجالات المعرفة .. كالفلسفة .. الطب .. العلوم .. ، ثم انتشر تعلم اللغات الشرقية الأخرى كالسُّريانية والفارسية والتركية وأنشأ الأوربيون

● رسم بنويل لوحات في مصر وسيناء والقدس. وكانت القوافل وفي مقدمتها جمل أبيض موضوعه المفضل.



المعاهد لدراستها ونقلوا إلى لغاتهم نخبة من الكتب العربية وسواها . وكان لحملة نابليون بونابرت على مصر سنة ١٧٩٨ م أثر بالغ في تفتح أبصار الأوربيين على الشرق وقضاياه فازداد الإقبال على دراسة مؤلفاته وآدابه وتاريخه - ودراسة الإسلام والسيرة النبوية .

ثالثاً : نجم عن اتساع نطاق الدراسات حول الشرق ظهور تخصصات متعددة في البيئات الاستشراقية ، فوقف بعض العلماء جهودهم على دراسة الشرق العربي وتخصص البعض الآخر في دراسة حقل محدد كالإسلام ، اللغة والأدب ، التاريخ ، الجغرافيا .

ومصطلح الاستشراق إجمالاً قد استخدمه وبثه الباحثون الألمان .

التغطية الموضوعية للدراسات الاستشراقية :

تكشف الفقرات السابقة الخصب والتعدد الموضوعي للدراسات الاستشراقية لتناولها : العلوم والفنون والآداب .. والديانات .. واللغات والتاريخ .. وكل ما اتصل بالشرق وشعوبه . وقد ركز المستشرقون دراساتهم على أقطار الشرق الإسلامية وبدأ هؤلاء المستشرقون كتاباتهم عن الإسلام والعلوم الإسلامية المختلفة وعن السيرة النبوية الشريفة باستقصاء جوانب حياة رسول الله ﷺ محاولين ما استطاعوا أن يشوهوا الصورة الرائعة التي رسمها كتاب الله العزيز للرسول عليه السلام والدين الحق الذي دعا إليه [١٤] ... وقد أثرت في دراساتهم الدوافع الدينية النصرانية المتعصبة والدوافع السياسية فتناولوا الحقائق عن الإسلام والمسلمين وفسروها بما يوافق أغراضهم حيث سخّر هؤلاء المستشرقون « العلم الذي يسمو به الإنسان للغض من قيمة الإنسان أو الطعن في تراثه وعقيدته بغير الحق » [١٥] .

التغطية الزمنية للدراسات الاستشراقية :

لا ينصب اهتمام المستشرقين في دراسة الشرق الإسلامي على معالجة أحواله المعاصرة إنهم يعنون أولاً ببحث الحضارات الشرقية الماضية والتاريخ الفكري للمنطقة .. ويستقصون التصورات أو المثاليات التي سادت ثقافاتها .

المعالم الهامة لمنهجية البحث في الدراسات الاستشراقية والدوافع التي تحركها :

اعتمدت الدراسات الاستشراقية الأساليب البحثية النقدية التي اصطُنعت لإعادة دراسة الآداب الكلاسيكية اليونانية واللاتينية والعبرية - والتي تأثرت بالنظريات التاريخية السائدة إبان القرن الثامن عشر ، وقد أولت الدراسات الاستشراقية عناية خاصة لبحوث اللغة وتاريخها كأداة لفهم النصوص المدروسة في حقل الدين الإسلامي والأدب العربي ... وعلى وجه الإجمال فقد « عالجت الدراسات الاستشراقية التراث الثقافي الإسلامي ونظرت إليه ــ خطأً ــ كنسخة غير مكتملة أو مشوهة لمنظومة التراث اليهودي - الاغريقي - الروماني - المسيحي » [١٦] .

● ● من هنا طبعت الدراسات الاستشراقية بالتعصبات الغربية النصرانية والسياسية والفكرية التي برزت جلية في فترة مبكرة من العصر الحديث وَسَمَتْ تاريخ المواجهة لأوربا النصرانية مع الشرق الإسلامي .

● ● وقد خدمت الدراسات الاستشراقية سياسات دول أوربا الاستعمارية التي أفادت من المعلومات المرجعية عن الشرق الإسلامي وشعوبه لدى التخطيط لغزوها فكرياً وعسكرياً .

وتوضح الفقرات السابقة حدود الدراسات الاستشراقية وتوجهاتها التي لا تركز على الأحوال المعاصرة للمنطقة واعتمادها أيما اعتماد على دراسة أدب الموضوعات المختلفة المخطوط والمنشور .. وتأتي الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية لتكمل دائرة الدراسة للمنطقة – بتناولها الأوضاع المعاصرة فيها متعرضة لما اعتور حياة شعوبها من تغييرات وما أصابها من إفساد من خلال اهتمامها بالدراسات المباشرة والبحوث الميدانية (١٧) – وما استهدفت هاتان الطائفتان من الدراسات للشرق الإسلامي وأهله خيراً وإصلاحاً ، بل جاءت لتخدم أهداف أوربا وأغراضها الذاتية في المنطقة .

وتمس هذه الأغراض العلاقة التي تنعقد بين الشرق الإسلامي Orient والحضارة والثقافة الأوربية – هذا الشرق الذي يمثل المنطقة التي تشعر أوربا إزاءها بالمواجهة .. إنه محل مصالح ومطامع أوربا .. إنه مصدر تصورات أوربا العميقة المتواترة « عن الآخر » .

ويمكن النظر للدراسات التي قدمتها أوربا عن هذه المنطقة كأسلوب غربي للتغلب وإعادة تشكيل الشرق الإسلامي والهيمنة عليه . والعلاقة بين الشرق الإسلامي وأوربا علاقة قوة وغلبة . والاستشراق ذو دلالة قيمة على هيمنة القوة الأوربية الأطلسية على الشرق الإسلامي أكثر منها على حقول بحث عن المنطقة ... والاستشراق منذ بداياته ليس ببعيد عما أُطلق عليه « فكرة الغرب » ، تلك الفكرة الجماعية السائدة في نفوس الأوربيين تمييزاً لهم عن غير الأوربيين – أي عن غير أهل الغرب ، وهي الفكرة التي استُنبتت في أذهان الأوربيين عن « التفوق » الغربي على سائر بني البشر !!!

واعتمد الاستشراق ايّما اعتماد في استراتجيته للتعامل مع الشرق الإسلامي على ذاك الشعور المزيف بالتفوق ، ولا يعبر الاستشراق عن مادة موضوع فكري أو سياسي أو ديني فحسب بل إنه فكر تبشيري جغرافي – سياسي موزّع في كتابات دينية واجتماعية وتاريخيه .. ولغوية وأدبيّة واقتصادية وجمالية .. إنّه تكريس للتمييز الجغرافي بين عالمين غير متكافئين : الشرق والغرب في نظر الأوربيين ... إنه سلسلة من المصالح التي اتخذت وسائل متعددة تبشيرية ولغوية ونفسية واجتماعية لتحقيق أغراضها – بل إن الاستشراق يعني أكثر من هذا إنه يُجسد ويلتزم .. ويغمر نوايا ثابتة لفهم طبيعة مجتمعات هذه المنطقة بل ليسيطر في حالات كثيرة ويستخدم هذه المنطقة ومواردها لخدمة مصالحه .

وتكاد الدراسات الاستشراقية تكون مرادفة لدراسات الاستعمار والثقافة والتبشير النصراني . ويتضافر في هذه الدراسات متغيران فاعلان هما : المعرفة والقوة . والأولى أداة للثانية – وبها تتوسل في المقام الأول لتحقيق السيطرة لأن معرفة قطر أو منطقة معينة وأحوالها المختلفة تيسر من سبل المواجهة والهيمنة المخططة الواعية عليه أكثر مما يسره السلاح والمال . والمعرفة في نظر المستشرق تعني الإلمام بشتى جوانب الحضارة لمنطقة معينة منذ بدايتها .. ومروراً بفترات طفولتها وازدهارها وانتهاء بفترة ركودها وانحسارها ... وإن القدرة على تحقيق ذلك الإلمام – أو قل المعرفة عندهم تعني تجاوز الإحاطة بالأوضاع الماضية إلى استشراف الأوضاع المستقبلية للمنطقة المدروسة بقصد إحكام السيطرة على حاضر تلك المنطقة ومستقبلها .. وقد تركت الدراسات الاستشراقية انطباعاتها في نفوس الشرقيين وفي نفس الوقت الذي خلفت فيه آثارها المغايرة في نفوس الغربيين – تركت هذه الدراسات انطباعات عميقة بالشعور بالتخلف لدى الشرقيين بالمقارنة مع التقدم التقني والمادي الذي حققه الغربيون الذين يشعرون بالتميز والسبق .

وتمضي السنون ويتعمق هذا الشعور بالفارق في هذه القسمة التي أفضى استخدامها التاريخي والواقعي إلى تأكيد وجود الفجوة التي اصطنعها الغرب بين أهله وأهل الشرق الإسلامي ، وقد اقترنت في الغرب النصراني

- بعض الدراسات الإستشراقية للتراث الثقافي الإسلامي عالجته كنسخة غير مكتملة أو مشوهة لمنظومة التراث اليهودي الأغريقي ـ الروماني ـ المسيحي .
- الدراسات الأوروبية في كل مجالات للشرق الإسلامي هدفت إلى إعادة تشكيل الشرق الإسلامي والهيمنة عليه .

فكرة الاستشراق في بداياتها الأولى باهتمامات الكنيسة بهذه المنطقة التي يدل عليها قرار مجلس الكنائس في فترة مبكرة لتأسيس أقسام للدراسات العربية والسريانية والعبرية واليونانية في الجامعات الأوربية في باريس وأكسفورد وبولونيا وأفيجنون وسلامانكا ... وقد تطورت مع مرور الزمن حقول الدراسات الاستشراقية واتسعت مجالات بحثها – وحتى منتصف القرن الثامن عشر ، كان جلّ أولئك المستشرقين من رجال الكنيسة الذين تمتعوا بقسط وافر من العلم وكان من بينهم المتخصصون في اللغات السامية والإسلاميات .. ومع نهاية القرن الثامن عشر غطت حقول الدراسات الاستشراقية آسيا برمتها .. ومع منتصف القرن التاسع عشر تراكمت المعرفة عن المنطقة وزادت المواد المكتوبة عنها .. وحتى بعد منتصف القرن التاسع عشر كانت باريس مركزاً مزدهراً وقاعدة نشطة للدراسات الاستشراقية خاصة وأنها قريبة إلى أقطار الشرق وكانت تحتضن مقر « جمعية الدراسات الأسيوية Societe Asiatique » .

وتكاد الدراسات الاستشراقية تكون قد شملت في اهتماماتها وأنشطتها البحثية كافة الموضوعات ابتداء من تحقيق وتحرير وترجمة النصوص إلى النمّيات والدراسات الإنسانية والآثارية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والأدبية .. في الحضارات الأسيوية وحضارات شمال أفريقية المعروفة القديمة والحديثة .

وقمين بنا أن نذكر أن المستشرقين قد ركزوا أكثر على دراسة نِتاج الأجيال السابقة في مختلف العصور وفي شتى اللغات والحضارات مع استثناء واحد متصل « بمعهد نابليون للدراسات المصرية » الذي أظهر اهتماماً كبيراً بدراسة مصر الحديثة ووقائعها وحقائقها المعاصرة .

والشرق الذي درسه المستشرقون كان إلى درجة كبيرة قد درس من خلال الكلمة المكتوبة ؛ لذا فإن الأثر الذي طبعه الشرق كان من خلال الكتب والمخطوطات .

إن حقل الدراسات الاستشراقية كحقل للبحث جرى تقيعده في الغرب . وقد مارست هذه الدراسات تأثيرها إجمالاً بثلاث طرائق : على الشرق ذاته .. وعلى المستشرق .. وعلى الغربي المستهلك لمعلومات الاستشراق .. وإنه ليس من الصواب أن نطفف من قدر وقوة هذه العلاقة الثلاثية ... والشرق في نظر الغرب يُعاد تشكيله وقولبة أوضاعه ليوائم التصورات والأغراض الغربية من خلال الدراسات الاستشراقية – فهذا الشرق بالنسبة للغرب خارج عليه ومتربص وراء حدود المجتمع الأوربي . ووجهة النظر هذه ما تني تغرس وتغذي في نفوس الأوربيين من خلال ممارسات ثقافية وتربوية متواصلة ... وقد أصبح للدراسات الاستشراقية مؤسسات وجمعيات ومراكز جامعية ومنشورات دورية ومنفردة تخدم أغراض الدراسة والبحث فيها ولها تقاليدها ومصطلحها . وقد

انتشرت وتخلّلت الأفكار الاستشراقية الكتابات الشعرية والأدبية الأوربية منذ زمن بعيد .. وتحمل هذه الأفكار عداء سافراً وهجوماً مسعوراً على الإسلام ورسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ الذي يعتبره النصارى مارقاً عن دينهم ويعبر عن هذا العداء مثلاً الشاعر الإيطالي « دانتي » في ملحمته الموسومة (الكوميديا الإلهية DIVINE Comedy) المترجمة للإنجليزية والتي تدرس في غالبية أقسام تدريس اللغة الإنجليزية بجامعاتنا الإسلامية والعربية ... وتتمثل في ملحمته الوشيجة القوية بين الصورة التي رسمها الاستشراق للإسلام من جهة ومنظومة القيم النصرانية المعادية للإسلام من جهة أخرى ... إنه حكم متعصب لا عقلاني في أذهان النصاري هذا الذي سجله « دانتي » في ملحمته أثناء رحلته إلى عالم الجحيم : Inferno عبر المطهر : Purgatorio إلى الجنة – وقد سجلت عداء سافراً لرسول الله ﷺ .. وهجوماً مجنوناً على سيرة علي كرم الله وجهه .. وعلماء وفلاسفة المسلمين من أمثال ابن سينا وابن رشد ... ولم يسلم من هجوم « دانتي » قادة الإسلام حيث تعرض لقاهر الصليبيين صلاح الدين الأيوبي – ويهاجمهم دانتي جميعا لأنهم مسلمون أي غير نصاري ... ويجسد موقف دانتي المعادي للإسلام والمسلمين بصورة واضحة لا لبس فيها النظرة الأوربية للإسلام والمسلمين . إن مواجهة العالم الأوربي مع الشرق والإسلام بشكل خاص قد أسهم في ترسيخ النظرة العدائية التي رسمها « دانتي » للمسلمين الذين مثّلهم النصارى الأوربيون كخارجين Outsiders .

ونادراً ما كانت الدراسات الاستشراقية تلجأ لاستخدام الدراسات العملية وتستخدم قدراً كبيراً من التحليل والتوصيف للوقائع والظواهر المدروسة بحيث تبدو وكأنها دراسات تحليلية حيث تخصص وتقسم الظواهر والموضوعات التي تعالجها حول الشرق والإسلام بالذات إلى شرائح يتيسر التعامل والتمكن منها .. و « بإيجاز » نستطيع أن نخلص إلى القول بأن الدراسات الاستشراقية منطلقة أو معبرة عن شكل من أشكال الخوف والتهيب من أن يهب ويستعيد قوته ومجده الكيان القوي لعالم الإسلام متوسلا بالإيمان والعلم والجهاد – وها هو العالم الإسلامي على الرغم من كل التعويق يمضي في تطوره .. ويستمر في صحوته الإسلامية .. وينمي من منشآت العلم والتقنية والتسليح فيه .. ويواكب ذلك اهتمام غربي لا يتوقف ولا يفتر في اخضاع المسلم لدراسته فهو محور بحثه ... إنه يتفحصه بمجهرية وروية ككائن يتسم بالاختلاف عنه وبالآخرية Otherness التي تشكل شخصية جوهرية ومشكلة بحثية تستحث العالم الغربي لمتابعتها ودراستها .. وينظر الباحث الغربي إلى هذه الشخصية كشخصية سالبة Passive لا شخصية إيجابية مشاركة تتمتع بذاتية تاريخية حضارية متميزة .. ويجرد هذه الشخصية من الاستقلالية والسيادة .. ويرمي الباحث الغربي إلى الوصول إلى تعطيل كامل لإمكانات هذه الشخصية وإيجابياتها لإعادة قولبة هذه الشخصية للمسلم وصياغتها على نحو يوائم أغراضه . ومن بين ما يلجأ إليه بناء (عدم الانتماء والتغريب) لشخصية المسلم لفض العلاقة بينه وبين ذاته وبينه وبين مجتمعه وتراثه – وهو يسلك في ذلك جادته الخطيرة من منطلق « الفوقيه » ومن تبنيه المسبق لمفاهيم مغروسة عن الإسلام والمسلمين تصنف « إثنولوجيا » الأوربيين كسادة البشر ... وقد تغذّت عقول الأوربيين بخرافة تميز الجنس الآري وساهم العلماء الأوربيون في بث ودعم هذه الخرافة .. ومن هؤلاء العلماء ... فردريك شليجل Fridrich Schlegel .. ليون بولياكوف Leon Poliakov .. جوبينو Gobineau .. رينان Renan .. ويل Weil .. هامبولدت Humboldt .. ستانثال Steinthal .. بيرنوف Burnouf .. ريموزات Remusat .. بالمر Palmer .. دوزي Dozy .. موير Muir – وغيرهم ، كما كان للجمعيات الاستشراقية ومنشوراتها أثرها في هذا الصدد وبخاصة جمعية الدراسات الأسيوية التي تأسست في باريس سنة ١٨٢٢ م .. والجمعية الملكية للدراسات الأسيوية RAS التي تأسست في لندن سنة ١٨٢٣ م ، والجمعية الأمريكية للدراسات الشرقية AOS التي تأسست سنة ١٨٢٤ م – كما أسهم في خلق هذه الخرافة وتكريس التقسيمات التي وضعها المستشرقون « أدب الرحلات ..

والقصص والشعر ، سواء كانت هذه التقسيمات جغرافية أم زمنية أم عنصرية Rocial ، ومن الكتاب الذين أسهموا في ذلك هوجو Hugo ، شاتوبريان Chateaubriand ، لامارتين Lamartine ، كنجليك Kinglake ، نيرفال Nerval ، فلوبير Flaubert ، لين Lane ، بيرتون Burton ، سكوت Scott ، بايرون Byron ... كما يمكن أن تُضم لهذه الأسماء أسماء كتاب آخرين في فترة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مثل دوتي Doughty ، بريس Barrés ، لوتي Loti ، تي .أي . لورانس T.E. Lawrence وفورستر Forster ...

ومهدت شتى الدراسات والإسهامات الفكرية لهؤلاء للسيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي – وما الاستعمار في حقيقته إلا تجسيد عملي للمعطيات الفكرية والدينية والسياسية لهذه الدراسات ، وتنفيذ واقعي لمخططاتها ، وتحقيق عسكري لمآربها ، ووسيلة أتي بها لحماية المصالح الأوربية في المنطقة وهذه المصالح سياسية عسكرية تبشيرية نصرانية ثقافية اتصالية اقتصادية . وقد تبارت القوتان الأوربيتان الرئيسيتان بريطانيا وفرنسا في توسيع نطاق السيطرة الاستعمارية على أقطار المنطقة ، وادّعت بريطانيا مثلاً أن لها مصالح مشروعة في المنطقة كدولة نصرانية تبرر لها أن تكون حارسة وخادمة للكنيسة والنصارى في المنطقة ، ومن هنا تكوّن جهاز معقد من المنظمات والجمعيات لرعاية هذه المصالح وتنفيذ مشاريعها في المنطقة – ومن هذه الجمعيات مثلاً : جمعية نشر الثقافة المسيحية (١٦٩٨ م) ، جمعية نشر الإنجيل في المناطق الأجنبية (١٧٠١ م) وقد خلفتهما في مهماتهما :

الجمعية التبشيرية البابوية (١٧٩٢) ،
جمعية الكنيسة التبشيرية (١٧٩٩) ،
جمعية الإنجيل البريطانية لخدمة الأجانب (١٨٠٤) ،
جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود (١٨٠٨) ،

وقد أسهمت هذه الجمعيات بصراحة (وعلى المكشوف) في توسيع نطاق السيطرة الأوربية في الأقطار الإسلامية المستعمرة ... وقد تآزرت جهودها مع جهود الجمعيات العلمية المختلفة والتجارية والجغرافية واللغوية المعنية بشؤون هذه الأقطار ، أو العاملة فيها .. وتعاضد معها جميعا في بدايات فترة التمهيد والمد الاستعماري في الأقطار الإسلامية المكاتب القنصلية اللأوروبية العديدة المزروعة في مدائنها وتجمعاتها السكانية والبعثات والإرساليات والمدارس الطائفية والجاليات الأوربية التي استقرت فيها .. وكان هناك تناغم واتفاق غير عرضي بين نشاط الاستشراق ومدّ الاستعمار في أقطار الشرق الإسلامية . وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى زيف الصور الكثيرة التي تكشف عما رسمه المستشرقون عن الشرق الإسلامي [١٨] ؛ الأمر الذي أعطى دفعاً للدراسات الشرق أوسطية المعاصرة التي تنشد الحقيقة عن المنطقة وأهلها متسلحة بمنهج تكاملي تتشابك فيه دراسات

- **الدراسات الاستشراقية مارست تأثيرها على : الشرق الإسلامي . المستشرق ثم الغربي المستهلك لمعلومات الاستشراق .**

بموضوعية في بحث أحوال المنطقة الدينية – والسياسية والاستراتيجية والعسكرية والاجتماعية واللغوية والأدبية والثقافية . وتتباين النظرة لهذه الدراسات ويعتبرها عدد من الباحثين – مثل « ادوارد سعيد » العالم الفلسطيني الذي يكتب برؤية نافذة وبصيرة علمية متعمقة في موضوعات الاستشراق – الشكل الحديث للدراسات الاستشراقية والتعبير الجديد الذي تقمصته لأن المنطق واحد لكافة هذه الدراسات والغرض واحد لها جميعا .. فهي تهدف إلى معرفة الشرق الإسلامي للهيمنة عليه وإعادة صياغته بالتوسل بالإمكانات الأوربية والأدوات الفكرية والمادية . بيد أن بعض الباحثين يفرق بين الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية والدراسات الاستشراقية كالمستشرق البريطاني المعروف (جب) .

وقد بحث كاتب هذه المقالة العلاقة الموضوعية بين هاتين الطائفتين من الدراسات ، فأخذ الباحث عينتين عشوائيتين من الدراسات الإقليمية ضمن أربعة عشر قطرا سبعة منها شرق أوسطية إسلامية وسبعة أخرى أوربية .. وتم تحليل الموضوعات فيها للتحقق من اتجاهات البحث الموضوعي في كل من الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية والدراسات الإقليمية الأوربية . وقد استقصى الباحث الموضوعات المبحوثة فيهما وحددها بغية قياسها قياساً مقارناً ...

ولما كان هذا القياس متعذرا دون تكميم Quantification فقد أحصيت أعداد الصفحات التي استوعبتها معالجة كل موضوع في كل من الدراسات الإقليمية المبحوثة .. وقد حسبت النسب المئوية لهذه المعالجات الموضوعية ورُتِّبَتْ حسب أهميتها التي تتناسب مع القدر المحسوب لتلك النسب كما يوضح الجدولان التاليان : –

أهمية الموضوعات المختلفة في الدراسات الاقليمية الشرق أوسطية للأقطار العربية

الموضوع	عدد الصفحات المكرسة له	النسبة المئوية	رتبة الأهمية
الاجتماع	٩٣	٤,٩	٨
الأدب والفن	٣٨	٠٢	١٠
الإعلام	٩٧	٠٥,١	٧
الاقتصاد	٤٥٢	٢٣,٨	٢
التاريخ	٢٠٨	١١	٣
التربية	١٠٤	٠٥,٥	٥
الجغرافية	٢٠٢	١٠,٦	٤
الدين	١٠٣	٠٥,٤	٦
السياسة والإدارة	٥٢٢	٢٧,٥	١
العلوم	١٠	٠٠,١٥	١١
اللغة	٦٦	٠٣,٥	٩

الأقطار الشرق أوسطية الإسلامية

(الأردن ، الباكستان ، السعودية ، السودان ، سورية ، لبنان ، موريتانيا)

أهمية الموضوعات المختلفة في الدراسات الاقليمية الأوروبية

الموضوع	عدد الصفحات المكرسة له	النسبة المئوية	رتبة الأهمية
الاجتماع	١١٦	٠٦	٦
الأدب والفن	١٢٢	٠٦,٣	٥
الإعلام	١١٤	٠٥,٩	٧
الاقتصاد	,٤٢٧	٢٢	٢
التاريخ	١٧٢	٠٨,٩	٣
التربية	١١١	٠٥,٧	٨
الجغرافية	١٥٦	٠٨	٤
الدين	٥٤	٠٢,٨	٩
السياسة والإدارة	٦٣٠	٣٢,٥	١
العلوم	١٥	٠٠,١٧	١١
اللغة	٢٢	٠١,١	١٠

الأقطار الأوروبيـة

(ألمانيا الاتحادية ، المانيا الشرقية ، بولندا ، تشيكسلافاكيا ، فنلندا ، النمسا ، هغاريا)

وقد استخدمت معادلة سبيرمان لحساب معامل الارتباط بين رتب الأهمية للموضوعات المبحوثة في كل من الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية ، والدراسات الأقليمية الأوربية كما هو موضح أدناه واستخدمت الرموز التالية في المعادلة :

ر = معامل الارتباط

مج ف^{2} = مربع مجموع الفروقات بين رتب الأهمية

ن = عدد الموضوعات المبحوثة

وتسجل معادلة سبيرمان عادة هكذا :

$$ر = ١ - \frac{٦ \text{ مج ف}^{2}}{ن (ن^{2} - ١)} = ١ - \frac{٦ \text{ مج ف}^{2}}{ن^{3} - ن}$$

إذن يكون حلها بموجب الأرقام في الجدول التالي هكذا :

$$= ١ - \frac{٦ \times ٤٨}{١٣٣١ - ١١} = ١ - \frac{٢٨٨}{١٣٢٠} = + ٠,٧٨$$



الارتباط بين رتب الأهمية للموضوعات المختلفة في الدراسات الاقليمية الشرق أوسطية ، والأوروبية

العدد ن	الموضـــوع	رتبة أهمية الموضوع في الدراسات الشرق أوسطية	رتبة أهمية الموضوع في الدراسات الأوروبية	ف : الفرق بين الرتب	ف٢ : مربع الفرق بين الرتب
١	الاجتماع	٨	٦	٢	٤
٢	الأدب والفن	١٠	٥	٥	٢٥
٣	الإعلام	٧	٧	٠	٠
٤	الاقتصاد	٢	٢	٠	٠
٥	التاريخ	٣	٣	٠	٠
٦	التربية	٥	٨	٣-	٩
٧	الجغرافية	٤	٤	٠	٠
٨	الدين	٦	٩	٣-	٩
٩	السياسة والإدارة	١	١	٠	٠
١٠	العلوم	١١	١١	٠	٠
١١	اللغة	٩	١٠	١-	١
ن = ١١					مج ف٢ = ٤٨

ولما كان معامل الارتباط المحسوب بين رتب أهمية الموضوعات المبحوثة في الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية والدراسات الإقليمية الأوربية يبلغ + ٠,٧٨ ، فإننا نستنتج وجود ارتباط احصائي جيد بين هذه الرتب مما يعكس قدراً كبيراً من الانسجام في الاتجاهات الموضوعية للدراسات الإقليمية المبحوثة .

وكانت الخطوة التالية التي اتخذهاالباحث هي معرفة رتب أهمية الموضوعات المبحوثة في الدراسات الاستشراقية لحساب الارتباط بينها وبين رتب أهمية هذه الموضوعات في الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية للأقطار الإسلامية ... وفي سبيل ذلك : رجع الباحث لسير ونتاج المستشرقين وبخاصة في كتاب حديث « للدكتور صلاح الدين المنجد » ... عني بدراسات المستشرقين في كافة الموضوعات .. واشتمل على « مسرد شامل لما كتبه المستشرقون من دراسات عن تراثنا الإسلامي منذ منتصف القرن ١٩ » ، .. وقد قدم خلاصة ما اختار من دراسات لهؤلاء المستشرقين في الكتاب الموسوم – المنتقى من دراسات المستشرقين [١٩] ، الذي وضع ليتيح « للمثقفين (العرب) الإطلاع على نتاج علماء الغرب .. ومناهجهم في البحث .. وطرقهم في الدرس .. وعلى مصادرهم وينابيع دراساتهم » ، ... وقد أبرز المنجد دور الاستشراق الألماني . ويقول في أصحابه : « اشتغل الألمان في الآداب العربية بهمة ونشاط بين ترجمة ونشر وبحث وتنقيب ، ولعلهم أكثر المستشرقين عملاً في نشر الآداب العربية » [٢٠] .

ويتضح في الكتاب أن إسهامات بروكلمان المستشرق الألماني المعروف تمثل نموذجاً جيداً لجهود المستشرقين .

وقد قام كاتب هذه المقالة بقراءة ما كُتب عنه وما كتبه بروكلمان ووجد أنه غزير الإنتاج موسوعي الثقافة وملم بمعرفة غنية عن لغات الشرق حديثها وتالدها من عربية وسريانية وتركية وعبرية ...

وقد قام الكاتب بالتحليل الموضوعي لأكثر من ٢٦٠ كتاباً ومقالة لبروكلمان - بالإضافة إلى ذلك جرى تحليل موضوعي لأعمال نخبة من المستشرقين الألمان الآخرين ، وأعمال مستشرقين اختيروا من أقطار أوربية أخرى غير ألمانيا ضمت : بريطانيا إيطاليا السويد وفرنسا .

وكان لهم دور نشط في إسهامات الدراسات الاستشراقية[٢١] .

ويوضح الجدول التالي أسماء وجنسيات وأعداد هؤلاء المستشرقين الذين أخضعت أعمالهم للتحليل الموضوعي :

اسم المستشرق		الجنسية	العدد من كل جنسية
بركلمان ، كارل	Brockelman,C.	ألماني	
شنابير ، أ . م	Schneider, A.M	ألماني	
شاخت ، ي	Schacht, J	ألماني	
كراوس ، ب	Kraus, P.	ألماني	
تشنر ، فرانز	Taeschner, F	ألماني	
كرايم ، ب	Kraemer, J	ألماني	
ريتر ، هـ	Ritter, H	ألماني	
جب ، أ	Jibb, A.	بريطاني	١
جبرايلي	Gabrieli	إيطالي	٢
نلينو ، ك	Nallino, C.	إيطالي	٢
ويت ، ج	Wiet, G	فرنسي	١
زيترستين ، ك	Zettersteen, C	سويدي	١
مجموع المستشرقين			١٢

ويوضح الجدول التالي احصائيات التحليل الموضوعي لمحتويات اثنتى عشرة ببليوجرافية مختارة بأعمال المستشرقين آنفي الذكر :

جدول يوضح رتب أهمية الموضوعات المبحوثة في الدراسات الاستشراقية



الموضوع	عدد المؤلفات المحلّله فيه	النسبة المئوية	رتبة الأهمية
الاجتماع	٤	٠١	٩
الأدب	٦٢	١٦,١	٣
الاقتصاد	١	٠٠,١	١١
التاريخ	٤٧	١٢,٢	٤
التربية	٢٣	٠٦	٥
الجغرافية	١٣	٠٣,٣	٦
الدين	١٥٢	٣٩,٥	١
السياسة والإدارة	٢	٠٠,١	١٠
العلوم	٨	٠٢	٨
الفلسفة	٩	٠٢,٣	٧
اللغة	٦٤	١٦,٦	٢

وقد جدولت فيما يلي رتب أهمية الموضوعات المبحوثة في كل من الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية والدراسات الاستشراقية لكشف الارتباط بينها :

جدول يوضح رتب أهمية الموضوعات في الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية، والاستشراقية

ن العدد	الموضوع	رتبة الموضوع في الدراسات الأقليمية الشرق أوسطية	رتبة أهمية الموضوع في الدراسات الاستشراقية	ف : فرق الرتب	ف٢ : مربع ف
١	الاجتماع	٧	٨	١−	١
٢	الأدب	٩	٣	٦	٣٦
٣	الاقتصاد	٢	١٠	٨−	٦٤
٤	التاريخ	٣	٤	١−	١
٥	التربية	٥	٥	٠	٠
٦	الجغرافية	٤	٦	٢−	٤
٧	الدين	٦	١	٥	٢٥
٨	السياسة والإدارة	١	٩	٨−	٦٤
٩	العلوم	١٠	٧	٣	٩
١٠	اللغة	٨	٢	٦	٣٦
ن = ١٠					مج ف٢ = ٢٤٠

وعولجت الاحصائيات المجدولة على النحو التالي لبحث الارتباط فيما بينها :

$$ر = ١ - \frac{٦ \text{ مج ف}}{(ن^{٣} - ن)} = ١ - \frac{٦ \times ٢٤٠}{١٠٠٠ - ١٠} = ١ - \frac{١٤٤٠}{٩٩٠} = ٠,٤٥$$

ويفيد هذا الحاصل بوجود ارتباط سالب ضعيف بين رتب الأهمية للموضوعات في الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية والدراسات الإقليمية .

كما نلاحظ تأكيد الدراسات الاستشراقية في المقام الأول على معالجة الموضوعات الإنسانية وبخاصة الدين ، اللغة ، الأدب – بينما نجد أن الدراسات الشرق أوسطية قد علقت أقصى الأهمية لبحث الموضوعات الاجتماعية المعاصرة وبخاصة السياسة والإدارة والاقتصاد – بينما يمثل تاريخ وجغرافية المكان أهمية متوازية تقريباً في هاتين الطائفتين من الدراسات .

الخلاصة :

تعرض الصفحات السابقة لأهم الجوانب الوصفية والمنهجية والموضوعية والأغراض لكل من الدراسات الإقليمية مع التركيز على الدراسات الشرق أوسطية للأقطار الإسلامية والدراسات الاستشراقية ويمكن أن نوجز في بيانات موازنة العناصر الهامة التالية حول هاتين الطائفتين من الدراسات :

أولاً : من حيث التغطية الموضوعية : تكاد الاهتمامات الموضوعية لهما أن تغطي شتى موضوعات المعرفة . بيّد أن الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية تؤكد أكثر على معالجة الموضوعات المتصلة بالإدارة والسياسة والاقتصاد بينما تؤكد الدراسات الاستشراقية أكثر على معالجة موضوعات الدين واللغة والأدب ...

ثانياً : من حيث التغطية الجغرافية : ركزت المقالة على تناول أقطار الشرق الأوسط الإسلامية في معالجات كل من الدراسات الإقليمية ، والاستشراقية – إلا أن الاهتمامات الجغرافية لكافة هذه الدراسات قد تغطي أقطاراً غير إسلامية في الشرق .. وهذا خارج عن نطاق معالجة المقالة ...

ثالثاً : من حيث المنهجية فإن العلماء في هذه الدراسات يقومون بدراسات في الأقطار المدروسة بسبب إقامتهم فيها إلا أن الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية تؤكد أكثر جانب الدراسات الميدانية والعملية بينما تؤكد الدراسات الاستشراقية على أهمية المادة الموثقة في المخطوطات والوثائق والكتب ...

رابعاً : من حيث التغطية الزمنية فإن الدراسات الإقليمية الشرق أوسطية تركز أكثر على معالجة الأوضاع الحديثة والمعاصرة بينما تعالج الدراسات الاستشراقية – على نحو غالب – أوضاعاً تاريخية وحضارية ماضية لفهم الحاضر واستشراف المستقبل ...

خامساً : بينما انبثقت الدراسات الاستشراقية ونمت في أوربا في بداياتها نجد أن الدراسات الإقليمية قد اشتهرت وتطورت على يد العلماء الأمريكان ...

سادساً : تتكامل الدراسات الإقليمية والاستشراقية في معالجتهما لأحوال الشرق الإسلامي وأهله وتلتقي كثيراً في أغراضها ودوافعها – وهي على الأغلب تستهدف المعرفة العميقة عن المنطقة وأهلها والتوسل بهذه المعرفة للتأثير وممارسة النفوذ والهيمنة عليها من نواح شتى تحركها نوازع سياسية وعسكرية واقتصادية ودينية وثقافية ...

● ● ولا ينفي الكاتب وجود دراسات موضوعية وباحثين يسعون وراء الحقائق العلمية عن المنطقة إلا

• ليونارد بانيور Leonard Binder أستاذ كرسي ، في العلوم السياسة ، جامعة شيكاغو .



أن ذلك نادر لأن الدوافع الاستعمارية والتبشيرية والفكرية تبقى فاعلة محركة لغالبية هذه الدراسات .

● ● وقد أسهم كثيرون من نصارى الأقطار العربية في هذه الدراسات إسهاماً مخلصاً للأغراض الأوربية وليس للمصلحة الوطنية وجعلهم معروفين في نطاق حركة الفكر الإسلامي ، وينبغي أن تنقد وتدرس كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين بنفس الروح العلمية الحذرة التي يعالج في ضوئها عمل المستشرقين والخبراء الإقليميين الأوربيين .

المراجع

١ – Library of Congress. Subject headings, vol. I, 9th ed. Washingten, D.C Lc, 1980

٢ – Thesaurus Of ERIC descriptors, 9th ed. Phoenix, Ariz. Oryx Press, 1982, PP. 16, 171

٣ – ويضيف المكنز التالي إلى الموضوعات ذات العلاقة بالدراسات التعليمية : الثقافة الأفريقية ، التاريخ الأفريقي ، العرب ، الثقافة الأجنبية ، الثقافة الإسلامية ، تاريخ الشرق الأوسط :

Root thesaurus, London: BSI, 1981, P. 154

٤ – Wood, Bryce «Area Studies» in: Sills,D. ed. International encyclopedia of the Social Sciences, Vol. 1 Ny: Mcmillan, 1968, P. 404

٥ – « الشرق الأوسط » في : الموسوعة العربية الميسرة .
بيروت : دار نهضة لبنان ، ١٤٠١ (١٩٨١) ، مج٢ ، ص ص ١٠٧٩ – ١٠٨٠

٦ – Binder, L. The Study Of the Middle East. Ny: Wiley, 1967, P.3

٧ – Binder, L. «Area Studiesi: a Critical reassessment» in The Study of the Middle East, Ibid, P. 1

٨ – Binder, Lbid , P. 1

٩ – Binder, L. Ibid, P. 1

١٠ – Lambert, Richard D. Language and area Studies review Philadelphia: American Academy of polifical & Social Science, 1973. (AAPSS Monographs, 17), PP. 53-117

١١ – Dorr, Steven R. Middle Eastern Studies. Washington, D.C.: Smithsonian Institution, 1981, P. 210

١٢ – Lambert, Richard D. op cit, P. 16

١٣ – عبد النور ، جبور . المعجم الأدبي . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ ، ص ١٧

١٤ – Lambert, Richard. op cit, pp. 4-12, 59, 69, 70, 78, 93, 109- 177

١٥ – صبرة ، عفاف . المستشرقون ومشكلات الحضارة . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ ، ص ٨

١٦ – Lambert, Richard, Op cit, P. 9

١٧ – العقيقي ، نجيب المستشرقون . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ج ٢ ، ص ٤٣٠

١٨ – Said, Edward W. Orientalism. London: Routledge, 1978, P. 1-311

١٩ – المنجد ، صلاح الدين . المنتقى من دراسات المستشرقين : دراسات مختلفة في الثقافة العربية ، ط ٢ . بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٣٩٦ (١٩٧٦) ، ج ١ .

٢٠ – المصدر السابق ، صص ٢٧ – ٤١ : انظر مثلاً هنا « قائمة بمؤلفات الأستاذ بروكلمان الرئيسية » .

٢١ – جرى الاعتماد في التحليل الموضوعي لأعمال المستشرقين عن الأقطار الأوربية على محتويات البيليوجرافيات الانتقائية التي ساقها المنجد في كتابه آنف الذكر ، ص ص ١ – ٢٤٥

ملاحظة : يميل كاتب المقالة الراغبين في الاطلاع على نماذج من مؤسسات ومراكز الدراسات الإقليمية وأنشطتها إلى مقالته حول الموضوع : « بين الدراسات الإقليمية والدراسات الاستشراقية » عالم الكتب : مج ٥ ، ع ١ ، رجب ١٤٠٤ ، ص ص ٥٤ – ٦٢.



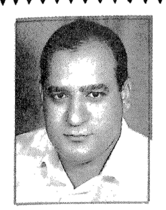
الفصل الثالث

وقفات استشراقية

« متى بدأ الاستشراق، وكيف؟ ما دوافعه واهدافه وغاياته؟ أى منهجية تبناها وسار عليها فى دراساته للتاريخ الاسلامى؟ ما هو دوره فى تحقيق التراث الاسلامى والعربى؟ جهوده فى الأدب العربى؟ مجموعة من الأسئلة وعلامات استفهام تدور فى ساحات الاستشراق تحتاج الى اجابة.. اجابة تتوخى الدقة والموضوعية..

ولعل هذا الفصل يضع لنا النقاط فوق الحروف كما يقولون.. او على اقل تقدير يعطينا اضاءات كاشفة تنير لنا الطريق.

ثم نتوقف قليلا عند انتاج المستشرقين واثره فى الفكر الاسلامى وهو توجه يلخص لنا القيمة الموضوعية لهذا الكم الهائل من نتاج المستشرقين وعطائهم فى مجالات الدراسات الاسلامية. وكل دراسة من هذه لابد ان تلقى ظلالها على طبيعة الغاية المرادة منها.



الخلفية التاريخية

ومنهجه فى كتابة التاريخ الاسلامي

بقلم : الدكتور محمد بركات البيلي

الاستشراق اصطلاح شاع تداوله على الساحة الفكرية سيما إذا كان الموضوع المطروح يتعلق بحركة الحضارة وموقف الغرب الأوروبي من حضارات الشرق عامة والحضارة الإسلامية خاصة .

ولقد سبق كثير من الدارسين إلى دراسة الاستشراق وتعريفه وتحديد نشأته وبيان دوافعه ووسائله وأهدافه بما يجعلها في غنى عن تفصيل القول في ذلك (١) وإن كنا نلفت النظر إلى أن الاستشراق وإن كان قد وسع مجال دراساته مؤخراً فلا يزال موضوعه الرئيسي والأهم هو الإسلام وعالم الإسلام (٢) .

ومع تقديرنا لجهود كافة الدارسين فإننا نعتقد أنه من المفيد أن نتناول في هذا البحث الموجز الخلفية التاريخية للاستشراق ومنهجه في كتابة التاريخ الإسلامي آملين القدرة على إبراز الترابط بينهما .

الخلفية التاريخية للاستشراق :

لم يتفق الباحثون على تحديد بداية بعينها للاستشراق ولعل ذلك راجع إلى أن الدراسات الاستشراقية كانت تسبق ظهور مصطلح الاستشراق **Orientalism** بزمن طويل يصل في رأينا ــ لقرابة ألف عام . ونعتقد أنه من المفيد أولا أن نلفت النظر إلى الملاحظات الآتية :-

١ ــ لم تبدأ الدراسات الاستشراقية في أوروبا دفعة واحدة وإنما اختلفت بداياتها من جهة لأخرى ، ومن بلد لآخر ، تبعاً لاحتكاك هذا البلد أو ذاك بالعالم الإسلامي ودنوه منه أو بعده عنه .. ويمكن في ضوء هذا أن نفهم لماذا سبقت الدراسات الإسلامية في بلد كالأندلس ــ على سبيل المثال ــ مثيلاتها في بلد آخر كانجلترا أو ألمانيا .

٢ ــ كان الباعث الأول والأساسي للاستشراق ــ وباعتراف أهله ــ باعثا دينياً هو التعرف على الدين الإسلامي وعلى عالم الإسلام (٣) .

٣ ــ لما كان التعرف الأوربي على الإسلام وعالمه وليد فترة مجابهة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي فقد كان الهدف منه هو محاربة الإسلام والإساءة إليه والحد من إنتشاره ــ وفي هذا الصدد يعترف المستشرق الألماني « رودى بارت » بأن موقف الغرب المسيحي من الإسلام كان الدفع والمشاحنة .. وأن العلماء ورجال اللاهوت المسيحي في تعرفهم على الإسلام كانوا مقيدين بحكم مسبق خلاصته أن هذا الإسلام المعادي للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير (٤) .

في ضوء الملاحظات السابقة يمكننا القول : إن بداية الدراسات الاستشراقية ارتبطت ببداية تعرف الأوروبيين على الإسلام وعالمه ، وإذا صح ذلك فإننا نعتقد أن هذا التعرف الأوربي على الإسلام بدأ مبكراً أكثر بكثير مما يظن الكثيرون . بدأ ــ فيما يبدو ــ منذ العام الهجري السابع في حياة الرسول نفسه ﷺ وعقب إيفاده ﷺ مبعوثاً بكتابه إلى قيصر الروم يدعوه فيه إلى الإسلام كغيره من حكام وقته ... فقد روى البخاري عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أن أبا سفيان بن حرب أخبره أنه كان وجماعة من تجار قريش في تجارة بالشام عقب صلح الحديبية فاستدعاهم هرقل وسأل أبا سفيان عن أخلاق رسول الله وعن سيرته في قومه ودعوته إياهم ، ولم يكذب أبو سفيان رغم جاهليته حينئذ خشية أن يؤثر عليه الكذب ، فلما سمع هرقل أجوبة أبي سفيان قال هرقل في رسول الله قولا حسناً فأسخط عظماء الروم فصخبوا وارتفعت أصواتهم لمقولته .

على هذا النحو كانت بداية تعرف الأوروبيين البيزنطيين على الإسلام ورسوله وإعلانهم لموقفهم الغاضب منه ، وهكذا تحددت نظرة الأوربيين إلى الإسلام منذ البداية وقبل أن تقع بينهم وبين المسلمين أي موقعة حربية مما يدل على وجود الباعث الديني لعداء الأوربيين للإسلام قبل وجود أي باعث سياسي ، ثم جاءت الفتوحات الإسلامية ووقعت الحروب بين المسلمين والأوروبيين البيزنطيين لتؤجج عداء مسيحي أوروبا للإسلام ، ذلك العداء الذي سيبلغ ذروته بعد ذلك في الحروب الصليبية .

ومع أن أوروبا البيزنطية الأرثوذكسية سبقت أوروبا الغربية الكاثوليكية في الاتصال بالعالم الإسلامي والتعرف على الإسلام بحكم قربها منه واحتكاكها به ومحاربتها له ، فإن إمتداد العالم الإسلامي إلى الأندلس ثم صقلية أدى إلى احتكاك الغرب الأوروبي الكاثوليكي بالإسلام إحتكاكاً مباشراً فتبعوا البيزنطيين في التعرف على الإسلام .. ولم يكن هذا التعرف سوياً ولا موضوعياً وإنما كان باعتراف أحد المستشرقين « على أثر تلك المعارك العقلية العنيفة التي أرهق فيها الجدليون البيزنطيون الإسلام بمساوىء واحتقارات دون أن يتعبوا أنفسهم في دراستهم ــ هب الكتاب والشعراء المرتزقة من الغربيين وأخذوا يهاجمون العرب فلم تكن مهاجمتهم إياهم إلا تهماً باطلة بل متناقضة » (٥) .

لقد أوجد ظهور الإسلام ثم فتوحاته لدى الأوروبيين ما يمكن تسميته « المسألة الإسلامية » ومعناها ــ في تقديرنا ــ كيفية مواجهة أوروبا المسيحية للخطر الإسلامي الذي أخذ يدق بشدة بوابتي أوروبا الشرقية والغربية على السواء . ولم تقتصر مواجهة الغرب المسيحي للشرق الإسلامي على الحروب ومساحات القتال وإنما كانت هناك مواجهة من نوع آخر لاتقل خطورة أو أهمية هي التصدى للدين الإسلامي ، وكان من وسائل الغرب الأوروبي في هذا التصدي الدراسات الاستشراقية .

وبناء على ما سبق يمكن القول : إن تاريخ الاستشراق هو نفسه تاريخ المسألة الإسلامية لدى الأوروبيين والتي تعني ــ كما أوضحنا ــ كيفية تصديهم للتيار الإسلامي .

ويقسم جان بول رو ما يسميه الصراع بين المسيحية والإسلام ــ أو على الأصح الصراع بين العالمين الإسلامي والمسيحي إلى خمسة مراحل :-

- علماء المسيحية ورجال اللاهوت المسيحي في تعرفهم على الإسلام كانوا مقيدين بحكم مسبق خلاصته أن الإسلام معاد للمسيحية .
- التعرف الأوروبي على الإسلام وعالمه كان وليد مجابهة بين العالم الإسلامي والمسيحي .
- بدعوى العلمية والمنهجية الدراسية سعوا إلى دراسة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية .. فشوهوا الحقائق ودسوا السم في العسل .

الأولى : مرحلة الاندفاع العربي نحو الغرب وتبدأ غداة وفاة النبي ﷺ ، وتنتهي بالفتح الإسلامي للشرق البيزنطي ، وبلاد المغرب وأسبانيا وصقلية .. والعمليات الحربية في جنوب أيطاليا وفي سردينيا وفرنسا .

الثانية : هي الرد المسيحي في حرب أسبانيا .. والعمليات الحربية في شمال أفريقية .. والحملات الصليبية في المشرق .. وتنتهي — في تقديره — بالنصر في حوض البحر المتوسط الغربي وبالفشل في الشام .

الثالثة : وتشهد عودة المسلمين إلى التوسع على حساب المسيحيين وذلك على أيدي الأتراك .. وتمتاز هذه المرحلة باحتلال القسطنطينية والبلقان وأوروبا الوسطى .. وبوقف التوسع الأوروبي في شمال أفريقية .

الرابعة : فهي رد مسيحي جديد — وتتمثل في طرد الأتراك من ممتلكاتهم .. والقضاء على قوة الإسلام — على حد تعبيره — في آسيا الوسطى وروسيا .. وفرض الاستعمار أو الحماية على القسم الأكبر من ديار الإسلام .

الخامسة : هي المعاصرة ويمكن وصفها بأنها مرحلة النضال ضد الاستعمار وتحرير الإسلام (٦) .

غير أننا نستطيع تقسيم المسألة الإسلامية — كما عرفناها — إلى مرحلتين رئيسيتين يفصل بينهما النصف الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي .

كانت المرحلة الأولى منهما هي مرحلة المد الإسلامي — بمعنى إمتداد سلطان الإسلام السياسي حتى أجزاء من أوروبا نفسها من ناحية .. ومن ناحية أخرى ارتقاء الحضارة الإسلامية حتى كانت المنار الوحيد الذي يشع الضوء لينير ظلمات القرون الوسطى . ورغم ما تخلل هذه المرحلة من حروب صليبية في المشرق وفى الأندلس .. فلم يتقلص سلطان الإسلام السياسي إلا قليلاً .. ولم ينطفيء مشعله الحضاري .. واختتمت هذه المرحلة بالإستيلاء العثماني على أوروبا الشرقية ووصولهم إلى أعتاب فينا . غير أن المد الإسلامي مالبث في المرحلة الثانية أن توقف — ثم أخذ في الانحسار عن أوروبا ففقد المسلمون الأندلس نهائياً بسقوط غرناطة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م .. ثم ضعف العثمانيون على الجبهة الشرقية . وأثار ضعفهم شهية أوروبا لاستعمار العالم الإسلامي ونهب ثرواته .. وخفّت ضوء الحضارة الإسلامية .. ونهضت أوروبا من رقاد قرونها الوسطى المظلمة .. وارتبطت صحوتها بحركة استعمارية مهما قيل في دوافعها فلا خلاف على عدائها للإسلام ورغبتها للهيمنة على عالمه واستنزافه .

إذا أخذنا بهذا التبسيط لما أسميناه المسألة الإسلامية فإن الاستشراق كان له دوره في كل مرحلة من مرحلتيها الأولى والثانية .

ففي المرحلة الأولى (المد الإسلامي) كان الاستشراق يعمل على تحصين الغرب المسيحي أمام المد الإسلامي ، والحيلولة دون انتشار الإسلام وعقيدته على حساب المسيحية . فلقد أدركت الكنيسة الأوربية بشقيها الشرقي والغربي ، أنها بعقيدتها المتهالكة لا تقوى على محاجة العقيدة الإسلامية الراجحة .. وأن الأوروبيين إذا تركوا وشأنهم إزاء الإسلام فسيقبلون عليه إقبالاً شديداً مثلما حدث في جنوب البحر المتوسط وفي الأندلس ـــ لذلك لم تأل الكنيسة جهداً لتشويه الإسلام وتقديمه في صورة مزرية إلى أتباعها الأوروبيين وجندت لتلك المهمة المستشرقين المنبثقين عن الكنيسة أو المتحالفين معها .. لذلك لم يكن من الغريب أن يكون طلائع المستشرقين ـــ المشار إليهم بهذا الاسم ـــ من رجال اللاهوت المسيحي أنفسهم مثل « جربرت دي أورلياك » الذي كان راهبا نبدكتيا في الأصل وتلقى علوم المسلمين في الأندلس ، ولما عاد إلى أوروبا تولى البابوية باسم البابا سلفستر الثاني عند نهاية القرن العاشر الميلادي ، وأيضا بطرس المبجل ، وأد لرد أوف باث ، وتوما الأكويني ، وغيرهم من اللاهوتيين الذين اشتغلوا بالأستشراق (٧) .

وقد اختلق هؤلاء المستشرقون اللاهوتيون الأكاذيب عن الإسلام وألصقوا به تهما باطلة ليست فيه وروجوها بين ذويهم . يعترف المستشرق كارادي فو « إن محمداً ظل وقتاً طويلاً معروفا في الغرب معرفة سيئة فلم توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه » .. ولدينا أمثلة كثيرة على البذاءات التي كالها هؤلاء المستشرقون اللاهوتيون للإسلام ونبيه لا يتسع المجال لذكرها ، والتي كانت تلقى رواجا بين الأوروبيين الذين كانوا يتلقفون الأخبار الملفقة « التي تلوح لهم مسيئة إلى النبي العربي وإلى دين الإسلام » (٨) .

وإذا كانت الكنيسة الأوروبية منقسمة إلى كنيستين تخضع إحداهما للامبراطور البيزنطي وتقاوم الأخرى وعلى رأسها البابا سلطة الامبراطور ، فإن البابوية لم تكن تدع طريقة تدعم استقلاليتها وهيمنتها على الغرب الكاثوليكي ، وربما يرجع تشجيعها للحروب الصليبية بالدرجة الأولى إلى هذا الفرض فضلا عن أنها وجدت في تعبئة الشعور الصليبي ضد الإسلام والمسلمين الوسيلة الفعالة للحد من انتشار الإسلام في الغرب الكاثوليكي بعد أن وجد الإسلام منافذه إليه في الأندلس وصقلية .

لم يكن المد الإسلامي عقائدياً وسياسياً فقط بل كان أيضاً مداً حضارياً ، ويعترف المستشرق الفرنسي لوبون بالفرق الهائل بين حضارة المسلمين وهمجية الغرب الأوروبي في القرون الوسطى (٩) ويعترف أيضاً بأن أوروبا الغربية كي ترفع عن نفسها أكفان الجهل الثقيل توجهت شطر المسلمين الذين كانوا حينئذ أئمة العلم وحدهم (١٠) .

وقد يتوهم البعض أن الأوروبيين أنصفوا المسلمين في مجال العلوم غير اللاهوتية ، واتسمت نقولهم عن المسلمين بعيداً عن الدين بالموضوعية (١١) لكن هذا لم يحدث في مرحلة المد الإسلامي على الاطلاق ـــ إذ كانت روح العداء للإسلام ترفرف على كافة المستشرقين الناقلين لحضارة المسلمين . فروجر بيكون .. وجيرارد الكريموني ـــ وهما لاهوتيان في الأصل ـــ وغيرهما اقتبسوا مؤلفات المسلمين وأنتحلوها لأنفسهم وادعوا لأنفسهم إبتكارات العلماء المسلمين .. فالمستشرقون اللاهوتيون لم يكتفوا بتشويه صورة الإسلام عند ذويهم فحسب وإنما سعوا أيضا إلى سلب المسلمين دورهم الحضاري والاقلال من شأنه حتى إن أحدهم كتب مرة أنه « لم يحدث له قط أن قابل دارساً للغات الشرقية استطاع أن يقنعه بأن الأدب الشرقي بأجمعه يعدل رفاً واحداً من أمهات الكتب في الأدب الغربي » (١٣) .

أما عن دور الاستشراق في المرحلة الثانية من المسألة الإسلامية التي شهدت إنحسار المد الإسلامي سياسياً

- الحركة الإستشراقية بدأت [دينيه] قبل أن يتبعها مفهوم آخر .
- إمتداد الإسلام إلى الأندلس ثم صقلية أدى إلى احتكاك المسلمين بالمسيحين / ثم بدأت دراسة هذا العالم الوافد .
- اختلق اللاهوتيون الأكاذيب عن الإسلام والصقوا به تهما باطلة وروجوها بينهم .

وحضارياً وليس عقائدياً بأي حال من الأحوال ــ فقد واكب الهجمة الاستعمارية في هذه المرحلة هجوم استشراقي على الإسلام والمسلمين في عقر دارهم ، وسعى المستشرقون المتعاونون مع المنصرين (المبشرين) إلى محاولة تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم وإضعاف روحهم المعنوية كي يستسلموا للاستعمار ــ فقد أدرك الاستشراق الخادم للاستعمار أن الإسلام هو عنصر المقاومة ومحورها في العالم الإسلامي .. فسعوا للنيل منه حتى تنهار تلك المقاومة .. وبذلوا جهودهم لتشويه الإسلام أمام المسلمين أنفسهم .. فلفقوا الأكاذيب .. وروجوا على الساحة الإسلامية مقولات لم تكن مطروحة من قبل كالعلمانية والماسونية .. والعلاقة بين الدين والدولة .. وما إلى ذلك من مقولات أرادوا بها تشتيت أفكار المسلمين وتشكيكهم في عقيدتهم حتى تنهار قلعتهم المنيعة في التصدي للامبريالية .

وإذا كان العداء للإسلام وعالم الإسلام هو التيار الرئيسي في حقل الاستشراق فإن ذلك لم يمنع من ظهور قلة من المستشرقين كانوا أميل إلى الحيدة والموضوعية وأنصفوا الإسلام ــ عمداً أو عفواً ــ بعض الإنصاف وإن حالت خلفيتهم الفكرية والبيئية عن إدراك حقيقة الإسلام الكاملة أو فهم الإسلام كما يفهمه المسلمون . ويشير بعض الباحثين إلى التغيير الذي طرأ على الدراسات الاستشراقية فيقول أحدهم « مما لا سبيل إلى الشك فيه أن الدراسات التي أجراها الغربيون عن الإسلام فيما قبل القرن التاسع عشر والترجمات القليلة التي قاموا بها للقرآن إلى ذلك العهد كان أكثرها صادرا عن المبغضين من رجال الدين وكان مبعثها في جلاء هو الرغبة في محاربة الإسلام وتصيد المثالب المزعومة أو اقتناص الحجج المغالطة لتقديمها إلى المبشرين كي يستغلوها في جدلهم مع المسلمين ، ومعنى هذا أن تلك البحوث لم يقصد منها إلا رفع المسيحية على الإسلام ومن ثم لا تحتوي هي على كثير من الضبط أو النزاهة أو الحياد » (١٤) ثم يضيف : « اللهجة المتحاملة ــ وإن بقيت آثار منها إلى الآن ــ قد جعلت تضمحل وتتلاشى في القرن الثامن عشر الذي كانوا يطلقون عليه اسم عصر الأنوار ولكن الشعور الذي صدر عنه المفكرون في ذلك العهد لتغيير هذه الخطة لم يكن هو الآذعان للحق في ذاته وإنما كان الفلاسفة من أحرار ومؤلهين وملاحدة وزنادقة مجمعين على وجوب معاداة المسيحية فدفعهم هذا الاحساس إلى دراسة الإسلام في شيء من العناية والنزاهة لا يستهان به وطفقوا يحاولون فهمه بدلا من مهاجمته ، وأكثر من هذا أن يكون الكونت دي بولا نفيلية قد نصب نفسه مدافعاً عن الإسلام امعانا منه في تجريح الكاثوليكية الرسمية » (١٥) .

ولعل هذا يقودنا إلى النقطة الثانية من موضوعنا وهي منهج الاستشراق في كتابة التاريخ الإسلامي .

منهج الاستشراق في كتابة التاريخ الإسلامي :

من الصعوبة بمكان دراسة المنهج الاستشراقي في كتابة التاريخ الإسلامي دراسة شاملة وافية في مثل هذه العجالة ، وترجع تلك الصعوبة إلى عدة عوامل منها :-

فتناول المستشرقين للتاريخ الإسلامي شديد التعقيد لا يمكن حصره وتصنيفه في سهولة ويسر لاختلاف هوية المستشرقين وخلفيتهم البيئية والفكرية التي ينطلقون منها في دراساتهم ، فالمستشرقون اللاهوتيون يختلفون في ذلك عن المستشرقين العلمانيين ومستشرقي القرن الثاني عشر يختلفون عن مستشرقو القرن الثامن عشر . والاستشراق وإن كان تياراً عاماً فإنه مدارس متنوعة وتقاليد وطنية متعددة تختلف فيما بينها بقدر اختلاف مصالحها واحتكاكها بالعالم الإسلامي ولذلك نجد فروقا ــ ولو بسيطة ــ بين توجهات الاستشراق الألماني وتوجهات الاستشراق الفرنسي أو الانجليزي أو الروسي كما يرجع التعقيدأيضا إلى تنوع مداخل المعالجة وطرقها التي طبقها المستشرقون من حيث الزمان أو المكان نظراً لاتساع رقعة العالم الإسلامي وتنوع أقاليمه والامتداد الزمني للتاريخ الإسلامي الذي يستلزم تقسيمه إلى فترات تاريخية . لذلك يتفاوت تناول المستشرقين للتاريخ الإسلامي بين الاتساق والتنوع ، الاتساق في التقنية والوسائل الفنية وطرق البحث ووسائله والتعاون بينهم الذي وصل إلى درجة تكوين مدارس أو مجموعات بحث ، والتنوع الذي ينشأ أصلاً عن اختلاف الفترات والجوانب التاريخية للتاريخ الإسلامي فضلاً عن اختلاف مداخل الدراسات مابين عامة ومتخصصة .

وهذا التنوع والتداخل في التصنيفات يرجع إلى التشابه والتباين في آنٍ واحد بين المستشرقين كأفراد وجماعات فقد يتفق منهم إثنان في مبادئهما السياسية لكنهما يختلفان في أساليب المعالجة فيأخذ أحدهما بالإطار العام ويفضل الآخر بالإطار المتخصص ، وبينما يأخذ أحدهما بالتفسير الاجتماعي قد يميل الآخر إلى الدوافع السياسية أو الدوافع الاقتصادية . ومن ثم يصعب تصنيف المستشرقين من منظور واحد فيختلف الدارسون في تصنيفهم (١٦) .

وعلى سبيل المثال يرى مالك بن نبي أن يصنفوا من منظورين إلى طبقتين :-

(أ) من حيث الزمن : طبقة القدماء مثل : جربر دي أورلياك .. وتوما الأكويني .. وطبقة المحدثين مثل كارادى فو .. وجولدزيهر .. وشاخت ــ وغيرهم .

(ب) من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتاباتهم : فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها .

ويصنفهم دارس آخر إلى ثلاثة طوائف :-

١ ــ طائفة لا تعرف اللغة العربية والمآخذ الأصيلة للعلوم الإسلامية وتعتمد كلياً لاستقاء المعلومات على كتابات الآخرين وترجمات الكتب الإسلامية إلى لغاتهم وهي ترجمات تنقصها الدقة والواقعية .

٢ ــ طائفة تعد من خبراء التاريخ والفلسفة واللغة العربية ولكنها تجهل حقائق السيرة النبوية والعلوم الدينية الشرعية .

٣ ــ طائفة ثالثة درست العلوم الدينية الإسلامية دراسة وافية مثل مرجليوث الذي كان حرياً بأن يرجى منه الإنصاف ولكنه رغم دراسته الوافية واطلاعه وجهده في البحث ومعرفته باللغة العربية أتى بآراء منكرة لا يصدق أن تصدر عن عالم مثله دفعه إليها عداؤه للإسلام (١٧) .

وهناك من يصنف الكتابات الاستشراقية إلى نوعين ، نوع تصديري : تغلب عليه سمة العلمية المجردة المفتعلة بغية الإنتشار في البلدان الإسلامية مثل ما ينشره المستشرقون في الدول العربية وفي إيران وباكستان أو غيرها .

ونوع محلي : ينشرونه في بلاد الإستشراق نفسه وبلغاته الأوروبية ونتضح بالمساوىء المرسومة على الإسلام والأباطيل الملفقة (١٨) .

ومهما كان اتفاقنا مع هذه التصنيفات أو اختلافنا معها فلاشك أنها تعكس صعوبة تصنيف المستشرقين من منظور واحد وتقدم دليلاً على الصعوبات التي تعترض دراسة المنهج الاستشراقي في كتابة التاريخ الإسلامي ، ولعلنا نتساءل هل هناك شبهة عمد في إيجاد مثل هذه الصعوبات حتى لا يتخذ المسلمون موقفاً واحداً رافضاً لكتابات المستشرقين ؟ وسواء كانت الإجابة بالنفي أو الإيجاب فلا شك أن هذه الصعوبات خدمت الاستشراق في أنها جعلت بعض من تخفى عليهم حقيقة الاستشراق ينساقون وراء بعض دسائسه وأوهامه وآرائه المغرضة .

وإذا كان الأمر كذلك ، فلعله مما يسهل دراسة منهج الاستشراق في كتابة التاريخ الإسلامي أن يقسم التاريخ الإسلامي الطويل إلى وحدات زمنية أقل امتداداً ، وإن كانت العجالة التي نعرضها لا تسمح إلا بالتقسيم الذي توخيناه في تقسيم « المسألة الإسلامية » كما أوضحناها آنفا على أن يسبق ذلك إبراز منهج الاستشراق في دراسة السيرة النبوية باعتبارها الركيزة الأولى للتاريخ الإسلامي .

منهج الاستشراق في دراسة السيرة النبوية

لما كانت السيرة النبوية هي الأساس الذي لا قيام للتاريخ الإسلامي بدونه فقد ركز الاستشراق على التشكيك فيها ـــ ذلك لأنهم إذا نجحوا في ذلك قوضوا أساس الإسلام .

والواقع أن التشكيك في السيرة يلتقي حوله كافة المستشرقين اللاهوتيين منهم وغير اللاهوتيين .. فقد كان اللاهوتيون لا يتورعون عن دس الأساطير والخزعبلات على الإسلام .. ويلصقون بالنبي ﷺ الصفات الكاذبة .. ويوجهون إليه أقذع الشتائم وأشنع السباب .. فلما أظهر الاستشراق التحرر من التعصب المقيت ادعى المستشرقون المدنيون الذين لا يعملون في سلك الكنيسة أنهم يريدون معرفة السيرة النبوية في حقيقتها وكما يرويها المسلمون ـــ إلا أن اكثرهم لم يلتزموا بذلك ، وظلوا يعملون على تشويه الحقيقة وطمسها ، وانتهاج ما يمكن تسميته بالتخدير الفكري الذي يعتمد على الاستهلال ببعض العبارات المنمقة والمديح المحدود الذي يشير بمالا يعقل القدح فيه ـــ ثم يدسون بعد ذلك طعونهم وأحقادهم في ثنايا الكلمات بعد أن يستنيم القارىء إلى توهم اعتدالهم وإنصافهم الذي تظاهروا به في البداية .

ويرى الدكتور عماد الدين خليل : إن « الدين والغيب والروح هي كيان السيرة وسداها ولحمتها وليس بمقدور الحس والعقل أن يدلى بكلمة فيها إلا بمقدار ، وتبقى المساحات الأكثر عمقاً وامتداداً بعيدة عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق » (١٩) ويضيف « مهما كان المستشرق ملتزماً بقواعد البحث التاريخي وأصوله فإنه من خلال رؤيته التاريخية وتقريبه يمارس نوعاً من التفكير والتجريح في كتابة السيرة ونسيجها فيصدم الحس الديني ويرتطم بالبداهات الثابتة ـــ وهو من خلال منظوريه العقلي والوضعي يسعى إلى فصل الروح عن جسد السيرة ويعاملها كما لو كانت حقلاً مادياً للتجارب والإستنتاجات وإثبات القدرة على الجدل » ويرى الدكتور خليل أيضاً : إن الفهم الجاد للسيرة يقتضي منهجاً يقوم على ثلاثة شروط :

أولا : الإيمان أو على الأقل إحترام المصدر الغيبي لرسالة محمد ﷺ وحقيقة الوحي الذي تقوم عليه .

وثانيا : إعتماد موقف موضوعي بغير حكم مسبق يعرقل عملية الفهم .

وثالثا : تقنية تتمثل في الإحاطة جيداً بأدوات البحث التاريخي بدءًاباللغة وجمع المادة الأولية وإنتهاءً بطرق المقارنة والموازنة والنقد والتركيب .. الخ . (٢٠) .

يتفق المستشرقون على إنكار كثير من أساسيات السيرة النبوية الشريفة .. كنبوة محمد ﷺ .. والوحي والمصدر الإلّهي للقرآن .. ويصرون على بشرية الإسلام ولا أدل على ذلك من عدم إيمانهم به . يقول أحدهم : لا أنكر تأثير التعاليم التي تلقيتها في شبابي حيث لم تكن الأغلبية تتحدث عن الإسلام وإنما تتحدث عن المحمديين ، لتأكيد الإشارة إلى أن هذا الدين أسسه رجل وبالتالي فهو ليس بدين سماوي فلا قيمة له عند الله . وكان أن أظل محتفظاً كالكثيرين بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام وهي شديدة الإنتشار » (٢١) .

ويصف واحد منهم — هو رودى بارت — واحداً آخر — هو شبرنجر — فيقول عنه « السيرة التي ألفها خيبت الظنون في أكثر من ناحية ولم ترع شروط ومتطلبات التقرير العلمي فقد ضلله اتجاهه إلى النظر إلى الإسلام باعتباره وليد عصره وحمله على التقليل من شأن شخصية النبي ومن أهمية جهوده التاريخية » (٢٢) .

وينبغي ألا ننخدع باعتدال بعضهم في موقفه من واحدة من تلك القضايا . فسرعان ما سنكتشف تطرفه أزاء قضايا أخرى ومن ثم يختلف تقييمنا نحن المسلمين للمستشرق الواحد ، فبينما يرى فيه بعضنا مادحاً للإسلام — يرى فيه البعض الآخر قادحاً وعدواً .. والحقيقة أن المستشرقين يقفون جميعاً في خندق واحد ضد الإسلام ، وبحوثهم في السيرة مهما كانت درجة اعتدالهم محكوم عليها بالزيغ والقصور بسبب الاختلاف النوعي في المنطلقات العقائدية — فالمستشرق ليس مسلماً ، وهو بين أن يكون علمانيا مادياً لا يؤمن بالغيب وبين أن يكون يهودياً أو نصرانياً لا يؤمن بصدق الرسالة الإسلامية ولا بنبوة نبي الإسلام .

منهج الاستشراق في دراسة مرحلة المد الإسلامي

كان موقف الاستشراق المعاصر لتلك المرحلة — وأكثره لاهوتيًا — موقفاً دفاعياً يهدف إلى تحصين النصارى ضد انتشار الإسلام فيهم — لذلك كانت الكتابات الاستشراقية المبكرة في تلك المرحلة والتي قام عليها في الغالب اللاهوتيون من المستشرقين تخاطب النصارى أنفسهم بالدرجة الأولى ، وذلك لاقناعهم بأن النصرانية هي الدين الحق فلا ينبغي التحول عنها ، وأن الإسلام ليس دينا إلّهيا فلا ينبغي التحول إليه (٢٣) — من ذلك ما كان يقوم به يوحنا الدمشقي وبطرس المبجل وغيرهما . ولقد كان منهج الاستشراق في تلك المرحلة هو تزييف التاريخ الإسلامي والدس عليه ، فيوحنا الدمشقي — على سبيل المثال — لفق سيرة الرسول ﷺ ، ادعى فيها أن الإسلام ليس إلا فرقة مسيحية مارقة ظهرت في عهد هرقل على يد متنبيء عربي اسمه حامد — (هكذا) استقى معلوماته عن العهد القديم والعهد الجديد . وكان من وسائل الاستشراق في تلك المرحلة تشويه ترجمة القرآن والتحريف المتعمد ، فتحاشت ترجماته كل ما يمت بصله لكلمة الإسلام . وكان ممثل هذا الاتجاه المزيف بطرس الذي أشرف وحده على أربع ترجمات مزيفة للقرآن الكريم .

ولا يختلف منهج المدنيين اللاحقين من المستشرقين عن منهج اللاهوتيين في الأهداف الحقيقية وإنما يختلف عنه فقط في الآراء الظاهرة والتقنية الفنية التي يوارون بها عداءهم المقيم للإسلام والمسلمين .

اتَّسم منهج الاستشراق في هذه المرحلة بطابع هجومي على ديار الإسلام نفسها فلم تعد كتابات المستشرقين موجهة إلى أهليهم فقط وإنما تعدت ذلك إلى محاولة تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم كما سبق أن أوضحنا .

وإذا كان عصر التنوير الذي يبدأ مع القرن الثامن عشر قد شهد تحولاً في نهج الاستشراق نتيجة غلبة المدنيين عليه فإن هذا النهج الجديد لم يكن أقل خطورة عن سابقه إن لم يكن أكثر منه خطورة لانتهاجه أساليب ملتوية ظاهرها الحيدة والموضوعية العلمية وباطنها دس السم في العسل كما يقال . ويهدف من التواء الوسائل إلى بلبلة المسلمين حتى لايتفقوا على رفض الاستشراق ونتج عن ذلك أن وجدنا المسلمين يختلفون حول المستشرق الواحد . فبينما يشيد البعض منا بالمستشرق كارلايل (٢٤) — على سبيل المثال — يقدح البعض الآخر فيه (٢٥) — وكذلك الآراء في كل من هاملتون جب ، ومونتجمرى وات ، وتوماس أرنولد ، وجوستاف لوبون ، ورينهارت دوزى ، وغيرهم ممن لا تتفق آراء الدارسين حولهم مما يوحي بالتواء هذا الاستشراق الجديد وإخفائه الأشواك بين الأوراق الشذية .

لم يختلف كثيراً منهج الاستشراق في دراسة مراحل المسألة الإسلامية عن دراسته للسيرة النبوية ، فهم يخلطون في دراستهم للتاريخ الإسلامي بين الإسلام وواقع المسلمين فإذا اهتدوا إلى نقيصة في أحوال المسلمين نسبوها إلى الإسلام مثلما يعزون تأخر المسلمين إلى الإسلام وهو من هذا براء ، والحق كل الحق أن تخلف المسلمين يرجع إلى بعدهم عن الإسلام وعدم اعتصامهم به .

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى بعض أخطاء المستشرقين المنهجية التي يقعون فيها عمداً أو عفواً ومنها :

١ — موقفهم العلماني من السيرة النبوية .. وعمدهم إلى تحريف النصوص بقصد التشكيك .. والتركيز على بعض المواقف كالتقاء النبي ﷺ بحيرا وزيجات الرسول ﷺ والزعم فيها بما لا أساس له من الصحة .. أو ردهم السيرة إلى أصول يهودية ونصرانية .. وغير ذلك من أكاذيب ينطلقون فيها من إنكارهم للنبوة والوحي وألوهية الرسالة الإسلامية .

٢ — محاولتهم فهم التاريخ الإسلامي من منظور وضعي مادي مجرد بدعوى العلمية .. وتفسيرهم للأحداث الهامة كالفتوح الإسلامية — على سبيل المثال — تفسيراً مادياً يبني على الدوافع الاقتصادية أو الاجتماعية ويتجاهل الدافع الديني على الرغم من أهميته وخصوصيته في التاريخ الإسلامي — ولم يسلم من ذلك المعتدلون منهم .

٣ — افتراء الأباطيل ودس الأكاذيب .. والقول في الإسلام بما هو منه براء ، مثل : إدعاء بعضهم أن الإسلام انتشر بحد السيف وعدم تسامح المسلمين .. وادعاء البعض الآخر أن الإسلام ينافي العلم وهو سبب تخلف المسلمين . والحق في ذلك أن الإسلام دين التسامح والعلم ولم يتخلف المسلمون إلا لبعدهم عن الإسلام .

٤ — تتبع مواضع (الالتهابات) والتركيز على أخبار الفتن والمنازعات في التاريخ الإسلامي .. وحماسهم لدراسة الفرق دراسة مغرضة بقصد إثارة الضغائن والأحقاد والعصبيات التي تتنافى ومبادىء الإسلام حتى يسهل تمزق العالم الإسلامي واخضاعه .

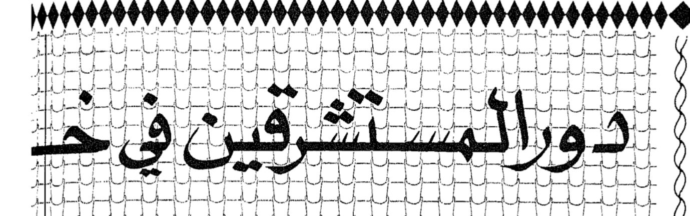
٥ — إنتقاء الروايات التي تحقق أغراضهم مهما كان ضعفها أو شذوذها .. والاعراض عن الروايات

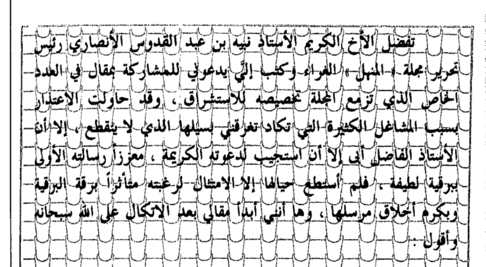
الصحيحة المتواترة ــ وذلك لإثبات آرائهم السيئة وفرضياتهم المسبقة .. وتوجيه التحليل والاستقراء والمقارنة وجهة مفرضة تكفل لهم تحقيق أغراضهم حتى بالتجني على الحقيقة .

٦ ــ محاولة إنكار أو تهوين شأن الحضارة الإسلامية وقيمتها في الحضارة الإنسانية وأثرها على الحضارة الأوروبية الحديثة . ولم يتورعوا في سبيل ذلك عن منافاة الأمانة العلمية والحيدة والموضوعية .

هذه عجالة سريعة عن خلفية الاستشراق التاريخية ومنهجه في كتابة التاريخ الإسلامي .. ومع أن الموضوع يستحق جهداً أكثر من هذا بكثير فإننا نأمل أن يفيد هذا الاسهام المتواضع بعض الإفادة .

(١) انظر على سبيل المثال
ــ أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب المعاصر ، القاهرة / ١٩٨٠ ، ص ٢٢ وما بعدها .
ــ مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، بيروت / ١٩٧٩ ، ص ١٣ وما بعدها .
(٢) عدنان وزان : الاستشراق والمستشرقون ، مكة المكرمة / ١٩٨٤ ، ١٥ .
(٣) لسلي مكلوفن : الدراسات العربية في الجامعات البريطانية ، من كتاب الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوربية ، بيروت / ١٩٧٣ ، ص ص ١٠ وما بعدها .
(٤) رودى بارت : الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة ماهر مصطفى القاهرة / ١٩٦٧ ، ص ٩ .
(٥) محمد غلاب : نظرات استشراقية في الإسلام ، القاهرة / ص ٩ .
(٦) الإسلام في الغرب ، ترجمة نجدة هاجر وسعيد العز ، بيروت / ١٩٦٠ / ص ٦٩ .
(٧) نجيب العقيقي : المستشرقون ، القاهرة ، الطبعة الرابعة جـ ١ ، ص ١١٠ ــ ١٢٤ .
(٨) بارت : المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٩) حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة / ١٩٦٩ ص ٣٣٤ .
(١٠) نفس المرجع ، ص ٥٦٧ .
(١١) محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، قطر ١٤٠٤ هـ ، ص ص ٢٥ ــ ٢٦ .
(١٢) فؤاد سزكين : محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت / ١٩٨٤ ، ص ٣٣ .
(١٣) أربرى : المستشرقون البريطانيون ، تعريب محمد الدسوقي النهويهي ، لندن / ١٩٤٦ ، ص ٨ .
(١٤) نظرات استشراقية في الإسلام ، ص ٨ .
(١٥) نفس المرجع ، ص ١٢ .
(١٦) محمد بن عبود : منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي ، من كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ، الرياض / ١٩٨٥ ، جـ ١ ص ٣٤٤ وما بعدها .
(١٧) صباح الدين عبد الرحمن : الأسس الأدبية لدراسات المستشرقين ، من كتاب الإسلام والمستشرقون جدة / ١٩٨٥ م ، ص ١٤٥ .
(١٨) قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعال ، الرياض / ١٩٨٣ ، ص ١١ .
(١٩) المستشرقون والسيرة النبوية من كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ، جـ ١ ، ص ١١٦ .
(٢٠) نفس المرجع ، ص ١١٧ .
(٢١) موريس بوكاي : القرآن والتوراة والعلم ، القاهرة / ١٩٧١ ، ص ١٤٤ .
(٢٢) رودى بارت : المرجع السابق ، ص ٢٢ .
(٢٣) أنور الجندي : المستشرقون والسيرة النبوية من كتاب الإسلام والمستشرقون ، ص ص ٢٢٧ ــ ٢٣١ .
(٢٤) قاسم السامرائي : المرجع السابق ، ص ٥٨ .
(٢٥) التهامي النقره : النقرة : القرآن والمستشرقون من كتاب منهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ، جـ ١ ص ٢٤ .
(٢٦) قاسم السامرائي : المرجع السابق ، ص ١٨





تفضل الأخ الكريم الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري رئيس تحرير مجلة « المنهل » الغراء وكتب إليّ يدعوني للمشاركة بمقال في العدد الخاص الذي تزمع المجلة تخصيصه للاستشراق ، وقد حاولت الاعتذار بسبب المشاغل الكثيرة التي تكاد تغرقني بسيلها الذي لا ينقطع ، إلا أن الأستاذ الفاضل أبى إلا أن أستجيب لدعوته الكريمة ، معززاً رسالته الأولى ببرقية لطيفة ، فلم أستطع حيالها إلا الامتثال لرغبته متأثراً برقة البرقية وبكرم أخلاق مرسلها ، وها أنني أبدأ مقالي بعد الاتكال على الله سبحانه وأقول :

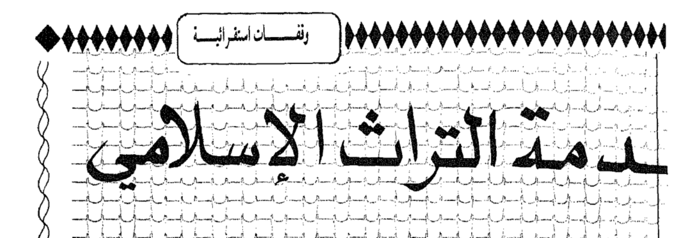
كنت عازماً على الدخول إلى موضوع المقال رأساً ، كما هو محدد في عنوانه ، « أي دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي » ، إلا أنني رأيت من الضروري جداً أن أتناول الدوافع التي أدت إلى قيام الاستشراق قبل الخوض في صلب الموضوع لسببين :

السبب الأول : ان خدمة كتب التراث ما هي إلا ثمرة من ثمرات بعض دوافع الاستشراق ، ولذلك وجب عليّ أن أتناول تلك الدوافع أولاً ثم أتحول إلى الثمرات .

والسبب الثاني : أنه لا يزال بين الباحثين من ينكر كل الإنكار وجود دوافع علمية بريئة من الغرض لدى بعض المستشرقين هي التي حملتهم على العمل في الدراسات الإسلامية . ولهذا صار من المتعيّن على الباحثين وأنا منهم ، التحقق من صحة هذه المقولة قبل كل شيء ، لأن تقويم عملية خدمة التراث تتوقف على صحة تلك المقولة أو نفيها . ولذلك سوف أبدأ بإلقاء بعض الضوء على دوافع الاستشراق .

أولاً : دوافع الاستشراق :

لا حاجة بي إلى القول بأن من الأمور المسلّم بها لدى الباحثين أن دوافع الاستشراق الأساسية هي دوافع سيئة مغرضة مرجعها إلى الحقد الذي يكنه الغربيون تجاه الإسلام والمسلمين ، ولذلك كان هدفهم الأول من



وراء حركة الاستشراق هو التبشير بالنصرانية في مواجهة انتشار الإسلام ومحاولة إضعافه ما أمكن . أما هدفهم الثاني فهو خدمة الاستعمار . وقد تناول هذه الجوانب السلبية عدد من الباحثين بما لا يدع مجالاً للشك بوجود تلك الأهداف السيئة ، ومنها ما تضمنه كتاب الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه « الإسلام والاستشراق » [١] ، بل ان أحد الباحثين العرب – وهو نصراني – قد صنف في ذلك كتاباً قيماً عن الاستشراق باللغة الانكليزية هو الدكتور أدوارد سعيد [٢] ، علاوة على مصنفات كثيرة مثل « الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » للدكتور محمد البهي [٣] ، وكتاب « إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث » للأستاذ مالك بن نبي [٤] ، وكتاب « الإسلام في الفكر الغربي » للدكتور زقزوق [٥] ، وكتاب « الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية » للدكتور قاسم السامرائي [٦] ، وغيرها كثير ، ولذلك لم أر داعياً لتناول الجوانب السلبية والدوافع السيئة لاشتهار أمرها ، وآثرت أن أقتصر في كلامي على الجوانب الإيجابية لعدم وضوحها في أذهان كثير من القراء العرب . ولعل من الأفضل أن أبدأ هذه الفقرة بما سبق واستفتحت به بحثي المنشور في « مجلة كلية الآداب في جامعة الملك سعود » [٧] ، إذ قلت : يعد موضوع الاستشراق من الموضوعات التي ثار حولها خلاف شديد بين الباحثين ، فبينما أشاد البعض بأعمال المستشرقين الكثيرة وبخدماتهم القيمة للتراث العربي والإسلامي ، نجد البعض الآخر قد وصفهم بالتعصب والدس والكيد لكل ما هو عربي إسلامي . وقد كُتب في ذلك الشيء الكثير حتى بات وكأنه الحقيقة الوحيدة المسلَّم بها ، بل شاع ذلك بين الناس إلى درجة أن كثيراً من الباحثين صاروا ينكرون وجود أي عمل إيجابي لهؤلاء المستشرقين . وفي هذا – ولا شك – غمط للحق مما تأباه الروح الإسلامية التي تؤكد على النزاهة والحياد ، وفضلاً عن ذلك فإن هذه النظرة السلبية قد تؤدي إلى انصراف الباحثين من أبناء البلاد العربية والإسلامية عن الانتفاع بالأعمال الجيدة ، وبالتالي حرمانهم أنفسهم من ثمراتها الطيبة » . أ.هـ .

وقد أدركت هذا الضرر مجلة « المسلمون » [٨] عندما نشرت مقالاً عن المستشرق الأميركي (دونالد ليتل) الذي وصفته المجلة بأنه « أحد الوجوه المضيئة للاستشراق » فبدأت المقال بقولها: « نعم الاستشراق ليس شراً كله ، كما يعتقد البعض ممن ترسبت في نفوسهم الكراهية للغرب الاستعماري ، حتى أغلقوا وأيقنوا أن كل ما يهب من الغرب لا يمكن إلا أن يكون رياح المؤامرات والدس والفتن والكيد للإسلام والمسلمين . وفي هذا ظلم كبير لبعض المستشرقين ولأنفسنا أيضاً ، لأننا بهذا الموقف نحرم ثقافتنا الإسلامية من ثمار عقول لا يحركها إلا حبها للحقيقة ، ونقيم حاجزاً بين أنفسنا وبين علماء ينفقون سنوات عمرهم في محاولة الاقتراب منا واستيعاب ثقافتنا وفهمها إلخ ... » .

إن الذي دعاني إلى إيراد هذه المقدمة ، ما قرأته في « المجلة العربية » [٩] بقلم السيد محمد محمد توفيق بعنوان « الاستشراق والاستغراب وجهان لعملة واحدة » ، وقد أنكر فيه كاتبه على الأستاذ الدكتور علي حسني الخربوطلي قوله بأن دوافع الاستشراق هي ثلاثة ، أولها دوافع دينية لمواجهة المد الإسلامي ، وثانيها دوافع استعمارية لتحقيق الأطماع الاستعمارية الأوربية في العالم الإسلامي ، وثالثها دوافع علمية . وقد قال الكاتب الفاضل إنه لا يسلِّم بوجود هذه الدوافع العلمية مطلقاً ، وهكذا ينكر السيد توفيق أن يكون بين أعمال المستشرقين ما هدفه علمي محض ، دون أن يكلف نفسه عناء دراسة تلك الأعمال يميّز بين الأعمال التي هدفها خدمة الأغراض التبشيرية والاستعمارية فعلاً ، من تلك الأعمال التي ليس وراءها إلا تحقيق غرض علمي نبيل .
وليسمح لي القارىء الكريم أن أثقل عليه مرة أخرى بإيراد اقتباس آخر ، وهو هنا هذه المرة قول لأستاذ فاضل وبحاثة كبير ، هو الشيخ عبد العزيز الرفاعي ، قدّم به كتاب « الاستشراق » للدكتور قاسم السامرائي آنف الذكر إذ قال سيادته في المقدمة : « مهما يكن الرأي في الاستشراق ، بين مدح أو قدح فإن هناك التقاء بين المنصفين على أمرين : أولهما ان الاستشراق انبثق من أفكار تبشيرية ، مَن وجهة نظرنا - معشر المسلمين - تخريبية ، تهدف إلى مهاجمة حصوننا من داخلها ، وتلك هي أخطر أنواع الحروب ... وثانيهما أن المستشرقين كانوا أساتذة بارعين في التحقيق والتدقيق والغوص في التراث ، بغض النظر عن أغراضهم ، وعن تباين هذه الأغراض التي قد تخلو في أحايين قليلة من الشوائب ، إلا الهدف العلمي المحض ... وهكذا وجدنا بين المستشرقين من أشرب حب التراث العربي ، فمحضه الود وأخلص له ، بل منهم من اعتنق الإسلام دينا ، وتسمى بأسماء العرب المسلمين إلخ ... » .
وبهذا القول البليغ حسم الأستاذ الرفاعي قضية الاستشراق ، فذكر ما لها وما عليها ، ثم ان هناك عشرات من الكتب قد تناولت الموضوع ولاسيما الجانب السلبي ، مما هو معروف لدى القراء فضلاً عن الباحثين المهتمين بالاستشراق ، ولكن الجانب الإيجابي - على ما يبدو - لا يزال محتاجاً إلى شيء من الإيضاح ، وخير دليل على ذلك قول السيد محمد محمد توفيق الذي أشرت إليه آنفاً ، ولهذا السبب رأيتُ أن أعالج في مقالي هذا دور المستشرقين في خدمة التراث العربي لأنه يمثل جانباً إيجابياً لا سبيل إلى إنكاره على ما أكده الأستاذ الرفاعي ، واعتماداً على ما هدتني إليه قراءاتي الواسعة وتنقيبي في دور الكتب العربية والأجنبية ، وهدفي من وراء ذلك كله أن أزيل من الأذهان التهمة التي قد تُوجَّه إلينا - نحن العرب - بأننا أمة سلبية لا ترى أعين أبنائها غير العيوب . كذلك أريد أن أدفع عنا تهمة أخرى لا تقل قبحاً عن الأولى ، إذ أخشى أن يرمينا البعض بقلة الوفاء لمن يقدم لنا ولتراثنا بعض الخدمات وإن كانت خالصة .

وقد أشار الدكتور مصطفى السباعي في كتابه « الاستشراق والمستشرقون ، ما لهم وما عليهم » إلى ذلك إذ قال إن الاستشراق « لم ينل عناية علمية وافية تبين ما أصاب فيه المستشرقون وما أخطأوا به ، فما كُتب في هذا المجال إما تمجيد وتهليل ، كما فعل نجيب العقيقي في كتابه (المستشرقون) ، وإما موقف سلبي مطلق يمثله أحمد فارس الشدياق » [١٠] . ثم علق الدكتور السباعي على هذين الموقفين قائلاً : « وفي الحق أن كلا من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية .. ونحن قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم » [١١] ثم استشهد بالآية الكريمة ﴿ لا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ . صدق الله العظيم .

هـذا وقد أدركت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج ، أهمية هذا الموضوع ، فأصدرا كتاباً قيماً بمناسبة حلول القرن الخامس عشر للهجرة بعنوان « مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية » يقع في جزئين مجموع صفحاتهما يزيد على ألف صفحة ، وهو مجموعة بحوث شارك في كتابتها عدد من الأساتذة الأفاضل . وقد جاء في مقدمة الكتاب (ص٩ - ١٠) أن من بين

أهدافه تصحيح أخطاء المستشرقين وتخرصاتهم ، دون أن تغفل هذه الدراسات الالماح إلى بعض الجوانب الإيجابية والمواقف البارزة التي ظهرت في بعض الدراسات الاستشراقية وإنصافها بما تستحق من التنويه والإشادة إكباراً للرجال الذين تميزوا بالموضوعية وابتعدوا عن الأهواء ، وتغلبت عناصر الخير في نفوسهم على عناصر التعصب والغواية » .

ومن أبحاث هذا الكتاب البحث الذي كتبه الدكتور عماد الدين خليل عن « منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات » في دراسة السيرة النبوية ، وقد نوه الدكتور عماد الدين بوجود فوارق بين المستشرقين في المواقف فقال « ونحن إذا قارنا (وات) بـ (لامانس) مثلاً أو حتى (فلهاوزن) ، وجدنا هوة واسعة تفصل بين الرجلين ، يقترب أولهما ويقترب حتى ليبدو أشد إخلاصاً لمقولات السيرة من أبناء المسلمين أنفسهم ، ويبعد ثانيهما ويبعد حتى ليبدو شتّاما لعّانا وليس باحثا جادًا يستحق الاحترام »[١٢] . وللدكتور محمد بن عبود رأي مماثل في المستشرق (وات) أوضحه في بحثه عن « منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي » فقد أثنى عليه في كتابيه « محمد في مكة » و « محمد في المدينة » ، فقال إننا نجد عمله يحظى بالتقدير الكبير بين العلماء المسلمين ، ومن آيات ذلك التقدير أنه دُعي لحضور مؤتمر عقد في الباكستان عن سيرة النبي (ﷺ) ، وهو شرف عظيم[١٣] . ثم يستطرد الدكتور ابن عبود إلى التأكيد بأن بعض المستشرقين البارزين ضربوا بسهم كبير في الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي ، وأقاموا علامات على الطريق في مجال البحث العلمي ، ومنهم هاملتون كَب ولويس ماسينيون وآسين بلاسيوس الذين (بصرف النظر عن انتماءاتهم السياسية) أسهموا بمؤلفات علمية ممتازة أصيلة تحررت إلى حد كبير من آرائهم السياسية[١٤] . ثم قال إن البيبلوغرافيا التي تمخض عنها كتاب ماسينيون عن الحلاج ، كنتاج فرعي ، في حد ذاتها تعتبر أسهاماً في التاريخ الإسلامي[١٥] .

أما الدكتور محمد سليم العوا في بحثه عن منهج المستشرق (نويل كولون) لدراسة الشريعة الإسلامية ، فقد أشار إلى أن المستشرقين في دراستهم للشريعة الإسلامية يبدأون « من افتراض أن القانون الإسلامي نظام بال قد بلغ مرحلة الجمود عن التطور اللازم لأي نظام قانوني حي أو قابل للاستمرار حيا ... يبدأ كولسون من افتراض مغاير تماما مؤداه أن النظام القانوني الإسلامي حي متفاعل ومطبق في المجتمعات الإسلامية وقائم في ضمائر أفرادها ، وينبغي أن يُعتمد عليه في تشكيل النظم القانونية في البلاد الإسلامية ، لتأتي هذه النظم معبرة عن روح البلاد التي تطبقها »[١٦] .

وقد كتب الدكتور محمد عابد الجابري بحثاً بعنوان « الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية » . وقال

- المستشرقون رغم دوافعهم السيئة ضد الإسلام والمسلمين إلا أن فيهم من ابتغى الحقيقة وأظهارها .
- بعض المستشرقين دافعوا عن الإسلام وأبانوا أباطيل الآخرين ودسائسهم .
- الاستشراق ليس شرا كله كما يعتقد البعض ممن ترسبت في نفوسهم الكراهية للغرب

انه لا ينكر مجهودات كثير من المستشرقين الذين ساهموا في النشر والتحقيق لعدد مهم جداً من كتب التراث العربي الإسلامي ، وسلّطوا كثيراً من الأضواء على جوانبه .. وإن كان الدكتور الجابري يرى أن اهتمامهم هذا لم يكن من أجلنا وإنما هو من أجلهم هم . وعلى أي حال فإن المهم أنهم خدموا تراثنا سواء أكان ذلك بحسن نية أم بسوء نية ، فالنتيجة واحدة [١٧] . ولقد صرح الدكتور إبراهيم مدكور في كتابه « الفلسفة الإسلامية ، منهج وتطبيق » بأن الفضل يرجع إلى المستشرقين « في توجيه النظر إلى الفلسفة الإسلامية » [١٨] ، ثم استطرد يقول : « لم يقف المستشرقون عند الطبع والنشر ، بل حاولوا أن يكشفوا معالم الحياة العقلية في الإسلام وأرخوا لها جملة وتفصيلا ، فكتبوا عن الفلسفة والفلاسفة والكلام والمتكلمين والتصوف والمتصوفين يشرحون الآراء والمذاهب أو يترجمون للأشخاص والمدارس ... ولو لم يقيّض الله لفلاسفة الإسلام جماعة من المستشرقين وقفوا عليهم بعض بحوثهم ودراساتهم ، لأصبحنا اليوم ونحن لا نعلم من أمرهم شيئاً يذكر » [١٩] ، وهكذا جاء بحث الدكتور الجابري مؤيدًا لما سبق وصرح به الدكتور مدكور .

ولقد نبه الدكتور محمد بن عبود في بحثه سالف الذكر ، إلى أن هناك بين المستشرقين من تصدي للرد على المستشرقين الذين بخسوا جهود العرب والمسلمين في تطور العلوم ، وأكدوا دورهم الإيجابي في تطويرها مثل (جورج سارتون) إذ قال إن « الرياضيين العرب لم يستنسخوا من المصادر الإغريقية والسنسكريتية صورة طبق الأصل ، فإن ذلك لو حدث لكان ذلك عبثاً وهراءً ، ولكنهم جمعوا بين الحضارتين وطعموا الأفكار الإغريقية بالأفكار الهندية ، فإن لم تكن هذه الإنجازات ابتكارات ، فليس ثمة ابتكارات في العلم إذن إلخ ... » [٢٠] .

أما الدكتور محمد السديسي في بحثه عن آراء المستشرقين حول التراث العلمي العربي ، فقد نبه في إحدى حواشي هذا البحث [٢١] إلى وجود مستشرقين منصفين ، إذ قال : « ونحن نعترف لعدد كبير منهم بما أسدوه من جليل الأعمال قصد التعريف بالحضارة الإسلامية وبالعلوم العربية بوجه خاص ، فهم ساهموا بقسط وافر في إحياء التراث الفكري والحضاري العربي الإسلامي ، وهم حركوا عجلة البحث في الغرب والشرق ، فأكبّ العلماء على تعقب الآثار وتحقيق المخطوطات العلمية مما أنشط الفكر من عقاله وبعث حركة ثقافية أفاد منها الغرب والشرق على السواء . بل إن أرباب الأهواء والنيات المغرضة أنفسهم قد أثاروا موجة من الردود والتصويبات من قبل المستشرقين الموضوعيين . وكان لهذا النقاش والجدل المثار بينهم غنم للمنهج العلمي عامة وللتعريف بالعلم العربي خاصة » . ثم ذكر نماذج من جهودهم في التعريف بالتراث العربي الإسلامي .

هذا وقد كتب الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم بحثاً بعنوان : « المستشرقون والجغرافية العربية » [٢٢] ركز فيه على الجهود الضخمة التي بذلها عدد من المستشرقين في خدمة الجغرافية ، وقد ختمه [٢٣] بقوله : « لا يسعنا إلا أن نعترف بما أسدوه من خدمات في هذا الميدان » ، واستطرد إلى القول : « إن المستشرقين الذين عالجوا البحث في علم الجغرافيا عُرفت غالبيتهم بدماثة الخلق وبحبهم للعرب والحضارة العربية . لهذا فإن من العسير الالتقاء في مصنفاتهم بما يمكن أن يشم منه ذلك البغض والتحامل الذي انعكس في آثار مستشرقين آخرين إلخ ... » . ونوه بالجهود الضخمة التي قام بها المستشرق الألماني (وستنفيلد) [٢٤] في خدمة التراث الجغرافي الإسلامي . كذلك نوه بجهود مستشرق آخر هو (دي غويه) [٢٥] الهولندي الذي أسدى خدمة عظيمة للمكتبة الجغرافية الإسلامية ، مما سنتناوله في فقرة أخرى – إن شاء الله – وتناول الدكتور هاشم بعد ذلك جهود

■ إن من أهداف المستشرقين العمل على الوقوف في وجه الشعوب التي لا تدين بالاسلام ليمنعوهم من الدخول في دين الله الحق، الدين الاسلامي كما يعملون جاهدين في تشويه الاسلام وتغيير الصورة الحقيقية لهذا الدين الحنيف، وإن إظهاره بصورة محرفة ومستكرهة أمام الشعوب غير المسلمة، بقصد صدهم عن سبيل الله وما نزل من الحق وردهم عن الدخول الى دين الاسلام، إنما اعتمد المستشرقون فيه على استغلال الكراهية والتعصب الموجود بين الغربيين وأتباعهم منذ الحروب الصليبية. من ذلك العمل على رد المسلمين عن الاسلام واجبارهم على الكفر وقبول النصرانية او اليهودية كدين أمثل وأفضل من دين الاسلام، وهذا ما يشير اليه معظم المستشرقين أنفسهم ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يتأتى لهم فقد تكفل الله بإتمام نوره.

«د. عدنان محمد وزان»

المستشرق الروسي (كراتشكوفسكي) [٢٦] وكتابه القيم عن الأدب الجغرافي العربي . وختم بحثه بالحديث عن المستشرق الفرنسي (ميكيل) الذي صنف كتاباً ضخما عن الجغرافية البشرية للعالم الإسلامي مع ترجمة بعض الأجزاء من كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » للمقدسي ، وهو يقع في أكثر من ١١٠٠ صفحة [٢٧] .

أما الدكتور عبد الوهاب أبو حديبة فقد تناول الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين [٢٨] ، وشرح شرحاً ضافيا التحيز الذي عالج به المستشرقون الحياة الاجتماعية الإسلامية ، إلا أنه خلص إلى القول [٢٩] ، إن هناك تيارات فكرية غربية أخرى خالفت ذلك الاتجاه المعادي وحاولت إنصاف الإسلام والمسلمين وتبيان الحقيقة كالذي فعله المستشرق الفرنسي (جاء بيرك) ومثله الباحث الفرنسي (جيرار دي بارنيس) [٣٠] .

وقد كتب الدكتور عبد العزيز الدولاتلي بحثاً عن مناهج المستشرقين في دراسة الفنون الإسلامية ، بدأه بالتصريح بأن مناهج المستشرقين الذين درسوا الفنون الإسلامية هي التي مكنت الشعوب الإسلامية من استكشاف تراثها الحضاري الذي ظل قروناً عديدة دفيناً في باطن الأرض أو مطموساً داخل أنسجة المدن التاريخية لا يعبأ به أحد ، وإن تلك الاستكشافات سلطت الأضواء على الانجازات الحضارية ، مما أدى إلى خلق دافع قوي للشعور الوطني المعتز بأصالة حضارته ومميزات ثقافته ، ثم قال إنه يبدأ بذكر هذه الحقيقة التاريخية لكي يؤكد بصدق أن غايتنا أشرف من أن نتحامل على شخص أو فئة حتى تلك الفئة التي أساءت إلى الحضارة العربية الإسلامية ، لأن الذي يهمنا هم العلماء الحقيقيون الذين لم يحاولوا تزييف التاريخ عن قصد وسوء نية ، وإن هؤلاء المستشرقين يستحقون فعلاً أن نوليهم عنايتنا [٣١] . وقد نقل الدكتور الدولاتلي قولاً للمستشرق الفرنسي (مارك بارجي) جاء فيه : « إن هناك تاريخاً خاصاً بالعرب بفضل الرجال الذين وضعوا أسسه على مستوى المسؤولية ، وبفضل اللغة التي ما انفكت تفرض نفسها في ميادين السياسة والدبلوماسية والاقتصاد والمالية والعلوم والتقنيات والفكر والفن ، وبفضل الإسلام وهو في الوقت نفسه دين وحكمة ودولة الذي ظهر بلغة « القرآن العربي » وعلى يد الرسول العربي » [٣٢] .

أما الدكتور محمد أنس الزرقاء فقد كتب تقويما لكتاب « القراض » [٣٣] الذي ألفه المستشرق (يودوفيتش) ، وأشار إلى وجود جوانب إيجابية في هذا الكتاب كحسن التنسيق ووضوح العرض والتوثيق المستفيض لكل ما يورد المؤلف من آراء الفقهاء ، وقد تميز بالحياد والإنصاف والرصانة ، وقد كان يسعى جهده

لفهم آراء الفقهاء والربط بينها ، ثم استنتاج نتائج موثقة منها ، فضلا عن استقلاله الفكري ، كما أنه عندما ينقل آراء من سبقه من المستشرقين كان ينقدها عند الضرورة بدقة واستقصاء [٣٤] . ثم قال الدكتور الزرقاء إن الجوانب الإيجابية في الكتاب دون شك أرجح من الجوانب السلبية التي تركَّز أكثرها في تأويلاته لمواقف الفقهاء ، ولم يتردد الدكتور الزرقاء في الثناء على الكتاب ، وعده إضافة علمية قيمة في موضوعه يستفيد منها أرباب الاختصاص [٣٥] .

وكتب الدكتور مصطفى الشكعة بحثاً عن مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ، وقد أشار فيه [٣٦] إلى تصدي مستشرق اسباني بالرد المفحم على مستشرق أميركي تجنى على تاريخ المسلمين في الأندلس في مؤتمر التاريخ الأسباني الذي عقد في قرطبة في سنة ١٩٧٦ م . فوصفه بالجهل المطبق بحقائق التاريخ ، وإن أسبانيا ما كان لها أن تدخل التاريخ الحضاري لولا القرون الثمانية التي عاشتها في ظل الإسلام وحضارته ، وهذا المستشرق الأسباني هو الدكتور (بيدرو مونتايث) الأستاذ بجامعة مدريد ، واستطرد الكاتب يقول إن ذلك لم يكن مستغرباً من (مونتايث) إذ هو من تلاميذ مدرسة (المستشرق الأسباني الكبير (كوديرا) ، وهذه المدرسة ضمت عدداً من المستشرقين الأسبان المعتدلين الذين ارتبطوا مع (كوديرا) برباط الإنصاف للعصر الإسلامي في إسبانيا ، وأطلقوا على أنفسهم « بني كوديرا » مستخدمين كلمة « بني » العربية . كما نوه الدكتور الشكعة بموقف مستشرق آخر هو المستشرق الألماني (الدكتور فرتز شتيبات) الذي أعلن في مؤتمر المستشرقين الألمان المنعقد في برلين سنة ١٩٨٠ م من عظمة الإسلام ، فهو دين الفكر والعلم والثقافة والعدل والحضارة والتقدم ، ولكن المسلمين المعاصرين لم يتمسكوا به ، ودعاهم إلى أن يسلموا لتستقيم أمورهم « ويصبحوا جديرين بحمل الراية من جديد » [٣٧] . ثم استطرد الدكتور الشكعة إلى ذكر مستشرق ألماني آخر هو (الدكتور فردريك فيشر) عميد كلية الآداب في جامعة (أرلا نغن) في ألمانيا الذي قرر فصل مساعده لتطاوله على القرآن الكريم [٣٨] . ثم نوه الكاتب بعدد من المستشرقين البريطانيين كالسير توماس آرنولد وآربري ، وبالفرنسيين من أمثال ماسينيون وجاك بيرك وبلاشير ، وبالأسبان مثل ريبيرا وآسين بلاسيوس وفارسيا غوميز [٣٩] . ولكن ذلك لا يعني أن جمع المستشرقين كانوا على شاكلة هؤلاء ، بل إن الكثير منهم ، بل أكثرهم كانوا في موقف معاد للإسلام عقيدة وحضارة . ولكن بعض المستشرقين رغم عدائهم الشديد للإسلام كالمستشرق الهولندي دوزي ، فإنه حقق عدداً من كتب التراث الأندلسي ونشرها [٤٠] ، ومنها كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري و « المعجب » لعبد الواحد المراكشي وكتاب « الحلة السيراء » لابن الأبار ، وبعض كتاب « نزهة المشتاق » للشريف الإدريسي وغيرها ، وجهوده في هذا المجال طيبة ، إلا أنه أفسدها بأحكامه الفاسدة ضد الحضارة الإسلامية [٤١] .

وهناك مستشرق إسباني منصف هو (باسكوال دي غايا نغوس) المتوفي سنة ١٨٩٧ م [٤٢] ، فقد بذل جهوداً طيبة لإنصاف المسلمين والتعريف بتاريخهم الفني في الأندلس ، فعمد إلى ترجمة كتاب « نفح الطيب » للمقري ، إلى الإنكليزية بسبب اتساع انتشار هذه اللغة في العالم ، وهذا المستشرق هو أستاذ (كوديرا) الذي أسلفنا ذكره « وقد عمد (كوديرا) نفسه إلى جمع عدد كبير من المخطوطات العربية النفيسة التي تمثلت فيما عرف بـ « المكتبة الأندلسية » ، ومنها « كتاب الصلة » لابن بشكوال ، و « التكملة » لابن الأبار ، و « المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي » ، و « فهرست ما رواه ابن خليفة من شيوخه » . وقد عمل على تحقيقها ونشرها

خالية من الخطأ (٤٣) . وقد علا صوته - كما يقول الدكتور الشكعة - بمدح المسلمين وتمجيد أعمالهم ، وإعلان فضلهم على الحضارة الإنسانية ، وحفاظهم على التراث القديم ، وكان يدعو إلى « تعريب » أوربا ، إذ قال من الخطأ العمل على « أوْرَبة » إسبانيا ، بل الواجب هو « تعريب » أوربا (٤٤) . وقد تجلى إنصافه للحضارة والفكر الإسلامي في مقدمات الكتب التي حققها أو الكتب التي صنفها ، ولكن أكبر إنجازاته هي المدرسة الفكرية الأندلسية التي سبقت الإشارة إليها ، وتأليفه رابطة من تلاميذه الذين شاركوه في آرائه ومواقفه ، وساعدوه في إصدار المكتبة الأندلسية مثل (ريبيرا) الذي واصل العمل فحقق كتاب « قضاة قرطبة » للخشني ، وحقق « ديوان ابن قزمان » و « تاريخ افتتاح الأندلس » لابن القوطية مع ترجمته إلى الأسبانية ، واهتم بدراسة الشعر الأندلسي والموسيقي الأندلسية ، فضلاً عن رده على بعض المستشرقين المتحاملين على الإسلام ، فعمد إلى تكذيبهم (٤٥) .

ومن تلاميذ كوديرا (آسين بلاسيوس) الذي اهتم بالمفكرين المسلمين في الأندلس كما اهتم بالتحقيق أيضاً . فحقق « كتاب الحدائق » لابن السيد البطليوسي ، كما ترجم « كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس » لابن حزم . لكن أبرز أعماله المنصفة للفكر الإسلامي وأصالة تأثيره في الفكر النصراني الأوربي ، هو كتابه « الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية » الذي نشره في سنة ١٩١٩ م ، مما زعزع المكانة التي احتلها (دانتي) مؤلف تلك الكوميديا لدى الأوربيين . وهو من أكثر المستشرقين إنصافاً لابن رشد ، وقال إن المفكر النصراني المسمى (القديس توما الأكويني) قد استفاد من نظريات ابن رشد المتعلقة بالعلاقة بين الشريعة والحكمة ، أي محاولته التوفيق بين الدين والعقل (٤٦) .

ولكوديرا تلميذ آخر هو (انخل غنثاليث بالنثيا) الذي يرى أن الفترة الإسلامية في إسبانيا هي أكثر حقب التاريخ الأسباني وضاءة ولمعانا . وكان له نشاط مرموق في بعث التراث الإسلامي ، إذ ترجم « قصة حي بن يقظان » لابن طفيل إلى الأسبانية ونشرها عام ١٩٣٤ م ، وحقق كتاب « تقويم الذهن في المنطق » لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني ، ونشره في سنة ١٩١٥ م ، وصنف كتابين قيمين أحدهما « تاريخ إسبانيا الإسلامية » والثاني « تاريخ الأدب العربي في إسبانيا » ، وهو كتاب يشمل مختلف أنواع الإنتاج الفكري الإسلامي (٤٧) . وقد ردَّ على (دوزي) وفند افتراءاته بالنسبة لحكم المرابطين وعصرهم (٤٨) .

ومن مدرسة (كوديرا) أيضاً المستشرق (غارسيا غوميز) الذي قام بتحقيق عدد من كتب التراث وترجمتها ، منها « ديوان أبي إسحق الألبيري » وكتاب « رايات المبرزين وشارات المميزين » لأبي سعيد المغربي و « رسالة في فضل الأندلس » للشقندي (٤٩) .

وممن سار على منوال المدرسة الأندلسية ، المستشرق (أميريكو كاسترو) مصنف كتاب « حقيقة إسبانيا التاريخية » الذي ضمنه قوله ان الأندلسيين هم الذين خلقوا أول شعور قومي في إسبانيا ، ولولاهم لما أصبح لأسبانيا أي وجود متميز سواءً في التاريخ الوسيط أو التاريخ الحديث . وقد كان في ذلك يرد على مستشرق إسباني آخر غمط فضل المسلمين على إسبانيا ، وحاول إلغاء القرون الثمانية التي أضاء المسلمون خلالها سماء الأندلس (٥٠) .



أما الدكتور محمود حمدي زقزوق ، فإنه يري مع وجود النزعة المعادية للإسلام لدى كثير من المستشرقين ، إلا أن هناك اتجاهاً أقرب إلى الموضوعية والعلمية عند النظر إلى الإسلام [٥١] . حيث ان النزعة الإنسانية التي ظهرت في أوربا في عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي وما بعده ، أدت إلى دراسات أكثر موضوعية من ذي قبل ، فأدى ذلك إلى إنشاء كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية ، بينما بدأ المستشرقون في القرن السابع عشر في جمع المخطوطات الإسلامية ، علاوة على قيام دراسات منصفة كالذي فعله المستشرق الهولندي (ريلاند) الذي قام بتصحيح الآراء المغلوطة التي كانت سائدة عن الإسلام في أوربا ، مما أثار الكنيسة الكاثوليكية ، حتى أنها أدرجت كتاب (ريلاند) عن حقيقة الدين الإسلامي ، في قائمة الكتب المحرمة [٥٢] .

والتزاماً من جانب الدكتور زقزوق بالنظرة الموضوعية للاستشراق ، فقد حرص على تلخيص الجوانب الإيجابية لنشاط المستشرقين قبل الخوض في الجوانب السلبية ، ولعل من المفيد أن نشير هنا بإيجاز إلى تلك الجوانب الإيجابية لأنها تقع ضمن نطاق هذا المقال . فالدكتور زقزوق يرى أن المستشرقين يخدمون أهدافهم بإخلاص وصبر عجيب مع إحاطتهم بالعديد من اللغات القديمة والحديثة ، مما أثار إعجاب الشيخ مصطفى عبد الرازق (شيخ الأزهر الأسبق) والشيخ أمين الخولي الذي أشاد بجهود الباحثة الروسية السيدة كراتشكوفسكي التي قدمت إلى مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين الدولي ، بحثاً عن نوادر مخطوطات القرآن الكريم ، إذ قال « إني أشك في أن الكثير من أئمة المسلمين يعرفون شيئاً عن هذه المخطوطات . وأظن أن هذه المسألة لا يمكن التساهل في تقديرها » [٥٣] .

ثم إن المستشرقين حريصون على الترابط وتأمين الاتصال فيما بينهم ، ولاسيما في عقد المؤتمرات بانتظام وتبادل الدوريات ، ثم التركيز على موضوع معين من الدراسات العربية والإسلامية ، ويشبعونه بحثاً ودراسة ، حتى ان الواحد منهم يقضي عمره في تحصيل ذلك الموضوع واستيعاب جوانبه المختلفة . كما أشار الدكتور زقزوق ضمن الجوانب الإيجابية إلى الموسوعة الإسلامية التي نشرها المستشرقون لفائدة الباحثين (رغم ما عليها من مآخذ) ، كذلك أشار إلى كتاب (بروكلمان) في تاريخ الأدب العربي الذي لا يمكن أن يستغنى عنه أي باحث في الدراسات العربية والإسلامية . ثم هناك جمعهم للمخطوطات العربية من كل مكان في العالم وفهرستها فهرسة دقيقة ووضعها تحت تصرف الباحثين سواءً في بلادهم أو في خارجها أينما كانوا ، وقال الدكتور زقزوق إن انتقال المخطوطات إلى أوربا كان بوسائل غير شرعية أحياناً ، إلا أنها - رغم ذلك - فقد تهيأت لها أحدث وسائل الصيانة والعناية بخلاف المخطوطات في كثير من البلاد العربية والإسلامية ، إذ هي لازالت معرضة للتلف والضياع [٥٤] .

وهنـاك جانب إيجابي لم يفطن إليه الدكتور زقزوق هو دأب المستشرقين على إصدار المجلات الشرقية والدوريات التي نيفت على ٣٠٠ مجلة متنوعة ، تنشر في مختلف اللغات ، بل إن بعضها ينشر بثلاث لغات ، وتتناول أبحاثها الشرق في لغاته وأديانه وعلومه وآدابه قديمها وحديثها ، وتأثرها وأثرها ومقارنتها بغيرها ، وتتضمن أيضاً نشر المخطوطات والوثائق وتقديم الكتب [٥٥] . وبعض هذه المجلات يعود إلى القرن السابع عشر الميلادي مثل « صحيفة العلماء » التي صدرت في باريس في سنة ١٦٦٥ م بعنوان : Les Journal Des Savants . ولكن « أشهر المجلات الفرنسية الاستشراقية هي « المجلة الآسيوية » الصادرة في باريس أيضاً في سنة ١٨٢٢ م [٥٦] . وهناك مجلات كثيرة صدرت في بريطانيا والأقاليم الخاضعة لحكمها ، وأقدمها الجمعية الآسيوية للبنغال الصادرة في عام ١٨٣٢ م ، ثم المجلة التي أصدرتها الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية في لندن في سنة ١٨٣٤ م [٥٧] غير أن مجلة معهد الدراسات الشرقية والأفريقية التي يصدرها المعهد المذكور التابع لجامعة لندن تعتبر في الوقت الحاضر من أبرز المجلات الاستشراقية ، وكذلك النشرة السنوية التي يصدرها مركز الشرق الأوسط التابع لجامعة كمبرج بعنوان Arabian Studies ، فإنها تتمتع بتقدير الباحثين . أما اسبانيا فإن فيها عدداً من المجلات الاستشراقية يهمنا منها المجلة المسماة (الأندلس) التي تصدر في مدريد مرتين في السنة [٥٨] ، هذا وقد صدرت في النمسا مجلة استشراقية تسمى « ينابيع الشرق » في عام ١٨٠٩ م ، ثم تبعتها المجلة المسماة « الصحيفة الشرقية لفينا » التي صدرت في سنة ١٨٨٦ م علاوة على مجلات كثيرة أخرى [٥٩] . أما ألمانيا فقد بدأت في إصدار المجلات الاستشراقية منذ عام ١٨٤٧ م عندما صدرت « المجلة الشرقية الألمانية » ، ومنها المجلة المسماة Der Islam التي بدأت في الصدور عام ١٩١٣ م [٦٠] . وعرفت روسيا القيصرية المجلات الاستشراقية ، ومن أقدمها « مجلة السلام الإسلامي » Mir Islama التي بدأت في الصدور عام ١٩١٢ م ، وقد سبقتها في الصدور « الحوليات الاستشراقية » في عام ١٨٩٣ م . وقد صدر عدد من المجلات الاستشراقية في المعهد السوفياتي ، ومنها مجلة « الشرق الجديد » [٦١] . في الحقيقة أن أغلب الأقطار الأوربية لها مجلاتها الاستشراقية حتى البلاد الصغيرة منها ، مثل بولندا والدانمارك والسويد والمجر وبلجيكا [٦٢] .

وجانب إيجابي آخر لم يلتفت إليه الدكتور زقزوق هو تأليف الجمعيات الآسيوية للاهتمام بالدراسات الشرقية ، وقد أشرنا إلى بعضها عند كلامنا عن المجلات الاستشراقية ، إذ كانت تصدرها تلك الجمعيات ، فقلما يخلو بلد غربي منها حتى تلك التي لم يكن لها اهتمام مباشر ببلاد الشرق كالولايات المتحدة الأميريكية فقد وُجدت فيها جمعيات ومجلات استشراقية ، ولعل أهمها « الجمعية الأميركية الشرقية » التي تأسست عام ١٩٠٦ م ، وهي تصدر مجلة باسمها كل ثلاثة أشهر [٦٣] .

وجانب إيجابي ثالث لم يعره الدكتور زقزوق شيئاً من الاهتمام هو الرحلات العلمية التي قام بها الأوربيون إلى الشرق خلال القرن الثامن عشر ، ومن أشهرها البعثة التي أرسلها ملك الدانمارك إلى جنوب الجزيرة العربية في عام ١٧٦١ م وكانت مؤلفة من خمسة من العلماء المتخصصين ، وقد زارت اليمن ، وكان هدفها قضاء بضع سنوات فيها ثم زيارة العراق وسوريا ، إلا أن أعضاءها تساقطوا الواحد بعد الآخر ، ولم يبق منهم إلا الرحالة المشهور (نيبهر) الذي عاد سالماً إلى الدانمارك ونشر هناك نتائج رحلته في عدة مجلات معززة بالصور ، وهي تشمل وصف الجزيرة العربية وبلاد اليمن خاصة وما فيها من آثار وحيوانات ونباتات مع نماذج من الخط المسند ،

وكان أول من كشف عنه ، فضلاً عن الأحوال الاجتماعية والزراعية . وتعد كتابات (نيبهر) أول دراسة علمية لجزيرة العرب ، كما تعد الصور والخرائط التي عزز بها تلك الدراسة ، أول صور وخرائط عرفت عنها (٦٤) .

أما الجانب الإيجابي الأهم في نشاط المستشرقين ، فهو خدمتهم لكتب التراث الإسلامي التي سنتناولها – إن شاء الله – في الفقرة التالية من هذا المقال . وعلى أي حال فإننا بعد أن حاولنا إلقاء الضوء على الجوانب المختلفة لنشاط المستشرقين ، يمكننا أن نقول بأن أعمالهم لم تكن كلها شراً أو أعمالا هدفها الإساءة إلى المسلمين أو غمط انجازاتهم العلمية ، وإنكار أفضالهم على الحضارة الإنسانية ، بل وُجد عدد منهم من استطاع أن يرى الحقيقة ساطعة ولم يتمالك نفسه إلا أن يعترف بها ، حتى ان البعض قد بهره نور الإسلام فهداه الله إلى الدخول في زمرة المسلمين ، مثل (بركهارت) و (كرنكوف) و (جونس) (٦٥) . ولكن ذلك ينبغي أن لا ينسينا الجوانب السلبية لأعمال المستشرقين التي أشرنا إلى طرف منها . وقد كانت مدار العديد من الكتب مما ألمعنا إليها أكثر من مرة ، أما الآن فقد حان الوقت لتناول الشق الثاني من هذا المقال الذي هو في الحقيقة مدار البحث ، أي دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي ، لكن طبيعة البحث استلزمت الخوض في المقولة التي تناولناها في الصفحات السابقة لغرض إجلاء الغموض الذي يكتنفها . إلا أنني قبل تناول هذا الشق من المقال ، أرى من الضروري إلقاء نظرة سريعة على دور المستشرقين في خدمة القرآن الكريم والحديث الشريف ، في فقرة خاصة بهما .

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

ثانياً : دور المستشرقين في خدمة القرآن الكريم والحديث الشريف :

من الطبيعي جداً أن نخصص للقرآن الكريم والحديث الشريف فقرة خاصة بهما ، بالنظر لمكانتهما الخاصة وشرف منزلتهما ، ثم إنهما يقعان ولا شك خارج نطاق التراث ، ذلك أن التراث يقتصر مدلوله – بلا ريب – على ثمرات الجهد البشري فحسب ، بخلاف القرآن والحديث فهما من الوحي الالهي . على أننا سنكتفي بإلقاء نظرة عجلى على جهود المستشرقين في خدمة القرآن والحديث لأن استقصاء تلك الجهود يحتاج إلى بحث قائم بذاته يضيق عنه هذا المقال الذي خصص في الأساس إلى جهودهم في خدمة التراث . والذي نهدف إليه في هذه الفقرة هو التنبيه إلى أن المستشرقين كان لهم دور لا يستهان به في هذا المجال .

١ – دور المستشرقين في خدمة القرآن الكريم :

إن من الخدمات الجليلة التي قدمها المستشرقون في هذا الصدد ، مبادرتهم لطبع القرآن الكريم قبل طبعه بلاد الإسلامية ، حيث ان الدولة العثمانية كانت قد منعت طباعة القرآن والكتب الدينية ، بل والكتب غير الدينية . وقد صدر مرسوم سلطاني في عام ١١٢٩ هـ/١٧١٢ م ، يبيح لأول مرة طباعة الكتب غير الدينية بعد أن صدرت الفتوى من شيخ الإسلام بجواز ذلك (٦٦) . إلا أن الطبعة الأولى للقرآن الكريم مضبوطة بالشكل فقد تمت في هامبرغ بألمانيا في سنة ١٦٩٤ م بعناية المستشرق Abraham Hinckelmann ، رغم جميع المعارضات من الدوائر النصرانية . ويقال إن طبعة أخرى سبقت هذه الطبعة في مدينة البندقية بإيطاليا في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، إلا أنها أُحرقت بأمر من البابا ولم يتسنّ لأحد العثور على نسخة منها على الإطلاق ،

لكن سورة (يوسف) تمت طباعتها في لايدن بمعرفة المستشرق الهولندي Thomas Erpanuis في عام ١٦١٧ م ، وتوجد نسخة منها في بعض المكتبات [٦٧] ، وتبعت ذلك طبعات لسور متفرقة منها ما نشره Zechendorff في أواسط القرن السابع عشر الميلادي ، ثم صدرت طبعة شملت ١٣ سورة من القرآن الكريم وذلك في أواسط القرن المذكور ، إلا أنها لم تكن مضبوطة بالشكل ، وقد طُبعت في أمستردام في هولندا في سنة ١٦٤٦ م بعناية المستشرق الهولندي Christian Raven . ثم تبعتها سور أخرى طبعت في لايدن في سنة ١٦٥٥ م بعناية الهولندي Nissel . كما تم طبع عدد من السور المتفرقة في ألمانيا في الأعوام ١٦٥٧ م و ١٦٨٨ م و ١٦٩٢ م ، وأكثر هذه الطبعات كان مصحوبة بترجمة إلى لغة أوربية [٦٨] .

في الواقع أن القرآن الكريم قد تم طبعه في كثير من البلاد الأوربية ، وحتى تلك البعيدة عن العالم الإسلامي والتي ليس لها مصالح مباشرة في الأقطار الإسلامية كالسويد . إذ تمت طباعته فيها أربع مرات خلال الفترة ١٩٠٦ - ١٩١٨ م من قبل المستشرق السويدي (سترستين) وترجم بعض سوره إلى الأسبانية [٦٩] . غير أن من أشهر الطبعات هي الطبعة التي قام بها المستشرق الألماني (فلوغل) في لايبزغ في سنة ١٨٥٣ م [٧٠] . هذه مجرد إشارات قليلة إلى طبعات القرآن الكريم بمعرفة بعض المستشرقين أوردناها على سبيل التمثيل لا الحصر . وغني بنا عن القول هنا بأن الطباعة استلزمت بطبيعة الحال الاهتمام بمخطوطات الكتاب الكريم وجمعها من مختلف أنحاء العالم ، وقد سبقت الإشارة إلى نموذج حي من هذا الاهتمام عند الإشارة إلى جهود سيدة روسية في التعريف بنوادر مخطوطات القرآن الكريم مما أثار إعجاب الشيخ أمين الخولي .

وهناك جانب آخر من اهتمام المستشرقين بالقرآن الكريم ، تجلى في دراسته وترجمة معانيه إلى مختلف اللغات ، ولكن أجلَّ الخدمات في نظري هى ما قام المستشرق الألماني (فلوغل) سالف الذكر عندما صنف معجماً لألفاظ القرآن الكريم مع بعض الشروح سماه « نجوم الفرقان في أطراف القرآن » المنشور عام ١٨٥٣ م [٧١] .

وممـن اهتم بدراسة القرآن الكريم المستشرق الألماني الشهير (نولدكه) ، وقد كانت اطروحته للدكتوراه هي الدراسة التي أعدها عن تركيب سور القرآن وقدَّمها إلى جامعة (غوتنتغن) في عام ١٨٥٦ م وكانت من الإتقان إلى درجة أنها حازت على جائزة مجمع الآداب في باريس في عام ١٨٥٨ م ، وقد وسعها ونشرها في عام ١٨٦٠ م . هذا وقد كتب (نولدكه) بحثاً قيماً عن قراءة أهل مصر [٧٢] . ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نشير إلى تخصص مستشرقة روسية بدراسات القرآن الكريم ، هي السيدة (كاشناليفا) المتوفاة في سنة ١٩٣٩ م ، إذ عملت على شرح بعض معانيه وترتيب سوره حسب الترتيب الزمني لنزولها ، كما درست تأثير القرآن في بعض كتابات الكتاب الروس [٧٣] . وهنا أود التنبيه مرة أخرى إلى أن ما سقناه هو مجرد أمثلة لهذا النوع من اهتمامات المستشرقين بجانب مهم من الخدمات المقدمة للقرآن الكريم ، إذ ليس غرضنا الاستقصاء الذي يتطلب وحده بحثاً قائماً بنفسه .

ثـم هناك الجهود التي بذلت لترجمة معاني القرآن الكريم منذ زمن بعيد ، وقد قاربت ١٠٠ ترجمة بدءاً بترجمة (روبرت أوف شيستر) و (هرمان الدلماطي) اللذين عاشا في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي [٧٤] وتعتبر ترجمة روبرت أول ترجمة على الإطلاق ، ثم هناك الترجمة إلى الفرنسية من قبل المستشرق الفرنسي Du Ryer ونشرت في باريس في سنة ١٦٤٧ م [٧٥] وترجمة (هنكلمن) في سنة ١٦٩٤ م ثم ترجمة (جورج

سيل) إلى الإنكليزية وهي أول ترجمة إلى تلك اللغة وكانت في سنة ١٧٣٤ م ، وترجمة (كاز يميرسكي) سنة ١٨٤٠ م وترجمة (ميتفوخ) إلى اللغة الأمهرية الحبشية في سنة ١٩٠٦ م ، وترجمة المستشرق السويدي (سترستين) إلى الأسبانية في سنة ١٩١١ م وإلى السويدية في سنة ١٩١٧ م ، وترجمة (بدرسين) إلى اللغة الدنمركية في سنة ١٩١٧ م ، وترجمة (كانون ديل) إلى اللغة السواحيلية في سنة ١٩٢٣ م ، وترجمة (خينيس) إلى الأسبانية في سنة ١٩٥٣ م ، وترجمة (مونته) في سنة ١٩٢٩ م ، وترجمة (بكتول) بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٦٢ م ، وترجمة (بونللي) في سنة ١٩٤٠ م ، وترجمة المستشرق الفرنسي (بلاشير) المنشورة في باريس في ثلاثة أجزاء بين عامي ١٩٤٧ م - ١٩٥٢ م [٧٦] ، وهناك ترجمة إلى اللغة الهندية قام بها المستشرق الهولندي (فت) المتوفي سنة ١٨٩٥ م ، وهناك هولندي آخر هو (أربانيوس) كان من أوائل المترجمين لمعاني القرآن الكريم وقد توفي في سنة ١٦٢٤ م [٧٧] ، ومن الترجمات الإنكليزية الجيدة الترجمة التي قام بها المستشرق البريطاني (آربري) وهي ترجمة مفسرة نشرت في جزئين في عام ١٩٥٥ م [٧٨] . وهذه الترجمات يسرت لغير الناطقين بالعربية الإطلاع على معاني القرآن الكريم ، وهي ترجمات تتفاوت من حيث الدقة والإتقان . وهنا ينبغي التأكيد بأن من العسير جداً الإتيان بترجمة تنقل معاني القرآن إلى حد الدقة والكمال ، بل هي من المستحيلات لأن البلاغة القرآنية تكمن في النص الموحي ، ولمزيد من المعلومات عن جهود المستشرقين البريطانيين في ترجمة معاني القرآن الكريم يمكن القارىء الرجوع إلى بحثنا عن المستشرقين البريطانيين المنشور في مجلة كلية الآداب في جامعة الملك سعود [٧٩] .

٢ - دور المستشرقين في خدمة الحديث الشريف والسيرة :

ومن الأعمال المبكرة في خدمة السيرة النبوية قيام المستشرق البريطاني (جان غانيه) بترجمة السيرة منقولة عن تاريخ أبي الفداء إلى اللاتينية ، ونشرها في أكسفورد في سنة ١٧٢٢ م [٨٠] . وقام المستشرق الهولندي (دي يونغ) بنشر سيرة ابن هشام مع ترجمة لاتينية في لايدن في سنة ١٨٦٥ م ، وقد قام هذا المستشرق بنشر صحيح البخاري في سنة ١٨٦٣ م ، كما نشر كتاب « المشتبه في أسماء الرجال » للذهبي في لايدن عام ١٨٨١ م ، وهو في رجال الحديث [٨١] ، وقد حقق كرنكوف « كتاب الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم في سنة ١٩٤٢ م ، كما نشر تاريخ البخاري في سنة ١٩٣٤ م ، وكرنكوف هذا دخل في الإسلام وله دور بارز في التحقيق [٨٢] ، وهو بريطاني من أصل ألماني . أما المستشرق البريطاني (الفرد غيوم) فقد ترجم كتاب القدر من صحيح البخاري ونشره في عام ١٩٢٤ م ، وقد صنف كتاباً مدخلا إلى علم الحديث [٨٣] . هذه مجرد لمحة موجزة للغاية ، إلا أن هذه اللمحة على إيجازها ينبغي ألا تغفل عن جهد عظيم خدم الحديث النبوي خدمة جليلة ينتفع بها الباحثون في مختلف العصور والأجيال ، ألا وهي ما قام به المستشرق الهولندي (فنسنك) الذي قضى سنين عديدة في تصنيف « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » الوارد في الكتب المعتمدة ، وهو عمل ضخم قلَّ مثيله .

ونشره في نسختين مفصلة وموجزة في لايدن في الفترة ١٩٢٧ - ١٩٣٦ م [٨٤] ومنذ ذلك الحين وهذا المعجم صار الأداة الأولى التي لا يستغني عنها طلبة الحديث في مختلف أنحاء العالم .

ثالثا : دور المستشرقين في خدمة التراث :

إن خدمة التراث ميدان واسع متشعب الجوانب بدءاً بجمع المخطوطات وانتهاءً بتحقيقها ، ولكنني هنا سأكتفي بجوانب ثلاثة ، هي جمع المخطوطات وصيانتها وفهرستها في كشافات المكتبات ثم تحقيقها ، متجاوزاً عن جوانب أخرى كالكتابة عن تلك الكتب والتعريف بها وترجمتها إلى اللغات الأخرى ، وذلك لئلا يتسع هذا البحث ويتجاوز الحدود المقررة .

١ - جمع المخطوطات وصيانتها :

مـن المعروف ان المستشرقين قدَّروا مخطوطاتنا حق قدرها ، عندما كانت مهملة كل الإهمال في أكثر بلادنا ، فجمعوها أو ساعدوا على جمعها بهمة لا تعرف الكلل ، ولئن اقتنوا بعضها بأثمان بخسة ، أو أنهم جمعوها بطرق غير سليمة ، فإن منها ما حمله إليهم بعض أبنائنا في عقر دارهم ، من ذلك مثلاً ما قام به في عام ١٨٨٣ م أمين بن حسن الحلواني المدني الذي حمل كمية كبيرة من المخطوطات إلى هولندا حيث باع أكثرها هناك لجامعة لايدن وإلى دار بريل للنشر هناك ، بينما باع الباقي إلى جامعة برنستون الأميركية والمكتبة الملكية في برلين ، وقد اشترت منه جامعة لايدن وحدها ٦٦٣ مخطوطاً من النوادر . وبهذه الوسيلة وغيرها تجمع لدى هذه الجامعة ما يزيد على ٨٠٠٠ مخطوط [٨٥] . ونستطيع أن نقول الشيء نفسه عن كثير من مكتبات العالم ، ففي بريطانيا هناك مكتبة المتحف البريطاني التي أنشئت في عام ١٧٥٣ م وأنشىء فيها قسم خاص بالمخطوطات الشرقية . وهناك العديد من المكتبات الموزعة في أنحاء بريطانيا ولاسيما في جامعاتها العريقة مثل أكسفورد وكمبرج ، وكلها غنية بالمخطوطات التي جمعتها من هنا وهناك ، وهذا الجمع هو أولى الخطوات المطلوبة بشأن إحياء التراث - كما يقول السيد عبده زايد [٨٦] - إذ يؤكد بأن من الضروري حصر التراث كله في أي مكان في العالم وتحديده ، وأن هذه المهمة - على حد قوله - قد قطع المستشرقون شوطاً كبيراً فيها ، ومن السهولة واليسر أن تجد فهارس مفصلة للمخطوطات العربية والإسلامية في مكتبات العالم الكبرى .

ومن الطريف ما كتبه الأستاذ محمد حسين زيدان رئيس تحرير مجلة (الدارة) في العدد الصادر في المحرم - ربيع الأول ١٤٠٩ هـ/آب - تشرين الأول ١٩٨٩ م (ص ٥) في تبرير سرقة المخطوطات مادام السارق يحترم المخطوطات ويحرص على صيانتها ويقدر قيمتها في خدمة الحضارة الإنسانية ، وإنه لن يتردد في شكر مثل هذا السارق ، والحقيقة أن ما تلقاه المخطوطات العربية والإسلامية من عناية وصيانة وحفظ في خزانات مكيفة خاصة تكلف أموالاً طائلة تنفقها إدارات المكتبات في أوروبا عن طيب خاطر ، وتحرص على تيسير الانتفاع بها . ولقد بلغ في ترميم المخطوطات درجة عالية من التقدم باستخدام التقنيات الحديثة ، وصار يُدَّرس ويُدرَّب عليها العاملون ، وإننا في البلاد العربية مدينون للأوربيين في تعلم هذا الفن الذي تكفل بحفظ ذخائر تراثنا الثمين . وقد أشار الدكتور زقزوق إلى جهود المستشرقين في هذا الشأن [٨٧] ، ونوه بجمعهم للمخطوطات العربية من كل مكان

وبشتى السبل ، بل بوسائل شرعية وغير شرعية ، ولكن ذلك هيأ لها أحدث وسائل الحفظ والعناية الفائقة والصيانة من التلف ، وختم هذه الإشارة بالقول بأنه يشعر « بالأسى والحسرة لحال المخطوطات النادرة في كثير من بلادنا العربية والإسلامية ، وما آل إليه حال كثير منها من التلف والتآكل وصعوبة أو استحالة الاستفادة منها » [٨٨] .

٧ – فهرسة المخطوطات :

لـم يقف المستشرقون عند جمعهم للتراث وصيانته ، بل بادروا إلى فهرسته حيثما وجدوه ، فهرسة علمية دقيقة في مجلدات عديدة مجددة منقحة ، تتناول عادة أسماء المؤلفين وعناوين المخطوطات وأصالتها ونسبتها إلى أصحابها وتاريخ نسخها ومزاياها ووصف حجمها وورقها وعدد صفحاتها وعدد سطور الصفحات ، وتكون عادة مذيلة بملحق لأسماء المؤلفين وآخر لعناوين الكتب . ويرجع بعض هذه الفهارس إلى ما يزيد عن ثلاثة قرون خلت ، فخذ مكتبة الفاتيكان مثلاً التي تعاقب على أمانتها بعض نصارى لبنان ، أعدت أول فهرس لمخطوطاتها في عام ١٦٦٠ م [٨٩] ،مما يسر للباحثين فرص الاطلاع على محتويات تلك المكتبة والانتفاع بها . وقد حرصت جميع المكتبات الأوربية على إعداد فهارس لمخطوطاتها . من ذلك مكتبة برلين التي قام المستشرق الألماني (أهلوارد) بوضع فهرس مخطوطاتها العربية في عشرة ملجدات في غاية الدقة والشمول ، وصدر هذا الفهرس في نهاية القرن الماضي وحوى نحو ١٠,٠٠٠ مخطوط [٩٠] .

ويمكننا أن نقول ان هذا العمل كان ديدن كل مكتبة فيها مخطوطات في مختلف أقطار العالم الغربي . ومن أولى المكتبات البريطانية التي فهرست مخطوطاتها ، المكتبة البودلية باكسفورد التي صنع فهرسها المستشرق البريطاني (الكسندر نيكول) المتوفي سنة ١٨٢٨ م [٩١] ، وسار على منواله عدد كبير من المستشرقين البريطانيين ، كل كرس جهوده لفهرسة مخطوطات مكتبة من المكتبات ، وذيل بعضهم على فهارس سابقة بما جدَّ اقتناؤه من مخطوطات بعد نشر تلك الفهارس ، كالذيل الذي صنعه المستشرق البريطاني (آربري) لفهرس مكتبة وزارة الهند البريطانية ، ولهذا المستشرق فضل آخر إذ صنف فهرساً لمخطوطات مكتبة (جيستر بيتي في دبلن) يقع في ثمانية مجلدات [٩٢] .

وهـذه الفهارس فضلاً عن دورها في تسهيل عملية تحديد أماكن وجود المخطوطات وحصر نسخها ، فإنها تعين الباحثين على كشف ما كان يعتبر مفقوداً منها ، وكم من مرة كانت الفهارس هي الضوء الكاشف لتلك المفقودة ، وقد كان للفهرس الذي صنعه (آربري) آنف الذكر الفضل في اهتدائي إلى معرفة وجود نسخة من « تاريخ إربل » الذي كان في عداد المفقودات ، مما ييسر لي – بتوفيق الله – القيام بتحقيقه ونشره .

ولم يكتف المستشرقون بفهرسة المخطوطات ضمن نطاق كل مكتبة على حدة ، بل عمد بعضهم إلى عمل أوسع نطاقاً كالذي قام به المستشرق الألماني الشهير (بروكلمان) بتأليفه كتابه الموسوعي « تاريخ الأدب العربي » في خمسة مجلدات عرض فيه لتراجم العلماء والأدباء في جميع العصور الإسلامية ، وذيل كل ترجمة بمصادرها ، ووصف مصنفات أولئك العلماء وميزاتها وبيان تاريخ طبعها ومكانها إن كانت مطبوعة ، وأحصى – وهذا هو المهم – المخطوطات التي صنفها العلماء المسلمون مصنفة حسب العلوم المختلفة ، وبيَّن أماكن وجودها ، وبيَّن المفقود منها [٩٣] ، فكان خير دليل للباحثين ومعين لهم في تتبع ثمرات التراث العربي أينما وُجدت في هذا العالم .

إن أفضل خدمة قدمها المستشرقون لتراثنا العربي الإسلامي ، هو قيامهم بتحقيق الكثير من مخطوطاته ، إذ لم يكتفوا بجمع المخطوطات وصيانتها وفهرستها ، وإنما عمدوا إلى إحيائها بنشرها عن كفاية وجلد ، على أحدث منهج علمي من قراءة نصوصها الصعبة في أوراق طمس الزمن الكثير من ملامحها ، ثم مقابلتها بنظيراتها والتماس الأصالة فيها ، والتثبت من صحة نسبتها إلى أصحابها ، مهما كلفهم ذلك من وقت وعناء ومال ، من ذلك (فلوغل) الذي قضى ٢٥ سنة في جمع مخطوطات كتاب « الفهرست » لابن الند يم ومات ولما يتم تحقيقها ، وكذلك قضى ١٣ سنة في تتبع مخطوطات « كشف الظنون » لحاجي خليفة ، وقام بتحقيقه مع ترجمة لاتينية طبعت في لايدن عام ١٨٥٨ م ، وفعل مثل ذلك في كتاب « التعريفات » للجرجاني الذي حققه ونشره في سنة ١٨٣٧ م [٩٤] .

وحرص المستشرقون على تصحيح ما في المخطوطات من تحريف أو تصحيف ونقدها وتمحيصها في ضوء التقنيات الحديثة والمكتشفات الآثارية ، مع التزام الأمانة في إيراد النص ، إذ لا يبيح أحدهم لقلمه أن يتناول كلمة أو حرفا بالحذف أو الإضافة أو التغيير ، كما حرصوا على شرح غوامضها والاستدراك عليها في الحواشي ، علاوة على تحرير مقدمات إضافية لها وتزويدها بمعاجم تفسر اصطلاحاتها ، فضلاً عن فهارس الأعلام والأماكن والكتب والقبائل الواردة فيها . وهذا المنهج العلمي الذي انتهجوه صان معظم أقلامهم من الزلل إلى حد كبير . ومن أبرز التحقيقات ما قام به المستشرق البريطاني (بيفان) من تحقيق نقائض جرير والفرزدق في (١١٠٢) صفحة وذيله بتعليقات وشروح وفهارس بلغت (٣٦٧) صفحة . ومثله قيام الهولندي (دي غويه) بتحقيق تاريخ الطبري في (٨٠٠٠) صفحة مع (١٥٠) صفحة مقدمة وفهارس . وربما تعاون عدد منهم في تحقيق بعض المخطوطات كالذي فعله (دي غويه) هذا مع (أهلوارد) في تحقيق « فتوح البلدان » للبلاذري ، وكالذي صنعه (سخاو) وثلاثة مستشرقين آخرين في تحقيق « الطبقات الكبري » لابن سعد [٩٥] ، وهكذا وفَّر لنا المستشرقون ألوف الذخائر العربية محررة موثقة ومرتبة وجعلوها في متناول أيدي الباحثين في كل مكان . وعندما نفدت طبعاتها وتقادم الزمن بها ، لم تجد دور النشر في البلاد العربية خيراً من تصويرها وإعادة نشرها بالشكل الذي أنجزه المستشرقون . ولقد عرفنا الكثير من كتب تراثنا محققة ومطبوعة على أيديهم .

واعترافا بهذه المكانة التي احتلها المستشرقون في عملية تحقيق التراث ، صارت بعض المؤسسات العلمية العربية تكلف البعض منهم بأعمال التحقيق ، إذ كلف المجمع اللغوي المصري مثلاً (نللينو) بتحقيق كتاب « أعلام البلدان في بلاد الإسلام » ، وضمَّت جامعة القاهرة (ليفي بروفنسال) إلى لجنة تحقيق كتاب « الذخيرة » لابن بسام . ونشرت مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ودائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد وعدد من دور النشر العربية الكثير من نفائس المخطوطات محققة بأقلام بعض المستشرقين ، مثل (كرنكوف) وغيره [٩٦] .

إن عملية تحقيق المخطوطات العربية والإسلامية قديمة يرجع تاريخها إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادي ، ومن المخطوطات التي حققت ونشرت في هذا القرن « الأجرومية » في النحو التي نشرت في روما سنة ١٥٩٢ م من قبل معهد آل مديتش ، وهي التي أعيد تحقيقها من قبل المستشرق الإيطالي القس أوتسشيني Obicini في عام ١٦٣١ م ، كما حققت في بولندا في عام ١٦١٠ م من قبل Kirsten [٩٧] الدانمركي . ومن

الكتب التي حققت في وقت مبكر كتاب « القانون » لابن سينا مع بعض كتبه في الطب والفلسفة التي نشرت من قبل معهد آل مديتش للشرقيات في روما في سنة ١٥٩٣ م [٩٨] . وفي عام ١٥٩٢ م نشر في إيطاليا أيضاً أول متن في الجغرافية الوصفية ، وهو موجز كتاب الشريف الإدريسي . ثم تتابعت أعمال التحقيق والنشر في مختلف أنحاء أوروبا ، كما يتضح من الكشف الملحق بهذا البحث . وحيث ان عدد المخطوطات العربية التي جلبت إلى أوربا من الشرق قد نما بصورة ملحوظة في القرن التاسع عشر الميلادي ، مما حفز العلماء إلى فهرستها وتحقيقها ونشرها [٩٩] . وقد شهد هذا القرن ظهور عدد من أبرز المحققين ، ولذا فإن من المفيد إلقاء الضوء على نشاط عدد منهم ممن كان لهم مساهمة متميزة في هذا الحقل . ومن هؤلاء :

(أ) المستشرق الألماني فردينالد وستنفيلد (١٨٠٨ - ١٨٩٩ م) :

وهو أستاذ الدراسات السامية في عدد من الجامعات الألمانية ، ويعد من أبرز المستشرقين في ميدان التحقيق ، وقد ركز نشاطه بصورة خاصة على نشر الأصول العربية لعدد من المصنفات المهمة في التاريخ والجغرافية . وكان حريصاً على تزويد نشراته بالفهارس المفصلة ، مما سهل على الباحثين الخوض فيها دون عناء . كذلك بذل جهده في تحقيق أسماء الأعلام والمواضع وتخريج النقول والاستشهادات وردها إلى مصادرها الأصلية ، ومن بينها الشواهد الشعرية في كتاب « معجم البلدان » وهذه بلغت (٣٠٠٠) شاهد . وقد قضى هذا المستشرق ستين عاماً مكباً على الدراسات العربية حتى كف بصره ، إذ بلغت آثاره حوالي ٢٠٠ مصنف ومحقق (١٠٠) .

ومن تحقيقاته « سيرة ابن هشام » التي نشرها في جزئين في عامي ١٨٥٨ م و ١٨٦٠ م . كذلك حقق مجموعة تواريخ مكة و « وفيات الأعيان » لابن خلكان مكتوبة بخط يده ، وبعض مصنفات المقريزي . وحقق في الجغرافية « معجم البلدان » لياقوت في ستة أجزاء بين سنتي ١٨٦٦ - ١٨٧٣ م ويعد هذا من أجل الأعمال التي قام بها بمفرده ، وقد خصص الجزء السادس منه للفهارس ، وبذلك قدم خدمة جليلة للعلم وأهله . وكان قد نشر في عام ١٨٤٦ م كتاب « المشترك وضعا والمفترق صقعا » لياقوت أيضاً ، وعقب ذلك قام بنشر كتابين قيمين لزكريا القزويني ، هما « آثار البلاد وأخبار العباد » الذي نشره عام ١٨٤٨ م ، وكتاب « عجائب المخلوقات » الذي نشره في عام ١٨٤٩ م . كذلك قام بتحقيق كتاب « معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع » للبكري . ولم يكتف بذلك بل ترجم المقدمة الضافية التي كتبها البكري لهذا الكتاب ، إلى اللغة الألمانية . وقد اعتمد في تحقيق هذا الكتاب على عدد من المخطوطات ، واستخلص منها نسخة محققة كتبها بخط يده في مجلدين كبيرين مع الفهارس ، وصدرا في عامي ١٨٧٦ و ١٨٧٧ م [١٠١] .

(ب) المستشرق الهولندي ميشيل دي غويه (أودي خويه) ١٨٣٦ - ١٩٠٩ م

اهتم منذ بداية أمره بالدراسات العربية أولاً في بلاده هولندا ، ثم أكمل دراسته في جامعة أكسفورد ، وقد ركز نشاطه على تحقيق النصوص ، وتعد تحقيقاته قمة في الدقة والإتقان حتى صار أكبر محقق للنصوص في زمانه ، بل ولا يزال إلى الآن يعتبر الأستاذ الأول لهذا الفن والقدوة التي يحتذيها محققو النصوص في الوقت الحاضر ، إذ كان حريصاً على توفير خير النسخ الممكنة للمصادر الأصلية واتخاذها أساساً للتحقيق . وقد بدأ بتحقيق كتاب « البلدان » لليعقوبي ونشر قسما منه ، فكان ذلك فاتحة لاهتمامه بالمكتبة الجغرافية ، فعمل على

○ « نويل كولسون » يؤكد في دراساته أن النظام القانوني الإسلامي هو متفاعل في المجتمعات الإسلامية وقائم في ضمائر أفرادها وينبغي أن يعتمد عليه في تشكيل النظم القانونية في البلاد الإسلامية .

جمع مخطوطاتها والسفر إلى البلاد الأخرى للاطلاع على ما لديها من مخطوطات . وقد نسخ بيده معجم « أساس البلاغة » للزمخشري بهدف تحقيقه ونشره . ثم عمل على تحقيق قسم من « نزهة المشتاق » للإدريسي ، إذ لم يسبق أن نشر منه سوى قسم صقلية بتحقيق المستشرق الإيطالي (أماري) . وبالفعل نشر (دي غويه) بالتعاون مع (دوزي) قسم المغرب والأندلس ومصر والسودان مع ترجمة فرنسية في عام ١٨٦٦ م . ومنذ ذلك الحين أكبَّ (دي غويه) على استكمال نشر المكتبة الجغرافية الإسلامية بين عامي ١٨٧٠ - ١٨٩٤ م ، وهي الكتب التي صنفت خلال فترة ازدهار التأليف الجغرافي عند المسلمين في القرنين الثالث والرابع . وقد تجلت في تحقيقاته قدرته المنهجية العالية في ضبط النصوص وشرح ما ينبغي شرحه مما جاء فيها ، علاوة على كتابة مقدمة نقدية لكل مصنف منها تبين أهمية مكانته بين المصنفات الجغرافية . وقد بلغ عددها ثمانية هي :

١ - كتاب « المسالك والممالك » للاصطخري . وقد نشر في سنة ١٨٧٠ م

٢ - كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » للمقدسي ، نشر في سنة ١٨٧٧ م .

٣ - كتاب « صورة الأرض » لابن حوقل ، نشر في عام ١٨٧٨ م .

٤ - الفهارس والإيضاحات والتصحيحات الواردة في الكتب الثلاثة . وقد نشر في سنة ١٨٧٩ م .

٥ - كتاب « البلدان » لابن الفقيه الهمداني ، نشر في عام ١٨٨٥ م .

٦ - كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبه ، وكتاب « الخراج » لقدامة ، نشرا في مجلد واحد عام ١٨٨٩ م .

٧ - كتاب « البلدان » لليعقوبي ، وكتاب « العلاقة النفسية » لابن رسته ، نشرا في مجلد واحد في سنة ١٨٩٢ م .

٨ - كتاب « التنبيه والإشراف » للمسعودي ، وقد نشر في عام ١٨٩٤ م .

ثم نشر (دي غويه) طبعة جديدة من « رحلة ابن جبير » في سنة ١٩٠٧ م ، التي سبق ونشرها المستشرق البريطاني (وليم رايت) . ولم يكتف بذلك ، فإنه دأب على التفتيش عن مخطوطات جديدةلما سبق ونشر ، فأعاد نشر كل من كتاب « أحسن التقاسيم » وكتاب « صورة الأرض » .

أما في التاريخ فقد حقق بين عامي ١٨٦٢ - ١٨٦٦ م كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري كما أسلفنا . وقد سعى لجمع مختلف أجزاء تاريخ الطبري الذي سبق للمستشرق (سخاو) نشر قطع منه لا تشفي غليل الباحثين . وفي عام ١٨٦٢ م تمكن من اكتشاف جزئين منه في إكسفورد ، مما حفز العلماء على مداومة البحث لاستكمال جميع أجزائه من مكتبات العالم شرقاً وغرباً . وقد تولى (دي غويه) قيادة الجهود التي بُذلت في

هذا الشأن حتى أمكن إخراج هذا الكتاب بين عامي ١٨٧٩ م و ١٩٠١ م بجهود عدد من العلماء منهم المستشرق الألماني (نولده كه) ، إلا أن (دي غويه) قام بالقسط الأكبر من عملية التحقيق والتوثيق وكتابة المقدمة وإعداد الشروح والفهارس . ولم يكتف بذلك بل ونشر كتاب « صلة الطبري » لعريب القرطبي ، وفضلاً عن ذلك فقد حقق كتاباً في النحو العربي في عام ١٨٨٩ م هو « الأجرومية » (١٠٢) . وهناك كتب كثيرة أخرى تولى تحقيقها هذا المستشرق الكبير ، ولكن يكفينا منه ما قدمنا ذكره .

(جـ) المستشرق الهولندي رينهارت دوزي (١٨٢٠ - ١٨٨٣ م) :

وهـو أستاذ اللغة العربية في جامعة لايدن لمدة ٢٨ سنة ، عُرف عنه حب الاستشراق ، ولكنه شديد العداء للإسلام ، إلا أن ذلك لم يمنعه من الاهتمام بتحقيق كتب التراث ، ولاسيما تلك المتعلقة ببلاد المغرب والأندلس التي حرص على جمع مخطوطاتها من كل مكان ، حتى انه نسخ جزءاً من كتاب « الذخيرة » وبعض المخطوطات العربية النفيسة من مكتبة جامعة إكسفورد ، وعثر على جزء آخر منه في مكتبة ألمانية . وعندما تولى إدارة مكتبة (لايدن) وضع فهرسين لها . ومن الكتب التي حققها ونشرها « البيان المغرب » لابن عذاري و « المعجب » لعبد الواحد المراكشي و « الحلة السيراء » لابن الابار ، وبعض كتاب « نزهة المشتاق » للإدريسي وغيرها كثير . وجهوده في حقل التحقيق طيبة ، إلا أنه أفسدها بأحكامه الفاسدّة التي أصدرها ضد الحضارة الإسلامية كما أسلفنا ، هذا وقد صنف ذيلا للمعاجم العربية علاوة على عدد غير قليل من المخطوطات الأخرى التي حققها والبحوث التي كتبها (١٠٣) .

(د) المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال (١٨٩٤ - ١٩٥٦ م) :

ولـد في الجزائر وتثقف في معاهدها وتولى أعمالاً مختلفة حكومية وتعليمية في بلاد المغرب العربي والسوربون وأستاذًا زائراً في جامعة القاهرة رغم كونه يهودياً يمثل امتداداً لأفكار المستشرق (دوزي) السيئة عن الوجود الإسلامي في الأندلس . لكن ذلك لم يمنعه من الاهتمام أيضاً بتحقيق التراث الإسلامي ونشره . وقد سبقت الإشارة إلى قيام جامعة القاهرة بضمه إلى اللجنة المكلفة بتحقيق كتاب « الذخيرة » لابن بسام . وفضلاً عن ذلك فإنه حقق عدداً من كتب التراث نذكر منها الجزء الثالث من كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري ، وأعاد نشر الجزئين الأول والثاني اللذين حققهما (دوزي) . كذلك حقق كتاب « الروض المعطار » للحميري مع ترجمته إلى اللغة الفرنسية ، وكتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ، وكتاب « أعمال الأعلام » تأليف لسان الدين بن الخطيب ، و « تاريخ قضاة الأندلس » للنباهي ، فضلاً عن كتب كثيرة أخرى ودراسات متنوعة تتعلق بالمغرب والأندلس ، إلا أنه اتهم باستغلال طلابه العرب في عمليات التحقيق ، كما أنه كان متورطاً في بعض الأعمال السياسية والعسكرية المريبة خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها (١٠٤) .

(هـ) المستشرق الألماني - البريطاني فريتس كرنكوف (١٨٧٢ - ١٩٥٣ م) :

وهـو ألماني بالولادة ونزح إلى بريطانيا وتجنس بجنسيتها ، اشتغل بالتجارة ، ثم انصرف إلى العلم وانقطع عليه وتتلمذ على مستشرق بريطاني كبير هو (شارلس ليال) ، فتعلم العربية والفارسية والأردية ، واهتم بتحقيق

المخطوطات النادرة ، وقد استعان به سلطان حيدر آباد (في الهند) عندما أنشأ (دائرة المعارف العثمانية) في تحقيق عدد غير قليل من الكتب العربية ، فقام بتحقيقها على خير ما يرام ، كما أنه اعتنق الإسلام واتخذ اسماً إسلامياً (محمد سالم الكرنكوي) ، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . هذا وقد بلغت الكتب التي حققها ونشرها حوالي (٢٠) كتاباً من بينها « الأصمعيات » بشرح ابن السكيت و « مقامات بديع الزمان الهمداني » و « حماسة ابن الشجري » و « الجمهرة » لابن دريد في أربعة أجزاء ، و « معجم الشعراء » للمرزباني و « الدرر الكامنة » لابن حجر في عدة أجزاء و « الجماهر في معرفة الجواهر » للبيروني ، و « المنتظم » لابن الجوزي ، في عدة أجزاء و « كتاب الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم و « ذيل مرآة الزمان » لليونيني بعدة أجزاء وغيرها [١٠٥] .

وهنـاك عدا هؤلاء عشرات من المستشرقين الذين حقق كل منهم أعداداً كثيرة من كتب التراث ، فمن هؤلاء البريطاني (وليم ليز) الذي حقق مالا يقل عن ثمانية كتب [١٠٦] و (وليم رايت) الذي حقق ستة كتب على الأقل [١٠٧] . وحقق مثل هذا العدد (مرغوليوث) وبينها « معجم الأدباء » لياقوت في سبعة أجزاء ورسائل أبي العلاء المعري و « نشوار المحاضرة » للتنوخي . وقد أثني على جهوده الدكتور مصطفى هدارة ، وقال إن تحقيقه للمخطوطات العربية ونشرها ينبغي أن يذكر بالتقدير [١٠٨] . وإننا لو أردنا الاسترسال في إيراد مثل هذه النماذج لطال المقال وخرج عن النطاق المحدد للبحوث التي تنشر عادة في الدوريات ، إلا أنني أرى من المفيد أن أقدم كشفاً يتضمن عناوين بعض الكتب العربية المخطوطة التي حققها بعض المستشرقين ، وقد تم اختيارها بصورة عشوائية من مختلف العلوم ومن مختلف العصور ومن مختلف الجنسيات بالنسبة للمحققين ، لاعطاء فكرة أكثر وضوحاً عن عملية التحقيق ، ولم نتبع في إيرادها أي ترتيب معين . وفيما يأتي الكشف :

١ - كتاب « المدخل إلى علم المنطق » لأثير الدين الأبهري ، حققه المستشرق الإيطالي (أوبتنشني) ونشره في روما مع ترجمة لاتينية في سنة ١٦٢٥ م [١٠٩] .

٢ - كتاب « العمل » لعبد القاهر الجرجاني ، حققه (توماس أربانيوس) أستاذ اللغة العربية في جامعة لايدن بهولندا ونشره في سنة ١٦١٧ م في روما . وحقق هذا المستشرق نفسه « أمثال لقمان الحكيم » مع مجموعة من الأمثال العربية ونشرها مع ترجمة لاتينية في لايدن ، في سنة ١٦٣٦ م . كما أنه حقق بعض « مقامات الحريري » وبعض قصائد المعري ونشرها مع شرح لاتيني في لايدن في عام١٦٥٦ م [١١٠] .

٣ - كتاب « عجائب المقدور » لابن عربشاه الدمشقي ، حققه (جاكوب غوليوس) أستاذ الأدب العربي في جامعة لايدن ونشره مع ترجمة لاتينية في لايدن في عام ١٦٣٦ م . وحقق هذا المستشرق الهولندي مخطوطة « الحركات السماوية » لمحمد بن كثير الفرغاني في وصف الكرة الفلكية المصنوعة لأحد الحكام الأيوبيين في سنة ٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م ، ونشرها في أمستردام في سنة ١٦٦٩ م ، كما أنه نشر الجداول الفلكية للفرغاني المشار إليه [١١١] .

٤ - كتاب « وصف مصر » لعبد اللطيف البغدادي ، نشر ترجمة له المستشرق الفرنسي (سلفستردي ساسي) في عام ١٨١٠ م . وحقق هذا المستشرق « مقامات الحريري » ونشرها في باريس في سنة ١٨٢٢ م . والجدير بالذكر أن (دي ساسي) يعتبر مؤسس الاستشراق في فرنسا ، وقد جمع مكتبة غنية بلغ عدد محتوياتها حوالي (٦٠٠٠) مجلد بينها عدد من المخطوطات العربية . وقد طبع فهرسها في باريس في سنة ١٨٤٢ م [١١٢] .

٥ - قصيدة كعب بن زهير في مدح النبي (ﷺ) ومعلقة امرىء القيس حققها بعض المستشرقين في هولندا ونشروها بالعربية مع ترجمة لاتينية في لايدن في سنة ١٧٤٨ م [١١٣] .

٦ - كتاب « قصة حي بن يقظان » الفلسفية لابن طفيل ، حققها المستشرق البريطاني (ادوارد بوكوك) ونشرها مع ترجمة لاتينية في أكسفورد في عام ١٦٧١ م ، ثم أعيد طبعها في سنة ١٧٠٠ م . وقد ترجمت إلى الهولندية في سنة ١٦٧٢ م وترجمت إلى الانكليزية مرتين في عامي ١٧٠٨ م و ١٧٣١ م ، وإلى الألمانية في سنة ١٧٨٣ م ، ثم إلى عدة لغات أخرى . وقد كان لها أثر كبير على الكاتب الإنكليزي Danail Defoe عندما كتب قصة (Robinson Crusoe) المشهورة في عام ١٧١٩ م . وقد أعجب بقصة « حي بن يقظان » النصارى حتى ان الكويكر Keith الذي ترجمها إلى الإنكليزية أبدى إعجابه بابن طفيل وقال إنه فاق في طيبته كثيرين ممن يتسمّون بالنصرانية . والمستشرق (ادوارد بوكوك) حقق أيضاً قصيدة « لامية العجم » للطغرائي ، ونشرها في لندن في سنة ١٦٦١ م [١١٤] .

٧ - رسالة « تعليم المتعلم » للزرنوجي حققها المستشرق الهولندي (ريلاندوس) ونشرها مع ترجمة لاتينية في ألمانيا في سنة ١٧٠٩ م ، كما جمع عدداً من النصوص الإسلامية المتعلقة بالدين والإيمان ، ونشرها مع ترجمة لاتينية في حوالي ٣٠٠ صفحة في سنة ١٧٠٥ م ، وقد جمع فيها الأخطاء التي يقع فيها النصارى الأوربيون في تصورهم للإسلام مع تصحيحها ، وكتبها بروح علمية بعيدة عن التعصب [١١٥] .

٨ - كتاب « سيرة صلاح الدين » لابن شداد ، حققها المستشرق الهولندي (ألبرت اشالتنس) ونشرها مع ترجمة لاتينية في لايدن في سنة ١٧٣٢ م ، وهذا المستشرق هو الذي حقق بعض مقامات الحريري ونشرها في عام ١٧٣١ م ، كما حقق أجزاء من مؤلفات أبي الفداء وحمزة الأصفهاني والنويري والطبري والمسعودي ، ومقتبسات من حماسة أبي تمام وبعض القصائد ، ونشرها في عام ١٧٤٠ م ، بينما قام ابنه (هنري شالتنس) بتحقيق كتاب « كليلة ودمنة » ونشره لأول مرة في لايدن في سنة ١٧٨٦ م ، وقد كان لهذا الكتاب أثر بالغ في الأدب الأوربي ولاسيما بالنسبة لقصص الكاتب الفرنسي (لافونتين) [١١٦] .

٩ - كتاب « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » للتيفاشي ، حققه المستشرق الإيطالي (انطونيو رينيري) ، ونشره في إيطاليا مع ترجمة إيطالية في سنة ١٨١٨ م ، وقد طبع فيما بعد في هولندا والقاهرة [١١٧] .

١٠ - كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة » للبيروني ، حققه المستشرق الألماني (سخاو) [١١٨] وطبعه في لندن عام ١٨٨٧ م .

١١ - كتاب « طبقات القراء » لابن الجزري ، حققه المستشرق الألماني (برغشتراسر) ونشره في عدة مجلدات في القاهرة في سنة ١٩٣٢ م [١١٩] .

١٢ - كتاب « مشاهير علماء الأمصار » لابن حبان ، حققه المستشرق الألماني (هامر) ونشره في ألمانيا في سنة ١٩٥٩ م [١٢٠] .

١٣ - كتاب « الفخري » لابن الطقطفي ، حققه المستشرق الفرنسي (هوتويغ ديرنبوغ) ونشره في باريس سنة ١٨٩٥ م ، كما حقق « كتاب الاعتبار » لأسامة بن منقذ ونشره في لايدن سنة ١٨٨٤ م ، كما حقق ديوان النابغة الذبياني [١٢١] .

١٤ - كتاب « الفتح القسي » للعماد الأصفهاني ، حققه المستشرق الهولندي (لانوبيرغ) ونشره في لايدن في سنة ١٨٨٨ م [١٢٢] .

١٥ - كتاب « تاريخ المستبصر » لابن المجاور ، حققه المستشرق السويدي (لوفغرين) ونشره في لايدن ، كما حقق « تاريخ ثغر عدن » لابن مخرمة ، ونشره في لايدن أيضاً في سنة ١٩٣٦ م [١٢٣] .

١٦ - كتاب « تاريخ الحكماء » للقفطي ، حققه المستشرق الألماني (ليبرت) ونشره في لايبزغ عام ١٨٨٢ م [١٢٤] .

١٧ - كتاب « الوافي بالوفيات » للصفدي تولى المستشرق الألماني (ريتير) البدء بتحقيق هذا الكتاب الضخم في سلسلة « المكتبة الإسلامية » التي ترعاها « الجمعية الشرقية الألمانية » ، وقد أصدر جزءه الأول في استانبول عام ١٩٢٩ م ، كما قام بتحقيق عدد من الكتب المهمة لحساب الجمعية المذكورة ، مثل « مقالات الإسلاميين » للأشعري و « فرق الشيعة » للنوبختي و « أسرار البلاغة » لعبد القادر الجرجاني وكتاب « مشكل القرآن » لابن قتيبة ، علاوة على دراسات كثيرة [١٢٥] .

أكتفي بهذا القدر من نماذج التحقيق التي قام بها المستشرقون في الماضي البعيد والقريب ، إلا أنني أود التنبيه إلى أن نشاطهم لم ينقطع في هذا الحقل حتى الآن ، على الرغم من ظهور طبقة قديرة من المحققين من أبناء البلاد العربية والإسلامية وتصدِّيها لتحمل أعباء مهمة تحقيق التراث الإسلامي . ولعل من المناسب أن أذكر بضع نماذج من جهود المستشرقين المتأخرين في تحقيق التراث قبل أن أختم هذا الكشف ، ومن هؤلاء :

١٨ - المستشرق الألماني (سيلهايم) الذي حقق كتاب « نور القبس في أخبار النحاة والشعراء » لليغموري ونشره في ألمانيا في سنة ١٩٦٤ م [١٢٦] .

١٩ - المستشرق البريطاني (مارسدن جونز) الذي حقق « كتاب المغازي » للواقدي ، ونشره في إكسفورد في عام ١٩٦٦ م [١٢٧] .

٢٠ - المستشرق الأسباني (غونز اليز) الذي حقق كتاب « الروض المعطار » للحميري ، ونشره في أسبانيا في عام ١٩٦٣ م [١٢٨] .

٢١ - المستشرق البريطاني (سبنيك) حقق رسالة الزهراوي في آلات الجراحة ، ونشرها عام ١٩٧٣ م [١٢٩] .

٢٢ - المستشرق البريطاني (ريكس سمث) حقق كتاب « السمط الغالي الثمن » في تاريخ اليمن لابن حاتم اليامي ونشره مع دراسة قيمة في سنة ١٩٧٤ م [١٣٠] .

وهكذا نراهم يواصلون عملية التحقيق وخدمة التراث غير مبالين بالأصوات الكثيرة المنبعثة من البلاد العربية والإسلامية التي تتهم المستشرقين - بدون تمييز - بالإساءة إلى الإسلام والمسلمين . والعمل على الإضرار بهم ، والحط من مكانتهم ، وتجرِّدهم من أية نية حسنة تجاه هذا التراث ، وتنفي أن يكون لديهم أي هدف علمي من وراء اهتمامهم بالدراسات العربية والإسلامية ، غير مكترثة بالجهود العظيمة التي بذلوها في جمع كتب التراث والعناية بها وصيانتها ، ثم فهرستها وتحقيقها ونشرها وفق أحسن الأساليب العلمية ، علاوة على الدراسات القيمة التي قدمها بعض المستشرقين في هذا الشأن وتعلقهم بتلك الدراسات رغم جميع الصعاب . ولعل من الإنصاف أن أشير في ختام مقالي هذا إلى موقف أحد المستشرقين البريطانيين القدامى من لغتنا العربية التي درسها وتعلق بحبها ، ألا وهو (سيمون أوكلي) المتوفى سنة ١٧٢٠ م ، وقد صنف أهم كتاب كامل تحدث بصدق وإسهاب عن الحضارة العربية والإسلامية وتأثيرها في أوربا هو « تاريخ المسلمين » ، وقد كان أستاذاً في جامعة

كمبرج حذق اللغة العربية مما ساعده على ترجمة أول كتاب عربي هو قصة « حي بن يقظان » ، غير أن أهم ما قام به (أوكلي) هذا هو تأليفه كتاباً شاملاً عن تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام وكتبه بروح علمية نزيهة . وقد أعرب في رسالة بعث بها إلى ابنته عما يشعر به من الغبطة في تحقيق الغاية التي يهدف إليها ، وما يناله من لذة الكشف عن بعض الحقائق « بتأليف تاريخ أعظم امبراطورية (كذا) قامت على وجه الأرض ... إلخ (١٣١) .

وقد قال في مقدمة كتابه هذا : « إن العرب الذين لم ينتبه إليهم مؤرخو اليونان والرومان إلا قليلاً ، قد برهنوا على نباهتهم العلمية منذ عصر محمد (ﷺ) سواءً في ميادين الفتح . أو في ميادين العلوم ، ولذل فإن دراسة تاريخهم أكثر لزاماً علينا من الإلمام بتاريخ أية أمة من الأمم . فلقد كان لدى العرب من عظماء الرجال وجلائل الأعمال مثل ما كان لأية أمة أخرى تظللها السماء » ، كما أنحى في هذه المقدمة باللائمة على مؤرخي أوربا لإهمالهم تاريخ العرب الذي هو جزء مهم من تاريخ الإنسانية ، واتهم أولئك المؤرخين بالتعصب الأعمى الذي دفعهم إلى تشويه تاريخ العرب وحضارتهم (١٣٢) .

ولم يكتف (أوكلي) بهذا الذي قاله ، وإنما بعد أن درس عدداً من اللغات السامية والشرقية ، خرج بنتيجة رائعة حيال اللغة العربية ، ذكرها في كتاب له ، فقال : « إن التعامل مع اللغات السامية أشبه بالخوض في مياه الجداول والينابيع ، ولكن عند دراسة اللغة العربية يخرج الدارس إلى مياه المحيط ، حيث ان الوصول إلى أعماقه وشطئانه يعتبر من الأمور البعيدة عن الإدراك ، ولذلك فإن من حقي أن أسمي اللغة العربية محيطاً ، لأنها استوعبت جميع اللغات الشرقية مثلما يبتلع المحيط مياه الأنهار (١٣٣) .

ولقد غرق (أوكلي) هذا بالديون في سبيل إخراج الجزء الأول من كتابه عن تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى زمانه ، الذي لقي الإهمال من أهل بلده ، فدخل السجن بسبب عجزه عن تسديد تلك الديون ، لكن ذلك لم يفل من عزمه على إخراج الجزء الثاني من الكتاب في سنة ١٧١٨ م ، وقد بقي هذا الكتاب لعدة قرون المرجع الوحيد عن تاريخ العرب لدى الأوربيين عامة والبريطانيين خاصة . وقد أعيدت طباعته عدة مرات (١٣٤) .

لم يكن (أوكلي) وحده هو الذي أبرز أهمية اللغة العربية ، بل هناك آخرون غيره ، نذكر منهم المستشرق البريطاني (توماس هنت) أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد في سنة ١٧٣٨ م الذي كان حريصاً في محاضراته أن يؤكد على أهمية اللغة العربية ويوضح الأسباب التي توجب على الأوربيين ضرورة الاهتمام بها وبالدراسات الإسلامية ، والفوائد المتوخاة منها لأهل أوربا ، حيث ان أوربا النصرانية كانت تشكك في أهمية الثقافة والدين الذي يعتنقه جارها العظيم ومنافسها الأكبر العالم الإسلامي - على حد قول هنت - وإن على من يريد دعم دراسة اللغة العربية ، أن يبذل جهداً كبيراً ليشرح للناس غنى الثقافة الإسلامية والآداب العربية وأهميتها . وهذا ما كان يهتم به المستشرق (هنت) ويشرحه اعتماداً على الدراسات التي قام بها زملاؤه السابقون من إبراز أهمية الدراسات التاريخية والجغرافية والرياضية والطبية التي حوتها مؤلفات العلماء المسلمين ، سواءً أكانت في ترجماتهم عن اليونانية أم تلك التي هي من بنات أفكارهم أصلاً (١٣٥) .

ومن هذا الفريق المنصف المستشرق الهولندي (هادريان ريلاندوس) المتوفي سنة ١٧١٨ م الذي دافع بجرأة عن النبي (ﷺ) وعن رسالته ، فوضع كتاباً عن الإسلام صدر في سنة ١٧٠٥ م ، فصحح بعض الآراء

المنتشرة في أوربا عن الدين الإسلامي ، وأثار الكتاب ردود فعل شديدة من جانب بعض الأوساط الدينية ضد المؤلف ، واتهمته بالدفاع عن الإسلام وترويج مبادئه ، مما أدى إلى حجز الكتاب ومنع تداوله . ومع ذلك أصر (ريلاندوس) على موقفه وقال : « إن البحث عن الحقيقة يجب أن يستمر مهما كانت الصعوبات ، لذلك حاولتُ في كتابي شرح الدين الإسلامي ، لا كما يبدو لنا من خلال ضباب الجهل والخبث البشري ، وإنما كما كان يُدرس (أي الدين الإسلامي) في المعاهد الإسلامية وفي الجوامع ، وإن واقع الحياة يؤكد لنا كل يوم ، بأن البشر يسهل انقيادهم نحو الأفكار الموروثة والمعدة سلفا ، وأنهم يفضلون الكذب والغش على معرفة الحقيقة »(١٣٦) .

الهوامش والتعليقات

(١) طبع في القاهرة عام ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م ، انظر الصفحات ١٨ - ٣٢ .

(٢) والكتاب بعنوان Orientalism ونشرته دار Routledge& Kegan Paul في لندن سنة ١٩٧٨ م ، ومن الكتب ذات العلاقة بالاستشراق كتاب الفكر الإسلامي الحديث ، للدكتور محمد البهي ، وهناك مقال عن المستشرقين الناطقين باللغة الانكليزية منشور في المجلة المسماة The Muslim world عدد شهر تموز ١٩٦٢ م ، وقد ترجمه إلى العربية الدكتور محمد فتحي عثمان .

(٣) نشرته دار الفكر في بيروت - سنة ١٩٧٣ .

(٤) نشرته مكتبة عمار في القاهرة - سنة ١٩٧٠ م .

(٥) نشرته دار القلم بالكويت - سنة ١٩٨١ م .

(٦) وهو من منشورات دار الرفاعي للنشر في الرياض - سنة ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م .

(٧) انظر المجلد التاسع لسنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ١٥٩ .

(٨) انظر العدد الخامس الصادر في ١٤٠٢/٢/١٥ هـ - ١٩٨١/١١/٢٧ م - ص ٤٢ .

(٩) العدد ١٣٦ لشهر جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ/كانون الأول ١٩٨٨ م في الصفحات ٢٢ - ٢٤ .

(١٠ و ١١) مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، المجلد التاسع لسنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(١٢) كتاب « مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية » ، ج ١ ص ١٩٣ .

(١٣ و ١٤ و ١٥) المرجع السابق نفسه ، ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٦٥ و ٣٧٠ .

(١٦) المرجع السابق نفسه ، ج ١ ص ٢٥٤ .

(١٧) المرجع السابق نفسه ، ج ١ ص ٣٣٥ .

(١٨ و ١٩) الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٦٨ م ، ص ٢٥ و ٢٧ - ٢٨ .

(٢٠) كتاب « مناهج المستشرقين » ج ١ ص ٣٥٣ .

(٢١) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٦٤ ، حاشية رقم ١ .

(٢٢) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٧٣ .

(٢٣) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٩٩ .

(٢٤ - ٢٧) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٧٨ و ٨٢ و ٨٨ و ٩٤ .

(٢٨ - ٣٠) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ١٣٩ و ١٥٦ و ١٥٧ .

(٣١) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ١٦٧ .

(٣٢) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ١٩٨ حاشية ٨٣ نقلاً عن Marc Bergé في كتابه المسمى : Les Arabes, Paris 1978, P. 12 .

(٣٣) كتاب « مناهج المستشرقين » ج ٢ ص ٢٥١ ، أما الكتاب الذي ألفه المستشرق Abraham Udovithc فهو بعنوان :
Partnership And Profit in Medieval Islam, Princeton 1970.

(٣٤ و ٣٥) كتاب « مناهج المستشرقين » ج ٢ ص ٢٥١ و ٢٥٧ .

(٣٦ - ٣٩) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ و ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٤٠ - ٤١) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢٨٢ و ٢٩١ .

(٤٢ - ٤٤) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٣

(٤٥) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٨٤ و ٢٩٧ .

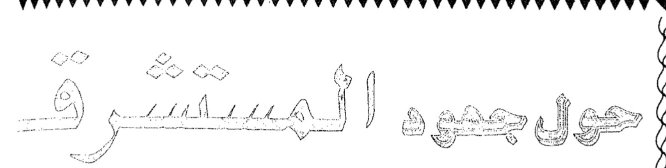
(٤٦) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٢٨٥ و ٣١٣ - ٣١٤ .

(٤٧ - ٤٨) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٢٨٦ و ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٤٩) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٢٨٦ .
(٥٠) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .
(٥١) انظر كتابه « الإسلام والاستشراق » ، القاهرة ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م ، ص ٦ .
(٥٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٧ - ١٠ .
(٥٣) المرجع نفسه ، ص ١٤ - ١٥ .
(٥٤) المرجع نفسه ، ص ١٥ - ١٨ .
(٥٥) نجيب العقيقي « المستشرقون » ، القاهرة ١٩٦٤ م (الطبعة الثالثة) ج ٣ ص ١١٤٧ - ١١٤٨ .
(٥٦) المرجع السابق نفسه ، ج ١ ص ١٦١ .
(٥٧) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٤٦١ .
(٥٨) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٥٧٨ .
(٥٩) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٦٢٥ .
(٦٠) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٦٨٩ .
(٦١) المرجع نفسه ، ج ٣ ص ٩٢٩ - ٩٣٠ .
(٦٢) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٨١٩ و ٨٣٦ و ج ٣ ص ٨٨٨ و ٩٠٣ و ١٠٢٦ .
(٦٣) المرجع نفسه ، ج ٣ ص ٩٩١ .
(٦٤) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٨٣٥ - ٨٣٦ و ص ٨٣٨ - ٨٣٩ وكتالوغ الكتب العربية رقم ١٠٩٥ الصادر عن دار Bernard Quaritch في لندن ، المادة رقم ٣٦ .
(٦٥) العقيقي : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٧٥ و ٥٣٠ و ج ٣ ص ١١٦٢ و ١١٦٣ .
(٦٦) كتالوغ الكتب المشار إليه في الحاشية (٦٤) رقم ١٠٥٨ ، المادة رقم ٣٢ .
(٦٧) المرجع السابق ، المادة رقم ٨ .
(٦٨) المرجع السابق نفسه ، المادة رقم ١٥ .
(٦٩) العقيقي : المرجع السابق ، ج ٣ ص ٨٩٧ .
(٧٠ و ٧١) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٧٠١ .
(٧٢) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٧٣٨ - ٧٤٠ .
(٧٣) المرجع السابق نفسه ، ج ٣ ص ٩٤٥ .
(٧٤) المرجع السابق نفسه ، ج ١ ص ١٣٠ و ج ٣ ص ١١٣١ .
(٧٥) المرجع المذكور في الحاشية ٦٤ ، رقم المادة ٤١ .
(٧٦) العقيقي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٧١ و ج ٣ ص ٨٩٧ و ١١٣١ .
(٧٧) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٦٥٤ و ٦٦٢ .
(٧٨) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٥٥٨ .
(٧٩) المجلد التاسع لسنة ١٩٨٢ م ص ١٩٢ - ١٩٣ .
(٨٠) العقيقي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٧٢ .
(٨١) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٦٦١ .
(٨٢) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٥٣١ - ٥٣٢ .
(٨٣) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٥٤٣ .
(٨٤) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٦٦٨ .
(٨٥) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٦٤٨ .
(٨٦) انظر مقالة في مجلة « الدعوة » العدد (٧٧١) الصادر في ٢ محرم ١٤٠١ هـ ص ٢٢ .
(٨٧ و ٨٨) انظر كتابه « الإسلام والاستشراق » سالف الذكر ، ص ١٧ .
(٨٩) العقيقي ، المرجع السابق ، ج ١ ص ٣٥١ - ٣٥٢ و ج ٣ ص ١١٢٤ .
(٩٠) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٧٢٠ ، والدكتور زقزوق ، مرجع سابق ص ١٧ .
(٩١) العقيقي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .
(٩٢) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٥٥٨ . وللمزيد من المعلومات عن فهارس المخطوطات انظر بحثنا عن المستشرقين البريطانيين المذكور في الحاشيتين (١٠ و ١١) أعلاه ، ص ١٨٠ - ١٨٣ .
(٩٣) العقيقي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٧٧٨ ، والدكتور زقزوق ، مرجع سابق ، ص ١٦ .
(٩٤) العقيقي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٧٠١ و ج ٣ ص ١١٢٨ .

(٩٥) المرجع السابق نفسه ، ج ٣ ص ١١٢٨ - ١١٢٩ .
(٩٦) المرجع نفسه ، ج ١ ص ٣٧٩ و ج ٣ ص ١١٣٠ .
(٩٧) المرجع نفسه ، ج ١ ص ٣٦٠ وكتالوغ الكتب العربية سابق الذكر رقم ١٠٥٨ ، المادة رقم (٦) .
(٩٨) كتالوغ الكتب العربية المذكور في الحاشية (٩٧) ، المادة رقم (٤) .
(٩٩) مناهج المستشرقين ، آنف الذكر ، ج ٢ ص ٧٨ .
(١٠٠) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٧٨ - ٧٩ والعقيقي ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٧١٣ .
(١٠١) مناهج المستشرقين ، آنف الذكر ، ج ٢ ص ٧٨ - ٨٢ والعقيقي ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٧١٣ - ٧١٥ .
(١٠٢) المرجعان السابقان ، ج ٢ ص ٨٢ - ٨٨ و ج ٢ ص ٦٦٣ - ٦٦٦ على التوالي .

(١٠٣) المرجعان السابقان ، ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢٨٢ و ٢٩١ و ج ٢ ص ٦٥٨ - ٦٦٠ على التوالي .
(١٠٤) المرجعان السابقان ج ٢ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، و ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٨٢ على التوالي .
(١٠٥) العقيقي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٥٣٠ - ٥٣٢ .
(١٠٦) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .
(١٠٧) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .
(١٠٨) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٥١٨ - ٥٢٠ ، ومناهج المستشرقين ، ج ١ ص ٣٩٦ .
(١٠٩) كتالوغ الكتب العربية رقم ١٠٥٨ ، مرجع سابق ، المادة رقم (٦) .
(١١٠) المرجع السابق نفسه ، رقم المادة (٨ و ٩ و ١٠ و ١١) .
(١١١) المرجع نفسه ، رقم المادة (١٢) وكتاب كتالوغ الكتب العربية رقم ١٠٩٥ ، رقم المادة (٢) .
(١١٢) المرجع نفسه ، رقم ١٠٩٥ ، رقم المادة (١٦ و ٣٩) .
(١١٣) المرجع نفسه ، المادة رقم (٢٥) .
(١١٤) المرجع نفسه رقم ١٠٥٨ رقم المادة (١٨) وكتاب كتالوغ الكتب العربية رقم ١٠٩٥ المادة رقم (٥٣) .
(١١٥) المرجع نفسه رقم ١٠٥٨ رقم المادة (٢٣ و ٢٤) والعقيقي . مرجع سابق ، ج ٢ ص ٦٥٥ .
(١١٦) المرجع نفسه ، رقم ١٠٥٨ ، رقم المادة (٢٦ و ٢٨) والعقيقي ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٦٥٥ و ٦٥٦ .
(١١٧) كتالوغ الكتب العربية رقم ١٠٥٨ رقم المادة (٣٠) .
(١١٨) العقيقي ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٧٤٠ - ٧٤٢ .
(١١٩) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٧٤٧ - ٧٤٨ .
(١٢٠) انظر فهارس المكتبة المركزية لجامعة كمبرج في بريطانيا .
(١٢١) العقيقي ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤ .
(١٢٢) انظر حاشية ١٢٠ .
(١٢٣) انظر حاشية ١٢٠ .
(١٢٤) العقيقي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٧٢١ - ٧٢٢ .
(١٢٥) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٧٩٦ - ٧٩٧ .
(١٢٦) انظر حاشية ١٢٠ .
(١٢٧) العقيقي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٥٦٣ .
(١٢٨) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٥٩٧ - ٥٩٨ .
(١٢٩) انظر حاشية ١٢٠ .
(١٣٠) انظر حاشية ١٢٠ .
(١٣١) انظر بحثنا في « مجلة كلية الآداب » بجامعة الملك سعود ، العدد التاسع لسنة ١٩٨٢ م ص ١٦٦ .
(١٣٢) المرجع السابق ، الموقع نفسه .
(١٣٣) كتالوغ الكتب العربية رقم ١٠٥٨ رقم المادة (١٩) .
(١٣٤) انظر المرجع في الحاشية (١٣١) أعلاه ، والعقيقي ، المرجع السابق ج ٣ ص ١١٤٩ .
(١٣٥) كتالوغ الكتب العربية رقم ١٠٩٥ رقم المادة (١٩) والعقيقي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٧٢ .
(١٣٦) بحثنا في مجلة « كلية الآداب » بجامعة الملك سعود ، العدد التاسع لسنة ١٩٨٢ م ص ٢٢٢ ، حاشية ٦٠ .



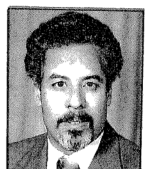
حول جهود المستشرقين

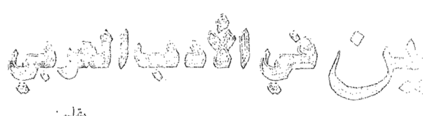
لعل تصدير عنوان هذه الدراسة بـ « حول » يكشف عن مقصودها منذ البداية ، فهي لا تدعي « المسح الشامل » لهذه الجهود أو « التطبيق المستقصى » على ما تضمنته من مواقف وآراء ، فذلك ما لا يتسع له مجال هذه الدراسة ، وإن كنا نأمل العودة إلى هذا الموضوع بمزيد من التفصيل والتدقيق إن شاء الله .

مقدمة

◎ يحار المرء وهو يكتب عن جهود المستشرقين في الأدب العربي ، أيها يعالج ، وأيها يقدم لقارئه العربي ، وهو يدرك بَدْءًا أن هذا القارىء يعيش عصراً يهتم فيه بأصالته ومعاصرته معاً .. فهو لا يحب أن يصُمَّ أذنيه عن معطيات العلم والفكر في العالم المحيط به ، لاسيما ما كان من هذه المعطيات متصلاً بتراثه وإبداعه الأدبي الذي يعد وعاءً تاريخيًّا لحضارته . وفي نفس الوقت ، لا يرضى أن تكون هذه النظرة المنفتحة والمتسامحة مسوغاً لقبول ما لا يتفق وروح الأصالة والتراث .. المهمة أصعب بكثير مما قد يُتصور للوهلة الأولى .. فجهود الاستشراق مستمرة منذ احتكاك الإسلام والغرب .. والأسماء كُثر .. والأعمال لا حصر لها .. و « الموضوعية » و « السموم » مُزجا بعناية في بعض الأعمال .. و « المواقف » و « ردود الأفعال » غير متوازنة في أحيان كثيرة .. وتوجُّهنا نحو دراسة الاستشراق بصورة شاملة ، متأنِّية دقيقة ، موضوعية ، لا يزال رغبةً أكثر منه واقعا .

◎ إن مجموعة الأسماء التي شاركت في هذه الجهود تفوق كثيراً من لمعت أسماؤهم وكثر ترددها في الدراسات العربية من أمثال : أَرْبَرِّي A. J. Arberry وأَرْنُولْد Sir T. Arnold وبْرُوكْلِمَانْ C. Brockelmann ويُرفِنْصَال L. Provencal وبِلاَّ C. Pellat وبَلاَثْيُوس M. Palacios وجَابْرِيلِي F. Gabrieli وجَايَر R. Geyer وجِبّ H.A.R. Gibb وفونْ جْرُونْبَارُوم G. Von Grunebaum وجُولْدْتْسِيهِيْر I. Goldziher وجِيُومْ A. Guillaume وحِتِّي P. Hitti وُروزِنْثَالْ Rosenthal وفِيلْشْتِنيسكِي I.M. Filshtinsky وفِلْهَاوْزِنْ Wellhausen وكَامْفْمَايَر G. Kampffmeyer وكْرِيتْزِك J. Kritzeck وفُوْن كِرِيمَرْ Von Kremer ولْيَال C. Lyall ومَارْجُولْيُوثْ D. Margoliouth ونُولْدِكَه T. Nöldeke ونيكُلْسُونْ R. Nicholson وُهوْرتْ C. Huart . هؤلاء طبَّقت شهرتهم في عالم الاستشراق وصار بعضهم « سلطة قائدة وموجِّهة » لهذه الحركة ؛ كما وصفهم نيكلسون في مقدمة كتابه عن تاريخ الأدب العربي [١] . ومنهم من أصبحت أعمالهم – في نظر تلاميذهم – مسجِّلةً وشارحةً وكاشفةً لتراث الأدب والحضارة عند العرب والمسلمين ؛ حسبما يذكر أربري [٢] .





بقلم :
الدكتور محمد أحمد حمدون

○ وهـم جميعاً ينتمون إلى الجيل التقليدي من المستشرقين ، وهو جيل استمر تأثيره إلى ما بعد منتصف القرن العشرين . وكان نشاطه يتمركز في جامعات ومراكز محدَّدةٍ للاستشراق وصدرت أبحاثهم عن هيئات وفي دوريات يمكن حصرها ومتابعتها ؛ وربما ساعدهم في نفس الوقت - منذ أخريات القرن التاسع عشر وأوائل العشرين - جيل من الآباء اليسوعيين وغيرهم من مسيحيِّ لبنان [٣] . ولكن الطبقة الأحدث من المستشرقين - يساعدها في جهدها ، من جانبه الأكاديمي خاصة ، جيل من العرب المهاجرين في أوروبا وأمريكا - تنشر في كل مجال وتتوزع أعمالها في مصادر شتى ، حتى لا تكاد توجد جامعة مرموقة أو دورية بارزة إلا وفيها قدر من الاهتمام بتراث العرب والمسلمين في الماضي والحاضر . حتى أصبح تسجيل « الاستشراق » في الوقت الحاضر ورصد جهوده وظواهره مما يتطلب الحذر الشديد إضافة إلى الجهد الشاق . وقد اتسع نطاق العمل عند هؤلاء وأولئك فيما يختص بالأدب العربي ليشمل :

○ التأريخ الأدبي .

○ النقد والتنظير .

○ العناية بالتراث الأدبي ، وفيها أسهموا في :

- الحفظ والتصنيف وإصدار الدوريات .
- النشر والتحقيق والتعليق .
- تراجم الأعلام .
- الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية .

مما سنذكر أمثلته فيما بعد ، غير أننا نشير أوَّلاً إلى ملاحظتين هامَّتين قبل الدخول في تفاصيل تلك المجالات .

١ - من نافلة القول الإشارة إلى أن الطبقة الأحدث - أو المعاصرة - من المستشرقين سواء منهم الروس أو الأوربيون الغربيون أو الأمريكيون تبذل جهداً أكبر تجاه « الأدب الحديث والمعاصر » . ترجمةً وتحليلا - بقدر ما كان التقليديون - وحتى الحرب العالمية الثانية تقريباً - يركزون على الأدب القديم والإسلامي بمفهومه الواسع (أعني منذ ظهور الإسلام حتى العصر الحديث) . ولهذا فإن مراكز دراسات الاستشراق القديمة والمرتبطة بمعاهد البحث العلمي في أوروبا وأمريكا - من موسكو ولينينجراد وكازان في الاتحاد السوفيتي شرقاً ، إلى سِيَراكُيُوز ويِيْل وبِيْرِكِلِي في الولايات المتحدة غرباً - كلها كانت تتناول الأدب العربي مصاحَباً بدراسات في اللغة العربية والدراسات الإسلامية الكلاسيكية ، على حين يتجه المعاصرون إلى ربط دراستهم للأدب بدراسات في المجتمع العربي المعاصر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، بل وعسكريا .

إن مغزى هذا الاختلاف في الاهتمام والروابط المصاحِبة لدراسة الأدب العربي – وإن كنا لا نزعم سوى أنه المظهر الغالب في كل من المرحلتين – يتلخص في أن الاستشراق مرتبط دائماً « بالإدارة السياسية » أو « الدينية » الغربية – إن صح لنا تصوُّر مثل هذه الإدارة . وإن معطيات الاستشراق – حتى كاتجاه أكاديمي صرف – لابد أن نتوقع أنها تخدم أهداف تلك الإدارة الغربية التي سعت وتسعى إلى التفوق والسيطرة على العالم العربي والإسلامي ؛ وذلك أمر طبيعي في ظل حركة المد والجزر السياسي التي سادت علاقة الطرفين ، وإنكاره من جانب أحد المستشرقين تضليل ، واستنكاره من جانب أحد العرب أو المسلمين قصور في فهم حقيقة العلاقة ..

٢ – على أن أبرز نقطة في هذا العدوان « الأكاديمي » المتوقع هى ما يتصل بالجانب الديني في الأدب العربي ، قديماً وحديثاً . فإذا كان العربي المسلم – مثلاً – يرى أن الكلام « شعر ، ونثر ، وقرآن » – حسب مقولة ابن خلدون – فإن أكثر من عالج الأدب العربيّ من المستشرقين تجاهل – رغم علمه – هذه المقولة ، وأدرج القرآن في الأدب . فنلاحظ أن نماذج الأدب العربي التي تقدم مترجمةً للقارىء الغربي تشتمل على نماذج من القرآن الكريم دون تمييز له بخاصية « الوحى » ، مما يجعل هذا القارىء غير قادر على التفرقة بينه وبين الإبداع الأدبي البشري العربي . (أرْبري مثلا لا يغفل هذه التفرقة فيذكر في الفصل الثاني من كتابه أوجه الحضارة الإسلامية نماذج من القرآن الكريم ، يقدم لها بأنها من الوحى الذي أوحاه الله إلى نبيه محمد (ﷺ) [٤] ... لكن كريْتزلْ – وإن كان – يوحى بهذه التفرقة أحياناً فقد بدا في عباراته ما يوهم بأن المسلمين أنفسهم يعتبرون القرآن عملاً أدبيًّا عظيماً : «For all of the world's Moslems The Koran is the greateSt work of literature» [٥] نعم إن للقرآن لدى المسلمين أرفع قيمة أدبية ، ولكن التفرقة الأساسية بينه وبين كلام البشر دائما محفوظة ، وهو مالا يعني بعض دارسي الأدب العربي سواء من الجيل التقليدي أو الجيل الأحدث من المستشرقين . هذا كله فضلاً عن محاولات الربط الخاطيء أحيانا بين ظواهر الأدب العربي والإسلام والتي سنعرض لبعضها في هذه الدارسة .

غيـر أن جهدهم في دراسة هذا الأدب وتقديمه للقارىء الغربي – بل والعربي أحياناً – لا يجب أن نغمطهم حقهم فيه .. ففي كثير من الأحيان نرى في أعمالهم الجد والصبر والمعاناة ، ناهيك عن اصطناع المناهج العلمية في البحث والتدقيق .. وفي النواحي التي سنفصلها من هذا الجهد – على قلتها والسرعة في تنظيمها وترتيبها – سنحاول الموضوعية قدر الإمكان .. وإن كانت الموضوعية المطلقة في موضوع كهذا أقرب إلى المستحيل .

التأريخ الأدبي

◎ في دور المستشرقين في تأريخ الأدب العربي يقفز إلى الذهن دائماً كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، الألماني ، الذي بدأ نقله إلى العربية المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ، ثم أكمل هذا النقل – بعد وفاته – الدكتوران السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب ، عن دار المعارف بالقاهرة ، وبدعم من « جامعة الدول العربية » . وقد نشره مؤلفه في جزأين طبعا في فيمار ، أولهما ١٨٩٨ م والثاني ١٩٠٢ م . ثم بعد أن أكمله ذيَّله بعدة أذيال صدر أولها في ليدن عام ١٩٣٧ م وآخرها (في ليدن أيضا) عام ١٩٤٢ م . ثم أعاد

طبعته في جزئين مطابقين لهذه الأذيال Geschichte der arabischen Litteratur, 2 vols 3s'upp. Leiden 1937- 1949 . أما الطبعة العربية فتقع في ستة أجزاء . ولعل أبرز ما يميز بروكلمان في منهجه هو تحديده لمفهوم الأدب العربي ، لاسيما فيما قبل العصر الحديث ؛ حيث توسع في هذا المفهوم ليشمل « كل نتاج الفكر والحضارة » العربية الإسلامية . وهو في هذا يختلف عن كثير من الدارسين المستشرقين – والعرب أيضا – الذين قصروا مفهوم الأدب على الأعمال الإبداعية . ومن هنا يعد كتابه مرجعاً شاملاً لكثير من العلوم والمعارف العربية التي لا تقتصر على الأدب بمفهومه الاصطلاحي .

◎ وإذا كان بروكلمان قد أفاض في شرح هذا التاريخ ومصادره ، فإن كثيراً من المستشرقين قد تناولوه بصور مختلفة ، حيث يوجزه بعضهم في مقالة أو فصل من كتاب . ومن أمثلة ذلك ما كتبه جب بعنوان «Literature» (ص ص ١٨٠ – ٢٠٩) في كتاب The Legacy of Islam « تراث الإسلام » الذي نشره أرنولد وجيوم عن مطبعة جامعة أكسفورد (OUP) عام ١٩٣١ م . وكذلك دراسة إلاّ مَارْمُورا E. Marmura بعنوان : الأدب العربي : تراث خالد : «Arabic Literature: a Living Heritage» في كتاب مقدمة للحضارة الإسلامية (بالإنجليزية) الذي صدر عن مطبعة جامعة كامبريدج (CUP) عام ١٩٧٦ م . وقد أصدر بروكلمان نفسه مختصراً لتاريخ الآداب العربية طبع في ليبزك ١٩٠١ م [٦] . ومثل هذا الاقتصاد في عرض تاريخ الأدب العربي يتوقف ـــ بالطبع – على غرض الكتاب وطبيعته التي قد تهدف إلى دراسة جوانب الحياة العربية والإسلامية وأنشطة الإبداع والفكر فيها ، ومن ثم تعطى للأدب قسما – كالأمثلة السابقة – أو التي تهدف إلى عرض الأدب في هذه الحضارة في ضوء حضارات أخرى يهتم بها بعض المستشرقين ويتناولونها في إطار مشترك ، كتلك النُّبَذ الموسوعية التي ترد عن الأدب العربي في كتاب الأدب الكلاسيكي والبيزنطي والشرقي والأفريقي : Classical Byzantine, Oriental African Literature الصادر برقم ٤ ضمن مجموعة :

. The Penguin Companion to Litrature, 1969

وإن مثل هذا النوع من الكتابات الموجزة سواء عن الأدب العربي في مجمله أو في بعض جوانبه مما تفيض به دوائر المعارف التقليدية البريطانية والأمريكية والروسية وغيرها من دوائر المعارف العالمية العامة والمتخصصة في الاستشراق على حد سواء ، مما نأمل أن يتنبه له بعض المكتبيين عندنا فيقومون بإصدار كشافات خاصة به [٧] .

◎ ومـن الدراسات التاريخية كذلك ما قد يختص بالشعر كدراسات أَرْبري في « الشعر » أو « الشعر العربي الحديث » التي صدرت عن (CUP) ١٩٥٠ م و ١٩٥٧ م ؛ ومنها ما قد يختص بالنثر كدراسات جِبّ التي نشرها باللغة العربية في مجلة الأدب والفن (١٩٤٣ م و ١٩٤٥ م) بعنوان « بدء التأليف النثري » و « نشأة الإنشاء الأدبي » – على التوالي . وقد أعاد نشرها في كتابه المشهور دراسات في الحضارة الإسلامية ، صدر في بوسطن ١٩٦٢ م . Studies on the Civilization of Islam . وقد قام الدكتور صلاح الدين المنجد بنشر هاتين المقالتين في الجزء الأول من المنتقى من آثار المستشرقين (بيروت ١٩٧٦ م) . ومنها ما يتناول نواحي عامة مثل بحوث كَاتْرمِير Quatremére (ت ١٨٥٧) عن النبطيين والعباسيين والفاطميين والذوق الشرقي والأغاني وغيرها .

- ترتكز دراسات الاستشراق التقليدية تاريخ الأدب العربي مصحوبا بدراسات في اللغة العربية والدراسات الإسلامية التاريخية .
- أما دراسات الاستشراق المعاصرة اتجهت إلى ربط دراسة الأدب العربي بدراسات في المجتمع العربي المعاصر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا .

◎ لكـن النصيب الأوفر من تاريخ الأدب العربي عند المستشرقين يرد في « كتب دراسية » تهدف إلى تقديمه بصورة منهجية معتدلة الحجم ، محددة الهدف لطلبة الجامعات المهتمين بالدراسات الشرقية . ومن أقدم كتب هذا النوع : كتاب هُوَرت وعنوانه : تاريخ الأدب العربي : A History of Arabic Literature (لندن ١٩٠٣ م) وكذلك كتاب نيكُلْسُون وعنوانه : تاريخ العرب الأدبي : A Literary History of the Arabs وقد طبع لأول مرة عام ١٩٠٧ م ثم طبع طبعة جديدة منقحة (CUP) عام ١٩٢٩ م . وظل مؤلفه يعتبره « مخططا » للأفكار في بيئتها التاريخية أكثر منه سجلاً للمؤلفين والكتب . كما أصدر المستشرق حابريلي تاريخ الأدب العربي Storia dell letteratura araba في ميلان عام ١٩٥٢ م . وفي نفس الفترة – تقريباً – طُبعت محاضرات كَارْل نِلينّو C. Nallino التي ألقاها في جامعة القاهرة ، قبل وفاته (١٩٥٥ م) بعنوان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ثم نقلتها ابنته إلى الإيطالية ، بينما نقلها شارل بلا إلى الفرنسية .

وقـد اعتبر كثير من دارسي الأدب العربي في الجامعات الغربية كتاب الأدب العربي : Arabic Literature للمستشرق الروسي فيلشنسكي دراسة « مسحية » مفيدة لهذا الأدب ، وقد صدر بالإنجليزية عام (١٩٦٦ م) .

◎ وإيمـاء إلى ملاحظة سابقة في بدء هذه الدراسة نقول إن الاهتمام يتزايد عند المعاصرين من المستشرقين بالأدب الحديث وقضايا العالم العربي . فإلى جانب دراسات جب – مثلا – عن الأدب العربي الموروث نجد له عناية خاصة بالأدب الحديث في مصر والشام ، وقد نشر أكثرها في مجلة معهد اللغات الشرقية بلندن . وقد سبقه كارليل (ت ١٨٥٠ م) إلى بحوث في الأدب السوري نشرت بدائرة المعارف البريطانية . كما نشر خِمِيري T. Khemiri وكَامْفْمَايَر دراسة عن الأدب العربي المعاصر : Leader in Contemporary Arabic Literature صدرت في برلين ١٩٣٠ م .

◎ ربمـا كان للمستشرقين السوفييت خاصة اهتمام ملحوظ في هذا المجال . فإلى جانب دراساتهم في الأدب العربي التقليدي ، ككتاب فيلشنسكى السالف الذكر ، تكثر الدراسات حول الأدب العربي الحديث . وكان من أبرز الدراسات التي ظهرت في الستينات في روسيا مقالات دُولينينَا A. Dolinina في الأدب العربي في العصر الحديث : كتابات من الصحف في مصر وسوريا « ١٨٧٠ – ١٩١٤ م » (موسكو ١٩٦٨ م) وهي تتابع التطورات الاجتماعية والفكرية والصحافة ، وتعرض أعمالاً لمحمد عبده وأديب إسحق ويعقوب صنّوع وعبد الله النديم وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم . كما تركز على تطورات الأسلوب الأدبي وتأثيرات الأدبين الإنجليزي والفرنسي فيه ، ولا تعدم – بالطبع – أن تشير إلى المذاهب السائدة في هذا الأدب ، وتطوراتها من الكلاسيكية إلى الرومانتيكية إلى الواقعية .

وقد بدا حرص المستشرقين السوفييت على الاهتمام بالأدب في معظم البلاد العربية إلى درجة أن تكون الدراسة الوحيدة في الأدب التونسي الحديث عند المستشرقين هي التي كتبها المستشرق التشيكي S. Pantuchek ، وقد صدرت عن المعهد الشرقي في موسكو عام ١٩٦٩ م . إضافة إلى منظورهم المقارن الذي لا يخلو من اهتمام مكشوف بجسِّ نبض حركتهم الأيديولوجية ، كدراسات كراتشكوفسكي I.Y. Krachkowskiy التي صدر جزء منها في دائرة المعارف الإسلامية وهو صاحب دراسة قديمة نشرت عن الرواية التاريخية في الأدب المعاصر ، ١٩١١ م . ومنها كذلك الدراسة التي صدرت في موسكو عام ١٩٦٨ م عن « ماكسيم جوركي وأدب الشرقيين غير السوفيت » وكذلك دراسة « تولستوى والأدب العربي » .

○ والحقيقة أن المستشرقين لا يكادون يتركون وجهاً من وجوه تاريخ الأدب العربي دون أن يتعرضوا له بالبحث والدراسة ، فعلى حين لا يعرض كثير منا للأدب في الجزائر - قبل التعريب - أثناء دراساتنا للأدب العربي الحديث - مثلا - لا نعدم أن نجد دراسة - أو دراسات - لبعض المستشرقين في هذا المجال . فللدكتور إيريك سلين E. Sellin - وهو أحد الأساتذة المتخصصين في الأدب في شمال أفريقيا- كتابات عديدة عن هذا الأدب مثل « الأدب العربي بالفرنسية : محمد ديب وكاتب ياسين » الذي صدر في : Jaurnal of the New African Literature and the Arts, ومثل « القصة الجزائرية المعاصرة » التي نشرت في The International Fiction Review (V.1 1, Jan. 74); وغيرها .

وهكذا تتسم النظرة التاريخية للأدب العربي لدى المستشرقين بقدر كبير من التنوع والشمولية يمكن أن نعزوه إلى أسباب عديدة في مقدمتها :

○ التاريخ الطويل لهذا الأدب ذاته ، فهو أدب حيٌّ ذو تقاليد فنية وموضوعية عريقة لمدة تزيد على خمسة عشر قرنا ، وهو مالا يتمتع به أدب حي آخر . ولذلك يعترف أربري - مثلا - بأن جهوده في مجموعها ليست أكثر من « أجزاء متناثرة Fragmants من أدب غزير يتخطى حدود الزمن ، ويتعدى آلاف المجلدات ، وأكثره لا يزال مخطوطا » . وكل من يحاول الوقوف على أبعاد هذا التاريخ الطويل يدرك ثراءه وصعوبة استيعابه ، كما نجد عند بروكلمان .

○ وقد نعد التزامهم الأكاديمي نحو القارىء الغربي أحد هذه الأسباب ، إذ أرادوا أن يقدموا له مختاراتٍ تعرض صورةً كاملة شاملة في مجموعها ، وتلك مسألة صعبة للغاية . ولذا يصرح نيكلسون في مقدمة كتابه - مقتبساً العبارة العربية التي تتردد عند أصحاب المختارات : « اختيار الكلام أصعب من تأليفه » - يصرح بأن هذا الأدب طالما ورد في سياق تاريخي إذن يصعب استيعابه مفصولاً عنه . ولقد دفعه النظر في هذا « السياق » إلى توسيع دائرة العلوم والمعارف الإسلامية العربية المتصلة بالأدب العربي . فالناظر في كتابه هذا يجد أنه لا يعدم هذا التوسع سواء فيما يعرض له من أشخاص أو موضوعات ، وإن كان في النهاية لا يزيد عن كونه « مقدمة عامة في موضوعه » كما يعترف هو نفسه . ولقد حاول نِيكُلْسُون « ألا يكون سطحيا بالنسبة للدارس ، أو معقدا بالنسبة للقارىء العادي » في اللغة الإنجليزية طبعاً [٨] .

○ كما يمكن أن نعد أن وقوعهم خارج الدائرة العربية نفسها قد ساعدهم على رؤية أكثر شمولية ، من الناحية الجغرافية بالذات حيث تبدو البلاد العربية كلها أمام الواحد منهم « مجرد مناطق جغرافية » أكثر منها « مواطن انتماء » - وهو ما يحدث لكثير منا ، لاسيما حين نكتب عن الأدب الحديث . فعلى حين يستمد مؤلفونا في الأدب الحديث أكثر أمثلتهم ونماذجهم مما ألفوه في « مواطن الانتماء » هذه أو مما تفرضه طبيعة تعمقهم في تخصصاتهم مقتنعين بتعبيرها عن الوجدان العربي عامة ، نجد أن بعض المستشرقين يدركون أن كتابا في الأدب العربي الحديث - مثلا - لن يكون مقبولا - أو على الأقل لن يكون منطقيا مع عنوانه - ما لم تكن نماذجه وموضوعاته ممثلة « لعينات » من تلك المناطق الجغرافية العربية على اتساعها . فكتاب الأدب العربي الحديث لجون هيوود J. Haywood :Modern Arabic Literature, 1800- 1970 (N.Y., 1972). مثلا ، يعد نموذجاً لهذا الجانب من اهتمامات المستشرقين الذي يعطي أهمية تمثيل الأقاليم .

◎ قد يكون الاعتراف بالتاريخ الأدبي العربي الطويل ، والالتزام الأكاديمي ، والوقوع خارج دائرة الانتماء العربي التي تجعل الدارس منهم أحياناً لا يكتفي بما حوله من نماذج في إحدى البيئات للتعبير عن الأمة في مجموعها ، قد يكون كل هذا من مظاهر الموضوعية عندهم في التناول الشامل والمتنوع للأدب العربي . ولكن السبب الرئيسي لهذا الشمول والتنوع هو - فيما نظن - تنوع الاهتمامات والأغراض التي دفعت بحركة الاستشراق في مجموعها من دينيّة وسياسية واقتصادية وغيرها ، فراحوا يضربون في كل جوانب التاريخ الأدبي طولاً وعرضاً سعيا لتحقيق هذه الأغراض .

◎ يبدو ذلك الفَرْض أكثر وضوحا حين ننظر في الموضوعات التي حظيت باهتمام أكبر لديهم من موضوعات تاريخ الأدب العربي القديم والحديث على السواء ، والتي كان من أبرزها موضوع :

الشعر الجاهلي وقضية انتحاله :

فمما لا شك فيه أن نقاد العرب منذ القرنين الثاني والثالث للهجرة - وعلى رأسهم محمد بن سلام الجمحي - قد عالجوا موضوع الانتحال في الشعر الجاهلي .. كما أن من النقاد المحدثين من أدلوا بدلوهم في هذه القضية الأدبية الحيوية . ولكن يهمنا هنا ما كان للمستشرقين فيها من آراء تعزز ما ذهبنا إليه من أن موضوعات تاريخ الأدب تستمد حيوتها عندهم من ما تتمتع به من حساسية دينية أو اجتماعية أو تاريخية . فالبحث في أصول الشعر القديم - عربيا أو غيره - لا شك يقود إلى تساؤلات لا يمكن إجابتها بسهولة ؛ ينطبق ذلك على الشعر الهومري أو الهندي القديم أو غيرهما . وحين تناول المستشرقون تلك القضية كانت لهم جهود وآراء متنوعة ، ولكن أكثرها شهرة واستقراراً .. وتأثيراً عندهم .. هو دراسة مارجوليوث بعنوان : أصول الشعر العربي «The Origins of Arabic Poetry» التي نشرت في عدد يوليو ١٩٢٥ م من مجلة الجمعية الملكية الأسيوية (JRAS) .

◎ وقد كانت هناك محاولات قبل مارجوليوث حاولت البحث عن « أوائل الشعر الجاهلي » ولكن المستشرقين الذين تبنوا هذه الفكرة اقتنعوا بأنه من الصعب اكتشاف تلك البدايات لأنها - كما يقول أربري - « اندثرت مع ما اندثر من آثار العرب في الجاهلية » : «Lost in the mists of antiquity» [٩] . ومن أقدم تلك الدراسات ما نشره دي ساسي - المستشرق الفرنسي - المتوفي عام ١٨٣٨ م . عن « تاريخ العرب أيام الجاهلية » ، وبعض

- بعض من عالج الأدب العربي من المستشرقين أدرج فيه نماذج من القرآن الكريم مما يوهم القارئ الغربي أنه ضمن الإبداع الأدبي للبشر .
- في تصوره لمفهوم الأدب العربي يذهب [بروكلمان] إلى أنه يشمل كل نتاج الفكر والحضارة .

محاولات أخرى يقول نيكلسون إنّ أصحابها من المستشرقين مدُّوا فترة الجاهلية لتشمل الفترة من آدم إلى محمد [10] (ﷺ) . ولكنها جميعاً لم تثمر شيئاً يذكر .

◉ أما الذين تعرضوا لهذا الموضوع من معاصري مارجوليوث ، فهم وإن كانوا قد بنوا على آرائه أحياناً إلا أن أكثرهم اتجه ناحية دراسة هذا الشعر دون كبير اهتمام بموضوع الانتحال – كما فعل نُولدكه (ت ١٩٣١ م) في « دراسة عن المعلقات » و « مختارات شعرية من العصرين الجاهلي والإسلامي » – أو عارضوه – كما فعل لُيَال الذي نشر في لندن عام ١٩٣٠ م داسته في « الشعر العربي القديم » «Ancient Arabic Poetyr» التي عدها أربري « أفضل مقدمة لهذا الموضوع » [11] . كما أنه راح يدافع ضد مارجوليوث عن صحة هذا الشعر وهو يقدم للمفضليات فاتحاً الباب أمام كثير من المستشرقين لينظروا في الشعر والشعراء ودواوينهم ويخرجونها مترجمة تارة ومشروحة أخرى (على نحو ما سنرى في نقطة قادمة من هذه الدراسة) .

◉ نعود إلى مقالة مارجوليوث فنجدها قد استمدت أهميتها عندهم من الشك القوي الذي طرحه فيها ، وراح يدلل عليه ، ويسحب بناء عليه بعض الأحكام المتصلة بالقرآن الكريم ، وقضية إعجازه ، ومفهوم النبوة ، والكهانة وغير ذلك من آراء تصدي لتحليلها وتفنيد فاسدها الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية (دار المعارف ١٩٨٢ م) [12] . والحقيقة أن مارجوليوث قد أثار هذه المشكلة في أكثر من محاولة ، كان منها ما نشره في كتابه : محمد وظهور الإسلام (١٩٠٥ م) – بالإنجليزية – وما نشره في نفس المجلة (JARS) عام ١٩١٦ م ، ثم ما تضمنه مقاله عن مادّة « محمد » في دائرة معارف الدين والأخلاق وكلها تُفصح عن مواقف تقليدية لا تُعطي للقرآن الكريم ونبوة الرسول ﷺ ما يستحقان من تقدير ، إن لم تطعن فيهما صراحة أو ضمناً كقوله مثلا : « نرى أن الشعر الجاهليّ في معظمه مصنوع وضع على مثال القرآن » [13] ؛ أو استنتاجه بأن بعض « الشعراء » قبل الإسلام « كُهَّان » « كانت لغتهم غامضة مبهمة كما هو الشأن دائماً في الوحي » [14] ، وأن المؤلفين الذين نقلوا تراث الجاهلية وقوَّموه ونقدوه – من أمثال الجمحي وابن قتيبة وغيرهما – « كانت تجاربهم وخبرتهم تقودهم إلى تصديق أمور كثيرة ضلَّلتهم بالضرورة » [15] .

◉ وإذا كان هناك من لم يسيروا على نهج ماوجوليوث مثل أربري الذي نظر إلى « دور الشعر الجاهلي في بعث الشعور القومي عند العرب الذين لم يكونوا يعرفون غير عصبية الدم » [16] – فإن آثار تشكيكه ظلت مؤثرة على جيل من المستشرقين ؛ فأربري نفسه – وإن رأى أن ما وعته الذاكرة ليس بالقليل ويؤكد نضجاً فنيا – يعلق على القصائد التي انحدرت من العصر الجاهلي بقوله : « هذه القصائد .. وعتها الذاكرة ، أو لُفِّقَتْ

لتشرح ما تضمنته من معان – تظل مصدرنا الأساسي ، وأفضل مصدر محتمل للمعلومات عن الحياة العربية ... إلخ » . كما امتدت تلك الشكوك إلى كثير من العرب أنفسهم ، فقد كانت دراسة د. طه حسين للشعر الجاهلي تتبع خطوات مارجوليوث في كثير من طُروحاتها .

○ إن ما طرحه الاستشراق من أهمية على موضوع « الانتحال » في الشعر الجاهلي لا يرجع إلى أنه أول موضوع حيوي « في تاريخ الأدب العربي أو إلى أن النقاد العرب في عصور التأليف الأولى « قد أهملوه » أو « ضلّلوا فيه » ، وإنما مرده – فيما نعتقد – إلى إمكان تضمينه بعض الإيحاءات الفكرية أو الدينية التي تخدم أهداف الإدارة الغربية كما ذكرنا . وحسبنا أن نقول إن أهَمية « الشعر الجاهلي » ترجع إلى مكانته في قواعد لغة القرآن وثبوتها . والتشكيك فيها يهز الكيان الإسلامي كله لأنه نظام متماسك يشد بعضه أزر بعض . بل إن هذا الهزّ للكيان الإسلامي يبدو غاية واضحة وثابتة في موضوعات تاريخ الأدب العربي الأخرى مثل « الاهتمام بشعر الخوارج » في دراسات جابريللي ، و « المتصوفة » عند أربري ، والتحامل على « صورة المرأة » في الأدب العربي الأفريقي ، في دراسة صادرة عن مركز الدراسات الأفريقية في بوسطن (١٩٧١ م) «Aspeets of West African Islam» واعتبار شعر نزار قباني « وثيقة اجتماعية » لمكانة المرأة العربية «Poetry as a Social Document: The Social Position of the Arab Woman as Reflected in the poetry of Nizar Qabbani» التي نشرت في مجلة العالم الإسلامي (MW) Muslim World (1 Vol. Lxui ، يناير ١٩٧٣ م) ، و « العامية في الأدب العربي الحديث » مثل دراسة ب. كاخيا P.Cachia في مجلة جمعية الاستشراق الأمريكية (JAOS) (1 Vol. 87 ، ١٩٦٧ م) .

○ تلك الموضوعات المتكررة دلالاتها المضطربة في تاريخ الأدب العربي هي التي تحظي في مجموعها بالقدر الأكبر من اهتمام المستشرقين ، وإن كانت الموضوعات التي تعرضوا لها لا تدخل في نطاق الحصر ، فكتبوا وترجموا لأكثر شعراء الجاهلية والإسلام والعصر الأموي والعباسي وشعراء الدويلات – وسنورد بعضاً من هذا عما قريب . كما كتبوا عن المحدثين من أمثال جورجي زيدان وطه حسين ونجيب محفوظ [١٧] وغيرهم . وامتد تفكيرهم في موضوعات تاريخ الأدب العربي إلى جوانب عديدة تتصل بالأدب الشعبي ، ومختارات الحماسة ، مثل دراسة « الحماسة أو أقدم الأناشيد العربية » . ,Hamasa, Oder die alteste arabischen Volkslieder التي صدرت في شتوتجارت عام ١٨٤٦ م لريكَارْت F. Rückert . بل وربما ربط بعضهم بين الأدب ومظاهر الحياة الثقافية والفنية المعاصرة كما نجد في دراسة لِنْدَاوْ J.Landau عن السينما والمسرح في العالم العربي Studies in Arabic Theater and Cinema التي صدرت في فيلادلفيا ١٩٥٨ م .

○ لقد أدرك المستشرقون وهم يحددون أطر وموضوعات تاريخ الأدب العربي الصلة الوثيقة بين هذا التاريخ الأدبي والإسلام ؛ بل وربما بصورة أكثر « إلحاحاً » و « تداخلا » مما يبدو عندنا نحن المسلمين . وقد أضفى هذا على دراسات تاريخ الأدب لديهم قدراً من الشمول والتداخل لعلوم وموضوعات ربما درسناها نحن في مجالات دراسية أخرى . فالأدب والفن الإسلامي يتواءمان في دراسات كْرِسْوِل K. Creswell وهارتزفيلد E. Hertzfeld وأرنولد T.W. Amold وجرونباوم [١٨] وفييت G. Wiet [١٩] والأدب وتراث الإسلام وحضارته صور متشابكة الأطراف عند سيرتوماس أرنولد وألفْرِيد جِيُوم [٢٠] ، وأربري ، وجِبّ [٢١] وغيرهم ، بل إن أكثر هؤلاء الذين برزوا في مجال دراسة الأدب العربي من المستشرقين قد أسهموا بدرجات متفاوتة في الدراسات الإسلامية من القرآن وعلومه والحديث الشريف والفقه والتوحيد علاوة على التاريخ الإسلامي في مجراه العام . وقائمة أعمال

بروكلمان [٢٢] أو جب [٢٣] – مثلا – توضح هذا التنوع والشمول والتداخل بين « تاريخ الأدب العربي » – كما يراه المستشرقون – وبقية أوجه الحضارة والفكر في الإسلام .

وإذا كنا نريد أن ننتفع بشيء من مناهجهم – لا أفكارهم – في تأريخ الأدب العربي ، فليكن هذا « التداخل » الذي كدنا ننساه في مناهجنا بسبب « تخصصية » مبالغ فيها .

إذا كان من المستشرقين مَن اتسم « بسعة العلم ، والتمكن من العربية ، والإخلاص للبحث ، والتحرر والإنصاف » فإن منهم من « لم يملك ناصية اللغة فأخطأ في نشر الكتب وفهم النصوص » .. وكان منهم كذلك من « أثَّرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصب للدين » ، كما يذهب الدكتور صلاح الدين المنجد [٢٤] . ومن هؤلاء وأولئك لا نتوقع نقداً أو تنظيراً للأدب العربي يمكن أن يكون مقنعا إلا فيما ندر ، لأنه لا يكاد يخلو ما وصل إلينا من دراساتهم النقدية من « خطأ » ، أو « تعصب » أو « تجاهل » لحقيقة أنه لا يصلح منظاراً للأدب العربي ما ألفوه في الآداب الأوروبية في مجموعها مهما كانت عالمية الأدب . ومع ذلك نود أن لا نجعل من ذلك تعميماً لازماً ينسحب على كل أعمالهم . ومن هنا نشير – في غير إفاضة – إلى أمثلة عابرة ، نقف بعدها عند واحد من أبرز أعلامهم في هذا الميدان .

○ فهناك إحساس لدى بعضهم بعمق الصلة بين « الإبداع » الأدبي وعالم الإسلام ثقافةً وحضارةً وشعوباً ، ولذا يصرح أربري بأن قراءاته لثلاثين عاما ، تلك التي يعكسها في كتابه أوجه الحضارة الإسلامية ، إنما يعني بها إلقاء الضوء على الحركات الدينية والثقافية والاجتماعية في « داخل الإسلام » [٢٥] ؛ ومن هنا استوجب كتابه عنوانا فرعياً هو : « العالم الإسلامي مصوراً في أدبه » . ونعود فنؤكد أن هذا التداخل بين الأدب وبقية أوجه النشاط الحضاري الإسلامي من أهم « معطيات » الدراسات الاستشراقية للأدب العربي بغض النظر عما لا نوافقهم عليه من استنتاجات .

○ ويدخل في هذا بصفة خاصة الربط بين الأدب والفنون ، واستنتاج « مظاهر الصرامة والضبط والتجريد » ، مما يؤدي إلى « الزخرفة » أساساً « وحيداً » و « قاطعاً » – في نظرهم – في الإبداع الأدبي العربي [٢٦] .

○ كما يدخل فيه تلك العبارات التي قد تبدو – مع صدقها – موحية للقارىء الغربي بتلميحات تقلل من شأن الإبداع العربي ، ومن أقدم تلك النماذج ما يذكره فيليب حِتِّي في تاريخ العرب إذ يقول : « لم يبدع العرب أو يطوِّروا فنا خاصًّا بهم .. فطبيعتهم الفنيَّة وجدت قدرتها على التعبير من خلال وسيلة واحدة ، لغوية : الشعر » . فهل يعني ذلك أن الشعر ليس فنا ؟ أم يعني أن العرب لم يكن لهم فيه « نمط » خاص بهم يميزهم عن بقية الشعوب التي اتخذته فنا قوليًّا ؟ الحق أنه لا يماري أحد في أن الشعر فن ، كما لا يماري ناقد حصيف في أن النَّمط العَرَبِيّ للقصيدة منذ خمسة عشر قرنا نمط مميز « في أوزانه وقوافيه » لا يشابهه نمط آخر ، لاسيما من حيث التزامه الوزن والقافية على طول القصيدة ، ومن حيث التزامه لانساق هندسية سيمترية .

○ كتاب [تاريخ الأدب العربي] لكارل بروكلمان يعد مرجعا شاملا لكثير من العلوم والمعارف العربية .
○ المستشرقون لا يكادون يذكرون وجها من وجوه تاريخ الأدب العربي دون أن يتعرضوا له بالبحث والدراسة .

● ومثل ذلك ينطبق على مقال أزيا لوُيَا ، وهو يدرس تأثيرات إليوت على السّياب ، فيرى أن إليوت قادر على استيعاب المتناقضات بدرجة تسمح بإبراز المتناقضين متجاورين ، وذلك بما أوتي من روح الثقافة الغربية ، على حين نجد – يجد – الشاعر العراقي – السياب – « لا هو بالمنطقي الموضوعيّ الغربي .. ولا هو بالفيلسوف المتأمل .. وإنما هو شرق أوسطي ، يأخذ وجهة واحدة(« One- Sided »[٢٧] .

● ● واللمحات النقدية المتناثرة – من هذا النوع – أكثر من أن نُعدِّدها . ولذا نؤثر وقفة أكثر عمقا واستقصاءً مع واحد لا نشك في أنه من أبعد – إن لم يكن بالفعل أبعد – المستشرقين جهداً ونظرا في مجال نقد وتنظير الأدب العربي ؛ أعني جوستاف فون جرونباوم .

تركـز نشاط جرونباوم الذي يعنينا في بيركلي بكاليفورنيا حتى وفاته – منذ ربع قرن تقريباً – حول علاقة الإسلام بالأدب العربي ، منتفعاً بجهود المستشرقين الذين مزجوا عناصر التراث العربي والإسلامي في دراساتهم – كما ذكرنا . ومفيداً – في نفس الوقت – من مناهج الدراسات المتداخلة في الغرب Inte r disciplinary والتي تُجِدُّ في إيجاد علاقات ذات مغزى بين الأدب والدراسات الإنسانية الأخرى . ومن أشهر أعماله :

(أ) « النقد الأدبي في القرن العاشر الميلادي » ، التي صدرت عام ١٩٤١ م في Journal of the American Oriental Society (LXL) وقد ترجمها د/ أحمد طاهر حسين ونشرها في مجلة الثقافة القاهرية ١٩٧٩ م . ثم أعاد نشرها في كتابه : التراث والمعاصرة : نماذج ودراسات نقدية (القاهرة – ١٩٨٧ م) .

(ب) معادلة الطبيعية في الشعر العربي : (.«The Rasponse to Nature in Arabic Poetry» التي نشرت عام ١٩٤٥ م في مجلة دراسات الشرق الأدنى (JNES) مج ٤ ، ج ٣ .

(جـ) طبيعة الجهد الأدبي العربي : «The Nature of the Arabic Literary Effort» وصدرت عام ١٩٤٨ م في المجلد السابع ، ج ٢ (JNES) في أبريل ١٩٤٨ م .

(د) الأساس الجمالي للأدب العربي : «The Aesthetic Foundation of Arabic Literature» وقد نشرت في مجلة الأدب المقارن عام ١٩٥٢ م (مج ٤ ج ٢) . وربما لا تختلف هذه الدراسة كثيراً عن سابقتها ، حيث تشتركان في كثير من الأفكار والنقاط .

(هـ) روح الإسلام كما تبدو في أدبه : «The Spirit of Islam as shown in its Li teratuse» . المنشور في Studia Islamica (١ ٠ ٧) ١٩٥٣ م .

إضافة إلى عديد من الدراسات والكتب التي كتبها مثل الإسلام في العصر الوسيط ، والإسلام الحديث ، أو أشرف على طبعها وشارك فيها مثل الوحدة والاختلاف في الحضارة الإسلامية .. وغيرها .. وكلها تمس الأدب العربي من قريب أو بعيد .. ولكن الدراسات التي عدّدناها هي التي سنشير إلى بعض أفكارها فيما يلي من هذه الدراسة .

○ إن الاعتقاد في مسألة إعجاز القرآن وماأدت إليه من دراسات عربية لا حصر لها قد أوضحت أنّ « مناقشة المزايا الأسلوبية للقرآن سرعان ما تبلورت فأصبحت مصدر إثراء للرؤية النقدية » مما يؤكد جرونباوم أهميته في تطور نظرية النقد الأدبي العربي (أ - ص ١٥٧) [٢٨] . فإلى جانب تطور الدراسات اللغوية والتاريخ الأدبي وتصنيف الشعراء ، أدت بحوث الإعجاز إلى مزيد من تفحص الأعمال والنصوص ، حتى إن الباقلاني - مثلا - يقدم في ثنايا كتابه إعجاز القرآن « ثلاث مقالات تخص البلاغة والنقد الأدبي » . ولأول مرة يمثل التقييم والفحص الجمالي تجربة رائدة في النقد الأدبي لعمل كان له مجال جدير بالاعتبار » (أ - ١٥٨) - يعني مجال « إعجاز القرآن » .

وعلى الرغم من تأكيد جرونباوم أهمية موضوع الإعجاز في تطور مسار النقد الأدبي هنا نراه في تحديده « للتصور الأساسي » للحضارة الإسلامية بالنسبة لطبيعة الأدب العربي - وهو تصور حكم مسار الأدب خلال العصور الوسطى ، حسب تقديره - يقوم على نقطتين أساسيتين هما : ١ - دور الخيال و ٢ - العلاقة بين اللفظ والمعنى (د - ٣٢٣) . وفي هذا « استبعاد » لدور الإعجاز في الأدب مع « إقراره » في النقد ، وهما يمتحان من معين واحد . أكثر من ذلك ، أن يكون غرض الأدب « الإبداع » أو « التعبير النفسي » فذلك أمر مستبعد في الأدب العربي بتأثير الإسلام ، - هكذا يزعم - لأن « الوحى للأنبياء فقط » و « لعدم تصور الطبيعة سلطة فاعلة » «agent» (د - ٣٢٤) وفي هذا الموقف تجاهل واضح لطبيعة الإسلام التي نعتقد أنها معلومة بالنسبة لجرونباوم ، كما هي واضحة لغيره من المستشرقين ؛ فالإسلام - كما يعترف أربري - أنقى عقيدة توحيد Purlst monotheism) [٢٩] ، وليس من المعقول - إذاً - أن يعترف للشاعر - كما للنبي - بمصدر إلهام غيبي ، أو أن يعترف للطبيعة أن تكون فاعلة (أى خالقة) . ويستمر تحامل جرونباوم فيما يلي :

١ - إن الإسلام في نظره يمثل الازدهار العقلي ، وعصور العقل لم تكن أبدا - في رأيه - زمنا للإبداع الفني - « كما حدث للشعر الأوروبي بعد ديكارت » - ومن ثم فالازدهار الأدبي العربي الجدير بالاعتبار عنده هو ما صاحب الازدهار الروحي مع التصوف ، والذي « قاد إلى شعر مليء بالعواطف والرموز » ، (د - ٣٢٤) . وتلك نزعة مسيطرة على اتجاهات المستشرقين التي لا ترى روحانية إسلامية في صلاة أو صوم أو عبادة قدر ما تراها في « التصوف » (أي تصوف !) .

٢ - حين يتحدث عن دور الخيال يقول إن العرب أعطوه مكانة منحطة أقرب إلى الخصائص الحيوانية ، متأثرين في ذلك بالتحليل الأرسطي ؛ ثم يقول : « إن الاعتبارات العقائدية (Theological considerations) أكدت هذا التقدير الضئيل (Low) للملكات الإبداعية عند الإنسان » علاوة على أن الشاعر غير موثوق به وعطاؤه غير مسؤول (د - ٣٢٣ - ٣٢٤) ، والحقيقة أن الاعتبارات العقائدية التي يتحدث عنها إنما ترفض « الادعاء » لا « الابداع » : ﴿ أَأَنتُم تَخْلُقُونَهُ أَم نَحنُ الخالِقُون ﴾ ؟

٣ – والخيال العربي لن يستطيع أن يخترع طالما أن « الاختراع خطيئة » ؛ وهنا يسند جرونباوم هذه العبارة إلى ابن القيّم الجوزية (د – ٣٢٥) ، مع أن المراد عند الأخير هو عبارة « كل بدعة ضلالة » التي تنصبّ على النبي على استحداث شيء في الدين ليس منه ، لا على اعتبار « الإبداع » أو « الاختراع » خطيئة (Invention = Sinafiguren) وهو ما يلوي به جرونباوم العبارة عن أصلها ، اعتماداً على أن النقاد العرب لم يتناولوا قضية الإبداع في إطار نظرية كاملة يفرقون فيها بين الخلق الفني (artistic creativity) والخلق من العدم (creatio ex nihilo) ربما لأن الوجدان العربي المسلم يرفض إسناد فعل « الخلق » لغير الله أساساً .

٤ – حين يحدد معادلة الطبيعة في الشعر أو الاستجابة لها أو الاحساس بها (Naturgefühl) يبين أنها بالنسبة للعربي – عكس الغربي – « ليست مصدر إلهامه » ، فتقوم خصائصها في شعره على أنها :

١ – موضحة لخصائص شخصية .
٢ – خلفيات نمطية .
٣ – اهتمام موضوعي .

ومهمـا يكن موضوع الطبيعة الذي يتناوله الشاعر العربي فإنه يعيد تصويره كما هو ، « أو بالأحرى كما علمته التقاليد أن يراه ، أعني مبتعدا في حذر من أي تعليق ذاتي عليه ، أو مزجه بمشاعره لأية درجة .. وجمال تصويره يُستمد أساساً من صدق ملاحظاته وإضافة حسن الصياغة ، لا من انفعاله بما يشاهد » (ب – ١٤٠) .

وليست المشكلة هى أن جرونباوم يستجلي خصائص شعر الطبيعة عند العرب من خلال دراسته فقد أجاد في هذه ، وتتبع مراحلها ، وضرب لها نماذج عديدة ، ولكن المشكلة في ربطه هذه الخصائص بملامح دينية افتعلها لتصبح ذات تأثير سالب بطريقة أو بأخرى . فإذا كان القرآن الكريم قد امتلأ « بمشاهد طبيعية » (هكذا) تثير الأحاسيس والمشاعر ما كان من الواجب أن يعدّل من استجابة الشاعر العربي للطبيعة (مشاهد القيامة حسب تصوره) ، فإن شيئا من هذا التعديل لم يحدث ، ولم تؤثر تلك الشواهد القرآنية على الشعراء المخضرمين أو شعراء صدر الإسلام ، « وإنما أخذت استجاباتهم اتجاهاً آخر » . هكذا يذهب .

ودون متابعة منا لمظاهر هذه الاستجابة خلال العصور ــ وقد لَخَّصها بإتقان حقا ــ[٣٠] نسارع إلى القول بأن ما اعتبره « مشاهد طبيعية في القرآ ن الكريم » كالقيامة مثلا ، إنما بدا – ويبدو – للشاعر أو الأديب المسلم مشاهد غيبية تنتمي إلى عالم يأخذه مأخذ « اللاكيف » . ومن هنا فهو يختلف تماما عن عالم الشهادة الذي هو موضوع تجربته ومشاهداته الطبيعية ؛ وطبيعي أن لا يهدم الأديب المسلم الخط الفاصل بين الغيبي والطبيعي حتى تبدو استجابته مماثلة لاستجابة الأديب أو الشاعر غير المسلم الذي يعتبره جرونباوم معياراً .

○ على أن الصعوبة الحقيقية التي يتعرض لها من يحاول النقد والتنظير الإسلاميّ للأدب العربي تكمن في أنه يحاول أن يجد « العطاء الإسلامي » في ومن النصوص . وتلك قد تبدو حلقة مفرغة ، فمن ناحية نحن نحاول أن نعرف « الإسلامي » من خلال ما تقدمه النصوص الأدبية في حين أننا نفترض من جهة أخرى – أن هذا « الإسلامي » خارجيٌّ عن النصوص ، مؤثر فيها غير أن « البحث عن روح الإسلام في الأدب يصل إلى غايته حين يضع الباحث في اعتباره أنه يبحث عن الخصائص المشتقة من أو « المنسجمة مع العقيدة الإسلامية ،

ونظرة الإسلام للحياة » ، وهو الأمر الذي تنبه له جرونباوم في بداية بحثه عن « روح الإسلام كما تبدو في أدبه » . (هـ – ١٠١) .. أما لماذا يُتجاهل هذا الروح أحيانا أثناء مناقشة جرونباوم لبعض الخصائص والاتجاهات في الأدب العربي ، فذلك ما يفسره لنا فرضنا الأساسي في مقدمة هذه الدراسة ، وهو أن الاستشراق مرتبط بأهداف الإدارة الغربية قدر – أو قبل – ارتباطه الأكاديمي بموضوعات دراسته .

العناية بالتراث الأدبي العربي

مهمـا يكن عن دور المستشرقين في تأريخ الأدب العربي أو نقده وتنظيره إسلامياً ومالنا عليه من ملاحظات قد ترجع إلى خِطْإٍ أو إخطاءٍ ، فإن دورهم في العناية بالتراث الأدبي العربي توحي بأنهم فعلوا كثيراً وبذلوا أكثر .. جهداً ومالاً ، حيث تمتّد عنايتهم هنا إلى مجالات منها :

(أ) الحفظ والتصنيف وإصدار الدوريات :

لعل دور المستشرقين في حفظ وتصنيف ما وصل إليهم – أو أحيوه من مخطوطات ، أو أخذوه من مواد هذا الأدب – مما يحتاج إلى دراسة مكتبية شاملة . كما أن الدوريات المختلفة التي أصدرها لهذا الأدب ولغيره من الدراسات العربية والإسلامية والشرقية عامة تفوق في جدّيتها واستمرارها كل توقع . ومهما حاولنا في هذه العجالة فلن يكون ما نقدمه إلا نماذج وأمثلة لجهودهم في هذا المجال . فمن مجلة الإسلاميات (Islamica) إلى العالم الإسلامي (MW) إلى مجلة الجمعية الملكية الأسيوية (JRAS) فمجلة الجمعية الأمريكية للاستشراق (JAOS) ومجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية (BSOAS) والمجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط (IJMES) ومجلات متخصصة في الأدب مثل : أدبيات : مجلة آداب الشرق الأوسط : Edebiyat: Journal of the Middle Eastern Literatures ومجلة الأدب العربي : Journal of Arabic Literature وفي هاتين الأخيرتين تكثر دراسات العرب والمسلمين إلى جانب المستشرقين . على أن بعض الدوريات الأخرى مثل مجلة شؤون الشرق الأوسط (MEA) ومجلتي الأدب المقارن (CL) ودراسات الأدب المقارن (CLS) تنشر كثيراً من الدراسات الخاصة بالأدب العربي .

وفـي مجال التصنيف والحفظ توجد مجموعات كثيرة من المخطوطات وكتالوجات ودلائل الأدب العربي وأعلامه سواء في مكتبات الجامعات أو الجمعيات والهيئات . ففي جامعة ييل مجموعة مخطوطات استعان بها د/ يحيى الجبوري في إخراج قصائد جاهلية نادرة وعن جامعة كامبريدج (CUP) صدرت قوائم المخطوطات المحمدية (Hamdlist (s) of Mohammadan MSS) وتقع قائمة المخطوطات العربية في مكتبة تشيستربيتي في سبعة أجزاء صدرت بين عامي ١٩٥٥ م و ١٩٦٤ م . بل وأنشأ المعنيون منهم كتالوجات وهيئات داخل البلاد الشرقية نفسها أثناء الاحتلال الأوروبي لها : مثل كتالوج المخطوطات العربية في مكتبة الهند (١٩٣٧ م) . ومن أراد متابعة المؤلفين العرب المعاصرين ، لا يعدم أن يجد مجموعة عنهم صادرة (١٩٦٣ م) في معهد الثقافة العربية في أسبانيا . أما « حكمة الشرق » في مجملها فكانت قبل ذلك بستين عاماً تصدر في لندن وتُنشر لابن طفيل (بعث الروح ١٩٠٤ م) .

(ب) تراجم الأعلام :

وقـد تراوحت تلك التراجم بين مقالات موجزة في الدوريات ودوائر المعارف وكتب كاملة ، كما تناولت

● حقق روبرتسون وهو يبدع نتائج رائعة بالألوان المائية كما يشاهد هنا بالزهرة والسجادة والرخام.



القدماء والمعاصرين على حد سواء . ومن أقدم التراجم ما كتبه جَايَر R. Gayer عن أوس بن حجر (فينا ١٨٠٢ م) ودراسة هوبر A. Huber وبروكلمان عن لبيد (ليدن ١٨٨١ م) كما ترجم رُودُوكاناكيس N. Rhodokanakis للخنساء (فينا ١٩٠٤ م) . وترجم شولتز F. Schulthess لأمية بن أبي الصلت (ليبزج ١٩١١ م) ، ونيكلسون لابن الفارض في المجلة الأسيوية . وصدرت دراسة عن قيس بن الخطيم لكواسكي T.Kowalski (ليبزج ١٩١٤ م) . وترجم لَيالْ لعمرو بن قميئة (كامبريدج ١٩١٩ م) وكتب بيريز H.Peres ترجمة لكثيِّر عزة (الجزائر ١٩٢٣ م) وكتب ألْوارْدْت W.Ahlwardt عن امرىء القيس كما كتب نولدكه عن تاريخ عروة بن الورد ، أما جابريلي فقد كتب عن المتنبي (١٩٢٦ م - ١٩٢٨ م) وابن المقفع (١٩٣٢ م) وجميل العذري (١٩٣٨ م) ؛ على حين أسهم أكثر من مستشرق في الكتابة عن مشاهير الشعراء كدراستي مارجوليوث وبلا (على سبيل المثال) عن البحتري ، والتي أعيد نشرها مترجمة (مع دراسة عربية لحسن كامل الصيرفي) ضمن مجموعة كتب دائرة المعارف الإسلامية (لبنان ١٩٨٤ م) ، ومن المعاصرين الذين اهتم المستشرقون الروس بترجمة حياتهم توفيق الحكيم ومحمود تيمور وذوالنون أيوب وحامد دمنهوري وجورجي زيدان ويوسف إدريس ونجيب محفوظ .. وكثير غيرهم .. كما صدرت كتب كاملة عن أبي العلاء والجاحظ من القدماء وأبي شادي وطه حسين من المعاصرين .. وكلها أمثلة ونماذج لا تعني إلا أن تراجم أعلام الأدب العربي - وإن لم تستوعب كل الشخصيات التاريخية والمعاصرة - إنما تحظى بنصيب وافر من اهتمام المستشرقين .

(جـ) ترجمة النصوص :

وفي هذا المجال نجد كثيراً من مصادر الأدب العربي مقروءة في أكثر اللغات الأوروبية حيث نشط فريق من المستشرقين في مجال الترجمة ينقلون أهم الأعمال الأدبية العربية إلى لغاتهم ، وعلى رأسها « المعلقات » التي ترجمها كاترمير ، ودي برسفال (الابن) De Perceval (ت١٨٧١ م) وأربري في طبعة مستقلة (Alan Unwin - ١٩٥٧ م) ثم في ثنايا كتابه أوجه الحضارة الإسلامية ، وغيرهم . كما حظيت المقامات العربية - أيضاً - بأكثر

من ترجمة فكان ممن اهتموا بها ريكارت F.Rükert الذي ترجم مقامات الحريري (للألمانية) بعنوان : Die Vewandlungen Des Abu Seid Von Serug التي صدرت في شتوتجارت وتيبنجن عام ١٨٤٤ م ؛ كما ترجمها إلى الإنجليزية (في جزئين) تشيفري T.Cherery (الجزء الأول) وشتاينجاسّ P.Steingass (الجزء الثاني) بعنوان : The Assimblies of al Hariri ، وقد صدر الجزآن في لندن سنتي ١٨٦٧ م و ١٨٩٨ م على التوالي . وكذلك ترجمها دي ساسي إلى الفرنسية . أما مقامات بديع الزمان الهمذاني فقد ترجمها برِنْدَرْجَاست Prendargast إلى الانجليزية وصدرت في لندن ومدراس سنة ١٩١٥ م .

◎ قيـل إن الشعر روح الأدب العربي الموروث والقصة روح الأدب الغربي الموروث . وإن صحت هذه العبارة كانت التفسير لهذا الاهتمام الذي أولاه المستشرقون لترجمة الحكايات والقصص العربية بدرجة ملحوظة . فإلى جانب المقامات شاعت ترجمات كليلة ودمنة ، ترجمها منشيء مجلة الاستشراق الفرنسية Journal Asiatique دي ساس الفرنسي (ت ١٨٣٨ م) ، ووليم رايت الإنجليزي W. Wright (ت ١٨٧٩ م) ، وأربري ، وضمنها كتابه أوجه الحضارة الإسلامية (ص ص ٧٢ - ١١٨) . أما ألف ليلة وليلة فقد ترجمها المستشرق الألماني فليتشر مؤسس الجمعية الشرقية الألمانية (ت ١٨٨٨ م) ، وترجم بُروكِنْبرى G. Brockenbury رسالة الغفران للمعري ، عن النسخة التي قام بتحقيقها وإصدارها في القاهرة (١٩٤٧ م) كامل كيلاني .

◎ ويلحق باهتمامهم بالفن القصصي كتب ذات طبيعة روائية وإن لم تكن قصصا مثل الرحلات ، فترجم جب رحلات ابن بطوطة في آسيا وأفريقيا (أكسفورد ١٩٦٣ م) ، ومن قبله ترجم دي ساسي رحلة عبد اللطيف البغدادي ، وترجم رابت رحلة ابن جبير ونقدها وعلق عليها . على حين ترجم فليتشر عجائب المخلوقات للقزويني ، وأربري طوق الحمامة لابن حزم وبُرُونْلي P. Brönle بعث الروح لابن طفيل .

◎ على أن اهتمامهم بترجمة الأدب الروائي ، لا يعني انصرافهم عن ترجمة الشعر العربي . فإلى جانب المعلقات التي أشرنا إليها ترجموا دواوين وقصائد كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي ، بترجمة لاتينية لِفْرَايْتَاجْ (ت ١٨٦١ م) ؛ وديوان لبيد بروكلمان وهوبر . و « البردة » للبوصيري و « يا خالي البال » للطُّغْرَّائي وأشعار أخرى كثيرة بالفرنسية لدِى ساسى . « وتائية ابن الفارض » و « قصيدة ابن سينا في النفس » لِدى قو De Voux الفرنسي .. وعدداً آخر لا حصر له من القصائد التي تمثل عيون الشعر في عصور الأدب المختلفة ترد خلال الدراسات والمختارات والكتب الدراسية .

◎ كذلك لم يتردد المستشرقون في ترجمة الأمثال العربية مع صعوبة نقل المثل بكل سياقاته التاريخية والاجتماعية ، ما لم يكن له نظير مطابق في اللغة المنقول إليها . ومن أمثلة ذلك أمثال الميداني بترجمة لاتينية لفْرَايْتَاجْ .

◎ وفيما يتعلق بالأدب العربي الحديث فإن ترجمته في كتب مستقلة وفي الدوريات (رغم كثرتها) آخذة في الزيادة ، حيث ترجمت أعمال لأكثر المؤلفين العرب في معظم اللغات الأوروبية ، ويكفي دليلاً على ذلك أن نسوق ما ذكره خبير الاستشراق السوفييتي شرباتوف I.G. Shorbatov من أن السوفييت وحدهم قد ترجموا فيما يطلق عليه « العصر السوفيتي » وحده « أكثر من ١٣٠ كتابا لمؤلفين عرب ، ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة من لغات الشعوب السوفيتية ، وطبع منها ما يزيد على ١٠ مليون نسخة ، إضافة إلى مجموعات عديدة من

الشعر والنثر تنشر في الدوريات » . وقل مثل هذا بالنسبة لما يجري في دول أوربا الغربية وأمريكا .

(د) تحقيق ونشر التراث والتعليق عليه

وفي هذا المجال لا يكاد يوجد مستشرق واحد إلا وله إسهامات عديدة لأن القدرة على التعامل مع النصوص العربية وتقديمها للقارىء الغربي بصورة أو بأخرى - فيما يبدو - كانت إحدى خصائص الاستشراق ، وإن كان من المؤكد أن « عدداً محدوداً » منهم - كما يذهب الأستاذ عمر الدسوقي [٣١] - هم الذين تمكنوا من العربية واطّلعوا على تراثها وبذلوا جهدا في قراءة وفهم مصادرها ، على حين استعان الآخرون بما قدمه الرُّواد منهم . وربما وقع عدد من هؤلاء في الخطأ نتيجة عدم تملك ناصية اللغة فحفلوا - كما يقول الدكتور صلاح الدين المنجد [٣٠] - « بأمور شكلية لا فائدة منها » . غير أن تحقيق التراث الأدبي ونشره - بغض النظر عن قيمة التعليق عليه عند بعضهم - يعد في حد ذاته إسهاماً محموداً في بعث ونشر التراث العربي ، لا سيما ما لم يكن اختياره محكوماً بغايات الإدارة السياسية والدينية الغربية ، كما ذكرنا . ونورد فيما يلي - على سبيل المثال - بعض المستشرقين وما قدموه في هذا المجال بإيجاز :

○ كارل بروكلمان : عيون الأخبار لابن قتيبة ، وترجمة عربية من حكايات أصحاب الكهف ، وفهرست المخطوطات العربية والفارسية والتركية والعبرية في مكتبة برسلو ، وطبقات ابن سعد ، وطبقات ابن سلام الجمحي ، وأنساب الأشراف للبلاذري .

○ وأبدى المستشرق الإسباني ميجيل بلاثيوس حماساً ملحوظاً وهو يقدم كتاب الحيوان للجاحظ في مجلة إيزيس Isis (١٩٣٠ م) . إضافة إلى جهوده في التنبيه على تأثر دانتة في (الكوميديا الإلهية) بمصادر عربية وإسلامية .

○ ونشر إدوار براون (ت ١٩٢٩ م) نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب .

○ أما دي ساس فقد نشر كتاب النقود للمقريزي وكتاب الزاجل لابن الصباغ .

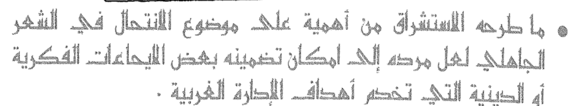
○ ونشر دي جويه الهولاندي De Goeje فتوح البلدان للبلاذري ، وديوان مسلم بن الوليد ، ورحلة ابن جبير ، وأحسن التقاسيم ، ورسالة حي بن يقظان .

○ وعلق جب على رحلة ابن بطوطة وعدد آخر من المصادر العربية .

○ واشترك وليم رايت مع دوزي في إخراج نفح الطيب للمقريزي ، كما نشر الكامل للمبرد ، وكتاب أخبار الرواد ، وغيرهما .

○ وكان فرايتاج من أكثر المهتمين بالمصادر العربية والتعليق عليها فله : أمثال لقمان ، وأمثال العرب ، وأمثال الميداني ، وفاكهة الخلفاء ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى .

○ وكذلك فلوجل الذي نشر كشف الظنون لحاجي خليفة (مع ترجمة لاتينية) والتعريفات للجرجاني ، والفهرست لابن النديم .



• تناولت دراساتهم في الأدب العربي ـ تقريبا ـ نماذج من أغلب الدول العربية .

○ ونشر كراتشوفسكي عن المتنبي وأبي العلاء ، وطبع كتاب البديع لابن المعتز بتفسير وتعليق ومقدمة .

○ ونقل كاترمير تاريخ المماليك للمقريزي . وطبع مقدمة ابن خلدون كما نشر منتخبات من أمثال الميداني (متنا وترجمة) .

○ ومما نشره مارجوليوث معجم الأدباء لياقوت الحموي ، وديوان ابن التعاويذي ، وحماسة البحتري .

○ ولماسينيون Massignon الذي كان عضواً بمجمع اللغة العربية ، بمصر جهود في هذا الميدان من أهمها الأمثال البغدادية للطلقاني .

○ ولنيكلسون ترجمان الأشواق لابن عربي .

○ كما حقق فِسْتِنْفِيلْد Wüstenfeld كتاب المعارف ، لابن قتيبة .

ذلك فقط تمثيل بما هو مشهور من جهودهم تحقيقاً ونشراً وتعليقاً .

بذلك نخلص إلى حقيقة هامة هى أن دور المستشرقين في دراسة الأدب العربي ، وتقديمه إلى القاريء الغربي ، وتأثير هذا الدور على القاريء العربي نفسه لا يمكن إنكاره كمًّا وجهداً أكاديميا بقدر ما لا يمكن التغاضي عن أهدافه وغاياته التي لا تنفصل عن قضية الصراع الإسلامي الغربي ، ذلك الصراع الذي يخبو حينا وينفلتُ أحياناً متجاهلا النداء الأول : ﴿ قُلْ يا أَهْلَ الكتَابِ تعالَوْا إلَى كَلِمةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وبينَكُمْ ألاَّ نعبُدَ إلاَّ اللَّهَ ولا نُشرِكَ به شيئاً ولا يَتخذ بَعْضُنَا بَعْضاً أربَاباً مِن دُون الله ﴾ .. ثم كل نداءات العقل والإنسانية والضمير .. التي ترحِّب بمعطيات العلم والمعرفة وصدق النوايا .. وتأبى إفرازات الجهل وسوء الطوية .

الهوامش والمراجع

(*) لم نفرد للمراجع ثبتاً اكتفاء بتفصيلها أثناء التهميش ومنعاً للتكرار .

(١ و ٨ و ١٠) A Literary History of the Arabs, Combridge University Press (CUP) 1962; P.IX; P. XXVI.

(٢ و ٤ و ٩ و ١١ و ٢٥) Aspects of Islamic Civilization, University of Michigan Press (UMP) 1967; P. 32; P. 11; P. 19; P. 9.

(٣) نذكر على سبيل المثال الأب أنستاس ماري الكرملي ، والأب لويس شيخو ، وغيرهما .

(٥) Anthology of Islamic Literature, From the Rise of Islam to Modern Times (Holt Rinehart Winston, N.Y. 1964) P. 22

(٦ و ١٩ و ٢٢ و ٢٤ و ٣١) د/ صلاح الدين المنجد : المنتقى من آثار المستشرقين (دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٦ م) ج ١ ص ٢٨ ؛ ص ص ٢٢٩ - ٢٤٤ ؛ ص ص ٢٧ - ٤١ ؛ ص (د) ؛ ص (ج) .

(٧) يعلق بعض الدارسين على أن دائرة المعارف الروسية القصيرة بدأت منذ أوائل الستينات الميلادية (١٩٦٢ م) تنشر بحوثاً عديدة في الأدب العربي « كتبت بعناية واهتمام » .

(١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥) د. ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية (دار المعارف ١٩٨٢) الفصل الثالث ص ص ٣٥٢ - ٣٦٧ و ص ٣٥٢ هـ ٢ و ص ٣٣٥ و ص ٣٦٧ .

(١٦) هذا ما ينقله أربري عن نيكلسون ص ٧٢ (السالف الذكر .. Aspects) .

(١٧) كدراسة أراسلي E. G. Arasly عن زيدان ، وكاخيا عن طه حسين (لندن ١٩٥٦ م) ودراسات روجر ألن R. Alan عن نجيب محفوظ (Mw Vol LXIII, ١٩٧٣) .. وكلها مجرد أمثلة لدراسات عديدة لنفس الأعلام بواسطة مستشرقين آخرين .

(١٨) انظر دراسة المرحوم د. إسماعيل الفاروقي «Islam and Art» وقد ترجمتها (بالاشتراك) ونشرت في المسلم المعاصر ، الكويت ١٩٨٠ م ، وهي دراسة ترُد على أخطاء المستشرقين في هذا المجال (٣ حلقات) .

(٢٠) T. Arnold A. Guillaume: The Legacy of Islam (O.U.P.) 1931 .

(٢١ و ٢٣) و (بوسطن ١٩٦٢ م) H.A.R. Gibb: Studies on Cinilligation of Islam ص ص ٣٤٥ - ٣٥٧ .

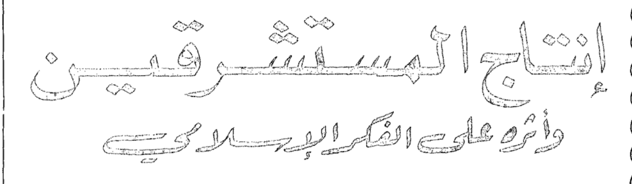
(٢٦) تدخل في ذلك الأعمال التى علقنا عليها في هامشي ١٩ و ٢٠ وآراء جرونباوم في « التوشية » وما إليها - فيما سيرد قريبا . وقد سحب جاستون قيت مظاهر الصرامة والتجريد هذه على الأدب والفنون (ص ٢٤٣ - ٢٤٤ - المنجد ، السالف الذكر) .

(٢٧) Arieh Loya: «Al- Sayyab and the influence of T. S. Eliot» (MW) LXI, 3, 1971; P. 195.

(٢٨) ستستخدم هذه الطريقة في الإشارة إلى مقالاته السابقة ، اقتصادا في الهوامش ، مع اعتبار المقالات مصادر هامة في دراستنا الحالية .

(٣٠) الحق أن معرفة جرونباوم واستيعابه لجوانب الأدب العربي في مصادره وبيئته مما يثير الإعجاب . فبعد أن أورد الدكتور أحمد طاهر حسين قائمة من مراجع وحواشي جرونباوم في دراسة عن النقد في القرن العاشر قال : و « نعتذر عن إيراد بقية الهوامش والحواشي لطولها وكثرتها » . التراث والمعاصرة (القاهرة ١٩٨٧ م) ص ١٦٣ . وهذه الكثرة هى دليل سعة إطلاعه .

(٣٠) عمر الدسوقي : في الأدب الحديث (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ١٤٠١ هـ) ج ١ « المستشرقون » .



بقلم: المفكر/ مالك بن نبى
(غفر الله له)

يجب أولاً أن نحدد المصطلح : إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية .

ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات على صنفين :

(أ) من حيث الزمن : طبقة القدماء مثل جربر دوريياك والقديس توماس الا كويني وطبقة المحدثين مثل كاره دوفو وجولد تسهير .

(ب) من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم : فهناك المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها .

هكذا وعلى الترتيب يجب أن تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الاستشراق ، إلا أننا ، من الوجهة الاجتماعية الخاصة التي تهمنا في هذا البحث وفي النطاق الضيق المحدد لهذه السطور نختار عن قصد فصلاً خاصاً ، إختياراً تبرره مبررات إلغائنا للفصول الأخرى .

إنه لمن الواضح .. أن المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون أيما تأثير على أفكارنا نحن معشر المسلمين ... إن ما كتبوا كان قطعاً المحور الذي تحركت حوله الأفكار التي نشأت عنها حركة النهضة في أوربا بينما لا نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم . فلنترك إذاً قضيتهم جانباً لمن تهمه دراسة التاريخ العام كما نترك أيضاً قضية المنتقدين على الحضارة الإسلامية المحدثين حتى ولو كان لهم بعض الأثر في تحريك أقلامنا أو كان لهم بعض الصيت في زمنهم وبلادهم ، مثلاً الأب « لامانس » . إنهم لا يدخلون في موضوع بحثنا لأن إنتاجهم على فرض أنه مس ثقافتنا إلى حد ما إلا أنه لم يحرك ولم يوجه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا لما كان في نفوسنا من استعداد لمواجهة أثره تلقائياً مواجهة تدخلت فيها عوامل الدفاع الفطرية عن الكيان الثقافي كما وقع ذلك في العهد الذي نشر فيه طه حسين كتابه في الشعر « الجاهلي » على غرار ما تقتضيه مُسَلَّمَة قَدَّمها المستشرق مرجيلوث قبل سنة من صدور كتاب طه حسين الذي أثار تلك الزوبعة من السخط التي تخللتها الصواعق المنطلقة من قلم مصطفى صادق الرافعي رحمه الله وأكرم مثواه .

ولكننا على عكس ذلك نجد للمستشرقين المادحين الأثر الملموس الذي يمكننا تصوره بقدر ما ندرك أنه لم يجد في نفوسنا أي استعداد لرد الفعل حيث لم يكن هناك « في بادىء الأمر » مبرر للدفاع الذي فقد جدواه وكأنما أصبح جهازه معطلاً لهذا السبب في نفوسنا .

وموضوعنا هنا : هو أن نبين ما كان لهذه الثغرة في جهازنا للدفاع عن الكيان الثقافي من أثر في تطور أفكار المجتمع الإسلامي منذ قرن وأثناء هذا القرن العشرين على وجه الخصوص .

ولا شك أن المستشرقين المادحين .. مثل « رينو » الذي ترجم جغرافية أبي الفداء في أواسط القرن الماضي .. ومثل « دوزى » الذي بعث قلمه قرون الأنوار العربية في إسبانيا .. ومثل « سيديو » الذي جاهد جهاد الأبطال طول حياته من أجل أن يحقق للفلكي والمهندس العربي أبي الوفاء لقب المكتشف لما يسمى في علم الهيأة (القاعدة الثانية لحركة القمر) .. ومثل « آسين بلاثيوس » الذي كشف عن المصادر العربية للكوميدية الإلهية – لا شك أن هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية وللتاريخ . وكل ذلك من أجل مجتمعهم الغربي .

ولكننا نجد أن أفكارهم كان لها وقع أكبر في المجتمع الإسلامي في طبقاته المثقفة .

إن الجيل المسلم الذي أنتسب إليه يدين إلى هؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية .

ولكننا إذا تصفحنا هذه القضية في ضوء خبرتنا الحديثة وفي ضوء تجاربنا القريبة نجد أن هذه الوسيلة لم تقتصر نتائجها على الأثر المحمود في تطور أفكارنا وثقافتنا بل كان لها أثر مرضي هو الذي نريد طرحه في هذه السطور .

فلكي نتصور هذا الأثر على صورته الحقيقية في مجتمعنا الإسلامي يجب أن نعيد هذا النوع من الاستشراق إلى مصادره التاريخية .

- المستشرقون القدماء أثروا على مجرى الأفكار في العالم الغربي .. وما كتبوه كان المحور الذي نشأت حوله النهضة في أوروبا .
- اكتشفت أوروبا الفكر الإسلامي في مرحلتين : الأولى من أجل اثراء ثقافتها .. والثانية لوضع خططها السياسية لالتهام العالم الإسلامي .

إن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامي في مرحلتين من تاريخها فكانت في مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد طوماس الأكويني ــ تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته من أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات الموفقة التي هدتها إلى حركة النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر .

وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لا من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسات في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها ... وربما انطبقت هذه المجهودات العلمية في نفس أصحابها على مجرد الإعتراف بفضل تلك الشعوب وبمساهمتها في تكوين الرصيد الحضاري الإنساني ولا شك أن المستشرق سيديبو والعلامة غسطاف لوبون يتسمان في إنتاجهما بميزة العلم الخالص والاجتهاد المخلص للحقيقة العلمية .

ولكن تجب هنا الملاحظة بأن هذا اللقاء الجديد وقع في ملابسات تاريخية لم يكن فيها العلم الإسلامي علماً حياً ينقل من أفواه الأساتذة مباشرة ومن كتبهم المعاصرة بل أصبح أشبه شيء بعلم الآثار يكتشفه الباحثون الأوروبيون بحكم الصدفة ويصدقون أولا يصدقون في نقله ، ثم ينسبونه لأصحابه من العلماء المسلمين أو ينسبونه لأنفسهم أو لأحد الأوروبيين ، فهكذا كانت اكتشافات كبرى تنسب لغير أصحابها مثل دورة الدم الصغرى للإنجليزي وليام هرفي بينما كان صاحبها الطبيب المسلم ابن النفيس يعيش قبله بأربعة قرون .

كما تجب الملاحظة أيضاً أن العالم الإسلامي أصبح في هذه الملابسات يعاني الصدمة التي أصابته بها الثقافة الغربية ــ ويعاني بسببها على وجه الخصوص أثرين : مواجهة مركب نقص محسوس من ناحية .. ومحاولة التغلب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة .

ولقد أحدثت هذه الصدمة عند قبيل من المثقفين المسلمين شبه شلل في جهاز حصانتهم الثقافية حتى أدى بهم مركب النقص إلى أن ولوا مدبرين أمام الزحف الثقافي الغربي وألقوا أسلحتهم في الميدان ــ كأنهم فلول جيش منهزم في اللحظة التي بدأ فيها الصراع الفكري يحتدم بين المجتمع الإسلامي والغرب . فأصبح هذا القبيل من المثقفين يبحث عن نجاته في التزي بالزي الغربي .. وينتحل في أذواقه وسلوكه كل ما يتسم بالطابع الغربي حتى ولو كان هذا الطابع ليس إلا مظهراً لاشيء وراءه من القيم الحضارية الغربية الحقيقية .

وبدأت تظهر في الأفق الثقافي الإسلامي الفكرة الجديدة التي حركت بعد حرب السباى (١٨٥٨) بالهند تأسيس جامعة عليكرة .. وحركت من جانب آخر وضد هذا المشروع باعث النهضة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغاني .

وهكذا أصبح الفكر الإسلامي على أثر الصدمة الثقافية التي اجتاحته وما تسبب عنها من مركب نقص ينحاز إلى معسكرين :

أحدهما يدعو لتمثل الفنون والعلوم الأشياء الغربية ــ حتى اللباس ــ والآخر يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز يعلل بها النفس .

فالتيار الأول : كان من الناحية العقلية ، والسياسية والاجتماعية له أثره في لونين ، اللون الذي يتمثل في تأسيس جامعة عليكرة ، واللون الذي يتمثل في دعوة جمال الدين الأفغاني مع تباين الأهداف وتشابه الوسائل التي كانت تفرض على العالم الإسلامي في كلتا الحالتين تطوراً يؤدي به إلى « الشيئية » و « التكديس » .

وأما التيار الثاني : وهو موضوع حديثنا لاتصاله بإنتاج المستشرقين ــ فإنه وجد منحدره الطبيعي في أدب الفخر والتمجيد الذي نشأ منذ القرن التاسع عشر على أثر ما نشره علماء مستشرقون ، أمثال دوزى . عن الحضارة الإسلامية .

ولا يمكننا على أية حال أن نجعل بين التيارين فاصلاً قاطعاً لأن الثاني منهما لا يَكُوِّن مدرسة مستقلة عن الأول ــ بل نجده يخامر الفكر الإسلامي على العموم ويتخلل إتجاهه العام كفكر يبحث عن حقنة اعتزاز للتغلب على المهانة التي أصابته من الثقافة الغربية المنتصرة كما يبحث المدمن عن حقنة المخدر التي يستطيع بها مؤقتاً إشباع حاجته المرضية .

وهذا لا يجعلنا ننفي لهذا التيار ولنوع الأدب الذي نتج عنه كل أثر حسن في مصير المجتمع الإسلامي لأنه كان له نصيب لا يزهد فيه في الحفاظ على شخصيته والجيل الذي أنا منه يدين له بذلك النصيب على الأقل في المحافظة على شخصيته الإسلامية .

إنني على سبيل المثال ــ قد اكتشفت وأنا بين الخامسة عشر والعشرين من العمر أمجاد الحضارة الإسلامية في ترجمة دوسلان لمقدمة ابن خلدون وفيما كتب دوزى عنها وأحمد رضا بعد الحرب العالمية الأولى .

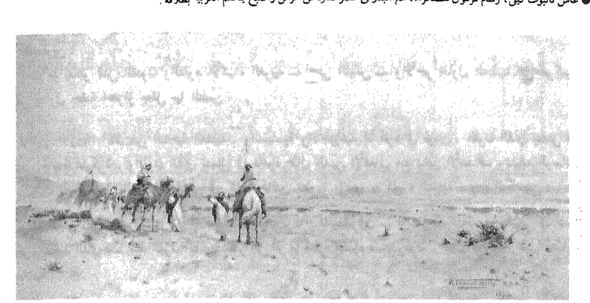
وإنني على إدراك تام لما أدين به لهذه المطالعات وقد ذكرت ذلك في الجزء الأول من « مذكرات شاهد القرن » والآن ، وأنا قد تجاوزت الستين من العمر ، أستطيع أكثر من ذى قبل تقدير هذا العلاج للفكر وللضمير لا في النطاق الشخصي فحسب بل في النطاق الشامل للمجتمع الإسلامي طيلة أربعين سنة بعد تجربتي ، فأرى أن أقرر هنا مع الاختصار اللازم في هذا العرض أن مساوىء طريقة هذا العلاج تظهر لي بالتالي أكثر من حسناتها وذلك لأسباب متعددة .

فالسبب الأول لأنه بديهي نلاحظه في الآثار النفسية لأسلوب التكوين « أي البيداغوجية » بالنحو الذي نشير إليه بمثل بسيط .

إننا عندما نتحدث إلى فقير لا يجد ما يسد به الرمق اليوم ، عن الثروة الطائلة التي كانت لآبائه وأجداده إنما نأتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدر يعزل فكره مؤقتاً وضميره عن الشعور بها : إننا قطعاً لا نشفيها .

فكذلك لا نشفي أمراض مجتمع يذكر أمجاد ماضيه ولا شك أن أولئك الماهرين في فن القصص قد قصوا للأجيال المسلمة في عهد ما بعد الموحدين قصة (ألف ليلة وليلة) وتركوا بذلك أثر كل سمر نشوة تخامر

● عاش تالبوت كيلي، رسام مرموق للصحراء، مع البدو في مصر لفترة من الزمن وأصبح يتكلم العربية بطلاقة.



مستمعيهم حتى يناموا فتنغلق أجفانهم على صورة ساحرة لماضٍ مترف.

ولكن سوف تستيقظ هذه الجماهير في الغد فتنفتح أبصارهم من جديد على مشهد الواقع القاسي الذي يحيط بها في وضعها الذي لا تغبط عليه اليوم.

فالأدب الذي ينشر « عصور الأنوار » للحضارة الإسلامية يؤدي أولا هذين الدورين. إنه أتاح في مرحلة معينة الجواب اللائق للتحدى الثقافي الغربي وحفظ هكذا مع عوامل أخرى على الشخصية الإسلامية ــ ولكنه من ناحية أخرى صب في هذه الشخصية الإعجاب بالشيء الغريب ولم يطبعها بما يطابق عصر الفعالية والميكانيك.

وليست هذه الملاحظة مجرد شيء عابر نمر عليه في هذا العرض مر الكرام بل يجب أن نقف عندها بكل اهتمام وتأمل، ولذا كانت أهميتها تلوح لنا من الجانب الإجتماعي من دون أي تردد، فإنها تتخذ صورة أوضح إذا ما طرحناها على صعيد معركة الأفكار التي تجتاح العالم اليوم بصورة عامة والمجتمع الإسلامي بصورة خاصة.

وهنا تجب كلمة عن هذا المفهوم الذي نعنيه بـ « الصراع الفكري » في العالم الإسلامي. يجب أن نقرر مبدئياً هذه القاعدة العامة، ألا وهي أنه عندما يطرح مسلم أو بعض المسلمين مشكلة ما تهم مجتمعهم فإن هذه المشكلة تكون قد طرحت أو ستطرح عاجلا في أوساط المتخصصين في هذه الدراسات لحساب وتحت إشراف الاستعمار.

وكلما يتقدم هذا المفكر المسلم أو هؤلاء المسلمون بحل لهذه المشكلة يسرع من طرفهم أولئك الأخصائيون لدراسة هذا الحل، فإن كان خاطئاً زادوا في شحنة خطئه بطريقة أو أخرى، وإن كان فيه بعض ما يفيد حاولوا كل جهدهم للتقليل من شأنه وتخفيض قيمته حتى لا يفيد.

هذه هي القاعدة العامة في الصراع الفكري الذي نشير إليه. ويترتب على هذا أنه كلما لاحت في العالم الإسلامي أي بادرة ذات مغزى ولو كانت لا تبصرها أعيننا فإن مجهر أولئك الإخصائيين يلتقطها على الفور

ليجرى عليها كل طرق التحليل ، وإذا وجدوا فيها أي اتصال بحركة الأفكار في العالم الإسلامي تجري عليها كل عمليات التشريح وتمر بكل أصناف التقطير حتى يبقى في محتواها الاجتماعي أقل ما يمكن من عوامل التيسير لصلاحيتها وأكثر ما يمكن من عوامل التعسير وإنتفاء الصلاحية .

ومن الواضح أن من أكثر البوادر دلالة على اتجاه مجتمع ما هو اتجاه أفكاره : فاما أن تكون متجهة إلى الأمام إلى المستقبل أو إلى الخلف اتجاهاً متقهقراً اتجاهاً ملتفتاً إلى الماضي بصورة مَرَضِيَّة .

ومن دون أن نستمر إلى أبعد من هذا في تحليل هذه الاحكامات الدقيقة للصراع الفكري فلنلق هذه الاعتبارات على موضوعنا بالذات ، نعني أثر هذا النوع من أدب المدح والتمجيد والإطراء على سير الأفكار واتجاهاتها في المجتمع الإسلامي المعاصر ، فترى على الفور الجانب الآخر لهذا الأدب عندما يصير بين يدي أولئك الأخصائيين وسيلة عمل جهنمي في تحريك رحا الصراع الفكري المحتدم في بلادنا .

إننا نرى اليوم رأي العين هذا العمل الفتاك .. ونرى أثره في كل تفاصيل حياتنا الفكرية والسياسية والاجتماعية وفي البلاد العربية حيث تكونت تجربتي وخبرتي كمواطن وككاتب وكصحافي .

(٥) من دراسته العميقة التي خطها بهذا العنوان .. وجُل ما فيها مهم يتصل بمادة هذا العدد المتخصص في موضوعه ... وأكتفينا بأقله كشاهد شاهق .

الاستشراق

هل وجه الإعلام الوجهة التي يريدها ؟



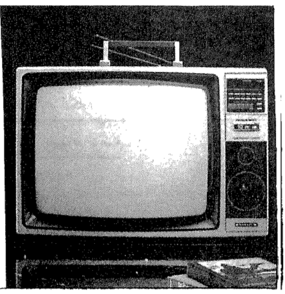
بقلم :

الدكتور ساعد خضر العرابى الحارثى

إن الموضوع عميق ويحتاج إلى بحث ودراسة وافية ولكن هذا لا يمنع من التطرق إلى بعض أبعاد مسألة الاستشراق من وجهة النظر الإعلامية .

إن المتتبع لما ينشر ويذاع في وسائل الإعلام الغربية لا يجد في كثير من الأحيان أي نوع من التطابق مع الواقع الذي نعيشه في الداخل .. من زهو بالحضارة الإسلامية .. وما نعيش عليه من عادات وتقاليد وإيمان لا يتزعزع بالعقيدة .. وهذا الوضع يعود لعدد من الأسباب منها :





الصورة المشوهة للعربي والمسلم ، والتي عمل الإعلام الغربي على عرضها بطريقة لا تعتمد على أرضية أو واقع صحيح لتحقيق أغراض معروفة ...

الفجوة الفاصلة بيننا وبين الغرب وتعود إلى أن الملاحظ لنا من الخارج لا يشاطرنا الأرضية المادية والإجتماعية والفكرية التي ننطلق منها .

والحضارة الإسلامية كما نعلم قد أثارت اهتماماً علمياً عالمياً واضحاً تبلور في قالب دراسات موضوعية واكتشافات أساسية شكلت النهضة العلمية على مستوى العالم – ولكن ذلك أدى إلى الحقد في العديد من الأوساط الغربية من جانب وإلى الخوف من أمة شديدة الانتماء لعقيدتها وفخورة بأصالتها وماضيها من جانب آخر .. فعمدت حسب خطة مدبرة محكمة عبر وسائل الإعلام الغربية إلى قلب الحقائق وتشويه الواقع وإصدار شتى التهم وإلصاقها بمختلف جوانب وأساليب العيش والتفكير في العالم الإسلامي . والأمر الذي يدعو للأسف أن البعض الذين لا يعلمون عنا الكثير قد تأثروا بهذه الأساطير والآراء المغرضة عن المجتمعات الإسلامية ولعل هذا ما يجعل الحاجة ماسة إلى التأمل وضرورة مراجعة هذه الدراسات الشرقية لدحض التهم وتوضيح الحقائق .. ولنضع حداً لبعض الصراع الذي يعيشه بعض شباب العالم الإسلامي نفسه في بعض الدول الإسلامية الذي يقع فريسة سهلة للتمزق الذي يعيشه بين الصورة المشرقة التي يقدمها له تاريخه وبين الصورة التي ينشرها بعض خصومنا والتي تدعم فيه الشك في تاريخه وحضارته وثقافته وتدفعه إلى الهروب بحثاً عن هوية جديدة لمّعها له الإعلام الغربي بمساعدة من وسائل الإعلام العربية والإسلامية نفسها .

إن موضوع الاستشراق وأنواعه وتعدد اللغات التي كتب بها والاتجاهات التي سار على منوالها لايزال حتى هذه اللحظة في حاجة أكيدة إلى غربلة وتقويم .

ونشكر « مجلة المنهل » الغراء على مبادرتها الكريمة في إثارة هذا الأمر الحيوي والمهم في حياة وحضارة الفرد المسلم في كل زمان ومكان . فالاستشراق تيارات مختلفة ترتدي جميعها ثوب الموضوعية والتجرد والدقة والأمانة والنزاهة والعلم ولكنها وللأسف تخفي في معظم الأوقات حقيقتها على القارىء ، فلا يفطن إلى ما يتسم به معظمها – وليس كلها – من ضعف في التحليل .. ونقص في الإطلاع .. وتسرع في إطلاق الآراء المسبقة ..

- الحضارة الغربية الهائلة أصابت المجتمع الإسلامي بالصدمة الثقافية والحضارية فأصبح بين منجرف في تيار الغرب أو متعلل بماض زاهر انقضى .

- الإلتفات إلى الماضي وتعليل النفس به وتخديرها بذكراه لا شك حالة مرضية قصد بها الغرب صرفنا عن القضايا الأساسية .

إلى درجة أن معظم الكتابات الاستشراقية تعتبر خليطاً من المعلومات والآراء والأخطاء الفادحة . وعلى ذلك فإن معظم الباحثين الغربيين في مسألة الاستشراق يقعون في مغبة العنصرية والتمحور حول الفلك الأوروبي الضيق دون النظر بعين التجرد والحياد لمسائل وواقع الشرق والعالم العربي والإسلامي ..

ولعل ما يثير الدهشة ويزيد في مساحة الجرح هو أن الإعلام العربي والإسلامي يشكل وسيلة ناجحة لايصال الأفكار والآراء الاستشراقية غير المحايدة إلى مجتمعاتنا وهذا ساعد كثيراً على نشر هذه الأفكار والآراء وتصديق مضامينها .. لقد نجح – فعلاً – بعض المستشرقين في استخدام وسائل الإعلام العربية لخدمة أهدافهم ووجدوا بعضها طريقاً سهلاً لتنفيذ هذا الغرض بسبب « الضعف الكيفي » وعدم الإدراك الشامل .. ومحدودية الوعي .. وأيضاً من خلال دس المواد الإعلامية في زخم الرسائل التي ترى تباعا في كل يوم .

لقد انتشرت في السنوات الأخيرة وسائل الإعلام خاصة في – الثانينيات الميلادية – بصورة لم يسبق لها مثيل ونقلت العالم الخارجي – بخيره وشره – إلى ملايين الناس الذين كانوا يعيشون من قبل ذلك في مجتمعات منعزلة ، ولم تكن لديهم سوى اتصالات بسيطة عن طريق قنوات اتصال تقليدية . وتولد عن هذه الحتمية قضيتان أثارتا العديد من الآراء ، والمناقشات وهما :–

أولاً : إن التطوير التقني للاتصال المباشر – كما هو الحال في البث التلفزيوني العالمي مثلاً – قد يشكل تهديداً للثقافة الوطنية ولبعض معايير القيم والسلوك والمضامين الاجتماعية .

ثانياً : إن فتح الأبواب على مصراعيها لتجارب وانطباعات الآخرين عن طريق وسائل الإعلام يؤدي أحياناً إلى الاغتراب الثقافي والحضاري .

ولعل هذا التطور الجديد والسريع في عالم الاتصالات يدفعنا إلى أن نتجاوز بفكرنا واهتمامنا المستشرقين إلى ما هو أكثر خطورة وأبلغ أثراً وأقوى تهديداً – ليس فقط للأصالة ولكن الاستقلال الذاتي هو – في الواقع – المستهدف في المقام الأول وذلك لإفقاد الشعوب انتماءها العقدي والثقافي والفكري ... وقد يكون أن المستشرقين أسهموا كثيراً في جعل المناخ أكثر ملاءمة وقبولاً للقادم الجديد عبر وسائل الإعلام غير أنهم – أي المستشرقين – لم يعودوا من أهم وسائل إثارة الخلل الفكري والاجتماعي وإثارة الشك في الماضي خاصة بعد أن أصبح من الممكن التوجه عبر وسائل الإعلام إلى كل العقول على مختلف أعمارها وثقافاتها ومعارفها .. وهذا

بخلاف الفكر الاستشراقي الموجه في المقام الأول إلى الصفوة التي تكون في بعض الأحيان قادرة على الانتقاء والرفض .

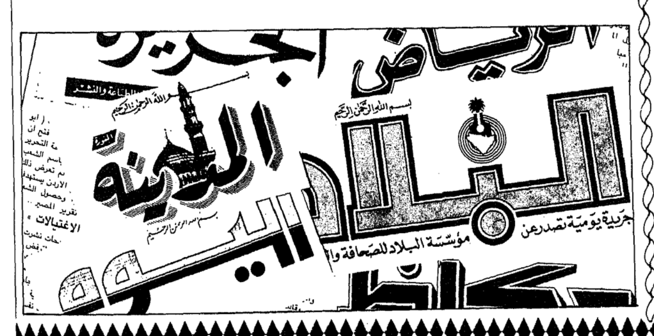
والتاريخ الإعلامي يشهد ويقول لنا أن إدخال وسائل إعلام جديدة ، وخاصة التلفزيون في المجتمعات التقليدية كثيراً ما أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين وتشويه الأنماط الاقتصادية والاجتماعية .

وعلى ذلك فإن الأهمية لا تنصب على الوسيلة الإعلامية وحدها بل تتعداها إلى الرسالة – ولذلك يجب في الوقت الحاضر تهيئة الظروف الكفيلة بتمكين نظم وسائل الإعلام العربية لمحاربة محاولات الغزو الثقافي .. والتشكيك والحد من ظاهرة الانبهار بالغرب .. ومحاولة تمحيص الرسائل الإعلامية قبل الإقدام على إذاعتها أو نشرها .

ونظراً لأن الاتصال جزء من الثقافة مؤثر فيها فإن تطوير نظام اتصال على مستوى العالم العربي والإسلامي عن طريق جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي يستطيع أن يسهم بفعالية في دعم الحضارة والثقافة العربية والإسلامية لمواجهة تحديات الغزو الغربي – والذي يمكن أن نُدخل في مظلته المستشرقين .

إن الدراسات الإعلامية والثقافية العديدة التي أجريت أوضحت مدى خطورة التدفق الإعلامي بين الدول المتقدمة والدول النامية في مجال الأخبار والبرامج الثقافية والفنية والرياضية وثبت في الواقع أن التدفق يغلب عليه طابع الاتجاه الواحد من الغرب إلى الشرق إلا فيما ندر ، حيث يحصل العكس .

إن هذا التوغل والتدخل يشكل إحدى المشكلات الرئيسية التي يواجهها الأشخاص الذين يتعاملون مع قضايا الاتصال والإعلام الدولي . وكانت النتيجة أن الأذواق الاجتماعية والثقافية للبلدان الغربية أصبحت تنتشر على نطاق واسع وتغدو مألوفة وتحظى بإعجاب الكثيرين وقد تتخذ كمعايير للسلوك البشري في بعض البلدان الشرقية التي تتعرض لها .



- أحكام بعض المستشرقين على العقل العربي جاءت بدافع محاولات الحط من قدره ومكانته المشهود لها بالدقة والعمق .
- كم نخش على أبنائنا أن تشغلهم مغالطاتهم الجانبية عن اللحاق بركب الحياة فيصبحون ولا سبيل لهم غير إسترجاع الماضي البعيد .

إن فرض القيود فقط سواء على الرسائل الإعلامية أو على ما يقدمه المستشرقون لا يشكل في نظري أفضل رد على التأثير الأجنبي على الأصالة والهوية والمضامين الاجتماعية ، ولكن يجب تنشيط مراكز البحوث والدراسات العلمية .. وتأهيل المدارس والمعاهد والجامعات .. بما يضمن صناعة أجيال متمكنة ومقتدرة من العطاء المنافس ومواجهة الخصوم بعلم ورؤية ... كما يجب تنشيط وسائل الإعلام العربية بالقدرات والمواهب المتخصصة والإمكانيات الكاملة يمكنها على الأقل التمييز بين الغث والسمين وإيجاد بدائل لمواجهة غزو الهجمة الشرسة من الغرب .

وإذا كان الاستشراق قد مثل - في رأيي - الخطوة الأولى نحو توجه الغرب إلى رؤوس العرب والمسلمين .. وهي الخطوة التي مهدت إلى ما نواجهه الآن من غزو ثقافي فإنه يجب التأكيد على نقطتين أساسيتين :-

أولاً : إن بعض من أتيح لهم من أبناء العرب والمسلمين أن يكونوا في الصف الأول من الساحة الفكرية والثقافية تقع عليهم مسؤولية كبيرة في تشويه جوانب كثيرة من الفكر والثقافة الإسلامية ، وذلك بحكم تتلمذهم - غير المباشر - على أيدي المستشرقين وتأثرهم بكتاباتهم والأمثلة على ذلك كثيرة .

ثانياً : لا يمكن الجزم بأن كل الفكر الاستشراقي كان سلبيا .. فقد قام بعضهم - وهم قلة - بإسهامات جليلة في التعريف بالدين الإسلامي والمسلمين مما كان له أكبر الأثر في عالمية الدعوة بين مختلف شعوب الأرض .

ولكن مما يدعو للأسف أن بعض المستشرقين قد استغل الوضع لخدمة أهداف حضارة وأيديولوجية الغرب تحت شعار الاستشراق .

إن « الرأس » العربية والإسلامية هي الآن أشد ما تكون في حاجة إلى إنقاذ ليس فقط من الفكر الاستشراقي ولكن من الهجمة الجديدة عبر وسائل الاتصال الحديثة التي توجه كل قواها إلى الرؤوس - ومن « امتلك » الجمجمة مسك بزمام القيادة وحقق التبعية لفكره وثقافته وحضارته ..

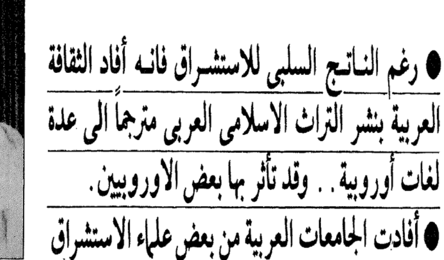
ولعل الجهات المعنية على مستوى العالم الإسلامي والعربي تفيق من ساحة التنظير والشكوى والوصف إلى ساحة الفعل . أولاً لتنقية ما خلفه لنا المستشرقون من فكر أصبح وثائق ثابتة في مكتباتنا ومراكز معارفنا .. وثانياً لصناعة وسائل قادرة على منافسة الرسائل القادمة مما يحفظ لنا هويتنا ....


بسم الله الرحمن الرحيم
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
صدق الله العلي العظيم



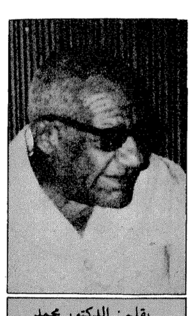
● لا شك ان حركة سير الاستشراق وتوجهه قد مرت بعدة مراحل كان لكل منها سماتها الخاصة بها من حيث بيئة المنشأ، والتوجهات الدينية والفكرية أو المنهجية للمستشرق ذاته مضافاً الى هذا الفترة الزمنية للمستشرق وما اكتنفها من ثوابت ومتغيرات فى مجريات أحداثها . . من كل ذلك نستطيع ان نستقرىء الجهود التى قام بها المستشرقون فى الدراسات الاسلامية وتراث المسلمين الفكرى والأدبى والعلمى والفنى وغيره من أنواع النشاط المعرفى للمسلمين والعرب . . وهذا الاستقراء فى اجماله يسمح لنا من غير شك بتصنيف هذه الاعمال من حيث تسجيلها للحقيقة أو تجافيها .

حركــة الاستشـ



● رغم الناتج السلبى للاستشراق فانه أفاد الثقافة العربية بنشر التراث الاسلامى العربى مترجماً الى عدة لغات أوروبية . . وقد تأثر بها بعض الاوروبيين.

● أفادت الجامعات العربية من بعض علماء الاستشراق فى بعض الدراسات ذات الصلة بتخصصاتهم.



بقلم: الدكتور محمد
عبد المنعم خفاجى

تفرغ بعض العلماء فى اوربا وامريكا لدراسة الشرق وتراثه وتاريخ شعوبه واديانها ولغاتها، وما لها من آداب وفنون وعادات وتقاليد فى ماضيها وحاضرها وخصائص حضارات هذه الأمم.

■ وقد اتجه الغربيون الى الاستشراق منذ عصور بعيدة وبخاصة حينما كانت اوربا تضرب فى ظلام دامس، ولما رأى بعض شبابها ومفكريها عظمة الحضارة الاسلامية فى بلاد الاندلس وصقلية وفى بلاد المشرق دعوا زملاءهم الى أن ينهلوا من مناهل الحضارة، فقصدوا الاندلس وصقلية فى اعداد كبيرة منهم. . افادوا من نور العلم والحضارة وترجموا الى اللاتينية كثيرا من كتب العربية، سواء منها ما ألفه العرب أو ما ترجموه عن اليونانية فى الطب والهندسة والمنطق والفلسفة والفلك والحساب والكيمياء وسواها.

■ وكان ذلك من أهم الاسباب التى ادت الى قيام حركة الاستشراق. . وكان العرب وآدابهم فى طليعة الموضوعات التى عنى بها المستشرقون وبدراستها والنقل عنها.

■ واطردت هذه العناية واستمر هذا الاقبال من المستشرقين حتى بعد انتهاء الحكم العربى للاندلس وذلك بدافع اطراد يقظة اوروبا ورغبة المفكرين فيها فى التزود من العلوم والاداب العربية الاسلامية، ثم بدافع الرغبة فى



النزوح الى بلاد الشرق للرحلة او للدراسة او للتجارة مما دفع بعض الدول فى اوربا الى فتح المعاهد الدراسية لتعليم الراغبين فى دراسة الشرق واحوال اممه واديانها ولغاتها وتاريخها ومعارفها وحضارتها، كما انشأت المطابع بالحروف العربية للمعاونة فى نشر الثقافة العربية القديمة.

■ وآزرت نهضة الاستشراق حركة الاستعمار الاوربى لبلاد الشرق رغبة فى استغلال مواردها ثم حركة التبشير بالمسيحية فى ربوع الشرق، ولا ننسى ان رجال الدين كانوا فى مقدمة العاملين فى ميدان الاستشراق.

متى قام الاستشراق:

ويرجع تاريخ الاستشراق الى عام ١٢٤٥م عندما قرر المجمع الكنسى بفينا تخصيص كراس لتدريس اللغات الشرقية، ولكن بدء الحركة المنظمة كان فى اواخر القرن التاسع عشر عندما استعمرت اوربا البلاد الاسلامية فأسست المعاهد المتخصصة لدراسة اللغات والثقافات الشرقية ثم نظمت مؤتمرات المستشرقين وقد انعقد اول مؤتمر لهم عام ١٨٧٣م بباريس.

اهداف الاستشراق:

وتتلخص اهداف الاستشراق العلمية فيما يلى:

* القيام بدراسات عن الحضارات القديمة فى بلاد الشرق.
* تجميع المخطوطات العربية فى مكتبات اوربا ووضع فهارس لها.
* نشر الكثير من الكتب العربية.
* تنظيم مؤتمرات عن الاستشراق.

■ **اما أهداف الاستشراق الاخرى فترجع الى:**

* دعم الاستعمار الغربى لبلاد الشرق.
* زيادة حركة التجارة بين اوربا والشرق.
* التبشير بالمسيحية فى بلاد الشرق.
* فتح ميادين للعمل أمام الشباب الاوربى.

■ والاستشراق عبر عن مفهوم يؤمن بالعنصرية وبانحطاط السلالات السامية.. ولم يعتمد المستشرقون الباحثون على الاعمال العلمية للعلماء الشرقيين بل اتخذوا مراجع لكتاباتهم تقريرات الاداريين الاستعماريين والبعثات التبشيرية الطافحة بالاحقاد العنصرية والدينية.

الاستشراق الجديد:

وجاءت حركة الاستشراق الجديد فى اوربا التى لخص جاك بيرك مفهومها العام فى الدرس الذى القاه بكوليج دى فرانس عام ١٩٥٦ والذى حث فيه المستشرقين على عقد صلات وثيقة بالشرق ولغاته ليتمكنوا من فهم التيارات الجديدة فى بلاد الشرق.

الاستشراق والثقافة العربية:

أفاد الاستشراق الثقافة العربية فوائد عديدة منها:

● نشر الثقافة العربية فى اوربا. وترجمة كثير من كتب التراث العربى الى اللغات الاوربية.

● تصحيح فكرة الشعوب الاوربية عن العرب والاسلام.

● نشر كثير من كتب التراث العربى نشرا علميا.

● كتابة العديد من المؤلفات النفيسة عن الحضارة الاسلامية والعربية.

● الاستفادة من بعض العلماء المستشرقين فى كثير من الميادين الثقافية فى البلاد العربية.

اعلام من المستشرقين

سلفستر دى ساسي:

■ مستشرق فرنسى.. تعلم العربية والفارسية.. نشر كليلة ودمنة والفية ابن مالك، ورحلة عبد اللطيف البغدادى.. وجملة

من المنتخبات العربية سماها «الانيس المفيد للطالب المستفيد».

■ نشر بحوثا عدة، وترجم بعض الكتب العربية الى الفرنسية.. توفى عام ١٨٣٨م.

كترمير:

■ مستشرق فرنسى من تلاميذ دى ساسى.

■ اتقن العربية وبعض اللغات الشرقية.

■ نشر مقدمة ابن خلدون، ومنتخبات من امثال الميدانى، وكتاب الروضتين فى اخبار الدولتين.. وترجم الى الفرنسية اجزاء من كتاب السلوك للمقريزى.. وله بحوث كثيرة.. توفى عام ١٨٥٧م.

فرايتاج:

■ مستشرق المانى.. من تلاميذ دى ساسى.

■ نشر: حماسة ابى تمام بشرح التبريزى وزودها بترجمة لاتينية.. كما نشر فاكهة الخلفاء، والمنتخب من تاريخ حلب، وامثال الميدانى.

■ الف معجما بالعربية واللاتينية.. وله بحوث بالالمانية عن اللغة العربية.. توفى عام ١٨٦١م.

دوزى:

■ مستشرق هولندى.. نشر كتبا عربية عديدة.

■ وضع معجما عربيا يعد ذيلا للمعجمات العربية اذ جمع فيه من الالفاظ العربية ما لم يرد فى معجماتها.. توفى عام ١٨٨٣م.

نولدكة:

■ مستشرق المانى.. له بحوث فى الشعر الجاهلى والمعلقات، وفى اللغات السامية.

■ الف تاريخ الفرس والعرب فى عهد الساسانيين، وتاريخ القرآن، وتاريخ عمر بن الوردى.. توفى عام ١٩٣١م.

جلستزير:

■ مستشرق مجرى.. له مؤلفات عن الاسلام واللغة العربية كتبها بالالمانية ومنها:

● تاريخ التشريع الاسلامى.

● وبحث فى الحديث النبوى.

● بحث فى اداب المناظرة والبحث عن الشيعة.

اضاءة

عميد الاستشراق فى المجر

د. عبد الكريم جرمانوس

■ كان الحاج عبد الكريم جرمانوس شخصية جديرة بالتقدير والاحترام من بين المستشرقين الأوربيين.. وكان يجمع بين وداعة العالم وتواضعه، وحب البحث والكشف عن الحقيقة والايمان بما يؤدى إليه العقل والدليل.

كان جرمانوس مثالا طيبا للانسان الذى يتمثل حقيقة الانسانية ويشعر بها بما انطوى عليه من شعور كريم بالاخاء والانصاف.

منذ سنوات كتب فى حماقة بلاده عن الاسلام يقول: انى وأنا الرجل الاوربى الذى لم يجد فى بيئته الا عبادة الذهب والقوة والسطوة الميكانيكية تأثرت اعمق التأثر ببساطة الاسلام وعظمة سيطرته على نفوس معتنقيه. ان الشرق الاسلامى سيبقى مستوليا على لبن بروحانيته ومثله العالية والاسلام حافظ دائما على مبادئه الداعية الى الحرية والاخاء والمساواة بين ابناء الجنس البشرى. إنه لا يوجد فى تعاليم الاسلام كلمة واحدة او عمل واحد من شأنه ان يعوق تقدم المسلم، أو يمنع زيادة حظه من النور والقوة والمعرفة، ولقد أخطأ المسيحيون إذ لم يفهموا الاسلام على حقيقته وبالتالى لم يتشبعوا بروحه. إن ما يميز الانسان عن الحيوان هو إدراكه أن فى الكون قوانين روحية تحكمه، وانه تسيره قوى غير محسوسة وهذه الحقيقة هى أساس كل دين ولكنه لا يوجد دين يؤكدها

أكثر من دين الاسلام .
ليس فى تعاليم الاسلام شىء لا يمكن تحقيقه عمليا، وهى مفخرة عظيمة يتميز بها عن سواه، إن احجار الزاوية فى بناء هذا الدين هى أن الناس أمام الله سواء، إن أوربا لم تعرف الاخاء بين الناس إلا بعد الثورة الفرنسية - ومن الناحية النظرية فقط - بينما دعا الاسلام اليه وطبقه المسلمون قبل ثورة فرنسا بنحو الف عام، ولقد كانت فكرة المساواة والديمقراطية من ابتكار القرن السابع عشر فى اوربا، بينما هى حقيقة من حقائق الاسلام وأصوله منذ نشأ واستمتع فى ظله كافة الناس بكافة الحقوق الانسانية، ومنح الاسلام المرأة حقوقا قانونية أكثر مما كان لها فى ظل المسيحية . . لقد وضع الاسلام حدا للنظرية التى كانت تعتبر الانسان وحده فى قبيلة أو فى شعب أو ابناء لغة من اللغات، وسما بالافراد الى آفاق انسانية فسيحة .

بعد تخرجه عمل فى تنظيم القسم الشرقى للمخطوطات العربية فى المتحف البريطانى وألف وهو فى لندن رسالة عن أرباب الحرف القديمة فى تركيا، ونال عليها جائزة علمية .

وترك لندن ليعمل أستاذا بأكاديمية العلوم الشرقية فى عاصمة المجر بالمدينة التى شهدت مولده ونشأته وذلك فى اوائل القرن العشرين .

واشترك فى الحرب العالمية الاولى ثم قضى ثلاث سنوات فى الهند، ودرس فى احدى جامعات كلكتا بناء على دعوة من الشاعر طاغور وأسس فيها قسما للدراسات الشرقية وقام هو بتدريس الثقافة الاسلامية، والقى محاضرات عديدة فى نفس المادة فى جامعات هندية مختلفة . . ثم دعته الكلية الاسلامية فى الهند عام ١٩٣١ لالقاء عدة محاضرات فيها عن الادب التركى الحديث وقد طبعت مذكراته التى ألقيت فيها .

وفى خريف عام ١٩٥٧ دعته مصر لالقاء محاضرات فى جامعتى القاهرة والاسكندرية كما حاضر فى جامعة دمشق أيضا . . وفى عام ١٩٥٨م سافر الى الهند للمرة الثانية وزار فنلندا عام ١٩٥٩ حيث حاضر فيها عن الآداب العربية وأم جموع المصلين من مسلمى بولندا فى صلاة الجمعة وألقى الخطبة عن الاسلام .

كتب موسوعة كبيرة تضمنت مختارات شعرة لمائة وخمسين شاعرا من الجاهلية الى اليوم . . وأعد كتابا عن شعراء المهجر بتكليف من جامعة حيدر آباد . . وكان جرمانوس يعرف اللغة اليونانية - واللاتينية والالمانية - والفرنسية - والانجليزية - والعربية - والتركية - والفارسية - والاوردية - وعددا من اللغات السامية .

■ وقد ازدهر الاستشراق فى المجر بجهوده الكبيرة ومن مؤلفاته :

١ - الشعر التركى - بالالمانية عام ١٩٠٦ .
٢ - الادب التركى الحديث - بالمجرية .
٣ - دراسات اسلامية بالانجليزية - كلكتا ١٩٢٩ .
٤ - دور الاتراك فى الاسلام بالانجليزية - جزءان كلكتا ١٩٣٣
٥ - يقظة الادب التركى جزءان بالانجليزية ١٩٣٣ .
٦ - الحركات الحديثة فى الاسلام بالانجليزية ١٩٣٠ - لاهور بالهند .
٧ - غرام فى الصحراء - القاهرة ١٩٣٧
٨ - الله اكبر - بالمجرية ١٩٣٦
٩ - حياة محمد بالايطالية - جزءان - ميلانو ١٩٣٨
١٠ - تجديد الروح العربية - بالمجرية ١٩٤٤
١١ - محمود تيمور والادب الحديث - لندن ١٩٥١ بالانجليزية .
١٢ - اصول الف ليلة وليلة بالانجليزية - لندن ١٩٥١ .
١٣ - روائع ادبية عربية مجهولة - لندن ١٩٥١ - بالانجليزية .
١٤ - الجغرافيون العرب - لندن ١٩٥٤ .
١٥ - اسباب تقدم الشعوب الاسلامية ١٩٥٣ بالانجليزية - لاهور .
١٦ - شعر ابن الرومى - بالانجليزية ١٩٥٧ .
١٧ - الادب العربى فى القرن العشرين بالمجرية ١٩٥٩ .

وسواها من مؤلفاته المطبوعة التى بلغت ستين كتابا .

الأزمنة التى نشط فيها الاستش

● الاستشراق كان دافعه الصراع الذى دار بين العالمين الاسلامى والمسيحى فى الأندلس وصقلية.

● الحروب الصليبية دفعت الأوروبيين الى الاشتغال بدراسة الاسلام والعربية وما يتعلق بالمسلمين والعرب من عادات وتقاليد وأعراف.



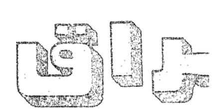
بقلم: الدكتور محمود حمدى زقزوق

■ من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب المسيحى يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمى بصدور قرار مجمع فيِنّا الكنسى عام ١٣١٢م بتعليم اللغة العربية فى خمس جامعات أوربية هى جامعات (باريس وأكسفورد وبولونيا وسلمنكا بالاضافة الى جامعة المدينة البابوية).

ولكن الاشارة هنا الى «الاستشراق الرسمى» تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمى قبل هذا التاريخ فضلا عن أن هناك باحثين أوروبيين لا يعتمدون التاريخ المشار اليه بداية للاستشراق. ولذلك تتجه المحاولات فى هذا الصدد لا الى تحديد سنة معينة لبداية الاستشراق وانما الى تحديد فترة زمنية معينة على وجه التقريب يمكن أن تعد بداية للاستشراق.

■ وهنا نجد أيضا أنه ليس هناك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق.. فبعض الباحثين يذهب الى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق، ترجع الى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى بينما يرى «رودى بارت» أن بداية الدراسات الاسلامية العربية فى أوروبا تعود الى القرن الثانى عشر الذى تمت فيه لأول مرة ترجمة القرآن الكريم الى اللغة اللاتينية عام ١١٤٣م ـ كما ظهر أيضا فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى عربى.

■ وما ذهب اليه بارت فى هذا الصدد سبق أن عبر عنه كتاب المستشرق جوستاف دوجا (تاريخ المستشرقين فى أوروبا من القرن



الثانى عشر حتى القرن التاسع عشر) الذى صدر فى باريس فى نهاية الستينات من القرن الماضى.

■ وهناك من الباحثين من يجعل بداية الاستشراق قبل ذلك بقرنين - أى فى القرن العاشر الميلادى.. ولعل هذا هو السبب الذى أدى بنجيب العقيقى الى أن يجعل كتابه عن المستشرقين فى أجزائه الثلاثة - سجلا للاستشراق على مدى ألف عام، بدءا من الراهب الفرنسى جربر دى أورالياك (٩٤٠-١٠٠٣م) الذى قصد الأندلس وتتلمذ على أساتذتها فى اشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره فى أوروبا ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ثم تقلد فيما بعد منصب البابوية فى روما باسم سلفستر الثانى (٩٩٩-١٠٠٣م).

■ وقد كان الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق يتمثل فى ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الاسلامى والمسيحى فى الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة الى اشتغال الأوربيين بتعاليم الاسلام وعاداته.

■ ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحله الاولى هو تاريخ للصراع بين العالم المسيحى الغربى فى القرون الوسطى والشرق الاسلامى على الصعيدين الدينى والايديولوجى - فقد كان الاسلام كما يقول ساذرن يمثل مشكلة بعيدة بالنسبة للعالم المسيحى فى أوروبا على كافة المستويات.

■ وقد أطلق ساذرن على هذه الفترة فى كتابه (نظرة الغرب الى الاسلام فى القرون الوسطى) عنوان «عصر الجهالة» وهو عصر كان أبعد ما يكون عن روح العلم والموضوعية وفى ذلك يقول ساذرن:

«على أن الشىء الوحيد الذى يجب أن لا نتوقع وجوده فى تلك العصور هوالروح المتحررة الأكاديمية، أو البحث الانسانى الذى تميز به الكثير من البحوث التى تناولت الاسلام فى المائة سنة الأخيرة».

وفى مقابل تلك الصورة البغيضة للاسلام كانت هناك جهود أخرى للوصول الى معرفة موضوعية فى مجال العلوم العربية مثل الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية.

■■ ويمكن القول بصفة عامة بأنه قد كان هناك فى هذه الفترة المبكرة للاستشراق اتجاهان مختلفان فيما يتعلق بالأهداف والمواقف إزاء الاسلام:

■ **أما الاتجاه الاول** فقد كان اتجاها لاهوتيا متطرفا فى جدله العقيم، ناظرا الى الاسلام من خلال ضباب كثيف من الخرافات والأساطير الشعبية.

■ **وأما الاتجاه الثانى** فقد كان - نسبيا بالمقارنة الى الاتجاه الأول - أقرب الى الموضوعية والعلمية، ونظر الى الاسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية والطب والفلسفة. ولكن الاتجاه الخرافى ظل حيا حتى القرن السابع عشر وما بعده - ولا يزال هذا الاتجاه للأسف حيا فى العصر الحاضر فى كتابات بعض المستشرقين عن الاسلام ونبيه.

■ وقد ساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية فى نهاية العصر الوسيط تلك الصلات السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التى اتسعت رقعتها حينذاك، وكان للروابط الاقتصادية لكل من أسبانيا وايطاليا مع كل من تركيا ومصر وسوريا أثر كبير فى دفع حركة الدراسات الاستشراقية.

■ وفى القرن السادس عشر وما بعده أدت النزعة الانسانية فى عصر النهضة الأوربية الى دراسات أكثر موضوعية من ذى قبل - ومن ناحية أخرى شجعت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التبشير.

■ وفى عام ١٥٣٩ تم انشاء أول كرسى للغة العربية فى الكولج دى فرانس فى باريس وشغل هذا الكرسى جيوم بوستل (ت١٥٨١) الذى يعد أول المستشرقين الحقيقيين.

● الفترة المبكرة للاستشراق أخذت اتجاهين مختلفين الاول كان لاهوتيا متعصبا والآخر كان أقرب إلى الموضوعية.

● اتساع رقعة الدولة العثمانية وروابطها الاقتصادية والسياسية مع مجموعة من الدول الاوربية كان عاملا كبيرا في دفع حركة الدراسات الاستشراقية.

● في نهاية القرن التاسع عشر أصبحت الدراسات الاسلامية تخصصا قائما بذاته داخل الحركة الاستشراقية العامة.

■ وقد أسهم كثيرا فى إثراء دراسة اللغات والشعوب الشرقية فى أوروبا.. وجمع فى الوقت نفسه أثناء رحلته الى الشرق مجموعة هامة من المخطوطات.. وقد سار على نهجه تلميذه جوزيف اسكاليجر (ت١٦٠٩).

■ وفى عام ١٥٨٦ أصبح من السهل طباعة الكتب العربية فى اوروبا عن طريق المطابع التى أقامها الكاردينال فريناند المديسى. وقد تم حينذاك طباعة كتب عربية مختلفة من بينها مؤلفات ابن سينا فى الطب والفلسفة.

■ وفى القرن السابع عشر نشط المستشرقون فى جمع المخطوطات الاسلامية.. وأنشئت أقسام جديدة للغة العربية فى أماكن مختلفة ومن بينها على وجه الخصوص: إنشاء كرسى اللغة العربية فى جامعة كمبردج عام ١٦٣٦م.

■ ومن بين الشخصيات التى كان لها أثر كبير فى ارساء دعائم الدراسات العربية فى أوروبا المستشرق توماس ارينيوس (١٥٨٤-١٦٢٤) الذى كان أول أستاذ يشغل كرسى اللغة العربية فى جامعة ليدن بهولاندا (١٦١٣م).

■ وقد استطاع عن طريق جهوده العلمية ومؤلفاته فى النحو العربى ان يجعل لهولندا مكان الصدارة فى الدراسات العربية فى اوروبا لما يقرب من قرنين من الزمان ـ ولكن رأيه فى الاسلام ونبيه وتعاليمه كان متفقا تماما مع ذلك النفور الذى كان سائدا حينذاك فى الغرب ازاء الاسلام بصفة عامة.

■ وقد شهدت نهاية القرن السابع عشر اتجاها آخر مختلفا استمر أيضا فى القرن الثامن عشر وقد نظر هذا الاتجاه الى الاسلام نظرة موضوعية محايدة فيها شيء من التعاطف مع الاسلام.

■ وقد كانت أول المحاولات العلمية الجادة للتعرف على الاسلام على يد مستشرق هولندى هو هادريان ريلاند (ت١٧١٨). فقد ألف كتابا باللاتينية عن الاسلام فى جزءين بعنوان (**الديانة المحمدية**) وصدر الكتاب عام ١٧٠٥ وأثار اهتماما عظيما لدرجة أدت الى اثارة الشبهات حول المؤلف بأنه يريد القيام بعمل دعائى للاسلام. ومن أجل ذلك أدرجت الكنيسة الكاثوليكية الكتاب فى قائمة الكتب المحرم تداولها.

■ وقد شهد القرن الثامن عشر أيضا نموذجا آخر رائدا فى عالم الاستشراق الألمانى ممثلا فى يوهان رايسكه (١٧١٦-١٧٧٤) الذى كان واحدا من عباقرة علماء العربية فى عصره وأول مستشرق ألمانى جدير بالذكر، واليه يرجع الفضل فى ايجاد مكان بارز للدراسات

العربية فى ألمانيا. وقد كان له موقف ايجابى من الاسلام.

■ وهكذا بدأ الاستشراق فى ذلك العصر يتخفف من أثقال اللاهوت وخفت حدة الاتهامات ضد الاسلام ولكن هذا الانفتاح الفكرى كان فى محصلته النهائية محدود الأثر.

■ أما عصر الازدهار الحقيقى للاستشراق فقد كان فى القرنين التاسع عشر والعشرين. ففى نهاية القرن الثامن عشر قامت الحكومة الثورية فى باريس عام ١٧٩٥ بانشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية وبدأت حركة الاستشراق فى فرنسا تتجه نحو اتخاذ طابع علمى على يد سلفستردى ساسى (ت ١٨٣٨) الذى أصبح إمام المستشرقين فى عصره.. واليه يرجع الفضل فى جعل باريس مركزا للدراسات العربية وكعبة يؤمها التلاميذ والعلماء من مختلف البلاد الأوربية ليتعلموا على يديه.

■ وقد أصبحت مدرسة اللغات الشرقية فى عهده تعد النموذج لمؤسسة الاستشراق العلمى والعلمانى وخاصة بعد أن كان قد تم فى القرن الثامن عشر انفصال الاستشراق عن اللاهوت فى كل من فرنسا وانجلترا.

■ وهكذا تشكل الاستشراق - كعلم - كما يقول رودى بارت - فى القرن التاسع عشر بعد تخليصه من سيطرة اللاهوت.

■ وفى نهاية القرن التاسع عشر أصبحت الدراسات الاسلامية

● اهتموا بلغات ولهجات العالم الاسلامى والعربى

● الرهبان كانوا من المهتمين بدراسة اللغة العربية ليعينوا أقوامهم على الشعوب العربية والاسلامية.

تخصصا قائما بذاته داخل الحركة الاستشراقية العامة.

■ وقد كان كثير من علماء الاسلاميات والعربية فى ذلك الوقت مثل «نولدكه.. وجولدتسيهر.. وفلهاوزن» مشهورين فى الوقت نفسه بوصفهم علماء فى الساميات على وجه العموم أو متخصصين فى الدراسات العبرية أو فى دراسة الكتاب المقدس.

■ وفى القرن التاسع عشر أيضا أنشأ المستشرقون فى مختلف بلدان أوروبا وأمريكا جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية.. ونشطت هذه الجمعيات فى اصدار المجلات والمطبوعات المختلفة.. كما شهد القرن التاسع عشر أيضا بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين التى تعقد بصفة منتظمة حتى الآن.

■ وقد كان للمد الاستعمارى فى العالم الاسلامى دور كبير فى تحديد طبيعة النظرة الغربية الى الشرق وبخاصة بعد منتصف القرن التاسع عشر. وقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه فى بلاد المسلمين.

■ ومن بين الذين عملوا فى خدمة الاستعمار من المستشرقين نخص بالذكر سنوك هورجرونيه فى هولندا، وبارتولد فى روسيا وكارل هينريشن بيكر فى ألمانيا - فضلا عن أن عددا من المستشرقين فى فرنسا وانجلترا كانوا يعملون مستشارين للوزارات المختصة بشئون الاستعمار.

■ وهكذا اتجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار - بعد الاستيلاء العسكرى والسياسى على بلاد المسلمين - الى اضعاف المقاومة الروحية والمعنوية فى نفوس المسلمين، وتشكيك المسلمين فى معتقداتهم وتراثهم حتى يتم للاستعمار فى النهاية اخضاع المسلمين اخضاعا تاما للحضارة والثقافة الغربية.

■ ولا يعنى انحسار المد الاستعمارى العسكرى عن العالم الاسلامى القضاء على الحركة الاستشراقية، فقد كان الاستعمار العسكرى مرحلة ارتبطت بها من غير شك جهود طائفة من المستشرقين - ولكن هناك طائفة

● منـذ نهاية القرن السابع عشر توجه الاستشراق فى بعض دراساته الى النظرة الموضوعية المحايدة للاسلام والى شىء من التعاطف معه.

● كتـاب (الـديـانة المحمدية) لمؤلفه هادريان ريلاند المستشرق الهولندى ادرجته الكنيسة الكاثوليكية فى قائمة الكتب المحرم تداولها.

● فى القرن التاسع عشر وبعد ان انفصل الاستشراق من سيطرة اللاهوت اتجه نحو الصفة العلمية.

أخرى لم ترتبط بالاستعمار، وليس يعنى ذلك بالضرورة أنها كانت منصفة للاسلام والمسلمين.

■ وهكذا عاش الاستشراق عصر ازدهاره منذ القرن الماضى والنصف الأول من القرن الحالى وشهدت تلك الفترة جيل العمالقة من المستشرقين وقد ظهرت الآن أجيال جديدة تسير على نفس الدرب وترسم خطى السابقين.

■ ويكاد يوجد اليوم فى كل جامعة أوربية أو أمريكية معهد خاص للدراسات العربية والاسلامية. وقد بلغ عدد المؤلفات التى ألفها المستشرقون عن الشرق منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب.

■ وقاموا بعمل الموسوعات، الاسلامية الكبرى والمعاجم الحديثية واللغوية ـ ولا يزال نشاطهم العلمى متواصلا حيث يعملون كفريق عمل لخدمة أهداف مشتركة.

■ وهذا كله يفرض علينا نحن المسلمين مسئوليات ضخمة فى سبيل المواجهة العلمية للمؤسسة الاستشراقية من أجل تصحيح المفاهيم واثبات الحضور الاسلامى على المستوى العلمى فى الغرب عن طريق الموسوعات والمؤلفات الاسلامية التى تعرض وجهات النظر الاسلامية لتكون ردا على الكثير من المزاعم الاستشراقية من ناحية، وتعريفا بالاسلام وحضارته لغير المسلمين من ناحية ثانية، وتثقيفا اسلاميا لأبناء المسلمين الذين يعيشون فى الغرب من ناحية ثالثة، وتحصينا ثقافيا لأبناء المسلمين الذين تتاح لهم فرصة الاطلاع على مؤلفات المستشرقين من ناحية رابعة.

كارل بروكلمان

أهم المراجع:

١ ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى: د. محمود حمدى زقزوق ـ من سلسلة كتاب «الأمة» بدولة قطر.
٢ ـ الدراسات الاسلامية والعربية فى الجامعات الألمانية تأليف رودى بارت وترجمة د. مصطفى ماهر ـ القاهرة ١٩٦٧م.
٣ ـ الاستشراق: تأليف إدوارد سعيد. ترجمة د. كمال أبو ديب ـ بيروت ١٩٨١م.
٤ ـ المستشرقون ـ تأليف نجيب العقيقى (٣ أجزاء) دار المعارف بالقاهرة ١٩٨١م.
٥ ـ نظرة الغرب الى الاسلام فى القرون الوسطى ـ تأليف ساذرن وترجمة د. على فهمى خشيم وزميله ـ طرابلس ليبيا ١٩٧٥
٦ ـ الاسلام فى الفكر الغربى. تأليف د. محمود حمدى زقزوق ـ دار القلم بالكويت ١٩٨٦م.

إدتيين دينيه

ولد (الفونس اتيين دينيه) فى باريس سنة ١٨٦١م وعاش - رحمه الله فناناً بطبعه مرهف الحس رقيق الشعور جياش العاطفة . . وكان صاحب طبيعة متدينة أيضا : كان كثير التفكير، جم التأمل يسرح فى ملكوت السموات والأرض.

كان فناناً يتملكه شعور دينى ، وكان متدينا يغمره ويسيطر عليه شعور فنى، وامتزج فيه الفن بالدين، فكان مثالا واضحاً للانسان الملهم.

نشأ من أبوين مسيحيين، وتلقن - بطبيعة الحال - العقائد المسيحية نظرياً ومارسها عمليا وذهب به أبوه - ككل مسيحى - الى التعميد، والى الكنيسة، فشب وترعرع على عقيدة التثلث والصلب والفداء والغفران. وعلى مر الزمن أخذت تستبين فيه طبيعته الفنية وأخذ يستولى عليه شعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية.

إن الفنان يتصور الخلود فى دقة لا تتأتى لغير ذوى الشعورالفنى، ويتمنى الخلود ويريده ويعمل جاهداً لتكتب لوحاته فى سجل الخلود، فتسمو على الزمن، وترتفع عن حدود ما يتناهى.

وأصحاب الطبائع الدينية يفكرون فى الخلود ويتمنونه ويريدونه، ويعملون جاهدين لكشف المعمى فيما يتعلق بمصيرهم الأبدى.

وكان «دينيه» يفكر فى لوحاته، ويفكر فى مصيره، ويعمل جاهداً ليبلغ الذروة فى الفن، ويعمل جاهداً لإزالة الظلمة المتكاثفة فى دائرة اللانهاية وكانت هناك وسائل - للصقل لا للإيجاد - الطبيعة الفنية، والاتجاه بها نحو الكمال، وفى ذلك ما يطمئن نوعاً ما وفى ذلك علاج - بعض العلاج - للقلق فيما يتعلق بالفن، وقد جد «دينيه» فى استكمال وسائل الصقل، النظرية منها والعملية واتخذ لذلك الأسباب، وأحس من هذه الجهة ببعض الطمأنينة.

ولكن ما العلاج لطبيعته الدينية القلقة؟ ليس لذلك من علاج سوى البحث والتأمل وإطالة التفكير فى الكون، فى النصوص المقدسة، وفى العقائد التى يدين بها الوسط المباشر والبيئة المحيطة. . وفكر «دينيه» فى المسيحية وفى الكنيسة وفى البابا المعصوم وفى عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران.

ويدور رأس دينيه، فلا يكاد يرى بارقة من أمل فى أن يهتدى إلى الحق فى كل ذلك. . وهل فى ذلك من حق؟ . . وهل فى الظلمة من نور. . ومع ذلك فلم ييأس، بل أعاد قراءة الأناجيل من جديد محاولا جهده أن يراها تتسم بسمة الحق، فيؤمن بابن الله، وبالكاثوليكية، ولكنه رأى فيها ما يتنافى مع الصورة المثلى للانسان الكامل فضلا عن الصورة التى تريد المسيحية أن توحى بها.

■ وقد ذكر العالم المسيحى المتدين «بارتلمى سان هيلار» فى سياق حديثه عن القرآن:

«إن العرب هم الذين يرجع اليهم الفضل على سادات أوربا وفرسانها فى القرون الوسطى، فى تعديل عاداتهم الخشنة وتلطيفها ثم تعليمهم رقة العاطفة وتهذيب نفوسهم، والرفعة بها الى حيث الانسانية والنبالة، وكل ذلك دون أن يصيبهم ضعف يفقد من فروسيتهم وشجاعتهم شيئاً».

ويخطىء من يظن أن هذا راجع الى المسيحية وحدها برغم ما فيها من المزايا والفضائل.

وأسلم (إتيين دينيه) واختار اسم «ناصر الدين» وإن هذا الاختيار لهو الذى يحدد اتجاهه بعد ذلك خير تحديد.. ناصر الدين: إنه حقاً خصص حياته لنصرة الدين الاسلامى، ورأى أن نصرته إنما تكون عن طريقين:

(أ) نصرته سياسيا.

(ب) نصرته علميا.

فإن عنصرين من عناصر الشر يتألبان على الاسلام، ويهاجمانه فى عرينه، وهما: رجال السياسة الاستعماريون، ورجال الدين المتعصبون.

ولابد ـ لتكون نصرة الاسلام كاملة ـ من أن يتجه الدفاع نحو الهدفين وتطلع ناصر الدين نحو الغاية التى يريد أن يسعى اليها فهاله الأمر، وكتب معبراً عن الواقع يقول:

«إن أهل السوء من أهل الكتاب لا ينفكون يهاجموننا نحن المسلمين بالأباطيل، ويحاربوننا بالمفتريات.. وإذا نحن شئنا أن نحصى أكاذيبهم علينا، كانت فيها صفحة هى أسود الصفحات فى سجل التعصب، يشترك فى تسويدها أعداء الإسلام قديمهم وحديثهم، سواء منهم العلماء، والرواد والقساوسة، ورجال الحكومة والكتاب، أمثال بيرون وبلجراف، وجلادستون، وبرجليوس، وقسيس كانتربرى، والأب لامنس، والكاتب لوى برتران سرفييه.. وغيرهم.

■ **ومن امثلة ما كان يذيعه مثلا ما يلى:**

«ونشر أخيراً المسيو «**أوجين يونج**» وكيل حكومة التونكين الفرنسية سابقاً كتابا عنوانه: «**استعباد الاسلام ـ الحرب الصليبية الجديدة**». وهذا الكاتب معروف بأنه من الكاثوليك المتمسكين بدينهم، ولكنه معروف كذلك بأنه فرنسى من خيرة الفرنسيين، وقد أنكر فى كتابه هذا، فى كبير شجاعة وصراحة تلك الحروب الصليبية الجديدة التى يقوم بها اليوم «**الفاتيكان**» ذلك المركز الرئيسى المقدس، حيث البابا الحبر الأعظم للمسيحية، وقد أظهر أنهم يقومون بذلك دون أن يفت فى عضدهم ملل أو كلل، أو أن ينال منهم أى تهاون أو كسل، وإنما يقومون به من وراء ستار المداهنة، وفى ثوب من الرياء يشف عما تحته.

● **ومما جاء فى كتاب المسيو «يونج» قوله:**

«إننا نهيىء من اليوم مقدمات حرب دينية، شديدة الفزع والهول». ثم أظهر أن مصالح فرنسا الحيوية إنما هى فى التفاهم والاتفاق الودى مع الاسلام، وإنا لنرجو أن يكون لكلام هذا الفرنسى الكبير صدى بعيد وأثر محمود فى مصلحة فرنسا، والاسلام على السواء».

أخذ دينيه ينشر ما يصحح فكرة الأوربيين عن الشعوب الاسلامية، ويبين أنها شعوب بعيدة كل البعد عن الهمجية والتوحش، وأنها تمتاز بالوفاء وعرفان الجميل والكرم والشجاعة والفضائل المحمودة، ويبين أن ماضيها المجيد خير نبراس يرسل أشعته على الفكرة الخاطئة الموجودة عند الغربيين، فيزيل ما غشى عليها من ظلمة.

■ **التعريف ببعض كتبه:**

ومن كتبه فى ذلك:

١ ـ الرسالة القيمة «أشعة خاصة بنور الاسلام» وقد ترجمها ترجمة أدبية ممتازة الأستاذ راشد رستم، وهى رد على الفكرة التى يذيعها القساوسة القائلة: «إن الاسلام لم يأت بجديد وقد انتفعنا بها انتفاعا غظيما وكانت لنا خير عون فى عملنا الحالى.

٢ ـ وآخر ما ألفه هو كتاب «الحج الى بيت الله الحرام» وقد ترجمت خاتمته ونشرت فى مجلة جمعية الشبان المسلمين، بقلم الأستاذ: م. توفيق أحمد.

٣ ـ «الشرق كما يراه الغرب» وقد ترجمه الاستاذ عمر فاخورى، ونشر بدمشق مع رسائل أخرى تحت عنوان «آراء غربية فى مسائل شرقية».

٤ ـ ومن أهم كتبه ما جعله تاريخاً لحياة الرسول عليه السلام ـ وهو السيرة النبوية ـ فى مجلد كبير جليل، وضعه باللغة الفرنسية مع صديقه الجزائرى الحميم، السيد الفاضل سليمان بن ابراهيم، وزينه بالصور الملونة البديعة الكثيرة المتعددة من ريشته الخاصة، يمثل فيها المناظر الاسلامية فى بلاد الجزائر ومعالم الدين فيها.

وطبعه طبعاً غاية فى الاتقان والعناية، وقدمه لأرواح الجنود الاسلامية التى استشهدت فى الحرب الكبرى، وهى تحارب فى صفوف الفرنسيين ونشره كذلك باللغة الانجليزية، بنفس الحجم الكبير، والاتقان التام.

والكتاب فى طبعتيه: قد تحلى بمختلف أنواع اللوحات الزخرفية الملونة ذات الاشكال العربية، غاية فى الدقة والابداع، وهى اللوحات التى قام بعملها خاصة السيد «محمد راسم» الجزائرى، أشهر رجال الزخرفة العربية ببلاد الجزائر، وإنها لخدمة جليلة للاسلام والمسلمين.

■ **وفاته:**

استمر ناصر الدين طيلة حياته يناضل عن الاسلام كدين ويناضل عن المسلمين كشعوب، ويضع روحه وشعوره ووجدانه فى هذا الدفاع المجيد حتى ليكاد الاخلاص يتجسد خلال ما يسطر من عبارات.

وفى سنة ١٩٢٨م قام السيد ناصر الدين بأداء فريضة الحج، ووضع كتابه: «الحج الى بيت الله الحرام».

وفى ديسمبر سنة ١٩٢٩، توفى بباريس وصلى عليه بمسجدها الكبير بحضور كبار الشخصيات الاسلامية وغيرها، ثم نقل جثمانه الى بلاد الجزائر حيث دفن فى المقبرة التى بناها لنفسه ببلدة «بوسعادة» تنفيذاً لوصيته.

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الاسلام والمسلمين خيرا.



قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون

صدق الله العظيم

الزمر ٣٩ : ٩

جهود المستشرقين
في تحقيق التراث العربي

■ *عُني المستشرقـون عامة بنشر تراثنا العربي المخطوط، وتحقيقه وفهـرسته، وكان المستشرقون الألمان خاصة من السابقين الأولين في ذلك. كانوا أكثر انتاجا وأوفر نشاطا. وما نزال حتى يومنا مدينين لهم بتحقيق نصوص كثيرة في اللغة.. والشعر، والأدب والنحو.. والتاريخ والجغرافيا وكتب البلدان والرحلات.. والقراءات القرآنية.. والفقه والفلسفة.. والفِرَق.. والطب والعلوم.. وغير ذلك مما لم يتح لعلماء العرب تحقيقها الى اليوم.. وكان فيهم من صرف عمره لدراسة المخطوطات العربية والبحث عن أماكن وجودها والتعريف بها واصدار الفهارس لها بشكل لم يُتَحْ إلا للقلائل من علماء العرب.*



بقلم: الدكتور صلاح الدين المنجد

■ ومن المؤسف أن الحماسة الغوغائية التي ظهرت في بعض البلدان العربية ضد المستشرقين عامة لم تكن منصفة. فنحن لا ننكر أنه ظهر في المستشرقين مَنْ لم يكن متمكنا من العربية فأخطأ.. ولا ننكر أنه ظهر بينهم ـ وخاصة في الدول التي استعمرت البلاد العربية والاسلامية ـ مَنْ سخَّر دراساته للطعن في الاسلام أو تفسيره تفسيراً غير صحيح يخالف العقيدة الاسلامية ويخدم أهداف دولهم السياسية.. ولكن الى جانب هؤلاء ظهر فريق كبير أوتي السعة في العلم.. والتمكن من العربية.. والدقة في التحقيق.. والاخلاص في البحث.. فكانت أعمالهم نافعة ودراساتهم مثمرة ـ

تشرقين

فالتعميم فى الطعن على المستشرقين غير صحيح ولا عادل. ولقد ظهر فى بعض أدباء العرب ومفكريهم المعاصرين ومحققي النصوص من انحرف فى رأيه انحرافاً مشبوهاً أو أخطأ خطأ واضحاً، او لم ينهج فى تحقيقه التراث الطريق السوى رغم شهرته. فهل يعني هذا أن جميع العلماء العرب ومفكريهم ومحققي النصوص هم جهلاء أو أعداء للعرب وللاسلام؟.

■ فالانصاف يقضى أن نعطي كل واحد حقه.. وأن نشيد بالمصيب والمتقن ونشكره ـ وننوه بالمخطىء أو المتجني ونصحح أخطاءه.. أما الشتم والطعن فهما سلاح الضعفاء الجهال.

ولست فى مقالي هذا بصدد توضيح ذلك كله بالتفصيل فقد يحتاج الى كتاب قائم بذاته. ولكني أردت تبيان ناحية واحدة تتعلق بما نشر المستشرقون من نصوص.

■ وقد رأيت أن أبدأ بالمستشرقين الألمان لأنهم كانوا أكثر المستشرقين عناية بتحقيق تراثنا العربي حسب نهج دقيق. فوضعتُ مسرداً يشمل جميع المؤلفات العربية التى حققوها ونشروها ـ التى عرفتها أو ضمت مكتبتي الخاصة نسخاً منها، وكنت أود أن أذكر نبذة عن كل مستشرق منهم وتاريخ صدور الكتاب. لكني رأيت أن ذلك لا تتسع له مقالة في مجلة. فاكتفيت بذكر اسم الكتاب واسم المستشرق الذي حققه كما يُكتب باللغة الألمانية. على أن ننشر فيما بعد ما نشره وحققه المستشرقون الآخرون.

١ ـ الدواوين الشعرية والقصائد:

١٢ أرجوزة لرؤبة بن العجّاج	R. Geyer
أرجوزتان للعجّاج	R. Geyer
أشعار الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي	G. Freytag
أشعار الهُذليّين	J. Kosegorten
أشعار الصنوبري	G. Schoeler
الأصمعيات	W. Ahlward
حماسة كعب بن زهير	G. Freytag
ديوان ابن المعتز	B. Lewin
ديوان أبي نواس	R. Ghlword
ديوان أبي نواس	E. Wagner
ديوان أوس بن حجر	R.Geyer
ديوان الأراجيز: للعجاج، والزفيان	W. Ahlward
ديوان الراعي النميري	R. Weipert
ديوان حاتم الطائي	F. Schultens
ديوان العجاج	W. Ahlward
ديوان عروة بن الورد	T. Noeldeke

ديوان عنترة	H. Torbecke
ديوان الفرزدق	J. Hell
دواوين الشعراء الهذليين	J. Hell
العقد الثمين في دواوين ستة من الشعراء الجاهليين	W. Ahlward
ديوان القطامي	J. Barth
شعر يزيد بن معاوية	P. Schwarz
شعر معن بن أوس المزني	P. Schwarz
طبقات الشعراء لابن سلاّم	J. Hell
قصائد في الغزل لأبي صخْر الهُذلي	J. Wellhausen
قصائد أبي الفرج الببّغاء	PH. Wolf
قصيدة الأعشى في مدح النبي ﴿ﷺ﴾	H. Torbecke
معلقة الأعشى	R. Geyer
معلقة امرىء القيس بشرح الزوزني	E. Hengstenberg
معلقة امرىء القيس بشرح النحاس	E. Frankel
معلقة امرىء القيس	August miiller
معلقة الحارث بن حِلّزة بشرح الزوزني	J. Wullers
معلقة طرفة بن العبد بشرح الزوزني	J. Wullers
معلقة طرفة بن العبد بشرح النحاس	J. Reiske
معلقة عمرو بن كلثوم	F. Ruckert
معلقة عمرو بن كلثوم بشرح مخطوطات باريز	J. Kosengarten
معلقة زهير بن أبي سلمى بشرح النحاس	J. Hausheer
المفضليات للضبي	H. Torbecke
منتخبات لأشعار عربية	T. Noldeke
ديوان لبيد	C. Brockelmann
ديوان المتلمِّس برواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي	K. Wolleres

٢ ـ كتب الأدب واللغة والنحو:

أدب الكاتب لابن قتيبة	M. Grünert
أسرار العربية للأنباري	C. Seybold
أسرار البلاغة للجرجاني	H. Ritter
أسماء الوحوش وصفاتها للأصمعي	R. Geyer
الاشتقاق لابن دُرَيْد	H. Wustenfeld
الف ليلة وليلة	M. Habicht
ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل	F. Dietrici
الحكايات العجيبة للجهشياري	H. Wehr

درة الغواص للحريري	H. Torbecke
رسالة ابن زيدون الى ابن عبدوس	J. Reiske
كتاب الشجر لابن خالويه	S. Naylberg
شرح المفصل للزمخشري لابن يعيش	Jahn
العاطل الحالى والمرخص الغالي للحلّي	W. Hoenerbach
عيون الأخبار لابن قتيبة	C. Brockelmann
المحاسن والمساوىء للبيهقي	F. Schevally
مختصر التصريف الملوكي لابن جني	G. Hoberg
مسائل فى النحو أجاب عنها ابن يعيش	R. Seillheim
المعرّب للجواليقي	C. Sachaw
مقامات الحريري	F. Ruckert
الملاحن لابن دُرَيْد	H. Torbecke
نور القبس للمرزباني	R. Seillheim
التصريف الملوكي لابن جني	G. Hoberg

٣ ـ كتب التاريخ والسير والتراجم والسياسة

الآثار الباقية عن القرون الخالية ـ للبيروني	C. Sachau
أخبار مكة للأزرقي وابنه	F. Wustenfeld
أخبار مكة للفاكهي	F. Wustenfeld
أخبار مكة لابن ظهيرة	F. Wustenfeld
الاكليل فى أنساب حمير للهمداني	H. Müller
أنساب الاشراف للبلاذري	W. Ahlward
بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد	C. Johansen
تاج التراجم فى طبقات الحنفية لابن قطلوبغا	G. Flugel
تاريخ مكة للقطبي	F. Wustenfeld
تاريخ المدينة للسمهودي	F. Wustenfeld
تاريخ أبي الفداء	J. Riske
تاريخ سني ملوك الأرض للأصفهاني	J. Gottwaldt
تاريخ الطبري	T. Noldeke
تاريخ الطبري	H. Torbecke
تاريخ الطبري	G. Kosegarten
تحفة الوزراء المنسوب للثعالبي	R. Heinecke
تحقيق ما للهند من مقولة	C. Sachau
ك. الردة لوثيمة	W. Hoenerbach
رسالة أبي دلف مسعر بن مهلهل	K. de Scholozer
رسالة المقريزي عن القبائل العربية	F. Wustenfeld

السيرة لابن اسحق	F. Wustenfeld
طبقات ابن سعد	K. Brockelmann
	C. Sachau
	J. Lippert
	J. Lippert
أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي	F. Wustenfeld
طبقات الحفاظ للذهبي	A. Müller
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء	G. W. Freytag
فاكهة الخلفاء لابن عربشاه	W. Ahlward
الفخري فى الآداب السلطانية	H. R. Roemer
كنز الدرر وجامع الغرر للدواداري، ج٩	U. Harmann
كنز الدرر وجامع الغرر للدواداري، ج٨	F. Wustenfeld
لباب الانساب للسمعاني، تهذيب ابن الأثير	F. Wustenfeld
مختلف القبائل ومؤتلفها، لابن حبيب	C. F. Seybold
المرصع فى الآباء والأمهات لابن الأثير	F. Wustenfeld
المعارف لابن قتيبة	C. Becker
مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي	G. W. Freytag
المنتخب من تاريخ حلب لابن العديم	C. F. Seybold
نقط العروس لابن حزم	H. Von Mzik
الوزراء والكتاب للجهشياري	C. Brockelmann
الوفا فى فضائل المصطفى لابن الجوزي	F. Wustenfeld
وفيات الأعيان لابن خلكان	F. Wustenfeld
ولاة مصر للكندي	G.W. Freytag
المنتخب من تاريخ حلب	
المرصّع فى الآباء والأمهات، والبنين والبنات، والأذواء والذوات لابن الأثير الجزري	C.T. Seybold
الاكليل فى انساب حمير لابن الحائك الهمداني	H. Müller

مؤلفات فى الجغرافيا والبلدان والفتوح

معجم البلدان لياقوت الحموي ٦ مجلدات	F. Wustenfeld
معجم ما استعجم لأبى عبيد البكري	F. Wustenfeld
صور الأقاليم للاصطخري	H. Muller
صفة جزيرة العرب للهمداني	H. Muller
المشترك وضعاً والمختلف صقعاً لياقوت	F. Wustenfeld
عجائب المخلوقات للقزويني	F. Wustenfeld
تحفة الدهر فى عجائب البر والبحر لابن ابى طالب الانصاري الدمشقى	C. M. Frahen

فتوح البلدان للبلاذري	بدأ به Ahlward ثم اتمه De Goeje
آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني	F. Wustenfeld

الرحـــلات :

رحلة ابن فضلان الى بلاد الروس	C.M. Frahen
رحلة ابن بطوطة	G. Kosegarten
التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية لعبد الغني النابلسي	H. Busse
رحلة الى طرابلس الشام للعطيفي	S. Wild

فهارس الكتب :

الفهرست لابن النديم	G. Flugel
كشف الظنون فى أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة	G. Flugel

مؤلفات فى القرآن والقراءات والتفاسير:

الايضاح فى الوقف والابتداء لأبي بكر الابناري	G. Bergstrasser
غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزري	G. Bergstrasser
معاني القرآن لابن الفراء	G. Bergstrasser
مختصر الشواذ فى القراءات لابن خالويه	G. Bergstrasser
التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الداني	O. Pretzl
المقنع فى رسم مصاحف الامصار	O. Pretzl
تفسير القرآن انوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي	H. Fleischer
نجوم الفرقان فى أطراف القرآن	G. Flugel

مؤلفات فى الفقه :

إذكاء الحقوق والرهون	J. Schacht
الحيل والمخارج للخصّاف	J. Schacht
الحيل فى الفقه للقزويني	J. Schacht
المخارج فى الحيل للشيباني	J. Schacht
اختلاف الفقهاء للطبري	J. Schacht

مؤلفات فى الأذكار النبوية وأحوال الآخرة:

الكلم الطيب من أذكار النبي ﴿ﷺ﴾ لابن تيمية	H. Wiessel
أحوال يوم القيامة ، لعبد الرحيم بن أحمد القاضي	M. Wolf

مؤلفات فى الأديان والفرق :

البيـان الـواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري	F. Fribs

فرق الشيعة للنوبختي	H. Ritter
النقط والدوائر من كتب الدروز وبذيله كشف الحقائق لحمزة بن على	C. F. Seybold
قطعة عن المعتزلة :	Fuck
أخبار عمرو بن عبيد المعتزلي	Van Ess

مؤلفات في الفلسفة والتصوف: :

آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي	F. Dietrici
الالهيات والسمعيات من المواقف للأيجي	T. Soerensen
الايضاح فى الخير المحض لأرسطوطاليس	O. Bardenhewer
ترجمة ذاتية لابن الهيثم	A. Heinen
تعريفات الجرجاني	G. Flugel
الثمرة المرضية فى الرسائل الفارابية	F. Dietrici
غاية الحكيم للمجريطي	H. Ritter
فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال لابن رشد	M. Muller
قاطيغوريا، أي المقولات. رواية اسحاق بن حنين	C.F. Seybold
رسالة الطير لابن سينا بشرح السهرودري	O. Spies
رسالة أرسطوطاليس الى الاسكندر في السياسة	J. Lippert
كتاب باتنجل، للبيروني	H. Ritter
كتاب من أناب الى الله للمحاسبي	H. Ritter
مشارق أنوار القلوب، لابن الدباغ	H. Ritter
تعريفات السيد الشريف الجرجاني	G. Flugel
تائية ابن الفارض	H. Purgstall
مختارات من رسائل إخوان الصفا	F. Dietrici
مقتطفات عربية من برقلس الافلاطوني، المعروف (بمبادىء الإلهيات)	G. Endress
مقولات لأرسطاطاليس فى التوحيد	F. Dietrici
ما بعد الطبيعة (رسالتان) لبهمينار بن المرزبان	Popper
كشف مناهج الادلة من عقائد الملة	M. Muller

مؤلفات فى العلوم:

كتاب الأحجار لأرسطوطاليس ترجمة ابن سرابيون	Ruska
البركار التام لأبي سهل القوهي	F. Woepcke
البركار التام وكيفية التخطيط به لمحمد بن الحسين	F. Woepcke
براهين الجبر والمقابلة للخيام	J. Barmann
مقالة في (الضوء) لابن الهيثم	F. Woepcke

الفخري فى الجبر والمقابلة لمحمد الكرجي	F. Woepeke
الهيئة السنية في الهيئة السنية للسيوطي	A. Heinen
سر الخليقة وصنعة الطبيعة ـ كتاب العلل لبالينوس الحكيم	Ursula Weisscher
خلاصة الحساب والهندسة للبهاء العاملي مع ترجمة ألمانية . ط . برلين .	G.H. Nesselmann
مقالة فى الضوء لابن الهيثم	Barmann

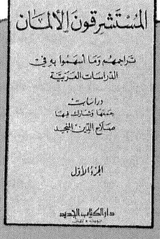
مؤلفات طبية :

خمس رسائل لابن بطلان وابن رضوان	M. Meyerhof
شرح أسماء العقار لموسى بن عبيد الله الاسرائيلي	M. Meyerhof
طب العيون لابن سينا	Hirschberg بمعاونه Lippert
المنتخب فى علاج العيون للموصلي	Hirschberg
مختصر كتاب الأدوية المفردة للغافقى	M. Meyerhaf
عشر مقالات في العين لاسحاق بن حنين	M. Meyerhaf
مناظرة طبية بين ابن بطلان وابن رضوان	M. Meyerhaf

* * *

وأعتقد ان هذا المسرد ـ رغم أنه ليس كاملا ـ يوضح جهود المستشرقين الألمان فى تحقيق التراث ونشره. ولعلنا نستدرك ما فاتنا فيها بعد.

وستطرق فى مقال آخر، إن شاء الله، الى نهج المستشرقين الألمان فى تحقيق النصوص العربية، وتقييم ما حققوه.



الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد له إسهامات علمية فى مجالات عدة . . وله جمهرة من المؤلفات وهذا الكتاب يأتى ضمن دراساته وبحوثه فى الاستشراق .

ليسوا سواء

بقلم: الاستاذ احمد محمد جمال

● إن القرآن يتضمن بين دفتيه كل ما تحتاج إليه الانسانية فى ارتقائها وكمالها المعنوى..

(الكونت إدوار كبوجا)



■ الاحظ - دائما - فيما ينشر الآن من مقالات او دراسات حول اعمال التنصير التى تقوم بها المؤسسات المسيحية.. أن كتاب هذه المقالات والدراسات يعممون الحكم على كافة المستشرقين بأنهم اعداء الاسلام، وانهم حاسدون له، وحاقدون عليه.

وكانت وجهة نظرى - ومازالت - أن هناك طائفة من المستشرقين انصفت الاسلام وكتابه ونبيه ﴿ﷺ﴾ وتحدثت عن ذلك كله بصدق واقتناع - وأورد هنا بعضا من اعترافاتهم:

الاعتراف بعظمة القرآن:

●● يقول الاستاذ (فينى) «ان القرآن ليس كتابا دينيا فقط، بل هو كتاب علم وآداب وسياسة واجتماع.. حتى انه يرشد الانسان الى وظائفه اليومية».

●● ويقول الاستاذ (ادوار جيبون): «ان القرآن معترف به من حدود الاوقيانوس الاطلنطيكى الى نهر الكانج: انه الدستور الاساسى ليس لاصول الدين فحسب، بل للاحكام الجنائية والمدنية والشرائع التى عليها مدار حياة البشر وترتيب شؤونهم».

●● وينفى (ريتشارد وود) ما يقال عن القرآن من انه حائل دون النهوض بالانسان والارتقاء بفكره وحياته، قال: «القرآن يتضمن أحكام الدين، وفى الوقت نفسه يتضمن الامور المدنية والشؤون السياسية».

ويقول ريتشارد وود نفسه: «إن كثيراً من المستشرقين يزعمون ان المسلمين لن يتقدموا ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التى لا تتلاءم - بزعمهم - مع المعارف والفنون الحديثة. وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصد القرآن ويكفى برهانا على بطلانه تأريخ صدر الاسلام، وعناية علماء العرب بالعلوم والفنون، ودراستهم لكتب العلماء الاقدمين».

●● وتقول الدكتورة لوريا فاليرى:

«إنَّ أسلوب القرآن فريد فى بابه، وليس له مثيل سابق فى الأدب العربى، ويقع من النفس البشرية موقعا صحيحا لا تصنّع فيه ولا افتراء ولا تشويه ولا استكراه».

ثم تضيف الدكتورة لوريا:

«ان آيات القرآن كلها ـ وتأملوا لفظة «كلها» على جانب عظيم من الفصاحة حتى ما كان منها خاصا بالأوامر والنواهى التى يجب ان تكون فى اسلوب هادىء. . كما ان سيرة الانبياء واوصاف بدء الخلق ونهايته والاحكام وصفات الله وخصائصه، كل ذلك يتكرر ذكره فى هذا الكتاب العجيب بأشكال وصور متعددة ولكن دون ان يفقد شيئاً من روعته ومكانته».

«وكذلك الانتقال من موضوع الى موضوع فى القرآن يحصل كثيرا ولكن دون ان ينحط التعبير عن مستواه ومن غير ان تقل حلاوته. . ان التعمق وسلامة التعبير صفتان ظهرتا بجلاء فى القرآن كما ان جميع صور البلاغه نجد لها تطبيقا كاملا فى هذا الكتاب العجيب، فكيف يقال والحالة هذه بانه من صنع محمد؟».

الاعتراف بالتسامح مع اهل الكتاب:

●● ويقول غوستاف لويون مؤلف كتاب (حضارة العرب): «رأينا من آى القرآن الكريم ان مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة الى الغاية. . وانه لم يقم بمثلها مؤسسو الاديان التى ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص. . كما رأينا كيف سار خلفاؤه على سنته. وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء اوروبا المرتابون او المؤمنون القليلون الذين أنعموا النظر فى تأريخ العرب».

● إن دين محمد قد أكد منذ الساعة الأولى لظهوره انه دين يصلح لكل جنس وصنف، ولكل عقل وعصر، ولكل درجة من درجات الحضارة. .

(د. ريتين)

●● ويقول روبرتسن: «إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو اتباع الأديان الاخرى. . وانهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه احراراً فى التمسك بتعاليمهم الدينية».

■ ان المنصف لا يتبين قيمة ما قدمه الاسلام للانسانية فى مجال التسامح مع المخالفين فى الدين ما لم يدرس ماذا قدمته العقائد او (الايديولوجيات) العلمانية المعاصرة والعقائديون الجدد فى هذا المجال.

■ «إن **القسوة والاضطهاد. . والتعذيب والتنكيل. . والتشريد والتقتيل والابادة الجماعية والارهاب المستمر الذى تمارسه الشيوعية**. . كل هذا لا يقع شذوذا او فلتة او نزولا على حكم الضرورة بل يمثل سياسة ثابتة دائمة قائمة على فلسفة نظرية لا تكتفى بتبرير العنف فقط بل توجهه وتحتمه وتجعله من فرائض الثورة ولوازمها».

«ولقد ارتكب الشيوعيون فى روسيا من الفظائع والمذابح، عند القيام بثورتهم وبعدها ما لايخطر ببال، وما يفوق كل خيال. حتى ان بعض معاونى (لينين) مؤسس الدولة الشيوعية الاولى فى هذا العصر ـ اخذوا يتذمرون من التضحيات الكبرى بالدماء والارواح التى نتجت عن الحرب الاهلية، فلما كلموه فى ذلك كان جوابه بكل بساطة: (ليس للأمر اهمية ابداً إن مات ثلاثة ارباع الانسانية، ان ما يهمنا هو أن يصبح الربع شيوعيا).

«اما ما وقع فى عهد ستالين من مجازر وفظائع، وما شهده الشعب من حمامات الدم وحملات التطهير المتلاحقة. . فحدث ولا حرج، وقد جرت به انهار الصحف وتناقلته أنباء العالم فى عهد خروشوف».

المستشرقون يردون على العلمانيين

ولعل القراء يذكرون ما يردده بعض العلمانيين اليوم من ان الشريعة الاسلامية ـ والقرآن

مصـدرها الاول ـ كانت مقصورة على حالات العرب الساذجة .

●● وهـا هو الـدكتـور (بنـوه) الفرنسي يرد على هؤلاء العلمانيين المفترين على الاسلام وكتابه حيث يقـول: «ان نصـوص بعض آى الكتاب الموحى به الى محمد منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا تتناسب وأحد مبادىء العلوم العصرية، وكان من جراء هذه الملاحظات ان آمنت نهائيـا» . ويقـول الكـونت ادوار كبوجا: «ان القرآن يتضمن بين دفتيـه كل ما تحتـاج اليـه الانسـانيـة فى ارتقـائهـا وكـمالهـا المعنـوى» . . ويقـول الـدكتـور ريتين: «إن دين محمد قد أكد منذ الساعة الاولى لظهوره أنه دين عام يصلح لكل جنس وصنف، ولكل عقـل وعصـر، ولكـل درجـة من درجات الحضارة» .

وحتى النساء المستشرقات يعترفن بعبقرية الاسلام:

تقـول الكـاتبـة البريطـانيـة (ايفلين كويلد) «كنت طفلة عندما كان والدى يعيش فى قصر عربى بالجـزائـر، وكنت يومـذاك كثيرة الرغبـة فى الـذهـاب الى المسجد لاستمتع بما يغمره من حياة روحية لطيفة زاهية . ثم تناسيت مع الايام بعـد مغادرتى للجزائر صلاتى فى المسجد ـ وذهبت الايام بما كنت قد تعلمته من مبادىء اللغة العربية» .

ورحت أقـرأ عن «الاسـلام» وكلما امعنت فى القراءة ازداد ايمانى بان الدين الاسلامى اكثر الاديان طواعية وعملية وقربا الى العقل، وانـه الدين الوحيد الذى يستطيع تفسـير النظم الحـاضرة، والبلوغ بالانسان الى ما ينشده من طمأنينة وسلام .

«وقـد زرت المسجـد النبـوى الشـريف، ووقفت أمـام القـبر الطـاهـر مذهولة باكية من خشية الله، متأثرة بعبقرية هذا الرسول العظيم ﴿ﷺ﴾ الذى تحمل الكثير فى سبيل خير الانسانية .

ولاحظت ان الناس لا يصلون باتجـاه القـبر النبـوى، لان محمداً ﴿ﷺ﴾ منع الصلاة عند قبره ونهى عن اتخـاذ القبـور مسـاجد ـ لان الصـلاة انما تكون لله وحده جل جلالـه، وليس فى الاسلام صلاة لغير الله ولا قبلة غير الكعبة .

«حقـا ان الاسلام هو الدين الطبيعى الـذى يتقبله المرء بطوعه فيما لو ترك لنفسه» .

الاعتراف بتكريم الاسلام للمرأة:

●● اما الدكتورة (سنان رايتنسن) الهـولنـديـة فتقـول: «ان اهتمامى بالامـور الـدينيـة كان كـبيراً منـذ وصـولى الى الجـامعـة . . وازداد اهتمامى بالاسلام حين كنت ادرس فى جامعـة (تجايكن) بهولندا علم تأريـخ الشعوب، ولذلك اخترت لاطـروحتى لنيـل الـدكتـوراه من جامعة كولونيا موضوعاً اسلامياً . . وزرت الشرق مرتين فى عام ١٩٦٥ و١٩٦٨م فازددت اعـجـابـاً بما تعـرفت عليـه من تراث ثقـافى حضارى تأثرت به اكثر مما عرفت فى الجـو الاوروبى الثقـافى ـ كما وجدت روحى فى النهاية الطمأنينة التى بحثت عنها كثيرا» .

«ورحت اتعمق فى دراسة اللغة العربية، وفى قراءة القرآن فوجدت الاسـلام قد استحوذ على عقلى وروحى معا لامرين:

الاول: ان الاسـلام يأخـذ الانسان على طبيعته وفطرته تماما .

الثـانى: انـه يحتـوى على نظـام كامـل لكـل النـواحى الـروحيـة والاجتـماعيـة وفيـما يتعلق بالمـرأة منحهـا الاسلام مركزاً مرموقاً بينما هى فى الاديان الاخرى أمة لا حق لها ولـذلك اعتنقت الاسلام لانه اعطـانى حاجـة الـروح والعقـل معـاً . . هذه هى الحقيقـة التى تجعلنى اشعر الآن باننى جزء من هذا العالم الذى احبه «عالم الاسلام» .

الاسلام دين المنطق والعقل:

●● وتقول (**مارتيلا مايكل انجلو**) الايطـاليـة التى عاشت فى مصر ثلاثة شهور: «بدأ تأثرى بالاسلام عنـدمـا رأيت جماعة مسلمة تتجه الى مسجد صغير، وتخلع احذيتها عنـد بابـه . . وتصلى فى صفوف خاشعـة متواضعة . . لقد شدتنى بساطة المصلين فى المسجد ـ كانوا على اختـلاف اعمارهم ومراكزهم وملابسهـم متساوين يؤدون الصلاة

● إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو اتباع الأديان الأخرى. (روبرتسون)

● « إن كثيراً من المستشرقين يزعمون أن المسلمين لن يتقدموا ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التى لا تتلاءم مع المعارف والفنون الحديثة، وهذا زعم باطل ووهم حاقد وجهل بمقاصد القرآن الكريم ودراسة الحضارة الاسلامية تنفى كل هذه الأباطيل ». (ريتشاردوود)

خاشعين فكانت نفسى تحدثنى بأن أكون مسلمة مثل هؤلاء.

«وفى يوم آخر دخلت المسجد وتأملت الناس - فرأيتهم طيبين اتقياء بلا لف ولا دوران.. وقد كرهت المظاهر المادية.. وأصابنى السأم من الزخرفة والطلاء الذى ليس وراءه شئ.. لقد وجدت فى (الاسلام) المنطق والعقل.. ووجدت المسلمين يؤمنون بالله ورسوله الذى هو بشر مثلهم اختاره الله لينقل رسالة الايمان الى الناس، ويتلو عليهم كتابه الذى هو دستور الحياة ينظم شؤونهم بحيث يعيشون فى تعاون وسعادة وبساطة وبلا مظاهر كاذبة».

الحضارة الغربية تفتقد الاخلاقيات:

●● وتقول السيدة (فرجينيا هنرى) الامريكية التى تسمت بعد اسلامها باسم (عائشة عبد الله) وتسمى زوجهاباسم (فارض رحمة الله) وكان اسمه (تيدور ايفان)..

لقد أسلمت انا وزوجى على يد امام مسجد نيويورك - وقدمنا الى القاهرة.. وقد تبين لنا ان الحياة فى امريكا مثل جهنم التى وصفوها لنا فى الكتب المقدسة - ففى امريكا تتوفر جميع اسباب الحياة المترفة ولكن ينقصها الكثير من الاخلاقيات.. اننا نمتلك كل اسباب الحياة العصرية فى امريكا ولنا منزل جميل ودخل محترم ولكن الحياة مع ذلك اصبحت مثل جهنم تماما، وبعد ان تنتهى دراستنا الاسلامية فى الازهر سنذهب الى فنزويلا - بلد زوجى الاصلى - وسنبنى مسجدا ونبدأ الدعوة الى الاسلام..

■ لقد اوردنا هذه الشهادات والاعترافات من مؤلفات بعض المستشرقين ومقالات بعض المستشرقات لتكون ابلغ حجة واسلم موقفاً تجاه أباطيل العلمانيين العرب وزعمهم ان الاسلام جاء بتعاليم محدودة تتفق مع حالة العرب الاولى الساذجة.

■ ولعل القارئ يلاحظ: ان الذين أسلموا من هؤلاء النصارى أو اللاتى أسلمن - لم يتولَّ أحد من الدعاة أو الوعاظ المسلمين دعوتهم إلى الإسلام.. ولم يبذل أحدٌ جهدا.. أو يعرض حجة لاقناعهم بصحة العقيدة الاسلامية وصلاح الشريعة التابعة لها.

وانما كان اسلامهم نتيجة لمراقبتهم لاحوال المسلمين فى مساجدهم وشوارعهم ومدارسهم - ولدراستهم الخاصة لبعض المراجع الاسلامية.

■ وبذلك يتأكد لدينا قول الله عز وجل: ﴿*إنَّك لا تهدى مَنْ أحببت ولكنَّ الله يهدى مَنْ يشاء*﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿*فمنْ يُرد اللهُ أنْ يهديه يشرحْ صدْره للإسلام*﴾.

منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الاسـ

● هوى الجنس أو الثقافة أو الدين، أو الجهل وقصور المعرفة بالمجتمع العربى من السلبيات التى طغت على فكر بعض المستشرقين.. فجاءت دراساتهم للتراث العربى مصطبغة بما اصطبغت به أنفسهم.

● المسلمون لا ينكرون الصلة بين دينهم وسائر الأديان والثقافات ولكنهم يختلفون مع المستشرقين ازاء طبيعة هذه الصلة.

■ ان مسألة المنهجية التى طبقها المستشرقون فى دراساتهم للتاريخ الاسلامى مسألة تتسم بأهمية نادرة لأسباب عدة:

أولاً: انها مسألة تستحوذ على اهتمام الدارس الغربى والدارس الشرقى كليهما، المهتمين بدراسة الاستشراق.

ويجدر بنا أن نؤكد اننا نجد الدارس المستغرب يهتم بهذه المسألة من زاوية معينة، وهى بالتحديد كيف عالج الغرب قضية الشرق وإلى أى مدى يتلاءم الأخير (الشرق) مع الاطار الأيديولوجى (العقدى) الغربى، فالدارس الشرقى - والدارس المسلم - يهتمان اهتماما أساسياً بالمسألة من اجل هدف آخر وهو بالتحديد لماذا نظر الغرب إلى الشرق تلك النظرة التى تتسم بالكثير من التشويه والتحامل(١)؟.. كما أن الجوانب الايجابية للعديد من الكتب التى ألفها مستشرقون بارزون فى مختلف فروع المعرفة تشكل عطاء ايجابياً، أما الجوانب السلبية للاستشراق ومن هم وراء تلك الحركة تزيد يوماً بعد يوم نتيجة لما تمّ من دراسات فى الآونة الأخيرة(٢).

ثانياً: إن مسألة المنهجية الغربية فى التاريخ الاسلامى أمر مشوق إزاء دخول المنهجية فى العلوم الاجتماعية بصفة عامة وفى مجال



بقلم: الدكتور محمد بن عبود

التاريخ بصفة خاصة، فالأسئلة الفلسفية مثل «ما التاريخ» والأسئلة التاريخية من قبيل: كيف ينبغي أن نكتب التاريخ؟ وما الأغراض التى ينبغي أن نكتبه من أجلها؟ مثل هذه الأمثلة وتلك ـ تقع فى صميم دراسة التاريخ الإسلامى بالدرجة نفسها التى هى فى صلب سائر الدراسات التاريخية.

ان منهجية المستشرقين مهمة بالنسبة للتاريخ الإسلامى إذ أنها تمس موضوعاً دقيقاً هو طبيعة التاريخ الإسلامى وجوهره، ومن ثم فقد أثرت على الطريقة التى كوَّن المسلمون بها صورة لأنفسهم فى سياق تاريخهم، والسؤال الذى يثير حساسية أكبر هو: كيف حاول المستشرقون أن يؤثروا على مجرى التطورات فى العالم الاسلامى عن طريق تطوير موضوعات ونظريات وفروض عديدة، تتصل بالتاريخ الاسلامى التى برغم احتفاظها بالمظهر الأكاديمى تخفي فى كثير من الأحيان دوافع وأهدافاً كامنة ترجع الى الهيمنة على العالم الاسلامى والشرق بعامة عن طريق الاعتماد القوى على النشاطات التبشيرية والاستعمارية والأمبريالية.

أولا: مشكلات المنهجية الغربية فى الدراسات الاسلامية:

■ واجهت الدراسة الراهنة للمنهجية والتاريخ الاسلامى بين المستشرقين مشكلات عديدة، فهناك على سبيل المثال، مشكلة الاصطلاحات فلقد تغير نمط المنهجية الذى طبقه المستشرقون على مجال التاريخ الاسلامى بشكل هائل منذ منتصف القرن التاسع عشر لعدد من الأسباب المعقدة.

●● ويعزى ذلك التغيير الأساسى الى ذلك التغيير الجذرى الذى طرأ على نوعية التاريخ الاسلامى الذى أخرجه المستشرقون وطبقوا عليه مختلف طرق المعالجة والبحث، ومن ناحية أخرى، نجد أن الأخير قد تطور لأن مستشرقى القرن الماضى كانوا يختلفون أساساً ـ اختلافاً غير جذرى ـ عن خلفهم.

وأخيرا: نجد أن التطور الذى أحدثه المستشرقون ـ أو ربما الثورة ـ وكتابتهم التاريخية فى مجال التاريخ الاسلامى قد تعرضت لتغيرات ثورية لأن الخلفية البيئية الفكرية التى نشأت فيها قد طرأ عليها تغيير كبير ولا سيما إبان فترة ما بعد الحرب العالمية، فقد تأثر تطور المستشرقين بالاتجاهات الجديدة التى نشأت فى العلوم الاجتماعية كما تأثرت بها كذلك كتاباتهم التاريخية، بصورة ملحوظة الى حد كبير(٣).. ومهما يكن من أمر نجد أن الطريق الذى سيتخذه المستشرقون فى المستقبل لا يتسم بالوضوح التام لأن هذه العملية لا تزال تتعرض لسلسلة من التغييرات(٤).. وعلى الرغم من ذلك فاننا نجد أن بعض الاتجاهات التى ظهرت فى توجيه الاستشراق فى الماضى والحاضر تدل ـ فيما يبدو ـ على ذلك الاتجاه الذى تخيره المستشرقون، ونجد العديد من الدراسات التى أجريت على هذه الظاهرة التى تحظى بنصيب أكبر من الأهمية ولا سيما كتاب «الاستشراق» لادوارد سعيد، قد حللت عدداً من الملامح البارزة لهذه الحركة فى الماضى وبذلك أتاحت الفرصة للتنبؤ بالاتجاهات المستقبلية(٥).

■ وموضوع منهجية الاستشراق فى التاريخ الاسلامى موضوع معقد للغاية لأن الاصطلاحات التى نحن بصددها مائعة الى حد ما من نواح كثيرة نظرا لخضوعها لمختلف

● أوغست فيشر جمع بطاقات لجميع ألفاظ اللغة العربية.. وهى البطاقات التى يعتمدها اليوم مجمع اللغة العربية بالقاهرة لاخراج (المعجم الكبير) الذى صدر الجزء الاول منه فى عام ١٩٧٠م.

التفسيرات. ومن ثمّ فلم يكن قصدنا فى هذا المقال أن نعالج هذا الموضوع معالجة مستوفاة، ولنبدأ فنقول إن الاستشراق ظاهرة معقدة بالنسبة للدارس نظرا للتغيرات المختلفة ولا سيما تلك التى حدثت إبان القرنين التاسع عشر والعشرين حيث بلغت هذه الظاهرة أعلى مراحل تطورها. وبوسعنا أن نرجع سمة التعقيد تلك الى عدة أسباب مثل تزايد عدد التقاليد الوطنية التى أسهمت فى عملية الاستشراق (كالبريطانية.. والفرنسية.. والألمانية.. والايطالية) والبعد المتنوع المتعدد لهذه التقاليد وما تدخل فى صنع هذه التقاليد من علوم مختلفة، أو مختلف القوى الاجتماعية والسياسية والعديد من التيارات الفكرية التى مارست ضغوطاً خارجية على أبرز المستشرقين عبر فترات زمنية مختلفة(٦).

■ وكذلك تنوعت أساليب المعالجة - المداخل - وطرقها التى طبقها الدارسون المستشرقون على الدراسات الاسلامية من حيث الزمان والمكان، ونتيجة لذلك سوف نركز على جوانب بعينها من المنهجية الغربية وتطبيقاتها على التاريخ الإسلامى، ونحذف جوانب اخرى فى الوقت نفسه نظرا لتعدد مجالات هذه المنهجية وتطبيقها على علوم كثيرة بحيث يمكن بطريقة أو بأخرى أن يضمها إطار التاريخ الاسلامى، ونظرا لاتساع رقعة الأقاليم وامتداد فترة الزمن التى يشملها التاريخ الاسلامى كما يدرسه المستشرقون، لذلك نجد أن الاصطلاح «التاريخ الاسلامى» وهو موضوع دراسة كثير من المستشرقين «يكتنفه الغموض» فإذا فحصنا المؤلفات التاريخية التى كتبها المستشرقون عن الاسلام والتاريخ الاسلامى، وجدنا أنها تعكس الشمولية التى تتسم بها اهتماماتهم، وما تتسم به نظرتهم الى التاريخ الاسلامى من تغير مستمر، ولذلك نجد أن المنهجية التى طبقوها على التاريخ الاسلامى تتميز بنوع معين من الاتساق من ناحية كما تتميز بالتنوع الشديد من ناحية أخرى، وتبرز الاتساق فى جلاء تام على المستوى الفنى بالنظر الى تشابه طرق البحث ووسائله فى الغرب بالنسبة للملامح الرئيسية العامة، وكذلك على المستوى الذى يتعلق بالموضوعات نظراً الى ما يتسم به بحث التاريخ الاسلامى من صفة التكامل نتيجة اتصال المستشرقين بعضهم ببعض وتعاونهم فى العمل على الرغم من اختلاف جنسياتهم، ومن ناحية أخرى نجد الاختلافات تنشأ عن اختلاف الفترات والجوانب التاريخية التى شدت اهتمام مختلف المستشرقين لأنه من الجلى الواضح استحالة معالجة المناطق الجغرافية المختلفة التى يشملها العالم الاسلامى - أو حتى معالجة المناطق نفسها عبر فترات زمنية مختلفة، وثمة اختلافات كذلك نشأت عن اختلاف طرق المعالجة والخلفيات الفلسفية التى تميز المستشرق الفرد أو مجموعات المستشرقين. فإذا كانت لدينا هذه العوائق فهل من سبيل الى الحديث عن منهجية غربية فى التاريخ الاسلامى؟.

■ ان أية دراسة للمنهجية الغربية وتطبيقها على التاريخ الاسلامى مآلها الى الفشل منذ البداية.

■■ فالمدى الجغرافى الشاسع الذى يفهم من اصطلاح غربى لا تكاد تغطيه دراسة واحدة. أضف الى ذلك مشكلة اللغات العديدة التى يستخدمها مختلف المستشرقين، فالدارس الذى يعرف العربية والانجليزية والأسبانية

والفرنسية يتمتع بميزة كبرى ولكن هذه الميزة أمر نسبى إذ أن أية محاولة يقوم بها خارج نطاق هذا المجال اللغوى مكتوب عليها الفشل. **ولا يمكن أن نغفل مؤلفات المستشرقين الألمان نظراً لدورهم القيادى فى تطوير الدراسات الاسلامية فى الغرب**. وثمة عقبة أخرى وهى عدم إمكانية تناول مؤلفات المستشرقين الروس إلاّ من خلال الترجمة، وهم الذين نشطوا فى دراسة التاريخ الاسلامى، نظرا لقربهم من الامبراطورية العثمانية ثم البلاد الاسلامية مثل تركيا، ويمكن أن نضيف إليهم الايطاليين والمجريين والهولنديين وسائر المؤلفات الهامة عن التاريخ الاسلامى، ومن الأمور التى تدعو لتثبيط الهمة ما فى التراجم من عيوب ونقص إذا ما قارنّاها بالمؤلفات الأصلية.

وإزاء هذه الصعوبات هل ينبغى أن نكتفى بدراسة منهجية الدارسين المستغربين فى التاريخ الاسلامى؟ والرد على هذا السؤال قطعاً بالنفى بشرط أن تكون الأهداف أقل تواضعاً مما قد يوحى به الموضوع على ما يبدو، وبوسع المرء أن يحاول أن يركز على الاتجاهات العامة فى المنهجية الغربية فى التاريخ الاسلامى دون ادعاء نفاد الموضوع.

■ وبوسعنا أن نحاول البحث عن أساليب ووسائل فنية مختلفة وكذلك عن طرق المعالجة الأكثر اتساعاً لمختلف المناطق والمشكلات فى التاريخ الاسلامى. ونجد أن الحوافز التى تدفع مختلف مجموعات المستشرقين تستحق التركيز عليها فى كثير من الأحيان. فطبيعة الاسئلة التى أثارها كل مستشرق على حدة أو كل مجموعة منهم تعكس المنهجيات التى تميز مجموعات أو مدارس بعينها من مدارس المستشرقين.

■■ ومهما يكن من أمر فلن يفحص هذا المقال هذه الأسئلة بحثاً متعمقاً برغم أنه سيمس بعضاً منها، وبرغم ذلك فنحن نرجو أن نحاول اثارة اسئلة تستطيع بعث التعمق فى التفكير فى هذا الموضوع وتشجيع القيام بدراسات أكثر تخصصا غرضها خلق مواقف تتسم بروح النقد والواقعية بين المثقفين لا المسلمين والعرب فحسب بل أيضاً بين الدارسين غير المسلمين كذلك، لقد ظل المستشرقون أمداً طويلاً يكتبون لجمهورهم الغربى فحسب. وينبغى ألا يرد الدارس المسلم والعربى على هذا بأن يذهب الى النقيض الآخر بل عليه بدلا من ذلك أن يتوخى جمهوراً أكثر اتساعاً وشمولا.

وأخيرا ثمة عدد من المسائل التى تتصل اتصالا غير مباشر بوضوح المنهجية الغربية فى الدراسات الاسلامية، ولن يبحثها هذا المقال نظراً لضيق المكان وما تخيرناه للبحث من جوانب الموضوع، فمثلا قد يكون من المفيد للغاية بالنسبة للوصول الى فهم افضل للمنهجية الغربية فى التاريخ الاسلامى أن نقدم ملخصاً عاماً لأصول طرق المعالجة المختلفة وسماتها، وبوسع المرء أن يعثر عليها بالبحث عن الدوافع التاريخية والأيديولوجية التى أدت الى دراسة التاريخ الاسلامى فى الغرب.

وينبغى أن نثير هذه الأسئلة:

●● ***فى أى نوع من الخلفية التاريخية بدأ التاريخ الاسلامى فى الغرب يتطور بشكل جدى؟***

●● ***ما العوامل العامة التى كان لها أكبر الآثار مباشرة على تطورها؟***.

●● ***ما طبيعة العلاقة بين المنهجية الغربية فى التاريخ الاسلامى والخلفية التاريخية التى تطورت فى إطارها؟***.

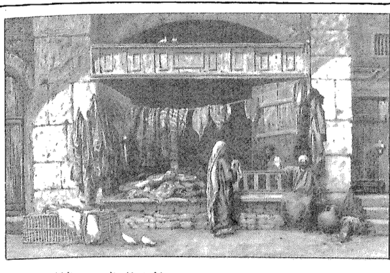
●● ***وإلى أى مدى شكلت هذه الخلفية الاتجاهات العامة والأساليب والطرائف التى استخدمت فى معالجة التاريخ الإسلامى؟***.

●● ***وهل كان من الممكن أن تختلف هذه الطرائق فى حالة إتاحة ظروف أخرى مختلفة؟***.

■ ومهما يكن من أمر، وبدلا من فحص القوى الباعثة على حركة الاستشراق ومنهجيتها يحاول هذا المقال ببساطة أن يقوم ويركز على تطور التاريخ الاسلامى باعتباره علماً من العلوم، وأن يقدم الطرق المستخدمة فى اطار هذا العلم أو بعضا من ملامحها البارزة فى الوقت الحاضر، ويركز عليها بما فى ذلك بعض الاشارات الى خلفيتها والقوى الباعثة عليها بعامة دون معالجة تلك الأخيرة بتفصيل كثير.

٢ ـ تصنيف المنهجية الغربية فى التاريخ الاسلامى:

■ ان تصنيف المنهجية الغربية للقرن التاسع عشر والعشرين فى التاريخ الاسلامى أمر عسير ومهمة شاقة قد لا يمكن تحقيقها على نحو يمكن قبوله عالمياً بسبب ما يتميز به كل مستشرق من خواص عديدة. . وتباين المميزات التى تكون المجموعة نفسها من المستشرقين والتناقض الذى يميزها فى كثير من الأحيان، فعلى سبيل المثال: بينما نجد اثنين من المستشرقين يعتنقان المبادىء نفسها السياسية نجد أحدهما يفضل أن يكون مدخله الى الاسلام والتاريخ الاسلامى مدخلا عاماً فينسج نسيجاً نظرياً كاملا من عديد من الجوانب المعقدة بينما نجد الآخر يعالج أموراً بعينها فى إطار الاسلام بأن يتخصص فيها بالذات. فإذا أخذنا مثلا ثلاثة من المستشرقين، **وجدنا الأول والثانى قد يتفقان على تفسير الفترة الأموية فى تاريخ العرب على نحو يختلف كلية عن المستشرق الثالث** بينما نجد الأول والثالث قد يتفقان على التفسير العام مثلا للعصر العباسى على نحو قد لا يقبله المستشرق الثانى ـ وفى هذا المثال نجد أن المستشرق الثانى يتفق مع تفسير الأول للعصر الأموى بينما نجد الثانى والثالث يختلفان فى كلا الموضوعين.



● فارلي، ابن وحفيد فنانين مشهورين، رسم مشاهد واجهها في اسفاره الى مصر واليابان.

■ والمستشرقون الذين نضعهم فى تصنيف واحد من ناحية العقيدة الدينية قد يقدمون تفسيرات تختلف عن المستشرقين الذين ينتمون الى اتجاهات أيديولوجية مناقضة، اختلافا يفوق الاختلاف مع بنى جلدتهم من اتباع الدين نفسه. ولكى نسوق مثالا حيا فإن **التفسير السوسيولوجى (الاجتماعى) لسيرة النبى ـ السيرة فى مؤلف وات «محمد فى مكة» و«محمد فى المدينة»(٧) ـ تتفق، من هذه الناحية، مع التفسير المادى الذى ساقه ماكسيم رودينسون الماركسى** فى كتابه «محمد»(٨) اتفاقاً يفوق ذلك الاتفاق بينه وبين تفسيرات سواه من المستشرقين المسيحيين الذين ركزوا على عوامل أخرى مثل سيطرة فكرة يوم القيامة على النبى (ولا سيما كازانوفا)(٩) وسيطرة فكرة الإله الواحد أو سيطرة «مشكلته المرضية» على نحو ما فعل دانكان بلاك ماكدونالد(١٠). ومن ناحية أخرى نجد أن طريقة معالجة ماكدونالد المرضية أمر يقبله رودينسون بينما نجد من ينتمى الى دينه نفسه و. م. وات يرفض الفكرة نفسها ومن الناحية السياسية ـ برغم هذا نجد الأخير يسارياً بينما نجد الأولين غير يساريين.

■ إن المدى الشاسع لعلم الدراسات الاسلامية وتفريعاته العديدة الراهنة ليسهم فى جعل مهمة تصنيف المنهجيات التى طبقها المستشرقون الى مجموعات مختلفة مهمة صعبة وعسيرة إذ ان المتخصصين فى فروع بعينها قد يتفقون مع مستشرقين بعينهم فى تفانيهم فى بعض الدراسات، وقد يتفقون مع مجموعة أخرى من المستشرقين فى دراسات أخرى، فطبيعة الدراسات الاسلامية والتاريخ الاسلامى التى تتضمن تداخل علوم كثيرة يعتمد بعضها على بعض، ويستمد بعضها من بعض، الى جانب ضرورة أن يتخصص المستشرق فى نطاق عدد محدود من الفروع لا يبرحها (فالدراسات الاسلامية ذات مدى شاسع وشامل للغاية)، هذه الطبيعة أدت الى نماذج

التخصصات عند مختلف المستشرقين، فعلى سبيل المثال، إذا افترضنا وجود ثلاثة من المستشرقين - نجد أن الأول قد يتفق مع الثانى فى كونه متخصصاً فى علم اللغة (فيلولوجيا) وكونه فيلسوفاً، وقد يتفق مع الثالث فى كونه أيديولوجياً ومؤرخاً، ولكنه قد لا يكون له ما للثانى من دراية وخبرة فى مجال علم الاجتماع والأدب أو ما للثالث من خبرة بالتشريع، ومثال آخر، نجد أن الثانى والثالث قد يتفقان فى بعض المجالات دون غيرها. كما نجد بين المستشرقين فى علوم متماثلة من هم متفوقون على غيرهم فى جلاء ووضوح فى بعض المجالات أو متخصصون فى جوانب مختلفة لذات التفريع، فلو نظرنا الى المستشرقين اجمالا، واعتبرنا كيف يتفقون فى عديد من التخصصات ويختلفون فى سواها ومستوياتهم واتجاهاتهم المختلفة فى مجالات دراستهم، لاتضح لنا أن أية محاولة للتصنيف المنهجى الشامل عبث وهراء.

■■ **ما هو إذن مصير تصنيف المنهجية الغربية فى التاريخ الاسلامى؟ اليس من سبيل سوى أن ندرس الطرق التى يتبعها كل مستشرق على حدة؟** فإذا سلمنا بمدى التعقيد الذى يتصف به هذا التصنيف لوجدنا أنه من الممكن لنا أن نحدد الخطوط العريضة العامة، والملامح السائدة للمنهجية الغربية فى الدراسات الاسلامية، والخطوة التالية يمكن أن تكون لتوضيح أهميتها عن طريق الإشارة الى نخبة من المستشرقين ممن ينظر اليهم باعتبارهم ممثلين للحركة الأكثر اتساعاً للاستشراق والمنهجية الغربية.

■ وقد تكون دراسة السمات العامة للمنهجية الغربية من العوامل المشجعة، فطرق البحث والتحليل التاريخى التى يستخدمها جميع المستشرقين طرق علمية الى درجة معينة، ومهما يكن من أمر فإننا نجد أن حياد الطرق العلمية قد يؤدى الى استخدامها أو اساءة استخدامها من قبل المستشرقين على نحو يختلف ويتناقض فى كثير من الأحيان. ومن ثم نجد أن ذات الطرق تستخدم للوصول إلى غايات مختلفة وأغراض متباينة.

■ وقد يعتبر التحديد الجغرافى «برغم اتساع الرقعة الجغرافية» صفة مشتركة بين جميع المستشرقين الذين ينتمون الى الحضارة نفسها التى تجمع بينهم إلى حد ما بغض النظر عن عقبات مثل الاختلاف فى اللغة والخلفيات القومية، وبوسعنا أن نضيف صفة مشتركة أخرى وهى التيارات الفلسفية التى تسود الغرب، وأهم ما فى الموضوع حين مناقشة طريقة المعالجة الشاملة للمنهجية الغربية فى الدراسات الاسلامية - أن نذكر تلك الصلة الوثيقة التى جمعت المستشرقين وكثيراً من زملائهم بغض النظر عن عقبات اللغة، والمسافات، والتخصصات المختلفة أو المتناقضة.

■■ وينعكس تأثر المستشرقين بعضهم ببعض فى جلاء ووضوح فى منهجياتهم بغض النظر عن تباين اتجاهاتهم ومناحيهم، وفى نهاية الأمر نجد أن المستشرقين جمعت بينهم مصالح مشتركة إما شخصية أو جماعية.

ثانيا: التاريخ الاسلامى فى سياق الدراسات الاسلامية:

■ ان طبيعة التداخل بين مختلف العلوم فى مجال الدراسات الاسلامية هى نتيجة لتباين الخلفيات الثقافية لدى المستشرقين. واليوم تتسم الدراسات الاسلامية بسمة عامة وهى التداخل بين العلوم المختلفة كنتيجة لدرجة التخصص المحدودة فى فروعها المختلفة المتباينة، ونظراً لأن معظم الدراسات التى يجريها المستشرقون تميل الى تداخل العديد من المجالات، كما تتسم أعمالهم بالسطحية نسبيا على وجه العموم على مستوى كل مجال على حدة. ومهما يكن من أمر، فإن خاصية التداخل بين مختلف العلوم تثرى هذا العلم ككل. وتزداد هذه الاتجاهات قوة نظراً لما تستطيعه مختلف الفروع من اسهام وتنشيط بعضها بعضا.

● المستشرقون ذوو الغايات المبيتة اهملوا البعد الدينى لانتشار الاسلام.

● المستشرقون فى كثير من الأحيان يحكمون على الاسلام والتاريخ الاسلامى معتمدين على قيمهم ومقاييسهم الثقافية الخاصة.

■ وطريقة المعالجة التى تتسم بالتعميم هى نتيجة مباشرة لما يضطر إليه المستشرقون من جمع للعلوم المتعددة فى إطار دراسات شاملة عن الاسلام كان من الممكن أن تتم على نحو مثالى لو أنها وزعت على الفروع المستقلة المتخصصة، كما أن المستشرقين ذوو ملكات تشمل أنظمة مختلفة داخل إطار كفاءتهم المهنية مما يؤدى حتما إلى تفضيلهم وتفوقهم فى بعض العلوم التى يدرسونها، ومعنى تفوقهم النسبى هذا فى بعض الجوانب داخل إطار الدراسات الاسلامية أنهم متخلفون فى علوم أخرى برغم أنه فى كثير من الأحيان يصعب إماطة اللثام عنها داخل إطار السياق الذى تداخلت فيه العلوم، وعلى سبيل المثال، نجد أن بعض الدراسات فى علوم إسلامية بعينها قد لا يكون لها هدف فى حد ذاتها، بيد أنها يمكن أن تجرى لاكمال تلك العلوم التى يهتم بها المستشرق أكثر من سواها.

فالأولى، أن تكون وسيلة فى الوقت الذى كان من الممكن أن تصير هدفاً فى حد ذاتها.

■ ويمكننا توضيح تلك الملامح المتداخلة فى الدراسات الاسلامية بدراسة الموضوعات التى تعكس فى الوقت نفسه العديد من جوانب الاسلام ونسوق نموذجاً للموضوعات المتعددة الشائعة عند المستشرقين الغربيين وهو الأصول التاريخية للاسلام ونجد أن هذا الموضوع به من المرونة ما يتيح فرصة الاختيار بين مجموعة من المداخل المتعددة والتفسيرات، ومن ثم يصبح من المحتم اللجوء الى جوانب مختلفة للأخذ منها على سبيل الاستعارة.

■ ويعد أثر الأديان والأفكار والحضارات المختلفة.. الخ على الاسلام موضوعاً مألوفاً فى مؤلفات المستشرقين الغربيين التى قاموا بها كى تلائم العديد من الافتراضات، واشتقت المسوغات من عديد من فروع المعرفة بما فيها.. الفقه.. والفكر الاسلامى.. والأدب العربى.. الخ. ويشير التأثير الى وجود اتصال، واننا لنجد أن منشأ الجدل حول ما قيل عن تأثيرات على الاسلام ليس وجود هذا الاتصال بل هو بالأحرى طبيعة ذلك الاتصال فالإسلام هو حقاً ذروة ما وصلت إليه رسالة التوحيد الموحى به الى البشرية من خلال الأنبياء عبر العصور وفق سياق كل فترة من الفترات، الى أن أرسل فى النهاية خاتم الأنبياء محمد «ﷺ»، ومن ثم نجد أن جوهر رسالاتهم ينبع من المصدر نفسه على الرغم من تنوع تعليماتهم ولغاتهم وكتبهم والطرق التى اتخذوها لتحقيق تلك الرسالة.

■ ومن المهم فى سياق نقاشنا أن نعى أن المسلمين لا ينكرون الصلة بين دينهم وسائر الأديان والثقافات ولكنهم يختلفون مع المستشرقين إزاء طبيعة هذه الصلة، بينما نجد المستشرقين يختلفون عن المسلمين فى أن لديهم أهدافاً بعينها هى فى كثير من الأحيان خارج الاطار الأكاديمى الذى يضعون فيه مؤلفاتهم وتكون فيه المجتمعات الاسلامية فى أغلب الأحيان هى الضحايا.

●● وعلى وجه العموم ـ برغم ذلك ـ نجد أن دراسات الاسلام والتاريخ الاسلامى فى الغرب تبدأ فى كثير من الأحيان بالافتراض التقليدى أن الاسلام يتكون من ألوان مختلفة من التأثيرات الأجنبية التى لو دققت فسوف تفسر لنا

ذلك السر الغامض الذى ينسبه الغربيون الى الاسلام.

●● وهناك بعض الأعمال من قبيل «الاسلام والمسيحية» وهى تبين لنا فى جلاء المحتوى والاتجاه الذى نجده بالكتاب. ومهما يكن من أمر، يجب أن نؤكد بكل دقة ونزاهة أن الدارسين ـ من أمثال ماسينيون وبلاسيوس ـ استطاعوا أن يرتفعوا بأعمالهم فوق أغلب زملائهم المعاصرين لهم وأن يمدوا الدراسات الاسلامية باسهام من أكثر الاسهامات التى تنم عن عمق دراسى وأصالة على الرغم من وقوعهم تحت تأثير ما قد نسميه الروح الاستعمارية (التى سادت) فى عصرهم، والتحاملات التى درج عليها المستشرقون وقد شكلوا جزءا لا يتجزأ منها. واجمالا، فمهما يكن من أمر فقد صُوِّر الاسلام بمثابة كرة من الثلج تنحدر عبر العصور فتزداد بالتدرج نموا وحجما كلما زاد ما يعلق بها من التيارات الفكرية الخارجية التى تقابلها فى مختلف الأرجاء الإسلامية.

■ وثمة موضوع شائق آخر فى الاستشراق الغربى وهو «أسباب وآثار التوسع الأول للاسلام» فقد كان المستشرقون يرجعون أسباب ذلك التوسع السريع المبكر للاسلام الى ذلك الجانب الحركى (الديناميكى) للاسلام كدين جديد وبسيط.. وكذلك إلى روح الاعتداء التى كانت سمة من سمات البدو من الاعراب.. والانحلال الاجتماعى (الذى كانت تعانى منه) المجتمعات التى قبلت الاسلام، وكفاءة التنظيم للخلافة الاسلامية، والانفجار السكانى (الديمغرافى) فى شبه الجزيرة العربية.. وتفوق الأسلحة التى كان الاعراب يستخدمونها.. والصفات النادرة التى اتسم بها القادة المسلمون، وما كان يسود الجيوش الاسلامية من حالة نفسية، أو العوامل التاريخية التى استمرت تعمل منذ وقت طويل (مثل عواقب الصراع بين الامبراطوريات الساسانية والبيزنطية أو عدم الاستقرار الداخلى لمملكة القوط فى أسبانيا).

■ وكانت تطرح هذه الاسئلة بالنسبة لأيّ العوامل التى كانت أكثر أهمية فى حسم المحصلة النهائية للتوسع الاسلامى. وعلى الرغم من ذلك فهب أن بعض ظروف أخرى من غير الاسلام كانت السبب فى ذلك **فلماذا لم تحدث هذه الظاهرة قبل مجىء الاسلام؟ وإلى أى حد إذن تكمن أهمية الاسلام فى تحديد هذه الظاهرة السريعة المفاجئة والتى قد لا يبدو لها تفسير؟ أكان من الممكن أن تحدث تلك الظاهرة دون الاسلام؟** ويمكننا أن نصف تطور هذا الموضوع فى الاستشراق الغربى فى الوقت ذاته بأنه لاهوتى، واجتماعى وسياسى وديمغرافى، وتقنى، واقتصادى واستراتيجى، وعسكرى ونفسى ـ وفى آخر الأمر تاريخى.

ويلزم لعلاج هذا النمط من المسائل التاريخية أن نتخذ منهجاً يستخدم مدخلا ذا فروع متداخلة للمعرفة بطبيعة الأمر.

■■ وعلى الرغم من ذلك فلابد أن نؤكد أن البعد الدينى لانتشار الاسلام قد أهمل اهمالا شديداً نظرا للأبعاد اللادينية التى اتخذها الاستشراق الغربى على وجه العموم. فعلى سبيل المثال، إذا ما قارنا المستشرق الذى يدرس التاريخ بسواه من المؤرخين المحترفين، وجدنا أنه يتحتم عليه أن يتعلم الكثير، ومن ثم كان كتاب ليفى بروفنسال «تاريخ المسلمين فى أسبانيا» ـ برغم اسهامه المؤكد فى فترة تاريخية لا تزال بحاجة الى مزيد من الدراسة من نواح عديدة ـ ينعكس كعمل تاريخى جاء لدى أبرز مؤرخى الثورة الصناعية فى بريطانيا، ولا ريب فى ذلك إذ أن بعض الافتراضات التى تظهر فى مؤلف ليفى بروفنسال، مطعون فى صحتها بالنسبة لفترات بعينها ـ ومرفوضة بالكامل بالنسبة لفترات أخرى(11) تلك الافتراضات من قبيل سيطرة القبلية باعتبارها قوة ذات حركة ديناميكية اجتماعية فى الأندلس (وكانت هذه الفكرة) مقبولة بالفعل فى وقت من الأوقات كحقيقة لا تنازع عن تاريخ الاندلس عموماً، كما أن الدراسات الغربية فى الفقه لا تدنو فى عمقها من المؤلفات المتخصصة فى القانون الانجليزى العام ـ أو حتى تلك المؤلفات فى القانون



● بين ١٨٦٠ و١٨٩٠ كان روبرتسون يتنقل ويرسم فى مصر وتركيا وفلسطين وسوريا. وقد اشتهر بأسلوب رسمه الزاهى الدقيق والتفصيلى وخاصة بالألوان المائية، التى اصبحت تجاه نهاية حياته الفنية المادة التى اقتصر على استعمالها فى رسم لوحاته.

الدولى المعاصر وهو فرع أقل (اتساعاً وتشعباً) فبينما يدرس المستشرقون الفقه لأسباب لا تتصل فى كثير من الأحيان بالشريعة، نجد الدارسين الغربيين للقانون الانجليزى العام قد ابتكروا مجالا للتخصص يتسم بالتحديد والوضوح.

■■ وتتضح هذه السطحية النسبية فى الدراسات الاسلامية على كل مستويات المعرفة، فالمستشرقون الذين يدرسون الاسلام كثيراً ما يعبرون عن عاطفة قوية تتخلل جهودهم ولكن على الرغم من تفوقهم الفنى العام على معاصريهم من المسلمين، نجد أن ثمة من يبزونهم من بين الدارسين لمجالات تتعلق بالعالم الغربى ومما يدل على تخلف الدراسات الإسلامية بالمقارنة بسائر العلوم فى الغرب أن هذه الدراسات الاسلامية قد أثرت على سائر العلوم فى القليل النادر، بينما نجد أن العكس هو الصحيح وهذا الأمر صحيح بنوع خاص حين نعتبر أن الدراسات الاسلامية ظلت على الدوام مرتبطة بالعلوم الاجتماعية التى هى جزء لا يتجزأ منها أو امتداد لها ـ فى الجامعات الغربية. ويزداد هذا الارتباط جلاء حين نعتبر المواقف المختلفة تجاه الاستشراق كعلم مهم، نجد آخرين يعتبرون أن هذا العلم قد زال بالفعل واختفى تماماً، وليس ثمة مثل تلك المواقف بالنسبة للعلوم الاجتماعية التى لا تفتأ تكتشف آفاقاً جديدة وحدوداً مستحدثة.

■ وبعد أن أشرت الى الدراسات الاسلامية فى الغرب كعلم من العلوم يجب على المرء برغم ذلك أن يعيد مراجعة هذا القول، وأن يحدد ماذا يقصد من هذا الاصطلاح؟(١٢) فالدراسات الاسلامية فى الجامعات الغربية تعتبر فى العادة دراسة نطاقية تقع فى التصنيف نفسه الذى يضم كذلك الدراسات الصينية، مما يثير مسألة إمكانية اعتبار الدراسة النطاقية هذه كعلم كالجغرافية أو علم الاجتماع أو التاريخ.

■ ونظرا لاتساع المدى الذى تتسم به الدراسات النطاقية فى محتواها فليس فى وسع تلك الدراسات بالجامعات الغربية أن تصل الى مستوى التخصص على الاطلاق، ذلك المستوى الذى تحقق فيما يقبله الناس عامة على أنه العلوم، ومن ناحية أخرى نجد أن الدراسات الاسلامية فى الجامعات الغربية يمكن أن تعتبر انعكاساً شاملا لعديد من العلوم فى جامعات الدول الاسلامية أو العربية.

■ ويمكن أن نقارن بين الدراسات الاسلامية بالجامعات الأوروبية والدراسات الأوروبية بالجامعات الاسلامية أو العربية، وكى نوضح هذه المقارنة نضرب مثلا أكثر تحديدا. دراسة اللغة العربية كلغة أجنبية فى جامعة فرنسية يمكن مقارنتها بدراسة اللغة الفرنسية فى جامعة تونسية أو مغربية، مع وجود فارق وحيد هو أن الفرنسية لغة هيمنة فى المغرب بينما العربية فى فرنسا هى بالفعل لغة ميتة باستثناء معاهد تعليم بعينها، حاول أن تستعمل العربية فى فرنسا والفرنسية فى المغرب فإن فعلت ذلك اكتشفت عدم جدوى التجربة الأولى ونفع التجربة الثانية.

ويتصل بهذا الموضوع أن نعرف هل يشكل قصر الدراسات الاسلامية على أقسام بعينها فى

الجامعات الغربية عيباً فى البنية والهيكل يؤثر على تطور هذا العلم تأثيراً سلبياً. فاذا وافق المرء على أن الدراسات الاسلامية فى الغرب ما هى إلا انعكاس للعلوم المحددة تحديداً واضحاً فى الجامعات الاسلامية، فهل ينبغى على المرء أن يمضى فى النظر الى الدراسات الاسلامية كعلم من العلوم على الاطلاق؟ ولربما كان من الممكن اعتبار الدراسات الاسلامية بالجامعات الغربية علماً شاملا وعاماً.

●● وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد أن المقارنة لا تتسم بالعدل الكامل على اعتبار أن الدراسات الاسلامية قد أدخلت الى الجامعات الغربية «الى حد كبير» بعد منتصف القرن التاسع عشر، بينما يرجع وجود تلك العلوم الى زمن إقامة تلك المؤسسات. ولم يكن يجول فى الحسبان خلال أوائل هذا القرن حقيقة أن الدراسات الاسلامية تؤثر تأثيراً قويا على أقسام بعينها ضمن أشهر الجامعات الغربية.. ونجد أن الدراسات الاسلامية فى تماسكها فى صورة تفريعات عديدة تشير الى أن الطريق مفتوح أمام تحقيق النجاح.. ونجد كذلك أن كل فرع من فروع الدراسات الاسلامية يحتاج الى مزيد من التطوير، ونجد أن العقبات العديدة تتراوح من تطوير المنهجيات المقبولة تطويراً أكاديمياً كى تواثم دراسات الجوانب المختلفة للإسلام والتاريخ الاسلامى - إلى مراجعة المخطوطات وتصنيفها وغيرها من المصادر الأساسية الأولى. وعلى أية حال فعلى الرغم من ذلك فإن ذات الجهد المطلوب للتغلب على تلك الصعوبات يجعل من التحدى أمراً أكثر إثارة.

ولسوف يؤدى التطوير الأكاديمى للعلوم المعنية عن الاسلام الى القضاء على تعسفاتهم داخل الاطار العام. وعلاوة على ذلك فإننا نجد أن هذا الأمر سوف يسهم فى إنضاج طرق المعالجة والتفسيرات الأكثر تخصصا مما يتيح قدراً أكبر من التنوع وإحياء المنهجيات الغربية فى الدراسات الإسلامية.

■ إن ما يحول دون نجاح إدخال كثير من العلوم فى إطار الدراسات الاسلامية هو أنه يتحتم ملء فراغ كبير، وترجع الحيرة الى ضرورة الاختيار بين قبول أسئلة لم يتم الرد عليها أو الرد بردود ناقصة إذ أن المستشرقين برغم نقص كفاءتهم يميلون الى مد رقعة إسهاماتهم الى الأسئلة التى تتطلب رداً عاجلا ولكنها ليست فى مقدورهم. ومهما يكن من أمر فيجب ألا نفهم من ذلك أن هذا هو الاتجاه العام. إن ما يجب علينا التركيز عليه هو أن بعض المستشرقين بعينهم كانوا يميلون الى المبالغة فى مد رقعة جهودهم بأن تعدوا حدودهم التخصصية المختلفة، وان ذلك قد يتم تحت حجاب من كثرة العلوم المتداخلة فى نسيج الدراسات الاسلامية، وان مزيداً من التخصص سوف يؤدى الى إسهام ايجابى فى حل هذه المسألة، فالمغالاة فى التخصص قد يتمخض عنها احتمال العزلة الفكرية الذى قد يؤدى بدوره الى خطر الركود، ومهما يكن من أمر: فإننا نجد أن اتصال مختلف العلوم بعضها ببعض سوف يتفادى السطحية بالضرورة، ولا يعنى ذلك بأى حال من الأحوال أن ننكر القيمة الايجابية لمنهج تداخل العلوم فى الدراسات. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا المنهج لابد من توجيهه بل تشجيعه باتخاذ مواقف جديدة تجاه الاسلام والتاريخ الاسلامى وذلك بوحى من الصفوة الصاعدة من جيل المثقفين فى الدول العربية والاسلامية(١٣).

٢ - التاريخ الإسلامى: المادة وطرائق وأوجه النظر فيه

■ ثمة صلة وثيقة بين السؤالين: ما التاريخ الإسلامى؟ وما التاريخ؟

فعلم التاريخ كما تدرسه الجامعات الغربية فرع من فروع العلوم الاجتماعية، وثمة علاقة مباشرة بين الدراسات الاسلامية والعلوم الاجتماعية إذ نجد أن كليهما قد تطورا فى ظل المعاهد الغربية للتعليم العالى وإذا التزمنا جانب الحياد والموضوعية استحال

● بعض المستشرقين سايروا حركة (المستهلك الغربى) فأمدوه بما يتوقع منهم ان يمدوه به من افكار وآراء غاية فى التضليل.

● التاريخ الإسلامى أوثق ارتباطاً بالاسلام (كدين) وأى محاولة لدراسته منفصلاً عن منهجه الاساسى تعد فاشلة.

الأهداف التى يرمى إليها مؤرخ التاريخ الاسلامى؟ وهل ينجزها؟ .

فالدراسات التى تتعلق بموضوعات مثل البيئة الاجتماعية فى المجتمعات والحركات الاسلامية . . وتيارات الفكر . . والنظم والظواهر الاسلامية . . كل هذه دراسات تاريخية لأنها أساساً تتعلق بالماضى، بيد أنها تختلف اختلافاً جذرياً عن الموضوعات التى تعتبر فى حكم العادة موضوعات تاريخية، من حيث إن الأولى تعتمد اعتماداً كبيراً على علوم أخرى ضمن العلوم الاجتماعية . ومن ثم نجد أن طرق المعالجة لتاريخ الفكر والنظم والحركات الاسلامية تختلف عن طرق المعالجة التى يتطلبها التاريخ السياسى أو الاقتصادى . . ومن المهم أن نؤكد فى إطار الدراسات الاسلامية أن دراسات البنية أو النظم الاجتماعية تكون جزءا لا يتجزأ من التاريخ الاسلامى برغم أن المؤرخين السياسيين بالمعنى الضيق للكلمة لن يقبلوا مثل هذا التركيز من الناحية التاريخية .

الا وعلى الرغم من ذلك: نجد أنه إذا كان من المهم أن نقبل هذه العلوم الاجتماعية باعتبارها علوما تاريخية تكميلية فلا يقل عن ذلك أهمية أن نحتفظ بالقواعد الجوهرية التى تتيح لعلم التاريخ قوته وتميزه عن سواه من العلوم (وعلى سبيل المثال الاستخدام الصحيح للمصادر والمخطوطات الأولية والثانوية . . الخ) ومن ثم فمن المهمّ أن نحافظ على التوازن بين الاعتماد على العلوم التاريخية التكميلية دون التأثير على الملامح الجوهرية للتاريخ باعتباره علماً من العلوم . . ولقد ميزت هذه العملية التاريخ الاسلامى باعتباره فرعاً من فروع الدراسات الإسلامية . . كما قام المؤرخون الأقحاح بتوجيه النقد إلى الاعتماد فى التاريخ الإسلامى على علوم ليست تاريخية .

ومع ذلك : فإننا نجد هذه المسألة إحدى نقاط القوة فى الدراسات الاسلامية إذ أنها وهى تعتمد على مثل هذا العدد الكبير من العلوم الاسلامية تثرى التاريخ الاسلامى وتوسع من رقعة البحث وتتيح فرصاً أكبر بكثير لأكتشاف اتجاهات وظواهر تاريخية جديدة . أضف الى ذلك؛ أن حقيقة التاريخ الاسلامى تكون بهذه الطريقة قد تم التعبير عنها على مثل هذا النحو من الكمال والحيوية فى علم التاريخ الاسلامى - إذ يتم اكتشاف مجالات ونسب وأعماق أكثر فى أثناء ذلك . فإذا ما وسعنا مجال تصورنا للتاريخ الاسلامى وجدناه **يكتسب قدراً أكبر من التعقيد .** وبرغم ذلك فالمؤلفات المتخصصة عن جوانب بعينها من التاريخ الاسلامى لا يمكن أن تتوقف عن كونها ضرورة من الضروريات - ولا يمكن أن نقترب من الحقيقة التاريخية للاسلام أو تاريخ الشعوب الاسلامية إلا إذا مزجنا بين هذه الدراسات المتخصصة وبين تلك الدراسات الأكثر شمولا .

الا إن مسألة كيفية معالجة التاريخ ربما قد وجدت الحل الى حد ما متمثلا فى الطريقة التى نظر الناس بها إليها فعلا فى الماضى، ولا نجد ما يدل على قيام خلاف بين المستشرقين على مسألة هل التاريخ الاسلامى علم مستقل بذاته، على النحو الذى اختلف فيه المؤرخون حول مسألة هل التاريخ الاسلامى علم مستقل ام ينبغى أن يكون جزءا من سائر العلوم الاجتماعية، حيث انقسموا

الى قسمين: احدهما يعتقد أن التاريخ لا ينبغى له إلا أن يكون جزءا من العلوم الاجتماعية كالانثروبولوجيا. . وقسم يشعر بأن التاريخ برغم اشتراكه مع غيره من العلوم بوسعه - بل ينبغى له - **أن يظل علماً مستقلا ذا سمات مميزة وقد يكون ثمة تفسيران أساسيان لذلك الأمر:**

أولاً: أن المستشرقين ذوو خلفيات متباينة من علم اللغة إلى الفلسفة واللاهوت. ولا يسعنا فى كثير من الأحيان أن نميز المستشرقين ذوى الخلفية التاريخية المحضة عن سواهم من المستشرقين ولكى نكون عمليين فى التعبير عن أفكارنا نقول إن مصالح المستشرقين الذين يدرسون التاريخ الاسلامى لا يهددها سائر المستشرقين.

ثانياً: أن المستشرقين كثيرا ما يحتاجون الى الاشتراك معا بغض النظر عن مسألة تخصصهم فى التاريخ الاسلامى أو فى سوى ذلك من جوانب الدراسات الاسلامية، لا لأنهم قلة من ناحية العدد فحسب، ولكن لأن طبيعة التاريخ الاسلامى أوثق إرتباطاً بالاسلام «كدين» وهذا على نقيض المستشرقين الغربيين الذين يتخصصون فى التاريخ ويستطيعون أن يطبقوا طرائق للمعالجة تتسم بالعلمانية المحضة على مجالات معينة من التاريخ الأوروبى حيث أدى انفصال الدولة عن الكنيسة الى انتصار التاريخ العلمانى. وفى سياق التاريخ الاسلامى نجد أن النتيجة الوحيدة لانفصال الأبعاد العلمانية عن الدينية هو تشويه التاريخ كما حدث فعلا فى كتابات الكثير من المستشرقين. وما قصدنا هنا أن نبحث هذه المسألة بالتفصيل ولكننا نريد فقط أن نلحظ الصلة الوثيقة بين الدين من ناحية. . والمجتمع والاقتصاد والسياسة من ناحية أخرى. . باعتبار كل ذلك أجزاء لا تتجزأ من التاريخ الاسلامى، ولقد تأثرت بذلك أعمال أغلبية المستشرقين - وهو أمر له ما يسوغه - بما فى ذلك أعمال بالاسيوس وماسيجنون. وبرغم ذلك فإن غيرهما من المستشرقين الأكثر حداثة قد أكدوا على أهمية البعد الدينى فى التاريخ الاسلامى مع اعتمادهم على أحدث طرق المعالجة للعلوم الاجتماعية. ومهما يكن من أمر، فبينما نجد مستشرقين بعينهم يدرسون البعد الدينى كما يفهمه المسلمون، قبل أن يوجه أولئك المستشرقون نقدهم وحكمهم - نجد آخرين يفعلون ذلك وهم يرمون فى نهاية الأمر الى تحقير شأنه وتشويه حقيقته. ونسوق لتوضيح ذلك مثالين من المستشرقين البريطانيين المعاصرين، فوليم مونتجومرى وبرنارد لويس. . كلاهما من ذوى المكانة بين العلماء باعتراف الكثيرين من زملائهم الأوربيين. . وكلاهما درس جوانب معينة من التاريخ الاسلامى. . وكلاهما غزير الانتاج بشكل يندر وجوده فى مجال الدراسات الاسلامية. . وكلاهما درس البعد الدينى من التاريخ الاسلامى - ومع ذلك نجد أن كلا منهما قد فعل ذلك بطريقة تختلف اختلافاً جذرياً عن الآخر ومن ثم فقد صدر الحكم عليهما مختلفاً من قبل العلماء المسلمين المعاصرين.

وأخيراً فيكاد يكون من غير الممكن مناقشة طرق المعالجة والمنهجيات فى الدراسات الاسلامية دون أن نرجع الى مسألة تتسم فى كثير من الأحيان بالتميع والنسبية برغم حيويتها، ألا وهى مسألة الموضوعية وعدم التحيز بالنسبة للمؤرخين المستشرقين الذين قاموا بدراسة التاريخ الاسلامى، وليس هذا هو مجال بحث العوامل الخارجية المتعددة التى ميزت كتابات المستشرقين، ومع ذلك فمن الضرورى أن نشير بإيجاز الى الملامح الأساسية لتلك العوامل التى أثرت على المستشرقين بعامة إذ أنها قد أثرت كذلك على منهجيتهم فى التاريخ الاسلامى. وعلى سبيل المثال: نجد أن نورمان دانيال قد تتبع تطور صورة الشرق عند الأوروبيين باعتبارها محصلة للتوسع التجارى الأوروبى فى الشرق الأوسط خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر(١٧).

وقد قدم كاتب البحث فى مقال له (أثر الاستعمار والروح التبشيرية واليهودية على الاستشراق) عن طريق فحص النصوص التى كتبها أبرز المستشرقين فى القرن التاسع

● تتبع دوزى القواميس العربية والكتب المؤلفة وجمع مجلداً ضخماً للألفاظ التى احتملتها القواميس العربية أو غفلت عنها.

● يوسف هل نشر كتباً تعد غاية فى التحقيق و الأمانة

علينا أن نجد ردا على السؤال: ما التاريخ: أو ما التاريخ الإسلامي؟ لأن التصورات عن التاريخ تختلف مع اكتشاف مصادر جديدة ومع ظهور دراسات تاريخية جديدة، أضف الى ذلك أن المؤرخين هم الذين يصوغون التاريخ، ومن ثم نجد أن التاريخ يتغير بحيث يساير التغيرات التى تؤثر على مختلف أنماط المؤرخين عبر الفترات المختلفة. ومن ناحية أخرى نجد أن علم التاريخ الاسلامى قد تغير بصورة جذرية لأن المستشرقين قد تطوروا وفق المتغيرات التى أثرت على التغيير الذى طرأ على الاستشراق.

ومهما يكن من أمر فإن التاريخ الاسلامي هو أساساً فرع من فروع الدراسات الاسلامية، ومن ثم ظل وثيق الصلة بغيره من مجالات الدراسات الاسلامية، ولا سيما المجالات الدينية كالتشريع الإسلامي (الفقه) والتصوف الإسلامي (الصوفية)... الخ.

■ ***وقد واصل مستشرقون ذوو خلفيات متينة فى فقه اللغة واللاهوت دراستهم للتاريخ الاسلامى، ومن ثم نجده وقد بدا عليه أثر المنهجية التى جلبوها. ولا يدل اصطلاح «التاريخ الاسلامى» - فى نظرهم - على تاريخ دين واتباع هذا الدين بقدر ما يدل على تاريخ مناطق جغرافية بعينها.***

أما وعلى النقيض من ذلك: نجد أن علم التاريخ بالجامعات الغربية هو فرع من فروع المعرفة العلمية التى تتسم بالعلمانية المحضة، وان تطور التاريخ فى إطار العلوم الاجتماعية قد أدى به فى نهاية الأمر الى أن يصبح علماً مختلفاً تماما الاختلاف عن التاريخ الاسلامى.. فبينما من الممكن أن نجد مؤرخين غربيين ممن يعكسون كل مدرسة من مدارس الفكر الفلسفى تجريبيين كانوا أم تاريخيين، وبينما نجد التخصص مقسماً الى فترات ونطاقات زمنية كالقرون الوسطى أو الحديثة، نجد أن المستشرقين الذين يقومون بدراسة التاريخ الاسلامى يتميزون بمعيار آخر يختلف تماماً عن ذلك المعيار، والفرق الجوهرى بين المؤرخين الغربيين الذين يكتبون عن التاريخ الأوروبى، والمستشرقين هو أن الأوائل يقومون بدراسة تاريخهم هم بينما نجد الأواخر يدرسون تاريخ الآخرين.

[illegible] فإن العلاقة بين الاستشراق وبين العلوم الاجتماعية هى علاقة متينة للغاية.. ونجد أن المستشرقين قد زادوا من اعتمادهم على تلك الوسائل والطرق المأخوذة عن العلوم الاجتماعية فى دراساتهم عن الشرق. حقاً لقد صار التاريخ الاسلامى جزءا من العلوم الاجتماعية فى دراساتهم عن الشرق. حقاً لقد صار التاريخ الاسلامى جزءا من العلوم الاجتماعية ولا سيما الدراسات التى أجريت فى الفترات الأخيرة عن العالم الاسلامى. وعلى سبيل المثال: الدراسات التى قام بها العلماء الأمريكان المتخصصون فى المغرب فى مجال الدراسات الأنثروبولوجية أو الحضرية - بما فى ذلك مؤلفات مثل كتاب كينيث براون «شعب صالى» التقاليد والتغير فى مدينة مراكشية (مغربية) ١٨٣٠-١٩٣٠، مانشيستر ١٩٧٦(١٤) أو كتاب جانيت أبولغد «الرباط والتفرقة الحضرية فى المغرب، برينستون ١٩٦٨(١٥)..

وهما كتابان من العسير أن يشملهما

التصنيف ضمن الكتب التى ألفها المستشرقون بينما الكاتبان من العلماء الغربيين.

[illegible] نجد أن تغيير مسار التاريخ الاسلامى لن يتم إلا عن طريق الجيل الجديد من العلماء العرب والمسلمين الذين تلقوا تدريباً جامعياً غربياً، وذلك لن يتأتى بالاسهام الفعال فى تاريخ بلادهم من وجهة نظر مختلفة فحسب ومن «منطلقات» جديدة، لو استعرنا الاصطلاح الذى يستخدمه ادوارد سعيد، ولكن لأن مستشرقى المستقبل لن يكون فى وسعهم أن يدرسوا التاريخ الإسلامى وفى نفوسهم ذلك النوع من التحامل الذى يميز شطراً كبيراً من حركة (الاستشراق). أضف الى ذلك أن العلوم الاجتماعية، قد ربطت بين العلماء المستشرقين والمستغربين برباط وثيق - ويرجع الفضل فى ذلك الى وسائل الاتصال الحديثة.. وإلى تطور نظام طرق البحث، يقبله الطرفان.. وستظل النتائج التى يتوصلون إليها مختلفة. بيد أن ذلك الرباط الوثيق ليس من شأنه سوى إفادة الطرفين.. ومن المحتمل أن يتأثر علم التاريخ الاسلامى بصورة مباشرة بذلك باعتباره فرعاً من فروع الدراسات الاسلامية.. ولا ريب أن الطرق البدائية التى يستخدمها شطر كبير من المستشرقين فى التاريخ الاسلامى سوف تحل محلها طرق أخرى ومداخل أكثر تطوراً وملاءمة وتنفيذاً مستمدة من العلوم الاجتماعية إلى حد ما ولكنها أساساً نتيجة دراسات أعمق للتاريخ الاسلامى من خلال مصادره.

■ ويكاد يكون من غير الممكن أن نشير الى طريقةٍ للمعالجة أو الى عدد محدود من الطرق فى التاريخ الاسلامى لا لأن طرق معالجة التاريخ الاسلامى، متعددة فحسب ولكن لأن طابع الشمول الذى يتميز به التاريخ الاسلامى يجعل من المستحيل فعلا أن تكوِّن تصوراً تاريخياً للتاريخ الاسلامى يضم كل ملامحه وأبعاده المتعددة، وعلى سبيل المثال: نجد أنه لا مناص من وجود اختلاف بين تصورنا لتاريخ المغرب وتاريخ شبه القارة الهندية، على الرغم من أن كلا الأقليمين يدخل ضمن الحدود الجغرافية للعالم الاسلامى فدخول الاسلام الى المغرب ودخوله فى الهند ظاهرتان مختلفتان برغم أنهما يتشابهان من حيث قبول الدين الجديد.. ويرجع ذلك الاختلاف الى اختلاف الثقافات والحضارات التى ينتمى إليها الناس فى المغرب والهند. فالموضوعات المتعددة التى عالجها المؤرخون الفرنسيون فى الفترة الاستعمارية بشأن اللغز الذى افترضوا وجوده فى عملية قبول البربر للإسلام(١٦) هذه الموضوعات تختلف عن تلك الموضوعات التى ترتبط بقبول الاسلام عند المجتمع الآسيوى والمجتمعات الآسيوية فى الهند. فلقد اختلفت الظروف تمام الاختلاف من حيث البيئة والقوى والعوامل.. وثمة مثال آخر لمقارنة الخدمات فى إطار المجالات المختلفة للعالم الاسلامى وهو ما صار إليه الأمر من سيادة للسنة أو الشيعة بل لمختلف أنواع الفلسفة الدينية أو من أحكام القانون فى إطار التفريعات الأكبر نفسها.

[illegible] فإن هذا المقال سيحاول أن يؤكد على ضرورة أن ندخل اكبر عدد ممكن من فروع المعرفة فى إبراز تصور تاريخى للتاريخ الاسلامى يعكس بصدق مدى التعقيد الذى تتسم به الحقيقة التاريخية التى يريد المؤرخ أن يتفهمها ويحللها ويعكسها أو يعيد إخراجها.

●● ولا ريب فى وجود وحدة تلفت النظر فى إطار ذلك التنوع الذى نجده فى التاريخ الاسلامى ويتضح ذلك عند معالجة الاتجاهات العامة للتاريخ الاسلامى، بيد أنها تبرز واضحة جلية إذا ما تفحصنا الأبعاد الكثيرة للمجتمع الاسلامى، والفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية والدين الاسلامى، أو حينما نتتبع الاتجاهات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى سادت تاريخ البلاد الاسلامية. ومن ثم نجد أن تاريخ الصوفية أو المالكية لا ينحصر فى فترة زمنية معينة أو مكان بذاته.

ويؤدى بنا الطابع الشمولى الذى يتميز به التاريخ الاسلامى الى أن نتساءل عن ماهية التاريخ وعن حدود التاريخ الاسلامى ومميزاته الأساسية، وما هى

عشر والعشرين(١٨). ولكن كتاب إدوارد سعيد «الاستشراق» هو أحدث وأعمق تحليل للقوى التاريخية التى تقف وراء تطور فكرة الشرق، مقدمة إياها فى صورة حديثة متناقضة مع الشرق الحقيقى، عن طريق بحث تفصيلى لكتابات أصدق المستشرقين تمثيلا(١٩). ونجد أن هذا العمل المهم الذى خطه قلم عالم شرقى قد حظى باستحسان عظيم وتعليق كثير فى جميع أنحاء العالم، بيد أنه أثار كذلك غضب وسخط مستشرقين بعينهم يمضون فى غيهم مصورين الشرق صورة ثابتة من نتاج خيالهم يقصدون بها المستهلك الغربى، مفترضين أن القارىء الشرقى غير جدير بتقدير علمهم وأقل قدرة على توجيه النقد إليه(٢٠). أما مسألة الموضوعية فى كتابات المستشرقين فتتعرض من أجل ذلك للتحدى الجاد فى إطار الدوافع السياسية والأيديولوجية التى حفزت على تقدم الاستشراق الغربى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

٦) [illegible]: نجد المستشرقين فى كثير من الأحيان يحكمون على الاسلام والتاريخ الاسلامى معتمدين على قيمهم ومقاييسهم الثقافية الخاصة بدلا من اعتمادهم على المصادر التاريخية، وبوسع المرء أن ينتقد الانتاج الأدبى لهذه الحركة معتمداً على المقاييس والطرائق التى يزعمون تمثيلها والتى ينتمون إليها. ولقد أمكن تطور البعد الموضوعى للاستشراق لأنهم كانوا يكتبون لجمهور غربى دون أن يخضعوا فى ذلك للنقد. وأمكنهم دون وازع أو محاسب أو مقوم أن يؤلفوا النظريات «العلمية» التى لا أساس لها من الصحة على الاطلاق، ومن ثم نجد أمثلة كثيرة للنظريات التاريخية التى تقوم على بنية هرمية. وسلسلة من المستشرقين يرددون ويطورون النظريات نفسها القائمة على ما كتبه المستشرقون من قبل. ونجد أن هذا الصمت أو عدم الاكتراث من جانب العلماء الشرقيين هو عامل مهم للغاية يفسر لنا لماذا تمكن المستشرقون من اطلاق العنان لتحاملهم لمثل تلك الفترة الزمنية الطويلة. لقد جعلوا انفسهم فى منزلة القاضى، لأن «قراراتهم» كانت موجهة الى جمهور غربى يفتقر الى التكوين الفكرى اللازم لتقويم أعمالهم ونقدها كما يفتقر الى الطرق والحجج اللازمة لدحض نظرياتهم وافتراضاتهم ونتائجهم. وأسوأ ما فى الأمر أن المستشرقين سايروا فى كثير من الأحيان تقاليد معينة حيث يمدون الجمهور الغربى بما يتوقع منهم أن يمدوه به، وهكذا ظل مجتمع الاستهلاك الغربى أمداً طويلا يستهلك الانتاج الاستشراقى، وبالطريقة نفسها التى كان يستهلك بها السلع الأخرى - تقريبا - وبذلك نجد أن عدداً لا بأس به من المستشرقين قد مضوا فى غيهم لا يلوون على شىء فهم لذلك يضربون على غير هدى إذ لم يجدوا المقارعة من جانب نخبة المفكرين الشرقيين الصامتة، من ناحية، ومن جانب نخبة الغربيين الذين تنقصهم الدراية الكافية بالموضوع أو الاكتراث به والاهتمام بشأنه من ناحية أخرى. بل إن الأسوأ أن نجد كثيرا من المستشرقين قد بنوا مواقفهم على الموقف العام للاستشراق دون نقد أو تمحيص كدليل على كماله أو باعتباره أمراً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على الرغم من أن

● المستشرقون الاكثر حداثة أكدوا على أهمية البعد الدينى فى التاريخ الإسلامى.

● دراسات الاسلام عند الغربيين تنطلق فى كثير من الأحيان من الافتراض التقليدى ان الاسلام يتكون من مجموعة مختلفة من التأثيرات الأجنبية.

الدراسات النقدية الحديثة لهذه الحركة قد زلزلت بدرجة كبيرة البرج العاجى الذى يعيشون فيه وهذا يفسر لنا الدهشة التى تنتاب المستشرقين. . ومن ناحية أخرى: نجد أن الموقف السلبى لمستشرقين بعينهم تجاه النقد الموضوعى الذى وجهه «إدوارد سعيد» وغيره يدل على أن تلك السلالة من المستشرقين بمعناها الكلاسيكى قد تبدلت، بيد أنها لم تنقض عن آخرها.

إن أغلب هذا المقال قد تناول منهجية الاستشراق وأساليبه. . كما انه لم يهدف الى تناول الموضوع من كافة جوانبه وإنما قصدنا به ببساطة فتح منافذ جديدة يمكن لباحثين آخرين أن يسبروا أغوارها بمزيد من التعمق وكل ما حاولنا أن نحققه هو أن نعرض السؤال بدرجة تزيد - أو تقل - من الوضوح وأن نقترح الاجابات الممكنة، ومع ذلك فعلى الآخرين أن يقوموا هذا العمل وأن يؤيدوا أو يرفضوا هذه المقترحات.

إن توجيه السؤال الصحيح هو الخطوة الأولى فى حل أية مسألة.

ولعل من دواعى قلقنا أننا لم نقدم إلا بعض النقاط فقط مما يجدر بحثه حول مناهج الاستشراق وأساليبه وأن ما توصلنا إليه من نتائج فى هذا المقال إنما هو شىء مؤقت، فغنى عن القول أن الأمل يحدونا فى أن يقوم بعض الباحثين الآخرين بإكمال المسيرة التى بدأناها نحن.

الهوامش

(١) وعلى سبيل المثال، فإن واردنبرج قد درس صورة الاسلام فى كتابات خمسة من أبرز المستشرقين من ذوى الخلفيات المنوعة.

(جون كاكويز واردنبرج) «الاسلام فى مرآة المستشرقين، كيف علق بعض المستشرقين على الاسلام وكونوا صورة عن هذا الدين».

الطبعة الثالثة/ باريس، لاهاى، ١٩٦٢، وتركز دراسة واردنبرج على اجنياس جولد زيهر (١٨٥٠-١٩٢١)، ك سنوك هور جونج (١٨٥٧-١٩٣٦) وس. هـ بيكر (١٨٧٦-١٩٣٣) و دانكان بلاك ماكدونالد (١٨٦٣-١٩٤٣) ولويس ماسينون (١٨٨٣-١٩٦٢). . وهذه الدراسة واحدة من الأعمال المبكرة التى فرقت بين الاسلام وصورة الاسلام عند المستشرقين. . كما أنها اكدت بشكل كبير على البعد الدينى، لا بسبب طبيعة المستشرقين الذين اختار أن يدرسهم المؤلف فحسب، بل أيضا بسبب المنهج الذى اتبعه ويعتمد فيه بشدة على نظرية المعرفة فى العلوم الدينية بغض النظر عما فيه من ملامح أخرى مثل البعد التاريخى.

وهناك مثال آخر لمعالجة مشابهة لمعالجة واردبنرجر متمثل فى المقال القصير البليغ لوليام مونتجمرى وات عن صورة النبى محمد ﴿ﷺ﴾ فى أدب القرون الوسطى (ويليام مونتجمرى وات، محمد فى عيون الغرب، مجلة جامعة بوسطن ٢٢ رقم٣، خريف ١٩٧٤ من ص٨١ الى ص٨٩) إلا أن فكرة الصورة المشوهة عن الشرق فى الدراسات الغربية تظهر بشكل أوضح فى كتاب الاستشراق لادوارد سعيد (ادوارد سعيد، الاستشراق نيويورك ١٩٧٨).

(٢) مرة أخرى فإن «الاستشراق» لادوارد سعيد هو أكبر مثال توضيحى ولكن هناك أيضا بعض الأعمال النقدية منها «أزمة الاستشراق» لأنور عبد الملك، ديوجين (شتاء ١٩٦٣) رقم ٤٤ من ص١٠٣ إلى ص١٤٠.

(٣) وعلى سبيل المثال، كتاب و.م. وات عن الرسول ﴿ﷺ﴾ الذى صدر فى جزاين بعنوان «محمد فى مكة» (اكسفورد، ١٩٥٣) و«محمد فى المدينة» (اكسفورد ١٩٥٦) ويتميز كدراسة انثربولوجيا تركز على الظروف الاقتصادية والاجتماعية فى شبه الجزيرة العربية فضلا عن دراسته للسيرة النبوية.

(٤) ان اصطلاح «الاستشراق» مرن جدا لدرجة أن تعريفه يختلف من كاتب لآخر ومع ذلك فإن سماته العامة معروفة بشكل عام، وأى تغيرات أو تطورات مستقبلية تطرأ على الاستشراق ستحدد وفقاً لعاملين:

الاتصال الوثيق والمتزايد بين الدراسات الاسلامية والعلوم الاجتماعية من جهة. . وتأثير الجيل الجديد من دارسى الدراسات الشرقية الذين درسوا فى الجامعات الغربية وغالباً ما تتلمذوا على أيدى مستشرقين وهكذا فإنهم يعالجون حركة الاستشراق من الخارج وهذا النمط الجديد من الدارسين يوجد فى جميع انحاء العالم الاسلامى ومن الأمثلة على ذلك عزيز أحمد فى باكستان وسيد حسن نصر فى إيران وأنور عبد الملك فى مصر.

(٥) ومع أنه من الممكن مناقشة الاتجاهات المستقبلية العامة للاستشراق الا أنه من الصعوبة بمكان ـ وقد توزع هذا المجال المتخصص فى العديد من البلاد المختلفة ـ ان تستبين استشراقاً متجانسا، ومن جهة أخرى فهناك عامل لا يزال يؤثر على الدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية الا وهو الثقل المالى خلف الاستشراق. ومن التطورات الأخيرة فى هذا المجال الدعم المالى لبعض دول النفط العربية لأقسام الدراسات الشرق أوسطية فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. ومن الناحية النظرية فالمفروض ان هذا الدعم لا يؤثر على اتجاهات هذه الأقسام ولكن عمليا يحدث هذا، بل ان هذا الدعم احياناً ما يعطى بشروط وعلى أيه حال فإن هذه الاقسام ستظل مرتبطة بالجامعات التى هى جزء مكمل منها وللدول التى تنتمى إليها مما يحدد سياسات كل منها.

(٦) درس نورمان دانيال تأثير الأمبريالية على الدراسات الشرقية (نورمان دانيال، الاسلام، أوروبا والامبراطورية أدنبرة ١٩٦٦) وهذا الكتاب يعد استمراراً لكتابه السابق «الاسلام والغرب، محاولة لتحديد الصورة (الطبعة الثالثة، أدنبرة ١٩٦٦) ومع ذلك ولأنه قد تناول الرقعة الجغرافية حسب اتساع العالم الاسلامى من ١٧٨٩ الى ١٩٠٠ فى كتابه (الاسلام، أوروبا والأمبراطورية) فإنه لم يستطع التركيز بعمق على مناطق معينة أو حقبات تاريخية محددة وبالتالى فإن هذا الكتاب وإن كان مفيداً كمقدمة عن فكرة الاسلام الرئيسية كما يصورها الفكر الأوروبى خلال القرنين الثامن عشر والعشرين إلا أنه يفتقر الى عمق التحليل بدرجة ما.

(٧) فيما يلى ما كتبه ماكسيم رودنسون للاعراب عن ثنائه على كتاب وات كما جاء فى مقدمته للترجمة الفرنسية للكتاب: ولكن كل هذه الصعاب لا تشكل فى حد ذاتها هدفاً من أهداف دبليو. ام. وات، بل انها كانت مجرد نقطة انطلاق تسمح له بمناقشة المشاكل الحيوية التى هرب أمامها الكثيرون عند رؤيتها، ولقد واجه تلك المشاكل «بعقل مفتوح وبنظرة جديدة».

وعلاوة على ذلك فهو يتمتع بأمانة علمية كبيرة وبروح لا تمل الدفاع عن الحقيقة. وهذا مما يقنع النصارى أن صورة الاسلام ليست تلك الصورة الباهتة التى استحوذت على كثير من عقول الدارسين المسيحيين الذين وجدوا أنفسهم أمام التحدى الكبير الذى يمثله عالم المسلمين حتى مع العمل على ضرب الاسلام وتحقيره وتعذيب أهله. وقال: ان النصارى لا بد أن يتعلموا الكثير عن هذا العالم وسنرى كيف يستخدم لغة جديدة بإيمان المسلمين عندما يعالج موضوعات عنهم. ومن نافلة القول ان الرهاب العربى غريب بالنسبة له برغم انه يظهر عند الكثيرين كظاهرة شائعة.

انها سلامة العقل وتفتحه.. والأمانة العلمية.. ومعالجة الجوهر مباشرة، كل هذا أضاف أهمية الى كتابه عن «محمد» الذى يشكل شيئا مهما فى تاريخ الدراسات عن بنى الاسلام.

مقدمة روبنسون فى كتاب وات «محمد فى مكة» باريس ١٩٧٧، ص ٧ـ٨.

(٨) ماكسيم رودينسون، ما هو ميث، باريس ١٩٦١.

(٩) كازانوفا، «محمد ونهاية العالم» باريس ١٩١١ ص٣.

(١٠) يقرر ماكدونالد ـ دون تقديم أية أدلة تاريخية من أى نوع ـ إذا كان هناك شيء مؤكد عنه، وعن شخصيته غير الواضحة فهو كأنه حالة مرضية (دانكان بلاك ماكدونالد، من جوانب الاسلام «نيويورك، ١٩١١، ص٦٠».

(١١) وهناك مناقشة عن القبيلة فى التصور التاريخى للأندلس بين المؤرخين الفرنسيين، انظر محمد بن عبود «التصور التاريخى للأندلس قديماً وحديثاً» مجلة تاريخ المغرب، الأعداد ٢٩ـ٣٠ (١٩٨٣) ص ٤٩٨ـ٥٠١.

(١٢) ونجد أن دبليو. ام. وات يعطى الاصطلاح هذا المعنى المرن فى عبارته.. حتى اننا لنعده (جولد زيهر) بحق المؤسس لعلم الدراسات الاسلامية الحديثة» (دبليو. ام. وات) الفلسفة الاسلامية والدين الاسلامى» أدنبرة ١٩٦٢ ص١٨.

وتعكس هذه العبارة أثر جولد زيهر على وات وهو واضح أبلغ الوضوح فى أقدم ما قدمه فى هذا المجال «القدرية والقدر فى الاسلام» أعيدت طباعته باعتباره مؤلف (دبليو. ام. وات» الفترة التكوينية فى حياة الفكر الاسلامى، أدنبرة ١٩٧٣).

(١٣) إن التقدم الذى نرنو إليه لتقدم عظيم، وان الثمن الذى سنضطر الى دفعه ليس بالثمن الباهظ (ماكسيم رودنيسون «الصورة الغربية للدراسات الاسلامية الغربية» فى الكتاب الذى راجعه جوزيف شاخت وسى اى بوزورث «تراث الاسلام» الطبعة الثانية، اكسفورد ١٩٧٤، ص٦٢)

(١٤) وكتاب كينيث براون «شعب صالى، التقليد والتغير فى مدينة مغربية ١٨٣٠ـ١٩٣٠» مانشيستر ١٩٧٦.

(١٥) جانيت أبو لغد «الرباط: التفرقة العنصرية فى المغرب» برينستون ١٩٨٠.

(١٦) ونجد عبد الله لاروى يقيم الموضوعات التى عالجها المؤرخون الاستعماريون للمغرب فى مؤلفه «عن تاريخ المغرب» (عبد الله لاروى ـ (بالفرنسية) باريس ١٩٦٧).

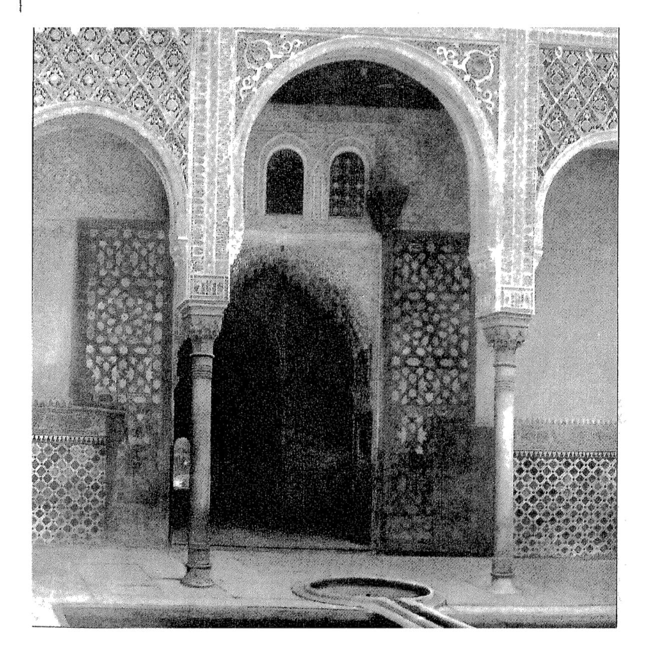
(١٧) نورمان دانيل «الاسلام، أوروبا والامبراطورية» أدنبرة، ١٩٦٦.

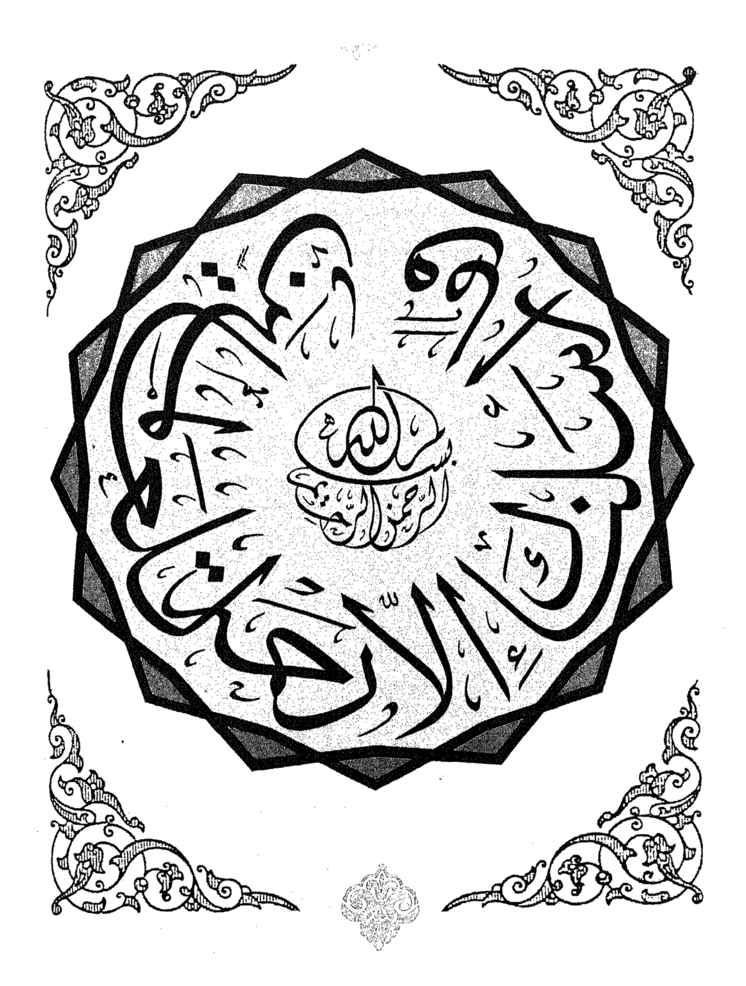
(١٨) دكتور محمد بن عبود «الاستشراق والنخبة العربية» (بالفرنسية) اعداد ٢٧-٢٨ (١٩٨٢) ص ١٩٩-٢١٥) ونشرت هذه المقالة أيضاً باللغة الانجليزية ناقصة (محمد بن عبود الاستشراق والنخبة العربية) المجلة الثلث سنوية الاسلامية، المجلد ٢٦، العدد (١٩٨٢) ص ٣-١٥.

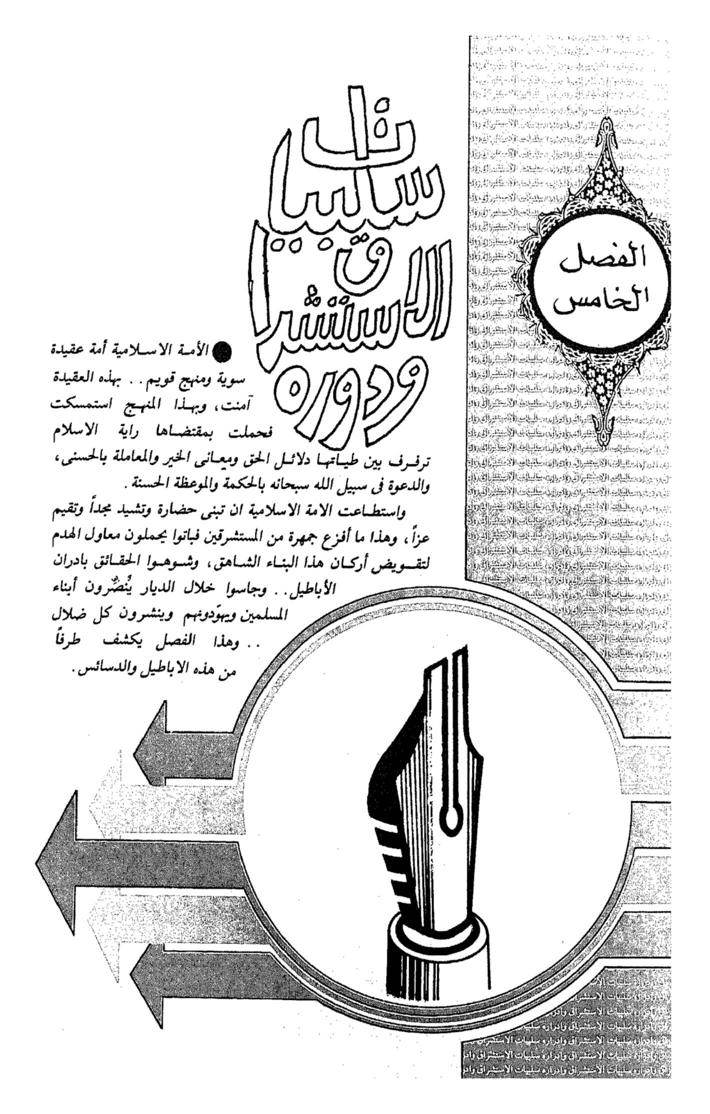
(١٩) يبرز مؤلف إدوارد سعيد نظراً لطريقة معالجته التي تتم بتعدد المعارف في مجال البحث، شاملا اللغويات والتاريخ. وباعتباره استاذا للأدب المقارن نجد سعيد يعتمد اعتماداً كبيراً على تحليل النصوص ولكن صلته واهتمامه بالعلوم الاجتماعية أضفى على مؤلفه صبغة تعدد العلوم.

(٢٠) من بين النقاد السلبيين نجد الصحفى الفرنسى فى جريدة الليموند (العالم) بيرونسيل هيجور وبرنارد لويس. ومهما يكن من أمر، فإن النجاح العالمى الذى لقيه هذا الكتاب يدل على قيمته الحقيقية.

● عمل الفنان غوستافو سيموني فى الجزائر وتونس حيث عاش لسنوات. . وفى هذه المشاهد الفخمة للأمنية يثبت سيموني براعته فى تصوير التفاصيل المعمارية.




بسم الله الرحمن الرحيم



● الأمة الاسلامية أمة عقيدة سوية ومنهج قويم . . بهذه العقيدة آمنت، وبهذا المنهج استمسكت فحملت بمقتضاها راية الاسلام ترفرف بين طياتها دلائل الحق ومعانى الخير والمعاملة بالحسنى، والدعوة فى سبيل الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة .

واستطاعت الامة الاسلامية ان تبنى حضارة وتشيد مجداً وتقيم عزاً، وهذا ما أفزع جمهرة من المستشرقين فباتوا يحملون معاول الهدم لتقويض أركان هذا البناء الشاهق، وشوهوا الحقائق بادران الأباطيل . . وجاسوا خلال الديار يُنَصِّرون أبناء المسلمين ويهوّدونهم وينشرون كل ضلال . . وهذا الفصل يكشف طرفاً من هذه الاباطيل والدسائس .

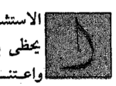
الاستشراق ومكوّنات النفس
تجاه الإسلام والمس

● الحملات ضد المسلمين فى الغرب تتسم غالباً بالشطط وعدم الانصاف.

● ابتدع الاعلام الغربى مسميات تنضح بالعداء الفاضح على المسلمين.

● سعت الكنيسة كأسلوب مخادع جديد إلى عقد مجموعة حوارات ومؤتمرات مع المسلمين تحت شعار (الوحدة بين الأديان).

بقلم : الدكتور محمد عثمان صالح

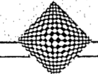


الاستشراق موضوع يحظى باهتمام واسع واعتناء بالغ فى الأوساط العلمية، الاسلامية والعربية فى عصرنا الراهن.

وذلك لما للموضوع من تأثير فى السالف، وأهمية فى الحاضر، وأثر متوقع فى المستقبل على العلاقة بين الشرق والغرب ـ أو بعبارة أكثر حساسية، بين الدول النامية والدول الصناعية، أو شعوب الشمال وشعوب الجنوب.

■ ويتجدد الاهتمام بالموضوع كلما قامت (حملة) فى الغرب تكون العلاقة مع الشرق فيها هى الموضوع المحرك لهذه (الحملة) سواء كان ذلك من الجانب الاعلامى أو الثقافى أو الفكرى، أو الاقتصادى أو السياسى.

وقد لاحظ الباحث من نماذج عدة ـ من هذا النوع أو ذاك ـ أثناء دراسته فى الغرب أو بعد عودته للشرق، أن هذه (الحملات) غالبا ما تتسم بالتحامل والشطط وعدم الانصاف. سواء تلك التى تسعر ضد دعاة الحرية ـ ويسمونهم بالارهابين ـ أو ضد دعاة الأصالة ـ ويسمونهم بالمتشددين ـ أو الرافضين للقيم الماديه.. ويسمونهم بالرجعيين. وأخيراً تجددت (الحملة) مباشرة على قيم الاسلام ومثله فى القضيه التى فجرها كتاب «الآيات الشيطانية» (للمرتد) سلمان رشدى. حيث دافع عن سلمان رشدى عدد كبير من السياسيين والمفكرين والأدباء والفنانين فى كل العالم الغربى تقريباً، ووقع أكثر من ألف منهم وثيقة تدعو الى صيانة حرية التفكير وحرية التعبير، وتدين كل



ـيّة الغربية
ـلمين

من يحاول المساس بهذا الكاتب وجاء موقف الحكومات الغربية متسقا مع هذه المواقف(١).

تساؤلات:

ويتساءل المرء: ما أسباب مثل هذه الحملات؟.. وما دوافعها؟.. ما عوامل تكوينها؟.. ما سر تجددها عبر العصور والأجيال؟.. وما سر بروزها بشكل أو بآخر فى وقتنا الراهن؟.

■ من البحث عن جواب لهذه الأسئلة جاء اهتمام الباحث بهذا الموضوع الذى اختار له عنوان «الاستشراق ومكونات النفسية الغربية تجاه الاسلام والمسلمين».. وبالطبع فإن الدراسات الاستشراقية المعاصرة والقديمة، تقع فى دائرة اهتمام الكاتب ثم فى دائرة تخصصه من بعض الوجوه.

فهل يستطيع أحد الزعم أن بإمكانه البحث فى «مقارنة الأديان» من غير معرفة بالعلاقة بين الشعوب التى تدين بهذه الأديان؟.. وهل بامكانه ذلك من غير معرفة بالخلفيات التى تشكل القناعات والميول والتصرفات المبنية على مبررات عقدية أو «ثيولوجية»؟.. وهل الاستشراق إلا «المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق - التعامل معه باصدار تقريرات حوله.. وإجازة الآراء فيه وإقرارها.. وبوصفه وتدريسه والاستقرار فيه وحكمه».. وهل الاستشراق «فى نهاية المطاف الا رؤى سياسية للواقع.. وظاهرة تاريخية.. ومنهج فى الفكر.. ومشكلة معاصرة.. وواقع مادى» حسب عبارة إدوارد سعيد؟(٢).

■ لقد اهتم الباحثون فى عالمنا العربى والاسلامى المعاصر بالاستشراق وخاصة ظاهرة اهتمام الغربيين - من قديم - بالاسلام والمسلمين فمنهم من أرجع هذا الاهتمام الى علاقة التضاد التقليدى بين الشرق والغرب منذ اقدم عصور التاريخ الى عصرنا الراهن - كما فى تفسيرات إدوارد سعيد(٣) ومنهم من أرجع هذا الاهتمام الى تأجج العداء الدينى والإحن التاريخية - كما فعل مصطفى السباعى(٤) - رحمه الله تعالى - ومنهم من أرجعه الى عدة عوامل كما فعل عدنان محمد الوزان(٥). ومنهم من أرجعه الى الافكار التنصيرية كما هو عند قاسم السامرائى(٦). ومنهم من اعتبر الاستشراق ممثلا للخلفية الفكرية للصراع الحضارى بين الشرق والغرب وذلك فى ما كتبه الدكتور محمود حمدى زقزوق(٧).

■■ وهكذا تعددت العبارات رغم أنها كلها تدل على التباين الثقافى والفكرى والمصلحى بين الشرق والغرب، ممزوجا ذلك كله بروح العداء وانعدام الثقة مما لا يمكن اصلاحه الا بمجهود كبير من الباحثين، فى كلا الجانبين الشرقى والغربى. وقد لا يمكن إصلاح هذه العلاقة إطلاقا الا أن ياذن الله بغير ذلك.

رأى فى المنهج:

أما الباحث فى هذه الدراسة المركزة فسيحاول إعادة تقديم هذه التفسيرات فى ضوء ما انكشف له من تأثر الغربيين فى تعاملهم مع الشرق بعوامل نفسية عميقة. وهذه العوامل النفسية لا ترجع الى سبب واحد وإنما الى عدة أسباب أجملتها فى التالى:

(١) العداء الدينى، الذى يمثله الصراع بين الصليبيين والمسلمين.

(٢) الخيال الأدبى، الذى يجسد الحقد وسوء الظن.

(٣) الطمع المادى فى خيرات الشرق وموارده.

(٤) الاستعلاء العنصرى.

(٥) الاستعلاء الحضارى.

■■ وبالرغم من أن الباحث له وجهة نظر فى تعميم دراسة الظواهر

● الـتراث الأدبي الـذى انطلق منه المستشرقون زاخر بكل ما هو عدوانى ضد المسلمين.

● من أنواع الاستفزاز للشرق تبنى كثير من الاوروبيين مسألة الاستعلاء العنصرى الذى يجعل الرجل الغربى من حيث اللون والسيادة فوق كل الاجناس الاخرى.

الانسانية بمنهج التحليل النفسى أو قياس كل الانشطة الانسانية بالمقاييس المادية، الا ان هذا لا يعنى ان منهج التحليل والتركيب فى هذه الجوانب غير صالح ألبتةً. انه قد يساعدنا فى معرفة تصرفات كثير من الأفراد والجماعات خاصة إذا لم يجنح به الباحث الى شطط الخيال، أو دواعى الهوى.

أثر الاستشراق فى الغرب:

إن ظاهـرة الاستشـراق التى نحللها ونبحث عن دوافعها وآثارها فى الفكـر الغـربى بصفـة عامـة والأوربى بخـاصـة، ظاهـرة حية متحـركـة متجـددة، ذلـك لأن الاستشـراق احتـل مركـزا هو من السيادة بحيث انه ليس فى وسع إنسـان (فى الغـرب) «يكتب عن الشرق أو يفكر فيه أو يمارس فعلا متعلقا به، أو يقوم بذلك دون أن يأخذ بعين الاعتبار الحدود المعوقة التى فرضهـا الاستشـراق على الفكر والفعل»(٨).

■■ وغنى عن القول انه بالرغم من وجـود جوانـب إيجـابيـة فى دراسات بعض المستشرقين الا أن أثـر ذلـك على الـرجـل الغـربى ضئيل بحيث لا يتعدى فى بعض الحالات نطاق الاحتراز فى الدوائر الأكـاديميـة، أو المجـامـلات فى العلاقات الفردية.

■■ أما الأثر الأقوى والأبقى فهو الانـفعـال السـالب بمقـولات المستشـرقـين الاقـدمـين منهم والمحـدثين.. منصـرين كانوا أم اكـاديميين.. إمبرياليين كانوا أم لبراليين.. وهذا الانفعال السالب مستكن فى صميم الـلا شعـور يرضعـه الغـربى من ألبان أمه. حسـب عبـارة الاستـاذ أنـور الجنـدى(٩). وتؤججـه العـوامـل المشار اليها آنفا، وهاكم بعض التفصيل:

اولا: العداء الدينى

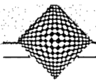
(١) اعترافات المستشرقين:

●● إن عداء الغـربيين للاسلام والمسلمـين حقيقـة لا يستطيع أن ينكـرها أشد المستشرقين مراوغة. وقـد بدت من بعضهم اعـترافات بذلـك: إمـا فى مجال تأجيج هذه العـداوة، أو الاعتـذار من شدة وقعها على المسلمين ومحاولة تهدئة خواطرهم.

■ كمثـال على الاتجـاه الأول لا أجـد أبلغ من كلمات المستشـرق الـفـرنـسـى جيـوم بوستـل Gu Uaume (١٥٨١م)(١٠) Postel حيث يقـول فى معرض حثه بنى قومه على تعلم اللغة العربية:

«إنها تفيد بوصفها لغة عالمية فى التعـامـل مع المغـاربـة والمصريين والسوريين والفرس والاتراك والتتار والهنود.. ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتـاب المقـدس، وان ينـقض معـتـقـداتهم التى يعتقدونها»(١١). وهذا قول يلخص كل حزازات القرون الوسطى.

■ أمـا المثـال على الاتجـاه الاعتـذارى التبريـرى فهـو من عصرنا الراهن حيث يقول (برنارد لويس): «لا تزال آثار التعصب الدينى الغربى ظاهرة فى مؤلفات



عدد من العلماء المعاصرين ومستترة فى الغالب وراء الحواشى المرصوصة فى الأبحاث العلمية» ومثل لويس (نورمان دانيال) الذى يقول: «على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التى بذلها بعض الباحثين فى العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب النصارى من الاسلام فانهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجرداً تاماً»(١٢).

(٢) اعتراف كاثوليكى:

●● والمدهش حقا أن الكنيسة الكاثوليكية صاحبة اليد الطولى فى تأجيج العداوة مع المسلمين أشارت بواسطة مستشرقيها ومنصِّريها.. فى قرارات مجمع الفاتيكان الثانى (١٩٦٥م) الى ضرورة إيجاد تفاهم مع المسلمين وإجراء حوار معهم. يقول النص: «ولئن كان عبر الزمان قد وقعت من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين فإن المجمع يهيب بالجميع أن ينسوا الماضى وأن يعملوا باجتهاد صادق سبيلا للتفاهم فيما بينهم(١٣) (هكذا).

●● وفى مجال آخر صدرت بعض الرؤى من الفاتيكان على شكل اعتراف - على الطريقة الكاثوليكية، أصرح ما جاء فيه قولهم «يجب علينا كمسيحيين ونحن نخاطب المسلمين، أن نفكر قبل كل شىء فى صعوبات وعوائق الحوار والتى تتعلق بنا الى حد كبير، والى الظلم والجور الذى أحاط به الغرب ذو التربية المسيحية المسلمين، واقترف ذنوبا وآثاما عديدة بحقهم.. قبل كل شىء يجب ان نأخذ فى اعتبارنا أن العصور الماضية كالسنوات الحالية، قد تركت فى الأذهان والأفكار وخاصة فى بعض المناطق مرارة عميقة حيال الغرب.. إن المسيحيين اوقفوا بل حطموا انطلاقهم الحضارى نتيجة الحروب الصليبية التى ساهمت بوضع حد لأكثر الأوقات ازدهاراً فى التاريخ الاسلامى(١٤).

(٣) مظاهر العداوة الحالية للمسلمين:

●● إذا كانت هذه هى اعترافات الكاثوليك فى أوربا، وقبلها رأينا اعترافات المستشرقين (لويس ودانيال) - والبريطانيون يميلون نحو المذهب البروتستانتى - فهل قللت مثل هذه الاعترافات ومثل تلك الجهود، فى إدانة النفس، من غلواء العداوة المرتضعة مع ألبان الأمهات ومع مراحل التعليم العام فى سائر بلاد الغرب؟.

●● الجواب - مع شىء قليل من الحذر - بـ (لا) - يؤكد ذلك مظاهر العداوة البارزه على المستوى الرسمى والشعبى، مهما تلفعت الوجوه باقنعة المصانعة والتحفت باردية المداراة. وخطت فى طريق التضليل.

ثانيا: الخيال الأدبى

(أ) ماهية الخيال الادبى ومكوناته:

الخيال الأدبى يأتى عندى فى المرتبة التالية بعد العداء الدينى فى مكونات النفسية الغربية تجاه الاسلام والمسلمين. فإن حصيلة ما يسميه بعض الكتاب «بالانشاء»(١٥) يتجاوز لحظة الامتاع الادبى ودغدغة المشاعر المختلفة، يتجاوز ذلك الى البناء الشعورى أو اللاشعورى فى نفسية من استهدفهم الأديب وهكذا يكون الخيال الأدبى الذى أصبح «انشاء» ثم اصبح «بناء» مكونا فعالا فى نظرة الانسان الغربى الى الاشياء التى استهدفها صاحب الخيال الأدبى.

وقبل الخوض فى تفاصيل اكثر، يجمل بى ان أعطى خطوطا عريضة عن مكونات الخيال الأدبى عمّن صاغوا مشاعر الغربيين من ادبائها العظام وفنانيها المؤثرين فى الحياة الفكرية فى المجتمع الغربى قديما، وأثروا بالتالى فى الاجيال المعاصرة فى الغرب عامة، وفى اجيال المستشرقين المتلاحقة بصورة خاصة.

● زارويكس، الذى تتلمذ لدى جيروم، المغرب والجزائر ومصر وسوريا وفلسطين.



■ إن من صاغوا مشاعر الغربيين الذين اعنيهم.. فيهم رواة الاساطير وادب الرحلات وفيهم الشعراء.. وفيهم القصاصون.. وفيهم الكتاب والنقاد.. وفيهم الوعاظ فى الكنائس.. وفيهم الفنانون (الغنائيون والرسامون). هؤلاء جميعا صاغت أخيلتهم الأدبية والفكرية والفنية عدة عوامل نذكر من اهمها التالى:

أولا: ما يتفتح عليه الانسان من طبيعة وبيئة وجو محيط.

ثانيا: ما يسمعه الانسان فى صباه وحياته الأولى من أقاصيص وأحاج واساطير لا شك فى انها تكوّن عنده حصيلة معرفية ثابتة تظهر آثارها فى تكوينه من بعد.

ثالثا: المشاعر الدينية التى تكونها عوامل عدة منها ما يرتبط بما سبق ومنها ما يتصل بجو الأسرة والمدرسة والمعبد. وهذه المشاعر من أقوى عوامل الحب والكره.. والاستحسان والاستقباح(١٦) كما سبقت الاشارة اليه فى المبحث السابق.

رابعا: ما يقرأه من أدب قديم (كلاسيكى او اسطورى أو دينى) يعد مكونا مستقلا ولا سيما ما يتصل بالكتاب المقدس (عند اليهود والنصارى) فهذا الارث العجيب فيه أسفار بليغة تشحن الخيال الأدبى بكل ما هو جامح، وطافر، ولا سيما اذا كان تفسيره موجهاً بخلفية ملونة تخدم أهدافاً معينة لأعداء الاسلام وأذكر على سبيل المثال الأسفار الشعرية فى العهد القديم مثل: المزامير.. ونشيد الأناشيد.. والجامعة.. والأمثال. ثم أسفار الرؤى والملاحم التى أصبحت مادة خصبة لأدب (القبّالا)(١٧) مثل أرمياء.. واشعياء.. ودانيال (فى العهد القديم).. ورؤيا يوحنا (فى العهد الجديد).

■ كل هذه المكونات جعلت المفكرين الذين نتحدث عنهم فى علاقتهم مع الشرق والشرقيين يركنون الى الخيال الادبى الذى هو «نزوع رومانسى صريح.. للقصة المسيحية والمبادىء المسيحية والى الصراعات العنيفة، والانقلابات المباغتة فى الحياة الداخلية المسيحية متمحورة حول الاطراف المتضادة من التدمير والخلق، والجحيم والنعيم، والنفى والتوحد.. لكن ما داموا قد عاشوا بشكل لا مفر منه بعد عصر التنوير فإن الكتاب الرومانسيين اعادوا الى الحياة هذه المسائل القديمة مع فارق، لقد اخذوا على عاتقهم انقاذ مستقبل التاريخ الانسانى والمصير الانسانى، والقيم الاساسية لتراثهم الدينى عن طريق اعادة تركيبها جميعاً بشكل يجعلها.. مقبولة فكرياً»(١٨).

(٢) الاسقاط:

ولا شك ان التراث الادبى الذى انطلق منه المستشرقون زاخر بكل ما هو عدائى للمسلمين.. ويكفى ما صوّره رجال أمثال دانتى فى «الكوميديا الالهية».. ولامارتين فى رحلته الى الشرق (١٨٣٣هـ).. ورينان فى عدائه للسامية.. وفكتور هيجو فى شعره.. ورغم أن الكاتبين الأخيرين جاءا بعد عصر النهضة

إلا أنهما لم يسلما من ميراث ما سماه ريتشارد شوذرن «بحقبة الجهل»(١٩) - تلك الحقبة التي كانت تبحث عن تعليل عقدى (ثيولوجى) لتبرر به قوة الاسلام وفاعليته أمام ضعف أوربا فى العصور الوسطى. لقد كانوا يتساءلون *هل الاسلام هو واحدة من أمارات الساعة؟.. هل هو الوحش الذى جاء فى سفر دانيال، او الدجال الذى جاء فى سفر الرؤيا؟.. هل هو هرطقة مسيحية؟.. هل هو عمل شيطانى؟..* وهكذا ورث الاخلاق من بعد حيرة الاسلاف، وعداوتهم، ورفضهم التفاهم مع كل ما هو شرقى أو اسلامى، وكانت حالتهم النفسية ما يمكن ان نسميه «بالاسقاط» لاثبات التفوق الغربى الذى يبشر به المستشرقون حين يتعاملون مع الشرقيين وبخاصة المسلمين منهم. لقد ادرك هذه الحقيقة أحدهم فقال:

«الذى لا يخاف ان يفقد شيئا يستطيع ان يستمع الى خصمه بهدوء... أما ذلك الذى يعتقد ان شيئا هو عزيز عليه (سيفقد) فإنه يحس بالتوتر والألم عندما يواجه مناظراً ينقض ذلك.. ويسلبه الارض التى يقف عليها»(٢٠).

■ وعليه فإنَّ الخيال الأدبى الذى صاغ تلك الصورة الأسطورية البشعة عن الاسلام والشرقيين على نحو ما صوره ريتشارد سوذرن فى (الاسلام فى أوربا العصور الوسطى) انما يؤكد ما قيل انه: «حين نبدأ بمعاينة الاستشراق بوصفه نمطا للاسقاط الغربى على الشرق، وارادة السيطرة عليه، فلن يواجهنا إلا عدد «قليل» من المفاجآت، ذلك أنه إذا كان صحيحا أن مؤرخين أمثال «ميشليه ورانكه» يحيكون سردهم (كقصة من نمط خاص) فإن الشيء نفسه يصدق على المستشرقين الذين حبكوا التاريخ الشرقى، والشخصية الشرقية، والمصير الشرقى، لمئات السنين»(٢١) على نفس النمط.

■ إن تعامل الغربيين مع الاسلام والمسلمين أثر فيه هذا المكون الأدبى بصورة قاطعة. فرجال أمثال نابليون، ودوليسيبس (حافر قناة السويس)، وذررانيلى، ولورد كرومر، ولورنس العرب، واخيراً جيل السياسيين والصحفيين والمستشرقين الحاضر، لابد أن تكون هذه الصورة قد حفرت فى ذاكرته، لا تغيب عنها أبداً.

ثالثا: الطمع المادى

(١) الخلفية:

وتأتى بعد المكون الدينى والمكون الأدبى قصة الطمع المادى فى خيرات الشرق استغلالا واستعمارا وهيمنة. ولقد أدرك كثير من الباحثين هذه الحقيقة بحيث، اقتنعوا أن الشرق ما كان يساوى شيئاً فى دائرة اهتمام الغربيين لو كان خلواً من المنافع المادية الواقعة أو المحتملة. ولذا فإن الطمع هو من أخطر المكونات النفسية عند الغربيين.

■ ولا شك ان إدوارد سعيد - وهو ممن عاشوا فى الغرب وارتبطت مصالحهم به - هو خير من ربط بين اهتمام الغربيين بالشرق وكونه بقرة حلوباً تدر الخيرات منذ عهد بطالسة اليونان وأباطرة الرومان. يقول فى ذلك الربط بين الاستشراق واطماع الغرب.

●● «الاستشراق ليس اسهاماً أدبيا فارغاً حول الشرق بل إنه لجسد مخلوق من النظرية والتطبيق، ما برح لأجيال عديدة موضعاً لاستثمارات مادية كبيرة. وقد جعل الاستثمار المستمر الاستشراق من حيث هو نظام المعرفة بالشرق مشبكا يمرر خلاله الشرق الى الوعى الغربى»(٢٢).

■ واذا كان هذا هو التعميم فى معرفة قيمة الشرق المادية لدى المستشرقين فإن إدوارد سعيد يحدد وقتا معينا لانتباه الغربيين لضرورة تقنين علاقة الاستشراق المصلحية مع الشرق. يقول:

●● منذ أواخر القرن الثامن عشر

● بعض أبناء الشرق الاسلامى ممن تأثروا بالغرب اصبحوا ينظرون الى أبناء جلدتهم نظرة غربية مطلقة.. متنافية حتى مع أعرافهم وتقاليدهم.

● يعمد الغرب المسيحى إلى استفزاز مشاعر المسلمين حتى عن طريق شركات الملابس التى تطبع بعض آيات القرآن الكريم على الملابس.

● كتاب الآيات الشيطانية أصداء استشراقية ونصرانية.

(تقريبا) ما تزال تحت حركة ناشطة منضبطة تماما - بل ربما كانت مقننة - بين الاثنين. وفى هذه المرحلة يمكن أن يناقش الاستشراق ويحلل بصفة المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق(٢٣).

ولا يعجز المرء أن يجد نموذجاً صارخاً لهذا التقنين إذا ما بحث بين السطور فى أى أثر عمل يناقش العلاقة بين الشرق والغرب والمستعمرين (بالكسر) والمستعمرين (بالفتح) انظر مثلا ما يقوله اللورد كرومر فى تفنين هذه النفعية التى يزعم أنها متبادلة بين الاثنين حيث يقول:

●● «أهو خير لهذه الأمم العظيمة - وانا أعترف بعظمتها - أن نقوم نحن (المستعمرين) بممارسة هذا النمط من الحكم المطلق؟ فى ظنى ذلك خير. وفى ظنى أيضا أن التجربة تظهر أنهم (أى الشرقيين) فى ظل هذا النمط عرفوا حكومة أفضل بمراحل مما عرفوه خلال تاريخ عالمهم الطويل كله.. وانها ليست مصدر نفع لهم فقط بل هى دون شك مصدر نفع للغرب المتحضر بأكمله.. (ثم يقول) نحن فى مصر لسنا من اجل المصريين وحسب، مع اننا فيها من اجلهم، نحن هناك أيضا من أجل أوربا كلها»(٢٤).

(٢) دور المستشرقين:

إن رجل الدولة المستعمر - كاللورد كرومر - ما كان ممكنا له ان يكوّن مثل هذا الرأى لولا أن المستشرقين الذين سبقوه أو عاصروه قد بلوروا أمامه «وأمام امثاله» مثل هذا الاتجاه. وعن تساند دور المستشرق مع المستعمر ظهرت كتابات كثيرة. ولكن أهمها ما يأتى من الدوائر الاستشراقية والتنصيرية ذاتها. ولعلنا نستأنس هنا بما قاله نجيب العقيقى اذ يقول:

●● «ومن الملاحظ ان الدول الغربية لما قويت فى العصور الحديثة وبدأت تتطلع الى استعمار الشرق ادى الاستشراق دورا هاماً فى هذا الانفتاح الغربى على الشرق. فلما ارادت هذه الدول عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاغتراف من تراثه والانتفاع بثرواته والتزاحم على استعماره، احسنت كل دولة استعمارية الى المستشرقين فيها فضمهم الملوك الى حاشيتهم كأمناء أسرار وترجمة.. وانتدبوهم للعمل فى سلكى الجيش والدبلوماسية الى بلدان الشرق.. وولوهم كراسى اللغات الشرقية فى كبرى الجامعات والمدارس الخاصة - والمكتبات العامة والمطابع الوطنية.. واجزلوا لهم عطاءهم فى الحل والترحال.. ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية»(٢٥).

وإزاء هذا الوضع المتميز للمستشرق بين قومه لابد انه قدم خدمات جليلة اشبعت الطمع المادى او هى بسبيل ذلك لأن العملية عملية انتهاب خيرات الشرق لا تزال مستمرة.

(٢) الدور البديل:

■ إن الدور الجديد للمستشرق (خبراء المناطق) هو البحث فى كيفية استمرار الهيمنة العصرية، ولكن باساليب مقبولة. فإذا كان الاحتلال اصبح صعبا فإن الاختراق والتجاوز هو الحل البديل لمعضلة اليقظة" أو الصحوة.

■ وبفضل جهود العاملين فى الدوائر الجديدة، لمصالح الغرب فى الشرق أصبح من الممكن الاحتفاظ بقدر من الهيمنة مكن أوربا - بشقيها - ودول الغرب بعامة من السيطرة على معظم موارد العالم الثالث.

ان الدهشة تكاد تعقد الالسنة والابصار اذا علمنا أن ٢٠٪ من سكان العالم الصناعي (الغربي) يتمتعون بـ ٧٠٪ من الدخل العالمي ويعيش اكثر من ثلاثة ارباع سكان العالم على الباقي. وان ٩٤٪ من علماء وفنيي العالم الثالث يعملون فى العالم الصناعي ومعنى ذلك ان الغرب يحظى باستثمارات هائلة فى مجال استنزاف العقول البشرية والمواد الخام ايضا دون مقابل.

■ وقد وضعت الخطط للاحتفاظ بهذا الوضع المتفوق للغرب بحيث تضرب وفى الحال أية محاولة لامتلاك القرار السياسى او القوة المادية عسكرية كانت أو اقتصادية والامثلة على هذا لا تكاد تحصى.

ويتضح منها ان الطمع المادى هو المكون الأهم فى مسألة العلاقة وليست المثل أو الصداقة أو التبادل.

رابعا: الاستعلاء العنصري

(١) البداية:

ولعل الحديث عن الطمع المادى يقود الى بواعث هذا الطمع - انها عقدة الشعور بالاستعلاء العنصرى. الذى يجعل العالم كله دون مستوى الرجل الغربى من حيث العرق، واللون، والسيادة. واذا كان هذا الوهم هو المنطلق لسائر الاوربيين فالمستشرقون ليسوا استثناءا عن بنى جلدتهم فى شعورهم بالاستعلاء العنصرى.

■ وهناك مظاهر هامة وبارزة لهذا الاستعلاء العنصرى فى كتابات مستشرقين امثال رينان ونيتشه وغيرهما. وهذا مالاحظه بعضهم حين قال:

«علينا ان نلاحظ ان أفكار رينان وغوبيو العنصرية العرقية صدرت عن الحافز نفسه (يعنى حافز الاستعلاء).. ومن ينكر أنها كانت (أفكاراً) مشبعة بمذاهب التفوق الأوربى وبشتى انواع العنصرية والعرقية وبالامبريالية وما إليها. وبافكار مذهبية جامدة عن الشرقى؟»(٢٦).

■ إن هذا الاستعلاء المتدثر برداء الوطنية والقومية انما كان رد فعل صارخ لنزعة عنصرية حملتها امم أوربا من قبل عصر النهضة - بل ترجع فى جذورها الى حضارتى اليونان والرومان الوثنيتين اللتين كانتا تقسمان الناس الى سادة وعبيد. وفى العصور الوسطى الى سادة ونبلاء وعبيد ورقيق ارض وحين جاء عصر النظريات العلمية حاول الغربيون تقنين هذه النظرة المستعلية فى شكل نظريات علمية.

(٢) تقنين الاستعلاء العنصرى:

ولكى لا يكون الحديث تجريدا والنجع بعيدا دعونا نأخذ أخطر نظرية علمية اثرت فى تركيب العلوم الانسانية المعاصرة والعلوم الطبيعية - تلك هى نظرية التطور او النشوء والارتقاء المعروفه باسم الدارونيه التى تنسب الى شارل دارون.

●● ما مغزى هذه النظريه وما محتواها سوى الاستعلاء العنصرى متدثرا بدثار العلمية والمنهجية انها تقول ان سلسلة الخلق بدأت بالأدنى ثم ترقت الى الاعلى.. ففى أول السلم يأتى الزنوج والاجناس السوداء والملونة.. ثم يأتى فى قمة الهرم هرم التطور الاجناس البيضاء من الساميين واللاتين والآريين

● المناظر الطبيعية التى رسمها سيمونسن كانت مستوحاة من رحلة إلى الجزائر.



والانجلوسكسون . . الخ .

■ وهكذا يرى الرائى فى المتحف البريطانى بلندن - او اى متحف غربى - فى قسم التاريخ الطبيعى سلسلة تطور الخلق المفترضة فى صورة خيالية أو لوحة مرسومة ملونة بالصبغة العنصرية الفاقعة .

■■ وبالرغم من ان دارون كان ينطلق من سجن دونيَّة اليهودية ومن احلام اورومته الساميه الا انه فى العموم أرضى الغرور والاستعلاء الغربى ، اذ جعل الرجل الابيض فى أعلى سلسلة التطور اذن فهو نتاج «الانتخاب الطبيعى» المزعوم .

■■ ثم بعد نظرية دارون تأتى نظرية الـ (Suppcr Man) للفيلسوف الالمانى نيتشه (فالسيوبر مان) عنده هو الرجل الذى جمع الى كرم المحتد الآرى أو الابيض التفوق الفكرى والحضارى . . فكان لابد من ضم الجانب الفكرى والحضارى لاظهار التفوق الذى لا يغلب ، ولعله من نافلة القول ان نذكر ان كل هذه التيارات خلفت آثارها فى انتاج المستشرقين بل دارت صراعات حادة بين نصراء السامية واللاسامية من حيث المكونات العقلية واللغوية والحضارية .

الاستعلاء الحضارى

(١) لماذا الاستعلاء :

ولعل الاستعلاء الحضارى الذى ادعاه الغربيون كان نتيجة للادعاء العنصرى إذ أنه من المنطقى عندهم أن يكون صاحب العنصر الأصفى هو الأكثر تحضراً ، وأبعد غوراً فى المدنية . ومن اجل هذا «يعتمد الاستشراق بطريقة ثابتة ، من أجل استراتيجيته على هذا التفوق الموقعى المرن الذى يضع الغرب فى سلسلة كاملة من العلاقات المحتملة مع الشرق ، دون ان يفقد للحظة واحدة كونه نسبياً صاحب اليد العليا . . خصوصا خلال مرحلة الهيمنة الأوربية الخارقه منذ اواخر عصر النهضة حتى الوقت الحاضر . . لقد كان العالم او الباحث اوالارسالى او التاجر او الجندى فى الشرق او فكر بالشرق لانه كان قادرا على ان يكون هناك أو على ان يفكر به ، دون مقاومة تذكر من جانب الشرق»(٢٧) .

(٢) أخطاء الرؤية :

يقول الشهيد سيد قطب «والاوربى بطبيعته ميال الى اعتبار أوربا هى محور العالم فهى نقطة الرصد فى نظره ، ومن هذه الزاوية ينظر الى الحياة والناس والاحداث . . واذا كان بديهياً أن أوربا لم تكن هى محور العالم فى كل عصور التاريخ وكان الأوربى لا يملك أن يتخلص من وهم وضعها الحاضر حين ينظر الى الماضى . . ادركنا مدى انحراف الزاوية التى ينظر بها الاوربى للحياة الاسلامية التاريخية ، ومدى أخطاء الرؤية التى يضطر لها اضطرارا ومدى اخطاء التفسير والحكم الناشئة عن هذه الرؤية المعينة .

«ذلك كله على افتراض النزاهة العلمية وانتفاء الأسباب التى تؤثر على هذه النزاهة . فإذا

نحن وضعنا فى الحساب مالابد من وضعه ومالا يمكن جديا اغفاله من اسباب ملحة قاهرة عميقة طويلة الأجل، متجددة البواعث تؤثر فى نظرة الاوربى للاسلام، وللحياة الاسلامية، وللعالم الاسلامى من اختلاف العقيدة الى كراهية لهذا الدين وأهله الى ذكريات تاريخية مريرة فى الاندلس وبيت المقدس وفى الأستانة وفى سواها الى صراع سياسى واقتصادى واستعمارى الى نزوات شخصية والتواءات فكرية الى آخر تلك البواعث القديمة المتجددة»(٢٨).

اذا وضعنا ذلك ادركنا ان عدالة الحكم عندهم مستحيلة.

(٣) تلاميذ أجنبية:

وعن تأثر بعض الكتاب المسلمين بالدراسات الاستشراقية وخاصة فى مجال التاريخ يقول الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ ان تلك الدراسات لا تزيد على ان تكون ظلالا باهتة أو كاملة للدراسات الاوربية «فهى أولا: تتبع المنهج الغربى فى صميمه دون زيادة. وهى ثانيا: تستمد عناصرها من الدراسات الغربية فى الغالب. وهى ثالثا: متأثرة بالاتجاهات الغربية من ناحية زاوية الرؤية، فهى لا تقف فى المركز الاسلامى لتطل منه على تلك الحياة.

ومن المؤسف أن هذه الظلال لا تقف عند حد معين بل تتجاوز ذلك الى كل جوانب الحياة بل والاعجب من ذلك تمتد لتشمل نظرتنا بانفسنا والى سوانا فبعض بنى جلدتنا ينظرون «بعدسة صنعتها ايد اجنبية عنا.. اجنبية عن عقيدتنا وتاريخنا.. اجنبية عن مشاعرنا وادراكنا.. اجنبية عن فهمنا للامور واحساسنا بالحياة وتقديرنا للاشياء»(٢٩).

■ واذا كان للمستشرق الذى صنع هذه التبعية عذر فى انه يدافع عن مصالح أمته، ويسعى لاستعلاء تاريخه، ويحقر ما عداه ـ انطلاقا من تلك النفسية ـ فما عذر التابعين الاذلاء.. وما مصلحتهم فى (عائد الاعجاب) بما قامت به أوربا من دور يعود فى أصوله الى حضارة المنبهرين لا الى حضارة القاهرين. وبعبارة ثانية فإن عائد الاعجاب بالحضارة الغربية هو استثمار للرجل الغربى الغارق فى عنصريته دون ان يشعر.

والخلاصة:

(٤) اهانات متعمدة للاسلام والمسلمين:

لقد ظهرت فى كثير من البلدان الغربية الكاثوليكية منها والبروتستانتية إهانات متعمدة للاسلام والمسلمين فى الآونة الاخيرة وبصورة لم يسبق لها مثيل من قبل، يحدث ذلك فى عهد ثورة المواصلات والاتصالات، يحدث ذلك فى عهد يعيش فيه المسلمون جنبا الى جنب مع الغربيين فى لندن وباريس وروما وبون، والمسلمون من أهل البلاد الاصليين أو من قدامى المهاجرين أو الوافدين للعمل او الدراسة أو التمثيل الدبلوماسي.

■ لقد وقفت كثيراً عند ظاهرة من ظواهر الاهانات هذه وقفة طويلة اتامل فى شكلها ومضمونها فلم أخلص إلى شىء سوى أنها تنفيس عن حقد دفين، وعداء دينى فاجر، المقصود منه استفزاز المسلمين «وتعذيب مشاعرهم» هذه الظاهرة هى كتابة آيات من القرآن الكريم ـ أقدس المقدسات عند المسلمين ـ على الملابس الداخلية للنساء والرجال.. وماذا يعنى ذلك غير ان تكون الآيات المكرمة التى هى كلام الله تعالى ملاصقة لمواضع دم الحيض من النساء. وللنجاسات ـ من سائر أصنافها ـ التى تخرج من الجنسيين مع العلم أن النصارى لا يتطهرون بالماء عقب غشيان ما يدعو لذلك.

■ لقد ظهرت هذه الملابس النسائيه المطرزة بآيات من كتاب الله الكريم فى إيطاليا، ثم فى فرنسا، ثم فى النمسا، واخيراً مع مطلع هذا العام ١٩٨٩م ظهرت فى المانيا الغربية. والقصة ـ كما أوردتها الصحافة الاسلامية فى كل من السودان والسعودية(٣٠) ـ أن شركة (هورتن) للتسويق وهى من

● سلمان رشدى تكمن ميزته ـ عندهم ـ فى أنه استطاع ان يقول فى هذا العصر ما لم يستطع ان يقوله الكبار من عتاة المستشرقين.

● اشاعة هذا الكتاب (الآيات الشيطانية) وترويجه ترجع الى المكونات النفسية لدى الغربيين من يهود ونصارى وعلمانيين ونظرتهم العدائية تجاه المسلمين.

كبريات الشركات الألمانية قامت بانتاج كميات كبيرة من الملابس النسائية الداخلية وتوزيعها على مراكزها المنتشرة فى جميع المدن والمقاطعات. ولوحظ أن هذه الملابس غمرت الاسواق خلال فترة وجيزه، وجندت المراكز التنصيرية مروجين لها وأرسلت وكلاء توزيع الى الدول الأوربية الأخرى لزيادة توزيعها ولما اشتدت الحملة من المسلمين فى المانيا ضد هذه الشركة استجابت السلطات الالمانية وأصدرت أوامرها الى جميع الشركات الألمانية بعدم التورط فى الأعمال التى تمس المشاعر الدينية ـ واضطر المسؤلون فى الشركة المذكورة الى الاعتراف أنهم وقعوا ضحية لمؤامرة.. وهو اعتذار لا يقلل من بشاعة الاهانة بل يزيد من مرارتها.

■ ويضاف لهذه الاهانات التى تعذب شعور كل مسلم، المعاناة الشخصية والاضطهاد الذى يواجهه المسلمون المهاجرون الى أوربا. يستوى فى ذلك من هاجروا الى البلاد الكاثوليكية كفرنسا وايطاليا وأسبانيا، أو من هاجروا الى البلاد البروتستانتية كالمانيا وبريطانيا.. إن أعزاء لنا من المهاجرين الاتراك فى جمهورية المانيا وغيرها، والمهاجرين الجزائريين والمغاربة فى فرنسا، يعانون مضايقات شخصية فى كل شئون حياتهم، ولا يقتصر أمر هذه المضايقات على الجانب المادى المتعلق بالبطالة والتشغيل.. وانما تجاوز ذلك الى آفاق أخرى خذ على سبيل المثال أن المسلمين فى بريطانيا يأتون من حيث عدد السكان فى المرتبة التالية بعد البروتستانت وقبل الكاثوليك واليهود. ومع ذلك تذهب صيحاتهم أدراج الرياح للاعتراف بحقوقهم كأكبر أقلية فى بريطانيا. ومعلوم أن عدم الاعتراف الرسمى يعنى انتهاك حقوقهم فى تعليم أبنائهم والتضيق عليهم فى تنظيم شئونهم ولا سيما تلك المتصلة بشعائرهم وشرائعهم الخاصة بهم. واذا أرادوا التعبير عن مطالبهم بوسائل الاحتجاج المشروعة اتهموا بانهم فاشيون وإرهابيون ومخربون كما فعل وزير (حزب المحافظين) للتربية والعلوم البريطانى المستر (كنيث بيكر) الذى نشر مقالة فى جريدة التايمز يدين فيها سلوك المسلمين الذين احتجوا على كتاب سلمان رشدى ويقول فيها ما ترجمته «إن الوافدين الجدد لا يمكن أن يفرضوا على المجتمع قناعتهم وأن الاغلبية لها الحق فى أن تقرأ الكتاب»(٣١).

(٥) ظاهرة سلمان رشدى:

■ **لماذا أثار كتاب سلمان رشدى «الآيات الشيطانية» كل هذا الضجيج فى الغرب؟** وكان من الممكن فى حكم الاعراف الغربية فى النشر أن يصادر الكتاب او توقف دار البنغوين نشره بمجرد احتجاج المسلمين فى بريطانيا عليه خاصة وأنه ـ لو طبقت الانظمة ـ لعد فى الكتب البذيئة الفاضحة المسيئة ولكن فى الأمر تدبيراً، وفى النيات إثارة، وتخطيا مقصوداً.. ولقد اتضح أن ناشرى الكتاب

البريطانيين مدفوعون فى ترويجهم له - بعوامل اخرى غير الربح المادي؛ لأنه عرض قبل النشر على مستشارهم فى الهند (المستر خاشونت سنج) وهو كاتب هندوسي مشهور فأوصى بعدم نشر الكتاب لقذارته وإسفافه وإثارته لشعور المسلمين، ولكن الدار أصرت على النشر لأمر ما(٣٢).

■ لقد أثار كتاب سلمان رشدى غضب المسلمين حقا، وكان غصة فى حلوقهم صدقا، فجاءت تعبيراتهم عما أصابهم من الأذى فى عقيدتهم وكرامتهم فى مثل حجم (الفاجعة). وقد مهد لهذا التعبير المثير الضجة الاعلامية والاعلانية والرواج المثير لكتاب وصفه أحد المتخصصين من أهل اللغة الانجليزية ذاتهم بأنه رواية تافهة من حيث مستواها اللغوى والخيالى، وأن مؤلفه يستحق الاعدام - قبل كل شىء - على سوء تعبيره وسوء ملكته اللغوية.

■■ ألا يرى القارىء أن الترويج لكتاب بهذا المستوى اللغوى الضعيف ومن حيث المحتوى الفكرى الهزيل، (الذى سنعرضه بعد قليل) بحيث تنفد طبعته الأولى فى بضع شهور، وتعتزم الدار الناشرة إعادة نشره فى لندن ونيويورك وكندا.. الخ وان تعطى حق ترجمته لبعض دور النشر فى فرنسا والمانيا وإيطاليا وهولندا ودول اسكندنافية ويطبع بالعبرية فى فلسطين المحتله. ألا يرى القارىء أن ذلك أمر يدعو الى العجب.

■■ ولكن العجب يزول إذا أرجعنا الأمر إلى «المكونات النفسية» لدى الغربيين من يهود ونصارى وعلمانيين ونظرتهم العدائية تجاه الاسلام والمسلمين. إن سلمان رشدى تكمن ميزته عندهم فى أنه استطاع أن يقول فى هذا العصر مالم يستطع أن يقوله الكبار من عتاة المستشرقين، فكان فيما قاله من سب وقذف فى رسول الاسلام وأمهات المؤمنين راحة نفسية لنفوس مريضة يأكلها الداء المنبعث من الحسد وسوء الطوية.

■■ ولا أجد تشبيها لهذه الحالة، وحالة سلمان رشدى معهم إلا مثل الطفل الغربى الأبيض الذى راى رجلاً أسود يجلس بجانبه فى الحافلة فمد الطفل الصغير يده الحائرة الى الجلد الأسود ليرى إن كان ذلك من طلاء مصنوع أو من خلق مطبوع.. وازاء المشهد الكوميدى المحرج لم يتمالك ركاب الحافلة أنفسهم من الابتسام أو الابتهاج أو الضحك المجلجل، كل بحسب حظه من الطرب من الفعلة المسيئة التى صدرت من سذاجة طفولية ولكنها تعبر عما فى نفوس الكبار من نظرة عنصرية حاقدة محتقرة

(٢) الآيات الشيطانية أصداء استشراقية:

ان كتاب سلمان رشدى من الكتب التى لا يأسف المرء على عدم قراءتها لبذاءتها، ولكن نعرض الدراسة المتأنية لما احتوى عليه من أفكار واصداء استشراقية بكل الاسف ومع ذلك فقد حصلت على معلومات مهمة تعتبر تلخيصاً أمينا للكتاب من مجلة (Impact International) (٣٣) ومن ملخص ما نشر عنه من احتجاج صدر عن اتحاد جمعيات المسلمين البريطانيين والجمعيات الطلابية الاسلامية فى بريطانيا وعن رابطة العالم الاسلامى، ويكفى هنا بعض ما ترجمته من المجلة المذكورة ليعطى رأيا عن الكتاب والكاتب، وانه إنما يصدر فى كل روايته الخيالية التافهة عن خلفية استشراقية واضحة.. وتتصرف على آراء المستشرقين - وخاصة مستشرقى القرون الوسطى وعصر الانتشار الاوربى - فى كل جملة كتبها المرتد سلمان رشدى.

●● محور الكتاب يدور حول شخص اسمه Mahoned وهو تحريف لاسم النبى محمد ﴿ﷺ﴾ (Mohamed) ذلك التحريف الذى درج عليه المنصرون والمستشرقون فى العصور الوسطى. والكلمة فى اللاتينية والاسبانية تعنى الشيطان. وتعنى ايضا الكاذب أو الدجال. ويزعم سلمان رشدى أن هذا الشخص جاءه وحى كاذب من

كائن روحى شيطانى ـ وهو ما ادعاه قدماء المستشرقين فى الملك جبريل (عليه السلام) وان هذا الشيطان أوحى الى هذا الشخص آيات شيطانية لعبادة الاوثان. وهذه هى قصة (الفرانيق) التى ولع بها عدد كبير من المستشرقين. ولكن أحسن الرد عليها وفندها تفنيداً كاملا عدد من العلماء المسلمين ومنهم الامام محمد رشيد رضا(٣٤) والدكتور محمد حسين هيكل(٣٥) ولئن كان المستشرقون القدامى لم يتورعوا عن مثل ما قاله رشدى فإن المستشرقين الجدد (كمنتغمرى واط وغيره) قد غيروا هذا الأسلوب المكشوف فى الهجوم وقالوا بنظرية جديدة سموها «الوحى النفسى» الذى لا يأتى من الخارج ولكن من داخل ذات الرسول. وقد فند هذه النظرية الدكتور جعفر شيخ ادريس تفنيداً منطقياً فى مقالة له عن «منهج منتغمرى واط فى دراسة نبوة محمد ﷺ»(٣٦).

●● تناول رشدى أيضا «قصة الإفك» ولفق إفكا آخر يتعلق بزوجات النبى (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وزوجاته). وان اصحاب Mahoned كانوا متعطلين عاطلين. ويصف بلال ـ رضى الله عنه ـ بانه كان وحشا أسود وان سلمان وخالد ونحوهم ـ رضى الله عنهم ـ كانوا ذوى نزق. وهكذا يردد سلمان رشدى افتراءات بعض مستشرقى القرون الوسطى ويكبر من صور الكنيسة البالية التى صورت بها الاسلام عند الغربيين منذ العصور الوسطى أيضا ـ حجبا لنور الاسلام ـ ويحشوا كتابه (المحتوى على ٥٤٦ صفحة) بهذا الخيال المريض الذى لم يصدر عن عبقرية وانما عن ترديد لأباطيل الحاقدين والجهلاء عن الاسلام والمسلمين.

ومن أراد أن يعرف المصدر الذى أخذ منه رشدى افكاره فليقرأ عن هذا النوع من الكتابات الاستشراقية التى شهد اكثر شاهد من أهلها أنه من السخف والغباء بحيث يصيب القراء بالغثيان(٣٧).

ومع هذا كله: تكاد وسائل الاعلام الغربية تجمع ان الكاتب له أن يكتب ما شاء لأن ذلك من حرية الفكر وحرية التعبير. على أن أصواتا أخرى عاقلة أدانت هذا المسلك وقالت ان حرية التعبير لا تعنى حرية الفحش أو ترويج الفاحشة. وان فى القوانين الغربية ذاتها ما يمنع مثل هذا الكتاب لو شاء القائمون بالأمر ذلك.

(٣) لماذا الاصرار على الاساءة اذن؟

هذا تساؤل مشروع لمن يريد أن يعرف سر هذه الحملة المسعورة فى وسائل الاعلام الغربية حول الكتاب وهو تساؤل مشروع كذلك لمعرفة تجاوز الامر من قضية فكرية الى قضية سياسية ودبلوماسية ثم الى أزمة بين الشرق والغرب.. إن ردود الأفعال التى أثارها هذا الكتاب أكبر بكثير من حجمه وحجم كاتبه. ولا يمكن أن يكون الأمر إلا قضية مدروسة تنم عن أن اتفاقا قد أبرم من أجل مقاومة المد الاسلامى وأطراف هذا التخطيط الدولى الكبرى مدفوعة بالاعداء الالداء للاسلام والمسلمين مما سماه بعضهم «**باجنحة المكر**»(٣٨) وواهم من لا يدرك أن مثل هذه القضية إنما فجرت فى اطار «استراتيجية» موزونة الأقدار محسوبة الأبعاد، محكمة الاطار مؤداها فى التعامل بخس الاشياء، والتضييق عند الاقتضاء والاتفاق ـ فى مواجهة المد الاسلامى ـ على كلمة سواء.

●● وأبرز ملامح هذه الخطة يمكن أن نصل اليه بالتحليل لظواهر الأخبار التى تبثها وسائل الاعلام الصحفية والاذاعية والتلفازية وتركيزها الشديد على هذه القضية دون سواها طوال شهرين تقريبا.

■ ان المقصود فى نظرى هو الوصول الى ردود أفعال إسلامية من مختلف انحاء العالم ومن مختلف الجهات الرسيمة والشعبية، والهدف من ذلك الوصول الى «قياس رأى» أو «اختبار قدرة» وذلك لصالح اجهزة الرصد العالمية

المعادية للاسلام. ونحن نعلم أن «الصحوة الاسلامية» المباركة تشكل هاجسا مفزعاً للقوى الصليبية والصهيونية والماسونية العالمية، ولذلك فهى فى حاجة ماسة لمعرفة مدى تقدم هذه الصحوة فى نفوس وضمائر المسلمين حكاماً ومحكومين فهى تطلق مثل هذه الاهانات المتعمدة - بين الفينة والأخرى - مثلما تطلق المراصد «بوالين» الاختبار فى الجو لمعرفة «الطقس».

■ إن المراصد الاستعمارية تبذل الأموال الطائلة فى جمع المعلومات عن حركة المد الاسلامى فى كل مكان، وتبذل تلك الأموال للمستشرقين والمحللين السياسيين ورجال الاستخبارات من أجل تحليل ظاهرة الصحوة وسبر غورها ومعرفة آثار ووضع الخطط لمواجهتها، أفلا يخطر على بال القائمين على تلك «المراصد» ان يستثمروا مثل هذا الكاتب الاحمق، وذاك الكتاب الأخرق من أجل عملية «قياس رأى» مجانية؟، واذا كان الذين يقومون بعمليات «قياس الراى» (Polling) فى الانتخابات والاستفتاءات ونحوها يبذلون الجهود من أجل جمع «العينات العشوائية» ثم يعملون الفكر فى التحليل والاحصاء، أفلا يخطر ببال أجهزة الرصد المعادية للمسلمين ان تتخذ ما يظهر من ردود أفعال على مثل نشر هذا الكتاب (الفاجعة) مادة مجانية للتحليل والدراسة؟.

■■ لقد أدرك هذا المغزى قليل من الناس فى العالم الاسلامى، وإلى رأى هذه القلة التى عرفت مغزى «الحملة» أشار احد كتاب الأعمدة فى الصحافة العربية حيث قال:

«لا شك أن القضية الاسلامية تجاه مؤلف «أشعار شيطانية» فى إساءته للدين الاسلامى. وموقفه من الرسول الكريم ستثمر عن وعى جديد بالدور الذى يلعبه الاسلام فى حياة المسلمين فى العالم»(٣٩).

وخلاصة الأمر عندى أن هذا الوعى على ضفتين متباعدتين: أما فى ضفة المسلمين فإن استثمار هذا الوعى ضرورة حياتية وفريضة شرعية مع أخذ كل الاحتياطات لكيد الاعداء والتوآتهم وأما فى جانب الضفة الأخرى التى يحتلها الاعداء فإنهم سيعملون جهدهم ليقعدوا لنا كل مرصد. وتعمل سنن الله فى الكون التى منها صراع الحق مع الباطل.

﴿*ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض*﴾. . ﴿*والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون*﴾.

الهوامش

(١) كان موقف كثير من الحكومات الغربية وخاصة دول السوق الأوربية المشتركة استفزازيا لشعور المسلمين، مستغلين فى ذلك موقف بعض الجهات الاسلامية التى افتت بإهدار دم رشدى وما صاحب ذلك من اختلاف حول الفتوى.

(٢) إدوارد سعيد (Edarnd W. Said) باحث امريكى من أصل فلسطينى، يعمل حاليا أستاذاً للأدب الانجليزى والأدب المقارن فى جامعة كولومبيا، وله نشاطات فى عدد من الجامعات الامريكية، كما له عدة ابحاث ومؤلفات، والمرجع الذى ستكرر الاشارة اليه فى هذا البحث هو اعمق اعماله وهو بعنوان (Orientalism) ترجمة كمال أبو ديب بعنوان «الاستشراق» (المعرفة، السلطة، الانشاء) مؤسسة الابحاث العربية، بيروت ١٩٨١م ط١. ونظراً لان الترجمة العربية تتسم بالغموض فى بعض الجوانب ساعود للأصل الانجليزى من حين لآخر.

(٣) المصدر السابق ٣٧-٥٧، ٦٣ وما بعدها.

(٤) الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، المكتب الاسلامى، بيروت، ١٩٧٨ ط٢.

(٥) الاستشراق والمستشرقون (وجهة نظر) سلسلة دعوة الحق، رقم ٢٤، رابطة العالم الاسلامى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
(٦) الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، منشورات دار الرفاعى، الرياض، ١٤٠٣هـ ط١ ص ٥١-٥٣.
(٧) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، كتاب الأمة عن رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.
(٨) إ. سعيد، الاستشراق ٣٩.
(٩) شبهات التغريب فى غزو الفكر الاسلامى، المكتب الاسلامى، بيروت ١٩٧٨م.
(١٠) يعد جيوم بوستل اول المستشرقين الفرنسيين المحترفين حيث كان أول رئيس لكرسى اللغة العربية فى (كوليج دى فرانس) فى باريس التى انشئت فى عام ١٥٣٩م.
(١١، ١٢) زقزوق، الاستشراق ص ٢٩، ص٧٣.
(١٣) وثائق المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى، اعداد عدد من اللاهوتيين ومراجعة الاب دكتور يوحنا قلته ط ٢، ١٩٧٩ بدون ذكر بلد الطبع ج٢ ص٤٧٣
(١٤) الأب جوزف كوك والأب لويس غارديه، من أجل حوار إسلامى مسيحى. موقف المسيحيه من الاسلام كما حدده الفاتيكان - ترجمه وإعداد د. حليم اليافى وزهير ماردينى، منشورات دار الجديد بيروت ١٩٨٣ ص ص٩٢-٩٦ وقارن ترجمة وتقديم رضوان السيد لكتاب رتشارد سوذرن «صورة الاسلام فى أوربا فى العصور الوسطى، معهد الانماء العربى، بيروت، ١٩٨٤. ص ص ٩، ٢٩.
(١٥) ادوارد سعيد، الاستشراق ص١٠٠ وما بعدها.
(١٦) وهذا يذكر بحديث «كل مولود يولد على الفطره فابواه يهودانه او ينصرانه.
(١٧) وتعنى هذه الكلمة الخوض فى علم ما لم يكن اوعلم الحرف.
(١٨) أ. سعيد، المصدر السابق، ص١٣٨
(١٩) رتشارد سوذرن، صورة الاسلام فى اوربا فى العصور الوسطى، ص ٣٥.
(٢٠) سوذرن، ٣٨.
(٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤) أ. سعيد ٤٣، ٤٢، ٣٩، ٦٥.
(٢٥) نجيب العقيقى، المستشرقون، ج١/ ١١٤٩، وعدنان محمد الوزان، الاستشراق والمستشرقون ص٣٥.
(٢٦، ٢٧) أ. سعيد ٤٣، ٤٢.
(٢٨) فى التاريخ. فكرة ومنهاج ص٤٠-٤١
(٢٩) المصدر السابق ٤٣، ٥٦.
(٣٠) جريده المسلمون ٨/ رجب ١٤٠٩هـ/ ٢٤/ ٢/ ١٩٨٩م وجريدة الراية السودانية ٩٤٦ بتاريخ ٢٨/ ٧/ ١٤٠٩/ ٦/ ٣/ ١٩٨٩.
(٣١) بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٨٩م نقلا عن مجلة امباكت العالميه فى ٢٣/ فبراير ١٩٨٩م.
(٣٢، ٣٣) مجلة أمباكت العالميه بتاريخ ٢٣/ ٢/ ١٩٨٩م.
(٣٤) الوحى المحمدى، المكتب الاسلامى، بيروت ط. عاشرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
(٣٥) حياة محمد.
(٣٦) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلامية، صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربى لدول الخليج فى اطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى. ج١، ص ص ٢٠٦ - ٢٤٧. وراجع كتساب واط The Clarendon Press, 1953, Muhammad at Meclina Mohamnad at Meca.
(٣٧) انظر مثلا رتشارد سوذرن، صورة الاسلام فى أوربا العصور الوسطى، ترجمة وتقديم رضوان السيد.
(٣٨) انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير، الاستشراق، الاستعمار (دراسة وتحليل وتوجيه)، دار القلم، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ ط٣.
(٣٩) جريدة الشرق الاوسط عدده ٣٧٣ السبت ١٨/ ٢/ ١٩٨٩.

إضاءة

أناماري شيمل

المستشرقة الألمانية التى أنصفت الإسلام

تنتمى أناماري شيمل إلى أسرة ألمانية عريقة، ومنذ صباها شغفت بالشرق وعكفت على القراءة والبحث، وشرعت فى حداثة سنها فى دراسة تاريخ الشرق الإسلامى ولغاته، وتخرجت وهى فى التاسعة عشرة من عمرها من جامعة برلين بعد أن ألفت أطروحة مطبوعة عنوانها «**الخليفة والقاضى فى مصر فى العصر الوسيط المتأخر**» ثم فى عام ١٩٤٦م حصلت على إجازة تدريس العلوم العربية والإسلامية من **جامعة ماربورج** بألمانيا. وفى عام ١٩٥١م، فازت بدرجة الدكتوراه بتفوق فى تاريخ الأديان من نفس هذه الجامعة، وعلى أثر ذلك عينت أستاذة لتاريخ الأديان فى كلية الإلهيات الإسلامية بجامعة انقرة لمدة خمس سنوات ابتداء من سنة ١٩٥٤م.

وقد انتخبت فى عام ١٩٥٨م، عضواً بالمجمع العلمى الملكى الهولندى. وفى عام ١٩٦١م، أسند إليها منصب أستاذة العلوم العربية والإسلامية فى جامعة بون عاصمة ألمانيا الاتحادية.

ولذيوع صيتها فى أوساط الاستشراق بفضل تضلعها فى اللغات الشرقية مع كثرة مؤلفاتها وأصالة بحوثها، استدعتها جامعة هارفارد الشهيرة بأميريكا عام ١٩٦٧م، لتدريس الثقافة الإسلامية فى شبه القارة الهندية الباكستانية.

وتقديرا لنبوغها وغزارة إنتاجها العلمى الأصيل حصلت هذه المستشرقة العبقرية على كثير من الجوائز التقديرية.

اما إنتاج أناماري شيمل الخصب فلها عشرات عديدة من الدراسات والبحوث المنشورة فى المجلات المتخصصة فى الاستشراق، كما أنها ألفت كثيراً من الكتب القيمة نذكر هنا أهمها:

- **مختارات من مقدمة ابن خلدون** (بالألمانية) طبع عام ١٩٥١م.
- **كتاب السيرة لابن الخفيف الشيرازى** (بالألمانية) عام ١٩٥٥م.
- كتاب (**باكستان قصر ذو ألف باب**) بالألمانية عام ١٩٦٥م.
- «**جناح جبريل**» كتاب بالانجليزية عن أفكار شاعر الاسلام الحكيم **محمد إقبال** وهو ترجمة لكتابه بهذا العنوان باللغة الأردية، وقد قدمت له بفصل شائق عن محمد إقبال (صاحب فكرة إنشاء دولة باكستان التى نفذها القائد **محمد علي جناح**) وأشادت فى المقدمة بكتاب إقبال الشهير الذى عنوانه (**إعادة بناء الفكر الدينى فى الاسلام**) والذى طبع مراراً باللغة الانجليزية.
- ولها كتاب بالانجليزية عن **فن الخط الاسلامى** ظهر فى طباعة أنيقة، وفيه تحقيق فائق فى موضوع فن الخط العربى مع نشر نماذج له فى غاية الروعة والجمال.
- كتاب عن **الآداب الاسلامية فى الهند** وبخاصة الآداب الأردية فى السند ١٩٧٥م.
- كتاب بالانجليزية عنوانه **الأبعاد الروحية فى الاسلام** عام ١٩٧٥م.
- كتاب (**المُلْك لَك**) بالالمانية عام ١٩٧٨م، يشمل مختارات من الأدعية الاسلامية المأثورة.
- كتاب «**الإسلام فى شبه القارة الهندية الباكستانية**» بالانجليزية عام ١٩٨٠م.
- كتاب «**محمد رسول الله**» بالألمانية عام ١٩٨١م، بسطت فيه مظاهر تعظيم وإجلال المسلمين لرسول الله ﷺ.

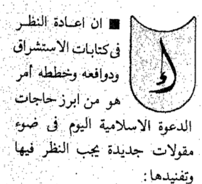
الاستشـ
مجافاته لتاريخ الأمـ
الإسـلامـيـة وثقـ



بقلم: الاستاذ انور الجندى

● استطاع الاستشراق ان ينشىء جيلا من (التغريبيين) من أبناء المسلمين أنفسهم لنشر فكرهم.

● الخطر الجديد هو تصوير الاسلام بصورة لاهوتية تقوم على انسحاب الاسلام من الحياة كنظام للحكم ومنهج للحياة.

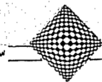


■ ان اعادة النظر فى كتابات الاستشراق ودوافعه وخططه أمر هو من ابرز حاجات الدعوة الاسلامية اليوم فى ضوء مقولات جديدة يجب النظر فيها وتفنيدها:

أولاً: مقولة ان الاستشراق قد طوى أوراقه وانتهى وان اعمال الاستشراق اليوم تدخل فى مجال العلوم الانسانية.

ثانياً: ما كشفت عنه الابحاث بأن هناك فى الغرب اليوم، مالا يقل عن ٦٠ الف كتاب عن الاسلام كتبها المستشرقون ما بين منتصف القرن الرابع عشر الى اليوم وليس أمام الاجيال الجديدة فى اوربا الا هذه الكتب الملغومة التى تحمل من السموم والدسائس ما هو خطير اشد الخطر على المسلمين الجدد خاصة ما يركز عليه الاستشراق من كتب التصوف الفلسفى وكتب الباطنية.. وما كتبه فلاسفة درسوا التصور الفارسى والهندى وفيه خلط شديد مع مذاهب الغنوصية الشرقية والافلاطونية الغربية.

ثالثاً: أمر الدعوة التى يقوم بها بعض مفكرى الغرب مما يسمى بالحوار أو التقاء الحضارات أو ما يدعو اليه (جاك برك) من محاولة



...راق
...ـة
...افتها

فهم الاوربى للعربى بعد ان خفت حدة الفراغ الطويل الذى زاد من حدته الاستعمار فى الماضى.

■ والواقع أن هذه المحاولة لا ترمى الى ابعد من استقطاب بعض علماء المسلمين ليقرروا انه ليست هناك فوارق بين الاديان، وان الخلاف بين الاسلام وغيره من الاديان هو خلاف اكاديمى ومحدود فيما يعرف الناس جميعا ان هناك خلافاً عميقاً وجذرياً خاصة فى مجال (التثليث - الصلب - الخطيئة) وهى قضايا اساسية فى الفكر الغربى الذى قام اساسا على مفاهيم المسيحية الغربية (المستمدة من نحل كانت موجودة فى الغرب) وليس من المسيحية المنزلة.

■ وأخطر ما فى قضية الاستشراق فى هذه المرحلة (العقد الاول من القرن الخامس عشر الهجرى) هو تراجع المستشرقين عن المواجهة ومحاولة احلال اتباعهم من العرب والمسلمين مكانهم إيمانا بانهم اكبر تأثيرا فى مجال الثقافة والتعليم والصحافة، وقد جرى تكوين أجيال من التغريبيين لها طابع اسلامى مقتحم فيه جرأة على الحقائق، يحاول ان يضع نفسه موضع قيادة الفكر الاسلامى بمفاهيم لاهوتية مفرغة من مضامين الاسلام الحقيقية، وتهوين امر تطبيق الشريعة الاسلامية، والدعوة الى ما يسمونه اخلاقيات الاسلام، وهى نظرية قديمة معروفه قدمها الاستشراق الصهيونى.

■ وهذا هو الخطر الجديد: خطر تصوير الاسلام بصورة لاهوتية قريبة من مفهوم المسيحية (القائمة على العلاقة بين الله تبارك وتعالى والانسان) فيما يسمى العبادة والانسحاب من المجتمع والاستسلام امام القوانين الوضعية.

■ وفى مجال الدفاع عن دور المستشرقين فى التعريف والاحياء نقول: ان اهتمام المستشرقين بالجوانب الايجابية لنهضة المسلمين والتعريف بها لا يعنى فى الحقيقة الا توجيه نظر القوى المضادة لخطر يجب العمل على هدمه واحتوائه، اما قضية احياء كتب التراث وفهرستها فانه لا يعني اكثر من اعداد المادة التى تنتفع بها رجالهم لتكون سهلة وميسرة (ولا مانع من ان ينتفع بها المسلمون لتكون دليلا على حسن نيتهم فى خدمة التراث الاسلامى)

■ هذه هى صورة الاستشراق اليوم فى مرحلة جديدة بدأت تشكل نفسها بعد استعلان الصحوة الاسلامية، وابرز معالمها تحول كثير من المبشرين المشتغلين بالتنصير الى علماء اساتذة وتوزع عدد كبير منهم على الجامعات ومدارس الارساليات التى يقصدها ابناء المسلمين وذلك لاحتوائهم واستقطابهم للعمل مع منظمات التغريب والغزو الفكرى عن طريق برامج التبادل الثقافى والشبابى التى تسارع مختلف الدول الغربية والماركسية الى دعوة المسلمين اليها فى محاولة لاحتواء شباب المسلمين.

■ وتلك خطة معروفة اشارت اليها البروتوكولات، وحرصت على توسيع نطاق الرحلات الجماعية والالعاب والسياحة وخاصة ما يتصل منها بالجنسين.

ويرمى الاستشراق فى مجمله الى:

١ - تقليل عدد المسلمين فهم يصرون على ان المسلمين ما يزالون حتى الان ٦٠٠ او ٧٠٠ مليون مع ان عدد المسلمين على اقل تقدير يجاوز الان (الف مليون ومائة مليون).

٢ - إثارة الخلافات بين الفرق الاسلامية. واحياء الفرق القديمة وابراز نحل قديمة وخاصة ما يتعلق منها بالفكر الباطنى والوثنى والاباحى.. واحياء وحدة الوجود والحلول والنرفانا والتناسخ: مما ينكره الاسلام ويرفضه.



٣ - اخضاع مفاهيم الاسلام وتاريخه وقيمه للتفسير المادى والتفسير الماركسى وللمفاهيم المسيحية الغربية.

٤ - احياء العاميات فى البلاد العربية لانتقاص الفصحى لغة القرآن واجراء محاولات تعديل النحو او ما يسمى اللغة الوسطى او الكتابة العربية الميسّرة او المعاصرة وكلها ترمى الى ايجاد فجوة بين لغة القرآن ولغة الكتابة يمكن ان تتسع مع مرور الزمن حتى يصبح القران اثراً تاريخيا يقرأ بقاموس (كما حدث للاتينية).

٥ - قدم المستشرقون دراسات مضللة اعطوها صبغة العلم فى بعض القضايا الاسلامية وخاصة الفقه على النحو الذى قدمه جولدزيهر وتلميذه يوسف شاخت) تحاول ان تصور الشريعة الاسلامية بصورة الاعراف الجاهلية.

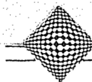
٦ - دعا الاستشراق الى رفع لواء الانسلاخ من الماضى والتراث واحياء النزاعات القديمة السابقة للاسلام: كالفرعونية والفينيقية والاشورية وامثالها والغض من شان الشعوب الملونة فى العالم الاسلامى ووصفهم بأنهم اقل قدراً من الجنس الابيض (الاوربى) فى مجال السياسة والمدنية والعلم والفن - والعمل على فصل الدين من الدولة وابطال فريضة الجهاد واثارة الشبهات حول القرآن بطرح سموم على ايدى مسلمين توحى ببشرية القرآن للتشكيك فى انه من عند الله تبارك وتعالى.. والقول بتأثر الثقافة الاسلامية بالعقلية الأرية والفارسية وهم فى سبيل ذلك يعملون على انتزاع نصوص معينة من سياق المصادر لتأييد وجهة نظرهم ويحررون على اثارة التناقضات بين النصوص والمصادر.

٧ - المبالغة فى تمجيد الحضارات الشرقية القديمة السابقه للاسلام والادعاء بان الاسلام اخذ منها.. والبحث عن الاثر الغربى والاوربى فى الفكر الاسلامى والمبالغة فى تجديده واكباره وجعله شيئا اساسيا بالرغم من أنه اقل من ذلك ومحاولة ارجاع العلوم العربية الى اصول يونانية.

٨ - دراسة الحركات المضادة للاسلام والتوسع فيها (كالفتن الاهلية والخلافات المذهبية ومظاهر التفسخ والانقسام والادعاء بانها ابرز ظواهر تاريخ الاسلام مع ان تاريخ الاسلام حافل بالايجابيات ومراحل القوة والتمكن وان هذه الصور المدعاة قليلة جدا وموجودة فى تاريخ جميع الامم والحضارات.

٩ - يدرس الاستشراق خصائص الفكر الاسلامى بروح خصومه وبفكرة مسبقة قائمة على احكام قوامها سوء نية وعجز عن الانصاف، ويعجز الاستشراق عن ان يتخلص من عواطفه الخاصة وهو يدرس مجتمعا مختلف ومنهجا متباينا مع فكره ومنهجه.

١٠ - يعمل الاستشراق على توسيع شقة الخلافات المذهبية بين المسلمين بينما المعروف ان هذه الخلافات لم تصل الى ما وصلت اليه بين فرق الاديان الاخرى



وخاصة المسيحية ـ لا فى طبيعتها ولا فى مداها ـ فلا يوجد خلاف بين المسلمين على المبادىء الاساسية للاسلام مثل وحدانية الله ونبوة محمد ﴿ﷺ﴾، والاعتقاد فى ان القرآن هو كلام الله، والايمان باليوم الاخر، وانما وجد الخلاف فى الامور التفصيلية فيما بعد كامر طبيعى فى مجتمع انسانى يضم اناسا من مختلف المناطق والاجناس والثقافات. وانه لمن الخطأ ان تسمى هذه الخلافات اختلافات مذهبية لانها ليست الا خلافات فقهية محصورة فى إطار دينى وقانونى عريض.

١١ ـ حاول الاستشراق الغض من عظمة الدعوة الاسلامية باثارة شبهات متعددة منها: محاولة الادعاء بوجود صلة بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى وقد كشفت الابحاث العلمية الرصينة عكس دعوى الاستشراق.. فان القانون الرومانى الحديث مأخوذ من مذهب مالك نقله بابليون معه الى اوربا. كذلك التشكيك فى عالمية الرسالة الاسلامية بالقول بانها موجهة الى العرب وحدهم. كذلك اثار الاستشراق الشكوك حول الكتب التى بعث بها النبى ﴿ﷺ﴾ الى الملوك وزعموا أنها وضعت فى صورتها الاولى بعد قرن من حياة النبى ـ وقد كذبتهم الحقائق العلمية والبحوث المعملية التى اثبتت صحة هذه الرسائل.

وهناك عديد من هذه الشبهات

● إثارة الخلافات بين الفرق الاسلامية، المبالغة فى تمجيد الحضارات القديمة، كلها دسائس تنضح بالخبث والدهاء.

● دراسة الحركات المضادة للاسلام والتوسع فيها، توسيع شقة الخلافات المذهبية، كل هذه وغيرها من القضايا التى يثيرها الاستشراق فى وجه الفكر الاسلامى.

● يبذل الاستشراق جهده فى تعيين خلفاء له من أبناء العالم الاسلامى ينخرون فى عظام بنى جلدتهم.

والسموم المثارة فى مجال التاريخ والتراث والعلوم ولكن هناك الخطر الاكبر الجاثم اليوم على صدر الفكر الاسلامى وهو: «**دائرة المعارف الاسلامية**» التى جمع فيها (عتاة المستشرقين) المبغضين من مسيحيين.. ويهود.. وخلاصة ابحاثهم وعصارة سمومهم الموزعة على اكثر من ثلاثمائة مستشرق (اغلبهم مبشرون) فى مجالات متنوعة فقد كانت قدرة الاستشراق بالغة فى تقسيم الابحاث بحيث يتولى كل منهم تخصصا: (القصة. السيرة ـ القرآن ـ التفسير ـ السنة.. الخ)

■ وكان المكر العميق يخفر على التخفى بحجب الانياب الجارحة لقفازات من حرير ـ فالهجوم يركز على اللغة العربية ويقصد به القرآن الكريم ـ فإن حرب القرآن الظاهرة ترد على المستشرق وعمله كله، ولكن حين يتكلم عن اللغة العربية قد يختفى على القارىء هدفه.. وقد يختفى الهدف وراء مؤسسة كالهجوم على الازهر بقصد الهجوم على الاسلام.. وقد يختص الهدف وراء كلمات: «القديم ـ الرجعية ـ التخلف ـ التعصب» ويقصد به الاصالة والفهم العميق للصلة بين التراث



والمعاصرة.

وتتركز الاهداف وراء كلمات صريحة:

(١) حطموا تاريخ الدولة العثمانية وهاجموا السلطان عبد الحميد لماذا؟. . لان الدولة العثمانية وقفت خمسمائة سنة فى وجه الاستعمار الغربى حامية للعالم الاسلامى ولان السلطان عبد الحميد رفض عرض هرتزل اليهودى.

(٢) هاجموا صلاح الدين ومحمد الفاتح وقالوا: لقد اعطوا اكثر مما يستحقون لماذا؟. . (لان صلاح الدين هو الذى استعاد القدس من انياب الصليبيين ولان محمد الفاتح ادخل القسطنطينه فى الاسلام).

(٣) هاجموا الفصحى والبلاغة وشجعوا العاميات والتأويل.

(٤) فتحوا ابواب الاباحية والكشف والقصص الجنسى. . ومذاهب التحلل. . حتى يسقط الشباب المسلم فى الشرك ويصبح عاجزا عن حماية ثغوره.

(٥) راوحوا بين الديمقراطية والاشتراكية والعلمانية حتى لا يجد المسلمون طريقا الا الى واحدة منها (هكذا قال المستشرق الهولندى حين دخل جاوه قبل مائة سنة).

(٦) جددوا لهم الفلسفات القديمة والفلسفات الباطنية والشعوبية حتى يهرعوا الى اغواء (سقوط التكليف) وهدم (فريضة الجهاد) على النحو الذى قامت وتقوم به القاديانية والبهائية ويأتى ذلك كله استجابة للفلسفة الماسونية التى رسمتها المحافل وتقوم بها اليوم الروتارى والليونز.

(٧) هدم مفهوم عالمية الاسلام وختم النبوة التى تحارب لاجلها البهائية.

(٨) يتوجه الاستشراق الغربى الى هدم مفهوم الشريعة الاسلامية وان الاسلام دين ودولة. . ويتوجه الاستشراق الماركسى الى تحطيم مفهوم (الغيب) والوحى. . ويتوجه الاستشراق الصهيونى الى تحطيم مفهوم الامة العربية التى حملت رسالة الاسلام الى العالمين.

■ ونحن الان فى مواجهة هذا الخطر الزاحف الذى يغير جلده فى حاجة الى دعوة عريضة واسعة الى (أسلمة العلوم والمناهج والمعرفة والمصطلحات) والى تصحيح دائرة المعارف الاسلامية على النحو الذى قام به علماء جامعة البنجاب (باللغة الاردية) وحبذا لو حملت (مجلة المنهل الزاهرة)(*) الدعوة الى ترجمة دائرة المعارف الاسلامية التى صححها علماء البنجاب الى اللغة العربية فان هذا يكون عملا ضخما لا يوازيه اى عمل آخر فى العصر الحديث.

(*) المنهل: نرحب بهذا التوجه. . وندعو له. . ونشارك فيه. . ونطلقها ونرسلها دعوة مباشرة للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. . وللجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض لكى تنهضا «معا» بهذا الانجاز المتيسر المتين.

إضاءة

الشيخ عبد الواحد يحيى

هو العالم الفيلسوف الحكيم «رينيه جينو» الذى يدوى اسمه فى أوربا قاطبة وفى أمريكا والذى يعرفه كل هؤلاء الذين يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية.

وقد كان إسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوى البصائر الطاهرة، فاقتدوا به، واعتنقوا الاسلام، وكونوا جماعات مؤمنة مخلصة، تعبد الله على يقين فى معاقل الكاثوليكية فى الغرب.

وكان سبب إسلامه بسيطا منطقيا فى آن واحد:

لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد ـ بعد دراسة عميقة ـ سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذى لم ينله التحريف ولا التبديل، لأن الله تكفل بحفظه وحفظه حقيقة: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

لم يجد سوى القرآن نصاً مقدساً صحيحا، فاعتصم به وسار تحت لوائه فغمره الأمن النفسانى فى رحاب الفرقان. فآمن واسلم وجهه لله سبحانه وتسمى باسم عبد الواحد يحى وأصبح جنديا من جنود الاسلام يدافع عنه ويدعو اليه.

ومؤلفاته كثيرة مشهورة، من بينها كتاب «أزمة العالم الحديث» بين فيه الانحراف الذى تسير فيه أوربا الآن، والضلال المبين الذى أعمى الغرب من سواء السبيل.

أما كتابه: «الشرق والغرب» فهو من الكتب الخالدة التى تجعل كل شرقى يفخر بشرقيته. وقد رد فيه الى الشرق اعتباره، مبيّناً أصالته فى الحضارة وسموه فى التفكير، وإنسانيته التى لا تقاس بها مادية الغرب وفساده وامتصاصه للدماء وعدوانه الذى لا يقف عند حد وظلمه المؤسس على المادية والاستغلال، ومظهراً فى كل صفحة من صفحاته نبل الشرقيين وعمقهم، وفهمهم للأمور فهماً يتفق مع الفضيلة ومع أسمى المبادىء الانسانية.

■ نشأ «رينيه جينو» فى فرنسا من أسرة كاثوليكية، ثرية محافظة نشأ مرهف الحس مرهف الشعور، مرهف الوجدان، متجها بطبيعته، الى التفكير العميق والابحاث الدقيقة، وهاله حينما نضج تفكيره ما عليه قومه من ضلال فأخذ يبحث فى جد عن الحقيقة، ولكن أين هى؟ أفى الشرق أم فى الغرب؟ وهل هى فى السماء أو فى الأرض؟.

أين الحقيقة؟

وتأتى فترة الشك والحيرة والألم الممض، ثم يأتى عون الله، وكان عون الله بالنسبة الى «رينيه جينو» أن بهرته أشعة الاسلام الخالدة، وغمره ضياؤه الباهر.

ومن أمثلة ذلك ما كتبه فى كتابه «رمزية الصليب» تفنيذا للفرية التى تقول: ان الاسلام انتشر بالسيف.. ومن أمثلة ذلك أيضا ما كتبه فى مجلة «كابيه دى سور» فى عددها الخاص بالاسلام والغرب، دفاعا عن الروحانية الاسلامية. لقد أنكر الغربيون روحانية الاسلام، أو قللوا من شأنها وأشادوا بروحانية المسيحية وأكبروا من شأنها.

على أن الشيخ عبد الواحد يحيى، لم يشد بالاسلام فحسب، وإنما أشاد فى جميع كتبه وفى مواضع لا يأتى عليها الحصر بالشرق.

لقد دأب الاستعمار على أن يغرس فى نفوس الشرقيين: أنهم أقل حضارة، بل أقل إنسانية من الغربيين.. وأتى الشيخ عبد الواحد، فقلب الأوضاع رأسا على عقب وبين للشرقيين قيمتهم، وأنهم منبع النور والهداية، ومشرق

الوحى والالهام:

ولقد كتب الشيخ عبد الواحد مقالا مستفيضا بعنوان: «أثر الثقافة الاسلامية فى الغرب» بين فيه فضل الثقافة الاسلامية على أوربا، يقول:

«إن كثيرا من الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الاسلامية أو يفقهوا حقيقة ما أخذوه عن الحضارة العربية فى القرون الماضية، بل ربما لم يدركوا منها شيئاً مطلقاً، وذلك لأن الحقائق التى تلقى إليهم حقائق مشوهة حظها من الصحة قليل. فإنها تبالغ كل المبالغة فى الحط من شأن الثقافة الاسلامية والتقليل من قدر المدنية العربية، كلما أتاحت الظروف لأصحابها ذلك.

ويلاحظ أن دراسة التاريخ فى المعاهد الغربية لا توضح هذا التأثير، بل إن الحقائق تناولتها يد التحوير والتحريف قصداً فى كثير من الحوادث عظيمة الشأن جليلة الخطر.

مثال ذلك ما هو شائع معروف من أن اسبانيا ظلت تحت الحكم الاسلامى عدة قرون، على حين لا يذكر التاريخ الغربى قط، أن صقلية والجزء الجنوبى الحالى لفرنسا كانا تحت الحكم الاسلامى أيضا وربما عزا البعض هذا الاهمال من المؤرخين الى تعصبهم الدينى، ولكن ما هى حجة المؤرخين المعاصرين - وغالبهم لا دينى - فى موافقتهم أسلافهم فى قلب الحقائق؟ لهذا ينبغى أن ندرك مقدار زهو الغربيين وكبريائهم، مما منعهم عن إدراك الحقائق الصحيحة، ومقدار ما هم مدينون به للشرق. والأغرب من ذلك كله أنه بينما يعتبر الأوربيون أنفسهم الورثة المباشرين للمدنية اليونانية القديمة، فإن الحق يدحض زعمهم هذا: إذ أن الواقع المعروف من التاريخ نفسه، يثبت لنا أن علوم اليونان وفلسفتهم لم تنتقل الى الأوربيين إلا بواسطة المسلمين وبعبارة أخرى لم تصل المخلفات العقلية لليونانيين الى الغرب، إلا بعد أن درسها الشرق.

ولولا علماء الاسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زمنا طويلا بل ربما لم يدركوها كلية. وينبغى أن نلاحظ أننا نبحث هنا عن مقدار تأثير الحضارة الاسلامية، لا العربية فحسب، كما يختلط على البعض أحياناً وذلك لأن معظم من حاولوا نقل هذه الثقافة الاسلامية لم يكونوا من العرب الخلص، وإذا كانت لغتهم عربية، فإن ذلك ناتج عن تأثرهم بدينهم الاسلامى، وما دمنا قد ذكرنا اللغة العربية، فإننا نلاحظ دليلا واضحا يثبت لنا انتقال المؤثرات الاسلامية فى الغرب: وهو تلك الكلمات العربية الأصل والمنبت التى استعملت تقريبا فى كل اللغات الأوربية، بل مازالت تستعمل حتى وقتنا هذا، على أن معظم الغربيين الذين يستعملونها يجهلون حقيقة مصدرها كل الجهل.

أما عن العلوم فمن السهل أن نفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية فأما عن الأولى فإنا نعلم علم اليقين أنها انتقلت بكلياتها وجزئياتها إلى أوربا عن طريق الحضارة الاسلامية مصبوغة بالصبغة الاسلامية تماما. فالكيمياء احتفظت دائماً باسمها العربى الذى يرجع أصله الى مصر القديمة، والذى كان له معنى من أعمق المعانى التى لم يعرفها الكيمائيون الحديثون حقيقة.

ولنضرب مثلا آخر، ذلك علم الفلك فإن أكثر اصطلاحاته الخاصة ما تزال محتفظة فى كل اللغات الأوربية بأصلها العربى، كما أن كثيرا من النجوم ما يزال علماء الفلك فى كل الأمم يطلقون عليها أسماءها العربية.

وهذا يرجع الى أن مؤلفات الفلكيين اليونانيين القدماء، مثل بطليموس الاسكندرية، كانت معروفة فى التراجم العربية ومجتمعة مع المؤلفات الاسلامية.

ومن السهل جدا أن نوضح أن كثيرا من المعارف الجغرافية الخاصة بالمناطق السحيقة فى آسيا وأفريقيا عرفت من الرحالة العرب الذين جابوا كثيراً من الأقطار وحملوا معهم معلومات جمة.

أما من ناحية الاختراعات - وهى تابعة للعلوم الطبيعية - فقد انتقلت أيضاً بنفس الطريق أى بواسطة المسلمين. وما تزال قصة الساعة المائية التى أهداها الخليفة هارون الرشيد الى الامبراطور شارلمان عالقة بالأذهان ثابتة الوقائع.

النشعرة التي بين الاستشراق والتنصير

● الدافع الأساسي لنشأة الاستشراق كان دينيا محضاً.

● الاستشراق والتبشير يسعيان الى هدف واحد مع اختلاف الوسائل الموصلة للغاية ذاتها.

● تظاهر بعض المستشرقين بمظهر الانصاف والحيدة وحسن النوايا لخداع المسلمين.

بقلم: الدكتور
محمد عبده يماني

الاستشراق كلمة تطلق على الحركة (الفكرية) التي قام بها علماء غربيون ـ لا شرقيون ـ تتمركز دراساتهم حول «الشرق» الذي اشتقت كلمة الاستشراق منه، فيوحنا الدمشقي مثلا، وهو عالم نصراني، توفي سنة ٧٤٩م، لا يعتبر مستشرقا رغم أن دراساته التي قام بها هي من صميم الدراسات الاستشراقية وما ذلك إلا لأنه «شرقي» عاش عهد الدولة الأموية وخدمها وليس بغربي.

■ وليس من السهل تحديد التاريخ الذي بدأ فيه الاستشراق لكن يمكن القول ـ على وجه العموم ـ بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الاولى هو تاريخ للصراع بين العالم النصراني الغربي ـ في القرون الوسطى ـ وبين الشرق الإسلامي على الصعيدين الديني والأيديولوجي(١).

■ والاستشراق لا يشمل الاسلام والمسلمين فحسب وانما بتناول غير المسلمين، لكنه بدأ أول ما بدأ بالاسلام، ليس فحسب لأن «الاسلام يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوروبا على المستويات كافة» كما يقول سوذرن(٢) وانما لعوامل أخرى تضاف إلى ذلك.. منها الآثار العميقة التي خلفتها الحروب الصليبية في نفوس المسيحيين، ومنها ما تمخضت عنه حركة الإصلاح الديني من نتائج ومن تحديات، وهذا كله مما اضطر الكنيسة بشطريها الكاثوليكي والبروتستاني إلى مراجعة مواقفهم ـ من حيث التطورات التي طرأت والمستجدات التي جدت ـ في ضوء شروح كتبهم الدينية، مما لم يكن

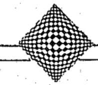


ميسورا إلا باللجوء إلى الدراسات العبرانية، وهذا ألجأهم الى الدراسات العربية لأنها مرتبطة بالدراسات العبرانية بل ضرورية لفهمها.

■■ ومن ثم يتضح لك أن الدافع الأساسى لنشأة الدراسات الاستشراقية انما هو أساس دينى محض، ومن هنا لم يكن بد للتبشير من أن يرتبط بالاستشراق، حيث إن المبشرين يحتاجون فى تبشيرهم إلى ما توصل وما يتوصل إليه المستشرقون مما يسهل لهم مهمة التعامل مع المسلمين وغير المسلمين، فيما بعد على علم ودراية فيما يريدونه بهم من كيد وما يضمرونه لهم من غدر.

■ فالاستشراق . . والتبشير . . اذن عملة واحدة ذات وجهين، ولهما هدف واحد يتعاونان على تحقيقه مهما كلفهما الأمر، وإذا كان هناك اختلاف بينهما فانما مرده الى الوسائل التى يتوسل بها كل منهما لبلوغ هذه الغاية المشتركة وتحقيق هذا الهدف الواحد، فكانت وسائل الاستشراق علمية أكثر منها عملية، كتأليف الكتب ونشر الابحاث التى يعتبرونها علمية . . وعقد المؤتمرات التى يوجهونها لبلوغ غايتهم، والعمل فى الجامعات كمحاضرين يبثون سمومهم فى طلبتها، أما التبشير فيجمع بين الطابع العلمى والعملى «معا» . . فهو يلجأ الى إنشاء المراحل التعليمية المختلفة بدءا من رياض الأطفال ـ بل بدءا من دور الحضانة وانتهاء بالثانويات حيث يتعهد النشء منذ نعومة أظفارهم، ويصوغهم فى القالب الفكرى أو العقدى الذى يريده مستعينا فى نفس الوقت بوسائل الاعلام المختلفة، حتى الاذاعة والتلفزيون مما يعتبر عملا ذا طابع أكاديمى . . ويمعن فى الجانب العملى بإنشاء المؤسسات «الخيرية» التى ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب ـ كإعداد المستشفيات وتشييد دور للقطاء والمعوزين من الأطفال، وإنشاء ملاجىء للعجزة والمساكين، منتهزا فرصة الكوارث الطبيعية التى تتيح لهم حتى تبنى الأطفال أو شرائهم بالآلاف المؤلفة ليعدوهم منذ نعومة أظفارهم الاعداد اللازم ليرجعوا الى بلادهم كأفتك أدوات للهدم، وأعتى وسائل للتخريب العقدى لصالح المسيحية. فإن لم يفلحوا فى جانب ما يخدم المسيحية ـ بطريق مباشر ـ رضوا بما يخدمها عن طريق غير مباشر، كالتفريق بين المسلمين . . وتشكيكهم فى الدين . . وتعبيد الطرق لهم إلى اعتناق اللادينية أو الالحاد . . «سئل رئيس مدرسة تبشيرية فى فلسطين كم نصرت من أبناء المسلمين؟ فأجاب «لا تسألونى كم مسلما نصرته، ولكن أسألونى كم معولا صنعته من هؤلاء لهدم الاسلام نفسه(٣).

■ فأنت ترى من كل ذلك أنه لا



فرق بين الاستشراق والتبشير إلا فى الوسائل مع اعتماد التبشير على الاستشراق فى الطابع الأكاديمى الذى يتميز به الاستشراق بصورة اكبر مما يتميز به التبشير، الذى يعوض هذا «النقص» باللجوء الى الجوانب العلمية كما رأيت.

■■ ويختلف المفكرون فى تقويم الدور الذى قام ويقوم به المستشرقون من حيث النزاهة، والموضوعية والصدق والاخلاص فى توخى الحقائق.

■ فمن المفكرين المسلمين من يرى أن الاستشراق كله شر.. كله زيف وتضليل.. الامثلة على ذلك ما يقوله الدكتور قاسم السامرائى «إن الانتقادات والمآخذ التى كانت توجه للاسلام ولنبى الاسلام فى القرون الوسطى لم تتغير الآن، بالرغم من أن بعض من عنى وما يزال يعنى بدراسة الفكر الغربى والاسلامى من المستشرقين حاولوا أن يتحرروا من ترديد لعنات أجدادهم وانتقاداتهم، إلا أنهم رددوها بأثواب عصرية ظانين أنهم ارتفعوا بكتاباتهم عن لعنات أجدادهم.. ويمضى السامرائى فيؤيد فكرته بما قاله نورمان دانيال» وفى الوقت الحديث نسبيا، فان بعض الكتاب حاولوا أن يحرروا أنفسهم من المواقف المسيحية، بيد أنهم لم يكونوا ناجحين كما ظنوا هم أنفسهم(٤).

■ ومن المفكرين المسلمين من توسط فى الحكم ولم يعمم هذا

● الاستشراق والتنصير عملا فى مرحلتها الأولى على الحفاظ على الكيان العقائدى بين المسيحيين حتى لا يكتسحهم الاسلام.

التعميم، يقول الدكتور عبد الحميد متولى - على سبيل المثال لا الحصر - «ويجدر بنا أن نوجه الأنظار إلى أننا لا ننكر أن من المستشرقين بعضا من العلماء الممتازين المنصفين الذين كتبوا عن تاريخ الشرق. أو عن العرب والشريعة الاسلامية بروح علمية صادقة لا تشوبها شائبة الشبهات أو شائنة الشهوات، ويعد الدكتور عبد الحميد المؤرخ الامريكى Breasted من هؤلاء المنصفين.

■■ والفصل بين هذين الرأيين يتمثل فى أن الاستشراق، وربيبه التنصير مرت عليهما فترتان:

الفترة الأولى: كان همهما فيها الحفاظ على الكيان العقائدى بين المسيحيين أنفسهم حتى لا يكتسحهم الاسلام فى هجمته الفكرية الضارية التى لا تبقى لا تذر، فإذا لجأ الاستشراق أو التبشير إلى الحيدة والموضوعية ونزاهة الحكم لم يبق عاقل واحد من المسيحيين إلا وانضوى مع المسلمين تحت راية الاسلام الفضفاضة الشماء فلابد من اقتناص فرصة الجهل بين المسيحيين ليتقولوا ما لا يقول به مجرد عاقل لينفروا أهل ملتهم من الانحراف إليه والانخراط فى سلكه، والأمثلة على ذلك كثيرة نجتزىء منها بما يحقق الغرض:

■ يقول المسيو كيمون فى كتابه «باثولوجيا الاسلام» إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هى مرض مروع.. وشلل عام وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل.. لا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء، ويدمن معاقرة الخمور، ويجمح فى القبائح. وما قبر محمد فى مكة (كذا) إلا عمود كهربائى يبث الجنون فى رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الهستيريا (الصرع) والذهول العقلى(٦).

وانظر كيف يذهب بهم الخوف من الفكر الاسلامى الى مجانبة الحق والاعتماد على الباطل، باعتراف منهم فى ذلك اعترافا صريحا:

■ يقول «جون تكالى» وهو من كبار هذه الطائفة المشهورين «يجب أن نستخدم الاسلام وهو أمضى سلاح فى يد المسلمين ضد الاسلام نفسه لنقضى عليه القضاء المبرم حيث نرى هؤلاء الناس أن



الصحيح فى القرآن ليس جديدا.. وأن الجديد فيه ليس صحيحا(٧) وليس هذا أول ولا آخر من اعترف بذلك، فمثله ـ على سبيل المثال ـ Gulbert DE Nogent الذى أكد معترفا «أنه لا يعتمد فى كتاباته عن الاسلام على أية مصادر مكتوبة.. وأشار إلى اعتماده فقط على آراء العامة.. وأنه لا توجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب».. وهذا شأن كثير من الذين يكتبون عن الاسلام بهدف الاساءة وليس بهدف العلم.

■ ويلخص الكونت هنرى دى كاسترى هذه الخطة الشائنة التى اختطها هؤلاء لوقف المد الاسلامى حتى لا يصل الى قلوب المسيحيين، فيقول «إن هؤلاء العلماء ذهبوا الى أن محمدا وضع دينه بادعائه الألوهية وان محمدا الذى هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان كان يدعو الناس لعبادته فى صورة وثن من ذهب وذهبوا: الى أن صورة «ماهوم» يعنون محمدا ـ كانت تصنع من أنفس الأحجار والمعادن بأحكم صنع وأدق إتقان.

■■ وظل هؤلاء يعزفون على هذه الأوتار وينشئون عليها أبناءهم فى المنزل وفى كل مكان حتى عند النوم كانوا يخوفونهم بها حتى لا يقعوا فى قبضة الاسلام الخانية القاتلة المفزعة فى مفهوم هؤلاء.

وجاء عهد النهضة الحديثة: وكان من أهم مظاهرها ـ أو نتائجها ـ الانفتاح الفكرى دون تعصب، والتسامح الدينى ولو الى حد.. واستعمرت أوربا البلاد الاسلامية وغير الاسلامية مفسحة المجال الكامل للاستشراق وربيبه التبشير ليؤديا دورهما جنبا الى جنب ـ ويؤديا دورهما المتمثل فى القضاء على الاسلام والقيام بتنصير المسلمين وغير المسلمين.. فأصبح سلاح الباطل فى هذه المرحلة لا يسمن ولا يغنى من جوع، لأن أى مسلم يستطيع أن يفضح هذه السخائم التى لا تقوم الا على الحقد والحسد والتى يعرفها كل مسلم، من يوم ان ادرك اليهود أن النبى المبشر به ليس منهم، ومن يوم جابه الاسلام المسيحية بان عيسى عليه السلام ليس ابنا لله **﴿.. فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ـ ومن فى الارض جميعا﴾.. ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم..﴾.**

هذه العداوة.. هذا الحقد.. هذا الحسد.. قديم قدم الوحى على سيد الاولين والاخرين صلوات الله وسلامه عليه، فلن تنطلى على مسلم هذه الترهات المفضوحة أساسا والتى ان حالت ـ ولو الى حد ـ دون دخول المسيحيين فى الاسلام فانها بدرجة أكبر وأكبر تحول دون دخول المسلمين فى المسيحية.

■■ فلابد من سلاح آخر ـ ولينطو على الحقد والعداوة والحسد ما دام أرجى أملا، واوغل مكرا، وخداعا.. وهو أن يتظاهر المستشرقون بمظهر الانصاف والحيدة فى بعض ما يقولون حتى ينخدع المسلم بباطلهم المغلف ويطمئن إلى صدق نواياهم.. الا

تری مثلا السیر ولیم موير وهو «أبو جهل» بين المستشرقين. لم ير فيهم من هو أشد عداوة ولا أمعن لددا منها ألا تراه يدافع عن «حرفية» القرآن الكريم.. وبقائه على اصله القرون الطوال.. وسلامته من أي زيادة أو نقص أو تحريف. لماذا؟ ليطمئن المسلم على أن ما سيغلفه له من الباطل هو عين الحق والصواب حتى «كارليل» في كتابه المشهور باسم «**الأبطال**» انما توسل بما فيه من حق ظاهر الى ما يبطنه من تضليل بعيد حتى الدكتور مايكل هارت في كتابه «**المائة الاوائل**» فانه أخذ بالشمال ما أعطى باليمين.. فانه جعل سيدنا محمدا ﴿ﷺ﴾ هو اول هذه الصفوة من «المائة» لكن في الأهمية لا في العظمة ومن قرأ المقدمة التي قدم بها لكتابه هذا عرف ذلك كل المعرفة دون أن يحتاج الى اعمال فكر وإن قل - وإلا فأي ارض تقله.. وأي سماء تظله من اليهود والصهاينة وأعوانهم من اعداء الاسلام؟.

وأمثال هؤلاء كثيرون..

■ هذا ولقد التقيت (بمايكل هارث) هذا في القاهرة في الاحتفال الذي كرمهم فيه الرئيس/ محمد حسني مبارك.. وانتهزت الفرصة فتحدثت اليه في أمر كتابه القيم «**المائة الاوائل**» وأخبرني أن الأساس الذي ينبني عليه الكتاب إنما هو أهمية هؤلاء المائة وانه لم يضع أي اعتبار لموضوع

● ينبغي أن نجرى مراجعة كاملة لوسائل إعلامنا، لنعدها لرد الهجمات الملحدة الحاقدة.

● ترى هل لدينا من الدعاة أصحاب الفكر والمنهج والغيرة الدينية الكم الذى نستطيع ان ندفع به عن ديننا غوائل المعتدين

العظمة.. فكان سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ أولهم في الأهمية بصرف النظر عن ترتيبه في العظمة.. ونحن وان كنا لا نحتاج لأي مستشرق يخبرنا عن عظمة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ إلا أن هناك عددا لا يستهان به من المستشرقين يخبرنا عن عظمة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ الا أن هناك عددا لا يستهان به من المستشرقين ومن أعلام الفكر المسيحي اعترفوا بتميز سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ على سائر العظماء الافذاذ، مثل بوسورت سمث الذي يقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم «ما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة» ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية فلا أظن اننا نجد فيه اسما منيرا هذا النور وواضحا في هذا الموضوع غير اسم النبي العربي «ولو ركضنا في هذا الحقل لخرجنا عن الموضوع إلى غير رجعة».

■ ومن أبرز الأمثلة على هذا التحايل على الباطل بالعزف على وتيرة الحق لينخدع المسلم بهذه «الحركة الفكرية المقنعة، وهذا «التسامح الديني» المصطنع - تلك المحاضرة التي القاها جاك. س. ميلر في جامعة كورنيل في مركز اتحاد الديانات بالجامعة.. فقد أشاد المحاضر بذكاء سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ كما أشاد بامانته ثم استدل على ذلك بقوله: «إنه صلى الله عليه وسلم كان يوقع العقود في التجارة بين (الشام ومكة المكرمة) عندما كان يقوم بالتجارة لخديجة (رضي الله عنها). ومن هذه الايماءة الخبيثة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف القراءة والكتابة نسف نسفا. «حقيقة الأمية» التي أقرها التاريخ المنصف، وأشار اليها الكتاب العزيز يقول الله تعالى: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الامي**﴾.. ويقول تعالى في الآية التي تلت هذه ﴿**فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي**﴾. وقوله تعالى: ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا**

تخطه بيمينك﴾.. فانظر كيف خيل لهذا المحاضر أنه ضرب عصفورين بحجر واحد ـ سلب عن النبى ﴿ﷺ﴾ الصفة التى تعتبر فى حق غيره نقصا. وتعتبر فيه دون سائر الخلق كمالا.. ثم عرج على القرآن بطريق غير مباشر فكذبه. وصدق الله العظيم فى كل ما قال، وفى قوله تعالى: ﴿ولتعرفنهم فى لحن القول﴾.

■ لكن ما من شك فى ان هناك من المستشرقين من توخوا النزاهة والموضوعية فى أواخر القرن الماضى وبداية القرن العشرين حتى اليوم صحيح أن بعضهم لم يسلموا كما أن بعضهم انحرف فى بعض أحكامه، وذلك ليس بسبب التعصب أو عدم توخى النزاهة فى حدود طاقاتهم البشرية.. وانما بسبب الرواسب المكثفة.. والركام المتراص مما تركته فى انفسهم تلك الصورة البشعة التى رسمها أجدادهم مما قصصنا لك طرفا منه تلك الصورة التى مازالت تسيطر على الفكر الغربى، ترسخها وتؤكدها وتجددها افعال المسلمين اليوم، واحوالهم وبعدهم الا عن «الاسلام الصورى الذى لا يجمع لهم كلمة، ولا يحقق لهم اصالة، ولا يهيىء لهم إلا الخمود والركود والجمود».

■ إن انحرافات المستشرقين ممن يدعون أنهم احرار فى الفكر انما هى أمر طبيعى بل حتمى فى ظل هذه الأحوال وهذه العوامل التى ذكرناها ـ باختصار. وليس ذلك قدحا فى نزاهتهم بقدر ما هو قدح فينا نحن المسلمين وذلك بتخاذلنا عن حمل الأمانة الملقاة على رقابنا من يوم أن عرضت على السموات والأرض والجبال فابينها.. انها تتمثل فى عجز وسائلنا فى الدعوة عجزا فاضحا يترك لاحرار الفكر ان يتوصلوا الى الباطل فيظنوه حقا.. والى المعوج فيعتبروه مستقيما ـ دون ان يشعروا بذلك لاننا لم نبين لهم الصواب ولم ندلهم الى سواء الصراط.. لأننا لم نعد الداعية الحصيف المتمكن الذى يعرف من أين تؤكل الكتف؟.. ويدرك كيف يتلقى السهام التى توجه الى صدر الاسلام؟ فيحول بينها وبين وصولها إليه ثم يردها الى من يرميها ـ بحسن نية أو بسوء قصد ـ فيخمد بها فكره ويقصم بها ظهره ولن يجعل الله للكافرين على المسلمين سبيلا، ما اعددنا لاعداء الاسلام من قوة فكرية ومادية.. واكتفينا بالمؤتمرات تلو المؤتمرات.. والاحتجاجات جعجعة من غير طحن.. وكلاما يطير فى الهواء.. نقاتل بعضنا من أجل فتر هو حق لكل مسلم.. ويغتصب بلادنا ارذل خلق الله.. وينصر ابناءنا اذل خلق الله.. ونحن مشغولون بالخلافات بيننا عن إعداد العدة وتجنيد الملكات والامكانات وانا لله وانا اليه راجعون.

الا هل بلغت.. اللهم اشهد..

الهوامش

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى. للدكتور محمود حمدى زقزوق ص ٢١ (كتاب الامة).

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) نقلا عن كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام للشيخ محمد الغزالى ص ١٣٢.

(٤) الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية للدكتور قاسم السامرائى ص ٦٨ الطبعة الاولى ١٠٤٣هـ.

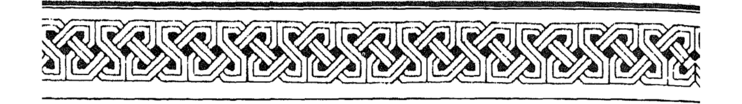
(٥) المصدر السابق نفسه ص ٦٨.

(٦) نقلا عن «تحت شمس الفكر «لتوفيق الحكيم ص ٢٢ الطبعة الرابعة ١٩٥٤م.

(٧) الله او الدمار لدولة سعد جمعة ص ١٠٧ (عن كتاب الاسلام والارساليات).

(٨) الاستشراق والخلفية التاريخية للدكتور محمود حمدى زقزوق ص ٢٢/٢٣ (كتاب الامة).

(٩) نقلا عن كتاب اوربا والاسلام للمرحوم فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود صفحة ٤٣.



بسم الله الرحمن الرحيم

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

صدق الله العظيم

الاستشراق

والجهود المط

● المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية المعاصرة فى الغرب تقوم بالانفاق على المستشرقين بسخاء وتمول مشاريعهم العلمية خدمة لاغراضهم وأهدافهم.

● المستشرقون لم يتركوا وسيلة من وسائل النشر لآرائهم إلا واستغلوها.

● أنشأوا المجلات العلمية والجمعيات المتخصصة، وعقدوا المؤتمرات لدراسة آخر ما توصلوا إليه.

بقلم: الدكتور
احمد سعد حمدان الغامدى



■ الاستشراق فى ظاهره: «حركة علمية تعنى بدراسة علوم وأديان وآداب وحضارات البلدان الشرقية».. وأ ما هذه الحركة فى حقيقة امرها فهى تختلف من فرد الى فرد ومن مؤسسة الى مؤسسة.. وقد تحدثت كتب عدة عن أهداف المستشرقين ودوافعهم والوسائل التى سلكوها لتحقيق تلك الاهداف.

ومنذ ظهرت كتابات المستشرقين عن الاسلام والمسلمين، والباحثون المسلمون يردون على كثير من مفترياتهم واخطائهم بجهود فرديه وفى فترات متعددة. وهذه ولا شك ردود مفيدة كان لها اثر كبير فى كشف أهداف المستشرقين وتحذير المسلمين مما تحمله كتبهم من دس وتشويه للاسلام وتاريخ المسلمين.

■ واذا كانت هذه الجهود الفردية مطلوبة فى وقت ما فإنها اليوم لا تناسب الفترة الحالية بعد ان تطورت اساليب المستشرقين وتعددت قنوات تحركهم ورصدت لها الاموال والامكانات المختلفة. فانشأوا الجمعيات والمؤسسات واصدروا الدوريات وكتبوا الموسوعات وعقدوا المؤتمرات كل ذلك محاولة للوصول الى الاهداف التى يسعون لتحقيقها.

■ قال الاستاذ محمد البهى وهو



يبين جهود المستشرقين المختلفة: «حاول المستشرقون ان يحققوا أهدافهم بكل الوسائل: ألفوا الكتب وألقوا المحاضرات والدروس، وبشروا بالمسيحية بين المسلمين، وجمعوا الاموال وانشأوا الجمعيات، وعقدوا المؤتمرات واصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك ظنوه محققاً لاهدافهم.

□ وهذه نماذج من صور نشاطهم المتعددة الجوانب:

●● فى عام ١٨٨٧ أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين الحقوها بأخرى سابقة فى عام ١٨٢٠ واصدروا: «المجلة الاسيوية».

●● وفى لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقيه فى عام ١٨٢٣ وقبل ان يكون الملك ولى امرها واصدرت: «مجلة الجمعية الاسيوية الملكية».

●● وفى عام ١٨٤٢ أنشأ الامريكيون جمعية ومجلة باسم «الجمعية الشرقية الامريكية». . وفى العام نفسه اصدر المستشرقون الالمان مجلة خاصة بهم. كذلك فعل المستشرقون فى كل من النمسا وايطاليا وروسيا.

■ ومن المجلات التى اصدرها المستشرقون الامريكيون فى هذا القرن: «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» وكانت تصدر فى مدينة جامبير بولاية اهايو ولها فروع فى لندن وباريس وليبزج وتورنتو فى كندا، ولا يعرف إن كانت تصدر الان، وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسى.

ويصدر المستشرقون الامريكيون فى الوقت الحاضر «مجلة شئون الشرق الاوسط». . وكذلك «مجلة الشرق الاوسط» وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسى كذلك.

* واخطر المجلات التى يصدرها المستشرقون الامريكيون فى الوقت الحاضر هى مجلة «العالم الاسلامى» انشأها صموئيل زويمر فى سنة ١٩١١م وتصدر الآن من هارتفورد. . بامريكا.

* وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة «العالم الاسلامى» فى روحها واتجاهها العدائى التبشيرى. . ولعل اخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو اصدار «دائرة المعارف الاسلامية» بعدة لغات. . واستطاع المستشرقون ان يتسللوا الى المجمع اللغوى فى مصر والمجمع العلمى فى دمشق والمجمع العلمى فى بغداد.

ويعتمد المستشرقون - فيما يعتمدون - على عقد المؤتمرات العامة من وقت لاخر لتنظيم نشاطهم، واول مؤتمر عقد كان فى سنة ١٧٨٣ ومازالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم.

* وفى العصر الحاضر تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك والامراء الغربيون فى الماضى من الاغداق على المستشرقين وحبس الاوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق. (١)

وليعذرنى القارىء فى نقل هذا القدر من تقرير الدكتور البهى فإنه قد لخص الاعمال والجهود التى يقوم بها المستشرقون بما يغنى عن كثرة الشواهد التى تساق فى عدة كتب.

■ فإذا كانت هذه جهود المستشرقين فى نشر ارائهم وافكارهم فهل يناسب ان تبقى جهود المسلمين فى مواجهتهم قائمة على التلقائية والجهود الفردية؟.

فلابد اذن من جهود واسعة ومتعددة لمقاومة تلك الجهود. . وهذه مسئولية المؤسسات العلمية والاعلامية لدراستها والعمل على تكثيف جهودها نصرة للحق وحماية

للبشرية عامة والمسلمين خاصة.

والجهود المطلوبة تتلخص فيما يلى:

(١) انشاء لجان علمية متخصصة لرصد الكتب والدوريات الجديدة والرد عليها.
(٢) انشاء دوريات بلغات متعددة ونشرها فى البلدان الغربية لتعريف الناس بالاسلام وبيان الاخطاء التى تتخلل كتاباتهم.
(٣) عقد المؤتمرات العلمية فى البلدان الغربية يشارك فيها العلماء المسلمون المهتمون بالاستشراق ويدعى لها المستشرقون البارزون.
(٤) اقامة صلات علمية بالمستشرقين المشهورين لبيان الجوانب التى اخطأوا فى فهمها او عرضها.
(٥) دعوة هؤلاء المستشرقين لحضور المؤتمرات العلمية التى تعقد فى بلاد المسلمين.
(٦) تبنى اعداد الرسائل العلمية فى الجامعات الاسلامية للرد على اخطاء المستشرقين تترجم فيها بعد الى لغات اخرى.
(٧) تنظيم زيارات للمستشرقين البارزين.

■ لعل هذه الجهود المنظمة تؤتى ثماراً حسنة.. تخفيف حدة الاساءة.. هداية من اراد الله عز وجل له الهداية.. حماية المسلمين من سموم كتاباتهم وافكارهم. ولا غرو فان هؤلاء المستشرقين من

● عقد المؤتمرات العلمية بمشاركة أصحاب التخصص من المستشرقين فى مجالات الخلاف بينهم وبين المسلمين.
● إنشاء لجان علمية متخصصة لرصد الكتب والدوريات الجديدة والرد عليها.

اقدر الناس ـ اعنى فى البلدان الغربية ـ على فهم الحق لمعرفتهم بكثير من الحقائق الاسلامية واهتمامهم بدراسة الاسلام.. وغير خفى ان العقلية الغربية قد ابتليت بمفاسد كثيرة افسدت على العقل الغربى تصوراته وموازينه مما يحول بينه وبين فهم الاسلام على حقيقته.

■ يقول الاستاذ: «ناصر الدين دينيه» أحد المستشرقين الذين هداهم الله عز وجل للاسلام وهو يبين: (اسلوب المستشرقين وموازينهم فى الحكم على الاشياء مما جعلهم يتناقضون فيما بينهم تناقضا واضحاً فى الحكم على شيىء واحد، كل ذلك لانهم حاولوا أن يحللوا السيرة النبوية وتاريخ ظهور الاسلام بحسب العقلية الاوربية فضلوا بذلك ضلالا بعيداً لأن هذا غير هذا ولأن المنطق الاوربى لا يمكن ان يأتى بنتائج صحيحة فى تاريخ الانبياء) الى ان قال: «اما اولئك المستشرقون فنسوا انه كان عليهم قبل كل شىء ان يسدوا الهوَّة السحيقة التى تفصل بين عقليتهم الغربية والاشخاص الشرقيين الذين يترجمونهم، وانهم بدون هذه الملاحظة جديرون بأن يقعوا فى الوهم فى كل نقطة»(٢)

■ وليس هذا فقط هو سبب عدم فهمهم للاسلام فهما صحيحا بل ان الاستاذ (محمد اسد) أحد النمساويين الذين أنعم الله عز وجل عليهم بالاسلام ليذهب اكثر من ذلك فيشير ويؤكد الى ان الحقد الصليبى وراء كل فهم سيىء ضد الاسلام.

■■ وقد ذكر كلاماً كثيراً يحاور به احد اصدقائه الغربيين وهو يبين سبب عدم فهم الغربيين للاسلام فهماً صحيحاً يقول: (ولا شك فى ان الاذى الذى جلبته الحروب الصليبية لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الاسلحة بل كان اولا وقبل كل شيىء أذى عقليا نتج عنه تسميم العقل الغربى ضد العالم الاسلامى عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الاسلامية

تفسيراً خاطئاً متعمداً).

■ هذه بعض الاسباب وراء: «عدم فهم» الاسلام فهماً صحيحاً يجب ان يتنبه لها الدارسون والباحثون، إضافة الى جوانب أخرى تظهر للباحث عند اطلاعه على الانحرافات التى تمتلىء بها كتابات كثير من المستشرقين.. فهذه الاسباب يمكن عن طريق الاتصالات واللقاءات بهؤلاء المستشرقين أن تخف او تتلاشى.. فهذه تجربة يذكرها المغفور له الدكتور مصطفى السباعى قام بها مع بعض هؤلاء المستشرقين حيث ناقشهم فى بعض الاخطاء التى وقعوا فيها فكان لها آثار ايجابية.

■■ ذكر انه قابل البروفسور: «روبسون» فى بريطانيا ودار بينهما احاديث حول اخطاء المستشرقين اختتم الدكتور السباعى اللقاء بقوله: «نرجو ان تكون ابحاثكم فى هذا العصر اقرب الى الحق والانصاف من جولد تسيهر ومرجليوث وامثالهما) فقال: (ارجو ذلك).

■■ وذكر انه قابل المستشرق الالماني اليهودى «شاخت» وباحثه طويلاً فى اخطاء «جولدتسيهر» وتعمده تحريف النصوص فكان ممارد عليه المستشرق: (معك الحق ان جولد تسيهر اخطأ هنا) وكرر هذه العبارة كذلك بعد بيان خطئه ٣.

■ هذه اللقاءات الفردية التى قام بها فرد واحد ويقوم بها كذلك افراد آخرون لو كانت فى اطار عمل منظم تقوم به مؤسسات علمية الى جانب الجهود الأخرى لعلها لو وجدت لكان لها الأثر الحسن بمشيئة الله تعالى.. هذا ونسأل الله عز وجل ان يحقق للأمة الاسلامية مكانها الصحيح لقيادة البشرية وهدايتها الى سعادة الدنيا والآخرة.

المراجع

(١) الفكر الاسلامي الحديث د. محمد البهى ص ص ٥٣٥-٥٣٧

(٢) الاستشراق والمستشرقون ٤٩-٥٠ للدكتور مصطفى السباعى.

(٣) الطريق الى الاسلام - محمد أسد ص٢٢.





رواية: « حوش . . التاجورى »



رواية جديدة للأستاذ القاص غالب حمزة أبو الفرج . . تمثل لمحات من الماضى الأخاذ مصحوبة باشراقات الحاضر الفواح .

صيغت فى قالب قصصى وسلاسة فنية وبأسلوب أدبى رقراق ينساب فى أعطافها ويتناغم بين فصولها وينغرس فى جذورها . . تطالعها قريباً فى اعدادنا القادمة باذن الله سبحانه .

وقفت طويلا عند كثير من أبحاث مجلتكم المنهل . . فلم أكن أعرف أن هناك مجلة جادة على هذا القدر الكبير من الفائدة والمتعة الأدبية .

●● قريبا سأتوفر على كتابة مقالات لكم . . سوف تكون سعادة مؤكدة لى .

أنيس منصور



●● موضوعات الساعة . . ومطارحات الغد . . فى الفكر، والأدب، والثقافة . . فى معطيات المعرفة ومساجلات الحياة . . فى الحاضر، ورؤى المستقبل، فى كل هذا، وحوله تدور موضوعات ندوات المنهل . . تطوف بها فى بلداننا العربية والاسلامية . . ويظل العطاء ممتداً بين سابقٍ وآتٍ .

اعداد قسم التحقيقات

محاور حول الاستشراق

كل عدد
موضوع جديد
وتطلع جديد ..
وشراع يعبر أعماق
أمتنا العربية
والاسلامية
يستقرىء ماضيها
ويعيش حاضرها
ويتطلع الى
مستقبلها

المشاركون فى الندوة

- الدكتور عبد الله عمر نصيف
  الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى
- الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة
  المستشار فى الديوان الملكى
- الدكتور محمود حمدى زقزوق
  عميد كلية أصول الدين/ القاهرة
- الدكتور زاهر عواض الألمعى
  أستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
- الدكتور حسن بن فهد الهويمل
  رئيس نادى القصيم الأدبى

لعلنا لا نبعد عن الحقيقة إن قلنا إن هذا العدد المتخصص يمثل (فى مجمله) [ندوة كبرى] موضوعها «الاستشراق والمستشرقون» تناول فيها الباحثون والدارسون الموضوع فى جزئياته وتفاصيله الدقيقه.. وما دمنا نبغى الدقة والموضوعية فى هذا الموضوع الهام فقد سلكنا لها مسالكها المتمثلة فى مشاركة أقلام متخصصة.

وهذه الصفحات تمثل «ندوة مصغرة» تدور مدارات حوارها حول القضية ذاتها للتركيز على بعض جوانبها.. وهى أيضا ثمرة من ثمار أقلام حادبة على تمثل مرتكزات المجتمعات الاسلامية فى خصائصها المميزة لها.

ولـذا نجـد مدارات الحوار تتناول قضية الاستشراق من عدة جوانب منها: استهدافه لحركة المد الاسلامى، تأثيره فى فكر كثير من أبناء المسلمين، كما يبدو من توجهاتهم الفكرية والمعرفية.

وتسجل هذه المحاور الدور الايجابى للحركة الاستشراقية تجاه التراث الاسلامى والعربى.. وما قدموه من خدمات فى هذا الميدان الواسع الفسيح سواء أكان هذا بقصد الحقيقة العلمية فحسب ام لأى أسباب أخرى.

وكما أسلفنا القول فان هذه الآراء تمثل إضاءات فى حيز هذا الموضوع (الاستشراق والمستشرقون).

● المنطلقـــات الحضـــارية فى المجـــالات الفكريـــة والعسكرية والرجـــال

● ان التبـــعية القـــانونية للقـــانون الأوروبى والتقـــمص المذهـــى ا

● حركـــة الصـــراع ضـــد الاســـلام كانت مـــوجـــهة فى ال

● تعامل المســتشرقين مع التراث الاســـلامى جاء مرتبطاً بأســـلوب نفـ

● علينـــا أن نجيـــد التعـــامل مع الطارىء فلا نرفـــضه على إط

● الصـــراع الفـــكرى بين حضـــارتين يؤدى فى غـــالب الأحيـــان إلى

المنهل:

● اعمال المستشرقين العلمية لا شك لها أثرها الفكرى سلباً أو ايجاباً على أبناء المسلمين ممن درسوا على أيدى المستشرقين أو من قرأوا لهم.

فكيف يمكن ان نحدد طبيعة التوجه السلبى لعطاء المستشرقين العلمى والفكرى وما كان مخططا له فى هذا السبيل..؟ وما مدى الآثار السلبية التى نتجت عن تلك التوجهات فى أبناء المسلمين..؟؟

الظاهرة.. والتأثير المشترك

الدكتـور عبـد الله نصيـف:

● خلخلة ضعف المسلمين، توهين علاقتـهم بدينهم، تشكيكهم فى صحته، كل هذ كانـت من أبـرز مرتـكـزات الاستشراق فى مراحله التالية.



يجيب معـالى الـدكتـور عبـد الله عمـر نصيـف الامـين العـام لرابطـة العالم الاسلامى على هذا التساؤل بقوله: يمكننا ان نلمح فى عنوان كتـاب «الاستشـراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى» مؤشرا لقضية الاستشراق وأنها حركة قام بها - ولا يزال - قطاع من مفكرى الغرب فى إحدى المحاولات لمصارعة الحضارة الاسلامية.

والصـراع الفكرى لا يؤدى فى العادة الى قتل أحد المتصارعين إعداما حتى الموت، وانتفاش الآخر سليما من كل آثار الصراع.. بل يؤدى الصراع الفكرى فى غالب الأحيـان إن لم نقل فى كلها إلى تأثر كل من الحضارتين المتصـارعتـين بالأخـرى.. سلباً أو إيجاباً أو تأثراً إيجابياً وسلبيا بآن واحد.

ومهـما كانت آراء النـاس فى ظاهرة الاستشراق فإننا

ـذين قـاموا بتـلك الأدوار ، تظـل مـن أسـاسيـات دراسـاتهم .

ـفكر الأوروبى لـغة وأدبـاً أحـد الآثـار الهـامة التى تركـها المستشرقون .

ـداية لحـماية جمـهور الصـليبيين وصـدهم عـن التأثر بالاسـلام .

ـيرمم وطريقة تعاملهم مع الموروث العالمى .

ـلاقه ولا نقبـله على اطـلاقه .

ـأثر كل منهـا بالأخـرى .

نستطيع القول بأن هذه الظاهرة أدت عمليا الى ثلاثة أنواع من التأثير لا تنكر ونجملها بما يلى :

١ ـ تأثيرات سلبية فى مجتمع المسلمين .

٢ ـ تأثيرات إيجابية فى مجتمع المسلمين .

٣ ـ تأثرات فى فكر المستشرقين .

التأثيرات السلبية :

١ ـ تظهر هذه التأثيرات أو محاولات التأثير فى بدايات الحركة الاستشراقية والتى كانت ردة فعل صليبية ضد الإسلام متأثرة بالروح العدائية المتعصبة ضد المسلمين وضد كل ما هو متصل بهم .

ولعل هذه التأثيرات ـ فى المرحلة الأولى ـ كانت موجهة إلى جمهور الصليبيين تهدف الى صدهم عن التأثر بالإسلام وعقيدة المسلمين وما تعارفوا عليه من خلق ودين ، فكانت تكذب وتفترى وتتهم وتتهكم ، فلقد وضع طواغيت الفكر عند الأوائل هؤلاء نصوصاً بلغاتهم زعموا أنها قرآن المسلمين ، وطرحوها للبحث والنقاش والتعليق بدون نص أصلى يطلع عليه الناس ، فكان الجهل والغموض أساساً للبحث والحوار من جانب واحد انبثق عنه نوع غريب من الثقافة الشعبية ـ فى أوساط النصارى ـ تستند على الأساطير التهكمية عن الإسلام وتخلف المسلمين وبخاصة عن الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ ، أدى كل هذا إلى إذكاء نيران حقد وضغينة ضد الإسلام والمسلمين .

٢ ـ ثم ظهرت تأثيرات استشراقية جديدة فى مرحلة الحروب الصليبية الحديثة التى سميت بالحروب الاستعمارية فكانت تتمثل بحركة استكشافية للتعرف على ما عند المسلمين تمهيداً لغزو بلادهم وتقوية لجيوش الغزو والاحتلال ، ولعل الموضوعية فى التعرف على ما عند المسلمين تبرز هنا بعض البروز فى محاولة لئلا يكذب الرائد أهله ، فهم يرون أن يتعرفوا على ما عند المسلمين على الحقيقة كى تصيب سهامهم مقتلاً .

■ وبعد نجاح الغزو الصليبى واحتلال المستعمرين لبلاد المسلمين ظهرت تأثيرات استشراقية جديدة تهتم بتثبيت إقامة المستعمرين فى أراضى المسلمين ، وتوطيد أركان الاحتلال عن طريق خلخلة صف المسلمين وتوهين علاقتهم بدينهم وتشكيكهم بصحته وحقه ، وأهم ما هدفوا إليه فى هذه المرحلة :

(أ) إثبات بطلان دين الاسلام وتقرير أنه عنصرية سياسية قامت على القمع والإرهاب ونشر عقيدة فاسدة وإرغام الشعوب على قبولها بحد السيف .

(ب) إثبات عدم صحة نبوة خاتم النبيين محمد ﴿ﷺ﴾

وزعم أن القرآن الكريم من وضعه وتأليفه نقلاً عن الديانات السابقة وبعض الحضارات البائدة.

(ج) تحقير العرب ولغتهم، تحقير العرب: لأنهم مادة الإسلام وقوم النبى الخاتم ﴿ﷺ﴾، وتحقير العربية لأنها لغة القرآن التى نزل بها كلام رب العالمين.

■ وتظهر هنا أشد التأثيرات خطورة وهى تربية أجيال من ذرية المسلمين على العقيدة التى يدين بها أعداء الإسلام من المستشرقين فيقوم هؤلاء الذرارى بتقرير ما يريد المستشرقون تقريره.. فيتقبل كثير من المسلمين من شبهات أبناء جلدتهم الزاعمين انتماءهم لأمة المسلمين ما لم يكونوا يقبلونه بالسهولة نفسها ممن يعرف القاصي والداني أنه من غير المسلمين الذين يكفرون بهذا الدين.

فقبول ما يقوله «طه» يندس بسهولة تمتنع على ما يقوله أى أستاذ من أساتذته «**دوركايم**» أو «**سانتانا**» أو «**كازانوفا**» أو «**جولد تسيهر**» أو «**ماسينيون**» أو «**مارجليوث**».

وكذلك يندس ما يكتبه «**منصور**» أو «**خالد**» أو «**أحمد**» أو «**محمد**»، بسهولة لا تضاهيها ولا تقترب منها كتابات «**موير**» أو «**زويمر**» أو «**جب**» أو «**لامنس**» أو «**نيكلسون**» أو «**شاخت**» أو «**بروكلمان**» أو «**حِتّى**» أو «**لاوست**» أو «**لويس**».

الغزو الفكرى

الدكتور عبد الرحمن النفيسة:



وفى موضوع الغزو الفكرى يجيب سعادة الدكتور عبد الرحمن النفيسة المستشار فى الديوان الملكى والكاتب المعروف بقوله: من الطبيعى أن يكون لكل حركة أثرها المباشر وغير المباشر خاصة إذا كانت هذه الحركة قد قامت على أساس علمى ومنظم، وفى ظل انحسار الحضارة الاسلامية بفعل العوامل المعروفة كان من الطبيعى أن يتسلل أثر المستشرقين الى أرضها، وقد أخذ هذا التأثير طريقين متوازيين فى اتجاههما، ولكنهما تختلفا النتائج بعض الشىء:

الأول: أثر المستشرقين بعد اختلاطهم بالمشرق عن طريق المغامرات والبحث عن مجاهل الأرض، وقدرتهم على التكيف، ومخاطبة عقل المسلم بالطريقة التى يعرفها، ومن ثم التسلل إلى عقله بأنواع مختلفة من التأثير. ثم تطور هذا الاختلاط بعد إخضاع عدد من البلدان الاسلامية للتبعية بفعل القوة المادية التى عرفت بـ الاستعمار.

ومع التسليم بما كان لهذه الوقائع بأجمالها وتنظيمها، ووسائل الاغراء فيها من أثر واضح فى حياة البلاد الاسلامية التى استعمرت إلا أنه كان أثرا محدودا نظرا لطبيعة الغزو المباشر، وما واجهه من ردود فعل نفسية، ومادية وفقاً لطبيعة الانسان التى ترفض الغزو الحضارى خاصة إذا كان هذا الغزو يقوم على أرضه.

الثانى: أثر المستشرقين على الوافدين الأوائل من الشرق وفى رأيى أن هذا كان أخطر أثر تركه المستشرقون على أبناء المسلمين، وقد كان لهذا التأثير أسباب عدة: منها ما كانت عليه بعض بلاد المسلمين من أحوال معاشية ضنكة الى جانب العديد من المشكلات المختلفة فى أنماط الحياة، ووسائلها، وفى حال كهذه كان انتقال المسلم من بلاده الى أوربا «صدمة نفسية له» وبطبيعة الانسان المتعجلة لم يبحث المسلم عن حال بلاده وأسبابها بقدر ما «صعقه» الواقع الجديد الذى انتقل إليه.

وإذا كان الناس يرددون حتى هذا اليوم مقولة الشيخ محمد عبده عن إسلام الأوروبيين فى تعاملهم على خلاف

ما عليه المسلمون فى تعاملهم فإن هذه المقولة ليست إلا واحدة من «الصعقات» التى تواجه الانسان عندما ينتقل من حال الى حال تختلف إحداهما عن الاخرى.

كان كثير من المسلمين الذين انتقلوا الى أوربا للدراسة قد يئسوا من واقعهم بفعل معايشتهم له وردود فعلهم نحوه، وبفعل العوامل النفسية المصاحبة أيقن البعض منهم أن الحضارة الاوروبية بكل ما فيها، هى الملاذ الوحيد لبلادهم.. لقد ظن نفر منهم أن العمامة والطربوش، والملابس الشرقية بأنواعها هى السبب فى هذا الواقع وكان نفر آخر أكثر تحاملا وتبعية فرأى فى العقيدة واللغة وآدابها سببا فى ذلك الواقع.

وبالتأكيد كان يقف وراء هذه التصورات المستشرقون الذين يتصدرون الأقسام الشرقية فى الجامعات الأوربية وكان من الظواهر الغريبة أن معظم الذين ذهبوا الى هناك منذ خمسين سنة أو أكثر قد تتلمذوا على المستشرقين وربما لم يكن ذلك منهم عن سوء قصد بل ربما كان مبعثه سهولة الاتصال بالمستشرقين بالاقسام الجامعية، والاعتقاد بأنهم يعرفون طبيعة الشرق، وعاداته ولغته وآدابه.

وكان من الظواهر الغريبة أيضا أن معظم الرسائل العلمية «إن لم يكن كلها» كانت تنصب على الشرق.. فهذا يكتب رسالته عن العقيدة أو الآداب، أوالنظام، أو اللغة، أو العادات فى بلاده.. هذا يكتب مجرد حقائق وذاك يكتب انتقاداً وذاك الآخر يكتب إيضاحاً.. وهكذا... ولا أجافى الحقيقة إذا قلت إن الرعيل الأول من العائدين من أوربا قد تأثر فى نفسه بما كانت عليه الحال هناك ثم حاول (وهنا أفترض حسن النية) إدخال هذا التأثير على انماط الحياة فى بلاده من الموقع الذى أصبح فيه مربياً ومدرسا ومسئولا.

إن التبعية القانونية للقانون الأوربى والتقمص المذهبى للفكر الأوروبى لغة وأدبا أحد الآثار الهامة التى تركها المستشرقون ولا يزال قوم منا يرددونها فى تبعية صماء ولم يدركوا بعد ما فى شريعتهم، ولغتهم، وآدابهم من القيم الحضارية التى لم ولن يوجد مثلها فى حضارة أخرى.

كيفية تأثير الغزو الفكرى

الاستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق:



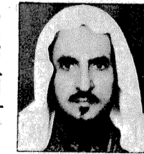
● لقد عرفنا كثيراً من أمهات الكتب الاسلامية محققة ومنشورة على أيدى المستشرقين.

وباضافة مركزة حول موضوع الغزو الفكرى ودور المستشرقين فى انمائه وتركيزه يجيبنا الاستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق عميد كلية اصول الدين جامعة القاهرة بقوله:

لا شك ان هناك عددا من أبناء المسلمين ممن تتلمذوا على أيدى المستشرقين أو على كتبهم قد اغرتهم المسحة العلمية للمؤلفات الاستشراقية فضلا عن أن هؤلاء المغترين بالانتاج العلمى للمستشرقين لم تكن لدى معظمهم خلفية إسلامية راسخة. وراح هؤلاء المفتونون يدعون فى أوطان المسلمين لأفكار المستشرقين بعد أن امتلأت أدمغتهم بتلك الأفكار، ومن هنا كان هذا التأثير الاستشراقى تأثيرا سلبيا على طائفة كبيرة من أبناء المسلمين فى كل مكان فى العالم الاسلامى.. ولكن فى المقابل ظهرت طائفة أخرى تواجه هذا الغزو الفكرى للمستشرقين وتصد هجماتهم الفكرية على الاسلام.

الحملة المسعورة

الدكتور زاهر عواض الألمعى:



● بعض المستشرقين لهم جهود لا تنكر فى خدمة التراث العربى الاسلامى.

ويعرج بنا الاستاذ الدكتور زاهر عواض

الالمعي الاستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية على محور «الحملة المسعورة» على الاسلام والمسلمين من قبل بعض المستشرقين فيقول مستعرضا جذور تلك الحملة:

■ بيد أن الحقيقة الماثلة فى ما يقوم به معظم المستشرقين عند تعرضهم للتراث الاسلامى هى الحملة المسعورة على الاسلام وتغيير الحقائق وإثارة الشبه والملابسات ووصف تراث الاسلام بأنه تكون بعد محمد على مدى ثلاثة قرون وأنه فى أصله مستمد من اليهودية والنصرانية الى غير ذلك من المفتريات على الاسلام وأهله، ومنها افتراءاتهم على أكابر العلماء المسلمين كما صنع (جولدتسيهر) فى كتابه (دراسات اسلامية) حيث أشار الى أن الامام ابن شهاب الزهرى كان يضع الأحاديث للأمويين الى غير ذلك من الأكاذيب والمفتريات التى يقصد منها التضليل وإبعاد المسلمين عن دينهم وتراثهم وإيقاف المد الاسلامى الذى ينتشر فى أنحاء المعمورة.

إن البحث الحر المتجرد من الهوى والاحقاد يجب أن يحترم، فالحكمة ضالة المؤمن ونحن لا نكشف حقائق المستشرقين لمجرد أنهم يخالفوننا فى الدين فحسب ولكن لأنهم عملوا عن عمد واصرار على تشويه الحقائق وتلفيق التهم ولم يتجهوا فى بحوثهم ودراساتهم الى طلب الحق.. بل عملوا ليلاً ونهاراً على تجنيد الطاقات وانشاء المراكز والجامعات وإرسال البعثات وهى مزودة بتعاليم وخطط لغزو العالم الاسلامى غزواً ثقافيا فكريا بعد أن فشلوا فى غزواتهم العسكرية وحملاتهم الصليبية فالاستعمار العسكرى قد ولىَّ فى معظم بلاد المسلمين وأصبح الصراع مركَّزاً على الانسان نفسه على عقله وقلبه ومشاعره.. **فكيف نواجه هذا الغزو الماكر بدون سلاح الايمان المبنى على العلم والفقه فى دين الله؟.**

■ إن أغلب هؤلاء المستشرقين يضعون فى أذهانهم فكرة معينة يريدون تصيد الأدلة لاثباتها وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهمهم صحتها بمقدار ما يهمهم إمكانية الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية.. وكثيراً ما يستنبطون الأمر الكلى من حادثة جزئية ونتيجة لذلك يقعون فى مفارقات عجيبة.



ويتتبع الدكتور الألمعي بعض خطط المستشرقين وتوجههم المبيَّت لابتلاع أبناء المسلمين واحتوائهم فكرياً ومعرفياً، فيضيف قوله:

وربما كانت هذه الخطط والبرامج ضمن برنامج طويل المدى لتشويه التراث العربى الاسلامى والدسّ الرخيص فيه، كما صنع بعض المستشرقين الحاقدين على الاسلام وأهله، لقد طعنوا فى الاسلام وحاولوا تشويه محاسنه وتحريف حقائقه وانكار عالميته والتشكيك فى صحة رسالة محمد ﴿ﷺ﴾ بل صرح بعضهم بأن محمداً ﴿ﷺ﴾ نقل تعاليمه عن طريق اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية.

فقد قال المستشرق (جولدتسيهر) اليهودى فى كتابه العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ٥-٦ ما نصه (.. فتبشير النبى العربى ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثراً عميقاً والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بنى وطنه..).

■ وقد أثر هذا الغزو الفكرى على كثير من الدارسين فى جامعات الغرب من أبناء المسلمين وعموم المهتمين بما ينشره أولئك المستشرقون تحت شعارات براقة مثل التجديد وحرية الفكر والتقاء الحضارات والمعارف الانسانية.. وقد جهلوا أو تجاهلوا طرائف أغلب المستشرقين فى دراساتهم وبحوثهم التى تتناول التراث الاسلامى فكثيراً ما يدسون السم فى الدسم.

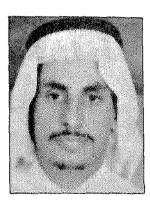
و(طه حسين) فى كتابه الأدب الجاهلى يمثل نموذجاً حياً لتلقف أفكار المستشرقين والتمهيد لها فى بعض البيئات العربية فكانت تسرى بين المسلمين وكأنها جيوش غير منظورة تهاجم دار العروبة والاسلام.

■ ومن الانصاف أن نقول إن بعض المستشرقين ربما بحث

عن الحقيقة فى تجرد، وقد وجد أمامه فى التراث العربى الاسلامى ما يلبى طموحات العقل والعاطفة وهم مع إخلاصهم فى البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وإما بجهلهم بالأجواء الاسلامية والتأريخية.

الفوقية الحضارية

الدكتور حسن بن فهد الهويمل:



○ أولى المستشرقين حكماً لا يخلو موقفه من شوائب تستدعى التمحيص ودقة الفهم.

ويتوسع الاستاذ الدكتور حسن بن فهد الهويمل رئيس نادى القصيم الادبى والكاتب المعروف فى موضوع محاولة الغزو الثقافى والفكرى من قبل المستشرقين للعالم الاسلامى فيقول:-

■ لا أحد ينكر الأثر وهو أثر، خليط بين السوء وشيء من حسن قليل، ومن ذلك معالجتهم قضايا الألوهية والطبيعة والمغيبات بمنظور عقلى صرف لا يذعن لسيادة النص المقدس.

هذا من جهة ومن جهة ثانية ما يعترى المستشرقين من زهو وتعاظم فالمستشرق يكتب وهو يشعر بالفوقية الحضارية مفترضا فى المتلقى الدونية المطلقة.. وتعاملنا مع اولئك ينبثق من تلك المواضعات، الأمر الذى فصل بعض مفكرينا عن ماضيهم وأسرع فى تشكلهم على عين المستشرقين، وقابلية الاستجابة والدونية كرسّت إمامة أولئك وطردت الغربة عن الشواذ منهم.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد كان للمستشرقين آثار أخرى تسرّبت إلينا من حيث لا ندرى تمثلت فى احتذاء مناهجهم وأساليب تعاملهم مع الأشياء لأنهم طرحوا مناهج فى كافة العلوم ولم يكن بعض أبناء المسلمين على وعى بنتائجها ومدى ملاءمتها لاوضاعنا الدينية والأدبية والاقتصادية. هذه المناهج أدت إلى نتائج أساءت إلى موروثنا وصبغت نتائجنا بصبغة إستشراقية.

وتجلى أثرهم السلبي فى مختلف قطاعاتنا الفكرية والأدبية ففى مجال الأدب واللغة تجلى فى الموقف من الشعر الجاهلى على يد طه حسين الذى نظر إلى آراء مرجليوث وفى الموقف من الحروف العربية واستبدالها باللاتينية على يد عبد العزيز فهمى والدعوة الى العامية على يد مجموعة من المندوبين البريطانيين ومقلديهم من العرب، وفى مجال الاجتماع تجلت فى حركات تحرير المرأة.. وفى مجال السياسة تجلت فى كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرزاق والدعوة إلى العلمانية وفى مجال القصص القرآنى تجلت فى كتابات أحمد محمد خلف الله وأشياء كثيرة لا نستطيع الاتيان عليها ولازالت آثارهم السيئة تبدو بين الحين والآخر آخذة فى تشكلها تغيرات موهمة.. ولعل من آخرها صرعة الحداثة، والغموض، والنثرية، والبنيوية، وعلينا أن نجيد التعامل مع الطارىء فلا نرفضه على إطلاقه ولا نقبله على إطلاقه ولا نطلق الاتهامات العشوائية دون وعى بل لابد من الأناة والحوار الهادىء واختراق مفردات أى ظاهرة وفهمها جيدا قبل الرفض أو القبول فذلك أجدى لنا.

المستشرقون والتراث

■ وإذا ما انتقلنا إلى نقطة أخرى يستوقفنا هذا الجهد العلمى الكبير الذى بذله المستشرقون فى التنقيب عن التراث وامتلاكه والبحث فيه وتحقيقه وطبعه.. إن هذا الجهد تحيط به مجموعة من علامات الاستفهام.. مما يبيح لنا أن نسأل: ماذا صنع المستشرقون بتراثنا.؟

الدكتور: محمود حمدي زقزوق:



● ما قام به المستشرقون من دراسة وتحقيق في المخطوطات الاسلامية والعربية يعطينا الدفع القوى لاجتهادنا نحوه.

لقد اهتم المستشرقون منذ قرون طويلة بالتراث العربى الاسلامى وراحوا يجمعون المخطوطات من كل مكان فى العالم الاسلامى ويقومون بحفظها وصيانتها وفهرستها وتحقيقها ونشرها. وقد عرفنا كثيرا من أمهات الكتب الاسلامية محققة ومنشورة على أيديهم، وهذا كله عمل ايجابى.. ومن ناحية أخرى راحوا يبحثون فى هذا التراث عن الشبهات التى تخدم أغراضهم وما يعتقدون إنها نقاط ضعف فى الاسلام، والعمل على تضخيمها وإثارة الشكوك فى الإسلام من خلالها.

ومن هنا كانت كثير من مؤلفاتهم تسير فى هذا الاتجاه، وهذا هو الجانب السلبى فى انتاج المستشرقين.

●● فى محاولة أخرى للاجابة على هذا السؤال نستطلع رأى الدكتور حسن بن فهد الهويمل فيقول:



● صرعة الحداثة، والغموض، والتشرية، والبنيوية.. صرعة تحرير المرأة والدعوة إلى العامية، كلها صرعات مدفوعة إلى مجتمعاتنا.

لقد صنعوا الكثير، فهم اخلاط من قوميات شتى وديانات متعددة.. وضعية وسماوية محرفة، وأيديولوجيات متنافرة لكل فئة منهم منظورها الخاص وانتماؤها الواضح.. دفعتهم رغبات متباينة إلى موروث له عمقه التاريخى وعمقه الدينى وعمقه الحضارى، هذه الأعماق أغرتهم وشدت من أزرهم وهوّنت عليهم عناء البحث والتنقيب فامتدت أيديهم إليه.. ومن العسير إصدار حكم عام على ما صنعوا فالعموميات تقدح فى مصداقيتنا ولهذا فإننا مطالبون بدقة الحكم. ومعقوليته، ولا يُنال ذلك إلا بتفصيل القول، ولكى نكون عدولا فى أحكامنا لابد من الدخول إلى مفردات الظاهرة.. والاستشراق ظاهرة معقدة لا تشف عما تحتها بيسر، لاشتمالها على دوافع دينية وسياسية ومعرفية.. ولو قطعنا بسلامة النية على أضيق نطاق تبدت لنا خصائص ذاتية فكل مستشرق يختلف فى مستوى تفكيره وإدراكه ولهذه المستويات أثرها البيّن.. والمستشرقون لا يتفقون معنا فى الدين واللغة وهذا التمايز يستتبع أموراً كثيرة لابد أن يكون لها أثرها فى أسلوب التعامل مع التراث، وفى النتائج وحين لا يتفقون معنا فى الدين واللغة فإن لهم نظرة خاصة يميزون بها المسلمين من غيرهم من الأمم ويتعاملون معهم على ضوء هذا التميز، وماذا ترجو من شخص يختلف معك فى ناحيتين هامتين فى الدين واللغة، وله ثارات يغلى منها صدره.

لقد تناولوا التراث وفى تقديرهم أمور كثيرة قد لا تخطر بكاملها على البال، وتعاملهم مرتبط بمصالحهم ومرتبط بكيدهم ومكرهم ومرتبط بتصورهم لهذا الموروث وقيمته عندهم.

فالذين يكيدون للاسلام والمسلمين ينفذون رغبة استعمارية أو دينية.. والذين يستثمرون التراث ويحيِّدون أنفسهم يحققون رغبة علمية لا تنجو من الشوائب.. والذين يمجدون الاسلام والرسول ينطلقون من منظور إنساني محض لا صلة له بالوحى. وقد تتلبس تلك الفئات بالجهل التام وسوء التعامل مع الموروث، ولابد أن نعى أهداف وإمكانيات كل الفئات ونتعامل معها من خلال الوعى التام فنعطيها حقها ولا نجور فى أحكامنا، وأعدل المستشرقين حكماً لا يخلو موقفه من شوائب تستدعى التمحيص التام ودقة الفهم على أن تعاملهم مع هذا الموروث لم يسلم من شوائب عدة لا نشك أنها جاءت

نتيجة تعاملهم مع موروثهم البشرى ونتيجة تأثرهم بثورات الاصلاح الدينى وحركة الرأى المطلقة التى لا تعطى لما يقع فى اليد أية قدسية . . من هنا كان تعاملهم مع موروثنا مرتبطاً بأسلوب تفكيرهم وطريقتهم مع الموروث العالمى ،

وخلاصة القول : أن توجههم لم يكن واحداً حتى يكون الحكم على جهودهم بالتالى موحدا، لقد رموا إلى أهداف متعددة وأغراض مختلفة . وإذا كان الله ينصر هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم، فإن خير تطبيق لهذا القول (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى)، الذي يسر الوصول الى الحديث وسهل تناوله .

وشىء آخر له جدواه ذلكم هو مناهج البحث التى تمت بها ومعها قراءة تراثنا والتى أفاد منها الكثيرون ولا احسب مجالا كهذا يتسع لتناول الجانب الايجابى رغم قلته فضلا عن الجوانب السلبية .

الدكتور عبد الله نصيف:



● رغم الكثير مما يؤخذ على دائرة المعارف الاسلامية، فستظل جهداً علمياً له قيمته التى لا تنكر .

يوضح رأيه فى هذه النقطة مشيراً إلى الجوانب الايجابية فى دراسات المستشرقين قائلا :

قال الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ . . ومن العدل أن نصف التأثيرات الإيجابية فى ظاهرة الاستشراق وأن بعضها أدى الى خير . . وليس من مجال حديثنا هنا أن نصف التحرك الاستشراقى بأنه سعى إلى هذا الخير، أو أن هذا الخير جاء للمسلمين عن غير قصد من المستشرقين .

★ من التأثيرات الإيجابية التى أدت الى خير: جمع المخطوطات العربية والاسلامية وتهيئة أحدث وسائل الحفظ والعناية والفهرسة الدقيقة لها . . ذلك بعد أن انتقلت هذه المخطوطات إلى الغرب بوسائل شرعية أوغير شرعية وفى الكثير من هذه المخطوطات خير محفوظ عندهم بحالة جيدة فى حين ان بعض المخطوطات النادرة فى بلاد المسلمين لم تحظ برعاية من المسلمين تحفظها من التلف والتأكل وصعوبة الاستفادة منها ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

★ قام بعض المستشرقين بتحقيق الكثير من كتب التراث ونشرها بعد مقابلة النسخ المختلفة ببعضها ولاحظوا الفروق بينها وأثبتوها، ورجحوا ما حسبوه أصحها وأعدلها، وأضافوا إليها فهارس للموضوعات والأعلام وشرحوا بعض الكتب شرحاً مفيداً .

★ وقاموا أيضا بترجمة كثير من الكتب العربية والاسلامية الى اللغات الأوربية ومهدوا لترجماتهم بمقدمات فيها تصوراتهم عن الإسلام ومنحوا القارىء ـ بهذه المقدمات ـ فرصة معرفة تصوراتهم التى لا تتفق فى معظم الأحيان مع الحقائق الاسلامية .

★★ وقاموا بالتأليف أيضا، ولم يتركوا مجالا من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وألفوا فيه . . وبعض مؤلفاتهم ذات فائدة علمية للباحثين فى حين تجد مؤلفات أخرى تزخر بالطعن فى الإسلام وتمتلىء بالأكاذيب التى ليس لها فى سوق العلم نصيب .

★★ وقاموا بإصدار دائرة المعارف الإسلامية وهى عمل جماعى قيم ونفيس وفيه معلومات هائلة . . على الرغم من المآخذ الكثيرة على الكثير من مواد الموسوعة .

★★ وفى مجال المعاجم والقواميس اللغوية قاموا بمجهودات هائلة جدا لا يمكن التعامى عنها، أفادت المسلمين والباحثين كما فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف الذى يشمل كتب الحديث الستة بالإضافة ـ الى مسند الدارمى ـ وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل وتم نشره فى سبع مجلدات ضخمة .

★★ والإيجابية السابعة وهى إيجابية ذات حدين أحدهما فيه خير والآخر فيه شر ـ هى ادخال أسلوب التفكير الغربى وأنماط الدأب العلمى على الطريقة الغربية إلى منطقة التفكير العربية . . وأسسوا مدارس تكاد تسير فى ركابها جل الجامعات فى المنطقة الإسلامية اليوم .

■ ولعل فى خير هذه الميزة استفادة الأجيال الحاضرة من المسلمين من انماط البحث عند الغربيين التى أوصلتهم إلى تقدم مادى وعلمى لا ينكر.

ومن شر هذه الايجابية نشوء طبقة من المتعلمين من ذراري المسلمين لهم ألسنة العرب والمسلمين، ولهم قلوب الكفار من المستشرقين . . وتشكيل هذه الطبقة من المخلوقات فى جسم الأمة الاسلامية يعد بؤرة فساد وإفساد، ومرض وبائى نعوذ بالله منه .

ماذا صنع المستشرقون بتراثنا؟

الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة :



● حركة الاستشراق لم تقم على أساس المعرفة المجردة لحضارة الشرق.

يحدد مجموعة من الأغراض والاهداف على أساسها قامت الدراسات الاستشراقية للتراث الاسلامى والعربى ويضع فى بداية حديثه ارضية لحركة الاستشراق بقوله :

★★ لم تكن حركة الاستشراق، ذاتها وأهدافها حركة عادية تتم فى إطار المعرفة المجردة لحضارة الشرق، بل كانت كما يبين من تاريخها ودلائلها ـ مصنعا لحماية الحضارة الأوربية من الحضارة الاسلامية وتحجيم دور هذه الحضارة، وتقييدها على النحو الذى يحول بينها وبين الانتشار. وفى حال كهذا أدرك المستشرقون الذين عملوا فى هذا المصنع أن السبيل العملى لتحقيق مقاصدهم يكمن أولا فى معرفة الأمة المنتسبة لهذه الحضارة من خلال تراثها الفكرى، لذا تعرفوا على نفسيتها وتصورها وأهدافها وعوامل قوتها وضعفها .

نشروا عددا من الكتب التى تبحث فى العقائد والفقه والتاريخ واللغة وآدابها . . وساعدهم فى ذلك تطور آلات الطباعة ووسائل النشر فى بلادهم إضافة الى وجود المبالغ التى خصصت لهذه الغاية من قبل الجماعات التى تشرف وتوجه حركة الاستشراق، ويستنتج من اسماء الكتب التى حققت ونشرت مدى التركيز على معرفة المنطلق الحضارى الاسلامى فى المجالات الفكرية والعسكرية بالاضافة الى معرفة الرجال الذين كان لهم دور فكرى او عسكرى خلال مسار الحضارة الاسلامية .

■ وقد تركز اهتمامهم على المسألة الدينية حيث يبدو أنها كانت أخطر قضية بالنسبة لهم فالامتداد العربى قام على حقيقة دينية هى الاسلام فلولا الاسلام لم يكن لهذا الامتداد من وجود، لذا فمن الطبيعى لهم معرفة هذه الحقيقة من خلال البحث عن الكتب الدينية ودراستها ونشر الكثير عنها على النحو الذى يخدم أهداف هذه الحركة وغاياتها .

وكان قرار الكنيسة فى فيينا فى اوائل القرن الثالث عشر الميلادى واحدا من أهم المنطلقات للتعرف على الطبيعة الدينية للحضارة الاسلامية ومن هذا القرار تفرعت منطلقات لاحقة، منها : تأسيس أقسام للدراسات الدينية الاسلامية فى الجامعات الأوربية فى المانيا وانجلترا وفرنسا .

■ لم تكن هذه الدراسة ـ كما قلت ـ لمجرد العلم والبحث عن الحقائق الحضارية بل كانت فى حقيقتها تنزع الى اربعة مقاصد :

أولا : ـ خلخلة مفهوم الدين الاسلامى تارة بالتصريح وتارة

بالتلميح ، والتشكيك وطرح الاسئلة المغلفة بالتشويش ومثال ذلك ما زعمه المستشرق «غولد تسيهر» بأن الشريعة الاسلامية قد تأثرت بالقانون الروماني مع معرفته بالفارق الكبير بين الشريعة الاسلامية ذات المصدر الآلهى ، وبين القانون الروماني ذى المصدر الوضعى . . ومثال ذلك أيضا خوض المستشرقين فى مسائل العقيدة والتعرض لحياة الرسول محمد «ﷺ» بالكثير من الغمز مما يكشف طبيعة الحركة الاستشراقية كما فى آراء المستشرقين «سيل» و«بدريل» و«كارل بروكلمان» ومن على شاكلتهم .

ثانيا: إضعاف الحضارة الاسلامية بتصويرها لدى الانسان العادى بأنها حضارة متأثرة باليهودية والمسيحية والغرض من ذلك صد الأثر الذى تركته الحضارة الاسلامية فى عهود التخلف الأوربى .

ثالثا: التوطئة المنظمة للتنصير، وقد وضح هذا فى الحملات المبطنة تحت ستار التطبيب، والبحث عن آثار الحضارات الشرقية الغابرة ومحاولة الكشف عن مجاهل الأرض. وكل هذه الحركات لم تكن بعيدة عن محفل المستشرق «صريل زويمر» ومن كان قبله ومن معه ومن تبعه .

رابعاً: التهيئة لاحتلال العديد من البلاد الاسلامية ، وقد وضح أثر هذه التهيئة فى سنوات الاخضاع القائم على الاحتلال بالقوة العسكرية مما لا يحتاج الى تفصيل .

الأثر الايجابى المعاكس

دكتور زاهر الالمعى:

فى مداخلة منه يلفت نظرنا إلى ما قد نسميه (الاثر الإيجابى المعاكس) . . فيحدد فى اختصار الاثر الايجابى على المستشرقين أنفسهم بعد حديثه عن بعض اولئك الذين انصفوا الاسلام والمسلمين فيقول :



● أفكار وآراء (طه حسين) المشوشة فى كتابه (الأدب الجاهلى) كانت تسرى بين المسلمين وكأنها جيوش غير منظورة تهاجم دار العروبة والاسلام.

بعض المستشرقين لهم جهود لا تنكر فى خدمة التراث العربى الاسلامى كما صنعوا فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ومفتاح كنوز السنة . . وكما وضع المستشرق (جول لابوم) فى كتابه «تفصيل آيات القرآن» وإن كانت هذه الفهارس لا تخلو من ملاحظات، ولكنها فى الحقيقة خطوات جيدة على طريق البحث العلمى النافع . . وقد يوفق بعضهم فيأتى فى بحثه بنتائج تلتقى مع الحق والصدق والواقع كما صنع (توماس أرنولد) حين أنصف المسلمين فى كتابه «**الدعوة الى الاسلام**» .

■ ومن هؤلاء من يؤدى بهم البحث الخالص المتجرد للحق الى اعتناق دين الاسلام والدفاع عنه والدعوة إليه كما فعل المستشرق الفرنسى (دينيه) الذى عاش فى الجزائر فأعجب بالاسلام وأعلن اسلامه وتسمى باسم (ناصر الدين دينيه) وكما صنع (رجاء جارودى) عندما استمر فى البحث عن الحقيقة حتى هداه الله الى الاسلام فأخذ يدعو إلى الاسلام ويدافع عنه، ونحن على يقين بأن من يدرس الاسلام من المستشرقين بحثا عن الحقيقة متجرداً من الهوى والاحقاد فإنه سيصل إلى نتائج مذهلة وحقائق لا تقبل الجدل عن سماحة الاسلام وعالميته وصلاح مبادئه لاسعاد البشرية وقيادتها إلى الخير والتقدم فى مختلف المجالات والأخذ بيدها إلى السعادتين فى الدنيا والآخرة .

الدكتور عبد الله نصيف:



● اتصال المستشرقين بالعلوم الاسلامية أدى بهم فى بعض الحالات الى تخفيف حدة الهجوم والعداء.

يتناول الموضوع فى شىء من التفصيل فيقول:

أدى الاتصال بالاسلام وفكره وأهله الى أن أسلم بعض المستشرقين وحسن إسلام بعضهم، بل وخطا بعضهم خطوات أبعد فأصبحوا دعاة للاسلام سواء اقتصروا فى نشاطهم الاسلامى على دعوة أبناء الغرب أم وجهوا عنايتهم أيضا الى إيقاظ الرقود الاسلامى فى منطقة المسلمين. . ونذكر من هذا الصنف المستشرق النمساوى ليبوبولدفايس الذى تسمى بمحمد أسد وكتبه الاسلامية أصبحت أشهر من «قفانبك» فى هذا القرن، والمستشرق الفرنسى (روجيه جارودى) الذى تسمى بعد إسلامه برجاء جارودى.

والتنبيه هنا لابد منه وهو أننا نقبل الذى يسلم من غير المسلمين ونعده أخا لنا فى الدين لا تمييز بينه وبين المسلمين القدامى من إخوانه، ولا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح. . وإننا نسر بإسلامه ونشجعه على المضى فى طريق الحق والتقدم فيه، فإن سابقنا وسبقنا اعترفنا بفضله وقدرنا تقدمه وسبقه، لكن هذا القبول والحب والاعتراف بالفضل والتقدير لا يجوز أن يتعدى حدود الحق والواقع، فلا ينبغى ان يعطى من الحقوق مالا حق له به بأن يتصدر المسلم الجديد الذى رحبنا بإسلامه مركز الافتاء فى دين الله إن لم يمتلك شروط الفتوى، أو مركز الاجتهاد فى الدين إن لم يصل مرتبة الاجتهاد. . فالترحيب بإسلام أخ جديد لنا فى الدين شىء. . وتقديمه على السابقين له فى مجال الإفتاء والاجتهاد شىء آخر.

■ وأدى اتصال المستشرقين بالعلوم الاسلامية فى حالات إلى تخفيف حدة الهجوم والعداء اللذين كانا طاغيين على الفكر الاستشراقى المتأثر والخاضع لمفاهيم الحروب الصليبية. . فبعد أن كانت لهجة الحديث تبتدىء بسباب الاسلام والمسلمين وسباب نبى الاسلام ﴿ﷺ﴾ تمهيداً للخوض فى أى حديث عن قضية تتصل بالشرق. . أصبحت هذه الأحاديث فى كثير من الأحيان خالية من السباب الصريح والاتهام الأرعن للاسلام والمسلمين ولنبى الاسلام ﴿ﷺ﴾.

وعلى الرغم من هذا التخفيف من حدة الهجوم إلا أن التعريض الضمنى - بل والصريح فى بعض ثنايا الحديث - المسيء لشخصية خاتم الأنبياء ﴿ﷺ﴾ ولتعاليم دينه الحنيف يبقى معلماً واضحاً من معالم الكتابات الاستشراقية.

■ وكذلك قامت دراسات استشراقية كثيرة تتسم بالموضوعية الكاملة أو الناقصة أو المنقوصة تجاه الاسلام والفكر الاسلامى.

وقد يكون سبب النقص هو ما فطر عليه العمل البشرى من نقص لابد منه تدليلا على أن المخلوق مهما تكامل لا يكمل.

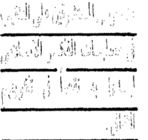
وقد يكون سبب النقص أو الانقاص نية مبيتة تهدف إلى تشويه الحقيقة كيداً او حسداً. . وقد يكون غير ذلك.

مقومات البقاء

التراث الاسلامى والعربى لا شك يحمل بين طياته مقومات بقائه، وهذا ما يجعله يحمل دائماً استمرارية الإفادة منه لأهله والآخرين. . والمستشرقون تجاه هذه الاستمرارية المعطاة لهم دورهم.

الدكتـــور حســـن الهويمـــل:





هنـاك جوانـب سلبيـة واضحـة لا ينكـرهـا إلا مغـالط وأخرى إيجابية لا ينكرها إلا مكابر وما وقعت أيديهم عليه من تراثنا العربى تحول إلى مادة ثرة، وحـين ذاقوا لذة الانتصار أخذهم سعـار البحث فنقبـوا عنـه فى كل الأصقاع ليتمثلوه كما تتمثـل الأجسـام السليمة غذاءها، ومن ثم أسهموا فى إحيائه ودراسته وبلورة جوانبه.

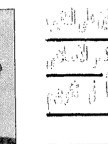
وظن البعض منا أنهم سعوا لخدمتنا وعدهم البعض إنسانيين تهمهم مصلحة الانسان وعبر جهودهم المتواصلة والمتسمـة بالمثـابرة والأناة، وقعوا فى أخطاء فادحة تباين تفسيرنا لها وهى بلا شك نتيجة جهل بالمراد وقد تكون بدافـع الكيـد والحقد ولا تخلوا أعمالهم من الجيد الذى يحسب لهم وما قدموه لهذا الموروث لم يكن خالصا لوجه الحق ولم يكن بدافع الكيد، إنهم بلا شك يحتاجون إليه ليسدوا نقصا فى تكوينهم الثقافى ولا جدال حول معرفتهم بما ينطـوى عليـه هذا المـوروث من مقـومـات البقـاء واستمرارية الأداء، ولا يمكن أن نعد إسهامهم فى تحقيق التراث ونشره فرداً لا ينازع.

إن لدينـا من العلماء والمحققـين من يملك القـدرة والمهـارة والصـبر ويعـالـج هذا المـوروث باقتـدار، واسهـامـاتهم فى التنقيب عن الموروث وتحقيقه وفهرسته والإشارة اليه أمر مدرك لا يخدم مصداقيتنا انكاره.

الدكتـور محمود حمـدى.. يضيف:

لا شك أن كثيرا مما نشروه من مخطوطات أو ألفوه من كتب قد فتـح عيوننا على جوانب عديدة فى هذا التراث

د. محمود زقزوق:





● الذين تعمقوا الفكر الاسلامى من أبناء المسلمين لم تؤثر فيهم تيارات المستشرقين، بل تصدوا لتكذيب افتراءاتهم.

وكان ذلك حافزا لنا لأن نقوم أيضا بدورنا فى الاسهام فى خدمة هذا التراث.. ومن بين ما افاده تراثنا العربى فى هذا الصدد صيانتهم للعديد من المخطوطات وتحقيقها ونشرها وتأليفهم للكتب التى تخدم الباحثين فى تراثنا العربى الاسلامى.

ومن هنا كان ذلك كله دافعا لبذل جهد اكبر فى سبيل خدمة تراثنا وتنقيته والافادة منه والدفاع عن هويتنا الثقافية المتميزة.

ويقول الدكتور عبد الرحمن النفيسة:



● التبعية القانونية والتقمص المنهجى للفكر الأوروبى لغة وأدبا، كان أحد الآثار المباشرة للمستشرقين على أبنائنا.

لقد بلغ عدد الكتب التى الفهـا المستشـرقـون عن الحـضـارة العـربيـة والاسلامية اكثر من ستين الف كتاب ومن هذه الكتب ما يحمل فى طياته الحقد والكراهية والنزعة العنصرية ومنها ما يتصف بالواقعية والنزعة العلمية والبحث عن الحقيقة.

وإذا نظرنا من حيث العموم الى ترجمة الكتب العربية والاسـلاميـة الى اللغـات الاوربيـة كجزء من عطائهم لوجـدنا ان ذلك قد حقق فوائد عدة: منها ابراز التراث العـربى والاسـلامى عن غير قصد فرغم ما فعله بعض المستشرقين من تحريف وافتراء بقصد الاساءة الى الحضارة

الاسلامية إلا أن (مجرد) الترجمة والدراسة قد أدبا إلى تصويب النظر الى هذا التراث والاهتمام به من قبل الآخرين، واعتباره عاملا مهما فى الحركة الحضارية الانسانية.

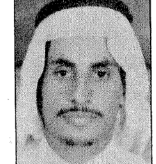
ومن هذه الفوائد حفظ الكثير من المخطوطات بعد ان انتقلت من الشرق بطرق مشروعة وغير مشروعة ولولا ذاك لفقد الكثير من الكتب العربية بفعل التقلبات المختلفة فى البلدان التى كانت موطنا لها وعدم اهتمامها بها خاصة فى الفترات القلقة من تاريخنا.

ومن هذه الفوائد توجيه نظرنا الى أهمية التراث العربى والاسلامى والتصدى للابحاث والدراسات غير العلمية وتفنيدها مما أثر فى سير الحركة الاستشراقية.

●● وتتنوع مدارات الحوار وتتعدد.. وسؤال يسوق الى آخر، ورأى يستتبع غيره.. ومن خلال الحوار يأتى هذا السؤال: ما مدى واقعية بحوث المستشرقين ودراساتهم وارتباطها باقطارنا العربية والاسلامية؟.. وتأتى اجابات السادة المشاركين:

الصدق والموضوعية

الدكتور حسن الهويمل:



● يكتب المستشرق من إحساس غامر بالفوقيه الحضارية مفترضاً فى المتلقى الدونية المطلقة.

لا جدال أنهم يمارسون اعمالهم وفق مناهج رسموها لتستجيب لمصالحهم، وواقعية البحث مرتبطة بالهدف الأساسى وقد لا يتأتى لنا تحديد هذه الأهداف بالدقة المطلوبة فالمستشرقون أثقلوا أنفسهم بالمهمات ليحققوا مكاسب تمس الحاجة اليها، المستشرقون - بلا شك - طلائع استعمارية ومنهم من كشفت الأحداث عن عملهم علنا فى المخابرات الاستعمارية ومن ثم فارتباط بحوثهم ودراساتهم بحاجاتنا تأتى ثانويا وقد نستفيد من انجازاتهم من حيث لا يريدون، فمرادهم لا يمكن أن يتفق مع مرادنا ولكن إنجازهم قد يستجيب لحاجاتنا، ومع ما يكتنف مهامهم من غموض يظل لإسهامهم أثره الملموس والمجدى ولا نملك المقدرة على ترشيد انجازاتهم إلا إذا امتلكنا القدرة على أن نعيش المرحلة بمستواها، بمعنى أن نتكافأ ذاتيا مع مقتضيات المرحلة المعاشة ومن هنا نصل إلى مستوى الندِّية.

●● **ويقول الدكتور حمدى زقزوق:**



هناك العديد من الدراسات والبحوث الاستشراقية الحديثة التى لا تشتغل فقط بالتراث وانما تعالج العديد من القضايا المعاصرة المتصلة اتصالا وثيقا بواقعنا العربى الاسلامى، وان كانت هذه الدراسات تتخذ فى أغلب الاحيان طابعا سلبيا بالنسبة لعقيدتنا وعاداتنا وتقاليدنا الاسلامية، وهذا بطبيعة الحال امر مفهوم لان اقتراح الحلول الاستشراقية لمشكلاتنا الاسلامية ينبع من الواقع العلمانى الذى يعرفه المستشرقون فى بلادهم، فضلا عن عدم اعترافهم بالاسلام على أنه وحى الله الى نبيه محمد ﴿ﷺ﴾.

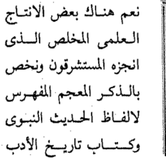
●● **ويعقب الدكتور عبد الرحمن النفيسة بقوله:**

لقد رأينا ان المستشرقين على فئتين: الاولى: لم يكن أصحابها أمناء ولم يكونوا واقعيين فى دراساتهم حيث نزعوا فيها - كما قلت - منزعاً بعيدا عن المنهج العلمى الامين وهذه الفئة - كما قلت - جُنِّدت لتنفيذ اهداف معينة وكانت دراساتهم وابحاثهم عن البلاد الاسلامية ومجيئهم أو

بعضهم إليها تنفيذا لهذه الاهداف . . والفئة الثانية : التزم أصحابها بالمنهج العلمى فدرسوا الحضارة الاسلامية من هذا المنهج المجرد وكان ارتباط هذه الفئة بالبلاد الاسلامية لا يعدو كونه ارتباط تفهم لحضارتها وطبيعة إنسانها .

وقد يكون من أهداف هذا الارتباط محاولة ايجاد علاقة مجردة بين شعوبهم ، وشعوب البلدان الاسلامية من تصور إنسانى يقوم على الشعور بأهمية الاتصال وترسيخ العلائق بين الانسان رغم تفاوت حضارته .

●● ويستطرد الدكتور محمود حمدى زقزوق بقوله :



نعم هناك بعض الانتاج العلمى المخلص الذى انجزه المستشرقون ونخص بالذكر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى وكتاب تاريخ الأدب العربى لبروكلمان والعديد من المعاجم اللغوية الاخرى التى أفنى عدد من المستشرقين عمرهم فى سبيل اتمامها . وهذه كلها مؤلفات قيمة يستفيد منها الباحثون فى كل مكان فى العالم الاسلامى .

التوجه الايجابى ليس من جميع المستشرقين ولكن من بعض المستشرقين الذين يمكن أن نصفهم بالاعتدال والحيدة العلمية وعدم التحامل على الاسلام وهؤلاء لا يزالون قلة من بين المستشرقين . . ويمكن الاستفادة من هذا الخط المعتدل لهذه القلة من المستشرقين والدخول معهم فى حوارات علمية لتقوية جانبهم على أمل ان يصبح اتجاههم فى يوم من الايام خطا عاما للاستشراق بصفة عامة .



الدكتور زاهر الألمعى :

يرجع بنا الى التاريخ يستقرىء الحضارة الاسلامية فى الاندلس وما أفاده المستشرقون منها فيقول :

■ من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا (الاندلس) فى إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا فى مدارسها وترجموا معانى القرآن والكتب العربية الى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات ، ومن هؤلاء الراهب الفرنسى (جربرت) الذى انتخب بابا لكنيسة (روما) عام ٩٩٩ بعد تعلمه فى معاهد الأندلس وعودته الى بلاده ، وغيره من الرهبان الذين تعلموا وعادوا الى بلادهم ونشروا ثقافة العرب المسلمين وأشهر مؤلفاتهم ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة (بادوى) العربية وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة الى اللاتينية ـ وهى لغة العلم والحضارة فى جميع بلاد أوربا فى ذلك الوقت واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون .

وبهذا يتبين مدى اهتمام المستشرقين بالتراث العربى الاسلامى وذلك لدوافع وأهداف دينية وسياسية وعلمية وتجارية . . فقد اهتم المستشرقون والمستعمرون للبلاد العربية والاسلامية بجمع التراث العربى وبخاصة المخطوطات وارسالها الى المراكز العلمية والجامعات والمكتبات العامة فى دول الغرب .

الدكتور عبد الرحمن النفيسة

يضيف فى هذه النقطة قوله :



من حيث العموم ينبغى أن ننظر الى الوقائع والاحداث التاريخية من منطق علمى مجرد بعيد عن

العـاطفة والانفعال من المواقف التى اتخذها العديد من المستشرقين تجاه الحضارة الاسلامية وعندئذ نقول بأن عددا من هؤلاء قد أهتم بالـدراسـات العربية والاسلامية من منظـور علمى مجرد من الهـوى والغـرض ولهـذا الاهتمام أسبـاب عدة: من أهمهـا الدافع الذاتى لمعرفة الحضارة الاسـلاميـة باعتبارها حركة انسانية عادلة يريد الباحث والعالم معرفة كنهها وطبيعتها بصرف النظر عن ايمانه بها من عدمه.

ومن أهم هذه الأسباب استقلال هؤلاء فى دراستهم لهذه الحضـارة بسبب عدم ارتبـاطهم بالحركات المذهبية والفكـريـة السرية التى كانت توجه حركات الاستشراق لاهـداف عنصرية ودينية وتجارية ويدل على صحة نوايا هؤلاء قيـامهم بشـرح الحضـارة الاسلامية وتحليلها وفق معايير التحليل والمنهج العلمى المجرد مما دفع ببعضهم الى اعتناق الـدين الاسـلامى والتعلق بالحضارة الاسلامية باعتبارها تطوراً غيّر واقع الانسان برفع الظلم والتمييز مما غيّر بالتالى أحداث التاريخ.

●● ويؤكد الدكتور الهويمل:



نعم.. هناك إسهام علمى ولكن، لا يمكن الـقطع بخلوصه من الشوائب وفكرة المحايدة حكم لا يمكن تصور وقوعه فالانسان حين يتعامل مع الأشياء لابد من بروز ثقافته وتجلى قناعاته فيما يأتى من عمل، وحين نصفهم بالإخلاص فإننا نربط ذلك برغبتهم فهم مخلصـون لعملهم مجتهـدون فى استثمار إنجازاتهم ولكن إلى أى حد نستفيد نحن من إخلاصهم لأنفسهم.

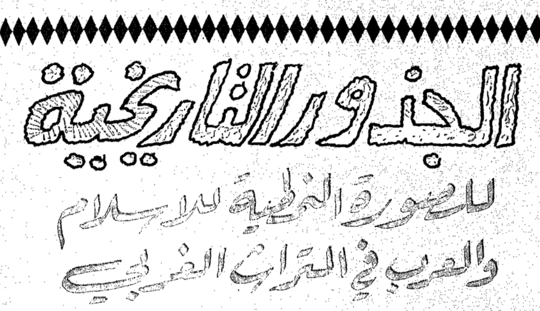
وحين تكون قضية الإخلاص نسبية يكون نصيبنا منها بقـدر هذه النسبية أما تمييز الخالص من أعمالهم فيمكن تحديـده بالقضـايا العلمية الخالصة التى نقلوها لبلادهم والأعمال التى تمت محاكمتها واثبتت براءتها.



.. زار بعض المستشرقين الشرق وتجولوا فى ربوعه وعاشوا بين مجتمعاته .. تعرفوا على عادات وتقاليد وأعراف شعوب الشرق، فى الأفراح والاتراح ، فى الملبس والمأكل، فى الاقامة والترحال، فى العلاقات العامة والخاصة .. تعرفوا على كل ذلك عن كثب وأجروا حولها الدراسات والاختبارات .. سجلوا كل ذلك فى مذكراتهم الخاصة ، وأخرجوها للقارىء الأوروبى كتباً تحمل أفكارهم وآراءهم فى كل ما رأوه ولمسوه.

نقلوا الشرق إلى القارىء الأوروبى، ولكن.. !

نقلوه من خلال رؤيتهم الخاصة ، فجاءت صورة المشرقى فى كتاباتهم مشوهة تحمل كل مساوىء البشر.. لأن هذه هى الصورة التى يريدون إظهارها وابرازها بل وحفرها فى ذاكرة الرجل الغربى .. ليصلوا الى نتيجة واحدة، غاية واحدة تقول «هذا العربى ـ هذا المسلم لا يستحق الحياة، فهو بدوى، متخلف».



● العقل الغربى غُذِّي بصورة نمطية مشوهة عن الاسلام والعرب منذ أول صدام حدث بين المسلمين والمسيحيين.



بقلم الدكتور:
عبد القادر طاش

■ *تعود جذور الصورة النمطية المشوهة عن الاسلام والعرب فى العقل الغربى الى بداية العلاقة التى نشأت وتطورت بين الاسلام والمسيحية خلال القرون الاولى لظهور الدين الاسلامى. وقد تكونت خلال القرون الممتدة من الثامن الى الثانى عشر الميلاديين صور اسطورية مزيفة عن الاسلام والعرب ظلت مهيمنة على العقل الغربى حتى وقتنا الحاضر.*

لقد كان الادب الشعبى للبيزنطيين الذين كانوا يتصارعون مع المسلمين كل يوم تقريبا طوال ثلاثة قرون «يزعم ان المسلمين يعبدون ثلاثين إلها اكبرهم (مخومد). وكان الرهبان الاسبان الذين عاشوا بين المسلمين يزعمون فى القرن التاسع ان النبى هو المسيح الدجال، بمعنى ان القيامة ستقوم بعد ان ظهر مباشرة.. والغريب ان الحروب الصليبية لم تغير من الامر شيئا كثيرا اذ ان الاساطير ظلت منتشرة وازدادت عددا وتلوينا»(١).

ومع حلول العصر الحديث كانت القوة الاسلامية العثمانية تدك معاقل اوروبا حتى وصل السلطان محمد الفاتح الى قلب اوروبا وحاصر مدينة فيينا بالنمسا، واضاف الى دولته اجزاء من اوروبا مثل البانيا ويوغسلافيا واليونان وغيرها. وقد ادى ذلك الى تعميق الشعور الغربى بأن الاسلام يمثل تهديدا خطيرا لوجوده وكينونته، وما تزال بعض الرموز المادية المحسوسة كالحصون والقلاع التى بناها الغربيون لحماية انفسهم من الغزو الاسلامى ماثلة للعيان لتذكيرهم بجذور تلك العلاقة المتنافرة بينهم وبين الشرق الاسلامى، حتى أن مدينة فيينا احتفلت فى شهر مارس من العام ١٩٨٣ بالذكرى الثلاثمئة لتراجع الاتراك العثمانيين امام أبوابها.

■ ان تحليل تاريخ العلاقة بين العرب والمسلمين من جهة وبين الغرب المسيحى من جهة اخرى يمثل جانبا مهما من

جوانب الدراسة العلمية لطبيعة الصورة النمطية المشوهة عن الاسلام والعرب وكيفية تكونها فى العقل الغربى عبر الايام، وقد لخص السيد ياسين فى كتابه «الشخصية العربية صورة الذات ومفهوم الآخر تطور هذه العلاقة التاريخية والحضارية فى أربع مراحل هى:

(١) مرحلة الغـزو العربى الذى تم فى القرنين السابع والثامن اساسا والذى تمثل فى عبور الجيوش العربية البحر الأبيض المتوسط واحتلال الاندلس، والنفاذ حتى اعماق فرنسا، الى ان صد الغزو فظل العرب لمدة ستة قرون فى الاندلس حيث اغرقت اللغة والحضارة العربية اوروبا.

(٢) مرحلة الحروب الصليبية (من القرن الحادى عشر حتى القرن الثالث عشر) التى اتخذت الصليب شعارا لها، وخلاص الارض المقدسة هدفا تسعى لتحقيقه. وقد كانت هذه الحروب فى الواقع ـ فى جانب منها ـ ضربا من ضروب أخذ الثأر لاوروبا من العرب.

(٣) مرحلة الغزو الاستعمارى (الذى بدأ منذ بدايات القرن التاسع عشر وامتد حتى النصف الثانى من القرن العشرين) الذى سمح للاوروبيين، وبوجه خاص للفرنسيين والانجليز والايطاليين باحتلال كل العالم العربى الذى يطل على البحر الابيض المتوسط وباستغلاله بصورة استعمارية.

(٤) مرحلة ما بعد الاستعمار التى يتقابل فيها الاوروبيون والعرب منذ فترة قصيرة والتى يظهر فيها كل طرف باعتباره حرا، وله حقوق مثل ما للآخر تماما(٢).

■ ويرى السيد ياسين أن صورة العرب فى كل مرحلة من هذه المراحل كانت تتأثر بطبيعة العلاقة بين اوروبا والعرب قوة وضعفا، ففى مرحلة الغزو العربى كانت معرفة الاوروبيين بالعرب محدودة. وكانت «العلاقات تتسم بطابع عدائى فقد نظرت اوروبا الى العرب باعتبارهم شعبا غازيا خرج من الجزيرة العربية مبشرا بدين مغاير لدينهم، وناشرا لحضارة جديدة، ومن هنا وقفت اوروبا من العرب فى هذه المرحلة موقف الدفاع عن دينها وحضارتها وجماع كيانها، ولذلك سادت صورة عدائية عن العرب فى العالم الاوروبى(٣).

مرحلة الحروب الصليبية

أما فى مرحلة الحروب الصليبية فقد كانت كفة العرب هى الراجحة واتسمت الصورة الاوروبية عن العرب بشىء من لاعتدال، «فقد تعرف الاوروبيون على الجوانب الايجابية فى الحضارة العربية»(٤) غير انه ـ كما يقول السيد ياسين ـ «مع رجحان الميزان لصالح الاوروبيين فى النهاية لابد انه قد اثر بالضرورة على تقويم الاوروبيين للعرب، بعبارة اخرى سادت اتجاهات المنتصر على المهزوم، بما يصاحب ذلك من الحط من شأنه، خصوصا ان العالم العربى كان قد دخل فى مرحلة التخلف الحضارى»(٥).

■ وفى مرحلة الغزو الاستعمارى تبلورت فى اوروبا النزعة العنصرية ضد العرب. ولم يقتنع الغرب ـ كما يقول السيد ياسين ـ «بالترويج لصور مزيفة عن العرب تتسم بالاجمال، بل انه حرص ـ عن طريق فلاسفته وعلمائه الاجتماعيين ـ على رسم صورة تفصيلية تركز على قصور العرب وتخلفهم، وفى هذه الصورة سنجد عديدا من الاحكام من بينها ما قرره جورج ديهاميل ـ عضو الاكاديمية الفرنسية ـ فى كتابه «حضارة فرنسا» فى أن «الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز عن التفكير التركيبى وعن تجاوز الذات»(٦).

ورغم ان مرحلة ما بعد الاستعمار تتسم فى ظاهرها بالعلاقات السلمية وصور التبادل بكافة انواعها بين العرب والغربيين الا ان ذلك ليس الا صورة ظاهرية ـ كما يقرر السيد ياسين ـ اما «الحقيقة فهى ان الغرب قد استطاع ان يبقى له رأس حربة فى المنطقة، ممثلة فى (اسرائيل) مدعومة بالولايات المتحدة الامريكية»(٧) ويخلص السيد ياسين الى القول بانه «باستثناء الحقبة المعاصرة وجد العرب والاوروبيون أنفسهم دائما فى علاقة عداوة مباشرة»(٨).

● الشعور الغربى أحيط بكم من الخرافات والأساطير حيكت حول الاسلام والمسلمين جعلتهما يمثلان تهديداً خطيراً للوجود الغربى وكينونته.

● الحروب الصليبية كانت ضرباً من ضروب أخذ الثأر من المسلمين.

ويبدو لنا ان تحليل السيد ياسين لتطور العلاقة بين العرب والغرب وصلتها بالصورة النمطية للعرب فى العقل الغربى يمتلك رصيدا كبيرا من الواقعية. وهو تحليل - رغم ايجازه - يفضى بنا الى الاعتقاد بأن الغرب - فى المراحل المختلفة التى مرت بها علاقته بالاسلام والعرب - لم يحاول ان يعرف الاسلام على حقيقته، وبذلك لم يستطع ان يبلور صورة حقيقية وواقعية عن الاسلام والعرب، ومن ثم فقد عاش حتى يومنا الحاضر يجتر الصورة النمطية السيئة التى رسمها اللاهوتيون للاسلام والعرب منذ بداية علاقة الغرب بهما فى القرون الوسطى. ورغم اختلاف وتنوع الاساليب التى صيغت بها تلك الصورة النمطية فى العقل الغربى، وتعدد تشعب الوسائل التى استخدمت لترسيخ تلك الصورة الا انها حافظت على معالمها الرئيسية واستطاعت ان تتجاوز مختلف الظروف والملابسات وتصمد فى وجه العديد من التغيرات التى حدثت فى العلاقة بين الغرب والعرب على مر العصور، وهذا - ولا شك - يضعنا امام ظاهرة انسانية فريدة من نوعها.

■ وتأسيسا على تحليل السيد ياسين لتطور العلاقة بين الغرب والعرب وصلتها بالصورة النمطية التى انطبعت فى العقل الغربى عن الاسلام والعرب فاننا سنتناول تطور الصورة النمطية - بشكل اكثر تحديدا - من خلال اربع مراحل متعاقبة ولابد ان ننبه - قبل الخوض فى معالم هذه المراحل وسماتها - ان هذه المراحل ليست منفصلة بعضها عن بعض بل هى متداخلة ومتشابكة، اذ لا نستطيع ان نضع حدودا زمنية دقيقة تفصل بينها ولكننا - فى الوقت نفسه - نعتقد ان لكل مرحلة من هذه المراحل بعض المعالم الرئيسية التى تميزها عن غيرها سواء فى طبيعة الصورة النمطية التى تكونت فيها، أو فى الاساليب التى صيغت بها، أو الوسائل التى سخرت لنشرها والترويج لها. وهذه المراحل الاربع هى:

(١) مرحلة القرون الوسطى منذ بدء الفتوحات العربية الاسلامية خارج حدود الجزيرة العربية الى قرب وقوع الحروب الصليبية.

(٢) مرحلة الحروب الصليبية وما بعدها منذ اواخر القرن الحادى عشر الميلادى التى تحلل القوة الاسلامية وظهور النزعات الاستعمارية فى المجتمعات الغربية.

(٣) مرحلة الغزو الاستشراقى مع بداية نشوء حركة الاستشراق التى كانت تمهيدا للمد الاستعمارى الغربى الى فترة حصول الدول العربية والاسلامية على الاستقلال.

(٤) المرحلة المعاصرة والتى اعقبت خروج الاستعمار العسكرى والسياسى من العالم العربى والاسلامى، وهى مرحلة تميزت عن غيرها من المراحل باشتداد هجمات الغزو الفكرى والثقافى على المجتمعات الاسلامية وتنوع اداته وازدياد اعتماد الغرب على سيطرته الاعلامية فى العالم لتحقيق اهدافه فى تشويه صورة الاسلام والعرب داخل مجتمعاته المحلية وخارجها.



صورة الاسلام والعرب فى القرون الوسطى

تنامت بذور العداء المسيحى للأسلام والعرب مع الفتوحات العربية الاسلامية الى الدولة البيزنطية وأوروبا خلال القرنين الثامن والعاشر الميلاديين عندما تجاوزت الجيوش العربية الاسلامية بيزنطة لتصل الى اسبانيا وجنوب ايطاليا والغال الجنوبى.

ومن هذه التجربة الاصلية للغزو العربى سيمتد الوعى الغربى فى القرون الوسطى ـ كما يقول هشام جعيط ـ «الاسس الانفعالية لتمثله الاسلام ذلك التمثل المجبول أساساً بالعداوة»(٩).

■ ويتناول دانيال نورمان فى كتابه (**الاسلام والغرب**) اساس التصور الغربى للاسلام حيث يقول: «كان الوحى الاوروبى المسيحى الوسيط مشبعا بترقب يوم القيامة. وكانت كتابات أباء الكنيسة المستندة الى بعض نذر العهد القديم وانجيل يوحنا قد حددت امارات لذلك، رأى الشراح واللاهوتيون منذ القرن التاسع الميلادى ان النبى محمدا والاسـلام يدخـلان فيها.. وهكذا فقد بدأ النظر منذ حقبة مبكرة للنبى محمد باعتباره المسيح الدجال، الامارة الرئيسية لليوم الآخر، وكانت انتصارات الاسلام «الدنيوية» تغذى هذا التصور الاولى للمسيح الدجال، وتجعل من غير المعقول معقولا»(١٠).

■ ويتفق ريتشارد سوذرن مع نورمان فى التقرير بأن المصدر الذى استقى منه الغربيون تصورهم عن الاسلام هو كتبهم المقدسة حيث يقول: «ان جهود المؤلفين اللاتين فى ما يتصل بالاسلام فى هذه الحقبة (وهى الفترة ما بين ٧٠٠م و١١٠٠م) قد انحصرت باستنطاق الكتاب المقدس لمعرفة اصول السرازانيين(١١) هؤلاء ضمن مدارج السلالات فى العهد القديم ولمعرفة مكانهم بين شعوب العالم ودياناته.. فالكتاب المقدس كان الاداة الفكرية الوحيدة الفعالة فى اوروبا فى مطالع القرون الوسطى، وما كان بوسع المؤلفين اللاتين أن يتجاهلوا كلام العهد القديم على الماضى والمستقبل، مهما كان هذا الكلام غامضا أو غير معقول». ويضيف سوذرن بأن الكتاب المقدس قد أسهم «فى صياغة مفهوم الاوروبيين للعالم والتاريخ، وكان هؤلاء يصغون اليه ويتلمسون فى نصوصه حلولا لمشكلات العالم فى الماضى والحاضر والمستقبل، رغم ان سلالهم كانت تعود غالبا فارغة»(١٢).

■ ويستشهد سوذران على التصور اللاهوتى للعرب بما أورده (بدا) العالم الكبير بنصوص الكتاب المقدس فى مطالع القرون الوسطى الاوروبية والذى ظلت كتبه العمدة فى بابه حتى القرن الثانى عشر الميلادى، ان (بدا) يذكر فى عدة مواطن من شروحه ان «السرازانيين هم اعقاب هاجر زوج ابراهيم المصرية التى ترد قصتها فى سفر التكوين ضمن قصة ابراهيم.. وفيها يضع العهد القديم أوصافاً لسيدنا اسماعيل تتضح كذباً وافتراء من غير أى مبررات منطقية مقبولة سوى التجنى.. ويعلق سوذرن على هذا التصور قائلا: «**فهل هناك ما يمكن وصف السرازانيين به ادق مما وصف به جدهم اسماعيل؟** وما كان اسماعيل داخل العهد ـ كذلك هم السرازانيون. وهكذا فانه فى ضوء العهد القديم الذى جعل فيه المسلمون اعقابا لاسماعيل امكن فهم اخلاق وسلوك هؤلاء وما كان (بدا) أول من فعل ذلك، كما لم يكن الاخير، بيد أن اهمية ما قام به تكمن فى انه اول من ادخل المسلمين فى تفسير العهد القديم وصار الامر بعده بمثابة (كليشيه) يستعمله الجميع فى شروح الكتاب المقدس وخارجها»(١٣).

■ ويرى سوذرن ان اكثر اخبار وافكار الاوروبيين عن المسلمين فى القرون الاولى للعصور الوسطى اسبانية المنشأ

● اللاهوتيون وعلماء الاجتماع والفلاسفة الغربيين لم يعطوا العقل الغربي أى فرصة لمحاولة فهم حقيقة المسلمين والعرب.

● الصراع الأوروبى ضد الشرق الاسلامى مرّ بعدة مراحل كان اولها محاولة تحصين المسيحين ضد الاسلام.

ويؤكد ان ردة فعل الاسبان على الاسلام اتسمت بالعداء العاطفى الشديد فى فترتين، الأولى فى القرن التاسع والاخيرة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر. اما القرون الواقعة بين التاسع والخامس عشر فتحفل بالانفعال فى تصوير الاسلام، لكن الانطباع العام لدى المسيحيين الاسبان عن الاسلام يبقى معقولا وهادئا، بل وايجابيا الى حد ما، ويعلل سوذرن ذلك بقوله: «ويمكننا فهم ردتى الفعل العنيفتين فى البداية والنهاية من خلال وضعهما فى السياق العام لحركية الاحداث واثرهما على السكان الاصليين للاندلس» فلقد كانت الحضارة الاسلامية ذات اللسان العربى تنمو وتزدهر فى هذه الحقبة من الزمان. «وتحقق انجازات عبقرية فى الاندلس فى المجالات كلها وكانت كثرة الاسبان المسيحيين تشارك فى الاستمتاع بميزات هذه الحضارة ومنجزاتها. ولم يكن منتظرا - والحالة هذه - ان تنشأ موجات من عدم الرضا بين الاسبان بمواجهة العرب والمسلمين. ولم ينفرد المسيحيون الاسبان بموقف التسليم والمشاركة هذا، بل انتشر هذا الاحساس بين المجموعات غير المسلمة فى كل الاقطار التى ضرب فيها الاسلام بجذوره»(١٤).

ولكن كثيرا من رجالات الغرب المسيحى كانوا يرقبون بقلق - كما يقول سوذرن - «كيف تؤثر القيم الاسلامية على القيم المسيحية تأثيرا تدميريا عندما تواجهها. وقد رأى اللاهوتيون الغربيون فى ما بعد ان حماية المسيحية من الاسلام لا تكون الا بضربه عسكريا والاستيلاء على ارضه، أو اقناع معتنقيه باتخاذ المسيحية دينا»(١٥) وقد تزعم باول الفاروس الحملة ضد الاسلام عندما ألّف كتابا جدليا ضد الاسلام هاجم فيه المسيحيين الذين دعوا الى الاعتدال والتأنى، وكانوا كثرة كاثرة بين الاسبان - كما يعترف هو نفسه. وقد رأى الفاروس فى بعض الفقرات التى وردت فى سفر دانيال بالعهد القديم ايضاحا كاملا لما يجرى فى زمانه اذ يقول الاصحاح السابق من سفر دانيال.

«اما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الارض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الارض كلها وتدوسها وتسحقها».

وفى هذا اشارة واضحة الى الاسلام - حاشا لله(١٦).

■ ومهما يكن من امر فان هذه التصورات الفاسدة تشكل - كما يرى سودرن - «اول منظومة شاملة ومتماسكة نسبيا عن الاسلام وصورته التى بدأت تطلع فى الغرب وسط متغيرات الاحداث. لقد كانت ولا شك نتاجا للجهل المطبق بالاسلام مضمونا وتاريخا، لكنه جهل ذو طبقات ومراحل بالغة التعقيد. فالصورة صادرة عن رجال كانوا يؤمنون ايمانا عميقا بما يكتبون، وقد كان همهم الاول اقامة تآلف بين ما تصوروه وما فى الكتاب المقدس الذى كان مرجعهم الوحيد المعترف به لديهم»(١٧).

■ ويلخص لنا هشام جعيط نظرة المسيحيين فى القرون الوسطى الى الاسلام فيقول «لقد كان الاسلام فى التقليد المسيحى خلال القرون الوسطى محزبا وقادما يدعو العاطفة تحديدا لانه يدَّعى الوقوف على نفس الارضية مع المسيحية. ان نجاحاته مهما تكن كبيرة فهو ليس سوى قادم جديد، سيىء التسليح بدائى، ودون اعداد عقائدى، ومع كل الحسابات انه تبسيطى»(١٨) ويرى جعيط بأن تشويه صورة الاسلام فى العقل الغربى المسيحى فى القرون الوسطى قد تركز على الصاق صفتين مشينتين بالاسلام ونبيه محمد ﴿ﷺ﴾.

■ دخلت العلاقة بين المسلمين والغرب المسيحى مرحلة جديدة مع بداية الحروب الصليبية فى اواخر القرن الحادى عشر الميلادى. ولم تكن تلك الحروب ـ كما يقول قاسم عبده قاسم ـ مجرد صراع عسكرى وانما كانت صراعا بين حضارتين بكل ما يحمله هذا الصراع من تيارات واتجاهات قد تكون نتيجة لتعارض هاتين الحضارتين فى مرحلة ما من مراحل النمو والتطور». وتكشفت الاوصاف التى اسبغها مؤرخو الحملة الاولى على العرب والمسلمين ـ بكرم شديد ـ عن مدى التعصب الذى كان يحكم اوروبا الكاثوليكية آنذاك. فلم يكن الاوروبى ليعترف او يسمح بوجود «الآخر» فهذا «الآخر» لم يكن نتاجا لمعرفة واقعية، وانما هو نتاج دعاية نزقة غذتها الكنيسة التى كانت تسيطر على الحياة الثقافية فى اوروبا العصور الوسطى، كما غذتها روح التدين الشعبى العاطفى الذى يتسم بالتعصب المقيت فى ظل ظروف اجتماعية واقتصادية متدهورة»(١٩).

■ ويرى هشام جعيط ان رؤية الصليبيين للاسلام والعرب فى هذه المرحلة كانت رؤية شعبية مشبعة بالخيالات اذ كانو يعتبرون المسلمين وثنيين ومحمدا ساحرا ـ حاشا لله ـ واغنية رلاون بدورها تقدم العرب على انهم وثنيون(٢٠).

ويتفق شاخت ديوزورث مع جعيط فى الصيغة الشعبية الخيالية للصورة النمطية للاسلام والعرب فى الحقبة الصليبية اذ يؤكد ان الحروب الصليبية اوجدت حاجة كبيرة وملحة للحصول على صورة كاملة ومسلية ومرضية لايديولجية الخصم. وكان رجل الشارع يرغب فى صورة تبين الصفة الكريهة للاسلام عن طريق تمثيله بشكل يرضى الذوق الادبى الميال الى كل ما هو غريب، وهو ميل يشكل سمة بارزة فى جميع الاعمال فى ذلك الوقت(٢١).

ويقول ريتشارد سوذرن «ان المخيلة الاوروبية الغنية الشطاحة التى ابتدعت هذه الصورة للاسلام، كانت تمر بحقبة غريبة ازدهر فيها هذا النوع من الخيال عن كل شيء وبخاصة ما لم يكن تحت بصرها المباشر. وجاء الشعر الشعبى الاوروبى ليردد الصورة الخيالية المتكونة عن الاسلام جيلا بعد جيل دون ان يطرأ عليها تعديل ملحوظ(٢٢) ويزودنا سوذرن ببعض معالم هذه الصورة الشعبية السيئة فى نظرته الفاسدة عن نبى الاسلام.

■ ان الاذى الذى جلبته الحروب الصليبية ـ كما يقول محمد اسد ـ لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الاسلحة بل كان اولا وقبل كل شيء اذى عقليا نتج عنه تسميم العقل الغربى ضد العالم الاسلامى عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الاسلامية تفسيرا خاطئا متعمدا. لانه اذا كان للدعوة الى حملة صليبية ان تحتفظ بصحتها فقد كان الواجب والضرورى ان يوسم نبى المسلمين بعدو المسيح، وان يصور دينه بأكلح العبارات، وفى ايام الحروب الصليبية ذاتها تخللت العقل الاوروبى وبقيت فيه تلك الفكرة المضحكة القائلة بان الاسلام انما كان يدعو الى عبادة الشهوة والى القوة الوحشية، وانه دين يدعو الى اقامة الشعائر الدينية بدلا من تطهير القلب(٢٣).

تجربة الحروب الصليبية

لقد كانت تجربة الحروب الصليبية ذات اثر عميق فى العقل الغربى. وقد جسدت هذا الاثر كلمات المؤرخ

● وسائل الاعلام الجماهيرية فى الغرب بما تمتلكه من إمكانيات وقدرات وسعت دائرة الصورة النمطية المشوهة عن الاسلام والعرب.

● تشابكت الأجهزة الاعلامية فى الغرب والسياسة وخبراء الدراسات الاقليمية لتأكيد الصراع المزعوم بين المسلمين والغرب.

● شبكات الاعلام الأوروبية جعلت خيوط اللعبة الاعلامية بين اصابعها

الغربى الشهير جوناثان رايلى سميث اذ كتب يقول عن ما هية الحروب الصليبية يقول: «كانت الحركة الصليبية واحدة من القوى الكبرى فى تاريخنا. فقد جرت معاركها على نطاق واسع، سواء على مستوى الجغرافيه، أو من حيث عدد الرجال الذين خاضوها، وقد حكمت الحروب الصليبية مشاعر الغرب الاوروبى فيما بين سنة ١٠٩٥م وسنة ١٤٠٠م، بشكل شامل، بحيث يندر ان يوجد كاتب تناول الشؤون المعاصرة فى تلك الفترة لم يشر فى نقطة ما الى احدى الحملات الصليبية او الى مصير الدول التى اسست فى غمرة الحملات الصليبية على الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط. وحتى اليوم من الصعب ان تقف موقف اللامبالاة من تاريخ الحروب الصليبية التى كانت لا تزال تحتفظ بجاذبيتها حتى القرن الثامن عشر، فقد تم شن هذه الحروب لتحقيق هدف يمكن تصوره غاية فى النبل وغاية فى الخسة ايضا. وعلى مر القرون ظل الناس يستلهمون الافكار والحافز من الحروب الصليبية او ينظرون اليها باعتبارها درسا موضوعيا للفساد الانسانى»(٢٤).

■ وبعد انتهاء الحروب الصليبية وعودة ميزان القوة للميل نحو المسلمين كانت القوة الاسلامية تنمو وتتعاظم. وكان العثمانيون على الحدود الشرقية لأوروبا يقتحمون ويتقدمون حتى وصلوا عام ١٥٤٢م الى المجر واحتلوها، ابان هذا الوقت قام مارتن لوثر بترجمة كتاب يتعلق بالاسلام اسمه «الرد على القرآن» وقدم له بمقدمة طويلة اعلن فيها «ان المسألة الاسلامية لن تجد حلا سياسيا او فكريا. وكان لوثر مقتنعا ان المسلمين لا يمكن ان يعتنقوا المسيحية، ذلك ان قلوبهم مقفلة وينظرون الى النصوص المقدسة باحتقار وقال: دعوا المسلمين ومحمدهم يفعلون ما يشاؤون حتى ينزل بهم غضب الله فى النهاية كما قال القديس بولس عن اليهود ولننصرف للاهتمام بانفسنا وطاعة ربنا»(٢٥).

صورة الاسلام والعرب فى مرحلة الغزو الاستشراقى

لم تكن دعوة لوثر هذه دلالة يأس تام فى صراع الصليبيين مع الاسلام والمسلمين، وانما كانت تعبيرا عن لحظة احباط فردية سرعان ما تلاشت، اذ واصل الغربيون - وقد تلبسوا بالروح الصليبية - تطلعهم المحموم نحو دحر الاسلام وأهله، وتحقيق اطماعهم فى الشرق الاسلامى، وانتقلت مسيرة الصورة النمطية المشوهة عن الاسلام

والعرب فى العقل الغربى الى مرحلة جديدة هى مرحلة الغزو الاستشراقى الذى عمل على تهيئة المناخ الملائم والارضيـة الصـالحـة لتحقيق اهداف الغزو الاستعمارى العسكرى على البلدان العربية والاسلامية وتعد حركة الاستشراق واحدة من اهم واخطر القنوات التى اسهمت فى تكوين الصورة النمطية المشوهة عن الاسلام والعرب وترسيخها فى تلافيف العقل الغربى الفردى والجماعى.

ولا يوجد بين الباحثين اتفاق على تحديد فترة زمنية معينة لبداية الدراسات الاستشراقية فى التراث الغربى، فبينما يشير ادوارد سعيد الى ان الغرب المسيحى يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمى بصدور قرار مجمع فيينا الكنسى عام ١٣١٢م بانشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الاوروبية(٢٦)، يرى باحثون آخرون مثل رودى بارت ان بداية الاستشراق ترجع الى ما قبل ذلك التاريخ، وبالتحديد الى القرن الثانى عشر الميلادى الذى تمت فيه لأول مرة ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة اللاتينية، كما ظهر ايضا فى القرن نفسه اول قاموس لاتينى عربى(٢٧) امـا نجيب العقيقى فقد قدم فى كتابه «المستشرقون» سجلا للاستشراق على مدى ألف عام بدءا من الراهب الفرنسى جريردى اوراليك (٩٤٠-١٠٠٣م) الذى قصد الاندلس، وتتلمذ على اساتذتها فى اشبيلية وقرطبة حتى اصبح اوسع علماء عصره فى اوروبا ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك ثم تقلد فيها بعد منصب البابوية فى روما باسم سلفستر الثانى (٩٩٩-١٠٠٣م)(٢٨).

■ ولا يهمنا هنا ان نستعرض الآراء المختلفة حول البدايات التاريخية لحركة الاستشراق فى الغرب بقدر ما يهمنا ان نتبين العلاقة بين هذه الحركة وتطور الصور النمطية للاسلام والعرب فى المجتمع الغربى، والنظرة المتفحصة لنشوء حركة الاستشراق فى الغرب ومراحل تطورها تؤكد لنا مدى الارتباط الوثيق بين هذه الحركة وبين حركة التنصير الدينى من جهة وبينها وبين حركة الاستعمار الغربى للبلدان العربية والاسلامية من جهة اخرى، يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق «اذ كان الاستشراق لا يقوم الا على اساس معرفة اللغات الشرقية والتى هى وسيلة للتعرف على عقائد وحضارات الشرق فان التنصير يتفق مع الاستشراق فى هذا الصدد ويحتم ايضا معرفة لغات من يراد تنصيرهم. وقد كان هنـاك اقتناع تام لدى دعاة التنصير فى القرن الثالث عشر بضرورة تعلم لغات المسلمين اذا اريد لمحاولات التنصير ان تؤتى ثمارها بنجاح. وقد كان هذا الاقتناع - الذى ترجم فيما بعد الى خطة عمل - عملاً مهما بالنسبة لتطور الاستشراق. ولم يكن من السهل فى ذلك الزمان فصل الاستشراق عن التنصير او عن الدافع الدينى بصفة عامة، فالدافع الدينى هو السبب الاول فى نشأة الاستشراق(٢٩).

■ وقد كان روجر بيكون الذى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى من الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات المسلمين لغرض التنصير وكان يقول: «هناك مسيحيون قليلون فى العالم اليوم. اما سائر الارض المعمورة فيغص بالكفار الذين لا يجدون احدا يهديهم الى طريق الحق». ثم يقول «ان المسيحية لن تنتشر وتنتصر بغير التبشير السلمى والموعظة الحسنة» غير ان المسيحية عاجزة فى نظره عن القيام بمهام الدعوة والموعظة لاسباب ثلاثة: **«فلا احـد يعـرف لغـات الشعوب التى يراد التبشير بينها، ولا احد يعرف ما هية عقائد الكفار الذين يراد تبشيرهم، ولا احد فى النهاية يملك حججا مؤسسة على المعرفة لدعوة غير المسيحيين الى الكاثوليكية»**(٣٠).

■ وقد شارك بيكون فى أفكاره هذه رايموند لول الذى ولد فى الاندلس وتعلم العربية وكانت له جهود كبيرة فى انشاء كراسى لتدريس اللغة العربية فى أماكن مختلفة. وكان الهدف من كل هذه الجهود فى ذلك العصر وفى العصور التالية هو التنصير. وقد صادق مجمع فيينا الكنسى عام ١٣١٢م على افكار بيكون ولول بشأن تعليم اللغات الاسلامية،

● مرحلة القرون الوسطى ـ الحروب الصليبية ـ الغزو الاستشراقى ـ ثم الغزو الثقافى والحضارى الحديث . تمثل المراحل الاساسية لتطور الصراع ضد المسلمين.

● العهد القديم يضع لسيدنا اسماعيل أوصافاً تنضح كذباً وافتراء بغرض الحط من صورة العرب.

وتمت الموافقة على تعليم اللغة العربية فى خمس جامعات اوروبية هى جامعات باريس واكسفورد وبولونيا . وسلمتكا بالاضافة الى جامعة المدينة البابوية(٣١) .

وتواصل اهتمام الدوائر الكنسية التنصيرية بتسخير الدراسات الاستشراقية لخدمة اهدافها فى القرون التالية . وكان من بين المستشرقين الذين خدموا التنصير «وليام بوستل» الفرنسى الذى ارسله ملك فرنسا سنة ١٥٣٤م الى مصر ثم استانبول حيث تعلم العربية والتركية والعبرية وألمَّ بعض الشىء باللغة الحبشية ولما عاد الى وطنه عينه الملك استاذا للغات الشرقية فى جامعة باريس سنة ١٥٣٧م فوضع كتابا فى النحو العربى ، ونشر فى آخر حياته ترجمة لاتينية لسورة الفاتحة(٣٢) وفى المانيا عرض المستشرق يعقوب كريستمان على الاميرفوهان عام ١٥٩٠م انشاء كرسى خاص للدراسات الشرقية وبالأخص العربية وقد اتخذ كريستمان ومن تبعه فى المانيا فى ذلك الزمان من دراسة العربية وسيلة لنشر المسيحية والتبشير بها فى الشرق والغرب(٣٣) .

ويذكر مصطفى خالدى وعمر فروخ فى كتابهما المشهور «التبشير والاستعمار» ان اغلب المستشرقين قد حرصوا «فى الدراسات التى قاموا بها على تحقيق هذا الهدف التبشيرى اذ صور هؤلاء الاسلام فى صورة الدين الجامد الذى لا يصلح للتطور، وهم يعمدون الى اختيار البيئات الاسلامية التى نالها اكبر قسط من الضعف والهزال ويجعلونها نموذجا للاسلام . وغاية الدراسات الاستشراقية هى خلق تخاذل روحى وشعور بالنقص فى نفوس المسلمين وغيرهم من الشرقيين ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخنوع للمدنية الغربية الحديثة»(٣٤) .

الموضوعية فى الاستشراق

وعلى الرغم من ان نهاية القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر الميلاديين قد شهدا تطورا محدودا فى الدراسات الموضـوعية عن الاسلام فى الحركة الاستشراقية فى الغرب على يد نخبة من المستشرقين المنصفين، الا ان هذه الدراسات لم تسلم من التحريف والتشويه لصورة الاسلام ونبيه محمد ﴿ﷺ﴾ كما نجد ذلك عند سيمون أوكلى ـ الذى يعد نسبيا غير متحيز ـ فقد تجنى على الرسول ﴿ﷺ﴾ باوصاف قبيحة .

ومع ان مستشرقا مثل وليام بدويل الذى كان يعرف بأبى الدراسات العربية فى انجلترا قد اثنى على اللغة العربية باعتبارها لغة الدبلوماسية والاعمال ، فانه لم يستطع ان يتحرر من تعصبه الدينى بوصفه مسيحيا مما لون مواقفه ازاء الاسلام وازاء نبيه محمد ﴿ﷺ﴾(٣٥) .

كما نجد المستشرق الهولندى هاذريان ريلاند فى كتابه «**الديانة المحمدية**» الذى اصدره باللاتينية عام ١٧٠٥م لا يخفى دافعه الدينى التنصيرى فى هذا الكتاب.

■ فى اطار هذا الاتجاه الاستشراقى نحو تشويه صورة الاسلام فى سبيل التمكين للدعوة التنصيرية نقرأ للمستشرق الفرنسى فولنى - الذى قام برحلة طويلة الى الشرق وكتب عنه كتابه «**وصف مصر وسورية**» - نظراته العامة عن الاسلام ونبيه فى كتابه الآخر الذى اسماه «**الآثار**» ونشر فى القرن التاسع عشر الميلادى، فماذا يقول؟ انه يقول «يمكن لمحمد ان يُكّون امبراطورية سياسية ودينية على حساب موسى والمسيح».

■ اما علاقة حركة الاستشراق بالهجمة الاستعمارية الغربية على العالم العربى والاسلامى فتتضح من خلال افادة الاستعمار من التراث الاستشراقى لخدمة اهدافه من جهة وتسخيره لبعض المستشرقين والمؤسسات الاستشراقية فى الوصول الى اغراض التوسع الامبريالى الغربى من جهة اخرى، وفى ذلك يقول د. محمود حمدى زقزوق: «لقد كان للمد الاستعمارى فى العالم الاسلامى دور كبير فى تحديد طبيعة النظرة الاوروبية للشرق وخصوصا بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادى وقد افاد الاستعمار من التراث الاستشراقى ومن ناحية اخرى كان للسيطرة الغربية على الشرق دورها فى تعزيز موقف الاستشراق وتوالت مرحلة التقدم الضخم فى مؤسسات الاستشراق وفى مرحلة التوسع الاوروبى فى الشرق».

ويرى بارسيل بوازار فى كتابه «**الاسلام اليوم**» ان كتابات المستشرقين - عدا بعض الاستثناءات النادرة - لم تساهم كثيرا فى تحسين تفهم الاسلام، او اعادة دقة الصورة التى كانت لدى الرأى العام الغربى الى نصابها الصحيح. اولا لأن اشغالهم كانت غالبا تقدم الى الجمهور بلغة متخصصة جدا.. ومن جهة اخرى لأن الاستشراق كان فى الاصل، احد الفروع العلمية المرتبطة بالعلوم الاستعمارية فى فرنسا وفى بريطانيا العظمى وفى البلاد الواطئة فقد كان المطلوب اجمالا فهم العقلية الاسلامية فهما جيدا لتسهيل الادارة الاستعمارية للشعوب الاسلامية»(٣٦).

■ ويؤكد ادوارد سعيد هذه الحقيقة حيث يقول: ان خبرة المستشرق الخاصة وضعت فى خدمة الاستعمار لأنه فى اللحظة الحرجة حيث يجب على المستشرق ان يقرر بين ولائه وميوله للشرق، وبين ولائه للمستعمر الغربى، فانه دائما يختار الاخير على الاول. ومنذ عصر نابليون الى الآن لم يتغير الامر(٣٧).

ويقدم لنا محمود حمدى زقزوق بعض النماذج للمستشرقين الذين كانوا يخدمون المؤسسات الاستعمارية الغربية فمنهم المستشرق الالمانى كارل هينريش بيكر الذى اسس مجلة «الاسلام» فى المانيا وقدم فيها دراسات عديدة تخدم الاهداف الاستعمارية الالمانية فى القارة الافريقية، كما ان المستشرق الروسى بارتولد مؤسس مجلة «**عالم الاسلام**» قد تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية فى آسيا الوسطى. اما عالم الاسلاميات الهولندى المتهور سنوك هورجرونيه فانه فى سبيل استعداده للعمل فى خدمة الاستعمار توجه الى مكة عام ١٨٨٥م بعد ان اتخذ اسما اسلاميا وأقام بها ما يقرب من نصف عام، وكان يجيد العربية. وقد أدّى هذا المستشرق دورا مهما فى تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية فى المناطق الهولندية فى الهند الشرقية، وشغل مناصب قيادية فى السلطة الاستعمارية الهولندية فى اندونيسيا(٣٨).

■ وفى فرنسا كان هناك عدد من المستشرقين يعملون مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية فى شؤون شمال افريقيا فاذا كان المستشرق الاوربى قد قام لتحقيق اهداف الاستعمار العسكرى خلال الحقبة الماضية فان خبراء الدراسات الشرقية والاسلامية فى الجامعات والمراكز العلمية الغربية يقومون اليوم بخدمة اهداف الغزو الفكرى الثقافى الذى

● الحضارة الاسلامية فى الأندلس حققت إنجازات غاية فى العبقرية أجبرت الجميع على احترامها.

● الحروب الصليبية لم تكن مجرد صراع عسكرى بل هى صراع ضد حضارة الاسلام وضد العرب الذين حملوا هذا الدين.

● حرص المستشرقون والدارسون الاجتماعيون على اختيار بيئات ضعيفة هزيلة من المسلمين وتقديمها على أنها النموذج الامثل للاسلام والمسلمين.

● التدفق الاعلامى الغربى يهدف أساساً إلى اعطاء صورة سيئة عن الاسلام.

يعد احد اسلحة الغرب الفعالة فى ترسيخ هيمنته السياسية والاقتصادية فى العالم الاسلامى.

■ ها هو ليونارد بايندر - وهو استاذ العلوم السياسية ودراسات الشرق الاوسط فى جامعة شيكاجو الامريكية ورئيس جمعية دراسات الشرق الاوسط فى الولايات المتحدة وكندا ٧٢-١٩٧٣م - يحدد الهدف الرئيسى من الدراسات الشرقية فيقول: «ان الدافع الرئيسى الى نشوء وتطور دراسة المناطق داخل الولايات المتحدة كان سياسيا، حيث كان غرضنا الاساسى هو مصارعة القوى المعارضة لنا وتأمين النفوذ السياسى». ويعترف بايندر بان «دراسات الشرق الاوسط تعانى من اللاموضوعية والتعصب والانحياز الدينى والتشويهات الايديولوجية كما تعانى من الاكاديميين غير المؤهلين»(٣٩).

ويؤكد هذه الحقيقة بأدلة دامغة ادوارد سعيد فى كاتبه «تغطية الاسلام» حيث يحلل اربع ندوات علمية اقامها قسم الدراسات فى جامعة برنستون العريقة فى الفترة من عام ١٩٧١م الى عام ١٩٧٨م. وقد قامت مؤسسة فورد بتمويل هذه الندوات الاربع(٤٠)، ورغم ان هذه الندوات قد خطط لها ونفذها اكاديميون الا ان المصالح السياسية والايديولوجية للولايات المتحدة الامريكية لم تغب ابدا عن الاذهان.

الصورة النمطية للاسلام والعرب فى الحقبة المعاصرة

اذا كان الاستعمار الغربى قد رفع اصره العسكرى عن بلدان العالم العربى والاسلامى بعد نجاح حركات التحرر من الاستعمار فى اوائل ومنتصف هذا القرن فانه - فى واقع الامر - لم يترك هذه البلدان تنعم بخيرات

الاستقلال. لقد كان استقلالا منقوصا فى كثير من جوانبه وكان أشد ما خلفه الاستعمار الغربى فى بلدان الاسلام تلك التبعية الثقافية والتقنية التى رسخ اقدامها فى الواقع الاسلامى حملات الغزو الفكرى والثقافى الغربى.

■ ان الغرب يواصل اليوم محاولاته المستميتة لابقاء هيمنته الثقافية والاقتصادية فى العالم الاسلامى لأنه يدرك ان هذه الهيمنة تحقق له اهدافه الايديولوجية والسياسية وتعينه على ان يظل فى مركز القوة والتفوق. ولذلك فان حاجة الدوائر السياسية والايديولوجية الغربية الى تشويه صورة الاسلام والعرب مازالت قائمة حتى الآن

وباختصار يمكن القول بأن كثيرا من الدوائر والاقسام الاكاديمية التى تعنى بالدراسات الشرقية والاسلامية فى الغرب ليست الا امتداداً للدوائر الاستشراقية الاولى التى اسهمت فى تمهيد السبيل امام القوى الغربية الامبريالية لغزو الشرق الاسلامى واستعماره. ان العديد ممن يطلق عليهم اليوم فى المجتمعات الغربية بـ «خبراء» الدراسات الاسلامية والشرقية والمتخصصين فى شؤون الشرق الاوسط ما هم فى حقيقة الامر الا ذراع من اذرعة تشويه صورة الاسلام والشرق فى سبيل تحقيق المصالح السياسية والثقافية والاقتصادية للقوى الغربية الامبريالية المعاصرة.

■ ولقد ظهرت فى الحقبة المعاصرة وسائل الاعلام الجماهيرية لتضيف الى المشكلة بعدا جديدا يتمثل فى اسهامها الخطير فى نقل الصورة النمطية المشوهة للاسلام والعرب فى التراث الغربى من دوائر الدراسات الاستشراقية والسياسية والاكاديمية الى الدائرة الاوسع والارحب وهى الدائرة الشعبية لقد تمكنت وسائل الاعلام الجماهيرية فى الغرب بما تمتلكه من قدرة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير من ان تجعل الصورة النمطية المشوهة عن الاسلام والعرب ضمن اهتمامات الفرد الغربى حتى اصبحت ـ وخصوصا فى وقت الازمات ـ حديث المجالس والمنتديات الشعبية ومن هنا تنبع الخطورة الجسيمة للدور الذى تقوم به وسائل الاعلام الجماهيرية فى ترسيخ الصورة النمطية للاسلام والعرب فى العقل الغربى.

■ وتدل الدراسات العديدة على وجود تماثل كبير بين الصورة السيئة التى يقدمها خبراء الدراسات الشرقية والاسلامية فى الدوائر العلمية والاستخبارية عن الاسلام والعرب والصورة السيئة التى تروج لها وسائل الاعلام الغربى، وقد ذكر ادوارد سعيد ان نتائج دراساته تؤكد تطابق وجهات نظر الخبراء فى الدراسات الشرقية والاسلامية الذين تستعين بهم الدوائر السياسية فى الغرب، وبين الطريقة التى تعالج بها وسائل الاعلام الغربى امور الشرق والاسلام، وقد ابرزت تلك الدراسات ان الفكرة المركزية التى يحملها الطرفان ـ الخبراء ووسائل الاعلام ـ هى ان الاسلام يمثل تهديدا للغرب. وهذا واضح من نظرية برجنسيكى عن «**هلال الازمات**» الى نظرية الاستاذ الجامعى برنارد لويس عن «**عودة الاسلام**». ان الاسلام ـ بالنسبة لهؤلاء ـ كما يقول ادوارد سعيد ـ «يعنى نهاية الحضارة الغربية باعتباره دينا لا انسانيا، وغير ديمقراطى ولا عقلانى». ولذلك فان الاسلام ـ فى وسائل الاعلام ـ يمثل تهديدا ينبعث من حركة ناهضة لا تحمل خطر العودة الى القرون الوسطى فحسب، بل وكذلك ـ كما يقول دانيال مونيهان ـ تدميرا للنظام الديمقراطى فى العالم الغربى، ويرى ادوارد سعيد ان هذه النظرة للاسلام تتفق مع التفكير الاستشراقى الذى رسخ الاعتقاد بأن «الاسلام لا يمثل منافسا رهيبا فحسب بالنسبة الى الغرب، بل انه يمثل كذلك تحديا متأخرا للمسيحية(٤١).

على ان هذا الذى تقوم به وسائل الاعلام الغربى من تشويه صورة الاسلام والعرب داخل المجتمعات الغربية لا يمثل الوجه الوحيد للخطر، بل ان لهذا الخطر وجها آخر يتمثل فى ترويج الاعلام الغربى لهذه الصورة المشوهة فى اصقاع الارض. وقد اتاحت تركيبة النظام الاعلامى العالمى الحالى لوسائل الاعلام الغربى ان تحقق هذا الهدف. ان الاعلام الغربى اليوم يتمتع بقدرة كبيرة على السيطرة والهيمنة على المستوى الدولى. ان ٨٠٪ من تدفق

الانباء يصدر عن وكالات الانباء الغربية الكبرى وهى : رويتر البريطانية . . ووكالة الصحافة الفرنسية . . والاسوشييتد برس . . واليونايتد برس . . انترناشيونال الامريكيتان، كما ان هناك عدم مساواة فى توزيع طيف الذبذبات الاذاعية بين البلاد الغربية والنامية، فالاولى تسيطر على حوالى ٩٠٪ من اصل الطيف، بينما لا تملك البلدان النامية ـ ومنها الدول العربية والاسلامية ـ الوسائل التى تحميها من الاذاعات الاجنبية(٤٢).

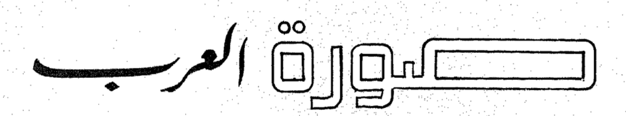
■ اما بالنسبة للسيطرة الغربية فى مجال البث التلفزيونى فان اربع شركات غربية رئيسية، وهى : **وكالة الاخبار المصورة البريطانية . . واليونايتدبرس . . والنيوز فيلم الامريكيتان . . والوكالة الالمانية . .** تهيمن الى حد كبير على مجال الاخبار المصورة فى العالم، كما ان حجم الافلام والبرامج والمسلسلات والمواد الاعلامية التى تصدرها الدول الغربية ـ الولايات المتحدة بشكل خاص ـ الى دول العالم اجمع يبرز لنا مدى الهيمنة الغربية على ما يشاهده العالم تلفزيونيا. فشركة سى بى اس الامريكية ـ مثلا ـ توزع برامجها وأفلامها فى اكثر من ١٠٠ دولة فى العالم، وتصل شركة اى بى سى الامريكية ايضا الى ٦٠٪ من تلفزيونات العالم. وقد قال ولسن ديزارد ـ احد كبار المسؤولين فى وكالة الاتصال الامريكية ـ فى تقرير للكونجرس عام ١٩٦٧م : «ان حجم صادرات التلفزيون التجارى الامريكى يصل الى ما قيمته ١٠٠ مليون دولار سنويا(٤٣) والأهم انه اصبح خير وسيلة لعرض الصورة للعالم. وبهذا فان برامج التلفزيون تسلمت مشعل الصورة الامريكية من هوليود التى تولت اغراق العالم بالافلام السينمائية منذ اكثر من خمسين عاما»(٤٤).

■ ان نظام الاعلام الراهن ـ كما يقول مصطفى المصمودى «يعمل على ابقاء نوع من الاستعمار السياسى والاقتصادى والثقافى ينعكس غالبا على تفسير الانباء المتعلقة بالبلدان النامية. ويتجلى ذلك فى القاء الضوء على احداث تكون اهميتها محدودة او حتى معدومة فى بعض الاحوال، وفى تجميع وقائع متفرقة وابرازها على انها «كل» وفى ابراز الوقائع بصورة تجعل الاستنتاج الذى يستخلص منها مواتيا بالضرورة لمصالح تلك الشبكة العالمية . . وفى تضخيم احداث ضيقة النطاق بغية اثارة مخاوف لا مبرر لها . . وفى السكوت عن اوضاع غير مواتية لمصالح البلاد الاصلية لهذه الوسائل الاعلامية، وبهذه الطريقة لا تغطى احداث العالم الا بالقدر الذى يناسب مصالح مجتمعات معينة، وكذلك تشوه المعلومات استنادا الى القيم الاخلاقية والثقافية والسياسية الخاصة بدول معينة تحديا لقيم الأمم الاخرى واهتماماتها. وتقوم معايير الاختيار بوعى او بدون وعى على اساس المصالح السياسية والاقتصادية للشبكة العالمية وللبلدان التى تترسخ فيها هذه الشبكة . . وينبغى ايضا التركيز على استخدام التسميات المسكوكة والنعوت والتعاريف المغرضة التى يتم اختيارها بقصد التحقير»(٤٥).

■ واذا كانت دول ومجتمعات العالم الثالث تتعرض لتدفق اعلامى يتسم بالاختلاق، فإن دول ومجتمعات العالم الاسلامى ـ والعالم العربى بوجه خاص ـ تتلقى سيلا من الهجمات الاعلامية الحاقدة التى تسعى من خلالها وسائل الاعلام الغربى الى تشويه مبادئها وقيمها، وتقدم لجماهيرها ـ سواء فى المجتمعات الغربية أو غيرها من المجتمعات الاخرى فى هذا العالم ـ صورا نمطية سيئة عن الاسلام : دينا وحضارة وعن العرب : عنصرا وقيمة.

(١) انظر: رضوان السيد: الاسلام المعاصر: نظرات فى الحاضر والمستقبل (بيروت: دار العلوم العربية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).
(٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨) السيد ياسين: الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر.
(٩) هشام جعيط: اوروبا والاسلام (بيروت: دار الحقيقة ١٩٨٠م).
(١٠) انظر: مقدمة رضوان السيد لكتاب ريتشارد سوذرن: صورة الاسلام فى اوروبا فى القرون الوسطى (بيروت: معهد الانماء العربى، ١٩٨٤).

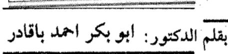
(١١) المقصود بهم اعقاب اسماعيل - عليه السلام - كما سيأتي بعد قليل.
(١٢) ريتشارد سوذرن: صورة الاسلام في اوروبا في العصور الوسطى، مرجع سابق ص٥١.
(١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧) المرجع السابق ص٥١-٥٣، ص٥٧، ص٥٧، ص٥٩، ص٦١.
(١٨) هشام جعيط: اوروبا والاسلام مرجع سابق ص٢١.
(١٩) قاسم عبده قاسم: الحروب الصليبية في الادبيات العربية والاوروبية واليهودية.. في المستقبل العربي (أصدار مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت) ع١٠٢ اغسطس ١٩٨٧، ص١٦.
(٢٠) هشام جعيط، اوروبا والاسلام، مرجع سابق ص١٩.
(٢١) شاخت ديوزورث: تراث الاسلام، ترجمة محمد زهير السمهوري (الكويت عالم المعرفة ١٩٥٧م) ص٣٢.
(٢٢) ريتشارد سوذرن: صورة الاسلام في اوروبا في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٦٥.
(٢٣) انظر: Jonathan Riley-Smith, What Were The Crusades? (London: Macmillan, 1977), P.II.
وقد استشهد بهذا القول قاسم عبده قاسم في دراسته عن «الحروب الصليبية في الادبيات العربية والاوروبية واليهودية» في المستقبل العربي، مرجع سابق ص١٥.
(٢٤) ريتشارد سوذرن: صورة الاسلام في العصور الوسطى، مرجع سابق ص١٥٠
(٢٥) ادوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال ابوديب (بيروت: مؤسسة الابحاث العربية ١٩٨١م) ص٨٠.
(٢٦) انظر: محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية (الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ١٤٠٤هـ) ص٢٠
(٢٧) نجيب العقيقي: المستشرقون (القاهرة: دار المعارف ط٤، ١٩٨١م) ١/ ١١٠ وانظر لمزيد من المعلومات حول نشأة حركة الاستشراق وتطورها: زيد بن احمد العبلان «الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الاسلامية، ودراسة ومناقشة وتحليل «رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ١٤٠٦هـ ص١٩-٧٤.
(٢٨) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية مرجع سابق ص٢٧.
(٢٩) انظر ريتشادر سوذرن: صورة الاسلام في اوروبا في العصور الوسطى مرجع سابق، ص١٠٠.
(٣٠) محمود حمدي زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية، مرجع سابق ص٢٩.
(٣١) انظر: زيد العبلان «الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الاسلامية» مرجع سابق ص٨٦.
(٣٢) المرجع السابق ص٨٦.
(٣٣) مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير والاستعمار (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٢م) ص٢٤-٢٥.
(٣٤) Sari J. Nasir, The Arabs And The English (London: Longman, 1976).
(٣٥) مارسيل بوازر: الاسلام اليوم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر واليونسكو، ١٩٨٦م)، ص١٩-٢٠.
(٣٦) ادوارد سعيد: الاستشراق، مرجع سابق ص١٩-٢٠.
(٣٧) انظر: محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية مرجع سابق، ص ٤٥-٤٦.
(٣٨) انظر: محمد كمال الدين امام: «صورة الاسلام في وسائل الاعلام الغربية» مذكرة غير منشورة، كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ١٤٠٥هـ، ص٦.
(٣٩) يرى ادوارد سعيد ان السياسيين وخبراء الدراسات الاستراتيجية وبعض الاكاديميين والاقسام العلمية والشركات التجارية الكبرى في امريكا يتعاونون جميعا لخدمة المصالح الامريكية وتعزيز قوتها وهيمنتها في ميدان الصراع الدولي والسياسة الخارجية.
(٤٠) راجع: ادوارد سعيد: تغطية الاسلام: كيف تتحكم وسائل الاعلام الغربي في تشكيل ادراك الآخرين وفهمهم، ترجمة سميرة نعيم خوري (بيروت: مؤسسة الابحاث العربية ١٩٨٣م) ص١٥٩-١٦٣.
(٤١) انظر: ادوارد سعيد: تغطية الاسلام، مرجع سابق ص٣٦.
(٤٢) انظر: مصطفى المصمودي: النظام الاعلامي الجديد (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) سلسلة عالم المعرفة ٩٤، ص٤١-٤٢.
(٤٣) هذا الرقم كان في الستينات من هذا القرن.. وتدل المؤشرات على زيادة هذا الرقم في الوقت الراهن.
(٤٤) راجع: فايق فهيم: الاعلام المعاصر: قضايا وآراء (الرياض: دار الوطن ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ص٢٩.
(٤٥) مصطفى المصمودي: النظام الاعلامي الجديد، مرجع سابق ص٤٣-٤٤.



في بعض الكتابات الغربية

● كتابات رافائيل باتاى تمثل حشداً ذكيا لكل ما يمكن أن يكون من مثالب العرب.

● يقدم العرب من خلال دراساته الاجتماعية على أنها مجموعة متخلفة تسعى الى تدمير حضارة الغرب.



■ كم أتذكر ذلك اليوم الذى طلبتُ منى إحدى المدارس الابتدائية بمدينة «ماديسون» بولاية وسكنسن بأمريكا أن أتحدَّث إلى صفٍّ من طلاب المرحلة الابتدائية عن العالم العربى، بصفتى طالب دراسات عليا في العلوم الاجتماعية ومن سكان ذلك الجزء من العالم.

لقد أعجبتُ كثيرا بهذه اللفتة اللبقة، وذهبتُ إلى المدرسة ومعى مجموعة من شرائح التوضيح البصرى (Slides)، إضافة إلى بعض الصور الفوتوغرافية.. والحق أنَّ الطلاب ومدرستهم أحسنوا استقبالى، وأعجبنى ترتيب الصف الدراسى واهتمامات البراعم الصغيرة من طلاب المدرسة، وما يظهر عليهم من جد ورغبة فى التعلم بصورة فيها الكثير من الطرافة والحيوية وبالفعل تجاوب الصغار ومدرستهم معى على ما قدمته من معلومات مبسطة، جهزتها لتكون فى متناول مداركهم وفى حدود اهتماماتهم. ثم تلى درسى اسئلة شائقة من الصغار، انتهت بتعليمهم بعض العبارات العربية مثل (السلام عليكم، ومع السلامة، وكيف حالكم..؟) الخ. على اننى قبل ان انصرف طلبت من الصغار ـ وكنت قد جهزت لذلك اوراق رسم ـ أن يتكرموا ويرسموا لى صورة عربى، وبعد ان انتهوا من رسمهم جمعت الصور

التى قاموا بها .

ولدهشتى - على انها ليست دهشة كلية كما سيتضح من هذه المحاضرة - كانت الصورة التى رسمها الصغار، عبارة عن صورة بدوى يلبس مرقعات وخلفه مجموعة من الخيام وصحراء قاحلة . سألتُ نفسى عندئذ ، أفلم يكن من المتوقع ان يرسموا صورة لى ، أو على الأقل أن يكونوا قد تأثروا بالصور والمعلومات التى ذكرتها؟ .

■ من خلال هذه التجربة مع الصغار، ومن خلال ما يمر به من عاش أو درس فى مجتمع غربى ، أو على الاقل من له اطلاع مباشر على الكتابات والتغطية الغربية عن العرب والمسلمين والاسلام ، تلاحظ أنواع وأشكال من الصور التى يُرْسَمُ فيها العربى المسلم بصور معينة .

وسنحاول ان نعالج فيما يلى : وجود أربعة مصادر أساسية ، يتم عن طريقها - بصورة منفصلة مستقلة احيانا ، واحيانا أخرى بصورة متداخلة متكاملة ، رسم صورة العرب والمسلمين والاسلام فى الغرب على ثلاثة مستويات هى :

أ) الدراسات الاستشراقية ، والتى تقدم صورة للحضارة العربية الاسلامية .

ب) صورة العرب والاسلام كما تصوره الدراسات الانسانية الاجتماعية الحديثة . . وهذه الدراسات تأخذ ثلاثة اشكال :

(١) ما يسير داخل المؤسسة الاستشراقية ، وان كان باستخدام أدوات وتقنيات حديثة مثل (دراسات جيلنر/ جيرتس/ وتلاميذهما) .

(٢) ما يعمل على الرواج الجماهيرى للمتعلمين والمثقفين، وهذا على مستوى تبسيط نتائج الدراسات الاجتماعية ، ولكن بنوع من المبالغة مثل دراسات باتاى/ ليفين/ كرينان .

(٣) ما يروج له داخل المؤسسات السياسية الفاعلة على يد «الخبراء» فى تحديد السياسات ، وما تقدمه وسائل الاتصال الجماهيرى .

ج) المناهج الدراسية وتنشئة الاجيال القادمة ، وذلك فى مواد التعليم العام .

■ هذا وسنتعرض لكل واحدة من هذه المستويات بشىء من التغطية المتعجلة ، اضافة الى اننا سنقدم ما قدم من محاولات لتحليل ودراسة هذه المستويات المختلفة من ناحية : محتواها ، أغراضها ، أهدافها ، ومنطقها ، وسنركز على المعالجات التالية :

(١) الموقف الاكاديمى (ادوارد سعيد فى الاستشراق) .

(٢) الموقف ازاء جمهور المثقفين (ادوارد سعيد فى تغطية الاسلام) .

(٣) دراسة المناهج الدراسية لكشف مشاكلها وما تغرسه من افكار وصور عن العرب والاسلام .

د) ما يمكن ان يفيد منه ويقرأ القارىء العربى ، وهذا سنتناوله على المستويات التالية :

(١) نقد الذات : عمار/ الوردى/ زيعور/ خماش وغيرهم .

(٢) حماية الذات : محى الدين صبحى وغيره .

(٣) تصور صورة الذات لدى الآخر : جهود الجمعيات العربية المختلفة ، سامى مسلم/ اياد قزاز .

● يدعى باتاى: أن الحياة العربية تقوم على العنف والهدم والقتل والغزو، والكسل والاتكالية.

● استثمروا اللغة فى دراساتهم الاجتماعية للمجتمع العربى.

● يصورون العربى على انه أسير تقاليده وعاداته لا يجدد فيها ولا يطورها.

أ. الدراسات الاستشراقية وصورة العرب والاسلام:

اما فيما يتعلق بالاستشراق، فهو كما يعلم الجميع، مؤسسة أكاديمية غربية قديمة، رعتها وأسستها السلطة الغربية (دينية ودنيوية)، لدراسة الشرق عامة، وعالم العرب والاسلام على وجه الخصوص، ولقد قدمت هذه المؤسسة - بما تضافر لها من امكانيات وجهود وباحثين - جهودا عديدة وأبحاثاً عميقة، وقدمت خدمات علمية وسياسية عديدة، لكنها انطلقت من منطلقات فلسفية ودينية وسياسية، تشكلت بحسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية - وهذه اهمها - فى صياغة خطاب معرفى، اوضحه وأسهب فى وضعه وتحليله ادوار سعيد فى كتابه المهم جدا «الاستشراق». وعلى الرغم من اهمية ما انجزه المستشرقون، سواء فى بعض دراساتهم التفصيلية او فى الخطاب الاستشراقى ككل. فقد اوضح بعض الباحثين (Waarburg) ، مثلا ان الخطاب الاستشراقى يمكن أن يفصل فى مجموعة من الخطابات المشكّلة للاسلام، فهنالك اسلام صوفى حلاجى عند ماسينون، وهنالك اسلام فقهى عند هرخورنيه، وآخر فقهى عند شاخت وآخر صوفى عند نيكلسون، وتاريخى عند بيكر، واجتماعى عند جب وهكذا، بمعنى ان اهتمامات الباحث تجعله يأخذ جزئية ويصورها على اساس انها هى الاسلام ككل.

وفى الواقع يميل تحليل ادوارد سعيد فى بعض جوانب دراسته للاستشراق كمؤسسة الى التأكيد على دراسة عملية الانشاء هذه، والتأكيد على أن ما توصل اليه الغرب من مناهج «عملية» تُمكِّن من جعل الاسلام وحضارته وعالمه برنامجا يدرس، خالقين بذلك شرقهم أو إسلامهم الخاص بهم الذى غالبا ما يأخذ شكل الجمود والتحجر والقولبة، على اننا لا نود هنا ان نأخذ فى دراسة الاستشراق، سوى التأكيد على ما ذكره البرت حورانى فى مقالته «الاسلام وفلسفة التاريخ» وهو ان دراسة الغرب للاسلام تميزت بالاحتقار والتجنى، وفى نظره انما تم ذلك على اعتبار ان هذه المعالجة انما هى منظومة من منظومات الايمان.

اضافة الى ذلك، فان دراسات الاستشراق تقدم المادة العلمية التى يستخدمها ويعمل عليها الدارسون الاجتماعيون والمروِّجون لصورة مقلوبة، سلبية لدى الجماهير وكذلك يُشَكِّل من تبقى من مستشرقين خبراء واستراتيجيين فى العديد من الدول الغربية.. ولقد لاحظ العديد من المستشرقين ان المؤسسة الاستشراقية لم تعد قادرة على القيام بما قد يوكل اليها من مهام ومن ثم بدأ النقد الذاتى الداخلى للعديد من اوجه ونشاطات

الاستشراق، اضافة الى تحول العديد منهم الى ما يعرف بدراسات المناطق (area studies).

ب. الدراسات الاجتماعية وصورة العرب:

كما ذكرنا آنفا، بدأ الاهتمام فى العديد من المراكز العلمية والجامعات فى العديد من الدول الغربية، وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة، فى التحول من الدراسات والتوجهات الاستشراقية الكلاسيكية الى التخصص فى دراسة مناطق معينة يستعين الدارسون فى دراساتها على ما ورثوه من الدراسات الاستشراقية من ناحية، بالاضافة الى الاستعانة بأدوات وتقنيات العلوم الاجتماعية الحديثة، مع التركيز على دراسة الحاضر. . وغالبا ما يقدم هذا النوع من الدراسات على مستويين متميزين من الدراسة، مستوى تنظيرى، يحاول فيه الباحثون تقديم صورة مكانية عن المجتمعات والثقافات العربية مستعينة فى ذلك بالاعتماد على الرؤية والمشاهدة، ولكن بقصد الخروج بصورة «تفسر» أو تشرح المجتمع العربى المسلم. وربما كان أفضل نموذج على هذا النوع من الدراسة ما حاول القيام به كلا من ارنست جيلنر وكليفورد جيرتس. إذ حاول الأول أن يقدم ـ بعد قيامه بالعديد من الدراسات الميدانية على المغرب ـ صورة عن الاسلام والمجتمع المسلم. تقوم هذه الصورة اساسا من منطلق المدرسة الوظيفية البنائية البريطانية. اما الآخر فهو جيرتس الذى يشكل توجها نظريا مستقلا فى علم الانثربولوجيا، ويهتم بدراسة الرموز ومعناها الدلالى الاجتماعى، وبعد دراسته للمجتمع المغربى والاندونيسى، حاول ان يقدم ايضا صورة للمجتمع المسلم، وكلتا الصورتين أخذتا تؤثران على العديد من الدارسين، وتشكلت على أساسهما مدرستان يسير على نهجهما مجموعة من الباحثين (انظر مقالة ابى بكر أحمد باقادر: الاسلام والخطاب الانثربولوجى المعاصر، للحصول على التفاصيل) وعلى الرغم من ان هذه الدراسات تحاول ان تقدم نفسها فى صورة اكاديمية موضوعية رصينة، على نهج الدراسات الاستشراقية الكلاسيكية، الا انها توصلت الى العديد من النتائج التى تصور المجتمعات الاسلامية بصورة لا تخلو من السلبية، مما جعلها تقدم المادة «العلمية» الضرورية، لبروز ما أسميته بالدراسات الموجّهة للجمهور المتعلم والمثقف، والتى تصور العرب والاسلام بصورة فيها كثير من الاجحاف وقصد الإضرار بهم.

■ وفى محاولتنا لعرض ما تقدمه الدراسات الموجّهة للجماهير المتعلمة، سأقوم بعرض أهم ما ورد فى هذه الدراسات معتمدا على تقديم ما قال به رافائيل باتاى وجون لفين وتوماس كريناان.

■ *يقدم رافائيل باتاى نفسه فى شكل تلميذ نابه منذ نعومة اظفاره لكبار المستشرقين، فهو قد تعرف على جولد تسيهر وهو لم يبلغ الحلم بعد فى بلده المجر، ودرس فى المرحلة الجامعية على يد بروكلمان، وحصل على دكتوراه الاولى عن العرب والاسلام، وعند انتقاله الى فلسطين (قبل التقسيم)، درس فى الجامعة العبرية، وحصل على دكتوراه عن الثقافة والدراسات الانثربولوجية فى منطقة الشرق الاوسط، اضافة الى ذلك فهو صديق للعديد من الاسر المقدسية العريقة (كما يدّعى). ولقد حاضر فى بدايات عمله الاكاديمى فى الجامعة العبرية وجامعة بنسلفانيا وبرنستون وكولومبيا وغيرها من الجامعات، وهو مؤلف العديد من الكتب «الهامة» فى دراسة الشرق الاوسط. أى انه يقدم نفسه «العالم الاكاديمى والمطلع العارف والصديق «الوفى» للعرب الذى له منهم العديد من الاصدقاء» فهو اذن ـ بزعمه ـ مرشح ليكتب كتابه «العقل العربى» الذى يقدم فيه صورة للعرب تعتمد على كافة خبراته ومعلوماته وصداقاته وصلاته. وفى الواقع اردف باتاى كتابه «العقل العربى» بكتاب تمجيد عن «العقل اليهودى». . على اننا*

● ذهبوا فى دراساتهم إلى ان العرب فى اجتماعاتهم القبلية يجتمعون ليتحدثوا لكن ليس بالضرورة ان ينتهوا إلى حل جذرى لأمر ما.

● ذهبوا إلى أن تفضيل الذكور على الاناث يمثل قيمة عامة عند العربى.

سنركز اهتمامنا هنا على اهم ما أورده فى كتابه العقل العربى.

■ من أهم ما يتميز به كتاب باتاى هو أن حشد «ذكى» لكل ما يمكن أن يكون من مثالب العرب، ولقد استعان فى اظهاره هذه الصورة بالاعتماد مدى الامكان على ما قدمه او كتبه باحثون عرب. ونلاحظ ان باتاى يدرك من بداية كتابه انه ربما كان عنوان الكتاب، فى عصر تقدم العلوم الاجتماعية يحتاج الى تبرير وايضاح، فيوضح كيف ان العرب يشكلون مجموعة ثقافية متميزة مرتبطة بثقافة الاسلام وبمنطقة الشرق الاوسط على وجه الخصوص، أما فيما يتعلق بامكانية وجود ما أسماه بعقل لمجموعة من الناس فانه يبرر ذلك بالاستعانة بما يذكره المقريزى وابن خلدون فى ان للعرب طبائع جبلوا عليها فهى تجرى فيهم مجرى الطبع، اضافة الى انه يستعين بآراء رالف لينوتن وكاردينر ليوضح امكانية قيام مركب صفات او شمائل تتميز بها مجموعات ثقافية عن غيرها من الجماعات بطبيعة الحال ـ كما سنرى ـ يرى باتاى ان مركب الصفات هذا جامد لا يتغير، وهو بطبيعة الحال يتحايل عليه ـ لأنه قول لم تعد تقبل به العلوم الاجتماعية ـ بعبارات مائعة ليعود ويؤكد ان هذا المركب هو ما تتسم به العقلية العربية.

■ وفى الواقع يحاول باتاى ان يقدم صورة العقل العربى فى شكل خطاب الهدف النهائى منه ـ يقوم على محاربة ورفض العربى اذ أن هدفه (اى هدف العرب) هو تدمير الحضارة الغربية من ناحية وانه انسان متخلف... الخ.

ولرسم هذه الصورة يرسم لنا باتاى العربىّ منذ ولادته، فالأسرة العربية تفضل الصبىّ وتتوقعه وتصاب بخيبة الأمل عند ولادة البنت، مما يترتب عليه إعلاء الزوجة التى تلد البنين. والصبى (الذكر) ينال ثدى أمه كلما بكى حتى يتجاوز الثالثة من عمره اما البنت فتفطم بسرعة، وعلاوة على ذلك فان الصبى، منذ طفولته، تُلبَّى رغباته وتُحقَّق بحيث يصبح العربى الراشد يميل الى الاعتقاد بأن تصريحه بالنية او الرغبة فى عمل شىء يجعله يشعر بأنه سيحققه أو ينبغى أن يتحقق له، بمعنى ان العربى بسبب هذه التنشئة يلتبس عليه الامر فى التفريق بين الكلمات والافعال.

بالاضافة الى عملية التنشئة هذه فان العرب يتأثرون جدا بالقيم والمعايير والشيم البدوية، والتى تتميز ـ كما يذكر باتاى مستعينا بابن خلدون وسنية حمدى وغيرهما ـ بأنها قيم تقوم على العنف والهدم والقتل والغزو، وتتميز حياتهم بالكسل واحتقار كل عمل يدوى بناء اضافة الى انهم يتميزون بانفجارات من النشاط المجنون، فلقد تعود البدوى بأن التحمل أفضل من العمل على التغيير. ويتصف البدوى بالتشديد على الشرف، وحياته المحافظة على «الوجه» والثأر. ويستنتج باتاى من مجمل هذه الصفات ان المجتمع العربى هو مجتمع العار (Shame Society) اذ ان العربى لا يردعه عن القيام بعمل ما سوى ما قد يتعرض له من ازدراء أو احتقار إن علم الناس بما عمل ولا توجد اخلاق أو قيم كامنة فى ذاته تردعه.



■ ويضيف باتاى الى القيم البدوية ـ التى فى نظره تشكل الخلفية الأساسية للمجتمع العربى الحديث ـ الجانب الاسلامى، فيرى ان الاسلام لعب دورا بارزا فى تشكيل المجتمع العربى خاصة فيما يتعلق بعلاقة المجتمع العربى بالغرب، فالاسلام يقسم العالم الى دار الحرب ودار الاسلام. ويستثمر باتاى هذه المقولات ليؤكد ان المجتمع العربى مجتمع يكره الغرب ويسعى لتدميره وتدمير الحضارة الغربية.

■ هذا ويرى باتاى ـ مستعينا بأقوال بعض العرب وان كان يستخدمها على غير ما قصدوه ـ أن اللغة العربية تؤثر على العرب تأثيراً سحرياً قوياً، فهم واقعون فى سحرها، وهى تتميز بأنها لغة غير دقيقة محددة، فى الفاظها وتخلو من نظام تصريف زمنى للفعل مما يجعل استخدامها يؤدى بالضرورة الى الابهام وهى لغة بلاغة تميل الى المبالغة والتأكيد والتكرار، لذلك فان العربى، لوقوعه تحت لعنة اللغة على حد قوله، يستعيض بالكلمة عن الفعل كما اوضحنا، لذلك فان العربى حينما يؤكد على انه سيقوم بافعال معينة، فى الغالب لن يقوم بها اذ ان قوله لها هو نهاية الأمر، ويميل العربى بسبب اللغة والقيم الاجتماعية الى بروز ظاهرة الموتمراتية بينهم، وهى على طريقة شيخ القبيلة الذى يجتمع عنده افراد القبيلة ليتحدثوا، لكن ليس بالضرورة ان ينتهوا الى حل جذرى لأمر ما، فالمهم هو ان يتلفظ كل واحد منهم بما يريد قوله: فحل الخلافات بين العرب حل توفيقى سطحى شكلى، وهم يميلون كما أسلفنا الى المؤتمراتية لا لحل المشاكل انما لمجرد تبادل الاحاديث ثم الانصراف دون التوصل الى حلول أو اشياء محددة.. ومما يميز العرب انهم متطرفون أو يميلون الى أخذ جانب واحد دون القدرة على الوسطية، اضافة الى انهم يميلون الى العنف، ويعيشـون عالمـاً ما يمكن ان يُسمى بالتفكير الحالم فهم لا يفرقون بين مستويات الفعل الثلاثة الافكار والكلمات والأشياء.

●● وأخيرا يصور باتاى العرب بأنهم جامدون غير ميالين للتغيير يعيشون امجاد الماضى وهم يكرهون الغرب ويسعون الى تدميره ونسفه، وهم حينما يختلفون ازاء التعامل مع الغرب فانما هو اختلاف فى الاستراتيجية وليس لتقبله او التعايش معه.

■ هذه بعض أهم جوانب الصورة التى يقدمها باتاى عن العرب، وفى الواقع حاول باتاى فى كتابه الكبير (٣٧٠ صفحة) ان يقدم هذه الصورة بمسحة تغلب عليها الصياغة الموضوعية المزخرفة، مؤكدا على صدق ما توصل اليه من صورة للعقل العربى من ناحية ومؤكداً أن صورة العربى لابد من اخذها برمتها ومجملها.. واذا كان باتاى يميل الى التوثيق وذكر بعض الاعتراضات والاستثناءات، اضافة الى محاولة الظهور بمظهر **«الاكاديمى الجاد»** الذى يحترم موضوعه وربما جمهور القراء الموجه اليهم الخطاب الذى يعرضه، فان من تبعه من باحثين استقبلوا ما توصل إليه من نتائج عامة على انها حقائق لا تقبل المناقشة او الجدل، ومن ثم استُخدموا للترويج للصورة التى أجملتها آنفا. ومن أهم مَنْ قدموا هذه الصورة جون لافين الذى يُقدِّم نفسه باعتباره مؤلفا لأكثر من خمسة كتب عن الشرق الاوسط والعنف فيه. وسنحاول ان نستعرض اثنين من كتبه **«العقل العربى»** و**«خنجر الاسلام»**.

■ ويقدم جون لافين نفسه كباحث عالم، كتب وألَّف العديد من الكتب عن العرب، اضافة الى أنه تنقَّل فى أرجاء العـالم العربى وزار العديد من أقطاره، وعايش وعاين الحياة اليومية فيها، بمعنى انه يجمع بالاضافة الى العلم والدراسة، المعايشة والمعرفة القريبة اللصيقة، وهو فى الواقع بحسب ما يقدم نفسه، انما يكتب عن العرب محاولا ان



يفهم شعبا ذكيا ونشطا فى الماضى ، اصبح فى الوقت الحاضر دون قيادة ومضطربا ومشوشا وفاتر الشعور لا مبال ، أى أن قصده ليس التشهير بالعرب وذكر مثالبهم انما محاولة منه الى ارشاده الى الصواب وتحذير العالم منهم حتى يعملوا مجتمعين على ارجاعهم الى جادة الحق والصواب .

■ وفى الواقع نجد فى كتابيه الأول والثانى صورة فجة شعبية تبسيطية ، وفيهما تلخيص مخل لآراء وافكار باتاى ، مؤكدا على التأثير «السلبى» للدين على الشخصية العربية ، وان العرب عبيد عاداتهم وتقاليدهم لا يستطيعون الخروج عليها او التخلص منها ، ويؤكد على ان اللغة العربية والأدب العربى تركا تأثيرا سلبيا على العقلية العربية بتكرارها وتأكيداتها وأخيلتها السطحية ، جاعلة العرب يميلون الى الكلام بدل الفعل ، والمجتمع العربى فى نظره ـ بطبيعة الحال ـ مكررا ومرددا ما ذكره باتاى ـ مجتمع عار او حياء (Shame Society) فالعربى يميل الى حفظ ماء الوجه والاحتفاظ بصورة خارجية براقة وكل ما عدا ذلك لا يهم .

■ ويقدم لافين نفس الآراء ولكن بصورة اكثر تبسيطاً ، حاشدا قدر استطاعته اكبر عدد من المثالب والمناقص عند العربى ، فى كتابه الذى عنوانه يكفى ايحاءه ودلالته «**خنجر الاسلام**» والذى يقدم على اعتباره دليلا للغربى لفهم ما يجرى من اخبار واحداث فى العالم وعلى وجه الخصوص العالم الاسلامى ، بمعنى ان الصورة وسعت لتشمل بالاضافة الى العربى ، المسلمَ ايضا . . على ان كُتب لافين ـ على فجاجتها وبساطتها وعنصريتها ـ تقوم كما ذكرنا على تكرار وتلخيص وتبسيط ما اورده باتاى أو غيره من الدارسين الغربيين من المستشرقين .

لكن ما يقدمه توماس كرينان فى كتابه «**العرب : تاريخهم واهدافهم وتحديهم للعالم الصناعى**» يتعدى كل ذلك .

فتوماس كرينان يقدم نفسه كمؤلف للعديد من الكتب والدراسات عن الثقافة العربية والثقافة اليهودية ، وعلى

انه من المتعلمين فى ارقى الجامعات الامريكية، ويوضح كرينان فى كتابه الضخم (٤٥٠ صفحة) انه انما ألف كتابه هذا فى محاولة «جادة» للتعرف على العرب واهدافهم بصورة موضوعية، لذلك قام بدراسة ميدانية زار فيها اجزاء من العالم العربى ليقابل العرب ويعرف حقيقتهم واهدافهم، ومن ثم يستطيع ان يحكم عليهم حكما موضوعيا بناء على ما شاهد ورأى وسمع ولقد حاول المؤلف ان يزاوج بين التاريخ وما شاهده على الطبيعة.

ولن ادخل فى سرد لما قدمه كرينان من آراء ظالمة مجحفة واكتفى بالقول: ان ما يقدمه كرينان فى الواقع انما هو نسخة معكوسة من بروتوكلات صهيون، إذ بدلا من ان يكون اليهود هم من يخططون لتدمير العالم وتخريبه يصبح العرب فى نظره هم من يقومون بذلك.

★ اما فيما يتعلق بالدراسات الاستراتيجية والاعلامية التى تستخدم فى وسائل الاتصال الجماهيرى وبالذات التلفزيون، فاننا نجد انها تركز على احداث سياسية آنية معاصرة، يتم تفسيرها على اساس الرؤى والافكار التى جئنا على ذكرها والتى تحول امكانية النظر فى مطامح وتطلعات الامة العربية والاسلامية، فى ضوء المتغيرات الاقتصادية والسياسية والمصالح المشتركة الى مجموعة من الرؤى الثقافية المغلوطة، ولعل ما نقرؤه او نشاهده على وسائل الاتصال انما يعكس هذه الصورة، فلا يرى الشرق الاوسط الا على اعتباره قوساً للأزمة فى ضوء الحروب والارهاب والاطماع وتضارب القوى المحلية والدولية.

★ ولقد ادي هذا الى استسهال العديد من الكتاب والمفكرين عملية الكتابة عن هذه المنطقة فى ضوء «المسلمات» التى انتهى اليها أمثال باتاى وكرينان ولافين وغيرهم، مما خلق صورة اصبحت تروج العنف وتسعى اليه وتكرس استغلال الامم الاخرى، على اعتبارها مجتمعات لا تستحق المساواة او المعاملة الانسانية، كما اصبح من المقبول عقلا واستراتيجية اقتحام واستعمار هذه البلدان، كما روج وزير خارجية امريكى باحتلال مناطق النفط، وربما كانت تحليلات امثال مونيهان او فلورنس لويس امثلة جيدة لمثل هذا الاتجاه، الذى يأخذ الآراء الفجة السطحية التى تجعل العرب وثقافتهم لا تُفهم سوى فى ضوء كتابات باتاى وامثاله، وانه ينبغى ان تبنى عليها السياسات والاستراتيجيات التى تتم من خلالها معاملة الدول العربية.

●● اضافة الى ان هذه «المسلّمات» هى التى تصبغ وتشكل المادة الاخبارية التى تتعرض لاحداث العالم العربى، وعن طريقها يتم عزل او اعادة صياغة ما يحدث فى الواقع، ويكون مغايرا تماما للصورة الأساسية، ويوضح مسلّم فى كتابه عن «**صور العرب فى صحافة ألمانيا الاتحادية**» كيف كانت معالجة الصحافة الالمانية لحربى ١٩٦٧ و١٩٧٣ بين العرب واسرائيل وآثار الصورة التى تعرضت لها فى تشكيل المادة الاعلامية والتعليقات الاخبارية.

●● تعرضنا الى الآن الى الرسائل الاعلامية والاخبارية الموجهة للبالغين بصورة عامة، فماذا عن النشء من خلال الكتب الدراسية وقصص الاطفال فكما نعلم ان الكتب المدرسية تعتبر مصدرا هاما واحيانا كثيرة مصدراً وحيدا له اهمية قصوى فى تشكيل ثقافة الاجيال الشابة عن عالمهم وعن العالم وثقافته وامه وشعوبه، ولقد لاحظ المشرفون على برامج دراسات الاوسط ضعف مستوى التلاميذ المسجلة فى هذه البرامج، وسنعرض لأهم ما تقدمه المناهج الدراسية من خلال استعراض اهم نتائج الدراسات التى اجريت على هذه المناهج او الكتب الدراسية فى الولايات المتحدة الامريكية، بطبيعة الحال قامت دراسات ايضا عن الكتب المدرسية فى اوروبا، وسنركز هنا على طريقة تقديم الكتب

● توماس كرينان فى حديثه عن صورة العرب يقدم نسخة معكوسة من بروتكولات صهيون.

● جون لافين يذهب الى أن الدين واللغة تركا تأثيرا سلبيا فى العقل العربى

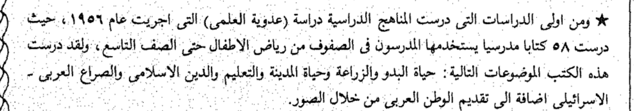
المدرسية لصورة العالم العربى والاسلامى ومسائل الصراع العربى - الاسرائيلى، وكذلك سنقصر اهتمامنا على مناهج مواد التاريخ والجغرافيا والعلوم الاجتماعية فى المراحل الابتدائية والثانوية.

★★ وقبل ان نستعرض اهم نتائج هذه الدراسات، علينا ان نوضح ان ما تعرضه المناهج الدراسية فى غاية الأهمية، وهى فى الغالب ترسم معالم ما يعرف بالصورة النمطية، اذ توضح الدراسات، كيف ان الطلاب الامريكيين كانوا يرون البريطانيين وعلى وجه الخصوص الانجليز فى صورة سلبية على عكس الفرنسيين الذين كانت صورتهم ايجابية، على الرغم من تبدل الظروف السياسية بما كان ينبغى ان تكون عليه الصورة عكس ذلك، وعند دراسة الاسباب وجد ان السبب يعود لما حدث به (لامتين) فى مناهج تاريخ امريكا، اذ كانت صورة الانجليز كمستعمر ومغتصب، اما فرنسا فلقد كانت فى صف التطلعات الامريكية نحو الاستقلال.

●● نعود مرة اخرى الى المناهج الدراسية فى المدارس الامريكية، على اننا ينبغى قبل استعراض نتائج الدراسات التى اجريت على المناهج ان نؤكد ان الكتاب المدرسى عنصر هام فى عملية التعليم منذ فجر التاريخ، فهو المصدر الاساسى الذى يستمد منه الطالب مواقفه واتجاهاته ازاء الكثير من الجماعات العرقية المختلفة، اذ ان الكتب المدرسية تزود التلاميذ بما يحتاجونه من معلومات عن تاريخ وحضارات العالم الذى يعيشون فيه.

■ ويمثل المدرسون العنصر الآخر فى عملية التعليم، وهم لا يقومون فقط بتلقين المعلومات لتلاميذهم انها يقدمون تفسيرا لمختلف الثقافات ايضا. ويتأثر الطلبة بما يختاره المدرسون من نصوص وبما يولونه من تأكيد لموضوعات معينة، كما ان مضمون المحاضرات واتجاه النقاش فى قاعة الدرس والواجبات الخاصة التى يكلف بها الطلبة، كل ذلك يؤثر تأثيراً كبيرا على تفكير الطلبة.

●● ويتبين من الدراسات المتعلقة بعملية التشكيل الاجتماعى ان التعليم المُكتسب فى المدرسة الابتدائية والثانوية له تأثير دائم، لذلك يمكن ارجاع المواقف التى يتخذها الكبار تجاه جماعات معينة الى التجارب التربوية الاولى، ومثلما يؤدى التعليم المقصود الى تغيير المواقف الايجابية كذلك يمكن ان تنشأ الصور السلبية عن الشعوب الاجنبية من اخطاء الحذف والتحريف خلال عمليات التعليم، وتحدث اخطاء الحذف عندما يفتقر النص او النقاش الى موضوعية تلقى ضوءا ايجابيا على بلد ما، اضافة الى ان اخطاء التحريف قد تحدث بسبب ما يقحم على النقاش او النص من وقائع او مقولات غير دقيقة او غير كاملة او غير ذات صلة بالموضوع بقصد اشاعة صورة مشوهة عن البلد الذى يجرى الحديث عنه، ولأن التعليم من الأهمية بحيث ينبغى عدم تركه لمشيئة الافراد، فاننا نجد ان معظم الحكومات تمارس قدرا كبيرا من الاشراف على مؤسساتها التعليمية.



★ ومن اولى الدراسات التى درست المناهج الدراسية دراسة (عدوية العلمى) التى اجريت عام ١٩٥٦، حيث درست ٥٨ كتابا مدرسيا يستخدمها المدرسون فى الصفوف من رياض الاطفال حتى الصف التاسع، ولقد درست هذه الكتب الموضوعات التالية: حياة البدو والزراعة وحياة المدينة والتعليم والدين الاسلامى والصراع العربى - الاسرائيلى اضافة الى تقديم الوطن العربى من خلال الصور.

★ ولقد اتضح للدراسة ان الكتب المدرسية فى عرضها لصورة العالم العربى ان عناصر البداوة القت بظلها على الجوانب الاخرى للحياة العربية، اضافة الى تركيزها على الاوضاع البدائية للزراعة والحياة الزراعية دون التصدى لمناقشة التغيير والتطور، اما بالنسبة للحياة الحضرية فان المدن العربية صورت بالتخلف دون اى اهتمام بالتعليم، ولقد شُوِّه الدينُ الاسلامى وصُوِّر على أنه دين قتال، اما بالنسبة لموضوع اسرائيل والوطن العربى فان العرض كان من جانب واحد دون فهم كاف للقضية الفلسطينية، اما الصور الفوتوغرافية فانها تركز على العناصر التقليدية والمناظر المتخلفة والمؤذية على حساب النظرة المتوازية التى كان يتعين ان تشمل التطورات الجديدة.

دراسة جمعية دراسات الشرق الاوسط

لقد وجدت الجمعية عند مراجعة البرامج التعليمية ان ما يدرس فى المدارس الثانوية يحدد بدرجة وفعالية التعليم على مستوى الكليات ومن ثم تألفت لجنة لدراسة صورة الشرق الاوسط فى الكتب المدرسية فى المرحلة الثانوية، حيث درست حوالى ٨٠ كتابا مدرسيا مستخدمة فى المدارس الثانوية الامريكية وكندا، ولقد وجدت اللجنة ان بعض الكتب المدرسية تميزت بروح البحث وجودة التأليف، الا ان اغلبية الكتب عملت على تثبيت قوالب جامدة، وتشويه الوصف السياسى والاجتماعى والتبسيط المخل للقضايا المعقدة وايراد احكام اخلاقية عن تصرفات الدول، وعلى العموم، فقد حفلت الكتب بالكثير من الاخطاء المتعلقة بالمضمون والسرد التاريخى، ووجدت اللجنة ان قلة فقط من المؤلفين هم الذين كانوا من المتخصصين فى شؤون الشرق الاوسط وانهم استخدموا فى كتبهم المدرسية فى بعض الحالات بيانات ترجع الى خمس او عشر سنوات، واعتنى قلة من المؤلفين بمناقشة التطورات والتغييرات الجديدة فى الحياة فى الشرق الاوسط.

■ ولقد وجدت اللجنة ان الكتب المدرسية تكرس ما يلى:

(١) تكريس مساحة كبيرة جدا لبعض النواحى غير الاساسية للحياة والثقافة فى الشرق الأوسط، فمثلا يغالون كثيرا فى تأكيد صورة البدو مع ايراد صور فوتوغرافية فى اغلب الاحيان لتثبيت هذا النمط.

(٢) يميل المؤلفون عند مناقشة عناصر الصحراء الى تأكيد منجزات اسرائيل مع تجاهل منجزات العرب فى تغيير الصحراء.

(٣) تؤكد الكتب على فقر المزارعين فى حين تصور المدن على انها تزخر بالعاطلين عن العمل مع قلة من اصحاب الملايين يركبون السيارات الفارهة، وتتضمن الكتب اشارة ملحة الى ان مشاكل الشرق الاوسط الاقتصادية يمكن حلها عن طريق ربطه بالكامل بعجلة الغرب.

● الكتاب المدرسى فى المدارس الأوروبية يرسم صورة للعرب والمسلمين تحمل ملامحها كل تشوهات السلوك والوعى.

● الكتاب المدرسى فى الغرب صور الاسلام على انه دين قتال والعرب شعب متخلف.

● قصص الصغار ـ فى الغرب تصور العرب فى حربهم ضد الصهيونية بانهم لصوص وعصابات تقاتل لاهداف غير انسانية.

(٤) معالجة الاسلام بطريقة مبتسرة وابراز ما يراه الغربى غريبا من الممارسات الاسلامية.
(٥) التلميح الى ان العالم العربى عدو للولايات المتحدة ويميل الى الاتحاد السوفياتى.
(٦) تصوير اسرائيل على انها الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الاوسط مع عرض الحروب العربية الاسرائيلية الاربع من وجهة نظر اسرائيل وتجاهل المنظور العربى.

دراسة كينى:

بدأ كينى دراسته فى ثلاثة اجزاء فى عام ١٩٧٢م تركزت حول المدارس فى اونتاريو بكندا.. يتضمن الجزء الاول تحليلا لردود المدرسين على استفساره عن صورة العالم العربى، اما الجزء الثانى والثالث فقد تضمنا اسلوب تحليل المضمون لكيفية تناول الشرق الاوسط فى الكتب المدرسية للتاريخ والجغرافيا على التوالى.

ووجد كينى ان كتب التاريخ المدرسية تزخر فى اغلب الاحيان بوقائع غير دقيقة وافتراضات مشكوك فيها، وحالات حذف كبيرة، وكل ذلك بهدف تكريس المفاهيم الاساسية الخاطئة عن الدين الاسلامى والثقافة والحضارة الاسلامية، حيث التأكيد مثلا على تعدد الزوجات والرق والحدود، وان الاسلام انتشر بالسيف، متجاهلة التفسيرات الاسلامية لهذه المسائل، اضافة الى تجاهل الاسهامات الاسلامية فى الحضارة وفضلها على الحضارة الغربية، وتعرض التاريخ الحديث للشرق الاوسط بعبارة سلبية فى الاغلب.

اما كتب الجغرافيا فانها تبالغ باستمرار فى تأكيد عنصر البداوة فى الوطن العربى وقلما تتطرق الى عملية التحضر التى تجرى بمعدل سريع ولا تلقى التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الا قدرا ضئيلا من الاهتمام الجاد، وتحظى اسرائيل بمعاملة متحيزة سواء فى طريقة الحديث عنها او فى حجم المساحة المخصصة لها فى كل كتاب مدرسى، وتؤكد هذه الكتب على انجازات اسرائيل فى تحويل الصحراء الى جنة خضراء دون ادنى اشارة الى الاسهامات العربية.

دراسة إياد القزاز:

درس اياد قزاز صورة العرب فى الكتب المدرسية الامريكية للعلوم الاجتماعية فى كاليفورنيا فى ٧٤/٧٥ فى الصفوف الدراسية من رياض الاطفال الى الصف التاسع، ولقد استخدم اسلوب التحليل المضمون وركزت على دراسة ثلاثة موضوعات: البداوة والاسلام والصراع العربى الاسرائيلى، ولقد توصلت الدراسة الى ما يلى:

(١) المغالاة فى التأكيد على البداوة اكثر من أى موضوع آخر يتعلق بالوطن العربى وتأكيد الخصائص السلبية للبدو مع اغفال صفاتهم الايجابية وذلك بالاشارة مثلا الى عمليات الاغارة والسلب دون ذكر للأمانة وكرم الضيافة - اضافة الى تجاهل التغير والتطوير السريع الذى يحدث للبدو.

(٢) جاءت معالجة الاسهامات الاسلامية مختصرة للغاية حتى بدت غير ذات أهمية، مع التأكيد على تقديم صورة سلبية للاسلام بالتأكيد على الجهاد وتصوير المرأة المسلمة فى صورة متدنية بالتأكيد على اميتها وتعدد الزوجات.. الخ.

(٣) وجاء تصوير الصراع العربى الاسرائيلى غير متوازن ومتحيز للنظرة الاسرائيلية. فلقد صورت اسرائيل على انها الدولة الديمقراطية الوحيدة بين مجموعة من الجيران العرب الحاقدين، وتكريس أساطير مثل تحويل اسرائيل صحارى فلسطين الى جنة خضراء، اغفال ذكر الوقائع السلبية التى تضر بصورة اسرائيل وتُصوَّر على انها رد فعل للعداء العربى، اغفال ذكر حقوق الشعب الفلسطينى وكذلك أسباب طردهم من الوطن، وقد افردت عدة كتب مدرسية لاسرائيل مساحة اكبر مما تفردها للدول العربية مجتمعة.

د. القزاز وعفيفى وشباص:

وهى دراسة موسعة للدراسة السابقة نشرت عام ١٩٧٨م، وتضمنت الدراسة تلخيص «٢٤» كتابا مدرسيا فى ميادين الجغرافيا والتاريخ والدراسات الاجتماعية فى المدارس الابتدائية والثانوية.

وكان الغرض من الدراسة تقديم تقرير تفصيلى لمجلس التعليم، ولقد استخدمت الدراسة طريقة تحليل المضمون، وكانت اهم نتائج الدراسة ما يلى:

(١) التأكيد الزائد على البدو رغم انهم يمثلون اقل من ٥٪ من مجموع السكان العرب ورغم المعلومات التفصيلية عن حياة البدو، لم ترد أية اشارة الى التقدم الحاصل فى مجتمعهم.

(٢) التأكيد على النزعة العسكرية وعلى عبارات تعدد الزوجات مع ابداء قدر ضئيل من الاهتمام الى اسهامات الاسلام فى الحضارة الغربية.

(٣) معالجة الصراع العربى الاسرائيلى من وجهة النظر الاسرائيلية بصفة اساسية، وتأكيد صورة اسرائيل بأنها بلد حديث وديمقراطى قريب الشبه من الغرب.

(٤) تصوير المرأة بأنها محجّبة وذات مركز متدنٍ للغاية وتتمتع بحقوق ضئيلة وسلطة دنيا فى اتخاذ القرار وتطيع زوجها فى كل شىء رغم انفها، وان المرأة المسلمة لا يجرى تشجيعها على الالتحاق بالمدرسة.

● آراء لافين ما هي إلا تكرار وتأكيد لآراء بتاى.

● كتابات باتاى وكريثان ولافين عن العرب والمسلمين أصبحت مسلمات عند العديد من الكتاب والمفكرين الغربيين.

(٥) تصوير غالبية الشعب على انه شعب يعيش فى احياء قذرة، وتصوير المدن والقرى على انها مليئة بالملايين من الذباب الذى يتكاثر فى القذارة وينشر الدوسنتاريا وان المجارى تنتهى الى حفر مكشوفة تلوث الارض ومرافق المياه على السواء.

(٦) تؤكد معظم الصور فى هذه الكتب المدرسية على تخلف العرب على العكس من اسرائيل الحديثة.

دراسة جلين بيرى (١٩٧٥):

حللت هذه الدراسة مضمون ٢٠ كتاب مدرسيا تستخدمها المدارس الثانوية الامريكية، ولقد استبعدت الجامعة المواد المتعلقة بتاريخ ما قبل الاسلام وجاءت نتائج البحث كما يلى:

(١) خصص من ١٥ الى ٢٥ صفحة فى المتوسط للشرق الاوسط فى نص يتألف من (٧٠٠) الى (٩٠٠) صفحة.

(٢) جاءت معالجة وتفسير الاسلام خليطا من المواد الدقيقة والمبهمة وغير المتميزة بالاستيعاب الكامل. وهنالك تأكيد عام على أن الحضارة الاسلامية حضارة عصور وسطى. ويُصوَّر الإسلام أحيانا على أنه دين لا يقبل التسامح. وهنالك سوء فهم لتعاليم القرآن الكريم.

(٣) تخلط معظم النصوص بين العرب والمسلمين ولا توضح ان حياة البدو تمثل الاستثناء فى هذه المنطقة.

(٤) بخلاف الصراع العربى الاسرائيلى، نجد ان السياسة المعاصرة تناقش بشكل سطحى وتزخر بأوصاف سلبية لتأميم قناة السويس فى عام ١٩٥٦ على يد عبد الناصر مع تصوير مصر على انها محور القومية العربية.

(٥) مناقشة الصراع العربى الاسرائيلى لا تميل نحو العرب ولو بدرجة طفيفة، وقد اعتبرت الباحثة خمسة من النصوص الستة عشر التى تناقش القضية بأنها موضوعية لحد ما، على ان معظم النصوص تمجد التقدم الاسرائيلى والدولة اليهودية.. دون ان تتضمن مناقشة مماثلة للانجازات العربية، وتخلو الكتب من أى نقاش لأسباب معارضة الفلسطينيين والعرب للصهيونية واسرائيل.

■ **هذا ولقد أجريت دراسات عن المدرسين من أهمها ما يلى:**

●● عدوية العلى فى دراستها السابقة وجهت ١٧٥ استمارة استبيان الى مدرسين فى شمال شرق أوهايو، ولقد شملت الدراسة الجزء من المنهج الدراسى الذى يناقش الوطن العربى، الصعوبات فى الحصول على المواد، مصادر المعلومات المتحصلة، ومستويات الصفوف الدراسية.

واهم نتائج البحث هى ان ٦٠٪ ممن أجابوا على أسئلة الاستبيان أوضحوا أنهم استخدموا نصاً واحداً والاقلية

منهم التى استخدمت مادة اضافية فقد حصلوا عليها من وكالات السفر. ومعظم الصفوف التى يدرس فيها موضوع الوطن العربى هى الصف السادس والسابع، اما الموضوعات بحسب ترتيب الافضلية لدى المدرسين فهى: حياة الصحراء، حياة المدينة، حياة الفريق، فالدين الاسلامى. ولقد اولى المدرسون بعض الاهتمام ببعض الاحداث السياسية مثل قناة السويس والصراع العربى الاسرائيلى.

●● دراسة كينى (١٩٧٥) درست ردود ١٢٦ مدرساً من المدرسين الكنديين ولقد صممت الدراسة لاستخلاص معلومات عن: (١) التدريب الذى تلقاه المدرسين فى موضوع الشرق الأوسط، (٢) مكانة هذا الموضوع فى منهج التاريخ وانطباعات المدرس عن شعوب الشرق الاوسط ونوعية واهمية المواد المستخدمة، (٣) امكانية تحسين تدريب المدرسين.

■ ولقد اوضحت الدراسة ان غالبية المدرسين تلقوا تدريبا قليلا أو ان خبرتهم المكتسبة بشأن الشرق الاوسط ضئيلة، وان غالبيتهم يعتمدون بشكل مطلق على معلومات الكتب المدرسية وان نصف المدرسين الذين اجابو على الاستبيان اعربوا عن رأيهم بأن الكتب المدرسية تقدم معلومات متوازنة عن الشرق الاوسط وأجاب ٦٠٪ بأن الكتب تميل نحو اليهود و٤٨٪ منهم يرون ان المعلومات تميل نحو تأييد قضايا اليهود، هذا ولقد اظهر عدد كبير من المدرسين تحيزا ضد العرب والاتراك والفلسطينيين، كما تبين ان ما يقرب من ١٢٪ من منهج التاريخ قد خصص للعالم الثالث وان حوالى ٢٧٪ من الوقت المخصص لذلك امضاه المدرسون فى تدريس مادة الشرق الاوسط.

■ ولقد اوضحت الدراسة ان اتجاهات المدرسين نحو العرب تميل الى وصفهم: بالوحشية وعدم التدين والبداوة والتخلف وعدم التنظيم والوقوف ضد اسرائيل وربط الاتراك بالعسكرية والقدرة على التنظيم والنزعة الامبريالية والقسوة والتدمير، اما اليهود فوصفوا بالتدين وحب التملك والعدوانية والصلافة، وانهم فى مركز الصراع على امتداد التاريخ.

دراسة مايكل سليمان (١٩٧٤):

دراسة اعتمدت على عينة من (١٧١) مدرسا من مدارس المرحلة الثانوية فى كنساس عام ١٩٧٢ واظهرت النتائج (أنَّ الشرق الاوسط أرض غير معروفة بنسبة ٦٦٪ من المستجوبين و٦٣٪ يشعرون انهم لم يتلقوا تدريبا كافيا لتدريس هذه المادة و١٦٪ تلقوا دورة تدريبية واحدة عن الشرق الأوسط وان ١١٪ تلقوا دورتين و٦٪ اكثر من دورة، كما تبين ان غالبية المدرسين يختارون النص بأنفسهم وقد ابدوا ارتياحا عاما للمادة غير ان ٤٦٪ منهم يشعرون ان التغطية غير كافية وقد استكملوها من مواد اخرى.

دراسة سليمان (١٩٧٧) توسعة للدراسة السابقة

دراسة يعقوب عبد الله ابو حلو (١٩٧٨)

تستند هذه الدراسة الى استبيان ارسل الى ٤٢٠ من مدرسى المدارس الثانوية ولم يجب على الاستبيان سوى

● الآراء السطحية الفجة التى خرج بها هؤلاء الكتاب عن الشخصية العربية وتكوينها العقلى اصبحت محور الاستراتيجيات السياسية والعسكرية عند الاوربيين.

● الكتاب المدرسى يمثل عنصراً هاماً فى تشكيل مواقف الطلاب واتجاهاتهم ازاء الكثير من الجماعات العرقية المختلفة.

● صورة الاسرائيلى فى الكتاب المدرسى فى الغرب هى صورة الرجل المتحضر.

١٧٠ مدرسا، ومن أهم نتائج الدراسة ان الاغلبية الكبرى من المدرسين يعتقدون:

(١) ان الوطن العربى موضوع هام وينبغى تدريسه فى فصولهم، (٢) ان الاسلام أدى دورا ملحوظا فى تطور الحضارة الانسانية، (٣) ان الثقافة العربية مزيج من تعاليم الاسلام والتقاليد العربية، (٤) ان الاسلام يشجع على تدنى مراكز المرأة (٥) ان الاسلام يشجع الرق، (٦) ان النهضة الاوروبية تأثرت تأثرا ايجابيا بالإسهامات العربية فى ميدان العلوم.

■ اما فيما يتعلق بقصص الاطفال، فإننا سنقدم دراسة فوزى الأسمر، والتى درس فيها اكثر من (١٥٠) كتابا قصصيا للأطفال فى اسرائيل، إذ وجد ان هذه القصص تُصوِّر العرب على اعتبارهم غرباء أو أجانب ومن ثم فانها تصور فلسطين على أنها ارض غير مسكونة او مهجورة قبل مجىء اليهود، واليهود وحدهم هم الذين حولوا فلسطين وعمروها وشجروها، ، اضافة الى ان كتب ادب الاطفال الاسرائيلية تؤكد فى كل وقت ان فلسطين انما هى لليهود، لذا فان اليهود حينما يعودون الى فلسطين انما يعودون الى ارضهم المهجورة العذراء، وتؤكد الكتب على فكرة تأسيس مستعمرات جديدة على انقاض مستعمرات قديمة، مشيرة الى أن فلسطين لم تسكن منذ (٢٠٠٠) عام.

■ فحينما تعرض قصص الأطفال هذه، القضايا التى ذكرناها فانها تعرضها بصورة توضح للطفل الاسرائيلى الموجهة له القصص - احيانا كثيرة على لسان عربى - ما يؤكد الصورة المرغوب تثبيتها فى ذهن الاطفال، ففى احدى القصص يقدم لنا بطل القصة مع والده فى زيارة لقبيلة بدوية، حيث قابلهم افراد القبيلة بكل حرارة وترحاب، وقدموا لهم القهوة وبعد تبادل الحديث، قرر الطفل بطل القصة ان يسكن مع العرب البدو، فيجيبه عجوز من القبيلة بقوله «ان شاء الله تسكن معنا واهلا وسهلا بك بيننا، فهذه ليست أرضنا ولقد سمعنا من اجدادنا أنها لليهود.

■ هذا وقد يترك مؤلف القصة موضوع العلاقة مع العرب معلقة ليصوغها القارىء الطفل، لكن بطبيعة الحال بعد

ان يكون قد قدم كافة المؤثرات التى تجعله يأخذ موقفا سلبيا تجاه العرب، ففى احدى القصص يتساءل طفل يهودى عندما يرى بعض الاطفال العرب ويسمع ما يذكره الكبار عن العرب ومشاكل اليهود معهم، فيسأل والده عن ذلك:

«سأل انبر والده: والدى هل صحيح ان ارض اسرائيل هى ارض اليهود؟ الا يعيش العرب هنا أيضا؟ هل يوافقون على عيش اليهود معهم؟

فيجيب الأب «نحن نعتقد ان هناك مكانا كافيا على الارض ليعيش اليهود والعرب.

■ لكن انبر يستمر فى طرح الاسئلة ولم يرتح عقله بالاجابات المقدمة له من والده.. فهذا الولد العربى الذى يبيع لوالده بعض الحصير قد يفكر بنفس الطريقة: هذه ارضى وهنا يوجد اليهود الذين جاءوا من بعيد واشتروا الارض من الافندى وهم يرتدون ملابس جميلة ويأكلون طعاماً جيداً ويدَّعون ان هذه الارض ارضهم، وليس هناك من شك ان هذا الولد العربى ووالده ايضا يكرهون اليهود، فهل كان علينا قط ان نشتكى لهذا الولد العربى ان اليهود أجبروا على المجىء الى ارض اسرائيل؟».

بطبيعة الحال لا تجيب القصة على اسئلة انبر لكنها توجه اجاباته المحتملة بحيث تصبح الاجابة الوحيدة المقبولة من سياق ومجرى القصة هى ان اسرائيل لليهود وعلى العرب ان يتكيفوا فى العيش معهم.

■ والعربى الذى له صورة ايجابية فى القصص هو العربى الذى يؤمن بالنظرة الصهيونية والذى قطع كل علاقة بهويته الفلسطينية وكرامته الانسانية.. اما غيره خاصة من كان منهم يقاوم الاحتلال الاسرائيلى فانهم يصورون على اعتبارهم:

أ) لصوص وعصابات تقاتل لاهداف دنيئة غير انسانية

ب) او انهم عبارة عن غوغاء تحركها عصابات مغرضة.

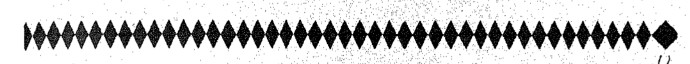
ج) او انهم مخربون.

■ هذا وتؤكد القصص فى المقابل على اضفاء صورة جميلة للسوبرمان الاسرائيلى فالجندى الاسرائيلى جندى قادر وانسانى ويحارب من اجل اهداف سامية، بينما الجندى العربى جندى حقير لئيم غدار يكرهه اليهود لأنهم يهود ويذبحهم بصورة متوحشة.

يتضح من عرضنا السابق، انه بامكاننا ان نلاحظ الصورة السلبية المتكررة للعرب والاسلام، سواء على المستوى الاكاديمى الراقى او مع المستوى الجماهيرى او حتى المقررات الدراسية وقصص الاطفال.. وجميع هذه الكتابات تؤدى الى رسم معالم قالب جامد او فكرة نمطية ثابتة عن العرب، بل ربما تشكل صورة تولد شعور (بافلوف) كما هو الحال مع كلاب بافلوف بحيث تبرز فى ذهن المتلقى صورة بشعة معينة حالما يُسمع او يُشاهد عربى.

■ ونقصد بالفكرة النمطية الثابتة(Stereotype) بمجموعة من التعميمات المتحيزة والمبالغ فيها عن جماعة أو فريق من الناس وغالبا ما تكون فى شكل فكرة ثابتة يصعب تعديلها حتى وان توفرت الأدلة على خطئها، ويوضح علماء العلوم الاجتماعية بأن الفكرة النمطية الثابتة غالبا ما تكرر بصورة ميكانيكية، وغالبا ما تتوفر فيها الشروط التالية:

(١) ان تكون بسيطة وليست مركبة او تفصيلية.



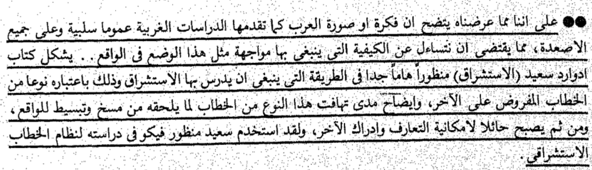


(٢) ان تكون مغلوطة وغير دقيقة صحيحة.
(٣) ان يتم الحصول عليها غالبا بصورة غير مباشرة وليس عن طريق تجربة مباشرة.
(٤) انها تقاوم التعديل بناء على مقتضيات تجربة او تجارب جديدة.

■ وبطبيعة الحال تختلف الفكرة النمطية الثابتة عن المجموعة البشرية من مجتمع لأخر، ففى دراسة أجريت عام ١٩٢٣ على يد كاتس وبرالى لمئة طالب امريكى ابيض سُئلوا عن قائمة مكونة من (٤٨) صفة يرون انها مميزة لمجموعات عرقية مختلفة، بعدها سُئلوا ان يختاروا خمس صفات تعتبر بارزة لكل مجموعة عرقية، ولقد ذكر الطلاب ان الزنوج يتميزون بانهم: يميليون الى تصديق الخرافات (٩٤) وانهم كسالى (٧٥) وانهم يميلون الى الفرح والمرح الآنى (٣٨) وانهم جهلة (٣٨) ويميلون الى الموسيقى (٢٦) وانهم بلداء (٢٦). ويرى نفس الطلاب أن الترك على اعتبارهم قساة قلوب (٤٧) متدينون جدا (٢٦) قتلة (٢١) يميلون الى المتع الجنسية (٢٠) جهال (١٥) قذرون (١٥).

وكما هو واضح ان الزنوج والاتراك لم يحظوا بنظرة مُرضِيَة من لدن هؤلاء الطلاب. لكن حينما أجريت دراسة مماثلة على مئة طالب عربى فى لبنان قام بها برترو ومليكان فى ١٩٥٤، وجد ان آراء الطلاب عن الزنوج تكاد تكون مشابهة الى حد ما عن آراء الطلاب الامريكيين، على ان آراءهم ازاء الاتراك كانت مختلفة جدا، فهم يرونهم: اقوياء (٣٦) عسكريين (٣٣) وقوميين (٣٣) شجعان (٣١) تقدميين (١٨) متكبرين ومتغطرسين (١٧).

★ ويرى علماء العلوم الاجتماعية انه لا يوجد بالضرورة ارتباط قوى بين الفكرة النمطية الثابتة وحقيقة او واقع الجماعات التى تصفها هذه الافكار النمطية، بدليل تباينها من قوم لأخرين، حتى بين الطبقات المختلفة اذ ان المتعلمين غالبا ما تكون نظرتهم للآخرين اكثر دقة وصحة عن غيرهم.



●● على اننا مما عرضناه يتضح ان فكرة او صورة العرب كما تقدمها الدراسات الغربية عموما سلبية وعلى جميع الاصعدة، مما يقتضى ان نتساءل عن الكيفية التى ينبغى بها مواجهة مثل هذا الوضع فى الواقع.. يشكل كتاب ادوارد سعيد (الاستشراق) منظوراً هاماً جدا فى الطريقة التى ينبغى ان يدرس بها الاستشراق وذلك باعتباره نوعا من الخطاب المفروض على الآخر، وايضاح مدى تهافت هذا النوع من الخطاب لما يلحقه من مسخ وتبسيط للواقع، ومن ثم يصبح حائلا لامكانية التعارف وادراك الآخر، ولقد استخدم سعيد منظور فيكو فى دراسته لنظام الخطاب الاستشراقى.

★ اما بالنسبة للخطاب الجماهيرى فربما كان كتاب ادوارد سعيد ايضا المعنون «**تغطية الاسلام**» يقدم صورة نموذجية لنوعية التحليل المطلوبة، اذ يوضح سعيد من خلال تحليله لطريقة تغطية وسائل الاعلام للأخبار والحوادث العالمية التى تتعلق بالعالم الاسلامى، وعلى وجه الخصوص موضوع الرهائن والثورة الاسلامية فى ايران، وعرض الافلام الاخبارية عن العالم العربى انها تسبب سوءاً فى الفهم وتشويهاً للحقائق يؤدى الى الوصول الى مغالطات قد تؤدى الى حروب طاحنة بسبب انبثاق سياسات واستراتيجيات على معلومات خاطئة وتفسيرات سقيمة.

★ اما ما يتعلق بالمناهج الدراسية وقصص الأطفال والى درجة ما بعض التغطيات الصحفية، فان اعمال جمعية دراسة الشرق الأوسط أو الجمعية العربية الامريكية لمحاربة التمييز العنصرى تقدم دون شك محاولة جريئة ورائدة فى فضح بنية مثل هذا الخطاب العنصرى المتهافت.

وأخيرا فان العربى مطالب بأن يحافظ على اهمية نقد الذات اذ عن طريقها سيتمكن المجتمع العربى من التطور، وعدم الالتفات الى اساءة استخدام اعداء الامة العربية لهذا النقد، اذ ان النقد للذات ينطلق من خطاب يقوم اساسه على ان المجتمعات العربية مجتمعات حية تستطيع ان تتجاوز مشاكلها وتتخذ ازاءها من البرامج والأعمال ما سيمكنها من التعامل مع حاضرها على قاعدة واثقة.

★ اما بالنسبة للخطاب الذى عرضنا بعض مفرداته فان للعربى ان يتحصن ببعض المعرفة حتى لا يغتر ببعض هذه المثالب وحتى لا يفقد الثقة بالنفس منطلقا من قاعدة صلبة، وربما كان كتاب محى الدين صبحى «ملامح الشخصية العربية فى التيار المعادى للأمة العربية» مثالا ممتازا فى هذا الاتجاه ونحن فى حاجة ماسة الى زيادة الدراسات من هذا النوع الذى يتصدى لما قاله اعداؤنا بشىء من السبر والتعمق لنوضح ان بنيات الخطاب الموجهة انما هى ذات اهداف او اغراض عنصرية محددة تهتم بنفينا والغائنا، اضافة الى ان اهدافها انما هى تبرير افعالها الهمجية، حتى وان كان بعض ما ذكرته صحيحا، اذ العبرة بأهداف ونتائج الخطاب وليس ما يستند عليه من ادلة وشواهد.

واخيرا لابد من تفنيد الخطاب باعتباره تمييزا عنصريا، ومن ثم عدم قبول الدخول فى تفاصيله على اعتبارها امورا تقبل الجدل، وانما ينبغى التأكيد على عنصريته، والله اعلم.

اهم المراجع

(1) John Laffin, The dagger of Islam, London: Sphere Books Limited, 1979.

(2) John Laffin, The Arab Mind considered: A need for understanding, New York: Taplinger Publishing Company, 1975.
(3) Raphael Patai, The Arab Mind, New York: Chales Scribner's Sons, 1976
(4) Thoms Kiernan, The Arabs: Their history, aims and challenge to the industrialized world, Boston: Little, Brown and Company, 1975.
(5) Fouzi El-Asmar, Through the Hebrew Looking glass: Arab stereotypes in children's Literature, London: Zed Books Ltd., 1986
(6) Edward Said, Covering Islam: the Media and the experts determine how we see the rest of the world, New York: Pantheon Books, 1981
ولقد ترجم هذا الكتاب الى العربية بعنوان تغطية الاسلام، بيروت: مؤسسة الابحاث العربية ١٩٨٣. ()ت
(7) Edward Said, Orientalism, New York: Pantheon Books, 1978.
ولقد ترجم هذا الكتاب الى العربية بعنوان الاستشراق، بيروت: مؤسسة الابحاث العربية ١٩٨١م.
(8) R.W. Southern, Western Views ofislam in the Middle Ages, Cambridge, Mass? Harvard University Press, 1978.
(9) Adawia Alami, Misconception in the treatment of the Arab World in selected American textbooks for children M.S. Thesis, Ohio State University, 1956.
(10) William Grisworld et al. The image of the middle east in secondary school textbooks, New York: Middle East Studies Association, 1975.
(11) L.K. Kenny, The Middle East in Canadian Social Science Textbooks in Abu Laban et. al. Arabs in America, Wilmett: The Madina University Press International, 1975.
(12) A. AI-Qazzaz, Images of the Arabs in American Social Science textbooks, in Abu Laban et. al., Arabs in America.
(13) A. AI-Aazzaz, The Arab World: a handbook for teachers, San Franscisco: Tasco Press, 1978.
(14) F. Ziadeh and C. Allen, The evolution of the treatment of Egypt in American primary and secondary school Iiterature unpublished report submitted to the U.S. office of Education, 1976.
(15) Glenn Perry, Treatment of the Middle East in American high school textbooks, Journal of the palestine Studies, V. 4, 1975.
(16) S.A. Jarrar, Images of the Arabs in the U.S. secondary school social studies textbooks: A content analysis and unit development, unpublished ph.D. Dissertation, Florida University, 1976.
(17) Michael Suleiman, American images of Middle East Peoples: impact of the high school, New York, MESA, 1973.
(18) Yaqub Abdallah Abu Helu, Images of the Arabs and their conflict with Israel had by American Public Secodary School Social Studies Teachers, ph.D. Dissertation, Stanford University, 1978.
(19) Norman Daniel. The Arabs and Medieval Europe, London: Longmans, 1975.
(20) Norman Daniel, Islam and the West: the making of an image, Edinburgh: University press, 1960.
(21) Maxime Rodinson, Lafascination de I'islam, paris: Maspero, 1980.
(22) Warrburg. L'Islam don le mirroir de l'occident.
(23) Fouad Moghrabi, The Arab basic personality, International Journal of the Middle East Studies, 9, 1778.
(٢٤) محى الدين صبحى: ملامح الشخصية العربية في التيار الفكرى المعادى للأمة العربية، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨.
(٢٥) حامد عمار: دراسات في بناء البشر، القاهرة ١٩٨٦.
(٢٦) على زيعور: دراسات عديدة حول التحليل النفسي للذات العربية عن دار الطليعة.
(٢٧) سامى مسلم: صورة لعربي في صحافة المانيا الاتحادية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٥.

المستشرق كارلايل وكلمة حق

من العار أن يصغى أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل الى وهم القائلين إن دين الاسلام كذب، وان محمداً لم يكن على حق.

لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى، ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرنا من الزمان، لملايين كثيرة من الناس فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين، وماتت، أكذوبة كاذبة، أو خديعة مخادع؟ ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً، وكان الأجدر بها ألا توجد.

هل رأيتم رجلا كاذبا، يستطيع أن يخلق ديناً، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟.

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبنى بيتاً من الطوب، لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذى يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذى يبنى بيتا دعائمه هذه القرون العديدة، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس؟.

وعلى ذلك فمن الخطأ ان نعد محمداً رجلا كاذبا متصنعا، متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع.. وما الرسالة التى أداها إلا الصدق والحق وما كلمته إلا صوت حق صادق.

وليس فى وسع الانسان فى الحقيقة إلا أن يعتقد أن مدبجى وناسجى هذه الافتراءات لم يتعلموا حتى ولا أول مبادىء دينهم وإلا لما استطاعوا أن ينشروا فى جميع أنحاء العالم، تقارير معروف لديهم أنها محض كذب واختلاق، إن تعاليم القرآن الكريم قد نفذت ومورست فى حياة محمد الذى ـ سواء فى أيام تحمله الألم والاضطهاد، أم فى زمن انتصاره ونجاحه ـ أظهر أشرف الصفات الخلقية التى لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها.

فكل صفات الصبر والثبات فى عصره كانت ترى فى أثناء الثلاث عشرة سنة التى تألمها فى مجاهداته الأولى بمكة، ولم يشعر فى كل زمن هذا الجهاد بأى تزعزع فى الثقة بالله، وأتم كل واجباته بشمم وحمية.

كان «ﷺ» مثابرا ولا يخشى أعداءه لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله، ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه.

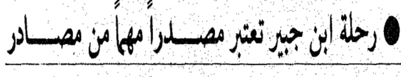
لقد أثارت تلك الشجاعة التى لا تعرف الجفول ـ تلك الشجاعة التى كانت حقاً إحدى مميزاته وأوصافه العظيمة ـ إعجاب واحترام الكافرين، وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله.. ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرنا، وازداد إعجابنا به بعد ذلك فى حياته الأخيرة، أيام انتصاره بالمدينة، عندما كانت له القوة والقدرة على الانتقام واستطاعته الأخذ بالثأر ولم يفعل، بل عفا عن كل أعدائه.

«كارلايل»

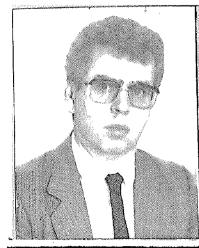
رحلة ابن جبير

بيـــن

وليام رايت وعبد القدوس الأنصاري


● رحلة ابن جبير تعتبر مصـــدراً مهماً من مصـــادر الدراسات التاريخية والجغرافية.

● وليم رايت أول من حقق رحلة ابن جبير وبـذل فيها جهداً كبير فى التحقيق والتعليق والطباعة مما جعلها تفوق كل طبعة تلتها.



بقلم الاستاذ: محمد بن عبد العزيز الدباغ

تمثل كتب الرحلات أنواعا شتى من الثقافات حسب اهتمام الذين سجلوها ودونوها فكان بعضها يعنى بالجانب العلمى، وبعضها بالجانب السياسى وبعضها يهدف الى دراسة المسالك وتحديد مواقعها وتبيان ما يتعلق بها جغرافيا وتاريخيا، لذلك كثرت العناية بدراستها وتتبع مضامينها من لدن العلماء الباحثين الذين تيقنوا ان الاطلاع عليها مفيد فى مختلف الاتجاهات، لا فرق فى ذلك بين علماء الاسلام وغيرهم لانهم لاحظوا ان ما تحتوى عليه من معلومات يعين على التعرف على المجرى الحضارى للبلدان التى دون الراحلون أوصافها وسجلوا معالمها وأحوالها.

■ ومن أهم ما عنى به المستشرقون فى القرن التاسع عشر رحلة أندلسية كتبها الذى قام بها بأسلوب شيق، ودون محتواها بدقة الباحث المتثبت الذى لا تكفيه الاشارة العابرة. انها رحلة محمد بن أحمد بن جبير الاندلسى الاصل الغرناطى الاقامة.

■ ومن المعلوم ان هذا الرحالة قد غادر غرناطة متوجها الى بيت الله الحرام يوم الاثنين التاسع عشر لشوال عام ٥٧٨هـ الموافق للثالث من شهر فبراير عام ١١٨٢م وانه استغرق فى سفره عامين وثلاثة اشهر ونصفا حيث رجع منه

يوم الخميس الثاني والعشرين من محرم عام ٥٨١هـ الموافق ٢٥ ابريل ١١٨٥م بعد أن زار كلا من مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية.

وتعتبر هذه الرحلة بالنسبة اليه الرحلة الاولى التى اشتهرت ودونت وضمت كثيرا من المعلومات المتعلقة بالبلدان التى زارها.

■ وكانت له رحلتان آخريان لم تنالا منه من العناية التدوينية ما نالته الرحلة الاولى، وهو فى كل رحلاته كان يفيد ويستفيد وقد كانت له درجة من العلم جعلته سباقا الى نقل بعض الآثار المغربية الى المشرق أو الى نقل بعض الآثار المشرقية الى المغرب، فمن المشهور ان رواية شيخه ابى عبد الله التميمى لكتاب الشفا للقاضى عياض قد عرفت فى المشرق عن طريقه وعنه حدث بها بعض الرواة كعبد العظيم المنذرى ورشيد الدين العطار يحيى بن على القرشى النابلسى الاسكندرى(١).

وظل بعض الرحلة الثالثة بالمشرق يشتغل بالعلم والتدريس الى أن وافاه أجله بالاسكندرية عام أربعة عشر وستمائة رحمه الله.

■ ان رحلة ابن جبير كانت مصدرا مهما من مصادر الدراسات التاريخية والجغرافية وقد وجد فيها الاوربيون صدقا فى لهجتها وتدقيقا فى أوصافها واستمدوا منها كثيرا من اخبار صقلية فى القرن السادس الهجرى وقد اطلع المستشرق الانجليزى وليام رايت(٢) على نسخة منها مخطوطة بمكتبة جامعة ليدن فرآها جديرة بالنشر نظرا لما فيها من الفوائد الجمة وقد وصف هذه النسخة قبل نشرها فذكر أنها تحتوى على مائتين وعشر من الورقات وأنها قد كتبت فى مكة عام ٨٧٥هـ بخط رجل يدعى عبد القادر بن عبد الوهاب بن عبد المؤمن القرشى وانها نقلت بخط مغربى أصيل وأشار أنها تحمل عنوان كتاب (اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك) ثم عقب على ذلك بقوله: «وأنا أظن أن هذا العنوان لم يكن من وضع المؤلف وانما هو ناتج من خيال مجهول ودليلى على ذلك أن المؤلف حين شرع فى رحلته ذكر انها تذكرة الاخبار فى اتفاقات الاسفار بحيث يعتبر هذا التقديم اسما لها زيادة على انها لا تعرف عند الكثير الا برحلة ابن جبير».

■ واستفاد رايت عند طبع هذه الرحلة من نسخة مبتورة توجد بمكتبة الاسكوريال كما استفاد من نصوص منقولة من الرحلة فى كثير من الكتب التى لها ارتباط بالموضوع وقد مهد لها بتمهيد كتبه باللغة الانجليزية وأعاننى على الاطلاع على محتواه ولدى الدكتور محمد الدباغ أصلحه الله حينما كان طالبا بكلية الطب أشار فيه رايت الى الصعوبات الجمة التى واجهته وهو يقرأ النسخة الخطية التى اعتمد عليها لما فيها من الخلط الناتج عن الغموض الخطى الذى كان نتيجة لسرعة الناسخ فقد زحزحت بعض النقط عن أماكنها وأهملت بعض الحروف من النقط وحصل لبس فى بعض الكلمات وفضل الناسخ ترك بياض فى بعض الاماكن حتى لا يتحمل مسؤولية التحريف. وهذا شىء مزعج لمن يريد التحقيق والأمانة ومع ذلك فقد رأى أن العمل يقتضى مواجهة عنيفة وشجاعة قوية بشرط التحرى والتقصى والرجوع الى الاصول الموازية اما عن طريق النقل واما عن طريق الاقتباس(٣).

ومن يطلع على هذا التحقيق الذى طبع بمطبعة بريل فى مدينة ليدن عام ١٨٥٢م فسيلمس فيه آثار المجهود الذى بذله هذا المحقق ليخرج الكتاب سالما من الاخطاء بعيدا عن كثير من الهفوات التى يقع فيها النشارون.

■ ومنذ ظهور هذه الطبعة والمهتمون برحلة ابن جبير يعتبرونها كالام لجميع الطبعات المحققة التى أتت بعدها سواء

● هذه الرحلة لازالت تحتاج لدراسة خاصة تبين مدى علاقتها بالتيارات الفكرية العالمية.

● عبد القدوس الانصارى فى دراسته لرحلة ابن جبير اتبع النهج التحليلى التعليمى.

فى أوربا أو فى بلاد العرب.. فقد طبعت هذه الرحلة من جديد عام ١٩٠٧م على يد المستشرق دى غويى ضمن سلسلة جيب التذكارية.. كما طبعت بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٨م.. وطبعت ببغداد عام ١٩٣٧م.. ثم طبعت محققة منقحة باشراف الدكتور حسين نصار وذلك حوالى ١٩٥٥م.. كما طبعت عام ١٩٥٩م طبعة أنيقة ببيروت بمطبعة دار صادر.. ثم طبعت بعد ذلك ببيروت أيضا عام ١٩٦٨م بمصر أيضا ـ أصدرتها دار الهلال. وانى لم اطلع على هذه الطبعة الاخيرة، وانما رأيت الاشارة اليها عند الدكتور حمد الجاسر فى بعض هوامشه أثناء تحقيقه لرحلة الجزيرى المسماة الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة.

■ ورغم تعدد الطبعات فان طبعة بريل بتحقيق وليام رايت مازالت تعتبر من أحسن ما وضعه المستشرقون فى ميدان نشر التراث العربى ولقد ذكر الدكتور حسين نصار فى المقدمة التى صدر بها تحقيقه لهذا الكتاب ان النسخة الأوربية تعتبر من أحسن الكتب التى وقف المستشرقون على طبعها.

والواقع يؤيد ما ذكره حسين نصار فان من ساعده الحظ فاطلع على طبعة ليدن بتحقيق وليام رايت فانه سيتيقن أنها رغم تعدد الطبعات مازالت تعتبر من أحسن الكتب تنسيقا وأكثرها تنظيما وأوفرها تعليقا وأدقها تحقيقا.

ومع ذلك فانى كنت أرى أن هذه الرحلة لا يكفى فيها تحقيق النص وتصويب كلماته وشرح بعض ما غمض منها وانما أرى أنها تحتاج الى دراسة خاصة تبين مدى علاقتها بالتيارات الفكرية العالمية وانها تحتاج الى مقارنات وموازنات بينها وبين رحلات أخرى قبلها أو بعدها وقد أفصحت عن ذلك فى حلقات اذاعية قدمتها فى الاذاعة الوطنية المغربية عام ١٩٨٢م فى برنامج كان يذاع تحت شعار (شاهد اثبات) وقد نشرت قسما من هذه الحلقات بالعدد الخامس والثلاثين من مجلة المناهل التى تصدرها وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب عام ١٩٨٦م وقلت آنذاك:

«ان هذه الرحلة فى حاجة الى تحقيق يساير التطور العلمى والى دراسة عميقة تبرز بعض عناصرها القيمة التى تدل على خبرة ابن جبير وعلى شدة احتكاكه بالمجتمع الاسلامى فى المشرق والمغرب وعلى قوة ايمانه بالوحدة الاسلامية وعلى صفاء عقيدته وحسن اختياره ودقة ملاحظاته وجمال اشاراته مع العمل على توسيع دائرة نشرها ليستفيد منها أكبر عدد ممكن من المسلمين الذين يحرصون على نشر التراث للاستفادة منها وللاستنارة به فى تسيير شؤونهم فى الوقت الحاضر وفى تمهيد الخير لهم فى المستقبل ان شاء الله.

■ ولم أكن أعلم آنذاك ان هذه الرغبة قد قام بقسط منها أحد العلماء المسلمين الغيورين على التراث الاسلامى

والحريصين على نشره الا بعد ان وجه الى السيد نبيه بن عبد القدوس الانصاري صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها بتاريخ ١٤٠٩/٥/٢هـ الكتاب الذى انجزه السيد والده عن ابن جبير المطبوع عام ١٩٧٦م تحت عنوان «مع ابن جبير فى رحلته» فوجدته كتابا يمثل جانبا من الدراسات الجادة، فقد بذل فيه مؤلفه مجهودا كبيرا وحاول من خلاله ان يختصر الرحلة وان يعلق على بعض نصوصها وان يقابل بينها وبين بعض الرحلات الاخرى وان يتناول بالنقد بعض ما ورد فى النسخ المطبوعة من شرح بعض المعلقين عليها وقد نهج فى ذلك نهجا تعليميا تحليليا وبناه على أربعة وعشرين فصلا كان فى الامكان اختزالها الى فصول أقل لو لم يكن من أغراضه هذا الجانب التعليمى التحليلى الذى يسهل على الباحثين الرجوع الى محتوى الرحلة دون أى عناء.

■■ بعض هذه الفصول يتعلق بحياة ابن جبير ويذكر تراجمه من خلال عدد من الادباء والمؤرخين وبعضها يتعلق بمراحل الرحلة ومخططها وتحديد بعض المسافات التى قطعها ابن جبير بحيث لا يتعذر على قارىء الرحلة أن يساير ابن جبير فى سفره وان يطلع على انطباعاته متى شاء ذلك.

■ ومن الفصول دراسات مخصصة لنقط معينة بالذات رأى المؤلف ضرورة التعرض اليها وذلك واضح فى الفصل التاسع الذى خصصه للحديث عن الفندقة فى الحضارة الاسلامية وفى الفصل الثالث عشر الذى خصه للحديث عن المراكب البحرية المعروفة بالجلبة والجلاب وعن الاقوام المعروفين بالبجاة أو البجة، وفى الفصل الخامس عشر الذى خصه للحديث عن السرو المائرين فى مكة، هذا زيادة على الفصل الحادى والعشرين الذى تحدث فيه عن مكامن الجمال فى رحلة ابن جبير وعن الفصل الرابع والعشرين الذى خصه للملاحظات والانتقادات على هذه الرحلة.

ولم يكن المؤلف أثناء تحليله لهذه الفصول مجرد مقرر سلبى وانما كان ناقدا واعيا ومطلعا موسوعيا يتتبع كثيرا من الجزئيات اللغوية والجغرافية والسياسية فيعمل على شرحها وتحليلها وتقدير ظروفها وفى جل اعماله كان متزن الرأى قوى الحجة حسن المساجلة لا يتعالى فى الحكم ولكنه رغم ذلك لم تكن مبرراته فى بعض الاحيان كافية فى ترجيح ما يريد الوصول اليه.

ان كتابه هذا يعتبر مرحلة ضرورية فى دراسة رحلة ابن جبير التى ما تزال الى الآن فى حاجة الى دراسات أخرى مماثلة تعين على فهم المحتوى ودراسة الابعاد وتساعد على تثبيت قواعد الحضارة العربية الاسلامية فى الحاضر وتمهيد السبيل لبنائها على أسس موضوعية فى المستقبل ان شاء الله.

■■ وهذه الغاية قد تنبه اليها المؤلف حينما قال فى تمهيد كتابه: «لقد كان ابن جبير أحد اعلام الحضارة الاسلامية العربية الزاهرة فى ميدان الرحلات ولقد ترك كتاب رحلته المشهورة بصماته واضحة مشرقة على الاوضاع السائدة فى العالم الاسلامى من يوم قام برحلته وسجل مضامينها فى كتاب جغرافى أدبى لامع.

●● فلكى يتفتح مغلق ذخائر الكتاب الجامع المفيد من جديد على أذهان قرائنا اليوم بما يمكننا من بناء حاضر نهضتنا ومستقبلها على نمط قويم سليم مرتبط بماضينا الحميد ألفنا هذا الكتاب مؤملين أن يؤدى مهمته التثقيفية والتوجيهية والتوثيقية على خير منوال يرام ان شاء الله.

ولعل هذه المهام الثلاث التى رامها المؤلف ستكون واضحة جلية لمن يدرس كتابه بامعان ولمن يتأمل فيه بتدبر.

ففى الميدان التثقيفى كان حريصا على ربط المعلومات الجبيرية بما يناسبها ويقارن بينها وبين ما يوجد فى بعض الرحلات التى جاءت بعده كرحلة التجيبى ورحلة ابن بطوطة كما كان حريصا على الاهتمام بالجانب اللغوى والجانب الجمالى داخل الرحلة.





ويمكننا ان نستدل على ذلك بجزئيات كثيرة .

■■ منها ما لاحظه من أن ابن جبير كان يستعمل بعض الكلمات حسب الاقاليم التى يتحدث عنها فهو مثلا حينما كان بعيدا يسمع الناس يسمون السفينة (بالجلبة) فسماها اثناء التحدث عن هذه الناحية بالجلبة أيضا ، فلما انتقل منها الى العراق والشام وصقلية سماها (بالمركب) حسب الاستعمال العادى هناك ، وهكذا الحال بالنسبة الى كلمة (فندق) للمكان الذى يأوى اليه المسافرون حين بلوغهم الى بعض المدن فهو قد استعمل هذه الصيغة حينما كان بالحجاز وافريقية فلما تجاوز الحجاز ونجدا الى العراق أهملها اهمالا كليا واستعمل عوضا عنها صيغة (الخان) لانها هى المستعملة هنالك(٤) .

■■ ومنها انه حينما كان يشرح بعض الكلمات كان يتتبع معانيها بدقة ويخالف أحيانا من سبقوه ويشير الى بعض اخطائهم التى وقعوا فيها من حيث المعنى أو الى أخطائهم المطبعية التى غفلوا عن تصحيحها وقد تتبع فى الفصل الثانى والعشرين مجرى نحو مائتين وثلاث عشرة كلمة استعان فى شرحها حسب قوله بثلاثة مراجع اولها المصادر اللغوية المعتبرة وثانيها القائمة التى وضعها فى آخر طبعة دار مصر للطباعة الدكتور حسين نصار . وثالثها الشروح والهوامش المذيلة بها طبعة الرحلة بدار صادر ـ دار بيروت ـ بيروت ـ وقد ذكر له الأستاذ منصور مهران كمال الدين المقيم بالقاهرة ان الذى أثبت هذه الحواشى ووضع فى مقدمة الرحلة المطبوعة ترجمة موجزة لابن جبير هو كرم البستانى . وقال بعد ذلك(٥) : ولا اكتم القارىء انى خالفت فى شروح بعض الكلمات كلا الرجلين لاسباب لغوية أو علمية أو أدبية موحية .

■■ ويمكننا ان نستدل على هذه النقطة بالكلمات الآتية فهو قد فسر كلمة (ملججين) بمعنى خائضين للجة قال(٦) : ويبدو لى ان هذه الصيغة بذاتها ومعناها موجودة أيضا فى رحلة القاسم التجيبى السبتى (مستفاد الرحلة والاغتراب) وحرفت فى الطبعة التونسية سهوا الى صيغة اخرى هى ملحجين بحاء فجيم ، ورأى أن تفسيره هو أصح من تفسير الذين جعلوها بمعنى جادين .

●● وفى هذا السياق نلاحظ تفسير لكلمة (يضحل) فقد فسرها صاحب هوامش طبعة دار صادر بمعنى يرق قال المؤلف(٧) ولا يصح هذا لان سياق الكلام يمنعه فان ابن جبير يقول (يكثر فيها الماء ويضحل علينا) فسياق الكلام يقتضى ان يكون معنى يضحل يقل لانه يقابل كلمة يكثر وقد ورد فى القاموس قوله: الضحل الماء القليل على الارض لا عمق له.

●● ومما يدمج فى هذه النقطة قوله وهو يفسر العبارة التالية: (قد زاهقت الادراك)(٨) زاهقت بمعنى قاربت وربما كانت صحة الكلمة راهقت الادراك لان معنى راهق الغلام قارب الحلم (القاموس مادة رهق).

■ وكان يودُّ أثناء شرح هذه الكلمات ان يضع ما يقابلها من أرقام صفحات أية طبعة من طبعات الرحلة ليتسنى لمن يقرأ كتابه ان يتحقق من سياق الكلام ليعرف قيمة المقابلة وأهمية اسهام المؤلف فيها.

ورغم كونه كان يتتبع هذه الجزئيات فهو قد وقع له سهو بسيط يمكن ان نشير الى بعضه فيما ياتى فقد فسر كلمة (عكم)(٩) بما يجمع فيه الثياب أو غيرها وشكل فاء الكلمة بالفتح مع انها ينبغى ان تشكل بالكسر لانها اسم للغرارة التى تجمع فيها الاشياء لا مصدر عكم، ومثل هذا وقع له اثناء حديثه عن الفنادق فقد ذكر ان الفندق الأندلسى كان يشغل مكانة هامة فى العمران والاقتصاد ولذلك كثرت الفنادق فى اهم مراكز المدن أى حول المسجد الجامع قال: ويؤيد ذلك ما ذكره الادريسى عن فنادق المرية من انها كان بها فى النصف الاول من القرن الثانى عشر الميلادى الموافق للقرن السادس الهجرى ما يقارب سبعين وتسعمائة فندق(١٠) فهو قد شكل هنا مدينة المرية بضم الميم وكسر الراء المشددة مع ان إسم المدينة بفتح الهمزة وفتح الميم وكسر الراء المفردة على وزن المزية وعلى هذا الوزن الف ابن خاتمة تاريخه المشهور الذى سماه مزية المرية.

■ ومما يمكن الاستدلال به فى هذا المجال ان المؤلف حينما ذكر ابا الحسن الشارى السبتى قال عنه انه أحد تلامذة ابن جبير وانه ادعى ان ابن جبير لم يؤلف الرحلة بنفسه وانما وضع أصولها فقط والا فان الذى كتبها هو احد تلامذته وقد فند المؤلف هذا القول تفنيدا مبنيا على حجج معقولة الا انه ظن ان هذا التلميذ يقال له الشادى بالدال لا الشارى بالراء(١١) وخالف الدكتور حسين نصار الذى ذكره ذكرا عاديا ومن المعلوم أن أبا الحسن الشارى ينسب الى شارة وهى بقعة بشرق الاندلس تعرف بشارة فليين وهى معقل بجوفى مرسية وقد اشتهر أبو الحسن بحبه للعلم واهتمامه بجمع الكتب وهو الذى أسس مدرسته الشهيرة بسبتة وملاها بالكتب المفيدة النافعة ليستفيد منها الطلبة والباحثون وتوفى بمالقة عام ٦٤٩هـ.

■ وعلى كل حال فان هذا السهو لا يؤثر فى القيمة العلمية لهذا الكتاب فنحن نرى فى هذا الميدان التثقيفى مجالات متعددة افاد فيها المؤلف كثيرا وخصوصا فى المجال الادبى فهو حينما كان يتحدث عن الانتاج الادبى لابن جبير تعرض الى شعره ونثره وقد أحس أثناء نقل الشعر بأخطاء فى الوزن وجدت أثناء طبع كتاب الاحاطة بتحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان فضححها المؤلف وبين الخلل الذى يوجد فى تحقيق هذا المحقق من حيث الجانب الادبى وقال(١٢): لعل انفعال الاستاذ محمد عبد الله عنان بالشعر العربى الموزون لم يكن بذلك المستوى بل لعله لا يقيم وزن هذا الشعر، كما يحسن وكما يدل عليه فحوى اقراره لما ورد فى النسخ التى شاهدها من دون ابداء وجهة نظره فيما قرأ من ذلك.

■ واما الميدان التوجيهى فيتجلى من خلال ما كتبه عن الرحلة فى جل فصولها، والظاهر انه كان يهدف من وراء هذه الدراسة فتح مجال التوعية امام المسلمين فى العصر الحاضر ليستمدوا من شخصية ابن جبير غيرته على الاسلام وحبه للعلم وصدقه فى القول الى غير ذلك من الصفات الحميدة التى كان يتحلى بها.

■ واما الجانب التوثيقى فانه كان يتعمد فى كتابه هذا ذكر المصادر التى استعملها وينسب الاقوال الى اصحابها

● الأنصارى فى دراسته للرحلة كان ناقداً موسوعياً يتتبع كثيراً من الجزئيات اللغوية والجغرافية والسياسية.

● دراسة الانصارى تعتبر مرحلة ضرورية فى دراسة رحلة ابن جبير، وهى لا تزال تحتاج الى دراسات أخرى تكتشف أبعادها الاخرى.

ويحاول أربط الماضى بالحاضر ويمكن ان يستدل على ذلك بالرسم الذى نقله للحجر الاسود فى شكله الحالى، وهو من وضع السيد محمد طاهر الكردى الخطاط المكى فقد أبان فيه ان الحجر أصبح الآن فى ثمانى قطع على شكل حرف الواو المعكوس، مع انه كان فى عهد ابن جبير أربع قطع فقط(١٣).

ويدخل فى هذا الجانب مختلف الاشارات التى علق بها على حياة ابن جبير من خلال من ترجموا له سواء من الغرب أو من غيرهم كما يدخل فيه الدقة التى وصف بها طبعات الكتاب.

■ ومن احسن ما نراه فى هذا الكتاب عدم انسياق مؤلفه الى المدح المطلق، أو النقد الجزافى، بل كان حكما وسطا يبنى احكامه على المنطق والحكمة وعدم المغالاة. وقد قال فى مقدمته ما يأتى(١٤): «ومن خلال دراستنا لكتاب الرحلة هذا اطلعنا على بعض ما يستحق الاشادة وبعض ما يستحق التحليل والنقد فقمنا بما ينبغى فى الحالتين، على انه مما لا يتطرق اليه الريب ان كتاب رحلة ابن جبير فريد ومتميز بين كتب الرحلات الاخرى بما جعله فى القمة منها، سواء من ناحية جمال العرض والاسلوب وروعة البيان، أم من ناحية ايفاء الدراسة حقها فيما يشاهده أو يلاحظه من كتب، أم من ناحية دقة الملاحظة وشمولها».

■ ان ابن جبير فى الحقيقة يستحق هذا التنويه الذى منحه اياه مؤلف هذا الكتاب فنحن نلمس هذه الجوانب التى ذكرها فى جل ما تعرض اليه. فهو قوى البيان، دقيق الوصف يوفى ما يتعرض اليه حقه من الدراسة والتحليل.

■ هذا زيادة على ان ابن جبير لم يكن يهدف الى الوصف العابر، وانما كان يهدف الى ارشاد من يقرأ رحلته. لذلك كان يتحدث عن الطرق الصالحة للسفر، ويخطط لمن ياتى بعده، ويبين لهم الاحوال السياسية لكل بلد يزورها. ويحدد لهم مناسك الحج، ويذكر لهم اشهر العلماء وكيفية تدريسهم ووعظهم.

■■ كما يذكر مجالسهم وأنواعها، ويقرب اليهم العوائد الموجودة ويحذرهم من الفتن، ويذكرهم بالتاريخ ويستغل ما منحه الله من ثقافة فقهية ودينية ومن خبرة بالتاريخ والسيرة النبوية أتمّ استغلال، ويتعرض لبعض الجزئيات السياسية تعرضا مبنيا على تصور كامل لمفهوم السياسة فى نظره، ذلك ان السياسة عنده مبدأ أخلاقى يربط بين الاحوال الاجتماعية وطريقة الحكم، فلا يرى الصلاحية للحاكمين الا اذا كانوا قادرين على نشر العدالة وعلى اقرار الامن وعلى تمهيد الحياة الرغيدة للمحكومين، فاذا لم تكن لهم قدرة على ذلك فانه يتمنى زوال حكمهم ويرجو القضاء عليهم ليعوضوا بمن هم أولى وأقدر على تنفيذ هذه الاهداف.

■ لهذا نرى رأيه فى التقدير السياسى يختلف باختلاف انفعالاته ويتبدل بتبدل أسبابها وبواعثها، وقد تدفعه هذه

الانفعالات المحتدمة الى وجود تناقض فى بعض رغباته وفى بعض استنتاجاته. واكبر دليل على ذلك ما كان يبديه من الاراء حول صلاح الدين الايوبى فى المشرق وحول الموحدين فى المغرب فهو غالبا ما يجعل الانقاذ من الانحلال لا يتأتى الا على يد صلاح الدين ثم لا يلبث ان يجعله فى أحيان أخرى على يد الموحدين بالمغرب.

■ والواقع ان اختلاف رغباته انما هو نابع من موقف انفعالى كان يعتريه فى حالة من حالاته فلا يستطيع الانفلات منه ولا الانفكاك من تبعاته. وكان الايوبيون والموحدون معا يعرفون صدقه. لذلك لم يؤاخذوه ولم يعاقبوه ولم يغضبوا من سلوكه وتناقضه لانهم لم يعتبروا هذا التناقض خيانة أو نفاقا، وانما اعتبروه اندفاعا صادقا صدر من رجل لم يشتهر بالمخاتلة والمخادعة ولم يعلم عنه انه يزيف الحقيقة أو يدعو الى باطل.

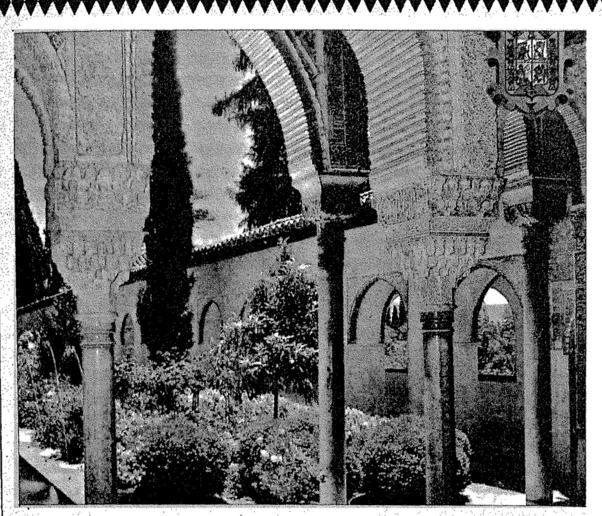
■ لقد كان قوى الغيرة على الكرامة الدينية وعلى المجد الاسلامى فكان يحز فى نفسه ان يجد تخاذلا بين بعض الحاكمين فى المشرق، وأن يرى انفصاما فى الوحدة السياسية وتصدعا فى الخطة الدفاعية التى يمكنها ان تحرر كثيرا من الاراضى الواقعة آنذاك تحت الحكم الصليبى، لهذا نراه يذكر باعجاب مفاخر صلاح الدين الايوبى الذى كان قوى المواجهة شديد المراس فى الحروب، فى الوقت الذى يقلق من تعدد الملوك فى نواحى العراق والشام فيوازن فى نفسه بين هذا التعدد وبين ما كان عليه الحال أيام ملوك الطوائف بالاندلس ويرى ان ملوك الطوائف شر فى أى زمان، وبلاء تصاب به الوحدة، وتداس به الكرامة، لذلك تعرض اليهم بسخرية لاذعة، وصورهم تصويرا ينفر منهم ويجعلهم قذى فى عين العز. فلا نصر الا بالقضاء عليهم، ولا مجد الا بمحو وجودهم. ويمكن أن نأخذ نموذجا من موقفه هذا أثناء حديثه عن مدينة دينصر فقد قال(١٥): وهذه البلدة لسلاطين شتى كملوك طوائف الاندلس وكلهم قد تحلى بحلية تنسب الى الدين. فلا تسمع الا ألقابا هائلة، وصفات لذى التحصيل غير طائلة، قد تساوى فيها السوقة والملوك، واشترك فيها الغنى والصعلوك. ليس فيهم من اتسم بسمة به تليق، أو اتصف بصفة هو بها خليق، إلا صلاح الدين صاحب الشام وديار مصر والحجاز واليمن المشتهر الفضل والعدل. فهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، وما سوى ذلك فى سواه فزعازع ريح، وشهادات يردها التجريح، ودعوى نسبة الى الدين برحت به أى تبريح.

ألقاب مملكة فى غير موضعها	كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

■ ومما ينبغى التنبيه اليه ان عبد القدوس الانصارى فى دراسته للرحلة جعل لكل جزئية فيها عنوانا خاصا بها وكان العنوان الذى استعمله هنا هو قوله «مدينة مشتركة» ويعنى بها مدينة دنيصر.

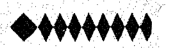
وهو فى هذا العنوان يسير وفق ظاهر الوصف الذى جاء به ابن جبير، وانا اظن ان هذا الوصف كان يقصد به ابن جبير الحديث عن هذه النواحى عامة لانه سبق له وهو يتحدث عن مدينة دنيصر ان قال وصاحب هذه البلدة قطب الدين وهو أيضا صاحب دازى ومدينة ماردين ورأس العين وهو قريب لابنى بابك، ثم قال بعد ذلك: «وهذه البلدة لسلاطين شتى».. الخ فلا معنى لهذه الفقرة الاخيرة الا أن يكون المراد بها الحديث عن هذه النواحى لا عن دنيصر وحدها.

■ وقد لاحظنا فى هذه الفقرة اعجابه بصلاح الدين فهو الامل عنده فى تحقيق العدالة وابعاد الظلم عن هذه الجهات. وهو يذكره فى كثير من المناسبات فمن ذلك انه حينما وصل الى الاسكندرية لقى عنتا كبيرا من مفتشى الجمارك هو ومن كان معه من حجاج المسلمين وقد وصف بدقة ما لقيه صاحبه احمد بن حسان فيها فقال: (١٦) واستنزل احمد بن حسان منا ليسأل عن أنباء المغرب وسلع المركب، فطيف به مرقبا على السلطان(١٧) أولا ثم على القاضى



ثم على أهل الديوان ثم على جماعة من حاشية السلطان، وفى كل يستفهم ثم يقيد قوله ثم تحدث عما وقع للحجاج من الاذى من جراء هذا التفتيش، وما سبب لهم من الخسارة والضياع.

■ وقد وقف الاستاذ عبد القدوس الانصارى من انتقاد ابن جبير لهذه الظاهرة التفتيشية موقفا معارضا ورأى أن ذلك التفتيش كان أمرا ضروريا تقتضيه مصلحة المسلمين فى ذلك الحين فليس هناك أى مبرر للموقف العدائى الذى أبداه ابن جبير نحو هؤلاء المفتشين وقال فى هذا الصدد(١٨): «وربما كان نقد ابن جبير لدقة أمناء ميناء الاسكندرية فى التفتيش فى غير محله. فابن جبير يعرف شدة عداء الصليبيين الغزاة للشرق الاسلامى وشرق البحر الابيض المتوسط خاصة، ويعرف ما ينبغى اقراره من الامن والاستقرار فى هذه البلاد، ويعرف ان ميناء الاسكندرية كان ومازال أعظم ميناء وأهمه، ترد اليه السفن والركاب المختلفو الجنسيات والنزعات من غرب البحر الابيض المتوسط وشماله فصلاح الدين من هذه الناحية - وهو حارس هذه البلاد الامين - له الحق كل الحق فى تدقيق التفتيش على الواردين وما يرد منهم، حتى لا تجد افواج الدسائس والدساسون والجواسيس مسربا لهم من هذا المنفذ البحرى العالمى الذى يلجه كل من هب ودب، ولهذا نرى ان استنطاق احمد بن حسان على دقته كان له ما يسوغه. وهو ضمن اجراءات حفظ الامن الضرورية، وابن جبير يعرف ان قدومهم الى ميناء الاسكندرية كان على مركب لخصوم صلاح الدين الاوربيين الذين لابد ان لهم صلات خفية وثيقة بالصليبيين. وربما كانوا جواسيس لبنى ملتهم على المسلمين. وحجاج المسلمين من الاندلس والمغرب القادمون عبر هذا الممر المائى ليسوا كلهم سواء فى الصلاح والتقوى والاستقامة والاخلاص لدين الاسلام وبنى الاسلام كابن جبير. وبلادهم مكتظة بالمسيحيين الذين لابد ان تكون لهم روابط متينة مع الصليبيين. وبهذا يتجلى ان صرامة اجراءات تفتيش الامناء للقادمين حجاجا وغير



حجاج لا غبار عليه، وهو دليل يقظة اسلامية للمتربصين بديار الاسلام في ربوع هذا المشرق، فلا لوم مطلقا على صلاح الدين، ولا تثريب على عماله حيال هذا الصنيع. بل انه يستحق الشكر والثناء حيال هذا الفعل الحميد. فالظروف عرفية خطيرة ولذلك فلسنا مع ابن جبير في تجريده سيف النقد العنيف على أمناء الاسكندرية».

اننا بنقلنا لهذا النص من دراسة الاستاذ عبد القدوس الانصاري تتجلى لنا قيمة دراسته وانه كان حريصا على تتبع مجرى الاحداث ليفصل فيها برأيه بعد أن يعمل على تأييده بشتى الاحتمالات.

■ وعمل كهذا في الدراسة لا يتأتى الا بعد تحقيق النصوص، ولهذا تعتبر هذه الدراسة تكميلا لما قام به المحققون من قبل فاذا كانت رحلة ابن جبير قد نشرت بتحقيق المستشرق رايت نشرا دقيقا وتبعه في ذلك بعض الذين جاءوا من بعده. فانها كانت في حاجة الى مثل هذه التعليقات الضرورية والاشارات الدقيقة، التي تبين قيمة الدراسة في مجال النقد التاريخي الا انني أرى أن التعليل الذي جاء به الاستاذ عبد القدوس الانصاري وهو التخوف من الصليبيين والاحتراس من جواسيسهم قد لا يكون وحده في الميدان. فلربما يكون التخوف من دولة الموحدين المغربية من أسباب هذا التفتيش الدقيق ذلك ان هؤلاء الموحدين كانوا يطمعون في حكم مصر وفي حكم بعض البلاد المشرقية وكانوا يعدون لذلك دعاية كبيرة جعلت الرأي العام المشرقي يتوقع تحقيق ما يرغبون فيه، الشيء الذي دفع صلاح الدين الايوبي الى غزو بعض الاقاليم المغربية لافساد الاستقرار على الموحدين.

■ ومن المعروف ان علاقة صلاح الدين بالموحدين دفعت المتحدثين عنها الى تأويلها بتأويلات مختلفة، فمنهم من كان يرى ان مرجع الخلاف بينهما محاولة استقلال الموحدين عن الخلافة العباسية، ومنهم من كان يرى ان تطلع الموحدين الى اقرار الحكم الاسلامي كان يقتضي توسيع رقعتهم لحماية الاراضي الاسلامية من تسلط الصليبيين، ومنهم من كان يرى ان هذه العلاقة كانت تقتضي المراوغة، فالموحدون يحتاجون الى نشر بطولاتهم في المشرق وصلاح الدين يحتاج الى نشر بطولاته في المغرب، وبذلك تتكافأ الكفتان فلا يتغلب أحدهما على الآخر.

■ ولقد اشتهر في التاريخ ان صلاح الدين الايوبي قد استنجد بأسطول المنصور الموحدي فلم يستجب له المنصور لانه لم يخاطبه بأمير المؤمنين وانما خاطبه بأمير المسلمين، وكان اللقب الثاني يقتضي عدم استقلال الموحدين عن الخلافة العباسية والغالب ان صلاح الدين كان يعلم ان المنصور لن يستجيب له، وانما كان يريد ان يصوره أمام الرأي العام ممتنعا رافضا ليشوه سمعته ويفسد دعايته.

■ ان هذه العلاقة بين يعقوب المنصور الموحدي وبين صلاح الدين الايوبي كانت له سوابق في العلاقة بين الدولتين الايوبية والموحدية ويمكننا ان نرى ارهاصات لها في الاخبار التي دونها ابن جبير والتي نقلها عن ألسنة العوام في مصر وفي غيرها من البلدان، وقد ذكر ابن جبير ان بعض الفقهاء في هذه البلاد المشرقية قد حبروا خطبا أعدوها للقاء الموحدين وهيأوها لهم وهذا يدل على أن الموحدين كانت لهم جذور سياسية كبرى في المشرق أصبحت ترددها الالسنة وكادت تؤتي أكلها لولا حزم صلاح الدين الايوبي، وان توازي القوى بين هاتين الدولتين هو الذي جعل ابن جبير لا ينساق انسياقا مطلقا لهؤلاء أو أولئك حسب ما ما أشرنا اليه فهو يسمو أحيانا بصلاح الدين الى درجة كبرى تجعله زعيم المسلمين ثم يسمو أحيانا أخرى بالموحدين فيجعلهم هم أهل الانقاذ وموئل المحتاجين الى الشرف والعدالة.

ولا ريب ان موقفه هذا انما هو ناتج عن تصور اجتماعي وسياسي قد انطبع في نفوس معاصريه، وهذا الانطباع هو الذي قلنا انه كان من اسباب التضييق على الوافدين على مصر حينما يصلون الى ميناء الاسكندرية الا انهم بعد

● ابن جبير كان يستخدم عدة كلمات للمسمى الواحد حسب ما هو مستخدم فى الاقليم الذى يمر به.

● كان ابن جبير شديد الغيرة لامجاد الاسلام والمسلمين.

● رحلة ابن جبير اضافة الى قيمتها الأدبية فهى تسجل قيمة حضارية وعلمية.

تجاوز الحدود كانوا يلقون مساعدات عامة من مرافق الدولة ومن مراكز الاوقاف، فالتفتيش اذن لم يكن لغاية مادية وانما كان لاسباب سياسية محضة قد يكون التخوف من الصليبيين كما ذكره الاستاذ عبد القدوس الانصارى وقد يكون مرجعها التخوف من الموحدين الذين استقرت دعاياتهم بمصر حسب ما نقرره ولا تنافى بين جمع العلتين معا.

■ ان صلاح الدين كان يعلم علم اليقين ان الموحدين يطمعون فى حكم مصر والشام والعراق والحجاز فهم كانوا يرون ان المسؤولية الدينية تدفعهم الى حماية هذه الاراضى التى تعيش فى اضطراب وفى فرقة وفى تخاذل، ولم يكن من الطبيعى ان يترك صلاح الدين المجال لهم ليحققوا أهدافهم، لذلك كان يحدث لهم من حين لآخر أنواعا من المضايقات والمناوشات الجانبية ليقفوا عند حدودهم فلا يتطلعوا الى توسيع رقعتهم بل كان يحرص على حماية بلاده ببناء المراصد والمحارس وبناء القناطر الحاجزة التى تحول بين بلاده وأعدائه، ولعله كان يعتبر فى أعماقه أن الموحدين هم من أعدائه السياسيين ومن منافسيه الاقوياء ولهذا نراه قد بنى بمصر قنطرة كبيرة جدا تصل الى نحو أربعين قوسا من أكبر ما يكون من قسى القناطر وجعلها متصلة بالصحراء المفضية الى الاسكندرية قال ابن جبير(١٩): «وله فى ذلك تدبير عجيب من تدابير الملوك الحزمة اعدادا لحادثة تطرأ من عدُويدهم جهة ثغر الاسكندرية عند فيض النيل وانغمار الارض به وامتناع سلوك العساكر بسببه، فاعد ذلك مسلكا فى كل وقت ان احتيج الى ذلك والله يدفع عن حوزة المسلمين كل متوقع ومحذور بمنه».

■■ وليس من قبيل الصدفة ان نرى ابن جبير بعد ذكر هذه القنطرة يقول **«ولأهل مصر فى شأن هذه القنطرة إنذار من الانذارات الحدثانية يرون ان حدوثها إيذان باستيلاء الموحدين عليها وعلى الجهات الشرقية والله أعلم بغيبه لا إله سواه»**.

■■ وعلى كل حال فاننا نوافق الاستاذ عبد القدوس فى عدم رضاه بتبرم ابن جبير من التفتيش فى الاسكندرية الا أننا نضيف الى علته التى جاء بها ما قررناه.

●● وبعد فاننا بعد هذا العرض الذى قدمناه يحق لنا ان نعتز بهذه الرحلة وان لا ننسى اليد البيضاء للمستشرق وليام رايت الذى عمل على نشرها وتحقيقها. . وعلى من جاؤوا بعده من الذين حرصوا على تيسير النص بين ايدى الباحثين. وان لا ننسى هذا المجهود الذى بذله الاستاذ عبد القدوس الانصارى فى التعليق عليها وفى ترتيبها واظهار ملامح جمالها ونقد بعض ما يوجد فيها اذا كان يحتاج الى نقد أو تعليق. وانا لنتمنى ان نجد من المثقفين العرب من يحرص على قراءة النص من جديد وان يستشف منه بعض ما غفل عنه السابقون والله يعين ذوى الهمم على تحقيق ما يرغبون فيه. . انه هو الناصر المعين والسلام.



الهوامش

(١) انظر فى العدد ٢٢ من مجلة المناهل التى تصدرها وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب مقالا للاستاذ محمد المنونى تحت عنوان كتاب الشفا للقاضى عياض من خلال رواته ورواياته ففيه ذكر لباقى الرواة الذين اخذوا هذا الكتاب عن ابن جبير.
(٢) ولد فى الهند عام ١٨٣٠م وتوفى بكمبردج عام ١٨٨٩م كان له اهتمام باللغة العربية وقد استفاد كثيرا من المستشرق الهولاندى دوزى اثناء تدريسه بجامعة ليدن.
(٣) اقتبست فى هذا البحث فقرات من مقال نشرته بمجلة المناهل العدد (٣٥) (دجنبر ١٩٨٦) تحت عنوان (المستشرق وليام رايت ومجهوده العلمى فى تحقيق رحلة ابن جبير).
(٤) مع ابن جبير فى رحلته لعبد القدوس الانصارى صفحة ١٧.
(٥، ٦، ٧، ٨) نفس المصدر صفحة ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٣٥.
(٩) نفس المصدر صفحة ٣٢٠ وتوجد هذه الكلمة بالرحلة طبعة ليدن بتحقيق رايت صفحة ٦٠.
(١٠) نفس المصدر صفحة ١١٨.
(١١) نفس المصدر صفحة ٤١، ٤٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧.
(١٢) نفس المصدر صفحة ٧٤ بالهامش رقم ٣.
(١٣) نفس المصدر صفحة رقم ١٧٦.
(١٤) نفس المصدر صفحة ١٦.
(١٥) رحلة ابن جبير طبعة ليدن بتحقيق رايت صفحة ٢٤٢ ومع ابن جبير لعبد القدوس الانصارى صفحة ٢٣٢.
(١٦) رحلة ابن جبير طبعة ليدن بتحقيق رايت صفحة ٣٦.
(١٧) المراد به حاكم مصر من قبل صلاح الدين لا صلاح الدين نفسه كما ظن السيد عبد القدوس الانصارى (انظر مع ابن جبير) صفحة ١٠٠.
(١٨) نفس المصدر صفحة ٥٥ ايضا.
(١٩) رحلة ابن جبير طبع ليدن بتحقيق رايت صفحة ٤٩.

لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات لمحات

المستشرق بريفولت:

إن العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب فى اسبانيا لم تنهض فى عنفوانها إلا بعد مضى وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام.

ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد إلى أوربا الحياة، فعلى الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى إلا ويمكن إرجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون، فى نشأة الطاقة التى تكونه - أى فى العلوم الطبيعية - وفى روح البحث العلمى.

إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجوده نفسه.

فالعالم القديم لم يكن فيه وجود للعلم. وعلم اليونان ورياضياتهم كانت علوماً أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم وأخذوها عن سواهم

وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات، ولكن أساليب البحث الايجابية والبحث التجريبى كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليونانى.

أما ما ندعوه العلم، فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة، لم يعرفها اليونان.

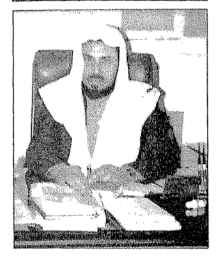
وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب الى العالم الأوربى.

الدراسـ...
وحتمي...

قسم التحقيقـــات



المعهد العالى للدعوة الاسلامية ـ المدينة المنورة



في حــــوار مــــع

الدكتور اسماعيل احمد عمايـــرة

رئيس قسم الاستشراق

أستاذ مشارك في العلوم اللغوية والاستشراق

« الاستشراق » القضية الكبرى التى تشغل المفكرين والعلماء والدعاة والاستشراق هذه الظاهرة العلمية والفكرية ذات التوجهات المتعددة، يظل محور (الهمّ) عند المسلمين لما يطرحه من آراء تصل إلى حد الأباطيل والاكاذيب فى العديد من قضايا الفكر الاسلامى، وان كان بعض المستشرقين قد اتسمت آراؤهم بطابع الصدق والامانة العلمية.

ولاهمية هذا الموضوع فقد توجه المنهل بهذا الحوار الى قسم الاستشراق فى المعهد العالى للدعوة بالمدينة المنورة.. وهو من منشآت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.. فالتقينا بالدكتور اسماعيل عمايرة رئيس قسم الاستشراق وكان معه الحوار التالى:

حـــــوار

ـات الاستشراقية
ـة التخصصيـة

● الدراسة التقويمية لجهود المستشرقين قديمها وحديثها من الضرورات الحتمية والملحة.

● المستشرقون ـ من غير شك ـ لهم دورهم الفاعل فى دراسة التراث الاسلامى والعربى .. ولهم توجهاتهم فى ذلك سلبا وايجابا.

● من المستشرقين من اتسموا بالدقة العلمية والصدق نحو إظهار الحقائق.

● قسم الاستشراق ـ هذا ـ هو الوحيد فى العالم الاسلامى.

■ ما الهدف من وراء انشاء الجامعة لقسم الاستشراق؟ وما هى أهم أهدافه؟

د. عمايرة:

■■ من المعلوم أن المسؤولين فى هذه الجامعة الفتية أدركوا أن المسؤولية منوطة بهم للتعويض عما سلف من اهمال المادة المتراكمة مما أنتجه المستشرقون ولذا كان افتتاح قسم الاستشراق ـ القسم الوحيد فى العالم الاسلامى ـ الذى يدرس هذه الظاهرة دراسة متفرغة جادة وبهذا كان لنا أن نقول: ان قسم الاستشراق قسم متميز فى نوعه متميز فى عظم التبعة الملقاة عليه من جانبين:

أولهما: الدراسة التقويمية لجهود المستشرقين عبر القرون الماضية بما فى ذلك مناهجهم وأساليبهم وارتباطهم بالحركات الاستعمارية والتنصيرية، وغيرها فى الماضى والحاضر على حد سواء الى غير ذلك.

ثانيهما: مواكبة دراسة الظاهرة الاستشراقية فى صورها وأشكالها التى انتهت اليها فى العصر الحديث، والوقوف على صورة تقويمية للجهود الاستشراقية



المعاصرة سلبا وايجابا، وامكان الانتفاع بهذه الجهود أو سبل مكافحتها وتخليص المسلمين من شرورها.

■ وفى سبيل تحقيق هذا الغرض بذل القائمون على هذا القسم جهودا مكثفة منذ تأسيسه عام ١٤٠٤هـ وقد أعدت لذلك المواد والمناهج.. وقد شارك فى اعدادها أساتذة متخصصون من داخل القسم وخارجه، بل راسل المعهد من أجل ذلك كل من استأنس بخبراته وقدراته داخل المعهد وخارجه.

ولعلى أوجز فيما يأتى ابرز اهداف هذا القسم فى النقاط الآتية:

(١) اطلاع الدارسين على ما يحيط بالاسلام والمسلمين من اهتمامات ودراسات.

(٢) عرض مزايا الاسلام ومحاسنه ومناقشة الشبهات المثارة حولها.

(٣) دراسة المؤسسات الاستشراقية دراسة تحليلية وتعريف الدارسين بها وبأساليبها للاستفادة من ايجابياتها وتجنب سلبياتها.

(٤) تخريج علماء متخصصين بهذه الدراسات يكونون على صلة بالقضايا الاستشراقية ومعالجتها معالجة نقدية تقويمية.

(٥) ايجاد وسيلة لاقامة صلات علمية وثقافية بين المسلمين وصفوة من المستشرقين لبيان وجه الصواب لهم.

(٦) بيان أثر الدراسات الاستشراقية فى نقل الحضارة الاسلامية لبلاد الغرب.

(٧) سد ثغرة هامة وحاجة ملحة لمثل هذه الدراسات التى لم تعن بها الجامعات فى العالم الاسلامى بشكل علمى أكاديمى بعد.

■ هل لك أن تحدثنا عن شروط الالتحاق بالقسم؟

د. عمايرة:

■■ ينبغى أن ينبه ابتداء أن قسم الاستشراق قسم خاص بالدراسات العليا اذ ليس فيه مرحلة جامعية والطلبة المتقدمون على نوعين:

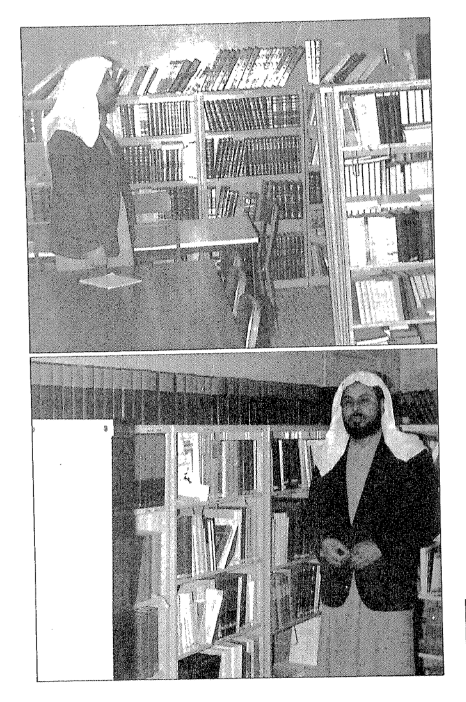
أ ـ طلبة متقدمون لنيل درجة الماجستير ومن أهم شروط القبول بالنسبة لهؤلاء أن يكونوا حاصلين على الدرجة الجامعية الأولى بتقدير جيد جدا على الاقل وأن يكون لديهم المام كاف بلغة أجنبية كالانجليزية مثلا وأن يتفرغ المتقدم للدراسة.

ب ـ أما طلبة الدكتوراة فيشترط أن يكون لديهم المام كاف فيما يتعلق بالاستشراق ويستحسن أن يكونوا من الذين حصلوا على درجة الماجستير فى هذا التخصص، هذه اجابة سريعة وأما بقية الاستفسارات والتفصيلات فيمكن الرجوع الى الدليل لمعرفتها ويمكن الاتصال بالقسم مباشرة.

■ قد يتساءل المرء عن المجالات التى يمكن أن يلتحق بها خريج القسم؟

د. عمايرة:

■■ خريج القسم سوف لن يعانى ان شاء الله من وظائف يمكن ان تتوفر له، فكما هو معلوم لديك أن القسم لديه شعب كثيرة فمثلا خريج القسم فى مجال الدراسات الاسلامية يمكن أن يدرس فى أى كلية تعنى بالدراسات الاسلامية.. وخريج القسم فى شعبة الدراسات اللغوية يمكن أن يدرس فى كليات اللغة العربية.. وميزة خريج القسم على سواه أنه يكون مؤهلا فى العلوم الاسلامية ويأخذ اضافة على ذلك جرعة تتعلق بشبهات المستشرقين وكيفية الرد عليهم، فالمجال أمامه مفتوح جدا ناهيك عن أن الطالب الذى يتخصص فى شعبة الدراسات التنصيرية يمكن أن يشتغل فى مجال الدعوة فى أى مكان فى الخارج أو فى الداخل، وفى مجال مقارنة الأديان.



■ *هلا أعطيتنا فكرة عما يدرسه الطالب فى التخصصات التى تدرس فى القسم؟.*

د. عمايرة:

■■ نعم مثلا - فى «الدراسات الحديثية» على سبيل المثال يدرس الطلبة مواد تأصيلية فى مجال الحديث النبوى - مثلا - مشكل الآثار وعلوم الحديث وتدوين الحديث ومناهج المحدثين.. ومنهج النقد عند المحدثين.. ويدرسون مواد تتعلق بالدراسات الاسلامية كالقرآن وهنا لك بالاضافة الى ذلك يدرس الطالب مواد استشراقية خالصة مثل المستشرقين والسنة وهى مادة يتعرف الطالب من خلالها على موقف المستشرقين من السنة النبوية ويدرس الطالب فيها أصول الحضارة الغربية وخلفيات المستشرقين فى اثارتهم للشبهات المتعلقة بالحديث النبوى وهنالك مواد خاصة بالشعب الأخرى وهى شعبة الدراسات القرآنية، وشعبة الدراسات العقدية، وشعبة الدراسات اللغوية.

● يطمح قسم الاستشراق الى ايجاد مشروع لكتاب دورى يصدر بصورة منتظمة لتقويم الدراسات الاستشراقية.

● القسم عازم على إصدار فهرس لأعمال المستشرقين يساعد الدارس والباحث فى توجهه.

■ ما مستوى طلابكم فى اللغة الانجليزية، وهل تبذلون جهدا خاصا فى سبيل اعدادهم خصوصا أن كثيرا من الطلاب يعانى من ضعف فى اللغة الانجليزية وهل هناك دراسة لغير اللغة الانجليزية؟.

د. عمايرة:

■■ الحقيقة أن اللغة الانجليزية مهمة بالنسبة للطلاب فى هذا القسم ومن هناك كان من شروط القسم، على الطالب فى مرحلة الماجستير أن يكون ملما بلغة أجنبية واحدة على الأقل تكون له القدرة من خلال هذه اللغة على ان يتصل بالكتب والمراجع والا فان المعهد لا يرغب فى طالب يكون ضعيفا فى اللغة ولكن الظروف أحيانا تقتضى قبول الطالب بوضعه الذى قد يعانى فيه شيئا من الضعف فى اللغة الانجليزية، وعندئذ يتولى القسم من خلال ما يعد فيه من دورات تقوية الطالب، وكثير من طلاب القسم يتفرغون الآن لأخذ دورة فى اللغة الانجليزية فى جدة وفى الرياض وهى دورات مكثفة حتى يتهيأوا لاعداد بحوثهم فى رسالة الدكتوراه.

وأما من حيث دراسة غير الانجليزية فهنالك لغات أخرى جربنا أن نعقد لها دورات فى القسم كاللغة الالمانية مثلا واللغة العبرية أيضا لكن لم يكن هذا على مستوى رسمى وانما على شكل دورات تطوعية يقوم بها الأساتذة تلبية لرغبات الطلاب الطموحين.. أما تكثيف جهدنا الآن فينصبّ على اللغة الانجليزية بالدرجة الأساسية.

■ هل فى القسم طلبة من الخارج؟.

د. عمايرة:

■■ نعم هنالك طلبة كثيرون ممن أتاحت لهم الجامعة فرصة الدراسة فى قسم الاستشراق - وجامعة الامام كما هو معلوم لديكم جامعة اسلامية لها رسالة دعوية، لذلك أتاحت الفرصة لطلاب من أقطار مختلفة لكى يدرسوا قضايا الاستشراق ويعرفوا كيف يعالجونها اذا ما عادوا الى بلادهم.

■ ليتكم أعطيتمونا فكرة عن مكتبة القسم وما هى طموحاتكم فيما يتعلق بتنميتها؟.

د. عمايرة:

■■ قسم الاستشراق يقتضى بالضرورة أن تكون له مكتبة خاصة وخصوصيتها تأتى من أنها مكتبة محدودة الاطلاع بمعنى أن كتبها لا يطلع عليها فى كثير من الأحيان عامة الناس، وفى القسم الآن مجموعة مهمة من الكتب والدوريات الاستشراقية اللازمة التى يعود العدد الأول من بعضها الى سنة ١٨٤١م مثل مجلة (ZDMG).. ومجلة دير اسلام واسلامكا.. وغيرها من المجلات وكلها مجلات مهمة فى مجال الاستشراق ولكننا نحتاج الى المزيد.

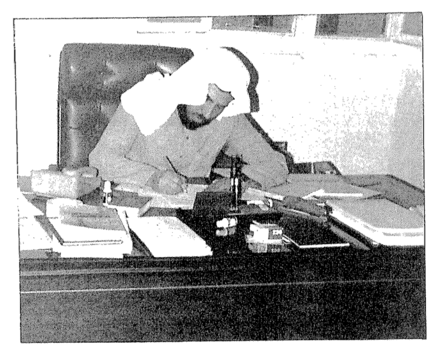
اتوجه الى قسم التزويد بمكتبة الجامعة برجاء حار فى أن يراعى عند شراء الكتب مراعاة حاجة القسم، بل اقترح أن يكون ثمة تنسيق بين الجهة المسئولة عن التزويد فى المكتبة العامة وقسم

الاستشراق.

■ ما هي طموحات هذا القسم المستقبلية؟.

د. عمايرة:

■■ ان القسم يؤمن بضرورة مسايرة التطورات والمستجدات ولا سيما أن الاستشراق يتخذ أشكالا عديدة ويطور من أساليبه ووسائله، وكثير من المنصرين والمستشرقين يقيمون فى سبيل عملهم الاستشراقى المؤتمرات والندوات الدورية كما يقومون باصدار المجلات الدورية، وذلك بمختلف اللغات وينشرون فيها شبهات يريدون بها الطعن فى الدين الاسلامى والتشكيك فيه، كما يعنون بنشر الكتب للغرض نفسه وهذا من شأنه أن يجعل للاسلام صورة غير لائقة عند كثير من الناس وبخاصة فى أوروبا، فلذا يرى القسم أن من الضرورى التصدى لهذه الحملات الاستشراقية ودحض الشبهات - فمن هنا فان القسم يطمح فى ايجاد مشروع لكتاب دورى يصدر بصورة منتظمة لتقويم الدراسات الاستشراقية بنظرة موضوعية تشتق منهجها من قول الله تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا**﴾.. الآية.. كما يطمح فى أن تكون له ندوة علمية سنوية خاصة بالقضايا الاستشراقية والتنصيرية ليتسنى دراسة بعض الجوانب الاستشراقية والتنصيرية



دراسة موضوعية.. ويطمح القسم - ايضا - فى إيجاد شعبة للترجمة.

■ ماذا عن جهود القسم فى مجال ترجمة النصوص الاستشراقية وهل ترجمتم شيئا منها؟.. وهل هنالك سياسة معينة لاختيار النص المترجم؟.

د. عمايرة:

■■ من المعلوم ان المادة الاستشراقية التى اعدها المستشرقون والمنصرون على مدى خمسة قرون او تزيد قد بلغت عشرات المئات من البحوث التى خصصت لها الكتب والدوريات والمؤتمرات، وقد كتبت هذه بلغات عالمية متعددة.. ويشيع خطر انتشارها فى الاوساط الاوربية والاسلامية، ولما كان قسم الاستشراق معنياً اكثر من سواه بهذه المادة الاستشراقية والتنصيرية كان حريا به ان يقوم بعبء الانتقاء من بين هذه البحوث الاستشراقية والتنصيرية اخطرها واهمها لكى تكون الترجمة بمثابة التمهيد لدراستها من قبل المختصين من داخل القسم او خارجه.

■ ان فهرسة اعمال المستشرقين ضرورية تمهيدا لحصرها ودراستها فهل فكرتم بشىء من هذا؟.. وهل هيأ القسم نفسه لمثل هذه الدراسة؟..

د. عمايره:

■■ ان القسم عازم ان شاء الله على هذا المشروع لان من اهم مستلزمات العمل فى هذا القسم بل من اهم مستلزمات المتخصصين فى الدراسات الاسلامية والاستشراقية ان تكون لديهم فهارس وبرامج لمتابعة ما كتبه المستشرقون بلغاتهم المختلفة.

■ هل يمكن ان يجرى تنسيق بين قسم الاستشراق وبعض المؤسسات الدعوية؟ .

د. عمايره:

■■ هذا ما ينبغى ان يكون وبخاصة ان جامعة الامام كما تعلم لها نشاط فى نشر الدعوة الاسلامية وهذا هدف من اهدافها وهنالك مؤسسات فى داخل المملكة ايضا تعنى بهذا. . فدار الافتاء فيها جهة مختصة بنشر الدعوة فى الداخل وجهة مختصة بنشر الدعوة فى الخارج فسيكون من المناسب جدا لو نُسق بيننا وبينهم وستكون فرصة طيبة ليتدرب الطالب من خلالها وهى تحقق غرضا لتلك الجهة.

■ هناك من الناس من يرى ان دراسة شبه الاستشراق تؤدى الى الشكوك فلا حاجة بنا اليها فبماذا تردون عليهم؟ .

د. عمايرة:

■■ الحقيقة ان الشبهات التى يثيرها المستشرقون لا ينبغى ان تكون عنصرا مساهما فى اثارتها، وليست هذه وظيفتنا اصلا وانما وظيفتنا ان نسلط الضوء على زيف هذه الشبهات. والشبهات فى حقيقة الامر مثارة ومنشورة فى كتب أو فى مجلات مصورة وفى وسائل الاعلام الاجنبية الموجهة الى العالم الاسلامى. . ودورنا يتمثل فى حصر هذه الشبهات والى تفنيدها والرد عليها، فنحن لا نثير شبهة وانما نرد على شبهة، وفى عصرنا هذا بات لزاما على فئة من المسلمين أت تتخصص فى الرد على الشبهات، وانا اعد هذا فرض كفاية لابد من ان تنهض به فئة خاصة، والحقيقة ان الشبهات والرد عليها امر ليس بالجديد فعلى مر العصور والمشككون يثيرون شبهاتهم وشكوكهم ويتصدى لهم العلماء.

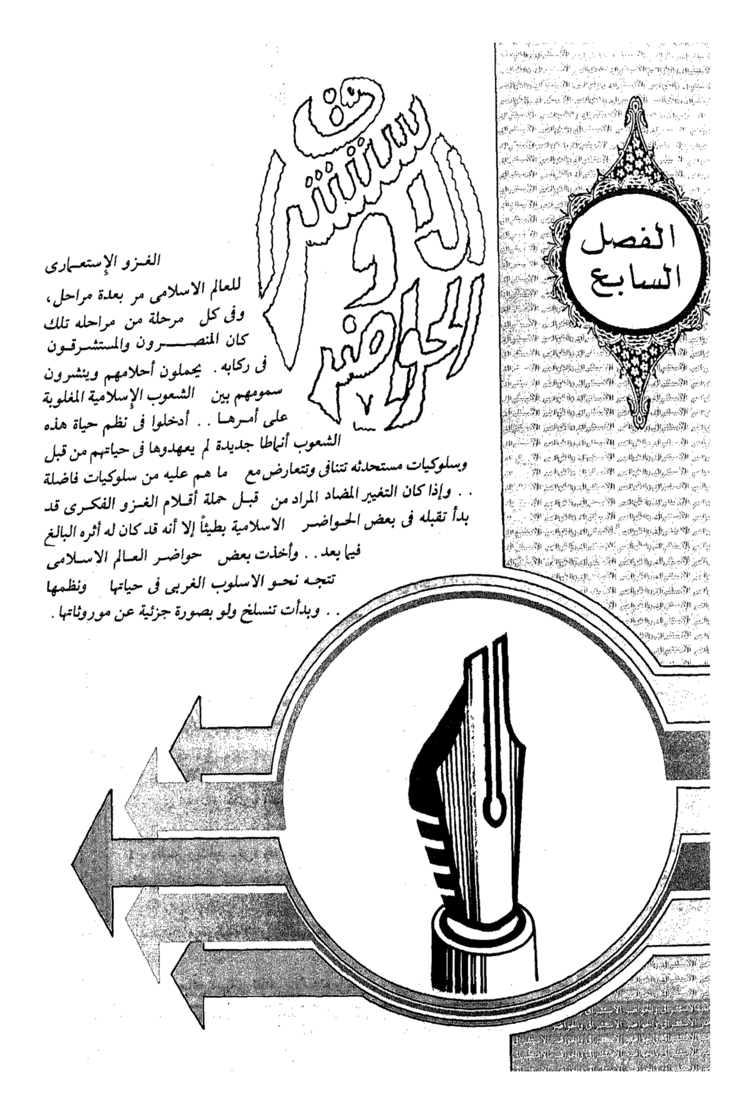
■ هل من كلمة توجهونها للشباب المسلم فى هذا العصر؟ .

د. عمايرة:

■■ احب ان انبه الشباب الى شيء يعرفونه ذلك ان الاعداء سواء أكانوا من المنصرين أم المستشرقين أم الشيوعيين أم الرأسماليين وغيرهم يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويعملون ليل نهار فى سبيل تنفيذ مخططاتهم لاحباط الشباب المسلم والوقوف فى طريقه السوى، ولكن مع ذلك ولله الحمد والمنة ارى ان هناك صحوة فى الشباب المسلم تتهيأ للوقوف امام هذه التيارات الجارفة، ومع هذا فانى اوصى الشباب ان يكونوا على قدر كبير من الايمان العميق الذى يثبت امام تلك الموجات وأن يكوّنوا انفسهم علميا، ويحاولوا قدر الطاقة تكميل انفسهم خلقا ليكون الشباب المسلم هو الشباب الأمثل فى كل جوانب الحياة.

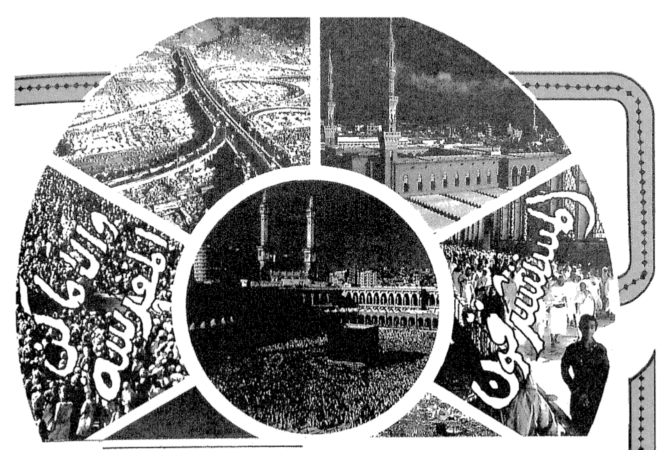
واوصيهم بتقوى الله تعالى اذ الوصية بالتقوى هى اعظم وصية واوصيهم ان يكونوا دعاة الى الهدى والنور **﴿ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين﴾**.

■ نشكركم على إتاحة هذه الفرصة لنا ونسأل الله تعالى ان يحقق امانيكم وان يكون عونا لكم على سد هذه الثغرة التى تقفون عليها، وجزاكم الله خيرا.



الغزو الإستعماري

للعالم الاسلامى مر بعدة مراحل، وفى كل مرحلة من مراحله تلك كان المنصـــرون والمستشرقـون فى ركابه. يحملون أحلامهم وينشرون سمومهم بين الشعوب الإسلامية المغلوبة على أمرهـا . . أدخلوا فى نظم حياة هذه الشعوب أنماطا جديدة لم يعهدوها فى حياتهم من قبل وسلوكيات مستحدثه تتنافى وتتعارض مع ما هم عليه من سلوكيات فاضلة . . وإذا كان التغيير المضاد المراد من قبـل حملة أقـلام الغـزو الفكـرى قد بدأ تقبله فى بعض الحـواضـر الاسلامية بطيئاً إلا أنه قد كان له أثره البالغ فيما بعد . . وأخذت بعض حواضـر العـالم الاسـلامى تتجـه نحـو الاسلوب الغربى فى حياتها ونظمها . . وبدأت تنسلخ ولو بصورة جزئية عن موروثاتها .



بقلم الدكتور: محسن جمال الدين

لقد زار الاراضى المقدسة عدد من المستشرقين منهم من أسلم ومنهم من تزيا بزي الاسلام. . وإذا ما بحثنا فى غضون المؤلفات الاوربية، ودوائر المعارف الخاصة بهذه البحوث، وبعض المؤلفات العربية المعاصرة نجد ابحاثا مسهبة عن دراسات وابحاث هؤلاء العلماء واول من قام برحلة الى البلاد العربية ووصف شبه جزيرتها، ولفت أنظار الباحثين فى أوربا لهذا الجزء المهم من الشرق الاوسط من (الدنمارك):

١ - العالم الدنماركى «كارستن نيبور» الذى قام عام ١٧٦١ برحلته الى شبه الجزيرة العربية بناء على رغبة ملك الدنمارك.

■ ومن سويسرا:

٢ - «ليدريكك بركهارد» أسمى نفسه ابراهيم عبد الله وتزيا بزى المسلمين ودخل (مكة والمدينة) ووصف موسم الحج وصفا بارعا، وكتب مؤلفه (فى البلاد العربية) ونشره فى لندن والمانيا عام ١٨٢٩م.

■ ومن ألمانيا:

٣ - الرحالة الالمانى «فون مالتزن» الذى درس اللغة العربية واللهجة المغربية فى شمال افريقيا، وزار الاماكن المقدسة وتزيا بزي الحجاج المغاربة وتظاهر بانه منهم وطبع رحلته عام ١٨٦٥ فى ليبسك - ألمانيا.

■ ومن انكلترا:

٤ - «السير ريشارد برتن» وقد تنكر بزى مسلم وأسمى نفسه (عبد الله) وزار الحرمين وكتب سياحته هذه (مكة والمدينة) نشرت فى لندن عام ١٨٥٧ فى مجلدين مصورين ورسم صورة ملونة جميلة (للحاج) وصورة (للتختروان).

■ ومن هولندا:

٥ - «سنوك هرغرونيه» الذى وصف الحياة فى الحجاز، وموسم الحج عام ١٨٨٥.

■ومن أسبانيا:

٦ - هناك سائح اسبانى تظاهر بالاسلام وارسل من قبل حكومته وأسمى نفسه على بك العباسي.

●● ان مشكلة الاسلام فى نظر الغرب هى مشكلة الصراع الدائم بين عقليتين، عقلية تريد الاستقرار، وعقلية تريد الاضطراب.

افكار لازالت تؤمن: بان الشرق هى مخزن الثروة التى يجب ان تستغل وتؤخذ وان أهله هم عبيد، وحشم، واتباع، لأؤلئك السادة الذين يعيشون فى ناطحات السحاب، وبرج ايفل وحدائق لندن. هذه الفكرة منذ العصور الوسطى، وأزمان الحروب الصليبية، لازالت راسخة فى اذهان الاوربيين يعملون فيها دون هوادة، أو تأخير، وعلى أساسها حمل بعض المستشرقين أقلامهم وسجلاتهم وكتبهم يتبعون خطى الاسلام فى كل زمان ومكان يحاولون معرفة اسراره، او يخلقون حوله الاسرار ويجربون الغمز فى تعاليمه مع وضوحها وبساطتها وانسانيتها.

والمستشرقون فئات وتخصصات:

١ ـ فئة تراها اختصت باديان الشرق ومذاهبه.

٢ ـ فئة اختصت بلغاته ولهجاته.

٣ ـ فئة اهتمت بحياته البشرية والاجتماعية.

٤ ـ فئة فى طبيعة بلاده الجيولوجية والحيوانية.

٥ ـ فئة فى آثاره وعادياته.. وغير ذلك من مجالات الاختصاص الاخرى وترى منهم من تزيا بزى الشحاذين أمثال اليهودى الفرنسى (هاليفى) ومنهم من تزيا بزى الطبيب أو الصيدلى.

■ أما الكتب التى ألفت عن شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ فهى عديدة، لا يمكن حصرها فى هذه الدراسة منها كتاب «حياة محمد» (لواشنطن ايفرنج) وكتاب المستشرق (براجه) (جزيرة العرب قبل محمد فى الآثار) والمستشرق الايطالى (كتبانى) (تاريخ الاسلام) والمستشرق (أولبرى) (البلاد الغربية قبل محمد).

ولا ننسى السيدات امثال (آنة بلنت) نشرت كتابها عام ١٨٨٣ وكانت مولعة فى الظاهر بدراسة الخيول العربية و (النبيلة الانكليزية) الاخرى الليدى انفلين كوبولد التى نشرت كتابا خاصا عن زيارتها لحج بيت الله الحرام والمدينة وعنوانه «البحث عن الله» الذى عرّبه الأستاذ عمر ابو النصر وهو من الكتب الجذابة بصورة مذكرات يومية وبه روحانية وحرارة ودفاع عن الاسلام ورسالة الرسول ﴿ﷺ﴾ وسنثبت مقتطفات منه.

■ ونرى من المستشرقين من هاجم الرسول الاعظم ﴿ﷺ﴾ خاصة والاسلام عامة ولكنه لم ينس جوهره وعظمته، والخوف منه أمثال (هانوتو) الذى رد عليه المرحوم الامام الشيخ محمد عبده فى كتابه «الاسلام والرد على منتقديه» وكذلك القس الانكليزى (روبمر) وقد خصص الكاتب المنصف **(الكونت هنرى دى كاسترى)** فى كتابه **(الاسلام خواطر.. وسوانح)** عدة صفحات فى الدفاع عن الاسلام ونظر المغرضين فيه ونشره سنة ١٨٩٦ وجعل الملحق منه بعنوان (افكار المسيحيين من القرون الوسطى بالنسبة للنبى والدين الاسلامى)، وفيه ما فيه من أساطير الاوربيين ومبتدعات قصصهم عن الاسلام وشخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ وتعاليمه.

■ وان القلم ليأبى ان يثبت نماذج من سبابهم وشتائمهم التى لا مبرر لها الا الخوف والحقد والمرض ومنذ ان نشأت فكرة الحروب الصليبية فى الاندلس، والمشرق.

●● **قال المؤلف «دى كسترى» فى كتابه: (الاسلام خواطر وسوانح)**

«والذى نستخلصه مما تقدم انه يجب على الدول الأوروبية التى تميل الى التوسع فى الاستعمار أن تعرف ديانة

رعاياها أو أصدقائها المسلمين كما ينبغي اذ الدول لا تزال حتى الساعة على اعتقادها الذى كانت عليه أيام القرون الوسطى ـ وهو ان الاسلام صورة من صور الديانة الوثنية» .

■ وجاء المستشرق النمساوى الذى أعلن سنة ١٩٢٦م اسلامه وأسمى نفسه محمد أسد فدافع عن الدين الاسلامى فى كتابيه «**الطريق الى مكة**» و«**الاسلام على مفترق الطرق**» وزار البيت الشريف ودرس القرآن الكريم وقضى خمس سنوات فى الحجاز ومما قاله فى عنوان (شبح الحروب الصليبية) فى كتابه (**الاسلام على مفترق الطرق**) .

«والواقع ان المستشرقين الاولين فى الاعصر الحديثة كانوا مشردين نصارى يعملون فى البلاد الاسلامية ، وكانت الصورة المشوهة التى اصطنعوها عن تعاليم الاسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير فى موقف الاوربيين من «الوثنيين» غير ان هذا الالتواء العقلى قد استمر مع ان علوم الاستشراق قد تحررت من نفوذ التبشير ولم يبق لعلوم الاستشراق هذا عذر وحمية دينية جاهلية تسىء توجهها . أما تحامل المستشرقين على الاسلام فغريزة موروثة وخاصية طبيعية تقوم على المؤثرات التى خلفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول فى عقول الاوربيين الاولين» .

●● ويجدر بنا الآن أن ننهى هذه الدراسة بمختارات طريفة من كتاب الليدى الانكليزية (**ايفلين كوبولد**) التى كانت من الاوائل الاوربيات اللواتى زرن مكة والمدينة وسجلن انطباعاتهن كمسلمات أجنبيات . وقال عنها المعرب الاستاذ ابو النصر فى مقدمة كتابها .

«أما نحن فنعتقد انه ما سبق قبل اليوم لسيدة انكليزية وان كانت مسلمة ، ان تمكنت من الدخول الى مكة ، والمدينة المنورة والقيام بشعائر الحج والاحرام ، ولا سبق ان عرضت واحدة منهن الى ما يعتور عواطفها ، ويضطرب فى فؤادها حين تعتنق الاسلام دينا ، وتؤمن بالله ربا ، وتمشى الى البيت العتيق محرمة حاجة ، وقد خلفت الدنيا وما فيها واستقبلت وجه الله لا إله إلا هو العلى العظيم جل جلاله» .

■ هذا ما قاله (المترجم) اما ما قالته (المؤلفة) البارعة عن الاسلام والحج ومكة والمدينة فهذه بعض الازاهير من روضة كتابها (البحث عن الله) .

«وليس غريبا اذا ما راح المرء يفكر بان الاسلام هو الدين الطبيعى الذى يعتنقه المرء فيما لو ترك لنفسه ، ولم يفرض عليه أبواه الدين الذى يعتنقه فرضا» .

«وباعتقادى بان الدين الاسلامى اكثر الاديان طواعية وعملية وقربا من العقل وانه الدين الوحيد الذى يستطيع تفسير النظم المعلقة الحاضرة والبلوغ بالانسانية الى ما ترجيه وتطلبه من سلام وطمأنينة»

●● **أما عن الحج فقد قالت :**

أما الحج نفسه فليس مَنْ ينكر كبير شأنه وعظيم خطره ، وما يغمر النفس فيه من انطلاق الى المثل الروحية العليا ، وانفلات من اعراض الدنيا ، والتوجه الى الله بقلب سليم ، مع الالوف المؤلفة من البشر على اختلاف امصارهم ، وتباعد لغاتهم ، وتعدد مشاربهم واذواقهم وقالت :

. . « ومن فوائد الحج انه يوطد الوحدة الاسلامية ويغذى الاخوة الإسلامية .

ومما قالته فى الفصل الذى عقدته (الى مدينة الرسول) : «ولكننى ما كدت أغمض عينى حتى اخذت استمع لصوت رقيق يقرأ القرآن ، وكان الصوت ظاهرا بينا ، بحيث كان بطوقى ان اعرف انه يقرأ سورة يوسف ، وعلى ترتيل هذا الصوت الجميل ، والكلمات الالهية ، أغمضت عينى واسلمت نفسى الى الله» .

وتحدثت عن النساء اللواتى تعرفت اليهن فى المدينة المنورة فقالت :

. . «ورحن يسألننى عن سبب اسلامى ، فحدثتهن ، فطلبن منى قراءة بعض سور القرآن ، لما اخبرتهن بمعرفتى للعربية ، ففعلت وقرأت لهن سورة ياسين التى كنت أحفظها عن ظهر قلب .

وقالت عن التهم التى يوجهها الغربيون الى الاسلام ونبيه وما يدعونه عن بعد الاسلام عن الرحمة فى معاملة الشعوب المغلوبة «لا أدرى كيف يكون الاسلام بعيدا عن الرحمة وهو لم يجبر جماعة واحدة على اعتناق دينه بالقوة وفاقا لما أمر به القرآن من انه ﴿لا اكراه فى الدين﴾.

وعندما وقفت على قبر الرسول ﴿ﷺ﴾ تودعه قالت: «وقفت باهتة ذاهلة باكية مسترجعة، من خشية الله».

ثم تنتقل المؤلفة الى مكة المكرمة فتصف شعورها وعواطفها وملابس الاحرام وشدة الحر، وازدحام الناس، والطواف وتقبيل الحجر الاسود، وزيارة منى وعرفات، وما لاحظته فى غسل الكعبة الشريفة.. ومما قالته عن بيت الله الحرام فى الفصل الخاص بمكة.

■ قالت:

«لقد طفت وسعيت فى البيت وزرت الكعبة وطفت حولها وما كنت فى هذه اللحظات غير ذرة بين هذه العوالم العديدة التى كانت تحيط بالكعبة وتصلى وتطوف وتدعو.

■ وقالت أيضا:

«ولقد تولانى ما تولى هذه الجماعات التى لا اعرفها، والتى أتت الى البيت الحرام، من مختلف الاصقاع والامصار من خشوع وذهول وتوبة، واستغفار، وايمان، فرفعت رأسى الى السماء، ودعوت مع الداعين، وبكيت مع الباكين، طفت مع الطائفين وأسلمت نفسى للواحد الاحد، وغمرتنى روحية الاسلام فتناسيت نفسى وتناسيت كل شىء.

وفى الفصل الذى خصصته «الى عرفات» قالت: «ولعمرى ان يوم الحج فى عرفات يشبه يوم الحشر فى كثرة العديد، ووفير العدد، ولكنه حشر للثواب، مغمور بالرحمة، مبشر بعناية الله ورضوانه».

كل هذه الصور نقلتها المؤلفة بصراحة، وحرارة ايمان، مع مقارنات تاريخية، بين الاوربيين والمسلمين، والحروب الصليبية، وسماحة العرب، وقادتهم، وحضارتهم فى الاندلس والمشرق. وقد استشهدت باقوال **المستشرق الدكتور (ماردريل)** الفرنسى، **والعالم المؤرخ الانكليزى (كارليل) صاحب (الابطال)، والفيلسوف الالمانى «غوته»**.

■ قال كارليل الانكليزى عن الاسلام: «نعم ان كل فرد ينعم بهذه الحياة الخلقية فهو مسلم، يحيا وفاقا للتعاليم الاسلامية».

ومما قاله ـ غوته ـ الالمانى عن الاسلام: «اذا كان هذا هو الاسلام كما هو مسطور فى تعاليمه ومعتقداته.. فكلنا مسلمون».

■ لست أستطيع ان اثبت ما قاله هؤلاء عن الدين الاسلامى، وشعائره الدينية، وليس من الممكن ان أثبت اسماء جميع انصاره وخصومه، ولكنى اقتصرت على بعض من أولئك الرواد الذين امتازت نفوسهم بالصبر والمغامرة، ودقة الملاحظة والكشف عن أمور نراها كل يوم فى حياتنا وفى شرقنا العربى، ولكن ترانا نتجاهل تسجيلها ودراستها العلمية بينما هى من صميم واقعنا، وتاريخنا، ومجتمعنا واذا طالعنا فى سجل المستشرقين وحياتهم ودراستهم وبحوثهم سرعان ما يغمرنا العجب، وتشملنا الدهشة. ذلك لانهم عملوا ولا زالوا يعملون ونحن كسلنا ولازلنا نكسل، والفرق بين المُجِدّ والكسلان، هو الفرق بين المتحرك والجامد، بين الحى والميت.

■ ومع هذا فستبقى للاسلام ورسالته، عظمته الروحية، وبساطته الدينية، ولكن يجب الا ننسى دائما واقع الحروب الصليبية التى تشنها علينا الدول الاستعمارية، فهل ترانا عاملين واعين يقظين؟ أم نظل فى تجاهل الواقع، وفى نسيان الماضى، وفى اهمال المستقبل؟ ***﴿فاذا أفضتم من عرفات، فاذكروا الله عند المشعر الحرام، واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين﴾***.

الحياة الاجتماعية
بين الاستعمـ

● الاستعمار الفرنسي فى المغرب العربى اتخذ مجموعة من السبل والوسائل لتفكيك المجتمع المغربى منها الضغوط الاقتصادية والسياسية.

● استغل الفرنسيون الدراسات الاستشراقية الداعية الى الفرقة بين العرب والبربر لتفتيت وحدة ذلك المجتمع.

● حارب المستعمر الدين الاسلامى، وقلص ساعات تدريسه فى المدارس، واضطهد علماء الدين.

بقلم الاستاذ مازن صلاح مطبقانى

وقعت دول المغرب العربى الثلاث «تونس والجزائر والمغرب» تحت وطأة الاحتلال الفرنسى فتأثرت بوجوده فى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقد تحدثنا فى بحث سابق(١) عن تعاون الاستشراق والاستعمار فى دراسة الحركة الاسلامية والوقوف فى وجهها وعرقلة نشاطها، كما بينا أن الاستشراق لم يكن حركة فكرية محضة بحيث يقبع المستشرقون فى مكاتبهم يبحثون فى أحوال المغرب العربى، أو يقومون بدراسات ميدانية مستقلة، بل تولى عدد منهم مناصب سياسية هامة حتى ان القليل منهم من عرف بوصفه مستشرقا ـ وقد حمل هذا بعض الباحثين المسلمين على التعجب من ربط الاستشراق بالاستعمار فى البلاد المستعمرة، أما المستشرقون الذين لم يرتبطوا بالاستعمار ارتباطا مباشرا فان دراساتهم كانت مصدر معلومات لرجال الاستعمار يستخدمونها «لتدبير شؤون الأهالى».

ـة في المغرب العربي
يعقوب

ـار والاستشراق

■ وفى هذا البحث سنتحدث عن الجهود المشتركة بين الاستشراق والاستعمار فى دراسة الأوضاع الاجتماعية، وسوف ينقسم هذا البحث الى عدة محاور أولها: تفكك الروابط الاجتماعية. . والثانى: الأوضاع الاقتصادية وآثارها فى الحياة الاجتماعية. . والثالث: الأخلاق والسلوك الاجتماعى. . والرابع: موضوع المرأة.

أولا: محاولة تفكيك الروابط الاجتماعية:

اذا كان من الأساليب الأساسية للاستعمار «فرق تسد» فقد طبق الاستعمار هذا المبدأ فى عدة صور منها:

أولا: انه منذ بداية الاحتلال وجد المستعمر ما يسمى بالملكيات الجماعية فأصدر فى الجزائر القوانين المختلفة لتحطيم هذه الملكيات، ففى عام ١٢٩٠هـ، (٢٦/٧/١٨٧٣م) أصدرت السلطات الفرنسية قانونا يحدد الأراضى المشاعة(٢) وكان قبل هذا التاريخ قد أصدر وزير الحربية الفرنسى قانونا ينص على أن «مصاريف ومداخيل المؤسسات الدينية تضم الى ميزانية الاستعمار»(٣). . وأما ما بقى من أراض محدودة فى أيدى الجزائريين فقد بدأت تنتقل الى أيدى المستوطنين الفرنسيين عندما عجز أصحاب الأرض عن دفع ما عليهم من ضرائب باهظة. . وكذلك من جراء المصادرات التى كانت تتبع كل حركة يتمرد فيها الأهالى على ظلم المستعمر(٤).

■ إن هذه الأعمال التى قام بها الاستعمار وان كانت تبدو إجراءات اقتصادية فانها أدت الى نتائج اجتماعية خطيرة، فالقبيلة التى كانت تملك قطعة من الأرض مشاعة بين أفرادها ثم حرمت من هذا الحق لأنها لم تستطع الاتفاق على طريقة تقسيمها اضطرت لتركها أو بيعها ثم مغادرة الأرض بعد أن تكون الخلافات قد أدت التأثير الذى أراده المستعمر

أما الأمر الثانى: فان هذه القبائل بعد فقدان أراضيها للأسباب التى ذكرناها انتقلت للعيش فى المدن ولكن ليس داخلها وانما على أطرافها وفى بيوت من الصفيح لا تليق بالانسان. . وقد انعدمت عن هذه المساكن كل مقومات الحياة الصحية(٥). . ويؤكد هذا التحليل ما نقله كاتب جزائرى عن كتاب «هل تصبح الجزائر فرنسية؟»:

«يجب علينا أن نستولى شيئا فشيئا بدون هوادة ولا شفقة على جميع مزارعهم ومراعيهم ونثقل كواهلهم بضرائب مرهقة حتى تتعذر عليهم الحياة. . فإما أن يثوروا واما أن ينخرطوا فى جيش فرنسا للدفاع عنها»(٦).

● حاولوا اقناع البربر بأنهم من سلالة أوروبية لهم خصائصهم وأعرافهم المغايرة للعرب، سعيا منهم إلى إبعادهم عن الاسلام واللغة العربية.

● حاولت الإدارة الاستعمارية استغلال بعض ارباب الزوايا وتقربوا إليهم بالهبات والمناصب والمعاملة الخاصة ليصلوا بهم الى غايتهم.

ثانياً: وهناك وسيلة أخرى استخدمها الاستعمار فى محاولة تفتيت وحدة الشعب وكانت الدراسات الاستشراقية هى معول الهدم فى هذه الوسيلة التى تقوم على تقسيم البلاد بين عرب وبربر، فقد شرع علماء الاستعمار ومستشرقوه فى الكتابة حول الفروق بين العرب والبربر، فزعموا أن البربر لم يدخلوا الاسلام إلا بعد مقاومة عنيدة.. وعدّوهم نافرين من الاسلام على النحو الذى نفروا فيه من العبادات الفينيقية والوثنية الرومانية ومن اليهودية والمسيحية(٧) ثم اذا سلّم هؤلاء المستشرقون بإسلام البربر فانهم يشككون فى صدق اسلامهم وأن هذا الاسلام كان مشوبا بأحوال وأوضاع خاصة بهم(٨).. وقد تجاوز الأمر هذا الحد إذ عدوا الاسلام متأثرا بالمعتقدات الوثنية البربرية ـ وهذه عبارة المستشرق الكندى الذى ذكر هذا: «فى المغرب ليس البربر هم الذين تأثروا بمقدار ما تأثر الاسلام بالبربر»(٩).

■ ولقد وعى الجزائريون وكذلك إخوانهم المغاربة هذا الأمر فكتب جزائرى يقول «ورسمت السياسة الفرنسية وسيلة أخرى تعتقد أنها ستريح بها اللعبة وهى بث الخلاف بين عناصر المجتمع الجزائرى.. بين العرب والبربر.. وحاولوا أن يقنعوا البربر أنهم من سلالة أوربية.. وأن لهم لغة خاصة لا ينبغى التفريط فيها.. وأن يمنعوا تعليم العربية للبربر»(١٠).

■ ومن أمثلة هذا الوعى أن بعض الجزائريين أدركوا هذه الأهداف فكتبت جريدة (الميدان) الجزائرية تنتقد جريدة جزائرية أخرى تأثرت بالفكر الفرنسي وتتبناه ونادت بأن العرب والبربر «أمتان أجنبيتان عن بعضهما وأن لكل أمة منهما عاداتها واعتقادها ولغتها وقوميتها»(١١).

■ لقد ظن الاستشراق والاستعمار أنه حقق بعض النجاح فى بث الخلاف بين الغرب والبربر تنفيذاً لهدفه السياسى فى فرض سيادته وسيطرته على المجتمع المغربى بيد أن هناك أهدافاً أخرى افصحت عنها أقلام المستشرقين منها: تنفيذ مخطط التنصير فى بلاد البربر بعد عزلهم عن الاسلام واللغة العربية واقناعهم أنهم من سلالات رومانية(١٢) فقد كتبت مجلة كاثوليكية تقول: «إن البربر قريبون من الانجيل وإن أمثال الانجيل تشبه أمثال البربر» ويتساءل الكاتب: **«لماذا لا يكون الانجيل اذن هو مركز الاتصال الذى تلتقى فيه الروح البربرية والروح الفرنسية؟»(١٣).**

■■ أى مغالطة هذه التى تقرب بين النصارى والبربر أو بين الانجيل والبربر، ولكن هكذا يرى بعض المستشرقين الأمور، إن البربر بعد أن عاشوا بالاسلام وللإسلام أكثر من مئتى سنة وألف يصبحون فى نظر هؤلاء المستشرقين أقرب للانجيل.

■■ ولا نعجب اذا وجدنا فريقا من المنصّرين يعترف بأهداف الساسة الفرنسيين، فقد كتبت مجلة فرنسية أخرى تؤكد محاولة بعض السياسيين إيجاد سياسة خاصة بالبربر ترمى الى إثارة العداوة بينهم وبين العرب عملا بالمبدأ القائل «فرق تسد»(١٤) وقد انطلق المنصرون لتنفيذ هذه السياسة مستفيدين من المدارس الابتدائية والثانوية ومدرسة تكوين المعلمين التى أنشأتها الحكومة الفرنسية، ولم يكن اختيار المناطق البربرية عفويا بل لأنها كانت ـ فى نظرهم ـ أقل تأثرا بالثقافة الاسلامية التى لم تدخلها الا عن طريق المؤسسات الدينية(١٥).

■ ومن أبرز القوانين التى أقرت فى أثناء عهد الاحتلال الظهير البربرى ـ والظهير البربرى مرسوم أصدره سلطان المغرب عام ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م) يقضى بأن يكون للبربر نظامهم القضائى الخاص بهم الذى يستمد قانونه ومواده من التقاليد والأنظمة البربرية وقد فهم المغاربة أهداف هذا الظهير فقاموا ضده قومة رجل واحد حتى فشل العمل به ولكن آثاره كانت عميقة لما صحبه من دعاية ضخمة قام بها المستشرقون والادارة الاستعمارية، فمن هذه الآثار ظهور كُتّاب من البربر أمثال حسين الحمق الذى نشر كتابا بعنوان «رسائل جزائرية» يمجد فيه الشعب البربرى الذى أنجب يوغرتا وماسينيا والقديس أغسطس، ويعلن فيه أن أغسطس أقرب اليه من سيدى عقبة، ويظهر أسفه على دخول الاسلام بلاد البربر مؤكدا أن مستقبل فرنسا والجزائر لن يمثله سوى البربر(١٦).

ثالثا: وهناك فئة أخرى تطلع إليها الاستعمار والاستشراق لاستخدامها فى تفكيك أواصر المجتمع المغربى وهى الطرق الصوفية التى وقفت وقفة شجاعة فى محاربة الاحتلال خلال القرن التاسع عشر، ولما ابتعد بعض رجال الطرق الصوفية عن بعض تعاليم الاسلام تقرب اليها الاستشراق والاستعمار معا، فكان اهتمام المستشرقين وعنايتهم بظاهرة التصوف والعمل على «احيائها ونشر أصولها والتأليف فيها فضربوا لاخوانهم الشرقيين بذلك مثلا عاليا فى معالجة التصوف معالجة علمية دقيقة وفى تحليل عناصره وظواهره»(١٧).

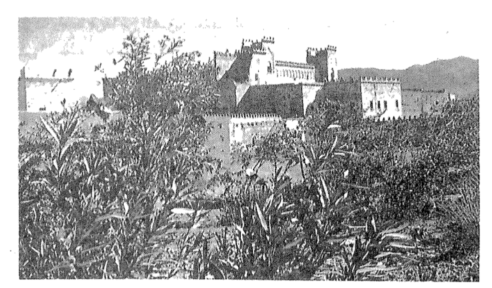
هذا الاهتمام بالتصوف أدى الى اشتهار بعض المستشرقين بدراساتهم فى هذا المجال حتى أصبحوا أساتذة لكثير من الباحثين المسلمين فى ذلك، ومن أبرز هؤلاء المستشرق الفرنسى لويس ماسنيون الذى أمضى عمره فى دراسة الحلاج(*) ويعترف بهذا التفوق أقرانه من المستشرقين الأوربيين حيث يقول أحدهم: «على أن فضل دراسة التصوف الاسلامى دراسة حاسمة يرجع الى المستشرق الفرنسى الذى كان يسترسل فى التهويم أحيانا لوى ماسينون (١٨٨٣-١٩٦٢) والذى أخرج كتبا تعتبر عدة الطالب فى الدراسات الاسلامية حتى فى الدراسات الألمانية(١٨).

وكما حاول المستشرقون والمنصرون التقرب من البربر فانهم أيضا حاولوا التقرب من أتباع الطرق الصوفية وشيوخها، فكانوا يذيعون «ان روح الاسلام هى التصوف وأن التصوف انما هو نفس المسيحية»(١٩) وقد حققوا بعض النجاح حتى تنصر بعض أتباع الطرق الصوفية لاقتناعهم بزعم المنصرين.

■ ومن وسائل المنصرين أيضا توزيع المنشورات على الطرق الصوفية يوهمون فيها أن النصارى وأصحاب الطرق الصوفية إخوان فى الدين(٢٠).

■ أخذت الادارة الاستعمارية باستثمار هذه الدراسات النظرية وذلك بالتقرب من أرباب الزوايا بالمناصب والهبات ومعاملتهم معاملة خاصة، وفى ذلك يقول أحد الكتاب عن الحكومة الاستعمارية بأنها هى التى «تعينهم على ما هم فيه من ضلالة وعماية فما من أحد يطلب منها أن تأذن له فى زاوية يفتحها لنشر الخرافات إلا استجابت له بكل سرعة

قصبة تاليوين بسوس



بينما وضعت مختلف العراقيل فى وجه علماء الاسلام(٢١). ويبدو أن شيوخ الطرق الصوفية ممن ساروا فى ركب الاستعمار رأوا أن يردوا الجميل لفرنسا أو بمعنى أدق أن ينفذوا ما أرادته فرنسا منهم، فبرز فى المغرب الأقصى احد رجال بيوتاتهم ليقف مع فرنسا ضد ملك المغرب(٢٢).

ولا شك أن من دلائل اهتمام المستشرقين بالطرق الصوفية قيامهم باجراء الدراسات الاحصائية حول هذه الطرق، فقد أجرى أحد المستشرقين دراسة عن الصوفية فى تونس تبين له فيها أن هناك خمسمائة زاوية ينتمى إليها ما يقرب من ثلاثمائة ألف مريد وتضيف الدراسة أن الصوفية مازالت محافظة على وجودها بوجود أتباع لها فى الطبقات العليا.

ولم تقتصر هذه الدراسات على تونس فقد أوردت دائرة المعارف الاسلامية فيما نقلته عنها مجلة «الشهاب» الجزائرية أن فى الجزائر ثلاثا وعشرين طريقة صوفية وعليها سبعة وخمسون شيخا وستمئة مقدم وعندها تسع وأربعون وتسعمائة زاوية، ويشير مقال الموسوعة الى أن نفوذ الطرق الصوفية كبير جدا لا سيما بين البربر وأن هذا النفوذ يفوق بكثير نفوذ العلماء والمدرسين والقضاة وأئمة المساجد(٢٣)، وليس لنا تعليق على هذه التفاصيل العجيبة والاهتمام الكبير سوى التساؤل عن أهداف هذه الدراسات ومدى دقتها.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية وآثارها الاجتماعية

يستمد المجتمع الاسلامى قوته من شريعة الله المتمثلة فى مجموعة من السلوكيات والقيم والعبارات وما ينتج عنها من نظم سياسية واجتماعية ولذلك فان الالتزام بالمنهج الالهى هو الذى يعطى السيادة للمجتمع وليس الاقتصاد(٢٤) بيد أن المجتمعات التى لا يحكمها شرع الله ومنهجه قد تنحرف الحياة الاجتماعية فيها فيكون للاقتصاد دوره الفعال فى الحياة الاجتماعية.

■ لقد ذكرنا سابقا بعض القرارات الفرنسية لمصادرة الأراضى ومنع الملكية الجماعية ثم سياسة الادارة الاستعمارية فى الضرائب مما أدى الى تفكك الروابط الاجتماعية من جهة.. ثم انتشار البطالة وما يتبعها من أمراض اجتماعية..

كذلك كان من نتائج السياسة الاستعمارية انتشار المجاعات بين المواطنين . . فقد تعرضت الجزائر لعدة مجاعات نذكر منها المجاعة التى حدثت عامى ١٣٣٨-١٣٣٩هـ (١٩٢٠-١٩٢١) . . وقد حاولت الادارة الفرنسية فى الجزائر إخفاء الأمر عن الحكومة الفرنسية فى باريس لولا تسرب المعلومات عن طريق الصحف الفرنسية . . وقد وصل عدد ضحايا هذه المجاعة إلى نصف مليون جزائرى(٢٥) .

هذا الوضع الاقتصادى السيء أدى الى انتشار أمراض اجتماعية مثل الشح وعدم البذل ويقول فى ذلك كاتب جزائرى «انما الشيء الذى يعوزنا . . . هو الشعور بعاطفة الاحسان واتباع ذلك الشعور بالعمل لأن موسرينا فى الأكثر ما فتئوا يعتمدون على ما يعلو وجوههم من أثر النعمة السطحية أكثر من اعتمادهم على ما بين جنوبهم من العواطف النبيلة»(٢٦) .

كذلك أدت الضائقات المالية التى عانى منها سكان دول المغرب العربى بعامة الى اضطرارهم للاستدانة بالربا، وفى ذلك يقول مستشرق فرنسى : **«ان الفلاح اقترض المال لا ليتمتع به ولكن فى معظم الحالات ليعيش - وبتعبير أدق حتى لا يموت»**(٢٧) .

ثالثا: الأخلاق والسلوك الاجتماعى

يرى الباحث أن هناك عدة عوامل كان لها أثر فى تغيير السلوك الاجتماعى والقيم الأخلاقية للمجتمع المغربى وهى :

(١) حارب المحتل الدين الاسلامى فى أهم مؤسساته وهى التعليم فبعد استيلائه على الأوقاف الاسلامية والتسلط على بعض الكراسى الدينية فى المساجد أو إغلاقها فقد التعليم الممول والمكان فقلت تبعا لذلك نسبة المتعلمين، ثم واصل الاستعمار حربه للتعليم الاسلامى بالتضييق على العلماء بعدم الاذن لهم بفتح مدارس عربية وبالتدخل فى المناهج التى يدرسونها.

(٢) شجع المحتل اللغة الفرنسية والاندماج عن طريق تعليم لغته ونشر قيمه ومبادئه، وهذا الأمر وان لم يكن مهيئاً لجميع السكان فان الاستعمار الفرنسى كان حريصا دائما على تكوين نخبة من أبناء البلاد المستعمرة لا تعرف إلا لغته وتقبل كل قيمه وأخلاقه .

(٣) انتقال عدد كبير من الفرنسيين والأوربيين إلى دول المغرب العربى، وهؤلاء كان لهم أثر كبير فى هدم الأخلاق واباحة المحظورات .

■ ولسنا فى حاجة الى شرح طويل للنقطة الأولى، ولكن يكفى أن نذكر أن الرسول ﴿ﷺ﴾ يقول: **«انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»** بل ان الله عز وجل وصفه بقوله **«وانك لعلى خلق عظيم»**، وقوله حاثا المسلمين على الاقتداء به ﴿ﷺ﴾ **«لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة»**، وعندما سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن أخلاق الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ قالت: «كان خلقه القرآن» ان الأمة الاسلامية تستمد قيمها وأخلاقها من هذا الدين فمتى جهلته تراجعت أخلاقها وضاعت قيمها، فهذه القيم والمفاهيم لا تنتشر الا بالتعليم وبوجود العلماء القدوة. ومحاربة

● موضوع المرأة شغل حيزاً كبيراً وهاماً من الفكر الاستعماري والاستشراقي.

● شجعوا المغاربة على الزواج من الفرنسيات ليسهلوا بذلك محاولة تغريبهم.

● عمل المستعمر الفرنسي والمستشرقون على توجيه النقد لتعاليم الاسلام حول المرأة المسلمة.

● لا يكاد يظهر كتاب من قبل أحد أبناء المسلمين يدعو إلى ما يدعون إليه الا اشادوا به ورفعوا من قدره وقيمته.

الاستعمار فى الجزائر ودول المغرب للتعليم اثر على حضورها عند بعض من محبيها ـ ولا ننسى قوة الغالب وما يفرضه ويشيعه وييسره.

■ ولو سرنا مع الاستعمار فى زعمه أنه أتى الى المغرب العربى لنشر المدنية الغربية فبأى وسيلة فعل ذلك؟ يجيب على هذا احد الكتاب الفرنسيين الذى أشار الى أن أهداف فرنسا الاستيلاء على المغرب العربى هى (نشر المدنية الأوربية) وليس الطريق إلى ذلك التعليم والاقناع إن كان يجدى بل ان «أقصر الطرق لبلوغ غايتنا هى نشر الرعب ففى استطاعتنا أن نحارب الافريقيين بالحديد والنار وأن نضرم نار الفتنة بين قبائل التل والصحراء، وأن نبلو السكان باستهلاك الكحول ونشر الفساد وبث عقارب النزاع والفوضى بينهم»(٢٨).

رابعا: المرأة

شغل موضوع المرأة حيزا هاما من الفكر الاستعمارى والاستشراقى، ففى الوقت الذى حرصت فيه الادارة الاستعمارية على نشر سياسة التجهيل بين عامة الشعب فى المغرب العربى فان المرأة لم تحصل على نصيبها من التعليم الذى كان متوفرا للرجل، وقد ظل التعليم حكرا للرجل حتى قام جماعة من العلماء ينادون بتعليم المرأة حتى قال أحدهم فى مقال صحافى: «**لماذا تعاقب المرأة لعلمها؟ هل العلم ورد صفاء للرجل منهل كدر للنساء؟.. هل له تأثيران، حسن على فكر الذكور، وقبيح على فكر الاناث؟**»(٢٩) ويرى نفس الكاتب أن التزام المرأة بدينها هو «أساس حفظ الدين والخلق، والضعف الذى نجده فى رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الاسلامية فى البيوت بسبب جهل الأمهات وقلة تدينهن»(٣٠).

■ ولعل من ضمن أهداف الاستعمار والاستشراق فى محاربة تعليم المرأة أن نهضة البلاد تحتاج الى الأم المتعلمة،

فاذا ما فقد هذا العنصر فلا شك أن البلاد العربية لن تنال حظها من التقدم، ومن ضمن هذه الأهداف تشجيع الشباب المغربي الذى نال حظا من الثقافة الفرنسية على التزوج بالفرنسيات وبذلك يندمج فى الأوساط الفرنسية ويتربى أولاده تربية فرنسية(٣١).

■ كذلك ظهرت دعوات الى تعليم المرأة المسلمة تعليما غربيا فرنسيا، ففى سؤال موجه الى محرر **«صدى تلمسان»** الفرنسى (L'Echo De Tlemcan) حول تعليم الفتاة المسلمة وترشيدها كانت اجابته نعم وأن يكون بلسان غير عربى.. وكان لجريدة «الشهاب» تعليق على هذا الجواب بأن المرأة مهما نالت من العلم إذا كان بلغة غير لغة قومها فان ذلك «يضلها عن الطريق المستقيم» ويتساءل محرر «الشهاب» **أين المال لتعليم أبنائنا الذكور ـ فكيف بالإناث؟**(٣٢).

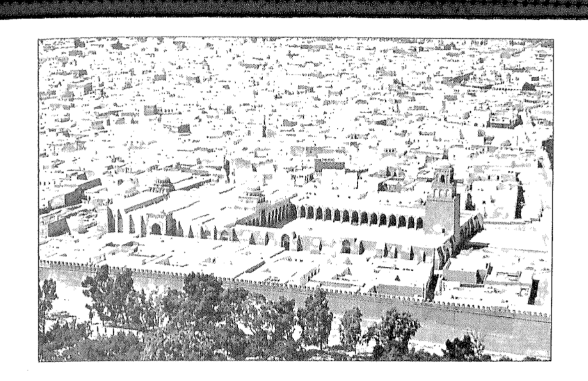
■ لم تكن سياسة الاستعمار الفرنسى تميل إلى نشر التعليم على نطاق واسع بين الجنسين ولا الى التجهيل المطبق، إنما كان هذا الاستعمار يسعى دائما الى تكوين نخبة من أبناء الشعوب المستعمرة ذكورا واناثا يغذيهم بأفكاره ومبادئه ثم يعهد اليهم بالمراكز القيادية(٣٣) ويبدو أنه يقصد من ذلك هدم قيم ومبادىء مجتمعهم التى ترتكز أساسا على الاسلام.

■ لقد أخذ اهتمام الاستعمار والاستشراق بموضوع المرأة اشكالا عديدة أخرى منها توجيه النقد للدين الاسلامى وتشريعاته الخاصة بالمرأة ومقارنتها بالقوانين الغربية والحرص على اظهار الاسلام بصورة التخلف والقسوة بل والهمجية، وهنا استعان المستشرقون بتلاميذهم من أبناء الأمة الاسلامية، فما كاد يظهر كتاب، لطاهر الحداد(٣٤) «التونسى» **«امرأتنا أمام الشريعة والمجتمع»** حتى هللت الدوائر الاستعمارية الاستشراقية، وقد ظهر هذا فى أحد التقارير حول الأوضاع السياسية والادارية للأهالى فى الجزائر حيث قالت عن الكتاب **«إنه يحتوى أفكارا حديثة، وقد أوجد شعورا خاصا لدى الشباب المسلم»**(٣٥).

■ **أما لماذا هلل المستشرقون لهذا الكتاب؟** فلأنه نادى «بتطويرة الشريعة الاسلامية لتتناسب مع العصر الحديث، زاعما أن التشريع الاسلامى ترك باب الاجتهاد مفتوحا لأن سنوات الدعوة فى حياة الرسول ﴿ﷺ﴾ لم تكن كافية ـ فى نظره ـ لاستكمال جميع الأمور»(٣٦).

كذلك رحب التقرير الفرنسى السالف الذكر بصدور مجلة «السفور»(*) التى نادت بازالة الحجاب وتوسيع حقوق المرأة القانونية.. وقد أشارت التقارير الى أن هذه الأفكار وجدت لها أصواتا مؤيدة فى الأدب الفرنسى منها أطروحة بيار لوتى.

ويلاحظ أن الوثائق الفرنسية لم تغفل ردود الأفعال العنيفة التى لقيها كتاب الطاهر الحداد فنوهت بما كتبه الشيخ البشير الابراهيمى(٣٧) لكنها لم توضح رد الفعل ولذلك نرى مناسبا أن نقتبس ما كتبه أحد المعاصرين لهذا الكتاب حيث يقول: «كان الحداد قد أصدر كتابه الذى ملأه ضلالات وجهالات وافتراءات على الاسلام، فعجب الناس أن يصدر هذا من متخرج من جامعة الزيتونة فكنا نقول لهم ان هذا ليس من آثار الجامع انما هو من آثار ما وراء جدران الجامع» ويذكر الكاتب أن هناك جماعة أرادت حرب الاسلام فلم تستطع أن تحاربه من الخارج فعمدت الى أحد أبنائه فحاربته من الداخل، ويشير الكاتب الى أن الأيدى التى حركت الطاهر الحداد معروفة، وقد تأكد لديه ذلك حينما علم أن النسخة الوحيدة التى وصلت الى الأغواط فى جنوب الجزائر كانت مرسلة الى الآباء البيض(٣٨).



■ وهنـاك أيضـا كتـاب آخر كتبه أحد العلماء الجزائريين هو محمد بن المصطفى بن الخوجة (١٢٨١-١٣٣٣هـ) (١٨٦٥-١٩١٧) بعنوان «**الاكتراث من حقوق الاناث**» وكتب فيها بعد أيضا «**اللباب فى أحكام الزينة والحجاب**» ونادى فى كتابيه بتعليم المرأة تعليما خاصا تحصل به على بعض المعارف الضرورية وأوضح أن الاسلام هو دين العلم والمدنية وان المرأة الجزائرية حين تسىء معاملة زوجها فما ذاك الا لجهلها وقارن بين المرأة الأجنبية والجزائرية وامتدح الأولى لما تتمتع به من علم وحرية.

ويصل الى النتيجة الصحيحة وهى «**لولا جهل الرجال وغباوتهم لما وصلت النساء الى هذه الدرجة من الجهل والـزيغ والضلال**»(٣٩) ويبدو أن مسألة الاعجاب بالغرب ونسائه قد وقع فيها ابن الخوجة كما وقع فيها غيره من المفكرين، ولو نظروا الى الأمر بدقة لوجدوا أن فى الاسلام وتاريخه ما يغنيهم عن التطلع الى مثال للمرأة الأوربية.

وفى خضم هذه الأصوات الداعية الى التفرنج والتغرب كانت هناك أصوات تدعو الى التعقل والالتزام بالاسلام - ولا نقصـد بهذه الأصوات العلماء المسلمين فحسب لأن ذلك واجبهم، وانما كانت الدعوات صادرة من بعض المستشرقين الفرنسيين حيث ألقى أحدهم محاضرة يوم ٢٥ فبراير ١٩٣٢م «ذى القعدة ١٣٤٩هـ» تحدث فيها عن المرأة فى تركيا، وما آلت اليه أوضاعها بعد الغاء الخلافة.

ويقول المحاضر: «انه راعه الانقلاب العظيم الذى وقع فجأة فى المجتمع التركى بسبب وضع الحجاب وتحبيب السفور. وراعه نفور الأتراك من الدين الاسلامى - هذا الدين الذى كان قوتهم العظيمة.. ثم تحدث المستشرق نفسـه عن الثورة التركية ووصفها بأنها مخطط ماسونى قام بها أفراد تربوا على المبادىء الماسونية المحاربة للدين الاسلامى ومتهمة اياه بأنه سبب التأخر والانحطاط ثم يقول «وهكذا أصبحت الجمهورية التركية لا تعتبر أى دين كان».. وفى ختام المحاضرة قدم نصيحة الى الداعين الى التجديد ونشر السفور، دعاهم الى الاتعاظ بما حدث فى تركيا، وأن يرحموا المرأة بابقائها على عاداتها وأخلاقها، ويخشوا ربهم فى عفتها وفضيلتها(٤٠).

وبالرغم من الاهتمام بالاسلام والمسلمين من قبل هذا المستشرق الا أنه يجب التنبه الى بعض التعميمات التي اطلقها . . فلم يحدث أن نفر الأتراك من الدين الاسلامى كما صور المحاضر ذلك . . وان ما حدث كان فيه من القسر والقوة . . وليس الحل فى ابقاء المرأة على عاداتها وأخلاقها فان هذا الأمر كان يحتاج إلى كثير من الاصلاح .

■■ لئن كنا أطلنا النقل والاقتباس فى موضوع المرأة فلأنه موضوع حيوى وقد اعترى الأمة من عوامل التأخر والانحطاط ما أصاب المرأة من الظلم والاجحاف بسببه ، وليس الحل إلا فى العودة الى الوضع الاسلامى الصحيح فى مراعاة التشريعات الاسلامية التى نزلت من لدن حكيم خبير عالم بفطرة البشر وما يصلح لهم . . فهو لم يطالب بالحجر على المرأة والتضييق عليها حتى لا تكاد تتنفس . . ولم يطلق لها العنان كما فعلت أوربا ، ولكن راعى فطرة الرجل وفطرة المرأة .

تعرضنا فى هذا البحث الى أربعة موضوعات كل واحد منها يمكن أن يبحث منفصلا ، ولكننا أردنا أن نوضح بعض الأمور منها أن بلاد المغرب العربى تأثرت بالوجود الاستعمارى فوق أراضيها ليس فى فقدان حريتها السياسية فحسب بل إنها فقدت ما هو أهم من هذه الحرية حتى اعادها المولى القدير برجالاتها المخلصين المؤمنين الى رشدها وامساك زمام امرها . . . وبينا فى ثنايا البحث بعض وسائل الاستعمار والاستشراق فى بث الفكر الغربى والتأثير فى أنماط الروابط الاجتماعية ، وحاولنا الربط بين الاستشراق والاستعمار بقدر ما اتضح لنا من وجود رابطة بينهما آملين أن تتبع هذا البحث دراسات أخرى توضح كيف تغيرت المجتمعات الغربية وتصف لنا العلاج الناجح لتأكيد العودة الى المنبع الصافى .

الهوامش

(١) الحركة الاسلامية فى المغرب العربى بين الاستعمار والاستشراق .

(٢) عبد الرحمن محمد الجيلالى ، تاريخ الجزائر العام ، ح٤ ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بيروت ، دار الثقافة ١٤٠٢-١٩٨٢ ، ص٢٩٩ .

(٣) المرجع نفسه ح٣ ، ص٤٢٢ .

(٤) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٠٠-١٩٣٠ ، ط٣ ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، ص١٢٥-٢٦ .

(٥) شارل أندرى جوليان ، أفريقيا الشمالية تسير ، ترجمة المنجى سليم وآخرين ، ط٣ ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦ ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٨ ، ص٧٧ .

(٦) فرحات عباس ، ليل الاستعمار ، المحمدية ، دار فضالة ، ت ، ر ص٧٤

(٧) جوليان ، مرجع سابق ، ص٢٢ .

(٨) لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الاسلامى ج٢ ، ترجمة عجاج نويهض ، ط٤ بيروت ، دار الفكر ١٣٩٤ ، ص١٨٠ .

(٩) Andre Dirlik. Abdul Hamid Ben Badis (1889-1940) Ideologisl of Islamic Reform and Leader of Algerian Nationalism. Unpublished Ph.D Thesis Institate of Islamic Studies, MGill University Manch 1971. P 325.

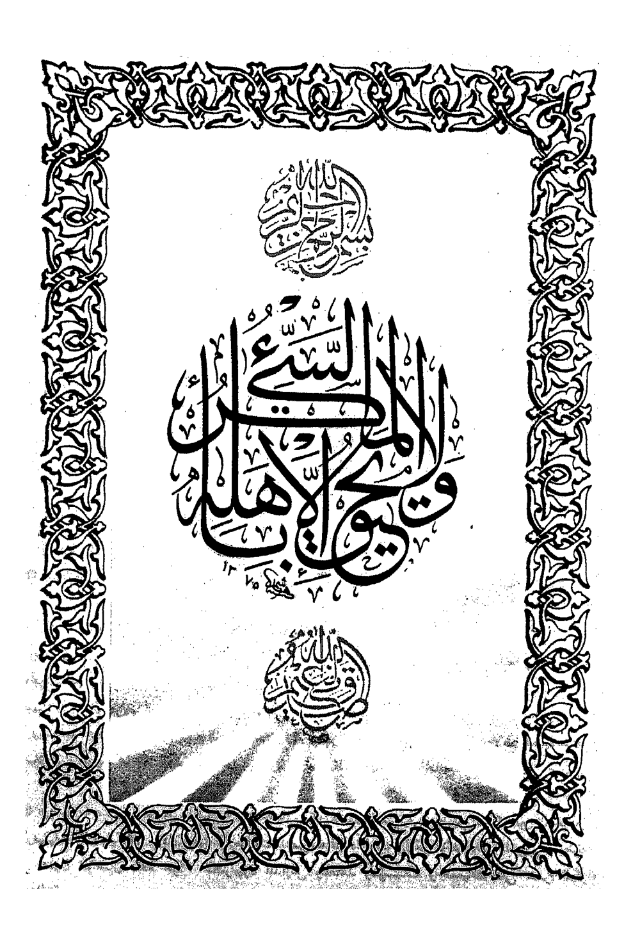
(١٠) عمار الطالبى ، عبد الحميد بن باديس ، حياته وآثاره (اعداد وتصنيف) الجزائر الشركة الوطنية للنشر ١٩٦٨م ، ص٥٤ .

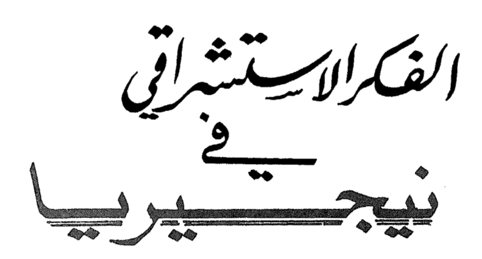
(١١) الميدان : العدد ٢ فى ٢٤ ربيع الثانى ١٣٥٦ ، ٤ يوليه ١٩٣٧م والصحيفة المتفرنسة هى صوت الأهالى La Voix des Indigene

(١٢) Pessah Shinar, The HisForical Approoch of The Reformist Ulema in Contemporary Maghrib. Asian and African Studies No7 Special edition

الهوامش

(١٣) الشريعة، العدد ٣ في ٨ ربيع الثاني ١٣٥٢-٣١ يولية ١٩٣٣ عن مجلة المغرب الكاثوليكي.
(١٤) الشهاب، ج٤ م١١ ربيع الثاني ١٣٥٤-٣ يولية ١٩٣٥ عن مقال «العالم الاسلامي - فرنسا وشمال أفريقيا - مجلة لومو الفرنسية.
(١٥) محمد بن المبارك، «سياسة التصنيع وتكوين المثقفين بالجزائر» المجلة التاريخية المغربية عدد ٢٧/٢٨ في ديسمبر ١٩٨٢م عن
(١٦) Charles R. Ageron Histoire de L'Algerie Contemporaraine, Tom 11 Ponis Press Universitaire 1979. P337
(١٧) الرشاد، العدد ٣٧ في ١٢ صفر ١٣٥٨-٣ أبريل ١٩٣٨ نقلا عن مجلة الثقافة المصرية، د. أبو العلا عفيفي، التصوف وواجبنا ازاؤه «ازاءه».
(*) أشهر مؤلفات ماسنيون في هذا المجال هو ديوان الحلاج المسمى بـ«الطواسين».
(١٨) رودي بارت، الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية ترجمة مصطفى ماهر، بيروت، دار الكتاب العربي، (ت.د) ص٤٦-٤٧.
(١٩) محمد السعيد الزاهري. الاسلام في حاجة الى رعاية وتبشير، الجزائر، دار الكتب الجزائرية (ت.د) ص١١٤-١١٥.
(٢١) البرق، العدد ١٢ في ١٩ ذي القعدة ١٣٥٤-٢٣ مارس ١٨٢٧م.
(٢٢، ٢٣) جوليان
(٢٤) محمد ناصر. المقالة الصحفية الجزائرية، ١٩٠٣-١٩٣٠، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧، نقلا عن - الاقدام - العدد ١٢٣ في ١٩٢٣/٣/٢٣
(٢٥) الشهاب، العدد ١٠ من ٢٩ جمادى الثانية ١٣٤٤-١٤ يناير ١٩٢٦. أشارت الموسوعة في طبعتها الثانية الى أن عدد المريدين بلغ من ٢٥٠ الى ٤٥٠ الف ص ٣٧١.
(٢٦) محمد علوان، مفهوم اسلامي جديد لعلم الاجتماع، الجزء الأول الجماعة، جدة، دار الشروق، ١٩٨٤ ص٤٣.
(٢٧) Malcoln L. Richardson. French Algeria Behween The Wars: Nationalism and Colonial Reform 1919-1939. Unpublished Ph.D thesis.Duke Univevsity 1975 P. 58.
(٢٨) ابن باديس، الشهاب، ج٥ م٦ في ذي الحجة ١٣٤٨هـ مايو ١٩٣٠ ص٢٤١-٢٤٧
(٢٩) Jacque Berque French Narth Africa Between the Wars. Translated By Jean Shewart. Newyork: Fredrick A. Praeger 1958. P235.
(٣٠) عباس، مرجع سابق، ص ٧٣-٧٤ نقلا عن بويشون خواطر عن الجزائر ١٩٤٥
(٣١) المنتقد، العدد ٨ في ٣٠ محرم ١٣٤٤، ٢٠ أغسطس ١٩٢٥م.
(٣٢) ابن باديس، الشهاب، ج٨ م١١ شعبان ١٣٥٤، نوفمبر ١٩٣٥م.
(٣٣) عبد الله كنون، مفاهيم إسلامية. الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٤٠٥-١٩٨٤م، ص٤٠-٤١.
(٣٤) الشهاب، العدد ١٠٤، في ٧محرم ١٣٤٦هـ، ٧ يولية ١٩٢٧م.
(٣٥) Edward Saeed, Orientalism. Loncion and Henely: Routledg and Kegan Paul Ltd. 1978. P 245.
(٣٦) الطاهر الحداد ولد عام ١٨٩٩ التحق بالزيتونة عام ١٩١١، أحرز شهادة التطويع ١٩٢٠، له كتاب عن العمال التونسيين وظهور الحركة النقابية.
(٣٧) Rapport Sur La Situafion Politique et Administrative des Indigen De L'Algeric Au 31 Janvier 1931-AGG q.H 11.
(٣٨) الطاهر الحداد، امرأتنا أمام الشريعة والمجتمع. ط٤، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ص٢٢.
(*) أسسها في مصر عبد الحميد حمدي في ٢١/٥/١٩١٥، ذكرها فيليب دي طرازي في كتابه: تاريخ الصحافة العربية، بيروت: المطبعة الادبية ١٩١٣ م٢ ج٣ ص١٩٦.
(٣٩) البشير الابراهيمي (١٣٠٦-١٣٨٥) (١٨٨٩-١٩٦٥) ولد في أولاد سيدي ابراهيم شرق الجزائر تلقى تعليمه في بلده على والده وعمه، هاجر مع والديه الى الحجاز عام ١٩١١، وفي المدينة المنورة أكمل تعليمه، غادر المدينة المنورة عام ١٩١٦ الى سورية حيث ألقى دروسا في الجامع الأموي، عاد الى الجزائر ١٩٢٠ وبدأ حركته التعليمية، اتفق مع ابن باديس على انشاء جمعية الاخاء العلمي عام ١٩٢٤، ولكن لم تتم واستمرا يعملان في الدعوة الى الاسلام حتى أنشئت الجمعية عام ١٩٣١ وكان ممثلها في الغرب الجزائري تولى رئاسة الجمعية بعد وفاة ابن باديس كان ممثلا لجبهة التحرير في المشرق وعاد بعد الاستقلال. لم يشر التقرير الى المكان الذي كتب فيه الابراهيمي.
(٤٠) محمد الصالح بن مراد «الحداد على امرأة الحداد»، الشهاب، ج٨ م٨ربيع الثاني ١٣٥١هـ - أغسطس ١٩٣٢.





■ بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من قسم الاستشراق بالمعهد العالى للدعوة الاسلامية

عرض وتقديم الاستاذ: على بن محفوظ

بعد المقدمة التى أشتملت على أسباب اختيار الموضوع وأهميته بها فى ذلك الدراسات السابقة، قسم الباحث بحثه إلى أربعة فصول:

(١) الأديان فى نيجيريا

(٢) الوجود الأجنبى فى نيجيريا

(٣) مظاهر الفكر الاستشراقى فى نيجيريا

(٤) أثر الفكر الاستشراقى فى نيجيريا.

■ وكل فصل اشتمل على مباحث.

●● وفى التمهيد أعطى الباحث نبذة مختصرة عن نيجيريا من حيث أصل السكان ولغاتهم وأهم القبائل فيها.

الفصل الأول: «وشمل الأديان فى نيجيريا: الاسلام، النصرانية، الوثنية».

■ وقد بين الباحث أن نيجيريا كانت ترزح تحت أغلال الوثنية إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى حينما جاء الفاتحون والتجار المسلمون.. وقد دخلها الاسلام عن طريقين أساسيين: أولهما: من مصر عبر السودان الغربى.. وثانيهما: من شمال افريقيا إلى جنوب الصحراء ثم إلى الغابات والمناطق الساحلية.

وبمعاملة التجار الدعاة، ثم ظهور الدولة الاسلامية فى غرب إفريقيا، ثم حركة عثمان فودى الاصلاحية، استقر الاسلام فى نيجيريا، مما جعل بعض المؤرخين يعتقدون أن نسبة المسلمين فى هذه المقاطعة ١٠٠٪.

●● «**وختم الباحث هذا الفصل بالنصرانية فى نيجيريا**»، وكان دخول النصرانية عن طريق المستكشفين البرتغاليين والارساليات الكاثوليكية.. وكان وجود الارساليات النصرانية تمهيداً لغرس الفكر الاستشراقى الغربى وسيطرته على عقول المواطنين فأقام هؤلاء النصرانيون المدارس والمعاهد والمؤسسات والجمعيات التى تنشر الفكر الاستشراقى.

الفصل الثانى: «وهو بعنوان: الوجود الأجنبى فى نيجيريا»، ومن مباحث هذا الفصل:

المستكشفون والرحلات الاستكشافية الى غرب افريقيا:

وقد بين فيه الباحث أن الفترة الاستكشافية داخل افريقيا استمرت أربعين سنة منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى حتى سنة ١٩٣٠م.

■ وقد فكرت أوروبا فى معرفة افريقيا والتعرف على جغرافيتها وخيراتها، وكانت هذه الرحلات الاستكشافية إلى دول افريقيا الداخلية ذات أهمية كبرى بالنسبة لمستقبل الدول الأوروبية فى افريقيا لأن الأطماع الأوروبية التوسعية الاستغلالية كانت متعلقة إلى حد كبير بنجاح هذه الرحلات، ولا يخفى ان الاستعمار قد دخل الى نيجيريا عن طريق الرحلات المشهورة التى قادها البرتغاليون. . وذكر الباحث أنه تتبع الوقائع والاحداث التاريخية عن الحقائق الكامنة وراء حركة الاستعمار الأوروبى، ووجد أن العوامل التى دفعت الأوروبيين إلى ذلك الاهتمام الكبير بالعالم الخارجى فى الفترة ما بين القرن الخامس عشر والتاسع عشر الميلادى هى:

(١) الحقد الصليبى المتأصل.

(٢) النزعة الاستعمارية الاستغلالية.

(٣) الرحلات التجارية الأوروبية تجاه نيجيريا.

■ لقد أبدى البريطانيون اهتمامهم الشديد بالشؤون التجارية ونشر التنصير الصليبى وحمايته بالحكومات المحلية القائمة فى ذلك الوقت. . وكان تفكير مندوبى الحكومة البريطانية فى شواطىء غرب افريقيا يهدف إلى ضرورة تنشيط التجارة مع افريقيا ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا كانت السلطة العليا على هذه البلاد فى متناول الحكومة البريطانية.

الفصل الثالث: «ويتحدث البحث عن مظاهر الفكر الاستشراقى فى نيجيريا»

●● وقد قسم الباحث مراكز هذا الفكر الى صنفين:

(١) مراكز رسمية (٢) مراكز غير رسمية

وتتمثل المراكز الرسمية فى السفارات والقنصليات والهيئات الثقافية الأجنبية؛ ومن هذه المراكز:

المراكز الرسمية:

المركز البريطانى فى نيجيريا: ويحاول هذا المركز من خلال إعطائه دورات فى اللغة الانجليزية أن ينشر مفاهيم المستشرقين والمنصرين وغيرهم حول الاسلام.

■ وفى تقرير قدمه المدير العام للمركز البريطانى سيرجون بورج (Sirjohn Burgh) بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشاء المركز اوضح فيه أن المركز يهدف الى تغريب الطلاب الأجانب. . ولهذا المركز فروع متعددة فى بعض مدن نيجيريا مثل: (كانو، وكادونا واينوغو).

المركز الاعلامى الامريكى: ويأتى هذا المركز فى الدرجة الثانية من حيث النشاط الاستشراقى فى نيجيريا وله فروع متعددة ولكل منها نشاطه وأعماله.

وتضم مكتبة هذا المركز كتباً فى مختلف الفنون والعلوم، كما يوجد بالمركز قاعة للمحاضرات تعرض فيها الأفلام

المختلفة فى نهاية كل أسبوع بما فى ذلك البث الاعلامى الشائق الى الحياة الامريكية.

المراكز غير الرسمية:

جمعية إرسالية الكنيسة الانجليزية:

استفادت هذه الجمعية من التجارب التى مرت بها الارساليات الأخرى، فرأت أنه من الضرورى إنشاء مدرسة لتخريج المنصرين المحليين من أبناء البلاد على أن يكونوا بدرجة عالية من التعليم الدينى والثقافى فأنشأت فى عام ١٨٥٠م مدرسة لتفى بهذا الغرض. وهذا الأسلوب هو ما يعرف بـ «التنصير الوطنى».

جمعية إرساليات الكنيسة الكاثوليكية:

ومن تعاليم هذه الجمعية اليومية: قراءة الانجيل.. وضرورة تعلم الانجيل ونشر وتوضيح معلوماته للناس.

■ ومن جملة هذه المراكز غير الرسمية التى وردت فى البحث «الجمعية المعمدانية الامريكية.. والجمعية المشيخية.. ومراكز إرسالية الكنيسة الانجليكانية».

وتعرض البحث الى وسائل الفكر الاستشراقى فى نيجيريا كالتعليم والاعلام والسياسة، والخدمات الاجتماعية، ويمكن تلخيص ذلك بما يأتى:

(١) التعليم: استخدم المنصّرون التعليم الى أبعد الحدود لتدريس المواد الدينية للتلاميذ مما جعل الكثير من المسؤولين والتلاميذ يضيقون ذرعاً بكثرة المواد الدينية والتربوية النصرانية.

(٢) وسائل الاعلام: استعرض البحث استخدام المستشرقين كثيراً من الوسائل الاعلامية المختلفة للسيطرة على الجماهير وتوجيه مشاعرهم للوجهة التى يريدونها.

■ ومن المجلات التى يصدرها النصرانيون **«مجلة الكاثوليك»** ولها فروع فى أرجاء البلاد وهى تمثل الفكر الاستشراقى النصرانى وقد سميت فيما بعد باسم **«حياة الكاثوليك»**.

كما تطرق البحث فى معرض حديثه عن الوسائل الاعلامية الى المواد التى يعرضها التلفزيون فى نيجيريا فهناك البرامج السياسية ومعدلها ٢٠٪، والبرامج التربوية ونسبتها ٢٢٪.

أما نسبة البرامج الثقافية فتبلغ ٥٢٪، أما عن البرامج الدينية فإن نسبتها ٦٪ فقط.

كما أن البرامج الثقافية جميعها تبرز الثقافة الأوروبية والحضارة الغربية بشكل مغر وجذاب ومؤثر فى مشاعر الشعب.

الفصل الرابع «أثر الفكر الاستشراقى فى نيجيريا».. بين الباحث فيه الأثر الاجتماعى، والثقافى، ثم موقف الشعب النيجيرى من هذا الفكر.

■ ومن آثار الفكر الاستشراقى التى تطرق إليها البحث اختلاف الأديان فى الأسرة الواحدة، وتغليب الحضارة الغربية على الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى مما جعل بعض الكتاب يرفعون اصواتهم من خلال الصحف، ويعربون عن افتقارهم الى حياة إسلامية سليمة.

وفى المجال الاقتصادى تمثل ذلك الأثر فى الاسراف فى الماديات، الأمر الذى جعل نيجيريا تصبح دولة مدينة اليوم بعد أن عُرفت بأنها من أغنى دول افريقيا.

■ ويظهر أثر الفكر الاستشراقى على نطاق السياسة فى تبنى العلمانية إذ نص قانون ١٩٧٩م على أنه ليس لأى رئيس دولة أو حاكم إقليم أن يتعصب لدين معين لا لنفسه ولا للدولة.

■ وأجبرت الشعوب الشمالية المسلمة تحت وطأة الأوضاع السياسية على أن تأتى بنظام الحكم الديموقراطى بديلا من نظام الاسلام، وأن يكون الولاء القومى والاقليمى بديلا من رابطة العقيدة الاسلامية حتى قاتل المسلمون بعضهم بعضاً نتيجة للولاء القومى. . كما ظهرت طبقة من المستغربين سلكوا مسلك أساتذتهم فى عداوتهم الظاهرة للاسلام ومحاربة اللغة العربية.

كما وضعت الحروف اللاتينية للكتابة بلغة «الهوسا» لغة البلاد بدلا من الحروف العربية التى كانت تكتب بها منذ قرون.

■ ومن آثار الفكر الاستشراقى أن الناس كانوا ينظرون إلى اختلاف الأديان على أنه مجرد اختلاف فى الحضارات ولا يمكن أن يؤثر فى بنية المجتمع والتضامن القومى كما عرفوه من الذين يبثون هذا الفكر.

■ وعن موقف المسلمين تجاه هذا الفكر الوافد ووسائله جاء أن أول موقف اتخذه المسلمون هو تأسيس الجمعيات التى تشرف على المدارس فى المدن والقرى لتعليم أبناء المسلمين أمور دينهم، وتقوم بتوعية أبناء المسلمين بالدين الاسلامى.

■■ وأول جمعية أنشئت هى جمعية أنصار الدين تلتها جمعية أنصار الاسلام. ثم توالت بعد ذلك العديد من الجمعيات ذات الأهداف والوسائل المختلفة.

■■ وقد وقفت جمعية أنصار الدين أمام الفكر الاستشراقى النصرانى فأنشأت الجمعية مدارس الدعوة، وكانت قسمين: قسماً يدرس الدراسات الاسلامية البحتة. . وقسماً يدرس مع الدراسات الاسلامية الدراسات الغربية.

■■ أبرز أوجه النشاط الاسلامى هو منظمة الطلاب المسلمين فى الجامعات النيجيرية، وكان لهم نشاطات منها اجراء المناقشات والحوارات مع النصارى ـ وتعد هذه الجهود من مواقف التحدى للفكر الاستشراقى التنصيرى فى نيجيريا.

●● وكان نهاية مطاف هذا البحث جملة من النتائج والتوصيات فمن هذه النتائج:

(١) تعد منطقة نيجيريا من أهم المناطق فى غرب افريقيا لاستراتيجتها الهامة ومكانتها الاقتصادية والسياسية.

(٢) يعطى الفكر الاستشراقى أهمية قصوى للعمل فى هذه المنطقة.

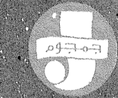
(٣) اتخذ الفكر الاستشراقى أساليب حديثة متطورة تواكب التطور العلمى والتقنى الذى يعيشه العالم فى الوقت الحاضر.

ومن مقترحات البحث:

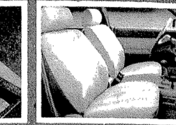
(١) يجب ان تقوم فى هذه البلاد مراكز إسلامية ناهضة تعيد الحياة الإسلامية إلى المجتمع.

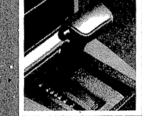
(٢) يجب الكشف عن الفكر الاستشراقى ومخططاته وأهدافه وتوعية شعوب المنطقة بخطره.

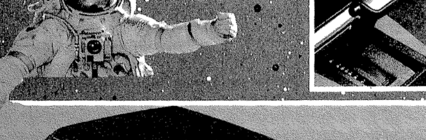
(٣) الاهتمام بالتعرف على أهداف المؤسسات الأجنبية والمراكز فى انحاء البلاد.



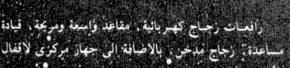
المتوكل للسيارات والآليات







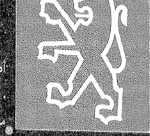




• سيارة بيجو ٥٠٥ ليست بسيارة فحسب. إنها تمثل الجمال الكلاسيكي، الطبيعي، المتناسق الذي تجده في الأعمال الفنية العظيمة. إنها سيارة أصبحت رمزا لمتانة بيجو وأدائها.

• المحرك ٢ ليتر يضاهي أدق الآلات الموسيقية لأدائه البالغ الدقة. إنه محرك مدوزن بإتقان لطيف وناعم في عزفه الهادىء، ومياه ورفيع في عزفه السريع. يدفعك الى الطليعة على نغمات قوة ١٠٨ حصان. أما التجهيزات فلقد صممت لتعطيك ذروة المتعة في القيادة.

رافعات زجاج كهربائية، مقاعد واسعة ومريحة، قيادة مساعدة، زجاج مدخن، بالاضافة الى جهاز مركزي لأقفال الأبواب.

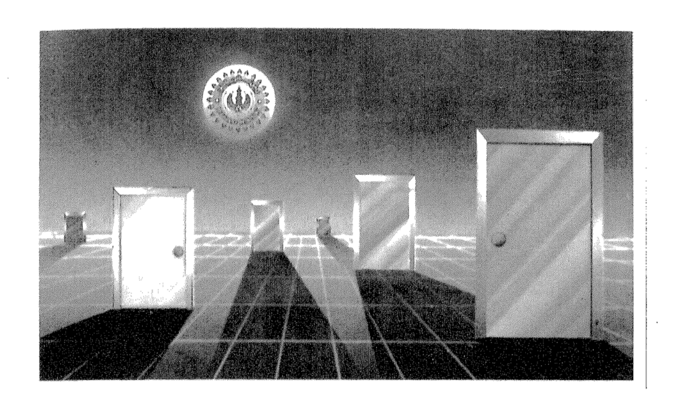


أداء رائع يدوم ويدوم

إذن تعال وجرب أداء سيارة بيجو ٥٠٥ إنه أداء ستستمتع به على الدوام.

تطلعوا الآن الى سيارات بيجو ٥٠٥ موديل ٨٩ في غاية الابداع وبأسعار مغرية.

جدة ٦٨٧٢١٦٨ - ٦٦٩٠٠٦٧ (٠٢) المدينة المنورة ٨٣٦٦٢٥٥ (٠٤) الطائف ٧٤٦١٦٥٦ (٠٢) خميس مشيط ٢٢٢٣٠٤١ (٠٧)



هنــاك أبواب كثيرة ... إفتح مايناسبك منها

يقدم بنك الرياض بالإضافة إلى الخدمات التي تشمل كافة مجالات العمل المصرفي ، مجموعة متنوعة من النشاطات الإستثمارية :

الإستثمار في الأسهم المحلية :

يتولى حالياً ٦٢ فرعاً تقديم أفضل البحوث الإستثمارية وخدمات البيع والشراء .

شهادات الإيداع :

وسيلة إستثمارية تعمل على نمو رأس المال .

حساب المشاركة :

يعزز العائد على إستثمارك وينطوي على المشاركة في تحمل المخاطرة.

صندوق الدولار :

وسيلة مثالية للمستثمرين من الأفراد والشركات الذين يودون المحافظة على رأس المال المستثمر إضافة لتحقيق عائد جيد عليه مع توفر إمكانية السحب خلال فترة قصيرة.

صندوق الأسهم الدولية :

يتيح الفرصة لنمو رأس المال بالنسبة للمستثمرين الذين لديهم الاستعداد لتحمل قدر أكبر من المخاطرة.

إدارة الحوافظ الإستثمارية :

خدمة يتم بموجبها وضع برنامج إستثماري خاص لكل من كبار المستثمرين سعياً لتحقيق أهدافه الإستثمارية

للمزيد من المعلومات يسرنا إتصالكم بنا على العنوان التالي :

بالنسبة لشهادات الإيداع وحساب المشاركة :

بنك الرياض - الإدارة العامة
إدارة إيداعات الأفراد
ص.ب: ٢٢٦٠٩ الرياض ١١٤١٦
تليفون : ٠١/ ٤٠٤٣١٠٧



بالنسبة لبقية الخدمات :

بنك الرياض - الإدارة العامة
إدارة استثمارات الأسهم
ص.ب: ٢٢٦١٤ الرياض ١١٤١٦
تليفون : ٠١/٤٠٥٢٤٩١

بنك الرياض

RIYAD BANK

دار الأصفهاني للطباعة بجدة



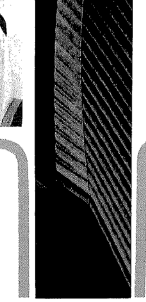
العدد ٤٧٢ السنة ٥٥ المجلد ٥٠ ذو الحجة ١٤٠٩هـ / يوليو ١٩٨٩م

ALMANHAL

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

الحج .. نداء الأزل





ذلك هو الحج المبـرور

مماقل

ما اسعد الحجاج الوافدين من كل فج عميق الى هذا البيت الحرام يبتغون عفو الله ومغفرته ورضـوانـه، وينشـدون اصـلاح نفوسهم وشئونهم الخاصة والعامة، ما اسعدهم اذا ادوا هذه الفريضة المقدسة اداء صحيحا كاملا كما رسمه الرسول عليه الصلاة والسلام.. ان ذلك هو الحج المبرور.

ان الحجاج جميعا ليقولون بلسان واحد وبقلب واحد: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

ومعنى هذا انهم قد لبوا دعوة الله الى الحج فى ابتهاج وانشراح لانهم موقنون من اعماق قلوبهم بان الله واحد احد لا شريك له، له الحمد ازاء تفضله عليهم ومنه وله النعمة، والملك..

معانٍ سامية، اذا قرت فى قلب المؤمن الحاج استهدف التضحية فى سبيل عزة الدين الحنيف وجعل كرامة بنيه الذين هم اخوته، نصب عينيه وامتلأ قلبه رجاءا وحماسة لرفع مستواهم ودفع اذاهم، فما يريم عن سبيل الهدى والانقاذ حتى يصل منها الى الامل المنشود.

وكذلك كان وما زال الحج الى بيت الله الحرام مشعلا وضاء ينير جنبات النفوس وواجبا دينيا مقدسا، جمع الله فيه للمسلمين بين خيرى الدنيا، والآخرة، فهم يلتقون فى ايام معدودة فى صعيد واحد لا فرق بينهم ولا حواجز وبوسعهم التآلف والتفاهم والتآزر والتعارف وتبادل المنافع، ودرس الاوضاع الخاصة والعامة.. واصلاح ذات البين ودفع غوائل المستعمرين والمحتلين عن ديارهم علاوة على ما ينالونه من مغفرة ورضوان، بما ادوا احد اركان الاسلام، وبما انفقوا فى سبيل الله من جهود وأموال وبما قطعوا من مسافات.

وخلاصة القول ان الحج مؤتمر اسلامى عام فرض الله شهوده على عباده المؤمنين كل عام، لتصفية نفوسهم من ادران الذنوب ولتصفية مشاكلهم فى الحياة وايجاد الحلول والعلاجات الناجعة المنشودة لتلك المشاكل.

حقق الله الآمال، واصلح حال المسلمين ومستقبلهم وهداهم سواء السبيل.

ذو الحجة ١٣٧٤هـ





المنهل
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

العدد ٤٧٢ السنة ٥٥ المجلد
اسسها سنة ١٣٥٥هـ
عبد القدوس الأنصاري

صاحب المجلة رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
زهير بن نبيه الأنصاري

سكرتير التحرير
السمانى كمال الدين

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المراسلون
مصر: فريد ابو سعدة
الأردن: روكس العزيزى
تونس: د. نور الدين صمود
المغرب: عبد الرحيم عبد السلام
الجزائر: د. بكرى عبد الكريم
تركيا: د. أنور طاهر رضا

بطاقة تقديم

فى الحج .. لا رفث ولا فسوق ولا جدال ..

فى الحج .. صفاء ونقاء، تعارف وإخاء.
فى الحج .. تمتد أكف الضراعة، القلوب خاشعة والنفوس ناعمة، والوجوه ناضرة .. إلى الخالق سبحانه وتعالى تتجه القلوب فى قلب مؤمن واحد، ويرتفع النداء والدعاء .. «اللهم وحِّد كلمة المسلمين» .. «اللهم وحِّد بين قلوبهم» .. ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

أمة قوامها الإيمان الخالص لله وحده .. وشعارها «المسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم».

وصفاء الحج نحمله فى قلوبنا نوراً هادياً .. نبدِّد به ظلمات الفُرقة والتفرقة وننير به طريق المحبة والألفة.

وكل عام وأنتم بخير

«المحرر»

المركز الرئيسى
جده ـ الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥ رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٣٢١٢٤ـ٦٤٣٩٧٦٥ـ٦٤٢٧٨٣١
مكتب الرياض
ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات
● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
● السعودية: ٨ ريال ● قطر: ٨ ريال
● الامارات: ٨ دراهم ● الاردن: ٥٠٠ فلس
● السودان ٢٥٠ قرش ● مصر: ١ جنيه
● المغرب: ٦ دراهم ● تونس: ٦٠٠ مليم
● موريتانيا: ١٠٠ أوقيه

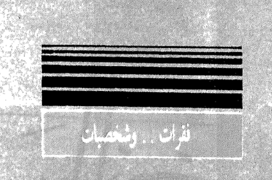
● غلاف العدد: الكعبة المشرفة ، أول بيت وضع للناس .. تأوى إليه نفوس المؤمنين الصادقين من وعثاء سفر الحياة المرهقة آناء الليل وأطراف النهار .. وفى هذا الشهر المبارك تتجه اليه قلوب المؤمنين في كل انحاء المعمورة .

وكلاء التوزيع

تهامة للتوزيع/ جده ت: ٦٦٩٥٠٠٠

وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠

الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩




رستم كيلاني

● الاسلام هو الدين الذى خاطب العقل الانسانى السليم البعيد عن الهوى والغرض .. فآمن به هذا العقل مُخلِّصاً للبشرية من ويلاتها .

ص١٤


د. عبد الله باسلامة

● قصيدة (التهانى في العصر العباسى تناولت عدة أغراض الى جانب التهانى منها: المديح ـ الفخر ـ الاستهاجة ـ الشكر والحكمة

ص٢٠


عبد العزيز بن عبد الله

● بدأت فكرة (الرباط) في عصر المرابطين عسكرية لم تطورت بعد ذلك ليؤدى الرباط مجموعة مهام اخرى منها: طلب العلم، مواجهة البدع في الدين والخرافات، التعبد والزهد .. وبهذا يكون الرباط قد أدى مجموعة مهام دينية وعسكرية وعلمية .

ص٤٤


د. محمد أبو بكر حميد

● استطاعت اللغة العربية بمالها من خصائص ومرونة أن تستوعب علوم ومعارف الامم الوافدة إليها .. بل استطاعت ان تفرض نفسها على ألسنتهم ومعارفهم .

ص٥٨

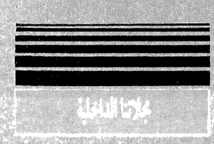
● حركة الانتفاضة فى فلسطين المحتلة لم تكن حركة نضال فحسب بل أرست مجموعة مكاسب ثقافية واعلامية وتنظيمية تمثلت في الدقة والمرونة في الحركة والتعبئة والتوجيه والاتصال .

ص٧٦


د. محمد صالح الشنطى

● الصحة العامة للانسان الجسدية والبيئية والنفسية تمثل مرتكز الاهتمامات الأولية في الحياة الاسلامية .

ص١١٦



إشـارة:

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر، وتصحيح ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بنوع أو شكل الموضوع أو مكانة الكاتب.

● يشترط في الإسهامات المقدمة عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة المرسلة بالصورة الموضوعية والتوضيحية. ان لزم الموضوع وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة.



■ مجلة السائح العدد (٤٣)
● فلسفة المرابطين ومؤثرات الفن الاسلامى
● ماليزيا وعبق الشرق



■ مجلة فلسطيننا العدد (٣٣)
● العيد يا أشبال
● الانتفاضة المباركة انعطافة ثقافية وحضارية
● ابناؤنا ماذا يعترض طريقهم الى الجامعة
● عصافير على أغصان القلب

■ مجلة المشتار العدد (٤٧)
● الحج هجرة إلى الله
● حاج في رحاب الله
● لبيك ربّ العزة
● حنين إلى الوطن
● أماني العمر
● الق غرام
● الله اكبـر



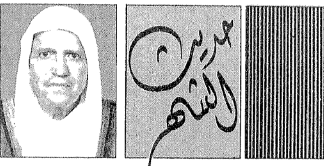
■ مجلة هنّ العدد (٤٧)
● العمل مسئولية
● لقاء وحوار مع الدكتورة سعاد الصباح
● اعارة الكتب واستعارتها
● رسالة الى السيدة الجميلة
● نساء من الشرق
● نساء من الغرب
● اوراق زوجية

الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥

دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبي ت: ٣٣٨٢٨٥

دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢

وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت ٦٣٥١٥٢







بقلم الاستاذ :

هاشم محمد سعيد دفتر دار

التضحية بالنفس

مثل أفراد الأمة الواحدة المجتمعة كعنقود العنب . . كل حباته فى الحسن والحلاوة على نسق واحد، ومهما يكن من خلف وتباين فإن الأصل الجامع واحد هو الحسن والحلاوة، دون ما تمرد على الأصل، إلا بعض حبيبات تراها شاذة جافة باهتة فى لونها وطعمها وشكلها ولأجل ذلك تطرح طعاماً للحيوان .

■ وأنت تستطيع من هذا المثل البسيط أن تعرف أوضاع أبناء أمتك إذا شاهدت بينهم من لا يفرح بأفراحها ولا يحزن بأحزانها وإن كان يعايشك فى منزل واحد وتفيد أنت وهو من خيراتها وبركاتها . . ممن كان مثلك أو دونك أو أكثر منك . . وما أجلك إذا علمت أنها سنة الله فى الرزق ﴿فلن تجد لسُنَّةِ اللهِ تبديلا ولن تجد لسُنَّة اللهِ تحويلا﴾ .

وهو مع كل ذلك يمقتها لأنه غريب الحس عن نهوضها ، أما من يحس بأمته حسك ويؤمن بمواهبها إيمانك ويفخر بأمجادها فخرك ، ويعتبر مصالحها هى مصالحه ، فلا يفر بها إلى الخارج ويهدم بذلك بنيان اقتصادها ، بل أنت وهو تشتركان فى دعمه والسمو به وتسعدان معاً بالدعم والسمو ليكون ذلك وسام ثراء الأمة والدولة معاً ، وحينئذ تظفران بسعادة الخلود ، ولماذا لا يكون هذا منك ومنى ومن كل أفرادها وهى التى تغذينا جميعاً من مرافقها ومعطياتها .

■ وإذا لم أكن أنا وأنت بهذه المثابة بالنسبة لأمتنا ودولتنا ، فإنا نُعَدّ من الأموات الأجانب لأن أمواتها الأصلاء فإنهم أحياء على ألسنة أجيالها وصفحات تأريخها وذكريات أحداثها . واذكر أنها تظللنا سماؤها أفراداً وجماعات ، فيجب أن نكـون جميعاً عاملين فى توفير أمنها ورفاهية عيشها وسلامتها من أدواء العصبيات التى تفرق جماعتها وتدنيها من الأخطار والمهالك .

فإذا لم يكن ذلك منا كنا كالأورام الخبيثة نتغذى على حساب موتها وهلاكها ، وهذا إجرام إن يكن منك ومنى أو من أحد سوانا من إخواننا ، بل إجرام كبير ، كبير .

وهنا يجب أن نعلم جميعاً أن نحس بشرف أمتنا التى ننتمى إليها ، وشرف عقيدتها الجامعة وشرف تأريخها وأبطالها كافة ، السالفين والمحدثين وهذا آية أننا من أبنائها ، وآية أن نبض حياتنا منها روحاً وجسداً ومصلحة وماضياً وحاضراً ومستقبلا .

■ وهذا الحس الحى الصارخ هو ما يسميه علماء الاجتماع المثل الأعلى لكل أمة وهو حس الحياة ومن فقده فقد فقد

حس حياته انه فرد من أفرادها وحينئذ تكون حياتك هي حياتها بالنسبة لها، وتكون أنت كذلك صانع حياة لها بروح جماعتها التى تحيا فى أعماق مجموعتك النفسية، وبمثل ذلك يكون المواطن حيا، وإلا كان من الأموات.

ومهما يكن فأنا وأنت وهو لسانها الحى السامى بسمو عقيدتها المثلى، وأنا وأنت وهو، فكرها النير القدير وقلبها الكبير وبصيرتها الصافية.

كل ذلك من ثمار الحس المتقد بشرف وجودها وجلاله وجماله، والذين يفقدون مثل هذا الحس انهم أبناء أمة يتشرفون بمثلها الأعلى ودستورها السماوى - وحى الله المنزل - فإنهم يكونون مصدر ما يدمى الأفئدة ويجرح القلوب ويورث الأحقاد ويذيب الاكباد أسى وحزنا.. ويكونون معاول هدم فى أمجاد أمتهم ودعاة تمزيق لوحدتها وعيون ارصاد ونكاية وحسد لباذخ أمجاد جامعتها المقدسة ويكونون بلاء البلاء ضد مثلها العليا.

ومهما يكن فالأمر أمر الأمة الحية، سواء كانت كبيرة أو صغيرة فليس العبرة بالأعداد فما أكثر أعداد الأموات، ولكن العبرة بالأفراد الأحياء الذين يقدمون حياتهم العزيزة للتضحية فى ساعة العسرة من أجل حياتها فضلا عن أموالهم ومرافقهم.

وهكذا فان الفرد الحى هو الذى يحب الأحياء العاملين فى أمته سواء أكانوا من أسرته أو قبيلته أو سواهم، ويكره المهملين الذين لا يحققون لأمتهم الأمجاد تلو الأمجاد.

■ وقد قلت يوما لشاب مواطن موظف فى مكتبة الاذاعة.. «أنت يا تامر فرد من أفراد قبيلتك وهى قبيلة لها تأريخها فى خدمة العروبة ولغتها وعقيدتها فهل تحبها وحدها وتعتز بها وحدها وتخصها بالذكر والفخر وحدها؟ شأن أهل الجاهلية الذين كان أحدهم إذا ذكرت له أمجاد قبيلة أخرى أو فئة أخرى ضاق صدراً واربد وجهه مؤثرا انكماشه وانعزاله عن وحدة أمته كأهل الجاهلية الذين يقول أحدهم عن قبيلته حين سئل عنها.

أقول لها سمعت بكل شيء
ولم اسمع بكلبيٍّ جبان

■ فأجابنى سريعاً وهو يقول: لا.. وإنى أقسم بالله إنى أحب هذا الحب الذى ذكرته لكل أبناء وطنى السعودى أنيّ كانوا فى سهل أو جبل أو واد أو فى قرية من القرى أو مدينة من المدن، وأعد نفسى لأكون فداء لهم وأن لا يصابوا بمكروه.

حينئذ قلت له أنت مواطن صالح، وبمثل عقيدتك تحيا الأم، وتمجد وتخلد وتسمو الى قمم الحضارة.. هنا سجدت لله شاكراً وأنا احمده تعالى أن ملأ قلوبنا أمنا وإيمانا وحباً واهتماماً وبركة وخيراً.

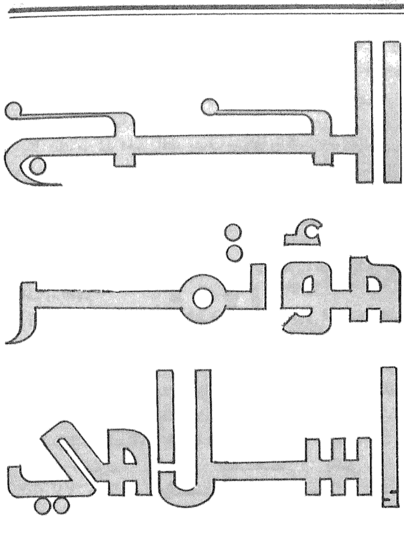
والحق أن الأمة التى ترصد المزقين الذين ينفثون فى صفوفها سموم التفرقة ويبذرون بذور الشتات والأحقاد والتفاخر والتكبر، هى الأمة التى تستحق الحياة والخلود والعزة والكرامة وهى الامة التى تنجو من شراك المؤامرات المنصوبة لها فى جنح الظلام.

■ نعم سجدت شكرا لأننى رأيت الشباب فى هذا البلد السعودى الكريم واعين أيقاظاً وهذا هو الفخر والعزة والكرامة.

ولا ريب أن الأمة التى ترصد المزقين ودعاة الفتنة وبث الأحقاد فى صفوف أبنائها وترصدهم رصداً وتكتم أنفاسهم، هى أمة تريد الحياة والمجد والوحدة والعزة.

■ نعم كل من يحمل نزعة إلحاد وكفر وهدم لكيان الأمة فهو خبيث يحمل الرجس من المذاهب الهدامة، ومثله حرام أن يظل بين أبناء أمته وصدق أمير الشعراء فى قوله:

كل دار أحق بالأهل إلا فى
خبيث من المذاهب رجس

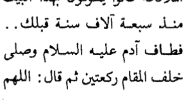


الحج مؤتمر إسلامي

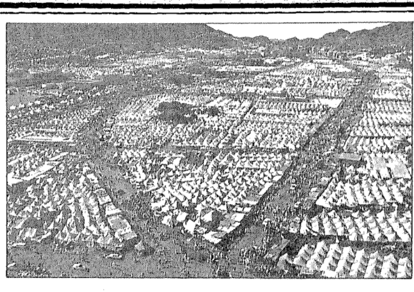
بقلم: خالد محمد غازى
مصر

ما الحج؟. الحج فى اللغة هو القصد.. وفى اصطلاح الشرع: القصد الى بيت الله الحرام لأداء المناسك فى أشهر الحج وهى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة قال تعالى﴿*ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب*﴾ سورة الحج الاية ٣٢ ـ وقال جل شأنه ﴿*ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه*﴾ سورة الحج الاية ٣٠.

■ والحج عبادة عرفتها الانسانية قبل الاسلام.. فكان يعرف بمعنى زيارة الأمكنة المخصوصة ابتغاء التقرب للاله المعبود وتلك صورة قديمة من صور العبادة ـ اتخذتها الشعوب والقبائل رمزاً لاجلال المعبود وتقديسه.. وكانت كل أمة تتخذ فى حجها ما يناسب تخيلها لعظمة معبودها(١).



وما من نبى من الأنبياء إلا حج بيت الله الحرام.. ولما حج آدم عليه السلام قال له جبريل.. إن الملائكة كانوا يطوفون بهذا البيت منذ سبعة آلاف سنة قبلك.. فطاف آدم عليه السلام وصلى خلف المقام ركعتين ثم قال: اللهم



إنـك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم ما عندى فاغفر لى ذنـوبى كلها فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم إنى أسألك إيماناً يباشـر قلبى ويقينا صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ما كتبت لى ورضّنى بقضائك. فأوحى الله اليـه ﴿*يا آدم إنك دعوتنى بدعاء فاستجبت لك وما يدعونى به احد من ذريتـك إلا استجبت له وغفرت له ذنـوبـه. وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها*﴾.

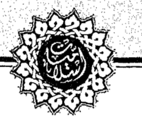
■ ولما انتهى ابراهيم عليه السلام من بناء بيت الله الحرام، أوحى إليه الله أن يؤذن فى الناس بالحج فقال يارب: وما يبلغ صوتى فقال الله يا ابـراهيم عليـك بالآذان وعلينا البلاغ فاعتلى ابراهيم المقام ونادى بأعلى صوته (يا أيها الناس إن الـله كتب عليكـم الحـج فحجوا، فسمعه من فى السماء ومن فى الأرض حتى من فى الاصلاب والارحام فمن أجاب مرة حج مرة ومن أجاب مرتين حج مرتين.. قال تعـالى: ﴿*وأذّن فى النّـاس بالحـجّ يأتـوك رجـالاً وعلى كل ضامِـر يأتِينَ من كلّ فجّ عميقٍ ليشهدوا منافعَ لهم ويذكروا اسمَ اللهِ فى أيـامٍ معلومـاتٍ على ما رزقهم من بهيمـة الأنعام*﴾ سورة الحج الاية ٢٧ـ٢٨

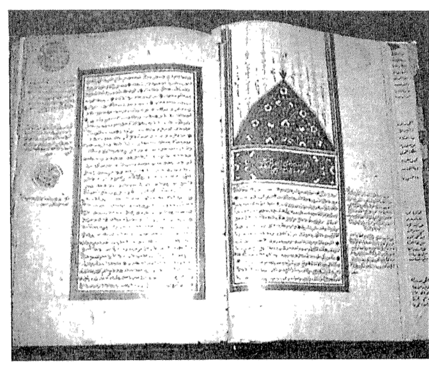
والحـج فريضة وجبت على القـادر ـ قال تعـالى ﴿*ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا*﴾ سورة آل عمران الاية ٩٧.

■ وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ـ فقال «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقـال رجـل: أكـل عام يارسول الله.. فسكت حتى قالها ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»(٢).

■ وجـاء فى فضل الحج عن ابن عمـران أن رسـول الله ﴿ﷺ﴾ قال: أمـا خروجك من بيتك تؤم البيت الحـرام فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة ويمحو بها عنك سيئة، وأما وقـوفـك بعرفـة فان الله تعـالى يقـول: ﴿*هؤلاء عبـادى جاؤونى شعثـا غبراً من كل فج عميـق يرجون رحمتى ويخافون عذابى ولم يرونى فكيف لو رأونى*﴾، فلو كان عليك مثل رمل عالج ومثل العضا ومثل قطر السماء ذنوبا غسلها الله عنك وأما رميك الجمار فلك بكل حصـاة رميتهـا تكفـير كبـيرة من الموبقات، وأما نحرك مدخور عند ربـك، وأمـا حلقـك رأسك فانه مدخـور لك بكـل شعـرة تسقـط حسنة، فاذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كما ولدتك أمك.

■ اجل إنه مؤتمر كبير اقترن بيوم الحـج الاكـبر ويـوم عيـد الاضحى.. قالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها. «قلت يا رسـول الله نرى الجهاد أفضل الاعمال، أفلا نجاهد؟ فقال لكن أفضل الجهاد حج مبرور»(٣) وروى «عن أبى هريـرة رضى الله عنه، سئـل رسـول الـله ﴿ﷺ﴾ أى الأعـمال أفضـل.. قال: إيمان بالله.. قيـل ثم ماذا..؟ قال: الجهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا ـ قال حج مبرور»، وعن فضل هذه





إلى عرفة. فلما كان حين ازلفت الشمس أمر راحلته القصواء فرحلت. فلما توجه قال «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة) إنه مؤتمر الوحدة والتضامن حول راية الاسلام والتصدى للمؤامرات والغارات والفتن والدسائس ليعلم العالم كله أن المسلمين قوة لا يستهان بها مثلهم مثل الجسد الواحد.

قال رسول الله «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٤).

■ إنه مؤتمر الخير والجنة قال عليه السلام (الحجاج والعمار وفد الله وإن استغفروا غفر لهم) ولم لا وهو مؤتمر التقوى ـ قال تعالى: ﴿***وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقو الله يا أولى الالباب***﴾.

لقد كان العرب قديما يفرحون بنسبتهم لهذا الدين وصدق احدهم حين قال:

أبى الاسلامُ لا أبَ لى سواه
إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

■ ***ويقول آخر:***

ومما زادنى شرفاً وتيهاً
وكدت بأخمصى أطا الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى
وأن صيرت احمد لى نبيا

■ ولقد أيقن أعداء الاسلام

الفريضة ايضا ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال «معشر الناس أتانى جبريل عليه السلام فأقرأنى السلام وقال: إن الله غفر لأهل عرفات ولأهل المشعر الحرام؟ فقام عمر بن الخطاب فقال/ يا رسول الله أهذا لنا خاصة؟ فقال الرسول ﴿ﷺ﴾. هذا لكم ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة ـ فقال عمر: كثر خير الله وطاب».

■ فالحج مؤتمر التماسك والوحدة الاجتماعية.. يتضح فيها التقاء القلوب وتقارب الاهواء واتحاد الافئدة.. لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون الحج مؤتمراً لجمع كلمة المسلمين فى جميع بقاع الأرض مهما اختلفت الاوطان

واللغات والاجناس.. فى مكان واحد وقفوا. يطوفون ببيت الله الحرام ويسعون بين الصفا والمروة ويقفون على عرفة ويرمون الجمرات ويسوقون الهدى ويكبرون ويلبون.. لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريكُ لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. هذا النداء الذى يتجاوب صداه فيهز الوجدان ليذكرنا بيوم البعث.

■ المكان واحد والزمان واحد والغاية واحدة مؤتمر كبير للمسلمين. اجتمعوا لا لرياء ولا لنفاق بل تركوا الدنيا وراء ظهورهم واتجهوا إلى الله، روى أن النبى ﴿ﷺ﴾ لما حج حجة الوداع ركب

خطورة هذا الاجتماع الكبير يقول: «جلاد ستون» (لن يهدأ بال الأوربيين ما دام للمسلمين أربعة ـ المصحف والأزهر واجتماع الجمعة ووفد الله لحرمه.. أى الحج).

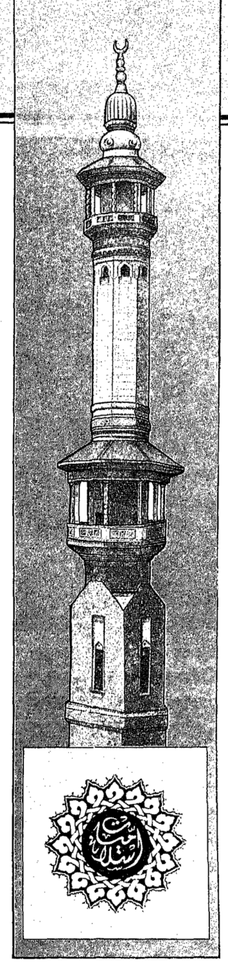
ورسول الله ﴿ﷺ﴾ وقف فى حجة الوداع يخطب قائلا: «**تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا. كتاب الله وسنة رسوله، أيها الناس، اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ولا تظلمنّ أنفسكم.. اللهم قد بلغت**»(٥). وفى خطبة الوداع لرسول الله ﴿ﷺ﴾ نزلت آخر آيات القرآن الكريم.

■ روى ان رجلا من اهل الكتاب جاء الى عمر بن الخطاب فقال: إن عندكم آية لو كانت نزلت علينا لاتخذنا يوم نزولها عيدا. قال ما هى؟ قال ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**﴾ فقال عمر لقد فعلنا إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه «وقد نزلت هذه الاية على رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوم عرفة فأصبح الناس فى عيد.. وإنه يوم الاكمال والاتمام للاسلام وما أحوج أمة الاسلام اليوم أن تراجع حساباتها وتراجع موقفها من ربها ودينها لتعود إلى قوتها وعزتها لقد قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه ﴿**لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون**﴾ لقد ذُكر المسلمون بين أمم الارض وعرفوا بهذا المنهج العظيم حين حملوه وآمنوا به، ولم يكن لهم قبله ذكر.. ولا أثر بين أمم الارض. فلما تخلوا عنه تنكرت لهم البشرية وتخلت عنهم وصاروا ذيلاً للقافلة يتخطفهم الناس وكانوا بكتاب الله يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون.. أما آن للمسلمين أن يفقهوا معنى الحج وما فيه من دروس تدربنا وتعلمنا أن وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم هدف أصيل وجزء من هذا الدين بل هى حقيقة من حقائقه(٦).

■ فمتى يعود المسلمون إلى الوحدة. وليقفوا فى وجه اعدائهم.. ليقولوا للدنيا كلها عدنا إلى وحدتنا وإنا لها لحافظون..

الهوامش

(١) فى رحاب بيت الله الحرام للاستاذ ممدوح محمد حسين ص١٣
(٢) رواه مسلم والنسائى.
(٣) رواه البخارى فى صحيحه
(٤) أخرجه البخارى ومسلم.
(٥) الدعوة: يوم عرفة ع٣٣٥ ص ٣ فى ١٣٩١/١٢/٢
(٦) منار الاسلام أكتوبر ١٩٨٣ ص٨، ٩



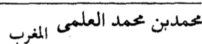
الحركة السلفية

ودورها في نشر الوعي الديني

إن الحركة السلفية قامت على جذور تهدف الى استعادة التصور الحقيقى للمعنى الاسلامى بعيداً عن التعقيد الذى ترتب على المذاهب الفلسفية والفقهية المقتبسة من منطقة اليونان وشتى أساليب المجادلة والمناظرة .

فالحركة السلفية تنفى التقليد . . وتدعو الى الصحوة والاجتهاد والعودة الى الأصالة الخالصة حتى يتدارك المسلمون ما وقعوا فيه من انتكاسة وتخلف فى عالم الفكر والاقتصاد والسياسة والحضارة . وهذه الحركة تشجب تخدير المسلمين . . وتنبههم الى الرؤية الصادقة لحقيقة الاسلام من حيث صفاء العقيدة . . وتركيز الادراك العلمى . . وتحاشى كل استلاب وتواكل يتنافى وروح الاسلام التى تسمو بالانسان الى أسمى الدرجات .

محمد بن محمد العلمى
المغرب



■ والتفكير الاسلامى من حيث هو مرَّ بمراحل شتى : منها مرحلة القرآن الكريم والسنة النبوية ، وفى هذه المرحلة بالذات كانت الانطلاقة الاسلامية الفطرية النقية من جميع المؤثرات الخارجية فنشأ المسلم نشأة سليمة من حيث العقيدة والاجتماع والأخلاق . .

ومنها مرحلة نشوء المذاهب الفقهية والكلامية التى تأثرت الى حد بعيد فى منهجها الفكرى بما امتزجت به من علوم وحضارات الأمم التى شملتها الفتوحات الاسلامية . . وأعقبت هذه المرحلة مرحلة ثالثة قائمة على الضحالة والتقليد والانطواء ـ ومجرد التبعية فكأن المدارس والمذاهب قد سدت الطريق على كل اجتهاد واستنباط وإثراء للرصيد الأصيل والعريق . . وكأن المسلمين قد اكتفوا بما اقتبسوه فاقتنعوا بالنسبية والالحاق بالقواعد الكلية من غير تفطن ولا شعور بمواطن الزلق فيها وبكون السم ممزوجاً بالدسم فيما يأخذون وما يذرون . . وظهر ابن تيمية وابن القيم ـ ونشأت عن تفكيرهما حركات إسلامية قد أعلنت الحرب بدون هوادة على التبعية والانكماش . . وقامت بنقد بناء . . وفتحت أبواب الاجتهاد لتقويم حقيقة الاسلام فى أصوله التى لا يتطرق اليها الاعوجاج والانحراف .

■■ ولقد ظهرت الحركة السلفية منذ القرن الرابع الهجرى . وكان فرسانها محور الصولة فى الميدان هم القاضى أبو يعلي الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٧هـ . . وابن الزغواني المتوفى سنة ٥٢٧هـ . . إلا أن حركتهما لاقت معارضة شديدة فى عصر كانت المذاهب فيه تحتل قمة القوة والازدهار والعنفوان ـ وأعقبهما كل من (ابن تيمية ، وابن القيم) فى القرنين السابع والثامن للهجرة (الرابع عشر الميلادى) . . ثم ظهرت حركة الفقيد محمد بن عبد الوهاب فى منطقة نجد بالجزيرة العربية السعودية وذلك خلال القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) . . وأعقبتها فى القرن الموالى (الثالث عشر الهجرى الموافق للتاسع عشر الميلادى) حركة الإمام جمال الدين الأفغانى . . والشيخ محمد عبده بمصر . . والشاعر محمد إقبال بالهند . . وبعناية خاصة من الزاوية السنوسية فى برقة (ليبيا) . . وعلى يد جمعية علماء المسلمين تحت رعاية الشيخ عبد الحميد بن باديس بالجزائر . . وعلى يد العلماء والحركات الدينية بالمغرب ـ مثل الشيخ أبى شعيب الدكالى . . والشيخ المدنى بلحسنى . . والشيخ محمد بن العربى العلوى ، وسواهم كثيرون من امثال : عبد القادر الجزائرى . . ومحمد بن عاشور . . ومحمد المختار وماء العينين .

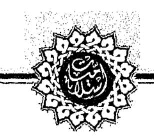




ـ الشيخ محمد عبده ـ جمال الدين الافغانى علال الفاسى

■ **من هنا نرى أن الحركة السلفية من حيث المبادىء والموطن والرجال ـ خضعت لتسلسل تاريخى فى دعوتها التصحيحية الجادة الشاملة .**

فمن بعد أن قامت الحركة السلفية بدراسة العقائد الاسلامية دراسة متعمقة على حسب ما كانت عليه من عهد الصحابة والتابعين استنادا على الكتاب والسنة ونبذ المنطق والفلسفة ـ مثلما كان عليه الشأن عند المعتزله والأشاعرة والماتريدية ـ برزت قضية التوحيد وصلته بالآخرين . . ومسألة آيات التأويل والتشبيه . . وقد استنكرهما الحنابلة كالفقيه ابن الجوزى الذى قال : «**رأيت من أصحابنا من تكلم فى الأحوال بما لا يعلم فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب**» . . وجاء ابن تيمية واسمه تقى الدين بن عبد الحليم بن عبد السلام وهو من فقهاء الحنابلة فضبط المنهج على أساس من روح



التضامن الاسلامى من تمسك بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة بدلا من الفرقة والعصبية المذهبية ـ إذ كان يدعو الى العودة للاجتهاد فى فهم القرآن عوضا عن التقليد المفضى الى الانحراف. بمعنى أن الأولياء لا قدرة لهم على الشفاعة والوساطة. . وأنه تجب محاربة التصوف المنحرف وعقيدة الجبر وما تنتهى إليه من انهزامية وانطواء وسلبية وتسليم. وأنه يجب التصدى للخرافات والبدع المتسربة الى الاسلام والتى جعلت من بعض المسلمين قوة متعطلة بينما الاسلام يدعو الى الايجاب والقوة والثبات فى الأمر ـ فهذه دار العمل وتلك دار الجزاء: ﴿*هو الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور*﴾.

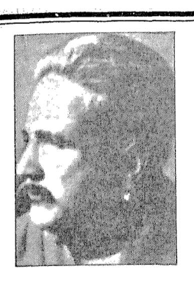
وعلينا أن نلاحظ أن ابن تيمية تزامن مع الغزو المغولى ولذلك فهو يحاول بأقصى جهده أن ينقذ الأمة الاسلامية مما انحدرت فيه من فرقة وانحلال وخذلان ـ فصار يكتب ويؤلف وتستخدم الدليلين المنطقى والدينى فى الدعوة الى المنبع الاسلامى الصافى من جميع المؤثرات الخارجية والأخلاط والشوائب مثلما كانت عليه الفطرة السليمة فى عهد الرعيل الاول من المسلمين.

■ **فمن حيث الوحدانية أو التوحيد وصلته بالأضرحة:**

يرى ابن تيمية أن من دعا المخلوقين من الموتى والقائمين واستغاث بهم كان مبدعا فى الدين مشركا برب العالمين، متبعا غير سبيل المؤمنين. ومن سأل الله بالمخلوقين أو أقسم عليه بهم كان مبتدعاً بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ـ فالتوجه بالدعاء الى الله فى استقبال أى ضريح، مخالف للوحدانية.

فالقصد من النهى عن التعلق بأضرحة الأولياء والصلحاء. . وعن اعتقاد كون وساطتها تفيد. . هو التحذير من الوقوع فى شرك الاتكال على غير الله والشعوذة التى تتنافى مع روح الاسلام.

■ **ومن حيث آيات التأويل والتشبيه**: يجب قبول ما جاء فى القرآن والسنة من صفات الله وأسمائه. . وأخباره وأحواله سبحانه وتعالى ـ من غير تأويل وتفسير بغير الظاهر ولا تشبيه بالحواس ـ ويجب الاعتقاد الجازم والايمان واليقين بوحدانية الذات والصفات والأفعال مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿*هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين فى قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء تأويله. وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب*﴾



■ **ويرى ابن تيمية فى مسألة الجبر والاختيار**: أن الله تعالى لا ينازعه أحد فهو قد خلق كل شيء بإرادته ـ لكنه عز وجل يحب فعل الخير وييسره ويكره فعل الشر ويحذر منه. والانسان مسؤول عما يفعل ما دام يتمتع بإرادته وقدرته التامتين اللتين تنشأ عنهما أفعاله. وبما أن له حرية العمل والاختيار فهو الفاعل الحقيقى لما يريد. فلا واسطة بين العبد وربه ـ وذلك هو جوهر الاسلام الذى لا يقبل (مثلا) طلب العفو والصفح والغفران عن طريق الموتى أوالأحياء مخافة الوقوع فى الشرك الذى جاءت الملة السمحاء لمحوه وإزالته من الوجود. كما أن الاسلام يحارب السلبية والتسليم فى الحياة ـ إذا الاسلام يفتح مجال الايجابية أمام من أراد إرضاء الله بعمله

الصالح والوصول الى درجة العاملين المؤمنين المتقين القانتين الطائعين الخاشعين.

■ وعندما أصيبت الخلافة العثمانية بالضعف والانحلال وعملت أوروبا على تقسيم الشرق والغرب الاسلاميين الى مناطق نفوذ حوالى سنة ١٧٩٨ كان نابليون بونابرت قد حاول غزو مصر فلم يفلح . . واستولى الايطاليون على طرابلس . . واستحوذ الفرنسيون على الجزائر سنة ١٨٣٠ . . ثم على تونس وسوريا ولبنان فالمغرب والصحراء الكبرى . كما احتل الانجليز مصر واقتسمت بريطانيا وروسيا النفوذ فى إيران .

■ **ومن جملة زعماء الاصلاح الذين حاولوا حينذاك إيقاظ العقيدة الاسلامية الصحيحة فى النفوس والرجوع الى عهد السلف الصالح (محمد بن عبد الوهاب) المتوفى سنة ١٢٠٦هـ . . وظهر بعده فى نفس هذه السبيل الشيخان جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى مصر، والمختار السنوسى فى برقة (ليبيا) وعلماء الاسلام فى المغرب مثل علال الفاسى وإبراهيم الكتانى والفقيه محمد غازى ومحمد بن العربى العلوى وسواهم .**

■ وحركة الوهابيين أهم مبادئها فى الاصلاح : الرجوع الى القرآن الكريم والسنة النبوية . . ونبذ ما ذهب اليه الفقهاء من القول بالقياس والرأى . فلا مكان للتبرك بالأشخاص . . والتماس القربى من الله بزيارتهم . ولا مكان للبدع التى يتبرأ منها الدين . . والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى على المنكر . . كما أنه لا مكان للأضرحة وما تسببه من وثنية ـ حيث يقدم اليها ضعفاء الايمان القرابين والأذبحة ظنا منهم بأنها تقربهم الى الله زلفى . فكل ما لا يواكب القرآن ولم يثبت عمله من لدن السلف الصالح فهوبدعة . . وهذا رد فعل قوى وسديد ضد الانحلال والفهم الخاطىء لبعض مبادىء الاسلام وأهدافه . فلن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

■ وكانت حركة الاستشراق ترمى الى تشويه وجه الاسلام والتشكيك فى قيمته . وتسرب ذلك الى مناهج التعليم حيث أغفلت الدراسات الاسلامية مما جعل بعض المسلمين يحاربون معتقداتهم بأنفسهم إما جهلا أو تلقينا . ولهذا قام جمال الدين الأفغانى والامام محمد عبده لتنبيه الأمة الاسلامية لما بيتت لها الأعداء من مكائد وموبقات . وعليه فلابد من تصحيح الأصول . . وعودة المسلمين الى توحيدهم واتحادهم . . ومن إحياء الفقه الاسلامى . . وإعادة النظر فى تقويم تربية المسلمين . . والاتفاق على ما قاله مجتهدو الامة فى كل عصر وجيل . . والرجوع الى الاجتهاد فى فهم القرآن .

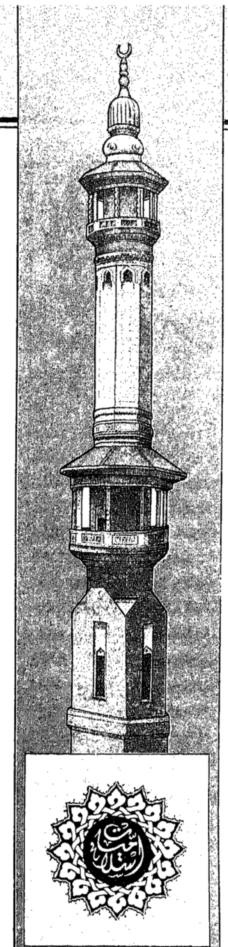


■ شكيب ارسلان

■ و كانت سلفية الامام محمد عبده متأثرة بتفكير الزاوية السنوسية عن طريق خال والده الشيخ درويش خضر ـ من حيث سمو الروح وتهذيب النفس بوسيلة صفاء القلب . فلا توطيد لعلاقة الأخوة بين المسلمين إلا عن طريق الفهم الصحيح للاسلام ـ من حيث الجوانب الوطنية . . والاجتماعية . . والعقائدية والتربوية العامة والخاصة . فنحن فى حاجة الى تخريج علماء قادرين على تربية الشعب تربية يفهم بها الحياة بدل تخريج علماء يبقون فى أبراجهم العاجية ولا يستطيعون السير فى الناس من الأكاديميين المنعزلين .

والسلفيون كانوا على اتصال ببعضهم فى جميع الأقطار الاسلامية . وما قام به العلامة شكيب أرسلان فى هذا الصدد ـ مع أقطاب هذه الحركة فى شمال إفريقيا ـ دليل قاطع على جهاد جنود الرحمن فى الظهور والخفاء . . والله ولى التوفيق .

مفكرون أشادوا



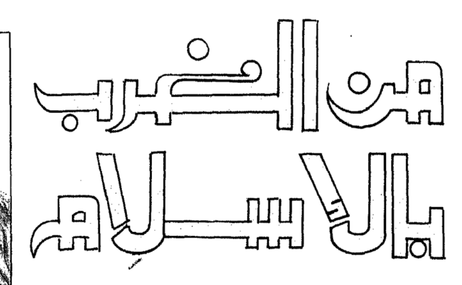
مصطفى عوض بشاره

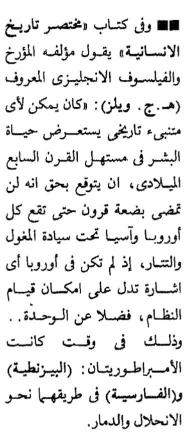
السودان

لقد أشاد كثير من العلماء، والمفكرين الأوروبيين بالمبادىء والتعاليم والشرائع والأحكام العادلة الحميدة التى اشتمل عليها الدين الاسلامى الحنيف، وما قدمه للبشرية جمعاء من انجازات علمية وفكرية عظيمة.

■ وها هو الفيلسوف الفرنسى المعروف، والشاعر المبدع (فولتير) الذى أسهم بدور كبير فى انجاح الثورة الفرنسية بأشعاره ومواقفه الوطنية المشهودة، قد أبدى وجهة نظره حول الاسلام معلنا وقوفه الى جانب الحق، وذلك بقوله: «ليس بصحيح ما يدعى من ان الاسلام استولى بالسيف قهراً على أكثر من نصف الكرة الأرضية، بل كان سبب انتشاره شدة رغبة الناس فى اعتناقه بعد ان اقنع عقولهم.. وان أكبر سلاح استعان به المسلمون لبث الدعوة الاسلامية هو اتصافهم، وتخلقهم بالشيم والخصال الكريمة العالية اقتداء بالنبى محمد ﴿ﷺ﴾.

■ وقال الفيلسوف الانجليزى (وينتوب كيهمبال) عن التعاليم الاسلامية الحميدة والتى حظيت بالقبول والانتشار فى شتى انحاء المعمورة: (لم ينتشر الاسلام من أقصى المحيط الهادىء الى أقصى المحيط الأطلنطى فى مدة قصيرة، الا لأنه امتاز بالمساواة والعدالة، ثمّ قال: (وفى المدة الأخيرة اعتنق الدين الاسلامى أهل الملايو.. والصين.. واليابان.. والهند.. وأوروبا.. لا بالسيف، ولكن بالعدالة، والمساواة.. وحرية الفكر، ونشر روح الإخاء الحقيقى.. ومما يجدر ذكره ان الدين الاسلامى قد انتشر الآن فى بلاد لم يصلها من قبل الحكم الاسلامى، ولم تكن ضمن الفتوحات الاسلامية).





■■ وفى كتاب «**مختصر تاريخ الانسانية**» يقول مؤلفه المؤرخ والفيلسوف الانجليزى المعروف (**هـ.ج. ويلز**): «كان يمكن لأى متنبىء تاريخى يستعرض حياة البشر فى مستهل القرن السابع الميلادى، ان يتوقع بحق انه لن تمضى بضعة قرون حتى تقع كل أوروبا وآسيا تحت سيادة المغول والتتار، إذ لم تكن فى أوروبا أى اشارة تدل على امكان قيام النظام، فضلا عن الوحدة.. وذلك فى وقت كانت الأمبراطوريتان: (**البيزنطية**) و(**الفارسية**) فى طريقهما نحو الانحلال والدمار.

■ ولكن هذا المتنبىء كان سيخطىء فى تقديره، حين تبددت ظلمات الصحراء والبدو بنور المجد عندما بسط العرب المسلمون سلطانهم ومواد حكمهم ولغتهم من أسبانيا الى حدود الصين، مقدمين للعالم ثقافة جديدة، ومنشئين ديناً لا يزال حتى اليوم أحد القوى الحيوية فى العالم.

وكان محمد بن عبد الله هو الذى أرشد الجزيرة العربية وهداها الى الحق المبين، وقد ظل حتى سن الأربعين لا يميز نفسه بشىء غير عادى عن بقية معاصريه.

■■ ويقول العالم الأمريكى «**ول ديورانت**» مؤلف موسوعة «**تاريخ الحضارة الإسلامية**»: (اذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس، قلنا ان محمداً من أعظم عظماء التاريخ، وقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب القت به الظروف فى دياجير الهمجية وحرارة الجو، وجدب الصحراء، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحاً كبيراً، وقل أن نجد انسانا غيره استطاع فى جيل واحد ان ينشىء دولة عظيمة وان يبقى الى يومنا هذا قوة ذات أثر جليل فى نصف العالم.

■ ويقول المؤرخ «**أنولد توينبى**» فى كتابه: «**مدخل تاريخى للدين**» عن الاسلام انه من اكثر العقائد الدينية اتفاقاً مع المنطق، واشدها صرامة فى الايمان بمبدأ الوحدانية الجليل، واعظمها وضوحاً فى ادراك الاستشراف الإلهى وتسامى الذات الإلهية.

■■ ويقول المستشرق «**فوف جرينارم**»: ان مجموعة كتب التراجم التى انتجها العلماء المسلمون لشىء يدعو للاعجاب نسبة لكثرتها، ودقتها، واهميتها، وما جمعته من مادة رائعة، وان علماء أوروبا فى العصور الوسطى لم يكن لديهم من العلم والمعرفة ما يقارن بعطاء ونتاج معاصريهم من علماء المسلمين فى هذا الميدان.

■ وكما يقول (برنال) المفكر الأوروبى المعروف عن العلماء



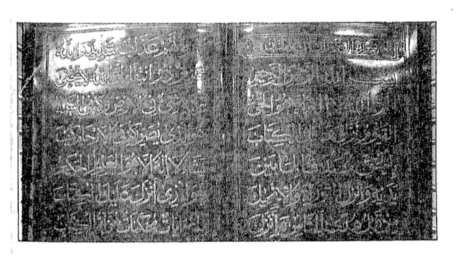
المسلمين بلغة الاعتراف بالفضل، وابداء الثناء والتقدير: (ان الفضل أعظم الفضل للعلماء العرب المسلمين فى الحفاظ على التراث العلمى، وتدوينه، ونقله، والتأليف فيه، وان علماء المسلمين قد بلغوا فى ذلك شأواً بعيداً، وتفوقوا على الاغريق حين جعلوا العلم سهلا مستساغاً، فأقبل الناس على النهل منه.. وكانت ميزة تفرد بها العلم العربى الاسلامى).

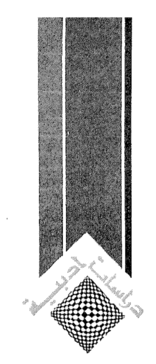
■■ وعن اكتشاف «امريكا» يقول العالم الأوروبى «تايلر» فى كتابه: «**التاريخ الاسلامى**»: ان الملاحين الأسبان والبرتغاليين الذين اكتشفوا امريكا ورأس الرجاء الصالح، قد أخذوا الفنون البحرية وتعلموها عن معلمى العرب «المسلمين» وهم مدينون لهم بهذه الاكتشافات».

■ ويرجح كثير من العلماء والباحثين الأوروبيين ومنهم «**خوان بيرنيت**» استاذ العلوم العربية بجامعة برشلونة، فى بحث له بالعدد الأول من مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، مشيراً الى أسباب نجاح رحلة «**كولمبس مكتشف امريكا**» بأنها نتيجة لإلمامه بالمعارف والعلوم البحرية للملاحين العرب «المسلمين» واطلاعه على المؤلفات الجغرافية العربية.. وقد كتب «كولمبس» عن نفسه: ان من الدوافع التى دفعت به الى اجتياز المحيط، ما قرأه فى بعض مؤلفات «ابن رشد» عن استدارة الأرض.

■■ وفى هذا المعنى، يقول «**ولتر جالشيان**» فى كتابه «**تاريخ اشبيليه**» يعود الفضل فى كشف العالم الجديد، الى ما أعلنه علماء المسلمين عن كروية الأرض، والى أبحاث ابن رشد التى اطلع عليها «كولمبس».

■ وعن الدين الاسلامى وعن شموليته، وعدالة احكامه، وتشريعاته اجتماعياً، وروحياً، وسياسياً، يقول المفكر الأوروبى: «**المسيو أوجين يوغ**» فى كتابه «**يقظة الاسلام والعرب**»: ان الاسلام بالاضافة الى أنه دين، ونهج سياسى حكيم، يشتمل على خلاصة طيبة من البساطة والعدل.. وهو كذلك نهج روحى، واجتماعى وانسانى، عادل وحكيم بحيث لا يمكن للعالم ان يتوفق الى ايجاد نهج مثله يناسب سعة انتشاره، ومطابقته لمتتضيات العالم الحديث، وهو كذلك العدو الألد للاستعمار والشيوعية، ويلائم جميع الظروف، ويسير مع جميع المدنيات أيضاً.





التهاني في الشعر



د. محمد عثمان الملا
قسم الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الملك فهد، الظهران

جاء في المعجم هنأ فلان بالأمر تهنئة: خاطبه راجيا أن يكون هذا الأمر مبعث سرور له، وقال له: ليهنئك هذا الأمر(١).

وحين نتتبع البدايات الأولى للتهاني في شعر الحقب السابقة نجد قصيدة من ثمانية أبيات تنسب لأبي زمعة جد أمية بن أبي الصلت هنأ فيها معد يكرب بن سيف بن يزن بمناسبة انتصاره على الأحباش وبسط نفوذه على اليمن(٢) فإذا صحت نسبة هذه القصيدة الى هذا الشاعر الجاهلي فقد تكون أول ما قيل في هذا الباب.

■ وفى العصر الاسلامى هناك بيتان ينسبان لأبى بكر الصديق هنأ فيهما بلال بن رباح عندما قتل أمية بن خلف فى بدر وقد كان يؤذيه لاسلامه(٣).

■ وفى العصر الأموى هنأ كل من عدي بن الرقاع العاملي وجرير عبد العزيز بن الوليد بزواجه من أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بمقطوعتين الأولى منهما فى ثلاثة أبيات(٤) والأخرى فى ستة أبيات(٥) فإذا انتقلنا الى العصر العباسى وجدنا التهانى تزدهر فتكثر وتتنوع، وذلك لما بلغه المجتمع العربى فى هذا العصر من رقى وتحضر، فقد تعددت المناسبات الاجتماعية وتعددت معها التهانى الدائرة فى فلكها، فهناك تهان عامة تتعلق بالاعياد والانتصارات والفتوح وتولى المناصب، وتهان خاصة تتصل بالزواج والانجاب وبناء المنازل والقصور والشفاء من الامراض ونحو ذلك من المناسبات الدالة على تقدم المجتمع وذوقه الحضرى.

■ فهذا أبو الطيب المتنبى يهنىء سيف الدولة الحمدانى بعيد الفطر فيبالغ فى ذلك حين يجعل ممدوحه مصدرا لجميع الأنوار وحين يعمم آثاره لاعلى البشر وحدهم بل على الكواكب والنجوم أيضا ويمضى فى مديحه فيجعل حياة الممدوح روضة بكرا وأخلاقه أزهار هذه الروضة، ثم نراه يدعو له بألا ينقضى له أجل لأن كرمه دائم لا ينقطع فى يوم من الأيام ولأن شرفه يتجدد بتجدد الأيام والأعوام، على حين لا ينال الآخرون من ذلك سوى الشيب والهرم، يقول(٦):

الصوم والفطر والاعياد والعصر ... منيرة بك حتى الشمس والقمر

ترى الأهلة وجها عم نائله ... فما يخص به من دونها البشر

ما الدهر عندك إلا روضة أنف ... يا من شمائله فى دهره زهر

ما ينتهى لك فى أيامه كرم ... فلا انتهى لك فى أعوامه عمر

فإن حظك من تكرارها شرف ... وحظ غيرك منها الشيب والهرم

شعر العباسي

■ وفى تهنئة الملك الصالح طلائع بن رزيك التى وجهها إلى أسامة بن منقذ أحد الأمراء الذين كانوا يساعدون نور الدين زكى فى حروبه ضد الصليبيين ـ بمناسبة استيلاء المسلمين على عسقلان وما بها من عسكر الفرنج ، فى هذه التهنئة يصور ابن رزيك الدور البطولى لجند المسلمين وفعلهم الافاعيل بجنود العدو، يقول(٧) :

يا سيدا يسمو بهمـ
ـته الى الرتب العليه
أنت الصديق وإن بعد
ت وصاحب الشيم الرضيه
يهنيك أن جيوشنا
فعلت فعال الجاهليه
سارت إلى الأعداء من
أبطالها مائتا سريه
فتغير هذى بكرة
وتعاود الأخرى عشيه
فالويل منها للفرنج
فقد لقوا جهد البليه
جاءت رؤوسهم تلوح
على رؤوس السمهرية

■ وهنأ ابن الرومي إسماعيل بن بلبل حين تقلد ديوان الضياع بقصيدة أحال فيها التهنئة الى الديوان بكل من فيه من كتاب وعمال وبكل ما فيه من أموال فالمهنا فى نظر الشاعر يمن وبركة على هذا الديوان الى جانب ما يتصف به من حكمة وعدالة وسداد وقد تدارك الديوان من الخراب والفساد فصان أمواله وحفظها وعز بها عمال الديوان وأصحاب الحق فيه، يقول(٨) :

ليهنأ الضياع وكتابها
وعمالها ثم أربابها
طلوع السعود بديوانها
غداة تقلدت أسبابها
رددت على رشد دارها
وفتحت باليمن أبوابها
وأحييت بالعز عمالها
ودرعتها فيه جلبابها
فأضحت بذكرك معمورة
وقد رام غيرك إخرابها
تداركها بك نصح الوزير
فشد بحزمك أطنابها
وصان بعدلك أموالها
وكف به منك إنهابها
فلا زلت فى نعم شاكرا
عليهن ذا العرش وهابها

■ وبنى الصاحب بن عباد قصرا جديدا فهنأه عدد من الشعراء منهم القاسم الزعفرانى الذى دعا للمهنا بحياة سعيدة، وشبه هذه الدار بغادة حسناء أغناها جمالها عن الحلى والجواهر فهى ارم المسلمين المرضى عنهم لا إرم عاد المغضوب عليهم وقد سخر الوزير لبنائها أقوياء الانس فقاموا بما يقوم به مردة الجن وشادوا بناء شامخا يتضاءل أمامه هرم فرعون وتوجت الدار بشرفات جميلة يشبهن نساء فى زينة العيد، يقول: (٩)

سرك الله بالبناء الجديد
تلك حال الشكور لا المستزيد
أمة زينت لسيدها الما
لك لا زينة الفتاة الرود
حليها حسنها فقد غنيت عن
كل مستطرف بلبس التليد
إرم المسلمين لا ذكر شدا
د بن عاد فيها ولا اسم شديد



كل مستخدم فداء وزير
خدمته الرجال بعد الأسود

■ أما تهانيهم فى الزواج فليست كثيرة فيما يبدو، ومن تهانيهم بالاملاك قول أبى هلال العسكرى حيث نجد الشاعر يشبه عقد الزواج بالعقد المصنوع من الذهب والمفصل بالجواهر، وأهم من ذلك أنه للزمان عقد مفصل وللافق نشر معطر فهو عقد الخير والسعادة واليسر، يقول: (١٠)

تحكى لك الاملاك عما تحبه
فإنك قد فصلت بالتبر جوهرا
فصيرته للدهر عقدا مفصلا
وطيرته فى الأفق نشرا معطرا
هو اليمن لم يعدمك محبوبة دنت
ومكروهة شطت وصعبا تيسرا

■ وهنأ أبو بكر العنبرى صديقا له بمناسبة زواج ابنته فأشار إلى ما فى الزواج من كرم للحرة وإلى ما نال الزوج من شرف بهذا الزواج فكأنه زوج الشمس بالهلال حيث النور والضياء والخير والفضل ودعا له أن يسعد برؤية أحفاده عن قريب، يقول: (١١)

أنكحت حرتك الكريمـ
ـة عامدا إجلالها
من لم يكن كفؤا سوا
ه اليوم فى الدنيا لها
ما كنت إلا منكحا
شمس السماء هلالها
فضممت محمود الفعا
ل إلى اليمين شمالها
ستقر عينك عن قريـ
ـب إذ ترى أشبالها

■ وقد أكثر الشعراء من تهانى الابناء، ومن ذلك أبيات لعلى بن الخليل هنأ فيها يزيد بن مزيد الشيبانى، وقد بدأها بمديح آبائه وعشيرته ثم هنأه بقدوم فارس المستقبل، وأثنى على منجبه، وأشار الى ما يحمله المولود الجديد من دلائل اليمن والسعادة والوقار، ودعا الله أن يحفظه ويجعله بطلا صنديدا وخطيبا مفوها وجوادا معطاء كما كان آباؤه من قبل، يقول: (١٢)

يزيد يا ابن الغرّ من وائل
أهل الرياسات وأهل المعال
يا خير من أنجبه والد
ليهنك الفارس ليث النزال
جاءت به غراء مأمونة
والسعد يبدو فى طلوع الهلال
عليه من معن ومن وائل
سيما تباشير وسيما جلال
فالله يبقيه لنا سيدا
مدافعا عنا صروف الليال
حتى نراه قد علا منبرا
وفاض فى سؤاله بالنوال
وسد ثغرا فكفى شره
وقارع الأبطال تحت العوال
كما كفانا ذاك آباؤه
فيحتذى أفعالهم عن مثال

■ كما هنأ البحترى المتوكل ببلوغ المعتز بأبيات تدور حول هذا الأمر كظهور سيماء الرشاد والنضج والوقار والفضيلة على الابن البالغ وتجدد الملك ودوامه واجتماع النعم لدى المهنا، وأنهى الأبيات بالدعاء للممدوح بطول البقاء حتى يرى أحفاده شيوخا، يقول: (١٣)

يا كالىء الاسلام فى غفلاته
ومقيم نهجي حجه وجهاده
يهنيك فى المعتز بشر بينت
فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذى أبدى لنا
عن حلمه ووقاره وسداده
تمت لنا النعماء فيك ممتعا
بعلو همته ووري زناده
وبقيت حتى تستضىء برأيه
وترى الكهول الشيب من أولاده

■ وهنأ مطيع الكندى جعفر بن أبى جعفر المنصور بالبرء من المرض، فبدأ تهنئته بالاشادة بعراقة محتده وحنكة عقله، ثم نوه بفضل الله الذى منّ عليه بعاجل الشفاء ودفع عنه غوائل الداء، وأنهى أبياته بتسلية صاحبه فيما أصابه بما يلحق القمر من نقص فى جرمه وضوئه بعد انتهاء

ليالى اكتماله، وهو ما يسمى بالمحاق، يقول: (١٤)

يا ابـن الجحـاجحـة القـرو
م السـادة الغـرّ الكـرام
والمستـضـاء برأيـه
وبـوجـهـه وابـن الامـام
لا تشـك عارض علة
ولـىَّ ولم يَكُ ذا عرام
فالـله جلّى ما ترا
كم من سحـائبـها العظـام
وكسـاك عاجـل صحـة
وسـلامـة طول المقـام
والبـدر يكسـبـه المحـا
ق سنـا الاضـاءة والتـمام

■ وهناك تهان تتعلق بأعياد الأضحى والنيروز والمهرجان والفصح وشهر محرم ورجب وتهان تتعلق بالفصد وشرب الـدواء والختـان، وتهـان تتعلق بالهبات والخلع، وتهان تتعلق بالقدوم من السفر والحج وهى أقل من سواها.

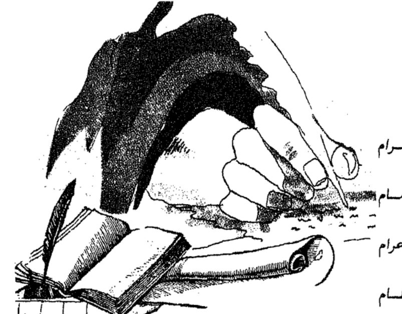
■ ولم تخل تهانيهم من بعض المطارحات، فمن ذلك ما كتب به عبد الله بن المعتز الى عبيد الله بن طاهر، وقد استخلف مؤنس ابنـه محمـد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد يقول مترجما عن سروره بهذا المنصب الذى يبشر بعودة الأمجاد(١٥).

فرحـت بها أضـعـافـه دون قدركـم
وقـلت عسى قد هب من نومـه الـدهـر
فترجـع فيـنـا دولـة طاهـريـة
كما بدأت والأمـر من بعـده الأمـر

■ فكتب إليه عبيد الله أبياتا أشار فيها إلى ايمانه القوى القائم على الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، يقول ملتزما بحر وقافية صاحبه.

ونـحـن إذا ما نالـنـا مسّ جفـوة
فمـنـا على لأوائـهـا الصـبر والعـذر
وإن رجـعـت من نعـمـة الـله دولـة
الينـا فمنـا عنـدهـا الحمـد والشكـر

■ وكـان أكثر هذه التهانى مقطوعات، فساعدها ذلك على التميز بوحدة الموضوع، أما القصائد فيها فقليلة ولعل المتنبى أطول شعراء عصره قصيدا فى هذا المجال، فقد نيفت بعض قصائده على الأربعين بيتا كقصيدته التى



مدح بها سيف الدولة وهنأه بعيد الأضحى، ومطلعها(١٦).

لكـل امـرىء من دهـره ما تعـودا
وعـادات سيف الـدولـة الطعن فى العـدا

■ ومنها:

هنيئـا لك العـيـد الـذى أنت عيـده
وعـيـد لمن سمـى وضـحـى وعـيـدا

■ وقد تناول فيها عدة أغراض كالمديح والفخر والاستماحة والشكر والحكمة إلى جانب التهنئة، وهناك قصائد قصيرة تنـاول اصحابهـا فى نهايتهـا الاستـماحـة والشكوى(١٧) والشكـر(١٨) ولم تحرم بعض قصـائـدهم القصار من ميزة التفرد بالغرض الواحد(١٩) على أن هناك خيوطا هى من صميم قصيـدة التهنئة كالمديح والوصف اللذين تدور عليهـا أكثر التهانى يقول د. مصطفى الشكعه: «هذا اللون من شعر التهنئة لا يكاد يفترق عن شعر المديح فى شىء كثير اللهم إلا أنه يدور فى فلك محدود يضطر الشاعر أن يغوص على المعانى المناسبة حتى يصادفه التوفيق فى أداء ما يريـد من إظهار الفرحة بالمناسبة التى من أجلها قيلت القصيدة»(٢٠).

■ وعنـدمـا ننظـر فى معانى هذه التهانى وألفاظها نجد أغلبهـا يتسم بالـوضـوح والسهولة والبعد عن الغموض والاغراب، وهذا شىء طبيعى لأنها تدور حول مناسبات اجتماعية تتطلب العفوية والبساطة وربما السرعة فى الأداء أيضا وقد بنى الشعراء تهانيهم على ألفاظ معبرة عن هذه المناسبات كالطائر الميمون والسعد والبركة والهناء واليمن والنعيم والعـزة، ومـا إلى ذلك من الألفاظ الدالة على الفرح والابتهاج، وربما أخذ على بعضهم التكرار والحشو كما نرى فى قول احدهم(٢١).



وكــلا تراه مســفــر الــوجــه ضاحكــا
تلوح عليــه غبطــة وســرور
على كل وجــه بهجــة وطــلاقــة
وفى كل قلب بهجــة وســرور

■ وقد يلح بعضهم فى تتبع المعنى وتقصيه بمثل ما جاء فى قصيدة ابن الرومى مهنئا القاسم بن بلبل بالشفاء حيث يعزو سبب دائه الى الدهر الذى أعلن توبته من كل سوء الحقه بالممدوح، لأنه أدرك أن عمله السىء لا يحيق الا به، ثم يقول(٢٢):

بلى قد رمــاه الــنــاس من كل جانــب
بتأنــيــبــهــم إيــاه رمــى المــحــصــب
ولم ينهــه الــتأنــيــب بل جود قادر
راى أنــه منــه على حد يغــضــب
وأبــصــر فى إقــصــاره عنــك رشــده
بعــاقــبــة من رأيــه المــتــعــقــب

■ وفى المقابل مال بعضهم إلى الايجاز كقول كشاجم(٢٣)

لقــد ساء الــعــدى وشــجــا الجــوادا
وأبهــجــنــا تقــلدك الــبريــدا

■ فإنه أخبر ودعا وهنأ فى بيت واحد. وجنح كثير منهم الى المبالغة المقبولة وغير المقبولة، فهذا أبو الطيب المتنبى يزعم أن الشمس كسفت لمرض سيف الدولة. فلما شفى عاد إليها ضياؤها، وكأنها كانت تشاطر الممدوح فيما ألم به يقول:

وراجــع الــشــمــس نور كان فارقــهــا
كأنــما فقــده فى جســمــهــا سقــم(٢٤)

■ ومن المبالغــات الطريفة قول شمس الدولة السلمى يهنىء القاضى الفاضل بالتماثل للشفاء(٢٥).

وذاك أن الــداء لما أتــى
إلــيــه فى جملة خدامــه
أجــلــه أن يعــترى جســمــه
معــرفــة منــه بإعظــامــه
ورام توديــعــاً له فانــثــنــى
يرغــب فى تقــبــيــل أقــدامــه

■ ويسرف رشيد الوطواط فى غلوه الممقوت، فيقول فى تهنئته لصدر الأئمة(٢٦).

والــله لا أرضــى الــســماء وشــهــبــهــا
لك فى جليــل الــقــدر شســع حذاء

■ وقد تأثر بعضهم فى تهانيه بأسلوب القرآن الكريم فأبى اسحاق الصابىء الذى كان يحفظ القرآن ويستعمله فى رسائله، على نحو ما نرى فى قوله(٢٧).

صل ياذا الــعــلا لربــك وانــحــر
كل ضد وشــانــىء لك أبــتر

■ وهناك معان وصور تكررت فى تهانى الزفاف كاجتماع الشمس بالقمر، ومن ذلك قول ابن الرومى(٢٨).

شمس الــضــحــى زفــت إلى بدر الــدجى
فتــكــشــفــت بها عن الــدنــيــا الظلم

■ وقول أبى بكر العنبرى(٢٩)

ما كنــت الا منــكــحــا
شمس الــســماء هلالهــا

■ ولعل الشاعر الأموى عدى بن الرقاع أول من عبر عن ذلك فى قوله(٣٠)

قمــر الــســماء وشمــســهــا اجــتــمــعــا
بالــســعــد ما غابــا ومــا طلعــا

■ على أن ذلك لا يعنى خلو تهانيهم من طرافة الصورة وبعد الفكرة، يقول أبو اسحاق الصابىء(٣١).

يا ماجــدا يده بالجــود مفطــرة
وفــوه عن كل هجــر صائــم أبــدا
اســعــد بصــومــك إذ وفــيــت واجبــه
نســكــا ووفــيــتــه من شهــره الــعــددا

■ ويقول المتنبى مهنئا ابن العميد بعيد النيروز(٣٢).

هذه الــنظــرة الــتــى نالهــا منــ
ــك الــى مثلهــا من الحــول زاده
ينــثــنــى عنــك آخــر الــيــوم منــه
ناظــر أنــت طرفــه ورقــاده

■ فهو يريد أن يقول إن نظرة الممدوح للعيد كالزاد الذى يعيش عليه طوال العام لانه لما رآه استفاد منه النوم والنظر وهما اللذان تستطيبهما العين، فكأنه قدم له أطيب شىء. وقد استخدم الشعراء مختلف الأساليب الخبرية والانشائية وكــان لأسلوب الدعاء النصيب الأوفى من ذلك، حيث كان لهم خير وسيلة لاظهــار مشــاعــرهم والتعبــير عن عواطــفــهــم، فاستعملوه فى كل جزء من قصــائــدهم ومقطوعاتهم، فمنهم من استهل به تهنئته كعبد الصمد بن

المعذل الذى يقول(٣٣)

بأيمن طائر وأبر فأل
وأعلى رتبة وأجل حال
شربت الدهن ثم خرجت منه
خروج المشرفى من الصقال

■ ومنهم من ختم به تهنئته كأبى منصور الكاتب حيث يقول(٣٤)

فلا زلت فى ربع العلى متربعا
تساعدك الأيام فى أهنأ العمر

■ ومنهم من أدرجه فى ثنايا تهنئته كمحمد الخالدى الذى يقول(٣٥)

فولاك فيه إله السماء
بعز تعالى ويمن توالى

■ ومنهم من بدأ تهنئته بالدعاء وختمها به كأبى هلال العسكرى فى قوله(٣٦)

فاستقبل الخير فى نجيب
عما يعيب الورى نزيه
ألا فعش فى ضمان خير
حتى ترى الشيب من بنيه

■ وبعض تهانيهم القصار لم تخرج عن موضوع الدعاء كقول الصنوبرى(٣٧)

خلع خلعت بها قلوب عداكا
ملأت سرورا كل من يهواكا
لا زلت تلبس كل يوم مثلها
أبدا على إرغام من عاداكا
ووقاك رب الناس ما تخشاه من
عنت الزمان وظلمه وكفاكا

■ وقد وفق الكثير منهم فى استمداد دعوته من مناسبة التهنئة، فجاءت منجمة مع طبيعة الموضوع، وهى إما دعوة للمهنأ أو دعاء على عدوه، ففى التهنئة بالحج يقول أبو تمام(٣٨)

وما حججت فمقبول ومبرور
موفر الحظ منك الذنب مغفور

■ وفى التهنئة بالفصد يقول ابن الرومى(٣٩)

يا فاصدا من يد جلت أياديها
وذاق طعم الردى والبؤس شانيها

■ وتميز العديد من تهانيهم ببراعة الاستهلال وحسن الختام، فمن براعة المطلع قول المتنبى(٤٠)

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم
وزال عنك إلى أعدائك الألم

■ ومن حسن الانتهاء قوله:

وما أخصك فى برء بتهنئة
إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

■ كما تميزت بعض تهانيهم بحسن التخلص، كقول ابن الرومى يهنىء بالنيروز(٤١)

قد كان عيدا مجوسيا فشرفه
ملهاك فيه وما تلهو بفحشاء
لكن بأشياء يهتز الكريم لها
جو دافيسنى العطايا أى اسناء

■ ومن الاستطراد نوع يسمى الادماج كقول عبد الله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد.

أبى الدهر من إسعافنا فى نفوسنا
وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

■ ومن مظاهر اهتمامهم بالجانب الجمالى لتهانيهم استعمال التصريع فى مطالعها كقول أبى تمام:

ليهنك أن أصبحت مجتمع الحمد
وراعى المعالى والمحامى عن المجد

■ كما أجادوا استخدام البيان والبديع فى هذا الموضوع، فأبو اسحاق الصابىء يدير تهنئته لوزير معاد إلى عمله على الاستعارة المكنية التى من شأنها بعث الحياة والحركة فى النص، يقول:

قد كنت طلقت الوزارة بعدما
زلت بها قدم وساء صنيعها
ففدت بغيرك تستعين ضرورة
كيما يحل الى ذراك رجوعها



فالآن قد عادت وآلت حلفة
ألا يبيت سواك وهو ضجيعها

■ ويستعين ابن العميد فى تهنئته المبنية على المداعبة بهذه الكناية الخفية الجزلة التى نالت إعجاب صاحب اليتيمة، يقول الشاعر للحسن بن هند وصبيحة عرسه.

قد رضت طرفك خاليا
فهل استلفت له جماحا
وقد حت زندك جاهدا
فهل استبنت له انقداحا

■ ويهنىء الصنوبرى صاحبه بالصوم فيبالغ فى التشبيه بواسطة الاستتباع يقول:

أنت فى الناس مثل ذا الشهر فى الأشهر بل مثل ليلة القدر فيه.

■ ويجمع الخليل بن أحمد الجزى فى تهنئته لأمير سجستان بقصر بناه بين الطباق والكناية يقول:

لازلت فيه باقيا ناعما
على اختلاف البيض والسود

■ وقد استعمل الشعراء عدة أنواع من الجناس كالتام والناقص والمفروق، فمن الأول قول رشيد الوطواط.

لك راحة للناس فيها راحة
تربى صنائعها على الأنواء

■ ومن الثانى قول العسكرى فى التهنئة بمولود.

جنى لذيذ المذاق حلو
يقرب من كف مجتنيه

■ ومن الثالث قول أبى نشر المأمونى مهنئا بعض أصحابه بزفاف.

بدر دجى أصبحوا وشمس ضحى
بارك ربّ السماء فيها له
ضمتهما هالة الوصال معا
من ذا رأى النيرين فى هاله

■ ويجمع أبو الفتح فى تهنئته لابن العميد بين الجناس وتشابه الاطراف، يقول:

إسعد بنيروز أتاك مبشرا
بسعادة وزيادة ودوام

■ ويستعمل ابن خلاد القاضى العكس فى تهنئته لابن العميد حين يقول:

بأسعد طالع عيدت يا من
بطلعته سعادة كل عيد

■ ويبدع السرى الرفاء فى استعمال عدة ألوان بديعيه كالعكس والجناس والمقابلة يقول:

وافى ومولده الوافى يخبرنا
بأنه ناصر للمجد منصور
فعاش ما نشر الديجور حلته
وما انطوى بضياء الفجر ديجور

■ وفى تهنئة محمد الارسانى لأحد ملوكهم يستخدم الجمع والتقسيم وأسماء السور يقول:

أعيذه بعد أسماء الإآله بقل
وقل وقل وبحمد الواحد الصمد

■ ويقول ابن الخياط مهنئا صاحبه بهذا البيت المسمط:

وجد سعيد ومجد مشيد
وعز جديد وعيش نضير

■ ولم تخل تهانيهم من الاقتباس كما فى قول ابن سناء الملك:

فكلنا أصبح مرورا به
لأنه (قرة عين لى ولك)

■ كما لم تنج من بعض المصطلحات النحوية، كقول عمارة اليمنى:

رجال هم المبتدا فى السماح
بهم وهم خير المبتدا

■ وقد اشتملت تهانيهم على بعض المؤشرات الاجتماعية والحضارية والثقافية، ففيما يتعلق بالناحية الاجتماعية يشير القاضى القاسم بن أبى الحديد الى بعض التقاليد الخاصة بالطبقة المترفة، كنثر الذهب فوق الرؤوس فى حفل الزواج، يقول:

بدر النضار على سوابق خيله
لما عرضن وقد حملن بدورا
ألقى السحاب نثاره فى عرسه
لو كان ألقى لؤلؤا منثورا

■ ومن عاداتهم الاجتماعية إرفاق الهدايا بتهانيهم فى بعض المناسبات لاتخاذها وسيلة للتعبير عن مشاعرهم، فهذا أحدهم يهدى يوم نيروز وردة وسهما ودينارا ودرهما فيقول:

لازلت كالورد لذيذ المنسم
ونافذا مثل نفاذ الأسهم
في عز دينار ونجح درهم

■ وكان من عادة الفرس إذا جلسوا فى مجالس اللهو يوم النيروز أن يتخذوا الأكاليل من النبات والأزهار فيجعلونها على رؤوسهم، والى ذلك يشير المتنبى فى تهنئته لابن العميد بقوله:

ما لبسنا فيه الاكاليل حتى
لبستها تلاعه ووهاده

■ ويسجل الصنوبرى بعض العادات الاجتماعية فى تهنئته لابن سهل بالغصد فيقول معبرا عن الذوق الحضرى الجامع بين إمتاع حاستى النظر والشم:

إذا حضرنا غبت أو إن نغب
جئت فنحن الورد والنرجس
لم يجمعا للعين فى روضة
قط ولم يحوهما مجلس
فقلت لو أن الليالى التى
أصحبها توفى كما تبخس
إذا لكنا السرو والآسى لا
تخلو ولا يخلو لنا مجلس

■ ومن المؤشرات الثقافية تهنئة الوطواط لصدر الأئمة عند جلوسه للتدريس يقول مشيرا الى المكانة العلمية المميزة لصاحبه:

يا من إذا عد العلوم وأهلها
عقدت عليه خناجر الكبراء
هنأت مدرسة بجاهك جاوزت
شرفات مفخرها ذرى الجوزاء

■ وفى تهنئة المهلب بن مالك بالمهرجان يدعو الشاعر لممدوحه أن يبلغ من عدوه ما بلغه أفريدون ابن إثقابان ملك الأقاليم السبعة الذى جعل اليوم الذى تمكن فيه من الضحاك الظالم وقيده فيه عيدا وسماه المهرجان، يقول:

نلت فيه الذى نال أفريد
ون من رغم حاسد وهوانه

■ ويستغل أبو العلاء الأسدى ثقافته الأثرية فى تهنئته للصاحب بن عباد بقصره الجديد فيشير الى بعض القصور التاريخية كإيوان كسرى وصرح سليمان وحصن السموأل التى أخذتها الغيرة والأسى من قصر الممدوح، يقول:

إيوان كسرى فى مدائنه
منذ ابقيت دموعه سرد
ولما ردهم يعانقه
وكذاك يشجى الأبلق الفرد

■ وربما حملت تهانيهم بعض المعتقدات الجاهلية التى تسربت إليهم من ثقافتهم الموروثة كالاعتقاد فى الطير وما قد يرشد إليه من خير أو شر أو يدل عليه من فأل أو نحس، وهو ما يسميه الجاهليون بالسانح والبارح، يقول ابن الرومى:

على الطائر الميمون والسعد فاركب
نجوت بإذن الله من كل معطب

■ ويقول الخليل الجزى:

شيدت قصرا عاليا مشرفا
بطائرى سعد ومسعود

■ وأخيرا فإذا جاز لنا أن نحكم على القيم الشعورية لهذه التهانى فإننا نرجح وجود العاطفة الصادقة فى بعضها وغيابها عن بعضها الآخر، وإلا فما الذى نحكم به على شاعر تسوقه الظروف الى التعبير عن مشاعر الفرح والحزن فى وقت واحد حين يقف مهنئا ومعزّيا فيقول:

■ جرت جوار بالسعد والنحس
فالناس فى وحشة وفى انس
العين تبكى والسن ضاحكة
فنحن فى مأتم وفى عرس

■ فإما أن يكون صادقا فى فرحته وكاذبا فى حزنه أو العكس لاستحالة اجتماع الضدّين معا، أما ما جاء فى تهنئة المتنبى لسيف الدوله بقوله:

إذا سأل الانسان أيامه الغنى
وكنت على بعد جعلتك موعدا

■ وقول ابن الرومى فى ختام تهنئته:

أبا الصقر تفديك نفس امرىء
دعتك لتفريج ما نابها

■ فليس الحكم عليهما بزيف العاطفة أمرا مأمونا، لأن ممدوحيهم كانوا يجزلون لهم العطاء، وللاحسان فى النفوس سحره الآسر على حد قول المتنبى:

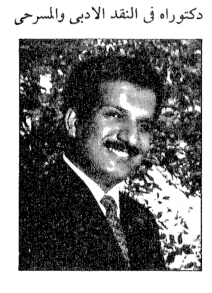
وقيدت نفسى فى ذراك محبة
ومن جعل الاحسان قيدا تقيدا

دراسات أدبية

تكامل الشكل والمضمون

«رسائل الى ابن بطوطة» للشاعر عبد الله العباسى

بقلم الدكتور:
محمد ابو بكر حميد
دكتوراه فى النقد الادبى والمسرحى



تميز العرب بين سائر الامم بتفوقهم فى الشعر [illegible] عبر العصور عنصرا فعالا فى الحياة العربية، بل [illegible] نفسها فكرا وثقافة وتاريخا . فلا عجب وقد كان الشعر [illegible] اللسان العربى فالتاريخ يحدثنا ان شعراء الجاهلية [illegible] يحفظ العرب كلاما منثورا يعود الى التاريخ الذى [illegible] ولقد ظلت للشعر مكانته المرموقة فى نفوس ابناء [illegible] الانحطاط والجهل - لموسيقاه التى ترتاح لها الأذن [illegible] الشعر الحياة العربية كجزء أصيل فيها. ولم يقتصر على طبقة من الناس فى زمان او مكان بل كان حضور الشعر - عمليا - فى [illegible] والبيت والسوق كما هو فى ساحات السمر ولا يزال الشعر يؤدى دوره فى المواقف التى تقتضى الايجاز والتلميح والاستخلاص بحكمه فى حياة الأمي والمتعلم.

رأى للعقاد

ولقد كانت طبيعة الحياة العربية نفسها قد جعلت من الانسان رحالا لا يستقر فى مكان معين، هكذا كانت طبيعة حياة القبيلة فى الجاهلية، وعندما أشرق الاسلام فى قلب الانسان العربى ودعا الى الفتوح والجهاد فى سبيل الله لقيت هذه الدعوة استجابة توافقت مع نفس الرجل العربى، فسافر يحمل الاسلام الى كل مكان فى الشرق والغرب، يزرع بذور الحضارات فى الارض فيستقر او يعود من حيث أتى. لذلك لم يكن هناك وقت فى حياة العربى - خاصة فى الجاهلية - للفنون التى تتطلب استقراراً طويلاً و«متابعة» فلم يعرف العرب فن المسرح كما عرفته حضارة اليونان ولم يميليوا اليه ولم يكن فى حياتهم وقت طويل ولا صبر للجلوس فى المسرح لاستخلاص عبرة ربما يوجزها الشاعر فى بيت واحد من الشعر.

انطلاقاً من هذه الطبيعة المتأصلة فى نفس العربى، اعتقد عملاق العربية فى العصر الحديث، الاستاذ عباس العقاد - رحمه الله - ان «الشعر» هو افضل الاجناس الادبية جميعاً ومقياسه النقدى فى ذلك هو النظر الى الاداة بالقياس الى المحصول «فكلما قلت الادارة وزاد المحصول ارتفعت طبقة الفن والادب» ويرى ان خمسين صفحة من قصة لا تعطى المحصول الذى يعطيه بيت من الشعر يقول:

... في ديوان :

وتلفَّتتْ عيني فمذ بَعُدَتْ
عن الطلول تلفَّتَ القلبُ

■ وليس بالضرورة ان يكون راى العقاد صحيحاً ـ وليس هنا مجال مناقشته ـ ولكن المهم ان هذا الرأى يعكس طبيعة البيئة ونوع الحياة التى غرست فى نفس العربى عبر الاجيال: وهو ان الشعر أبدا فى حياة العربى قرين للحياة او هو الحياة نفسها، ولم يبدع العربى فى فن إبداعه فى الشعر، فنه الاول، وسيظل كذلك يعكس تجاربه بصدق وابداعاته وتجديده فيه الى ما شاء الله.

التجارب الجديدة

والتجارب الجديدة فى حقل الشعر العربى تؤكد هذا المعنى فالوحدة لم تعد وحدة البيت او القصيدة وانما اصبحت وحدة الديوان كله او ما يمكن ان يسمى **«الديوان القصيدة»** هذا من حيث الشكل اما من حيث المضمون، فلا يزال الشاعر العربى يتحدث عن الاشواق والحب والحنين والغربة والاغتراب لكن فى اساليب جديدة تتفق ومقتضيات العصر وتنسجم مع الشكل الفنى للديوان. فالشاعر العربى الحديث استفاد من الفنون الاخرى فكان عنصر **«الدراما»** و**«الحس التراجيدى»** فى القصيدة، واستند الى خلفية التراث العريضة والعريقة، فكان التوظيف الفنى لهذا التراث تجديداً فى الصور الشعرية.

■ ومن الشعراء الذين وفقوا فى وصف هذا الدرب فى المملكة العربية السعودية الشاعر عبد الله عبد الوهاب العباسى فى ديوانه «رسائل الى ابن بطوطة» والديوان يستحق وقفات متأنية لجدية الشاعر فى عمله الابداعى، ولروح التجديد الغالبة عليه، فالديوان بكل اجزائه يعتبر كلاً منسجماً متناغماً يحمل روح القصيدة الواحدة. فالنفس الشعرى متصل لا تحس أنك تنتقل من قصيدة الى قصيدة من خلال «الرسائل»، وانما تشعر ان هذه الرسائل الشعرية لَبِنَاتٍ أساسية فى بناء متسق او مقطوعات فى لحن واحد ان غابت مقطوعة فسد البناء كله وقد وفق الشاعر فى خلق التكامل والانسجام بين الشكل والمضمون حين جعل من الرحالة ابن بطوطه المحور الاساسى الذى يقود الوحدة الكلية (للديوان القصيدة). وجانب الابداع فى هذا الشاعر لا يقص رحلات ابن بطوطه، وانما هو يتخذ من ابن بطوطه وسيلة فنية يعبر فينا عن هموم عصره مع اتكاء شديد على التراث والتاريخ، ولما كان ابن بطوطة رحالة عربيا فقد وفق الشاعر فى خلق الصلة الحميمة فى الديوان بينه وبين التوظيف الرمزى للتراث والتاريخ ليس العربى الاسلامى فحسب وانما الانسانى كله عندما نجده مثلا فى الرسالة الثامنة يتحدث عن **«نيسابور»** و**«سيئول»** و**«حكمة كنفشيوس»**، والحديث عن التاريخ والتراث فى الشعر لا يأتى اصطناعا وانما يجب ان ينبثق تلقائيا من خلفية الشاعر الثقافية ليسعفه فى اعطاء المواقف التعبيرية عمقها ورمزها.

الاستناد الى التراث

وفى هذا الديوان نجد الخلفية الثقافية للشاعر عبد الله العباسى فى التاريخ والتراث تعينه فنياً فى إعطاء شعره أبعاداً وعمقاً واصالة. فهو لا يتتبع الاحداث فى تسلسل



تاريخى - فهذا من وظيفة المؤرخ - وانما نجد التاريخ يأتى شاهدا على مواقف و«حالات» معاصرة يعانى منها ويعيشها انسان اليوم، او بمعنى آخر نجد ان حضور التراث فى الديوان يأتى خاضعاً للفن والتسلسل الشعرى، وهذه هى وظيفة الفنان المبدع.

■ والعواطف الغالبة على الديوان تقوم أساساً على فكرة الصراع المحتدم داخل النفس بين **«حب السفر والترحال»** و**«الشوق الى الوطن»** من خلال **«معاناة الغربة والاغتراب»**. ومن خلال هذه «العاطفة القوية» و«التجربة الشعرية» ينطلق الشاعر عبد الله العباسى على درب اسلافه من شعراء العرب الذين جابوا الارض شرقاً وغرباً، ويجد نفسه تتواجد فى رحلات ابن بطوطة، لان الشاعر نفسه كان ابن بطوطه آخر، عاش نفس المشاعر، فهو يقول فى مقدمة ديوانه: «بين يديك أحاسيس إنسان جاب الارض، وعركته الغربة. وصارعته وصارعها ولم يكن قد حسب حسابا لاى شىء، شاقه الترحال فرحل وحط وارتحل وهكذا على مدى أعوام».. فالشاعر اذن يتحدث عن رحلة الانسان العربى المسلم المعاصر لكنه يتوحد مع «ابن بطوطة» لذلك يظل متواريا خلف التراث، وحينما ندر من توجه اليه الرسائل، وقل من يقرأ الرسائل فى هذا الزمان كتب الشاعر رسائله لابن بطوطة:

يا ابن بطوطة، مثلك شدَّتنا ألحانُ الغربة

أخذتنا أخذاً
ساقتنا وخذاً
حملتنا نحو مسارك فأضعنا درب العودة.

■ لذلك نجد الشاعر يرحل، يسافر فى الزمان والمكان يذهب الى كل البلدان التى ذهب اليها ابن بطوطه، والى البلدان التى لم يذهب اليها. ولما كان الشاعر - المولود فى مكه المكرمة - قد استقر فتره من الزمن فى مصر، نجد ان ذكر مصر يأتى معطراً بروائح التاريخ وبالاشواق والذكريات. فهو هناك يسأل عن ابن بطوطه القاضى فى مصر ويحط بباب (زويله) لكنه عندما يرى المسجد تفيض نفسه شوقاً للسجود:

وعبرنا نسأل عن مسجد عمرو بن العاص.
كان هنالك آلاف الناس.
كان الشوق، كان الوجد، وكان كريم الاحساس.
لكأنك يا ابن بطوطة آثرت النيل صديقاً.

لكن الرحالة المعاصر يحس انه لا يستطيع ان يتحرك الى كل الاماكن التى تحرك اليها ابن بطوطة، ولا يستطيع ان يجالس الناس الذين جالسهم ورأى ان عليه ان ينكفىء على نفسه يحاورها، وان يمتنع عن الاماكن العامة التى يكثر فيها لغط الكلام:

آثرنا - ابن بطوطة - كل الصمت المطبق.
آثرنا ان نكتم كل الشوق الدافق
ولزمنا ركناً فى باب زويله
علَّ الايامَ تمر بلا حزن وتمرجميله
بل نحن تركنا القالة والقيل.

■ فهناك «حزن» حمله بصمت قلب الشاعر الرحالة عبر السنين، حزن على الزمان الذى يشعر فيه الانسان بالاغتراب بين محبيه، فبعد الاقامة الطويلة والانتظار بباب زويله لعودة ابن بطوطه يجد الشاعر نفسه يعود أدراجه الى مكة المكرمة، فالحقيقه ان ابن بطوطة هناك:

عامان بباب زويله لا نعرف اصحابا أو أهلا
واذا نحن سألنا عنك يقولون اتخذ بمكة سهلا.

■ لكن الرحالة المعاصر لا يتجه الى مكة، انه يحس ان الطريق الى مكة ميسور آمن، ان اشواقاً عنيفة تستولى عليه الى «القدس الأسيره» كان عليه ان يسير «بالاشواق» على «درب الاشواك». لذلك نجده يعتذر لابن بطوطه بصدق:

يا ابن بطوطه كان علينا ان نرحل
من باب زويله حتماً
ان نركب بحر الريح وان نقصد بيت المقدس
فلقد ضاقت نفس العاشق وهماً

■ لا بحر يحمله الى بيت المقدس الا «بحر الريح» فكل الطريق الى ذلك البيت قد سدت، ولكنه باعجوبة يصل. وهناك فى بيت المقدس تنهمر مشاعر الشاعر الرحالة ويقف يغنى بروعة القدس:

القدس صلاة ولحن من عِلّيين
القدس . . سلام وحنين

■ وما ان يتوجه للقبلة للصلاة حتى تنهال عليه الذكريات العظيمة، فاليوم جمعة والقدس لا تزال أسيرة، ويثقل هذا الخاطر على الشاعر، ويحس بالانكسار فى داخله:

حططت أنا وحدي وقصدتُ الصخره
صليتُ الجمعة وتذكرت أبا الخطاب
من أقفل فى وجه الاعداء الابواب
من طهر خيبر وأزاح عن القدس الأوصاب

ويذهب الشاعر الرحالة يجوب كل شوارع القدس يحدث الناس عن «صلاح الدين مع الجراح وخالد» يحكى لهم «قصة آلاف الاعوام (وهومر)»، و«كذلك ما كان لاهل السومر». ورغم اننا لا نجد ذكراً مباشراً لليهود، كأن الشاعر قد أحس ان ديوانه يجب ان يطهر من هذه الكلمة، الا اننا نحس بوجودهم بين السطور من خلال التضمين فى الحديث عن «اهل السومر» وهنا نستدعى «نبو خد نصر» وقصته معهم خلال «السبى البابلى»، ونستحضر موسى عليه السلام، وما فعلوه بموسى عندما يهتف «آنست بأعماقى نارا فمشيت». وعندما يسأل فى «الاقصى» عن ابن بطوطة يقال له انه «لم يأت اليهم قط» بل سافر الى بغداد، وفى الطريق الى بغداد يعرج الشاعر على الكوفه، وهناك يقف ليرسم لنا لوحة رائعة «لمأساة الحسين» التى تتكرر كل يوم فى عصرنا:

يا ابن بطوطه ومررت على الكوفه
فالعتبات . . رايت حسينا مسجّى
وصراخ الطفل (الزين)
وأماً تهرب لا تدرى أين؟
وشاهد ليل اعمى يمتدح (الحجاج)
هذا عصر الانسان المحتاج
والكوفة تضرب صدراً،
والنجف الاشرف يضمر أمراً

■ فى هذه الصورة جمع الشاعر اشخاصاً من عدة عصور ليرسم هذه اللوحة المأساوية من حياة الانسان المسلم. انها ليست الحقبة التاريخية التى تجمع (الحسين) و(الحجاج) و(ابو نواس) و(كسرى) لكنه «الجو المأساوى» و«المفارقة الدرامية». فالحسين وزين العابدين رمز الاسلام والنقاء والطهر، وابو نواس رمز نذالة العصر وبداية السقوط، والحجاج وكسرى رموز الطغيان عندما تستوى فى دار الايمان والكفر. «كسرى مازال بدار سليمان» ويصمم الشاعر على السفر يحدوه شوق عظيم الى الترحال:

لكن الانسان اذا اشتاق
تخطى كل الاطواق
فلنعبر بحر الصحراء إذاً
ولنضرب فى الآفاق

لكن الشاعر ايضا يركب البحر دليله ابن ماجد «يضرب فى اليم شمالا» لكن المفارقة الساخرة تبرز عندما نكتشف ان ابن ماجد المعاصر ليس ماهراً ولا مبالياً بالركاب «والريح تهب شمالا . . وابن ماجد لا يدرى من منّا قد ضاع ثم يقف شاكياً بانكسار الى ابن بطوطة أحزان العصر ومصير الانسان المسكين:

انسان العصر حزين
سلبوه الحكمة والصبر وقالوا: مسكين

■ ومن مراكش يعبر الشاعر البحر الى الاندلس، فتقول له مغنية ملخصة تاريخ المسلمين هنا فى عبارة: «قتل جدودك فى الاندلس العشق» وينكفىء الشاعر على نفسه حزينا غريبا، فلم يجد من تاريخ أمته هناك الا «الشعر» و«قصر الحمراء» يندب حظه، لكنه يفيق ويستخلص



«الدرس» من الماضى :

الاندلس حديث مطعون بسكاكين.
لكن من يبكى ماضيه
يعيش على هامش حاضره
ساهر كالمجنون

■ ويعتزم الرحيل الى باريس بـ «سيف مكسور وبقلب موجوع خال ثم يعبر «نهر السند» و«جبال الثلج» و«غابات الاحراش» الى «كلكتا» و«بلاد الموتى والحمى الصفراء». لكنه قبل ان يبدأ هذا السفر الطويل، يؤثر ان يروى ظمأه الروحي واشواقه الى «مدينة الرسول ﴿ﷺ﴾» فحط فى يثرب «كى نتودع من احباب الله.. فهذي الرحلة صارت عمراً»:

«يثرب» صلوات تاريخ نابض
هذا «أحُدُ» يتكلم ويناجى «بدرا»
صلينا فيها العصرا

■ ولما كان لابد للمسلمين ان يتعلموا الدرس من «بدر»، ويستنبطوا اسباب النصر فإن الشاعر يتوقف عند «بدر» اكثر من وقفه خلال الديوان معيداً للاذهان سر ذلك الانتصار الربانى :

قُصِّى يا «بدر» علينا القصة مراتٍ أخرى
فأنا مُتَّجهٌ نحو السند وأرض الهند وعبر بحار كبرى
قُصِّى ما شوهد عصرا او فجرا
«بدر» قالت، فغدونا نحمل أعطر ذكرى

اين عزم الاولين؟

ويتجول الشاعر فى صحراء العرب راكباً بعيره لكن يشكو من قلة «الزاد» المحمول فى القلب، ذلك «الزاد» الذى حمله العربى فعبر الصحارى الكبرى والبحار، فهذه الصورة تقدم لنا، ربما نفس «العربى» ونفس «البعير» ونفس «الصحراء» لكن ينقصها شيء ما، ربما يكون عزم الاولين وإيمانهم :

مال بعيرى إذ نحن على ظهر الصحراء
يسائلنى هل تحمل زادا؟
هل ريح صبا نجد
ضربت من أجلك ميعاداً؟
مال بعيرى.. «فتبسمت»..

■ وتطول الرحله على الشاعر فهو يجوب كل الصحارى شرقاً وغرباً ليتعرف على كل بقاع الارض، ان شوقاً لشيء ما دوماً يشده، ويتوجه الى ابن بطوطه يسأله عن «الشوق» وعن «موعد مضروب بطنجة الغراء» والبعير يسير بصمت وصبر كدأبه عبر العصور لم يتغير لكن «العربى» تغير. ضاع فى الصحراء الجديدة :

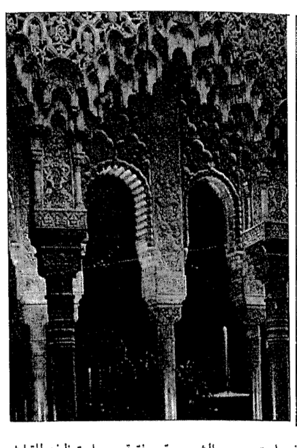
★ **مال بعيرى فتغنيت بآلام الفرقه**
★ **غنيت له يا ابن بطوطه**
★ **موسوعات الغربه**
★ **وضياع الانسان وحيدا**

■ ولم يعد الشرق مشرقاً وكان الغرب منذ القدم حرباً، والشاعر يبحث عن الحب الضائع فى الصحراء، عن اشياء ثمينة غمرتها الرمال، لكنه لا يجدّ أحدا يجد معه فى البحث، فيشعر بالضيق، ويشعر ان النفس تزدحم بمشاعر كثيرة وتفيض بهموم الغربة، ولا يدرى الى اين يتجه الانسان اذا أحس بالغربة بين اهله وذويه؟

★ **وغدونا شرقاً إشفاقاً**
★ **لكن الشرق.. بنا قد ضاق**
★ **فماذا يفعل من لا يجد به أهلا؟**
★ **او حتى كلمة حبٍّ خفاقه**
★ **سافرنا غربا فإذا نحن غرباء**
★ **فجئنا للشرق زهورا تواقه**

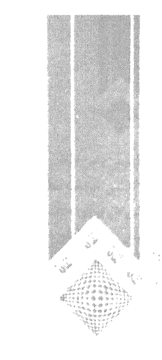
كلمة أخيرة

وهكذا يتغنى الشاعر طوال الديوان برحلة متصلة فيها من صدق التجربة الشعورية وقوة العاطفة والوعى بالتراث والتاريخ ما يدلل على تمكن الشاعر من فنه ومن لغته. فتوظيف أحداث من التراث واستدعاء شخصيات من التاريخ فى الشعر قضية بدأت تتبلور بوضوح وبفن واقتدار على ايدى مجموعة من شعرائنا المعاصرين يعد الشاعر عبد الله العباسى خطوه متقدمه فى هذا المجال فما يحمد عليه الشاعر فى هذا الديوان انه قد ارتفع بشعره عن الاسفاف فى تناول قضية الحب، وانه عبر عن «الحب» بصورة أرقى، وانه ايضا ابتعد عن الضبابية والهلامية وضياع المعنى،



فجاءت صوره الشعرية موفقة، وجاء توظيفه للتراث إبداعاً لا تاريخاً، ذلك لانه كتب بوعى عاش فيه عصره وتاريخه معاً، ذلك النوع من الوعى الذى تحدث عنه (ت. س. اليوت) بانه يتواجد عندما يكتب الشاعر وقد استوعب تاريخ اسلافه ومعاصريه على السواء، هنا يكون الشاعر صوتاً حقيقياً يعبر عن زمانه، . ويحمل أمانة عصره، كما يكون فى نفس الوقت اضافة جديدة فى ذلك البناء العريق.

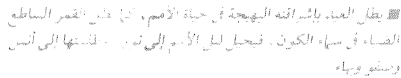
■ ولا يفوتنى ان أدعو الشاعر الى العناية بشعره القديم وتطويره لاعادة نشره، وادعوه الى الالتفات نحو الشعر بشكل عام فهو مجاله الابداعى الذى لا يمكن ان يمثله فيه احد، اما كتب الابحاث والدراسات والتى أحسست انها بدأت تشغل الشاعر قليلا واخشى ان تشغله عن الشعر، فهذا ميدان يكفيه فيه الكثير من المتخصصين. فالاحرى بالشاعر ان يبقى فى ميدانه مبدعاً ولا يشتت جهوده الادبية خاصة اذا كان الشاعر أصيلا ويبشر بالعطاء المثمر الذى يعد بحق اضافه الى شعرنا المعاصر. . هذا ما اعتقد ان الشاعر عبد الله العباسى بإمكانه ان يقدمه ـ بإذن الله ـ اذا ما وفر جهوده لعملية الابداع الفنى، لان هذا المجال هو المكان الحقيقى الذى يستطيع ان يحضر فيه لنفسه مقعداً مرموقاً بين الأدباء المعاصرين.



وحي العيد

بقلم : أحمد جبر

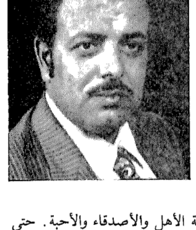
الاردن



■ يطل العيد بإشراقته البهيجة في حياة الأمم، [illegible] القمر الساطع الضياء في سماء الكون. فيحيل ليل الأمم إلى نهار [illegible] إلى أنس وسمو وبهاء

وكلما جاء العيد، أينعت في القلوب فرحة [illegible] امتدت إلى جنبات النفس، وأورقت في [illegible]

ذلك هو العيد [illegible]



مخطىء من زعم أن العيد للصغار. لأنه يراهم يتصايحون ويمرحون، وتقفز الفرحة من عيونهم، لأن جيوبهم امتلأت بما يحقق لهم شراء الألعاب والحلوى، ويجعلهم قادرين على مشاهدة السيرك ودور الخيالة (السينما)، هم ولداتهم من الصحب والأتراب. لأن العيد لم يكن فى يوم من الأيام منحة لأحد أو قصراً على فئة أو سن، بل هو المهرجان الطافح بالبشر للكبير والصغير، وللأعمار كلها، للذكور وللاناث، للشيب والشباب، ولكل من دب على ظهر البسيطة من عباد الله.

ومخطىء كذلك من ظن أن العيد لابراز مظاهر الزينة، وإخفاء مظاهر الحياة الأخرى.

فلا العيد للطنافس والرياش، ولا للنمارق المصفوفة والزرابى المبثوثة، ولا للثياب الأنيقة. وليس لتناول ما لذ وطاب من أكل وشراب، ولا هو للتمتع بمنظر الحلى والمجوهرات أو لبسها، والتجمل بها. ولا لتبذير النقود، وبذرها فى غير أبوابها المشروعة، ولا هو للغناء والطرب، وضرب الصنوج والمعازف ورقصات القيان، وجذب الأوتار، ولا لارتياد المقاصف ودور اللهو.

■ ويعتقد البعض ممن هم أكثر وعياً وبعد نظر أن العيد لتبادل الزيارات ورؤية الأهل والأصدقاء والأحبة. حتى وإن كان هذا صحيحاً، إلا أن هذه الرؤية المحدودة، والتصور غير التام لمعنى العيد، تعطيان معنى مبتسرا فيه خروج عن تمثل روح العيد، والغرض الأسمى منه، والسبب فى حلوله كل عام، حتى يكون الخير والسعادة، ويكون الابتسام النابع من القلب، والصادر عن المشاعر الحميمة المخلصة.

■ وليرحم الله المتنبى حين تساءل:

بأية حال عدت يا عيد
لأمر مضى، أم فيك تجديد؟

■ فهو فى جزمه بـ «أم»، التى تعنى «بل» يؤكد أن العيد يختلف اختلافاً بيِّناً عن (الأمور الماضية) التى لا تجديد فيها. أى انه يرفض أن يكون العيد تكراراً للزمن السالف، وللأيام الماضية، التى تسير على وتيرة واحدة، ويؤكد أن العيد جاء وفى طياته خروج عن المألوف (تجديد). بمعنى أن أيام العيد ليست كالأيام السابقة، فهى طافحة بالبِشْر، عامرة بالرجاء، مليئة بالمحدث الموحى بالحركة وفيض العطاء.

وهذا المعنى ـ فى تقديرى ـ هو الأشمل الأصدق، لما

يتوسمه الناس فى العيد ويأملونه.

■ هكـذا العيـد. عطاء وذخر ونقلة جديدة فى سجل الأيام لأن فيه تحولاً وخروجاً على الأيام السابقة الساكنة الكئيبة فى الشكل والمضمون، فى المظهر والجوهر.

ولكى نصل إلى كنه الحقيقة الأزلية المرسومة فى جبين العيد، لابد من ثلاثة أدوار تتخلل هذه المناسبة السعيدة:

★ **الأول تجاه الخالق سبحانه.**

★ **والثانى للوطن.**

★ **والثالث للنفس البشرية.**

■■ أما ما كان منها خالصاً لله (سبحانه وتعالى) فعدا عبادته وإخلاص النسك له، والتقرب إليه بالعبادات والنوافل، والتوجه إليه فى الشدة والرخاء، والتوكل عليه، فلابد من عامل جديد خلاصته الشكر والتعظيم، لذلك كانت صلاته صلاة العيد، بالتكبيرات هى فاتحة العيد ومدخله البين (الله اكبر. الله اكبر. الله اكبر).

هذه الطاعة الناجمة عن خشية الله وتقواه، هى مفتاح العيد للدورين التاليين المنوط بنا القيام بهما.

■■ أما الوطن ودورنا فى العيد تجاهه، المتمثل فى حرصنا عليه، والاخلاص له، المنتزع من إخلاصنا للخالق، حيث إن حب الوطن من الايمان، وأن لا إيمان لمن لا وطن له، فله علينا حقوق أيسرها أن لا نقود مركباتنا برعونة وطيش لقتل بنيه، وإزهاق أرواحهم البريئة بلا سبب، وأشدها أن نفديه بالمهج والأرواح وبالدماء الزكية، ونتصدى لمن يحاول تدنيس ترابه ومقدساته، أيا كان.

■■ أما دورنا فى رعاية النفس البشرية، فيبدأ من صلة الرحم وبر الوالدين (أحياء وأمواتاً)، وإبداء البشاشة وإظهار الفرح لكل ذى أو ذات رحم. واجتماع الأحبة (أهل وأصدقاء ومعارف). والعطاء لكل فقير معدم، لاسيما وأنها التى تجعل من (اليوم/ الأيام) عيداً، وتغسل القلوب من أدرانها، فترقن البؤس والحرمان والشقاء، وتضفى على النفس ابتساماً وانشراحاً وسلاماً وأملاً.

■ إذا التقت هذه الأدوار فى النفس البشرية صاغتها من جديد، وجعلتها تتقبل هذه المناسبة بوعى العاقل وإدراك النابه، وفرح الذاكر الأريب. وليس ذلك فحسب بل تفهم العيد بروح حية صافية تدرك مضمون القول الرشيد: «إن القلوب لتصدأ، فأذهبوا عنها الكلّ، أو روحوها ساعة».

وترويحها، وإزالة الصدأ عنها، وإذهاب الكل دعوات صريحة إلى الخروج على النمط المتبع (الروتين) والترويح يعنى التفريج عنها، (ويكون التفريج عن المكروب) وإزالة الهم عن المحزون. كما تعنى إزالة الصدأ، تخليص النفس من عذابها وبؤسها وحزنها ومسح الضنى والضنك عنها، وإدخالها عالم السرور، وإزالة ما يجعلها تعانى الألم والإحباط والفشل.

ويتم ذلك بالكثير من الأمور التى نحسبها هامشية، وهى فى عمق الجوهر ونُسغ السعادة ومنها:

★ عيادة المريض.

★ التخفيف عن المصاب والمكلوم.

★ زيارة السجين المرجو صلاحه.

★ العمل على عودة الغائب والأسير إلى الأهل والوطن.

★ مواساة الضعيف.

★ إعطاء الفقير والمعوز ما يخفف عنه عوزه وعسره.

★ تشجيع الخائف والمغلوب.

★ سد حاجة المضطر والملهوف.

★ تذكر الأرامل والنساء ممن فقدن الزوج والأهل والولد بشىء من فضل الله وعطائه.

★ مباركة فاعل الخير وحثه على المضى فى طريق الخير.

■■ بعد ذلك تشتعل النفس من الداخل بوهج نور العيد، وتتألق فى ظل الصفاء الروحى، الذى يحتويها فى دعة واطمئنان وحبور.

لذلك أتساءل إن كان العيد فرصة لتنقية الضمير، وعودة إلى الاحساس بسمو النفس وطهر القلب ونقاء الروح. ؟ وعما إذا كان هذا السلوك فى دوحة الايمان يخص الصغار وحدهم، أم يشترك فيه كافة الناس؟.

عندها، أكون قد وصلت الى حقيقة أن العيد ليس مجرد مناسبة عابرة، أو مرحلة عبثية، بل هو انعتاق فى أجواء الحب المطلق والسلام الكامل.

ولا أملك إزاء هذه الضرورة التى أرادها البارىء أن تكون إلا أن أهتف مصفقاً منشداً (للعيد) بأعذب الكلمات، وأجمل العواطف، وأسنى آيات المحبة والتبريك. وكل عام وأنتم بخير.

عندما كان الشعر أمضى من أسنة الرماح

كان الشعر العربى يخفض ويرفع، وكان ينحط به الكريم ويرتفع به اللئيم، وكان الشاعر مكرما مهاباً وكانت القبيلة تفتخر بشاعرها، وتقيم الحفلات والمفاخرات اذا نبغ فيها شاعر. فكانت احدى القبائل تعير فيقال «أنف الناقة» فكان أحدهم اذا سمع هذا اللقب تضاءل، فجاور فيهم «الحطيئة» الشاعر الغطفانى المعروف، فهاجى خصومهم ودافع عنهم، فقال:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
فمن يسوي بأنف الناقة الذنبا

■ فشمخ بنو أنف الناقة بأنوفهم، وكانوا إذا سئلوا: ممن القوم؟ قالوا: من بنى أنف الناقة.

وكان الزبرقان عظيماً فى قومه مقدماً لدى الأمراء، فهجاه الحطيئة أيضاً فقال:

(فاقعد فانك انت الطاعم الكاسى)

فجأر الزبرقان واسرع يشكوه إلى عمر رضى الله عنه، فقال الخليفة: لا أرى بأساً، فحكم حسان بن ثابت فكان حكمه: (بل وسلح عليه).

■ وعندما تعرض النميرى لجرير، قال جرير:

فغض الطرف إنك من نُمَيْرٍ
فلا كعباً بلغت ولا كلابا

■ اصبح هذا البيت وصمة على بنى نمير، لا يسمعه منهم سامع حتى يغضى ويسكت، فمرت امرأة على قوم جلوس من بنى نمير فتغامزوا ونظروا إليها، فقالت: فغض.. البيت المتقدم.

فما منهم الا ونكس رأسه.

■ وكان المحلق الربعى من المغمورين، وكان له عدد من البنات لم يخطبن، فضافه أعشى قيس الشاعر الجاهلى فذبح له جزوراً فانشد الأعشى قصيدته القافية الطويلة، ومنها:

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نار فى يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق

■ فذهب الأعشى وانشدها فى سوق عكاظ فخطب سراة القوم وكبارهم بنات المحلق حتى نفقن كلهن.

وقد دالت اليوم دولة الشعر حتى أصبح بعض المتشاعرين يضيقون بضوابطه مثل القافية والوزن ونحوهما.

النكتة

سألنى ذات مرة أحد ابنائنا العائدين من امريكا: ما أصل النكتة ولم تضحك بعض الناس ولا تضحك بعضهم؟.

النكتة - فى الأصل - على وجوه، وجه منها: أن تكون علامة فى جسم تغاير لونه وطبعه.

ولذا ورد فى بعض الاحاديث أن من عمل كذا نكت فى قلبه نكتة، ولا تزال تتراكم مع الذنوب حتى يسود قلبه فيكون من الغافلين. هذا معنى لفظ الحديث.

فاذاً النكتة - من هذا الوجه - نقطة تقع على جسم أكبر مغايرة للونه، ولطبيعته.

والوجه الثانى: التفريغ، يقولون: نكت الهميان، أفرغ ما فيه، ونكت الصندوق: قلبه على وجهه فتفرغ مما فيه.

■ أما النكتة المضحكة فيبدو أنهم نظروا إليها من هذا




بقلم عاتق بن غيث البلادي
مكة المكرمة

الباب، لأن الانسان اذا سمع كلمة مضحكة يضحك فينكت ما فى قلبه من هموم وحزن، وهى فى المعنى مرادفة للطرفة والملحة ونحوهما.

● أما سؤال الابن: لم لا يضحك منها البعض؟.

نقول له: إن الناس تختلف فى الفهم والذكاء وصفاء النفس وسرعة البديهة فبعض الناس لا يفهم النكتة بسرعة، وبعضهم لا يضحك لو أتيت بها يضحك الثكالى.

اضف الى ذلك أن النكتة تتأثر بالبيئة ولهجات الناس واصطلاحاتهم، ولذا فان النكتة التى يضحك لها الشامى - مثلا - قد لا يفهمها المدنى أو المكى، والعكس وارد.

(١١٦) الجـــــواد.

فى عرف أهل الحجاز (الجواد) أجرة الأجير، وكانوا يسمون كل أجير (صبى) حتى وان كان شيخاً ومن عهد بعيد أطلق على الصبيان: العمال، وهو أصح، ولم أعد اسمع كلمة (جواد) حتى سمعت أحدهم ذات مرة وهو يقول: (أعطو الولد جواده).

وقد مرت ثوان حتى تذكرت هذه الكلمة.

(١١٧) للعاملـــــون فقط.

كنت قبل مدة فى أحد المستشفيات فرأيت أحد المراحيض كتب عليه: للعاملين فقط. فجاء احد المتعالمين فشطب كلمة (للعاملين) وكتب فوقها (للعاملون).

فذكرنى أخونا بطرفة سمعتها قبل ١٥ سنة، فقد كان لدينا جهاز لاسلكى وأثناء مرورى من أمام غرفة الجهاز سمعت عامله يرسل: كتبنا لكم.. فيستفسر قبيله عن آخر الكلمة، فيقول العامل: كتبنا كتبنا، نا نا نون النسوة.

(١١٨) الصدق يهدى الى البر (حديث شريف).

جاء فى بعض الأخبار: أن واشياً وشى عند أبى جعفر المنصور بأحد الولاة بأنه يحابى ويجامل. فاستقدمه المنصور، وبينما الوالى يحدث أبا جعفر عطس أبو جعفر فسارع الحاضرون الى تشميته، ولم يشمته ذلك الوالى، فقال المنصور: ما منعك أن تشمتنى؟ قال: إنك لم تحمد الله. قال المنصور: حمدت الله فى نفسى قال الوالى: وأنا شمتك فى نفسى فقال المنصور: عد إلى عملك فلو كنت تحابى أحداً لحابيتنى.

■ فكم يا ترى لدى المسلمين اليوم من مثل هذا، وكم لديهم مثل أبى جعفر المنصور؟.

(١١٩) ابن الغراب اذكى من أبيه.

قيل: إن الغراب أوصى ولده فقال: إذا رأيت الراعى دنق إلى الأرض فطر فانه سيلتقط حجراً يحذفك به.

فقال ابن الغراب: ليس هذا هو الصواب يا ابتى، فلربما كان الراعى يحتفظ بالحجر فى جيبه، ولكن الصواب أن أطير بمجرد رؤيته.

(١٢٠) حـلاوة المقـال.

قال القطامى الشاعر:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزللُ
والناس من يلق خيراً قائلون له
ما يشتهى ولأم المخطىء الهبلُ

قضـــايا المعانـــاة

المعاناة التى يشهدها ويعايشها الانسان فى كثير من مواقعه اكثر من ان تُحصر، ورغم تعدد أنواعها وصفاتها، وثقل وطأتها الا أن منها ما يصعب قبوله خاصة عندما يكون سببه عادة تَعَوَّدها الانسان، وفى امكانه ان يتغلب عليها ليتغلب بالتالى على ما ينتج عنها من معاناة وآلام.. وقد استخلصت من قضايا هذه المعاناة ثلاث وقائع اجتماعية تتباين المجتمعات التى وقعت فيها فى مواقعها وحضاراتها.

●● **الواقعة الأولى**: تاجر بسيط فى دولة آسيوية كبرى جمع ثروة قليلة بعد تعب ومعاناة عاشها اربعين عاما أهون ما فيها ما كان يتلقاه من صفعات نفسية فى مجتمع يؤمن بـ «العلية» بما تمثله من «فوقية» القوى و«تحتية» الضعيف.

ومع بلوغه سن الستين كان يرى فى كل لحظة من لحظاته فتياته الثلاث قد بلغن سِنّ الزواج فلا يستطعنه الا عندما يدفع ثروته كاملة مهرا لهن تحقيقا لرغبة زوج شره يبيع جسمه لمن يدفع المهر الاكبر فى صفقة من صفقات المتاجرة بما لا يجوز الاتجار فيه.

لقد اصبحت ثروته البسيطة فى كفة، وزواج الفتيات فى كفة وبعد صراع مع حب المال، وحب الولد اختار الأب زواج فتياته بعد ان باع متجره مهرا لهن.

وفى مجتمع تتكدس فيه الملايين فى الطرقات وتتصارع بطقوسها وعاداتها وتقاليدها بحثا عن سد الرمق تحول الاب الى مُعْدَمٍ يقف فى احد المنحنيات يسأل المارة ما يُبْقِى على رَمَقِهِ، ورمق زوجته وفتاتين أخريتين تتطلعان الى زوجين يشترطان مهرا لن تجدا من يدفعه لهما بعد ان تحول والدهن الى «سائل» فى شوارع المدينة المثقلة بملايين المارة.

●● **الواقعة الثانية**: أربع شقيقات بلغ بهن السن مبلغ الادراك فوجدن أباهن يذهب فى فجر كل يوم يحرث الارض عند احد الفلاحين.. ذهبن اليه يحملن قليلا من الطعام فوجدنه يجر المحراث أحيانا فيعجز عنه ثم يسقط من الاعياء فينهض مثقلا يقسر نفسه حتى ينتهى يومه ليتقاضى أجرا لا يكاد يفى بحاجات فتياته من الطعام واعباء الحياة.

سيطرت على الفتيات صورة أسمال الاب ومعاناته، وندوب المحراث على كتفه ويديه.. كما سيطرت عليهن قضية الزواج من رجال يطلبون مهرا عاليا للزواج من النساء ثم سيطرت عليهن كآبة الأم المثقلة بالفقر والهموم وعندئذ قررن الذهاب الى مرتفع من الارض ليمتن جميعا

بقلم: الدكتور
عبد الرحمن بن حسن النفيسة
الرياض

فى عملية انتحار يائسة بعد ان تركن رسالة تقول: بانهن أردن راحة والدهن مما يعانيه بسبب النفقة عليهن.

●● **الواقعة الثالثة**: فتاة فى الثامنة من العمر فى دولة افريقية كبرى عاشت مع والدتها فى حالة من الضنك والبؤس، أبوها فى الغربة ينتقل بين مدينة وأخرى يبحث عن لقمة العيش لاسرته. وقد مضت سنتان على غربته، وانقطعت أخباره فاصبحت الام تخدم من بيت الى آخر بعد ان تركت لذات الثمان سنوات العناية بصغيريها.

لقد صعب على الفتاة ما تعيشه مع أمها وأخويها فلجأت الى الجريمة فى سلوك غريب.. ففى مطلع كل صباح تترقب الفتيات الصغيرات وهن يذهبن الى مدرسة القرية فتستدرجهن الى نهر صغير ثم تسلبهن ما يَلْبَسْنَ من حُلى ثم تلقى بهن فى النهر لتخفى بذلك فعلتها. وبعد اكتشافها واستجوابها قالت فى براءة الطفولة ـ رغم بشاعة الجريمة ـ انها أرادت مساعدة أمها. وقد دلت وقائع التحقيق على براءة الأم، وثبوت عدم علمها بما كانت تفعله طفلتها.

■ قلت: وفى الواقعة الاولى والثانية صورة من صور التقاليد التى تراكمت مع مرور الزمن حتى اصبحت بمثابة عقيدة يؤمن بها أصحابها رغم مافيها من تخلف..

إن قسر المرأة على دفع المهر للزوج فى عملية تجارية أمر يتنافى مع المفاهيم الانسانية الازلية التى جعلت للرجل حق رئاسة الاسرة بكل ما يرتبه عليه هذا الحق من اعباء، ومسئوليات ولا شك ان هذا القسر بكل ما يمثله من استغلال انسانى مازال احد الاسباب الهامة لدفع الانسان فى بعض المواقع النائية الى اليأس، والانكفاء مما يؤدى بالتالى الى تراكم التخلف، وبقاء هذه المواقع على ما هى عليه.

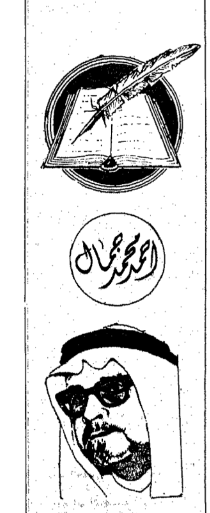
■ إن هذه الصور من المعاناة ستظل شبحا مرعباً للانسان مالم يستطع معرفة الفرق بين عقيدته الثابتة التى يريد المحافظة عليها، وبين تقاليده وعاداته القابلة للتغير بحكم عوامل الزمن ومقتضياته.

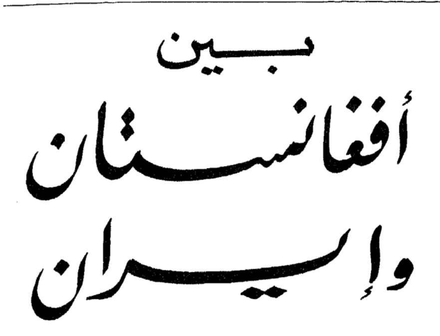
■ وفى الواقعة الثالثة جريمة مؤلمة هل تقع مسؤليتها على طفلة بريئة دفعتها قسوة الحياة الى فعل ما فعلته فى غيبة الشعور، وعقلانية الادراك ام تقع على المجتمع الذى وجدت فيه؟

قد يقول متخصص فى علم الاجرام: ان هذه الواقعة من شواذ الجرائم.. وقد يقول آخر إنها حادثه عادية حين تقع فى مجتمع كبير يواجه مشكلات اجتماعية، واقتصادية.. وربما يقول آخر، إنها تقع فى مجتمع فقير مثلما تقع فى مجتمع غنى.

■ قلت: والشاهد فى هذه القضية انها واقعة من وقائع كثيرة يعانى منها الانسان رغم ان المجتمع الذى تعيش فيه هذه الطفلة يستطيع منع وقوع فعلتها بمنع بؤسها من خلال الجمعيات التى تستطيع وحدها مراقبة الخلل، أو البؤس الذى قد تتعرض له اسرة، اواسر بسبب من الاسباب غير المنظورة.. والله المستعان.







بين أفغانستان وإيران

■ ومن اطيب الذكريات عن افغانستان: ان الاستاذ عبد رب الرسول سياف احد قادة الجهاد الافغاني ضد الاحتلال العسكري السوفيتي حاليا ـ كان رفيقنا الحبيب في جولاتنا هناك، وكان يترجم خطاباتنا واحاديثنا للمستمعين، وكان يومذاك معيداً بجامعة كابول. وقد اعتقله الشيوعيون فيما بعد فظل سجينا الى قيام الجهاد الافغاني سنة ١٩٧٩ لمواجهة الاحتلال العسكري السوفيتي.

وقد وجدت في أوراقي رسالة منه بعثت في نفسي هذه الذكرى السعيدة:

● أستاذنا الفاضل المحترم الاستاذ احمد محمد جمال.. احييكم بتحية الاسلام فأقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وفضله وكرمه وإحسانه ـ وبعد:

يسعدني أن أقدم إليكم أخلص وأطيب تحياتي النابعة عن سويداء قلبي كما أدعو الله ان تكونوا بالصحة والعافية التامتين، متمنياً لكم السعادة والتوفيق.

أستاذي الفاضل: لقد وصلني خطابكم الرقيق من طهران فسررت بقراءته سرورا لا استطيع ان اعبر عنه، وتسلمت الكتاب الذي بعثتموه بإسمي فأشكركم على هذا الشعور الاسلامي الجميل نحو تلميذكم المخلص.

● أستاذي المحترم: ان زيارتكم لافغانستان كانت مثمرة ومفيدة غاية الفائدة فقد نورتم اذهان الشباب بمحاضراتكم القيمة التي ألقيتموها في موضوعات مختلفة، ووجهتم الشباب الى مسؤولياتهم الاسلامية ـ ولابد ان اصرح بأني استفدت منكم استفادة كبيرة، فجزاكم الله عنا وعن المسلمين خيرا.



حسن آل الشيخ — عبد رب الرسول سياف



أبو الحسن الندوى . — حسن خالد

● أستاذى المحترم : لقد طالت بى المدة ولم اكتب لكم خطابا وذلك لظروف خاصة فى حياتى ، فأرجو ان تعفو عنى وإن شاء الله لا أهمل بعد ذلك فى أرسال الخطابات اليكم .

● أستاذى المحترم : أدعو الله العلى القدير أن يجمعنى بكم مرة اخرى ، وارجوكم الا تحرمونا من دعواتكم المخلصة فى جوار بيت الله العتيق . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

تلميذكم المشتاق اليكم

عبد رب الرسول سياف

■ أما عن زيارة ايران فقد دار بيننا وبين علماء الشيعة فى طهران حوار طويل ومتعدد . . واجتمعنا ببعض الايرانيين من أهل السنة ، والفارق بين الطائفتين من حيث الشكل ان هؤلاء يعتمون بعمامات بيضاء ، أما علماء الشيعة فيعتمون بعمامات سوداء ، والسنيون من الإيرانيين يعانون تمييزاً للشيعة عليهم فى التعليم والتوظيف والتعاملات الأخرى(١) .

■ أما جولتنا فى العراق . . فقد لزمنا بغداد وحدها لم نفارقها ولم تتح لنا فرص للاجتماع باحد من الدعاة والعلماء العراقيين ، واكتفوا فى تكريمنا بإقامة مأدبة عشاء أعدتها وزارة الاوقاف .

■ وكانت جولة الوفد فى لبنان والأردن سعيدة وحميدة . . فقد اتيحت لنا فرص عديدة للاجتماع مع العلماء والدعاة والمؤسسات الاسلامية فى كلا البلدين العزيزين وألقينا بعض الاحاديث وحاورنا كثيرا من الشباب حول مشكلاتهم وقضاياهم(٢) .

وسعدنا بلقاء سماحة مفتى لبنان الشيخ حسن خالد ، ووزير الاوقاف الاردنى الاستاذ كامل الشريف ، والاستاذ عز الدين الخطيب وغيرهم من رجال الدعوة الاسلامية فى الاردن ولبنان ، وكان من آثار هذه الجولة فى لبنان ولقائى بسماحة المفتى فى بيروت أن كتبت لرابطة العالم الاسلامى ضمن التقرير الذى قدمته إليها عن أحداث الرحلة ، اقتراحاً باختيار الشيخ حسن خالد عضواً فى المجلس التأسيسى للرابطة ، فهو أهل لذلك وحقيق به وقد تم هذا الاختيار فعلا والحمد لله .

وكانت لى رحلة أخرى إلى الأردن حيث دعتنى الندوة العالمية للشباب الاسلامى التى كان يشرف عليها معالى الاستاذ حسن بن عبد الله ال الشيخ وزير التعليم العالى ـ رحمه الله ـ الى الاشتراك فى معسكر الشباب الذى اقامه بجرش احد جبال الأردن خلال شهر شعبان ١٣٩٨هـ .

■ فقد سعدت فعلا بالمساهمة فى نشاط المعسكر الثقافى مع طائفة من الاخوة الكرام المحاضرين أمثال الاساتذة يوسف العظم ، وعبد الله عزام(٣) وسعيد حوا(٤) ، وهمام البدوى ، ومحمد القعر وغيرهم من الزملاء الافاضل وسجلت بعض هذا النشاط فى كتابى (مع الشباب دراسات ولقاءات) الذى اصدرته دار الرفاعى بالرياض سنة ١٣٩٩هـ .

الهوامش

(١) من الشخصيات الدينية التى اجتمعنا بها فى طهران (آية الله شريعة مدارى) الذى كان من معارضى الثورة الخمينية ، وقد عومل معاملة سيئة حتى قضى نحبه .

(٢) اثبت هذا الحوار مع الشباب الاردنى فى كتابى (الشباب : دراسات ولقاءات) الذى اصدرته المكتبة الصغيرة سنة ١٣٩٩-١٩٧٩ .

(٣) الدكتور عبد الله عزام يجاهد الآن (١٤٠٩-١٩٨٨) مع المجاهدين فى افغانستان جهاداً عمليا وخطابيا وقد ترك التدريس بجامعة ام القرى من أجل ذلك .

(٤) انتقل الى رحمة الله قبل شهرين تقريباً . . وكان من أصدق الدعاة واخلص الناصحين لله ورسوله .



تغرّبْ عَن الأوطان في طلبِ العُلا
وسَافرْ ففي الأسفارِ خمسُ فوائدِ
تفرّجُ همٍّ واكتسابُ معيشةٍ
وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ

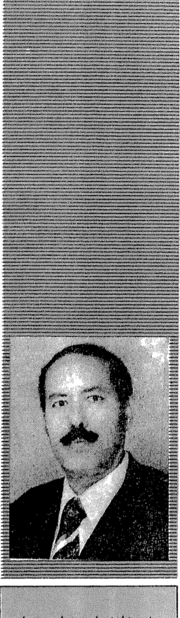


● عمارة المرابطين الحربية — د. عثمان عثمان اسماعيل

● ماليزيا . . وعبق الشرق — مصطفى محمد مصطفى

فلسفة المرابطين ومؤثرات الفن الاسلامى

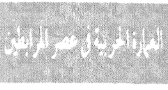
فى الطراز المغربى الاندلسى



عمارة المرابطين الحربية فى نطاق فلسفتهم الجهادية

منذ البداية كانت حركة عصر المرابطين الى اعادة فتح الاندلس وترميمه حركة حربية ودينية ولهذا حققت عمائرهم بالمغرب اهدافها الخاصة وكانت معظم منشآتهم دينية وحربية وكان من آثار العمارة الحربية عدة أسوار وقلاع وحصون . . فعندما أمر يوسف بن تاشفين ببناء مراكش أقام قصبة صغيرة فى موضع يعرف بسور الخير من مدينة مراكش كشفت عنه الحفريات الحديثة بموضع جامع الكتبية القديم . وتشير مواد بنائه وطريقة استخدامها الى العلاقة بنظام بناء قصر البحر الحمادى وتحصينات المهدية . كما يذكرنا بناء باب قصبة مراكش بالتأثيرات الافريقية . وقد زودت مدينة مراكش نفسها أيام على بن يوسف بسور من التابية التى زادت فيها نسبة الجير بتأثير من الاندلس ، وقد تم التنقيب عن بابين من أبواب هذا السور . . وبسور أكادير القديمة بتلمسان باب قديم يعكس نظام بناء الباب الرئيسى الذى شيده المرابطون فى آمرجو.

■ ومع هذا فقد كان للمرابطين منجزات معمارية كبيرة للتجمعات البشرية بالمدن غير أننا نقصر هذا البحث على عمارة المرابطين الحربية.



أ ـ تأخر المرابطين فى بناء الأسوار

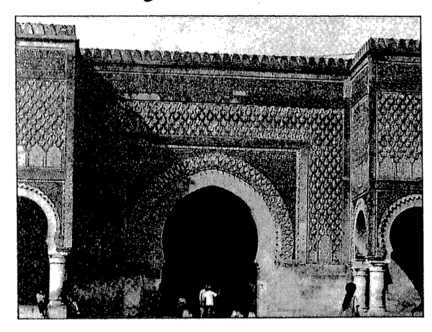
الواقع أن المرابطين قد أنفوا أول الامر من إقامة الاسوار الامر الذى جعل الدكتور ابراهيم حركات يفهم رباط السنغال على أنه كان مركز انطلاق للمرابطين دون أن يكون بقصد الاحتماء من العدو. ولعل ذلك الاحساس نفسه كان وراء هدم المرابطين للسور القديم الذى كان يفصل بين مدينتى فاس قبل فتحهم لها.. بل قد يكون ذلك التكوين الطبيعى والنفسى سبب تأخر المرابطين فى تأسيس سور لقاعدتهم الكبرى مراكش ما يقرب من سبعين عاما عندما اشتد خطر الموحدين. كما أن سور مكناس لا تفوتنا ملاحظة بنائه اثناء حصار الموحدين للمدينة.

ومن جهة أخرى فسَّر الدكتور ابراهيم حركات تأخر المرابطين فى بناء الاسوار داخل المغرب بامتداد فترة الاستقرار الداخلى فى ظهور خطر الموحدين بينما وجدوا مراكزالقوى بالاندلس عبارة عن قلاع وحصون تحتوى داخلها على المنشآت المدنية وما يتصل بها من مؤسسات دينية وغيرها ففطنوا الى ذلك وشرعوا فى بناء حصونهم(١).

ومع هذا فإننا على الرغم من قلة عدد المنشآت العسكرية والحصون والمؤسسات الحربية المرابطية التى بقيت سالمة الأثر بعد عصر الموحدين نعتقد أن المرابطين من لمتونة وجهوا عناية كبيرة الى بناء الاسوار والقلاع والحصون سواء بالمغرب أو الاندلس.

كما أننا نشاطر الاستاذ جورج مارسيه رأيه الوجيه بأن البحث عن أصول فن العمارة الحربية المرابطية يجب ألا يكون بالاندلس(٢) وانما يكون ذلك داخل المغرب.

■ إن حركة بناء القلاع وتشييد الحصون فى عصر أول وأكبر دولة دينية حربية بالجناح الغربى للاسلام بالعدوتين المغرب والاندلس على السواء وهى دولة المرابطين كانت تتبع بالضرورة اتساع نفوذ هؤلاء المحاربين



المرابطين المجاهدين الذين شيدوا مجموعة حصون وأسوار ومنشآت معمارية حربية لا يتسرب الشك الى اهميتها رغم قلة ما وصل إلينا منها.

■ إن مدينة مراكش التى يمكن مقارنتها استراتيجيا بالقيروان تمثل مرحلة هامة وقاعدة كبرى للعمليات التى كان يقوم بها هؤلاء الصحراويون أثناء تدفقهم تجاه الشمال.

لقد كان لزاما على المرابطين إقامة عدة حصون داخل المغرب أولا تحرس سفوح الجبال والممرات الاستراتيجية بالمغرب مثل حصن أمرجو الذى يحرس وادى ورغة وقصبة النصرانى فى جنوب شرقى جبل زرهون وحصن تاسغيموت فى الاطلس الكبير لحراسة بلاد أوريكا بالاضافة الى تحصين مكناس وبناء حصن تاجرارت بتلمسان وأسوار مدينة وهران وسلسلة حصون جبلية اتخذوها للإشراف على تنقلات ونشاط المصامدة وابتنوها من الحجر والآجر سميكة الجدران مدعمة بابراج الدفاع والمراقبة محاطة بالخنادق الدفاعية.

هذا ولم يكتف المرابطون بإقامة التحصينات بالمناطق الجبلية بل شيدوا بعضاً منها فى الصحراء كما كانت التحصينات تزود بسكنى القائد ومرافق ومخازن لخزن المؤن والاسلحة(٣)

انصرفت كلمة (رباط) فى أول الامر الى موضع تجميع الخيل وربطها بقصد الجهاد فى سبيل الله ومواجهة العدو استنادا الى قوله تعالى ﴿ *وأعدُّوا لهم ما استطعتم مِن قوة ومِن رباطِ الخيلِ* (٤) *تُرْهِبونَ به عدُوَّ الله وعدُوَّكُمْ*﴾ .

ولما كان موقع الرباط هو موقع مواجهة العدو فإنه كان يقام بمواقع الحدود المشرفة على أرض العدو ثم تطور الى (الثغر) سواء كان مطلا على البحر أو كان بموقع داخلى.

■ وقد التزم المسلمون الرباط امتثالا لقوله تعالى ﴿*اصبروا وصابروا ورابطوا*﴾ . . وليس بخافٍ قيمة ذلك التوجيه الذى يعتبر أمرا من الخالق سبحانه وذلك للقيام بغرض الجهاد فى سبيل الله كل على قدر طاقته سواء بالتعبد والانقطاع للدعاء أو كان ذلك بالجهاد المسلح . . ولهذا كان الرباط عبارة عن بناء يجمع بين الوظيفتين الدينية والعسكرية (٥) كما هو الحال فى رباط سوسة ورباط المناستير بإفريقية الاغلبية(٦).

■ لقد تطور الامر فى المغرب

احد الحصون القديمة بمدينة الرباط



وخاصة أيام المرابطين الى هدف الزهد والتقشف وطلب العلم للقدرة على مواجهة البدع والمذاهب الجديدة كالشيعة والخارجية وبدعة برغواطة «التى استشهد فى مكافحتها عبد الله بن ياسين مهدى المرابطين» وذلك الى جانب الرباط العسكرى فانتشرت أيام المرابطين حركة الربط التى ظهرت بالمغرب منذ أيام الادارسة ثم الزناتيين مثل رباط القاسم بن إدريس قرب أصيلا ورباط أكلو الذى أسسه قرب تزنيت وحاج بن زلو حيث درس عبد الله بن ياسين مهدى المرابطين وتنبه الى ضرورة الرباط فأسس بدوره رباط السينغال.

وكان الرباط الدينى كرباط «كلو» مكانا للعبادة وتداول العلم والاعتكاف. . أما الرباط الحربى فكان يشغل موقعا استراتيجيا ويحاط بالاسوار الدفاعية ويزود بوسائل الهجوم ويدعم بالابراج ذات فتحات توجيه السهام والمداخل ذات الحيل الهندسية كما كان الصحن المتوسط لبناء الرباط يشتمل فى جوانبه على حجرات ومخازن للسلاح.

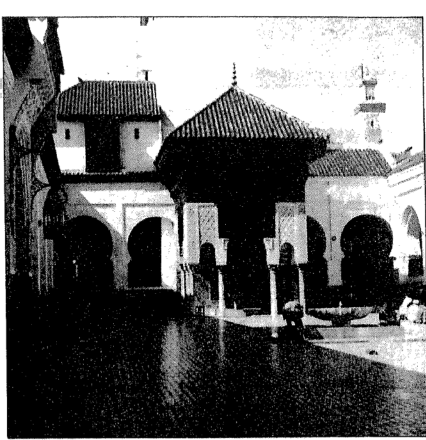
■ وقد يجمع الرباط فى مبانيه بين الوظيفتين الدينية والحربية لتحقيق الغرضين(٧) وغالبا ما تحقق هندسة البناء وسائل تيسير الغرض الدينى الى جانب وسائل الدفاع الحربى كما هو الحال فى هندسة وعمارة أربطة الاغالبة بافريقية (تونس).

ويرجح الدكتور ابراهيم حركات أن رباط السينغال كان من ذلك الطراز فقد لعب دورا ثلاثيا(٨) بأن وفر للمسلمين وسائل العلم والتعبد كما انطلق منه المرابطون لجهاد المشركين والقضاء على بدعة برغواطة ثم كان فى مفهومه الواسع مهدا أوليا للدولة الصنهاجية التى مثلت دورها المجيد سياسيا ودينيا وعسكريا على مسرح الغرب الاسلامى بشقيه الافريقى والاندلسى.

ونظرا لعدم إمكاننا الآن دراسة أحد الاربطة الاسلامية المغربية التى ترجع الى عصر المرابطين أو قبل عصرهم لاندثار الاثار. فإننا نقدم دراسة موجزة عن رباط سوسة الاغلبى لعله يفسر الاتجاه المعمارى الشامل لمبانى الأربطة بالمغرب العربى الذى يبدو أن حركتها اتخذت بدءا من افريقية (تونس) فى اتجاه الغرب.

٣ ـ رباط سوسة المعروف بقصر الرباط:

يقول مؤرخ تونس المعاصر المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب أن الامير زيادة الله وجّه


جامع القرويين الذي كان أول جامعة في العالم

عناية كاملة فى فجر المائة الثالثة للهجرة لاعادة الحصن الذى أقامه أبوه إبراهيم بن الاغلب فى مكان الرباط الحالى فجعله فى طابقين مشتملا على ثلاثين غرفة لسكنى المرابطين وحمام ومراحيض.

■ وقد بنى الامير الاغلبى بالطابق العلوى مسجدا جامعا للصلاة والخطبة أقامه على أقواس متماسكة العقود وهو أول مسجد يبنى بسوسة التى كان أهلها يقصدونه فى صلوات الجمع والاعياد قبل إنشاء مسجد أبى فتاتة والجامع الكبير. وقد زود الطابق الاسفل بماجل فسيح لجميع مياه الامطار للشرب والغسيل.

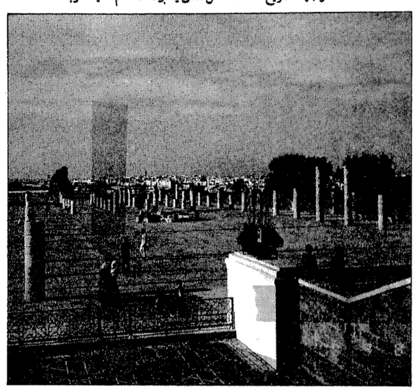
■ وقد أمر زيادة الله ببناء منار مستدير بالركن القبلى من الطابق العلوى يلاصق بيت الصلاة ويصعد الى أعلاه بمدرج داخلى ويعتبر ذلك المرصد من مفاخر الفن المعمارى الاغلبى بعد أن استوحى مهندسه منار رباط المناستير الذى أسسه هرثمة بن أعين والى افريقية عام ١٨٠هـ/٧٩٦م ويحتفظ البناء بلوحة تأسيسية نقشت بالخط الكوفى الاغلبى تشير الى تاريخ الانتهاء من البناء (**بسم الله بركة من الله مما أمر به الامير زيادة الله بن ابراهيم أطال الله بقاه على يدى مسرور الخادم مولاه فى سنة ست ومائتين اللهم انزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين**).

ويذكر المؤرخ التونسى انه كان قد نشر دراسة مستقلة عن الرباطات والحصون العربية فى البلاد التونسية وصف فيها حياة المرابطين وأشغالهم اليومية وممارستهم الفروسية والتدريب على تربية الخيول وترويضها استعدادا للحرب.

■ وكان الاستاذ كريزويل الانجليزى قد قام بدراسة أثرية حول هذا الرباط نشرها ضمن مؤلفه الضخم عن العمارة الاسلامية المبكرة وأعطى وصفه من الخارج على هيئة مربع طول ضلعه ٣٩ مترا (١٢٨ قدم) يكتنفه ثمانية ابراج أربعة فى الاركان وواحد فى كل من أضلاع المربع وكلها ابراج نصف دائرية فيما عدا برج المدخل فهو مستطيل الشكل وبرج الركن الجنوبى الشرقى الذى يقترب من تخطيط المستطيل ويقوم فوقه المنار الشهير بمنار سوسة.

ويقع المدخل بمنتصف الحائط الجنوبى ويؤدى الى الفناء الداخلى الذى يهبط عن مستوى الارض الخارجية الحالية بحوالى ٢٨٠ سنتيمترا.. والفناء الداخلى الرئيسى وهو صحن الرباط يكاد يكون مربع الشكل ٢١ر١٩×٤١ر٢٠م يحيط به من الشمال والشرق

.ساحة الاعمدة المواجهة لضريح محمد الخامس الذى يعتبر أحد معالم مدينة الرباط.



والغـرب بائكـة (Portico) من عقـود تحملهـا دعائم (PIERS) وتتقدم تلك البوائك ٢٦ حجرة مقبية (TUNNEL VAULTED ROOMS) بدون نوافـذ وفـوق الحجـرات الشرقية والشـمالية والغربية صف آخر مثلها أمامه ممر للجند تحته صف البوائك السفلى.

ويقـع المسجـد فى الـرواق الجنـوبى بدل حجـرات ذلـك الجانب ويتكون من ١١ بلاطا مقبية (TUNEL (AISLES) VAULT) أى يغـطيهـا نصف برميل وهى عمـودية على جدار القبلة بعمق اسكوبين اثنين أى أننـا نجـد اليوم بكـل بلاط عقدين اثنين فقط عموديين على جدار المحراب.

وتكاد العقود تكون نصف دائـرية فوق دعـائم قصـيرة صليبية التخطيط (CRUCIFORM PIERS) وقـد زودت جدران بيت الـصـلاة بفتحـات للسهـام حرصـا على وظيفـة البناء الدفاعية فحفرت واحـدة بالجـدار الشرقى لبيت الصلاة وثمانية بجدار القبلة.

■ امـا سقوف المسجد فتسير مع مستـوى السقـف العام للطابق العلوى بحيث يصنـع السقف كله ممرا يسـمـح للحـركـة والتجهيزات العسكـرية وتعلو الابـراج حجـرة قليلة الارتفاع ويقع السلم فى الركن الجنوبى الغربى.

اما المنار الشهير الذى يشغل الـركن الجنـوبى الشرقى فهـو يرتـفـع فوق قاعـدة تعـلو السقف.. وهو برج دائرى يعلو السطح بنحـو ١٥ مترا يضيق تدريجيـا بالارتفـاع وقـد أعـد للاذان والاشـارات وقـت الحـرب.. وبـداخـله سلم حلزونـى غير مقبى وقـد ثبت بمـدخلهـا نقش التـأسيس السابق لنا قراءته ويحمل تاريخ البناء واسم المؤسس والمشرف عليه(٩).

ويحـدد الاستـاذ كريزويل وظيفـة الـرباط بأنه بناء صغير محصـن يبـنـى على الحـدود الاسـلامية ويعمره المجاهدون المتطوعون الذين يودون التقرب الى الله تعالى عن طريق المشاركة فى الجهـاد الـدينى وهو الحرب الدينية المقدسة ويهبون أنفسهم للعبـادة والتـدريب استعـدادا للحرب والجهاد فى سبيل الله.

٤ ـ قلعة آمرجو

أقـام المرابطون قلاعهم فى مواضع تحيط بها الجبال من جميع الجهـات مثل قلعة آمرجو التى تعتـبر من أروع أمثلة العـمارة



الالعاب الشعبية الحربية .. تراث شيق بالمغرب

المرابطية الحربية. وقلعة بنى تاودا وقلعة تاسغيموت..

وتشرف قلعة أمرجو على وادى ورغة جنوب. قلعة بنى تاودا وهى متعددة الاضلاع تميل الى الاستطالة ويشتمل سورها الخارجى على اثنى عشر برجا نصف دائرية وذات ثلاثة أبواب، وفى خط الدفاع الامامى من ناحية الشمال الشرقى وضع برجان بينهما سور أمامى.. والقصبة الاصلية داخل القلعة مستطيلة الشكل ذات أبراج نصف دائرية(١١) وذات بابين فى سورها والباب الرئيسى لقلعة آمرجو له ممر يتصل مباشرة بمدخلها ولا أثر فيه للتقاليد الاندلسية(١١).

٥ ـ قلعة تاسغيموت

وقد بنى ميمون بن ياسين قلعة تاسغيموت(١٢) جنوب شرقى مراكش فوق هضبة يصعب غزوها إذ تندمج أساسات السور فى صخور الهضبة السفلى فى مجموع محيط القلعة.. وتشرف القلعة على وادى أغمات لحماية عاصمة المرابطين وقد زودت بخزان كبير لاستقبال المياه المتدفقة من الهضبة كما زودت بخزان للمهمات والمؤن ومتطلبات الحياة الكاملة فى حالة الحصار من الخارج.. وقد تبقت بالجانب الغربى آثار بناء واسع ربما كان حصنا لرئيس الحامية.

٦ ـ قلعة بنى تاودا

اما قلعة بنى تاودا فقد شيدها المرابطون لمراقبة سكان الجبال بمنطقة الريف ولم يتبق منها سوى أجزاء قليلة تقتصر على السور وبوسط القلعة آثار بناء خاص بالقصبة الداخلية.

٧ ـ قصبة الأمراز

وقد أسست لتحقيق نفس الاهداف العسكرية التى أنشئت من أجلها القصبات السابقة وتقع تلك المساحة المحاطة بأسوار محصنة فوق نتوء صخرى فى شرقى جبل زرهون (شمال مكناس) وتكون الاسوار شكل مربع غير منتظم بعد أن بنيت بحجارة الدبش (MOEL-LONS).

وكان للقصبة بابان يوصلان الى الداخل وأبراج مربعة قليلة العدد وبرج واحد بيضى التخطيط (DE PLAN AV-

OIDE) موزعــة جميعهــا على الاركان ووسط الاسوار.

٨ - أسوار تلمسان

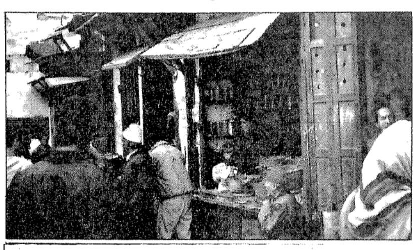
لقـد كان فتـح المرابـطين لتلمسـان مرحلة كبـيرة أمـام امتــداد مملكتهم نحـو الشرق وبهــذا أصبحت المنـطقـة ممراً رئيسياً وهـامـاً لتحركاتهم وبهذا احتفظت ببعض آثارهم الحربية.

وتحـتـفظ مدينــة أكــادير القديمة بباب العقبة الذى يفتح فى حائط من حجر الدبش بعقد من الآجـر على هيئـة حدوة الفرس المنكسرة FER A CHEVAL BRISE يستنـد على حجـارة رومـانية كبـيرة مذكـرا بأسلوب المدخل الرئيسى لقلعة آمرجو.

وفى غرب أجـادير بَنَـى المرابـطون (تلمسـان الحـالية) حيث ينسب اليهم تأسيس باب القرمدين (باب القرمود).

ومن فتحة ضيقة ومنخفضة محاطة ببرجين سميكين مربعين بالسـور الامـامى نصـل الى الاسوار الداخلية حيث الابراج الـدائـرية وقـد أقيمت الابراج والاسوار بحجارة الدبش فوقها التابية.

جانب من أحد الأسواق بمدينة فاس القديمة



الهوامش

(١) المغرب عبر التاريخ ١/ ٢٢٦

(٢) العـمارة الاسـلامية (بالفرنسية) الجورج مارسيه ص٢١٨

(٣) العـمارة الاسـلامية المبكرة (بالانجليزية) لكـريزويل القسم الثانى من الموجز ص٢٣٠ من: ASHORT ACCOUNT OF EARLY MUSLIM Architecture

(٤) فضـلا عن ورود كلمـة (ربطنا) بالقرآن الكـريم مرتـين الاولى «وربـطنا على قلوبهم» الكهف١٤ والثـانية «إن كادت لتبدى به لولا ربـطنا على قلبهـا» القصص١٠ فقـد وردت (رباط) بالانفال آية ٦٠ (ورابطوا) آل عمران ٢٠٠ راجـع المعجم المفهـرس لالفاظ القرآن الكريم وضع محمد فؤاد عبد الباقى.

(٥) المغرب عبر التاريخ ١/ ٢٢٦-٢٢٧، ٢٤٣-٢٤٤.

(٦) المغـرب الكبير ٦٩٢/ ٦٩٤ والمغرب عبد التاريخ ١/ ١٨٩-١٩٠ وكتابنا تاريخ شالة الاسلامية.

(٧) انـظر ما قاله هنرى تيراس فى كتابه الفن الانـدلسى المغربى (بـالفـرنسيـة) هامش ١ ص٢١٨: الرباط فى الجهاد عبارة عن معسكر حيث يتجمـع المتصـوفـون حول شيخهم فى القلعـة حيث يدعو المتصوفون للجهاد. انظر جورج مارسيه G. Marcais: Les Ribaten Berberie, Melange 1924 pp. 395.430

وقـد صححنـا مفهوم هنرى باسيه وليفى بروفنسال بكتابنا عن شالة حول فهم نص ابن حوقـل فى مسـالكه ٣٦٧هـ انظر كتابنا تاريخ شالة فصل ٦ ص١٠٢

(٨) المغرب عبر التاريخ ١/ ١٩٠ وقد يكون فى ذلك خلاف مع ما ذكره بصفحة ٢٢٦.

(٩) اوجـزت الـدراسـة عن البحث الاصلى الموجود مفصلا بالانجليزية مع رسم التخطيط فى القسم الثـانى الخـاص بالـدولـة العبـاسية ص٢٣٣ من: K. Creswell: Ashort account of early muslim architecture

(١٠) راجع تيراس فى: H. Terrasse: la Forteresse Almoravide d'amergo للوقـوف على إصراره على تضخيم الاثـر المسيحى فى الابراج المستديرة.

(١١) الدكتور سيد سالم: المغرب الكبير ص ٧٦٥ وانظر مارسيه نفس المصدر ص٢١٩

(١٢) راجع: Terrasee et Basset: Sanctuaiare et Forteresses Amohades للوقوف على إصرارهما فى نسبة بناء القلعة الى شخصـية انـدلسية وانظر البيدق ص١٢٨ وسـيـد سالم نفس المصـدر ص ٧٦٦ والفن الاندلسى ص٢٢٤ والعمارة الاسلامية لمارسيه ص٢١٩.

(١٣) من تلمسـان أسوارها وآثارها راجع: G. Marcais: Tlemcen paris 1950



سراواك .. وعبير الشرق

ماليزيا وعبق الشرق

تنحصر رحلتنا فى هذا الشطر من (ماليزيا) وهو الافق الشرقى الغنى بالألوان . . تتعدد فيه الثقافات والعادات حيث تتوفر الفرص ـ حتى الآن ـ امام محبى المغامرات وضروب الحياة المثيرة وغير العادية . . سيكون حديثنا عن الجناح الشرقى من اتحاد ماليزيا الذى تفصله عن الجناح الغربى مساحة لا يستهان بها من مياه بحر الصين . . بينما هو يشترك مع جزء من بلد آخر ـ هو «بورنيو» فى حدود تقسم بينهما جزيرة عظيمة المساحة تتمتع بموقع ذى أهمية نادرة بين الهند الصينية والفلبين واستراليا .

مصطفى محمد مصطفى





سراواك .. الجناح الشرقى

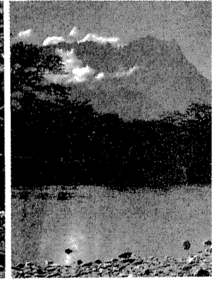
تشكل سراواك الشطر الشرقى من اتحاد ماليزيا وولاية سراواك الحديثة تغطى مساحة تبلغ ١٣٤ الف كيلومتر مربع وتمتد بطول سبعمائة كيلومتر مربع (٧٠٠) على الساحل الشمالى الغربى لجزيرة (بورنيو) التى تعد ثالث اكبر جزيرة فى العالم من حيث المساحة.

■ وتقع ولاية سراواك الى الشمال مباشرة من خط الاستواء الذى يكاد يمر بالضبط بمنتصف جزيرة بورنيو . . بينما تفصل مياه بحر الصين الجنوبى بين هذه الولاية الشرقية وبين جزيرة ماليزيا التى تحتضن (كوالامبور) عاصمة الاتحاد.

■ السكان: خليط من عدة اجناس وأعراق وهذا ما أضفى على سراواك ذلك النمط المميز من انماط المعيشة والحياة وكساها حلة زاهية لا تخطئها عين الزائر للوهلة الاولى.



يعتنى أبناء الشعب الملاوى، المعروف بالدماثة ولطف المعشر، بتزيين بيوتهم من الخارج بالخشب المحفور، ولأنهم كما اشرنا، خليط من عدة اعراق، فإن كل جماعة منهم احترفت العمل الملائم لها والذى ظل ابناؤها يتوارثونه عبر السنين، فالصينيون يشتهرون بالتجارة أساسا، بينما يشتهر ابناء قبائل (ميلاناو) و(بيدايوه) بانتاج المصنوعات الحرفية اليدوية سواء تلك التى يقبل السياح على شرائها لغرابتها وتميزها أو التى يقتنيها ابناء بعض القبائل الذين لا يزالون يتوهمون انها ـ فى اعتقادهم ـ يمكن ان تقيهم المرض وتدرأ





عنهم الاخطار. اما ابناء قبيلة (إبانز) فقد تخصصوا فى اعمال الغزل المختلفة فى حين يعيش ابناء قبيلة «اورانج يولو» على صيد الحيوانات من الغابات المجاورة لضفاف نهرى «رجانج» و«بارامة حيث يقطنون. . والغريب ان هؤلاء الصيادين المهرة، لا يزالون يستخدمون آلة صيد بدائية هى عبارة عن قصبة مجوفة من الغاب يوجهها الصياد منهم نحو فريسته، ثم ينفخ فينطلق سهم صغير مسمم يستقر فى جسم الفريسة فيصرعها، ويحصل الصيادون على السم اللازم لسهامهم من عصارة شجرة تعرف باسم «إيوة».

■ و«كوشينج» هى المركز الادارى والمالى لاقليم - أو ولاية - سراواك وهى احدى الموانىء الهامة ايضا. . وفى هذه العاصمة المحلية التى تقبع على ضفتى نهر سراواك يمتزج القديم والحديث على نحو مدهش يؤلف - فى النهاية صورة من صور الحياة «الشرقية» يندر ان يوجد مثيل لها فى اى مكان، ويقع الحى التجارى على إحدى ضفتى النهر، بينما تحتل الاحياء والمناطق السكنية الضفة الاخرى. . وهناك جسر يصل بين الضفتين، وان كان معظم ابناء «كوشينج» يفضلون استخدام القوارب فى عبورهم النهر، اما المساكن، فهى مقامة على قوائم خشبية، ويطلق عليها إسم «كامونج» وهى تقف متراصة تغوص بقوائمها فى الماء. . بينما الاطفال حولها فرحون ويسبحون فى مياه النهر الدافئة.

■ فى هذه المدينة ذات الطابع الفريد «كوشنيج» يوجد العديد من مناطق الجذب السياحى التى تنجح فى ان تبقى عامرة بأفواج السياح على مدار السنة، ولعل افضل وسيلة يمكن للزائر اتباعها، حتى لا تفوته مشاهدة اهم هذه المناطق، هى ان ينضم الى احدى الرحلات السياحية المنظمة، وقد تكون هذه هى «ارخص» الوسائل ايضا، ومن خلال مثل هذه الرحلة، يمكن للزائر ان يستكشف قدرة



جانب من الاسواق العامره بالالوان

صيادى الاسماك الصينيين، والمناطق التى كان يقيم فيها المستعمرون الانجليز، والبيوت الملاوية التقليدية فضلا عن قضاء وقت كاف فى السوق المحلية سواء للفرجة أو الشراء.

■ غير ان هناك كذلك رحلات ذات برنامج أوسع واطول، زمنيا، تتيح للسائح، زيارة حصن «مارجريتا» الذى يتمتع فى «سراواك» بشهرة خاصة ولعل اهم ما يمثله الحصن هو انه قد ارتفعت فوقه اعلام اربعة ـ فى حقب زمنية متفاوته ـ مثلت أو اختزلت كل ما مر على المنطقة من احداث تاريخية، فقد ارتفع فوقه اولا العلم الذى كان يرمز الى سيطرة عائلة «بروك» ثم ارتفع العلم الذى يمثل فترة الاحتلال اليابانى، ثم ارتفع العلم الثالث خلال الاحتلال الانجليزى واخيرا ارتفع العلم الحالى الذى يرمز الى عصر الاستقلال.

مسجد نيجيرى

فى عام ١٩٦٧م اكتمل العمل فى مسجد «نيجيرى» الذى يعد من اهم معالم «كوشينج» ومن ابرز الرموز الاسلامية فى سراواك إجمالاً، وكان هذا المسجد الذى يتمتع بشهرة كبيرة قد بنى أصلا فى عام ١٨٧٦م، الا انه كان متواضعا بالقياس الى مساجد اخرى فى بلدان كثيرة محيطة، وفى عام ١٩٢٩م بدأ عمل دؤوب من اجل اعادة بناء المسجد كله، وهو عمل تكرر مرة أخرى بعد نحو اربعين سنة حيث تكلف عدة ملايين من الدولارات، وقد افتتح المسجد رسمياً فى عام ١٩٦٨م بعد ان اكتمل بناؤه، مهيبا ترتفع قبته الشهيرة التى ترى من بعيد فتميز موقعه فى أقصى الطرف الغربى للمدينة.

■ ويدخل مسجد نيجيرى فى برامج بعض الجولات التى تنظم للزوار، شرط ان يكون الزائر مرتديا «ثيابا لائقة».

كذلك يقبل بعض السياح على زيارة معالم الابنية العتيقة نسبيا والتى ترمز بدورها الى حقب معينة مرت بسراواك كمبنى المحكمة الانجليزى الطراز، والبرج المربع الذى كان أحد سجون المدينة قديما، ومعبد «تواريك ـ كونج» الصينى واخيرا متحف سراواك الذى حاز شهرة خاصة لما يحويه من مصنوعات

يدوية بديعة دقيقة من مختلف العصور.

ولكن سراواك تظل، قبل هذا كله، هى المكان المفضل للسائح «المغامر» فتلك الغابات الخضراء الشاسعة، والطبيعة الملونة ذات الطقس الاستوائى، فضلا عن وجود العديد من الانهار وشبكة الطرق التى تيسر الوصول الى كل موقع وكل ركن وتجعل من المنطقة بأكملها مكاناً مثاليا لتنظيم الرحلات «السفارى» التى تستهوى الكثيرين واكثر رحلات «السفارى» شعبية تتألف من برنامج يستغرق يومين، وهو برنامج يبدأ برحلة بالسيارة من كوشينج تستغرق اربع ساعات وتنتهى عند نهر «سكرانج» غير ان الرحلة، فى حد ذاتها تجربة تبعث البهجة فى النفوس فهى تمضى وسط اشجار المطاط وحقول «الفلفل» وعبر العديد من القرى الجميلة الصغيرة، ثم تتواصل الرحلة بعد ذلك مع صفحة نهر قليل الغور ولكنه «نظيف ووسط مناظر مبهجة وخلابة».

■ وخلال بعض رحلات السفارى، ربما يسمح برنامج الرحلة بالتوقف فى بعض القرى ومشاركة اهلها الطعام.. وخاصة طعام العشاء الذى يفضل معظمهم دعوة الضيوف اليه.. وسيكتشف الزائر ان كافة البيوت قد بنيت من نوع متين للغاية من خشب الاشجار ويطلقون عليه اسم «الخشب الحديدى» اما الاسقف فقد صنعت من رقائق أو طبقات من جذوع النخيل. ويتكون كل بيت من مجموعة من الغرف المتجاورة التى تطل كلها على قاعة فسيحة يسمونها الـ «رورى» هى فى كل الاحوال مكان الضيافة والعمل وكافة الانشطة الحياتية اليومية.. وفى «الرورى» يمارس الاهالى اعمالهم كحفر الخشب أو غزل السلال من القش والمواد المحلية الاخرى وفيها يمدون الموائد بكرم وحسن ضيافة لزوارهم الذين يفضلون هذه الجلسات الشعبية على الاقامة بالفندق الصغير القائم فى احدى القرى.

«باكو» وحدائق أخرى

غير ان عشاق الطبيعة من زوار سراواك ربما فضلوا التوجه الى حديقة «باكو» الطبيعية، وهى تبعد عن كوشينج بنحو ساعتين باستخدام القوارب السريعة ذات المحركات.. والحديقة نفسها تقع داخل شبه جزيرة على مصب نهر سراواك وتغطى مساحة تزيد على ١٦ كيلومترا مربعا اغلبها من الغابات الاستوائية وتكثر بها





الخلجان الرملية والصخرية التى توفر اماكن فريدة لممارسة السباحة والغطس، وتضم الحديقة مئات من انواع النباتات المختلفة، ولكن «الهواة» ربما احصوا بها ٢٥ نوعا فريداً يعد وجودها مجتمعة فى مكان واحد بمثابة ثروة حقيقية لندرتها وغرابتها.

وفضلا عن وجود انواع عديدة من الحيوانات البرية ايضا، فان حديقة باكو توفر اماكن للاقامة - لمن يريد - بأسعار معقولة، ولكن ربما يكون أبرز ما تنفرد به الحديقة هو وجود «معمل ابحاث» لمن يريد من الزوار المتخصصين ان يجمع بين السياحة والعمل فى ابحاث النباتات.

ويجد هواة التصوير الفوتوغرافى فرصة نادرة فى حديقة باكو، لالتقاط صور لمناظر قلما يتوفر مثيل لها حتى فى المناطق الاستوائية المشابهة.. فاذا كانت الحديقة تضم عددا من الحيوانات البرية، فربما يكون فى مقدمتها وخاصة لهواة التصوير، القرود ذوات الانف المخروطى.. وهو نوع من القرود مهدد بالانقراض، وقد حظر صيده حظراً باتا.. كذلك هناك القرد الفضى الذى تتجمع منه اعداد كبيره فى اوقات الغذاء.. مما يوفر منظرا فريدا للتصوير ايضا كما ان هناك نوعا ثالثا من القردة هو المعروف باسم «المكاك» والذى يتميز بذيله الطويل للغاية.

وبالاضافة الى حديقة باكو، فان هناك حديقة طبيعية أخرى تجذب العديد من عشاق الطبيعة هى حديقة «نياه» التى تحوى كهوفا قديمة مشهورة وتشير النشرات السياحية الى ان علماء الاثار الذين اكتشفوا هذه الكهوف يعتقدون انها تعود الى ٤٠ الف عام خلت، وأنها كانت «مأهولة» فى ذلك الوقت، وهناك برامج رحلات ليوم واحد لزيارة الحديقة والكهوف، والعودة الى كوشينج فى اليوم نفسه، غير ان هذه الكهوف تذكرنا بمناسبة تتكرر مرتين فى العام، عندما يقوم الاهالى بعملية جمع الاعشاش من اسقف الكهوف خلال شهرى ابريل واكتوبر.. لالتهامها حيث يزعمون انها تشكل طعاماً «لذيذا» ولان اسقف الكهوف بالغة الارتفاع فان الوصول الى

الطريق الى حدائق نياة

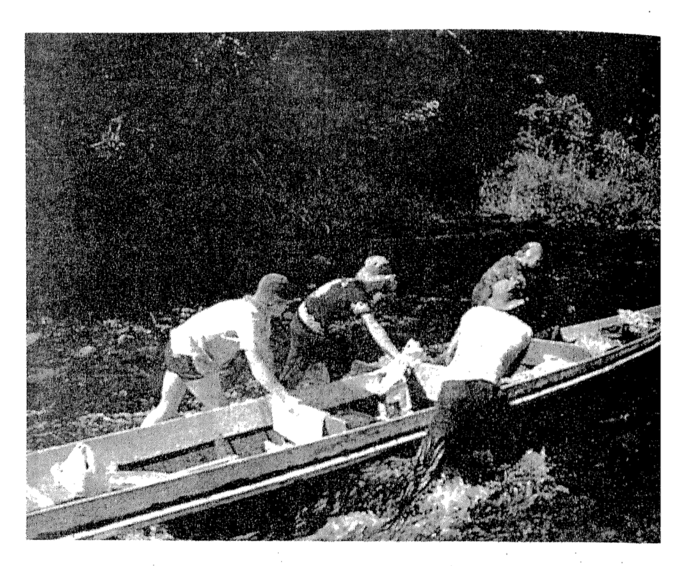
الاعشاش يتطلب تسلق سارية أو عمود يصل ارتفاعه الى ٦٠٠ مترا ثم باستخدام عصا طويلة مزودة بـ «مكشط» ليمكن جامع الاعشاش من كشط العُش والعملية فى مجملها تكاد تشبه العاب بهلوانات السيرك بسبب خطورتها الشديدة، ومن أجل القيام بعمل يبدو ـ للغريب ـ من الاعمال المستحيلة التى لا تستدعى بذل كل هذا الجهد.

■ وعلى ذكر الحدائق والكهوف لابد لنا الآن من الاشارة الى حديقة «جونوج مولا» وكهوفها والتى تعد من أهم المعالم السياحية فى سراواك على الاطلاق، ولا يعود ما تحظى به «كهوف مولا» من شهرة واهتمام إلى انها تعتبر اكبر كهوف من نوعها فى العالم كله فحسب، وانما يعود ذلك ايضا الى ان العلماء لم يتمكنوا ـ حتى الان ـ من اكتشاف سوى أقل من نصف عدد هذه الكهوف، وهذا النصف قامت باكتشافه بعثتان اثريتان بريطانيتان بينما ظلت البقية يلفها الغموض.

■ وتعد محاولة الوصول الى كهوف مولا مغامرة مثيرة فى حد ذاتها. فاذا كان الزائر قادما من مدينة «ميرى» فان الطرق النهرية تصبح هى الخيار الطبيعى حيث تستغرق الرحلة ثلاث ساعات تقريبا بواسطة القوارب السريعة، اما اذا كان الزائر قادما بطريق الجو، فان الرحلة قد لا تستغرق اكثر من ١٢ دقيقة ولكن ينبغى فى كل الاحوال حجز مكان على أى من هذين الطريقين من خلال مكتب الحدائق العامة.

سياحة للجميع

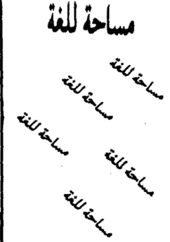
تبدو سراواك على هذا النحو مكاناً للارتحال والسياحة يناسب الجميع.. سواء من محبى المغامرات أو عشاق الطبيعة وناشدى الهدوء، أو الباحثين عن الغريب وغير المألوف فى هذا العالم الفسيح الذى يعج بالغرائب غير انه يجب ان نضيف ان زيارة سراواك تتميز فضلا عن هذا بأنها تناسب كذلك كل المستويات.. اى كل



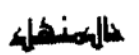
«الدخول» وكل «الاذواق» فمن النادر ان يوجد ذلك المكان الذى تتوفر فيه كل هذه المتع والذى يستطيع أى فرد ان يجد فيه الاقامة التى تناسبه.. من بيوت الشباب الى الشاليهات المنتشرة مع الشواطىء وحتى الفنادق العالمية ذات الخمسة نجوم.. كذلك فانه قلما يتوفر ذلك التنوع الهائل فى المأكل والمشرب بدءا من الاكلات الشعبية المحلية، الى الطعام الصينى والهندى المتميز، الى الوجبات الاوربية المعتادة التى يجدها المسافر فى كل مكان.

والغريب ان هذا التنوع فى الاذواق يغرى الكثيرين، الى حد ان السياح ذوى القدرة المالية من نزلاء الفنادق الفخمة يرغبون ـ احيانا ـ فى ان يجربوا الوجبات الشعبية التى تقدم فى بعض أماكن تجمعات السياح على «منصات» مفتوحة امام الجميع، اما الطعام المحلى فهو يمتاز بكثرة التوابل.. وانه يمكن القول بأن اكثر الاطعمة المحلية شعبية بين السياح والزوار هى الاكلات البحرية فهناك كافيار مالسول ـ والمحار ـ والاستكوزا والمحار المطبوخ.. وبيض السلاحف وسمك الحبار.. وذلك الى جانب عشرات الاصناف من الفاكهة التى تدهش كل قادم بوفرتها وتنوعها ومذاقها الشهى.

■ ويظل التسوق هو المتعة التى يقبل عليها ويشترك فيها كل الزوار من كل الطبقات والمستويات والاذواق.. وتتميز اسواق سراواك بأن اغلب الملاعب فيها يديرها اصحابها بأنفسهم ويبذلون كل ما وسعهم لخدمة المشترى وارضائه ومن اشهر الاسواق سراواك بلازا أو كوشينج بلازا الذى اشتهر بكثرة انواع مبيعاته وتنوعها.. تلك كانت جولة سريعة فى سراواك.



العربية أفصح لغات العالم وأقواها على التنوع فى تصوير الأفكار وعرض المضمون . . وإذا كانت اللغة هى المظهر الخارجى للحياة العقلية لشعب من الشعوب . . فهى تخضع لمجموعة من العوامل التى تشتبك ظواهرها ونتائجها . . لكن لا شك أن هناك ما يهيىء للتوحيد مما يدفع للانقسام . . وتأتى هذه المساحة اللغوية لهذا الشهر . طارحة هذه القضايا على بساط البحث والمناقشة .



مساحة للغة
مساحة للغة
مساحة للغة
مساحة للغة
مساحة للغة



عبد العزيز بن عبد الله

ـ الرباط ـ

■ لسنا فى حاجة الى بيان الدور الذى اضطلعت به اللغة العربية كأداة للتخاطب وكمصهر لصقل التعابير عن أدق الاحساسات وأرق العواطف اذ يكفى أن نراجع موسوعات اللغة لنلمس ذلك الثراء الذى عز نظيره فى معظم لغات العالم.

ففى مصنفات الفنون والعلوم الرياضية والأدبية والفلسفية والقانونية ذخيرة لغوية كانت هى القوام الأساسى للتفاهم بين العلماء والتعبير عن أعمق النظريات التقنية يوم كانت الحضارة العربية فى عنفوان ازدهارها ويكفى أن تتصفح كتابا علميا أو فلسفيا لتدرك مدى هذه القوة وتلك السعة الخارقة ففى العربية اذن «مقدرات» شاسعة لا يتوقف حسن استغلالها الا على مدى ضلاعتنا فى فقه اللغة .

والكل يعلم أنه منذ أواخر القرن الهجرى الأول «انبثقت حركة فكرية واسعة أذكت جامعات الشرق» ولم تستفد من هذه الحركة ـ كما يقول مؤلف «المعجزة العربية» السريانية ولا الفارسية ولا اليونانية وانما استفاد منها شعب عاش حتى ذلك التاريخ خارج حدود العالم المتمدين ولم يكن هنالك فى الظاهر ما يحدوه الى الاضطلاع بالدور الخطير الذى قام به مع ذلك فى تاريخ الحضارة وهذا الشعب هو الشعب العربى .

■ كانت العربية لغة أدب وشعر منذ أعرق عصور الجاهلية ولكن سرعة انتشارها ترجع الى الثمار المادية والروحية التى جنتها من





الاسلام أكثر منها الى القرار الذى اتخذه الامويون بجعل العربية اجبارية فى الوثائق الرسمية. وخلال القرن الثانى الهجرى بدأ انحلال مراكز الثقافة اليونانية فى الشرق الأدنى، وتمخض هذا الانحلال عن «أكبر فوضى فى اللغات والاديان» فقد بدأت شعوب عريقة فى الحضارة كالمصريين والهنود تتحلل من تراثها الخاص لتعتنق على اثر احتكاكها بالعرب معتقداتهم واعرافهم وعوائدهم.

وقد أوضح جوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب»(١)ان العربية أصبحت اللغة العالمية فى جميع الأقطار التى دخلها العرب حيث خلفت تماما اللهجات التى كانت مستعملة فى تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية.

وقد عربت أهم المصنفات اليونانية فى عهد الخلفاء العباسيين حيث انكب العرب على دراسة الآداب الأجنبية بحماس «فاق الحماس الذى اظهرته أوربا فى عهد الانبعاث» وقد خضعت اللغة العربية لمقتضيات الاصلاح الجديد فانتشرت فى مجموع انحاء آسيا واستأصلت نهائيا اللهجات القديمة وقد قضت حتى على اللاتينية لا سيما فى شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا والاندلس) حيث ندد الكاتب المسيحى «الفارو» - وهو من رجال القرن التاسع الميلادى - بجهل مواطنيه باللاتينية فقال: «ان المسيحيين يتعلقون بقراءة القصائد وروائع الخيال العربية ويدرسون مصنفات علماء الكلام المسلمين لا بقصد تنفيذها بل من أجل التمرن على الأسلوب الصحيح الأنيق.

وقد أكد المؤرخ «دوزى»(٢) أن أهل الذوق من الاسبان بهرتهم نصاعة الأدب العربى واحتقروا البلاغة اللاتينية وصاروا يكتبون بلغة العرب الفاتحين..

كما نقل «دوزى» عن صاحب كتاب «**الوسى موزار أيبس دوطوليد**»ان العربية ظلت أداة الثقافة والفكر فى اسبانيا الى عام ١٥٧٠م.

■ ان اللغة العربية التى بلغت مبلغا كبيرا من المرونة والثروة فى العهد الجاهلى أدركت فى القرن الرابع الهجرى أى فى عنفوان العصر العباسى أوج كمالها. وقد وصف زكى مبارك روعة النثر الفنى العربى فى هذا القرن ووصف «فيكتور بيرار» اللغة العربية فى ذلك العصر بأنها أغنى وأبسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الانسانية مرونة وروعة فهى كنز يزخر بالمفاتن ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب رائع التصوير».

■ ان نفوذ اللغة العربية أصبح بعيد المدى حتى ان جانبا من اوربا الجنوبية أيقن أن العربية هى «الأداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب» وان رجال الكنيسة اضطروا الى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها فى الكنائس الاسبانية وأن «جان سيفيل» وجد نفسه مضطرا الى أن



يحرر بالعربية معارض الكتب المقدسة ليفهمها الناس(٣).

وقد أكد جوستاف لوبون (ص٤٧٢) «ان العربية من أكثر اللغات انسجاما فهى وان كانت تحتوى على عدة لهجات كالشامية والحجازية والمصرية والجزائرية غير أن هذه اللهجات لا تختلف فيها بينها الا بفوارق جد طفيفة بينها نلاحظ أن سكان قرية فى شمال فرنسا لا يفهمون كلمة من اللهجات المستعملة فى قرى الجنوب نرى سكان شمالى المغرب الاقصى يتفاهمون بسهولة مع سكان مصر والحجاز «وقد قال الرحالة «بوركارد» بأن كل من عرف احدى هذه اللهجات فهم سائرها بدون عناء».

ومعلوم أن الجامعة الاوربية كانت عاملا مهما فى ذيوع اللغة العربية التى أصبحت فى العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون بل أصبحت لغة دولية للحضارة ففى عام ١٢٠٧م لوحظ وجود معهد فى جنوب أوربا لتعليم اللغة العربية ثم نظم المجمع المسيحى العالمى بعد ذلك تعليمها فى أوربا وذلك باحداث كراسى فى كبريات الجامعات الغربية. وفى القرن السابع عشر اهتمت أوربا الشمالية والشرقية اهتماما خاصا بتدريس اللغة العربية ونشرها، ففى ١٦٣٨ قررت حكومة «السويد» تعليم العربية فى بلادها ومنذ ذلك العهد انصرفت «السويد» الى طبع ونشر المصنفات الاسلامية وبدأت «روسيا» تعنى بالدراسات الشرقية والعربية خاصة فى عهد البطرس الأكبر الذى وجه الى الشرق خمسة من الطلبة الروسيين. وفى عام ١٧٦٩ قررت الملكة «كاترينا» اجبارية اللغة العربية. وفى عام ١٨١٦ أحدث قسم اللغات السامية فى جامعة «بتروكراد».

■ وقد اتجه اقتباس اوربا من العربية نحو الميدان العلمى فدخل الى اللغات الاوربية كثير من المصطلحات العربية مثل الكحول والاكسير والجبر واللوغريتم وقد استمد الاسبان - حسب ليفيى بروفنصال - معظم أسماء الرياحين والازهار من العربية، ومن جبال البرانس انتقلت مصطلحات العلوم الطبيعية الى فرنسا مثل البرقوق والياسمين والقطن والزعفران ومجموع مصطلحات الرى هى كذلك من أصل عربى كما تحمل الحلى فى اسبانيا اسماء عربية ويتجلى نفس التأثير فى الهندسة المعمارية، وبالجملة فقد استمدت اسبانيا وبواسطتها أمريكا اللاتينية من اللغة العربية الشىء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا.

وقد لاحظ عالم ايطالى كبير أن معظم التعابير العربية التى تغلغلت بكيفية مدهشة فى لغة روما لم تنتقل عن طريق التوسع الاستعمارى ولكن بفضل اشعاع الاسلام الثقافى.

بل ان الاصلاح الخاص بالكنيسة تأثر الى حد بعيد بالطابع العربى فقد اعترف «البارون كارادوفو» مؤلف «مفكرو الاسلام» - وهو مسيحى متحمس - بأن الاسلام علم المسيحية منهاجا فى التفكير الفلسفى، هو ثمرة عبقرية أبنائه الطبيعية وان مفكرى الاسلام نظموا لغة الفلسفة الكلامية التى استعملتها المسيحية فاستطاعت بذلك استكمال عقيدتها جوهرا وتعبيرا وهذه ظاهرة لا سيما اذا اعتبرنا مدى مساهمة الفلسفة الاسلامية فى تكوين «علم الكلام Theobogy خلال القرون الوسطى والدور الذى قام به ذلك كل من ابن سينا وابن رشد وما كان لهما من تأثير على أشهر مفكرى المسيحية.

وقد عبر الاستاذ «ماسينيون» عن نفس الفكرة قائلا: «ان المنهاج العلمى قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية».

ثم قال: «ان العربيمة استطاعت بقيمتها الجدلية والنفسية والصوفية ان تصفى سربال الفتوة على التفكير الغربى

كما أنعشت «ألف ليلة وليلة» فى القرن السابع عشر الميلادى ذهنية أوربا التى اتخمتها أساطير الاغريق والرومان».

وقد ختم «ماسينيون» وصفه الرائع قائلا: «ان اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم فى المستقبل».

وهكذا يمكن القول بأن اللغة العربية انتشرت فى العالم من قبل، وذيوعها فى بلاد المشرق وفى افريقيا قد تم تحت كنف الحضارة الاسلامية.

عددنا القادم

المحرم ١٤١٠هـ

كل عام وانتم بخير

مع مطلع العام الجديد، تصافح أعينكم جديد منهلكم،

عام جديد . . وتطلع جديد

يشمل الموضوع والتبويب

والاخراج . .

مع ثوابت العدد

وجديد مجلاتنا الداخلية

مع ندوات المنهل . . تستطلع آفاق الفكر العربى . .

«حوش التاجورى» قصة الكاتب القدير غالب حمزة أبو الفرج

صراع اللغ

دكتور فتحى أنور الدابولى

جدة ـ كلية التربية للبنات

[illegible]

اللغة إذا اختلطت بغيرها من اللغات فإنها تعمل على الاحتفاظ بخصائصها وتنزع الى حب البقاء والتغلب على غيرها من اللغات شأنها فى ذلك شأن الكائنات الحية الأخرى.

ومن أجل ذلك تدخل اللغة فى صراع ومنافسة مع غيرها وهى فى هذا الصراع وتلك المنافسة تستخدم وسائل متعددة للقضاء على الأخرى ويظل هذا الصراع مدة طويلة بعد احتكاك اللغتين وتكون النتيجة: اما فوز إحدى اللغتين على الأخرى واما أن تعيش اللغتان معا جنبا إلى جنب.

عوامل الصراع:

أما عوامل اختلاط اللغات وصراعها فترجع الى عاملين:

العامل الاول: اختلاط الشعبين اختلاطا كاملا.

العامل الثانى: تجاور الشعبين فيختلطان لتبادل المنافع وغيرها(٣).

أولا: اختلاط الشعبين

يرجع ذلك نتيجة للفتوحات أو الاستعمار أو الهجرة وغالبا ما يكون بعد الاستعمار هجرة تقوى نفوذه حيث تهاجر مجموعات من الشعب الغازى الى الأرض الجديدة وهى تنطق بلغة غير لغة الشعب الأصلى(٤).

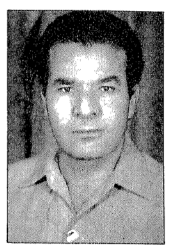
فالشعب الاصلى له لغة والشعب النازح له لغة أخرى وحينئذ تدخل اللغتان فى صراع قد تفوز فيه إحدى اللغتين وتصبح هى اللغة المميزة لجميع السكان فى تلك المنطقة «قديمهم وحديثهم أصيلهم ودخيلهم»(٥).

وقد تعيش اللغتان معا فلا تقوى إحداهما على الأخرى وهنا أمران يعدان مقياسا لتغلب اللغة على الأخرى:

الأول: درجة الحضارة والثقافة ـ

والثانى: عدد المستعمر أو الفاتح.

ـيات



■ هذا وتتغلب إحـدى اللغتـين على الأخرى فى الحالات الآتية :

(١) أن يتسـاوى الشعبـان فى الحضارة والثقافة ويصبح التفاضل بينهما من حيث عدد الأفراد فإذا زاد عدد أفراد الشعب الأصلى تغلبت لغته على لغة الشعب الدخيل وإذا زاد أفـراد الشعب الـدخيـل على الشعب الأصيل فازت لغة الشعب الدخيل .

ومن امثلة ذلك فى التاريخ أن الانجليز السكسونيين حينما نزحوا من أواسـط أوربـا الـى انجلترا تغلبت لغتهم على لغـة السكـان الأصليين وهى اللغة السلتية التى كان يتكلم بها السكان الأصليون وذلك لكثرة الانجليز السكسونيين فى العدد وكان الشعبان على درجة متواضعة فى مستوى الحضارة والثقافة(٦) .

■ هذا ويزيد من سرعة الانتصار أن تكون اللغتان من فصيلة واحدة أو من فصيلتـين(٧) متقـاربتـين فاللغتـان فى المثـال السابق من فصيلة واحدة هى فصيلة اللغات الهندية - الأوربية .

فإذا لم تكن اللغتان من فصيلة واحـدة أو من فصيلتين متقاربتين فإنـه يصعب تغلب إحداهما على الأخـرى حتى مع توفـر العدد فى أحد الجانبين عنه فى الآخر .

(٢) أن يكـون أحـد الشعبـين (الغازى أو المغزو) أرقى من الآخر فى حضارته وثقافته وحينئذ يكتب النصـر للغة هذا الشعب وتتحول الى لغة السكان الرسمية(٨) .

والسبب فى ذلـك أن الشعب الغـالب يملك الى جانب قوتـه المادية قوة حضارية لا تتوفر للشعب المغلوب فيكـون الصـراع حينئـذ حضـاريـا يدرك المغلوبون خلاله أنهم بحاجة الى استيعاب أصول الحضارة الجديدة وقواعدها ومظاهرها .

■ ومن لوازم كل حضارة جديدة أن تصطـحـب معـهـا ثروة من الكلمات الخـاصـة بالتعبير عن أفكارها ويبدأ الشعب المغلوب فى التشبـع بهذه الأفكـار ثم الاعتماد عليهـا والـدفـاع عنها وبذلك يتم السيطـرة والانتصـار فى المعـركـة اللغـويـة للغـالبـين بسيادة لغتهم على المغلوبين دون اعتبار للعدد .

ومن أمثلة ذلـك فى التـاريخ تغلب اللغة اللاتينية (لغة الرومان) على اللغـات الأصليـة لايطـاليـا وأسبـانيا على بلاد الجول (فرنسا وما إليها والألب الوسطى والأليريا مع أن الـرومـان المغيرين كانوا فى هذه البلاد أقلية بالنسبة لسكانها الأصليين .

■ ومن ذلك تغلب اللغة العربية - بعد الفتح الاسلامى - على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية فى مصر والبربرية فى شمال أفـريقيـا والكـوشيتيـة فى الشرق أو تحولت اللغة العربية الى لغـة الحـديث والكتـابة فى معظم منـاطق شبـه الجزيرة العربية وفى مصـر وشـمال أفريقيا وغيرها على الرغم من أن العرب فى هذه البلاد كانوا أقل عددا من السكان الأصليين .

ويرجع ذلك الى ما كان يتمتع به العرب من حضارة جديدة حملها إليهم الدين الاسلامى الجديد فى الوقت الذى كانت فيه هذه الأمم ترزخ تحت سيطـرة الاستعـمار الـرومـانى أوالفـارسى حتى جاء العـرب فاتحـين حاملين معهم مشعـل الحضـارة التى أسـاسهـا الاخـاء والمسـاواة بين النـاس والتفـاضـل بينهم بالتقوى ونبذ ما كان عليـه النـاس قبلها من ظلم

● اللغة كائن حي يجرى عليها ما يجرى على الكائن الحي من نمو وتقدم أو تأخر وجمود

● درجة الحضارة والثقافة، وعدد المستعمر أوالفاتح هما مقياسا تغلب لغة على الأخرى.

● اللغة الغالبة تتأثر بالمغلوبة فى كثير من مفرداتها وأساليبها وقواعدها.

● صراع اللغات أمر مقرر سواء عن طريق اختلاط الشعبين أم تجاورهما.

واستغلال واضطهاد.. الخ.

■ وعلى كل حال فإن اللغة المنتصرة - بعد أمد طويل من الصراع - لابد أن تتأثر باللغة المهزومة فى كثير من مظاهرها وقواعدها ومفرداتها.

فمثلا فى مصر حينما انتصرت العربية على التركية - بعد الاحتلال التركى - لم تسلم العربية من الألفاظ التركية التى مازالت تجرى على ألسنتنا إلى اليوم.

من ذلك، الالفاظ التى تنتهى بالمقطع (جى) مثل: قهوجى والألفاظ التى تنتهى بالمقطع (خانة) مثل أجزخانة، كتبخانة.

وتختلف شدة التأثر بين اللغتين الغالبة والمغلوبة تبعا لطول أمد الصراع بينهما وقوة هذا الصراع وعنف المقاومة من جانب اللغة المغلوبة فيزداد التأثر كلما قوى الصراع وامتد ويضعف التأثر كلما قصر أمد الصراع وضعف(٩).

■ وقد تعيش اللغتان جنبا الى جنب ولا تقوى احدى اللغتين على التغلب على الأخرى وذلك فيما عدا الحالتين السابقتين أى بأن يتساوى الشعبان فى الثقافة والحضارة والعدد.

ومن امثلة ذلك فى التاريخ القديم «أن اللغة اللاتينية لم تقو على التغلب على اللغة الاغريقية مع أن الأولى كانت لغة الشعب الغالب وذلك لأن الاغريق مع خضوعهم للرومان كانوا أعرق حضارة وأوسع ثقافة وأرقى لغة وقد سبق أن انهزام لغة الشعب المغلوب أمام لغة الشعب الغالب لا يحدث إلا إذا كان الشعب الثانى أرقى من الشعب الأول فى جميع هذه الأمور.

■ واللغة العربية كذلك لم تقو على الفارسية على الرغم من فتح العرب لبلاد فارس وبقائها تحت سلطانهم أمدا طويلا وذلك لأن الشعب العربى لم يكن إذ ذاك أرقى حضارة من الشعب الفارسى.

وفى التاريخ الحديث لم تقو العربية على الانتصار على اللغات الأسبانية على الرغم من فتح العرب للأندلس واحتلالهم لها نحو سبعة قرون وذلك لعدم امتزاج تلك الشعوب القوطية فى الأندلس بالشعب العربى، وكذلك اللغات التركية لم تقو على التغلب على لغات الشعوب التى احتلتها - مدة طويلة - ومنها العربية وذلك لأن الترك كانوا أقل حضارة وثقافة من معظم الشعوب التى كانت تابعة لهم(١٠).

ومن الأمثلة على ذلك صراع الألمانية مع الفرنسية داخل سويسرا ففى الشعب السويسرى قسم يتحدث بالفرنسية وقسم آخر يتحدث بالألمانية، وكل ما يحدث هو أن تطرد الألمانية الفرنسية من إحدى القرى أو العكس دون تأثير كبير لإحداهما على الأخرى(١١).

وقد يكون للعامل السياسى أثره فى حسم نتيجة الصراع بين لغتين غير متكافئتين وقد ظهر ذلك عندما وجدنا كثيرا من الشعوب المستعمرة تتجه إلى إحياء لغتها للنهوض بمستواها ومواجهة المستعمر المتحضر.

■ ومن أوضح الأمثلة - هنا -

صراع الفرنسية مع العربية فى الجزائر فقد سيطر الاستعمار الفرنسى على الجزائر مائة وثلاثين عاما حاول خلالها أن يدمر كل رابطة تربطها بالاسلام والعربية بإحكام خطة شاملة تبدأ بالطفل الجزائرى الى أن يصبح رجلا يتعامل مع الفرنسيين بأسلوبهم ولغتهم ويؤازرهم فى ذلك تفوق حضارى وهجرة كبيرة.

بيد أن الصحوة الجزائرية بدأت باستعادة اللسان الجزائرى حينما أنشأ المصلح الجزائرى عبد الحميد بن باديس (جمعية العلماء) حيث أنشأت الكتاتيب فى المساجد وغيرها لتحفيظ القرآن الكريم فأقبل الناس عليها وبدأت صحوة اللغة العربية التى انتهت بحركة تعريب شاملة استرد بها الشعب الجزائرى لسانه العربى.

وعلى كل حال فإن اللغة التى لم تقو على الأخرى لابد أن تترك آثارا واضحة فى اللغة التى تصارعت معها وإن لم تتغلب عليها.

فقد تأثرت اللاتينية بالاغريقية فى أساليبها وآدابها واقتبست منها طائفة كبيرة من مفرداتها، والصراع بين العربية والفارسية وإن لم ينته الى تغلب إحداهما. قد ترك فى كل منهما آثارا واضحة من الأخرى وبخاصة من ناحية المفردات وهكذا(١٢).

ثانيا: تجاور الشعبين

(ويسمى الصراع السلمى بين اللغات)

إذا تجاور شعبان يتكلمان بلغتين مختلفتين كان لابد من اشتباك لغتيهما فى صراع نتيجة تبادل المنافع والمصالح المشتركة بين الشعبين وقد يكون هذا الصراع نتيجة لنمو أحد الشعبين المتجاورين نموا طبيعيا كبيرا حتى تضيق به المساحة التى يشغلها شعب آخر ذو لغة مخالفة.

ويترتب على ذلك الصراع إما أن تنتصر إحدى اللغتين على الأخرى وتحتل مناطقها فتصبح لغة مشتركة بين الشعبين وإما أن تبقى اللغتان وتعيشان معاً جنباً الى جنب(١٣).

■ فتنتصر إحدى اللغتين على الأخرى فى حالتين:

١ ـ أن يكون أحد الشعبين أرقى حضارة وثقافة وآدابا عن الشعب الآخر ومع رقى حضارته وثقافته وآدابه يكون أكثر نمواً فى عدد سكانه(١٤) حتى تضيق المساحة على سكانه فيشتد ضغطه على حدود الشعب المجاور ويحدث التنازع بين اللغتين وحينئذ تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة المناطق المجاورة له.

ومن أمثلة ذلك فى التاريخ طغيان اللغة الألمانية على مساحات واسعة من المناطق المجاورة لألمانيا كسويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا وقضاؤها على لهجاتها الأولى.

٢ ـ أن يتغلغل نفوذ أحد الشعبين فى الشعب المجاور له ويكون الشعب القوى النفوذ أرقى فى حضارته وثقافته وآدابه وحينئذ تنتصر لغة الشعب القوى النفوذ على الشعب المجاور له ـ دون اعتبار للعدد ـ فى الطرفين.

ومن أمثلة ذلك فى التاريخ تغلب اللغة العربية ـ قبل الاسلام ـ على اللغة اليمنية بحكم الجوار، وتغلب اللغة الفرنسية على لغة شعوب الباسك لقوة نفوذ الفرنسيين فى مناطق هذه الشعوب.

ولهذا السبب أيضا تتغلب لغة العاصمة فى الدولة الواحدة على بقية اللهجات المحلية الأخرى..(١٥).

ومن هذا القبيل تغلبت العربية على النوبية نتيجة لانعزال النوبيين وضعف مستواهم الحضارى(١٦)

نتيجة الصراع اللغوى:

لا ريب فى ـ أن انتصار إحدى اللغتين على الأخرى لا يتم إلا بعد فترة طويلة من الصراع ونتيجة لذلك لابد أن تتأثر كل من اللغتين الغالبة والمغلوبة.

● فاللغة الغالبة تتأثر بالمغلوبة فى كثير من مفرداتها وأساليبها وقواعدها واللغة المغلوبة تقطع فى سبيل انقراضها ثلاث مراحل.

الأولى : ينفذ الانحلال أولا فى مفرداتها خاصة المفردات التى تمثل الجانب الحضارى الذى لم يألفه المغلوبون ويشمل ذلك أسماء المخترعات والآلات والعادات وغيرها وبذلك يضعف المتن الأصلى للغة المغلوبة.

الثانية : ثم ينفذ الانحلال الى أصوات اللغة المغلوبة ومخارج حروفها وأساليبها فى نطق الكلمات وغالبا لا تأتى هذه المرحلة إلا بعد فترة طويلة من المخالطة والمعاشرة بين المتكلمين باللغتين.

الثالثة : وأخيرا يتم الاجهاز على اللغة بالقضاء على قواعدها فتستسلم للصراع وتنقرض انقراضا يكاد يكون كاملا(١٧).

وبذلك تنهزم اللغة وتسقط وتنتهى بذلك حلقة فى صراعها مع اللغة الأخرى ولا تسلم اللغة المنتصرة كما عرفنا - آنفا - من التأثر باللغة المهزومة.

وتعيش اللغتان المتجاورتان جنبا الى جنب - فيما عدا - الحالتين السابقتين وأمثلة ذلك فى التاريخ كثيرة تتمثل فى معظم العلاقات بين اللغات المتجاورة فى العصر الحاضر، فالجوار بين فرنسا وانجلترا وألمانيا وأسبانيا والبرتغال لم يؤد الى تغلب لغة شعب منها على لغة شعب آخر لأن احتكاك لغاتها لا ينطبق على حالة من الحالتين اللتين يحدث فيهما التغلب بالمجاورة.

نقش النمارة

ني نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج

وملك الأسدين و نزرو و ملوكهم وهرب م[ذ]حجو عكدي وجا[ء]

برجي في حبج نجرن مدينة شمر و ملك معدو و بين بنيه

الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه

عكدي هلك سنت (٢٢٣) يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

نص لنقش النمارة

١) هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج

٢) وملك [عشيرتي][١١] بني أسد و[قبيلة] نزار وملوكهم ، وهزم[٢٥] [قبيلة] م[ذ] حج القوية[٢٦] . وجا [ء] .

٣) يزجي[٢٧] في حبج[٢٨] نجران مدينة [الملك] شَمِر (أو شَمَّر) , وملك [قبيلة] معدّ و[موضع] بنان[٢٩] . [وأطاع] بنيه[٣٠] .

٤) الشعوب ، ووكلهم[٣١] [ال] فُرْس [لمجابهة] [ا] لروم[٣٢] . فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥) قوة[٣٣] . هلك سنت[٣٤] ٢٢٣[٣٥] يوم سبعة[٣٦] كسلول[٣٧] ليسعد[٣٨] أولاده[٣٩]

الكتابة الاسترانجيلية

مثال من النقوش النبطية في مدائن صالح من السنة الاولى قبل الميلاد

● نماذج توضح تطور وصراع اللغة المكتوبة

ومن المسلَّم به أن اللغتين المتجاورتين إذا عاشا معا جنبا الى جنب دون تغلب إحداهما على الأخرى فلابد أن تتأثر إحداهما بالأخرى.

«فالانجليزية الحديثة بانجلترا والفرنسية الحديثة بفرنسا تتقارضان المفردات منذ أن أتيح للشعبين المتجاورين فرص للاحتكاك وتبادل المنافع»(١٨) وهكذا.

تعقيب:

نخلص من كل ما سبق أن صراع اللغات أمر مقرر - كما يحدث للكائنات الأخرى سواء أكان عن طريق اختلاط الشعبين أم تجاورهما وأن نتيجة ذلك إما انتصار إحدى اللغتين على الأخرى مع تأثر اللغة المنتصرة بالأخرى فى كثير من الظواهر وإما حياة اللغتين معا جنبا الى جنب مع احتفاظ كل منهما بشخصيتها المتميزة ولا مانع من تأثر اللغتين أيضا فى هذه الحالة كما تقضى بذلك نواميس الصراع اللغوى ويشهد به الواقع اللغوى.

الهوامش

(١) لا يقتصر الصراع على اللغات فقط ولكنه يكون أيضا بين اللهجات فى اللغة الواحدة فلهجات اللغة الواحدة تتصارع كذلك ويكتب لاحداها النصر فى النهاية على غيرها وتصير اللهجة الغالبة هى لغة الكتابة والأدب مع احتفاظها ببعض خصائص اللهجات الأخرى ويرجع ذلك الى عوامل متعددة تحدثنا عنها فى كتابنا «دراسات فى علم اللغة» ص ١٢٩-١٣١ (ط/ الاولى ١٤٠٤هـ).

(٢) فى علم اللغة العام د/ عبد الصبور شاهين/ ١٩٠ (ط/ االثالثة ١٣٩٨هـ)

(٣) علم اللغة د/ وافى - ٢٢٩ (ط/ السابعة - دار نهضة مصر) ويقارن بفصول فى فقه العربية د. رمضان عبد التواب/ ٣١٣ (ط/ الاولى ١٩٧٩م).

(٤) فى علم اللغة العام/ ١٩٠

(٥) علم اللغة (وافى) ٢٣٠.

(٦) انظر تاريخ اللغة الانجليزية - البرت - س - بون/ ١٢٧-١٤٩

AHistory of the English Language by Albert -C- Bouch- PP.127-149- London 1951.

(٧) قدر عدد اللغات الحية فى العالم سنة ١٩٥٢م حوالى ثلاثة آلاف وخمسمائة وتبلغ الآن حوالى خمسة آلاف وفى القرن التاسع عشر قسمت اللغات العالمية إلى فصائل لغوية تتفق الفصيلة في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل ويتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة متميزة ترجع الى أصول شعبية واحدة أو متقاربة وتؤلف بينها طائفة من الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية وأشهر نظرية قسمت اللغات على هذه الأسس هى نظرية مكس مولر التى ترجع جميع اللغات الانسانية الى ثلاث فصائل: الهندية الأوربية - السامية الحامية - الطورانية - انظر: لغات البشر ٥٩-٦٤ (ماريو باى) ترجمة د/ صلاح العربى ط/ فرنكلين ١٩٧٠م - أسس علم اللغة ٦٥ - ماريوباى ترجمة د/ احمد مختار عمر (ط/ الثانية ١٤٠٣هـ) الفلسفة اللغوية - ١٩ (هامش) جورجى زيدان ط/ دار الهلال.

(٨) انظر: من أسرار اللغة ١١٤ د/ أنيس (ط/ السادسة مكتبة الانجلو)، فى علم اللغة العام/ ١٩٣، ١٩٤.

(٩) انظر علم اللغة ٢٣٢ - ٢٣٥، من أسرار اللغة ١١٤، فى علم اللغة العام/ ١٩٤-١٩٧

(١٠) انظر علم اللغة ٢٣٧، ٢٣٨، من أسرار اللغة ١١٥

(١١) وهذه ظاهرة منتشرة فى أماكن كثيرة جدا فى أيامنا المعاصرة ومن ذلك تجاور اللغتين الفرنسية والانجليزية وحياتها معا فى كندا وبلجيكا.

(١٢) علم اللغة ٢٣٩ وفى علم اللغة العام ٢٠٠، ٢٠١

(١٣) انظر لغات البشر ٩٥، فى علم اللغة العام ٢٠٣ وعلم اللغة ٢٤٠

(١٤) يلاحظ أن عامل الحضارة - هنا أيضا - أقوى من عامل العدد - كما وضح مما سبق.

(١٥) راجع عوامل تغلب لهجة قريش على بقية اللهجات الأخرى فى كتابنا: «دراسات فى علم اللغة» ص١٠١ وما بعدها».

(١٦) فى علم اللغة العام ٢٠٦ ومن أسرار اللغة ١١٥، ١١٦.

(١٧) علم اللغة ٢٤٠ - ٢٤٤ وفى علم اللغة العام ٢٠٨-٢١١.

(١٨) انظر لغات البشر ٩٨، ٩٩، علم اللغة ٢٤٠-٢٤٧ ومن أسرار اللغة ١١٥، فى علم اللغة العام ٢٠٨-٢١١.

الخلاف في نشأة النحـ

د. حميد عبد الجواد النجدى

● كانت أبواب النحو مختلطة مع أبواب الصرف . . ولم يستقل الصرف [illegible] أن قطع النحو شوطاً طويلاً فى سلم التطور.

الوشيجة بين علم النحو وعلم الصرف قوية وحتمية . . إلا أن الفصل بينهما [illegible] للهجرة . . وبجعل النحاة من اللغة أداة لاستنباط الأحكام الفقهية . . [illegible] لمعالجة المسائل اللغوية . . «فلابد لمن اراد علم الشريعة أن يعرف العلوم المتعلقة [illegible] يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو . . إذ به تتبين اصول المقاصد بالدلالة [illegible]

■ يذهب بعض أهل اللغة الى أن أول من وضع الصرف هو معاذ بن مسلم الهراء النحوى المتوفى بين ١٨٧ـ١٩٠هـ على خلاف فى تأريخ وفاته ـ وكان من المعمرين حتى قيل فيه:

إن معاذَ بنَ مسلمٍ رجلٌ
قد ضجّ من طول عمره الأبد
يا نسر لقمان كم تعيشُ وكم
تأكلُ طولَ الزمان يالبدُ
مُصحَّحاً كالظليم ترفلُ فى
بُرديكَ منك الجبينُ يتقدُ
فاذهبْ ودعنا فإن غايتك الـ
ـموتُ وإن شدّ ركنك الجلدُ

■ وقيل إنه عمرّ مائة وخمسين سنة وحكاية طول عمره هذه لها تعلق فيما سنورده من الروايات التى وردت وعُدّت سبباً لنشأة الصرف . . وقد نقل بعضهم الاجماع على أنه أول من وضع التصريف، وممن نقل اجماع العلماء عليه ابن مالك أبو عبد الله محمد . . جمال الدين الطائى المتوفى سنة ٦٧٣هـ. وتبع ابن مالك فى ذلك السيوطيُّ جلال الدين المتوفى سنة ٩١١هـ ونقل نصين فى هذا الشأن الأول: فى الاقتراح ص٨٥ قال فيه: «واتفقوا على أن معاذاً الهراء أول من وضع التصريف» والثانى: فى البغية ٢/ ٢٩٠ـ٢٩١ حيث ذكره ضمن ترجمته لمعاذ فقال: «وُلِدَ أيام عبد الملك بن مروان وكان أبو مسلم مؤدِّب

...ـو والصرف

عبد الملك بن مروان قد نظر فى النحو، فلما أحدث الناس التصريف أنكره، فقال:

قد كان أخذهُم فى النحو يعجبنى
حتّى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لستُ أفهمُهُ
كأنه زجلُ الغربان والبوم
تركت نحوهُمُ والله يعصمنى
من التقحّم فى تلك الجراثيم

■ فأجاب معاذ هذا:

عالجتها أمرد حتى إذا
شبت ولم تحسن أبا جادها
سميت من يعرفُها جاهلًا
يُصدرها من بعد إيرادها
سهّل منها كلَّ مستصعب
طودٌ علا أقرانُ أطوادها

■ وكان أبو مسلم قد جلس إلى معاذ فسمعه يقول لرجل: كيف تقول من «تؤزهم أزًا»: يا فاعلُ أفعلْ؟ فقال له الأبيات السابقة. ذكر ذلك كله الزبيدى (انظر طبقات النحويين واللغويين ١٣٦، ١٣٧) قلت: ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا، وقد أورد هذه القصة مع الأبيات كثيرون غير ابن مالك وابن فارس والسيوطى منهم الزبيدى فى كتابه **«طبقات النحويين»**.. وابن النجار فى **«تاريخ بغداد»**.. وابن خلكان فى **«وفيات الأعيان»** والدميرى فى **«حياة الحيوان»** وغيرهم كثير. كل هؤلاء ينسبون وضع علم الصرف للهرّاء إلا أن المتتبع للروايات الأخرى المخالفة لهذه الرؤية يجد بذورا لعلم التصريف سابقة لمحاولات معاذ الهراء وتلك البدايات الأولى تواكب نشأة النحو على يد أبى الأسود الدؤلى، حين وضع له الامام علي باباً من أبواب الصرف وهو «باب الامالة» إضافة الى ذلك فإن أبا الأسود الدؤلى نفسه عالج إبدال الحروف ومخارجها، والابدال موضوع من الموضوعات الصرفية بل هناك من ألف كتاباً فى الهمز وأملاه على تلامذته وهو ابن ابى إسحاق المتوفى سنة ١١٧هـ، وهذا يعنى أن هناك بذورا لنشأة النحو سابقة لما أسهم فيه معاذ من اسهامات فى مرحلة التأسيس ومرحلة التطور لعلم الصرف، ولم يكن هو الأول فى عملية الوضع.

إضافة الى ذلك فإن كثيرا ممن ترجموا لمعاذ ذكروا أنه كان تلميذا لأبى الأسود الدؤلى والاجماع قائم على أن أبا الأسود أول من وضع علم النحو بعد أن ألقى إليه الامام علي الصحيفة المشهورة فلم لم يكن معاذ قد أخذ الصرف عن أبى الأسود الدؤلى وطوّره؟ ومما يؤيد هذا الفرض رواية ينقلها الزبيدى وابن النديم والقفطى عن ابن أبى سعد الوراق قال: حدثنا على بن محمد الهاشمى قال: سمعت أبى قال: كان بدء ما وضع أبو الأسود الدؤلى النحو، أنه مر به سعد - وكان رجلا فارسيا قدم البصرة مع أهله وكان يقود فرسه - فقال: مالك يا سعد ألا تركب. فقال: فرسى ضالع. فضحك به من حضره. قال أبو الأسود: هؤلاء الموالى قد رغبوا فى الاسلام ودخلوا فيه وصاروا لنا إخوة. فلو علمناهم الكلام. فوضع باب الفاعل والمفعول وهذه الرواية وروايات أخرى كلها تؤيد أن واضع النحو هو أبو الأسود ولعل كل أحداث تلك الروايات قد حدثت فعلا، ومجموعها دفع أبا الأسود أن يهرع إلى الامام علي ليضع له

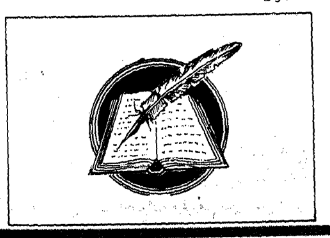
البداية الأولى فى النحو إلا أن الذى يلفت نظرنا فى قصة الرجل الفارسى وقوله «ضالع» بدل «ظالع» أن هذا التغيير الذى أضحك أناساً وحرك الغيرة والحمية على الاسلام واللغة العربية لدى آخرين أقول هذا التغيير إنما هو من مسائل التصريف لأنه يبحث فى التغيرات الطارئة على آخر الكلمة.

■ وهناك رواية أخرى يوردها أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين قال: أخبرنا محمد بن يحيى قال: أخبرنا محمد بن يزيد عن الجرمى عن سيبويه عن الخليل قال: لم يزل أبو الأسود ضنينا بها أخذه عن علي كرم الله وجهه حتى قال زياد: قد فسدت ألسنة الناس وذلك أنهما سمعا رجلا يقول: سقطت عصاتى فدافعه أبو الأسود. فإذا أضفنا هذه الرواية الى سابقتها فإنها تؤيد أن أبا الأسود الدؤلى هو الواضع الأول لعلم الصرف بتعليم الامام علي لأن كلمة «عصاتي» بدل «عصاي» مسألة من مسائل الصرف، قال ابن منظور فى اللسان: **«قال الفراء: أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي بالتاء»**. ولا شك أن مسائل النحو والصرف كانت فى نشأتها الأولى تُبحث سوية غير منفصلة عن بعضها.

■ وكانت أبواب النحو مختلطة مع أبواب الصرف وكأنها علم واحد ولم يستقل الصرف عن النحو إلا فى مرحلة متأخرة بعد أن قطع النحو شوطاً طويلا فى سلم التطور ولربما كان معاذ قد أسهم فى بداية مرحلة استقلال الصرف عن النحو لا أنه هو الواضع لعلم الصرف كما يذهب كثير من العلماء علما أن مرحلة استقلال الصرف عن النحو تمت بشكل واضح فى القرن الثالث الهجرى والى ما قبل ذلك كانت مسائل الصرف تدون ضمن مسائل النحو وأبوابه رغم التمييز بين العلمين وتنقل الروايات الصرفية على أنها روايات فى علم النحو من ذلك ما أورده السيوطى فى البغية قال: «سئل أبو حاتم السجستانى فى بغداد عن قوله تعالى: «قوا أنفسكم»: ما يقال منه للواحد؟

فقال: ق. فقال: فالاثنين؟. فقال: قيا. قال: فالجمع؟. قال: قوا قال: فاجمع لى الثلاثة. قال: ق، قيا، قوا. قال: وفى ناحية المسجد رجل جالس معه قماش، فقال لواحد: احتفظ بثيابى حتى أجيء. ومضى الى صاحب الشرطة وقال: إنى ظفرت بقوم زنادقة، يقرؤون القرآن على صياح الديك فما شعرنا حتى هجم علينا الأعوان والشرطة فأخذونا وأحضرونا مجلس الشرطة. فسألنا فتقدمت إليه وأعلمته بالخبر، وقد اجتمع خلْق من خلق الله ينظرون ما يكون. فعنفنى وعذلنى وقال: مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا وعمد الى أصحابى فضربهم عشرة عشرة، وقال: لا تعودوا الى مثل هذا. فعاد أبو حاتم الى البصرة سريعا ولم يقم ببغداد ولم يأخذ عنه أهلها وترك النحو بعد اعتنائه به حتى كأنه نسيه.

■ ولا شك أن إسناد الأفعال الى الضمائر إنما هو باب من أبواب الصرف ومع ذلك يوردون هذه الرواية وغيرها كثير فى مسائل النحو مما يدل على أن الفصل بين العلمين لم يكن قد تم قبل القرن الثالث الهجرى.

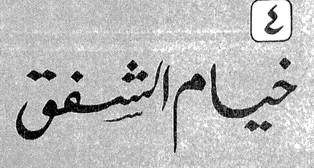


كان القلب يقول ..

مناجاة يراع خفاق .. يستطيب التجربة وينفعل بالوجد .. يرتحل فى أعماق الذات الانسانية فيحصد المعنى المُعنَّى . ويتواصل مع نمير الكلم العذب فيطوع شارده ويعصف بركيكه وصولاً لغرض انفاسه فى طواعية واقتدار عبورا للمتلقى والمبدع على حد سواء .



عزيز ضياء



تعالي . . .
تعالي . . . نهرب من مناقير الطيور . . .
لنتحول سريعا . . . الى ندى يرتاح على بتلّات وردة
وكالندى . . . عندما تشرق الشمس . . .
نبدأ رحلتنا على أشعتها الدافئة .
لست أدرى . . . أين سنلقى عصا التسيار
ولكننا . . . سنعود قبيل الفجر . . .
على زورق فضى . . . محمل بعطور الليل
نعود . . . لنرتاح على بتِلّات . . وردة .
. . وربما زنبقة يعجبها ان تستقبل الصباح .
تعالي . . .
تعالي . . . فالضباب ، على الذروة ، يستعجلنا لنذهب
اتدرين إلى أين؟؟
همس فى أذنى . . إنه يريد أن يمتعنا برحلة إلى خيام الشفق .
خيام . . رأيتها . . . ربما أقامها الخريف ، لحفلة وداع . . .
ربما ضيوف الحفلة . . . تلك الرياح . . التى تهب من الشمال
ربما . . . بعض اشجار السيسبان . . .
تعالي . . . فليس أجمل من أن نرى تلك الخيام
خيام الشفق . . . فى وداع الخريف .

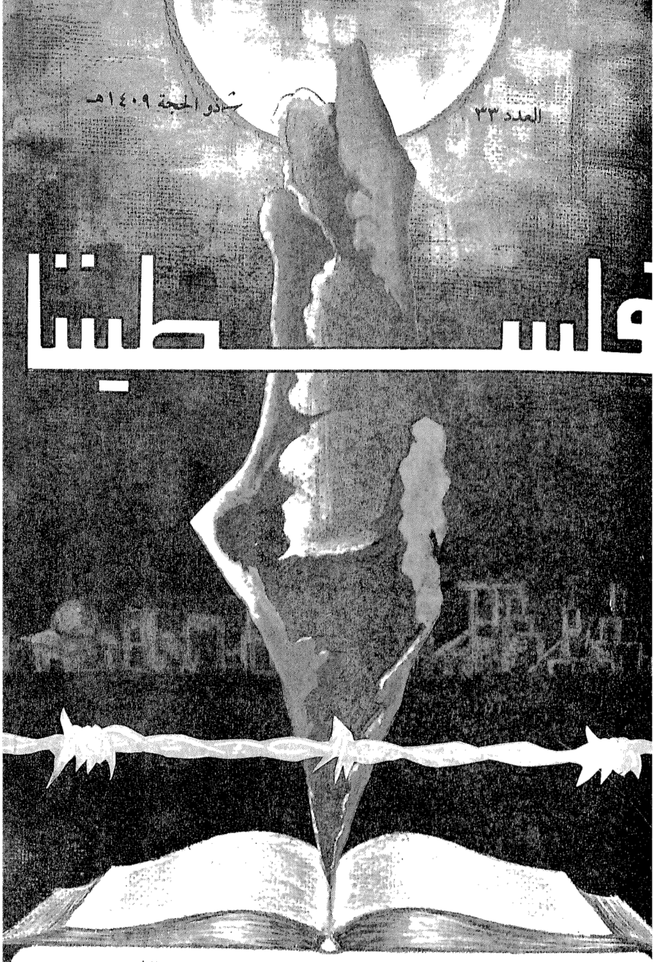
ما بقى من ضوء الوجدان

مواكب الذكريات البعيدة . . . تتراءى هناك . .
وراء مراحل الزمن العتيد
ذكريات ليال . . . عشناها . . أفراحا . . . وعناء . . وشقاء



أفراح الصبا والشباب . حتى بتلك الرحلات على الإبل الى جوف الصحراء
وعناء . . .
عناء الركض اللاهث، وراء الآمال الكبيرة .
وشـــقاء . .
شقاء التعثر . . . والخيبة . . . والفشل . . ثم استئناف المسيرة من اول الطريق .

واحسرتاه لها . . . تلك الأيام
كيف استدار الفلك . . . وكيف طُوى الزمن والتف على الذهب والجواهر من الأمانى والآمال
واحسرتاه لها . . . تلك الليالى
ليال طويلة . . . قضيناها فى انتظار تباشير فجر مُرْتَقب
كانت سعيدة . . . تلك الليالى . . . لأن الجوانح عامرة بالرجاء
كانت حلوة . . . لأن الثمار تتلامح وفى القلب توثب . . . وفى الدماء حرارة الشباب .
ولقد اثمر الجهد . . . وحبات العرق لم تذهب هباء
والسعى المتواصل . . . انتهى الى الغاية . .
وفتحت الحياة ابوابها . . .
وعشناها . . . اياماً لنا . . . واياماً علينا . . .
ثم . . . ها هي الشمس . . . تنحدر الى المنزلق هناك . . . وراء الأفق . . .
والليل . . . يزحف . . . داجى الظلمة . . . ليس فى سمائه نجوم .
لان ما بقى من ضوء الوجدان . . . يختبىء . . . فى الأغوار
كأنه يكتفى بما مضى . . . ويحرص على ما بقى .
وليس ما بقى . . . سوى وضع الرأس على الأرض . . .
وفى الأرض ومنها . . وإليها كل المصير . . .



عبد السلام هاشم حافظ
د. محمد صالح الشنطي
محمد سليم رشدان

● العيد يا أشبال
● الانتفاضة المباركة انعطافة ثقافية وحضارية
● أبناؤنا ماذا يعترض طريقهم الى الجامعة

لنكن صرحاء

الانتفاضة المصطلح الجديد

فى كل العقل الغربى، فى كل البيت الغربى، فى كل النبض الغربى، غرسوا (الكره ـ البغض ـ الحقد) على كل عربى، على كل فلسطينى.. هذا ما فعله اليهود فعلاً.. شوهوا صورة العربى وصورة الفلسطينى بل وصورة كل مسلم فى ذاكرة الأجيال الاوروبية والغربية.. كل الاجيال: الماضية والحاضرة.. بل حتى الآتية..

حقد أسود دفين، وبغض أحمق لعين..

سخروا الإعلام لنصرتهم ولتشويه الصورة الجميلة للعربى المسلم.. بل جعلوا اسم العربى مرادفاً لكل مساوىء البشر.. فالعربى فى (إعلامهم) جاهل ـ غبى ـ إرهابى ـ بدوى غير متحضر.. الخ.

والفلسطينى فى عرفهم.. قاتل ـ مصاص دماء ـ مدمر ـ مهووس.. الخ.. وبكل أسف استطاع اعلامهم أن يرسخ هذه الصورة القبيحة فى عقل الرجل الغربى.. وهذا مما يخدم قضيتهم ويعطيهم جواز المرور لقتل وتدمير ونسف هذا الفلسطينى «وهذا العربى» وبكل تبجح اصبحت اسرائيل تسمى ما تقوم به من ارهاب وقتل وتشريد للفلسطينيين «دفاعاً عن النفس والحق».

لم يكتف اليهود بهذا، بل أصبحوا يدبرون مؤامرات الاغتيال، ونسف الطائرات واختطاف الأفراد وإلصاقها جميعها فى الشعب الفلسطينى.. ومن خلال هذا العمل الأحمق تكون قد شوهت صورة الفلسطينى وكسبت هى عاطفة الزمرة اليهودية الصهيونية والجمهور الغربى تأييداً ودعماً لها، ومن هنا تأتى اهمية الجانب الاعلامى الذى لم نستطع نحن العرب استغلاله بالصورة المناسبة لخدمة قضيتنا العادلة وحقنا المغتصب.

وتأتى الانتفاضة المباركة لتفتح أعين الغرب والاعلام الغربى على حقائق عُمِّيَتْ عليهم ردحاً من الزمن.

استطاعت الانتفاضة الباسلة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ان تقول للعالم أجمع: نحن طلاب حق، ولسنا طلاب حرب وقتال.. نحن اهل الارض ولسنا دخلاء فيها..

واستطاعت الانتفاضة المباركة ان تلفت نظر العالم اجمع إلى بشاعة ما يقوم به الاسرائيلى من قتل وتشريد وتدمير للشعب الفلسطينى.. وما يرتكبه اليهود ضد الفلسطينيين من جرائم يندى لها جبين الانسانية.. واستطاعت هذه الانتفاضة ان تحفر كلمة (الانتفاضة) فى كل المعاجم الأوروبية.. مصطلحاً جديداً يعنى: نحن طلاب حق.. وأهل حق.

فلسطيننا

عبد السلام هاشم حافظ

فى كلِّ بيتٍ جراحاتٌ ومُنْتَحَبُ
فأىّ عيدٍ من الأشبالِ يقترب؟
القدس إرتعدتْ يا عيدُ .. يا أملا
على فلسطين .. عدتَ اليوم ترتعب
عُرْسُ الدماءِ لهذى الأرض بالشُّهدا
فى السِّجْنِ أو فى الخيام السودِ تلْتهب
العيدُ قذْف الحجارِ الصُّلدِ من وجعٍ
فى وجهِ صُهْيون .. والثُّوارُ ترتقب
تُحرِّر الوطنَ المصلوب فى الظُّلم

* * *

عيدُ الحجارةِ لا بُؤسٌ ولا نَدم
يومٌ تدجَّى بإسرائيل يَحْتدم
فيه ارْتَدَى الطفلُ زيًّا من حجارتهِ
مقلاعه وزجاجاتُ الردى نِقَم
والشبلُ يقفو الفدائى الذى لمعتْ
بكتفه بارقاتُ القذْفِ والحمم
ألحانُهم من صليل السّيف إرتعشتْ
على شفاهِ الصَّبايا والصَّدَى نَغَم
نشيدُ ثورتِهِ الحمراءِ للأمَمِ

* * *

ما العيدُ يا قومُ والجلَّادُ فى صلفٍ
لا ينتهى جُرْمُهُ فى شعبِنَا الباسل
شعبُ الفداءِ وكمْ ضَحَّى على أملٍ
الروح فى كفِّه فهو القتلُ والقاتل
وعيدُه طلعة الأحرار إنبثقت
بالنار والنور وهى السحق للباطل
فَحَيْهَلا ملتقى الاسراءِ ترقُبُه
فى العيدِ والحجرِ النامى هو الفاعل
ليرجم القهرَ والاذلالَ بالحمم

* * *

لاعيد يا منطقَ الأجيالِ بالرّحم
إلا اذا عادت الأشبالُ بالشَّمَم
ضموا الى الوطن المسلوب وانقبرتْ
أشباحُ للغادر المأفونِ فى السدم
لا عيد إلا بتحريرٍ لقُدْسِنا
إلا بتمزيقِ إسرائيلَ بالرّجم
العيدُ لابدّ أن يأتى بموعده
بالطفل عادتْ له الراياتُ بالهمم
والعيدُ يفتحُ للإنسانِ بسمته
والفجرُ يرقصُ نشواناً من النَّغم
بإخوةِ الدينِ والأشبالِ والشِّيَم

الانتفاضة ثقافة وحضارة

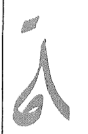
د. محمد صالح الشنطى — المغرب



■ إن للثقافة تعريفات متباينة : عامة وخاصة ، وصفية ومعيارية ، تاريخية وسيكولوجية ، جزئية وشمولية . . وعلينا أن ننتقى من هذه التعريفات ما يتناسب مع مفهوم الثقافة التى يمكن أن ننسبها إلى الانتفاضة ، واعتقد أن التعريف الأقرب لهذا المفهوم هو ذلك الذى ينبثق من منطلق انثروبولوجى فهو يصف الثقافة بأنها مجمل التراث الاجتماعى وأسلوب حياة المجتمع ، والثقافة ـ تبعا لذلك ـ دائمة التغير بما تضيفه إليها الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم وأنماط سلوكية بما تستبعده وتحذفه من بعض الأساليب والأفكار والأدوات القديمة التى لم تعد تتفق مع ظروف حياتها وأوضاعها الجديدة .

■ وهذا المفهوم مرن عام يستوعب دائرة متسعة من حياة الشعوب . . أما المفهوم الخاص فيعنى بالجوانب الفكرية والأدبية . وإذا احتكمنا الى المدلول العام الذى أشرنا إليه فإنه من الممكن أن نقول بكل ثقة ان الانتفاضة قد أثمرت «ثقافتها» الخاصة ، أو انها فى سبيل تشكيل جديد لمسار المجتمع الثقافى على المستوى الفلسطينى المحلى أولا ، ثم على المستوى العربى ثانيا ، وإن كان ذلك يتم بدرجة أقل تسارعاً وأكثر تبايناً من الناحية النوعية .

■ لقد استحدثت الانتفاضة أنماطاً من السلوك الاجتماعى ، وفجرت طاقات كامنة كانت غائبة تحت ركام الاحباطات المتوالية ، والممارسات الصهيونية المدروسة بعناية من جانب سلطات الاحتلال بهدف تدمير الشخصية الوطنية والعبث بالقيم الجوهرية العقدية والخلقية للمجتمع ، فالانتفاضة أوقفت استفحال الآثار المخربة للمنهج الاستهلاكى الذى شجعه المحتلون وغذته ظروف الطفرة الاقتصادية الهائلة فى المحيط العربى المجاور، اختفت الحفلات والولائم الباذخة فى الأفراح، وفشلت حملات التحذير المنظمة التى شنتها عصابات (الشين بيت) فى الداخل، وانهارت تلك الشريحة الهزيلة ذات التكوين الهش ممن عملوا كوسطاء بين سلطة الاحتلال وجماهير الشعب، يهدهدون ضمائرهم بدعوى خدمة مصالح أبناء قومهم وفقاً للعبارة الشائعة «بارك الله فيمن أفاد واستفاد» وهى كلمة حق أريد بها باطل، لقد



● [illegible] الانتفاضة طاقات كامنة كانت غائبة تحت ركام الاحباطات المتوالية.
● من أهم المكاسب التى أحرزتها الانتفاضة الدقة والمرونة فى الحركة والتعبئة والتوجيه والاتصال.
● على المستوى الاعلامى استفادت الانتفاضة من تجارب الماضى.

تهاوت حصون المنتفعين فبارت تجارتهم بعد الانتفاضة، ولم يعودوا قادرين على تسويقها وسط هذا الاحتدام الشعبى الهائل.

■ وكان إحياء دور المساجد فى قيادة الجهاد الوطنى وتحولها الى مركز اعلامى مؤثر من أبرز المنجزات فى هذا الميدان، فقد أصبحت المنائر والمنابر مراكز إعلامية مؤثرة، وقنوات بث متصلة تذيع البلاغات وتحرض الجماهير على القتال، فأنعشت النفوس وبعثت فيها روح التضحية. ولم تتخلف الطوائف المسيحية عن أداء دورها فى تصعيد الانتفاضة فازدادت اللحمة بين المسلمين والمسيحيين، ذلك أن المسيحيين فى فلسطين يعتبرون الاسلام إطارهم الثقافى، والشواهد على ذلك كثيرة فقد استعان بهم صلاح الدين وأوكل الى بعضهم مهام قيادية حساسة كالاشراف على الامداد والتموين، كما أن القائد المجاهد عبد القادر الحسينى أوكل الى أحد المناضلين منهم مهمة نسف مقر الوكالة اليهودية عام ١٩٤٨، وقد نجح فى ذلك نجاحاً باهراً، وقد أكدت الانتفاضة هذا التلاحم التاريخى الذى أشاد به المرشد العام للاخوان المسلمين فى مصر الشيخ محمد حامد أبو النصر فى كلمة منشورة على صفحات مجلة **«لواء الاسلام»** كما سبق أن أشار الى ذلك وأشاد به المجاهد المعروف كامل الشريف فى كتابه **«الاخوان المسلمون وحرب فلسطين»**.

■ وقد شاعت قيم التضامن والتكافل بشكل ملموس بين مختلف فئات المواطنين وخصوصاً بين أولئك الذين يرزحون تحت أعباء الاحتلال منذ عام ١٩٤٨م من عرب فلسطين وإخوانهم الذين انضموا إليهم فى محنتهم عام ١٩٦٧

■ وقد شاعت روح الالتزام والانضباط بين الناس، فعلى الرغم من استقالة معظم رجال الشرطة فإنه لم يسجل أى حادث إجرامى طيلة الفترة الماضية وساد التنظيم والوعى الكوادر المكلفة بمهام حفظ الأمن من أعضاء اللجان الشعبية التى أدارت مجمل الأمور الحياتية اليومية بكفاءة عالية، وحس أخلاقى دينى ووطنى متميز نابع من إحياء القيم الاسلامية والعربية فى النفوس.

■■ ولعل من أهم المكاسب التى أحرزتها الانتفاضة الدقة والمرونة فى الحركة والتعبئة والتوجيه والاتصال، فعلى الرغم من اعتقال ما يقرب من ثلاثين ألف شاب من طلائع هذه الحركة الشعبية فإن قيادة الانتفاضة بعناصرها المتعددة مازالت تمسك بأزمة الأمور بوعى وإدراك وتسلسل تنظيمى منضبط، واستطاع شباب الانتفاضة ابتكار أجهزة اتصال متطورة تربط بين القيادات المحلية فى الداخل وبين غرف العمليات المختلفة والقيادة فى خارج الأرض المحتلة ولم يقتصر دور اللجان الشعبية على المهام الميدانية التى أنيطت بها بل عكفت على مد الحركة اليومية بآلية متحركة وديناميكية فاعلة فى مختلف المجالات الطبية والتعليمية والاقتصادية بشكل أذهل العدو وأربكه، وهذه اللجان موزعة توزيعاً دقيقاً على مختلف المجالات.. فهناك ما يقرب من ستمائة لجنة شعبية فى الأرض المحتلة لها اجهزتها التنفيذية والادارية، الأمر الذى مكن الانتفاضة من التواصل مع محيطها الاجتماعى.

■ إن العقلية التنظيمية المذهلة التى برزت فى هذه المرحلة تعتبر من أهم المنجزات التى بدأت تمهد لاقامة قاعدة حضارية متميزة متواصلة مع تراثها الضارب بجذوره فى تاريخ المنطقة ككل.

المساحة الفلسطينية.

■ ولم تغفل الانتفاضة عن الجانب التربوى التأسيسى حيث تم بناء مركز يقوم بمهمة أساسية هى تطوير رياض الاطفال وتحديثها، من حيث إعداد المعلمات وتجهيز مدارس الأطفال بالوسائل التربوية المعينة ومتابعتها، وتزويدها بالأساليب الحديثة. وقد كان من أهم التحديات التى واجهت المراكز التربوية لجوء العدو الى إغلاق المدارس والجامعات، وتعطيل الدراسة فيها، ولكنها قبلت التحدى وعمدت الى إعداد المدارس البديلة فى البيوت والبساتين والجمعيات، وحين شعر العدو بذلك بدأ يطارد هذه المنشآت الشعبية ويتتبعها بالقمع، ولكنه لم يفلح فرضخ للأمر الواقع واستسلم له.

■ أما على المستوى الاعلامى فقد استفادت الانتفاضة من تجارب الماضى فاستحدثت أساليب جديدة، والتفتت إلى أهمية الاعلام المضاد، فلم تقتصر على التعبئة والتوجيه بين صفوف المواطنين بل لجأت الى اقتحام صفوف الأعداء فأعدت المنشورات باللغة العبرية وثبتتها فى مراكز جنود الاحتلال مستخدمة أحدث التقنيات فى الحرب النفسية فضربت على الوتر الحساس بأسلوب علمى راق بهدف تدمير معنويات الجيش، وتشكيكه فى الثوابت التى رسخها الفكر الصهيونى على مدى عقود طويلة. وتخلصت أدبيات الاعلام الفلسطينى الداخلى من النزوع الخطابى، ومن التنظيرات الساذجة للحقبة الماضية.

■ إن ثمة تغيراً عميقاً ونافذاً طرأ على النهج الثقافى بمفهومه الواسع، وولد التراكم المتواصل للخبرة أسلوباً جديداً للحياة، ونمطاً مغايراً فى التفكير، وأصبحت الدراسات العلمية قاعدة للقرار ولم تعد ممالأة الجمهور والهبوط الى مستوى التفكير العفوى عنده واردة فى مسلكيات القادة والمخططين الذين عملوا على إنضاج الذهنية الشعبية، وتلقيحها بما يرقى بها الى مستوى التحول الخطير للمرحلة. وقد اخترقت القيادة الشابة التى أفرزتها الانتفاضة حاجز الحصار الاعلامى بأساليب متقدمة ومتطورة فأنشأت مركزاً إعلامياً لحقوق الانسان



■ ولم تكن هذه التحولات لتظهر دون أن يكون هناك إعداد استمر لسنوات طويلة وسأضرب لذلك مثلا يتعلق بالجانب الفكرى المحض وهو تأسيس جمعية الدراسة العربية الفلسطينية التى انشئت عام ١٩٨٠م وبدأت بإقامة بنية تحتية لمركز للابحاث والتوثيق، وقد تم بالفعل تأسيس مركز للتوثيق والمكتبة، وفيه مكتبة وقسم ارشيف للمعلومات الصحفية المحلية. ونظراً لأهمية هذا المركز فقد عمدت سلطات الاحتلال الى اغلاقه واعتقال رئيس الجمعية لمدة سنة كاملة، وقد قامت الجمعية بتأسيس مركز الاحصاء الذى يجمع معلومات احصائية عن فلسطين والشعب الفلسطينى ويصدرها فى نشرات سنوية لتوضع فى خدمة الدارسين والباحثين، ومن طموحات الجمعية إقامة مركز الخرائط والمعلومات الجغرافية الذى بدأ العمل على تأسيسه بالفعل، ومن أهم المنجزات التى حققتها الجمعية إصدار خريطة دولية لفلسطين بالعربية والانجليزية وانتاج أطلس تاريخى عدا مجموعة خرائط أخرى لاستخدامات مختلفة، ويتم الآن إنشاء دائرة



يقوم بجمع المعلومات عن انتهاك حقوق الانسان فى المناطق المحتلة وتنظيم تلك المعلومات بصورة علمية دقيقة تستعين فيها بأجهزة الكومبيوتر، ويرسل هذا المركز تقارير دورية الى المراكز العالمية المعنية بقضايا حقوق الانسان فى العالم.

وحين عمل العدو على تدمير المنشآت الصحية والاقتصادية فى فلسطين المحتلة بادرت الكوادر الوطنية الى إقامة مؤسساتها الخاصة التى تتكىء على مقومات ذاتية محضة، فقد تم الاستغناء عن جميع السلع التى تحتكرها سلطات الاحتلال وخصوصاً الكمالية منها، بل عمدت القيادات الشعبية الى مصادرة ما هرب منها وتمكنت الصناعات الوطنية من زيادة طاقاتها الانتاجية، وركزت على الاستراتيجى منها كالصناعات الغذائية والأدوية. وفى مجال الزراعة نشطت الفرق التابعة لقيادة الانتفاضة بكافة أطرافها الى الارشاد والدعم التقنى والمادى بما يوازى فعل الحكومات بإمكاناتها المحدودة. وقامت المؤسسات الصحية الموازية بدورها الوطنى والانسانى أيضاً.

■ أما على مستوى العمل الوطنى فقد عكفت الانتفاضة على إفراز تقاليد جديدة تحكم العلاقة بين الأطراف المتعددة التى تنهض بأعباء الجهاد على الرغم من الدسائس ومحاولات شق الصفوف. وقد عملت القيادات الداخلية على استحداث نظام لا مركزى فى التوجيه وإصدار التعليمات بحيث تقوم لجان قيادية بديلة بمهام القيادات التى تسقط أو تهجر أو تعتقل «إذا مات منها سيد قام سيد» كما حافظت على روابطها المتينة مع القيادة الأم خارج الأرض المحتلة متعالية على كل محاولات التنكر الاعلامى الذى عمد الى تحريض هذه القيادات لتكون بديلة للجيل المؤسس من قيادات الخارج، وقد كان التنسيق السياسى والحركى فى مستوى متميز.

■■ وهكذا فقد أفرزت الانتفاضة المجاهدة تقاليدها الثقافية والحضارية وتحولت بالمجتمع الى مشارف مرحلة جديدة من شأنها أن تقود البلاد الى الاستقلال من رجس الصهيونية إن شاء الله.

ماذا يعترض طريقهم

بقلم : محمد سليم رشدان
الأردن

هذه القافلة الكبيرة .. التي تمضي قدما [illegible]



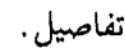
واجب لابد منه

ابناؤنا الذين يقول فيهم الشاعر:

وانــما ابـنــاؤنــا بـيـنــنــا
اكـبــادنــا تمشــى على الأرض
لو هبـت الـريـح على بعـضـهـم
لامـتـنـعـت عينى عن الـغـمض

■ هؤلاء الابناء، لهم علينا واجب لابد منه، ونحن نمضى بهم لاتمــام دراستهم الجـامعية. وان هذا الواجب، يحتم علينا ان نجنبهم المسالك العسيرة، لكى نجعل منهم جيلا صالحا يعرف طريقه بوضوح وهو ينطلق الى الاسهام فى بناء حاضر زاهر لأمتنا، والسير بها قدما لتمضى دونها ابطاء فى معارج التقدم والعمران.

وان المهاد الذى يرتكز عليه ذلك كله، انما يكون فى تذليــل الطــريق بين يديـه، وهـو يمضى الى الجامعة، وقد تشعبت امامه آفاق السبل، واختلفت المسالك، وما أشد حاجته عندها الى ان يعرف وجوه هذا الاختلاف، والى ان يحيط علماً بادق ما فيه من تفاصيل.



فهناك جامعات عربية لا تقبل ـ احيانا ـ فى كلياتها المختارة، الا من كان معدله فوق الثمانين فى الفرع العلمى، ومثل هؤلاء الطلاب هم النخبة المختارة من ابنائنا.

وحـين يلتحقـون بالسنـة التحضـيرية فى هذه الجـامعـات، يقـابلهم فيهـا نظـام صارم، اسمه: (تضامن المواد) يحتم عليهم ان ينجحوا فى منهاج ثقافى معـين، فاذا نقصت احـدهم علامـة واحدة فى اى مبحث درسوه تحتم عليهم ان يعيدوا السنة كاملة دون ان يسمح لهم بحمل ذلك المبحث الى سنة أخرى.

■ وكثيرا ما يتكرر ذلك لهؤلاء الطلاب، فيخرجون بعدها من هذه الجامعة بمثل ما دخلوها، ليبحثوا ـ من جديد ـ عن جامعة عربية ثانية تمردت على هذا النظام، الذى كانت تدعو الحاجة اليه، حين كانت مرحلة الـدراسـة الثانوية اربع سنوات فقط، وهى اليوم ست سنوات كما نعلم.

من وحي الأحداث

م إلى الجامعة

ويخرج الطالب من ابنائنا من هذه المعركة الخاسرة محطم النفس حائر القوى، وقد غرم ولى امره ـ خلال ذلك كله ـ غرماً كبيراً، تبدد من غير جدوى، وكان سببه مثل هذا النظام، الذى ما تزال تتبناه بعض جامعاتنا الغربية، وان فيه من القسوة ما فيه، على هذه النخبة المختارة من ابنائنا، وحسبهم انهم حصلوا فى دراستهم الثانوية على معدل تجاوز الثمانين، او بلغها على أقل تقدير وهو معدل ليس بالقليل ابدا وبخاصة فى الفرع العلمى.

وهناك جامعات عربية اخرى مازالت تعتمد لغة المستعمر (الذى كان يسيطر عليها يوما) فى الكثير من كلياتها المختارة، وهى تمنح ابناءنا بعثات للدراسة فى هذه الكليات، وبخاصة: الطب، والهندسة، والصيدلة، وما اليها، ويذهب فى هذه البعثات اصحاب المعدلات العالية بالطبع، وهناك يفاجأ الطالب منهم، بأن يجد نفسه واحداً من مئات الطلبة، الذين يدرسون جميعهم فى السنة التحضيرية لهذه الكليات جميعاً، وكلهم بدأ دراسته باللغة المعتمدة منذ نعومة اظفاره.

ويتقدم هذا الحشد الزاخر فى نهاية العام، ليتنافس افراده جميعاً ـ وهم يعدون بالمئات كما ذكرت ـ على مقاعد معدودة، لا تزيد على الخمسين او الستين مقعداً للكلية الواحدة من تلك الكليات، وهى: الطب والهندسة والصيدلة كما ذكرت.

فما اصعبه من سباق، وما أقساه من امتحان وما احرجه من موقف، نعرّض له ابناءنا الذين لم يدرسوا لغة تلك الكلية ان كانت الانجليزية الا فى سنوات معدودات ولم يبلغوا فيها المستوى الذى يمكنهم من استيعاب مادة الدراسة فى هذه السنة التحضيرية وهى مادة كل ما فيها جديد عليهم.

ويعود ابناؤنا من هناك. بالخسارة المادية والخسارة المعنوية ولعل خسارتهم المعنوية فى هذا المجال تكون أمرّ وأدهى واشد وقعاً فى نفوسهم هم، وفى نفوس ذويهم كذلك.

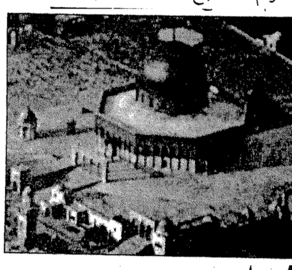
■ واما اذا كانت لغة الجامعة هى الفرنسية فانها تشترط على ابنائنا ان ينجحوا فى فحص القبول، وهيهات ان يتيسر لهم ذلك، وان يبلغوا فيه مستوى أولئك الذين ينافسونهم من ابناء البلاد، وقد يمضى الواحد منهم السنة والسنتين، دون ان يتمكن من بلوغ هذه الغاية، او يدرك الهدف الذى جاء من اجله، وهو الانتظام فى السنة الأولى من تلك الجامعة.

ولعل أبرز الأسباب فى ذلك

ان هذا الطالب، لا يستعمل هذه اللغة الجديدة عليه فى حياته اليومية مع من يخالطهم من الناس هناك، وجميعهم عرب مثله.

■ وآية ذلك:

ان امثال هذا الطالب يبلغون مثل هذا الهدف، حين ينتقلون الى بلد أوروبى يتكلم اهله الفرنسية فيعيشون حياتهم اليومية فى تلك اللغة ويخاطبون بها الناس من حولهم هناك صباح مساء.



لهم اعذارهم

ولست فى موقف التفنيد او الاعتراض وانا اعدد تلك المصاعب التى يتعرض لها ابناؤنا فى تلك الجامعات، ونحن نطوح بهم خارج بلدهم لاستكمال دراستهم الجامعية. فربما كانت للقوم اعذارهم فى الابقاء على هذه النظم، التى هى من مخلفات عهود الاستعمار، حين كان يفيد التعليم العالى، حتى ليحد من سعة انتشاره، لكيلا يكبر معه الوعى، وهو احدى المشاكل التى كانت تعترضه فى كل مستعمرة.

■ وان الدليل على هذا:

هو عدم وجود مثل هذه الصعوبات فى الجامعات البريطانية التى تسير على نسقها جامعة الخرطوم مثلا.

وهو كذلك: عدم وجود مثل هذه الصعوبات فى الجامعات الفرنسية التى تسير على نسقها جامعة الجزائر، وغيرها من جامعات المغرب العربى.

■ وان الدليل على هذا كذلك:

انه كان فى فلسطين معهد عال واحد هو «الكلية العربية» فى القدس، وكان لا يذهب الى هذا المعهد، الا عدد ضئيل من ابناء البلاد، وكانوا يختارون بشروط صعبة لا يتسع معها المجال للكثيرين، وكان بوسع المستعمر آنذاك، ان ينشىء الكثير من مثل هذا المعهد، ولديه الأموال الطائلة التى كان يحصل عليها من الوطن العربى.

ولكنه لم يفعل، حتى يحد من انتشار الوعى وذلك ما كان يستهدفه فى كل قطر من الأقطار المستعمرة لأن مثل هذا الوعى كان من ابرز المشاكل التى تعترضه كما قلت.

لغتهم فقط

ان الجامعات فى مختلف اقطار الأرض فى المشرق وفى المغرب تذلل كافة المصاعب، التى تعترض الدارسين من ابناء المواطنين هناك ولا ترضى ابدا ان يتعلم ابناؤها فى تلك الجامعات بغير لغتهم، وان ابناءنا الذين تغربوا فى طلب العلم، وجدوا الدليل على ذلك فى كل قطر توجهوا اليه.

■ وما دمنا نستقبل فى كل قطر عربى، عهداً جديداً من التقدم والازدهار فإنى لا ادرى ما الذى يمنعنا من ان نفعل ذلك، ما دمنا نجد مثله فى الكثير من الاقطار النامية التى استفاقت مثلنا بعد طول الرقاد، وما دمنا نجد مثله فى تركيا وايران والحبشة وسواها؟.

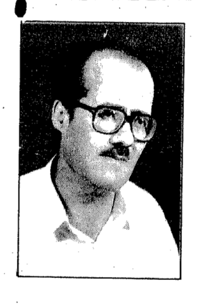
■ بل ما دمنا نجد مثله فى المحتل من وطننا فلسطين، حيث يستعمل العدو لغته دون سواها فى التعليم الجامعى، بل وحتى فى كليات الطب والعلوم والصيدلة وهى اللغة التى كانت تلفها اكفان الموت، حتى مطلع القرن التاسع عشر؟.

■ انى لعلى يقين: ان ذلك سيكون يوماً والى ان يحين ذلك فان من واجب ابنائنا علينا ان نحسن لهم الاختيار ونحن نوجههم الى اتمام دراستهم الجامعية.



من المكتبة الفلسطينية

عصافير على أغصان القلب



بقلم: زياد عودة
الأردن

[illegible] الإنسان [illegible] حالة القلق الحقيقي، حين [illegible] يغادر [illegible] صفحاته الأولى أن مؤلفه [illegible] الدنيا و[illegible] للطبع.. فالموت ذلك السيف المسلط على رقاب العباد، تظل له خصوصية [illegible] ليس من السهل التقليل من شأنها [illegible] في مجتمعنا العربي الذي تعود على تكريم أمواته الذين كانوا بحاجة الى التكريم وهم على قيد الحياة، ولكن لم ينتبه لهم أحد.

ويجيىء الموت كالصاعقة، ويذكر أولئك الناس الذين غفلوا عن تكريم شعرائهم وأدبائهم وراحوا يشيدون بمآثرهم بعد الموت.. **وهل بعد هذه المأساة من مأساة؟..** فتعريف الأحياء على الأحياء أفضل مليون مرة من تعريف الأحياء على الأموات خلال ابداعاتهم الشعرية والنثرية والفنية والعلمية.

■ وهذا هو أحد هموم المبدع العربى، الذى يكاد يكون نسيا منسيا فى حياته، وبعد أن يغادر الدنيا يكون له شأن آخر عند الناس، الذين يتابعون نتاجه الأدبى حال حياته وما نفع هذا كله بعد أن يرحل المحتفى به عن وجه الدنيا، وفى أعماقه غصة لعدم الاهتمام به فى حياته.

■■ دفعنى إلى كتابة هذه المقدمة الموجزة قراءتى لكتاب جديد بعنوان **«عصافير على أغصان القلب: أشعار فلسطينية»** من اعداد وتقديم الأديبة صفاء زيتون. وقد احتوى على «مقتطفات شعرية مختارة لشعراء فلسطين»، تروى قصة الاحتلال والصمود وتحكى عن الحنين الى الارض والأهل، وتتغنى بالثورة والنضال والفداء، وتحلم بالانتصار والعودة.

■ والاشعار التى جاءت فى الكتاب هى مختارات من قصائد كتبت فى الفترة ما بين سنة ١٩٢٩ ولغاية سنة ١٩٨٣ للشعراء: ابراهيم طوقان ـ وعبد الرحيم محمود ـ وحنا ابو حنا ـ وعبد الكريم الكرمى «ابو سلمى» ـ ومحمود درويش ـ وتوفيق زياد ـ وفدوى طوقان ـ وكمال ناصر ـ ومعين بسيسو ـ وهارون هاشم رشيد.. وهذه الباقة الرائعة من الأشعار، جاءت لتبعث الأمل فى نفوس الصغار والكبار من ابناء فلسطين المشردين فى أنحاء الدنيا، وتمنحهم شيئا من فرح، وهم بعيدون عن وطنهم السليب الذى يحلمون بالعودة إليه ليل نهار، ذكرى محبة وولاء.

■■ صدر هذا الكتاب فى نهاية عام ١٩٨٥م عن دار الفتى العربى فى القاهرة، وقد أعدت مادته الأديبة صفاء زيتون، من مواليد الاسكندرية سنة ١٩٣٩.. وهى زوجة الدكتور الفلسطينى المعروف نبيل شعث، أحبت فلسطين كما أحبت مصر حيث عملت فى مركز الأبحاث الفلسطينى ببيروت كما ساهمت فى أعمال جمعية انعاش المخيم الفلسطينى فى شاتيلا ببيروت وظلت عضواً فيها

حتى رحيلها.

■ وعند عودتها الى مصر عملت فى دار الفتى العربى التى تولت ادارتها فى العامين الأخيرين وخلال هذه السنوات أدّت دورا بارزا فى التصدى للغزو الثقافى الصهيونى، وفى مجال الاعلام للقضية الفلسطينية، وفى الدفاع عن الثقافة القومية.

●● وقد صدر لها الكتب التالية:

● قصة «بير زويلة» للاطفال.

● كتاب «حكايات خرافية من أمريكا» مترجم عن الانجليزية.

● كتاب عن «مذبحة صبرا وشاتيلا» يعد مرجعا لتلك المذبحة.

● ترجمة الفصل الخاص بمذبحة «صبرا وشاتيلا» من كتاب الحرب المضللة لزئيف شيف.. ونشر بعنوان «اسرائيلى يشهد».

● ترجمة القسم الخاص بالأطفال الفلسطينيين واللبنانيين من كتاب «روز تبلات» ونشر بعنوان «الاطفال والحرب».

■ وبتاريخ ١٠/١١/١٩٨٥م رحلت فجأة عن هذا العالم إثر حادث مؤسف أودى بحياتها وكانت قد راجعت بروفات هذا الكتاب «عصافير على اغصان القلب».

عشرة أبواب

جاء الكتاب فى عشرة ابواب اختارت عناوينها من القصائد التى اختارتها وهى: (على صدوركم باقون، بلغ الحزن بنا سن الرجولة، واهديكم ضيا عينى، لن يسمعوا إلا صرير سلاسلى، آه يا جرحى المكابر، أنا اسمى فلسطين، اننى العاشق والأرض حبيبة، سأحمل روحى على راحتى، أسمى الحصى أجنحة، بيروت قصتنا).

واوردت بالاضافة الى ذلك نبذة عن حياة الشعراء الذين اختارت لهم بعض القصائد ومقدمة بقلم المؤلفة كتبت بأسلوب أدبى رفيع حيث جاء فيها ما يلى:

«عصافير مغردة اطلقها الشعراء الفلسطينيون من فوق اغصان قلوبهم.. فانطلقت باحثة عن الحرية والدفء فى قلوب امتهم، أمتهم العربية التى يعتزون بالانتماء إليها. عصافير كان لتغريدها رنة الحزن احيانا، والحب واللوعة احيانا أخرى، لكن التغريد ينتهى دائما بألحان الأمل والصمود والفداء. عصافير مغردة انطلقت من قلب فلسطين الجريح، حاملة معها رائحة الأرض ودماء الشهداء، ودموع اليتامى وصمود الأبناء وآمال اللاجئين.

وستبقى الأرض الفلسطينية دوما خصبة تنبت الشعراء وتطلق العصافير»..

■ لقد قامت المؤلفة برصد تاريخ القضية الفلسطينية عبر القصائد التى اختارتها فجاء كل باب يحمل عدة قصائد وجاء اختيارها موفقا.

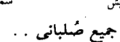
ونقدم فيما يلى مجموعة من القصائد المختارة.. ففى الخامس عشر من أيار (مايو) سنة ١٩٤٨، احتلت العصابات الصهيونية الجزء الاكبر من أراضى فلسطين واعلنت قيام «دولة إسرائيل» وتشتت سكان الأراضى التى احتلت وطردوا من أرضهم بقوة السلاح، وبالارهاب والمذابح، فلجأ كثير منهم إلى البلاد العربية المجاورة أو إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، وبقى الأخرون داخل حدود الدولة الجديدة، ولكن السلطات الاسرائيلية منعت معظمهم من العودة إلى أرضهم وديارهم التى تركوها أثناء القتال بحثا عن الأمان.. وهكذا أصبحوا منفيين فى وطنهم محرومين من ديارهم التى بنوها بسواعدهم وسواعد آبائهم، محرومين من أرضهم التى ارتوت بعرق ودماء أجداد هم وأصبحوا لاجئين يعيشون فى الخيام والأكواخ، ويعملون اجراء فى المحاجر والمزارع ليحصلوا على القوت اليومى لهم ولأولادهم، وبرغم المعاناة اليومية وبرغم كئوس الذل والمهانة التى تسقيها لهم سلطات الاحتلال كل يوم، فقد تشبثوا بوطنهم، وصمدوا فى وجه الطغيان وتحدوا المحتل المغتصب معلنين أن جذورهم عميقة فى الأرض لا يمكن اختلاعها، وان إبادتهم مستحيلة.

■ وهذا هو الشاعر محمود درويش فى قصيدته «بطاقة هوية» يؤكد فيها تحديه للسلطة الاسرائيلية:

سجل!
أنا عربى..
ورقم بطاقتى خمسون ألف..





ابراهيم طوقان — هدوى طوقان — محمود درويش — سميح القاسم

وأطفالى ثمانية . .
وتاسعهم سيأتى بعد صيف . .
فهـل تغضب؟ .
ســجل !
أنا عربى . .
واعمل مع رفاق الكدح فى محجر . .
واطفالى ثمانية . .
أسل لهم رغيف الخبز،
والأثواب والدفتر . .
من الصـخر . .
ولا أتوسّل الصدقات من بابك
ولا أصغـر . .

ـ بأسنانى ـ

■ وهذا هو الشاعر توفيق زياد يؤكد فى قصيدته التى حملت عنوان «بأسنانى» تمسكه بكل شبر من ثرى وطنه الحبيب:

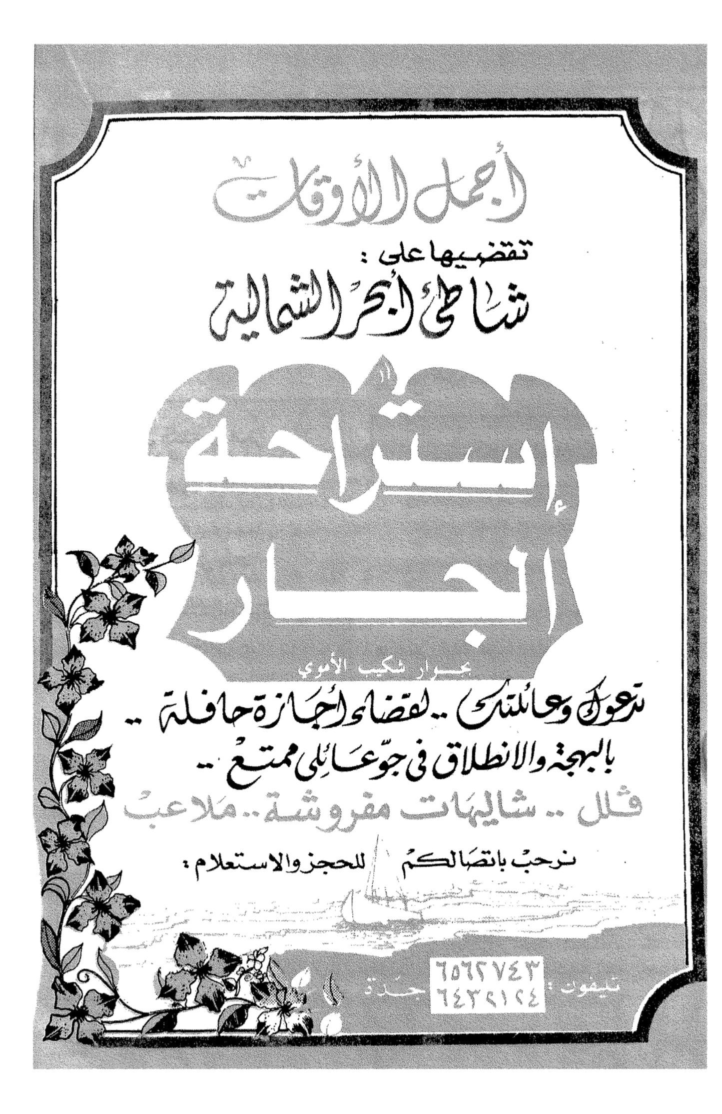
بأسنانى،
سأحمى كل شبر من ثرى وطنى . .
بأسنانى ،
ولن أرضى بديلا عنه . .
لو عُلقت من شريان شريانى
أنا باق،
أسير محبتى . . لسياج دارى
للندى . . للزنبق الحانى . .
أنا باق ،
ولن تقوى علىّ
جميع صُلبانى . .
أنا باق ،
سأحمى كل شبر من ثرى وطنى . .
بأسنانى . .

ـ أحكى للعالم ـ

■ «أحكى للعـالم» قصيدة للشاعر سميح القاسم قيلت سنة ١٩٦٨م أى بعد نكسة حزيران سنة ١٩٦٧م واحتلال الأجزاء المتبقية من الوطن الفلسطينى حيث يقول فيها :

أحكى للعالم . . أحكى له . .
عن بيت كسروا قنديله . .
عن فأس قتلت زنبقة . .
وحريق أودى بجديلة
أحكى عن شاة لم تحلب . .
عن عنجة أم ما خبزت . .
عن سطح طينى . . أعشب . .
أحكى للعالم . . احكى له . .

■ باختصـار، انـه كتاب مفيد فيه رائحة الوطن، وعبق التاريخ، وشذى الامل . . وهو وثيقة انسانية تسجل بمداد الفخـر والاعتـزاز قصـة حب مواطنـة عربيـة من مصـر لفسلطين العربية السليبة .



أجمل الأوقات
تقضيها على :
شاطئ أبحر الشمالية
إستراحة
الجار
جوار شكيب الأموي
تدعوك وعائلتك .. لقضاء أجازة حافلة ..
بالبهجة والانطلاق في جو عائلي ممتع ..
فلل .. شاليهات مفروشة .. ملاعب
نرحب باتصالكم للحجز والاستعلام :
تليفون : ٦٥٦٢٧٤٣
جدة ٦٤٣٢١٢٤

ندوة الشهر

من آفاق الفكر المغربي

اللغة التراث الحضارة

كل شهر
موضوع جديد
وتطلع جديد . .
وشراع يعبر أعماق
أمتنا العربية
والاسلامية
يستقرىء ماضيها
ويعيش حاضرها
ويتطلع الى
مستقبلها

■ تعد قضية اللغة والتراث والحضارة من أهم القضايا التى تشغل بال الانسان العربى، أو هكذا ينبغى ان يكون، ولكن ما أقل الذين يعتقدون بصحة هذه الحقيقة وما أقل الذين يعيرون هذه القضية اهتمامهم.

ان ما خلفه العلماء العرب من مؤلفات ـ فى مختلف ميادين المعرفة ـ يفوق فى عدده ومحتواه ما خلفه علماء أية أمة أخرى من أمم الأرض، فهو نتاج اربعة عشر قرناً لأمة كان سلطانها يظل أكثر من نصف هذه الكرة التى نعيش فوقها . . وعندما خلف لنا اجدادنا هذا التراث الهائل القوا علينا عبءاً ثقيلاً عجزنا طوال القرنين الماضيين عن أن نقوم بواجبنا تجاهه فظلمنا بذلك انفسنا وظلمنا معنا تاريخنا وأجدادنا.

■ ان التراث العربى لا يقتصر على جانب واحد من جوانب المعرفة الانسانية بل يمتد ليشمل كل فروع الحضارة والفكر، والادب، واللغة، والتاريخ، والجغرافية، والفلسفة والعلوم التطبيقية بمختلف فروعها.

ولذا فمسؤولية رعاية هذا التراث ونشره لا تقع على المختصين، وتعفى منها طائفة أخرى، بل إنها مسؤولية الأمة باكملها متمثلة بحكوماتها وبجامعاتها ومؤسساتها العلمية وجمعياتها الثقافية وعلمائها وباحثيها.

■ ونظرا لأهمية هذا الموضوع فانه لمن المفيد أن يطلع القارىء الكريم على آراء ثلاثة من العلماء الكبار هم: (الاستاذ العلامة علال الفاسى، والاستاذ الدكتور ممدوح حقى، والشاعر الاستاذ عمر بهاء الدين الاميرى) من خلال ندوة ـ كانت عقدت خصيصا للمنهل ولم تتح الفرصة لنشرها فى حينها.

■ لذا نقدم الافكار الرئيسية للآراء التى تمخضت عنها هذه الندوة:

مقدم الندوة:
عبد الرحيم بن سلامة

المنهل :

اللغة الحية

الدكتور ممدوح حقي

يتجلى دور اللغة في حياة الامم والشعوب بكونها وسيلة للتعبير عن الحاجات الانسانية في نطاق الحوار والبحث والمبادلات، ولذا فهي تشكل من هذه الناحية وسيلة لوحدة المشاعر والآمال لدى الامم والشعوب، المعبر عنها عن طريق الكلام.. في القول والنقش، والكتابة، ومن ثم تشكل السجل التاريخي لحضارة الأمة في نطاق الفكر والوجدان.

■ ونستطيع أن نحدد هذه المقاييس بالآتي :

★ القدرة على التشرب من اللغات الأخرى.

★ القدرة على الاشتقاق الذي يعطي اللغة مرونة التعبير عن حاجات الانسان.

★ القدرة على التركيب.

★ القدرة على النحت.

★ القدرة على الخلق والابتكار.

■ واذا ما عدنا إلى المقاييس التي تشكل المعايير الدالة على مدى حيوية اللغة، نرى أن هذه المقاييس، إنما تندرج بالكامل لتشكل الخصائص الاساسية في اللغة العربية والتي تميزها عن بقية اللغات الأخرى، دون أي تعصب أو ادعاء في هذا القول.. ويكفي العودة والرجوع الى قواعد اللغة العربية ومدى ما أنتجته مجامع اللغة لندل على صحة قولنا هذا.

■ ان ما تتمتع به اللغة العربية من خصائص وخاصة منها قدرتها على الاشتقاق والتركيب والنحت والخلق، يؤكد قدرة مسايرة اللغة العربية ومواكبتها للركب الحضاري المعاصر.. ثم ان ما تشتمل عليه من انتاج فكري، يؤكد امكانية تغذية هذا التطور بعطاء انساني جديد، خاصة ما يتعلق منها بنطاق القيم الانسانية، والعدالة، والمساواة، ثم بما حوته من الابحاث العلمية التي ليس لها مثيل في مصطلحاتها بين اللغات الأخرى، كمصطلحات الدم والعظام، في الطب العربي القديم مثلا وكذلك في نطاق المصطلحات الصوتية وتعدد هذه المصطلحات الى جانب ما اشتقته من مصطلحات تعبر عن عدد كبير للألوان التي ليس لها أي مثيل في بقية اللغات الأخرى.

اللغة والمنهج

المنهل

●● وفي إطار الحديث عن اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، نجد هنالك تلازماً تاما بين هذه اللغة والدعوة التي تحملها بين جنبيها، وهذا التلازم يحتم على المسلمين تعلم اللغة العربية وهذا بدوره يشكل التقاء وتوافقاً بين المسلمين على مختلف أجناسهم.

الاستاذ عمر بهاء الدين الأميري

●● لقد كان من اهم ما ساعد الاسلام على بث دعوته وازدهار حضارته، اقامة معالم ثقافية مشتركة بين سائر معتنقيه على اختلاف السوانهم واوطانهم.. وكانت اللغة العربية حجر الاساس في هذه المعالم الثقافية، فقد قضت حكمة الله، واستلزمت «عالمية الاسلام الممتدة» ان يفرض على كل مسلم تعلمها والالمام ولو

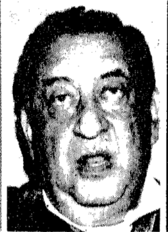
بقسط من ثقافتها، لأنها لغة القرآن التى لا يمكن العبادة إلا بها، ولا يمكن التخاطب مع رسول الاسلام مباشرة طوال حياته الا بواسطتها، ولا يتأتى من بعد ادراك اسرار الاعجاز البيانى للقرآن واستشعار نبضات الوحى الربانى، ودقة مراميه، وفهم الحديث الشريف باشراقه ونصاعته، وتذوق ادب النبوة والصحابة والتابعين، ببلاغته ورموزه واشاراته إلا بتعلمها وحسن فهمها، ولذلك انتشرت بالضرورة ثقافة القرآن ولغته جنباً الى جنب مع دعوته وتفتحت على ذلك نفوس غير العرب من المسلمين بنفس تفتحهم على دينهم وهدايته. بل ان نفراً كبيراً من هؤلاء حرص لا على مجرد تعلم اللغة العربية بل على التعمق فى اغوارها، واكتناه اسرارها حتى نبغ منهم فى الادب وفقه اللغة من ينافس ابناء العرب الاقحاح، وصنفوا فيها وولدوا منها فنونا وعلوما وكانوا من حفظة تراثها المجيد للاجيال المتعاقبة.. وقد زاد فى تشجيعهم على ذلك ان الرسول ﴿ﷺ﴾ ألحق المتكلمين بالعربية من غير العرب بالعروبة بقوله: **«ليست العربية لاحدكم من اب ولا ام وانما العربية اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى»**.

■ ومن عالمية الاسلام الممتده وخاصة الدعوة والتبشير والتبليغ فيه، اخذت اللغة العربية صفة **«العالمية الممتدة»** وهى أيضاً بالنسبة للمسلمين كافة بخاصة وللانسانية عامة ـ لما احتلته الحضارة الاسلامية فيها من مكان مرموق ـ وتميزت بذلك عن بقية لغات العالم بالثبات مع التطور وبالاستقرار والاستمرار، مع الانتشار والازدهار.

وبهذا التلازم فى العمومية والشمول، وفى العالمية الممتدة بين الاسلام ودعوته ولغته، انتشر طابعه الحضارى من كل الوجوه عقيدة وثقافة ونظاماً وفلسفة ومنهجاً اجتماعيا فى الحياة العامة والخاصة، بشكل يصبح فيه الاسلام رباطاً ايمانيا عاماً وطابعاً مشتركا، مؤلفاً بين ابناء الحضارة الاسلامية على تباعد الازمنة واختلاف الامكنة.



علال الفاسى



بهاء الدين الاميرى

عبد الرحيم بن سلامة

المنهل:

●● ما هى المخاطر والأهداف، التى تكمن خلف المناداة بعامية اللغة، تحت شعار «التبسيط وعدو الأدبية»..؟



انها بكلمة بسيطة.. خيانة.. خيانة للامة فى تراثها ومشاعرها ووحدتها.. وقد تكون هنالك وجهات نظر حول أى موضوع، أما حول موضوع اللغة ومسخها، فاننى أرى، أن الموضوع لا يتعلق بوجهات نظر، بل يتعلق بدسائس مقصودة وموجهة تستهدف كيان هذه الأمة، عن طريق مسخ لغتها التى تشكل وحدة الشعور والتعبير، وبالتالى، الاساس فى مختلف مجالات وحدتها.. للتمكن فى النهاية، من مسخ تراث هذه الأمة، عن طريق ضياع وفقد اللغة التى تعبر عنه.

التراث والرؤية المستقبلية

●● التراث ما مفهومه ومقومات بقائه وخلوده؟.. وما دوره الايجابى فى بناء المستقبل فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة؟.



المنهل

التراث كل ما هو موروث عن السلف، من فكر وقيم ومآثر وفنون، والمعبر عنها قولا أو كتابة أو عملا اما مقومات بقائه وخلوده، فانما تتجلى، بمدى تمسك الأمة به،

● اللغة العربية تنطوي على مجموعة قدرات وظيفية تجعلها تستوعب معطيات أي حضارة وتتفاعل معها.

● التلازم القائم بين اللغة العربية والمنهج القرآني الذي تحمله يحتم على المسلمين تعلمها والحرص عليها.

ومدى قدرتها على ملاءمته مع ظروف الواقع الذى تعيشه.. والمستقبل الذى تطمح فى الوصول اليه.

والتيارات الفكرية، ليست بجديدة فى عالمنا الانسانى.. فقد عرفنا فى تاريخ الحضارة الانسانية انحرافات كثيرة عن خط الحياة الطبيعى، والعقل المؤمن، من خلال الفكر الوثنى القديم وما قال به الدهريون والطبيعيون وامثالهم، وقد اثبت التاريخ عدم قابليتها للبقاء، لأنها تنحرف بطبيعتها عن واقع الفطرة الانسانية.. ويكفى تراثنا ما يتمتع به من نظرية شاملة، مؤمنة وواعية للفطرة الانسانية ومتطلباتها، وبما يتمتع به من تلاؤم مع روح العدالة ثم بما يشتمل عليه من مُثل وقيم اخلاقية تدفع الانسان دوما نحو الكمال الانساني الخلاق.. اقول.. إن توافر كل هذا، فى هذا التراث العظيم كفيل بحد ذاته، ان يردع الارادات المنحرفة فى امتنا ويكبحها ويحد من جموحها وتطرفها، وطغيانها على العواطف الجامحة، لأن النصر دائما فى النهاية للعقل المؤمن والفكر الخلاق، واليد البناءة التى تعمل دوما على اعمار الكون، ليستطيع أن يحقق الانسان خلافته فى الارض.

■ ويسجل الدكتور ممدوح حقى رايه حول دور التراث فى بناء المستقبل بقوله:

قابلية التراث على البقاء من خلال ما يتمتع به من قيم اخلاقية انسانية تشكل الاصول الثابتة لنظرة الأمة السائرة على خط الحياة.. وبما يتمتع به من أسس تشريعية تتلاءم مع الفطرة الانسانية وروح العدالة.. وبقدرته على استيعاب كل ما ينتجه الفكر الانسانى من الامم الأخرى. والذى يتلاءم مع أصوله وأسسه الثابتة.. ثم بمدى تمسك أفراد المجتمع فى أمجادهم التاريخية التى تشكل جزءاً منه.

المنهل:

●● اللغة، التراث، الحضارة، مثلث يشكل مرتكزات أساسية فى تقويم معطيات الأمم والشعوب وتحديد مسارها وتوجهها.. ويسعدنا أن نتعرف على العلاقة القائمة بينها؟.

■ واجابة على السؤال يقول الأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى:

الحضارة فى اطلاقها وفى عصرنا الحاضر بخاصة تعتبر ام القضايا الانسانية، تنطلق لها ومنها فعاليات الامم تتنافس على اشادتها واجادتها.. والحضارة فى بنيتها كما هو معروف تتكون من الثقافة المدنية..

فالثقافة: تشمل الرقى فى الجوانب الروحية والادبية من دين واخلاق وفلسفة ولغة وفنون.

والمدنية: تشمل الرقى فى الجوانب المادية من علوم طبيعية واختراع واكتشاف مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة.

■ وجانب الثقافة فى الحضارة هو الاظهر والاجدر لأن المدنية لا تنطلق الا من رصيد ثقافى، حتى ان بعض علماء الحضارة يرى انها ثقافة مكتوبة كما اورده «راكلان» فى كتابه «كيف جاءت الحضارة» فيما اذكر.

■ ومن الواضح الجلى ان اللغة والتراث كلاهما ركن اصيل فى الثقافة وبالتالى فى الحضارة فلا تزدهر اللغة ويثرى التراث بغير حضارة ولا يتحقق للحضارة وجودها بغير لغة وبغير مادة تراثية اصيلة.

■ هذا بشكل عام بالنسبة لسائر الحضارات ولغات اقوامها وتراثهم، على ان الامر بالنسبة للاسلام وحضارته ولغة امته وتراثها فالوضع أجل واهم، من وجوه عدة، لأن مقام الاسلام من حضارته متفرد متميز.

الحضارة الخالدة

●● *حضارات الأمم تشكلها ثوابتها من القيم السلوكية والمعرفية، وقد تضمحل تلك الحضارات وتذبل بمقدار ما تفقد من القيم الاساسية.. ولكننا نجد الحضارة الاسلامية لا يعتريها التفكك، بل تزداد قوة يوماً بعد يوم بفضل ما أسِّست عليه من ثوابت قيمية وسلوكية.*

وتوضيحا لهذه الفكرة يقول الاستاذ الأميري:

■ ان بين الاسلام والحضارة التى اقامها من التفاعل والتلازم ما لم يسبق له مثيل بين اى دين سماوى او اعتناقية وضعية وبين الحضارة التى عايشت ظهور ذاك المعتقد وامتداده."

■ لقد اثر الاسلام فى الحضارة الاسلامية تأثيرا حركيا حيا بالغا بشكل يجعل التصاقها به وانبثاقها عنه فى ذروة الصدق والعمق، فثمة حضارة اسلامية وثيقة الالتحام بالدين الاسلامى، وليست هناك حضارة بوذية او كنفوشية او يهودية او نصرانية او سواها، ارتبطت بتلك العقائد والاديان بنفس النسبة او بقدر يدانيها مع ان تلك الاديان وغيرها قد قامت بالفعل واعتنقها ملايين من البشر، وعايشتها حضارات.. وقد تسألني عن السر الكامن فى الاسلام، الذى يجعل فيه اكثر من سواه طاقة من «البث الحضارى» بحيث نجده حقاً روح الحضارة الاسلامية ومدد حياتها وحافز انتشارها وازدهارها، بل وسبب استعصائها على الانحسار والاندثار، كما اندثرت قبلها حضارات عديدة.

■ والجواب على ذلك ان الحضارة الاسلامية إذا كانت تتوفر شأن الحضارات الاخرى على ابعاد الطول والعرض فانها الى جانب ذلك تنفرد ببعد ثالث ليس لسواها، الا وهو العمق الذى ينشأ من تولدها عن الاسلام المطلق فى امتداداته الانسانية من قبل ومن بعد وعن ارتقائها الى المشارف الربانية وحياً وهدياً.

■ ان قاعدة الاسلام الاولى الازلية الابدية هى الاعتقاد الراسخ بالخالق الأحد الحق، نور السماوات والأرض الذى لا يحور ولا يتحور لا فى ذاته ولا فى صفاته مهما تغير الزمان والمكان، وتبدل الانسان.. وتتمشى الحضارة الاسلامية مع مستلزمات هذا الاعتقاد وما يقتضيه من قواعد امهات.

■ ان اعجاز الاسلام الاكبر هو فى استيعابه للكلية الانسانية المطلقة فهو يمثل البعد الأعمق فى نفس الانسان وحياته فرداً وجنساً منذ كان وأنّى كان إلى ان ينتهى حيثما امتد الوجود البشرى، ولو فى القمر او المريخ.. والحضارة الاسلامية تبعا لذلك تتوفر على توازن ايجابى مرن مع عناصر الخلقة الانسانية المتكيفة مع الزمن بشكل يلبى باستمرار تطلعاتها المستقبلية السوية.

إيجابيات الأمة

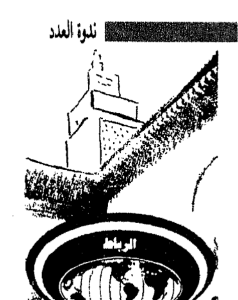
المنهل:

ما هي العوامل الايجابية في أمتنا العربية الاسلامية، والتي تستطيع ان تشكل القاعدة الفلسفية للفن العربي المعاصر بشكل عام والانتاج الأدبي منه بشكل خاص؟.. وهل تعني الأصالة الفكرية التمسك بحرفية ما انتجه التراث؟..

الأستاذ علال الفاسي

أرى أن هذه العوامل إنما تدخل فى نطاق ما يتمتع به تراث هذه الأمة من مفاهيم وقيم اخلاقية.. تشكل مركز الاعتدال فى نظرته الى انسانية الانسان أولا وتعتبر الاصول الثابتة التى تتبلور على محورها الحاجات الانسانية المتطورة سواء فى مجال العلاقات الانسانية أو فى مجال التعبير عنها فى نطاق القول، والعمل، والكتابة، وكل ما هو مبدع وجميل شريطة التقيد ضمن اطار المفاهيم الاسلامية التى ترفض التعبير عنها، بما يؤدى إلى انحراف الفطرة الانسانية عن خط سيرها الطبيعى المؤمن بالله ووحدانيته.

والاصالة الفكرية ليست تمسكا بكل ما انتجه التراث من خلال نظرة محدودة وغير واقعية وأفق محدود.. بل الاصالة الفكرية، هى بحد ذاتها القدرة على فرز كل ما لا يتلاءم مع روح التراث، وما هو دخيل لا يتلاءم مع جوهره.. ثم القدرة على الاخذ والانفتاح على الفكر الانسانى والتطور العلمى الذي يبدعه عقل



الانســان، والـذى يتمشى مع مقاصد وجوهر التراث واصوله العامة.

الحضارة المؤمنة:

المنهل

●● **الحـوار حول الـتراث والحضـارة يضطـرنا الى الرجوع ثانيـة لموضـوع الحضارة ورغم ما قيـل حولهـا من تعـريفـات، فإنا نرجـو أن نتـوصـل الى تعـريف مختصر لها؟:**

الاستاذ بهاء الدين الاميرى

■ تتردد كلمة الحضارة اليوم بكثرة فى مجالات عديدة، ويتفاوت فهم اعـداد منهـا، تبعـاً لطبيعـة هذه المجـالات وصفتهـا، ولمستـويات البـاحثين والمتحدثين هل هم من العلماء حقاً؟ ومن اية مدرسة؟ ام هم من انصاف المثقفين المترخصين فى استـعــمال الـكلمات فى غير اصطلاحاتها الدقيقة، انسياقا مع لغة الحياة السطحية الدارجة.

ولسنا هنا فى صدد بحث المعنى الـلغـوى للكلمــة كما شرحتــه القواميس الامهات، ولكن لا بأس فى ان نذكـر ان المعجم الـوسيـط عرف الحضارة بانها «مظاهر الرقى الـعــلمــى والـفـنـى والادبـى والاجتماعى فى الحضر» وان العالم المؤرخ المسلم الفذ ابن خلدون قال عنها انها غاية العمران وان لعلماء العصر فى تعريفها صيغاً متعددة لا يتسع المجال لايرادها.

■ وبودى قبل ان اسجل تعريفى الخاص للحضارة ان اشير الى ما ذكره العالم الحضارى «هاينْز بولاد» فى كتابه «من السلوك الحضارى» ومؤداه ان الحـضــارة ليست قوة مستقلة تحكمهـا قوانينها الداخلية الخاصة بها والمستقلة عن الانسان تماماً بل هى على العكس مأخوذة من سلوك الانسان وخاضعة لتغييره وهــو بالتـالى حر فى تكييفهـا.. ومقصدى من هذا الاستشهاد ان انتهى الى القــول بان الحضارة الاســلاميــة تختلف عن بقيــة الحضـارات، لأن انسان الاسلام الـذى اقـامهـا ومـارسهـا مندمج بالاسلام صادر عنه، عامل على اقـامتـه فى الحيـاة، فهو حر فعال ولكن فى الانطــلاق من قواعــد الاســلام وتصـوراتـه الحضـارية الـربـانيـة وتبعاً لذلك لا يستطيع الفقيه الحضارى المسلم ان يوافق على حصــر اصطـلاح الحضـارة للدلالــة على المنجـزات المـادية والصنــاعيــة التى تتجسم فيهـا الخـبرات والكفــاءات بل وحتى العبقــريـات، لأن نظـرة انسـان الاســلام للكــون، وارتبــاطــه بالانســانيـة ورسالته فيها، وغايته من الحياة تتسع بمداه الحيوى الى آفـاق ابعــد من آفــاق انســان المعتقدات الاخرى.

■ وهكـــذا تكــون الحضـارة فى نظـرى: عطـاء انسـانيا عاما فيه جانب التراث المجيد (المتوالد عن شريعة الاسلام) الى جانب الحياة القــائمــة الـدائمـة التطلع الى السمو. الى جانب الأمل الممتد المشحــون بالحــوافــز الايجـابية البناءة.. والحضارة فى نظرى أيضا

ومشاعرها ووجدانها.
تجاه الحياة.
وروح العدالة.
الانسانى مما يتلاءم مع أصوله

●●●●●●●

هى امل بمستقبل دائم الارتقاء نحو الافضل لا لخير القوم الذين يتحقق على ايديهم فحسب، بل لخير الاسرة البشرية جمعاء ولوضعها فى مقام الفعالية والجدارة بالخلافة فى الأرض. . وكل ذلك ابتغاء وجه الله سبحانه.

■ **وهكذا يكون تعريف الحضارة عندى كما يلى:**

«الحضارة هى عطاء الفعاليات البناءة التى تحقق غرض الوجود البشرى فى عمران الأرض وفق أمر الله وابتغاء وجهه الكريم باسمى مستوى تتجلى فيه جدارة الانسان الخليفة.

■ **واما الحضارة الاسلامية فتعريفها فى نظرى تبعا لذلك: انها حصيلة العطاء الانسانى العام الذى ولدته الامة الاسلامية ـ وما تزال ـ على هدى دينها فى منطلقات وجودها واشعاعها.**

وتتميز الحضارة الاسلامية عن الحضارات الاخرى بان لها حياة مستمرة تصاحب حياة البشرية ما دامت البشرية ويمدها بهذا العمر الطويل تلاق كامل مع الفطرة الانسانية وقابلية ايجابية مرنة لتلبيتها وللنماء المتكيف مع الزمن تكيف الفطرة نفسها فى تطلعها المستمر المتصاعد نحو الأمثل.

وهكذا تتوفر الحضارة الاسلامية على طاقة من البث والفعالية تحافظ لها ـ فى حالة ازدهارها ـ على عطاء فعال دائم، يتعايش مع الحياة الانسانية السوية فى كل عصر ومصر.

■ اما فى حالات توقف مدها لظروف وصروف قاهرة فتبقى هذه الطاقة حية الجذور جياشة فى الاعماق، تترقب بل تحاول ان تولد فرص الانطلاق وما الذى ندعوه اليوم بالصحوة الاسلامية الا اعتلاج وتوثب حضارى يحاول ان يعيد الامة الاسلامية من جديد الى مدارجها ومعارجها الحضارية، الرسالة الربانية. . على ان هذه الصحوة تبقى فى حيز الامل ما لم يخض العمل على تحقيقها وتوظيفها فى الحياة على منهج سوى فى ضوء فقه حضارى.

●● ولنا كلمة

اللغة هى ارث الاجداد تركوه لنا مصقولا منحوتا واضحا جليا فما علينا الا أن نمسح الغبار عن وجهه لنرى فيه عناصر الجمال والقوة بارزة واضحة، وما التعبير الفنى فى النحت والرسم والتصوير والتشكيل الا رموز لهذا الارث الضخم الذى هو أمانة فى عنقنا يلزمنا الحفاظ عليه واحياؤه.

نحن فى حاجة الى من يقرأ ويجتهد لا إلى من يستغرق فى نومه ثم يصحو قليلا فيصيح قائلا: ان اللغة العربية ضعيفة عاجزة وأن التراث والمعاصرة لا يجتمعان.

■ ان حياتنا الحاضرة قد اظهرت خطأ من يذهب به تفكيره الى هذا الحد، فالذين يريدون التخلى نهائيا عن اللغة والتراث والعزلة عنها لم يعودوا يشكلون تياراً بارزاً فى الوقت الحاضر، وكذلك الحال بالنسبة لأولئك الذين يريدون لنا أن نعيش بعيدين عن التطور الذى تشهده لغات العالم، وأن نعيش فى ثنايا تراثنا دون أن ننتمى الى العصر الذى نحياه.

■ ان تراث الامم الأخرى كان دائما مصدر قوة واشعاع فى حياتها، فى حين جعلنا ـ مع كامل الاسف ـ من تراثنا مصدر ضعف وتضييق والخطأ هنا لا يعزى لتراثنا وانما لابناء هذا التراث.

والمطلوب ان تكون مهمة الدارسين لتراثنا فى الوقت الحاضر هى أن يقدموا الماضى للاجيال الحاضرة بكثير من الموضوعية كى يغدو فى حياتنا عامل تطور لا يعرقل حركة التقدم، ولا يخل بميزان المعاصرة ولا يحول الناس إلى رافضين.

واستطاع الاسلام ان يقدم للبشرية حضارة إنسانية لم تعهدها البشرية من قبل حضارة تقوم على التوازن التام المعتدل بين (الدنيا والآخرة) وهذان تحكمهما مقومات إيمانية سوية حتى لا يطغى شىء على الآخر.

ملامح حضارية من الادب الاموى

(الحلقة الاخيرة)

الحَركة العلميَّة في العصر الأمَوي

بقلم : الدكتور حسين نصار



● لم يكتف الخلفاء الأمويون بمكاتبة العلماء بل رحبوا بمن قدم واستقدموا كثيراً منهم .

● الشعر الأموى يكشف عن انتشار الزراعة وازدهارها والعناية بوسائل الرى.

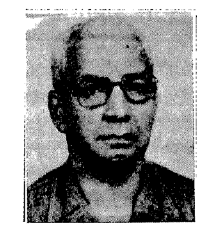
● انقسم الخلفاء الأمويون الى فريقين - فريق لم يُشغل بالغناء وآخر شغل به .

على مدى الحلقات السابقة استعرض الأستاذ الدكتور حسين نصار في دراسته هذه جوانب من الملامح الحضارية التي سجلها الأدب الأموى وحفظتها ذاكرة التاريخ الاسلامى العربى . منها الملامح الدينية واللغوية والعلمية ، ومنها اهتمام الخلفاء في العصر الأموى بتنشئة أبنائهم على اللسان العربى الفصيح ... الخ.

وتمتد هذه الملامح لتشمل مظاهر فن المعمار والبناء ووسائل الترف واللهو والغناء ، والزينة .

والمنهل يأمل أن يكون للقارىء الكريم لقاء متجدد بل ولقاءات علمية وثقافية أخرى مع الأستاذ الدكتور حسين نصار .

المنهل



العمارة

■ اضطر أبو دهبل الجمحى الى مغادرة الحجاز الى دمشق في مغامرة غرامية له ، وطال بقاؤه فيها ، وصور ذلك في واحدة من أجمل قصائده . وقد وصف فيها جانبا من عمارة دمشق ، فذكر حيا يشتمل على عدة دور أقيمت عند منبع قناة :

صاح : حيَّا الإلَه حيًّا ودورا
عند أصل القناة من جيرون

■ وعندما وصف الفرزدق خروج جيش عبد الملك من الشام لمحاربة مصعب بن الزبير في العراق ، ذكر قصور الشام أيضا :

قيدت له من قصور الشام ضُمَّرها
يطلبن شرقى أرض بعد تغريب

■ ووصف أبو دهبل أحد قصور دمشق فكشف عن حصانته :

أحلها قصرا منيع الذرى
يحمى بأبواب وحجاب

■ وذكر إسماعيل بن يسار النسائى قصر هشام فأعلن أنه كان يحتوى على بركة يجلس الخليفة عليها. وصور حماد الراوية هذا القصر ومجلس الخليفة فيه فقال: «فدخلت عليه فى دار قوراء، مفروشة بالرخام، وهو فى مجلس مفروش بالرخام، وبين كل رخامتين قضيب من ذهب، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طنفسة حمراء، وعليه ثياب خز حمر، وقد ضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مبثوث فى أوانى ذهب، يقلبه بيده فتفوح رائحته».

واجتاز معاوية بالبناء الشام الى الحجاز فبنى عددا من الدور فى مكة على يمين المصعد من المسجد الى ردم عمر وأتى بها بالبنّائين من الفرس المقيمين بالعراق. ويبدو أن كل واحد من هذه الدور عرف باسم خاص فسميت أولاها الدار البيضاء بسبب طلائها بالجص وسميت أخراها بالرقطاء لأنها بنيت بالآجر الأحمر والجص الأبيض.

■ وتردد فى المصادر الادبية ذكر القباب، ويبين منها أن هذا الاسم أطلق أحيانا على البناء كله. فذكر الفرزدق قبة سامقة نسبها للوليد غير أنه أعلن أنها استمرت مدة فى بنائها وتعاقب عليها كثيرون:

لنعم مناخ القوم حلوا رحالهم
الى قبة فوق الوليد سماؤها
بناها أبو العاصى ومروان فوقه
ويوسف قد مسّ النجوم بناؤها

■ *وذكر قبة أخرى لعبد الله بن عبد الأعلى الشيبانى بالجابية:*

بلاء أخيهم إذ أُنيخت مطيتى
الى قبة أضيافه بفنائها
بجابية الجولان باتت عيوننا
كأن عواويرا بها من بكائها

■ *وأطال عبد الرحمن بن حسان أو دهبل وصف قبة معاوية وجمالها فقال:*

ثم خاصرتها الى قبة الخضـ
ـراء نمشى على مرمر مسنون
قبة من مراجل ضربوها
عند برد الشتاء فى قيطون
عن يسارى اذا دخلت من البا
ب وان كنت خارجا عن يمينى

وقباب قد أشرجت وبيوت
نظمت بالريحان والزرجون

■ وذكر ابو دهبل قبابا مبنية فى وسط شجر الزيتون:

في قباب، وسط دسكرة،
حولها الزيتون قد ينعا

■ وأشار أبو دهبل أيضا الى بيع جلق:

ولها بالماطرون اذا
أكل النمل الذى جمعا
خرفةً حتى اذا ارتبعت
سكنت من جلق بيعا.

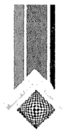
الغناء

يحكى حنين بن بلوع الحيرى قصة وقعت له عندما ذهب الى الشام تدل على ان أبناءه او ابناء حمص وحدها فى ذلك الوقت لم يكونوا يحسنونه، ولا يميزون بين الطيب والردىء منه. والحق أننى لا استطيع ان اوفق بين هذا الخبر ووصف حسان بن ثابت لما رآه فى البلاط الغسانى قبيل الاسلام ومهما يكن من شىء فالاخبار كلها تجمع على أن الشام لم تشتهر بالغناء، ولم تنجب مغنيا مشهورا، طوال العصر الاموى وانما عرفت فيها الالحان الرومانية، التى استمع اليها سعيد بن مسجح المغنى الحجازى فى أثناء وجوده بالشام واقتبس منها.

ومهما يكن من شىء يمكن أن نرى فى الخلفاء الامويين فريقين: فريق لم يشغل بالغناء مثل معاوية وسليمان، وآخر شغل به وعلى الرغم من هذا التقسيم كان الفريقان يعجبان به اذا ما قدر لهم أن يستمعوا اليه.

■ وكان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهى من الخلفاء، وأدنى المغنين ثم اولع يزيد بن عبد الملك به وبخاصة بالجاريتين حبابة وسلامة. ولكن احدا من الخلفاء لم يصل الى مبلغ حب ابنه الوليد له، حتى شغل بابن سريج ومعبد والغريض ومغنى الحجاز عن خطر الدعوة العباسية المستشرى فى خراسان.

■ وقد انتهز محبو الغناء من الامويين الفرص للاستماع الى مشهورى المغنين. فابتهلوا فرص رحيلهم الى الحجاز - ولو للحج - للاستماع الى بعضهم، كما فعل يزيد بن عبد الملك مع الغريض، وابنه الوليد مع الابجر. فاذا اشتاقوا



الى السماع وهم فى دمشق استقدموهم اليها وما اكثر المغنين الذين استقدمهم الوليد بن يزيد خاصة. ويبلغ من حبه لعمر الوادى أن سماه «جامع لذتى».

ولا يقف أمر الخلفاء عند مجرد حب الاستماع للغناء، بل تجاوز الى ظواهر أخرى فطلب الوليد بن يزيد من مؤدبه عبد الصمد بن عبد الاعلى ان ينظم أبياتا ليغنيها عمر الوادى بل نظم أبوه أبياتا ليغنيها معبد. ووصل الوليد الى أقصى ما وصل اليه الخلفاء فقد كان له «أغان وألحان، وكان يضرب بالدف والطبل والعود».

ويبدو أن عبد الملك كان عالما بأنواع الغناء وان لم يشتهر بالشغف به. قيل إنه لقى ابن مسجح فقال له: تغن غناء الركبان. فغنى. فقال له: تغن الغناء المتقن. فغنى. فاهتز عبد الملك طربا.

■ اما يزيد فقد فاق اباه معرفة وتذوقا وفطنة الى الفروق بين مذاهب الموسيقيين قال يوما لمعبد:

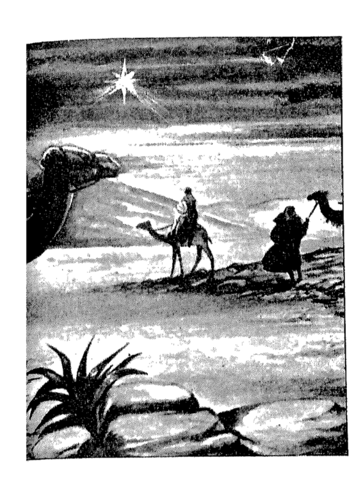
«ان الذى أجده فى غنائك لا أجده فى غناء ابن سريج فإنى أجد فى غنائك متانة وفى غنائه انخناثة ولينا. قال: والذى أكرم أمير المؤمنين بالخلافة وارتضاه لعباده وجعله أمينا على أمة نبيه ﴿ﷺ﴾ ما عدا صفتى وصفة ابن سريج، وكذا يقول وأقول ولكن إن رأى امير المؤمنين أن يعلمنى: هل وضعنى ذلك عنده فليفعل. قال: لا والله، ولكنى أوثر الطرب على كل شىء. قال: يا سيدى إن كان ابن سريج يذهب الى الخفيف من الغناء وأذهب أنا الى الكامل التام، فأغرب أنا ويشرق هو فمتى نلتقى؟.

الترف

أخذ الخلفاء الامويون يتذوقون ألوان الترف ويكثرون منها حتى غرقوا فيها وصار همهم النعيم قال عبيد الله بن الحر الجعفى ينعى عليهم ذاك:

يبيت النشاوى من أمية نوما
وبالطف قتلى لا ينام حميمها
وما ضيع الاسلام الا قبيلة
تأمر نوكاها ودام نعيمها

■ فشغفوا بالرائحة الذكية فى كل شىء، وعرفوا من



مصادر هذه الرائحة العنبر والعبير والطيب والمسك والغالية واليلنجوج والند والعود. فضمخ النساء والرجال ثيابهم بل بالغ الوليد فى ذلك حتى وصفه حماد الراوية بأنه كان يرتدى ثوبين أصفرين «يقيئان الزعفران قيئا» وقال كثير يصف عبد الملك بن مروان فى حالتى السلم والحرب:

يغادى بفأر المسك طورا وتارة
ترى الدرع مرفضّا عليها نثيلها

■ وضمخوا شعورهم قال عمر بن أبى ربيعة يصف فاطمة بنت عبد الملك:

ويفرع - حُدِثْتُه - كالمثانى
عُلَّ بالمسك فهو مثل السّديل

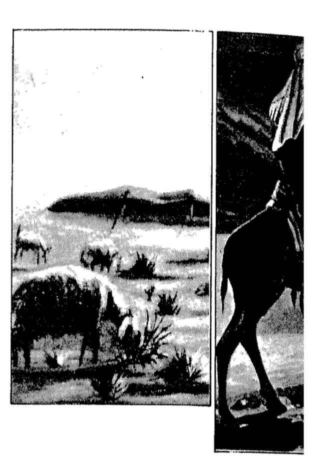
■ وقال كثير يمدح عبد الملك بن مروان:

مسائح فودى رأسه مسبغلة
جرى مسك دارين الأحم خلالها

■ وضمخت النساء رقابها. قال أيمن بن خريم يخاطب عبد الملك:

ويعركن بالمسك أجيادهن
ويدنين عند الحجال النعيابا

■ وأحرقوا أنواع العود فى مجالسهم. قال عبدالرحمن بن حسان أو أبو دهبل الجمحى يتغزل بابنة معاوية أو أخته:



تجعل المسك واليلنجوج والند

صلاء لها على الكانون

■ وفى الافراح وضعوا أفخر الطيب فى المصابيح بديلا من الزيت أو معه.

واستمر عند النساء التزين بالكحل والحناء، كما نرى فى قول أيمن بن خريم:

علام يكحلن حور العيون

ويحدثن بعد الخضاب خضابا

■ واستخدموا الاوانى الجميلة فعرفوا جامات المسك الذهبية وعرفوا الكئوس مثل كأس أم حكيم بنت يحيى بن الحكم وزوجة هشام، التى تناقضت الاقوال فى وصفها. فقال الوليد بن يزيد:

عللانى بصافيات الكروم

واسقيانى بكأس أم حكيم

انها تشرب المدامة صرفا

فى اناء من الزجاج عظيم

■ وروى ابن منظور فى وصفها: «كانت كأس أم حكيم كأسا كبيرة من زجاج أخضر، مقبضها من ذهب. قال اسماعيل بن مجمع: كنا نخرج ما فى خزائن المأمون من الذهب والفضة فنزكى عنه وكان فيها يزكى عنه كأس أم حكيم، وكان فيها من الذهب ثمانون مثقالا.. وروى أيضا: لما أخرج المعتمد ما فى الخزائن ليباع فى أيام ظهور الناجم بالبصرة، أخرجت كأس مدورة على هيئة القحف تسع ثلاثة أرطال، فقومت بأربعة دراهم. فتعجب من حصول مثلها فى الخزائن مع خساستها. فسئل الخازن عنها فقال هذه كأس أم حكيم فردت الى الخزانة ولعل الذهب الذى كان عليها أخذ يومئذ.

وذكر البيدق الأنصارى القارىء أن قصر يزيد بن عبد الملك كان يقتنى مداهن ذات فصوص من الياقوت والزبرجد.

■ وشبه عمر بن أبى ربيعة صاحبات الثريا بنت عبد الله بالتماثيل المطلية بالذهب مما يدل على معرفة بها:

فطرن حبا لما قالت وشايعها

مثل التماثيل قد مُوهن بالذهب

وقد ذكر الدكتور شوقى ضيف أن نصر بن سيار بعث من خراسان الى الوليد بن يزيد تماثيل سباع وظباء.

الحلى

تعددت أسماء الجواهر والحلى فى النصوص الادبية التى تحدثت عن عصرها. فقد عدد عمر ما كانت تتحلى به صديقات الثريا بنت عبد الله فقال:

ترى عليهن حَلْىَ الدر متسقا

مع الزبرجد والياقوت كالشهب

■ وشبه القطامى حبيبته بالدرة الكريمة الآتية من الهند:

كأنها بيضة صفراء خَدٌّ لها

فى عشعث ينبت الحوذان والعذما

أو درة من هجان الدر أدركها

مصعِّر من رجال الهند قد سهما

■ وذكر القطامى فى القصيدة نفسها أن حبيبته كانت تتزين بخلخال:

خود منعمة نضْخُ العبير بها

اذا تميل عن خلخالها انفصما

■ وذكره عمر بن أبى ربيعة وهو يتغزل فى فاطمة بنت عبد الملك ووصفه بعض الوصف:

لا يزال الخلخال فوق الحشايا

مثل أثناء حية مقتول



■ وقالت أم حكيم بنت يحيى وزوجة هشام تتنازل عن أسورتها فى مقابل الخمر:

سوارى ودملوجى وما ملكت يدى
مباح لكم نهبٌ ولا تقطعوا وردى

الشراب والطعام

أكثر الشعراء من الحديث عن الشراب وقللوه عن الطعام كل القلة.

وأول ما يلاحظ المرء شيوع اتهام الامويين بالاقبال على الخمر منذ عهد مبكر، ردده خصومهم مثل ابى دهبل الجمحى الذى قال:

تبيت النشاوى من أمية نوما
وبالطف قتلى ما ينام حميمها

■ وردده غير خصومهم بل ردده الشعراء منهم. قال الخليفة الثانى يزيد بن معاوية:

ألا يا صاح للعجب
دعوتُك ثم لم تجب
إلى القينات واللذات
والصهباء والطرب
وباطية مكللة
عليها سادة العرب

■ واشتهر بها منهم يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد، الذى قيل إنه حفر بركة فى قصره كان يملؤها خمرا وينزل فيها ويعب منها واشتهر بها من نسائهم أم حكيم بنت يحيى، التى كانت تشرب فى كأس حازت صيتا كبيرا.

ونستطيع ان نتبين من الاشارات الشعرية ان الخمر فى الشام كان بعضها محليا وبعضها مستوردا. اما المحلىّ فكان مقطرا فى أذرعات وعسقلان وبيروت. قال ابن هرمة وهو يشبه حبيبته بالخمر الفلسطينية عامة دون تحديد موضع معين منها:

كأن فاها لمن تؤنّسه
بعد غيوب الرقاد والعلل
كأس فلسطية معتقة
شيبت بماء من مزنة السَّبل

● يزيد بن معاوية أول من سنَّ الملاهى وأدنى المغنين.
● من الخلفاء الأمويين من غرق فى الترف وصار همه النعيم.
● فى الشعر الأموى أسماء عديدة للجواهر والحلى التى استخدمت فى هذا العصر.

■ ولم يبتكر ابن هرمة هذا التشبيه، بل هو كثير قبله وبعده، حتى اننا نجد عند بعض الجاهليين. وقد رسم كثير صورة مماثلة ذكر فيها خمر أذرعات فقال:

وما قرقف من أذرعات كأنها
إذا سكبت من دنّها ماء مفصل
يصب على ناجودها ماء بارق
وعاه صفا فى رأس عنقاء عيطل
بأطيب من فيها لمن ذاق طعمه
وقد لاح ضوء النجم أو كاد ينجلى

■ وذكر الوليد بن يزيد خمر بيروت فى قوله:

فما صهباء لم تكن
قذى من خمر بيروت
ثوت فى الدن أعواما
ختيها عند حانوت

■ وخمر عسقلان فى قوله:

وصفراء فى الكأس كالزعفران
سباها التُجيبى من عسقلان

■ أما المستوردة فقد كانت تجلب من الشرق والغرب، وان شئنا التحديد ذكرنا أصبهان فى فارس والقيروان فى تونس قال الوليد:

عللانى واسقيانى
من شراب أصبهانى

من شراب الشيخ كسرى
او شراب القيرواني
ان في الكأس لمسكا
أو بكفي من سقاني

■ وكانوا يحبون ان تكون رائحة الخمر محببة ولذلك ختموها عند التعتيق بما يضمن لها ذاك أو مزجوها كما فى البيت السابق عند الشراب بالمسك. قال الوليد:

من كميت عتقوها
منذ دهر فى جرار
ختموها بالأفاويه
وكافور وقار

■ وافتن الوليد خاصة فى مجالس الشراب.. فشرب الهفتجنة وهى شىء كانت الفرس تشربه سبعة أسابيع، فشرب تسعة وأربعين يوما وشرب الطرجهارة.

■ أما الطعام فلم أجد غير اشارة عند ابن هرمة تكشف ان أهالى زغبة من قرى الشام كانوا يأكلون العدس الأغبر، قال:

عليهن أطراف من القوم لم يكن
طعامهم حبا بزغبة أغبرا

■ وقيل: إن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فى دير مران كان يفطر بقدح من طلاء مسخن يفور وبكتلة من سمن كأنها هامة رجل.



الصيد:

عرف المجتمع الأموى رحلات الصيد وقد صور عبد الحميد الكاتب فى إحدى رسائله واحدة من هذه الرحلات تصويرا غاية فى الجمال فكشف أنهم كانوا يدربون الضارى من الحيوان: «أعدى الجوارح وأثقف الضوارى أكرمها أجناسا وأعظمها أجساما، وأحسنها ألوانا وأحدها أطرافا وأطولها أعضاء قد ثقفت بحسن الأدب، وعودت شدة الطلب» ومن الطيور من البزاة الصائدة، والصقور الكاسرة، والشواهين الضارية، وكانوا يمتطون «نفائس الخيل المخبورة الفراهة من الشهرية الموصوفة بالنجابة والجرى والصلابة».

وكانوا يصيدون الظباء والثعالب والأرانب والآرام والطيور وحمير الوحش (جمهرة الرسائل ٢/٥٤٤ـ٨).

الشطرنج:

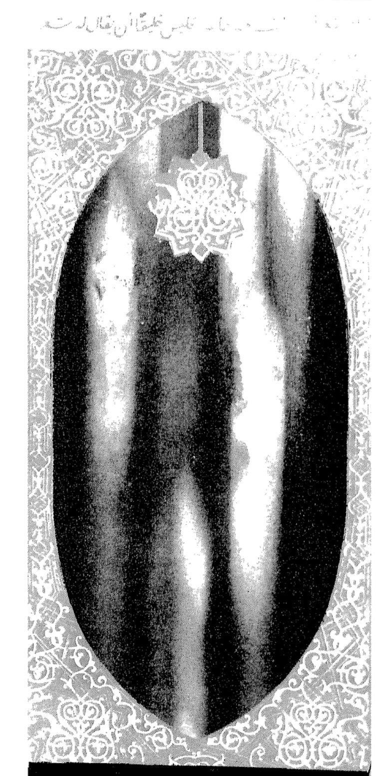
تكشف إحدى رسائل عبد الحميد الى احد الولاة أن أهل تلك الولاية قد شغلوا باللعب بالشطرنج حتى ألهاهم عن كل شىء مما أفزع السلطة وجعلها تبعث هذه الرسالة تنهى وتهدد وتعاقب. قال: «فكان مما قدم (الرسول ﴿ﷺ﴾) اليهم فيه نهيه وأعلمهم سوء عاقبته وحذرهم إصره وأوعز اليهم ناهيا وواعظا وزاجرا الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج لما فى ذلك من عظيم الإثم، وموبق الوزر، مع مشغلتها عن طلب المعاش، وإضرارها بالعقول، ومنعها من حضور الصلوات فى مواقيتها مع جميع المسلمين.

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ناسا ممن قبلك من أهل الاسلام قد ألهجهم الشيطان بها وجمعهم عليها، وألف بينهم فيها. فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم الى ممساهم، ملهية لهم عن الصلوات شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم وافترض عليهم من شرائع أعمالهم مع مداعبتهم فيها وسوء لفظهم عليها. وإن ذلك من فعلهم ظاهر فى الأندية والمجالس، غير منكر ولا معيب ولا مستفظع عند أهل الفقه، وذوى الورع والأديان والأسنان منهم. فأكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه. (جمهرة الرسائل ٢/٥٤٠ـ٤).

ويعطينا عبد الحميد الكاتب صورة دقيقة للثقافة التى شاعت فى أواخر العصر الأموى وطالب الكتاب أن يحصلوها فى وصيته للكتاب قال: «فان الكاتب يحتاج من نفسه، ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره أن يكون.. قد نظر فى كل فن من فنون العلم فأحكمه فإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى.

● ثم أخذ يعدد فنون العلم التى أرادها، فقال: «فتنافسوا ـ يا معشر الكتاب ـ فى صنوف الآداب.. وتفقهوا فى الدين وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض.. ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم.. ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم.. واروروا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها.. وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها.. ولا تضيّعوا النظر فى الحساب فإنه قوام كتاب الخراج» (جمهرة الرسائل ٢/٥٣٥).

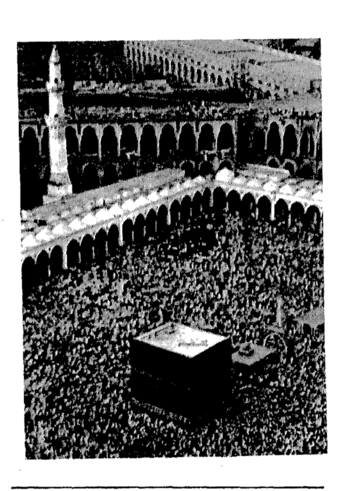
المختار



العدد ٤٧ ذو الحجة ١٤٠٩هـ
المشرف
محمود عارف

قصائد العدد

الحج هجرة إلى الله



شعر: احمد فهمى خطاب مصر

الحجُّ .. هجرةُ مسلمٍ للهِ
وتجردٌ للمَرْءِ من دنياهُ
يدعُ الديارَ وراءهُ وعيالَهُ
ومتاعَهُ ونعيمَهُ وهواه

ويسيرُ .. وهو مجردٌ من زيِّهِ
متجردٌ من زَهْوهِ وحُلاه
وبقلبِهِ زادُ التُّقى .. وبكفِّه
زادٌ .. يقدمه لمن يلقاه
يسعى إلى البيتِ الحرامِ ملبِّياً
لنداءِ ربِّ البيتِ حين دعاه
ليطوفَ بالبيتِ العتيقِ مُسبِّحاً
مُستغفراً ومكبِّراً مولاه
اللهُ أكبرُ بالفؤادِ هتافُهُ
وأجلّ ما هتفتْ به شَفَتاه

الحجُّ .. مؤتمرٌ يوحّد أمةً
لتقومَ صفاً واحداً لله
عرفاتُ تجمعها .. لتعرف أنها
هي أمةُ الاسلامِ .. تحت لواه
جاءتْ لتشهدَ نفْعَها في موقفٍ
جمعَ الرعيةَ والرعاة حماه
عرفاتُ يقصده الحجيجُ جميعُهم
لا حجّ إلا للذى يرقاه
يا سعد من أدّى الفريضةَ راجياً
أن يقبلَ الرحمنُ ما أداه
لا يقبلُ الرحمنُ إلا طيِّبا
من قاصدٍ للّهِ دون سواه
يا عز مَنْ بالحجِّ أكمل خَمْسَهُ
وعن الهداية لم تنم عيناه
وبدربه .. يمسى ويصبح هاجرا
لضلالِهِ .. ومهاجرا لهداه


في رحاب الله
شعر
سهيل عبد الحفيظ النعمان - جدة
كيف أنت اليوم بل كيف غدى
ليلك الصبح عانقه الندى
وسرى في الأفق وضاح الجبين
يملأ الدنا عبيراً وشذى
يقطع الآفاق يشدو فرحاً
قلبه الخائف يتحدى الردى
ضارعاً لله يرجو عطفه
ليزده نوراً ويقيناً وهدى

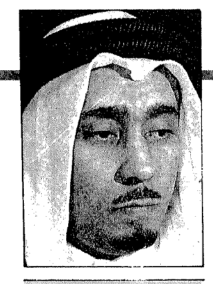
لبيك

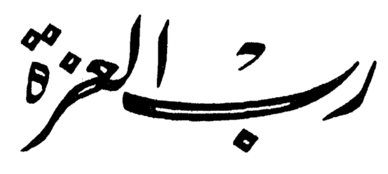


لبيك استهديك
لبيك رب العزه

لبَّيْكَ من قلبٍ يَعُجُّ
مشاعراً مُلْتَهِبَة
لبّيك من عين تفيضٍ
بادمعٍ مُنْسَكِبَة
لبيك أستهديك
لبيك ربَّ العزَّه
لبَّيك من أرضِ الكِنَانَة
والكِنَانةُ مَهْجَرَى
لكنْ بأرْضِكَ مُهْجَتِى
وبها تَعَلَّقَ خاطرى
لبَّيك أسْتَهْديك
لبّيك ربّ العزّه
لبَّيْكَ مِنْ هذا المكان
بجسمى الفانى لَدَيْكْ
لبَّيْكَ مِنْ قلبى وأمْـ
ـرُ القَلْبِ موكولٌ إليْك
لبيك اسْتَجْديك
لبيك ربّ العزّه
لبيك فى يوم الحجيج
وإنَّه يومٌ عظيمْ
لبَّيْكَ ربّ اليوم
لبيك من ربٍّ كريمْ

لبَّيْكَ ربّ العزّة
لبَّيْكَ ربّ العِزَّة
لبَّيْكَ ما أسمَى النِّدَا
لبَّيْكَ ما أعَزَّه
لبَّيكَ أسْتهديك
لبيك ربّ العزّه
لبيك فى عُلاكْ
لبَّيْكَ فى سَماكْ
لبَّيْكَ فى نداكْ
لبَّيْك فى مَدَاكْ





رب العزة

شعر ابراهيم فودة
مكة المكرمة

لبيك استجديك
لبيك رب العزه

لبيك فى ركب الحجيج
إلى رُبَاكِ الطاهرةْ
لبيك فاكتبنى لدَيْكَ
مع الأُلوفِ الزائرةْ
لبيك استجديك
لبيك رب العزه

لبيك انْ قَصُرَتْ خُطَاىَ
عن الوصول إلى الديارْ
لبَّيْكَ إنَّ القلبَ مُنْذُ
الصُّبْح موصولُ المْدَارْ

لبيك استجديك
لبيك رب العزه

لبيك فاشْملنى بفضلِكَ
إنّ فَضْلكَ لا يُحَدّ
يا ايها المولى الذي
نُعْماه لا تُحْصَى بِعَدّ
لبيك استجديك
لبيك رب العزه
لبيك يا ربّى وربّ
الكافرين بما سواك
لبيك لا ربّ خَلاَكَ
لبيك لا ربّ خَلاَكَ
لبيك استعديك
لبيك رب العزه

لبيك قد عَبَثَ الطغاةُ
ودنسوا القُدسَ الحرامْ
لبيك أسْتَعْديكَ أنْ
تَحْمى عبادَكَ والذِّمام

لبيك استعديك
لبيك رب العزه

لبيك ياربى وربّ
الهائمين بكلِّ وَادْ
سُلِبُوا الحقوقَ فلا
حقوقَ لأهل هاتيكَ البلادْ

لبيك استعديك
لبيك رب العزه

لبيك إن القُدْسَ
تَزْأرُ من تفانين الطَّغامْ
عَبَثَ اليهودُ بها
وذُلَّ العُرْبُ من كلِّ الأنَامْ

لبيك أسْتَهْديكْ
لبيك استجديكْ
لبيك استعديكْ
لبيك رب العزهْ

حنين إلى الوطن

للشاعر   احمد خليل عبد الجبار

صبوةُ الماضي وأنغامُ صِبايا
لم تزلْ منها بقايا في الحنايا
كلّما هبَّ من الشرقِ شذا
خفقَ القلبُ وسحّتْ مُقلتايا

والمدى الغامضُ رحبٌ ساحُهُ
يتهادى فيه حُلْمي ومُنايا
كأسِي الذِّكرى وخمري طيبها
وخيالٌ كان أحلامَ صِبايا
يستبيني رجعُ أنغامٍ لها
ويُواتيني قديمٌ من هوايا

ينفثُ الشوقُ على مجمره
حِمَمَ البَينِ وغَصّاتِ شقايا
أرقبُ الفجرَ فكم من نوره
غزلتْ للحُبِّ تيجاناً يدايا
علّه يحملُ أنباءَ الحِمَى
أو يوافيني بلمحٍ من رُؤايا
وأناجي اللّيلَ أرْعَى نجمَهُ
واللظَى ينهبُ لُبِّي وحشايا
لا الدُّجى يصغِي ولا الفجرُ يَعِي
يا بلادي لعذابي أو أسايا
ضلّ بي في عالمِ الوهْمِ السُّرى
والنّوى حادٍ بدربي وخطايا
وهواكِ البكرُ حيٌّ ماثلٌ
يلهبُ الحسَّ ويغلي في دمايا
كم أمنّي النفسَ باللُّقيا تُرى
هل لأمانيّ من عمري بقايا؟

واشنطن ١٩٤٦م



أماني العمر



عزّتْ أمانى العُمْر لى مطلباً
فلا أرى صُبحاً ولا كوكبا
وإن جعلتُ الشرقَ لى وجهةً
تحوّل المشرقُ لى مَغْرِبا

أسيرُ وحولى الدُّجى مُطبقٌ
وحظّى من الدّهر ما غيّبا
كأنّ الحياة لها لُجَّةٌ ..
يزُفُّ القنوطُ بها مركبا
حَدّقْتُ فى الأفقِ فى صَحْوِهِ
فيُرخى على سِحرِهِ غَيْهَبا
وأشكو إلى الوردِ شوكَ الأسى
فيرمى بأشواكِهِ مخلبا
أيدمى فؤادى على عوده
وكان فؤادى له موكبا؟
وأُنشدُ للبدْرِ ذكرى الهوى
وعهدَ شبابٍ نضيرٍ خَبا
فيهتزّ فى بُرجه ضاحكا
ويلْتاذ بالغيم خلف الرُّبى
وكم كان للبدر من مهجتى
ملاعبُ أنسٍ له فى الصبا
أخال الورُود جفتْ عَهْدَها
وأخشى البدورَ خلتْ ملعْبَا
فلا الطيرُ تذكرُ قيثارتى
ولا الشّعرُ يذكرُ لى منصبا
أجدّف فى الوهمِ لى زورقا
وشطّ الأمانى بدا خُلّبا
أنا والزمانُ على موعدٍ
وعهدى به لم يزل قُلّبا

واشنطن ١٩٤٧م





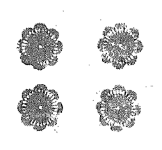
شعر: منصور دماس خميس منيط

عشقٌ تعثَّر دونه العشقُ
فبه استمَلّ الرفقُ والرتْقُ
يرتاحُ مُؤْتَلِقًا فيُشمِلُه
شَغَفٌ (تَوَلّى) قَدْحَهُ الصِّدقُ
ألقٌ يُضِيءُ الحُسن فى فِمِهِ
فيهابُه البُهتانُ والفِسْقُ
متنزِّهًا ترك الشرى جذلاً
بصبابةٍ ما مسَّها رقُّ
عدا سماءَ الحبِّ فى ثقةٍ
لم يُدنِها عذلٌ ولا سلْقُ
ما سار مفتوناً لسوءِ هوى
بل للوسيم كأنَّه برقُ
عالٍ تُكِلُّ الوشْىَ ذرْوتُه
بفم الحقيقة يُزهِقُ الولْقُ









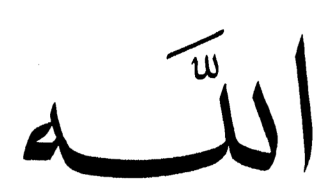
يسمو إلى أين المسار؟ ألم
يحسر بشوفةِ أوجهِ (الحذق)

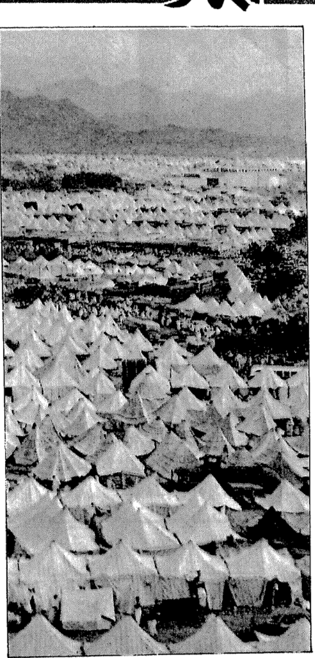
* * *

حِسّانِ لا وصف لكُنْهِها
يشفى ولا يستقضبُ النطق
أعيا بَدْركِ مداهما لمَّا
أهوى البيانَ وريشتى دفقُ
إذ أنَّ أنماط الكلامِ متى
ما لامستهُ يعلّه العِشقُ
فاق الغرام ودادنا صفةً
هلا لأشعار الهوى سَبْقُ؟
تتسابقُ الأوصافُ صاعدة
فمداه يكبو دونه العُمْقُ

* * *

فلقانِ فى قلبين حسْبُهما
أن النزاهة فيهما مدقُ
تلقاهما الأشواقُ مشفقةً
ما خانها فى سيرها الرِّفْقُ
وهواهما خِصْبٌ يُرقّصه
(هتان).. بالعفة ينشقُّ
فتحلقُ النجوى بهمسهما
لمآربٍ لم يُزْرِها حُمْقُ
وتعانق الأحلام ما نسجت
روح الوفاء وبيَّت الشّوقُ
لو يسأمُ الحبُّ المنىء فما
له عنهما مأوى ولا فُتقُ
شتّان بين مودة خنعتْ
هوناً وما يسمو به الخلقُ
إن صار حبُّ الغرب مهزلةً
فبحبِّنا يتطاول الشرق
وكأنّ بين الحبِّ من سفهٍ
لا يرعوى وتعقُّلٍ فرْقُ





شعر : أحمد العربي

أهـلاً بأعـلامِ الحجيجِ ومـرحبـاً
بِبُشَـراتِـه وفـودِهِ الأبـرارِ
وعلى الـرحـابـةِ والكـرامـةِ حلّكم
فى مَهْـبـطِ الـتـنـزيـلِ والأنـوارِ

هذا الحـجـازُ تهلّلَتْ أرجـاؤه
بوفـودِكُـم وافـترَّ كالـنّـوارِ
أعْظِـم بما فى الحـجِّ من حِكَـمٍ وما
فى شِرعَـةِ الاسـلامِ من أسـرارِ
أعظمْ بهذى الـوحـدة الكُـبرى التى
انـتظـمـتْ وفـودَ الحجِّ كالأسْـوارِ
الكـلُّ إخـوانٌ وهـل فى المُلّقِ الـغـ
ـرّاء مثـل أخـوة الإيـثـار
والـفـوزُ كلّ الـفـوزِ فى أن نَقْـتَـفِى
هدْىَ الـكـتـابِ وسـنـةَ المختـارِ
ومن المشـاهـد ما يثـيرُ الـذكـريا
تِ الحـافـزاتِ وأبـلغَ الـتّـذكـارِ

* * *

هذا الحـجـازُ تأمّـلوا صفـحـاتـه
سِفْـرُ الخلودِ ومـعـهـدُ الآثـارِ
ومـواقـفُ لم يشْـهَـد التـاريـخُ مثـ
ـلَ جلالهـا فى أمجـدِ الأطْـوارِ
جثمتْ على تلك الأبـاطـحِ والهضا
بِ وأشـرقـتْ ترنـو إلـى الأقـدارِ

* * *

هذا حِراء سائـلوه يجبـكـمـو
فلعـلـه سِـفـرٌ من الأسْـفـارِ

أكبر

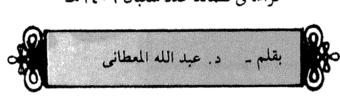


واستلهموه مواقف الوحي التي
شعَّ الهدى منها إلى الأقطارِ
وسلوه ماذا قد أقلَّ من البطولةِ
والحِجَا أكرمْ به من غارِ
«اللهُ أكبرُ» ما أجلَّ مآثر السِفر
الحفيل بسيرة المختارِ
ما أروعَ الذِّكرى تُطيفُ بنا هنا
لمحمدٍ وصحابِهِ الأخيارِ
فى مثلِ هذا الشهرِ فى تلك المَوا
قفِ من منى وحيال هذى الدارِ
وقف «ابنُ عبد الله» يُملى عَهْدَهُ
ويهيبُ بالنُّقباءِ والأنصارِ
أن ينصروا دينَ الإلَه ويمنعوا
أشياعَهُ من سَطْوةِ الكُفَّارِ
ما كان أعظمه وأنبل موقف
الأنصار منه بذلك المضمارِ
لله قالتُهم لقد زانوا بها
فرقَ الزمانِ وهامَ كلّ فخارِ
خُذْ يا رسولَ اللهِ ما أحبَبْتَ من
عهدٍ وما أحبَبْتَ من إيثارِ
ولنمنعنَّك بالنفوسِ وبالنفيسِ
ونفتديك مصارع الأخطارِ

اللهُ أكبرُ يا له من موقفٍ
يُوحى إلى الأحفادِ خير شِعارِ
لله روحُ محمدٍ ما كان أسـ
ـماها وروحُ رفاقه الأخيارِ
لم يثنِ عزمَ محمدٍ خذلانُ معشـ
ـره وَأَلَدّ خصومه الأشرارِ
فمضى إلى الهدفِ العظيم بهمّةٍ
وعزيمةٍ كالصّارمِ البتَّارِ
وكذلك النفسُ الكبيرة لا تَنى
أو ترتقى أسمى ذُرى الأوطارِ
هذا هو النهجُ الذى قد سنَّهُ
فينا الرسولُ وذاك خيرُ شِعارِ
أفيستضىء المسلمون بشعلةٍ
وهَّاجةٍ من هذه الأنوارِ؟
مهلا سراةَ المسلمين، خواطرٌ
جاشتْ بهنَّ جوائشُ التَّذكارِ
ولعلَّكم أدرى بها ولعلَّكم
أهدى لما فيها من الأسرارِ
ولنعمَ ما تُسدون للإسلام إن
تجلوا مناقبَ هذه الآثارِ
ولكم من الأجيالِ ما ترضون من
شكرٍ ومن حمدٍ ومن إكبارِ



قراءة فى قصائد عدد شعبان ١٤٠٩هـ



بقلم ـ د. عبد الله المعطانى

كلية لآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبد العزيز
ـ جدة ـ

حينما قرأت البيت الذى توجت به صفحة المشتار وهو:

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقا ان يقال له شعر

■ امتلأت يدى بحاسة النقد واتخمت جيوبى الاسئلة القلقة والافتراضات الفضولية التى اثارت فيَّ الشوقَ الى الابحار فى خضم قصائد «المشتار» كى تهزنى فتتحقق الشاعرية او لا تهزنى فينصفنى النقد الذى ظلم منذ غابر الزمن.. ولكن قبل البدء فى مصادمة النصوص الشعرية التى حفل بها المشتار فى شهر شعبان الماضى اود أن أقف عند هزات الشعر وكيف تحدث؟ هل تتشكل من خلال المعانى الجيدة التى يقتنصها الشاعر؟.. ام أن الالفاظ فى حد ذاتها تغطى مساحة واسعة من جمال القصيدة ـ وهى قضية نقدية قديمة قتلها النقاد وقتلت النقد فاحتملت من التشويش والارتباك ما ناءت به اعناق الكتب النقدية.. ام ان الاهتزاز ينتج عن الخيال والعاطفة وغيرها من التقسيمات الهشة التى ابتلعتها ثقافة المتلقى ووعى الشاعر؟.. فالاهتزاز فى تصورى حدث تفرزه الصورة الشعرية التى تفاجىء القارىء اما باللذة أو بالدهشة ـ من خلال هذا الحدث وهذه الصدمه ـ يهتز وقد يطير كما اشار الى ذلك بشار بن برد حينما القى ابو العتاهية قصيدته فى مدح المهدى:

اتته الخلافة منقادة
اليه تجرجر اذيالها

■ فقال بشار لقائده وقد كان كفيفا «انظر الى الخليفة هل طار من موقعه».

■ اما بالنسبة لقصائد المشتار فى العدد الذى اشرت اليه سابقا فقد كانت ثلاث عشرة قصيدة تأرجحت فى الشكل والمضمون.. بين المناسبات والانكفاء النفسى.. والتصوير العاطفى والفلسفة الذاتية والايحاءات الرمزية.. وهى بلا شك قصائد يجمعها سِفْر واحد ولكنها ترقص على انغام مختلفة واتجاهات متباينة مما يجعل مهمة الناقد صعبة حيال هذا التفاوت الملموس.. ويزيد الامر تعقيدا ان الانسان يعشق الثناء ويهوى المدح والاطراء.. وقد يصعب عليه التنازل عن مثل هذه الاشياء.. لذلك سوف يكون العطن ضيقا لاستقبال بعض الملاحظات ولكن لابد مما ليس منه بد.

للاستاذ ابراهيم فوده تكتنفهما العاطفة الدينية الهادئة المطمئنة، التى جعلت الشاعر يسير بخطى وئيدة فى الفاظه وتراكيبه ويتذلل الى الله سبحانه وتعالى فى خوف ورجاء وذلِّه تمنح العزة والكرامة. وكأن الشاعر يجذب المتلقى الى هذا الجو الروحانى الذى أُشْرِبَتْ به القصيدتان، وخاصة ان مطلع القصيدة الاولى «يارب عفوك» يورث الخشوع والتذلل والانقياد الى المداخل النورانية التى تبتعد عن صخب الدنيا وعنفوان الحياة.



وفيها يبدو ان الشاعر متأثر بقصائد الزهد (النواسية) التى تزخر بحساب النفس والندم على ما فات . . وليس هناك ما يلفت النظر الى توليد المعانى أو حركية التصوير.

الهدية الثرية .

قصيدة ترتبط بمناسبة عزيزة دفعت الشاعر الى التعبير عن احاسيسه بطريقة تلقائية مباشرة لا تتجاوز الحديث العادى الذى يستهلكه عامة الناس. واجود ما فى القصيدة كما قلت انها تتحدث عن مكرمة من مكارم خادم الحرمين - بيد ان الصورة الفنية فى القصيدة معدومة والتناسق التركيبى للصياغة يبتعد عن ميدان الشاعرية ولذلك فلن اقف عندها اكثر من ذلك.

العبقرى النبيل :

القصيدة تعبر عن فلسفة ذاتية يعتلجها الشاعر تجاه مجتمع العبقرى الذى وصفه بالنبل حتى انه يبحر فى غربة موحشة نظرا لجهل الناس به وهم يعيشون دعة الجهلاء ونعيمهم وهو يتجرع كأس الهم والاكدار ويستأنس بغربته التى ابعدته عما يفكر فيه البسطاء من المصالح وقضاء الحاجات . . ولا شك ان الشاعر وعى فلسفته وحاول ان يصورها، الا ان القصيدة بدأت قوية ثم اضمحلت حتى انتهت الى مساحة ضيقة.

[illegible] :

قصيدة جميلة التراكيب حسنة الصياغة تأثر شاعرها بالقديم تأثرا انساه مباشرة الصور الحديثة والمضامين العصرية . . وهى وان كانت تنضوى تحت جحافل المناسبات الا ان شاعرها حمل ثقافة لغوية واضحة المعالم على شواطىء قصيدته وحاول ان يتصرف فى اكثر من موضوع ويطرق معان شتى مما جعل الوحدة الفنية ينالها شىء من الشحوب. ويبدأ القصيدة بروح مشرقة وتفاؤل جامح ثم لا يلبث ان يخلع قميص تلك الروح ليرتدى اقمصة كئيبة ويأسا مفرطا حتى انه وصف العصر بأنه لا خلاق له وانه مبنى على الكذب لانه باع تراثه بأبخس الاثمان وأباح دينه لارخص العروض، وكان الشاعر يطفىء نحيزه ملتهبة فى داخله لظروف معينة دخلت فى اطار تجربة خاصة . . وفى الواقع ان القصيدة لم تخلو من الحرة نظرا لكثرة الافعال التى تأتى فى مقدمة الابيات فتشيع فيها شيئا من الحرارة وكذلك كثرة ادوات الاستفهام، ما للسفين، ما للكراريس، هل غاص، اين الاصالة، وكيف، كل هذه جعلت المتلقى يشارك فى حوار القضية التى يتحدث عنها الشاعر.

احفاد ضبه :

اول ما يلفت الانتباه فى هذه القصيدة عنوانها . . فاختيار قبيلة ضبه - وهم الذين اغتالوا المتنبى - كاجداد لهؤلاء الاحفاد الذين يتحدث عنهم الشاعر فيه ذلك ما ينبىء بانه يُحمِّل العربَ مسؤلية كبيرة فى اغتيال الفكر والادب والانصراف عنه الى المادة والبهرج الزائف.

■ ولا شك ان الشاعر يحمل ثقافة لغوية وتاريخية كبيرة انعكست على ايحاءاته وتصرفه بين ابيات القصيدة وصورها المتخمه باليأس والقنوط من حال الامة العربية التى يحتضر الشعر على يديها وهى لا تأبه لذلك. ولو اردنا ان نعود الى مطلع القصيدة الذى يتحدث عن سفر ذلك الصديق فسوف نلمس فكرة الرحيل مسيطرة على نفس الشاعر ونظرته الى المستقبل . . فهذه الامة راحلة عن واقعها الذى يفرض عليها الاهتمام بالشعر كجزء من حياتها العقلية الى الغوص فى ملذاتها واموالها. وهؤلاء الفتية رحلوا عن دروب العلم والمعرفة، حتى انهم لا يقيمون النطق الصحيح للغة الضاد، وان كتب بعضهم او نسج شعرا جاء بكلام غث وافكار مفككه تنم عن جدب علمى وثقافة ضحلة، حتى ان امثال هؤلاء لا يستطيعون القيام بدورهم تجاه القضايا الاسلامية مما جعلهم يميلون الى الذلة والدعه فلا يحسنون المبارزة بسيف عمرو أو الهجوم برمح عنترة العبسى.

■ وقد وفق الشاعر فى تركيب الصور وتوظيف التراث واثارة الحركة فى القصيدة من خلال مخاطبة ذلك الصديق بضمير المخاطب مرة والغائب مرة اخرى والحديث بلسان الجماعة فى بعض الاحيان ولم تخلُ القصيدة من بعض الحشو اللفظى الذى فرضه الوزن والقافية.

يمليخا يموت مرة ثانية :

يمليخا هو من اصحاب الكهف الذى بعثوه بوَرِقِهم الى المدينة كى يبتاع لهم طعاما فأنكر اهل المدينة العملة التى جاء به يمليخا نظرا لانها غير صالحة لعصرهم ـ وهذا ما اراد ان يصل اليه الشاعر من ذلك الايماء الفلسفى الذى تلبست به القصيدة . . وكأن هناك التقاء بين : باعطب . . وسعيد السريحى . . ومحمد العيد فى ان المجتمع لا يقدر احتراق الاديب فى سبيله فهو اما منصرف الى اللهو واللعب على حد تعبير «باعطب» او الى جمع المال فى نظر «السريحى» او الى الانكار فى تصور «العيد الخطراوى» وهى نظرات مألوفة على مر التاريخ من اولئك الادباء والمفكرين الذين اوقفوا حياتهم وفكرهم وعلمهم لخدمة مجتمعهم وقوبلوا بالعقوق والرفض . . وقد عبر ابو حيان التوحيدى وابن بسام وغيرهما عن مثل هذه الانفجارات النفسية عند الادباء والمفكرين .

■ وقصيدة يمليخا تحمل رؤية فلسفية وتصورا ذاتيا لمجتمع الشاعر الذى انكر جذوره واصالته وتاريخه ومجده فلم يعد يعرف لغة يمليخا ولا يقبل عملته وكأنه يشير الى حال المجتمع العربى الذى تقطعت اوصاله وتفككت اواصر اخوته ، وقد صرح بذلك حينما قال «كالعربى المشرد خلف التخوم» . ولم تخل قصيدة يمليخا من صور حية برسمها البيع والشراء والعملة والطعام وابواب المدينة والطرقات وعسس الليل مما جعلها تعج بحركية متنقلة بين الالفاظ والتراكيب ، ولا شك ان ثقافة الخطراوى وتمكنه من التراث انعكست على قوة القصيدة وتماسكها ، وكأن القصيدة فى مجملها تصور الأمل المشرق الذى تجسد فى نفسية (يمليخا) وهو يسعى فرحا بورقه كى يحصل على طعام الحياة اللذيذ ثم ينتهى به المطاف مواريا تحت التراب .

صمود الليل :

قصيدة عاطفية تحمل بعض التراكيب الراقصة والصياغة الرنانة الا انها تخلو من التصوير ولذلك لا يهتز لها المتلقى نظرا لخطبتها المتكررة وكأنها اغنية شعبية يتأوه مغنيها (كى يؤثر فى السامعين) ، لذلك لم أجد ما يمكن الحديث عنه .

وسامة :

فيها نظرات فلسفية تعبر عن رؤية الشاعر الى هذا الكون الذى اتسع فى بداية القصيدة . . حتى ان السماء اصبحت بحره . . والبدر زورقه . . والفكر موجه . . ويقف عند الحب الذى هو نشيد الدنيا وناى الحياة المضمخ بالعطر ثم بعد ذلك ينظم عقدا جميلا احجاره الدهر والليل والنجم والبحر وهى الفاظ لها دلالات شاعرية وآفاق مفعمة بالهدوء العاطفى الذى يورث النظرات الصامته الى مصائر الاشياء . وبقدر ما اشرقت مقدمة القصيدة بالبدر اسدل الشاعر على نهايتها كآبة سوداء ترسو على شاطىء القبر الذى ينم عن نهاية الحياة فى هذا الكون .

اما من حيث التصوير الحركى وتوليد المعانى فلا يكاد يرى فى غمرة الرنات العاطفية التى سيطرت على جو القصيدة .

شقراء :

قصيدة وجدانية تصور وَلَهَ الشاعر بشقراء ذات العيون الزرق التى قد تكون حقيقية وهنا تضعف مقومات الصورة الفنية او قد يرمز الشاعر الى ايماءات تتولد عن هذه الشقراء والتى يبين انها ابنة الخيال مما يؤيد الرأى الثانى، ويجعل للقصيدة رؤية عميقة تستوقف المتلقى ـ ولا شك ان اختلاف القافية اعطى القصيدة لونا موسيقيا متموجا مما جدد النغم والاتصال الذاتى بالقصيدة . اما من حيث حركة التصور فيقال عنه ما قيل عن القصيدة السابقة .

اروع من خيال :

قصيدة موزونة مقفاة الا انها تتضمن بعض التراكيب الحديثة التى تهيء للفظ اكثر من مدلول وللسياق اكثر من معنى ـ ومجيء القصيدة على شكل مقاطع اعطاها زخما موسيقيا ملونا لا سيما وان الشاعر التزم فيها بما لا يلزم . . وبها تصوير وجدانى رقيق وملامح غربة ذاتية يفك اسرها خيال معشوقته ايا كانت . ويركز الشاعر على الصوت الذى فيه اشارة الى عدم وضوح الرؤية التى تكتنف نفسيته او ظلمة الايام التى تحدق بقلبه فترحله من مكانه

لذلك فهناك فاعلية الصوت اكثر تأثيرا وفى الواقع ان القصيدة هادئة الخطى عادية الصور.



اغنية الحرف الصامت:

لا ادرى ماذا اقول عن هذه القصيدة التى تتلخص فى كلمتين او ثلاث وهى ذكرى الحبيبة والتلهف لرؤيتها ـ وان كان هناك تناسب بين عناصر القصيدة الا ان المبنى الخارجى للصياغة ينفصل احيانا عن المعنى او الهدف نظرا لقلة شأنه مما اثر على اكتمال الصورة الفنية . . ولا شك ان الشاعر يمتلك موهبة الحرف وصدق الاحساس الا ان التعامل مع المواضيع او الاغراض العاطفية يكون محدود التأثير ـ ولعل هذا الكلام ينطبق على اكثر قصائد المشتار السابقة ففى هذا العصر الذى تتحطم فيه القيم ويحاك للعروبة والاسلام يضيق المجال باللواعج العاطفية والمغامرات الغرامية الى الحاجة للشعر بأن يحمل قضية وهمّاً تلجّ به صدور المشردين والثكالى مما يعطى القصيدة قيمة وزخما يفوح به عبقها عبر التاريخ الخالد .

ولكن على اية ـ فقصيدة الحرف الصامت تحمل كثيرا من مقومات الشعر وعناصره .

يذكرني:

قصيدة من قصائد الخنساء الرائعة التى لوّنتْ الرثاء بروعتها ولوّنها الرثاء بروعته، والرثاء غرض معروف منذ العصور الاولى للشعر، وفيه تفجع على الميت وحديث عن مآثره الى جانب الصدق الفنى اذا كان الشاعر صادقا فى عاطفته . . وقد سئل اعرابى لماذا اصدق شعركم وأروعه الرثاء فقال: لأنا نقوله وقلوبنا تتقطع . والخنساء شاعرة مطبوعة ترسم صورا فنية رائعة من خلال رثائها لاخويها صخر ومعاوية وقصيدة «يذكرنى» احدى المرثيات التى نالت شهرة واسعة فى ميدان الادب العربى . . نظرا لرقتها . . وجمال صورها . . وسلاسة قافيتها . . التى جاء رويّها بالسين وهو صوت مهموس هادىء يورث جرسا موسيقيا سهلا . ولو اردنا أن نقف عند صور هذه القصيدة لطال بنا المقام ولكن على سبيل المثال نأخذ البيت الاول وهو:

يؤرقنى التذكر حين أمسى
فأصبح قد بليت بفرض نكسى

■ فاختيار المساء لتذكر اخيها فيه مدلولات اجتماعية تشير الى حياة البادية الذين يفترقون فى الصباح اما للرعى او للزراعة ويجتمعون فى المساء . . تحت ضوء القمر . . وعلى لحوم البدن . . وموائد الشيوخ . . فهنا تفتقد الخنساء اخاها الذى كان سراجا لاولئك القوم وداره مفتوحة لهم وتحترس من أن يظن انها قد تنساه فى الصباح واذا بها تعود بهمٍّ اكبر كأنه انتكاس المريض الذى عادة ما يكون اشد من المرض نفسه . ويخيم على جو القصيدة التعبير الوجدانى الصادق الذى ولد صورا فنية رائعة اهتز لها المتلقى .

■ وفى البيت الثامن اشارة الى تذكر صخر حتى فى لحظات السعادة التى تبثها اشعاعات الشروق ولحظات الحزن كى يزداد غمها وهمها حتى تهم بقتل نفسها لولا بوارق العزاء التى تتسرب اليها من خلال البكاة الذين يندبون اقاربهم واخوانهم . وتتألق الخنساء فى احتراسها البلاغى الذى توضح فيه ان اخاها يختلف عن هؤلاء الاموات لانه فى مكان لا يسمو اليه احد من هؤلاء فى العزة والشرف والرفعة والكرم .

الصحة العامة

قبل الحديث عن الصحة العامة فى صدر الاسلام نرى ان نشير الى الطب وصلته بحياة الانسان عند العرب منذ القديم وهو امر طبيعى لما للطب من اهمية كبيرة لصحة الانسان، فبه تصح الابدان والنفوس، غير اننا نلاحظ ارتباط التطبيب بالسحر فى تلك العصور، وذهب علماء اللغة الاقدمون الى ابعد من هذا عندما عدوا الطب مرادفا للسحر،

قال ابن الاسلت :

الا مَنْ مُبلغٌ حسانَ عَنى
أطبٌ كان داؤك أم جنون(١)



غانم عبد الله خلف — مصر

■ وذكر ابو عبيد فى كتاب (غريب الحديث) ان النبى ﴿ﷺ﴾ احتجم على رأسه بقرن حين طب (أى سُحِر)(٢).

■ من هذا يتبين لنا قيام السحرة والكهان بتطبيب المرضى عن طريق الاستعانة بالرقى والتعاويذ للشفاء من الامراض التى اصابتهم(٣) وبقى هذا الاعتقاد لدى الناس لفترات طويلة غير ان الاسلام نبه الى خطأ هذا الاعتقاد ودعا الى الابتعاد عن الكهانة والعرافة فقد قال النبى ﴿ﷺ﴾ : «من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تُقبل له صلاة اربعين ليلة»(٤).

ومع ذلك بقى الجهلة من الناس وبخاصة اهل القرى الذين لا تساعدهم احوالهم المعاشية على مراجعة الاطباء يعتقدون بأمكان الشفاء من الامراض عن طريق السحر والرقى والتعاويذ

في صدر الإسلام



لاستخراج وطرد الارواح الخبيثة التى تدخل الاجسام فتسبب لها الامراض(٥).

وانعكست اهمية الطب فى حياة الناس على من مارس مهنة التطبيب حتى اصبحت لهم منزلة رفيعة بين الناس فقد قال المرتضى عن زهير بن جناب: «كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن فى غيره من اهل زمانه كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم ـ والطب فى ذلك الزمان شرف ـ وحازى قومه ـ والحزاة الكهان ـ وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم»(٦).

■ لقد عرف العرب قبل الاسلام امراضا كثيرة حاولوا علاجها بالوسائل المتاحة لديهم آنذاك كما كانوا يعرفون عدوى بعض الامراض لذلك كانوا يتجنبونها ولا يقتربون من الشخص المصاب بها. . اما اشهر الامراض التى تعرض لها العرب فنذكر منها: العمى والعور والتهاب العيون والرمد ومنها ما يصيب الجلد مثل البرص (الوضح) والبهق والحكة والدمامل والبثور والجرب والقرح، ومنها امراض داخلية مثل اوجاع المعدة والكبد واليرقان والصداع والشقيقة وذات السجلب وأوجاع المفاصل والعظام والفالج والسل والحمى وأمراض اجهزة البول وأمراض القلب والرعشة والجنون والامراض العصبية وغيرها من الامراض التى لا تزال معروفة الى يومنا هذا(٧).

■ اما اشهر اطباء فترة ما قبل الاسلام فنذكر منهم الحارث بن كلدة الثقفى الذى عد طبيب العرب فى وقته وأصله من ثقيف من اهل الطائف تعلم الطب فى فارس واليمن وبقى الى ايام الرسول ﴿ﷺ﴾ وابى بكر(٨) وعمر وعثمان وعلى ومعاوية (رضى الله عنهم) وقال له معاوية ما الطب يا حارث؟ فقال: الأزم يا أمير المؤمنين يعنى الجوع(٩). . ويروى عن سعد بن ابى وقاص انه قال: مرضت مرضا فعادنى الرسول ﴿ﷺ﴾ فقال لى «إئت الحارث بن كلدة فانه رجل يتطبب فأمر الرسول ﴿ﷺ﴾ بإتيان الاطباء ومساءلتهم عما بين ايديهم(١٠). . ومن حكم الحارث: «من سره البقاء والابقاء فليباكر الغداء وليخفض الرداء وليقلل غشيان النساء»(١١). . ومن حكمه ايضا فى اثناء محاورته كسرى انو شروان: «شر الداء ادخال الطعام على الطعام»(١٢) ومن اقواله ايضا: «لا تدخله اى الحمام» شبعانا ولا تغش اهلك سكرانا ولا تقم بالليل عريانا ولا تقعد على الطعام غضبانا وارفق بنفسك يكن ارخى لبالك وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك»(١٣) وله ايضا: «لا تتزوجوا من النساء الا شابة ولا تأكلوا الفاكهة الا فى أوان نضجها ولا يتعالجن احد منكم ما احتمل

عرف العرب الطب منذ أيام الجاهلية لاختلاطهم بالشعوب الأخرى وظهر فيهم حكماء.

اهتم الاسلام بصحة الانسان البدنية والنفسية والبيئية

بدنه الداء.. واذا تغدى احدكم فلينم على اثر غدائه واذا تعشى فليخط اربعين خطوة»(١٤).

■ ويقال ان الحارث كان شاعرا وقد ذكر له ابو العلاء المعرى ابياتا من الشعر يقول فيها:

فما عسل ببارد ماء مزن
على ظمأ لشارب يشاب
باشهى من لقيكم الينا
فكيف لنا به ومتى الاياب(١٥)

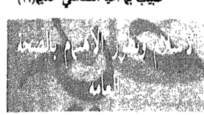
■ ومن اطباء العرب المشهورين النضر بن الحارث بن كلدة الذى سافر كأبيه الى البلدان واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء كثيرة واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة وتعلم من ابيه الطب.. وكان النضر يؤاتى ابا سفيان فى عداوة النبى ﴿ﷺ﴾ ولما كان يوم بدر حيث انتصر فيه المسلمون على المشركين كان النضر من ضمن اسرى المشركين(١٦).

اما ضماد بن ثعلبة الازدى فهو من أزد شنوءة كان صديقا للنبى ﴿ﷺ﴾ قبل البعثة خرج يطلب العلم ثم عاد الى مكة معتمرا فسمع اهلها يتهمون محمدا بالسحر والكهانة والجنون فقال ضماد للنبى ﴿ﷺ﴾: يا محمد انى اداوى من الريح فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك.. فتشهد الرسول ﴿ﷺ﴾ وتكلم كلاما اعجب ضمادا حتى انه قال: لم اسمع مثل هذا الكلام قط لقد سمعت كلام الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل هذا.. فأسلم وبايع عن نفسه وقومه(١٧).

وأما ابن ابى رمثة فقد كان هو كذلك طبيبا ماهرا مزاولا لاعمال اليد وصناعة الجراح. ذكر انه قدم على النبى ﴿ﷺ﴾ ورأى بين كتفيه الخاتم فقال له: انى طبيب فدعنى اعالجه فقال: انتَ رفيق والطبيب الله(١٨).

■ وكان هنالك طبيب اخر يدعى ابن حذيم وهو من تيم وبه فسر قول اوس بن حجر:

فهل لكم فيها الي فإنني
طبيب بما أعيا النطاسي حذيما(١٩)



ان العرض السريع الذى قدمناه يبين ان للعرب معارف طبية وصحية بعضها بسيط بدائى وبعضها الآخر معارف متقدمة على الأولى وذلك لان الذين مارسوها كانوا ممن سافر الى البلدان لدراسة الطب والافادة من تجارب الآخرين.

ولما جاء الاسلام أحدث نقلة نوعية فى مجال الطب والثقافة الصحية حيث اكّد من خلال التعاليم التى وردت فى القرآن الكريم على الصحة العامة وصحة الفرد فدعا مثلا الى عدم الاسراف فى الطعام والشراب والالتزام بالنظافة والوضوء بالماء الطاهر خمس مرات باليوم قبل الصلاة وكذلك دعا الى الصوم واجتناب الناس المصابين بالامراض المعدية وحرم الميسر والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ونهى عن زواج المصابين بالامراض النفسية والمعْدِيّة والوراثية المشوهة وغيرها من المواضيع الطبية والصحية التى لها علاقة بحياة المسلمين.

وجاءت الاحاديث النبوية الشريفة فى هذا المجال لتؤكد التعاليم والقواعد الصحية التى وردت فى القرآن الكريم وتفسرها للمسلمين حفاظا على صحتهم من الامراض.

■ إنَّ الأحاديث الشريفة التى تخص الصحة العامة والتى اصطلح على تسميتها مجتمعة بـ (الطب النبوى) انها تتناول مواضيع طبية فيها منافع جسدية ونفسية وبيئية واجتماعية واخلاقية تفيد الفرد والمجموع على حد سواء وتدعو الى بناء مجتمع اسلامى صحى بعيدا عن طب الكهانة والعرافة والدجل. فقد تطرق الرسول ﴿ﷺ﴾ الى ذكر اصناف الامراض وعلاجاتها وأنواع الاطعمة وفوائدها وطرق الوقاية من الامراض المعدية كما نظم الرسول ﴿ﷺ﴾ العلاقة بين المريض والطبيب وغيرها من المواضيع الطبية.

■ ان دراسة التعاليم الطبية النبوية دراسة هادئة ودقيقة ستتيح لنا دون شك التوصل الى ان الرسول ﴿ﷺ﴾ انما أولى اهتماما كبيرا لصحة الانسان وأعطاها مكانة رفيعة فى الحياة الدنيا فقد قال ﴿ﷺ﴾: «من أصبح منكم معافى فى جسده، آمنا فى سربه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت (جمعت) له الدنيا»(٢٠). . كما دعا الرسول ﴿ﷺ﴾ الناس الى الاعتدال والموازنة فى الحياة وحدد لهم القواعد والمناهج التى تحفظ صحة الفرد والمجتمع وصحة البيئة وحدد أسس الطب الوقائى فقد قال ﴿ﷺ﴾: «كلوا واشربوا وألبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة (تكبر)»(٢١) وأعطى الرسول ﴿ﷺ﴾ للمداواة قيمة كبيرة وحث المرضى على التداوى للشفاء من الامراض فقد قال ﴿ﷺ﴾: «تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء الا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم»(٢٢).

الصحة البدنية

لقد أكد الاسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية على الصحة البدنية وأولاها اهتماما خاصا وأهم مبدأ من مبادىء العناية بصحة الجسم هو النظافة حيث اشترط الاسلام على اتباعه الطهارة والغسل والوضوء - فهى إضافة الى جوانبها التعبدية ومزاياها الروحية - فانها أيضا تعمل على إزالة الاوساخ والانجاس التى تساعد على انتشار الامراض والفتك بالانسان. فقد قال





الرسول ﴿ﷺ﴾: «الطهور شطر الايمان»(٢٣) ومن منطلق النظافة أكد الرسول ﴿ﷺ﴾ على الاهتمام ببعض مناطق الجسم والتى تصلح ان تكون عوامل مساعدة فى تراكم الاوساخ والجراثيم فقال: «خمس من الفطرة تقليم الاظافر، وقص الشارب، ونتف الابط، وحلق العانة، والاختتان»(٢٤).

■ وقد حث الرسول ﴿ﷺ﴾ على الاهتمام بالاسنان والعمل على تنظيفها مما علق بها من بقايا الطعام منعا من تسوسها وتلفها وكان عود السواك (الاراك) هو الوسيلة المستخدمة آنذاك للتنظيف وتطييب الفم وتقوية اللثة. قال ﴿ﷺ﴾: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»(٢٥) وقال ايضا: «لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة»(٢٦).

كما دعا الرسول ﴿ﷺ﴾ الى الاعتدال فى الطعام والشراب والابتعاد عن الافراط والشره فى تناول الاغذية والاشربة سواء من حيث الكمية او النوعية لان فى هذا ضررا صحيا يظهر من خلال التخمة وسوء الهضم واجهاد المعدة والامعاء وهذا ما تؤكده حتى الدراسات الطبية الحديثة.. فقد قال النبى ﴿ﷺ﴾: «ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه.. حسب الادمى لقيمات يقمن صلبه.. فإن غلبت الادمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس»(٢٧). وقال ايضا: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الاربعة»(٢٨).

■ ومن مظاهر اهتمام الرسول ﴿ﷺ﴾ بالصحة البدنية تأكيده على سلامة النظر والمحافظة على العيون من الامراض وقد حث ﴿ﷺ﴾ على استعمال الاثمد (الكحل الاسود) لانه يساعد على حفظ صحة العين ويقويها اضافة الى كونه يستخدم للزينة والتجميل. قال ﴿ﷺ﴾: «عليكم بالاثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر»(٢٩) كما دعا عليه الصلاة والسلام الى استخدام ماء الكمأة لمعالجة امراض العيون قال ﴿ﷺ﴾: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»(٣٠).

■ كذلك اهتم الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ بالشعر ودعا الفرد المسلم الى العناية بشعره من خلال نظافته المستمرة وتسريحه كى يضفى على الشخص شكلا مقبولا ورائحة زكية قال ﴿ﷺ﴾: «من كان له شعر فليكرمه»(٣١).

وللمزيد من العناية بالشعر وتقويته وتحسينه واخفاء الشيب عنه نصح ﴿ﷺ﴾ بإستعمال الحناء والكتم وهو نوع من النبات يشبه الاس يستخدم مدقوقا فقد قال ﴿ﷺ﴾: «ان احسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم»(٣٢).

ولا يفوتنا ان نذكر ان الرسول عليه الصلاة والسلام تعرض للحالات الشائعة التى كانت تصيب الناس في اجسامهم ونصح بطرق الوقاية والعلاج الضرورى لها. وله فى هذا احاديث كثيرة منها ما تناولت التخمة والحمى

واستطلاق البطن وعرق النساء والجرح وذات الجنب والغذرة وغيرها من الامراض.

■ ولابد ان نذكر كذلك انه «ﷺ» أكد على بعض طرق العلاج للشفاء من الامراض وبعضه كان متعارفاً عليه قبل الاسلام.. فقد أشار الى اهمية تناول العسل واستعمال الحجامة واللجوء الى الكي ولكن عند الضرورة فقط.. ومن الضروري الاشارة الى مسألة مهمة أكد عليها النبي «ﷺ» في أحاديثه الا وهي الامتناع الكلي عن التداوي بالمواد المحرمة مثل السم والخمر ولحوم الافاعي لان الاساس في تحريم هذه الاشياء انما يأتي من كونها خبيثة وليس من المناسب ان يطلب بها الشفاء من الاسقام والعلل فانها وان اثرت فعلا في ازالة الامراض لكنها ستترك سقما اعظم في القلب والنفس.. قال الرسول الكريم «ﷺ»: **«إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام»(٣٣).**

الصحة النفسية

لقد اهتم الاسلام بالانسان وأعطاه المكانة الرفيعة التي يستحقها وميزه عن سائر المخلوقات التي جعلها في خدمته وطوع بنانه.. وخلق الله سبحانه وتعالى الطبيعة لتكون تحت تصرف الانسان ليسعد ويهنأ في الحياة الدنيا ويحافظ على نوعه.. ولم يكتف الاسلام بأن هيأ للمؤمنين كل مقومات العيش وانما اهتم كذلك بمشاعرهم وأحاسيسهم وخلجات قلوبهم ونفوسهم باعتبارها من الامور الاساسية المكملة لسعادة الانسان المسلم والمحافظة على صحته.. فليس هنالك من شك ان صحة النفس تترك آثارها على صحة البدن بقدر او بآخر وهذه المسألة عرفها بعض العرب قديما فعالجوا مرضاهم عن طريق الرقى والتعاويذ لطرد الارواح الشريرة والخبيثة.. ولما جاء الاسلام منع اكثر هذه الطرق وحرمها واستخدمت العلاجات الروحية الاسلامية بدلا منها عن طريق ما يسمى بالطب الروحاني وهو الطب الذي يهتم «بكمالات القلوب وآفاتها وامراضها وادرائها وبكيفية حفظ صحتها واعتدالها»(٣٤).

واساس الاعتقاد بصدق العلاجات الروحية كما جاءت في هدى الرسول «ﷺ» انما يتأتى من «الاعتماد على الله والتوكل عليه والالتجاء اليه والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب.. فإن القلب متى اتصل برب العالمين وخالق الداء والدواء ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية اخرى غير الادوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعْرض عنه.. وقد علم ان الارواح متى قويت وقويت النفس تعاونا على دفع الداء وقهره، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه.. ان يكون ذلك لها من اكبر الادوية وتوجب لها هذه القوة دفع الالم بالكلمة»(٣٥).

■ لقد حث الرسول الكريم «ﷺ» المسلمين على معالجة بعض الامراض التي تصيبهم عن طريق الرقية الالهية (اي التعوذ من شر الشيء) وذلك بالتوجه الى الله سبحانه وتعالى والدعاء اليه وتلاوة آيات من القرآن الكريم فقد روى ابو داود عن ابي الدرداء قوله: سمعت رسول الله «ﷺ» يقول: **«من اشتكى منكم شيئا او اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والارض، كما رحمتك في السماء، فأجعل رحمتك في الارض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين، انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على**

هذا الـوجـع . . فيـبرأ بإذن الله»(٣٦). وروى الامام مسلم عن أبى سعيـد الخدرى: «ان جبريل عليه السـلام أتى النبى ﴿ﷺ﴾ فقال: يا محمد اشتكيت؟ فقال: (نعم) فقـال جبريل عليه السلام باسم الله أرقيـك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك باسم الله ارقيك»(٣٧).

■ ومن باب راحة النفس وإبعادها عن كل ما يؤذيهـا ويـسـبـب لها الـتشـاؤم والقلق والاضطـراب ولاجـل ان يحيـا الانسـان المسلم حيـاة هادئـة وادعـة بعيـدا عن الاهتـزازات النفسيـة فقـد حث الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ المسلمين الى التفـاؤل بأمـور الحياة وإبعاد النفس والعقل عن التشاؤم . . فقد روى ابن ماجـه عن أبى هريـرة قولـه: كان النبى ﴿ﷺ﴾ يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة (التشاؤم)(٣٨).

■ لقد استخدمت الرقية الالهية فى معـالجـة حالات كثـيرة تصيب الانسـان المسلم . . فقـد رخص الـرسـول الـكـريـم ﴿ﷺ﴾ استخدامها لمعالجة الحمى والعين والـنـمـلة (وهى قروح تخرج من الجنب) ومعـالجـة لدغـة الحية والعقرب والقرحة والجرح والوجع والهم والغم والحـزن والمصـائب والفزع والارق والحريق والسحر. وهنـالـك أحـاديث نبـويـة كثـيرة تتعرض لكل حالة من هذه الحالات(٣٩).

ولابـد لنـا فى هذا المجال ان نشـير الى ان العلاجات الروحية الإلهيـة التى يلجأ اليهـا المسلم والتى رخصهـا الـرسـول الكريم ﴿ﷺ﴾ انما الغاية منها منع وقوع الامـراض النفسية جهد الامكان وان هى وقعت لم يكن وقـوعهـا مضـرا . . فالتعوذات والاذكار اما ان تمنـع وقوع هذه الامراض واما ان تحول بينهـا وبـين كمال تأثيرها وهـذا متـوقف بالطبـع على كمال الشخص المتعوذ وقوته وضعفه . . فالـرقى والتعـاويـذ اذن تستعمل لحفظ الصحة ولازالة المرض(٤٠).

صحة الشراب والطعام

يعـد الشـراب والطعـام من أساسيات حياة الانسان لذلك فإن الدعوة الى الاهتمام بهما من جميع الـوجوه انما يعنى الاهتمام بصحة الانسـان وسـلامتـه من الامراض على اختـلاف اشكـالها وقد تنبه الاسلام الى هذه المسألة الجوهرية وحـذر المسلمين من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من اهمال هذا الجـانـب لان فى هذا ضررا صحيا وبدنيا ونفسيا كبيرا.

فلأجل المحافظة على الشراب من التلوث بالاوسـاخ والجـراثيم والذباب فقد حث الرسول ﴿ﷺ﴾ على تغطية الاناء وربط السقاء . . قال ﴿ﷺ﴾: (اغلقـوا البـاب، واوكـوا السقاء، واكفوا الاناء، او خمدوا الاناء، وأطفوا المصباح فإن الشيطان لا يفتح غلقا ولا يحل وكاء ولا يكشف انـاء وان الفـويسقـة تضرم على الناس بيتهم»(٤١). كما نهى الرسول ﴿ﷺ﴾ عن الشرب من فم السقـاء فقـد روى الامام مسلم عن ابى سعيـد الخـدرى قولـه: «نهى رسـول الله ﴿ﷺ﴾ عن اختناث الاسقية: ان يشرب من افـواهها»(٤٢) والنهى هنا جاء لاعتبارات صحية منها: أن تكرار انفـاس الشـارب على فم السقاء يجعل رائحته كريهة تعافها النفس كذلـك تخرج من انفاس الانسان مئـات البكـتريـا والتنفس فى الماء ينقل تلك البكتريا من شخص الى آخـر. كما حذر الـرسول ﴿ﷺ﴾ عن التنفس فى اناء الشرب والنفخ فيه لان هذا يكسب الشراب رائحة كريهة، واذا كان الشخص الشارب شديـد العطش فلا بأس ان يبعد الاناء عن فمه عند تنفسه ثم يعود ثانية لاتمام شرابه. قال ﴿ﷺ﴾: اذا شرب احـدكم فلا يتنفس فى الاناء فإذا اراد ان يعود فلينح الاناء ثم ليعـد ان كان يريـد»(٤٣). .

ولاجل المحافظة على الماء من التلوث كان نهى الرسول ﴿ﷺ﴾ وتحذيره للمستيقظ من نومه بضرورة غسل يده ثلاث مرات قبل ان يدخلها فى الاناء فربما لامست اليد فى اثناء النوم شيئا ملوثا او حشرة او اوساخا قال صلى الله عليه وسلم: «اذا استيقظ احدكم من نومه فلا يغمس يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاثا فإنه لا يدرى أين باتت يده»(٤٤).

ومن مظاهر اهتمام الاسلام بصحة الماء وابعاده عن مصادر التلوث هو تأكيد النبى ﴿ﷺ﴾ على الابتعاد عن التبول او التبرز فى الماء وخاصة الراكد منه او قرب موارده.. والالتزام بهذه الوصايا والتأكيدات يعنى استمرار بقاء الماء نظيفا خاليا من عوامل التلوث والامراض.. عن ابى هريرة عن النبى ﴿ﷺ﴾ انه قال: لا يبولن احدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل منه»(٤٥). وروى ابن ماجة عن معاذ بن جبل انه قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد والظل وقارعة الطريق»(٤٦).. ولا يفوتنا ان نذكر كذلك ان الرسول ﴿ﷺ﴾ نهى المسلمين عن الاغتسال فى الماء الراكد لان هذا الماء يكون ملوثا بخلاف الماء الجارى حيث يكون نظيفا تتوفر فيه مقومات الصحة والعافية.. قال ﴿ﷺ﴾: «لا يغتسل احدكم فى الماء الدائم وهو جنب»(٤٧) ولكى يكون الماء صحيا تماما ذا فائدة كبيرة للانسان لابد ان يكون صافيا عديم الرائحة عذب الطعم طيب المجرى والمسلك بعيد المنبع معرضا للشمس والرياح سريع الجرى والحركة، له كثرة تدفع الفضلات المخالطة له، وأخيرا ان يكون اتجاه مجراه من الشمال الى الجنوب او من المغرب الى المشرق(٤٨).

ومثلما أولى الاسلام اهتماما بالشراب فانه اهتم كذلك بغذاء المسلم ولهذا جاء تحريم الاسلام للاطعمة الضارة بصحة المسلمين كالميتة والدم ولحم الخنزير وضمن هذا السياق ايضا فإن الرسول ﴿ﷺ﴾ يقول: «كل ما ألقى البحر، اوجزر فكلوه، وما مات فيه وطفا فلا تأكلوه»(٤٩).

ولاجل ان يكون الطعام شهيا مفيدا للجسم محافظا على رائحته بعيدا عن الزهومة فإن النبى ﴿ﷺ﴾ لم يكن ينفخ فيه فى اثناء الاكل وكان ينصح المسلمين بهذا.

روى ابن ماجة عن عكرمة عن ابن عباس قوله: «لم يكن الرسول ﴿ﷺ﴾ ينفخ فى طعام ولا شراب ولا يتنفس فى الإناء»(٥٠) ولكى يكون الطعام مباركا ويعم الخير بيوت المسلمين فالواجب يقتضى التزامهم بالاصول الصحيحة لتناول الطعام وذلك من خلال قيامهم بالوضوء قبل الطعام وبعده.. فقد قال ﴿ﷺ﴾: «بركة

«من أصبح منكم معافى فى جسده آمناً فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا..»

- **قوة الايمان بالله سبحانه والتوكل عليه خير توكله وسيلة فاعلة فى ابعاد النفس الانسانية عن مخاطر القلق والاضطراب النفسى.**
- **معدة الانسان قد تكون فى بعض الاحيان وعاء شرٍّ عليه ولذا أوصى الاسلام بعدم الاسراف فى الأكل والشرب.**

الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده»(٥١) وقال صلى الله عليه وسلم كذلك: «من احب ان يكثر الله خير بيته فليتوضأ اذا حضر غداؤه واذا رفع»(٥٢) ولا يفوتنا ان نذكر ان الاسلام قد نهى اتباعه ان يحرموا على انفسهم أى نوع من انواع الاغذية بدافع الزهد فى الحياة، لان هذا العمل يحرم المسلم من فوائد هذا النوع مما يترتب عليه اضرار صحية تحدث نتيجة هذا التحريم غير المبرر.. قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيّبات ما أحل اللهُ لكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يُحبُّ المعتدين﴾(٥٣) وعن انس رضى الله عنه: ان نفرا من اصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ كانوا يقولون انهم لا يتزوجون النساء ولا يأكلون اللحم ولا ينامون على فراش ويصومون ولا يفطرون.. فلما سمع الرسول ﴿ﷺ﴾ قولهم هذا قال ﴿ﷺ﴾: «ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا؟ لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى»(٥٤).

■ وأخيرا فاننا اذا تدبرنا اغذية الرسول ﴿ﷺ﴾ وما كان يأكله وجدناه لم يجمع بين غذائين حارين ولا باردين ولا قابضين ولا مسهلين ولا غليظين ولا مرخيين ولا بين مختلفين كقابض ومسهل وسريع الهضم وبطيئه ولا بين شوى وطبيخ ولم يكن ﴿ﷺ﴾ يأكل طعاما فى شدة حرارته ولا طبيخا بائتا يسخن له بالغد ولا شيئا من الاطعمة العفنة والمالحة كالمخلّلات والمملوحات.. كما كان ﴿ﷺ﴾ يصلح ضرر بعض الاغذية مع بعضها الآخر ان امكنه ذلك فيكسر حرارة هذا ببرودة ذاك ويبوسة ذاك برطوبة هذا، كما يفعل بالقثاء والرطب وكما كان يأكل التمر بالسمن.. وكان ﴿ﷺ﴾ ينهى عن النوم على الاكل وان يشرب الماء على الطعام لان هذا الفعل يفسد الطعام لا سيما اذا كان الماء حارا او باردا.. كما نهى ﴿ﷺ﴾ عن شرب الماء عقب الطعام وقبله فهذا مناف لحفظ صحة الانسان(٥٥).



لقد أكد الاسلام على نظافة الملابس ونبه اتباعه الى ضرورة التقيد بهذا التوجه لان فيه منفعتهم وسلامتهم الصحية البدنية والنفسية والفكرية.. ولان من اهم الشروط الواجب توفرها فى صلاة المسلم هو شرط طهارة ثيابه مما علق بها من اوساخ وأنجاس.. ولكى يطمئن المسلم الى نظافة ملابسه وهو يؤدى التزاماته الدينية بصورة صحيحة فان الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ رغب جماعته وحثهم على ارتداء الثياب البيضاء اللون، ذلك ان البياض يظهر فيه الوسخ اكثر من غيره مما تستدعى الضرورة تنظيفه بأستمرار فقد قال ﴿ﷺ﴾: «البسوا ثياب البياض

فانها أظهر وأطيب»(٥٦) وزيادة فى الاهتمام بأمر الملابس من الناحية الصحية فان رسولنا الكريم ﴿ﷺ﴾ كان يحبذ لبس الثياب المصنوعة من القطن والكتان لانها تدفىء البدن ولا تسخنه. فثياب القطن معتدلة الحرارة اما ثياب الكتان فهى باردة يابسة.. فقد ذكر أنس بن مالك ان احب الثياب الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ هى الحبرة وهى ثياب القطن اوالكتان المزينة(٥٧) اما الحرير فمع كونه معتدل الحرارة وألين من القطن فان الشريعة لم ترخص لبسه الا للنساء فقط «لتصبر النفوس عنه وتتركه لله فتثاب على ذلك».. ولأنه خلق فى الاصل للنساء كالحلية بالذهب فحرم على الرجال لما فيه: من مفسدة تشبه الرجال بالنساء.. ولما يورثه من الفخر والخيلاء والعجب.»(٥٨).

■ اما الحديث عن صحة السكن فانه يقودنا ولا شك الى تصور حالة مساكن المسلمين البسيطة فى تشييدها وتعليتها وزخرفتها وسعتها وذلك لقناعة الرسول واتباعه بان الدنيا مرحلة وقتية زائلة وان الاخرى هى المستقر للمسلم وعليه فان مساكن المسلمين كانت للوقاية من الحر والبرد والتستر عن العيون ومنع دخول الدواب ولا يخاف سقوطها لزيادة ثقلها ولا تعشش فيها الهوام بسبب سعتها ولا تعتورها الاهوية والرياح المؤذية لارتفاعها وليست تحت الارض ولا فى غاية الارتفاع بل هى وسط، وتلك احسن المساكن وانفعها واقلها حرا وبردا ولا تضيق على ساكنها فينحصر ولا هى واسعة بغير منفعة فتأوى الهوام فى خلوها(٥٩).

وزيادة فى المحافظة على صحة السكن وجعله بعيدا عن تراكم الاوساخ والقاذورات فقد حث الرسول ﴿ﷺ﴾ المسلمين على الاهتمام بنظافة مساكنهم.. قال ﴿ﷺ﴾ «ان الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود.. فنظفوا أفناءكم وساحاتكم»(٦٠) كذلك وجه النبى ﴿ﷺ﴾ المؤمنين الى اماطة الأذى عن طريق الناس لكى يسهل مرورهم من والى دورهم(٦١)..

قال ﴿ﷺ﴾ : «بينما رجل يمشى فى طريق اذ وجد غصن شوك فأخّره فشكر الله له فغفر له»(٦١). كما نبه رسولنا الكريم المسلمين الى الابتعاد من المسيئين الذين يتغوطون فى طرقات الناس وفى مستظلهم الذى اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه ويقعدون فيه . . عن ابى هريرة ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «اتقوا اللعانين» قالوا: وما اللعانان يارسول الله؟ قال «الذى يتخلى فى طريق الناس او فى ظلهم»(٦٢) ونهى الرسول ﴿ﷺ﴾ عن جلوس المسلمين فى الطرقات واذا كان لابد من جلوسهم فعليهم مراعاة حرمة الطرقات والالتزام بها حتى لا تكون منهم اساءة للناس فى بيوتهم وفى مساكنهم: روى الامام مسلم عن ابى سعيد الخدرى عن النبى ﴿ﷺ﴾ انه قال: «اياكم والجلوس فى الطرقات» قالوا: يارسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. قال «فاذا ابيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حقه؟ قال «غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر»(٦٣).

الوقاية من الامراض السارية

عند الحديث عن الصحة البدنية والنفسية وصحة الشراب والطعام واللباس والسكن تطرقنا الى المبادىء والتعاليم الصحية التى أكدها رسول الله ﴿ﷺ﴾ وحث المسلمين على التمسك بها والسير على هديها لان فى هذا سلامة المسلم من الامراض وابتعاده عن العدوى بها. . ومع هذا فاننا سنتطرق الى مقومات الوقاية من الامراض قبل ووقت حدوثها استكمالا لهدى رسولنا الكريم فى الصحة العامة للمسلمين.



ان اهم مبدأ من مبادىء الوقاية من الامراض قبل حدوثها هو التأكيد المستمر على النظافة والطهارة فى الجسم والمسكن والملبس والطعام والشراب. . والنظافة كما هو معروف تشكل عائقا كبيرا أمام انتشار الجراثيم وبالتالى انتشار الامراض على عكس الاوساخ التى تعد البيئة الملائمة لانتشار عوامل الامراض.

■ وهنالك آيات كثيرة فى القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة تؤكد على نظافة المسلم من جميع الوجوه فلا تقبل من المؤمن عباداته ما لم تكن مقرونة بالنظافة. . قال سبحانه وتعالى ﴿*إنّ الله يُحبّ التوابين ويُحبّ المتطهرين*﴾ (٦٦)

وأكد الاسلام على جانب مهم من جوانب المحافظة على حياة الانسان المسلم وجعلها بعيدة عن الاصابة بالامراض، وذلك من خلال تطبيق نظام الطعام والشراب من حيث النوعية والكمية قال صلى الله عليه وسلم: «يأكل المسلم فى معي واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»(٦٧) وكان الصوم ولا يزال من العوامل المساعدة فى حفظ الصحة لان فيه راحة الجهاز الهضمى وبقية اجهزة الجسم الأخرى إضافة إلى فوائده التربوية والاخلاقية التى يؤكدها الاسلام ويحث عليها. . وبهذا الصدد يقول ابن قيم الجوزية «الصوم جنة من أدواء الروح والقلب والبدن، منافعه تفوق الاحصاء وله تأثير عجيب فى حفظ الصحة. . وفيه خاصية تقتضى إيثاره وهى تفريحه للقلب عاجلا وآجلا. . وهو يدخل فى الادوية الروحانية والطبيعية»(٦٨). . اما الصلاة فشأنها شأن الصوم بالنسبة للانسان المسلم من حيث فوائدها البدنية والنفسية والاخلاقية فهى تنشط البدن والحواس وتبعد الكسل وتقوى القلوب والنفوس وتغذى الارواح وتجلب الخيرات وتطرد الشرور.

■ وكانت الرياضة عند المسلمين مسألة ضرورية لانها تقوى بدن

الانسان وتنشط الدورة الدموية وتنمى الذهن وتنظم عملية التنفس . . وقد حث الرسول ﴿ﷺ﴾ المسلمين على ممارسة الرياضة واكتساب القوة فقال: «المؤمن القوى خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير»(٧٠) . . وله ايضا فى هذا المجال «علموا أبناءكم السباحة والرمى . . والمرأة الغزل»(٧١) .

الوقاية من الامراض وقت حدوثها

ان الغاية الأساسية من الوقاية هنا هى منع انتشار عدوى بعض الامراض التى تصيب الناس . . فلقد أوصى الرسول ﴿ﷺ﴾ المريض الذى عرف عنه انه مصاب بمرض مُعْدٍ ألا يختلط بالناس الاصحاء حتى لا يكون سببا فى عدواهم مما به من مرض . . قال صلى الله عليه وسلم: «لا يورد الممرض على المصح»(٧٢) . . ثم ان النبى عليه السلام لما علم ان هنالك وفدا من ثقيف قادما اليه وفيه رجل مجذوم سارع ﴿ﷺ﴾ بالطلب من هذا الرجل للعودة الى دياره خوفا من ان يكون سببا لعدوى الناس وقال له: «ارجع فقد بايعناك»(٧٣) .

وزيادة فى الحذر من عدوى مرض الجذام فقد أكد عليه السلام على الناس بالابتعاد عمن عرف انه مصاب بهذا المرض السارى فقال ﴿ﷺ﴾ : «لا تديموا النظر الى المجذومين»(٧٤) وشدد رسول الله على تنظيف ما لوثته الكلاب لانها ـ اى الكلاب تسبب للانسان والحيوان مرض داء الكلب كما يسمى فى وقتنا الحاضر. قال ﴿ﷺ﴾ : «اذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات»(٧٥) وذهب عليه السلام الى أبعد من هذا عندما أمر بقتل الكلاب باستثناء كلاب الصيد والماشية والحرث فقال ﴿ﷺ﴾ : «لولا ان الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها الاسود البهيم وما من قوم اتخذوا كلبا الا كلب ماشية او كلب صيد او كلب حرث الا نقص من أجورهم كل يوم قيراطان»(٧٦) .

■ أما الوقاية من عدوى مرض الطاعون فقد نظمها الرسول عليه السلام عندما وضع اساس الحجر الصحى الذى لا يسمح للناس بالدخول والخروج من والى اى مكان موبوء بهذا المرض فقال ﴿ﷺ﴾ : «اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا منها»(٧٧) . . وعن عبد الله بن عامر ان الخليفة عمر رضى الله عنه خرج الى الشام فلما وصل مدينة بسرغ سمع ان الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا

● اكد الرسول صلى الله عليه وسلم على ضرورة الاهتمام بصحة الانسان فى كل جوانبها . وأولاها اهتماما خاصا .

● الزى يمثل الزينة للانسان وينبغى التدقيق فى اختياره من الناحية الصحية .

● إذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى الاناء . .

التزام ومراعاة الظروف الصحية والبيئية والطبيعية فى السكن وانشائه.

الوقاية خير من العلاج، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج.

فرَّ من المجزوم فرارك من الأسد.

منه»(٧٨).. فما كان من الخليفة عمر الا التوقف ولم يدخل الشام فى ذلك الوقت بسبب انتشار الطاعون.

■ وللوقاية من الامراض الزهرية والتناسلية وهى الامراض التى سببها العلاقات الجنسية غير المشروعة، فقد حرم الاسلام الفواحش الجنسية وحث على الزواج من استطاع اليه سبيلا لان من فوائد الزواج غض البصر وابعاد النفس عن الحرام.. فقد قال الرسول «ﷺ»: «يا معشر الشباب عليكم بالباءة فانه اغض للبصر واحصن للفرج فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء»(٧٩) وقال عليه الصلاة والسلام: «لم نر للمتحابين مثل النكاح»(٨٠) وزيادة فى الحيطة والحذر من الامراض المعدية التى من الممكن انتقالها عن طريق الجماع غير المشروع فقد حث الرسول المسلمين على الزواج من النساء الحرائر المعروفات بأخلاقهن الصالحة وسيرتهن الحميدة.. قال «ﷺ»: «من اراد ان يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر»(٨١) وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله «ﷺ» قال: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»(٨٢).

الخاتمة

ان صلة الطب بحياة الانسان قديمة جدا.. وقد مارس العرب - كغيرهم من الامم - التطبيب انطلاقا من اهتمامهم بصحتهم البدنية والنفسية.. وكان اغلب الذين اشتغلوا بالطب من الشيوخ والعجائز والكهان والسحرة حيث اعتمدوا فى معالجتهم للامراض على بعض الادوية البسيطة واستخدموا الرقى والتعاويذ للاستشفاء والى جانب هؤلاء كان هنالك اطباء لهم معارف طبية وصحية متقدمة اكتسبوها من خلال اسفارهم الكثيرة الى البلدان حيث استفادوا من تجارب وخبرات اطباء البلدان التى زاروها.

■ لقد عرف العرب اصنافا كثيرة من الامراض فسعوا الى معالجتها بطرقهم المعروفة آنذاك.. وبرز عدد من الاطباء نذكر منهم الحارث بن كلدة الثقفى والنضر بن الحارث وضماد بن ثعلبة وابن ابى رمثه وغيرهم من الاطباء.

■ ولما جاء الاسلام حدث تطور نوعى فى مجال الطب والثقافة الصحية فقد حثت التعاليم القرآنية على ضرورة الاهتمام بصحة الفرد والمجتمع وكذلك الحال بالنسبة للسنة النبوية الشريفة التى جاءت مؤكدة ومفسرة لما ورد فى القرآن الكريم من قواعد صحية تفيد المسلم.. وقد أبطل الاسلام التطبيب بالسحر والرقى والتعاويذ التى كانت مستخدمة قبل الاسلام واحل محلها الرقية الالهية والعلاجات الروحية الاسلامية.. كما نهى عن التداوى بالمواد المحرمة كالسموم والخمور ولحوم الافاعى.. وجرى التأكيد على صحة الانسان المسلم بدنيا ونفسيا وصحة طعامه وشرابه ولباسه وسكنه كما أشار الى الطرق والقواعد التى بموجبها تتم الوقاية من عدوى الامراض السارية.. وحددت العلاقة بين المريض وطبيبه وغيرها من المواضيع الطبية والصحية.

الهوامش

(١) الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ط٢ مكتبة الحياة بيروت ١٣٠٦هـ، ١/ ٣٥ (طب) «ورواه سيبويه أسحر كان طبك وقد طب الرجل والمطبوب المسحور».
(٢) ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن ابي بكر: الطب النبوي: ط٢ دار احياء التراث العربي - بيروت ١٩٨٢، ص٩٩،١٠٨.
(٣) القسطلاني: شهاب الدين احمد بن محمد: ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ط٨ دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٢٣هـ، ٨/ ٣٦٠.
(٤) مسلم، ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ط٢ دار احياء التراث العربي - بيروت ١٩٧٢، ٤/ ١/ ١٧٥.
(٥) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢ دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٨، ٨/ ٤٠٩.
(٦) المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي: أمالي المرتضى، ط١ دار احياء الكتب ١٩٥٤، ١/ ٢٣٨.
(٧) علي: المفصل ٨/ ٤٠١.
(٨) يروى ان الحارث شهد وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه عندما مات مسموما على يد اليهود. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، (د. ط) دار المعارف بمصر ١٩٦٢، ٣/ ٤١٩.
(٩) ابن جلجل، ابي داود سليمان بن حسان الاندلسي: طبقات الاطباء والحكماء، (د. ط) مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة ١٩٥٥، ص٥٤، ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة: عيون الانباء في طبقات الاطباء، (د. ط) دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٥، ص١٦١، القفطي، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف: تاريخ الحكماء، (د. ط) موسسة الخانجي - القاهرة (د. س) ص١٦١.
(١٠) ابن جلجل: طبقات ص٥٤.
(١١) القفطي: تاريخ ص ١٦٢
(١٢،١٣،١٤) ابن ابي اصيبعة: عيون ص ١٦٣، ١٦٦.
(١٥) رسالة الغفران، ط دار المعارف بمصر (د. س)، ص١٦٦.
(١٦) ابن ابي اصيبعة: عيون ص ١٦٧، ١٦٩.
(١٧) ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى، (د. ط) دار الفكر العربي (د. س) ٤/ ١٧٧-١٧٨، العسقلاني، احمد بن علي بن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة، (د. ط) دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة (د. س)، ٣/ ٤٨٦.
(١٨) ابن جلجل: طبقات ص٥٧-٥٨، ابن ابي اصيبعة: عيون ص١٧٠-١٧١، القفطي: تاريخ ص٤٣٦.
(١٩) الزبيدي: تاج ٨/ ٢٣٨ (حذم).
(٢٠) ابن ماجة، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط) دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي - مصر (د. س) ٣/ ١٣٨٧.
(٢١) العسقلاني، احمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (د. ط) مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٩٥٩، ١٢/ ٣٦٥.
(٢٢) ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني: سنن ابي داود: ط١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٩٥٢، ٢/ ٣٣١.
(٢٣) مسلم: صحيح مسلم ١/ ٢٠٣
(٢٤) ابن انس: مالك: الموطأ، ط١ دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٩، ص٧٩٧.
(٢٥) النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب، سنن النسائي، ط١ دار احياء التراث العربي - بيروت ١٩٣٠، ١/ ١٠.
(٢٦) ابن انس: الموطأ ص٦٨
(٢٧) ابن ماجه: سنن بن ماجة ٢/ ١١١١
(٢٨) ابن انس: الموطأ ص ٨٠٢
(٢٩) ابن ماجة: سنن ابن ماجة ٢/ ١١٥٦
(٣٠) الترمذي: ابي عيسى محمد: سنن الترمذي، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، ط١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٩٦٢، ٤/ ٤٠٠-٤٠١
(٣١) ابو داود: سنن ابي داود ٢/ ٣٩٥
(٣٢) ابن ماجه: سنن ابن ماجه ٢/ ١١٩٦
(٣٣) الترمذي: سنن الترمذي ٢/ ٣٣٥، ابن قيم الجوزية: الطب ص ١٢١ وما بعدها.

(٣٤) الجرجانى : ابو الحسن على بن محمد بن على : التعريفات ، (د. ط) الدار التونسية للنشر ١٩٧١ ، ص٧٤
(٣٥) ابن القيم الجوزية : الطب ص٧
(٣٦) سنن ابى داود ٢/ ٣٣٨
(٣٧) صحيح مسلم ٤/ ١٧١٨ - ١٧١٩
(٣٨) سنن ابن ماجه ٢/ ١١٧٠
(٣٩) للمزيد من التفاصيل راجع الموطأ لمالك بن أنس وصحيح مسلم وسنن ابن ماجه وابى داود والترمذى وكتاب الطب النبوى لابن قيم الجوزية وكتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى.
(٤٠) ابن قيم الجوزية : الطب ص١٤٢-١٤٣
(٤١) ابن أنس : الموطأ ص٨٠٣
(٤٢) صحيح مسلم ٣/ ١٦٠٠
(٤٣) ابن ماجه : سنن ابن ماجه ٢/ ١١٣٣
(٤٤، ٤٥) مسلم : صحيح مسلم ١/ ٢٣٣ ، ١/ ٢٣٥
(٤٦) سنن ابن ماجه ١/ ١١٩
(٤٧) مسلم : صحيح مسلم ١/ ٢٢٦
(٤٨) ابن قيم الجوزية : الطب ص٣٠٣
(٤٩) أبى داود : سنن ابى داود ٢/ ٣٢٢
(٥٠) سنن ابن ماجة ٢/ ١٠٩٤
(٥١) أبى داود : سنن ابى داود ٢/ ٣١١
(٥٢) ابن ماجه : سنن ابن ماجه ٢/ ١٠٨٥١
(٥٣) سورة المائدة : الاية ٨٧
(٥٤) مسلم : صحيح مسلم ٢/ ١٠٢٠
(٥٥) ابن قيم الجوزية : الطب ص١٧٣-١٧٤
(٥٦) ابن ماجه : سنن ابن ماجه ٢/ ١١٨١
(٥٧) مسلم : صحيح مسلم ٣/ ١٦٤ ويراجع ابن قيم الجوزية : الطب ص٦٢
(٥٨) ابن قيم الجوزية : الطب ص٦٣.
(٥٩) ابن ماجه : سنن ابن ماجه ٢/ ١١٨٨
(٦٠) صحيح مسلم ٣/ ١٦٤٧
(٦١، ٦٢) ابن قيم الجوزية : الطب ص ١٨٥-١٨٦ ، ص٢١٦
(٦٣) الترمذى : سنن الترمذى ٤/ ٣٤١
(٦٤، ٦٥) مسلم : صحيح مسلم ١/ ٢٢٦ ، ٣/ ١٦٧٥
(٦٦) سورة البقرة : الاية ٢٢٢
(٦٧) ابن أنس : الموطأ ص ٧٩٩
(٦٨، ٦٩) الطب ص ٢٥٨ ، ص١٩٣
(٧٠) مسلم : صحيح مسلم ٤/ ١٠٥٢
(٧١) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر : الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، ط١ مطبعة مجاذى - القاهرة ١٣٥٢هـ ، ٢/ ١٢٥
(٧٢، ٧٣، ٧٤) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٢/ ١١٧١ ، ٢/ ١١٧٢
(٧٥) مسلم : صحيح مسلم ١/ ٢٣٤
(٧٦) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٢/ ١٠٦٩
(٧٧) العسقلانى : فتح ١٢/ ٢٨٩
(٧٨) ابن أنس : الموطأ ص ٧٨٣
(٧٩) الترمذى : سنن الترمذى ٣/ ٣٩٢
(٨٠، ٨١) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ١/ ٥٩٣ ، ١/ ٥٩٨
(٨٢) مسلم : صحيح مسلم ٢/ ١٠٩

المنظور الإسلامي لبعض القضايا الصحية

بقلم الدكتور:
عبد الله حسين باسلامه

لغويا: بمعنى أزلقه... أو أزاله من مكانه
طبيا: إسقاط الجنين من الرحم أو اخراجه قبل إتمام مدة الحمل أى القدرة على الحياة خارج الرحم بمفرده.

وأقل مدة للحمل فى الماضى كانت ٢٨ أسبوعا، حيث كان يتعذر بقاؤه حياً خارج الرحم اكثر من ذلك.. لكن حديثا منذ عدة سنوات ومع تقدم علم الاجنة ووظائف الاعضاء عند الاطفال حديثى الولادة، امكن للجنين البقاء حيا ومواصلة الحياة ان أسقط من الرحم بعد ٢٢ اسبوعاً وكان وزنه اكثر من ٥٠٠جم (نسبة الحياة لمن هم من ٥٠٠ـ٧٥٠ جرام تصل الى اكثر من ٥٠٪). والحياة بيد الله سبحانه من قبل ومن بعد.

الاجهاض من منظور اسلامي:

■ الاجهاض فى الشرع هو الجنين الذى أسقط قبل اكتمال أقصر مدة من الحمل التى نصت عليها الآيات الكريمة فى القرآن.. وأفتى بها بعض الصحابة رضوان الله عليهم وهى ستة شهور استنتجت من الآيتين الكريمتين ﴿وحملُهُ وفصالُهُ ثلاثون شهرا﴾ الآية.. ﴿والوالداتُ يُرضِعْنَ أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يُتمّ الرَّضاعة﴾ الآيه... وفى اية ثالثة ﴿وفصاله فى عامين﴾.

المضغة غير المخلقة، أو الاجهاض فى القرآن الكريم

الجدير بالذكر أن الاجهاض ورد ذكره فى القرآن الكريم ﴿*يا أيُها الناسُ إنْ كُنتُم فى ريب من البعث فإنَّا خلقناكم من تراب ثُمّ من نُطفة ثم من علقةٍ ثم من مُضغةٍ مُخلَّقةٍ وغير مُخلقةٍ لنبيِّنَ لكم ونُقرُّ فى الأرحام ما نشاء إلى أجلٍ مُسمّى.. ثم نخرجكم طفلا..*﴾ الحج٢٢/٨.

وفسر الامام الطبرى ان غير المخلَّقة: هى ما دفعته الارحام من النطفة وألقته قبل أن يكون خلقا.

وفى حديث النبى ﴿ﷺ﴾ انه قال «اذا وقعت النطفة فى الرحم بعث اللهُ ملكًا فقال ياربّ مخلقة أم غير مخلقة؟ فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما.

■ *نستنتج من هذه الاية والاحاديث أن الاجهاض الطبيعى هو للاجنة غير المخلقة، وهى فعلا*

التى تمجها الارحام، أما اخراج الاجنة المخلقة من الارحام فهذا هو الاجهاض الذى للاسلام رأى فيه.

والاسلام يمنع الاعتداء على الاجنة أو على النطفة المخلقة التى وردت فى الآية والحديث.. لسببين.

أولا: لان للاجنة حرمة.

ثانيا: صونا لحياة الام



أولا: حرمة الاجنة:

الشريعة الاسلامية جعلت للأجنة حرمةً وصيانةً وحقاً.. اورد فيما يلى القواعد الشرعية والادلة فى ذلك.

(١) اذا توفى رجل عن زوجة حامل فانه لا يجوز التصرف فى تركته، مثل أن يرصد نصيب الجنين حتى يولد.. وعلى الورثة ان يتعهدوا ان وضعت الزوجة اكثر من جنين أن يردوا ما أخذوا من نصيب الجنين الثانى.

(٢) اذا حكم على امرأة بالاعدام وكانت حاملا يؤجل تنفيذ الحكم حتى تضع وليدها.. وعلى رأى آخر حتى تتم الرضاعة.. وأجّل النبى ﴿ﷺ﴾ رجم الزانية الحامل، مما يدل على أن الحمل السفاح لا يبرر الاجهاض أو الاجهاز على حياة الجنين.

(٣) شرع الاسلام عقوبة مالية على احداث الاجهاض اسمها الغرة والغرة عشر الدية.. يدفعها الطبيب إن أنزل الجنين حيا أو انزله قبل الشهر الرابع ويدفع الدية من اجهض أمراة بعد الشهر الرابع وكان الجنين حيا.. تدفع هذه الغرة أو الدية لورثة الجنين الشرعيين.

«ودفع عمر بن الخطاب الدية كاملة لامرأة.. لانها أجهضت خوفا من عمر.. أو لان عمر أفزعها.

(٤) اذا أجهضت المرأة جنينا فى أى دور.. وبدا على هذا الجنين أية أمارة من امارات الحياة كعطسه او تحريك أصبع.. فان هذا الجنين يرث أيا من المورثين الشرعيين مات بعد أن بدأ الحمل.. ثم اذا مات هذا الجنين آلت تركته لورثته الشرعيين.

فمن هذه القواعد الاربع السابقة يتضح ان النطفة متى وقعت فى الرحم وربما قبل ذلك لها كرامتها لان لها حرمة كفلها لها الاسلام.

ثانيا: حرمة حياة الام:

لا شك أن الاجهاض المتعمد Induced Obortion والذى كان فى الماضى ولا يزال يسمى Criminal Obortion الاجهاض الجنائى أو الاجرامى يحمل فى طياته الكثير من المخاطر على حياة وصحة الام فالاجهاض الجنائى أو المتعمد يعد من أهم أسباب الوفاة للامهات اثناء

الحمل، ويمثّل الى ١٨٪ من اسباب الوفاة.

ليس هذا فقط فان خطر الاجهاض على صحة الام كبير. فقد ينتج عنه نزيف شديد وصدمة والتهابات فى الاعضاء التناسلية الداخلية والحصيلة قد يؤدى الاجهاض الجنائى المتعمد الى مرض فى الحوض مزمن والى عقم دائم:

المنظور الاسلامى للاجهاض

لكى نعرف الحيثيات التى بنى عليها الرأى الشرعى فى الاجهاض لابد أن نلقى نظرة سريعة على الحياة الانسانية داخل الرحم وأطوار تلك الحياة، يجب باديء ذى بدء ان نفرق بين الحياة عموما والحياة الانسانية داخل الرحم خاصة..

فالحياة الانسانية داخل الرحم هى فى الواقع استمرار لحياة خلوية سابقة، فالحيوان المنوى قبل أن ينضم الى البويضة. وكذلك البويضة لانها جزءان حيويان أى فى كل منهما حياة ـ والتقاءهما فى معظم الاحيان ينتج عنه حياة انسانية (اى نطفة مخلقة تستمر الى ظهور الانسان المكتمل او نطفة غير مخلقة يسقطها الرحم).

اطوار الحمل

والبويضة المخلقة أو النطفة الامشاج داخل الرحم تمر بأطوار لقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز **﴿يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلماتٍ ثلاث﴾** الآية.

وفى رأيى من الناحية التشريحية يمكن ان تقسم حياة الانسان داخل الرحم الى ثلاثة أطوار.

(١) الطور الاول: طور النطفة والعلقة والمضغة.

(٢) الطور الثانى: طور الانسان السوى.

(٣) الطور الثالث: ما بعد نفخ الروح فيه.

■ هذه الاطوار مرتبة حسب ما وردت فى الآية الكريمة من سورة المؤمنون **﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وجعلناه نطفة فى قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً.. ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك اللهُ احسن الخالقين﴾**.. الآية.

الطور الاول:

هى المرحلة (الخلوية) التى يكون الجنين خلالها عبارة عن كتلة من الخلايا والفجوات والنتوءات.. لا تمثل الصورة الحقيقية للانسان أو ما سوف يكون عليه الانسان.. بل هى صورة مماثلة لما يمكن أن يوجد داخل أرحام بعض الحيوانات.

الطور الثانى:

هى المرحلة التى وصفها القرآن فى قوله تعالى: **﴿ثم انشأناه خلقا آخر﴾** فى هذه المرحلة فى النمو يظهر على الجنين داخل الرحم علامات مميزة.. حيث يمكن الناظر له أن يرى بداية لحياة الانسان.. هذه المرحلة هى بداية زيارة المَلَك للجنين كما ورد فى الحديث الصحيح.. «فعند اتمام خلق النطفة واستقرارها اى بعد ستة الى سبعة اسابيع من الحمل.. يرسل اللهُ المَلَكَ.. كما قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى صحيح مسلم.. وعن حذيفة بن أسيد أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين او خمسة وأربعين ليلة.. فيقول اى رب أشقى أم سعيد فيكتبان.. فيقول اى رب أذكر أم انثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص.



الطـور الثالـث:

وهـو الطـور الـذى تحل فيـه الروح فى تلك الكتلة الخلوية، وقد وصف هذه المـرحلة رسـول الله ﴿ﷺ﴾ فقال: «إن أحدكم يجمع خلقـه فى بطن أمـه أربعـين يومـاً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكـون مضغـة مثـل ذلـك ثم يرسل إليه المَلَك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»

■ من هذا الوصف الموجز للاطوار التى يمر بها لانسان داخل الرحم يمكن ان نحدد الطور الذى تبدأ فيه الحياة الانسانية، فبداية الحياة الانسـانيـة ترتبط به حرمة الاجنة داخـل الـرحم (يمكن أن يراهـا الرأى الشرعى).

■ والحرمـة هنا المقصود بها عدم جواز اسقاط الحمل (الاجهاض) وحمـايتـه من أن يصبـح مادة للتجارب العلمية.

عقـدت ندوات كثيرة فى دول اسلامية مختلفة هنا فى المملكة وفى الـكـويت والمغـرب وفى الأردن وغيرهـا، بحث فى الندوات عن الاجهاض وحرمة الأجنة، كان لى شرف المشـاركـة فى بعض تلك النـدوات التى ضمت مجموعـة مبـاركـة من علماء الـدين والفقـه والقـانـون والطب، وفيـما يلى تلخيص للآراء الفقهية فى مشكلة الاجهاض.

خلاصة الآراء الفقهية فى الاجهاض

يضيق المجال هنا فى التوسع فى ما ورد من آراء فقهيـة وقانونية فى الاجهـاض وأكتفى بأن أُلخص ما اتفق عليه بالاجماع فى هذا الموضوع.

أولا: اتفق العلماء والفقهاء على ان اسقـاط الجنين او الاجهاض بعد نفخ الروح أى بعد مرور ١٢٠ يوما على الحمـل حرام.. ولا يجوز للمسلم أن يقـوم به.. وقـالـوا وجبت فى اسقـاطـه الدية ان نزل حيا ثم مات وعقوبة مالية أقل منها إن نزل ميتا.. (الطور الثالث).

ويستثنى من ذلك.. اذا ثبت من طريق موثـوق به ان بقـاءه (أى الجنين) بعد تحقق حياته يؤدى لا محالة الى موت الام، فان الشريعة بقـواعـدهـا العـامة تأمر بارتكاب أخف الضررين لانه لا يضحى بها فى سبيـل انقاذه لانها الاصل وهو الفرع (الشيخ شلتوت).

ثانيا: اختلف الفقهـاء فى اسقـاط الحمـل (الاجهـاض) قبـل نفـخ الروح أى قبل ١٢٠ يوما من بدء التلقيح وأورد هنا أرجح الاقوال:

(١) يسمح بالاجهاض (فى الطور الاول) أى الاربعـين أو الخمسة والاربعين يوما الاولى أى قبل أن يتـخلق وتظهـر فيـه الاعضـاء والاطـراف (قبـل زورة المَلَك له) الـوارد فى حديـث حذيـفـة بن الاسيـد.. (يـدخـل المَلَكُ على النطفـة بعـدمـا تستقـر فى الرحم أربعـين أو خمسـا واربعـين ليلة)

الخ . . واشترط بعضهم لهذه الفترة أن يكون الاجهاض بسبب مثل مرض الأم ، وأنا ممن يرى أن هذا الشرط ضرورى لعملية الاجهاض.

(٢) امـا الاجهاض أو اسقاط الحمل فى الطور الثانى أى ما بعد الخمسة والاربعين يوما أى ما قبل ١٢٠ يوما (اى قبل نفخ الروح) فقد اجازه كثير من الفقهاء بشرط . . من ذلك اذا كان بقاء الحمل يضر بالام أو اذا ثبت أن الجنين سيولد مصابا على نحو ما بتشوه بدنى أو قصور عقلى لا يرجى البرء منه .

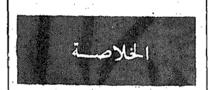
الاجهاض فى حالات

(١) الاغتصاب:

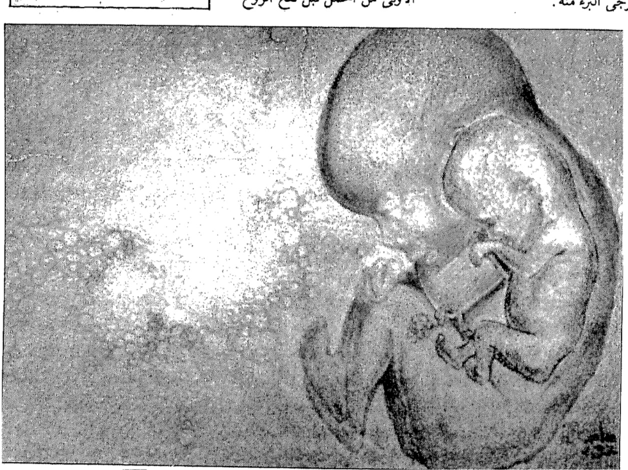
باختصار شديد اجاز بعض الفقهاء الاجهاض فى هذه الحالة متى كان الاجهاض قبل نفخ الروح لانه يعتبر ضرورة ولكون المرأة أكرهت على الفاحشة .

(٢) الزنا:

كثير من العلماء والفقهاء المتقدمين أباح الاسقاط فى الاشهر الاولى من الحمل قبل نفخ الروح فيه . . والدراسات الفقهية متوفرة فى هذا الجانب .

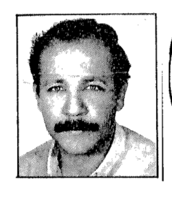


لا شك ان المنطور الاسلامى للاجنة وحمايتها منظور كريم فيه صون للحياة الانسانية الاولى . . وفيه تقديس للانسان الذى اصبح نطفة مخلقة داخل الرحم . . وفيه ايضا حفظ للام وحماية لحياتها وصحتها وللمجتمع الانسانى .



الاسلام..

تأليف الاستاذ: محمد عبد الحميد البوشى
عرض وتحليل
د. كارم السيد غنيم القاهرة



قامت الهيئة المصرية العامة للكتاب بإصدار كتاب (الاسلام والطب) لمؤلفه الاستاذ محمد عبد الحميد البوشى فى ١٩٨٦م، وهو يقع فى ١٦٢ صفحة من القطع الصغير. تصدر الكتاب (إهداء) من المؤلف الى الباحثين عن معرفة أسرار العلوم والقرآن والسنة، ثم مقدمة مقتضبة لم تتجاوز الصفحة الواحدة بين فيها أن الطب من العلوم الضرورية التى لازمت الانسان من القدم عبر توالى الأمم، ثم أشار فى نهاية المقدمة الى أهمية التمهيد التالى:

●● على الرغم من أن الصفحات الأربع والعشرين التى تلت المقدمة القصيرة تعد بحق تمهيداً لموضوع هذا الكتاب وهو «الاسلام والطب» أو «الطب فى الاسلام» فإن المؤلف لم يشأ أن يعنون هذه الصفحات بكلمة «تمهيد» بل تركها بعناوين جزئية متناثرة يستطيع القارىء أن يصنف تمهيد الكتاب فى جزئيتين: **أولاهما** (الطب عند الأمم القديمة)، **وثانيهما** (الطب عند العرب قبل الاسلام).

■ **ففى الجزئية الاولى** يوضح المؤلف أن العلاج الطبى قديماً فى مصر وبلاد الاغريق وبابل والهند كان يقترن بالعبادات والطقوس الدينية وكان الكهنة ورجال الدين القدماء يمارسون مهنة الطب ويداوون العلل والأمراض المختلفة فضلا عن وظيفتهم الأساسية، وهى وعظ الناس وارشادهم، ولذلك فقد كانوا يتحكمون فى أجسام الناس بالإضافة الى تحكمهم فى نفوسهم، وكان الكثير من المعابد تستخدم أيضا كمستشفيات وكمعاهد لتدريس علوم الطب للمبتدئين من رجال الدين.

■ كان (الطب عند قدماء المصريين) ذا شأن عظيم وكان له أقطاب صرفوا العمر فى دراسته والتنقيب عن أسراره، وهم أول

والطب

من وضعـوا أسـاسـه وألفـوا فيـه الكتب، وكان لكل مرض طبيب خاص لا يجرؤ على مغـادرته الى غيره من الأمراض . . وقد ثبت أن «أبقـراط» كان يستعين ببرديـات مصرية طبية على نحو ما ذكره فى كتـابه «الفصول» ثم أخذ المؤلف يوضح مدى اهتمام فراعنة مصر بالطب، حتى ان طائفـة الكهنـة كان لهم شأو كبير فى فنونه كما كان شأنهم فى علوم الفلك والشـريعة وغيرهما، وكـان الطلبـة يأخذون العلم عن المعابد، وأشهرها معبد منفيس وطيبـة وسـايس، وكـانـوا يحملون المرضى الى المعابد لأجل العنـاية بهم هناك، كذلك كانت هنـاك امتيـازات يمنحهـا الحكام للأطبـاء، وكـان مصـدر الطب عندهـم أحد أمرين:

الأول: وحى الهى، فقـد كانـوا يعتقدون أن «توت» اله العلوم هو الذى أوحى علم الطب.

الثانى: علم ملكى.

تكلم المؤلف على عجل عن علم التشريح عند قدماء المصريين وعن الصيدلة والجراحة وأبان عن أول تذكرة طبية (روشته) عثر عليها المنقبون فى مقابر قدماء المصريين، وهى أقدم روشته فى التاريخ. ثم أوضـح أن عمليـة (معـرفـة نوع الجنين) كانت معروفة لدى قدماء المصـريـين وليست وليـدة الطب الحديث، وأكثر من هذا فإن منع الحمـل (أو تحديـد النسل) كان معـروفـاً لديهم، وأهم المـركبـات المستخدمة لذلك هو مزيج عسل النحـل والصمـغ العربى، حيث ينتج منها حمض اللاكتيك، وهو المادة الفعالة فى المنع، كما أشار الى أمـراض شاعت أيـامهم وقـامـوا بعـلاجهـا ومنهـا شلل الأطفـال والبلهارسيا وتضخم الأوردة.

■ انتقـل مؤلفنا الى (الطب عند البـابـليـين والـكـلدانيـين والآشوريين)، وبين ارتباطه بطائفة السحـرة الـذين كانوا يستخدمون أيضـا بعض الأعشـاب. . أما فى بلاد الصين فإن الامبراطور (هوانج تى) قد ألف كتابا فى الطب حوالى سنة ٢٦٠٠ ق.م وهو كتاب باق عنـدهم حتى اليـوم، وقد استفاد منهم الأوربيـون خصـوصـاً فى مباحث النبض، كما كان لهم باع فى الصيدلة والعقاقير ويشهد بذلك كتابهم (نبتاد) الذى احتوى على ١١٠٠ مادة طبـيـة. . ثم عرج المؤلف على أحـوال الطب عنـد الهنـود والاسـرائيليين والفـرس واليـونـانيـين، وفى بلاد اليـونـان يقول: يعتبر اليونانيون هـم الذين اجتـازوا الشهـرة فى علـم الطب لأنهم هم الذين بوبوه ورتبوا أبوابه ولم يبدأ الطب عندهـم بحياة «أبو قراط» بل كان موجودا قبله بدليل أنـه كان ينقل عن مؤلفات سابقة على عهـده لم يصـل إلينـا منهـا

● اتصل العرب بالفينيقيين وسكان آسيا الصغرى والبابليين والهنود والفرس، وأخذوا عنهم كثيرا من تجاربهم الطبية وأضافوا إليها . .

● ● ● ●

شىء . . أما عن «أبو قراط» فيقول انه ظهر فى القرن الخامس قبل الميلاد، واستطاع أن يخلص علم الطب مما كان مختلطاً به من الشعوذة وعقيدة الأرواح الشريرة، وبوبه ورتب أبوابه فى كتبه الطبية التى ألفها . . وختم هذه الجزئية من التمهيد بلمحة عن الطب عند الرومانيين.

■ الجزئية الثانية فى التمهيد كانت عن (الطب عند العرب قبل الاسلام) وخلاصة القول فيها أن العرب قبل الاسلام كانوا يعرفون شيئا عن العلاج والوقاية من الأمراض، إما عملاً بالاستقراء واما اقتباساً ممن كانوا يخالطونهم، لأن العرب لم يكونوا محصورين فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، لكنهم اتصلوا بالفينيقيين وسكان آسيا الصغرى والبابليين والهنود والفرس والسريان، كما هاجر اليهم يهود من أقطار مختلفة . . وللعرب فى جاهليتهم علاجات وعقاقير اشتهروا بها ولا يزال بعضها جارياً فى بلاد العرب وغيرها الى الآن، مثل الكى بالنار والحجامة والفصد وغيرها . . الا أن السحر عندهم والشعوذة والطلاسم والتمائم كانت من وسائل العلاج أيضا . . ثم ذكر المؤلف من أشهر أطباء العرب فى الجاهلية: لقمان الحكيم الذى تحدث عنه القرآن فى **﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾** ـ ابن حزيم ـ الحارث بن كلدة ـ الشمردل بن قباب الكعبى ـ ابن أبى رومية التميمى ـ ثم ذكر أمثلة من علاجاتهم لأمراض منها حول العين والخدر والاستسقاء.

■ حينما وصل المؤلف الى البداية الحقيقية للكتاب، أبان عن حال العلوم فى صدر الدولة الاسلامية حتى انه لم ينته القرن الثامن واذ بلاد الاسلام تتحول الى مطمح أفكار المستنيرين فى كل فرع من فروع العلوم ومنه الطب الذى برزوا فيه وأوصلوه الى درجة من السمو لا يزال معها محل إعجاب الأطباء المعاصرين . . ودلل المؤلف على هذا الاعجاب بأقوال منها قول للدكتورة «شوار تزهبت» وزيرة الصحة فى جمهورية المانيا الاتحادية فى افتتاح المؤتمر الدولى للبلهارسيا بالقاهرة . . ثم تكلم المؤلف عن الضوابط العلمية لفن الطب عند المسلمين ـ قانون حظر وتحريم مزاولة المهنة على من لم يتأهل لها ـ تحريم الطلاسم والتمائم ـ نبذة عن فضل المسلمين فى ارتقاء مهنة الطب.

■ اذا كان المؤلف لم يشأ أن يبوب كتابه أو يصنفه الى فصول، فإننا تسهيلا على القارىء نستطيع وضع التصنيف التالى.

بعد التمهيد السابق ـ للكتاب: طب القلوب ـ طب الابدان ـ الطب الوقائى ـ الطب الرياضى ـ الطب العلاجى ـ الطب القرآنى ـ الطب النبوى ـ نبذة عن تطور الطب فى العصور الاسلامية ـ متفرقات عامة.

■ بالنسبة لأمراض القلوب وطبها، فقد دعا الاسلام الى معرفة أن الانسان جسم وروح، أى انه مكون من عالمين ممتزجين لكنهما مختلفان ولكل منهما مطالب واحتياجات ورعاية وقوانين خاصة . . وكما أمر الاسلام برعاية جسم الانسان طالبه بالمحافظة

على طهـارة قلبـه، وأبـان له أن للقـلب امـراضـا تختـلف شدة وضعفاً، كأمراض الجسم تماما. . أما عن الأول فيقول القرآن ﴿ *فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا* ﴾، ﴿ *وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا* ﴾. *وأما* مرض الشهوة فيقول فيه القرآن ﴿ *يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض* ﴾. .

صنف ابن القيم فى كتـابـه «زاد المعاد» أمراض القلوب فحصرها فى نوعـين: مرض شبهـة وشـك، ومرض شهوة وغى

■ وأوضـح ابن القيم أن المصدر المعتمـد فى الطب من هذا المجال أى طب القلوب انما هو تلقيه من جهـة الـرسـل عليهم السلام. . وعند تحديد أنواع العلاج لأمراض الـقـلوب، أوضـح المؤلـف أن المقصود بالقلب ليس قطعة اللحم الصنوبـريـة الشكـل التى تقـوم بسحب وضخ الدم فى سائر أنحاء الجسم، وانـما هو تلك اللطيفـة الربـانية التى أودعها الله الجسم البشـرى، وهى المستعـدة لتلقى العلوم والمعـارف وتـوجيه الجوارح الى ما ينـاط بها من عمل، وهى التى يعبر عنها فى بعض الاحايين بـ «الـروح» أو «الـنـفس» أو «الفؤاد». . أشد أمراض القلوب فتكـاً هو «الشرك بالله» وليس له علاج سوى الشهـادة «**لا إلـه إلا الله محمد رسول الله**». . ثم تأتى فى المرتبـة الثـانية بعد هذا الداء العضال أمراض تتدرج فى الخطورة كما يلى:

(١) **الكبـائر**: كقتل النفس والزنا والسـرقـة. . وعـلاجها: التوبة ـ الاستغفار ـ الحج المبرور.

(٢) **الصغـائـر**: كالنظرة واللمسة والقبلة للمـرأة الاجنبيـة والسب والشتم. . وعـلاجهـا: اجتنـاب الكبائر ـ الصلاة والصوم ـ الوضوء والصدقة وسائر الحسنات ـ السعى على العيـال. . ثم ختم مؤلفنـا موضـوع (طب القلوب) بشـرح وقـايـة الاسـلام للقـلـوب من أمراضهـا، وكـانت النقـاط التى تحدث فيها: الوضوء (من الناحية الروحية) ـ الصلاة ـ الصوم ـ الحج ـ الزكاة.

■ طب الأبـدان فى الاسـلام له قواعد وأنواع وأصول، فقواعده ـ كما أوضحهـا الامام ابن القيم فى زاد المعاد ـ ثلاث: حفظ الصحة، واستفراغ المواد الفاسدة، والحمية عن المؤذى، وكعادة الامام فقد ذكر من الآيـات والأحاديث ما يوضح هذه القواعد الثلاث. . وأما أنواعه فاثنان نوع فطر الله عليه الحيوان ناطقـه وبهيميـه، ونوع يحتاج الى فكر وتأمل، دفع الأسباب أولا ثم النظر فى المرض ثانيا. . ثم وصف الدواء ثالثا. . وأصوله اثنان الوقاية والعـلاج. . وقـد عنى الاسـلام بهذيـن الأصلين ووضـع لهما من التعـاليم والعبـادات ما يكفـل حصول الغرض المقصود منها على أكمـل وجـه. . وفى سبيل تحقيق هذا الغـرض مزج الاسـلام بين المنافع الروحية والمنافع الجسدية، ليتأهـل الآخـذ به لسعـادة روحه وبدنه، وقد ظهر أثر ذلك فى حال المسلمين الأولين ومن جرى على سنتهم فكانوا اصفى الناس أرواحاً وأقوى الأمم أجساداً.

■ كان المـوضـوع الثـالث الـذى شرحه المؤلف هو «**الطب الوقائى**» واستهله بقوله: (أرشدنا الاسلام الى أن الحيـاة التى وهبهـا الله للناس أمانة فى أعناقهم ووديعة بين أيديهم، وحثهم على حفظ هذه الأمانة وصيانة تلك الوديعة، فقال تعـالى: ﴿ *ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكـة، ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيـما* ﴾، ويقـول رسـول الله ﴿ﷺ﴾ (ان لبـدنك عليك حقا). . وقد بلغ من حرص المشـرع الأعظم سبحـانه وتعالى على صحـة الأجسـام أن جعـل للوقاية من الأمراض تأثيراً على ما فرض من عبادات فأباح الفطر فى

● الدين يدعو إلى الوسطية وعدم الغلو فى جوانب البدن والروح

● من قواعد الطب : حفظ الصحة ، واستفراغ المواد الفاسدة والحميه عن المؤذى.

● ● ● ●

رمضان وعدم استعمال الماء فى الطهارة اذا خاف الانسان المرض أو خشى زيادته، كما تجاوز فى مثل هذه الحالة عن القيام والقعود فى الصلاة واكتفى بحركة الرأس أو العين أو القلب فى أدائها رمزاً للعبادة والتقديس . . ثم تكلم المؤلف عن الوضوء كطهارة بدنية من حيث غسل الأيدى وغسل الفم وغسل طاقتى الأنف وغسل الوجه والرجلين، وتعدد هذه العملية خمس مرات كل يوم، وبعد نظافة الجسم المستمرة الدائمة تحدث عن نظافة الثوب والمكان التى أمر بها الاسلام ورغب فيها سواء للصلاة أو لغيرها، كما أمر بالنظافة فى الدور والسكنى وعدم النوم على رائحة الطعام فى الفم، كما تحدث المؤلف عن غسل الجنابة المامور به كل من الرجال والنساء ثم غسل البرء من الحيض والنفاس ثم غسل البدن سنة فى أيام الأعياد الأسبوعية والسنوية والمناسبات الأخرى.

كذلك أشار الى نهى الاسلام عن الغلو فى الأمور التعبدية وعدم تحميل البدن ما لا يمكنه أن يطيق حفاظاً على صحته واستمراراً لقوته وقدرته على مداومة أداء العبادات والعادات، وهذا يوضح لنا أهمية الأخذ بالرخص التى شرعها الله سبحانه سواء فى الصيام أو غيره من العبادات.

ثم كانت النقطة الثانية فى موضوع الطب الوقائى فى الاسلام هى : (شىء من الهدى النبوى الاسلامى فى الوقاية من الأمراض) أورد فيها عشرة أحاديث نبوية شريفة تتنوع الأوامر والنواهى فيها ما بين نهى عن تلويث المياه ومواردها الى غسل اليدين قبل الأكل وبعده، الى غسل اليدين قبل النوم وبعد الاستيقاظ منه، الى وقاية الطعام والحفاظ على نقاء الشراب من الميكروبات، الى الحجر والعزل الصحى.

■ هذا وان كان المؤلف قد أجل تفصيل الكلام عن الحجر الصحى الى صفحات حديثه فى الطب الرياضى، فإننا نرى من الواجب نقل هذه المسألة الى موضوع الطب الوقائى، وقد مرَّ معنا فى هذا التحليل حسب وروده فى جزئيات الكتاب، ويزداد هذا المأخذ على المؤلف حدة حينما نعلم تناثر كلامه عن الطب الوقائى والحجر الصحى فى أنحاء متفرقة من الكتاب على الرغم من أنه قد أفرد للموضوع جزئية خاصة سابقة.

فالحجر الصحى ينطلق من القاعدة القرآنية ﴿*ولا تُلقوا بأيديكم الى التهْلُكَةِ*﴾، وسواء كانت هذه التهلكة بدنية أو نفسية أو أخلاقية، فيجب توسيع دائرة المراد بهذه التهلكة حتى يعود على كل ما من شأنه افساد الحياة المستقيمة للانسان المسلم، كما ينص على هذا الاجراء قول رسول الله ﴿ﷺ﴾ «اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها»، وحديثه صلى الله عليه وسلم (لا

يدخل مصح على مجرب).

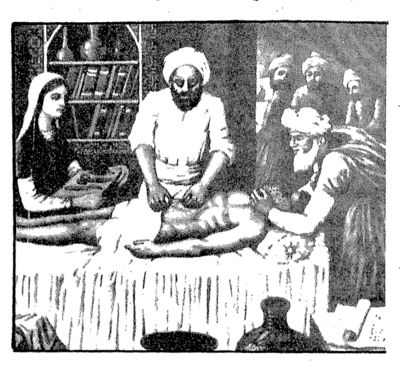
ثم روى قصة مبايعة المجذوم للنبى ﴿ﷺ﴾ ثم قصة رجوع عمر بن الخطاب الى الحجاز حينما كان قاصدا بلاد الشام وعلم أن بها وباء، وجرته هذه القصة الى الحديث عن عدم التعارض بين (الحجر الصحى والتوكل)، وأنه لا غضاضة من الحذر والحيطة والأخذ بالأسباب مع تحقق التوكل على الله وارجاع الأحداث الى فعله سبحانه وتعالى، واحتاج منه الأمر الى توضيح معنى حديث الرسول (لا عدوى ولا طيرة).

■ الجزئية أو الفصل الخامس فى هذا الكتاب هو (الطب العلاجى)، حيث تكلم المؤلف فيه:

أولا: عن تطور فن العلاج منذ الانسان البدائى ومروراً بإنسان القبائل، حيث كان طبيب القبيلة هو ساحرها ومشعوذها ومن أخطر الشخصيات شأناً، ومع أن الطب عبر عصور رقى الانسان اختلط بكثير من الخرافات والخزعبلات والأساطير والاعتقادات الضالة، الا أن الانسان من حين الى حين كان يعثر على طرف من أطراف الحقيقة، وكان ذلك يكلفه آلافاً من السنين، وعن موقع الطب العلاجى فى الاسلام يؤكد المؤلف أنه لما كان الاسلام يستهدف أولا: بالذات إصلاح نفوس البشر وعقائدهم وأخلاقهم واخلاص عبادتهم لله وحده لم يتوسع فى تعرضه للأمراض ولا للدواء واكتفى بالتوجيهات العامة وترك للانسان حرية البحث والتنقيب ليطلع فى طريق بحثه على أسرار خلق الله ويهتك المستور من كنوز الطبيعة.

وذكر المؤلف من التوجيهات القرآنية العامة **﴿كُلوا واشربُوا ولا تُسرفُوا﴾**، **﴿حُرِّمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحةُ وما أكل السبُعُ الاّ ما ذكيّتم﴾**.. وذكر من هدى النبى وتوجيهات السنة العامة فى هذا المضمار قوله صلى الله عليه وسلم «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع»، (يا عباد الله تداووا فإن الله لم يدع داء الا وضع له شفاء).

■ واذا كانت هذه وغيرها من النصوص القرآنية والنبوية تعتبر توجيهات عامة فى حقل الطب العلاجى، فإن المؤلف قد عرض لنا قبساً من الوصفات العلاجية التى استعمل بعضها النبى وأمر بها فى أعمال طبية مثل: الحجامة والفصد والكى، وتوسع فى هذه الثلاثة حيث عرض آراء الطب الحديث فيها وأبان عن حكمة الهدى النبوى الذى نص عليها.. ثم عرج على علاج الحمى ثم الطاعون وعلاجه، ثم علاج الجروح ثم الصداع فذات الجنب فالعذرة فالبثرة فالباسور فأمراض العيون.





وهو فى كل يورد حديثاً نبوياً أو اكثر، ويسوق آراء الطب الحديث فى بيـان أهميتهـا، وختم هذه الوصفات العلاجية بوصفات عامة بين فيها النبى أهمية خلط المواد الغذائية المستخدمة فى التداوى ثم اهمية بعض أنواع النباتات فى الوقاية والعلاج.

■ نص الشرع الحكيم على (منع التداوى بالمحرم)، لـ ﴿إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم﴾ كما قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ وجاءت أكثر من ثمانية نصوص شرعية تنهى عن التداوى بالمواد المحرمة وأهمها المواد المسكرة». . ختم المؤلف فصله هذا ببيان الاستعانة بالطبيب الحاذق ثم تحديد الاسلام لمواصفات هذا الطبيب، وبين المقصود بالطبيب الضامن والذى ذكره النبى ﴿ﷺ﴾ فى حديثه عن شروط مزاولة المهنة (من تطبب ولم يعلم من الطب قبل ذلك فهو ضامن).

■ يقصد بالطب القرآنى ما احتوى عليه القرآن الكريم من إرشادات ونصائح فى استعمال بعض المواد والنهى عن استعمال بعضها الآخر، والأخذ ببعض الأمور والابتعاد عن البعض الآخر. . وقد مهد لكلامه فى هذا الفصل ببيان أن القرآن معجزة الاسلام الخالدة وتعدد أوجه الاعجاز فيه، ثم استبشر بما يكشف عنه العلم الحديث بمختلف فروعه مما يبهر عقول العلماء حينما يجدون ما توصلوا إليه فى معاملهم ومراصدهم وتجاربهم ماثل أمام العيان فى سطور القرآن، وهكذا يسير ركب البشرية فى حضارته قدماً وأمامه الوعد الإلهى المتحقق يوما بيوم ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

اختص المؤلف من المسائل الطبية ـ وقائية أو علاجية ـ إحدى عشرة مسألة ما بين أمر ونهى وترغيب وترهيب، وقام بإيضاح بعضها وتفصيل الأخرى حسب ما عثر عليه أو ما توصل اليه من خلال كتب الطب الحديث وكتب التفسير.

عسل النحل: الاشارة إليه فى سورة النحل (الآيات ٦٧-٦٩) السر فى اتصافه بأن فيه شفاء للناس، القيمة الغذائية له، القيمة الوقائية له، ما ورد عنه فى تراث الأئمة.

ثانيا: **الأجنة**: بسط الآيات القرآنية «علم الأجنة» فى ثلاثة موضوعات:

١ ـ أطوار الجنين.
٢ ـ ترتيب خلق الحواس فيه.
٣ ـ موضع الخصيتين فى الجنين.

ثالثا: **الخمر**: النص القرآنى بالنهى عن شربها، التصريح على الكحولات والمسكرات البيان الطبى بخطورتها.

رابعا: **البلح**: النص القرآنى للأمر بأكل الحامل منه (سورة مريم)

الأهمية الطبية الكبرى لتعاطى الحوامل للبلح، وتسهيل ذلك لعملية الوضع.

خامسا: **لبن الأم (الرضاعة الطبيعية)**: وهنا يقول المؤلف: إنى أسوق الحديث هنا الى الأمهات الجاهلات أو المشرفات المنعمات اللائى يخيل إليهنّ أن التخلى عن الرضاعة إبقاء على صحتهن وجمالهن.. فقد أثبت الطب الحديث أن إرضاع الأم ولدها فيه كسب كبير وإبقاء على صحة الأم والوليد وهو ما يرشدنا اليه القرآن الكريم ويؤيده العلم الحديث.

وانى أسترشد فى هذا الموضوع ببحث للدكتور محمد وصفى اذ يقول: فى هذه الآية الكريمة تنبيه الى الواجب الأدبى والانسانى الذى يجب أن تلتزمه الوالدة فى إرضاع ولدها وان إرضاع الأم ولدها هى القاعدة التى يجب اتباعها بنص الآية الكريمة **﴿والوالداتُ يُرْضِعنَ أولادهنَّ حولين كاملين لمَنْ أرادَ أن يُتم الرضاعة﴾**، أما الإرضاع بواسطة مرضعة مأجورة أو غير مأجورة فلا يكون الا فى حالات استثنائية معينة كانقطاع لبن الأم أو تشقق الحلمة وهو ما تشير اليه الآية الكريمة وتعنيه اذ تقول: **﴿وإنْ أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾** وارضاع الأم ولدها يرجع بالخير على الأم والولد معاً.. وأخذ المؤلف يعدد الفوائد العائده على الام وتلك العائدة على الولد.

سادساً: تحريم بعض أنواع المأكولات لتحقق ضررها: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا كُلُوا من طيباتِ ما رزقناكُم واشكُروا للّه ان كُنتُم إيَّاه تعبدون، إنما حرَّم عليكُم الميتةَ والدّم ولحمَ الخنزير وما أُهل به لغير اللّه﴾** (البقرة/٧٣).

فهذه الآية حرمت من أنواع الأطعمة: الميتة (سواء أكان الموت بسبب المرض أم بسبب الشيخوخة) ـ الدم ـ لحم الخنزير ـ وتوقف المؤلف عند هذا الحد ولم نجده قد استكمل بقية ما نصت عليه الآية الكريمة من المحرمات من المأكولات.

سابعا: اعتزال النساء فى المحيض للضرر الصحى العائد على كل من الرجل والمرأة.

ثامنا: عدة المرأة المطلقة.

تاسعا: اثبات أن كل كائن حى يحتاج الى النوم.

عاشرا: بيان أن موضع الاحساس والألم انما هو الطبقة الجلدية.

الصوم وأثره فى شفاء كثير من الأمراض.

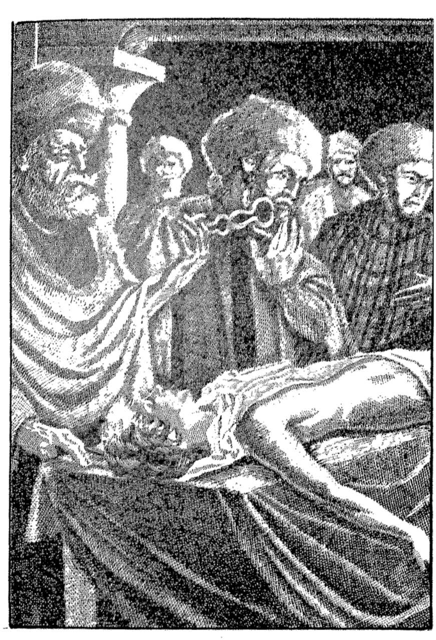
■ بعد أن بسط المؤلف هذه النقاط الإحدى عشرة فى الطب القرآنى حتى شغلت قرابة إحدى وثلاثين صفحة من الكتاب، انتقل الى (الطب النبوى) وقد ركز اهتمامه على ثمانٍ فقط من نقاطه أو مسائله هى: الحمية ـ اللبن غذاء كامل ـ الكلاب تحمل جراثيم الأمراض ـ السواك مطهر للفم منظف للاسنان

● الطب فى العصور الانسانية الاولى اختلط بكثير من الشعوذة والخرافة والاساطير والسحر.

● حفاظاً على صحة الانسان فقد حرّم الاسلام التداوى بما هو محرم شرعاً.

الطب الاسلامى

- حديث الشوم - أطوار الجنين فى بطن أمه - الاعتدال فى الطعام والشراب - العلاج النفسانى، والمقصود بالعلاج النفسانى هذا ما يختص بعيادة المرضى، فإن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان اذا سمع بمرض أحد أصحابه أسرع لعيادته، وكان يسأل المريض عن شكواه وكيف يجد نفسه وعما يشتهيه ويضع يده على جبهته ويدعو له ويصف له ما ينفعه فى علته، وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه. قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (اذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل، فان ذلك لا يرد شيئا وهو تطبيب لنفس المريض) وفى الحديث إرشاد الى تقوية نفس المريض ومساعدته على سرعة شفائه لارتفاع حالته النفسية ودخول الطمأنينة على نفسه.



■ فى تطور الطب عبر العصور الاسلامية، أعطى المؤلف نبذة عن أحوال الطب فى كل من المشرق العربى (الدولة الاموية بالشام، الدولة العباسية بالعراق) وذكر من أشهر أطبائهم المسلمين: يزيد بن معاوية الأموى - أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية - خالد بن يزيد بن مروان - احمد بن ابراهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك الاموى - أبو بكر محمد بن زكريا الرازى - ابن سينا وهو الشيخ الرئيس - أبو على يحى بن جزله - الامام فخر الدين الرازى - الفارابى - عيسى بن موسى - لسان الدين بن الخطيب - الطبرى - أبو الحسن على بن النفيس - أبو يوسف الكندى.

ثم انتقل الى وصف أحوال الطب فى بلاد الاندلس وأشهر اطبائهم هناك: احمد بن إياس القرطبى - يحيى بن اسحاق - أبو عبد الله محمد بن عبدون القرطبى - الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن شهيد مؤلف كتاب (الأدوية المفردة) - أبو القاسم الزهراوى وهو شيخ جراحى الأندلس - أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل - ابن البيطار عبد الله بن احمد الملقب بضياء الدين - أبو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر

ـ أبو العلاء زهر بن عبد الملك ـ عبد الملك بن أبى العلاء ـ أبو بكر محمد بن أبى مروان بن زهر ـ أبو محمد عبد الملك المشذوبى ـ أبو العباس بن الرومية الأشبيلى ـ ابن رشد الفيلسوف الاندلسى المشهور.

كما انه استعرض سريعا أحوال الطب فى مصر إبان العصر الفاطمى ثم العصر الأيوبى، وكان من أشهر أطباء الفاطميين أبو عبد الله بن مسعد التميمى ـ احمد بن يحى البلدى ـ أبو القاسم عمار بن على الموصلى ـ على بن رضوان.

وكان من أشهر أطباء العصر الأيوبى احمد بن الحاجب ـ احمد بن خليد الفلقى ـ أبو الفرج غرينوس المعروف بابن العبرى ـ أسامة بن المنقذ ـ ابن النفيس ابو الحسن على وكان رئيسا لمستشفى قلاوون وهو أول من وصف الدورة الدموية الرئوية ـ احمد بن عبد المنعم الدمنهورى.

■ وفى ختام الكتاب ذكر المؤلف نذرا يسيرا من أشعار العرب والمسلمين فى الطب، ثم موقع المرأة فى الحقل الطبى منذ العصور الاسلامية الأولى وحتى العصور المتأخرة حيث كان من مشاهير طبيبات العصور المتأخرة: شقيقة الحافظ بن زهر وبناتها (وقد تخصصن فى طب النساء والاطفال)، زينب طبيبة بنى أود وكانت بارعة فى علاج العيون بالجراحة واجراء العمليات المختلفة.. ثم ذكر طرفا من فن الصيدلة سواء عند المصريين القدماء أو عند العرب بعد ذلك، وذكر من أشهر العشابين أو الصيدلانيين فى العصور الاسلامية المختلفة ثمانية ختمهم بداود الانطاكى صاحب «تذكرة داود».

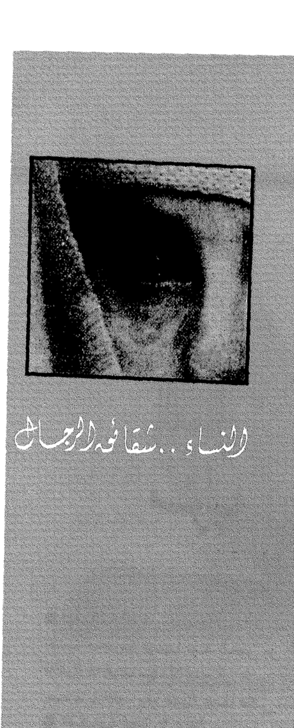
■ ونحن فى ختام مقالنا نود الاشارة الى بعض المآخذ التى لولاها لكان الكتاب على درجة كبيرة من الجودة والنفع، منها: افتقاره الى دقة توزيع العناوين فى بعض أجزائه، وخلوه من العناوين المناسبة فى اماكن أخرى، وقد قمنا بتلافى هذا المأخذ أثناء العرض الحالى ـ الوقوع فى عدة تكرارات وكان السبب فى ذلك إيراد نتف من الكلام عن مسائل أخذ يفصلها المؤلف فى مواقع أخرى من الكتاب (انظر مثلا ص٥٣، ص ص ٥٨-٦٢، ص٧٣ ـ فى مسألة الحجر الصحى) ـ وجود بعض الأخطاء سواء المطبعية منها أو اللغوية (انظر على سبيل المثال ص١٣ ص١٥، ص١٤ ص٣٠ أول السطر وثلثه الأخير، ص١٢ ص٣٤) ـ وجود بعض السهو فى الاشارة الى أمور، كما حدث فى حاشية ص٦٣. كذلك فقد خلا الكتاب من قائمة المراجع التى رجع المؤلف اليها أو المصادر التى نهل جل مادته منها، وان كان قد ذكر ندرة منها فى متن الكتاب ـ كما أنه خلا من فهرس الموضوعات أو قائمة المحتويات، ولم يدعمه صاحبه ببعض الصور التوضيحية التى تزخر بها كتب التراث الطبى العربى وغيره مما له أثر كبير فى زيادة الإيضاح وقوة الإقناع.

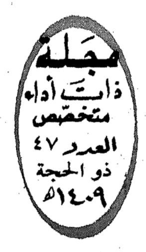
ومن المخاطر والمحاذير التى ينبه عليها علماء الأمة الأجلاء عدم تخريج الأحاديث النبوية وعدم الإشارة الى مواقع الآيات القرآنية فى المصحف الشريف حتى يتحقق القارىء من صحتها وسلامتها، وهو ما نراه شائعا فى أنحاء متفرقة من هذا الكتاب.

■ ونختم كلامنا بما بدأه المؤلف «المقدمة»، فهى هزيلة ولم يوضح فيها المؤلف هدفه من الكتاب ولا المنهج أو الخطة التى سيتبعها فيه، وهو عجز يؤخذ عليه.

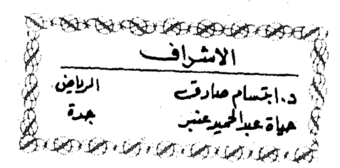
■ إلا أنه يجب ألا نغفل ما قام به صاحبنا من جهد فى سبيل ضم المعلومات واختصار المعارف الطبية وصبها فى قالب مقتضب بأسلوب سهل وعبارة ميسورة، والكتاب عموماً نافع ومفيد لعامة المثقفين، وندعو لمؤلفه بالجزاء الحسن والمثوبة من الله عز وجل.

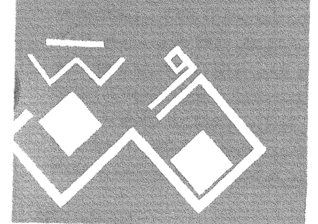

المنهل
ALMANHAL
Al Manhal


النساء.. ثقافة الرجال


مجلة
ذات أداء
متخصص
العدد ٤٧
ذو الحجة
١٤٠٩هـ




الاشراف
د. ابتسام صادق — الرياض
حياة عبد الحميد عنبر — جدة





ابعاد الكلمة
من قلم
بهية بوسبيت



العمل مسئولية



■ المسئولية كلمة كبيرة تفسيرها قد يطول وقد يقصر، حسب صعوبة فهمها عند البعض من الناس، فالمدرك لها يجدها سهلة لا تحتاج الى تفسير، ولكنه قد يصعبها بارادته. وغير المدرك يجدها عكس ذلك.

■ المسئولية أمانة ولا يحافظ على هذه الأمانة من غاب ضميره أو من يسمح له بالغياب، هناك فئة من المسئولين يدركون هذه المسئولية ولكنهم يتعمدون تجاهلها لا لشيىء إلا لراحة نفوسهم، فمن المعروف أن أى موظف لا يعطى اجازة إلا بعد أن تعمد الادارة المسؤولة موظفاً آخر ليحل محله حتى لا تتعطل مصالح الآخرين، ولكنك قد تشعر فجأة بحالة من الاستغراب تسبب لك التقزز والضيق والتساؤل عندما تذهب الى دائرة ما ـ لتراجع معاملة لها عدة أسابيع أو شهور، وتفاجأ أن الموظف المسؤول فى إجازة، مما يضطرك إلى التردد باستمرار على هذه الادارة لقضاء مهمتك.. ونحمد الله سبحانه ان بلادنا بخير ويندر أن نجد فيها نموذجاً مثل هذا..

وهذا لعمق الإيمان فى نفوسنا وتفهم كل واحد لمسؤوليته وطبيعة عمله..

ولا يخفانا أن الوظيفة العامة فى حد ذاتها مسئولية اسلامية ينبغى أداؤها من منطلق الواجب الإسلامى.. ومن هذا المنظور يكون هذا الاداء بهذا الاتقان عبادة يتقرب بها الانسان الى الله سبحانه فوق انها قضاء لحوائج الناس.. والوظيفة من جانب آخر تمثل الواجب القومى والوطنى الذى ينبغى على المواطن والمواطنة على السواء أداءه على الوجه الاكمل والأمثل من غير تراخ فيه ولا استبطأ أو تكاسل..

وكل واحد يؤدى هذه الأمانة فى ميدان عمله ووظيفته.. ولنا فى هدى رسول الله ﴿ﷺ﴾ المنهاج الامثل والأقوم فى هذا السبيل (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..).

وينبغى على كل فرد ان يتقى الله سبحانه فيما استرعى فيه.



دكتورة سعاد الصباح ومملكة الشعر

اجرى الحوار:

عاطف اباظه

● الشعر هو مملكتى ● المرأة قصيدة والقصيدة امرأة.

● لو كان عندى سيارة لا تتسع إلا لثلاثة ركاب لوضعت الشعر الى جانبى.

■ سعاد الصباح.. الشاعرة العربية استطاعت أن تمزج بين الرؤى الفنية الخاصة بها والفكر العلمى الاقتصادى والسياسى.. فلقد أغنت شخصيتها الفنية برافدين أساسيين رافد الفن.. والشعر والأدب.. ورافد العلم الذى يقوم ويتأسس على الأرقام والحسابات والاحصائيات.. ومن هنا يعتبر نموذج سعاد الصباح نموذجا مجددا للغاية أمام المرأة العربية وربما هى تدرك هذا جيداً فلم تغفله فى شعرها، بل انها وعت منذ فترة طويلة حتمية الدور الذى يجب أن تقوم به امام بنات جنسها، فصورت المرأة فى أشعارها وعبرت عن همومها ومشاعرها فهى امرأة تعشق الحرية والحب فى اسمى معانيها.

■ فالمرأة هى نصف الحياة وان شئنا الدقة يجب ان نعترف بانها الحياة وبالتالى فهى تعرف عن الرجل اكثر مما يعرف عن نفسه.. ولقد وعت سعاد الصباح تلك الثقة والفهم الكامل لدور المرأة العربية المعاصرة بعد انتشار التعليم مما جعله من أهم البواعث فى شعر سعاد الصباح.. وبالاضافة الى مواقفها القومية الواضحة فهى شاعرة عربية قلباً وقالباً غنت للمناسبات المختلفة وعشقت القوة العربية والمجد العربى ولقد عبرت عن ذلك فى مناسبات عديدة ولم يطغ إحساسها بأنها كويتية على ذلك الشعور القومى العام الذى جسدته كلماتها فى قصائد عديدة.

أنا امرأةٌ
لا أزيِّفُ نفسي
وإن مسَّني الحبُّ يوماً
فلستُ أجاملُ
أنا امرأةٌ من جنوبِ العراقِ
فبين عيوني تنامُ
حَضَاراتُ بابلْ

وفوق جبيني
تمرُّ شعوبٌ وتمضي قبائل
فحيناً أنا لوحةٌ سومرية
وحيناً أنا كرمةٌ بابلية
وطوراً أنا رايةٌ عربية

سعاد الصباح

المنهل

د. سعاد الصباح: متى بدأتْ علاقتك بالشعر؟ وبما تعرفين الشعر؟:

■ بدأت علاقتي بالشعر وانا في ربيعي الثالث عشر عندما فاجأتني الهجمة الشعرية الاولى وكانت محاولاتي الاولى عبارة عن (خربشات) على كتاب الهندسة وهي مرحلة طفولية كتبت خلالها كثيرا من النثر وكأنه عشبة تنمو يُروِّيها الربيع.. اقتحمت دنياوات الاحلام والآمال وبدأت اكتب وهي كتابة اشبه واقرب الى البوح الذاتي، وقتذاك لم يشتد عودي.. الشاعر عندما يداهمه بحر الشعر سرعان ما يغرق في امواجه ولا يجد مفرا من حصار الماء له وبمرور السنوات نضجتُ. واتسع أفقي بمعرفتي أصول الشعر فجاء كتابي «امنية» وهو كتاب الامل والحب والاستبشار.

■ الشعر في نظري هو التعبير والثورة.. وبه يدرك الانسان قيمته وانسانيته.. وهو بوليصة التأمين ضد شيخوخة الأحداث وضد جفاف الشجر وجفاف البشر.. وعندما نكتب شعرا فنحن ندافع عن انفسنا ضد الاندثار والانقراض.. وهو الملح الذي يعطي العواطف مذاقا.. هو عاطفة سامية تحترق بدواخلنا ليخرج للعالم بروائع ودرر.

■ فالفن يشبه المجتمع الذي يولد فيه.. والمجتمع يؤثِّر في الشعر كما يتأثر به واستطيع القول، ان المجتمع مرآة للانسان الذي يعيش فيه.

المنهل

●● دكتورة: لماذا يغلب على شعرك الحزن! ؟ ومَنْ من الشعراء تقرئين له؟

■ سمات شعري الحزن وبما انني انتمي للمدرسة الرومانسية فإن الرومانسية تعني الحلم والحزن والتخيل والفجيعة.. ويتقاطر الوفاء والحزن والكبرياء من كلماتي.. وأحب ان أقرأ للشعراء الفرنسيين من امثال لامارتين ودومارس ودوقين.. وشيلي من الشعراء الانجليز وكذلك لوردبايرون.. ومن الشعراء العرب ابراهيم ناجي وعلي محمود طه والدكتور أبي شادي.. اما المتنبي فهو الاكثر حداثة مع جميع الاقدمين والمحدثين بلا استثناء.. ورامبو قاد أخطر انقلاب في الشعر الفرنسي وهو في السادسة عشر.. اما الباقون من الشعراء فعلاقتي بهم علاقة مهنية كعلاقة النجار بالنجار والحداد بالحداد انني اقرأ لهم دون ان اشعر انني اريد ان اصرخ.

المنهل

●● دكتورة سعاد: ثلاثية السياسة والاقتصاد والشعر كيف تتعاملين معها؟ وما هو موقع القصيدة السياسية من كرنفال الشعر العربي الآن؟؟.

■ الاولوية عندى دائما للشعر. . فلو كان عندى سيارة لا تتسع الا لثلاثة ركاب لوضعتُ الشعر إلى جانبى وحشرت السياسة والاقتصاد فى المقعد الخلفى.

■ الشعـر أثّر فى كتاباتى الاقتصادية وليس العكس فهو سلطـان كل الفنـون والآداب وهـو الذى يؤثر على اى شىء. . والقصيـدة السياسية لها دور رئيسى فى التوعية والتحريض واشعال الغضب الشعبى، ورغم ان الجماهير العـربية مكسورة وحزينة ورغم ان هذه الجماهير اصيبت بالتبلد وموت الأحاسيس من بشاعة ما يجرى على مسرح السياسة العربية فاننى اعتقد ان القصيدة السياسية الجيدة لم تفقد دورها ولا تزال قادرة على قيادة المقاومة الشعبية ضد القمع والذل والاستعمار فى سائر اشكاله.

الشعر لتغيير العالم وجعل الانسان يستحق انسانيته. .

المنهل

●● دكتوره: ماذا تقولين عن العلم، والكاتب؟.

■ العلم هو الظمأ الثقـافى ولا علاقـة له بالتصنيفـات الاجتماعية بل انه حاجة روحية تنفجر بدواخلنا بصرف النظـر عن موقعنـا وهويتنا. . فالزواج لن يقتل طموحى كإمرأة خاصة والوطن يحتاج لجهد كل فرد به شريطة ان يكون عاملا مؤثرا متأثرا به.

■ أمـا الكـاتب فهو الذى يغمس قلمه فى كل القضايا الحيوية الانسانية وهو المدافع الاول عن الحق والانسانية ويجب ان يحتل موقعه الامامى على خطوط الدفاع.

المنهل

●● دكتـورة: يلاحـظ على شعـرك انه يتمتع بحرية التعبير عن المرأة فهل تتفقين معى؟.

■ بكل تأكيد. . فمهما تكن الامور لابد ان تكتب المرأة باسمها. . المحامون الذين تكلموا باسمها كانوا من هيئة المحكمـة والان يجب ان تدافـع بنفسهـا وان تكون هى المحامى لا احد سواها. . ان شعرى عموما يتمتع بهذه الصفـة صفـة الصـدق سواء كان وجـدانيـا او سيـاسيا فالمطلوب من المرأة ان تتخلى عن الخوف.

المنهل

●● وكيف ترتبـين هذه المعـادلـة: المـرأة ـ القصيدة، والقصيدة ـ المرأة. . ايهما يأتى أولا؟.

■ تأتيان معا فالقصيدة أنثى والمرأة أنثى وليس ثمة تناقض بين الاثنتين انهما متفجران فى ذات اللحظة كالبرق والرعد وكما اننى لا اتصـور قصيـدة لا تسكنها امرأة يمكن ان تدهش النـاس إلا اذا كان فى عينيها او فى صوتها او فى ابتسامتها شىء من الشعر.

المنهل

●● دكتـورة سعـاد الصباح: ماذا تقولين عن الادب فى العالم العربى؟.

■ كان حال الأدب فى الدول العربية يعانى من الكسل لكنه بدأ يستعيد نشاطه نأمل أن يعود الأدب إلى سابق ازدهاره فيتألق فى سماء أمتنا العربية.

المنهل

●● دكتـــورة: كيف تردين عن قصـائـدك ونثرياتك هذه التهمة. . إنّ نزار قبانى يختبىء فى زاوية من زوايا قصيدتك وكلماتك النثرية؟.

■ ومن قال اننى اريد ان ارد التهمة. . ان نزار قبانى ليس شاعـرا سريـا حتى أخبئـه فى معطف كلماتى انه منشور ومبثوث على كل الموجات من الخليج الى المحيط ولا احد يستطيـع ان ينكر ان لغة نزار قبانى تركت بصماتها على جيلين او ثلاثة من الادباء خلال الاربعين عاما الاخيرة. . والى الذين لا يزالون يوجهون إلىّ تهمة التأثر اقول لهم بدون أى عقدة سابقة إنّ نزار موجود لا فى معطفى وحدى بل انه فى معاطفنا جميعا.



تمنيات اشتائية لرجل اشتائي

ـ شعر ـ

سعاد الصباح



عامٌ سعيدٌ . .
عامٌ سعيدٌ . .
إنى أفضّلُ أن نقولَ لبعضنا
« حبٌّ سعيدٌ »
ما أضيقَ الكلماتِ حين نقولُها كالآخرينْ
أنا لا أريدُ بأن تكونَ عواطفى
منقولةً عن أمنيات الآخرينْ
أنا أرفضُ الحبَّ المعبَّأ فى بطاقاتِ البريدْ
إنى أحبُّكَ فى بداياتِ السنة
وأنا أحبُّكَ فى نهاياتِ السنة
وأنا أحبُّكَ كلَّ أيامِ السنة
فالحبُّ أكبرُ من جميع الأزْمِنَة
والحب أرحبُ من جميعِ الأمكنة
ولذا أُفضّلُ أن نقولَ لبعضنا
« حبٌّ سعيدٌ »

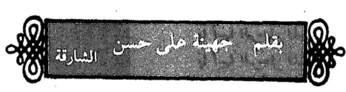
ماذا أريدُ . . إذا أتى العامُ الجديد؟
كم أنت طفلٌ فى سؤالِك
كيف تجهلُ ، يا حبيبى ، ما أريد؟
إنى أريدُكَ أنتَ وحْدَكَ
أيها المربوطُ فى حبل الوريد
لا العطر يُدهِشُنى
ولا الأزهارُ تدهشنى
ولا الأثواب تُدهِشُنى
ولا القمرُ البعيد .
ماذا سأفعل بالجواهر؟
ماذا سأفعل بالعقودِ . . وبالأساور
يا أيها الرجلُ المسافرُ فى دمى . .
يا أيها الرجل المسافرْ
ماذا سأفعلُ فى كنوزِ الأرض . .
يا كنزى الوحيد؟؟ . .

يا سيدى . .
يا مَنْ يغيّر فى أصابِعِه حياتى
يا من يؤلّفنى . . ويخرجنى . .
ويكسرنى . . ويجمعنى . .
ويشعل ثورتى وتحولاتى . .
شوبان يعزف فى جوار المدفأة
قل لي «أحِبُّكِ»
كى أصيرَ بلحظةٍ أحلى امْرَأة . .
قل لي «أحِبُّكِ»
كى تزيد قناعتى أنِّ امرأة
قل لي «أحِبُّكِ»
كى أصير بلحظةٍ شفّافةٍ كاللؤلؤة . .

يا سيدي :
يا أيها المخبوء من عشرين عاماً . . فى الوريد
يا من يغطيني بمعطفه . .
إذا سرنا معاً فوق الجليد
مادمتَ لاجئة لصدرك
ما الذى من هذه الدنيا أريد؟
ما دمتَ موجوداً معى . .
فالعامُ أسعد من سعيد . .

(هذه القصيدة عن الرصيفة «البيادة»)

فى أدب اعارة الكتب واستعارتها



كانت الامة العربية فيما مضى تتحلّى بصفتين تعدان من أبرز صفاتها الحضارية، اذ كانت أمة «قارئة» من جهة، و«كاتبة» من جهة أخرى بعد أن كانت أمة أمية فى جاهليتها المتأخرة قبل الاسلام.. ويبرهن على هذه الحقبة كثرة الأعلام الذين أسهموا فى تراثها المكتوب والمخطوط وتلك الاحصائية المتداولة بين محققى هذا التراث من أن ثلاثة ملايين مخطوطة عربية لا تزال اليوم فى مكتبات العالم خارج حدود الوطن العربى تنتظر من يعيدها (أصلا أو صورة) الى مكتباتنا. ونظرة واحدة الى انتشار هذه المخطوطات بين مكتبات الشرق والغرب تثبت لنا أن تراثنا هذا هو التراث الوحيد المكتوب بلغة واحدة والمنتشر مثل هذا الانتشار الواسع فى العالم.. مما يدل على منزلته ومكانته الرفيعة.

■ ومن المسلَّم به أن الامم فى كل العصور تزدهر وتتفتح ملكاتها بقدر إقبال أفرادها على القراءة وبقدر إقبالهم على تدوين معارفهم ليقدموا منها للآخرين أطباقا شهية سائغة للطالبين.. وينطبق هذا القانون على الامة العربية نفسها، خصوصاً وقد عرفنا ما كان فى الماضى من إبداع أبنائها وإسهاماتهم البناءة فى الحضارة الانسانية على الصعد كافة، لأنهم كانوا بالفعل أمة قارئة كاتبة، لا يسقط القلم من أيدى أبنائها، ولا يكاد بيت من بيوتهم يخلو من مكتبة عامرة أو متواضعة، فقد كانت المكتبة دوماً أحد أركان تلك البيوت.. بل كان التنافس قائماً على اقتناء الكتب واقامة صرح المكتبات الخاصة.

■ وقد ازدهرت عند العرب تجارة الكتب بين المشرق والمغرب، وكان الناس يتسامعون بظهور الكتب عن بعد، ويتشوقون الى استقدامها أو استقدام أصحابها أنفسهم.. وكان المغاربة والأندلسيون أكثر ولعاً بكتب المشارقة، وكان المشارقة يتلقون بعض الكتب المتميزة لدى المغاربة ومن ذلك أنهم سمعوا بكتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه الاندلسى (متوفى ٣٢١هـ) فاستقدمه الوزير البويهى الصاحب بن العباد (المتوفى ٣٨٥هـ)، فلما قرأ مادته قال قولته المشهورة: «هذه بضاعتنا ردت إلينا» لانه وجدها مادة مشرقية ولم يجد ما كان يتوقعه فيها من حديث عن الاندلس وأدبه.

■ وكانت سبل العرب الى تحصيل الكتب متعددة: منها الشراء، ومنها المهاداة ومنها الاستئجار أو المبادلة ومنها السرقة (كما حصل مع حماد الراوية الذى كان لصاً فسطا ذات ليلة على إحدى دور الأنصار فكان له فيها شأو رفيع، ومن آثاره جمعه المعلقات السبع من أشعار الجاهلية)، ومنها أيضاً الاستعارة التى يغلب أن تكون بين المعارف والأصدقاء والمريدين.

■ ومن الطريف أن نقف على الطريقة الاخيرة التى إهتم العرب بآدابها وذكروها فى شعرهم وانقسموا حولها الى ثلاث طوائف: (أنصار الاعارة، والمترددون فى إعارتها، والممتنعون عنها).. وكانت ظاهرة الاعارة هذه مثار جدل حاد بين الناس قديماً ولازالت كذلك، لأن الاعارة بطبيعتها أخف السبل المذكورة آنفاً مؤونة واوفرها ربحاً

للقارىء المستعير ولكنها كانت أثقلها وزراً واكثرها رزءاً لمقتنى الكتاب أو المعير لأن المستعير قد يبيح لنفسه من الحقوق فى التصرف بالكتاب ما ليس له : كامتلاكه أو مماطلة صاحبه فى رده اليه بالتقادم أو الحياء أو اعارته الى غيره ليعود الى صاحبه - إن كتب له أن يعود - منتوف الصفحات، ومسودا على كلماته وعلى هوامشه بشتى الخطوط والملاحظات والتعليقات . وربما اضطر مالكه الى شراء نسخة ثانية من هذا الكتاب المعار أو ذاك ان وجدت منه نسخ فى السوق، حرصاً منه على اقتنائه وبقائه فى متناول يده، وهذا ما يحصل معنا اليوم . وقد رصدنا فيما يلى مواقف كل طائفة من الطوائف الثلاثة من الاعارة وسنرى فى أشعار كل طائفة ما أدلت به من الحجج لموقفها وهى :

١ - موقف أنصار الاعارة

وهؤلاء كانوا يدعون الى إعارة الكتب لمن يطلبها من غير قيد ولا شرط، ويبذلها لطلاب العلم والمريدين ومنهم **(أبو الكرم الجوزى)** إذ يقول :

كتبى لأهل العلم مبذولة — ايديهم مثل يدى فيها

متى أرادوها بلا منّة — عاريّة ... فليستعيروها

حاشاى أن اكتمها عنهم — بخلًا .. كما غيرى يخفيها

أعارنا اشياخنا كتبهم — وسنة الاشياخ نمضيها

■ ومنهم ايضا (أبو حفص الشعبي) إذ يقول :

لا تمنعنّ الأهل كتبك واغتنم — فى كل وقت أن تُعيرَ كتابا

فمُعيرُها كمُعير ماعونٍ فَمَنْ — يمنعه لاقى الويل والانصابا

٢ - موقف المترددين فى الاعارة

وكان هؤلاء يسوقون الشروط والقيود التى يملونها على كل من تسوّل نفسه أن يسألهم كتاباً من كتبهم وتناولت الشروط بين المترددين، فكان منها ما هو سهل ميسر، كاشتراط رد الكتاب ليتصل حبل إعارة الكتب، وإلا انقطع ومن ذلك قول بعض الشعراء :

أيها المستعير منّى كتاباً — إرض لي منه ما لنفسك ترضى

لا ترى ردّ ما أعرتُك نفلًا — وترى ردّ ما اعرتنيه فرضا

■ وفى ذلك قال آخر:

أعر صديقك ما حَصلتَ من كتبٍ — تفز بشكر أريج النشر عن كَثَبِ

فان أعاروك فارددها على عجل — حتى تُعار بلا منع ولا نصب

■ وكان من شروط المترددين ما هو اشد، اذ كانوا يطلبون رهناً للكتاب المعار ممن يجرؤ على استعارته منهم، ولا يرد هذا الرهن الا برد الكتاب سالماً معافى من أى سوء، فإذا لم يرد غلق هذا الرهن، ومن ذلك قول بعضهم :

يا مستعيرَ كتابي — لا تكثرنّ عتابى

إلا برهنٍ وثيقٍ — من فضةٍ أو ثياب

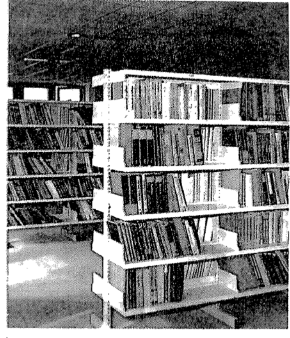
■ ومنه أيضاً قول آخر:

جل قدر الكتاب يا صاح عندى — فهو أغلى من الجواهر قدرا

لن أعير الكتاب الا برهن — من نفيس الرهون تبراً ودرا

ما كنتُ أعرفُ ما فى البَيْنِ من حزنٍ — حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن







■ ومن أروع الحجج التى ساقها اتباع هذا المذهب قول شاعرهم الذى رأى مطابقة تامة بين (كتابه) و(حبيبته) اذ يقول:

الا مَنْ يستعير الكتبَ دعنى
فإن إعارتى للكتب عارٌ
فـ (محبوبى) من الدنيا كتابٌ
فهل أبصرتَ محبوباً.. يُعَارُ؟

■ ومنهم من يمتنع عن الاعارة منعاً لفساد العلاقة مع الاصدقاء اذ يقول:

كم كتابٍ أعرتُـه
زعموا انّه ذهب
فاذا ما طلبتُـهُ
أوجبَ الصدّ والغضب

■ ومنهم من يجود بالغالى والنفيس من أمواله ويبخل بالكتب على الناس كـ (مسافر بن محمد البلخى) الذى يقول:

أجودُ بجلّ مالى لا أبَالى
وأبخلُ عند مسألة الكتابِ
وذلك أننى أفنيتُ فيه
عزيزَ العمر أيامَ الشبابِ

■ ومنهم من يبخل بـ (كتبه) و(خيله) فلا يطيق إعارتها لأحد، كالأمير (ابى سعد العاصمى) اذ يقول:

لا تَستعرْ شيئين مني، صاحِ
وسواهما فاطلبْ تَفُزْ بنجاحِ
أما (الكتابُ) فإنّه لي مونسٌ
وإعارةُ (المركوبِ) فهو جناحى

■ ومما يسوغ لانصار هذا المذهب فى الاعارة تمنعهم عنها ما سمعوا من نداء متضرع حزين من بعض الشعراء وهو فى موقف المتذلل المتصاغر امام المستعير الجلف، وكأن المعير هو المذنب وهو المجرم، اذ يقول بعض الشعراء:

ما بال كتبى فى يديك رهينة
حُبِسَتْ على كرّ الزمان الأول

■ وفى نهاية هذا الطواف فى بساتين الكتب نقطف هذه الزهرة:

«إن دلت هذه السطور المتقدمة على شىء فإنها تدل على ذلك النهج القديم عند العرب فى قراءة الكتب وهذه خصلة حضارية تتسابق فيها الامم اليوم، اذ تطالعنا الاخبار كل يوم عن إقبال هذه الامة أو تلك من الامم المتقدمة فى الشرق والغرب على التحلى بهذه الخصلة الحميدة، ونرجو ـ بحق ـ ان نكون خير خلف لخير سلف، بان نضارعهم فى هذا الميدان، لاننا مقصرون عنهم ـ كما هو ظاهر العيان ـ تقصيراً بالغاً يمكن أن نتلافاه بالعزم والتربية».

جل قدر الكتاب يا صاح عندى
فهو اغلى من الجواهر قدرا
لن اعير الكتاب الا برهن
من نفيس الرهون تبرا ودرا



● رسالة من اسحق الموصلى

محمد عبد الواحد حجازى
مصر

.. إلى السيدة الجميلة

لا أدرى والله مما أشكو إليك وقد بلغنا أنا وأنت هذه السن التى عبرنا فيها الزمان وخبرنا الناس وشاهدنا ظاهرهم، وأدركنا باطنهم.. لا أدرى والله ما أشكو إليك منه: أهو الزمان؟ أم الناس؟.. أم أشكو منك إليك أنت يا فريدة؟

نعم، بلغنا هذه السن التى عملنا فيها بصنعة الموسيقى والغناء فأجدنا وأبدعنا وخلال ذلك تقلبنا بين النعيم تارة والشظف تارة، وبين الفرح تارة والآهات والدموع تارات.. شاركت الزمان فى صنع الحياة فقد عاصرت أربع خلفاء: الرشيد، والمأمون، والواثق والمعتصم.. فكان عصر كل منهم جزءاً من حياتى التى أعتز بها وبها قدمت للفن والفكر والحياة.. بل كان لكل منهم دوره فى حياتنا، أنا وأنت، وكان لهذا الدور أثره فى حبنا إن اقتربنا وتواصلنا أم بعدنا وتهاجرنا، أم جمع الفن بيننا فى أغنية أو لحن جميل.

ماذا أقول؟ لا أجد أنسب لحالى الآن من قول على بن العباس بن الرومى حين سئم الحياة والناس:

إنى سئمت مآربى فكأن طيبها خبيث

إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبدا حديث

■ فلتكن رسالتى إليك يا حبيبة العمر حديث العمر، وما أطيب الحديث حين يمتزج فيه الشجن بالهوى، والصبابة بالجوى.. وإنها لذكريات كنت أنت فيها بدرها الذى نستضىء به فى الظلماء ونسيمها الذى نبترد به إذا ما اكتوينا بحرارة القيظ.

كنت مع الرشيد حين خرج منها إلى الرقة وخرجت فمضيت إلى تل عزاز ودخلت حانة كانت صاحبتها فاتنة بارعة حسنة فى الكلام.

فسأل عنى الرشيد فلم يجدنى فدخلت عليه وهو غضبان فلما رأيته أدركت أنه لم ينجنى من غضبه إلا أن أمثل دور من غلبه السكر، فخطرت فى مشيتى ورقصت وكانت فىَّ فضلة من السكر، وغنيت:

إن قلبى بالتلِّ تلِّ عزاز

عند ظبى من الظباء الجوازى

يا لقومى لبنت قس أصابت

منك صفو المدى وليست تجازى

■ فسكن غضبه وضحك لما سمع منى..

● ولعلك لا تنسين يا حبيبتى أيام الخليفة المأمون.. الا ما كان أزهرها وأبهجها وأنضرها حيث جرينا مع الهوى، أنا وأنت، وحيث ركضنا إلى اللهو مستمتعين بالشباب والأنغام العذاب.. نعم، ولا أنسى فضلك على ووقوفك إلى جانبى عندما حاول بعض الحسدة أن يثيروا الخليفة ضدى.. ذلك أنه لما قدم يعنى العراق من خراسان وعاوده الشوق إلى السماع، سأل عنى فَجُرِحْتُ بحضرته وقال الطاعن علىّ: ما يقول أمير المؤمنين فى رجل يتيه على الخلافة؟ فقال: ما أبقى هذا شيئا من التيه إلا استعمله.. فأمسك عن ذكرى، وجفانى من كان يقربنى حتى جئت أنت فقلت: أتأذن لى فى ذكرك عنده فإنا قد دعينا اليوم. فقلت: لا، ولكن غنه بهذا الشعر:

يا سرحة الماء قد سُدَّتْ موارده

أما إليك طريقٌ غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام له

مُحلأً عن طريق الماء مطرود

■ وغنيت هذا الشعر فلما علم أنه لى طلبنى واسترضانى.. والفضل إليك يا فريدة فى الحسن والإحسان.

أيام يا حبيبتى، أيام..

● استدنانى المأمون يوما وهو مستلقٍ على فراش حتى صارت ركبتى على الفراش، ثم قال: يا إسحاق أشكو إليك أصحابى: فعلت بفلان كذا، ففعل كذا، حتى عدد جماعة من خواصه.. فقلت له: أنت يا سيدى بتفضلك علىَّ وحسن رأيك فىَّ ظننت أنى ممن يُشاور فى مثل هذا فجاوزتَ بى حدِّى وهذا رأيٌ يجل عنى ولا يبلغه قدرى. فقال: ولِمَ لا، وأنت عالم عاقل ناصح؟ فقلت: هذه المنزلة عند سيدى علمتنى ألا أقول إلا ما أعرف ولا أطلب إلا ما أنال فضحك وقال: قد بلغنى أنك صنعت فى هذه الأيام لحنا فى شعر الراعى ولم أسمعه منك. فقلت: يا سيدى ما سمعه أحد إلا جوارى ولا حضرت عندك منذ صنعته... فغنيته فطرب وسعد وكم تمنيت لو أنك كنت معنا.

● وآه يا فريدة من الحاسدين، ما أخبثهم بل ما أجرأهم على الحق.. هل تصدقين أن الأصمعى ممن يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضل؟.

■ هذا ما حدث منه.. قلت له فى ليلة من الليالى:

هل إلى نظرة إليك سبيل
يُرْوَ منها الصدى ويُشفى الغليل
إنَّ ما قلَّ منك يَكْثُرُ عندى
وكثير ممن تحب قليل

■ فلما أصبحتُ أنشدتها الأصمعى، فقال: هذا الديباج الخسروانى.. هذا الوشى الاسكندرانى، لمن هذا؟ فقلت: إنه ابن ليلته، فتبينت الحسد فى وجهه وقال: أفسدته، أفسدته، أما إن التوليد فيه بيِّنٌ..

■ وما دمت قد ذكرت الحسد والحاسدين، فلا يفوتنى أن أذكر الحقد والحاقدين فلعلك لا تنسين اللحن الذى صنعه الخليفة الواثق وغناه مخارق وتعمد لأن يفسده بجهده وفعل ذلك فى مواضع خفية لا يعرفها الواثق من قسمته فلما غناه قال لى الواثق: كيف ترى هذا الصوت؟ فقلت: فاسد غير مرضى. فأمر بى فسحبت من المجلس حتى أخرجت عنه وأمر بنفى إلى بغداد.. ثم جرى ذكرى يوما وهنا تجلى حبك لى وعطفك علىّ فقد قلت له: يا أمير المؤمنين إنما كاده مخارق فأفسد الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغما وجوده.. وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق فى كل شىء ساءه أو سره.. ويفهم من غامض علل الصناعة مالا يفهمه غيره فليحضره أمير المؤمنين وليحلفه بغليظ الإيمان أن يصدقه عما يسمع وأغنيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت فإن كان فاسداً فصدق عنه لم يكن عليه عتب ووافقناه عليه حتى يستوى فليس يجوز أن نتركه إن كان فيه فساد، وان كان صحيحا قال فيه ما عنده.. ولما أن علم الواثق مدى التزوير الذى أحدثه مخارق فى اللحن استرضانى وأنعم علىَّ.

وكذلك أنت يا فريدة، فريدة فى الحسن والإحسان.

حبيبتى فريدة:

لعل أول مرة خرجت فيها إلى البصرة كانت هى المرة الأولى التى أبعد فيها عنك.. وهنا ذقت لأول مرة عذاب البعاد وفتنة السهاد وفراق الحبيب.. لكم عذبتنى اللحظات التى كان يودع كل منا صاحبه كان كل منا يحاول أن يبث صاحبه لواعج حبه ولكنه لم يستطع أن



ينبس بحرف واحد وترك الأمر لدموعه ونظراته تعبر كيف تشاء :

قامتْ تودعني والعين تغلبها
فجمجمت بعض ما قالت ولم تُبِنِ
قامتْ عليَّ تفديني وترشقني
كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضتْ ثم قالتْ وهي باكية
يا ليت معرفتي إياك لم تكن
ولما افترقنا على كره لفرقتها
أيقنت أني رهين الهمِّ والحزن

■ وغادرت بغداد إلى البصرة وفى السفينة التى أقلتنى لم يغمض لى جفن : كنت أسامر النجوم فى عليائها وأسامر روحى فى قلقها وتناوحها بين الأمل تارة واليأس أخرى . . ونفرت من كل من كانوا بالسفينة ولم أجد سوى قلبى أحادثه وأناجيه . .

■ يا حبيبتى يا فريدة فى الحب :

سيظل الحب الذى ربط بين قلبينا نضراً له فتونه التى لا تخبو، وله رونقه الذى لا يذوى . . ولسوف أردد ما دمت حيا :

أيها الظبي الغرير
هل لنا منك مجير
إن ما نولتني منـ
ـك وإن قل كثير



ملك حفنى ناصف

● كاتبة ومفكرة مصرية كبيرة تعتبر ثانية اثنتين اقتحمتا الحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية فى المجتمع المصرى فى نهاية القرن التاسع عشر، وبعد السيدة عائشة التيمورية التى كانت تكبرها فى السن.

هبة عبد اللطيف مصطفى
مصر

● ولدت «ملك حفنى ناصف» فى ٢٥ ديسمبر ١٨٨٦م. وهى البنت الكبرى لأحد شعراء مصر المعروفين وأحد قضاتها البارزين، حفنى ناصف، وكان لها خمسة أخوات غيرها.

● لم يقف الوالد فى طريق تعليم إبنته فترك لها الحرية فى تعليمها، وكانت ملك أول فتاة مصرية تخوض تجربة الامتحان المشترك حيث حصلت على الشهادة الابتدائية، وهوما لم يكن متاحا للفتيات من قبل فى مصر.

وعملت فى التدريس وفضلت اكمال التعليم، فقد أصرت على تواصل عملها فى مجال التدريس لمدة عامين ولتحصل على شهادة دبلوم المعلمات، وقد كانت الممارسة العملية شرطا للحصول على هذا الدبلوم.

● وأجادت اللغتين الانجليزية والفرنسية حديثاً وخطابة وكتابة بالاضافة إلى اللغة العربية، ولا سيما أنها كانت تقرض الشعر مثل أبيها.. وتجيد كتابة المقالة حيث نشرت لها كبريات الصحف فى عصرها، وخاصة المقالات الاجتماعية التى كان لها صدى كبير عند أفراد الشعب.

● عندما أطلق «قاسم أمين» دعوته لتحرير المرأة وخاصة من لبس الحجاب ـ وهى دعوة كان لها مردودها السيىء على المجتمع ـ خالفته ملك حفنى ناصف وكانت ترى أن المرأة تقاس بعقلها وليس بشكلها واختلفت حتى مع بنات جنسها ومع المطالبين بمساواتها بالرجل، فكان من رأيها فى تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجل مالا يتنافى مع الشرع، وأن لا تكون زينتها مشغلة لها ولا عبئا على زوجها، وقد اتخذت ملك لها زيا متميزاً فوضعت الكوفية والعقال فوق رأسها، واتخذت لها اسما مستعارا هو «باحثة البادية».

■ وكانت تردد قولها دائما: «إن صلاح الفتاة مترتب دائما على تربيتها الأولى ولذا تم اختيارها لتحاضر فى الجامعة المصرية، وتعد بذلك أول امرأة تحاضر فى الجامعة. ويبدو من عجيب الأمور أن تكون ملك محاضرة فى الوقت الذى لم يكن متاحا للمرأة أن تلتحق بالجامعة وتدرس فيها.

■ وكانت ملك هى المرأة التى مثلت مصر فى المؤتمر النسائى المصرى الأول الذى عقد عام ١٩١١ فى مصر الجديدة وقدمت تقريرا الى المؤتمر طالبت فيه بإصادر عدة

تشاريع لصالح المرأة منها:

- **جعل التعليم للمرأة إجباريا.**
- **الاكثار من مجانية التعليم بالنسبة للفتيات.**
- **أن تتعلم المرأة الصناعات الضرورية مثل التفصيل والتطريز، وطالبت بإصلاح شئون الزواج والطلاق وغير ذلك.**

■ وكانت دائما تحث المرأة على التحلى بالحياء والايمان بالله والوفاء وقد أجملت هذه المعانى فى قولها شعرا:

إن الفتاة حديقة وحياؤها
كالماء موقوفا عليه بقاؤها
بفروعها تجرى الحياة فتكتسى
حقلا يروق الناظرات رواؤها
إيمانها بالله أحسن حلية
فيها فإنْ ضاع ضاع بهاؤها
لا خير فى حسن الفتاة وعلمها
ان كان فى غير الصلاح رضاؤها

■ وفى الحياة العامة كانت ملك شعلة من الحيوية والنشاط رغم عبئها الكبير عليها ـ فقد مرضت أمها وكفلت الأخوة برعايتها واهتمامها إلى جوار ممارسة طموحاتها ـ فأنشأت فى بيتها مدرسة للتمريض تتعلم الفتيات فيها فنون وأساسيات علم التمريض. . وأنشأت جمعية للتمريض وكانت تهتم هذه الجمعية بإرسال الأدوية والأغذية والملابس إلى الأسر والبلاد المنكوبة.

وكان تركيزها على الأمومة كشيىء أساسى فى إنشاء مجتمعات سليمة، إذا تم الاهتمام بتربية الفتيات تربية صالحة، فكانت دائما تقول: اتحاد النساء التهذيبى الذى ضم الكثير من النساء العربيات، ووجه الاتحاد جهده واهتمامه من أجل تعليم المرأة وتهذيبها وتربيتها تربية صالحة لتكون أما صالحة فى مجتمعها وناجحة لتنجب مجتمعا ناجحا صالحا.

■ نشرت ملك مقالاتها فى صحيفة «الجريدة» وكانت كبرى الصحف التى تصدر فى ذلك العصر، وكانت إذ ذاك فى الحادية والعشرين من عمرها، وقد كتبت فيها تحت عنوان «النسائيات» مقالات ناقشت فيها رواد الفكر فيما ذهبوا إليه من فكر بالنسبة للكثير من الآراء فى العلاقات الاجتماعية وقد كتبت فى صحف غير عربية

■ وقد جمعت مقالاتها فى جريدة «الجريدة» فى كتاب عنوانه «النساء» ولها كتاب آخر بعنوان «حقوق النساء» وقد أصدرت كتابها الأول ولكن الثانى لم يمهلها القدر حتى تصدره، فقد وافتها المنية وهى بصدد اعداده للاصدار. . فقد حان أجلها فتوفيت فى ١٨ اكتوبر عام ١٩١٨ وقبل ان تكمل عامها الثانى والثلاثين، ذهبت فى ريعان الشباب

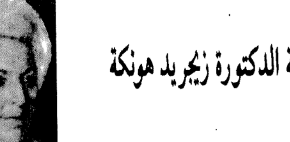
وقد اعترفت الكاتبة اللبنانية الكبيرة «مى زيادة» لملك حفنى ناصف بالريادة وأنها كانت لها النهر الذى نهلت من مائه واغترفت من معينه. . وكان وقع خبر وفاتها على إحدى الرائدات عنيفا فقالت **«هدى شعراوى»** حينما بلغها نبأ وفاة باحثة البادية: شعرت بحزن فى نفسى لهذا الخبر، وما كنت أظن أن شيئا فى الحياة بعد فقدان أخى يستطيع أن يهز شعورى هذه الهزة العنيفة. . وقد رثا باحثة البادية عدد من كبار الشعراء فى ذلك العصر منهم حافظ ابراهيم، وذكرها فى شعره عدد آخر منهم أحمد شوقى فى مثل قوله:

عندى على ضيم الحرائر بينكم
نبأ يثير ضمائر الأحرار
مما رأيت وما علمت مسافرا
والعلم بعض فوائد الأسفار
فيه مجال للكلام ومذهب
ليراع باحثة وست الدار

ويقصد بقوله: «باحثة» هى باحثة البادية، ويقصد بقوله «ست الدار» ملك حفنى ناصف أيضا لأنها كانت تذيل بعض مقالاتها بست الدار أيضا.

■ ولنا أن نختتم هذه الجولة القصيرة مع باحثة البادية ملك حفنى ناصف بقولها: **«إذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح ينبغى علينا ألا نقتبس من المدينة الأوربية إلا الضرورى النافع. . نقتبس العلم والنشاط والثبات وحب العمل»**. . رحم الله باحثة البادية.







المستشرقة الدكتورة زيجريد هونكة

سماء زكى المحاسنى
سوريا

ظهرت فى السنوات القليلة الماضية دراسات كثيرة أنصفت الحضارة الاسلامية العظيمة ، وأبرزها كتاب الدكتورة المستشرقة «زيجريد هونكة» (شمس الله على الغرب) ، فقد استحسنه الجميع وعلقت عليه مئات الصحف والمجلات ، إذ كشف عن مدى قيمة المعطيات التى قدمها الاسلام للحضارة والبشرية ، فتابعت زيجريد ما كشفه علماء التكنولوجيا والطبيعة من أمثال بريفولت وسارطون عن دور المسلمين فى بناء الحضارة .

■ ولدت هذه المستشرقة المعاصرة عام ١٩١٣ فى مدينة «كيل» بالمانيا وبعد دراسة دامت ست سنوات فى جامعات كيل وفريبورج وبرلين حصلت على شهادة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة برلين ، وقد نالت هذه الشهادة عن رسالة قدمتها حول «الأثر العربى فى الشعر الغنائى الأوربى» .

تزوجت من السيد بيترشولتز وهو عالم فى التاريخ والآثار ، تميز بمؤلفاته عن الآثار المصرية القديمة ، وبإجادته للغة العربية . . قامت مع زوجها بعدة رحلات فى الشرق والبلدان العربية فتعرفت على الثقافة العربية الاسلامية .

● نشرت فى عام (١٩٥٥) أول مؤلفاتها «الرجل والمرأة» بحثت فيه فى تاريخ الثقافة وتعرضت للثقافة العربية ، ثم نشرت كثيراً من المقالات حول العلاقة بين الشرق والغرب فى الصحف والمجلات والبرامج الاذاعية .

● تميزت بنشاطها ودأبها فى البحث والدراسة واطلاعها الواسع ، وقد ألقت محاضرات كثيرة فى مؤتمرات فى البلدان العربية وجامعاتها ، وساهمت فى الندوة الثانية للسمات الانسانية للعلم والعمل فى بلاد الشام بمحاضرة عن (السمات الانسانية للطب فى سورية) وتقول فيها : مشيدة بالسمو الانسانى الذى اتسم به الاسلام ويتضح فى العناية بالانسان ومساعدته فى الشفاء .

« لقد أنشأ الخليفة المسلم أول مستشفى للعالم العربى الاسلامى فى دمشق منذ ما يقرب من ألف وثلاثمائة سنة ، وكان هذا المستشفى مخصصاً للمعتوهين» .

■ وفى كل دراساتها ومحاضراتها أكدت زيجريد هونكة فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة والحضارة الانسانية عامة وكتبت بروح نابضة بالمحبة والود الخالص مرددة مآثر الحضارة الاسلامية الرائعة .

ولما ظهر كتابها المميز «شمس الله على الغرب» أو «أثر الحضارة العربية فى أوربة» لأول مرة أحدث ضجة كبيرة واعتبر حدثاً بارزاً فى عالم التأليف والدراسة الانسانية ، فعلقت عليه كبرى الصحف والمجلات واتهمها البعض بالتحيز للعرب ، لكن الكتاب لقى نجاحاً منقطع النظير فأعيد طبعه عدة مرات وترجم الى عدد من اللغات الأجنبية من لغته الأصلية وهى الألمانية ورحبت به الصحافة العربية ونقله إلى العربية بعض الباحثين والأدباء البارزين كالأستاذ فاروق بيضون والدكتور فؤاد حسنين على والدكتور سهيل إدريس .

■ وقد جاء كتابها نتيجة عمل شاق استنفد من حياتها سنوات عديدة فقد تناولت فيه مختلف أوجه النشاط الفكرى العربى والحضارة العربية الاسلامية وبحثت فيه الموضوعات التالية:

- **الأيدى الشافية، الطب والأطباء العرب.**
- **الترجمة والكتب والثقافة بصفة عامة.**
- **الأندلس.**
- **تميز الفتوحات العربية الاسلامية بالسماحة والانسانية.**
- **نبوغ العرب فى علوم كثيرة كالرياضيات والزراعة والجغرافية والعناية بالمعرفة ووسائلها.**
- **مكانة المرأة واحترامها فى الاسلام.**
- **العرب أول من اتبعوا الطريقة التجريبية فى العلم والفلسفة.**

■ وفى مجال حديثها عن العرب وفضلهم على أوربا وتقدمها، ومنجزاتهم فى العلوم والطب قالت:

«كانت المستشفيات الكبرى فى الوقت نفسه هى المدارس العليا للطب، فالمواد التى علمها بوقراط وجالينوس وكبار العلماء العرب كان يتقنها الأطباء الناشئون فى المحاضرات العامة تحت عقود المساجد وفى المدارس الطبية الخاصة التى كان يديرها الأطباء، وكذلك فى المستشفيات والعيادات، وبينما كان يكتفى فى الأديرة الأوربية ومدارسها بتحصيل العلوم فى الكتب إذ بنا هنا فى العالم العربى نجد العلوم يقوم بتدريسها علماء عمليون يمارسون الطب ـ ففى المستشفيات العربية وحول الأسرة البيضاء كان الطبيب يطبق النظرى على العملى كما كان يستطيع فحص الجسد وتشريحه وفهمه وتقريبه إلى الأذهان.. وهكذا كان يتكون الأطباء العرب، ومثل هذا النظام لم يعرفه العالم من قبل اللهم إلا فى العصر الحديث **فقط».**

■وقد كان سرور الدكتورة زيجريد كبيراً بترجمة مؤلفها القيم إلى اللغة العربية وتقديمه إلى القراء العرب وفى هذا الصدد تحدثت فى مقدمة كتابها فقالت: «لقد صممت على كتابة هذا المؤلف، وأردت أن أكرم العبقرية العربية، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، وكم سررت أن يترجم كتابى هذا إلى اللغة العربية حتى أستطيع أن أحدث مباشرة قلوب العرب بما يعتمل فى نفسى من المشاعر، وآمل مخلصة أن يحتل هذا الكتاب مكانه فى العالم العربى أيضاً كسجل لماضى العرب العظيم وأثرهم المثمر على أوربة والعالم قاطبة.

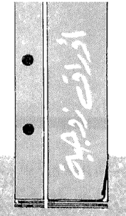
■ وأنتهز هذه الفرصة لأقدم شكري لأصدقائى العرب الذين أحاطوني بكرمهم ورعايتهم وعلموني أن أحب العرب والفكر العربي وأعجب بهما.

وقد قارن النقاد **«زيجريد هونكة»** ببعض المستشرقين الذين اهتموا بالحضارة العربية الاسلامية وأبرزوا فضلها على الغرب، ومن هؤلاء المستشرق **«آدم ميتز»**، وقد تميزت بدقة البحث وحسن الاستقصاء، وكان **«ميتز»** سباقا إلى البحث فى موضوع الحضارة الاسلامية فى كتابه المعروف باسم **«الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى».**

■ لقد شعرت **«زيجريد هونكة»** بمحبة عميقة تجاه شعب يدين له الغرب بالكثير ويعود إليه الفضل فى التقدم الذى أحرزه، ومما قالته حول هذا الشعور العبارات التالية:

«لقد آن الأوان، على ما يبدو للتحدث عن شعب طبع مجرى الأحداث العالمية بطابع عميق، شعب يدين له بالكثير الغرب والانسانية قاطبة». وقد نجحت زيجريد فى تقديم دراسة ممتعة عن التأثيرات العربية العظيمة على الحضارة الغربية واستعرضت انجازات العرب فى حقول العلوم الرياضية والفيزيائية والفلكية والطبية والفكرية والفنية استعراضاً رائعاً بأسلوب جذاب لم يوفق إلى مثله مؤلف آخر فى الغرب من قبل.

■ ومن مؤلفاتها الأخيرة كتاب بعنوان **«العقيدة والمعرفة»**، ترجم مؤخراً بقلم عمر لطفى العالم وطبع فى دمشق بدار قتيبة (١٩٨٧).



يوسف ابو عواد

٣٧١

متى اقتنعت أن السعـادة محصلة أمور عدة أهمها القناعة والصبر. فانك ستجدينها قريبة منك فى معظم الاوقات.

٣٧٢

إن ما يغيظنى فى احـاديث خالتى.. هى تلك الأسـافين التى تغرسها فى جسد العائلة على أنها حكم ونصـائح وتغادر بعدها ـ المنزل ـ تاركة الفرص مواتية لـ «قنبلة موقوتة»..

٣٧٣

اذا كنت فعلا غيورة.. وأن نار الغيرة ترفع حرارتك باستمرار. فما عليك إلا إعادة النظر فى خصوصياتنا.. لتهبط درجة حرارتك.

٣٧٤

احـترامـك وتقديرك لأهلى هو بدوره محط احترامى واعجـابى أنـا الآخـر لكن أرجو أن لا يكون ذلك فقط بحضورى. كزخة عطر تزكم الأنف وتغشى العيون.

٣٧٥

إليك عنى.. إنى لأكره أن أضمّ قلباً لا يرف له قلب «الدتى»..

٣٧٦

آنستى.. غدا تزفين الى عريس لم تألفيه فنصيحتى لك أن تبيتى ليلتين عند ـ أرملة ـ ومطلقة ـ وتستنصحيها ـ فيما أنت مقبلة عليه.. حتى تعرفى شيئا آخر عن الرجال.

٣٧٧

وأسأل عنك أنت الحب.. هل أملك سوى حب وأسأل عنك هل رفت.. لغيرك مهجة الصب

٣٧٨

لقـد سئمت من الحديث عن السفر.. وعن الذين قضوا الاجازة على شواطىء البحر.. اننى جالس وحدى هنا.. واذهبى انت الى البحر.

٣٧٩

إذا كنت فعلا ممن يحرص على حياة زوجية ترفرف على جنباتها السعادة والأمان.. فتجنبى تلك الفئة من النسوة اللواتى يتحدثن بصوت جهور.. ويُحسِنَّ فن القيـادة.. فقـد لا يكـون زوجـك سهـل الانقياد مثل غيره.. وتذهبين ضحية.

٣٨٠

عزيـزتى.. من السهل أن ينخدع البعض ويطلب يدك ويـزداد تمسكـاً مهما غلا مهرك.. لكن همه على الاحتفاظ بك.. قد لا يكون بنفس تلك السهولة.

٣٨١

لا أمنعك من بر أهلك ولا من صلتهم والتودد إليهم. إلا اذا كانت تلك الصلة أو ذلـك التردد سيتحول الى ناقوس يدق عند وسادتى.. ويطرد الكرى من أجفانى.

٣٨٢

احتفظى بمشاعرك الدافئة.. وعواطفك الجياشة الى موقف محرج.. أجد نفسى أحوج ما أكون إليها.



ام عمـرو

٣٧١

ليتنى أستطيع ان أضع هاتين الكلمتين «القناعة والصبر» فى «برشامة» وأسقيها لكل الرجال. . وقتها لن تكون هناك حاجة لإقناع امرأة بأنها سعيدة.

٣٧٢

الوقاية خير من العلاج والأسرة السليمة كالجسم السليم يقاوم الأسافين ويفك ويبطل مفعول القنابل بأنواعها المختلفة.

الغيرة شعور بالنقص والانسان لا يشعر أبداً بالنقص إلا إذا تجاهله من يحيطون به أوغمروه بانتقاداتهم وانتقاصهم لكل ما قام أو يقوم به من أعمال.

٣٧٤

تحب الزوجة أهل زوجها حباً حقيقياً عندما يكون هو بسلوكه وخلقه نموذجا طيبا لهذه الأسرة. وعندما يكف عن التدخل بين زوجته واهله وبترك هذا التدخل تكون علاقاتها بهم بشكل طبيعى وتلقائى.

٣٧٥

الحرص على رضا «الحماة» شىء طيب. . المهم أن يكون ما يرضيها بالامكان.

٣٧٦

ما الذى نريد أن نعلمه بناتنا من الأرامل والمطلقات؟ أما الأرامل فهذا قدرهن. وأما المطلقات فقد يكنّ ظالمات أومظلومات. وفى الحالتين سيقدمن صوراً مشوهة للرجال ماذا عن أم وزوجة ناجحة ألا تمثل هذه معلمة أفضل؟.

٣٧٧

هذه «وصفة مجانية» من باب «أوراق زوجية» لكل الأزواج والزوجات الذين يعانون من السأم والملل ويشكون من الركود والكآبة علها تضيف الى حياتهم بعضاً من الحيوية والتفاؤل.

٣٧٨

«الذهاب الى البحر» أفضل بكثير من «الشرب منه».

٣٧٩

الزوجة تلجأ لتعلية الصوت واستخدام الحيل عندما لا تجد من يجلس ليستمع إليها ويناقش رأيها بتفهم أو تتصور أنها فى معركة تستلزم استخدام هذه الأساليب.

٣٨٠

غلاء المهـور هو من أسوأ الاهانات التى قدمت للمرأة. . الزواج الناجح يبنى على حسن الاختيار وعدم الانبهار بالمظهر فى كل من الزوج والزوجة معاً.

كل أمور الحياة تهون إذا خططت ورتبت وتم التفاهم على حدودها فى الزمان والمكان والتكلفة مقدماً. مع الاستعداد للأخذ والعطاء هنا وهناك من حين الى آخر.

لا أدرى لماذا يتصور بعض الرجال إمكانية أن تتحكم المرأة فى إظهار وإخفاء عواطفها بطريقة ميكانيكية محكمة بينما يصرون على الاحتفاظ بحق التعبير عن مشاعرهم عندما يروق لهم ذلك. قدرة الانسان على التحكم فى انفعالاته لا تختلف من رجل لامرأة.



ورقة امتحان

قصة قصيرة:

بقلم: رستم كيلانى
القاهرة

فى الدقائق الباقية على بداية الامتحان كان الكثير من المشاهد، والخواطر تطوف برأس «حمدى» فلقد أجاد فى الاجابة عن كل مادة مرت به، ولم يتبق له غير المادة الوحيدة التى سيمتحنها بعد لحظات، وكان يعمل لها ألف حساب، اذ كان الطلبة جميعا يعتبرونها مادة خائنة مهما أحسن فيها الطالب، فربما زل قلمه وهو لا يدرى.

وتذكر. كيف عمل موظفا بسيطا بعد موت والده ليكفل لأمه واخواته الصغار حياة أفضل.. وكيف انتسب الى كلية الحقوق ليواصل تعليمه الذى انقطع بسبب تلك الظروف التى حلت به.

كما تذكر أمه فى صباح هذا اليوم قبل حضوره اللجنة، عندما جلس بجانبها على سجادة الصلاة وهى بوشاحها الأبيض، وهو يحاول تقبيل يدها، وقالت له: - اذهب يا ولدى مصحوباً بدعوات منّى.. فى رعاية الله.

ظل على هذه الحال وقتا وهو يستعرض لمحات من شريط حياته، وقطع عليه مواصلة العرض صوت زميل يخاطب زميلا آخر:

-.. لو جاء الامتحان يا فؤاد سهلا سأدعوك الليلة على عشاء معى.. وسرح «حمدى» بخيالة، وكأنما يخاطب نفسه:

- لو جاء الامتحان سهلا.. ساشترى لأمّى علبة الملبن التى وعدتها بها، وسأعطى لأخوتى قروشا يشترون بها كل ما يرغبونه..

آه.. لو جاء الامتحان سهلا لاطمأن قلبى، وأضمن نجاحى هذا العام فى «الليسانس» بتقدير طيب، لأعوض كل شىء بالنسبة لأمى ولأخوتى.. وتنتهى كل متاعبى..

وعم السكون المطبق السرادق الكبير عندما ارتفع صوت المراقب، والكل آذان له واعية:

- لقد آن الوقت لتوزيع ورق الأسئلة..

وبدأ الكل يعتدلون فى جلساتهم استعدادا للامتحان..

ووضعت أمام «حمدى» ورقة الأسئلة وقرأ بصوت خافت بعض الآيات القرآنية، والأدعية، ولاحت على الفور صورة أمه وأخوته الصغار وهم يقولون فى صوت واحد:

« لا ترهب الموقف.. الله معك »

وبيد مرتعشة أمسك بورقة الأسئلة، وواصل القراءة فى لهفة وشغف، وارتسمت على وجهه ابتسامة مشرقة ملأت نفسه غبطة ورضا، وتنفس الصعداء، وسرت فى أعماقه راحة نفسية عجيبة، وقبل يده ظهراً وبطناً وحمد الله...



يوميات عاطل عن العمل

قصة قصيرة:

بقلم : حسين حسن التميمي
الاردن - الزرقاء

لابـد ان أستيقـظ باكـرا حتى أستطيع أن أقرأ صحف الصباح، لعلنى أجد ضالتى، لعلني أجد اعلانا يفتح شهيتى نحو العمل... بهذه الكلمات خاطب سعيد نفسه، لكنه في تلك الليلة لم يستطع ان ينام، أخذ يفكر في خطيبته مهـا والشروط التي وضعها والـدها للزواج... لابد أن يجد وظيفة محترمة وأن يستأجر شقة وأن يملك سيارة و.... و.... و....

لقد ذهب النوم من عينيه وسيطر الأرق على جفنيه وكأنه في خصام مع النوم، أخذت الأحلام تتسلل الى داخله شيئا فشيئا، الشقة الفخمة، وعروسه الجميلة، وسيارته الفاخرة، يجلس مع عروسه فى حديقة المنزل، والأطفال من حوله يلعبون.. نهض من فراشه، أخذ يتجول داخل الغرفة وفجأة قال مخاطبا نفسه: انني الأن أمام مفترق طرق اما ان اجد عملا فى بقعة ما أو السفر، لابد أن أخرج من هذا القبر المسمى بـ (البطالة) ... فهي مرض يفتك بجسدى، يحولني الى انسان مشلول، الأعين كلها تنظر نحوى لابد أنها تسخر مني، لابد ان أغير نمط حياتي، لابد ان أعيش كما يعيش الأخرون.

انني أتحرك وأتنفس، آكل وأشرب، لكنني ميت من الداخل - أموت فى اليوم ألف مرة، انني املك الشهادة الجامعية والتي استطيع من خلالها ان أقتحم ميدان العمل.

بهذه الكلمات زرع الامل في صدره من جديد.

الساعة الآن الرابعة بعد منتصف الليل وبينما هو كذلك تسلل النوم الى عينيه وغرق في الاحلام الجميلة، وفجأة استيقظ، أخذ الخوف يتسرب الى قلبه، جسمه بدأ يرتعد وقلبه يخفق خفقات متواصلة، نهض من فراشه مذعورا، يلتمس طريق المستقبل، نظر الى الساعة الحائطية المعلقة داخل الغرفة انها السابعة صباحا ولابد ان آخذ فنجانا من القهوة حتى اشعر بالانتعاش، شرب فنجان القهوة واخذ يتصفح جرائد الصباح «طلب موظفين بخبرة - مطلوب مندوب يحمل رخصة سواقة ويملك سيارة - مطلوب مندوبات علاقات عامة - مطلوب مراسل له خبرة ويملك سيارة او دراجة نارية - فندق يطلب موظفاً ويحمل شهادة جامعية ولا يشترط الخبرة» جهز اوراقه وخرج الى الشارع مسرعا، لابد ان يجد فرصته، ركب (الباص) المتجه الى العاصمة وصل العاصمة واتجه الى (السرفيس) الذى ينقله الى الفندق.. ارجوك ان توصلنى الى الفندق.

- السائق: حاضر

أخذ يلتفت يمنه ويسره لئلا ينسى.. السائق يبدو أنه ما يزال ذاكرا.

- السائق: أنزل هنا وأشار بيده الى الفندق

- سعيد : شكرا

صعد الى الفندق أخذ يلتقط أنفاسه

- سعيد للموظف: لقد أعلنتم فى الصحف أنكم تريدون موظفا.

- الموظف: أرجوك قدم طلبا.

بعد أن انتهى سعيد من كتابة الطلب قدمه الى الموظف.

- الموظف: سوف نتصل بك على عنوان التلفون فى حالة الموافقة.

- سعيد : شكرا

إنصرف من الفندق وعلامات الاحباط ترتسم على وجهه.

- سعيد مخاطبا نفسه: لا يمكن أن يقع الاختيار علي.

وأنتظر فى البيت يوما - أسبوعا - شهرا. ولم يأت الرد

لابد أنهم قد أختاروا غيرى لابد أن أحاول مرة أخرى - مع وظيفة أخرى.

بهذه الكلمات خاطب سعيد نفسه وما يزال عاطلا عن العمل.





في الترجمة التي تصدرت «لسان العرب» لابن منظور ط. دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٣٨٨/١٩٦٨.

قال الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني في كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»: «... قلت وجمع في اللغة كتابا سماه «لسان العرب» جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة والنهاية وحاشية الصحاح..».

ولكننا نقرأ مقدمة ابن منظور نفسه فنراه ينص على خمسة كتب قائلا: «ولم اجد في كتب اللغة اجمل من تهذيب اللغة.. ولا أكمل من المحكم.. ورأيت الجوهري (الصحاح).. اتيح له.. ابن بري فتتبع ما فيه (الحاشية).. ورأيت.. ابن الأثير قد جاء.. بالنهاية.. فليعتد من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة» ـ ولم ترد «الجمهرة» في كلامه أو في كتابه.

مقدمة في دراسة الأدب الحديث ـ للدكتور حلمي مرزوق (الاستاذ بجامعة الاسكندرية رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بيروت العربية) بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨٠ـ١٦٠ص.

١ ـ المقصود ـ كما هي العادة الغالبة على اخواننا المصريين ـ بالأدب الحديث: الأدب الحديث في مصر. وقد اتسع قليلا فشمل اللبنانيين لسببين الأول: انهم اللبنانيون الذين هاجروا الى مصر فكانوا من عوامل النهضة فيها، الثاني: لأن المقدمة درست في بيروت.

٢ ـ قلما مسّ الكتاب «الأدب» نفسه، وإنما انصب على الجوانب التاريخية المختلفة، وأكثر المادة معادة مكررة في غيره من قبل ومن بعد.

٣ ـ جاء في المقدمة: «ان هذا الكتاب فصول سبقت في كتابنا «تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث..». وهذا صحيح ينفي الحاجة الى اصدار الكتاب وكأنه كتاب مستقل جديد يتكرر شراء الناس له مرتين.

٤ ـ ص ٢٩) من آرائه ان النزعة الوطنية بذر بذورها المستعمر (الانكليزي).

٥ ـ مفهوم «القومية» لديه محصور بالمصرية فتقول: القومية المصرية أي الوطنية المصرية. تنظر ص٣٠، ص٣٢. ولم يوضح هذا المفهوم الذي صار قديما للقارىء الحديث.

٦ ـ يرسم جرجي زيدان: جورجي زيدان، وهو خطأ تنظر ص٨١.

٧ ـ ترجم ص ٨٦ WESTERNIZATION بالفرنجة، وص٨٧ بالتغريب. والمناسب التوحيد. والتغريب هو الأصح ترجمة ولكن الفرنجة هي التي غلبت





د. علي جواد الطاهر

ـ او سادت ـ استعمالا .

٨ ـ ص ١٢٣ «أنطنا . . .» الصحيح : نطنا ـ لأن الفعل ثلاثي .

٩ ـ ص ١٣٠ «ترجم البستاني «الالياذة» واتبع الأدباء سبيلها في التأليف ، فوفد شوقي على المستشرقين في جنيف عام ١٨٩٤ بهمّت الفُلك يريد أن يدحض هذه الدعاوى (دعوى تخلف الأدب العربي في الملاحم» .

يفهم من «فاء» فوفد شوقي ، أن شوقي تابع الإلياذة المترجمة . وهذا غير صحيح لأن قصيدة شوقي «همّت الفلك» سابقة على ترجمة الإلياذة ـ لقد صدرت الترجمة في القاهرة سنة ١٩٠٤ .

■ *كُتبٌ وكُتّاب ـ بقلم الدكتور حسين مؤنس الجزء الأول . القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٩ (تاريخ المقدمة : مدريد ، يوليو ١٩٦٨) ٤٠٥ ـ ١٠ ٤ص.*

١ ـ جاء في المقدمة : «هذه الفصول كلها نشرتها من قبل في عدد الجمعة من جريدة الأهرام (. . . .) واليت العمل شهراً بعد شهر حتى اجتمع هذا الحصاد . وعندى ، بعد ذلك ، مثله مما أرجو أن تأذن الظروف في نشره في كتاب آخر . .» .

الكتب كلها غربية . ولا أحسب أن الجزء الثاني قد صدر؟ .

٢ ـ يترجم ص ٤٦ BEST SELLER الكتب الطيارة . وقد يحسن أن يترجمها بالكتب الرائجة أو كتب السوق الرائجة .

٣ ـ ص ٧٨ «ويمضي هائما على وجهه ، لا يستقر به موضع إلا طلب غيره ، وكأنه يردد قول شاعرنا أبي محمد علي بن حزم :

لم يستقر به دار ولا وطن
ولا تدفأ منه قط موضعه
كأنما صيغ من رهو السحاب فما
تزال ريح الى الآفاق تدفعه

أ ـ صحيح لم يستقر به دار : لم تستقر .

ب ـ قد يفهم من قولنا «علي بن حزم» أن «حزما» اسم أبي الشاعر . لذا نقول إنه «علي بن أحمد بن سعيد بن حزم» وحسن أن يرسم هكذا : «علي ابن حزم» .

ج ـ تذكرنا أبيات ابن حزم بعينية ابن زريق البغدادي .

٤ ـ ص ٣٣٩ «الكتاب الذي اقدمه اليوم طبع في بيروت في مايو ١٩٦١ (. . .) عنوانه «مختارات من الأدب العربي المعاصر باللغتين العربية والفرنسية مؤلفه فنسان مونتي مستشرق فرنسي معروف . انه استاذ في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس ومدير مدرسة خاصة أنشأها الفرنسيون في بكفايا في لبنان لتعليم اللغة العربية .

من الأدب العراقي المعاصر إختار فنسان مونتي ثلاثة نماذج تصور بصورة رائعة الحيرة والقلق والتشاؤم ، وهي العناصر الثلاثة التي تجدها عند كل أديب أو شاعر صادق

في العراق:

صفحات من «نشيد الأرض» لعبد الملك نوري (١٩٥٤) كأنها شكوى غارقة في الدموع.

وصفحات من (الأرض والبر والماء» لذنون أيوب (١٩٥٧) عنوانها «اللاجيء» صرخة عربي صادق منفي عن وطنه يحس أنه لاجيء، منفي نفيا مضاعفا.

وخمس أغان للألم لنازك الملائكة (١٩٥٨). شعر مرسل، أو بين المرسل والمقفى، هذا اللون الذي عرفت به هذه الشاعرة العراقية الشابة كلها بكاء ونواح، كلها غزل في الألم:

تهدي ليالينا الأسى والحرق..

أ ـ بكفايا: بكفيا

ب ـ الأرض والبر والماء: الأرض واليد والماء

ج ـ شعر مرسل: حر.

■ ***محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ـ تأليف المرحوم الشيخ محمد الخضري، الطبعة السادسة ١٣٧٠، القاهرة، مطبعة الاستقامة، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد ـ القى الشيخ الخضري هذه المحاضرات في الجامعة المصرية، ونشرت في حياته.***

الجزء الأول

١ ـ ص ٥٤ «*همذان ومن والاها من اليمن*» ص ٢٢٢ «*نهاوند مدينة عظيمة في قبلة همذان*»، ص ٢٢٤ «*همذان*».

همذان الأولى خطأ أن ترسم بالذال وإنما هي بالدال (بعد الميم الساكنة) «همدان» قبيلة عربية من اليمن.

همذان الثانية والثالثة صحيح ـ وواجب ان ترسم بالذال ـ بعد فتح الهاء والميم «همذان» احدى مدن ايران (وان صعب على الايرانيين لفظ الذال).

ولا يمكن أن يعود الخطأ في رسم «همذان» الأولى الى المؤلف.

٢ ـ ص ٥٦ «*وكانت قريش أرادت أن تمتاز عن سائر العرب*»: *من.*

٣ ـ ص ١٧١ «*تتزوج أبو بكر في الجاهلية... أم رومان بنت عامر..*»

رومان بضم الراء، وقد يبدو اسمها غريبا.

٤ ـ ص ٢٠٠ «*كتب الى دهاقين السواد أن يشوروا بالمسلمين*» *صرنا نستعمل ثار عليه.*

الجزء الثاني

١ ـ ص ٢٠ «*قال عمر: «وأيش صناعتك»..*

في هذا ما يدل على قدم استعمال «أيش» ولا بد من ان تكون اختصاراً لـ: أي شيء صناعتك». وأذكر اني قرأت الخبر ذات يوم في كتاب الطبري (التاريخ).

٢ ـ ص ٢١ «*رحا*» *كذا ورد رسمها. وترسم «رحى». الثاني أشيع والأول أيسر.*

٣ ـ ص ٤٨ «*وكان من المهم عنده أن يبايعوه طلحة والزبير*»: *أن يبايعاه ـ ولا يعود الخطأ الى المؤلف.*

٤ ـ ص ٥ «*ان لهؤلاء القوم مادة ـ يفهم من كلمة «مادة» معنى كثرة في العدد (قوة).*

٥ ـ ص ٧٤ «قال علي لأهل الكوفة ـ بعد التحكم: أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى
مكان الهدى، أو أنني غير مهتد
وهل أنا إلا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

■ أخو هوزان هو دريد بن الصمة، من فخذ منهم يقال لهم «بنوغذية» ـ تنظر الأبيات في حماسة أبي تمام وقد وردت «مهتدي» و«مهتد» وقد تكون الأولى أولى.

٦ ـ ص ١٥٨ «لقيط الأيادي» ـ الصحيح الإيادي ـ بالكسر. ويصعب أن يعود الخطأ الى المؤلف.

أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب ـ عنابة ١٤-١٩ مارس ١٩٨٣، معهد اللغات والآداب، ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر، د. ت.

فى مقال الدكتور حسام الخطيب ـ الأدب العربى المقارن، البداءات والتطورات الأولى ص ٥٨ من الكتاب: «وبعد الخمسينيات (. . .) ترجم اثنان أو ثلاثة من الكتب الأساسية مثل كتابى فان تيغم وغويار».

الصحيح الدقيق ترجم كتابان (فقط) هما كتابا فان تيغم (تيجم) وغويار (جويار) وأحال الكاتب اليهما مترجمين فى مصر. الأول ١٩٤٨ والثانى ١٩٦٥.

واذا كان لابد من زيادة فهي انهما نفسهما ترجما كذلك، وبعد هذين التاريخين، وقبل عام ١٩٨٣، خارج مصر. الأولى د. ت، بيروت، المكتبة العصرية، ترجمة سامي مصباح الحسامى ترجم فيها كتاب فان تيغم، والثانية ١٩٧٨ منشورات عويدات، بيروت ـ باريس ترجم فيها هنرى زغيب كتاب غويار.

كما ان دار الفكر القاهرية اعادت طبع ترجمتها لكتاب فان تيجم التى صدرت عنها سنة ١٩٤٨.

أحمد بن أبى الضياف ـ اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ـ نشر كتابة الدولة.. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس 1963.

ولد المؤلف فى سنة 1919 هـ (1804 م) وترقى فى الدولة وبلغ الوزارة، توفى سنة 1291.

١ ـ كتبوا فى أوله «الجزء الاول» وكتبوا فى نهايته «المجلد الأول» وكان المؤلف قد قسم كتابه على مجلدات.

٢ ـ تبنى المحققون الأرقام 1 2 3 4 5 .. فى صلب الكتاب. ومعلوم أن المغاربة يعدون هذا الرسم هو الصحيح والغربيون يسمون هذه الارقام الأرقام العربية.

ولكننا اذا نظرنا فى الصفحات التى صورها المحققون من الكتاب المخطوط نجد الأرقام قد رسمت كما يرسمها المشارقة ١ ٢ ٣ ٤ ٥ .. ففى النسخة الخلدونية (وهى من المؤلف وقد اطلع عليها وعلق..) نقرأ: «سنة ١٣٤٣، وسنة ١٣٣٩. وفى صفحة من المسودة التى بخط المؤلف نقرأ سنة ١٣٨١ وفى مخطوطة المكتبة العبدلية تاريخ نسخ المجلدة الأولى سنة ١٣٣٢ نقرأ «سنة ١٢١٩» جعلها المحققون 1219. وفى نسخة محمد القروى وتاريخ نسخ الجزء الثانى ١٣٠٨ نقرأ «سنة ١٢٢٣» ونقرأ فى تعاليق القروى نفسه أرقاما كتبت بالرسم المشرقى مثل «سنة ١١٠٨» و«سنة ١١٠٥» ـ أما تدعو أمانة التحقيق ـ فى الأقل ـ إبقاء الأرقام على رسمها كما تركه المؤلف ـ وعصره ـ فضلا عما لذلك الرسم من قيمة فى دراسة «الأرقام العربية» نفسها.

٣ ـ ما جاء بعد «بسم الله الرحمن الرحيم» عرض فيه المؤلف دواعى التأليف وخطة الكتاب متابعة لمنهجية السلف، والتقاء مع متطلبات المنهج الحديث فيما يسميه «المقدمة».

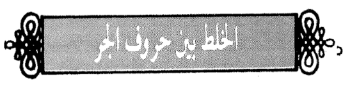
٤ ـ يقول المؤلف عن كتابه «.. ورتبته على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة. المقدمة تشتمل على عقدين. العقد الأول فى الملك وأصنافه (. . .) العقد الثانى فى الالمام بأمراء افريقية..».

والمقدمة هنا، فى منهج البحث تقابل المدخل او التمهيد فى العصر الحديث Introduetion.

أخطـــاء مشهورة



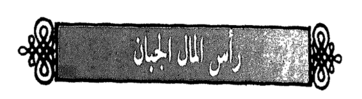
الفريق
يحيى عبدالله المعلمي



■ من الأخطاء المشهورة التى كثر تداولها بين الناس سواء فى الأحـاديث العامة أو فى الكتابة الخلط بين حروف الجر واستعمال بعضها فى غير مكانه.

ومع أن بعض حروف الجر تنوب عن بعض فان بعض الحروف تستعمل استعمالا غير صحيح وبغير ضرورة موجبة فمن ذلك استعمال حرف الباء بعد كلمـة (قبـل) فيقـال مثلا: (قبل المتخاصمان بقرار التحكيم) فالباء المدخلة على كلمة قرار لا لزوم لها لأن الفعل (قَبِلَ) يتعدى بنفسه بدون حرف الباء وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً لا تجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئا ولا يُقْبَلُ منها شفاعةٌ ولا يُؤخذُ منها عدلٌ ولا هم يُنصرون﴾ (سورة البقرة الآية ٤٨) وقوله عز وجل ﴿واتّقوا يوما لا تجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئا ولا يُقْبلُ منها عدل ولا تنفعها شفاعةٌ ولا همُ ينصرون﴾ (سورة البقرة الآية ١٢٢) وقوله تعالى: ﴿ومَنْ يَبْتَغِ غيرَ الاسلام دينا فلن يُقبلَ منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ (سورة آل عمران الآية ٨٥)، وقـولـه تعالى: ﴿إنّ الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كُفـرا لن تُقْبَل توبتهُم وأولئك هم الضـالـون﴾ (سورة آل عمران الآية ٩٠)، وقوله تعالى: ﴿إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقْبل من احدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ (سورة آل عمران الآية ٩١)، وقال تعالى: ﴿وما منعهم أن تُقْبل منهم نفقاتُهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتـون الصلاة الا وهـم كسالى ولا ينفقون الا وهـم كارهون﴾ (سورة التوبة الآية ٤٥).

■ ففى هذه الآيات الكريمات جاءت كلمة قبل بصيغة المضارع المبنى للمجهول ولم يدخل حرف الجر ـ الباء ـ على نائب الفاعل وفى آيات اخرى من القرآن الكريم ورد الفعـل (قبـل) على صيغة البناء للمعلوم متعديا بنفسه بدون الباء، وقال تعالى: ﴿ألمْ يعلموا أنَّ اللهَ هو يقبل التـوبةَ عن عباده ويأخذ الصدقات وأنَّ الله هو التواب الـرحيم﴾ (سورة التوبة الآية ١٠٤)، وقال تعالى: ﴿والذين يرمـون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانـين جلدة ولا تقبلوا لهم شهـادة أبـداً واولئك هم الفاسقون﴾ (سورة النور الآية ٤)، وقال تعالى: ﴿وهو الذى يَقْبـل التـوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾ (سورة الشورى الآية ٢٥)..



رأس المال الجبان

يتحدث بعض المشتغلين بالتجارة او الصناعة عن رؤوس الأموال وتوظيفها وتنميتها واكتساب الارباح منها.

ولكنى سأتكلم عن جانب آخر من جوانب استعمال رأس المال ذلك هو جانب الاستعمال الصحيح لهذه الكلمة لفظا لأن رأس مال الاديب هوالكلام وهو يستثمر كلامه أحيانا ويبدده أحيانا كثيرة وقد يوجه كلامه وجهة حسنة تعود اليه بالخير والفائدة المادية والمعنوية وقد يسيء توجيهه فيعود عليه بالوبال والخسران مادة ومعنى تماما كما يفعل أصحاب رؤوس الأموال بأموالهم.

وارجو أن لا يغتر الأدباء بهذه الكلمات فيظنون انهم قد أصبحوا فعلا من أصحاب رؤوس الأموال فينفقون ببذخ وسرف ويصرفون مافى الجيب ثم ينتظرون مافى الغيب فلا يأتى اليهم.

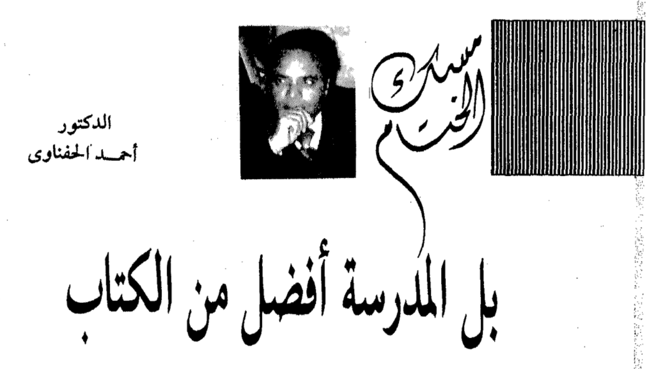
اما محور حديثنا عن رأس المال فى هذه الكلمة فهو ان بعض المتحدثين عنه يحاولون التخفف منه لفظا لا حقيقة فهم لا يطيقون الهمزة التى تقع بين الراء والسين ولا يحافظون على فتح حرف الراء بل يكسرونه عمدا وهو لم يسيء اليهم بشيء، ويحذفون اداة التعريف ال واذا احتاجوا اليها وضعوها قبل الراء فهم باختصار يقولون (رسمال) بدلا من رأس مال ويقولون الرسمال بدلا من رأس المال.

وزيادة على ذلك فهم يجمعون الكلمة التى استحدثوها فيقولون: الرساميل جمعا لكلمة رسمال ويقصدون بذلك رؤوس الأموال.

ونحن نقول لهؤلاء المتحدثين اذا كنتم تستثقلو رؤوس اموالكم وتودون التخلص منها أو من بعضه فأنتم وشأنكم فى ذلك ولكننا نرجو أن تتركوا لنا كلمة رأس المال وجمعها رؤوس أموال كما أتت الينا من أجدادنا فلغتنا هى رأس مالنا وتراثنا الذى نحرص على المحافظة عليه وقد قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: **﴿وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظْلِمون ولا تُظلمون﴾** (سورة البقرة الآية ٢٧٩).

وقد يقول مستعملو كلمة رسمال ورساميل ان ذلك من باب النحت وهو اسلوب معروف فى اللغة العربية ولكنا نقول لهم ان استعمال اللفظ القرآنى اجمل بنا واجمل للغتنا.





الدكتور
أحمد الحفناوى

بل المدرسة أفضل من الكتاب

●● موضوعنا فى هذه الزواية لهذا العدد يتناول مشكلات التعليم والتربية، ومشكلات الدرس والثقافة وكذلك مشكلات الآداب الاجتماعية والأخلاق العامة.

ونعتقد أن هذه المشكلات جميعا ترجع الى سبب واحد أصيل يحيط بجميع أسبابها الفرعية. ونعتقد كذلك أن العلم بهذا السبب الأصيل ينفعنا نفعاً محققا فى تدبير الحلول الصالحة لتلك المشكلات، وتدبير الحلول الصالحة لمشكلات أخرى ترجع إلى ذلك السبب الأصيل.

■ تتكرر الشكوى من تقصير المتعلمين وإهمالهم، ويرى الشاكون ـ بحق ـ أن التلميذ فى هذا العصر، لا يصبر على الجهد الذى كان يصبر عليه التلميذ فى عصور ماضية.

وسمعنا من يقول: ان علم التربية قد أفلس وخيب الآمال، ثم يسأل: أليس من النافع فى هذه الحالة أن نرجع إلى خطة «الكُتّاب» فى القرن الماضى؟ أليست طريقة «الفقيه» جديرة بالمراجعة بعد أن ازدرينا بها كل الازدراء؟.

■ ويقول هؤلاء السائلون: إن «الكُتّاب» قد خرج للعالم العربى نخبة من النوابغ والقادة وإنه ما من نابغ فى القرن الماضى إلا وقد مر «بالكتاب» وتعلم فيه بضع سنين. والمراجعة ـ فى اعتقادنا ـ لا تسوغ القول بإفلاس التربية، لأنها تتطور مع تطور علم النفس الخاص بالناشئة المتعلمين.

ولا تدل المراجعة على ان «الكُتّاب» نجح حيث لم تنجح المدرسة، فالنوابغ الذين اشتهروا فى القرن الماضى، انما أخذوا من «الكتاب» وأخذوا من المعاهد الأخرى وتغلبوا على العقبات، لأنهم نوابغ أصلا وممتازون، ونحن ننظر إلى النوابغ الذين حضروا التعليم فى «الكتاتيب» وهم قلة قليلة.

■ إن النوابغ قد نبغوا برغم حضورهم التعليم فى هذه الكتاتيب «وهم كثرة وفيرة.. فليس من الانصاف أن

يقال:

إن النوابغ قد نبغوا بفضل «الكُتّاب» لأن نبوغهم غير مقصور عليه.

■ وليس من الانصاف أن يقال: ان تعليم «الكتاب» ناجح لأنه خرج غير هؤلاء النوابغ ألوفا لا يعرفون أكثر من الهجاء وأرقام الحساب، وتزويد الكتاب لهم بهذا القسط الضئيل من المعرفة لا يدل على نجاح كبير.

لكننا إذا قلنا: إن «الكتاب» قد أفرط في الشدة فإننا لا نعني: ان الافراط في اللين مفيد، وأنه يصلح حيث لا تصلح خطة الكتاتيب.

وإنما الآفة هنا آفة شاملة مستفيضة في العالم كله، شملتنا كما شملت سائر الأمم، وشملت الاباء كما شملت الابناء وخلاصتها: ان الانسان في العصر الحاضر يعفى نفسه من التكاليف ويحسب كل شيء حقا له بغير عناء، ولا ننسى أن بعض المشتغلين بالتربية في العالم وعنهم ينقل بعض المشتغلين بالتربية في عالمنا العربي - يظنون أن المتعلم معفى من الجهد في التحصيل ورياضة الأخلاق، وإلا كان النقص في التربية وطريقة التعليم.. هذه آفة العصر وخليق بنا أن نعرفها جيدا، فقد لقيناها في كل طريق.

آفة العصر كله: أننا أوشكنا لا نسمع خبرا لغير صاحب حق:. حق الابن على الأب، حق التلميذ على المعلم، حق الأسرة، حق الزوجة، حق العامل، حق الضعيف.. حق كل مدع بحق.. وأين الواجب؟ ليس له من صوت..

وقد كاد صوته أن يخفت حتى في أعماق الضمير.

هنا بدأ الإفراط في «التربية» وخطر لفريق من المشتغلين بها، أن التعليم خلو من كل مشقة وأن التلميذ من حقه أن يتعلم كل شيء ولا يتعب في شيء.

وكانت الفكرة لذاتها أخطر من مساويء التعليم القديم لأن الطفل الذى يدخل ميدان الحياة وهو مؤمن بإعفاء نفسه من الكلفة والمشقة يضعف عن أعباء الحياة في الخطوة الأولى.

إن الرجوع الى خطة «الكتاب» لا يجدى ولا تلجئنا إليه الضرورة، وإنما نحن ندعو إلى تصحيح منظور المغالين في التربية، لأن أول فرص هذه التربية ألا يخطيء التلميذ فهم الواقع في الحياة من بدايتها إلى نهايتها، وانه ليخطيء فهم الواقع جدا إذا فهم أن الدنيا فراش وثير يمهده له المعلمون والآباء وانه يوطن نفسه على التعليم بغير جهد وبغير مشاركة منه في مجهود المعلمين.

■ مثل هذه المشكلة مشكلة القراءة والاطلاع.. في عرف بعض الدعاة العصريين: من حق القاريء أن يفهم بغير جهد والا فالذنب من أوله إلى آخره على الكاتب والكتاب.

■ ومثل هذه المشكلة أيضا مشكلة الآداب الاجتماعية والخلقية، فما من جريمة تقع ونقرأ أخبارها اليوم الا لمسنا وراءها عقيدة خاطئة عمادها: اعتماد الحقوق ونسيان الواجبات:

- ولد يضرب أمه؛ لأنه من حقه أن يأخذ، ومن واجبها أن تبذل له ما يريد.

- عاطل يسرق؛ لأنه من حقه أن يعيش في بذخ كما يعيش العاملون المجدون.

- موظف ينهب المال العام المؤتمن عليه؛ لأنه له هو ما دام في يديه.

كل انسان له حق يطلبه، وما من إنسان عليه واجب مطلوب.

■ انه لا ضرورة للعودة إلى «الكُتّاب» ولا ضرورة لإخلاء التعليم والتثقيف ورعاية الأخلاق من جميع المصاعب والمتاعب وإنما الضرورة التى لا محيد عنها أن نوازن بين حقوقنا وواجباتنا.

الموضوع	الكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	مج	ع	ص ص
■ أثر وآثار:					
تحف الخزف فى متحف الفن الاسلامى	عبد الرؤوف على يوسف	المحرم/صفر ـ أغسطس/سبتمبر	٥٠	٤٦٥	٨٨-٨٢
دراسة لبعض العملات الاسلامية	عبد الرحمن عبد العزيز	المحرم/صفر ـ أغسطس/سبتمبر	٥٠	٤٦٥	٩٨-٨٩
■ أدب					
● الأدب المقارن:					
أثر العصر الحديث فى نهضة الدراسات الأدبية	د. بهيج القنطار	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	٩٥-٨٤
الفن بين التحرر والالتزام	د. محمد السيد عيد	المحرم/صفر ـ أغسطس/سبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٦-١٢٩
نجيب محفوظ فى مرآه الأدب المقارن		جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	٢٩-٢٤
● الخواطر الأدبية					
أدب المجاملة	بهيه بوسبيت	شعبان/ مارس	٥٠	٤٧٠	١٦٤
اذكريني	محمود فخرى محمد	رجب / فبراير	٥٠	٤٦٩	١٦١
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	المحرم/ صفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٧٩-١٧٨
أوراق زوجية	أم عمرو	المحرم/ صفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٧٩-١٧٨
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٧٩-١٧٨
أوراق زوجية	أم عمرو	ربيع الاول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٧٩-١٧٨
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٨٥-١٨٤
أوراق زوجية	أم عمرو	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٨٥ ١٨٤
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	رجب / فبراير	٥٠	٤٦٩	١٥٩-١٥٨
أوراق زوجية	أم عمرو	رجب / فبراير	٥٠	٤٦٩	١٥٩-١٥٨
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	شعبان / مارس	٥٠	٤٧٠	١٦٣-١٦٢
أوراق زوجية	أم عمرو	شعبان / مارس	٥٠	٤٧٠	١٦٣-١٦٢
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٦٥ ١٦٤
أوراق زوجية	أم عمرو	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٦٥ ١٦٤
شهر الخير والمغفرة	بهية بوسبيت	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٥٦
فى بيتنا حرب اهلية	انتصار العقيل	محرم/ صفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٧٧-١٧٦
قـــرار	ميرفت صادق	محرم/ صفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٧٥
كان القلب يقول	عزيز ضياء	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	٦٦
كان القلب يقول	عزيز ضياء	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	٦٨
كان القلب يقول	عزيز ضياء	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٠٣-١٠٢
كان القلب يقول	عزيز ضياء	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٧٢-٧١

* (مج) : مجلد ، (ع) رقم العدد ، (ص ص) : صفحة

الموضــوع	الكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	مج	ع	ص ص
صرنا أغراب	فوزية حمزة غوث	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٧٤
صمود الجراح	يس الفيل	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٣٥
صناجة العرب	سمو الامير عبد الله الفيصل	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٥٥-١٥٤
صور من الغرب	عبد الله حمد الحقيل	جمادى الأخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٤٣
ضياء القمر	مديحة أبو زيد	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٦٦
العبقرى النبيل	ابراهيم خليل العلاف	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٣٠
عذاب التقى	عمر بهاء الدين الأميرى	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٤١
عشق الجهادات	عبد القدوس الانصارى	جمادى الأخره ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٤٩-١٤٨
علمنى لغة الأحجار	سهير ابراهيم عليوة	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١١٤
عندما يكبر الاسى	حسن عبد الرازق منصور	جمادى الأخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	٧٧-٧٦
العيد يا أشبال	عبد السلام هاشم حافظ	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٧٥
(غد شاعر)	أحمد خليل عبد الجبار	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٤٢
فلسطين ان لنا ان نعود	لطفى عز الدين	جمادى الأخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	٨٠
فلسفة الحرمان	سعيد آل جبران	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٥٢
فى أول القدس الرياح	د. عبد الله الشحام	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٠٩-١٠٦
قسم الطفل الفلسطينى	د. عبد العلى الود غيرى	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٢٨
قصيدتى	علاء الدين حمزة	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٦٥
كل مخطوطة تبكى	عبد العزيز بن ابراهيم	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٠٤
لبيك رب العزة	ابراهيم فودة	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٠٥-١٠٤
لكنه مؤمن	احمد محمد زيتون	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١١٧
لن أنسى يا جدى	يوسف حمدان	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٠٧
لن يعود لنبعه النهر	د. عبد العزيز شرف	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٥٠
المارد القادم	زكريا كرسون	محرم وصفر/ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١١١
مأساتنا	الشريف منصور بن سليمان	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٤٤
متكتـم	أحمد خليل عبد الجبار	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٤٣
المحرم	محمد الحلوى	ربيع الاول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٤١-١٤٠
مدينتى الحزينة	يوسف حمدان	ربيع الاول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٠٧
المدينة المنورة والتوسعات الفهدية	عدنان أسعد	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٢٩
من وحى الاسراء والمعراج	محمود شاور ربيع	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١١٦
المنظمة والدولة الفلسطينية	عدنان أسعد	جمادى الأخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	٧٠
لننتظر دائما	د. رجب البيومى	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٤٧-١٤٦
هل قرأت كتاب الحجر	د. عبد الله الشحام	جمادى الأخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	٧٩-٧٨
ولتشرق الشمس	أحمد سالم باعطب	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٣٢-١٣١
يارب عفوك	ابراهيم فوده	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٢٨
يا نجمة الليل	احمد خليل عبد الجبار	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٢٦-١٢٥
يا ليل	احمد خليل عبد الجبار	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٤٣
يا ليل هيان	د. ابراهيم السامرائى	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٢٠-١١٨
يا هوى الطائف	حسين عرب	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٤٠
يذكرنى	الخنساء	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٤٠
يسعى اليه . . ولا يلتقى	ابراهيم فودة	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٢٨
يمليخا يموت مره ثانية	د. محمد العيد الخطراوى	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٣٥-١٣٤
اليوم الأسعد مولده	بيرم التونسى	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٢٩-١٢٨
يوم النصر	عبد الله بن خميس	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٤٦-١٤٥

الموضوع	الكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	مج	ع	ص ص
■ القصة					
أشياء صغيرة صغيرة	مصطفى بلوزة	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٦٤
أعيدوا إليّ كفنى	مريم الغامدى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٨٣-١٨٥
الخروج من الكابوس	منى رجب	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٧١-١٧٣
ورقة امتحان	رستم كيلانى	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٦٦
يوميات عاطل عن العمل	حسين حسن التميمى	ذوالحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٦٧
● قضايا في الأدب والنقد					
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	أحمد الياقورى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	خليفة المحفوظى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	عبد الرحمن الفاسى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	د. عبد اللطيف عبد الجليل	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	د. عبد الكريم غلاب	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	عبد الله ركبان	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	د. عبد الله المصموت	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	على الصقلى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	د. فاطمة الجامعى الحبابى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	قاسم الزهيرى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	محمد بن شريفة	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	د. محمد عزيز الحبابى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	د. محمد فاروق النبهانى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	د. محمد مصطفى القباج	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الأصالة والمعاصرة (ندوة الشهر)	نبيه الانصارى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٨-٥٥
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. احمد عبد الحميد يوسف	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. احمد هيكل	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. حامد السيد النساج	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. رمضان عبد التواب	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. عاطف العراقى	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. عبد العزيز حمودة	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. عبد العزيز شرف	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	عبد العظيم الشبلى	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. عبد اللطيف عبد الحليم	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. على على صبح	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	عمر محمد كردى	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. محمد أبو الأنوار	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. محمد السعدى فرهود	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. محمد عبد المنعم خفاجى	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	د. نبيل راغب	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	وديع فلسطين	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
الحداثة المضمون والمنهج (ندوة الشهر)	نبيه الانصارى	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٥-١٠٢
د. سعاد الصباح ومملكة الشعر	عاطف أباظة	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٤٩-١٥٣

الموضـوع	الكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	مج	ع	ص ص
● **النقد الأدبي**					
أسطر فى الشعر	د. عبد العزيز شرف	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٥١-١٤٨
أسطر فى الشعر	مقبل العيسى	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٥٧-١٥٦
أسطر فى الشعر	د. نور الدين صمود	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٥٣-١٥٠
أسطر فى الشعر	د. محمد احمد حمدون	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٣٤-١٣٠
أسطر فى الشعر	د. صباح ابراهيم البطروخ	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٤٥-١٤١
أسطر فى الشعر	(د. عبد الله المعطانى)	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١١٥-١١٢
■ **اسلاميات**					
بين الهجرى والميلادى (دعونا نحاول)	د. ابراهيم حركات	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	د. ابراهيم السمرائى	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	د. احمد شلبى	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	د. سعد بن عبد العزيز الراشد	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	د. شوقى شعث	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	عبد العزيز الرفاعى	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	د. عبد الهادى التازى	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	عزيز ضياء	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	محمد الشاذلى النيفر	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	محمد عبد الله مليبارى	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
بين الهجرى والميلادى	د. يوسف بن على رابغ	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١١٥-٩٠
تاريخ التقاويم وبدايات السنين	د. أورخان سيفى يوجه ترك	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٣١-١١٦
التضحية بالنفس	هاشم دفتر دار	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٥-٤
الحج مؤتمر اسلامى	خالد محمد غازى	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٩-٦
الحركة السلفية ودورها فى نشر الوعى الدينى	محمد بن محمد العلمى	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٣-١٠
حرية الارادة وعواقبها	هاشم دفتر دار	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١١-١٠
الدور التربوى للمسجد	فرغلى جاد احمد	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	٢٢-١٤
شعبان وليلة النصف	محمد بن علوى المالكى	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٥-١٠
الشيخ الشعراوى فى حديث للمنهل	محمد الشرقاوى	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٣٨-١٣٠
ضرورة الحفاظ على الاسلام	د. عبد الله عبد المحسن التركى	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٠-٨
العناية بالقرآن الكريم	د. فتحى أحمد عامر	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٤٤-٤٠
قبس من الهجرة	د. أحمد عبد الرحيم السايح	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٥-٨
الكتاب سلسلة الاشعاع الحضارى	د. محمد احمد حمدون	ربيع ثانى وجماد أول/ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٢٢١-٢١١
المدرسة القرآنية وحياتنا المعاصرة	ابراهيم أبو عباة	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٨٧-٨٤
المدرسة القرآنية وحياتنا المعاصرة	عبد الرحمن آل فريان	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٨٧-٨٤
المدرسة القرآنية وحياتنا المعاصرة	د. عبد الحليم عويس	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٨٧-٨٤
المدرسة القرآنية وحياتنا المعاصرة	محمد الدهش	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٨٧-٨٤
المدرسة القرآنية وحياتنا المعاصرة	مناع القطان	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٨٧-٨٤
المدرسة القرآنية وحياتنا المعاصرة	منصور محمد العمرى	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٨٧-٨٤
المرأة المسلمة	د. بشرى عبد العظيم ابراهيم	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٤٧-١٤٦
مزايا الاسلام على الاديان	د. نادل عبد الهادى	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٣ ، ١٢
معجزة القراءة والكتابة	هاشم دفتر دار	ربيع الثانى وجماد الاول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٥-١٤
مفكرون من الغرب أشادوا بالاسلام	مصطفى عوض الله بشارة	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٦-١٤
مكة فى القرآن الكريم	د. فتحى احمد عامر	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	٢٣-١٦
مناهل الاشعاع بين الحاضر والماضى	أحمد محمد جمال	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٢٧١-٢٧٠

الموضـوع	الكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	مج	ع	ص ص
الهجرة ووحدة المسلمين	د. احمد الحفناوى	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٢٠٦-٢٠٧
الوسطية فى الاسلام	أحمد بودهان	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٤-٢٠
● الاسلام والحضارة					
مراكز الحضارة الاسلامية	محمد زنيبر	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٦٠-٦٨
موقع العالم الاسلامى من الحوار الحضارى	عبد الهادى بو طالب	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٨-٢٩
● التربية الاسلامية					
أهم الوسائل العلمية للتربية الاسلامية	محمد رجاء حنفى	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٨٦-١٨٩
فى التربية الاسلامية خلاصنا	محمد ابراهيم بخات	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٨٣-١٨٥
● التشريع					
السنة منزلتها واهميتها للتشريع الاسلامى	السيد أحمد المخزنجى	ربيع ثانى وجماد اول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٢٦-٣٧
● السيرة النبوية					
حياة الرسول ﴿ﷺ﴾	وديع صوالحة	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٦-٢٥
هذا الحب هو المحك	د. محمد عبده يمانى	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٤-٥
● العادات الاسلامية					
ايام وليالى رمضان فى القاهرة	حافظ محمود	شعبان ـ مارس		٤٧٠	٧٦-٨٢
● المدارس الاسلامية					
اسلوب التدريس فى المسجد النبوى الشريف	محمد حسين زيدان	ربيع ثانى وجماد اول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٥٠-٥٨
دور المدرسة فى الدعوة الى الله	د. السيد محمد على نمر	ربيع ثانى وجماد اول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٩٤-٩٨
الكراسى العلمية الدينية	د. يوسف الكتانى	ربيع ثانى وجماد اول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٤٠-١٤٧
الكتاتيب فى الاسلام	عبد العزيز غنيم	ربيع ثانى وجماد اول ـ ديسمبر وينائر	٥٠	٤٦٧	١٨٤-١٩٢
الكتاتيب القرآنية	محمد بخات	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٧٧-١٨٣
الكراسى الدينية فى المسجد الحرام	حسين عرب	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٤٦-٤٨
المدارس الاسلامية	عاطف أباظة	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٩٨-١٠١
المدارس الاسلامية فى اليمن	القاضى اسماعيل بن على الأكوع	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٧٤-١٧٦
مدارس الفلاح	محمود عارف	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٦٨-١٧١
المدرسة الصولتية	مسعود سليم رحمة الله	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٥٢-١٦٦
مدرسة العلوم الشرعية فى مدينة الرسول	السيد حبيب محمود أحمد	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٤٨-١٥٠
مدرسة النجاح أحد الرموز فى تاريخنا	عمر عبد الله خوجة	ربيع ثانى ـ جماد أول/ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٧٢-١٧٣
● المراكز والهيئات الاسلامية					
المراكز والهيئات الاسلامية	التحريـر	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٢٢٦-٢٦١
● المساجد والجوامع					
تطوير دور المسجد لخدمة الدعوة الدينية	محمد ابراهيم البدرى	ربيع ثانى وجماد اول ـ ديسمبر وينائر	٥٠	٤٦٧	٩٠-٩٣
الجامع الأزهر مصدر الثقافة	د. بشرى عبد العظيم ابراهيم	ربيع ثانى وجماد اول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١١١-١١٦
ماضى القرويين وحاضرها	عبد الله كنون	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٠٤-١١٠
المساجد الكبرى فى مصر	محمد جبر أبو سعدة	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٢٢-١٢٩
المسجد الأموى بدمشق	التحريـر	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١١٩-١٢٠
مسجد الحسن الثانى	عبد الرحيم بن سلامة	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٣٦-١٤٠
مسجد قرطبة الجامع	التحريـر	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١١٦-١١٨
● المؤتمرات الاسلامية					
على هامش المؤتمر الاسلامى الاول	التحريـر	ربيع الثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٨-١٢
■ الاعلام والصحافة					
الاعلام السعودى ودوره فى خدمة الدعوة	حسين العسكرى	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٢٦٢-٢٦٨

الموضـوع	الكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	مج	ع	ص ص
المنهل فى ٥٤ عاماً	على خضران القرنى	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	١٦٠-١٧١
المنهل فى عامه الرابع والخمسين	نبيه الانصارى	المحرم وصفر - أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٤-٧
■ الاماكن والبلدان والرحلات					
الخادير . . لؤلؤه الاطلس	د. احسان هندى	جمادى الآخرة - يناير	٥٠	٤٦٨	٥٠-٥٤
الاندلس أرض الأدب والتاريخ	عبدالعظيم الشبلى	ربيع الأول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٥٢-٦٠
البكيرية بين الماضى والحاضر	التحريـر	شعبان - مارس	٥٠	٤٧٠	٦٩-٧٥
جامع عمرو بن العاص	عبد الرحمن عبد التواب	شعبان - مارس	٥٠	٤٧٠	٥٦-٦٨
سوق التلات فى لندن	محمد حسن حموده	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٥٨-٦١
غرناطـة	محمد رجب السامرائى	جمادى الآخرة - يناير	٥٠	٤٦٨	٥٥-٥٨
فرسان لؤلؤة البحر الاحمر	التحريـر	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٤٦-٥٣
لندن - الماضى العريق والحاضر الطموح	طلعت المرصفى	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٥٤-٥٧
ماليزيا وعبق الشرق	مصطفى محمد مصطفى	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	٥٠-٥٧
مدينة القيروان	د. احمد الحفناوى	جمادى الآخرة - يناير	٥٠	٤٦٨	٥٩-٦٥
المغرب السعيد (١)	د. عثمان عثمان اسماعيل	المحرم وصفر - أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٦٠-٧٢
المغرب السعيد (٢)	د. عثمان عثمان اسماعيل	ربيع الأول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٤٠-٥٠
من دمشق الى استراسبورج	د. إحسان هندى	المحرم وصفر - أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٧٤-٨١
■ بحوث ودراسات فى الاستشراق					
الازمنة التى نشط فيها الاستشراق	د. محمود حمدى زقزوق	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٠٢-٢٠٩
الاستشراق بين المصطلح والمفهوم	د. حسين نصار	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٢-١٤
الاستشراق ما له . . وما عليه	د. عمر فروخ	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٥-٢١
الاستشـراق - مجافـاتـه لتـاريخ الامـة الاسلامية وثقافتها	انور الجندى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٩١-١٩٥
الاستشـراق - هل وجـه الاعلام الوجهه التى يريدها	د. ساعد خضر العرابى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٥٨-٢٦٤
الاستشراق - والجهود المطلوبه	د. احمد سعد حمدان الغامدى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٧٢-٢٧٥
الاستشراق ومكونات النفسية الفرديه	د. محمد عثمان صالح	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٤١-٢٥٧
الاسلام - والمستشرقون	فضيلة الشيخ ابوالحسن الندوى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٤-٢٩
انتاج المستشرقين	مالك بن نبى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٨٦-١٩١
بحث فى الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية	د. اسماعيل احمد عمايره	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٨٢-٩٥
الجذور التاريخية - للصورة النمطية	د. عبد القادر طاش	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٩٤-٣٠٧
جهود المستشرقين فى تحقيق التراث العربى	د. صلاح الدين المنجد	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢١٠-٢١٧
حركة الاستشراق	د. محمد عبد المنعم خفاجى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٩٨-٢٠١
حول جهود المستشرقين فى الادب العربى	د. محمد احمد حمدون	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٦٨-١٨٦
الحياة الاجتماعية فى المغرب العربى	مازن صلاح مطبقانى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٣٥٢-٣٦٢
الخلفاء الراشدون ودورهم فى التشريع	د. عجيل النشمى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٦٣-٦٧
الخلفية التاريخية للاستشراق	د. محمد بركات البيلى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٣٢-١٤١
الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين	مصطفى عمر حلبى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	١٧١	٣٠-٤٥
الدراسات الاستشراقية وحتمية التخصصية (حوار)	د. اسماعيل احمد عمايره	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٣٤٠-٣٤٦
دور المستشرقين فى خدمة التراث الاسلامى	د. سامى الصقار	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٤٢-١٦٧
رحلة ابن جبير	محمد بن عبد العزيز الدباغ	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٣٢٨-٣٣٩
شبهات المستشرقين	د. عبد الله الرحيلى	رمضان وشوال - ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٤٦-٦١

الموضوع	الكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	ج	ع	ص ص
الشعرة التى بين الاستشراق والتنصير	د. محمد عبده يمانى	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٧٠-٢٦٥
صورة العرب فى بعض الكتابات الغربية	د. ابو بكر احمد باقادار	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٣٢٦-٣٠٨
الفتوحات بين دوافعها الاسلامية ودعاوى المستشرقين	د. جميل عبد الله المصرى	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٧٩-٦٨
الفكر الاستشراقى فى نيجيريا	على بن محفوظ	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٣٦٧-٣٦٤
فلسفة الاستشراق	د. عاطف العراقى	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٠٧-٩٦
محاور حول الاستشراق (ندوة)	د. حسن بن فهد الهويمل	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٩٢-٢٧٨
محاور حول الاستشراق (ندوة)	د. زاهر عواض الألمعى	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٩٢-٢٧٨
محاور حول الاستشراق (ندوة)	د. عبد الرحمن النفيسة	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٩٢-٢٧٨
محاور حول الاستشراق (ندوة)	د. عبد الله نصيف	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٩٢-٢٧٨
محاور حول الاستشراق (ندوة)	د. محمود حمدى زقزوق	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٩٢-٢٧٨
المسافة بين الدراسات الاقليمية والدراسات الاستشراقية	فؤاد احمد فرسونى	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٣٠-١٠٨
المستشرقون ليسوا سواء	احمد محمد جمال	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٢١-٢١٨
المستشرقون ـ والاماكن المقدسة	د. محسن جمال الدين	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٣٥١-٣٤٨
منهجية الاستشراق فى دراسة التاريخ الاسلامى	د. محمد بن عبود	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٣٩-٢٦٢
مطارحـات	نبيه الانصـارى	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٧-٦
■ تاريخيـات					
الهيكل وقبة الصخرة	محمد سليم رشدان	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	٩١-٩٠
مسألة الأرض فى المشكلة الفلسطينية	مجاهد على شراب	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١١٨-١١٤
المسجد الاقصى	محمد محمد حسن شراب	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٨٣-٦٩
المواسم الفلسطينية	مصطفى الفار	ربيع الاول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٢٣-١١٩
■ التراجم والشخصيات					
حوار لم يتم	السمانى كمال الدين	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٣-١٠
رجل ودولة	سعيد عبد الله المليصى	ربيع الاول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٢١٥-٢١٤
الزهراوى ـ سبق عصره بعشرة قرون	د. سامى عزيز	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٧١-١٦٨
شخصيات اسلامية فى تاريخ السنغال	محمد السو	ربيع ثانى وجماد أول ـ ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	٢٥٩-٢٥٧
مع العروسى المطوى	محمد الصادق عبد اللطيف	ربيع الاول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٣٣-١٢٩
■ أعلام الاستشراق					
اديتين دينيه	التحريـر	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٠١-٢٠٠
أنا مارى شيمل	التحريـر	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٠٩-٢٠٧
الدكتور زيجريد هونكه	سهاء زكى المحاسنى	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٢٥٧
الشيخ عبد الواحد يحى	التحريـر	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	١٦٣-١٦٢
عبد الكريم جرمانيوس	التحريـر	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٢٦٤-٢٦٣
المستشرق كارلايل	التحريـر	رمضان وشوال ـ ابريل ومايو	٥٠	٤٧١	٣٢٧
■ أعلام التراث العربى					
عبد السلام هارون العلامة المحقق	عاطف أباظـة	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٠٣-٩٩
● أعلام شـعراء					
فرجيـل	د. نبيل راغب	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٠١-٩٦
● أعلام.. نساء من الشرق					
(بنت الشاطىء)	هبة عبد اللطيف مصطفى	ربيع الاول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٧٤-١٧٢
حياة سليم البلبيس	هبة عبد اللطيف مصطفى	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٥٨-١٥٧
زينب فواز العاملى	هبة عبد اللطيف مصطفى	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٧٦-١٧٤

الموضوع	الكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	ج	ع	ص ص
عائشة التيمورية	هبة عبد اللطيف مصطفى	المحرم وصفر - اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٦٦-١٦٨
ملك حفنى ناصف	هبة عبد اللطيف مصطفى	رجب - فبراير	٥٠	٤٧٢	١٦٠-١٦١
(منيرة ثابت)	هبه عبد اللطيف مصطفى	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	١٥٠-١٥١
(وداد سكاكيني)	هيفاء رزق	ربيع الأول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٩	١٤٨-١٤٩
■ تراجم أعلام نساء الغرب					
بربارة توشمان	سهاء زكى المحاسنى	المحرم وصفر - اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٦	١٧٥-١٧٧
سيجريد أونست	سهاء زكى المحاسنى	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٦٥	١٦٩-١٧١
الدكتورة مارجريت ميد	سهاء زكى المحاسنى	جمادى الآخرة - يناير	٥٠	٤٦٨	١٧٧-١٨٢
ماريا مونتسورى	سهاء زكى المحاسنى	شعبان - مارس	٥٠	٤٧٠	١٥٩-١٦١
ويللا كاثر	سهاء زكى المحاسنى	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	١٥٢-١٥٤
● السيرة الذاتية					
اعترافات إحسان عبد القدوس	محمد الشرقاوى	شعبان - مارس	٥٠	٤٧٠	١٤٦-١٥٤
ذكريات أديب (٢٢)	احمد محمد جمال	المحرم وصفر - أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٤-٣٧
ذكريات أديب (٢٣)	احمد محمد جمال	ربيع الأول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٦٢-٦٤
ذكريات أديب (٢٤)	احمد محمد جمال	جمادى الآخرة - يناير	٥٠	٤٦٨	٦٧-٦٨
ذكريات أديب (٢٥)	احمد محمد جمال	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٦٤-٦٧
ذكريات أديب (٢٦)	احمد محمد جمال	شعبان - مارس	٥٠	٤٧٠	١٢٤-١٢٦
ذكريات أديب (٢٧)	احمد محمد جمال	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	٣٨-٣٩
ذكريات سلفت (١)	احمد المبارك	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	١٤١-١٤٤
أنابيش أدبية مروية	أحمد المبارك	شعبان - مارس	٥٠	٤٧٠	١٧٨-١٨٠
■ التربية والتعليم					
ابناؤنا ماذا يعترض طريقهم الى الجامعة	محمد سليم رشدان	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	٨٠-٨٢
بل المدرسة أفضل من الكُتّاب (مسك الختام)	د. احمد الحفناوى	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	١٧٤-١٧٥
فاعلية المعلم فى تربية النشىء	مصطفى أمين جاهين	ربيع الاول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٩٦-١٩٧
تمهيد التعليم فى المرحلة الاعدادية	د. وجيه الفرخ	ربيع الاول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٩٠-١٩٥
■ الثقافة					
الادوار الثقافية ومسئولية المثقف (ندوات)	أحمد اسماعيل شيلاب	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٩٧-١١٤
الادوار الثقافية ومسئولية المثقف	أحمد عمر عبيد الله	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٩٧-١١٤
الادوار الثقافية ومسئولية المثقف	أمين حسن عمر	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٩٧-١١٤
الادوار الثقافية ومسئولية المثقف	السمانى كمال الدين	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٩٧-١١٤
الادوار الثقافية ومسئولية المثقف	د. عبد الرحيم على	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٩٧-١١٤
الادوار الثقافية ومسئولية المثقف	د. مالك بدرى	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٩٧-١١٤
الادوار الثقافية ومسئولية المثقف	محمد المكى ابراهيم	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	٩٧-١١٤
تحقيقات عرضية	د. على جواد الطاهر	المحرم وصفر - اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٨٨-١٨٩
تحقيقات عرضية	د. على جواد الطاهر	ربيع الأول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٢٠٠-٢٠١
تحقيقات عرضية	د. على جواد الطاهر	جمادى الآخرة - يناير	٥٠	٤٦٨	١٨٦-١٨٧
تحقيقات عرضية	د. على جواد الطاهر	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	١٧٨-١٧٠
تحقيقات عرضية	د. على جواد الطاهر	شعبان - مارس	٥٠	٤٧٠	١٧٤-١٧٥
تحقيقات عرضية	د. على جواد الطاهر	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	١٦٨-١٧١
تطور لعب الأطفال عبر العصور	مصطفى محمد مصطفى	جمادى الأخرة - يناير	٥٠	٤٦٨	١٦٦-١٧٣
الحريم فى قصور العثمانيين	د. ماجدة مخلوف	ربيع الأول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٦٦-١٧١
خطرات الأدب (١٥)	د. عبد الرحمن النفيسة	المحرم وصفر - أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	٣٢-٣٣

الموضـوع	الكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	مج	ع	ص ص
خطرات الأدب (١٦)	د. عبد الرحمن النفيسة	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٣٥-١٣٤
خطرات الأدب (١٧)	د. عبد الرحمن النفيسة	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٣٥-١٣٤
خطرات الأدب (١٨)	د. عبد الرحمن النفيسة	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	٦٣-٦٢
خطرات الأدب (١٩)	د. عبد الرحمن النفيسة	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	١٢٣-١٢٢
خطرات الأدب (٢٠)	د. عبد الرحمن النفيسة	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٣٧-٣٦
سقيط الندى وفوح الشذى	عاتق بن غيث البلادى	المحرم وصفر ـ أغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٩-١٨
سقيط الندى وفوح الشذى	عاتق بن غيث البلادى	ربيع الاول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٣٧-١٣٦
سقيط الندى وفوح الشذى	عاتق بن غيث البلادى	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٣٣-١٣٢
سقيط الندى وفوح الشذى	عاتق بن غيث البلادى	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	٩٣-٩٢
سقيط الندى وفوح الشذى	عاتق البلادى	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٣٥-٣٤
الشاى ذلك المشروب الرائع	حميد قاسم الأزمى	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٦٠-١٥٢
العربية لغة العلم	عبد العزيز بن عبد الله	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٦١-٥٨
العمل مسؤولية	بهية بوسبيت	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٤٨
اللغة ـ التراث والحضارة(ندوات)	عبد الرحيم بن سلامة	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٩٣-٧٨
اللغة ـ التراث والحضارة	عـلال الفاسى	و الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٩٣-٧٨
اللغة ـ التراث والحضارة	عمر بهاء الدين الأميرى	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٩٣-٧٨
اللغة ـ التراث والحضارة	د. ممدوح حقـى	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٩٣-٧٨
ملاحظات غير عابرة	عثمان الصالح	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٧-١٦
من وحى العيد	احمد جبيـــر	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٣٣-٣٢
هل نحتاج الى دستور أخلاق لغوية	د. عبد العزيز شرف	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	٢٦-٢٤
● آراء وتعقيبات:					
جرس الحجارة	عبد الله سليمان الحصين	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٠٧
حول الكتابة والخط العرب	د. فتحى أنور الدابولى	ربيع الاول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٢١٣
مسلمون خلف الستار	محمد نبيه الانصارى	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	١٦٦
نظرة فى حقيقة تصدع السد	د. صالح بن سعد اللحيدان	ربيع الأول ـ اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	٢١٢
● ثقافة طبية					
الصحة العامة فى صدر الاسلام	غانم عبد الله خلف	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٣٠-١١٦
المنظور الاسلامى لبعض القضايا الصحية	د. عبد الله حسين باسلامة	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	١٣٥-١٣١
■ السياسـة					
اعلان الدولة الفلسطينية	التحريـــر	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	
اغلاق الجامعات فى فلسطين	محمد سليم رشدان	جمادى الاخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	٨٨-٨٥
الانتفاضة المباركة	د. محمد صالح الشنطى	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٧٩-٧٦
■ بيانـات					
البيان الختامى لندوة الفكر فى فلسطين	المنهـل	المحرم وصفر ـ اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٢٢-١١٩
دور الصهيونية فى تشويه صورة العرب والمسلمين	د. محمد زايد يوسف	رجب ـ فبراير	٥٠	٤٦٩	٨٩-٧٦
لنكن صرحـاء	التحريـر	ذو الحجة ـ يوليو	٥٠	٤٧٢	٧٤
■ العلوم والتقنية:					
كنوز البحار والمحيطات	د. محمد بهنان سويلم	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٥٩-١٥٤
التقنية فى مصر	د. عادل عبد الحميد عز	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	٥٣-٤٨
التقنية فى المملكة	د. صالح عبد الرحمن العذل	شعبان ـ مارس	٥٠	٤٧٠	٤٧-٣٣
■ علم النفس					
احلام اليقظة	د. عيسى المصو	جمادى الآخرة ـ يناير	٥٠	٤٦٨	١٩٩-١٩٨

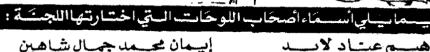
الموضـوع	الـكاتب	١٤٠٩هـ/ ٨٨-١٩٨٩م	مج	ع	ص ص
■ عمارة اسلامية					
فلسفة المرابطين ومؤثرات الفن الاسلامي في الطراز المغربي الأندلسي	د. عثمان عثمان اسماعيل	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	٤٢-٤٩
■ الفلسفة					
الفلسفة مسألة أم مشكلة	فاروق صالح باسلامة	شعبان - مارس	٥٠	٤٧٠	٣١-٣٧
■ الكتب					
الاسلام والطب	د. كارم السيد غنيم	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	١٣٦-١٤٥
تراث فلسطين	زياد عودة	ربيع الأول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٢٤-١٢٨
عصافير على أغصان القلب	زياد عـودة	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	٨٣-٨٥
مكتبات استانبول	د. حسين المالي	ربيع ثاني وجماد اول - ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٩٨-١٩٩
المكتبات الكبرى في مصر	د. محمد عبد المنعم خفاجي	ربيع ثاني وجماد اول - ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٩٨-٢١٠
التجديدات في شعر الأبيوري	عثمان الصالح	ربيع ثاني وجماد اول - ديسمبر ويناير	٥٠	٤٦٧	١٩٤-١٩٧
■ اللغة					
أخطاء مشهوره	يحيى عبد الله العلمي	جمادى الأخرة - يناير	٥٠	٤٦٨	١٨٨-١٨٩
أخطاء مشهوره	يحيى عبد الله العلمي	رجب - فبراير	٥٠	٤٦٩	١٨٠-١٨١
أخطاء مشهوره	يحيى عبد الله العلمي	شعبان - مارس	٥٠	٤٧٠	١٨٦-١٨٧
أخطاء مشهورة	الفريق يحيى عبد الله المعلمي	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	١٧٢-١٧٧
الخلاف في نشأة الصرف	د. حميد عبد الجواد النجدي	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	١٦٨-١٧٠
صراع اللغات	د. فتحي أنور الدابولي	ذو الحجة - يوليو	٥٠	٤٧٢	٦٢-٦٧
قيـد الصـيد	أبو تراب الظاهري	المحرم وصفر - اغسطس وسبتمبر	٥٠	٤٦٥	١٨٦-١٨٧
قيـد الصـيد	أبو تراب الظاهري	ربيع الأول - اكتوبر ونوفمبر	٥٠	٤٦٦	١٩٨-١٩٩

نتيجة مسابقة أرامكو السعودية السنوية العاشرة لرسوم الأطفال

وَقعَ اختيار لجنة التحكيم على مائة وخمسين لوحة، وذلك من بين ما يزيد على خمسة آلاف وأربعمائة لوحة من الرسوم الجيدة التي تنمّ عن كثير من الأصالة والاتقان.
لقد زيد عدد اللوحات المختارة مؤخراً نتيجة لتقارب المستويات الفنية للوحات واتسامها بالجودة والجمال، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على المستوى الطيّب الذي وصل إليه أطفال مملكتنا الحبيبة في هذا المضمار.

لقد تمّ الاتصال برقيًا بأصحاب اللوحات المختارة، كما تمّ تسليم معظم الجوائز، وإنّ إدارة العلاقات العامّة بأرامكو السعودية ليطيب لها أن تنتهز هذه الفرصة لتعرب عن بالغ شكرها لجميع الذين شاركوا في المسابقة وللأساتذة والمسؤولين في المدارس في جميع أنحاء المملكة لمساهمتهم في إنجاح هذه المسابقة وإظهارها بهذا المظهر الجيّد، كما تجدد الدعوة لجميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيُعلن عنها في بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله.

والله وليّ التوفيق.


فيما يلي أسماء أصحاب اللوحات التي اختارتها اللجنة :

إبراهيم عتاد لابد
مدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

أحمد ميس الرويلي
مدرسة عمر بن عبد العزيز - طريف

أحمد فريد عيسى
متوسطة سعيد بن المسيب - عرعر

أحمد عبد الفتاح الجرداوي
مدرسة عمرو بن العاص - عرعر

أحمد محمد لبيب مطاوع
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

أحمد حامد قاسم علام
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

أحمد عايد غصاب الضويحي
مدرسة عمر بن عبد العزيز الابتدائية - طريف

أحمد عبد العال محمد جاد المولى
مدرسة العويقلية الابتدائية - عرعر

إياد حاتم محمد أبو ربدة
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

أسماء نوفل
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

أسماء أحمد رأفت عبد المنعم
مدرسة ١٤٣ الابتدائية للبنات - الرياض

إيمان الملا
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

أمينة بحيري
مدارس جامعة الملك فهد للبترول - الظهران

إيمان إبراهيم محمّد رويدار
بواسطة والدها - مستشفى الملك فيصل (قسم المختبرات) - الطائف

أمجد عبد المجيد الريفي
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع

أحمد محمود الجندي
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع

أمل عابد المشعبي
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

إيهاب محمد طه كرسوم
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع

أنوار بنت أحمد محمد الدهش
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

إيمان محمد جمال شاهين
المدرسة التاسعة للبنات - الرياض

بدر فريد عبد الرحمن
مدرسة الفناتير الابتدائية - الجبيل

باسل فهد إبراهيم السلطان
مدارس الرياض الأهلية للبنين والبنات - الرياض

بندر عبد الله محمود قشلان
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

بتول أحمد مصطفى محضر
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

البندري الحصان
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

بلال إبراهيم منسي العمري
مدرسة متوسطة العويقلية - عرعر

تركي عبد الله الكريديس
مدرسة أسيد بن حضير الابتدائية - جدة

تغريد فوزي رضا السعيد
مدارس الرياض - الرياض

ثامر فوزي صالح صفوري
مدرسة ابن جبير الابتدائية - عرعر

ثامر عبد الله الرحيلي
مدرسة الفناتير الابتدائية - الجبيل

جمال محمد مرشد اليماني
معهد العاصمة النموذجي - الرياض

حافظ شريف الطرباق
مدرسة الفناتير الابتدائية - الجبيل

حسان علي محمد شبعاني
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

حسناء خليل العوفي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

حسين هيثم الروماني
المدرسة النموذجية الأهلية - الدمام

الحميدي محمد حمد العنزي
مدرسة متوسطة العويقلية - عرعر

حيدر السيد محمد الهاشم
المدرسة المتوسطة - رفحاء

خالد نايف العنزي
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - عرعر

خالد عبد العزيز الصقر
مدارس الرياض الأهلية للبنين والبنات - الرياض

خالد بن عبد الرحمن آل سعود
مدارس الرياض - الرياض

خالد حماد مطر العنزي
مدرسة طارق بن زياد - عرعر

خالد صبحي معيوف
متوسطة سعيد بن المسيب - عرعر

خميس عوض سويلم
المدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

خالد محمد سالم القحطاني
متوسطة وثانوية أم القرى - الجبيل

خلف راشد العنزي
المدرسة المحمدية - حفر الباطن

ديمه غوشه
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

رامي عبد الرحيم واكد أبو عقلين
المدرسة السعودية الابتدائية - الطائف

ريم مصطفى الحمومي
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

ريم عبد الله العصار
المدرسة النصيفية - جدة

رائد جمعان الدوسري
مدرسة الفناتير الابتدائية - الجبيل

رامي حسين فيّاض
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

رحاب محمد شعبان
المدرسة الفيصلية الإسلامية - الخبر

رنا محمد زكي قطان
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

رشا عبد المجيد عبد الله الوهيب
مدارس الرياض - الرياض

رزان المعاني
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

رافع حاوي سعيد الرويلي
مدرسة عمر بن عبد العزيز - طريف

راكان سلطان شريده
مدرسة ابن جبير الابتدائية - عرعر

زهير صالح سعيد نتو
مدرسة عبد الرحمن بن أبي بكر الابتدائية - جدة

سارة العذل
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

سما شتا
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

أرامكو

سديم طارق يوسف فايد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

سلطان سليمان الخصيب
مدرسة الفنانير الابتدائية - الجبيل

السيد هاشم عبد الله الهاشم
متوسطة وثانوية أم القرى - الجبيل

سعيد أحمد يحيى عبد الله
مدرسة الشعلة المتوسطة - أبها

سارة بنت محمد عبد العزيز آل الشيخ
مدارس الرياض - الرياض

سطام بادي علي الحربي
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

سلطان فهد كليب الدكنان
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

شحاذ حماد الحميدي الشمري
مدرسة العويقيلة الابتدائية - عرعر

شهاب أفضل حسين أنور
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

صالح عاصف حزمان
المدرسة العزيزية - عرعر

صالح عبد الله القرشي
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

طارق نظيف حسين
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

عبير علي فهد القحطان
المدرسة الثانية والعشرون - الدمام

عبير أسلم باسنبل
مدارس جامعة الملك فهد للبترول - الظهران

عبد الله اضحوي حمود
متوسطة الملك سعود - حفر الباطن

علي عبد الله علي البكري
مدرسة الفنانير الابتدائية - الجبيل

عامر جاسم الحجي
مدرسة الفنانير الابتدائية - الجبيل

علاء مفيد عثمان أحمد
المدرسة النموذجية الأهلية - الدمام

عبد الله عبد اللطيف الوادي
متوسطة وثانوية أم القرى - الجبيل

عامر ياسين عامر محمد عمر
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

علوي عبد الله حسن مقبيل
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

عبد الرحمن احمد نظيم سليمان
مدرسة الحارث بن كلدة الابتدائية

عبد العزيز السديري
مدارس الرياض - الرياض

علية محمد أبو الهاشم
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

علا خورشيد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

عمر سليمان ضبان
مدارس الرياض - الرياض

عبد الله جزاع صالح
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - عرعر

عبد الله محمد سحيمان الشمري
مدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

عبد الله عايد الشمري
مدرسة المثنى بن حارثة الابتدائية - عرعر

عبد العزيز وادي يحيى العنزي
متوسطة سعيد بن المسيب - عرعر

عقيل صغير العنزي
المدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

عياد حبر دحيل الرويلي
مدرسة معن بن زائدة - عرعر

عبد الرحمن نزال مصبح الحربي
مدرسة معن بن زائدة - عرعر

غادة ابراهيم المقداد
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

غدير عنان
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

غرانت بتلر
المدرسة الدولية - القسم البريطاني - الخبر

غسان عمر مطر الحارثي
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

غسان خوري
المدرسة الدولية - القسم البريطاني - الخبر

فارس ظاهر سياف
مدرسة روضة الهياس - عرعر

فوزي زياد الشريف
مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عرعر

فهد عصيان دغيمان العنزي
مدرسة العويقيلة الابتدائية - عرعر

فهد محمد أبو نيان
مدارس الرياض - الرياض

فاطمة أحمد رأفت عبد المنعم
المدرسة ١٤٣ الابتدائية للبنات - الرياض

فيكتوريا برانيف
المدرسة الدولية - القسم البريطاني - الخبر

في نيوتن
المدرسة الدولية - القسم البريطاني - الخبر

لانا بركات
الظهران

لؤي عمر مطر الحارثي
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

ليلى صالح الخويطر
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

لؤي مروان الأسدي
المدرسة النموذجية الأهلية - الدمام

ماركوس هيدلي
المدرسة الدولية - القسم البريطاني - الخبر

محمد عبد الله الخالدي
متوسطة وثانوية أم القرى - الجبيل

ماهر محمد أبو رحيله
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع

محمد عبد الوهاب الفايز
مدرسة الفنانير الابتدائية - الجبيل

محمد إبراهيم محمد رويدار
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

منير ناصر محمد
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع

محمد سعود محمد البلهيد
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

فهد كمال أبو العينين
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - عرعر

مي بنت سليمان الكليبي
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

محمد القزاز
مدارس الرياض - الرياض

مزن بنت محمود السفياني
مدارس الرياض - الرياض

محسن سعد دغيمان
مدرسة روضة هياس الابتدائية - عرعر

محمد أحمد محمد الحاج
مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عرعر

مصطفى محمد لبيب مطاوع
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

محمد صالح محمد
مدرسة روضة هياس الابتدائية - عرعر

محمد مطلق كايد العنزي
مدرسة ابن جبير الابتدائية - عرعر

مشعل صباح سالم
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - عرعر

منصور محمد الشمري
مدرسة روضة الهياس المتوسطة - عرعر

منور محمد ماهر الشراري
مدرسة عبد الرحمن بن عوف الابتدائية - طريف

ماهر محمد حسن النجار
مدرسة النعمان بن مقرن - عرعر

متعب فريج عباد الرويلي
مدرسة عمر بن عبد العزيز - طريف

محمد فتحي علي أحمد
المدرسة المتوسطة - رفحاء

مشعل خليل أمين الغويمر
مدرسة سعيد بن المسيب - عرعر

محمد أسامة هيكل أحمد
متوسطة سعيد بن المسيب - عرعر

نبيل مير غني
متوسطة وثانوية أم القرى - الجبيل

نوف زهير عبد القادر البكري
مدارس دار الفكر - جدة

ناهي احمد جلود
مدرسة روضة هياس الابتدائية - عرعر

نسرين بنت فارس الفارس
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

نواف أبا الخيل
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

نوف بنت حمد القبلان
مدرسة الرياض الأهلية - الرياض

ندى خورشيد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

ندى بنت هشام محيي الدين ناظر
مدارس الرياض - الرياض

نايف عبيد شخير
مدرسة طارق بن زياد - عرعر

هيثم سعود
متوسطة وثانوية أم القرى - الجبيل

هبة أحمد نظيم سليمان
المدرسة الخامسة الابتدائية - الطائف

هيفاء السديري
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

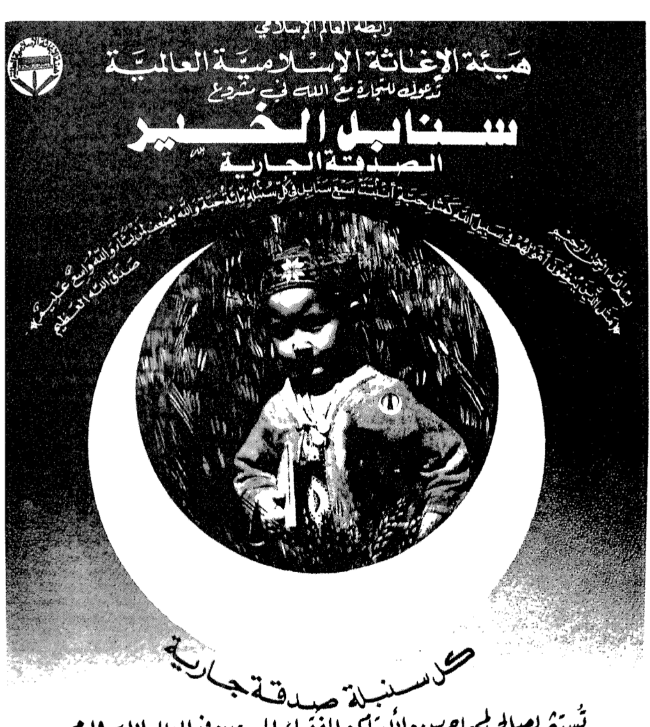
هند بنت محمد العبد الله
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

وئام راشد حامد
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

واصل عارف موسى الغامدي
مدرسة أحد - الدمام

وليد بسام الأمين
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

وليام تانغ
مدارس مرتفعات الظهران - الظهران



تُستثمر لصالح المهاجرين والأيتام والفقراء المعدمين في العالم الإسلامي

ساهم معنا في جمع قيمة ١،٠٠٠،٠٠٠ سنبلة للعام الحالي

قيمة كل سنبلة ١٠٠ ريال

شعبان ١٤٠٩هـ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان إنقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم

يسرني أن أتصدق بمبلغ (   ) لعدد (   ) سنبلة   وأن أقوم بدفع المبلغ ☐ لمرة واحدة ☐ شهريا ☐ سنويا ☐ احياناً

وهذا التبرع باسمي ________ باسم أحد أفراد أسرتي ________ باسم عزيز انتقل إلى رحمة الله ________

عنواني ________

تودع المبالغ في حساب «سنابل الخير» ح/ رقم ٤٦٠٠ - ١٦١ شركة الراجحي المصرفية للإستثمار أو تُرسل بشيك أو بحوالة باسم «مشروع سنابل الخير» هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية

جدة ص. ب: ١٢٨٥ الرمز البريدي ٢١٤٣١ هاتف ٦٥١٥٤١١

«تقبل أيضاً التبرعات بكافة أنواعها والزكوات وأسهم الشركات الصناعية والتجارية»



يتوفر له مكتبة كبيرة من البرامج التعليمية والترفيهية

أخــي ...

يَـذوُبُ ضَـمَـيرُ مُـدمِـنِ الخَـمْـر

في قَـاعِ الكَـأسِ !

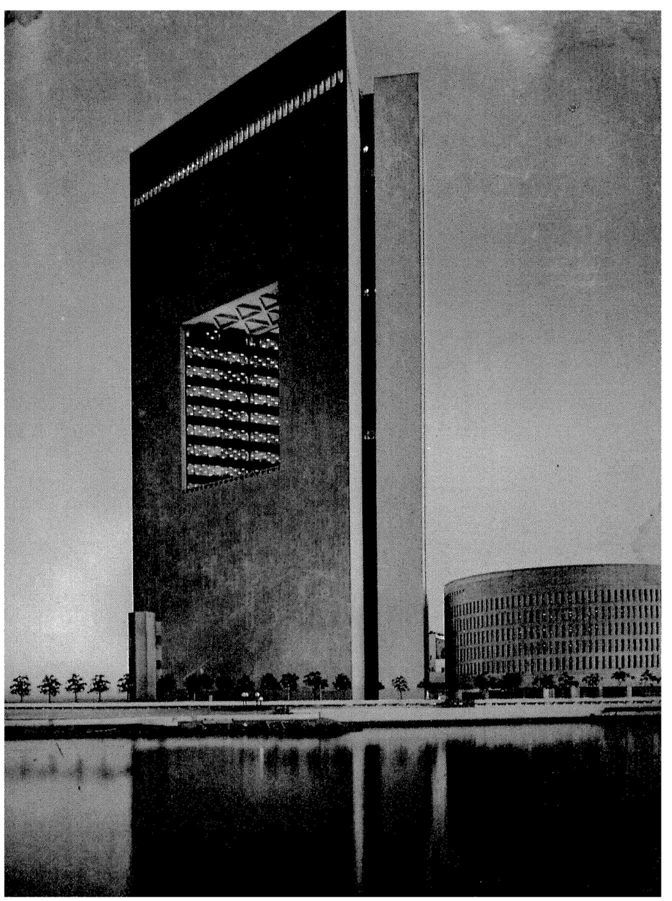
وَتـدمِّر المُخدِّرَاتُ العَقلَ وَالجسْمَ مَعـ

فمـاذا يَـبقى بعَـد ؟!

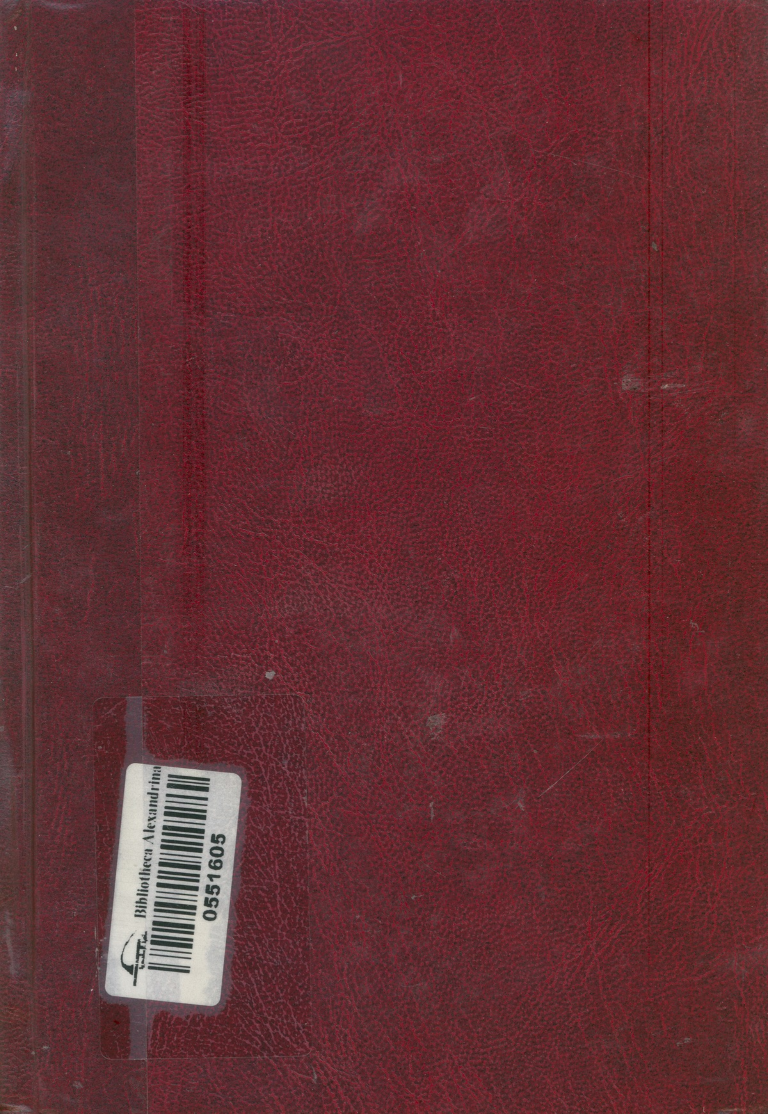


مع تحيات دارة مجلة المنهل


عيد سعيد
بمناسبة حلول العيد السعيد يطيب لشركة أرامكو ان تتقدم
بأسمى التهاني وأجمل الأماني
الى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز المفدى
وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم، اعاده الله على الجميع باليمن والبركات
(PRI-1-89)



دار الأصفهاني للطباعة بجدة


Bibliotheca Alexandrina
0551605